هذا كتاب

تفسير القرآن العظيم للعالم العلامة الحبر الفهامة
مولانا شيخ الإسلام والمسلمين ابن كمال
باشا رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته
وبركات علومه في الدين والدنيا
والآخرة آمين يا رب
العالمين وصلى
الله على سيدنا
محمد وعلى
آله وصحبه
وسلم

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاج بشير آغا دار السعادة الشريفة
لسنة ثمان وخمسين ومائة
وألف

10

هذه النسخة الجليلة من وقف حضرة مولانا صاحب الخيرات الحسان صاحب دولة الجود والإحسان جامع محاسن العلم والعمل
منور مصابيح المقاصد بأنوار العناية [illegible] معاقد المراصد بمصالح الكفاية
حائز مجامع البر الأكمل ألا وهو آغا دار السعادة الحاج بشير [illegible] الأجر المزيد والبر الكثير
من هو على كل شيء قدير حرره العبد الفقير إليه سبحانه وتعالى
محمد أمين المفتش بأوقاف الحرمين المحترمين
عفي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

سورة فاتحة الكتاب

السورة عبارة عن طايفة من القران مترجمة اقلها ثلث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سورة المدينة او من السورة التي هي الرتبة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية او القطعة من الشيء وفائدة تقطيع القران سورا ان تنويع الجنس احسن من كونه بيانا واحدا والنشط للقاري واسهل للحفظ واما افراد الانواع وتلاحق الاشكال فلا يصلح وجها لما ذكر لانه غير مراعى في ترتيب الايات وتقطيعها سورا كما لا يخفى على من تتبع وتامل وفاتحة الشيء اوله وخاتمته اخره اصلهما الفتح والختم والتا للنقل من الوصفية الى الاسمية وقيل هي في الاصل مصدر بمعنى الفتح ثم اطلقت على اول الشيء تسمية للمفعول بالمصدر والفاعلة في المصادر غير عزيز واضافتها الى الكتاب وهو مجموع كلام الله المفتتح بالتحميد والمختتم بالاستعاذة بمعنى اللام ثم ان وجه تسمية هذه السورة بفاتحة الكتاب والفاتحة وسورة الحمد والشكر والدعا وتعليم المسالة ظاهر اما تسميتها بام القران فلاشتمالها على كليات المعاني التي في القران من الثنا على الله تعالى ومن التعبد بالامر والنهي والوعد والوعيد واما التسمية بالاساس فلانها مفتتح الكتاب ومبدوه فكانها اصله ومنشاوه واما تسميتها بسورة الكنز فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم انما نزلت من كنز العرش واما تسميتها بسورة الصلاة فلوجوب قراءتها فيها وقد سمي بالصلاة كما وقع في الحديث

2

في الحديث القدسي قسمت الصلاة بيني وبين عبدي وذلك من باب تسمية الشيء باسم ما يلازمه واما تسميتها بالوافية والكافية فلانها تكفي في الصلاة عن غيرها ولا يكفي عنها غيرها والمراد من الصلاة الركعتين الاخيرتين من الرباعية لان ضم السورة عليها واجب في الاولين واما تسميتها بالسبع المثاني فلانها سبع ايات بثني في الصلاة وقيل لانها تثنت في النزول فانها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة وفيه ان الوصف المذكور قد ثبت لها بمكة بدلالة قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني بمعنى فاتحة الكتاب على ما نص عليه النبي عليه السلام حيث قال في رواية ابي هريرة رضي الله عنه فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم التي اوتيته والاية مكية بالنص وبذلك استدلوا على مكية هذه السورة مكية قدم دليل مكيتها انفا ووجه الدلالة ظاهر والمكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سوا نزل بالمدينة او في سفر من الاسفار وهي سبع ايات بالاتفاق الا ان قرا المدينة والبصرة والشام وفقهايهم عدوا انعمت عليهم اية ولم يروا التسمية اية منها وعليه مالك واصحابه وابو حنيفة واصحابه ولهذا لم يذكرها مالك في الصلاة ولم يجهر بها ابو حنيفة ويقول انها اية من القران انزلت للفصل بين السور والافتتاح بها تبركا وقرا مكة والكوفة وفقهاوها على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولهذا يجهرون بها في الصلاة ولا دلالة في الاجماع على ان ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب امين على صحة القول الثاني اذ لا يلزم من كونها كلام الله تعالى ان تكون اية من الفاتحة نعم فيما روي ابو هريرة رضي الله عنه من انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم دلالة على

بسم الله الرحمن الرحيم قد جا في الخبر عن خير البشر انه كان يكتب باسمك اللهم فلما نزلت سورة هود وبسم الله مجريها ومرساها كتب بسم الله فلما نزلت سورة بني اسرايل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم ففي الخبر دلالة على انه ليس من اول كل سورة ولكنها بعض اية من كتاب الله تعالى في سورة النمل وقالوا اللطف من الله في عدم كونها اية تامة ان لا يكون الجنب والحائض والنفسا ممنوعين عن كل امر ذي بال كالتشهد ونحوه اذ لو لم يجمعها في القران في موضع واحد لبلا يتوهم انها اية وربما يقتضي الجنب ونحوه فلا يمكنه التكلم بها عند ختم نعم بسم نصب بفعل مضمر تقديره باسم الله اقرا وتقديم المعمول للاهتمام والاختصاص

واصله باسم بالالف حذفت لكثرة الاستعمال ولذلك تثبت عند استعمالها بحرف اخر
نحو فوكك لاسم الله حلوة في الصلاة ومضافا الى اسم اخر نحو باسم ربك وطولت
البا لاجله وهي الخفض كسرت لتشابه حركتها عملها وعن عمر ابن عبد العزيز
انه قال لكاتبه طول البا واظهر السينات ودور الميم وكان القياس السنات
لانه جمع السن الا انه عدل عنه حذرا عن الالتباس ببعض المصادر كما قال الجوهري
في الدينار اصله الدنار بالتشديد فابدل من احد حرفي تضعيفه يا للالتباس
بالمصادر التي تجي على فعال كقوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا فنبه كاتب
العزيز بحرف البا واثرها على ساير الحروف لا سيما على الالف حيث
اسقط واثبت هيئة اليا مكانه اشارة الى انها وان كانت متبوعا للبا
صورة لكنها من توابعها معنى وذلك انك اذا نظرت على صورة وضع
الحروف وجدت الالف متقدما على البا متبوعا له واذا تلفظت بالبا
وجدت الالف تابعا لها والاسم من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له
صلة لدفع توهم اختصاص الاستعانة بلفظ الله فقط فان اكتفا بكل
اذا قال بالله ابتدى فمعناه بهذا الاسم واذا قال باسم الله ابتدا معناه
باسمه تعالى ابتدى فان المقصود بيان المسمى الله اسم علم خاص له
تعالى عند الخليل ومن تبعه وعلاقة الاشتقاق بينه وبين غيره انما بنا في
علميته اذا ثبت اصالة ذلك الغيرودة لكم يثبت بعد وقيل وصف لكنه
غلب عليه تعالى بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم لا علم لان ذاته تعالى
من حيث هو بلا اعتبار امر حقيقي او غيره غير معقول من البشر فلا يمكن ان
يدل عليه بلفظ ويرد عليه ان المعتبر في اسم الذات تجريدا لموضوع له من
معنى زايد لا تجريد الذات عند الوضع عن ملاحظته بوصف مخصوص
لا ينافي كونه اسم ذات اذا لم يكن ذلك الوصف معتبرا في الموضوع له
على انه في وضع الاعلام لا حاجة الى معرفة الموضوع له وملاحظته بتشخصه
بل يكفي معرفته وملاحظته على وجه يخصه بذلك الوجه في الخارج فيه
الا يرى الا ان الاب يضع علما لولده قبل ان يراه ولو سلم انه يستحيل
ان يضع له تعالى علما ولكن لم لا يجوز ان يسمي الحق نفسه باسم يدل
على ذاته تعالى بالمطابقة ثم يعرفنا بذلك او يقال لو دل على مجرد
ذاته تعالى لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض
معنى صحيحا لان اللازم عدم دلالته وضعا على معنى زايد لا عدم
دلالته اصلا كما فانه علم ومع ذلك دل على معنى السخاوة لاشتهاره
بها اصله اله فلما دخل عليه الالف واللام حذفت الهمزة تخفيفا وعوضت
عنها حرف التعريف فان قلت اذا كان دخولها قبل حذفها فكيف
يكون عوضا عنها قلت دخولها قبل حذفها لا بطريق اللزوم وبعد

الحذف يكونان لازمين فيهما باعتبار اللزوم يكونان عوضا عنها ولذلك قطعت
الهمزة في يا الله وهو اسم جنس وضع لكل معبود بحق او باطل ثم غلب منكرا على
المعبود بحق كيعوقه وسنه وقد دل على ذلك ابي على تمثيله منكرا كلمة
التوحيد ثم اختص بذاته تعالى بعد حذف الهمزة وتعويض التعريف عنها
ويدل على هذا ايضا كلمة التوحيد مشتقا من اله كعبد وزنا ومعنى وتصرفا
او من اله بمعنى فزع او من اله بمعنى ولع او من اله بمعنى تحير او من اله بمعنى سكن
او من وله كعلم وقلة وزنا ومعنى وتصرفا اي تحير ودهش او من وله بمعنى
طرب او من لاه بمعنى ارتفع او بمعنى احتجب او بمعنى استتر مجموع الاقاويل
هو المعبود للخواص والعوام المفزوع اليه عند الامور العظام المرتفع عن الاوهام
المحتجب عن الافهام الظاهر بالاعلام الذي تحير في صفاته الاحلام وسكنت
في عباداته الاجسام وولعت به نفوس الانام وطرب اليه قلوب الكرام
الرحمن الرحيم اصلهما واحد لانهما من الرحمة والاول ابلغ من الثاني لان
فعيلا لمن كثر منه الفعل وفعلان لمن كثر منه وتكرر وحق الابلغ التاخير الا
انه قدم لانه لاختصاصه به تعالى كالعلم ووصفه تعالى بالرحمة ومعناها
العطف ومنه الرحم من اطلاق السبب على المسبب وهو الانعام والاحسان
فان الملك اذا عطف على رعيته انعم عليهم واحسن في حقهم وما في معنا الرحمن
من الزيادة كما وكيفا حيث يقال تارة يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة واخرى
يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا مرجعه الى الصيغة فان زيادة المعنى
وهذا بعد الرجوع الى اصل واحد في الاشتقاق بشرط الاتحاد في النوع فلا
نقض بنحو حاذر وحذر لان احدهما اسم فاعل والاخر صفة مشبهة فالرحمن
عام المعنى خاص للعطف حيث لم يستعمل في غير الله تعالى الا تعنتا كرحمن
اليمامة والرحيم على عكس ذلك الحمد لله الحمد هو المدح والوصف بالجميل
والاختصاص له بالله تعالى يفصح عن ذلك قول عايشة رضي الله عنها نحمد
الله لا نحمدك وقول علي رضي الله عنه لا تحمد امراحتى تجربه بل الاختصاص
له بذي علم وشعور يرشد اليه قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا وقول العرب في المثل السائر عند الصباح يحمد القوم السرى ومن هنا
تبين ان المحمود لا يلزم ان يكون فاعلا لما حمد به فضلا عن ان يكون مختارا
فيه كما توهم ومن وهم قيام الفرق بين الحمد والمدح بصحة تعلق الثاني بالجماد
دون الاول فقد وهم واتضح انه لا دخل لمسيلة خلق العباد افعالهم في هذا
المقام لان الكلام في الحمد اللغوي والمرجع فيه من وقف بغير تقليدهم
وقد ثبت بالنقل الصريح والاستعمال الصحيح من قبلهم عدم اختصاص
الحمد به تعالى واما حمد التعريف على الجنس دون الاستغراق لخفائه او امر
اخر وهو ان مقتضى مقام الخطابة تخصيص حقيقة الحمد به تعالى لا الافراد

الحمد الثابتة لغيره بمنزلة العدم والقصد الى هذا المعنى ظاهر عند كون التعريف
للجنس دون الاستغراق لانه قد يكون عرفيا كما في جمع الامير الصاغة وليس
عن مقام الخطابة فلا يجوز جعله استغراقا لجميع الافراد فلا يتحقق مقتضى
المقام والشكر مقابلة النعمة بالقول او بالعمل او لكونه بالفعل كما يكون
بالقول قيل دابة شكور اذا ظهر سمنه بادنى علف له وقال الله تعالى اعملوا
آل داود شكرا فهو اخص من الحمد متعلقا واعم منه موردا وهو اللسان والاركان
ومقابله الشكر الكفران ومقابل الحمد الذم الذي يقابل المدح على ما نص عليه
الجوهري ومن هاهنا ظهر انهما مترادفان لغة واما الجنان فليس موردا له
بل هو شرط لكون القول شكرا ولا دلالة في قول الشاعر افادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا على استقلال كل منها موردا ولما كان
الحمد في مقابلة النعمة من شعب الشكر اشيع لها واول على مكانها لما
في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة وقال عليه السلام
الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده ورفع الحمد بالابتداء وخبره لله واصله
النصب على المصدر باضمار فعله لكونه من المصادر التي حقها ان تكون كذلك
ولا يذكر الفعل معها البتة كشكرا وعجبا وقد ترك على الاصل والعدول الى
الرفع عن الاول للثبات لما في الفعل من التجدد كدلالته على الازمنة
ولذلك كانت تحية ابراهيم عليه السلام احسن في قوله تعالى قالوا سلاما
قال سلام ولان معناه على الرفع ان الحمد حق لله تعالى يستحقه لذاته وعلى النصب
لا دلالة على ذلك ولان الغافل عن معناه وكذا الساهي عن ملاحظته اذا تكلم به
على النصب يكون كاذبا بالاخبار عن نفسه لكونه حامدا مع انه ليس كذلك بخلاف
ما اذا تكلم به على الرفع وانما خص الاسم المذكور هاهنا لتكون المحامد كلها
مقرونة بجمالها المستدعية لها فانه اسم ينبئ عن جميع صفات الكمال
وعامة نعوت الجلال حمدا ولم يحمد نفسه على استحقاقه له باعتبار افعاله
العظام واثاره الجسام ايضا من ربوبيته للكل وشمول رحمته الظاهرة
للجميع وخصوص رحمته الباطنة لعباده المؤمنين وذلك ان ترتيب الحكم
على الوصف كما يشعر بالعلية كذلك تعقيب الحكم بالوصف يشعر بها كانه
قال حقيقة الحمد مخصوصة لذاته الواجبة الكاملة بذاتها ولكمالاتها التي
لا يشترك فيها غيره **رب العالمين** الرب يطلق على المربي والمصلح والسيد والمالك
والخالق والمعبود وكل ذلك يحتمله المقام فيصح ان يراد به هاهنا كل منها ولكن ذلك
وجها لايثاره على المالك ونحوه ثم ان ربوبيته تعالى بمعنى الخالقية والمالكية
والسيدية والمعبودية عامة وبمعنى التربية والاصلاح خاصة بحسب
انواع الموجودات متفاوتة فهو مربي الاشباح بانواع نعمه ومربي الارواح
باصناف كرمه ومربي نفوس العابدين باحكام الشريعة ومربي قلوب العارفين

باداب الطريقة ومربي اسرار الابرار بانواع الحقيقة ولقد احسن من قال الله تعالى
يملك عبادا غيركا كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وانت ليس لك رب سواه ثم
انك تساهل في خدمته كان لك ربا غيره وهو يعتني في تربيتك كانه ليس له عبد
سواك يحفظك بالنهار وعن الافات بلا عوض ويحرسك بالليل من المخافات من غير
عوض فما احسن هذه التربية واطلاق الرب على غيره تعالى لا يجوز شرعا لا
مطلقا ولا مقيدا لما رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لا يقول
احدكم اطعم ربك وضئ ربك اسق ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي واما قول
يوسف عليه السلام ارجع الى ربك وانه ربي فمحمول على الحكاية من الله تعالى لانه
عليه السلام كان يتكلم بالعبرية فلا حاجة الى ما قيل انه ملحق بقوله تعالى وخروا له
سجدا في الاختصاص بزمانه بل الاوجه كما لا يخفى ويجوز لغة ولو مطلقا كما وقع
في شعر الحارث بن حلزة من شعراء الجاهلية يمدح ملكا وهو الرب والشهيد
على يوم الحيارين والبلاء بلاء والعالمين جمع عالم وهو في لسان العرب اسم
لنوع من المخلوقين فيه علامة يمتاز بها عن خلافه من الانواع كالملك والانس
والجن فيقول العرب عالم البر وعالم البحر وعالم الارض وعالم السماء على ما نقله
ايمة اللسان وهو جمع لا واحد له من لفظه كالانام والرهط والجيش وهو
ماخوذ من العلم والعلامة فجعل اسما لما يعلم به الصانع فان فاعلا كثيرا ما يجيء
في اسم الالة التي يفعل بها الشيء كالخاتم والقالب والطابع فجعل بناؤه على
هذه الصيغة لكونه كالالة في الدلالة على صانع واما جمعه فلانه لو افرد
لربما يتبادر الى الفهم انه اشارة الى هذا العالم المشاهد بشهادة العرف
او الى الجنس والحقيقة على ما هو الظاهر عند عدم العهد فجمع ليشمل كل جنس
سمي بالعالم لعدم العهد وفي الجمع دلالة على ان القصد الى الافراد دون
نفس الحقيقة والجنس وانما جمع جمع قلة والظاهر يستدعي الاتيان بجمع الكثرة
قال وهب لله ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها تنبيها على انهم وان كانوا
كثروا قليلون في جنب عظمته وكبريائه واما جمعه بالياء والنون فلتغليب
العقلاء منهم **الرحمن الرحيم** ذكرهما عقيب الحمد لذاته ثناء على صفاته كما قال عليه
السلام فيما روي عنه يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي
فذكرهما في البسملة لاستمالة قلوب العباد على العبودية بالرحمة والغفران
وفي الفاتحة للثناء على الله تعالى بالجمال والجلال اللطفية والرضوان **مالك يوم الدين**
الملك تمام القدرة وقرئ ملك من الملك وهو التسليط العام والاستعلاء التام وهو
اشد مناسبة لله تعالى والاضافة الى يوم الدين فان مدار الجزاء على الاعمال
من الثواب والعقاب واخذ حق الضعيف من القوي على الاستعلاء التام
والسلطنة واضافة الملك والسلطنة الى وقت شايع دون اضافة
الملك وقيل في ترجيح قراءة مالك ان فيه زيادة حرف وبه زيادة ثواب

لقوله عليه السلام من قرا القران كتبت له بكل حرف عشر حسنات ومحيت عنه عشر
سيات ورفعت له عشر درجات واضافته الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف
المجري مجري المفعول اتساعا او اتساعا وقوعه صفة للمعرفة لان اضافة اسم
الفاعل انما يكون غير حقيقية اذا اريد به الحال والاستقبال لكونه في تقدير الانفصال
والمراد هنا الزمان المستمر او الماضي لقراءة ملك على المضي واليوم المدة كون الشمس
فوق الارض عرفا وعبارته عن وقت استفاضة الفجر الثاني الى غروب الشمس شرعا
وهو الوقت المطلق لغة ليلا كان او نهارا طويلا كان او قصيرا وهو المراد في
الاية لعدم الطلوع والغروب ثمه والدين الجزا خيرا كان الجزا به او شرا كما تدين تدان وانما خص اضافة ملك اليه لان الاملاك يومئذ زائلة قال الله
تعالى والامر يومئذ لله فكانه يقول خلقتك اولا فانا اله ثم ربيتك بوجوه
النعم فانا رب ثم عصيت فسترت عليك فانا رحمن ثم تبت فغفرت لك فانا رحيم
ثم لا بد من ايصال الجزا اليك فانا مالك يوم الدين اياك نعبد لانك مالك
واياك نستعين لان ما سواك هالك ضمير منفصل منصوب والكاف فيه للخطاب
مثل كاف ذلك وهو اي ياوها حرف التنبيه والندا فادغم اليا وكسرت الالف
لجواز الالف والعبودية التذلل والعبادة ابلغ منها لانها غاية التذلل
ولهذا اختصت بالرب عدل عن الغيبة الى الخطاب وهو صيغة الالتفات
وقد اقتضاه المقام وذلك ان من اول السورة الى هنا كان ثنا والثنا في الغيبة
اولى ومن هنا الى اخره دعا والدعا في الحضور اولى والمعنى نخصك يا من
لا تشوع العبادة الا له لاتصافه بما ذكر من اصناف النعم الدنيوية والاخروية
ولا تجوز الاستعانة الا به لكمال قدرته واحاطة ملكوته بكل شي بغاية
التذلل في طلب المعونة لا نعبد غيرك ولا نستعين سواك قدم الضمير
المنفصل للتخصيص والتوحيد وقطعا لاحتمال تعلق العبادة لغيره
من اول الامر لانه لو قال لا بد من الاختبار عن ذهاب الوهم اليه ولم يسلك
في الحمد لله ذلك المسلك اذ لا باس في تعلق الحمد لغيره تعالى واتى الضمير
المسكن الشامل للقاري ولسائر الموحدين للتعظيم والتشريك ورجا
لعبادته في تضاعيف عباداتهم وخلط لحاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها
ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وكان ذلك ايضا لكل مقام حقه فكانه
يقول انت متفرد في العبودية ونحن شركا في العبودية وكان تقول ان في
اعبد معنى التوحيد المشعر عن التكبر وفي نعبد معنى التواضع المناسب
بمقام العبادة والتذلل فكانه يقول القاري اني واحد من عبيدك وقدم
العبادة على الاستعانة تغليبا للعباد وجريا على ما انطبع في الغرايز من
تقديم الوسيلة على الحاجة لانه انجح لحصول المطلب واسرع لوقوع الاجابة
واطلق الاستعانة ليعم كل مستعان عليه ثم خصصها بقوله اهدنا ليتكرر اجمالا
وتفصيلا

وتفصيلا فيدل على انه اهم المهمات الاستعانة به وبتوفيقه في طلب الهداية
والسعادة الاخروية الباقية وكرر الضمير المنفصل للتنصيص على التخصيص في كل
من العبادة والاستعانة ولولا ذلك لكان التخصيص في مجموعهما ولا يلزم من
ذلك التخصيص في كل منهما اهدنا الصراط المستقيم الدين القويم وما يدل عليه
القران العظيم قال علي وابي ابن كعب رضي الله عنهما اهدنا الصراط ثبتنا عليه
كما يقال للقائم قم حتى اعود اليك اي دم على ما انت عليه وقيل وقري ثبتنا
وفي التعبير عنه باهدنا اشارة الى ان المطلوب هو الثبات في ضمن التجدد
يعني ثبتنا على اصل الهداية وزدنا فيها في كل وقت والهداية والدلالة بلطف ومنه
الهداية وخص ما كان دلالة بفعلت نحو هديته الطريق وكان من الاعطاء بافعلت نحو اهديت الهدية واستعمالها في الشر كما في قوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم فعلى طريقة التهكم كالبشارة في قوله تعالى فبشرهم بعذاب
اليم والفعل منه هدى يتعدى الى ثاني مفعوليه باللام تارة وبالى اخرى
وفي حذف اداة التعدية على طريقة واختار موسى قومه اخراجا له مخرج
المتعدي الى مفعولين بالذات ولا يبعد في ان يقصد بذلك الاشارة الى
قوة الهداية المطلوبة فكانه قيل اهدنا هداية كاملة لا يحتاج الى الواسطة
وانما قال اهدنا دون اهدني رعاية للمناسبة مع نعبد ونستعين ولان
الدعا مهما كان اعم كان الى الاجابة اقرب كان بعض العلما يقول لتلامذته
اذا قرأتم في خطبة السبق رضي الله عنكم وعن جماعة المسلمين ان ذكرتني في
قولك رضي الله عنك فلا حرج ولكن اياك ان تنساني في قولك رضي الله والا فلا
حرج وعن جماعة المسلمين فلا بد وان يكون في المسلمين من ان يستحق الاجابة
واذا اجاب الله تعالى الدعا في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ولهذا
السبب قالوا السنة اذا اراد واحد ان يذكر دعا ان يصلي اولا على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم يذكر ذلك ثم يصلي على النبي عليه السلام فاذا اجيب في دعائه
امتنع ان يرد في وسطه وقد قال النبي عليه السلام دعوا الله بالسنة ما
عصيتموه بها قالوا يا رسول الله من لنا تلك الالسنة قال يدعوا بعضكم
ببعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك والصراط كالطريق
في التانيث والتذكير اما في المعنى فبينهما فرق لطيف وهو ان الطريق كما
يطرقه طارق معتادا كان او غير معتاد والسبيل من الطريق ما هو معتاد
السلوك والصراط من السبيل ما لا التوا فيه ولا اعوجاج بل يكون على جهة
القصد فهو اخص الثلثة وفائدة وصفه بالمستقيم ان الصراط على ما فيه
صعود او هبوط والمستقيم ما لا ميل فيه الى جهة من الجهات الاربعة
واصل الاستقامة في قيام الشخص ان لا يكون منحنيا ولا مستغنيا ولا
مايلا الى يمين او يسار صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم

وفايدته التوكيد للتكرير والتفصيل بعد الاجمال واطلاق الانعام ليشتمل كل نعم شددت
اللام في الذين لانه لامان واصل الذي مثل عم ثم دخلت الالف واللام للتعريف والتشديد
من اجل ذلك والانعام نفع العالي من دونه بامر عظيم خاليا عن العوض والنعمة ولما
كان الكفار من جملة الذين انعم الله عليهم على ما صرح به في قوله تعالى يا بني اسرايل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم خصصهم بقوله **غير المغضوب عليهم** في دار الدنيا
ولا الضالين في دار الاخرة والمشهور ان نعمة الله تعالى على نوعين دنيوية وهي
اوفر في حق الكافر لقوله عليه السلام الدنيا سجن المومن وجنة الكافر واخروية
وهي مختصة بالمومن ونحن نقول ان النعمة الاخروية على قسمين نعمة نفع
وهي المختصة بالمومن ونعمة رفع ولا شبهة في عمومها للكافر ايضا لانه تعالى
لا يعذب كافرا من الكفار بنوع من العذاب الا وهو قادر على ان يعذبه
باشد منه وترك ذلك نعمة تخفيف منه تعالى عليه غير صفة مقيده اي جمعوا
بين النعمة والسلامة منهما وانما وصف المعرفة بغير تنوين تنزيلا للموصول
منزلة النكرة اذ لم يقصد به معهودا او رفعا لغير الى درجة المعرفة لزوال الابهام
بالاضافة الى ماله ضد واحد اعلم ان غيرا لها ثلاثة مواضع احدها ان تقع موقعا
لا تكون فيه الا نكرة وذلك اذا اريد بها النفي الساذج في نحو مررت برجل غير زيد
الثاني ان تقع موقعا لا تكون فيه الا معرفة وذلك اذا اريد بها شي قد عرف
بمضادة المضاف اليه في معنى لا يضاده فيه الا هو كما اذا قلت مررت بغيرك
اي المعروف بمضادتك الا انه فهنا لا يجري صفة فيذكر غير جارية على
الموصوف الثالث ان تقع موقعا فيكون فيه نكرة تارة ومعرفة اخرى
كما اذا قلت مررت برجل كريم غير ليئم وعاقل غير جاهل والرجل الكريم غير
اللئيم كما قال صدر الافاضل وقد تبين منه ان من قال ان غيرا لا يتعرف اصلا
وان اضيف الى المعارف لم يصب وان من زعم انه بالاضافة الى ماله ضد
واحد بعينه تعين الحركة غير السكون فقد اخطا من وجوه اما الاول فلانه
وان اضيف الى ماله ضد واحد لكنه لم يعرف ما اريد به بمضادة المضاف
اليه في معنى لا يضاده فيه الا هو ولهذا لم يكن من قبيل الثاني فلم نتعين
تعين الحركة من غير السكون واما ثانيا فلانه يكون معرفة بالحقيقة
على ما مر لا بالتاويل على ما ظنه ذلك الزاعم واما ثالثا فلانه ح لا يجري
صفة وانما يذكر غير جار على الموصوف وهو في صدد توجيه كونه صفة
لما قبله وقيل هو بدل من الذين ولا يحسن ذلك لان غيرا اصل وضعه
للوصف والبدل بالوصف ضعيف والغضب تغير يحصل عند غليان دم
القلب لارادة الانتقام والقانون في امثال هذا ان جميع الاعراض النفسانية
مثل الرحمة والفرح والسرور والغضب والحيا والتكبر والاستهزا لها اوايل
ولها نهايات ويتبين ذلك في الغضب فان له غليان الدم وغايته

ارادة ايصال الضرر الى المغضوب عليه فلفظ الغضب في حق الله تعالى لا يحمل
على اوله الذي هو من خواص الجسم بل يحمل على غايته وهذه قاعدة شريفة بقي ههنا
نكتة لطيفة وهي انه صرح بالخطاب كما ذكر في النعمة ثم كونه حيث قال غير
المغضوب عليهم ولم يقل غير الذين غضبت عليهم عطفا على الاول فيما باللفظ
منحرفا به عن ذكر الغاضب فاسند النعمة اليه لفظا وزوي عنه لفظ الغضب
تحننا ولطفا قيل يعني بالاول اليهود لقوله تعالى في قصتهم وباوا بغضب
على غضب وبالثاني النصارى لقوله تعالى في حقهم قد ضلوا من قبل
واضلوا كثيرا وهذا على وفق ما روي عنه عليه السلام من ان رجلا ساله وهو
بوادي القرى من المغضوب عليهم فقال اليهود ومن الضالين فقال النصارى
فان قلت كيف فسر على ذلك وكلا الفريقين ضال ومغضوب عليه قلت خص
كل فريق منهم بصفة كانت اغلب عليهم وان شاركوا غيرهم في صفات ذم
وعليهم ههنا في محل الرفع لانه نايب مناب الفاعل بخلافه في انعمت عليهم
فانه في محل النصب على المفعولية ولا مزيد لتاكيد ما في غير من معنى النفي
فكانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وعين دخولها العطف على
قوله المغضوب عليهم لمناسبة غير لئلا يتوهم في اول الوهلة تريبها عطف
الضالين على الذين والضلال فقدان الطريق السوي سواسفه وجدان
او لا كما في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى وانما عدلنا عن تفسيره
بالعدول عن الطريق السوي عمدا او خطا لان من طلب الطريق السوي
ولم يجده او قعد عن الطلب يكون ضالا ولا عدول ثمه لا عمدا ولا خطا
امين مبني على الفتح كاين لالتقا الساكنين وجا مد الفه وقصرها والاصل
فيه القصر وانما مد ليرتفع الصوت بالدعا كذا قال ابن مالك في اعراب
القران وذكر ابن درستويه ان القصر ليس بمعروف وانما قصره الشاعر
في قوله امين فزاد الله بيننا بعدا للضرورة وذلك وهم اذ لا ضرورة فانه
لو قدم الفا فقال فامين زاد الله بيننا بعدا اندفع الضرورة ولا يشدد ميمه
فانه لحن والعامة ربما فعلوا ذلك واما في قوله تعالى ولا امين البيت الحرام
فالميم مشددة لانه من امم اي قصدت معناه على قول ابن عباس
رضي الله عنهما كذلك يكون وقيل اسم فعل اي استجب وروي عن كعب
الاحبار انه قال امين خاتم رب العالمين يختم به دعا عبده المومن
وليس من القران اجماعا وقراته سنة في الصلاة وخارج الصلاة بعد
الفاتحة مفصولة عنها **سورة البقرة** عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن
النبي عليه السلام ان لكل شي سناما وسنام القران سورة البقرة ولا
حجة فيه على ما استكره ان يقال وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر
فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران

لان ما يكره كما قال من الامة قد يكره منه عليه السلام الابري انه قال لا
يومن احدكم حتي يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وقد
انكر قول الاعرابي ومن عصاهما فقد غوي وقال بيس خطيب القوم انت
بسم الله الرحمن الرحيم الم في الفواتح المقطعة اوجه والاوجه
انها اسما السورة وعليه الاكثر ومحلها الرفع علي الابتدا وقيل نصب او جر
علي حذف حرف الجر واضماره والمروي عن الصدر الاول في التهجي انها اسرار
بين الله تعالي وبينه وقال بعض الحكما قد تجري بين المحبين كلمات
معماة تشير الي سر بينهما والمقطعات في اوايل السور من هذا القبيل
فانه تعالي قد ومنعها مع نبيه عليه السلام في وقت لا يسعه فيه
ملك مقرب ولا نبي مرسل ليتكلم بها معه علي لسان جبرايل عليه السلام
ويدل علي هذا ما روي في الاخبار ان جبرايل عليه السلام لما نزل بقوله
تعالي كهيعص فلما قال كاف قال النبي عليه السلام علمت فقال ها
قال علمت فقال يا قال علمت فقال عين قال علمت فقال صاد فقال علمت فقال جبرايل
عليه السلام كيف علمت ما لم اعلم ذلك الكتاب اصل ذلك ذا اسم مبهم
للاشارة واللام عوض عن الها التي للتنبيه ولهذا لا يجمع بينهما والكاف
للخطاب فلا دلالة في اصل وضعه الي البعد وانما ذلك بحسب العرف
الطاري فالاشارة اليه بلفظ ذلك وهذا سوا لانه من حيث انه لا يحس
بالبصر اشبه المحسوس الغايب ومن حيث انه مدرك بالعقل او
السمع اشبه المحسوس الحاضر فصح فيه استعمال اللفظين ولهذا قال
جمع من ايمة التفسير والعربية ان معني قوله تعالي ذلك الكتاب
هذا الكتاب وتذكيره لان المشار اليه المبهم وهو ذلك البعض من القران
ليس بمونث وكذا اسمه المذكور وهو الم ليس بمونث نعم له اسم اخر مونث
وهو السورة لكون الاشارة ليست باعتبارها فلا حاجة الي التاويل في
تذكيره وهو مبتدا ثان والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول والمعني
ان ذلك هو الكتاب الكامل او خبر المبتدا والكتاب صفته ومعناه وهو
ذلك الكتاب الموعود مصدر بمعني المفعول قال الراغب الكتب ضم اديم الي
اديم بالخياطة وفي المتعارف ضم الحروف بعضها الي بعض في اللفظ
ولهذا سمي كتاب الله وان لم يكتب كتابا كما قال اطلق علي المنظوم
عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب فكانه لم يفرق بين الخط والكتابة
لا ريب فيه في محل الحال والعامل فيه معني الاشارة وفيه اشارة الي
كماله في نفسه وقوله هدي اشارة الي كونه مكملا لغيره فيكون ثنا
وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال قال الراغب في الفرق بين الشك
والمرية والريب ان الشك وقوف النفوس بين شيين متقابلين

بحيث

بحيث لا يترجح احدهما علي الاخر بامارة والمرية التردد في المتقابلين وطلب
الامارة ماخوذ من مري الضرع اي مسحه للدر فكانه يحصل مع الشك تردد
في طلب ما يقتضي غلبة الظن والريب ان يتوهم في الشي امرا ثم ينكشف
عما توهم فيه ولما كان الريب اضعف كان نفيه ابلغ ثم ان المنفي عنه منشا
الريب لا نفسه لانه حاله قايمة بالمرتاب لا يحتمل ان يوجد في جنس الكلام
فلا حاجة الي نفيه بل الاوجه له في مقام المدح فتاخير الظرف لا لان الحصر
المستفاد من تقديمه باطل لان با في الكتب السماوية لبس بحصر فلا قاطع
لعروض الريب فيه بل تجريد الكلام لما سبق له فان المفهوم من الحصر هو
المذكور وفضله في الكتاب المقام واختيار ما هو احسن نظما وتوسيع
دايرة القران علي ما ستقف عليه باذن الله تعالي وقري لا ريب
بالتنوين والرفع والفرق بينهما وبين المشهورة توجب الاستغراق هو
وهذه تجوزه هدي للمتقين اي المشارفين للتقوي الصايرين اليه
ففيه مجاز وايجاز وهما من اقوي اسباب الاعجاز ونكتة المجاز التنبيه
علي قوة ترتب اهتدايهم علي هدايته بحيث لا يتخلل بينهما زمان فكان
هدايته بالذين يهتدون به هداية بالمهتدين انما لم يقل هدي
للضالين لبلا يندرج تحت عمومه المطبوع علي قلوبهم هدي مبتدا
خبره فيه قدم عليه محققا علي قراءة من وقف علي لا ريب ومقدرا
علي قراءة من وقف علي فيه للعناية والاهتمام تنبيها علي ان المقصود
بالاخبار كون الكتاب متضمنا لهدايتهم لا لكونهم مهتدين به
وللمجي فظة علي الفاصلة وايثار الظرف علي الضمير المنفصل
للاشارة الي ان الهداية من بعض الفوايد التي تضمنها وتنكيره للتعظيم
والهدي في الاصل مصدر علي فعل كالسري وقد تفسير الهداية وما يتعلق
به والتقوي علي ما قال علي رضي الله عنه ترك الاصرار علي المعصية
والاعتكاف علي الطاعة والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقاه والوقاية
فرط العناية وقيل المتقي من سلك سبيل المصطفي ونبذ الدنيا ورا القفا
وكلف نفسه الاخلاص والوفا واجتنب الحرام والجفا ولو لم يكن فضل الا
ما فهم من هنا لكفي فانه تعالي في غير موضع ان القران هدي للناس
وقال هنا هدي للمتقين فكانه يقول ان المتقين هم كل الناس فمن لا يكون
متقيا ليس منه ولما كان معني قوله للمتقين الذين يومنون صح ان يكون
قوله الذين يومنون موصولة للمتقين علي انه صفة مجرور او مدح
منصوب بتقدير اعني وامدح او مرفوع بتقديرهم واما فصله عنه
علي انه مرفوع بالابتدا مخبرا عنه باولئك علي هدي ضعيف لانقلابه
مما قبله والذهاب به مذهب الاستيناف مع وضوح اتصاله بما قبله

وتعلقه به وضمني الاستيناف على تقدير ان يسال ما بال المتقين مخصوصين
بذلك فلا يتم الجواب الا بمجموع القضيتين فيكون القطع بينهما لكمال الاتحاد او
انه لكمال الانفصال في الغرض والاسلوب على ما تشهد لذلك تصدير القضية
الثانية بان المشعرة بالاخذ فيمن اخذوا والايمان افعال من الامن يقال امنته
وامنته غيري ثم نقل الى التصديق فقيل امنه لتكذيب والمخالفة ثم ضمن معنى امن
واعترف فعدي بالبا **بالغيب** اي بما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة
حيث لا يدركه واحد منهما لا بالبديهة ولا بالاستدلال بجميع احوال البعث
والجنة والنار كما في قوله تعالى الا المصلين الذين هم على صلاتهم دايمون
والذين في اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين
ولقوة غيبته حيث غاب عن مظهري الحس والعقل عبر عنه بالمصدر كما يقال
لمن بلغ الغاية في العدالة عدل ولكماله في معنى الغيبة حيث لم يكن استحضاره
لا بالبديهة ولا بالنظر عرف بتعريف الجنس كان معنى الغيبة انما تم فيه
وباقي الغايبين بمنزلة الشاهد نظرا اليه ففيه اشارة الى قوة تصديقهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم ووفور اعتمادهم بنبوته حيث صدقوه في
اخبار لا طريق الى العلم بصدقها لا بالحس ولا بالعقل لا بالبديهة ولا بالكسب
وعدم التعرض للتصديق بالمبدا للتنبيه على ان شانه تعالى اظهر الامور
بحيث كان التصديق به تصديقا باجلى المعلومات فلا يناسب ذكره في مقام
المدح بالتصديق باخفى المجهولات وفيه نفي على الدهرية على وجه ابلغ
ويقيمون الصلاة اقامة الشي جعله قايما والقيام انتصاب القامة
ولما كانت هيئة الانتصاب اكمل هيئات من له القامة واحسنها استعيرت
الاقامة للتكميل والتحسين ومنه اقام الامر اذا اتمه وجا به معطي حقوقه
ولما كان استعمال من له القامة باقامتها استعيرت الاقامة للاستعمال ايضا
ومنه اقام القوم سيوفهم اي استعملوها ولم يعطلوها فالمعنى على الاول
يعدلون اركانها ويكملون حدودها وعلى الثاني يحافظون عليها في
مواقيتها ولا يعطلونها والصلاة الاركان المعروفة والافعال المشهورة واصلها
الدعا قال الله تعالى وصل عليهم اي ادع لهم وفيها نقلها الشرع اليه لاشتمال
على الدعا وفايدة الاطناب بزيادة الاقامة التنبيه على انه لم يرد ايقاعها
فقط ولهذا لم يامر بالصلاة ولم يمدح بها الا بلفظ الاقامة نحو اقم الصلاة
والمقيمي الصلاة ولم يقل والمصلين الا في المنافقين حيث قال فويل
للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ومن ثمة قيل المصلون كثير
والمقيمون بها قليل كما قال عمر رضي الله عنه الحاج قليل والراكب كثير من
الافعال التي حث الله على توفيتها حقه ذكره بلفظة الاقامة نحو ولو انهم
اقاموا التورية والانجيل واقيموا الوزن بالقسط ولما كان المعنى يعبدون

الله تعالى

الله تعالى بكل من نوعي العبادة البدنية والمالية عقبه بقوله **ومما رزقناهم**
ينفقون قدم ما هو الاشق وبالتقديم احق لانه ام للعبادة وعماد الدين ولم
يقل ويوتون الزكاة لئلا يختص المدح بالاغنيا وايضا لما ذكر البدنية مطلقة
شاملة للواجبة منه وغير الواجبة ناسب ان يذكر المالية ايضا على وجه
الاطلاق والرزق اسم لما ينتفع به الحيوان واصله الحظ والنصيب من اي
نوع كان ثم اتسع اطلاقه على ما اعطى الله تعالى عبيده ومكنه من التصرف
فيه حلالا كان او حراما لقوله عليه السلام لقد رزقك الله طيبا فاخترت
ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله واما ما قيل
لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله
تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فيرد عليه ان الملازمة
مسلمة وكذلك بطلان الثاني مسلم انما الشان في وقوع المقدم فافهم
نعم هو محمول ههنا على المباح دون المحظور بقرينة اضافته الى الله تعالى
فان ما يضاف اليه تعالى بخصوصه مفضلا حقه ان يكون خاليا عن
عن الكراهة فضلا عن الحرمة وان كان قد تضاف اليه الافعال كلها على
سبيل العموم والاجمال واما الحث على الانفاق والمدح للمنفق وكونه من المتقين
فانما يصلح قرينة لكون المنفق مباحا ولا دلالة فيه على كون الرزق
الذي ذلك المنفق بعض منه مشتملا على الحرام وزيادة حرف التبعيض للحث
على الاقتصاد المحمود لانه الجود الذي هو وسط بين الاسراف والاقتار قال
الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ففيه اخبار
صريح في حق الغايبين ونهي ضمنا في حق الحاضرين واما التبذير فلا
حاجة للاحتراز عنه الى اداة التبعيض لانه بمنزلة عن مظنة المدح به
كيف وهو حرام منهي عنه بابلغ وجه في قوله تعالى ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين بخلاف الاسراف فانه قد شاع انه لا اسراف في الخير
فكان مظنة ان يمدح به ولما كان المدح باعتبار تخصيصهم الانفاق بالبعض
الحلال من رزقهم لا بالانفاق مطلقا كان ذكر المفعول وتقديمه لهم من
الاخبار عن نفس الفعل فقدمه عليه اظهارا للاهتمام به والاعتنا بشانه
ومحافظة على الفاصلة والانفاق صرف المال الى ذي الحاجة لا اتلافه
واذهابه مطلقا فالاحراق مثلا ليس بانفاق **والذين يومنون** هم
مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون
على الذين يومنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول
اخص تحت اعم اذ المراد باوليك الذين امنوا ليسوا باهل الكتاب وهولا
يقابلونهم فكانت الايتان الكريمتان تفصيلا للمتقين وانما قدم غير
الكتابي لان تصديقهم بتلك المغيبات اغرب اذ هم لم يسمعوا اشيا منها

الي ان اخبر به النبي عليه السلام فهم بالمدح بذلك الوصف احق ومن ذلك
تبين وجه تخصيصه التعبير بالغيب عن المصدق به في حقهم مع ان متعلق
التصديق لكلا الفريقين واحد وظهر ان ما فصل بقوله بما انزل اليك الاية
هو بعينه ما عبر عنه اجمالا بقوله بالغيب اليك اصله الاك قلب فرقا بين م
الاضافة الي المكني وغيره والانزال نقل الشي من اعلي الي اسفل وهو انما يلحق
المعاني بتوسط لحوقه الزوات الحاملة لها كما في انزال القران لانه انزل
جملة من اللوح الي سما الدنيا ثم نزل منه علي لسان جبريل منجما علي الرسول
عليه السلام او للنقوش الدالة عليها كما في انزال التوراة فانها قد انزلت
علي موسي عليه السلام مكتوبة علي الالواح فان كان المراد جميع ما انزل
عليه عليه السلام الي حين نزول هذه الاية كما هو الظاهر فالامر بين فان
الايمان بالمترقب غير واجب وذلك بين وان كان المراد مجموع القران والشريعة
فمبناه علي تنزيل المترقب منزلة النازل متحقق وقوعه او لارتباط بعضه
ببعض كالشي الواحد ونظيره قولك كلما خطب به فلان فهو فصيح ولا تريد به
الماضي فقط بل الاتي ايضا وتغليب النازل علي ما لم ينزل وفي يومنون
اشارة الي ان القران غير متفاوت الابعاض في البلوغ الي حد الاعجاز فمن
امن ببعضه يومن بكله لا محالة والعدول من صيغة الماضي الي المستقبل
لما فيه من الحدوث والتجدد المتضمن للاشارة الي ان ايمانهم مما انزل
اليه عليه السلام يتجدد بحسب تجدد نزول الايات والاحكام والي ان
ايمانهم بما انزل من قبله ايمان حادث لا ايمان ثابت لان ايمانهم السابق
انكار له في الحقيقة لا تصديق به وقدم الايمان بما انزل اليه لاصالته
حيث كان صحة ايمانهم بما انزل من قبله في ضمن الايمان بما انزل اليه
وسببه ولهذه النكتة لم يكرر الباء في قوله وما انزل من قبلك كما كرر في
امنا بالله وباليوم الاخر والمراد بذلك ما انزل علي الانبيا الذين كانوا قبل
محمد عليه وعليهم السلام والايمان به واجب اجمالا لان الله تعالي ما تعبدنا
الان به حتي يلزمنا معرفته تفصيلا نعم ان عرفنا شيا من تفصيله
فهناك يجب علينا الايمان بتلك التفاصيل وبالاخرة تانيث الاخر صفة
للدار كما في قوله تعالي تلك الدار الاخرة او النشاة كما في قوله تعالي
ثم الله ينشي النشاة الاخرة سميت بذلك لانها متاخرة عن الدنيا
او النشاة الاولي زمانا وقيل للدنيا دنيا لانها ادني من الاخرة رتبة
هم يوقنون تقديم الظرف للقصر عليه كما في قوله تعالي لالي الله تحشرون
وتقديم المسند اليه وهو ضمير مع بنا الفعل عليه ايضا للقصر عليه
كما في قولك انا سعيت في حاجتك والقصران اضافيان كما هو الغالب
في استعمالات البلغا والمعني المستفاد من القصر الاول انهم مقصور

على حقيقة

علي حقيقة الاخرة لا يتعداها الي ما هو علي خلاف حقيقتها وتعريض باهل الكتاب
وبما هم عليه من الامر الاخرة والمعني المستفاد من القصر الثاني ان الايقان المذكور
لا يتعداهم الي غيرهم وهذا تصريح بانهم علي جهالة في امر الاخرة والايقان اتقان
العلم بازالة الشك والشبهة عنه فاليقين هو العلم بالشي بعد ان كان صاحبه شاكا
فيه ولذلك لا يطلق علي علمه تعالي قال الامام ويقال ذلك في العلم الحادث
بالامور سواكان ذلك العلم ضروريا او استدلاليا فيقول القايل تيقنت ما اردته
بهذا الكلام وان كان قد علم مراده بالاضطرار ويقول تيقنت ان الاله واحد وان
كان قد علمه اكتسابا اولئك اي اهل هذه الصفات فيبتني الحكم علي الوصف فينتفي
بانتفايه وهذا معني الاختصاص واولا كلمة معناها الكناية عن الجماعة نحو هم جمع لا
واحد له من لفظه بني علي الكسر والكاف للخطاب والجملة استيناف لا محل لها فكانه
نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة علي هدي مثل لتمكينهم من الهدي شبهت
حالهم بحال من اعتلي الشي وركبه وتنكير هدي لتفيد ضربا بهما لا يبلغ كنهه نحو لقد
وقعت علي لحم ومعني كونهم علي الهدي تمسكهم بموجب الدلايل لان الواجب
علي المتمسك بالدلايل ان يدوم علي ذلك فكانه تعالي لما مدحهم بالايمان
بما انزل الله عليه اولا مدحهم ما لاقامة علي ذلك ثانيا من ربهم بني الكسر واثبات
كونه لمحض العناية والعطا كالشي الذاتي المقارن لوجودهم في اول الكون وفيه
زيادة تعظيم لتلك الهداية واضافة الرب اليهم للتشريف فكما يفيد اضافة
العبد اليه تعالي تشريفه فكذلك اضافته تعالي اليه تفيد بل ذلك اقوي افادة له
واولئك اعاد اسم الاشارة تنبيها علي ان المقتضي للفلاح ايضا هو اتصافهم بتلك
الصفات وان كل واحدة من الاثرتين لهم بالاستقلال والانفراد لا بتبعية احدهما
للاخري ولو انفردت احديهما لكفت في تميزهم بالكمال وانافتهم علي غيرهم وتوسيط
العاطف لتناسبهما في الوجود حيث كان احدهما علة للاخر وتغايرهما في المعني
المقصود فان الهدي حاصله في الدنيا والفلاح في الاخرة فالجملتان متوسطتان
بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بخلاف كالانعام والغافلون فانهما شي واحد
بحسب المقصود والمال وان تعدد بحسب اللفظ والمفهوم هم المفلحون هم
فصل يفصل الخبر عن الصفة ويوكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح الظافر بمطلوبه والفلاح
الخبر المقطوع وفيه يقال الفلاح للمكاري والاكار لقطعهما الارض في الكرا
والكراب وفي المثل الحديد بالحديد يفلح اي يقطع ويصلح والتعريف للدلالة
علي ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة والاشارة الي
ما يعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم ولا دلالة في الاية
علي خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب لان الفايز بمطلوبه في الاخرة من
زحزح عن النار وادخل الجنة فالمعذب بالنار وان لم يخلد فيها غير مفلح نعم لو قيل

ان فيه ولالة على ان الفاسق بل تارك الصلاة وان كان تائبا لا بد له من العذاب لا جنبج في جوابه الى ان يقال ان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح **ان الذين كفروا** لما انجر الكلام في تقرير ما سيق له الى ذكر خاصة عباده وخاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم الهدى والفلاح فقفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار المطبوع على قلوبهم بحيث لا ينجع فيهم الهدى ولا يجدي اليهم اللطف .. والدعوى والانذار وانما فصل بينهما لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لبيان شان الكتاب والثانية سوقها الشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال والتاكيد بان الخبر قد يبالغ فيه وعلل بما عسى ان يستنكر ويستبعد والتعريف للاشارة الى ناس معهود بن اخرج ابن جرير وغيره بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به الكفار من اليهود خاصة وهو الظاهر بقرينة ايات المؤمنين من اهل الكتاب ولان السورة مدنية واكثر الخطاب فيها لليهود والكفر بالضم والفتح الستر ومنه سمي الزراع كافرا فانه يستر البذر ونقل في الشرع الى عدم قبول ما علم مجيء الرسول به عليه السلام عقدا وقولا لما فيه من ستر نور الفطرة الاصلية الذي هو بذر الكمال هذا هو الكفر المقابل للايمان الشرعي الذي لا بد فيه من الاحتراز عن امارات عدم قبول ما ذكر فيكفي في تحققه وجود احدى تلك الامارات والاخبار بلفظ الماضي نظر الى حال المخاطب لانه مقصود بالافادة والمتكلم ليس بزماني فلا يختلف الاخبار بحسب دلالتها على الازمنة الثلاثة نظرا اليه **سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم** اي مستو عدل عنه مبالغة وايثار الاسم على الوصف لتجرده على معنى الحدوث وتمحضه للدلالة على الثبوت والسواء الاعتدال في توسط او توسط الاعتدال في المقدار ولكون ذلك الاستواء صار لهم غير نافع قال سواء عليهم ولم يقل سواء لهم والفعل في تاويل المصدر وانما عدل عنه لما في الفعل من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء والمعنى سواء عليهم الانذار وعدمه فالانذار وما عطف عليه مبتدا في المعنى وسواء الخبر والجملة خبر ان وانما قلنا ان سواء هو الخبر لانه موضع الفائدة الخبر والشك انما وقع في الاستواء الانذار وعدمه لا في نفي الانذار ومن ههنا خرج وجه العناية الداعية الى تقديمه ولفظ الاستفهام لا يمنع من ذلك اذ المعنى على التقرير والتحقيق لا على الاستفهام لا يجتمع لما عرفت من ان الهمزة هنا مستعارة للتسوية والانذار الاعلام بالتخويف وقال ابن عطية ولا يكاد يكون الا في تخويف يسع زمانه الاحتراز فان لم يسع زمانه الاحتراز كان اشعارا او اقتصارا عليه لان الكفار ليسوا اهلا للبشارة المطلقة والبشارة المعلقة على الايمان بتغليب في حقهم انذار لانهم مصرون على الكفر مصممون عليه فينتظم الانذار هذا القسم من البشارة في حقهم **لا يؤمنون** مفسرة لاجمال ما قبلها فلا محل لها من الاعراب او خبر ان وما قبلها

اعتراض ولا دلالة في الاية على وقوع التكليف بما لا يطاق لان الاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه واستحالة الكذب على الله تعالى اللازم على تقدير وقوع ما اخبر بعدم وقوعه انما يدل على عدم وقوع الملزوم لا على عدم كونه مقدورا فان استحالة اللازم لا يلزم استحالة الملزوم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازته الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك حكم بالتسوية نظرا اليهم دون اليه عليه السلام ولما كان مظنة ان يسال عن سبب الحكم السابق لغرابته استونف الجواب عنه بقوله **ختم الله** الختم والطابع والطبع الاثر الحاصل على نقش ويتجوز به عن الاستيثاق من الشيء والمنع منه نظرا الى ما يحصل بالختم على الكتب والابواب بالمنع وقد يقال ذلك ويعنى به بلوغ اخر الشيء نظرا الى انه اخر فصل في احراز الشيء ومنه ختمت القرآن ولم يرد به هنا الختم في بدء الفطرة لكون التكليف ضائعا ويخالف ما روي عن النبي عليه السلام شائعا من ان كل مولود يولد على الفطرة اي على الخلقة القابلة للاسلام ويخرج للنعي عليهم شناعة صفتهم مخرج التشنيع على فاقد البصر لعدم الابصار بل اراد الختم بعدما اعرضوا عن الحق واصروا على ذلك على ما ورد في قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وافصح عنه ما روى ابن عمر مرفوعا قال الطابع فطبع معلق بقائمة العرش فاذا اسلت الرحم وعمل بالمعاصي واجترا على الله بعث الله الطابع فطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئا فالاسناد اليه تعالى مجازي لكن المسند على حقيقته **على قلوبهم** اي يريد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد **وعلى سمعهم** السمع محل القوة السامعة من الاذن وكان في الاصل مصدرا ولذلك واحد في موضع الامن عن اللبس جريا على مقتضى الاصل واعادة الجار للدلالة على ان الختم على السمع بالاستقلال .. والاصالة لا انه تابع لختم القلب لان الختم على السمع لا يتبع الختم على القلب بل الامر على العكس فان الختم على السمع يتبعه الختم على القلب في الجملة وكذلك ترك اعادة الجار حيث تقدم ختم السمع على ختم القلب في قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه واما ذكره في قوله **وعلى ابصارهم** فليس باعادة و لانه متعلق بما بعده فان الابصار داخلة في حكم التغشية دون الختم بخلاف الاسماع لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وللوفاق على الوقف على سمعهم دون قلوبهم لان التغشية ليست بمانعة للسامعة عن الادراك بخلاف الباصرة **غشاوة** رفع على الابتداء وتقديم الخبر للاهتمام فان المقصود بالاخبار كونها على الابصار والعدول الى الاسمية لافادة الدوام والثبوت تقوية لحكم التغشية وجبر النقصانه عن حكم الختم وقرئ بالنصب عطفا على المختوم من باب الاستغناء باحد الفعلين عن الاخر فان العرب اذا اجتمع فعلان متغايران في المعنى ولكن

واحد متعلق على حدة جوزت ذكر احدهما وعطف متعلق الاخر المتروك على
المذكور كقوله متقلدا سيفا ورمحا والمصير الى تقدير فعل او الحذف والايصال
في مثل هذا من ضيق العطف ولولا الوفاق على الوقف على سمعهم لجاز ان يكون
غشاوة اسما وضع موضع مصدر من معنى ختم لان معنى ختم غشى وستر
كانه قيل تغشيته على سبيل التاكيد ويكون قلوبهم وسمعهم وابصارهم مختوما
عليها مغشاة ولما كان الختم والتغشية سببا مما اقترفوه ناسب تعقيبه
بوعيد وبيان لما يستحقونه لا على وجه التوزيع كيلا يتوهم ان ما سبق من
الختم والتغشية سبب لذلك فقيل وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ اللام الجارة اذا اتصلت
بالضمير غير اليا تبنى على النصب والعذاب كل ما يمنع من المطلوب ويقال
عذب الرجل وعذب لم ياكل غير صايم والعظيم شدة القوة ومنه العظم
والزايد القدر وذلك في الدنيا الاسار وفي العقبى النار والمعنى ان لتلك
الطايفة مخصوصة من بين الطوايف بنوع من العذاب على ان التنوين
للتنويع كما في غشاوة اي نوع من العذاب لا يتعارفه الناس وقد يرد للتهويل
وتوصيفه بالعظم تاكيد له وتركه في الغشاوة تنبيها على الفرق بين معنى
التهويلين فان الاول في احوال الدنيا والثاني في احوال الاخرة وكم بين الحالين
وما فيهما من الهولين ثم بعد ذكر المومنين واحوالهم والكافرين واقوالهم
ذكر المنافقين واقوالهم واعمالهم وخصالهم بقوله وَمِنَ النَّاسِ الناس اصله
اناس جمع انسان ولذلك لا يستعمل الا في معنى جماعة كقوله تعالى يوم ندعوا
كل اناس بامامهم وقوله قد علم كل اناس مشربهم وقوله انهم اناس يتطهرون
حذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف وهي هنا للعهد ومن في قوله مَنْ يَقُولُ
موصولة والقول عبارة عن جملة ما يتكلم به المتكلم على وجه الحكاية وحد يقول
نظرا الى لفظ من وجمع من نظر الى معناها اعتبرت جهة وحدته عند ذكر
مقالهم وجهة تعددهم عند بيان احوالهم اشارة الى انهم وان كانوا متفرقين
على عقايد شتى في الكفر الباطن لكنهم مجتمعون على كلمة واحدة في اظهار النفاق
خص هذا الصنف من بين الاصناف بمبالغة وتشديد وابرز نظم قصتهم ابرازا
غريبا حيث قدم الخبر على المبتدا وابهمه غاية الابهام ووصفه بصفات
عجيبة ليتشوق السامع الى ذكر ما بعده من قبايحهم وتكرير نعيا عليهم
وتعجيبا من شانهم يعني انظروا الى هولا الخبيثة وقبيح ما ارتكبوه كيف
اختصوا من بين ساير الناس بما لم يرض العاقل ان ينسب اليه ولما
كانت الغاية في الاختيار لكونهم من بعض الناس استعظام ان يكون من جنسه
من اختص بهذه الصفات تهاونا في الانسانية بحيث كان ينبغي ان لا يعد
المتصف بها من جنس الانس ناسب تصدير الكلام به وان حقه التاخير
وهذا النوع من الاعتبار اللطيف مداره على دلالة راجحة خطابية لا يعتبرها

البليغ

البليغ الا بمعونة المقام واقتضا الحال فلا يطالب بالاطراد وهذا الصنف ابغض
الكفرة الى الله تعالى وامقتهم عنده لاستبعادهم الاهتدا وامكان قبولهم لذلك
لعدم انطفاء نور الفطرة فيهم مع تغابيهم على الكفر وخلطهم بالكفر تمويها
وتلبيسا وتدليسا واستهزاء وخداعا وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة
المصرين والاقتصار في وصف الكفار الصرف المطبوع على قلوبهم على
آيتين والاطناب في وصف المنافقين في ثلاث عشرة آية لثلاث ضروب من اوليك نفر
صفحا اذ لا ينجع فيهم الكلام ولا يجدي لهم الخطاب واما المنافقون فقد ينجع فيهم
التوبيخ والتعيير وعسى ان يرتدعوا بالتشنيع عليهم وتقطيع شانهم وسيرهم
وتهجين عاداتهم وخبث نيتهم وسريرتهم وتنبيههم بتقبيح صورة حالهم وتفضيحهم
بالتمثيل بهم وتطريقهم فتلين قلوبهم وتنقاد نفوسهم وتزكى بواطنهم
وتضمحل رذايلهم فيرجعون عما هم عليه ويصيرون من المستثنين
في قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم
لله فاولئك مع المومنين آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ اي يوم البعث وتوصيفه
بالاخر لتاخره عن الدنيا والمراد صدقنا بالمبدا والمعاد وفيه احاطة الايمان
بقطريه وفي تكرير الجار ادعا التعريف بكل منهما على الاصالة وما قيل فيه
ايذان بانهم منافقون مما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون
به النفاق فان القوم كانوا يهودا وكانوا يومنون بالله واليوم الاخر ايمانا
كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان
النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المومنين انهم امنوا مثل
ايمانهم مبناه على ان يكون النصرف بتخصيصهما بالذكر في الحكاية دون
المحكي وذلك خلاف الظاهر ثم ان تمشيه ما ذكر على تقدير ان لا يكون
مرادهم من الايمان بالله واليوم الاخر التصديق بجميع ما لا بد منه في دين
الاسلام والظاهر خلافه على ما مر الاشارة اليه ثم ان بيانه بقوله فان
القوم كانوا انما يفيد انهم مخطيون فيما يعتقدون انهم مصيبون فيه لا
انهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه لان الخطا لا يستلزم النفاق
وذلك ظاهر بل يقول شرط النفاق الكتم وهم لا يكتمون ذلك وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ
ما نايبه عن ليس ولهذا اعقبت بالبا والضمير للمعهودين والمعنى نفي
ما انتحلوا اثباته ولاجل التاكيد والمبالغة في نفي ايمانهم جات الجملة المنفية
اسمية مصدرة بهم وسلطوا النفي على اسم الفاعل الذي ليس يتقيد بزمان
ليشمل النفي جميع الازمان وتجرد الكلام للدلالة على ما سبق له ولم ياتوا بشي
زايد عليه الا ما يشد من عضده كحرف اليا لتاكيد النفي واطلاق الايمان
في سياق النفي وكان مفيدا في الاثبات لانه غير متحقق في اخل ببعض
ما لا بد منه ليس بمومن اصلا الا انه لمومن ببعضه وفي اخر الاية الكريمة

لا تنهض حجة على الكرامية لانهم يشترطون في كون التشهد دليلا ايمانا عدم
مخالفة القلب اللسان اعم من ان يكون موافقا له او فارغا عنهما لا احتجاجهم
بانه تواتر ان الرسول عليه السلام والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم
اجمعين كانوا يقنعون بالكلمتين ممن اتى بهما ولا يستفسرون على علمه وتصديقه
القلبي وعلمه فيحكمون بايمانه بمجرد الكلمتين فعلمنا انه الايمان بلا علم وعمل صريح
في عدم الاشتراط بالقيد المذكور لان كلامهم على ما دل سياق احتجاجهم
في الايمان الشرعي المعتبر عندنا في اجراء احكام الاسلام في الدنيا لا الايمان
الحقيقي المعتبر عند الله تعالى المنجي عن الخلود في النار فلا يندفع قولهم
بالاجماع على ان المنافق كافر ولا بالاجماع على من هم بشهادتين فمنع مانع
من خرس او خوف نحو من يخادعون الله يعني رسوله فالتجوز في
الاسناد تفخيما لشانه عليه السلام وتنبيها على ان المعاملة معه
فيما يتعلق بالرسالة معاملة مع المرسل في حقيقته وكونهم من اهل
الكتاب العارفين بانه تعالى لا يخدع فلا يناسبهم قصد خداعه فانما
يناسبهم قصد خداع الرسول لانهم ينكرون نبوته كفى قرينة للمجاز والمعنى
يعملون له عمل المخادع والخداع اظهار ما يخالف الاضمار ويراد به التزوير
ومنه الاخدعان لاستتارهما تارة وظهورهما اخرى وانه مفاعلة من
واحد نحو طارقت النعل وعاقبت اللص وما في الصيغة من المبالغة
للافصاح عن بلوغهم الغاية في وجهي النفاق لانه بيان ليقول تابع
لصلة من او لا محل له من الاعراب في موضع الاستيناف بذكر ما هو الغرض
منه كانه سئل عن اصل دعواهم وعن كيفية مبالغتهم فيه المنفهمة من
ذكر الايمان بقطريه وتكرير البا فاجيب عنهم معا عن الاصل بالاصل
وعن الوصف بالوصف وعلى تقدير اعتبار الخداع من الجانبين يريد البيان
على قدر الحاجة وبفصل الكلام عن مقتضى المقام والذين آمنوا يجوز ان يكون
ذكر الله تعالى توطية والمراد مخادعة المومنين من قولهم اعجبني زيد وكرمه
وفايدة هذه الطريقة بيان قوة اختصاصهم وكونهم من الله تعالى بمكان ومنه
قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يوذون الله ورسوله
وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون نفس الشيء ذاته وهي من النفاسة
يقال خادع اذا لم يبلغ مراده فلما لم ينفع خداعهم فيما قصدوا كان مخادعة
ولما وقع ضرر فعلهم على انفسهم كان في حق انفسهم خداعا اي لم يرجع وبال
خداعهما الا اليهم لانهم لما سلكوا مسلك الخداع نزلوا بتقدم النفاق الدرك
الاسفل من النار فكانت مفسدة خداعهم راجعة على انفسهم والواو عاطفة
الجملة على الجملة وفيما يشعرون واو الحال او بالعكس والشعور هو الادراك
الحسي ومشاعر الانسان حواسه الظاهرة والباطنة اي ما يحسون

ان ضرر الخداع لا يلحق الا بهم لتمادي غفلتهم فانه من شدة ظهوره كالمحسوس
المشاهد فكانه لا حس لهم اصلا وليس نفي الشعور هنا كنفيه في قوله تعالى ولا
يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون لانه لبيان العذر من جهتهم وهذا
للتعظيم الامر عليهم فانما فيغضب وانهم من جهلهم يجهلون جهلهم كما قال جهلت ولم
تعلم بانك جاهل وذلك لعمري من تمام الجهالة في قلوبهم مرض الزحرف الظرف على
اداة الملابسة يدل على الاستقرار والرسوخ اي تردد واضطراب يستعير
المرض للعرض النفساني وتنكيره للتنويع اي نوع مرض ليس ما يتعارفه الناس
لتشبيههم بمرض لاضطرابهم في الدين لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمومنين
بالقول ويضمرون لهم الخلاف بالقلب فكان حالهم كحال المريض اذ هو مشرف على
الموت ويرجى الاقبال منه ثانيا واما سائر الكفرة فانهم لم يضطربوا في الدين
بل اظهروا بالقول ما اضمروا بالقلب فسماهم الله تعالى موتى وسمى المومنين احيا
لانهم اطمانوا على الايمان قولا وعقيدة فزادهم الله مرضا تنكير الوحي وازدياد
التكاليف ولا تجوز في الاسناد كما توهم من لا يرى صدور القبيح عنه تعالى ولا
يدري ان القبيح بالنسبة الى الكاسب لا بالنسبة الى الفاعل واصل الكلام فزاد
الله مرضهم وانما عدل الجمع في النظم لنكتة سرية فلا دلالة في تنكير المرض الثاني
على مغايرته للاول حقيقة كيف وفي نصب برد الكلام بالفاء دلالة على تفريع
الثاني على الاول ولهم عذاب اليم اي مولم نحو سميع وخصيب بمعنى مسمع
ومخصب ذكره الراغب ووصف به العذاب للمبالغة وانما وصف عذاب
المختوم على قلوبهم بالعظم لانهم حرموا عن جدوى المشاعر وحجبوا عن
عالم النور وحبسوا في سجون الظلمات فما اعظم عذابهم وان لم يحسوا
بايلامهم كعضو الميت والمفلوج وعذاب المنافقين بشدة الايلام لان
مشاعرهم غير ما وفة لعدم انطفا نور فطرتهم والالم يقدر ادراك المولم
فلمنافاة نور استعدادهم لما رسخ فيهم من الرذايل والمدركات الردية والصفات
الظلمانية يتالمون فكان ادراكهم لذلك اشد ايلاما وعذابهم اقوى وانكى
وان كان عذاب الاولين لشدة حجابهم وغاية بعدهم من النور اعظم لعدم
منافاة ذواتهم لصفاتهم وضعف ادراكهم لذلك فلم يحسوا بالالم بخلاف هولاء
بما كانوا يكذبون بسبب ثباتهم واستمرارهم على الكذب زيادة كان للثبات
وصيغة الفعل للاستمرار التجددي وفيه دلالة على ان العذاب الاليم لا
حق بهم من اجل كذبهم الذي هو ادنى حالهم في الكفر والنفاق فكيف ساير الاحوال
ولا دلالة فيه على الكذب وهو الاخبار بالشيء على خلاف الواقع يستحق به
العذاب مطلقا كيف وقد صرح في كتب الفقه ان الكذب لاحيا الحق مباح
قال الامام الغزالي اذا اختفى مسلم من ظالم وسال عنه وجب الكذب باخفايه
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يقول فلا محل له من الاعراب

ولا باس بالتخلل بين اجزا الصلة بالبيان والاستيناف لانه ليس باجنبي فالايات
على نسق تعدد قبايحهم وتوصيفهم بالاوصاف المذكورة قصدا واستقلالا ويحتمل
ان تكون مستانفة ان هذه الجملة والجملتان بعدها من تفاصيل الكذب ونتايج
النفاق الابدي قولهم انما نحن مصلحون وقولهم انؤمن كما امن السفها وقوعه
لقا المومنين امنا كذب محض فناسب جعل تلك الجمل مستقلة ذكرت لاظهار كذبهم
ونفاقهم والافساد جعل الشي فاسدا اخراجا عما ينبغي ان يكون عليه وعن كونه
منتفعا به وكان من افسادهم في الارض هيجهم الحروب والفتن لمخادعة
المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشا الاسرار اليهم والظاهر ان القايل
من شفاههم من الرسول او الصحابة والثاني اقرب قالوا انما نحن مصلحون
لما كان نهيهم عن الافساد مستعارا بان فيهم افساد نفوا ذلك عن انفسهم بادعا انهم
مقصورون على الاصلاح من غير شايبة افساد واثروا انما الدالة على ان الدعوى
ظاهر بين لا ينبغي ان يشك فيه وفيه تنبيه على انهم يتصورون افسادهم بصورة
الاصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه
حسنا وقوله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فرد الله تعالى ذلك بقوله
الا انهم هم المفسدون قصر قلب اي هم مقصورون على الافساد لا يتخطون
في جملة المصلحين اصلا مع المبالغة على ابلغ الوجوه واكدها من الاستيناف
المقصود به تمكن الحكم في ذهن السامع فضل تمكن لحصوله بعد التشويق
الحاصل من ذكر دعويهم الاصلاح على وجه ابلغ مع توغلهم في الافساد فانه
يشوق السامع ان يعرف ما حكم الله عليهم والشي اذا وجد بعد الطلب
يكون اعز مما جيء به من غير التعب وتصدير الجملة بالا وان للتنبيه والتحقيق
ذلك ان الا مركبة من همزة الاستفهام ولا لاعطا معنى التنبيه على تحقق معناها
والاستفهام اذا دخل النفي افاد التقرير والتحقيق كقوله تعالى اليس ذلك بقادر
وتكون همزة الاستفهام بهذه المثابة من التحقيق تلتقي بما تتلقى به القسم
واختها التي هي اما من مقدمات القسم وطلايعه وتوسيطهم وتعريف الخبر والاستدراك
بقوله ولكن لا يشعرون وهذا اولى من نفي العلم مطلقا المستلزم لنفي العلم الخاص
لان من لا يشعر بالضروريات لا سيما المحسوسات منها اولى بان لا يعلم الخفيات التي
غيرها وهذا من هذا الوجه لانه نعي مع ذليل ولانه ينادي عليهم بانحطاط رتبتهم
عن رتبة البهايم ويوذن بان معلومه من اجلى المعلومات ولا كذلك لا
يعلمون وهنا الاخير هو الاصل والباقي مويد واذا قيل لهم امنوا نهوا عن
الافساد ثم امروا بالسلوك في سبيل الرشاد وبدا بالنهي عنه لانه الاهم
وهو ترك والترك اسهل من اتيان المامور به فكان في ذلك تدريج لهم
كما امن الناس كما امن في محل النصب على المصدرية وهي في الحقيقة صفة
مصدر محذوف اي ايمانا مثل ايمان الناس واللام في الناس للجنس اما

لانهم

لانهم الكاملون في الانسانية من باب ذلك الكتاب واما لان غيرهم ليسوا
بناس حقيقة لقصورهم وانحطاطهم عن رتبة الانسانية بل رتبة البهيمية
ففي الاول نظر الى كمال المومنين وفي الثاني الى قصور غيرهم على نحو اذ الناس
ناس والزمان زمان وهذا ابلغ في هذا المقام ولا دلالة فيه على قبول توبة الزنديق
لان النفاق غير الزندقة كيف ويقتل الزنديق دون المنافق ولم يقل احد
في عدم قتله ذم المنافق دلالة على عدم قتل الزنديق ثم ان دلالة التشبيه على
ان افراد الايمان تتفاوت بالكمال والنقصان على ان الاقرار باللسان وحده ايمان
قالوا انؤمن كما امن السفها الاستفهام للانكار لما كان المامور به تشبيها انكروا
بانكارهم تشبيها واللام للعهد والاشارة الى الناس والسفه خفة في البدن
او في المقال تقتضيها نقصان العقل والحلم زائد في البدن يقتضيه
نقصان العقل نصحوهم بامرين تقبيح ما هم فيه لادائه الى الفساد والفتنة
وتبصيرهم طريق الهدى والصلاح فما كان جوابهم الا ان سفهوهم وادعوا الى
الصلاح فيما كانوا عليه بجهلهم المركب وتماديهم في غيهم وافراطهم في السفه
واعتقادهم ان ما هم عليه هو الحق وان ما عليه المومنون هو الباطل فكانوا عندهم
سفها الا انهم هم السفها ولكن لا يعلمون رد على وجه المبالغة في تجهيلهم
فان الجاهل الجازم على خلاف ما هو الواقع اتم جهالة واعظم ضلالة من المتوقف
المعترف بجهله فانه ربما يعتذر وتسعه الايات والنذر والتفصيل بلا
يعلمون لان تسفيههم العلما الاعلام لا يكون الا لغاية السفه والجهل المركب
ومعرفة الحق والايمان به وكون المومنين على الحق وكونهم على الباطل امر
نظري لا يتعلق بالحس بخلاف الفساد في الارض ولان ذكر العلم مع السفه
وهو جهل احسن طباقا واذا لقوا الذين امنوا تقول لقيته ولاقيته اذا
استقبلته قريبا منه بيان لمعاملتهم مع المومنين والكفار وما سيق
سيق لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فلا تكرير على ان للمعنى من الناس من
يتفوه بالايمان نفاقا للخداع وذلك عند لقا المومنين وفيه زيادة بيان
انهم ضموا الى الخداع الاستهزا ولا يتفوهون بالكلمة الا عند الحاجة قالوا
امنا واذا خلوا تقول خلوت به واليه اذا انفردت معه الى شياطينهم
للشيطان فيعال من شطن اذا بعد لبعده عن الحق وفعلان او فعلان
من شاط اذا بطل ومن اسمايه الباطل وقال الراغب من شاط اذا احترق
غضبا والمراد متمردوهم وشطارهم قالوا انا معكم خاطبوا المومنين بالجملة
الفعلية ادعا لاحداث الايمان اذ لا يروج عنهم دعوى التحقيق او لا
يساعدهم انفسهم عليه كما اذ ليس لهم صدق رغبة ولا قوة داع وشياطينهم
بالاسمية مع التاكيد لوجود الامرين ونفي التشكك والتردد عنهم في كذب
قولهم امنا واستمرارهم على دينهم وموافقتهم ولكن ان تقول ان مقتضى المقام

في الاول لتجرد الكلام عن جنس المؤكد لان التاكيد والتقوية فيه لا يخلوا عن تذكير
لتنفا فهم من حيث باعتبار ان فيه دلالة على انكار المخاطب وسوء ظنه وهم
في صدد التخفيف والاحتراز عن مظنة ومقتضى المقام في الثاني تخلية به
لان اظهارهم الايمان موافقهم المسلمين في ظاهر الاخبار كان مظنة لانكار
المخاطبين ثباتهم على اليهودية **انما نحن مستهزءون** الهزء السخرية من شيء
يخف عند صاحبه ولا يخف عند الهازي استيناف كانهما عترضوا عليهم حين
قالوا انا معكم فقالوا فما بالكم توافقون المسلمين فقال انما نحن مستهزءون
وتجوزان يكون تاكيد لقوله انا معكم لانه لما كان معنى قوله انا معكم
هو انا معكم قلوبا ونوهم اصحاب محمد الايمان وقع قوله انما نحن مستهزءون مقررا
له لان الاستخفاف بالشيء انكار له ودفع الاعتداد به ودفع نقيض الشيء
تاكيد لثبوته او ان يكون بدلا لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاول
اوجه لزيادة الفايدة وكون المحرك للسوال اعني قوله انا معكم في غاية
الظهور **الله يستهزئ** يقال هزئت نحو اجبت واستجبت والصحيح ان
الاستهزاء ارتياد الهزء وان كان قد يعبر به عنه وكذا الاستجابة في
الاصل معناها تحالف للاجابة وان كان قد تجري مجراها كذا قال الراغب
لما ذكر استهزاءهم بالمومنين استانف للكلام اظهار للسخط وانما قال
يستهزئ ليدل على دوام تجدد الاستهزاء وقتا فوقتا وفي الجملة الاسمية
والخبر الفعلي مع المعنى المذكور تقوي الاسناد لتكرره والتخصيص اي هو الذي
يتولى الاستهزاء بهم خاصه الاستهزاء الابلغ الاقوى الذي يكون استهزاؤهم
بالنسبة اليه كلا استهزاء ولا يحوج المومنين الى معارضتهم **بهم** ذكرهم هنا
لعدم الداعي الى الحذف بخلاف ما تقدم فان فيه اتباع الفطنا وهو
المحافظة على الفاصلة ودعيا معنويا وهو تحرجهم من ابلاغ المومنين
وابقاء للفظ محتمل ليكون لهم مجال التوجيه عند الحاجة اليه والمعنى انه
تعالى عاملهم في الدنيا على وفق معاملتهم فانهم اظهروا الايمان وفي
باطنهم النفاق والله تعالى اظهر لهم في الحال الامان واعد فيهم الاحراق بالنيران
وعلى هذا يكون الكلام المذكور من قبيل الاستعارة التبعية وقيل ان معناه يجازيهم
في الاخرة جزاء استهزائهم والعرب تسمي الجزاء باسم الابتداء قال عمرو بن كلثوم
الا لا يجهلن علينا احد فنجهل فوق جهل الجاهلينا وفي القران وجزاء سيئة سيئة
مثلها وهذا توسع مخصوص غير المشاكلة وقيل انه تعالى يجعل المومنين
يطلعون على المنافقين من الجنة فيقولون لهم اتحبون ان تخرجوا من
النار وتدخلون الجنة فيقولون نعم فيفتح لهم باب من النار فيقصدونه
اليه فيغلق عليهم ثم يفتح باب اخر فيقصدونه فيغلق ولا يزال يفعل
بهم كذلك والمومنون يضحكون منهم قال الله تعالى فاليوم الذين امنوا

يضحكون

يضحكون الى ان قال الله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وعلى
هذا يكون التجوز في اسناد الاستهزاء الى الله تعالى **ويمدهم** من مد الجيش
وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره لا من المد في العمر فانه يعدى
باللام كاملى لهم والحذف والايصال خلاف الاصل فلا يصار اليه الا بدليل وهذا دليل
وهنا دليل على خلاف وهو قراءة ويمدهم **في طغيانهم** الطغيان بالضم والكسر
تجاوز الشيء عن مكانه والمراد غلوهم في الكفر وتجاوزهم الحد في العتو وانما
اضيف اليهم لانه اريد الطغيان الذي عرض لهم واشتهر بصدهم عنهم
فلا دلالة في اضافته اليهم على انه فعلهم **يعمهون** في محل النصب بالحال
من مفعول يمدهم او فاعل طغيانهم العمه في البصيرة والعمى في البصر وهو
التحير والتردد وقال الله تعالى ان الذين لا يومنون بالاخرة زينا لهم
اعمالهم فهم يعمهون **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** استيناف جار
مجرى التعليل لاستحقاقهم الاستهزاء الابلغ والمد في الطغيان ويحتمل
ان يجعل مقررا لقوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون واستعيرت الضلالة
وهو الجور عن القصد للذهاب عن الحق والصواب في الدين والهدى وقد
مر بيان معناه للنور الفطري والدين القيم الاصلي والاشتراء وهو اعطاء
بدل واخذ اخر للاستبدال اي اختاروا الضلالة واستبدلوها بالهدى
فما ربحت تجارتهم الربح الفضل عن راس المال والتجارة تعاطي الامتعة
بالبيع والشراء للربح وعدم الربح كناية عن الخسران ونسبته الى التجارة
على التوسع الشايع قال الراغب والربح والخسران ينسبان مرة الى
صاحب السلعة ومرة الى السلعة ومرة الى نفسها اذا الاشتباه
فيه وحسن تلك الكناية التي هي ترشيح للاستعارة المذكورة يظهر في
وجه قوله **وما كانوا مهتدين** اي لطريق التجارة فانها كناية
عن اضاعة الطلبة الاصلية وهي سلامة راس المال لان من لم يهتد
لطريق التجارة تكثر الافات في امواله وبعد الحرمان التراحواله وقد استبان
من هذا التوضيح انه يشد من عضد الترشيح وزيادة كان لاستمرار
النفي على ان النفي اعتبر اولا ثم قيد والتعويل في مثل هذا على الفوائد
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما بين اوصافهم عقبهم بضرب المثل
زيادة في الكشف والتبيين فانه اوقع في القلب واقمع في الخصم الالد
لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولشانه العجيب
في ابراز الحقائق المستورة ورفع الاستار عن وجه الخفيات اكثر
الله تعالى في القران وسائر كتبه الامثال وفشت في كلام رسول الله
عليه السلام وسائر الانبياء والمثل في الاصل بمعنى النظير ثم نقل في العرف
الى القول السائر الممثل مضربه بمورده ولم يسيروه ولم يجعلوه مثلا الا

اذ اخص بنوع من الغرابة ولهذا لم يغيروه عما ورد عليه ثم استعير للصفة
والحال والقصة اذا كانت عجيبة الشان وفيها غرابة فالمعني حالهم
العجيب الشان كحال المستوقد فلا حاجة الي معني الجمع كما في قوله تعالي
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار واستوقد من الوقود وهو
سطوع النار وارتفاع لهبها وسين الاستفعال ليس للطلب والسوال
بل للاهتمام والمبالغة في الايجاد والنار جسم لطيف محرق اشتقاقها
من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله
الاضاءة فرط الانارة من الضوء الذي هو النور البالغ القوي ومصداقه قوله
تعالي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وتاليف الحوران واللطافة وقيل
للعام حول لانه يدور واضاءت اما متعد وحوله مفعول به وما زايده
وموصوله مفعول به وحوله ظرف صلته اي جعلت النار مضيا واما
لازم مسند الي ما حوله وما موصوله اي اضاءت الاماكن التي حول
المستوقد والي النار وما حوله ظرف لغو لاضاءت وما زايده او حول ظرف
في موضع الصلة وما موصوله عبارة عن الامكنة والموصول مع الصلة
مفعول فيه وجوابه اما قوله ذهب الله بنورهم والضمير للذي
وجمعه للحمل علي المعني واتمام بقل بنارهم لان في النار سببين حرارة
ونورا والله تعالي ذهب النور وبقي عليهم الحر المحذور واما محذوف
دل علي ما بعده كما حذفا في قوله فلما ذهبوا به لاستطالة الكلام مع
الامن من اللبس وفي الحذف ايجاز مع الايضاح وعن الصفه التي عليها
المستوقد بما هو ابلغ في الدلالة علي المعني من اللفظ وهو الفعل كانه
قال فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين
علي فوات الضوء خايبين بعد الكدح في احيا النار واما ذكر
استينافي اي جواب للسوال عن وجه التشبيه لعدم ظهوره او بيان
لجملة المثل وافساد الاذهاب الي الله تعالي لقصد المبالغة وكذلك عدي الفعل
بالبا دون الهمزة لما فيه من معني الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب
السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله تعالي وما امسكه فلا مرسل له وعدل
عن الضوء الذي هو مقتضي الظاهر الي النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم
احتمل ان يكون الذاهب ما في الضوء من الزيادة والغرض ازالة النور عنهم
راسا الا تري كيف قرن ذلك واكد بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر
الظلمة التي هي النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بالخلوص
وترك بمعني طرح دخلو في ظلمات متعلق به ولا يبصرون حال ايضا اما من
الضمير في تركهم واما من الضمير المستكن في المجرور وان ضمن ترك معني
صير يكون ثاني المفعولين في ظلمات ولا يبصرون حال ولا يجوز العكس

لان الخبر لا يكون ثاني المفعولين مؤكدا وقول الشاعر فتركته جزر السباع
ينشنه يحتمل الوجهين لان جزر السباع وان كان معرفة يحتمل الحال
كما في يسبني في قوله ولقد امر علي اللييم يسبني يحتمل الصفة وان كان
اللييم معرفة والظلمة ماخوذة من ظلمات اذا منع حقه لانها تمنع البصر
من النفوذ ونسده وظلماتهم ظلمة الجهل وظلمة الكفر وظلمة النفاق وقيل
يجوز ان يراد بها النار نار مجازية كنار فتنة او حرب فليس بقوي لان الغرض
من التمثيل ابراز المعقول في صورة المحسوس ليكون مشاهدا وعلي هذا التقدير
يفوت الغرض منه وفي الاية دلالة علي ان وجود النور شرط لروية الالوان
لا لوجودها اذ تمتنع الابصار فلا يخرج قوله لا يبصرون مخرجه صم
جمع لاصم النعت من الصمم وهو انسداد خروق المسامع ومنه القناة
الصما التي ليست بمجوفة وكذا كل فعل كان نعتا مما هو خلقته فجمعه الفعل
ومثله البكم والعمي وان كان اسما فعلي الافاعل يجمع كالارنب والارانب
والاعجم والاعاجم وان كان نعتا مما هو افة فعلي الفعلي كاعجف والعجفي
والاحمق والحمقي بكم من البكم وهو الخرس وهو افة في اللسان لا يتمكن معها
ان يعتمد مواضع الحروف عمي من العمي الاعمي في العين وجمعه العمي
ومن القلب العمي وجمعه العمون قال الله تعالي بل هم منها عمون لما
سدوا مسامعهم عن الاصاخة الي الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم
ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما فقدت مشاعرهم ولم يوجد
قواهم ويراد هذه الصفات مع سلامة حواسهم تشبيه بليغ اذ
شرط الاستعارة الاعراض عن المستعار له صفحا ونسيانه مطلقا وههنا
وان حذف المبتدا الذي هو ضمير المنافقين لكنه في حكم المقدر المنوي
لاسناد الخبر اليه ونظيره قوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان
ذكرت بسوء عندهم اذنوا واما هولا اسد علي وفي الحروب نعامة فتخي
كونه من هذا الباب نظر فهم لا يرجعون اي جوابا لان من سدت
عليه تلك المشاعر لا يمكن ان يرجع جوابا لمن يخاطبه لا بالعبارة ولا
بالاشارة من الرجع بمعني الصرف لا من الرجوع بمعني الانصراف
فان رجع لازم ومتعد او كصيب مجرور عطفا في محذوف اي كمثل
ذوي صيب من السما صفة في محل الجر اما تقدير المثل فلا بد منه
للعطف علي السابق واما تقدير ذوي فلقوله يجعلون اصابعهم
والا فنفس التشبيه لا يقتضي تقدير شي اذ لا يلزم في التشبيه المركب
ان يكون ما يلي الكاف هو المشبه به كما في قوله واما الناس الا كالديار
واهلها واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي
من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين ومعناه ان قصة المنافقين

مشبهة بهما بين القضيتين وانهما سوآن في صحة التشبيه بهما وتشبيه التمثيل كشف
بعد كشف وايضاح غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال
والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان
يفصل ويشبع انشد الجاحظ. يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظة
خيفة الرقبا والصيب يقال للمطر والسحاب وفي الاية يحتملها وتنكيره للتعظيم
لتكبير النار في المثل الاول والسما على هذه المظلة قد يطلق على جهة العلو
وهو المراد هنا وتعريفها للدلالة على اطباق ذلك الصيب الافاق
كلها فان كل افق يسمى سما امد به ما في صيب من المبالغة من جهة التركيب
فان الصاد من المستعلية والبا من التشديد به ومن جهة المعنى فان
الصوب فرط الانسكاب والوقوع ومن جهة البنا فان فيعل صفة
مشبهة والدال على الثبوت ومن جهة العارض لان التنكير للتعظيم والتهويل
فيه ظلمات ورعد وبرق صفة اخرى في محل الجر وظلمات مرفوع فاعلية دو
الظرف بالاتفاق لاعتماده على الموصوف والمعنى في تنايه وتضاعيفه
اريد بالصيب المطر وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه وفي منحدره
جعلا كانهما فيه بطريق استعارة كلمة في للتلبس المخصوص لتشبيه
تلبس لطرفيه الحقيقة والظلمات تكاثف المطر بتتابع القطر
والسحاب وسحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وان اريد به السحاب
ففيه الرعد والبرق واما الظلمات فاذكرت بعينها الا المطر فانه قد
يكون وقد لا يكون والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب عند تحريق
الريح وهو تحريك الدخان البخار عند احتقانه فيه بتكاثفه والبرق ما
يلمع من السحاب اذا تخالت اجزاؤه من برق الشي بريقا اذا لمع ولم
يجمع رعد وبرق وان كان الجمع اشد مناسبة لقوله تعالى ظلمات واكثر
مبالغة كما في قول البحتري * يا عارضا متلفعا ببروده * يختال بين بروده
ورعوده * لكونهما في الاصل مصدرين فان اريد العينان روعي الاصل
فلم يجمعا وان اريد الحدثان اي الابراق والارعاد فحقهما الافراد وايضا
قصد التهويل المناسب للمقام يقرانه نوعها المستفاد من التنكير لا
يتعدد افرادها المستفاد من صيغة الجمع يجعلون اصابعهم في اذانهم جملة
استئنافية وذلك انه لما ذكر الظلمات والرعد والبرق على ما يؤذن
بالهول فقال يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم من ذلك البرق
فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم ثم قال فكيف حالهم من تلك الظلمات فقال
كلما اضا لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا او صفة للمضاف المحذوف
في محل الجر اي ذوي صيب يجعلون وصح رجوع الضمير الى ذلك المضاف
لكونه في الحكم المذكور وفي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل

ومبناها

ومبناها على ان يكون الاصابع بمعناها الا بمعنى الانامل وفي العدول
عن يدخلون وهو الظاهر الى المذكور نوع تقوية لتلك المبالغة ثم انه كناية
عن كمال الحيرة وفرط الدهشة فيستقيم المعنى بلا حاجة الى تنزيل الكلام عن
درجته البليغة حذرا عن عدم مطابقة الواقع من الصواعق متعلق
بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولك سقاه من الغيم والصاعقة قصفة
رعد تنقض معها شقة من نار لطيفة حديدة لا يمر بشي الا اتت عليه
لكنها مع حدتها سريعة الخمود للطافتها وهي تنفتح من السحاب اذا اصطكت
اجرامه او جرم ثقيل منداب مؤلف من الاجزا اللطيفة الارضية الصاعدة
المسماة دخانا والمائية المسماة بخارا حاد في الحدة والحرارة وفي غاية
الحدة والحرارة لا يقع على شي الا ثقب او احرق وتنفذ في الارض حتى
يبلغ الما فانطفى ووقف ومنه الحجر الذي من الصعق وهو شدة الصوت
وقد يطلق على كل هايل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة
اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس
بقلب للصواعق لاستوا البنائين في التصرف يقال صقع الديك
وخطيب مصقع ونظيره جبذ في جذب وهي في الاصل اما صفة
الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة
حذر الموت منصوب على المفعول له والموت زوال الحيوة والله محيط
بالكافرين جملة اعتراضية لا محل لها واحاطة الله بالكافرين مجاز
معناه انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط يكاد البرق يخطف
ابصارهم كاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود
لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع والخطف
الاخذ بسرعة كلما اضا لهم مشوا فيه المشي السير السهل واضا ان جعل
متعديا اي اضا لهم ممشى ورجع الضمير فيه اليه لكونه منويا ويؤيده
قراءة كلما اضا لهم وان كان لازما وهو الظاهر كاظلم ومعناه مشوا في
الضوء او في مطرحه او به او كلما نار البرق فانار الطريق مشوا فيه
واذا اظلم عليهم قاموا اظلم غير متعد على الظاهر ويحتمل ان يكون متعديا
من ظلم الليل ويعضده قراءة اظلم على ما لم يسم فاعله ومعنى قاموا وقفوا
وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركد وقام الما اذا جمد وانما
جا مع اضا بكلما ومع اظلم باذا لقوة دواعيهم الى مكان المشي والخلاص
عما هم فيه من الشدة والحيرة وحرصهم على ما هم به منقود من السعي
والحركة فلا يسعهم الامهال وترك الفرصة اما التوقف فليس كذلك
لانه لا يلزمهم العجز ولو شا الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي ولو
شا الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم وقرئ لاذهب الله باسماعهم

بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم شاع حذف مفعول شاء واراد مع حرف
الشرط لدلالة الجواب عليه حتى لا يكاد يذكر الا اذا كان مستغربا كقوله
ولو شئت ان ابكي دما لبكيته اراد ولو شاء لزاد في قصيف الرعد فاصمهم
وفي خفوق البرق فاعماهم وفايدة هذه الشرطية التنبيه على ان كل محنة معها
منحة وان نعمة الرفع تفوق نعمة النفع ولا دلالة فيه على وجود ما يقتضي الجزاء
المذكور ولا على ان تاثير الاسباب شروط بمشيته تعالى واما ان الكل واقع بقدرته
تعالى فالتنبيه عليه بقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعديل لما تقدم ولا
اختصاص للشيء بالموجود كيف وهو عام يقع على الواجب والممكن والممتنع نص
على ذلك سيبويه حيث قال في كتابه ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه و
خص ههنا بالممكن بدليل العقل وقرينة القدرة فهي مستندة الى الافعال المتضادة
على نسبة متساوية والواجب راجح الوجود والممتنع راجح العدم فلا
يمكن تساوي الطرفين الذي هو شرط تعلق القدرة الا في الممكن فكانه
قيل على كل ممكن قدير نعم انه الاصل مصدر شاء الا ان اطلاقه بمعنى
شيء لا يستلزم الوجود في الجملة لان متعلق المشية قد يكون زوال
الوجود وعدم الايجاد واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع
الفعل على مقدار قدرته والقادر هو الذي يصح منه الفعل والترك
واما الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل فهو المختار ولا يلزمه ان
يكون قادرا لجواز ان يكون مشية الفعل لازما لذاته وصدق الشرطية
لا يقتضي وجود المقدم واعلموا انما ذكر تم تتميم لتمثيل شدة الامر على
اصحاب الصيب من الحيرة والخوف والدهشة بحيث اذا صادفوا
خفقة من البرق فانتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم خطوا
خطوات يسيرة واذا اظلم وانطفت حبسوا عن الحركة وبقوا متحيرين
خايبين ثم ان التمثيلين المذكورين جاز ان يكونا مفردين الا ان الاصح
الافصح الذي عليه الفحول من علماء البيان ان يكونا من التمثيلات المركبة
لا تتكلف لكل جزء من الاجزاء الجملة الممثل لها فرد شيء مشبه به من
اجزاء الجملة الممثل بها فرقة كما في قوله امرء القيس كان قلوب الطير رطبا
ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بل تشبه هيئة حاصلة
من اشياء تضامت وتلاقت وصارت شيئا واحدا باخرى مثلها
من غير مراعاة افرادها والنظر الى تشبيه شيء من هذه بشيء من
تلك فان الغرض تشبيه حال المنافقين في حيرتهم وما خبطوا فيه
من الضلالة وشدة الامر عليهم وخزيهم وافتضاحهم بحال من
بكا بدء شدة امره عند انطفاء ناره بعد ايقاده ورجاء الانتفاع
بها والتهدي باضائتها وبحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع

رعد وبرق وخوف من الصواعق والموت يا ايها الناس التفت من
الغيبة الى الخطاب لان الكلام السابق كان في تعداد فرق المكلفين وحكاية
احوالهم وبيان ما لهم ويناسب اسلوب الغيبة واما ههنا الاية فقصد فيها
بامرهم وتكليفهم وحثهم على الاوامر والنواهي ان يسلك فيها مسلك الخطاب يحصل
اذا كان ما كلف به مما فيه مشقة فان فيه جبرا لتلك الكلفة بلذة المخاطبة
والنداء احضار الغايب وتنبيه الحاضر وتوجيه المعرض وتفريغ المشغول
وتهييج الفارغ ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد واستعماله ههنا في
نداء القريب لبعده عما خوطب به معنى وقد يستعمل لنداء القريب الفطن
للدلالة على ان الخطاب المذكور بعده معتنى به جدا واما نداء الداعي
المتضرع لربه بقوله يا رب مع علمه بانه اقرب اليه من حبل الوريد
فلهضم نفسه انتقاصا لها واستبعادا من مظان القربة والزلفى
واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام لتعذر الجمع بين حرفي التعريف
وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه من اسم جنس او ما يجري مجراها
صفة له حتى يحصل المقصود بالنداء وكلمة التنبيه بما ضمت حرف النداء
تاكيد معناه ووقعها عوضا عما يستحقه اي من الاضافة والناس
صفة لاي واجب رفعها خاطبهم مقبلا عليهم بالنداء لان فيه هذا لما
بلغه اليهم من امر العبادة لهم اعبدوا قد مر تفسير العبادة والامر به
يعم افراد المكلفين لان اسم الجمع المحلى باللام للعموم حيث لا عهد وما
روي عن علقمة ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فمكي ان صح فلا يوجب
تخصيصه بالكفار وليس المراد احداث العبادة خاصة بل ما يعمه
والمواظبة عليها فان هذا هو المناسب للمقام وان كان الاول هو المتبادر
الى الافهام واعلم ان النبي عليه السلام بعث بدعوة الكفار الى الايمان
وورود في ذلك نصوص وانهم اخبروا في بعض النصوص بان العبادة
لا صحة لها بدونه وبعد هذا امرهم بالعبادة في هذا النص وغيره
وان ورد مطلقا عن قيد الايمان لفظا لكنه مقيد به معنى بحكم
النص المخبر عن اشتراط صحة العبادة بالايمان وليس في ذلك امر
بالايمان في ضمن الامر بالعبادة حتى يلزم ايجاب الاصل تبعا لايجاب
الفرع فيما في حكم الاصالة ربكم عبارة الرب صادق بحدها او هو السيد
والمصلح ومن كان مالكا ومصلحا احوال العبيد فجدير ان يعبد ولا
يشرك به ولما امر بعبادته وهي موقوفة على معرفة موجوده
ناسب ان يذكر من الاوصاف ما يتضمن الدليل على وجوده واستحقاقه
العبادة فقال الذي خلقكم فالتوصيف المذكور للتعليل كما هو الاصل في
ترتيب الامر بالشيء على الموصوف والموصول وفي التعليل المذكور باعتبار تضمنه

الاشارة اليهما قدرة له على الخلق والايجاد لا استحقاق له للعبادة تعريض
للمشركين حيث عبد وما لا قدرة له على شيء وما قيل تقدير ان يكون الخطاب
للمشركين يكون الوصف المذكور للتخصيص وهم منشأة عدم فهم معنى ربكم
فان المعنى المتبادر منه الرب المشترك فيما بينهم وليس ذلك الا الله تعالى لانهم
ما اتفقوا على واحد من معبوداتهم الباطلة فاذا لا شركة في معنى ربكم فلا حاجة
الى مخصص واصل الخلق التقدير يقال لخلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس
والمراد ايجاد الشيء على تقدير واستواء والذين من قبلكم ذكر خلق من قبلهم لانهم
اصولهم وخلق الاصول انعام على الفروع وقدم خلق المخاطبين وان تقدم
خلق من قبلهم زمانا لان علم الانسان بحال نفسه اظهر من علمه باحوال غيره
ولانهم المواجهون به لعبادة فتنبيههم اولا على احوال انفسهم اهم واكد
وبدا اولا بصفة الخلق اذ كانت العرب مقرة بان الله تعالى خالقهم هم
المخاطبون ولك ان تقول اخرجه مخرج المقرر المعلوم اما لاعترافهم به كما افصح
عنه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او
مبالغة في ظهوره حيث نزل لتمكنهم من العلم به بادنى نظر منزلة المعلوم وخلق
من على الزمان اذ التقدير من وجد قبل زمان خلقكم وقرئ من بفتح الميم على
انه خبر مبتدأ محذوف وهو صدر الصلة تقديره والذين هم اناس قبلكم
وحذف صدر الصلة كثير الدور في الكلام وفيه تأكيد الابهام بتضمن
التنبيه بما فيه التفخيم على انه خلق من قبلهم ادخل في القدرة وعلى
هذا تكون من موصوفة وقبلكم صفتها ويحتمل ان يكون موصولا مفخما كما افخم
نبيهم في يا نبيهم عدي لعلكم تتقون اي يجعلون العبادة وقاية لكم ولعل
فيها لغات ولم يجي في القران الا افصحها وهي للترجي والاطماع وذلك بالنسبة
الى المخاطبين والمعنى اذا عبدتم ربكم رجوتم حصول التقوى وهي التي تحصل
بها الوقاية من النار والفوز بدار القرار فتعلقت جملة الترجي باعبدوا ربكم
وقيل تعلقت بخلقكم ولا يجي ذلك لان الذي سيق الكلام لاجله هو الامر
بالعبادة وذكر الموصول وصلته لما قصد بالتبع فلم يجي الموصول ليحدث
عنه وكذا صلته كيف وهي لتتميم ما قبلها فلا يناسب ان يتعلق بها ترجي
بخلاف اعبدوا فانه الجملة المفتتح بها اولا والمطلوبة من المخاطبين فاذا
تعلقت باعبدوا ناسب خطاب لعلكم الذي نصب على انه صفة بعد صفة
ولزوم توسيط الاجنبي بين الوصفين لا يضعفه لانه لا مانع من توسيط
بين الموصوف والصفة الواقعة في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر
السموات والارض او على المدح او رفع عليه او على انه خبر مبتدأ محذوف
او بالابتداء وخبره فلا تجعلوا وفيه ضعف لمعنى الصلة فلا يناسب دخول
الفاء في الخبر والربط بالاسم الظاهر الذي جعل الجعل هنا بمعنى التصيير

فيتعدى

فيتعدى الى مفعولين ثانيهما فراشا لكم فيه منة على عباده وفي تقديمه اشارة
الى عزة عبده وقصده عنده بما في المخلوقات حيث خلق السموات والارض
لاجلهم خاصة الارض فراشا الفراش والمهاد والبساط متقاربة المعاني
والمراد ما يفرش وفيه اشارة الى الارض بعد ذلك دحاها ومن ظن ان فراشا
حال فقط اشتبه عليه حقيقة الحال والسماء بناء مصدر سمي به المبني
وانزل عطف على جعل من السماء متعلق بانزل او في موضع الحال فيتعلق
بمحذوف والمعنى من جهة السماء لان الاصل الذي لا يعدل عنه الا بصارف ان
المعرفة اذا اعيدت تكون الثانية عين الاولى ومن للابتداء ماء هو جوهر
سيال يضاد النار برطوبته وبرودته وتنكيره للتنويع يعني انزل من
السماء نوعا من الماء وفي اشارة الى ان ذلك الجنس ما لم ينزل من السماء وهو
ما يحدث في الارض بطريق الانقلاب من الهواء وغيره فاخرج به الخروج في
الاصل الانفصال من الحضن الى العورة ويلزمه الظهور وانما عطف على
انزل بحرف التعقيب وان كان متراخيا عنه لسرعة خروج النبات بالمطر
فكانه لم يتخلل بينهما زمان تصويرا لشدة قدرته تعالى وتوسيط الاسباب
حكمة ليس في ... ثم انه تعالى جمع بلطفه منافع السماء متصلة بمنافع
الارض فان اكثرها يخرج من الارض بما ينزل من السماء ليعلم ان منشاهما واحد
لانه لو كان منشا هذا غير الآخر يتصور منافع هذا بمنافع الارض على
تعدما بينهما وتوهم خلاف احدهما الاخر فلما دل هذا على منشا واحد لا
شريك له فلا يجعلوا له اندادا من الثمرات الثمرة اصلها الزيادة والنماء
يقال ثمر الله ماله اي زاده وكثره وحمل الشجر يسمى ثمرة لهذا وتجمع ثمر
بحذف الهاء التي هي للتوحيد ثم ثمار كالبلدة تجمع على البلاد ثم الثمار تجمع
على الثمر كالحمار يجمع على الحمر وهذه جموع تكسير وجموع السلامة
هو الثمرات والمراد منها ههنا ما يتناول كلها من الحبوب والفواكه
وغيرها مما يخرج من الارض والشجر وقد بسط الله تعالى ما اختصر
في هذه الاية فقال وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء
فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا وقوله تعالى كلوا من ثمره اذا
اثمر وآتوا حقه يوم حصاده صريح في عموم الثمرة لان الحصاد انما يكون
للغلة اذا لم يعرف باللام فلا حاجة الى ان يقال لان الجموع تتعاور بعضها
في موضع بعض ومن للتبعيض فانما يصلح رزقا لنا بعض الثمرات المخرجة
ولا يصلح للتبيين اذا لم يتقدم ما يبين رزقا مصدر فيكون مفعولا له ويحتمل
ان يكون بمعنى مرزوقا فينتصب على الحال وعلى الاول تكون الكاف في
لكم مفعولا به واللام تقوية لتعدي المصدر اليه وعلى الثاني تكون
في موضع الصفة متعلقا باللام بمحذوف اي كائنا لكم ولا يمتنع عكس ذلك

ويجوز ان يتعلق باخرج **فلا تجعلوا لله اندادا** ند الشي مشاركه فيما يحو به
وذلك ضرب من المماثلة فان المثل يقال في اي مشاركة كانت فكل ند مثل ولا ينعكس
ولما كانوا اتخذوا اندادا جا النهي على جعل الانداد لله تعالى على حسب الواقع
والاظهر ان النهي ان يتعلق بجعل ند له تعالى وهذه الجملة متعلقة بالذي على
ما جعلناه خبر مبتدا محذوف اي هو الذي من عليكم بانواع النعم العظام من
خلق السما سقفا مرفوعا وجعل الارض فراشا موضوعا واخراج النبات
بالمطر رزقا مجموعا فلا تجعلوا له اندادا اعاد الى الظاهر نعيا عليهم
بان جعلهم له انداد اجعل الانداد لذات موصوفة بصفة لا شريك له فيها
فان الشركا يجوز ان يكون متعلقا بقوله اعبدوا ربكم والفا للسبب
اي بسبب عن ايجاد هذه الايات الباهرة النهي من اتخاذكم الانداد
ولولا هذا الاعتبار لكان الانسب عطفه بالواو كما في قوله تعالى اعبدوا
الله ولا تشركوا به ويجوز ان يكون نفيا منصوبا باضمار ان على جواب
الامر كما في زرني فاكرمك لا يقال شرط انتصاب المضارع باضمار ان
في جواب الامر وهو كون الاول سببا للثاني منتف ههنا لانه يجوز
ان يكتفي بسببية الاول للاخبار بمضمون الثاني كما اكتفي بسببية
الشرط للاخبار بمضمون الجزا في قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
وانتم تعلمون اي والحال انتم من اهل العلم على ان يعلمون من الافعال
المنزلة منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول ويجوز ان يقدر له المفعول على
ان المعنى وانتم تعلمون امتناع التنا وانها لا تفعل مثل هذه الافعال
وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتنبيه على قبح فعلهم لان
مرتكب القبيح مع علمه بالقبح اعظم جرما لا تقييد الحكم وتحقيقه
به فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سوا في التكليف وانما خصصنا
التوبيخ بالوجه الاخير لان الظاهر ان المراد على الاول النهي لترك
الانداد ووجه ذلك ان التلطيف بعد التغليظ ادخل في الاسماع واعون
على الاصغا من التغليظ بعد التغليظ الا ترى كيف وصى رسوله اذا ارسل
الى عدوه وقال فقولا له قولا لينا **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا**
فاتوا بسورة من مثله لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى
العلم بها عقبه بذكر ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو القرآن
المعجز بفصاحته وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند
الله ثم انه سلك مسلك الاطناب حيث لم يقل وان ارتبتم سوقا للكلام
على وفق حالهم وتنبيها على توغلهم في الارتياب واستمرارهم على
ذلك واستقرارهم فيه وتضمينا للنعي عليهم حيث بلغوا النهاية
فيما لا يجوز لاولي الالباب الوقوع في بدايته وهل هذا الا غاية الغباوة

والغواية

والغواية واتى بكلمة الشك مع تحقق الريب على خلاف الظاهر تكميلا للنعي
عليهم بتنزيل حالهم المحقق منزلة المقدر للتنبيه على ان مثل هذا الحال حقيق بان
يعد من قبيل ما يفرض كما يفرض المحال والتنكير في ريب للتحقير وفيه تنبيه على ان
وضوح دلايل الاعجاز في المنزل المذكور بلغ الى حد لا ينبغي ان يعرض فيه ريب الا
على وجه القلة ومن يحتمل ان يكون لابتدا الغاية والسببية وما موصولة اي من
الذي نزلنا والعايد محذوف اي نزلناه ولا دلالة فيه على نزوله منجما في اوقات
مختلفة لان مبناه على ان يكون التضعيف للتكثير وذلك للمتعدي نحو جرحت
وقطعت ولا يكون في اللازم الا نادرا نحو مات المال وموت اذا اكثر ذلك فيه
ومن لا يجعله متعديا كيلا يلزم الجمع بين معنيي التضعيف وذلك غير جايز
وفيما نحن فيه لا بد من معنى التعدية فلا يحتمل الارادة معنى التكثير والتعبير
بما نزلنا دون القرآن للتنبيه على ان الريب فيه باعتبار ذلك الوصف والعبارة
لما كانت اشرف الخصال والتسمي بها انفس الخطط حتى قال الشاعر لا تدعني
الا بيا عبدها فانه اشرف اسمايي سمى نبيه عبدا واضافه الى نفسه تنويها
بذكره وتنبيها على انه مختص به ومنقاد لامره لا يخالفه فكانه يقول
على الرسول الذي كل ما يبلغه من عندنا وقد شاركه عليه السلام في
ذلك التشريف بعض الانبيا عليهم السلام انما اختصاصه عليه السلام
بتسميته بالعبد المطلق فانه لم يسم غيره الا العبد المقيد باسمه كما قال
واذكر عبدنا داود واذكر عبدنا ايوب وغيرهما وذلك لان كمال العبودية
ما انتهيا لاحد من العالمين الا لحبيبه عليه السلام وكمال العبودية في
الحرية عما سوى الله تعالى وهو مختص بهذه الكرامة كما اثنى الله تعالى عليه
بذلك فقال اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى فلما اختص
بهذه الحرية اكرم باسم العبد المطلق كما قال فاوحى الى عبده ما اوحى
وقرئ على عبادنا يعني النبيين الذين انزل عليهم الكتب وفيه تنبيه
على ان من شك في القرآن مع ظهور اعجازه فهو شاك في ساير الكتب
الالهية ايضا حقيقة وحكما ويجوز ان يراد من اخبر بنبوة محمد عليه
السلام وبشر بمجيئه من الانبيا كموسى وعيسى عليهما السلام والامر
في فاتوا للتعجيز كما في قوله تعالى فات بها من المغرب والفا لانه جواب
الشرط وبدونها يقال ايتوا الالف مجتلبة والهمزة صارت يا بالكسرة ما
قبلها وسقطت همزتها كراهة التقا الهمزتين وثبتت اليا كما في قوله
ثم ايتوا لانه يوقف على ثم ويبدا ايتوا ولا تثبت في قوله فاتوا وفي
قولهم واتوا لتعذر الفصل بين الفا والكلمة وكذا بين الواو واول الكلمة
والسورة ماخوذة من قولهم سار يسور سورا اذا ارتفع وعلا وسمي الجدار
المحيط بالمدينة سورا لارتفاعه فالسورة من القرآن مجموع ايات

مفصلة ارتفعت وعلت وظهرت وصارت كالعلم في معاينتها للسابر .
السور وهي باطلاقها تتناول اقصر السورة وهي في القرآن سورة الكوثر وهي
وهي ثلاث آيات قصار وهذا ابلغ الزام واتم قطع لاهل الخصام فقد كان
التحدي ولا بالاتيان بمثل كل القرآن لقوله فاتوا بحديث مثله ثم اخبر من
عجزهم عن ذلك بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القرآن لا ياتون بمثله ثم بعشر سور مثله بقوله قل فاتوا بعشر سور
مثله ثم لما ظهر عجزهم عنها ايضا تحداهم بسورة بقوله فاتوا بسورة
من مثله وقد عجزوا عن ذلك كله من مثله في محل الجر صفة لسورة اي بسورة كائنة
من مثله والضمير لما نزلناه والمعنى ان كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا بحسن
استعداده في كمال العبودية بانعام الوحي ومن نعمة القرآن في انه من عندنا
زاعمين ان معارضته بايراد المثل مقدور للبشر على ما افصح عنه قوله تعالى
واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا فاتوا بسورة من مثله
اي مثل المقدور للبشر في زعمكم وقد افصح عن هذا المعنى في التحدي بعشر
سور ولولا القصد الى هذا لكان الظاهر ان يقال فاتوا بمثل سورة منه
ورجوع الضمير للمنزل عليه لا يساعده المقام ولا الكلام اما الاول فكما عرفت
فيما تقدم ان المقام مقام توسيع دائرة التحدي حيث نزل من التحدي بكل
القرآن الى التحدي بعشر سور ثم الى التحدي بسورة فلا يناسبه التضييق
باشتراط ان يكون الآتي به اميا في هذه الصورة دون الصورة السابقة
واما الثاني فلان قوله وادعوا شهداءكم من دون الله في موضع وادعوا
من استطعتم من دون الله من قوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين في قولكم انه مفترى اختلقه
محمد عليه السلام من عند نفسه فاعانه عليه قوم آخرون فهلموا من ربات يستعينون
بكل من تعينهم على ذلك في زعمهم فعلى هذا الوجه لا اشتراط المذكور وايضا
لا بد من اعتبار رفقد المماثلة بين المنزل والمامور باتيانه وعلى تقدير عود
الضمير المذكور الى المنزل عليه يلزم ان يكون الكلام خلوا عن ذلك القيد المهم
والشهداء جمع شهيد معناها على ما قال ابن عباس رضي الله عنه اعوانكم لان
الشاهد كالعون للمدعي في استخراج حقه والمراد من الدعاء دعاء استنصار
وكلمة دون لها معان والمراد ههنا معنى غير وهي في الاصل اسم ولهذا
دخله الخافض وخفضها ولكنها تستعمل استعمال الحروف مفيدة معنى اللام
الذي هو للتعريف والتنوين الذي هو للتنكير وهما من خصائص الاسماء لانها
تفيد المعنى في غيرها كالحروف فاجريت مجراها لذلك ان كنتم صادقين في
زعمكم السابق ذكره والصدق الاخبار المطابق للواقع ولما كان الامر المذكور
امر تبكيتهم وتعجيز اختبارهم ليتبين اقتدارهم على اتيان المامور به بقوله فان

لم

لم تفعلوا ولن تفعلوا لما ارشدهم الى الدليل الذي يتبين له امر النبي عليه السلام وصدقه
وكون ما جاء به حقا صرح بنتيجته لاستلزامه نفي اللازم وهو امتناع معارضته
نفي الملزوم الذي هو انتفاء الريب فلزمهم تصديقه والايمان به والا استوجبوا
اشد العذاب وانما اورد الفعل في موضع الاتيان لانه ما من شيء من الاحداث
الا ويصح ان يعبر به عنه وذلك لما ذكره الراغب ان معناه اعم من معنى سائر
اخواته نحو العمل والصنع والاحداث فالمعنى فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن
تاتوا بسورة من مثله ولا يخفى ما فيه من حسن الايجاز وانما كلمة ان دون
اذا مع تحقق الشرط اما تهكما بهم واما بناء على ظنهم قبل ظهور العجز عن المعارضة
ولم كلمة نفي تدخل على المستقبل وتجعله بمعنى الماضي ثم دخول ان وهو للشرط
يجعله بمعنى المستقبل فكانه قيل اشارة الى انقلاب حال المخاطبين ولا محل
لقوله ولن تفعلوا لانه اعتراض قبل تمام المرام وهو من محاسن الكلام
اثارة لهممهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابلغ ومعناه لستم تفعلون ذلك ابدا لان
لن لتاكيد النفي في المستقبل فيشارك لا في نفيه وينافيه في التاكيد
والتشديد بدوا اختلف في اصله فقيل لا ان وقيل لا ابدلت الفه نونا والظاهر
انه حرف مقتضب براسه كما هو قول سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل
فيه دليل على صحة نبوته عليه السلام حيث اخبر عن الغيب ما هو به
وقيل انه من باب الكرامة ولا اختصاص لها عند اهل الحق بالانبياء واما
الاستدلال بعدم كونه عليه السلام شاكا في امره فيما لا وحي له لان من شك
دلالته على صحة دعواه على ثبوت عصمته عن الخطأ وهو فرع ثبوته
فاثباته به مصادرة فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة جواب
الشرط وكنى به عن ترك العناد وتعبيرا للمكني عنه وتهويلا لشان
العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وذلك ان من عاند بعد وضوح
الحق لما استوجب العقاب بالنار واتقاء النار من نتائج ترك العناد
والنار هي نار جهنم وقيل النار مجاز عن العناد وهذا اشد تهويلا لما
فيه من ابراز العناد في صورة النار بخلاف الاول فان النار على
حقيقتها والتهويل انما جاء من انه اتقاء النار مناسب ترك العناد
ثم ان الامر بالاتقاء ابلغ من الامر بالترك فهي النهي عن ملابسة العناد
وتعريض بنا على ان ترك النار كانت محلوفة للمخاطبين سيما عمن من
النبي عليه السلام بالذات او بواسطة المؤمنين وايضا هذه الآية
مدنية فنزولها بعد نزول قوله نارا وقودها الناس والحجارة لانها مكية فصح
تعريفها لكونها معروفة قبل ذلك ضرورة ان المكيات لنزولها قبل الهجرة
متقدمة على المدنيات النازلة بعدها ولتقطيع شان العناد وهو
وصف النار بقوله التي وقودها الناس والحجارة وكون الصلة معلومة

انما اشترط في غير مقام التعظيم والتهويل الابدي الى قوله تعالى فاوحي الى عبده
ما اوحي والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم التهاب فهو مصدر
والاول اسم وقد جا المصدر بالفتح والاسم بالضم وقري بهما والظاهر المناسب
لبلاغة القران ان يكون المراد به المصدر على ان المجاز عقلي فان الغرض
وهو المبالغة في التهويل تحصل على وجه اتم واكمل وفي المصير الى حذف
المضاف في تنزيل لشان التنزيل والناس ههنا هم الكفار والحجارة جمع حجر
كالجمل والجمالة وهذا جمع على غير قياس فيه الاحجار كالشجر والاشجار وقد
صح عن ابن عباس رضي الله عنه على ما اخرجه ابن جرير في تفسيره وعن
ابن مسعود رضي الله عنه على ما اخرجه البيهقي في البعث والنشور انها
حجارة الكبريت وانما خصت من بين انواع الاحجار لانها اسرع وقودا
وابطا خمودا وانتن رائحة واكثر دخانا واشد حرا والصق بالبدن والظاهر
ان مرادهما بيان الواقع لا تفسير المراد ههنا من لفظ الحجارة فلا يتجه انه
تقييد للمطلق بغير دليل فهي على اطلاقها فلا يفوت ما قصد به من تهويل شان
تلك النار وتفاقم لهيبها حيث تتقد بما لا يتقد به غيرها واما احتمال ان
يراد بها الاصنام فيا باه العموم المستفاد من قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم فان بعض ما عبدوا ليس من جنس الحجر ومعناه
وقودها الناس والحجارة ان تلك النار لا تتقد الا بهما اعدت ان الاعداد وهو
التهيئة والارصاد واكثر استعماله في الموجود وقد يستعمل فيما هو في معنى الموجود
كما في قوله تعالى اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما فدلالة الاية على ان النار
مخلوقة الان كما هو مذهب اهل الحق ليست بقوية للكافرين ختم بما
وقع به البداية اتقوا الكفر الموجب للنار فانها اعدت للكافرين والجملة
استيناف يويده عطف وبشر على لفظ المبني للمفعول عليه وقيل صلة بعد
صلة بلا عاطف بينهما على قياس ما يقع في الاخبار والصفات ويويده
قوله تعالى في سورة ال عمران واتقوا النار التي اعدت للكافرين واما
العطف بترك العاطف فتجويزه يؤدي الى الالتباس في مواضع الفصل
والوصل ودلالة لام الاختصاص على ان اعداد تلك النار للكافر ولا يلزم
من ذلك اختصاصها بهم كما لم يلزم من اختصاص اعداد الجنة للمتقين
ان لا يدخلها غيرهم فلا حاجة الى ان يقال ان النار التي وقودها الناس
والحجارة هي للكفار خاصة ولغيرهم نار غيرها وبشر الذين امنوا البشارة
في اللغة اسم للخبر يغير بشرة الوجه مطلقا سارا كان او محزنا الا انه
غلب استعمالها في الاول وصار اللفظ له حقيقة بحكم العرف حتى لا يفهم
منه غيره واعتبر فيه الصدق على ما نص عليه في الكتب الفقهية فالمعنى
العرفي للبشارة الخبر الصادق السار الذي ليس عند المخبر به علمه والمامور

بالتبشير

بالتبشير على قراءة بشر على لفظ المبني للفاعل الرسول عليه السلام ولا وجه للتعميم
لكل من يقدر على البشارة من غير تعيين لما عرفت ان مدار البشارة على الصدق
ونحوها ان يكون المبشر صادقا ومصدقا كانه ما اتكلم في امر التبشير على
كل قادر عليه بل نص على اعظمهم واصدقهم ليكون ذلك اوثق عند المبشرين
واقطع في الاخبار بهذه البشارة الجليلة وفيه من التعظيم لامر البشارة والمومنين
ما لا يخفى والجملة معطوفة على ما قبلها عطف قصة على قصة بينهما جهة
جامعة بحيث يقتضي ان يتبع ذكر احدهما بذكر الاخرى توفية لحق الكلام
ورعاية لما يقتضيه المقام وذلك ان قوله تعالى يا ايها الذين اعبدوا خطاب
عام يشمل الفريقين الموافق والمخالف ثم ان قوله وان كنتم في ريب مختص
بالفريق الاول ومضمونه الانذار وان قوله وبشر الذين امنوا مختص بالفريق
الثاني ومضمونه البشارة كانه اوحي الى نبيه ان يدعوا الناس قاطبة
الى عبادته وتوحيده وتصديق رسوله ثم امر ان ينذر من ابى وعاند ويبشر
من امن وعمل وهذا هو المعتمد وقيل معطوفة على مقدر بعد اعدت اي
فانذر الذين كفروا بتلك النار وبشر الذين امنوا وعلى هذا تكون الواو فصيحة
كما في قوله تعالى واهجرني مليا اي فاحذرني وقيل معطوفة على قل مقدر
قبل يا ايها الناس اي قل كذا وكذا وبشر المومنين ولا يابى عن ذلك قوله
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانه قد جا في كلام الله تعالى في غير
موضع منها قوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فالو كان
حقه على قلبي لكنه جا على حكاية كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت
به وجوز ان تكون معطوفة على قوله فاتقوا على انه ليس جوابا للشرط
بل هو محذوف وهذا مرتب عليه فعلى هذا يكون تقدير الكلام اذا تبين عجزكم
عن المعارضة فقد صح عند المعاند والموافق صدقه فاذا كان كذلك
فاحذروا ايها المعاندون العقاب وبشر يا محمد المصدقين بالثواب
وعطف الامر المخاطب على الامر المخاطب لاخر مما اخطا في منعه النحاة
لوقوعه عطفا في قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك
وتقف على تتمة هذا الكلام في تفسير قوله تعالى فان خفتم الا يقيما
حدود الله وعملوا الصالحات الصالحة نحو الحسنة في جريه مجرى
الاسم وهو ما ورد به الامر ايجابا او ندبا من الاعمال وثانيهما على تاويل
الخصلة والتعريف للجنس لكن لم يرد بالصالحات جنس الجمع بل جميع
الجنس باعتبار التوزيع واللازم منه ان يعمل كل مكلف ما يختص به
من مواجب التكليف كما في لبس القوم ثيابهم ودخلوا مساجدهم الا ان يعمل
كل واحد منهم عملا واحدا منها كيف ما كان وفي مقارنة الايمان والعمل
الصالح في القران ايذان بانهما كالمتلازمين في توقف مجموع النجاة والثواب

عليهما وهذا ابنا في لكون الايمان المجرد عن العمل الصالح منجيا ثم ان بشر
يتعدي الي مفعول بنفسه والي اخر بحرف الجر وهو قوله **ان لهم جنات**
وحذف منه الحرف وهو في موضع نصب علي مذهب الخليل الا في موضع
جر خلافا لمن قال مذهبه انه في موضع جر وهو ابن مالك قاله في التسهيل
وهو قليل الامام بكتاب سيبويه واللام للاختصاص الا ان التخصيص
بفضل الله تعالي لا بالاستحقاق الذاتي والمختص بهم منازل عاليه من دار الثواب
لا الدار نفسها حتي يشكل بالنصوص الدالة علي عدم اشتراط العمل في الدخول بها
ولذلك قال الجنات دون الجنة فانها علم لتلك الدار وحمل الجنات علي الجنات
الثمانية لا يلايمه مقابلة الجمع بالجمع لان مقتضاها الانقسام والتوزيع
وقد روي ذلك في تقريبها السابقة ولا مجال لرعايته ههنا لعدم العهد
في توزيعها ثم ان ذلك الاختصاص مشروط بسلامة العاقبة لان الاعتبار
للخاتمة علي ما افصح عنه قوله تعالي ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم واما الاستمرار علي الايمان المقارن بالعمل
الصالح فليس بشرط والجنة في الاصل المرة من الجن وهو مصدر جنه
اذا ستره ومدار التركيب علي ذلك سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه
وستره ما تحته ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار
الثواب لما فيها من الجنات والمراد ههنا الغرف وهي المواضع العالية
والمنازل الرفيعة من بساتين الجنة علي ما افصح عن ذلك في قوله تعالي
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوينهم من الجنة غرفا تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها فان القران يفسر بعضه بعضا وتنكير الجنات للتعظيم
اي جنات اي جنات لا يكتنه وصفها ثم اكده بالاوصاف الغريبة ويجوز
ان يكون المراد جنات شتي مرتبة في مراتب بحسب طبقاتهم ودرجات
اعمالهم وعلومهم واخلاقهم **تجري من تحتها الانهار** الضمير للجنات يعني
من تحت تلك الغرف وفيه تنبيه علي انها منازل عاليه وقد جاء في
الانهار الجنة درجات والانهار بفتحتين وسكون
الثاني المجري الواسع والمراد الانهار المعهودة المذكورة في قوله تعالي
فيها انهار من ماء غير اسن فان الاصل في التعريف العهد ولا يعدل عنه
الا عند التعذر ولا تعذر ههنا اذ لا حاجة في ثبوت العهد الي سبق نزول
تلك الاية فان المخاطب بتبليغ البشارة هو النبي عليه السلام فكفي علمه
بها باعلام من الله تعالي وفي البيان من ما دلالة قاطعة علي ان المراد ماء
الانهار علي التجوز فيها او الاضمار **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا** صفة
ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف اي هي وجملة مستانفة علي تقدير
سوال تخالج في ذهن السامع اثمارها من جنس ثمار جنات الدنيا واجناس

اخر

اخر فقيل من جنسه ومن الاولي لابتدا الغاية وكذا الثانية واقعتان
موقع الحال ورزقا مفعول ثان بمعني المرزوق واصل الكلام ومعناه كل حين
او مرة رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من الثمرة قيد الرزق المطلق بكونه
من الجنات ثم المقيد بكونه من الجنات قيد بكونه مبتدا من اي ثمرة من ثمارها
فصاحب الحال الاولي رزقا وصاحب الحال الثانية ضمير المستكن في الحال
ويجوز ان تكون الثانية للتبعيض اي كلما رزقوا من تلك الجنات بعض الثمرات
علي انه مفعول ثان ورزقا حال او نصب علي المصدرية وليس المراد من الثمرة
الثمرة الواحدة بالشخص وانما المراد النوع الواحد من انواع الثمار يقال فلان
ادركت ثمرة بستانه والمراد الجنس ويجوز ان يكون بيانا كما تقول رايت منك
اسدا اي انت اسد وعلي هذا الوجه يصح ان يراد بالثمرة النوع والجنات الواحدة
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل اي من قبل هذا في الدنيا والقول جملة لتشبيهه
واتوا به متشابها اي هذا مثل الذي كالذي رزقنا من قبل حذف
حرف التشبيه لاستحكام التشبه كان ذاته ذاته وانما جعل ثمار الجنة
من جنس ثمار الدنيا لتميل النفس اليها اول ما رات فانه لو لم يكن من جنسها
لا مكن ان تنفر منها طباعهم وتعافها نفوسهم في اول الوهلة بادي النظر
وهذا ابنا في التلذذ به فوق التلذذ بما لوقائه بعد الوقوف علي
طعمه ولا يخالف ما اشتهر فيما بينهم من ان لكل جديد لذة ولانهم اذا صادفوا
بما لتذوا به والفوه من جنسها كان معهودا لهم ورايته وبين ما عهدوه
تفاضلا بينا وتفاوتا عظيما عرفوا قدر النعمة وحقها وبلغ استلذاذهم به
واستحسانهم له الي ما لا يمكن وصفه لكونه نعمة غير متوقعة ولو كان من
جنس اخر وان فاق وبلغ غاية الحسن وراق ظنوا ان ذلك الجنس لا يكون
الا كذلك ولم يقع في انفسهم موقع تلك النعمة وتكرارهم هذا القول واستنادهم
له عند كل ثمرة يرزقونها دليل علي تناهي الامر في الفضيلة والمزية وان ذلك
الفرق البين والتفاوت العظيم هو الذي يستدعي تلفظهم بذلك ويستغلقهم
ويستطعمهم ويستنشئهم فرحا وحبورا ولا يدعهم يغتروا ويسكتوا بل يستفزهم
لذة وسرورا وعن مسروق نخل الجنة نضيد ومن اصلها الي فرعها كلما
نزعت منها ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود
في يد يرجع الي المرزوق في الدنيا والاخرة لانه يشتمل الكلام عليهما كقوله
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولي بهما اي بجنسي الغني والفقير ولو رجع
الي المذكور لقال اولي به ويجوز ان يكون المعني من قبل هذا في الجنة لان
طعامها متشابه الصورة كما حكي الحسن يوتي احدكم بالصحيفة فياكل
منها ثم يوتي بالاخرى فيقول هذا الذي اوتينا به من قبل فيقول الملك
كل فاللون واحد والطعم مختلف وعلي هذا يرجع الضمير الي الرزق المطلق

فوا

كما ان هذا اشارة اليه ولا يخفي ان الوجه هو الاول لعدم المساعدة في تكنه
كلها للاخبر والجملة اعتراضية كقوله تعالي وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك
يفعلون والواو في ولهم فيها ازواج مطهرة عاطفة الجملة من تتمة وصف
ازواج لكونه جمع التكثير وان كان جمع المونث الحقيقي بخلاف ما لو قال زوجات
لسلامة الواحد فيه فلم يجمع الاطهارات كانه قال جماعة ازواج مطهرة وبناوه
للمفعول للفخر اذ فيهم ان لها مطهرا وليس الا الله تعالي فتكون طهارتهن
اعظم من كل طهارة فان قيل هذا معارض بان فيه اشعار ابسابقة
التلويث بما يستقذر والكمال في كون الطهارة خلقية بخلاف بنا للفاعل
فان المتبادر منه بمعونة المقام ان تكون طهارتهن خلقية قلنا نعم هو
كذلك الا ان الاول ارجح لكونه ادخل في البلاغة لما فيه من تعظيم المومنين
وهو المناسب للمقام ورعاية جانب من سيق له الكلام وتطهيرهن من
الاوصاف القبيحة في الخلق والخلق لما كانت مجامعة اللذة في المسكن البهي
والمشرب الروي والمطعم الشهي والمنكح الرضي ذكرها تعالي فيما يبشر به المومنين
وبدا بالمسكن لانه به الاستقرار ثم بالازواج لان بهن تمام اللذة والانس
ولما ذكر مجامع اللذة وذلك ينقص بخوف الزوال فنفاه بقوله وهم فيها خالدون
الخلد البقا الدايم الذي لا ينقطع قال الله تعالي وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد افان مت فهم الخالدون وتاييده بالتابيد بقوله خالدين فيها ابدا
لقطع التجوز فان استعماله في الثبات المديد وان لم يدم متعارف سايغ
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما بين التوحيد واثبت
صحة النبوة بالبرهان وهذا اهم اساس الدين واصل الايمان وارشدهم
الي معرفة حقيقة القران واعجازهم بالتحدي ورتب الوعيد علي
الكفر به والوعد علي الايمان شرع في ابطال الاعتراضات والشبهات التي
طعن لها الجاحدون الجهلة كقولهم ان الله اجل قدرا واعظم شانا من ان
يمثل بهذه المحقرات كالذباب والعنكبوت وقولهم اما يستحيي رب محمد فاجابهم
بما دل علي ان التمثيل امر يستدعيه حال الممثل له فكلما كان اعظم كان الممثل
به اعظم وكلما كان احقر كان الممثل به احقر كقوله ولله المثل الاعلي فيلزم
ان يكون لا يهتم المثل الادني لانها جمادات لا قوة لها ولا شعور اذا
الغرض من التمثيل تصوير المعقول بصورة المحسوس وتقرير المعني
المراد في النفس ولا يعارض بالعقل في المعاني المعقولة الا الوهم بميله
الي الحس وامتناع ادراكه المعاني الكلية فاذا تمثل المعني العقلي بصورة
محسوسة اذعن له وانقاد وقبل المعني المراد ولهذا اكثر التمثيل في
كلام البلغا والحكما والانبيا وفشا في الكتب الالهية ولا يتعلق حال
المثل في الحسن والقبح بحال الممثل الا فيما يصار اليه من وجه بين الممثل به

والممثل له

والممثل له فان لم يكن مطابقا بان لا يكون الوصف المشترك المقصود اظهر
في الممثل به اجلي واقوي واشهر كان التمثيل قاصرا في البلاغة منسوبا الي الدناة
وان كان مطابقا بان كان المعني المراد افهامه في الممثل به ابلغ واتم واكمل
واعم كان الممثل جرقدرا واعلي شانا ولهذا كان تمثيل الله تعالي الهتهم بالبعوضة
فما فوقها في المعني الممثل له من الحقارة الي ما هو احقر منها كجناحها ونحوها كما
قيل اقل من لاشي في غاية الحسن الجزالة ونهاية الفصاحة والبلاغة
كما تقول فلان اقل قدرا من الكلب فيقول صاحبك وفوق ذلك اي في
قلة القدر وقد جا في الانجيل تمثيل على الصدر بالنخالة ومعارضة
السفها باثارة الزنابير وفي كلام العرب من جراد واسمع من قراد ويحتمل
ان يكون المراد بقوله فما فوقها العنكبوت والذباب وما ورد في المثل مما
اعظم من البعوضة ولما استنكروه كما قيل فلان بخيل بدرهم فتقول انه يبخل
بدانق فما فوقه اي فضلا عما فوقه في العظم من الدرهم والحيا انقبا من النفس
مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراة علي القبايح وعدم المبالاة
بها والخجالة التي هي انحصار النفس عن الفعل مطلقا واستعمال الاستحيا
لله تعالي مجاز علي سبيل التمثيل اي لا يترك ضرب المثل بالمحقرات ترك من
يستحي بحقارتها وقد جا في الحديث ان الله يستحي من ذي الشيبة المسلم
ان يعذبه وفي التمثيل من المبالغة ما لا يخفي علي الفطن للتخييل وتصوير
المعقول بالمحسوس والقصد الي المدرك بالضرورة ويجوز ان يكون وقوعه
علي سبيل المقابلة وتطبيق الجواب السوال فانه لما جا في كلام الكفرة اما يستحيي
رب محمد ان يضرب المثل بالذباب والعنكبوت قابله بقوله ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا وهو في كلامهم نوع بديع وفن عجيب يستحلونه ويرتضونه
لمراعاة المشكلات وضرب المثل صنعه واعتماد من ضرب اللبن وضرب
الخاتم واصله وقوع شي علي اخر والاستحيا يتعدي بنفسه ومن جعل الاول
يكون ان يضرب منصوب المحل علي المفعولية وعلي الثاني يكون
مجرور المحل يتقدير من او منصوب المحل علي المفعولية وعلي الثاني
بنزع الخافض حذفا وتعدية الفعل اليه بنفسه ومثلا مفعول
يضرب وما ابهامية منصوبة المحل صفة مثلا تزيد شياعا وعموما
وابهاما وتسد الباب التقييد او مزيدة للتاكيد كما في قوله فيما
رحمة من الله اي مثلا حقا وبعوضة منصوب بدل او مفعول
وقيل عطف بيان لمثلا وفيه ان لا يكون في النكرات عند الجمهور
ومثلا حال متقدمة عليها لتكريرها او مفعول ثان ليضرب اجرا
يضرب مجري جعل وصير وان رفعت بعوضة فما موصولة
حذف صلتها كما في قوله تعالي تماما علي الذي احسن بالرفع او

صدر

موصوفة كذلك اي صفتها جملة محذوفة المبتدا ولما كان الوجوه الاربعة المذكورة في بعوضة بالنصب ووجه احرا غرب وافصح وهو ان تكون ما استفهامية مبتدا خبره بعوضة اي بل البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي ما دينارا ودينارا لك والبعوض من البعض كالقطوع والحموش من القطع والحمش ومعنى البعض القطع كالبضع والفض ومنه بعض الشي لانه قطعة منه وهو في الاصل صفة غلب على هذا النوع فما فوقها عطف على بعوضة او على ما ان جعل اسما فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف التفصيل وفيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفا يفيد الكلام توكيدا تقول زيد ذاهب فاذا اكدت قلت اما زيد فذاهب وما بعده جملة خبرية حقها ان تصدر بالفا لولا دخول اما عليها فاخر الى الخبر لوجود هذا وجعل المبتدا سادا مساد الشرط المحذوف لفظا ومعنى للتفصيل في اما وتصدير الجملتين بها ان بين الفريقين غاية البعد والتضاد في فضل الفريق الاول وتحقيقهم في علمهم واصابة نظرهم وهدايتهم واسدادهم ونقص الفريق لانهم بين ان لا ينفطنوا الوجه التمثيل وحسنه وحقيقته وبين ان يجادلوا ويكابروا كلا الامرين وفيه بعد عن مقتضى الفطنة وسقوط عن درجة الاصابة وتجاف عن الصواب والسداد وانهما كما في الغي والفساد والحق هو الامر الثابت الصحيح في نفس الامر الذي لا يسوغ عند العقل انكاره يقال حق الامر اذا ثبت واما الذين كفروا فيقولون انما قال في مقابلة قوله يعلمون يقولون لدلالته على عدم العلم بابلغ الوجوه اكد البرهان فان صدور القول المذكور منهم يدل على فرط الغباوة من عدم التفطن ومخالفة العلم بالمكابرة واهمال العمل بمقتضى العلم جهل ايضا ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون مع ما اسما واحدا والمعنى اي شي منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السوال والارادة نزوع النفس وميلها الى الشي وهو نقيض الكراهة التي هي النفرة وارادة الله تعالى ليست بصفة زايدة على ذاته كارادتنا بل هي عين حكمته التي تخصص وقوع الفعل على وجه دون وجه وحكمته عين علمه المقتضي لنظام الاشيا على الوجه الاصلح والترتيب الاكمل والضمامها مع القدرة هو الاختيار وفي لفظة هذا استركان واستخفار كما في قول عايشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو ابن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية او على التمييز كما في قولك لمن اجاب بجواب ضعيف يا ردته بهذا جوابا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا بيان الجملتين المصدرتين باما وتقرير

لان العلم

لان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المومنون نورا الى نورهم والجهل به واستنكاره من باب الضلال والفسق الذي ازداد به الجهلة ظلمة الى ظلمتهم وفيه تسجيل على الفريقين بهداية المحقين ورشدهم وضلال المنكرين وفسقهم وكون كل فريق منهما موصوفا بالكثرة في انفسهم لا بالقياس الى الاخر والضالين بالعدد والمهديين بالقدر والحقيقة كما قيل ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا فان المهديين اقل من الضالين بالعدد ولهذا قدم يضل به كثيرا واما احتمال كونه جوابا لما في ماذا اي المراد اضلال كثير وهداية كثير واراد اضلال كثير وهداية كثير فيا باه قوله مثلا فان التمثيل لا يناسب ان يراد به الاضلال قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وما يضل به الا الفاسقين الفسق لغة هو الخروج عن القصد قال روبة فواسقا عن قصدها جوايرا ويستعمل في مجرد الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها وشرعا هو الخروج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة والمراد بالفاسقين ههنا الخارجون عن الايمان لدلالة ما بعده عليه وتخصيص الخسران عليهم وترتيب الضلال على الفسق يدل على كونه سببا على الفسق الذين ينقضون عهد الله منصوب المحل صفة للفاسقين للذم ومبتدا خبره اولئك هم الخاسرون ويكون بيانا للفاسقين وتسجيلا عليهم بالخسران والنقض الفسخ وفك التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في العهد من باب الاستعارة بالكناية بايراد صفة المستعار منه دون ايراده بعينه بالرمز على ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين وعلى هذا لا يلزم ان يكون النقض مستعملا في معنى الابطال منقولا عن معناه الاصلي كما في استعارة الاسد للشجاع واستعارة البحر للعالم بطريق الكناية لا يلزم خروج الافتراس والاغتراف عن معناهما الاصليين بل نقول مقتضى تلك الاستعارة ان يكون ما به الكناية قارا في معناه الاصلي حتى يكون من خواص المستعار منه حقيقة والعهد الموثق ولهذا قال النبي الوصية عهد الله في كذا اذا اوصاه به وتقدم عليه ووصفه بما يحفظ ويراعي ويتعهد كالوصية والشرط واليمين ويقال للدار التي يراعي والتاريخ الذي يحفظ وهنا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على جميع تصديقه في الايمان وعلى هذا اوله قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم لانهم اذا بعث اليهم رسول الله المصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولا يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه والى ذلك اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب من بعد ميثاقه الميثاق ما وثق به العهد والالزام والحلف وامثاله مفعال من الوثاقة والاصل في معناه ان يكون صفة كمعطار واله

كمرات وقال ابن عطية اسم بمعنى المصدر ولا يعلم مفعال جاء مصدرا ولا يعدوه
في ابنيته والضمير عائد على العهد ان عني به ما وثق به العهد وعلى
الله او عليه ان عني به المصدر **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل**
يحتمل كل قطيعة لكن الظاهر انه توصيف للفاسقين بانهم يضيعون
حق خلق الله تعالى بعد توصيفهم بانهم يضيعون حقه تعالى وتضييع
حقه تعالى بنقض عهده وتضييع حق خلقه بقطيعة ارحامهم والامر
طلب الفعل ممن هو دونك وبه سمي الذي هو واحد الامور تسمية
للمفعول به بالمصدر كأن الداعي الذي تدعو اليه ويبعث عليه امر يأمر
به فهو مأمور به كما سمي شأنا والشأن الطلب والقصد يقال شأنت
شأنه اي قصدت قصده وان يوصل مخفوض المحل بدل من الضمير في
به للاستعمال وعلى تقدير اللام **ويفسدون في الارض** بقطع الزرع
والنسل وهيج الحروب والفتن واحداث الهرج والمرج ولذلك قصد
في قوله **اولئك هم الخاسرون** الحسار عليهم لخروجهم عن مقتضى الفطرة
واستبدالهم ظلمة الجهل بالنور الفطري والغواية بالهداية الاصلية
التي هي نور العقل والنقض بالوفي والقطع بالوصل والفساد بالصلاح
والعقاب بالثواب **كيف تكفرون** كيف للاستفهام عن الحال والمراد
الانكار والاستبعاد والتعجب وليس فيه معنى الاخبار ولا يلزم الجمع بين
المعنى الحقيقي والمجازي ولما علم امتناع وقوع الشيء عن غير حال
من الاحوال كان انكار حال لها من احوال الكفر انكارا لنفس الكفر على الطريق
البرهاني فيكون من باب الكناية بنفي اللازم عن نفي الملزوم وتنعذر
كون الكفر بالله مع العلم بالحالة الآتي ذكرها كالمستحيل في نفسه لقوة
الدليل الموجب للايمان فانها آيات بينات ولهذا كان الاستفهام الانكاري
بكيف ابلغ من الاستفهام الانكاري بالهمزة وحمل الكفر على معنى
الكفران المقابل للشكر يأباه الباء في قوله **بالله** لانه لا يقال كفر بالمنعم
وبالنعمة بل يقال كفر المنعم والنعمة ولان بعض ما ذكر ليس من النعم كما
لا يخفى والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث
الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم
المقتضية خلاف ذلك **وكنتم امواتا** اي اجساما لا حياة لها عناصر
واغذية ونطفا ومضغا والاموات جمع ميت كالاقيال جمع القيل واطلاقه
على تلك الاجسام من قبيل اطلاق المقيد على المطلق مجازا كاطلاق المرسن
على الانف وقيل بطريق الاستعارة للاشتراك مع الاموات الحقيقية وهي التي
زال عنها الحيوة في عدم الروح والاحساس وفيه نظر والواو للحال
لبيس فعلا واحدا بل جملة قوله وكنتم الى قوله ترجعون وهي وان كانت

بعض

بعض اجزائها ماضيا وبعضها مستقبلا ولا يصح كونها حالا حتى يكون
فعلا مقارنا بالوجود ما هو حال عنه لكن بمعناها وحالكم المشهورة وقصتكم
المعلومة هذه فيكون معناها الى قوله كيف تكفرون في حال علمكم بهذه القصة
فاحياكم بنفخ الارواح فيكم واما خلق الارواح فلا دليل على تأخره عما ذكر بل
الظاهر من بعض الاحاديث تقدمه عليه والعطف باداة التعقيب لانه
متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي **ثم يميتكم** عند انقضاء
آجالكم **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ في الصور للسؤال في القبور اذ لا يناسبه
للتنزيل منزلة البديهي في الظهور **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر لمجازاتكم
باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب وهذه الامور بعضها معلوم
بالضرورة وبعضه بوضوح ادلته النقلية جعل كالمعلوم بالبديهة
لقوة التمكن من العلم به **هو الذي خلق لكم ما في الارض** لاجلكم ولانتفاعكم به
في دنياكم اما الاول فظاهر واما الثاني فبالنظر فيه وما فيه من عجائب
الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم بغاية الحكمة والمصلحة
في خلقه انتفاعكم وهذا لا ينافي التوقف في الانتفاع به على الرخصة
من جهة الشرع حتى يكون فيه دلالة على ان الاصل في الاشياء الاباحة
لا الاختصاص في البعض ببعض الطارئ بسبب بعض العوارض حتى
يحتاج الى ان يقال ان الكل للكل التوزيع فان المعتبر صلاحية الانتفاع
بالفعل ويراد الضمير مبتدأ وبناء الذي عليه دون ايقاعه صفة لله
يفيد التخصيص والتعظيم اي هو الخالق لما ذكر دون غيره والمراد من
الارض الجهة السفلية فما في الارض يتناول الارض وما فيها **جميعا** نصب
على الحال من ما في الارض وهو للمبالغة في التكثير للاستغراق كلفظ كل في
قوله واوتيت من كل شيء وقوله ثم كلي من كل الثمرات لان في الارض
ما لا صلاحية فيه للانتفاع ولا هو في معرض الاعتبار لكونه مستورا عن
النظر **ثم استوى الى السماء** الاستواء الاعتدال والاستقامة من استوى
العود اذا قام واعتدل واستوى اليه قصد قصدا مستويا لا اعوجاج
فيه كالسهم المرسل من غير ميل الى غيره وسواه عدله وقومه والاستواء طلب
السواء واطلاعه على الاعتدال لما فيه من تسويته وضع الاجزاء ولا يمكن
حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى بمعنى استولى عليه
وملك قال قد استوى بشر على العراق والاول اوفق للاصل والتسوية
المرتبة عليه والمراد من السماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو
فسواهن سبع سموات هن ضمير مبهم فسره سبع سموات بيان له
وقيل راجع الى السماء لانه في معنى الجنس وسبع سموات حال وقيل جمع
سماوة والوجه الاول وقوله **وهو بكل شيء عليم** جملة اعتراضية وكم

للتفاوت بين الخلقين وبيان فضل خلق السما على الارض استعير من معنى
التراخي لبعد خلق السما من خلق الارض في الرتبة ولهذا عضده ورشحه
بالابهام والتفسير ليفيده عظمة ورفعة في النفس ثم قواه بالجملة الاعتراضية
لافادة ان مثل ذلك الخلق لا يكون الا عن علم تام بالغ فوق كل ذي علم فمعنى
ثم انه مع خلق هذه الاشيا البديعة العجيبة اقدم على خلق ما هو ابدع منها
واعجب وابعد عن الوهم والقياس من غير تريث الى شي غيره فلا يدل على
تاخر خلق السما عن الارض بالزمان بل على شدة تباينهما وتفاضلهما
واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة اذ ظرف ينتصب باضمار اذكر
فيكون عطفا على قوله وبشر على الوجه الاول عطف قصة على قصة وهما
تخلل ليس باجنبي بل من تمام القصة واحسن منه لقرب ماخذه وصحته
على جميع الاوجه ان يقدر فقلتم براونحوه بعد قوله وهو بكل شي عليم
ويكون فاذكر عطفا عليه ولما كان هذا من اجل النعم على نوع البشر
ومن ادل الدليل على عناية الباري بشان هذا النوع كان العطف
عقيب تعداد مناسبا كانه قيل فقد برد لكم واذكر هذه النعمة خاصة
فان فيها بلاغا لمن تذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا وحينئذ يتعين ان يكون
عطف قصة على قصة متقدمة من قوله كيف تكفرون او من قوله
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا وقد سبق انها قصة واحدة في المساق
والغرض وانه لا يجب مراعاة الخبر والطلب في هذا الضرب والملايكة جمع
ملاك على الاصل كالشمايل في جمع شمال والحاق التا لتانيث الجمع كما في
الصياقلة في جمع صيقل والخليفة فعيلة بمعنى الفاعل من خلفه غيره اذا
قام مقامه والتا فيه للمبالغة وفي الارض خليفة وكانا في الاصل في
مبتدا وخبر انتصبا بمفعولي جاعل من جعل المتعدي الى مفعولين بمعنى
صير والمعنى اني جاعل في الارض خليفة مني اي من يخلفني ويقوم
بامري في الارض فيخلفهم فيها ادم وذريته واستغنى بذكر ادم عن ذكر
ذريته كما يستغنى بذكر ابي القبيلة عنها في قولك مضر وهاشم او
اريد به الجنس اي من يخلفكم وانما اخبرهم بذلك ليعرفوا بسوالهم وجوابه
حكمة الله تعالى في قوله اني اعلم ما لا تعلمون اذ الملايكة تطلع على
تفاصيل وجوده وخواص قواه من الافساد في الارض وسفك الدما
المختصين بالقوى الشهوانية والغضبية ولا تطلع على جوامع الهيئة
الاجتماعية وعلى خواص ما فوق اطوارهم من المعارف والاسرار الالهية
او قاسوا الانس على الجن حيث سكنوا الارض قبل الملايكة فافسدوا
فيها ولذلك استبعدوه وتعجبوا منه وليس فيه تعليم المشاورة لانه ليس
بطريق المشورة قال الراغب ليس قوله اني جاعل في الارض خليفة على

الاستشارة

الاستشارة استمداد في العلم من المستشار والله منزه عن ذلك وانما هو اعلام
كاعلامه ابانا كثيرا من الكاينات لمصلحة ولا البشارة بوجود المجعول
لانها انما تكون بالخبر السار والقيد المذكور مقصود ههنا على ما يفصح
عنه قولهم ونحن نسبح لك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما
لما كان قول الملايكة مع عصمتهم ظاهر الاعتراض تاوله العلما على وجوه
احسنها عندي انهم كانوا حين الخطاب لهم مختلطين وابليس مندرج في جملتهم
فورد منهم الجواب مجملا فلما انفصل ابليس عن جملتهم بابايه واستكباره
انفصل الجواب الى نوعين فنوع الاعتراض كان عن ابليس ونوع
التسبيح والتقديس كان من الملايكة فانقسم الجواب الى قسمين
كانقسام الجنس اليهما وناسب كل جواب لمن ظهر عنه وكان الظاهر
المطابق للخطاب السابق ان يقولوا اتجعل فيها خليفة من يفسد
فيها وانما عدلوا عنه الى ما ذكر صرفا للتعجب الى جعل المفسد خليفة
من يفسد فيها وانما في الارض مع قطع النظر عن معنى الخلافة يعني
ان وجودهم فيها محل استبعاد فانى كونهم خليفة ويحتمل ان يكون
القصد تجريد التعجب عن شوب التعصب فان في ذكرهم في صفة
الخلافة تعرضا لمن هو مطمح نظرهم واما قصد الاستكشاف عما خفي
عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والاستخبار عما يرشدهم ويزيح
شبهتهم كسوال المتعلم معلمه فياباه ما في نحو صنيعهم انفسهم بالتسبيح
والتقديس من التعويض وما في قوله اني اعلم ما لا تعلمون من عدم
البيان لما اشتبه عليهم لا يناسبه من يفسد احد مفعولي تجعل والثاني
فيها وانما قدم للاهتمام وفي تكريره فيها تنبيه على ان ما كان محلا
للعبادة لا يناسب ان يكون محلا للفساد والسفك والسبك والسفح
والسن والشن والصب متقاربة وبينها فرق فالصب اعم من
هذه الالفاظ والسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر
المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن والسن للصب من القربة
ونحوها ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك الواو فيه للحال كما تقول
تحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان وقوله بحمدك في محل الحال اي
ملتبسين بحمدك يعني حامدين لك والتسبيح تنزيه الله تعالى من النقص
والسوء قولا واعتقادا اصله من السبح وهو سرعة الذهاب في الما
واستعير للنجوم في الفلك ولجري الفرس وقال الله تعالى ان لك في النهار
سبحا طويلا اي سعة ذهاب وسبحه عن كذا اي نزهه والتقديس
التطهير من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ثم استعمل في التطهير
لان مطهر الشي مبعده عن الاقذار ومعنى نقدس لك نقدسك واللام

مزيده وقيل تقديس نفوسنا لاجلك كانهم قابلوا الفساد بالتسبيح وسفك
الدما بتطهير النفس وليس ذلك اظهارا للمنة بل هو على حسب ما تقول لمن
تحب ان يعوض صاحبه الخدمة شيئا فيقول تنا من الخدمة تغيري
وانا مجد فيها وعلى ذلك قولهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
وقال الله تعالى عز شانه في جوابهم قال اني اعلم ما لا تعلمون فعرض ولم
يصرح هنا لديهم فضيلة الانسان وما خصوا به من العلم والعمل
الذين يعظم الملك عنها غيابا او مشاهدة وانما ابهم بيان بين استحقاقه
ليتبروا بالعبودية ويعرفوا ان له وراء علمهم علما هم عنه محجوبون وكفى العباد
علمهم بذلك ليزدادوا تعظيما له وتبيينوا القصاصهم وكماله ثم بين لهم نعمته
فيما بعد ليعظم عندهم وقعه فيرجحوا ويسلموا او يعترفوا بنقصهم ويلين
شكايتهم هنا جملة محذوفة يتم بها المعنى ويصح العطف وتقديرها
فجعل في الارض خليفة وسماه ادم قالوا المذكورة فصح جملة وعلم ادم
الاسماء كلها التعليم حقيقة فعل يترتب عليه العلم ولا يتخلف عنه وقد يطلق
مجازا على لقا مقاما فان العلم وهو الذي يترتب عليه العلم غالبا وقد يتخلف
عنه وهو المراد في قولهم علمته فلم يتعلم ومعنى تعليم الاسماء انه اراه
اجناس المخلوقات وبين ان هذا اسمه فرس وان هذا اسمه بعير على ان
المراد من الاسماء الالفاظ الموضوعة للمعاني مفردة كانت او مركبة مخبرا
عنها ومخبرا او رابطة بينهما او بين انه هنا المركوب وهذا المحروث على ان
المراد منها مسميات الاشيا وخصا بعضها ولا علم لنا بطريق تعليمه
ادم الاسماء واعلم انهم بعد ما اتفقوا على ان دلالة الالفاظ وضعية
اختلفوا في تعيين الواضع فذهب قوم الى انه هو الله تعالى ويسمى هذا
المذهب مذهب التوقيف وذهب قوم الى انه هو الناس ويسمى هذا
المذهب مذهب الاصطلاح وبعضهم الى التوزيع اي بعضه توقيفي وبعضه
اصطلاحي فاذا كان النزاع في الظهور لا في القطع فالظاهر من الاية المذكورة
هو الاول المذكور وعلى المذهب الثاني لا يلزم من الحاجة الى سابقة اصطلاح
التسلسل لجواز ان يعرف القدر المحتاج اليه في الاصطلاح بالترديد والقراين
كما يعرف الاطفال لولا اعلام بحقيقة الحال العام فوردته فاعل كاذر وعاذر
وشالخ وقانع ان كان عجميا وافعل على انه مشتق من اديم الارض ان كان
عربيا قال الحق البتي في المعرب اسما الانبيا كلها اعجمية الا اربعة اسماء وهي
ادم وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام وقد صح عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال انما سمي ادم لانه خلق من اديم الارض اخرجه
ابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات وورد
مثله عن علي رضي الله عنه وابن مسعود اخرجه ابن جرير وادم الارض

ظاهر

ظاهرها وجهها وقرئ علم على البنا للمفعول ورفع ادم ومنع الصرف للعلمية
والعجمة او وزن الفعل ثم عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات
المدلول عليها كما في قوله تعالى ولابويه ان كان الالف واللام في الاسما
للجنس او المقدرة ان كان للتعريف باللام عوضا عن التعريف بالمضاف
اليه على ان المراد اسما المسميات كما في قوله تعالى واشتعل الراس
شيبا وانما ذكر الضمير للتغليب فان المسميات العقلا ولفظة ثم ه
للدلالة على تاخير الغرض عن التعليم وذلك لتحققه ويظهر فضل ادم
في ذلك وجهة احقيته للخلافة وقت قوله تعالى ان كنتم صادقين
فانه لا بد لعلمهم انهم صادقون في زعمهم انهم احقا بالخلافة وذلك بثبوت
فضل ادم في ذلك الوقت فقال انبئوني باسماء هولاء ان كنتم صادقين
الانبا اخبار فيه اعلام ولذلك اجري مجرى كل واحد منهما فقيل انباته كذا
كقولك اخبرته بكذا وانباته كذا كقولك اعلمته كذا ولما كان المراد ههنا
معنى الاخبار قال باسماء ثم انه لا يقال نبا الا لخبر فيه خطر ففي عبارة الانبا
تعظيم لشان علم الاسما وانما استنباهم للتبكيت والرد عليهم فيما
اظهروا من عدم استحقاقه للخلافة وما ابطنوا من اولويتهم بذلك لا
للتكليف لا لانه من باب التكليف بالمحال لانه معلق بل لان التعليق
المذكور لا ينافي سبب التكليف وجواب الشرط في ان كنتم محذوف دل عليه
انبئوني فان قيل الصدق انما يتعلق بالخبر وهم استخبروا ولم يخبروا فكيف
يوصفون او يكذبون قلت الصدق والكذب وان كانا لا يتعلقان
بالاستخبار بالصدق الاول ومن حيث المنطوق فقد يتعلقان به بالقصد
الثاني ومن حيث المفهوم وذلك اذا كان الاستخبار على وجه يفهم منه
معنى الخبر وقد نبهت فيما تقدم ان الامر فيما نحن فيه كذلك فان
مساق كلامهم لما كان كاشفا عن زعمهم انهم احقا بالخلافة كان
استخبارهم متضمنا معنى الخبر فان قيل اليس زعمهم المذكور فاسدا ه
متضمنا لتجويزهم صدور ما يخالف الحكمة عن الله تعالى وشان الملائكة
اجلا من ذلك لانهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
قلنا الان قوي الاشكال وقدمنا الاشارة الى وجه الانحلال بارجاع
الزعم المذكور الى ابليس والله اعلم قالوا سبحانك تنزيه منهم له تعالى عن
فعل ما لا مصلحة فيه ولا حكمة اي تبعد عن فعل ما يمكن ان يكون
اصلح منه ولهذا الاشعار بان سؤالهم كان استفسارا محضا فلا يناسب
المقام لما فيه من التلبيس ولانه مردود بقوله تعالى ان كنتم صادقين
على ما نقف عليه باذن الله تعالى وسبحان من المصادر اللازم حذف
فعلها سماعا وهو علم التسبيح يجري ذكره مجرى ذكر الفعل اي نسبحك

تسبيحا لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالنقص ولزوم الحد اي لا يمكننا
الاكتساب والترقي ولما كان قولهم لا علم لنا من باب العذر وقولهم الا ما
علمتنا من باب الشكر افادت الاية ان العبد ما ينبغي له ان يغفل عن
نقصانه وعن فضل الله تعالى واحسانه وفي وجه هذا الجواب من الجنس
ما يبهر الالباب حيث قدموا بين يديه تنزيه الله تعالى ثم اعترفوا بالجهل
ثم نسبوا العلم لله تعالى واردفوا صفة العلم صفة الحكمة اذ بان لهم
وصف الحكمة في قوله اني جاعل في الارض خليفة وقدموا وصف العلم لان
الذي ظهرت فيه المزية لادم هو العلم ولان الحكمة من اثاره انك انت
العليم الحكيم سلب للعلم والحكمة عن انفسهم لنقصهما عليه وانما قصروهما
عليه بتوسيط الضمير وايراد اللام وصدر الجملة بان التوكيدية الرافع
للشك والانكار لايهام كلامهم بان استخلاف ادم على خلاف مقتضى العلم
والحكمة ودعواهم العلم لانفسهم وشكهم في استخلافه وانكار مزيته
عليهم فرجعوا عن ذلك واقروا بان ماهية العلم والحكمة مخصوصة
به دون غيره وانه محقق عندهم والحكيم فعيل بمعنى مفعل اي محكم
لمبدعاته وذلك لانه لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة قال يا ادم انبئهم
باسمائهم ناداه باسمه العلم وكذا سائر الانبياء عليهم السلام وهو
خطاب تعريف ونادى محمدا عليه السلام بيا ايها النبي يا ايها الرسول
وهو خطاب تشريف فانظر تفاوت ما بين النداءين وقال الله تعالى
انبئهم فجعل من اعترضوا به معلما لهم ومنبئهم بما تقاصرت علومهم
عنه ليظهر بذلك فضله عليهم فلما انباهم باسمائهم بين هذه الجملة
والتي قبلها جملة محذوفة تقديرها فانباهم بالاسماء المذكورة مفصلة
اي اخبرهم بها وعلموا فضله وظهر عجزهم وقصورهم قال الم اقل لكم
انكار داخل على النفي فيفيد التقرير لان نفي النفي اثبات اني اعلم غيب
السموات والارض استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه قد
جاء به على وجه البسط ليكون كالحجة عليه واضافة غيب بمعنى في
كضرب اليوم اي ما غاب في السموات والارض والغيب ههنا ما خفي
عنهم فيها وفي الاصل ما غاب عن الحس اي الغائب المقابل للشهادة
بمعنى الشاهد واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف على الم
اقل لكم لا على اعلم لانه ما كان مقولا لهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون
فهو مقول لذلك القول لا لذلك ويجوز ان يكون واو الحال والمراد
بما تبدون ما صدر عنهم من التصريح والتلويح فينتظم ما تفوهوا به
بطريق التعريض وبما يكتمون ما اسره ابليس من الكبر والعصيان فهو
من قبيل خطاب الجمع بفعل الواحد منهم كما في قوله تعالى فعقروها

واعلم

واعلم ان هذه الايات دالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله
على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده
الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاشتهاره فيمن يحترف
بالتعليم وان لم يكن مختصا بمعلم ما ينقطع عنه لتعقيب الغايات في بالمعلم
الثاني واذ قلنا للملائكة نظمه بما قبله من حيث ان في اول هذه الاية
كشف اجمل في ضمن تلك الاية مما نسب اليهم من كتمان ابليس من الكبر
والعصيان وان هذه عطف على التي قبلها اذ نصبتها باضمار اذكر وان نصبت
تعالوا بها فهذه منصوبة باذكر مقدر والواو عاطفة للجملة على الجملة ولك ان
تقول ان العامل محذوف تقديره انقادوا فسجدوا لان السجود كان ناشيا
عن الانقياد وفي قلنا خروج عن الضمير المتكلم المعزو الى ضمير الجمع لان
التعظيم من حيث انه ادعى لامتثال الامر من غير توسيط يناسب المقام
صل اسجدوا لادم فيه ايجاز ونقل الامر التعليقي الى صورة التنجيز اعتبارا للحال
على ما دل عليه قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين فانه صريح في ان الامر بالسجود كان قبل تسوية ادم
عليه السلام فلما لم يكن امرهم بالسجود مرتبا على انبائهم بالاسماء
بل على ظهور شان نفخ الروح في قلب ادم عليه السلام لم يصح ان
يكون ذلك اعترافا بفضله واداء حقه واعتذارا عما قالوا فيه قال
ابو عمرو يقال سجد اذا انطاطا راسه وانحنى والسجود التطامن
مع خفض الراس وبه يفارق الركوع واما التذلل فباعتباره في
مفهومه العرفي دون اللغوي وقد جاء في المثل اسجد من الهدهد
وليس في سجوده تذلل وفي الشرع وضع الجبهة على الارض ولا يلزم
ان يكون على قصد العبادة فان صلاة المرائي صلوة حقيقة
وليست على قصد العبادة والسجود المامور كانت على سبيل
التكرمة كسجود اخوة يوسف عليه السلام له وكون السجود لله
تعالى على ان يكون ادم عليه السلام قبلة يرده قوله تعالى نقلا
عن ابليس ااسجد لمن خلقت طينا لان الاعتراض بكونه طينا انما يتجه
ان لو كان مسجودا حقيقة لا قبلة للسجود به كالكعبة شرفها الله
تعالى قال الامام ابو منصور فيه دليل على ان الكتاب ينسخ بالسنة
فان جواز السجود لغير الله تعالى ثبت بقصة ادم عليه السلام ثم
نسخ ذلك بالخبر وقيل هو بيان استغنائه عن عبادتهم اباه وانكاره
عليهم قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم لا حاجة
لي الى عبادتكم وحد منكم فاخدموا عبدا من عبادي لم يخدمني كثير خدمة
فسجدوا عن وهب قال اول من سجد جبريل عليه السلام ثم

ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة وكان ذلك كما نفخ فيه الروح
من غير تاخير لقوله عز وجل فقعوا له ساجدين فان الفاء للتعقيب
بلا تراخ **الا ابليس ابى واستكبر** استثناء متصل لانه من جنس الملائكة ولا
ينافيه قوله كان من الجن لان صنفا منهم يطلق عليه الجن على ما دل
عليه قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا الا انه لما كان جنيا واحدا
بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله للملائكة
ثم استثني منهم استثناء واحد منهم لما في قوله تعالى استكبرت ام كنت من
العالين دلالة على ان تناول الامر اياه بطريق الدلالة لان المعنى امر ترك
ادبر ينبغي ان تكون اولى من المامورين بالسجود فيتناولك الامر دلالة فلزم
الاستكبار او علي منهم فيكون من زمرة العالين الذين لم يتناولهم الامر
بل الاية تدبر الكلام فسجد المامورون به تبعا الا ابليس فانه امتنع
عن السجود واستعظم نفسه ورفعها عن خير المامورين تبعا وهذا ما
قيل ان الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة الا انه استغنى بذكر الملائكة
عن ذكرهم لانه اذا علم ان الاكابر مامورين بالتذلل لاحد علم ان الاصاغر
ايضا مامورون به وليس مبنى هذا على ان يرجع الضمير في فسجدوا الى
القبيلتين لان قوله فسجدوا هنا في موضع فسجد الملائكة في ايات اخر
وامتنع ابليس من الصرف للعلمية والعجمة ومن جعل مشتقا من الابلاس بمعنى
الياس وشبه العجمة لكونه لم يسم به احد من العرب فصار خاصة بمعنى
اطلقه الله تعالى عليه فكانه دخل في لسانهم وهو علم مرتجل والاباء امتناع
بالاختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من شانه والاستكبار
طلب ذلك بالتشبع فهو من افعال القلوب وانما قدم الاباء عليه وان كان
اولا لان مفهوم الاستثناء وهو عدم صدور السجود عنه ناشئ عن
استكباره فروعي هذا الترتيب واستونف في اباء لانه موضع سؤال
لاحتمال ان يكون ترك السجود بعذر دون استكباره لظهور ان
الامتناع بالاختيار امر فيه تذلل الا يكون الا عن الاستكبار وكان
استكباره مسببا عن كفره الاصلي وهذا ذيله بالجملة الاعتراضية للتعليل
وهو قوله **وكان من الكافرين** اي كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب
المعصية على افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه
قيل اي صار منهم باستقباحه امر الله تعالى ولو كان المعنى هذا القيل فكان
من الكافرين **وقلنا يا ادم** عطف على اذ قلنا لا على قلنا وفائدة النداء
تنبيه المامور بما يلقى اليه من الامر **اسكن** من السكنى اي اتخذها
مسكنا ولهذا ذكر متعلقه بدون في لا من السكون بمعنى ترك الحركة
وان كان ذلك في الحقيقة راجعا الى السكون لانه نوع من اللبث

و

والاستقرار **انت وزوجك** معطوف على الضمير المستكن في اسكن المؤكد
بانت والفصل بالتاكيد لتصحيح الوصل على سبيل التغليب اصلا وايذانا
وتبعيتها وكان فيه توطئة للاكتفا بذكره في قوله فتاب عليه **الجنة** اللام
للعهد والمعهود دار الثواب لا غير **وكلا منها** عدل هنا عن اسلوب
التغليب تنبيها على ان تبعيتها وكونه خاصة لزوجها في السكنى دون الاكل
رغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا والرغد العيش الدار الهني الذي لا عناء
فيه كما ذكره القرطبي وقال ابو الليث الرغد ان ياكلا ما شاء اذا شاء حيث شاء
حيث شئتما حيث للمكان المبهم اي مكان من الجنة شئتما ومحل حيث
نصب فاني الجملة النصب على الظرفية وتعلقه بالاكل مع ظهور تعلقه بالسكنى
لان اباحة الاكل من اي مكان كان وفي اي وقت كان مستلزمة لاباحة
السكنى فيه بحسب العادة بدون العكس وانما اطلق لهما الاكل من الجنة
من حيث شاء ومتى اراد مع سعتها وكثرة اشجارها ولم يقيد بوقت ولا
موضع ولا اكل مخصوص بشي دون شي كيلا يبقى لهما عذر في التناول
من شجرة واحدة منهي عنها بتلك المبالغة **ولا تقربا هذه الشجرة** نهي عن
الاكل منها بطريق الكناية مبالغة فلا نهي عن القرب منها وقد افصح عن
هذا قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة صحيحا اشار بما بشارة الى التحريم
ثم انه لم يقل عن القرب من هذه الشجرة والشجرة نعت او عطف بيان هو
واختلفوا في تعيينها وقال ابن جرير والاولى ان لا يعين لان العلم بها
لا ينفع والجهل بها لا يضر ولكن نقول في التعيين بانها الكرمة
كما ذهب اليه بعضهم فان في الاشارة الى ان الخمر الخبائث لان اصلها
هو الذي كان السبب في الخروج من الجنة اولا فيجب الاجتناب عنها لئلا
تكون مانعا من العود اليها **فتكونا** مجزوم على التقريب او منصوب بتقدير
ان جوابا للنهي والفا تفيد السببية سواجعلته للعطف على النهي
والجواب له وفي جعله سببا لكون المذكور مبالغة اخرى في تاكيد النهي
من الظالمين انفسهم بنقص حقوقها بالعصيان وحطها عن درجة
القرب والكرامات الى مهول الحرمان والهوان والظالم ابلغ من الذي
ظلم ففيه ايضا مبالغة **فازلهما الشيطان** اي حملهما على الزلة والضمير
عنها للشجرة اي بسببها وتحقيقه صدر الشيطان زلتهما وعن هذه
مثلها في قوله تعالى وما فعلته عن امري قيل يجوز ان يكون الضمير
للجنة اي اذا ذهبهما عنها وابعدهما عنها من زل اذا ذهب يقال زلت
عن الشهر كذا اي ذهبت ويؤيده قراءة حمزة فازالهما اذ على هذه القراءة لا
يكون الا للجنة والفرق بينهما ان ازل من الزلل وهو عثور القدم وازال
من الزوال وهو التنحية ونقول هذه القراءة انهما امرا بالثبات والاستقرار

في الجنة فناسب ان يقول بعد ذلك فازلهما الشيطان بالمعصية عن المكان
الذي امرا ان يثبتا فيه على وجه الطاعة واذلالهما بقوله هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين وهذا
صريح في ان الغاية اليهما كان مشافهة لا على طريق الوسوسة وهو قول
ابن عباس وابن مسعود وجمهور العلماء واختلف في كيفية توصله الى ان لاقاهما بعد
ما قيل له اخرج منها فانك رجيم وقيل انه منع من الدخول على وجه التوقير
والتكرمة كدخول الملائكة ولم يمنع من الدخول على جهة الوسوسة ابتلاء لادم
وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما ويرده قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان
لان الوسوسة لا تجامع النداء وقيل ارسل بعد ان تباعد فارهما ورجح هذا الوجه
بانهما يعرفانه ويعرفان ما عنده من العداوة والحسد فيستحيل في العادة
ان يقبلا قوله ويرده قوله تعالى الم انهكما الى قوله ان الشيطان لكما عدو مبين
لانه صريح في مباشرة الشيطان للازلال والله اعلم بحقيقة الحال فاخرجهما
مما كانا فيه من النعيم والكرامة والابهام للتعظيم اي مما لا يدخل تحت
الوصف او من الجنة ان كان الضمير في عنها بالشجرة والاسناد ههنا
وفيما تقدم مجازي لان الفاعل في الحقيقة هو الله تعالى والشيطان سبب
عادي وقلنا اهبطوا هبط لازم ومتعد ومصدر المتعدي الهبط
ومصدر اللازم الهبوط وهو النزول من علو الى سفل والخطاب لادم
وحوا لقوله تعالى في موضع اخر قال اهبطا منها جميعا والخطاب تلوين
على ما نتفق عليه فلا مجال للتغليب فلا وجه لما قيل المراد هما وابليس
وكذا لما قيل المراد هما وذريتهما لان ما وضع للخطاب والمشافهة فهو
لا ينتظم المعدوم ومحال الخطاب لا عبارة ولا دلالة خلافا للحنابلة وانما
جمع الضمير هنا رفعا لشانهما كما جمع الضمير في قوله وكنا لحكمهم شاهدين
بعضكم لبعض عدو وجملة في محل نصب بالحال استغني بالضمير عن
الواو اي متعادين والمعاداة تعدي ان الملاءمة والموافقة منه قيل
ومكانا ذو عدى او قوم عدى للاعداء والعزى لما بينهم من فقدان
الملاءمة وذلك بين الرجل والمراة كثير في الخلق حتى ان عامة ما يحمد
من اخلاق الرجال يذم من المراة وليس الامر بتكليفهما حتى يلزم الاذن في
المعاداة بناء على ان الحال قيد والامر بالمقيد بينا ولكم في الارض
مستقر اما حال تراسها بالواو واما عطف عليه والمستقر اما موضع
استقرار والقرار هو السكون عن برودة برد ولما كان من شان البرودة
السكون ومن شان الحرارة الحركة قيل في الساكن برد وفي المتحرك اشتعل
والتسخين حتى يلتبس السريع بنار متقدة والساكن بما هو جامد ومتاع

الى

الى حين المتاع انتفاع ممتد الوقت ومنه قيل متعه الله بكذا والمراد
بالحين اذ لا انتفاع بعده وجعل ابتدا يوم القيامة من الموت تكلف
مستغنى عنه ولذلك جعل السكنى في القبر تمتعا في الارض فتلقى ادم من ربه
كلمات تلقى كالتلقن الا ان التلقي يقتضي استقبال الكلام وتصوره
والتلقن يقتضي الحذق في تناوله والتلقف يقاربه لكن يقتضي الاحتيال
في التناول وصيغة التفعل للتكليف اي تكلفه في تلقيها بالجهد في التنصل
والتوجه على قراءة النصب في ادم والرفع في كلمات تكلف الكلمات في الوصول
اليه لتكون تزكية وتصفية قلبه بالتوبة مندرجا وفي اسناد التلقي
الى الكلمات مجاز تشبيه نزولها على التدريج فالتكلف في النزول اليه
وحاصل المعنى استقبلها بالقبول والعمل او استقبلته بالبلوغ اليه
والوصول اليه واختلف في المراد بالكلمات واكثر المفسرين على انها قوله
قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وقيل غيره واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع
والبصر والكلام بحاسة السمع والكلمة بالبصر كلمته جرحته جراحة بان اثرها ذكره
الراغب والتضمين الفاء في قوله معنى التوبة فتاب عليه مضمنا
اياه معنى العطف اي فرجع متعطفا عليه بالقبول والرحمة بعد
اعراضه واخبر عنه وحده لانه هو المواجه بالامر والنهي وهي تابعة
له او طوى ذكرها كما طوى في قوله وعصى ادم ربه فغوى وطي ذكر
النساء في القرآن والحديث كثير انه هو التواب الرجاع على عباده
بالمغفرة واصل التوبة الرجوع وتوبة العبد رجوعه الى ربه من ذنبه
وتمامها من العبد بالندم على ما كان وترك الذنب الان والعزم على
ان لا يعود اليه في مستانف الزمان وفي المظالم لا بد مع ذلك من
ارضا الخصم الرحيم المبالغ في الرحمة يرحم التائب فيتقبل توبته و
يقبل توبته قلنا اهبطوا منها جميعا كرر هنا لان الاول من الجنة
الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض لانه مردود بقوله ولكم في الارض
مستقر ولاختلاف المقصود حيث دل الاول على ان هبوطهم الى دار بلية
يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف لان
ما ذكر لا يقتضي التكرار فان الدلالتين المذكورتين يمكن ان يجتمعا بل
تعلق الزيادة به في قوله فاما ياتينكم مني هدى ليدل على ان هذا
الغضب مسبوق برحمة الرحمة ولهذا اورد ما لتاكيد الملازمة والنوع
لتقويتها الزيادة النون في الشرط وانما اورد كلمة الشك مع ان اتيان
الهدى محقق عنده نظرا الى انه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وفي
هذا النظر اظهار لما فيه من جهة التفضيل والاحسان فلذلك حسن

وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك
لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا فمن تبع هداي
من شرطية ويجوز ان تكون موصولة ويعضده اتيان الموصول في قسيمه
ودخول الفا على الجملة الخبرية جائز ههنا لجعل الهدى بمنزلة الامام المتبع
المقتدى به وفي اضافته اليه من التعظيم ما لا يكون لو اتى معرفا باللام وان كان
ذلك سبيل ما يكون نكرة ثم يعاد وجواب فاما ياتينكم فمن تبع فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون اي فلا خوف عليهم من الضلالة في الدنيا ولا حزن الشقاوة في
العقبى قال الله تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقدم انتفا الخوف على
انتفا الحزن لان انتفا الخوف فيما هو آت اكثر من انتفا الحزن على ما فات ولذلك
ابرزت الجملة الاولى مصدرة بالنكرة التي هي ادخل في باب النفي وابرزت الثانية
مصدرة بالمعرفة وفيه اشارة الى اختصاصهم بانتفا الحزن والى غيرهم
بالحزن والذين كفروا وكذبوا باياتنا عطف على من تبع قسيم له وهو ابلغ من قوله
ومن لم يتبع وان كان ظاهر التقسيم يقتضيه لان نفي الشي قد يكون لعدم
القابلية في المحل فابرز التقسيم في صورة ثبوتية منزلة لهذا الاحتمال وانما
ذكر الصلتين ومعناهما واحد لتوزيع القبايحهم وتكرير العصابهم كما قال
واضل فرعون قومه وما هدى والايات العلامات الدالة على وحدانية الله
او صفاته من الكتب المنزلة وغير ذلك وسميت اية القرآن بها لانها
علامة لانقطاع كلام عن كلام وانفصاله وقيل سميت اية لانها جماعة
حروف من القرآن فطايفة من الكلام كما يقال خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الاصطحاب اجتماع مع طول اللبث
واولئك مبتدا ويجوز ان يكون عطف بيان او بدلا فيكون اصحاب
خبرا عن والذين وهم فيها خبر ثان او تفسير ولا يتمسك الحشوية في هذه
القصة على عدم عصمة الانبيا عليهم السلام لان مبناه على ان يكون
ادم عليه السلام نبيا وان يكون النهي تكليفا وان لا تكون التوبة
الا عن معصية وكل منها غير مسلم واما ما قيل انه اخطا في اجتهاده
حيث ظن ان الاشارة لعين تلك الشجرة فاكل غيرها من ذلك النوع وكان
الاشارة الى النوع فمردود بقوله وما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاية
لانه صريح في انه كان الازلال في المنهي عنه يا بني اسرائيل انتظامه بختم قصة
ادم عليه السلام انه وعد متبع للهدى بالجنة واوعد مخالفه بالنار
وحثهم في هذه الاية على الوفا بعهده وهو الايمان به والطاعة ليوفي
بعهدهم وهو ادخال الجنة والخطاب لاولاد يعقوب عليه السلام فان اسرائيل
لقبه ومعناه بالعبرانية صفوة الله وقيل عبد الله ولم ينصرف للعجمة
والعلمية واصل بني بنين وهو جمع ابن سقطت نونه للاضافة والبنون

يطلق على الذكور والاناث من الاولاد اذا اجتمعوا والابنا عن البنا وهو وضع
الشي على الشي شبه الاب بالاس والابن بما بني عليه اذكروا نعمتي امر من الذكر
هو مضموم الذال وهو بالقلب خاصة فالمراد الحفظ على الشي الذي يضاد النسيان
امر بذكر النعمة وكان المطلوب القيام بشكرها ايما الى انها من النعم الجسام التي
لا ما نع للعاقل من القيام بشكرها الا الغفلة عنها واختير تحريك اليا في نعمتي
لانه تقتضيه الالف واللام فلم يكن بد من اسقاطها او تحريكها وكان التحريك
اولى لانه ادل على الاصل واشكر بما يلزم اللام في الاستيناف من قلع الوصل
واسكان اليا في قوله يا عبادي الذين اسرفوا اجود لان من حق اليا الاضافة
ان لا تثبت في الندا واذا لم تثبت فلا طريق الى تحريكها التي انعمت عليكم من
السابقة واللاحقة والظاهرة والباطنة والنعمة اسم للشي المنعم به
اضافها الى ذاته اولا ثم اسندها اليه تعظيما لها ثم قيدها بهم هدالهم و
وحثا لطباعهم المجبولة على حبها على القيام بشكرها واما ما قيل لان الانسان
غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله تعالى على غيره حمله الغيرة والحسد
على الكفران والسخط فانما يصلح وجها لعدم تقييدها بغيرهم وهو بمعزل
عن هذا المقام لما عرفت ان المطلوب القيام بالشكر لا مجرد الذكر واوفوا بعهدي
الوفا مراعاة العهد والغدر تضييعه كما ان الانجاز مراعات الوعد والخلف
تضييعه فالوفا والانجاز في الفعل كالصدق في القول والغدر والخلف
كالكذب فيه واوفى ابلغ من وفى كما ان اسقى ابلغ من سقى والعهد به وسمي
الموثق عهدا للزوم مراعاته يضاف الى المعاهد وههنا اضيف الى المفعول
اي اوفوا بعهدي في ان لا تؤثروا على غيري اوف بعهدكم في ان لا امنع فيكم
خيري ابقاؤه تعالى بعهدكم هو ترتيب انجازما وعدهم على ذلك وانما
سماه عهدا على سبيل المقابلة ابرزهم في صورة المشروط الملتزم به والخبر
ام اوف على جواب الامر وهل ضمن الامر معنى الشرط فالجزم او نايب عن
الشرط اذا حذفت جملته قولان ويجوز ان يكون اضافته في الاول
الى الفاعل اي اوفوا بعهدي الذي قبلتم يوم الميثاق اوف بعهدكم
الذي ضمنت لكم يوم التلاق وقيل هو ما اخذ عليهم من العهد في كتابهم
بالايمان برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه واياي فارهبون من
باب الاضمار على شريطة التفسير كقولك زيدا رهبته والفا تتقدير
الشرط اي واياي ارهبوا ان كنتم رهبتم شيا فارهبون وهو اوكد في
افادة التخصيص من اياك نعبد لتكرر الرهبة مضمرة ومظهرة
وايقاعها على المفعول مرتين مع التقديم في الاولى واخراج الكلام على
الجملة الشرطية والرهبة خوف مع تحرز واضطراب ولتضمنه الاحتراز

اختيرون على الخوف لان المقام مقام الحث على التحرز عن نقض العهد وحذف
اليا من فارهبون لدلالة الكثرة عليه وكون الواصل كالفواصل في **وآمنوا بما**
انزلت اي بالقرآن الذي انزلته على محمد عليه السلام **مصدقا لما معكم** من
الكتب الالهية حيث نزل حسب ما نعت فيها حال وذو الحال الضمير في انزلت
او الموصول ويحتمل ان تكون ما مصدرية والتقدير آمنوا بانزال مصدقا
لما معكم وفيه تنبيه على انه لا منافاة بين ما اتى به الانبيا عليهم السلام
من اصول العبادات وانما الاختلاف بينهم في جزئيات الاحكام وفروعها
كفا ما يقتضيه مصلحة كل قوم وزمان فكل مصدق للآخر فيما اتى
به من حيث ان كليات شرايعهم متساوية وان فروعها حق بحسب الاقتضا
الى زمان كل واحد منهم وامته حتى لو كان احدهم في زمن الآخر لراعى المصلحة
التي اتى بها الآخر واما قوله عليه السلام لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي فليس
وجهه هنا بل كونه عليه السلام مبعوثا لكافة الناس فلا يسع من في زمنه كائنا
من كان الا اتباعه بخلاف ساير الانبيا عليهم السلام **ولا تكونوا اول كافر به**
لا مفهوم هنا لقوله اول فيكون قد ابيح لهم ثانيا او آخرا وانما ذكرت الاولية
لانها افحش لما فيه من الابتدا بالكفر لان المعنى لا تكونوا ائمة في الكفر فيقتدى
بكم اتباعكم فتكونوا حاملين اوزاركم واوزارهم كما قال الله تعالى ليحملوا
اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم فلا
يرد من القيد المذكور لافادته واضيف الى مفرد وان كان قبله جمع لان
المفرد اذا كان صفة جاز ان يطابق وان يتفرد وقد جا ذلك في قوله
واذا هم طعموا فالام طاعم واذا هم جاعوا فشر جياع افرد في طاعم وطابق
في جياع وتاوله النحاة فقدره الفرا الام من طعم وقدره غيره الام
فريق طاعم والضمير في به للمنزل او المنزل عليه ويجوز ان يكون
لما معهم فان فيه تعالى فالكفر به كفر لما يصدقه على هذا ايضا لا يكون
القيد المذكور على ظاهره لان مشركي العرب سبقوهم اليه هذا بحسب
جليل النظر واما الذي بحسب دقيقه فهو انه انما وحد الخبر عن ضمير
الجمع لانحكمهم استبان لتناديهم واتفاقهم على دين واحد واتحادهم
لذلك ولا لغة فيما بينهم كان حكما واحدا فكانهم شخص واحد وعلى هذا
ورد قوله تعالى فقولا انا رسول رب العالمين واول افعل ولا فعل له
ووزنه افعل واصله وول واول واول واوال **ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا**
استعير الاشترا للاستبدال والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في
قومهم فاستبدلوها بايات لانهم خافوا فواتها لو آمنوا بمحمد عليه السلام
وصدقوا بكتابه وانما قللها بالنسبة الى الحق الذي كل كثير بالنسبة اليه
قليل والهدى الذي كل كثير بالنسبة بالنسبة اليه حقير فكيف بالمتاع

الدون اليسير فلا مفهوم لقوله قليلا بل فيه التنبيه على خساسة
انفسهم ان يبذلون الشي العظيم في تحصيل الشي الحقير وانما اوثر الثمن
على الشي مع انه ابلغ في الحقارة للتنبيه على ان الحظوظ الدنيوية وسايل
لا مقاصد والنعي على تعاكس احوالهم وافعالهم حيث جعلوا الثمن ثمنا
والثمن مثمنا وفي كلمة البا والاستعارة السابق ذكرها وجه تقوية
لهذا المعنى **واياي فاتقون** باتباع الحق والاعراض عن الباطل فعلت الآية
الاولى بالرهبة لان التحذير فيها عن الكفران ونقض العهد وهما من المعاصي
وهذه الآية بالاتقاء وهو فرط الصيانة لان التحذير فيها عن الكفر عقلا
وعملا ولان التقوى فوق الرهبة فحيث ما خاطب العامة عاملهم
ومقلدهم وحثهم على شكر النعمة التي يشتركون فيه امرهم بالرهبة
التي هي من مبادي التقوى وحيث خاطب العلما منهم خاصة
وحثهم على مراعاة آياته والتنبيه على ما اتى به اولو العزم من الرسل
امرهم بالتقوى التي هي منتهى الطاعة **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف
على ما قبله واللبس والستر اخوان وضد الستر الكشف وضد اللبس
الايضاح واللباس ما واريت به جسدك ومن جملته اسبابه الخلط
وقد تقدم الكلام في الحق واما الباطل فهما لا ثبات له عند الفحص عنه
والحق يناقضه وذلك عام في الاعتقاد والمقال والفعال والباء للصلة
معناها الالصاق اي لا تخلطوا الحق بالباطل بان تكتبوا في التوراة
ما ليس منها او للاستعانة اي لا تجعلوا ملتبسا بسبب الباطل الذي
يكتبونه فلا ينظر الى معنى الاختلاط كما لا ينظر في الاول الى معنى الاشتباه
وتكتموا الحق بان تقولوا ليس وصف محمد عليه السلام وهذا الحكم
في التوراة فليس المراد من الحق في الموضعين شيا واحدا وتكتموا جزم
داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى
الجمع وحقيقته لا يكن منكم لبس الحق وكتمان الحق والقصد الى ان ينفي
عنهم سو فعلهم الذي هو الجمع بين امرين كل منهما مستقل بالقبح ووجوب
الانتها عنه ويجوز ان يكون المراد من الحق في الموضعين واحدا ويكون
اراده صريح الحق دون ضميره لانهم يكررون اسما الاجناس والاعلام
كثيرا ولا سيما اذا قصد التفخيم صرح به الامام المرزوقي والشيخ
عبد القاهر وعلى هذا ورد قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وقوله قل
هو الله احد الله الصمد ويجوز ان يكون النهي عن الجمع لان الخلط بالباطل
قد يكون لترويج الحق واسماعه فان اسماع العوام يمجون عن الحق الصرف
لانه مر فيخلط بالباطل الحلو لئلا ينفر عنه طبع السامع ليس مما ينكر كل
الانكار فان الضرر اليسير قد يتحمل للنفع الكثير ومثل هذه الرخصة ترغيبا

للمخاطب الى الاستماع من مقتضيات البلاغة وموجبات الخطاب الاثري قوله
تعالى وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين كيف سرد فيه المقال على ابهام الحال
واظهار التردد فيه توسعة لدائرة الاحتمال به وفي مصحف ابن مسعود تتلون
وهو في موضع الرفع على حذف المبتدا اي وانتم تتلون وانتم تعلمون في محل النصب
بالحال اي في حال علمكم بذلك وبقبحه وانما قيد به لان الجاهل ربما يعتذر ويحمل
عذرا فعلى هذا يكون الحذف اقتصارا ورعاية للفاصلة ويجوز ان يكون
اقتصارا اي وانتم من ذوي العلم ولا يناسب من كان عالما ان يكتم الحق ويلبسه
بالباطل ففيه تعيير لهم بانهم يفعلون فعل الجهلاء وتذكير لما فيهم من صفة
العلم وحث على العمل بمقتضاه وذلك ادخل في قبول الحق واسمع من التوبيخات
الشديدة واقيموا الصلاة واتوا الزكاة التعريف فيهما للعهد والاشارة
الى الصلاة المعلومة والزكاة المعينة او للجنس كقولهم هو الرجل كان ما عدا
صلوة المسلمين ليس بصلاة وكذا الزكاة لكونهما منه مقبولتين والزكاة من
زكى الزرع اي نمى فانها تنمي المال باستجلاب بركة الله تعالى امرهم بفروع الايمان
بعد ما امرهم باصوله فيحتمل ان يكون الامر الثاني مشروطا بالامتثال
بالاول فلا تكون الاية حجة على المنكرين لكون الكفار مخاطبين بالفروع
واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ
بسبع وعشرين درجة لما فيها من فضيلة المشقة وفضيلة الانتظار وقد تقرر
في موضعه ان من ادرك الامام في الركوع فقد ادرك فضيلة الجماعة والادراك
فيما قبله ليس بشرط ولا عبرة للادراك فيما بعده وهذا هو السر في تخصيص الركوع
بالذكر وايثار عبارة مع عبارة في واما الاحتراز عن صلاة اليهود فلا حاجة
اليه بعد ما اريد من الصلاة فيما تقدم صلاة المسلمين واصل الركوع الانحناء
قال صاحب العين كل شيء ينكب بوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمس
بعد ان يطاطئ راسه فهو راكع اتأمرون الناس بالبر اعتراض والبر التوسع
في افعال الخير واشتقاقه من البر الذي هو الفضاء الواسع دينا وكل معروف
وتنسون انفسكم وتتركونها من البر والنسيان يجيء بمعنى الترك ومنه
النسي وهو ما يسقط في منازل المرتحلين من رذال امتعتهم والهمزة للتقرير معناه
ان الامر الذي ورد عليه الاستفهام مكشوف لا يمكن للمخاطب انكاره فانه ملجئ
الى القرار والتعجب من حالهم والتوبيخ على الجمع بين الامر بالبر وتركه في حق انفسهم
روي انها نزلت في احبار اليهود كانوا يأمرون سرا من نصحوه ولا يتبعونه هم
وانتم تتلون الكتاب يعني التورية تبكيت بالحجة كقوله وانتم تعلمون
وفي عبارة التلاوة اشارة الى وضوح ما في التورية من النهي عن هذا الوصف
الذميم بحيث يقف عليه كل من يتلوه من اهل اللسان والتلاوة اتباع اللفظ
سوا اتدبر المعنى او لا وفي الاية التحريض على تقديم العمل على القول والوعيد على

مخالفة

33

مخالفة القول العمل والنعي على من يعظ الغير ولا يعظ نفسه وكان المنكر تركهم
انفسهم لا امرهم غيرهم بالمعروف الا انه بدأ بالنعي به ايماء الى ان ذلك النزل
بلغ في الشناعة غاية تخرج ما يقارنه من الفعل المندوب الى حيز المستنكر وفيه
من المبالغة في الانكار على سوء صنعهم ما لا يخفى افلا تعقلون توبيخ عظيم
بالهمزة وتوسيط الفاء اي اتغفلون ذلك فلا تعقلون كانكم مسلوبوا
العقل فلا تفطنون بقبح ما ترتكبون فتنتهون والعقل اصله المنع الشديد
ومنه عقل البعير لمنعه اباه من النسور ومنه العقل للدية لانها تمنع ولي
المقتول عن قتل الجاني وفي ايثار نفي العقل على نفي العلم نوع تاديب فان

مناه

يعني ان المحتاج اليه في ادراكه عند التلاوة انما هو العقل الجلي لا الادراك
المكتسب ولا دلالة فيه على ان قبح هذه الاشياء عقلي بل دلالة على
انه سمعي حيث رتب التوبيخ على ما صدر عنهم بعد تلاوة الكتاب
والفاء للعطف كان الاصل تقديمها لكن الهمزة لها صدر الكلام فتقدم على
الفاء وحكم الواو وثم في نحو او لم يسيروا واثم اذا ما وقع حكم الفاء واستعينوا
اي اطلبوا المعونة في دفع المكاره وجلب المنافع فالاختصار للتعميم بالصبر
وهو حبس النفس على ما يكره وفيه الاستعانة بالصبر لعدم تكاليف
عظيمة يشق التزامها على من يالفها والصلاة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا احزنه امر فزع الى الصلاة وهي ارفع منزلة من الصبر
لانها تجمع ضروبا من الصبر اذ هي حبس الحواس على العبادة وحبس
الخواطر والافكار على الطاعة بل يقول الامر بالصبر تمهيد للامر بالصلاة
فان مرجع الجمع بينهما ان يصلوا صابرين على تكاليف الصلاة و
يتحملون مشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب بدفع الوسواس
ومراعات الاداب ولهذا قال وانها وخص برد الضمير اليها دون
الصبر ولولا ذكر الصبر تمهيد لكان حق الصلاة ان يعاد فيه حرف الباء
الدالة على اعادتها على الاصالة والجملة اعتراضية وقيل الصبر
الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل شهر رمضان وعلى هذا
رد الضمير الى الصلاة ليس بطريق التخصيص بل بطريق الاكتفاء
بالاعم او الاقدم كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها وقوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
فان الكناية في احدهما رد الى الفضة لانها الاغلب والاعم وفي الاخر
الى التجارة لانها افضل واهم لكبيرة من كبر بمعنى عظم تمثيل وتصوير بمعنى
ثقلها وكونها شاقة على غير الخاشعين لان من كبر بمعنى ثقل وشق
حقيقة او مجازا الا على الخاشعين يعني لا تهون على احد الا على الخاشعين
لانه استثناء مفرغ من كلام موجب فلا بد من تاويل النفي والخشوع هو

هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع وفيه اشارة الى ان الصلاة التي تخف على غير الخاشع اكثر لما جاء في الخبر ان اكثر الاعمال ثوابا اشقها قلنا لا يلزم ذلك لان مفهوم الخبر ان الاعمال المتساوية في استعمال الاركان والشرائط وساير ما يجب رعايته او تستحب اكثرها اشقها **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم** لما كانت الملاقاة متعذرة الحمل على الحقيقة جعلت كناية عن رؤيته تعالى والوجه فيما يروى في الاخبار لقي الله تعالى وهو عليه غضبان والظن بمعنى العلم ويعضده ان في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه يعلمون ولا يبعد عنه الحمل على التضمين الا عند قيام القرينة اللفظية وهي ذكر ما يتعلق بالمضمون وهي مفقودة ههنا وفي عبارة الظن اشارة الى انه يكفي في حصول الخشوع الذي يزول به ثقل الصلاة ادنى مراتب الاعتقاد بملاقاته تعالى وقيل المراد ملاقاة ثوابه وح يكون الظن بمعنى التوقع لانه وان علم انه لا بد من ثواب او عقاب لكن من اين يعلم ما يختم به عمله فلا بد من صرف الظن عن معنى العلم الى معنى التوقع الا ان لزم له ويأباه قوله **وانهم اليه راجعون** اي الى مشيئته ومحكومه يوم العرض والسؤال اذ لا يناسبه معنى التوقع وتقديره لما احتيج الى خلاف الظاهر وانما ثقل على غيرهم لانهم لم يعتقدوا بالجزاء ولم يرجوا الثواب فكانت في حقهم مشقة خالصة ولم تثقل عليهم لانهم اعتقدوا بلقاء الجزاء وتوقعوا ما ادخر للصابرين على متاعبها فتروا لها برغبة ونشاط وانشراح صدر واستلذوا بها ومن ثمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** تكرير لتمهيد التذكير بنعمة التفضيل وقد جاء تفصيلها في قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وذكر كذلك النعمة على الآباء الزام الشكر على الابناء لانهم يتشرفون بشرفهم ولذلك قال **واني فضلتكم** ولم يقل فضلت اباكم والفضل الزيادة في الخير والجملة في محل النصب معطوفة على معنى ما تقدم ايما اي انعمت عليكم واني فضلتكم **على العالمين** الظاهر هو الاستغراق وقد خرج الحجر النص بقوله وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ولا حاجة الى الصرف الى الاستغراق العرفي بقرينة ان المتبادر من الوجود المعتبر في مفهوم العالم الوجود بالفعل لعدم الدلالة فيه على التفضيل من كل جهة عموما ولا من جهة القرب والمكانة عند الله تعالى خصوصا ولذلك لم يكن فيه متمسكا لمن فضل البشر على الملك

و

واتقوا يوما يريد يوم القيامة وعظمه بالتنكير ثم بالتوصيف والمقصود بيان كون ذلك معيار التجاوز بحيث لا يكون ان من اتاه خاليا عن الخوف وهذا يجعل نفس اليوم مخوفا لا امن قبله **لا تجزي نفس عن نفس شيئا** اي لا تقضي نفس من النفوس عن نفس اي عن نفس كانت حقا من الحقوق وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع المصدر اي قليلا من الجزاء وعلى قراءة لا تجزي من اجزأ عنه اذا اغنى عنه لا يكون الا بمعنى شيئا من الاجزاء والجملة في محل النصب صفة ليوما والعائد محذوف اي لا تجزي فيه وهل الحذف بتدريج ام حذف برمته ابتداء قولان **ولا تقبل منها شفاعة** اي اية شفاعة كانت والضمير في منها راجع الى النفس الثانية العاصية اي ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى الاولى اي لا تجزي عنها شيئا وان شفعت لها لا يقبل وقس على هذا قوله **ولا يؤخذ منها عدل** والعدل الفدية لانها تعادل المفدى والشفاعة من الشفع كأن الجاني كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه وضمير الجمع في **ولا هم ينصرون** يرجع الى ما دلت عليه النفس المنكرة في سياق النفي الدالة على العموم والتذكير بمعنى العباد والاناسي والنصر اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر وانما عدل عن الجملة الفعلية المعطوفة على اخواتها الى الاسمية للدلالة على الدوام والوضع اي ولا هم ينصرون دائما ما داموا هم وفيه ايماء الى انه ينصر غيرهم وانما قطع الاقناط الكلي لان اليهود كانوا يزعمون ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم ولما كان الخطاب لليهود كان تقديره لا تجزي نفس منكم عن نفس منكم فلا دلالة فيه على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة مطلقا او كانه اريد بالاية نفي ان يرفع العذاب عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون باعطاء شيء او بغيره فان كان الاول فاما ان يكون باداء ما كان عليه وهو الجزاء او غيره وهو الفدية فان كان الثاني فاما ان يكون على سبيل العطف وهو الشفاعة او على سبيل القهر وهو النصرة وانما العدول عن الترتيب الذي هو مقتضى هذا التقسيم اختيار الاسلوب الترقي كانه قيل النفس الاولى غير قادرة على استخلاص صاحبتها بقضاء الواجب وتدارك التبعات لانها مشتغلة بتبعته بشانها كما افصح عنه قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ثم ان قدرت على السعي ما مثل الشفاعة فلا يقبل منها وان زادت عليها بان يضم الفداء فلا يؤخذ منها وان حاولت الخلاص بالقهر والغلبة واني لها ذلك فلا يتمكن منه فالترقي من السعي الى السعي **واذ نجيناكم** اذ نصب باذكروا والتنجية التخليص من مكروه وشدة ومثله

الانجا قيل معني نجيناكم القيناكم علي نجوة من الارض وهي ما ارتفع منه هذا هو
الاصل ثم سمي كل فائز ناجيا فالناجي من خرج من ضيق الي سعة ومعناه
خلصنا اباكم وجعل ذلك نعمة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم ومن عادة العرب
هذا يقولون قتلناكم يوم عكاظ اي قتلنا اباءكم وقري نجيتكم
فوافق الضمير ضمير نعمتي وعطفه عليه كعطف جبرائيل وميكائيل عليهما
السلام علي الملائكة او تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم والتفصيل لا يلزم ان يكون علي وجه الاستيعاب بل قد يكتفي فيه
بذكر المعظمات **من آل فرعون** اصل آل اهل لان تصغيره اهيل فابدلت
هاؤها الفا وخص بالاضافة الي اعلام الناطقين دون النكرات
والامكنة والازمنة والصناعات وفرعون علم شخص يسمي به كل من
ملك العمالقة وهم جبابرة مصر وصفا ابتدائيا دل علي ذلك منع صرفه
وجمعه باعتبار الافراد كقيصر لملك الروم وكسري لملك فارس
ولشهرة الفراعنة بالعتو اشتق منه تفرعن اذا اعتاد تجبر وآله قومه
المناكبون له وحقيقته الاهل الذين يؤول امرهم اليه في نسبة او صحبة
يسومونكم حال من آل فرعون او استئناف حكاية حال والسوم اصله
الذهاب في ابتغاء الشي فهو لفظ مفرد بمعني مركب من الذهاب والابتغا
فاجري مجري الذهاب في قولهم سامت الابل فهي سائمة ومجري الابتغا
في قولهم سمته كذا ومنه السوم في البيع **سوء العذاب** نصب علي المفعول
ليسومونكم والسوء مصدر ساء اي قبح ومعني سوء العذاب مع ان نفسه
سيء اقبحه وافظعه **يذبحون ابناءكم** استئناف او حال من ضمير الفاعل في
يسومونكم او بدل منه او معطوفة عليه حذف منها حرف العطف ويؤيده
ثبوته في سورة ابراهيم عليه السلام **ويستحيون نساءكم** الاستحياء استفعال
من الحياة ان يبقون بناتكم للخدمة سمين بما يؤول اليه امرهن ولما في صيغة
الاستفعال من الدلالة علي ان ابقاءهن كان لمصلحتهم كان المذكور من جملة
الشدائد **وفي ذلكم بلاء** البلاء هو الاختبار ويكون بالشر ليصبروا او ليشكروا
محنة وبالخير ليشكروا فيكون منحة وكلاهما محتمل هاهنا بحسب اختلاف
المشار اليه ان يكون مصدر انجيناكم او مصدر يسومون ويذبحون
ويستحيون والاول وفق بقوله **من ربكم** والبق باصل المقام فانه
لتعديد النعم والثاني الیق بمقام تفصيل المحن والانسب للتذييل
بهذه الجملة الاعتراضية **عظيم** صفة بلاء وفيما ذكر من المبالغة والتاكيد
بالاجمال والتفصيل والتسجيل بان الذبح المذكور اشد العذاب وافظعه
ما لا يخفي ولهذا ذيله بالاعتراض تاكيدا وتقوية له **واذ فرقنا** الفرق
والفلق اخو الفصل لكن الفلق لا يكون الا بين جسمين والفرق يكون

فيهما

فيهما وفي المعاني وقري فرقنا علي بناء التكثير لان المسالك كانت اثني
عشر بعدد الاسباط والبا في **بكم** للسببية اي بسببكم وبسبب انجائكم
ولا يجوز ان تكون للملابسة اي ملتبسا بكم ولا للاستعانة اي تسلكونها
وتشق بكم كما يشق الشي بالسكين عند قطعه لان قوله تعالي اذ اضرب
بعصاك البحر فانفلق صريح في انفصال البحر بعضه عن بعض وحصول المسالك
كان بضرب العصا قبل الحث هي في السلوك فان في الفا الفصيحة في قوله
فانفلق دلالة علي عدم تراخي الانفلاق عن الضرب **البحر** هذا البحر كان
قريبا من مصر فرعون موسي عليه السلام يقال له اساف ويسمي اليوم
بحر القلزم **فانجيناكم** من خطر عبور البحر واخرجناكم من ضيق مسالكه
الي سعة البر وهذه الفا ايضا فصيحة **واغرقنا** غرق في الماء من حد علم اي
رسب فيه فهو غرق واذا كان لم يمت بعد فاذا مات فهو غريق وجمعه الغرقى
آل فرعون اتباعه فهو اول الغرق واولى به فكانه غرقه معلوما دلالة
وفيها في العدول من ضميرا الي المظهر من التنبيه علي ان السبب لذلك الحال
كونهم اتباعه نوع تانيب لتلك الدلالة **وانتم تنظرون** تقلبون ابصاركم
في الجهات نظر المبهوت افجاه خطب او تنظرون وما يفعلون باعدائكم
فعلي الاول يكون النظر بمعني طلب الابصار وعلي الثاني بمعني الانتظار
روي انه تعالي امر موسي عليه السلام ان سري ببني اسرائيل فاتبعهم
فرعون وجنوده مشرقين فلما تراءي الجمعان وهم علي شاطي البحر اوحي الله
تعالي ان اضرب بعصاك البحر فضرب فظهر فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها حتي جاوزوا البحر ثم وصل اليه فرعون وراءه
فتقلقا انفتح فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين
واذ واعدنا موسي اربعين ليلة الوعد هو الترجية بالخير وعد الله
تعالي موسي عليه السلام بعد هلاك فرعون ان ينزل عليه كتابا
يستمعون اليه ويتمسكون به وعين له ميقاتا ذا القعدة وعشر
ذي الحجة وانما عبر عنه بالليالي لانها غرر الشهور وانتصاب اربعين
علي المفعول به اذ هي الموعودة علي الاتساع والمفهوم الزمان
يجعل لكون شرط الموعود موعودا ولا يجوز نصبه علي الظرف
لانه معدود فيلزم ان يكون وقوع العامل في كل فرد فرد منها
وليس كذلك وقري واعدنا وقال الزجاج هذا جيد لان الطاعة
في القبول بمنزلة المواعدة فمن الله تعالي وعد ومن موسي عليه
السلام قبول وموسي اسم عجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف روي
ان القبط يقولون للماء مو وللشجر سا فلما وجد موسي عليه السلام
في التابوت عند ماء وشجر سمي موسي **ثم اتخذتم العجل** اي اتخذتموه

اليها وحذف المفعول الثاني للعلم به لسماحة ذكره وفيه تفظيع لشانه حيث
ترك تظهرا اي جعلتموه لانفسكم معبودا ونسب الاتخاذ الى جميعهم مع
انه كان بعضهم لم يتخذه ولم يرض به لان القبيلة قد تذم وتمدح بما وقع
في بعضها وفيه تنبيه على زيادة القبح في ذلك الاتخاذ حتى خرج الكبر
مخرج الذم بمقارنته المباشرة والتعريف في العجل للعهد والمعهود ما ذكر في
قوله تعالى عجلا جسدا له خوار وثم للبعد بين مشاهدة النعم المذكورة
واتخاذ العجل معبودا لان معنى التراخي قد فهم من قوله من بعده الضمير
لموسى عليه السلام والمعنى بعد غيبته وهي بالمضي الى الطور وانتم
ظالمون اخبار بان سجيتهم الظلم يرشد الى هذا قوله في موضع
اخر اتخذوه وكانوا ظالمين والاتخاذ المذكور يدل على انهم مجسمة
او حلولية ثم عفونا اي تجاوزنا عنكم حين تبتم فان قلت انهم عوقبوا
بالقتل على ما ياتي عن قريب فما معنى العفو قلت العفو قد يكون
قبل العقوبة وقد يكون بعدها بخلاف الغفران فانه لا يكون معه
عقوبة البتة على ان العقوبة كانت لبعضهم واصل العفو المحو من
عفت الريح الاثر اذا ذهبت به لا من عفى المنزل اذا درس فانه متعد
ولا يتعدى وثم للبعد فان العفو بعد ارتكابهم ما هو الموجب لاشد
العذاب في غاية البعد وذلك في قوله من بعد ذلك لتعظيم الشر
اي عفونا من ذلك الامر العظيم البعيد عن العفو لعلكم تشكرون
نعمة العفو ومعنى الشكر في اللغة عرفان الاحسان بالجنان ونشره
باللسان وتفسيره لعل بكي مردود بان جمهور ائمة اللغة اقتصروا في
بيان معناها الحقيقي على الترجي والاشفاق وعدم صلوحه المجرد هو
معنى العلية والترضية بما وقع عليه الاتفاق الا يرى تقول دخلت
على المريض كي اعوده ولا حذف الحاكي شربه ولا يصح لعل وحملها
على الارادة انما يصح على اصل الاعتزال واما على اصل اهل الحق فلا
صحة له لان ارادته تعالى تستلزم الوقوع عندهم ولم يقع فلا
بد من الحمل على كونهم في صورة من يرجى منه الشكر وان لم يتعلق به
الارادة واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان الواو بينهما هي التي
توسط بين الصفات المفيدة كون الموصوف جامعا لها اي الشيء الجامع
بين كونه كتابا منزلا من عند الله تعالى وبين كونه فرقانا بين
الحق والباطل وهو التورية وفي توصيفه بالكتاب في مقام المدح اشارة
الى ان نزوله من السما مكتوبا وحمل الفرقان على النصر الذي فرق بينه
وبين وعده كما في قوله تعالى يوم الفرقان بمعنى يوم بدر لا يناسبه
قوله لعلكم تهتدون باتباع ذلك الكتاب المنزل والعمل بما فيه

قال تعالى انا انزلنا التورية فيها هدى ونور واذ قال موسى لقومه القوم
اسم جمع لا واحد له من لفظه ويختص بالرجال يا قوم المنادى اذا اضيف
الى نفسك جاز فيه حذف الياء واثباتها كما في قوله تعالى يا عبادي الذين
اسرفوا وفتحها كما في قراءة من فتح الياء والاجود الاكتفاء بالكسرة انكم ظلمتم
انفسكم باتخاذكم العجل اي ضررتم انفسكم بايجاب العقوبة عليها
او نقصتموها ثواب الاقامة على عهدي فان الظلم في اللغة النقص وفي
العرف الضرر الخالي عن نفع يزيد عليه ودفع مضرة اعظم منه وظلم
الانسان نفسه اخس من ظلمه غيرها فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا
انفسكم الفاء الاولى للسببية لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب فان
كانت توبتهم نفس القتل فقوله فاقتلوا انفسكم تفسير وتفصيل لقوله فتوبوا ولا
حاجة الى تقدير العزم وان كانت تتمة التوبة وسبب قبولها فمعناه
توبوا فاتبعوا التوبة بالقتل تتمة لها والتعدية بالى لما في التوبة من معنى
الرجوع وخص البارئ بالذكر من سائر اسمائه لان البارئ هو الذي خلقهم
بريا من التفاوت في النوع والتشابه في الشخص وذلك من عجيب حكمته
وبديع قدرته فعبرهم عن تركهم عبادة من هذا شانه الى عبادة ما هو مثل
في الغباوة حتى عرضوا انفسهم لسخطه فناسب خلعهم وجمع بينهم باللطف
قتلهم وذلك تركيبهم بالقتل حيث نفا بلا النفس فمنا هي هذه البنية
الانسانية والقتل هو ازهاق الروح وحمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر
وهو البخع اي قتل احد نفسه ويجوز ان يكون على النحو يحمل المقتول
نفس القاتل لما بينهما من التعلق والاتحاد في الاعتقاد وقيل امروا ان يقتل
بعضهم بالسيف بعضا وقيل من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة ذلكم خير لكم
اي ذلك القتل والرجوع انفع لكم من الحيوة بالاصرار المؤدي الى العذاب
المخلد في النار ولما كان ظهور نفعه في الاخرة بالحيوة الابدية والبهجة
السرمدية نبه عليه بقوله عند بارئكم واعاد ذكر بارئكم كاعادة الحق
في قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل فتاب عليكم اخبار بالتوبة
وعطف على محذوف اي فامتثلتم ذلك فتاب عليكم وههنا في
الجملتان تحت الاضافة الى الظرف الذي تقدم والالتفات من الغيبة
الى الخطاب حيث عبر عنهم بطريق الغيبة بلفظ قومه واما اندراجه
تحت قول موسى عليه السلام على تقدير شرط محذوف اي ان فعلتم
فقد ان دخول الفاء الجزائية على الماضي المتصرف من غير قد جائز
واضمارها ضعيف وحذف فعل الشرط واداته معا وابقاء الجواب مما
تنوزع في صحته انه هو التواب الرحيم المبالغة في الوصف الاول
لكثرة توفيقه تعالى الى التوبة وقبولها مرة بعد اخرى والمبالغة في الوصف

الثاني لعدم الاستحقاق لغاية العفو والاهمال الى زمان التوبة بدا وعودا
واذ قلتم يا موسى تعدد عليهم ما صدر عنهم من سوء الاقتراح في
ندائهم موسى كليم الله باسمه دليل على سوء ادبهم معه وقد تكرر ذلك منهم لن
نؤمن لك تعدية الايمان باللام باعتبار تضمنه معنى الوثوق وما قيل
اي لاجل قولك يأباه قوله حتى نرى الله لان عدم ايمانهم لاجل قوله لا
ينتهي عند رؤيته تعالى بل يستمر والروية بصرية واكدت بقوله جهرة
اي غير مستتر عنا بشي مبالغة في الابصار وانتصب على المصدرية لانها
نوع من الروية او على الحال بمعنى ذوي جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر
كالغلبة واما جمع جاهر واوجه الاوجه هو ان يكون بمعنى جهرة لان كل
اسم كان ثانيه من حروف الحلق يجوز تحريكه قياسا مطردا كبحر بحر
ونهر نهر والاصل في هذا التركيب التوافق والجهر حقيقة في ظهور الشي
بافراط صورة كان او غيرها والقائلون هم النقباء السبعون الذين خرج بهم
موسى عليه السلام الى الطور وقيل عشرة الاف منهم والمؤمن به
ان هذا كتاب الله تعالى وانك سمعت كلامه وانه امرنا بقوله والعمل به
فاخذتكم الصاعقة لا لاستحالة السوال بل لانهم لم يسألوا الرسول استرشادا
بل سالوا تعنتا واساؤوا الادب في السوال حيث قالوا لن نؤمن لك
والصاعقة كل امر هائل مميت او مزيل للعقل والفهم غالبا والمراد بها
الصيحة الهائلة الحاصلة بالرجفة بقوله تعالى في سورة الاعراف
فاخذتهم الرجفة فاصلها الاضطراب فصعقوا واصعقوا ميتين يوما وليلة
وانتم تنظرون دل هذا على انها جاءتهم معاينة بالنهار وهم ايقاظ
يبصرونها وذلك افظع واشد وقعا اثارة البارك والنائم من
مكانه ونشر الميت كبعث النائم فالتقييد بقوله من بعد موتكم
اي بسبب الصاعقة لتعيين المراد ودفع الاشتباه لعلكم تشكرون
نعمة البعث او نعمة الهداية بعد الضلالة وظللنا عليكم الغمام اي
وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير
بسيرهم يظلهم من الشمس والظل في اللغة الستر والغمام جمع غمامة
وهي ما ابيض من السحاب سمي بها لسترها فان كل ما يستر شيئا فهو غمه
وانزلنا عليكم المن هو الترنجبين وكان ينزل كهيئة الثلج من طلوع
الفجر الى طلوع الشمس والسلوى هو السماني وكانت ريح الجنوب تحشره
عليهم كلوا على ارادة القول من طيبات ما رزقناكم من المشتهيات
الحلال عن الاذى والمضرات وعن الحرمة والكراهة لان امر الاباحة
لا يتناولها وما ظلمونا عطف على مقدر اي فظلموا بكفرانهم هذه
النعمة وما ظلمونا قالوا وفصيحة ولما اخبر عن وقوع الظلم ونفي

ان

ان يصل اليه تشوقت النفس الى ذكر من وقع به الظلم واتصل به ضرره
فاستدرك ببيانه فقال ولكن كانوا انفسهم يظلمون فتقديم المفعول
للتخصيص والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي
واذ قلنا ادخلوا الدخول الانتقال من العورة الى الحصن هذه القرية هو
فوقك هذا المال وذاك الرجل تنبيها على كماله فان الشي اذا عظم امره يوصف
باسم جنسه والقرية الابنية التي هي مجتمع الناس من قولك قريت
الماء في الحوض اي جمعته والمراد بالقرية هنا بيت المقدس وقيل ايليا وهي
البلدة التي فيها بيت المقدس وقيل اريحا وهي بقرب بيت المقدس امروا به
بعد التيه وقد امروا بالدخول في الارض المقدسة مرة بعد اخرى وذكر
الامر قبل التيه دل على ذلك ما في سورة المائدة من ترتيب التيه على
عدم امتثالهم بهذا الامر فكلوا منها حيث شئتم اي اخبنا لكم ووسعنا
عليكم فتعيشوا فيها اين شئتم بلا تضييق ولا منع وذكر الاكل لانه معظم
المقصود والفاء لافادة تسبب دخولهم للاكل منها لانه كناية عن استيلائهم
عليها وهو سبب الملك المعبر عنه بالاكل رغدا واسعا نعت لمصدر محذوف
ويجوز ان يكون في موضع الحال وادخلوا الباب يعني باب القرية قال
مجاهد والسدي هو الباب الثامن من بيت المقدس يعرف اليوم بباب
حطة والامر على لسان يوشع بن نون عليه السلام فلا ينافي
عدم دخولهم بيت المقدس في حياة موسى عليه سجدا امروا بالسجود
عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا وقيل امروا بالدخول
لخشوع واخبات وقولوا حطة فعلة من الحط وهو انزال الشي
من علو وحط الذنب اسقاطه وهو كالحمل على الظهر وحط حطا
متعد وحط حطوطا لازم وهي خبر مبتدا محذوف اي مسالتنا حطة
وانما رفعت لتعطي معنى الثبات وقرئ بالنصب على الاصل على
انه مفعول قولوا وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية
ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم جواب الامر مترتب على دخول الباب
بعد السجود وقوله حطة الغفر والغفران والمغفرة الستر ومنه
الجم الغفير للجمع الكثير الذي يستر بعضه بعضا والخطايا جمع خطيئة
بمعنى الاثم يقال لخطئ اذا اثم متعمدا واخطا اذا لم يتعمد وسنزيد
المحسنين ثوابا يعني من كان خاطئا غفرنا له خطاياه ومن كان
محسنا زدناه في عطاياه ففي الكلام جمع وتفريق اما عدم الجزم
سنزيد عطفه على مجزوم فلعدوله عن صورة الجواب بدخول
السين المانعة من الجزم ونكتة الاخراج الدلالة على انه يفعل
البتة لان تلك الزيادة ان كانت عن وعد الله تعالى كانت قطعية

مما اذا كانت مسببة عن فعلهم فبدل الذين ظلموا وضع المظهر موضع
المضمر ليدل على ان التبديل ظلم او مسبب عن ظلمهم وعادتهم في وضع
الاشيا غير مواضعها وان المبدل ليس بعضهم لا كلهم قولا غير الذي قيل لهم
اي امروا بقول معناه التوبة والاستغفار وقيد لوابه قولا معناه غيره
وليس الغرض انهم امروا بلفظة معينة فجاوا بغيرها لانهم لو قالوا مكان
حطة نستغفرك ونتوب اليك او ما اشبه ذلك لم يواخذوا به ولم يعذبوا
وقيل كانوا مكان حطة حنطة استهزا واعراضا عن طلب ما عند الله
تعالى الى طلب ما اشتهت نفوسهم فانزلنا على الذين ظلموا الاظهار في
في موضع الاضمار للتنصيص على عدم تعدي العذاب عن الذين ظلموا
الى غيرهم فان منه ما يتعدى الى غير الظالم على ما دل عليه قوله تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واما الاشعار بان
الانزال عليهم بظلمهم المذكور فقد حصل من الفا الداخلة على التسبيب
فيما تقدم رجزا من السما عذابا في غاية الاشتداد خارجا عن حد
المعتاد فان النسبة الى السما للاشارة الى هذا المعنى روي انه مات
منهم بالطاعون في ساعة الواحدة اربعة وعشرون الفا وقيل
سبعون الفا وههنا وجه اخر وهو ان العذاب ضربان ضرب يحصل
بالاشيا الظاهرة فيظن انه ممكن دفاعه كالهدم والغرق وضرب
يحصل باسباب غير ظاهرة فلا يظن انه يمكن دفاعه كالطا
عون والصاعقة وقد شاع في متعارف الناس نسبة هذا الضرب
الى السما والرجز انما يطلق على العذاب الموجب للاضطراب تقال
ارتجز اذا ارتعش بما كانوا يفسقون بسبب اعتبارهم عن الطاعة
واذ استسقى موسى لقومه الاستسقا طلب السقي او الاسقاه
والسقي ان يحصل له ما يشربه والاسقا التعريض لهما وجعله له يتناوله
متى اراد فهو اخص معنى من السقي وقد دل ذلك على انهم عطشوا واشتد
حاجتهم الى الما وكان العطش في التيه ودخول الفا للتعقيب بعدها ولم يراع
الترتيب في ذكرها لان المقصود تعديد النعم والتقريع على كفرانها
نعمة نعمة على التفصيل والتوبيخ ادل على ذلك لانها لو وردت
مرتبة كانت قصة واحدة فيظن ان المراد ذكر نعمة واحدة فقلنا
اضرب بعصاك الحجر كانت عصاه من اس الجنة وله شعبتان تتقدان
في الظلمة واللام في الحجر للعهد على ما روي انه كان اهبطه ادم عليه السلام
من الجنة فدفع الى شعيب عليه السلام فاعطاه اليه مع العصا او حجرا
طوريا حمله معه او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه
الله تعالى به عما رموه بالادرة فاشار اليه جبريل عليه السلام بحمله

او

او للجنس على ما قيل لم يامر ان يضرب حجرا معينا ولكن لما قالوا كيف بنا لو
افضينا الى ارض لا حجر بها حمل حجرا في مخلاته وهذا اظهر في الحجة والاول انسب
لتعريف قرينة قال ابن عطية لا خلاف انه كان حجرا منفصلا مربعا يطرد من
كل جهة ثلاث اعين اذا ضربه موسى واذا استغنوا عن الما ورحلوا
جفت العيون واما ان يتوهم ان هذا من قبيل ما يستند الى الطبايع من
الخواص كجذب بعض الاشيا وما احللنا بهم من النكال في الدنيا بالمسخ
الاحجار الحديد وحلق بعض الشعر لانه لا يتبع الارادة والحاجة والحق
ان فتح باب امثال هذا التوجيه الباطل في خوارق العادات الصادرة
عن الانبيا اجمعين سعي في سد طريق دلالة المعجزة على صدق النبوة
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تفصح عنه الفا
الفصيحة تقديره فضرب فانفجرت ونكتة الحذف الدلالة على سرعة
الامتثال وظهور الاثر في الحال وعلى ان المقصود بالامر اثر الضرب
لا الضرب نفسه والاشارة الى ان ترتب الانفجار وان كان في الظاهر
على ضرب موسى عليه السلام لكنه في الحقيقة على امر الله تعالى به
وتعليقه عليه والفجر الشق ومنه الفاجر لانه فسق فشق عصا
المسلمين لخروجه الى الفسق والعين هي الينبوع وهي مونثة
سماعا ونصبه على التمييز وجاز اجتماع علامتي التانيث
في اثنتي عشرة لانهما في شيين قد علم كل اناس الاناس اسم جمع لا واحد
له من لفظه والمراد كل سبط من الاسباط بني اسرايل وكانوا على
عدد العيون مشربهم المشرب موضع الشرب والعلم بموضع الشرب
والحكم كناية عن عدم التجاوز عنه كما يقال فلان يعرف حده اي
لا يتجاوز وزعند في الكلام ايجاز بليغ حيث دل على سبق التعيين
والتخصيص قيل كانوا ستماية الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا
كلوا واشربوا على تقدير القول وقيل الما ينبت منه الزرع والثمار
فهو رزق يوكل منه ويشرب ولا وجه له في هذا المقام لانهم في التيه
ما ياكلون من زرع الما وثمره من رزق من المن والسلوى وما
العيون من للابتدا او للتبعيض والرزق المرزوق والاسناد
الى الله تعالى لعدم التوقف على الكسب المعتاد والا فالا
رزق كله مستند اليه تعالى خلقا وايجادا ولا تعثوا في الارض
مفسدين لما كان قد بين لهم الماكول والمشروب من غير تعب
نهوا عن الفساد فان كان ذلك قد يدعو اليه كما قال الشاعر
ان الفراغ والشباب والجده مفسدة للمرء اي مفسدة والعثي
على ما ذكر في العين اشد الفساد والفساد خروج الشي عن ان

يكون منتفعًا به وربما لا يكون منهيا بل يكون واجبا كهدم دور المشركين
وحرق زروعهم ولذلك قيد يفيد الافساد المستفاد من قوله
مفسدين فان المفسدين باشر الفساد عمدا الا من صدر عنه الفساد
مطلقا ولو سهوا وفا بين ما في مفهوم العثي من الشدة الدلالة
على ان اشد العذاب الفساد غير منهي اذا كان لمصلحة فكيف هو
الفساد في الجملة قال الراغب العيث والعثي يتقاربان نحو جذب
وجبذ الا ان العيث اكثر ما يقال فيما يدرك حسًّا والعثي فيما يدرك حكمًا
وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يعني ما رزقوا به في
التيه قيل كان ينزل عليهم المن وحده ثم ملوه فارسلت عليهم السلوى
وكان هذا الكلام منهم قبل نزول السلوى وقيل اراد بالواحد ما لا
يختلف ولا يتبدل ولو كان فيه الوان عدة **فادع لنا ربك** سله لنا بدعائك
اياه وفي معنى التربية التي هي مأخذ الرب مناسبة للمقام **يخرج لنا**
جزم على انه جواب فادع كأنهم طلبوا حصول ما طلبوه على سبيل خرق
العادة كنزول المن والسلوى ولذلك قالوا يخرج اي يظهره ولم يقولوا
ينبت وانما كرر لنا مع ان في الثاني منهما غنى عن الاول اظهارا للصلة
الدعاء النافع اهتماما في شأنه **مما تنبت الارض** من للتبعيض والانبات
مجاز لطبيعة الارض في تربية البذر ومادة النبات بتسخير الله تعالى
اياها وتدبيره وذلك امر اخر وراء ايجاده واحداث اسبابه والعمل
انما يسند حقيقة الى من باشره لا الى من خلقه واوجده فالمنبت
والمولد والمصور ونحو ذلك حقيقة المباشر باسباب هذه الاعمال
لا الباري تعالى وانما يسب اليه كنسبة القتل والقطع والكسر اليه
لكونه الممكن فيها **من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها** تفسير
وبيان وقع موقع الحال من الضمير تقديره مما تنبته كائنا من بقلها
اويدل باعادة الجار والبقل كلما يؤكل من الطعام من الخضر والفوم
الحنطة عند الاكثر وقال مجاهد الفوم الخبز يقال فوموا لنا اي
اخبزوا وقال الفراء هي لغة قديمة وقيل الثوم ولا دلالة في قراءة وثومها
عليه لان الثاء تبدل من الفاء كما قالوا مغافير ومغاثير وحذف وجدث
ولو كان المراد الثوم لكان المناسب ان يذكر بعد العدس والقثاء جمع
قثاءة وهو نوع اخر من جنس الخيار واختير صيغة الجمع هنا لفصاحتها
واما معنى الجمع فقد بطل بالتعريف لعدم مناسبة المقام قيل كان
الفوم فلا حاجة فنزعوا الى عسكرهم واشتهوا القوة **قال** اي الله
اي دعا فاجابه الله تعالى لما دعا فقال الله تعالى وموسى عليه السلام
باذنه **اتستبدلون الذي هو ادنى** اي تطلبون تبديل الذي هو ادنى

والمنصوب

والمنصوب هو الحاصل والذي يدخل عليه الباء هو الزائل وادنى افعل التفضيل
من الدنو المستعار من القرب المكاني للخسة كالقرب المستعار للشرف والرفعة
او من الدون وهو الردي فقلب او اصله ادنا فسهلت همزته بابدالها الف من
الدناة وقد قرئ بالهمزة **بالذي هو خير** يريد بالمن والسلوى وانما كان خيرا
لحصوله بلا تعب ووصوله من جهة الرب تشريفا وخلوصه عن شبهة
الحظ وكونه منصبا عليه **اهبطوا مصرا** والمصر البلد العظيم اي انزلوا بعض الامصار
ان كنتم تريدون هذه الاشياء ويحتمل ان يريد العلم اعني مصر فرعون وصرفه
لعدم سبب اخر على ارادة البلد وسكون وسطه ويؤيده انه غير
منون في مصحف ابي رضي الله عنه وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه
وقيل اصله مصرايم فعرب ولصرفه وجه اخر وهو انه لا اعتداد
بالعجمة لوجود التعريب **فان لكم ما سألتم** لما كان هذا في قوة قوله
فوجدوا اما سألوه عطف عليه قوله **وضربت عليهم الذلة والمسكنة**
وفي الجمع بينهما اشارة الى ان الذلة والمسكنة من روادف ما انعوه
من الزراعة والحرث وقد جاء في الخبر والذل في اذناب البقر والكلام كناية
عن كونهم اولا منغمسا عن مستاه على الاستعارة اما في الذلة تشبيها
لها بالقبة فهي مكنية واثبات الضرب تخييل واما في الفعل اعني ضربت
تشبيها لالصاق الذلة ولزومها بضرب الطين على الحائط فتكون
تصريحية تبعية والذلة فعلة من الذل كأنها هيئة وحالة والمسكنة
من المسكين وقال الزجاج هي مأخوذة من السكون وهي هنا ذل
الفقر وخضوعه وان وجد يهودي غني فلا يخلوا منه الفقر ومهانته
مخافة ان تضاعف جزيتهم **وباؤا بغضب من الله** رجعوا به اي لزمهم يقال
ومنه قوله عليه السلام في دعائه ومناجاته ابوء بنعمتك علي اي اقر بها
والزمها نفسي هذا على ما ذكره الفراء بان بمعنى رجع وقال الكسائي ولا
يكون بالا بشيء اما بخير واما بشر ولا يكون لمطلق الانصراف وحلوا مبوأهم
ومعهم غضب الله تعالى اي عقوبته وقوله بغضب في محل الحال نحو خرج
بسيفه واستعمال الباء للتنبيه على ان مكانهم الموافق يلزمهم فيه
غضب الله فكيف غيره من الامكنة وهذا على ما ذكره الراغب من ان
اصل البوء مساواة الاجزاء في الامكان خلاف النبو الذي هو منافاتها
ذلك اشارة الى ما سبق من الضرب والبوء **بانهم كانوا يكفرون بايات**
الله بسبب انهم جمعوا بين الثبات على اصل الكفر والدوام عليه وبين
تجدد انواعه والمراد من الايات المعجزات والكتب المنزلة **ويقتلون**
النبيين انهم قتلوا شعيبا وزكريا وغيرهم **بغير الحق** ليس احترازا اذ لا يقع
قتل نبي الا بغير الحق فهو قيد لازم نحو يدعون الله سميعا وجاء تعظيما

للشنعة والذنب الذي اتوه وما قيل معناه انهم قتلوه بغير الحق عندهم
بزعمهم انهم كانوا يقولون هولا كاذبون وما اتوا به تمويهات وتلبيسات
من الله تعالى ونقتلهم بهذا الاعتقاد الفاسد ليا طل الماحل **ذلك**
بما عصوا وكانوا يعتدون اشارة الى السبب المذكور والبا في بما
للسببية فيكون بيانا لسبب مبالغة في جواب اجتناب المعصية والا
عتداء بانهما يفضيان الى الكفر بالايات وقتل الانبيا وهما من اشنع
القبائح ويجوز ان يكون ذلك تكريرا للدلالة على ان ضرب الذلة
والمسكنة والبوء بالغضب مسبب عن امور كثيرة كل واحد منها يوجب
ذلك والعصيان والاعتدا من الافعال التي جعلت لازمة ونزلت منزلة
عليها تنسيا منسيا والاعتدا وان كان في اصل وضعه تجاوز الحد
في كل شي لكن عرفه في الظلم والمعاصي والعدول عن قوله واعتدوا
بمثل ما مر من النكتة في قوله بانهم كانوا يكفرون واما التاكيد
ثمة دون هنا فلان الكفر بالمعجزات الباهرة وقتل الانبيا المبعوثين
بالبينات الظاهرة مظنة ان يستبعد بخلاف مطلق العصيان
والاعتدا **ان الذين امنوا** بالسنتهم من غير مواطاة القلوب لابد من
هذا القيد ليدخلوا في عداد الكفرة وينتظموا معهم فيصح الابدال
والاخبار بان من امن منهم ايمانا خالصا فله كذا **والذين هادوا** يقال
هاد يهود اذا دخل في اليهودية ويهود من هاد عنى تاب سموا بذلك
لما تابوا من عبادة العجل **والنصارى** اختلف في اصله والاقرب
ما قيل ان المسيح عليه السلام كان من قرية يقال لها نصران فلما
ان سموا باسمها حيث جمعته العرب على نصارى نحو سكران وسكارى
وجعلوا منسوبين اليها ثم جعلت نحو مهري ومهارى كذا قال الامام
الراغب قالوا في نصراني للنسبة الى تلك القرية او الى تلك الجبل
او للتفرقة بين اسم الجمع والواحد كما في اليهودي والمجوسي والصابئين
الصابي من صبا اذا خرج من الدين وهم خرجوا عن دين اليهودية
والنصرانية وعبدوا الملائكة والكواكب **من امن منهم بالله واليوم**
الاخر وعمل صالحا في محل النصب بدل من اسم ان وما عطف عليه
وخبر ان فلهم اجرهم ودخول الفا لتضمن الموصول معنى الشرط او في
محل الرفع بالابتدا وخبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان والمعنى من امن
من هولا الكفرة ايمانا صادقا مصدقا بقلبه بجميع ما يجب تصديقه
به عاملا بمقتضى شرع نبي ارسل اليه وما قيل في تفسير من كان
منهم في دينه قبل ان ينسخ لا يناسب المقام لما عرفت ان المراد
من الذين امنوا المنافقون والصابيون لم يثبت لهم دين سماوي

ولذلك

ولذلك اختلف في نكاحهن **فلهم اجرهم** اي ثواب ايمانهم وعملهم الصالح
سماه اجرا لاندراج اعمالهم بوعد الصادق فضلا منه وترتيب الحكم
على الموصول دال على ان الاستحقاق له مسببا عما ذكره في الصلة
من الايمان والعمل الصالح بقدر بحسبه والجملة اعتراض بين خطابي بني
اسرايل **عند ربهم** كناية عن كون ذلك الاجر مامونا من الضياع لكونه
عند امين حافظ **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اي لا ينالهم خوف ولا
يصيبهم حزن في الاخرة لانهم يصيرون الى النعيم المقيم والامن الدايم
والتنكير في الخوف للتقليل وفي قوله ولا هم دلالة على ثبوت الحزن لغيرهم
واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التورية والدليل على اختصاصه قوله
ورفعنا فوقكم الطور اي حتى قبلتم واعطيتم الميثاق والميثاق مفعول
من وثق يثق مثل ميزان من وزن يزن وحيدان اضيف الى الجمع تنبيها
على ان الماخوذ على الكل ميثاق واحد قال الواحدي الطور الجبل بالسر
يانية وقد تكلمت به العرب وقيل علم للجبل ناجى عليه الله تعالى موسى عليه
السلام وهو المراد هنا **خذوا** على ارادة القول **ما اتيناكم** اي التورية
بقوة اي بجد واجتهاد منعوا من اخذ التورية والتزام احكامها لما
لشاقة فاكرهوا على ذلك برفع الطور فوقهم **واذكروا ما فيه** امر
بحفظه وعدم تناسيه قولا وعملا **لعلكم تتقون** قد مر في تفسير
لعلكم تشكرون ما يغني عن بسط الكلام في هذا المقام بتوضيح
المرام ورد الاوهام **ثم توليتم من بعد ذلك** اي اعرضتم عن الوفا
بالميثاق بعد اخذه على الكيفية المذكورة وفي كلمة ثم اشارة الى ان
الاعراض عن الوفا بعد تاكيد الميثاق بما ذكر امر بعيد ورشحه عبارة
ذلك **فلولا فضل الله عليكم** بقبول التوبة **ورحمته** بالعفو عن الذلة وارتفاع
فضل على الابتدا وعليكم متعلق بفضل والخبر محذوف واجب الحذف ذهب
على المختار لدلالة الجواب عليه **لكنتم من الخاسرين** اي من المغبونين بالو
قوع في العذاب وحرمان الثواب جواب لولا وكثر دخول اللام عليه
اذا كان موجبا ولو في الاصل لامتناع الشي لامتناع غيره فاذا دخل
على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشي لثبوت غيره والتفريع المستفاد
من الفا باعتبار ان في مدخولها دلالة على انهم كانوا على شفا الخسران
لولا تدارك فضل الله تعالى وذلك مسبب عما تقدم ذكره من احوالهم
القبيحة **ولقد علمتم** اللام توطية للقسم مسهلة لتفهيم جوابه على
السامع وعلم هنا تعدى الى واحد بمعنى قد عرفتم اصحاب السبت
وما احللنا بهم من النكال في الدنيا بالمسخ حين اعتدوا بالاصطياد
يوم السبت فلم يكن ذا خبرا بالعقوبة عن اسلافكم الذين كانوا قبلكم

على عصيانهم ونقضهم ميثاقهم للعجز عن نجيبل ذلك بل فضلا
ورحمة ولو تشبثنا لعاجلنا لهم بما عاجلنا به اصحاب السبت فيكون
هذا التذكير لتقرير ما ذكر من ان نجاتهم عن الخسران بمحض فضل الله
ورحمته الذين اعتدوا منكم في السبت اي الذين جاوزوا الحد الذي حد
لهم من ترك الصيد يوم السبت من اسلافكم هو يوم معروف سمي به
لانه سبت فيه خلق كل شي اي قطع وتم واصل السبت القطع ومنه السبات
لانه ينقطع الافعال الاختيارية واليهود يسبتون فيه اي يقطعون
الاعمال وقيل هو ماخوذ من الثبوت الذي هو الراحة والدعة والسبت
هنا مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت فمعنى في السبت في تعظيم
يوم السبت وتعظيمه عبارة عن ترك العادات والاشتغال للعبادات
والاعراض عما يودي الى حايوذي الحيوانات داخل في حده وذكر الموصول
مع الصلة يفيد تعلق العلم بالوصف المذكور الموجب للنسخ المذكور
لا بذواتهم وتفصيل القصة باتي في سورة الاعراف باذن الله تعالى
فقلنا لهم كونوا قردة مجاز لتعلق ارادة الله تعالى بمسخهم في ان
واحد والقردة جمع قرد كالديكة جمع ديك والقياس في فعل الاسم
فعول للاسم فعول نحو قرود وجمعه على فعلة لا ينقاس خاسئين
خبر اخر لكونوا او صفة لقردة باعتبار انهم كانوا من العقلا اي جامعين
بين القردية والخسو وهو الصغار والطرد وفعله خسا يجي متعديا ولا
زما والضمير في فجعلناها للمسخة نكالا النكال العقوبة الغليظة
المنكلة للغير اي لما تعقد من الذنب فان اصله المنع ومنه النكل للقيد
واللجام لما بين يديها من ياتي بعدها وما خلفها من تقدمها وجودا
والتقدم بحسب الموجود لانيا في حضور المتقدم عند المتاخر وما
يحضرها او وما بعدها فقط فالمكان مستعاران للزمان وان ما
اقيمت موقع من لاختبار لشانهم لانهم نه لا يناسب المقام بل الاعتبار
وصف المعتبرين وموعظة مفعلة من الاتعاظ والانزجار والوعظ
التخويف والعظة الاسم للمتقين لكل من اعتبرها واتقي اي لم يفعل
ذلك قصيا للتشفي كفعل الادميين بل لمصلحة العباد واذ قال موسى
لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى
واذ قتلتم نفسا وانما فكعته اول القصة واخرج مخرج الاستيناف
كانه قصة مستقلة بالتوبيخ على القتل والتدافع والتنبيه على القدرة
في احيا الميت والاعجاز وقدم اخرها لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم
وهو الاستهزا بالامر والاستقصا في السوال وترك المسارعة الى الامتثال
ولذلكم يقل قال موسى لقوله يا قوم كما قال فيما تقدم فانه لما كان

جواب سوال لا ابتدا خطاب لم يناسب التصدير بالندا اضمر فيها لثانية ضمير
البقرة ليدل بهذا الربط انها قصة واحدة وفيما يراد منها من التوبيخ والتعبير
قصتان ولو اوردت مسروده على الترتيب لا يمكن ان يفعل ذلك والبقرة
اسم للانثى واسم الذكر الثور مثل ناقة وجمل وقيل البقرة واحد البقر الانثى
والذكر سوا واصله من بقر اي شق فالبقرة يشق الارض بالحرث وقصته
انه كان فيهم شيخ موسر فقتله بنو اعمه طمعا في ميراثه وطرحوه على
باب المدينة ثم جاوا يطالبون بدمه فامرهم الله تعالى ان يذبحوه ويضربوه
ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي اتجعلنا نفس الهزو
للمبالغة وفرط الاستهزا او اهل هزو او مكان هزو او مهزوا بنا للاختصار
والايجاز ظنوا ان موسى عليه السلام يستهزي بهم ويداعبهم قالوا نخبرك ان
رجلا منا قتل فيقول لنا اذبحوا بقرة فيحتمل ان موسى عليه السلام امرهم
بذبحها ولم يبين المراد والغرض بها في اول الامر فلذلك وقع هذا القول منهم
موقع الهزو في بادي نظرهم وقيل قرئ يتخذنا بالياء اي الله تعالى ولا يناسبه
قوله تعالى قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين تبروا عن الاستهزا
على وجه ابلغ حيث عده من الجهل واستعاذ منه استفظاعا له وذلك
لكونه في مقام التبليغ والارشاد فلا ينافي قصده في مقام الاحتقار
والتهكم تمثل فبشرهم بعذاب اليم فرجع الجهل هنا الى عدم العلم بمقتضى
المقام فلا حاجة الى صرفه الى معنى السفه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
قدم ونظيره عن قريب ما هي لما راوا امره على حال ليست من احوال
جنس البقر اشتبه عليهم وجه الامتثال فلذلك قال يبين لنا ما هي فان
الحاجة الى البيان انما تكون في موضع الاشتباه والسوال بما هي
يكون غالبا عن الجنس واما كون المفعول الاول جماعة فلا دخل له
في اقتضا التاويل بالحذق او التجوز في المورد او الحكم لان ما اصله المصدر
يجوز ان يكون خبرا عن الاثنين وعن الجماعة كما في قوله تعالى فقولا انا
رسول رب العالمين وقوله تعالى لا هو خل لهم فكيف بالمصدر قال انه يقول
انما زيد هذا كيلا يتوهم ان ما ذكر قول موسى عليه السلام وقيد وعي هذه
النكتة في مواضع من هذه القصة انها بقرة تكرير الاسم لتقرير المعنى
المراد دفعا لاحتمال ان يراد جنس اخر لغرابة ما ذكر من الاثر كما سبق
الى وهم السايلين لا فارض ولا بكر صفة للبقرة واذا وصفت النكرة بما
دخل عليه لا كررت وكذا الخبر والحال الا ما ندر والفارض المسنة التي انقطع
ولادتها من الكبر والبكر الصغيرة الفتية التي لم تلد عوان نصف العوان
من الفارض فرضت تفرض فروضا ومن العوان عونت تعوين تعوينا
ولم يسمع من البكر فعل الان في تركيبها الاولوية ومنه البكرة والباكورة

واىما تدخل الها في هذه الصفات التانيث لانها من خصايصها وصافه الاناث فصارت كالحايض والطالع **بين ذلك** اي بين البكر والفارض ولم يقل بين بينتك ترجيحا لما في عبارة ذلك من الفخامة علي ما في تلك من الجناس مع بين وقد وجه التعبير عن الاثنين بذلك **فافعلوا ما تؤمرون** ما موصوله والعايد محذوف فاصله ما تؤمرون به لان الامر يتعدي الي المامور بنفسه والي الفعل المطلوب بالبا يقال امرته بكذا ثم حذف الجار ووصل بنفسه ثم حذف المفعول به مصدرية اي امركم بمعني مامورتكم لان المصدر بمعني المفعول شايع واما المصدر بمعني المفعول به فقليل جدا تجديدا للامر وتاكيد وتنبيه علي ترك التعنت والمسارعة الي الامتثال ولم يحسبث اعادوا السوال **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفرا فاقع لونها** الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه واستعماله للتاكيد يقال اصفر فاقع واحمر قاني واخضر ناضر واسود حالك وابيض يقق فهذه التوابع تدل علي شدة الوصف وخلوصه وفي ارتفاع اللون بفاقع مزيد تاكيد لذلك لانه صفرا شديد الصفرة صفرتها وعلي هذا لا تقف علي صفرا لئلا تنفصل بين الصفة والموصوف وان جعلت صفرا بمعني سودا وقفت عليه ويكون الفقوع بمعني الخلوص صفة اللون كانه قال لونها خالص علي ان فاقع وافع خبرا عن اللون فلم يقع بالكيد الصفرا حتي يثنا في تفسيرها بالسودا **تسر الناظرين** اي تدخل هذه البقرة من نظر اليها وتعجيبه وتفرح قلبه لتمام خلقها ولطافة شكلها وحسن لونها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه او اندفاع ضر **قالوا** وقري ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر قال القرطبي البقر والباقر والبيقور والبيقور لغات بمعني والعرب تذكره وتونثه الي ذلك ترجع الوان في تشابه **ادع لنا ربك يبين لنا ما هي** طلبوا تمام الكشف ببيان ما يرفع الاشتباه ويدفع الصدق علي متعدد ولما ارادوا البقر الزايد علي التعيين بالعوارض المشتركه سالوا بما هي فكانهم طلبوا ما في منزلة الذاتي المميز من الاوصاف المخصوص بشخص معين **ان البقر تشابه علينا** اعتذار عنه وانما لم يقل ان البقر تشابه علينا ان لم يرد تشابه المعهود بل اريد ان الاوصاف المذكورة صدقت علي جماعة من الجنس المذكور فاشكل علينا الامر فيها للتشابه والتشارك في تلك الاوصاف وقري تشابهت مخففا ومشددا قال القرطبي وفي مصحف ابي انه تشابهت بتشديد الشين قال ابو حاتم وهو غلط لان التا في هذا الباب لا يدغم الا في المضارع وانما ذكر الفعل

لتذكير

لتذكير اللفظ كقوله منقعر وكل حرف جمع حروفه اقل من حروف واحده جاز تذكيره مثل نخل وبقر وسحاب **وانا ان شا الله لمهتدون** الي البقرة المراد ذبحها لما جا في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد لكنهم يقولوا ان شا الله وانما سميت استثنا لصرفها الكلام عن الجزم وعن الثبوت في الحال من حيث التعلق بما لا يعلمه المستثني واخر الابد كناية عن المبالغة في التابيد والمعني اي الا بها الذي هو اخر الاوقات وتقدير الكلام وانا لمهتدون ان شا الله فقدم علي ذكر الاهتدا اهتماما به وحفظ الروس الاي ولا متمسك فيه لاصحابنا علي ان الحوادث بارادة الله تعالي لان دلالته علي ان مراده تعالي واقع واما ان الواقع ليس الا مراده فلا تعرض له ولا علي ان الامر قد ينفك عن الارادة لان محل الخلاف الامر التكليفي وهذا الامر للارشاد علي ما يرشد اليه قولهم لتتخذنا هزوا ولا خلاف فيه **قال انه يقول انها بقرة لا ذلول** صفة لبقرة اي لم تذلل للكتاب من الذل بكسر الذال وهو خلاف الصعوبة يقال ذلت الدابة ذلا فهو ذلول للرجل ذلا بضم الذال فهو ذليل **تثير الارض** صفة لذلول داخلة تحت النفي والمقصود نفي اثارتها الارض **ولا تسقي الحرث** نفي معاد لقوله لا ذلول والمعني انها لم تذلل بالعمل حرث ولا سقي وقيل لا في قوله ولا تسقي الحرث زايدة للتوكيد وان المعني لا ذلول تثير الارض وتسقي الحرث والفعلان صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية فيلزم ح الوصف بلا غير مكرره ولا مقابل بنفي وذلك لا يكون الا في الشعر وقري لا ذلول بالفتح علي ان لا لنفي الجنس والخبر محذوف والجملة صفة ذلول كناية عن نفي الذل عنه كما يقال الذليل حيث هو كناية عن اثبات الذلولة والحرث الارض المهياة للزرع ومعني الاثارة هنا قلب الارض للزراعة يقال اثرت الشي واستثرته اذا هيجته **مسلمة** من العيوب اي سلمها الله تعالي او من العمل اي سلمها اهلها وقيل مخلصة اللون من سلم له كذا اذا اخلص له اي لم يشب صفرتها شي من الالوان وبرد عليه ان حق هذا البيان ح ان يعقب السوال الساني ويذكر في اخر جوابه **لا شية فيها** اي لا علامة فيها تشبيها وقيل لا لون فيها يخالف لون جلدها ماخوذ من وشي الثوب اذا نسج علي لونين مختلفين يقال فرس ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وغراب ابقع وثور اشيه كل ذلك بمعني البلقيه ويرد علي هذا ما ورد علي المحتي الاخير لمسلمة **قالوا الان** هو حد الزمانين الماضي والمستقبل مبني لتضمنه معني الاشارة تقديره هذا الوقت **جيت بالحق** اي بما تحققنا به المراد من البقرة **فذبحوها** اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وانما

حذف ما حذف اختصارا لدلالة المذكور عليه والفاء ليست فصيحة لان
شرطها ان يكون المحذوف سببا للمذكور والتحصيل ليس سببا للذبح وانما
الامر به بل للتعقيب وللدلالة انهم كما حصلوها ذبحوها وما كادوا يفعلون
يعني شيئا من الذبح ومقدماته من تحصيل المامور بذبحه وتهيئة
اسبابه ولهذا الاعتبار كان المذكور ابلغ من يذبحون وكاد من افعال
المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فالفعل المقرون به مفيد والنفي الداخل
عليه قد يعتبر سابقا على القيد فيفيد معنى الاثبات بالتكلف كما في
هذه الاية وقد يعتبر مسبوقا به فيفيد البعد عن الاثبات والوقوع
كما في قوله تعالى لا يكادون يفقهون قولا ومن غفل عن هذا توهم
التدافع بينه وبين قوله فذبحوها فتكلف في التوفيق واعلم انه
لا خلاف في ان الظاهر اللفظي في اول الامر بقرة مبهمة ولا في ان
الامتثال في اخر الامر انما وقع بذبح بقرة موصوفة معينة حتى لو
ذبحوا غيرها لم يكن ممتثلا لكن اختلفوا في ان المراد به في اول
الامر هو البقرة المعينة واخر البيان عن وقت الخطاب والمبهمة
ولحقها التغيير الى المعينة المتصفة بسبب تثاقلهم في امتثالهم
وكثرة سؤالهم واستكشافهم والحق هو الثاني لقوله عليه السلام
لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد
الله عليهم والاستقصاء شؤم روي مثله عن ابن عباس رضي الله
عنهما وهو رئيس المفسرين ولان اللازم على الاول تاخير البيان
عن وقت الحاجة لدلالة قوله فافعلوا ما تؤمرون على انهم امروا
بايقاع ذبح البقرة قبل بيان اللون وكونها مسلمة غير ذلول وهذا
اللازم محذور عند المخالف ايضا ومن ذهب الى الاول تمسك اولا
بان الضمائر في الاجوبة اعني انها بقرة كذا وكذا للمعينة قطعا فكذا في
السؤال للتطابق والسؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فتكون
هي المعينة وجوابه انهم لما تعجبوا من بقرة ميتة تضرب ببعضها
فيحيا ظنوها معينة خارجة عما هو عليه صفة الجنس فسالوا
عن حالها وصفتها فوقعت الضمائر للمعينة بزعمهم واعتقادهم
فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من الامر هي
المعينة وثانيا بانه قد دل السياق ووقع الاتفاق على انه لم يرد
امر متجدد غير الاول والامتثال ليس الا بالامر الاول فلزم ان لا يكون
منسوخا وان يكون امرا بذبح المعينة لظهور ان الامتثال لم يقع الا
بذبح المعينة وجوابه ان الانتقال الحكم الى المخصوصة لا يلزمه ارتفاع
الامر الاول حتى يحتاج ايجاب المخصوصة الى امر متجدد بل على انه

كان

كان ممتثلا ولا لها ولغيرها يعني حصول الامتثال باي فرد كان
فارتفع حكمه في حق ما عداها وبقي الامتثال بذبحها خاصة وكان
ذبحها امتثالا للامر الاول ولم يكن هذا منافيا لنسخ الامر الاول
في الجملة ولا موجبا لكون المراد به اولا ذبح المعينة واذ قتلتم نفسا
خطاب الجمع لان القتل صدر عن جماعة وهم بنو عم المقتول فادارأتم
اي تخاصمتم لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا او تدافعتم لان
كلا منهم يدفع التهمة عن نفسه الى الاخر والبراءة عن الاخر الى نفسه واصله
فتدارأتم فادغمت التاء في الدال لانهما من مخرجها فسكنت واجتلبت
الف الوصل لتعذر الابتداء بالساكن وفي فيها للتعليل كما في قوله
تعالى لمتني فيه والله مخرج مظهر لا محالة حكى محكا نر مستقبلا وقت
التدارأ فاعمل ونصب به ما كنتم تكتمون على المفعولية كما حكى ما كان حاضرا
وقت التغليب في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فقلنا اضربوه عطف
على فادارأتم وما بينهما اعتراض مشعر بان التدارؤ لا يجدي اذ الله مخرج
ومظهر ما كتموه والضمير البارز للقتيل وفي تذكيره تنبيه على زوال
حكم النفس عن الجسد بعد القتل ببعضها اي بعض كان دل على ذلك الابهام
كذلك يحيي الله الموتى خطاب لمنكري البعث من مشركي مكة او للذين
حضروا القتيل على تقدير فقلنا لهم والكاف في محل النصب على المصدر اي
مثل ذلك الاحياء العجيب الشان وذلك اشارة الى ما دل عليه المحذوف
المدلول عليه بهذا الكلام وما قبله وهو قوله فاحيي وروي انه لما
ضرب قام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما فقال قتلني ابنا
عمي فلان وفلان وسقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك
ويريكم اياته دلائله لان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الكل
لعدم الفرق عند العقل لعلكم تعقلون تستدلون به او تعملون على قضية
عقولكم وقد مر معنى لعل غير مرة وانما جعل احياؤه مسببا عن ذبح البقرة
وضربه ببعضها وهو قادر على احيائه ابتداء ليعلم ان في الاسباب
والشرائط حكما وفوائد كالتقرب بالقربان والتنبيه على حسن تقديم
القربة في الطلب وتحري الاحسن والغالي في الثمن وعلى وجوب المسارعة
في امتثال الامر ولو كان للارشاد وان التشديد موجب لتشديد الله تعالى
على من شدده وان الاستهزاء من فعل الجهال وان بر الوالدين له بركة وكذا التوكل
والشفقة على الابناء ثم قست قلوبكم من بعد ذلك اي بعد احياء القتيل
وهو امر عظيم خارق للعادة موجب للاعتبار قبل ثم للاستبعاد وقيل
ان معناه الحقيقي غير متعذر قال الواحدي يقال قسى قلبه يقسو
قسوة وقساوة وهي الشدة والصلابة واليبس وقست قلوبكم

استعارة تبعية واقعة على سبيل التمثيل شبهت حالة قلوبهم وهي نبوها عن
الاعتبار بحالة قسوة الحجارة في انها لا يجدي فيها لطف العمل وحسن الحيل
ولا اعتبار وهذه الاستعارة حسن التفريع والتعقيب بقوله فهي كالحجارة
او اشد قسوة تشبيه في القساوة بالحجارة ثم رجوع عنه بتفضيلها نوع
القساوة على الحجارة وبيانه بتقريره وان من الحجارة لدلالته على انها
في شدة القسوة مفضلة على الحجارة بمطاوعة الحجارة لامر الله تعالى
دونها وانتصب قسوة على التمييز ومقتضيه اشد وكاف التشبيه
وهذا التمييز الذي بعد افعل التفضيل منقول من المبتدا وهو نقل غريب
وعلى هذا قوله او اشد معطوف على قوله كالحجارة من قبيل عطف المفرد
على المفرد كما تقول زيد على السفر او مقيم وقرئ اشد بالفتح عطف
على الحجارة او مثل شيء اشد من الحجارة قال الواحدي قال المفسرون
انما تشبيه قلوبهم بالحجارة في الغلظ والشدة ولم يشبه بالحديد
وان كان الحديد اصلب من الحجارة لان الحديد يلين بالنار ولا تلين
الحجارة بمعالجة ابدا وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة لدلالته
عليها بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئته موضوعة للشدة فيها وفي
ذلك ايما الى الاعتنا ببيان الزيادة ما لا يخفى والدلالة على اشتداد
القساوتين واشتمال المفضل على زيادة واو بمعنى بل كما في قول
الشاعر بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت
في العين املح اي بل انت او للابهام في المخاطب قال ابو الاسود الدؤلي
احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة او عليا فان يك حبهم رشدا
اصبه ولست بمخطئ ان كان غيا ولم يشك ابو الاسود ان حبهم رشد
ظاهر وانما قصد الابهام وقد قيل له حين قال ذلك شككت قال لا ثم
استشهد بقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
قال او كان شاكا من اخبر بهذا لما يتفجر منه الانهار التفجر التفتح
بسعة وكثرة وقرئ وان مخففة من مثقلة للوجود اللام في الكل
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء اصله يتشقق وقرئ به والتشقق
التصدع بطول وعرض فينبع منه الماء قليلا هذا على التتميم دون
الترقي والا لقدم المؤخر وان منها لما يهبط من خشية الله الهبوط هو
التردي من علو الى سفل والخشية الخوف من علم وهي هنا مجاز عن الانقياد
واطلاق لاسم الملزوم على اللازم وقوله من خشية الله متعلق بالافعال
السابقة كلها ولما كانت قساوة القلوب تنشأ عنها الاعمال القبيحة
قال الله تعالى على سبيل التهديد وما الله بغافل عما تعملون وقرئ
بالياء المغيبة فيما الى ~~يشتهون والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم~~

ما بعده
والمؤمنين

ما بعده من الضمائر العائدة الى اليهود افتطمعون الطمع نزوع
النفس الى شيء بشهوة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
ان يؤمنوا في محل الجر اي في ايمانهم والضمير لليهود والذين في زمن محمد عليه
السلام لانهم الذين يعني منهم الطمع واللام في لكم للتعليل او للاعتبار
معنى الاستجابة اي ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم او يستجيبوا لكم
كما في قوله تعالى فامن له لوط لا للصلة كما في وما انت بمؤمن لنا
اي بمصدق لان مثله لا يوجد في الفعل واستظاهره بما قبله ان النبي عليه
السلام والصحابة لما سمعوا هذه الايات وهي في مخاطبة اليهود
وطمعوا ان يؤثر ذلك في قلوبهم فيؤمنوا فقال الله تعالى افتطمعون
مبالغة في انكار الطمع مع كونه كالمستحيل عادة بايراد الفا بعد
الهمزة اي بعدما تشاهدون منهم ما يوجب الياس من ايمانهم من
قسوة القلب تطمعون في ايمانهم وهم قوم باعيانهم كما في قوله تعالى
انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقد كان فريق الفريق اسم جمع لا
واحد له من لفظه كالحزب والواو للحال اي في حال علمكم بطريقتهم
وعادتهم منهم الظاهر رجوع الضمير الى ما يرجع الضمير في يؤمنون
وعناد البعض انما كان منافيا لايمان الباقين لانهم كانوا مقلدين
بهم يسمعون كلام الله ما يتلونه من التورية السماع كناية عن القبول
ففي ذكره زيادة تقبيح لحالهم لان التحريف بعد القبول اشد قباحة
ولو كانت على حقيقته لما حسن الى ذكره لان التحريف لا يكون الا
بعد السماع ثم يحرفونه تحريف الشيء امالته عن حاله الى حال
ومنه قلم محرف اي محرف في احد شقيه حايل فيشتمل التغيير والتبديل
وما حرفوه من نعت الرسول عليه السلام وشريعتهم كاية الرجم
ويجوز ان يكون المراد من الفريق من كان في زمن موسى عليه السلام
وهم اهل الميقات والكلام المسموع كلامه تعالى بالطور وقد نقل
تحريفهم ما سمعوه وعلى هذا ايضا الضمير في منهم على ظاهره
ولا حاجة الى ان يكون المعنى من اسلافهم فان اسلاف طايفة
يعدون منهم وعلى هذا يكون المعنى الاصرار على البطلان موروثا
لهم نشنشنة اعرفها من اخزم من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم
ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون اي لم يفعلوا ذلك عن
خطا ونسيان بل فعلوا عن قصد وتعمد حسدا وبغيا واذا لقوا
يعني المنافقين الذين امنوا المخلصين من اصحاب الرسول عليه
السلام قالوا امنا اي بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر في التورية
وانما ينطقوا بالمتملق لعدم المساعدة من باطنهم وهذه اية غاية

خيتهم **وَاذا خلا بعضهم الي بعض** اي اذا انفرد واعني المخلصين منضمين
بعضهم الساكنون وقت الملاقات الي الناطقين بكلمات النفاق
قالوا اي الذين سكتوا آخ عاتبين علي الذين نطقوا **اتحدثونهم بما**
فتح الله عليكم اي بما بين لكم في التورية من نعت محمد عليه السلام
فالاستفهام للتوبيخ والتشنيع واللام في **ليحاجوكم به** متعلق بالتحدثونهم
وهي لام كي علي نحو زلات الناشي عن شي وان لم يقصد كالغاية والمعني
ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه من الحجة واصله من حج اذا قصد
مغالبة خصمه **عند ربكم** جعلوا محاجتهم بكتاب الله تعالي وحكمه محاجة
عنده كما يقال عند الله كذا ويراد انه في كتابه وحكمه كذا وعلي هذا
يكون عند ربكم بدلا عن قوله به او ظرفا مستقلا بمعني ليحاجوكم بما قلتم
حال كونه في كتابكم وقيل المعني عند ربكم يوم القيامة لا يقال ان
اليهود ويعلمون انهم يوم القيامة محجوبون حدثوا او لم يحدثوا
لان ذلك العلم لعلمائهم لا لكلهم فلا ينافي تحذيرهم الجهال منهم بذلك
القول انما هم علي اليهود به ولان احترازهم عن كونهم محجوجين
من جهة الخصم فان ذلك لازم ان حدثوا ومندفع ان لم يحدثوا في
زعمهم **افلا يعقلون** افليس لكم عقل حتي تتذكروا فتسا ما فعلتم هو
وهذا من تمام وهذا من تمام كلام اللائمين **اولا يعلمون** مقابلة لهم
بذلك التجهيل والتوبيخ والتعجب مع التقرير اي اتنكرون عليهم ولاهم
تعلمون ان الفساد في قولكم مضاعف **ان الله يعلم ما يسرون**
وما يعلنون اي يعلمها علي السوا والقصد الي معني التسوية
ذكر قوله وما يعلنون مع ان قوله ما يسرون يغني عنه
ونظير هذا قوله يكلم الناس في المهد وكهلا في القصد الي
المعني المذكور وتقديم ما يسرون مع ان حقه في اسلوب الترقي
التاخير للتسوية بينهما في الاهتمام فان في الجمع بين العبارة والدلالة
اهتماما بالثاني وفي التقديم مع ان حق التاخير اهتماما بالاول
ومنهم اميون عامون الامي من لا يكتب ولا يقرا سمي به لانه علي
الخلقة التي ولدته الام عليها **لا يعلمون الكتاب** اي
التورية **الا اماني** الاستثنا منقطع والاماني جمع امنية افعولة
من التمني وهو التقدير ولها معان ثلاثة التمنيات لان المتمني
يقدر في نفسه ما يشتهيه ويتخيله او الاكاذيب اذ الكاذب يقدر
في نفسه ويتخيل شيا لا وجود له او المقروات لان
القاري يقدر عند قراته في نفسه ان كلمة كذا بعد كذا ومنه
قوله تمني كتاب الله اول ليلة فالمعني ولكن يعتقدون اكاذيب

من المحرفين

من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم ان اباهم الانبيا يشفعون
لهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة او ما يقرءون قراءة عارية
عن معرفة المعني وتدبره والامي بما يقدر علي قراة ما بالاخذ من افواه
الرجال **وان هم الا يظنون** ما هم الا قوم يظنون والظن هنا علي
بابه من ترجيح احد الطرفين ولا يلزم من الترجيح عندهم ان يكون
راجحا في نفس الامر ويجوز ان يجعل الحكم بالظن تعريضا فنفي العلم عن
العلما في قوله اولا يعلمون علي سبيل الانكار حيث لم يعملوا بموجبه
وعن المقلدين بقوله لا يعلمون الكتاب ثم حكم انهم في الظن المودي
الي الضلال سوا فعلي هذا يكون في الايات جمع وتقسيم جمع
الفريقين في قوله افتطمعون ان يؤمنوا لكم ثم قسمهم جمع الفريقين
في قوله الي فريقين علما معاندين وجهلا مقلدين ثم جمعهم في يظنون
فويل اي تحسر او هلك وروي عثمان عن النبي صلي الله عليه وسلم الويل
جبل في النار وفي رواية ابي سعيد الخدري واد في جهنم وهو في الاصل
مصدر لا فعل له لان فاه وعينه معتلان وتنكيره للتعظيم فلم تكن
نكرة محضة علي ان الغرض من الكلام الافادة فاذا حصلت جاز الحكم
سوا تخصص المحكوم عليه بشي اولا واما اذا كانت دعا يقع مبتدا
وان لم تتخصص فاقيل في بيانه انه لا يجري في ويل صرح به الرضي
للذين يكتبون الكتاب يعني ما كتبوه من التاويلات الزايغة
ولذلك احتاجوا في ترويجه الي بيان نسبته الي الله تعالي ولو
كان المراد الكتاب المحرف لما احتاجوا اليه لان كون التورية
من عند الله مسلم وما احدثوه من التحريف غير معلوم لغيرهم
بايديهم نفي للمجاز اي يتولونه بانفسهم فقد يقول الانسان كتبت
الي فلان اذا امر غيره بان يكتب عنه واذا قال كتبت بيدي فقد
اخبر بانه باشر بنفسه فهو من حيث انه كناية عن انه من تلقا
انفسهم دون ان ينزل عليهم ناظرا الي ما في قلوبهم هذا من
عند الله من دعوي النزول هكذا مكتوبا من السما كما هو الشان
في التورية ويجوز ان يكون لدفع احتمال الانسان فان الكتابة
شايعة فيه وفايدة التخصيص بمعني الاملا التغليظ في الجناية
حيث انضم الي القول العمل **ثم يقولون هذا من عند الله** كلمة ثم للاستبعاد
وعدم الفايدة في الاخبار عن تراخي القول المذكور عن العمل المذبور
كفي قرينة صارفة عن المعني الحقيقي لها في الكلام البليغ **ليشتروا به**
ثمنا قليلا متعلق بيقولون وقد مر بيان استعارة الاشترا
للاستبدال ونكتة التعبير عن البيع بالثمن فتذكر وما حصلوا به

وان جل قليل بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة فويل لهم مما كتبت
ايديهم جعل ما ههنا وفي قوله وويل لهم مما يكسبون مصدرية اولى من جعلها
موصولة لعدم الحذف ولكون الويل على الفعل اولى وانسب من كونه على المفعول
واصل الكسب الفعل الجالب نفعا او دفع ضرر ولهذا لا يوصف به الله تعالى وفيه
لاختلاف الحظ بما هو له من الاسباب وكرر الويل حتى يتحقق ان الحسنات والهلكة
تترتب على كل واحد من المكتوب والمكسوب على حدة وقالوا لن تمسنا النار
المس اقل تمكنا من الاصابة وهو اقل درجاتها ولذلك اوثر عليها في قوله
تعالى وما مسنا من لغوب وفي قوله لم يمسسني بشر وقوله تعالى ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كالنص فيه الا اياما معدودة
اي قلائل وهذا لانهم يكنون بالعدد عن القلة بنا على انهم كانوا يزنون
ما يبلغ الاوقية ويعدون ما دونها وروي انهم قالوا سبعة ايام وعنهم انهم
اربعون يوما عدد عبادتهم العجل ولا وجه له لانهم قد تابوا عنها توبة
مقبولة قل اتخذتم عند الله عهدا الالف المجتلبة ذهبت بالادراج وهذه
الالف المقطوعة الف الاستفهام للتوبيخ يعني ان مثل هذا الجزم لا يكون
الا ممن وعده الله تعالى به وانما عبر عن الوعد بالعهد ايماء الى ان
في الجزم المذكور لا بد من وعد قوي وانما قال عند الله دون من الله
تعليما للسلوك مسلك الكناية في امثال هذا فان التصريح باتخاذ العهد
من الله تعالى لا يخلو عن سوء ادب فلن يخلف الله عهده جواب شرط
مقدر اي ان كنتم اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده فالفا
فصيحة والجملة معترضة وانما قلنا ان المقدر ان كنتم اتخذتم لان
المعنى ليس على الاستقبال لان هذا من جملة المواعيد فلا
وجه للاستدلال به على عدم الخلف في وعده وعلى تقدير صحته
انما يدل على عدم وقوع الخلف في وعده لا على استحالته ام تقولون على
الله ما لا تعلمون ام اما معادلة للهمزة بمعنى اي الامرين ه
كائن على سبيل التقرير لوقوع العلم بكون احدهما او منقطعة بمعنى
بل والهمزة للتقرير بلى اثبات لما بعد النفي في لن تمسنا اي بلى تمسكم
ابدا وتخصيص بجواب النفي من كسب سيئة السيئة تانيث السيء وهو
فيعل من السوء وهو العمل الفاسد واذا ذكر في مقابلة العمل الصالح
والمكسوب لا يلزم ان يكون نافعا في نفس الامر بل يكفي ان يكون
ملائما للطبع الكاسب موثرا عنده واحاطت به خطيئته في ل
الغفال كل ذنب خطاء وخطيئة لانه ليس بصواب وفي الاساس
اخطا في المسئلة وفي الراي خطا بمعنى خطا اذا تعمد الذنب ووضع قوله
من كسب سيئة اي مكان تمسكم النار ابدا للاثبات على الطريق البرهاني

لانه اثبت السيئة العامة اي سيئة من السيئات ثم خصصها بالكبيرة بقوله
احاطت به خطيئته اي استولت عليه ولم تنقص عنه بالتوبة وقرئ خطاياه
وخطياته تنبيها بكثرة خطاياهم من الشرك والنفاق والتحريف والافترا على
الله تعالى وتشبيهها بالعدو المحيط به من جميع الجهات لذلك ولغلبتها على طاعته
واشار بقوله فاولئك الى ان سبب استحقاق الخلود في النار هو ذلك
الكسب المعلوم فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة لانهم ملازموا
اسبابها في الدنيا وذلك لان الصاحب مشتق من الصحبة وهي وان كانت يعم
القليل والكثير لكن العرف خصصها بما طالت هم فيها خالدون اوقع هم
للتاكيد كانه قال اي كبيرة من الكبائر استولت ورسخت بالغلبة على
الطاعة استحق صاحبها الخلود في النار وقد تكرر ان الشرك كبيرة
لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وكذا التحريف والافترا على
الله تعالى لقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وكذب باياته انه لا يفلح
الظالمون فثبت بالبرهان انه تمسكم النار ابدا ومعنى الخلود في الاصل
الثبات المديد دام او لم يدم لكن المراد به ههنا الدوام لما يشهد له من الايات
والسنن ولك ان تقول الاحاطة في الاصل الاحداق بالشيء من كل جانب وجوانب
المكلف من حيث انه مكلف ثلاثة اللسان كلفت من جهته بالاقرار والاركان
كلفت من جهتها بالطاعات والجنان كلف من جهته بالتصديق وهم لما
فتنوا بالسنتهم وحرفوا كتاب الله تعالى بايديهم واصروا على النفاق
معتقدين بالباطن خلاف ما ظهر ولا فق تحقق احاطة الخطيئات بهم
وثبت استيلاؤها عليهم في الاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب
الكبيرة في النار والذين امنوا وعملوا الصالحات جرت عادته تعالى
ان يشفع وعده بوعيده تبشيرا للمطيع وانذارا للعاصي والايمان
على معناه اللغوي فلا دلالة في عطف العمل عليه على الخلافية المشهورة
المذكورة في كتب الكلام اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ذكر الفا فيما
تقدم وتركها ههنا للدلالة على ان الملازمة والخلود ثمة بالاستحقاق
من قبلهم بسبب ما بهم من احاطة الخطيئات وههنا بمحض
فضل الله تعالى على ما دل عليه قوله تعالى الذي احلنا دار المقامة
من فضله نعم يفهم منه اشتراط العمل الصالح في دخول الجنة فلمن
شرط في الايمان المقبول الاقرار باللسان ان يحمل العمل الصالح عليه
وللمخالف ان يقول ان لفظة هم للتاكيد لا للحصر بدلالة النصوص القاطعة
على عدم اشتراط العمل في النجاة عن النار وعلى انه لا دار ثالثة للقرار
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون اخبار في معنى النهي
كما في لا تضار والدة بولدها وفي لا تنكح المراة على عمتها وهو باب

من ابواب البلاغة في الامر والنهي يظهر البليغ به شدة المسارعة
اعتنائه بالامتثال والانتها وتحريض المخاطب علي المسارعة والمبادرة
فيهما كانه سارع الي الامتثال والانتها فيخبر عنه الامر والناهي ويويده
قراءة لا تعبدوا ويدل عليه قولوا فيكون علي ارادة القول واما ابهام
ان المنهي مسارع الي الانتها فهو يخبر عنه فلا يناسب هذا المقام
لان حال المنهي هنا علي خلاف ذلك وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما سقط
ان رفع الفعل لزوال الناصب لقوله تعالي افغير الله تامروني اعبد
ايها الجاهلون وقال طرفة الا ايهذا الزاجري احضر الوغي بروي احضر
بالرفع اي ان احضر الوغي ولذلك عطف عليه وان اشهد اللذات هل
انت مخلدي ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيحتمل ان تكون مفسرة بمعني
اي ان يكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق اي اخذنا توحيدهم
او معمولا لمحذوف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعني كانه قال
وحلفناهم لا تعبدون وقيل انه وقع في موضع الحال في صيغة
الفعل وموقعه نصب في الاسم تقول دخل عليه يتبسم اي متبسما
والتقدير ههنا اخذنا ميثاقهم غير عابدين وقري بالتاء حكاية
لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب الا الله استثنا مفرغ وفيه التفات
من التكلم الي الغيبة في الاسم الظاهر من الفخامة وبالوالدين احسانا
مصدر في معني الامر اي واحسنوا بالوالدين وتقديم المعمول للاهتمام
واحسن يتعدي بالي وبالبا قال الله تعالي وقد احسن بي
وذي القربي عطف علي الوالدين اراد به الجنس ولذلك افرد وهو
واصله في المصدر تغني عن صفة الجمع واليتامي جمع يتيم
كنديم وندامي واليتيم الذي مات ابوه من تفرده عنه واليتم الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة وحق هذا الاسم ان لا يزول عن الكبار
بقاء معني الانفراد عن الاباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل
ان يبلغوا مبلغ الرجال وعلي وفق هذا ورد قوله عليه السلام
لا يتم بعد الحلم وان كان المراد تعليم الشريعة والمساكين جمع
مسكين وهو مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه عن التصرف
وقولوا للناس حسنا قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة لما اتبع
عبادة الله بالاحسان الذي ذكره وهو فعل اتبع ذلك بالقول ليكون
الاحسان بالفعل والقول ولما كان الاحسان القول امرا هينا
علي ما افصح عنه من قال البر شيء هين وجه طليق ولسان
لين كان متعلقه الناس عموما وقري حسنا بفتحتين علي انه
صفة مصدر محذوف وحسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسني

علي

علي المصدر كبشري والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلاة واتوا
الزكاة يريد بهما ما فرض عليهم في شريعتهم ومن هنا ظهر انهما منقولان
الي القدر المشترك بين صلاتنا وصلاتهم والقدر المشترك بين زكاتنا
وزكاتهم ثم توليتم علي طريق الالتفات للتعنيف والتوبيخ فانه عند
الاستحضار اشد ويجوز ان يكون الخطاب مع الموجودين منهم في عهد
الرسول عليه السلام ومن قبلهم علي التغليب اشعارا بان التولي الذي
حصل منهم في عهده عليه السلام ليس ببدع منهم لانه دابهم وداب
اسلافهم الا قليلا منكم اي اشخاصا قليلين وهم الذين اقاموا اليهودية علي
وجهها قبل النسخ واما الذين اسلموا من الذين ما اقاموها فقد
وجد منهم التولي والاعراض فلا وجه لاستثنائهم وانتم معرضون
التولي قد يكون لحاجة تدعوا الي الانصراف مع ثبوت القصد
والاعراض هو الانصراف عن الشيء بالقلب فالجملة حال وليست
من قبيل ثم وليتم مدبرين وفي اسمية هذه الجملة الدلالة علي انهم قوم
عادتهم الاعراض عن الطاعة والوفا ترشيح لما تقدم من نكتة التغليب
واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم
علي نحو ما سبق في لا تعبدون والمعني لا تفعلون ما يودي الي هذين
المحذورين او لا يفعل ذلك بعضكم لبعض جعل غير الرجل نفسه لاتصاله
به نسبا او دينا ثم نسب الي نفسه ما كان منسوبا الي الغير
علي التجوز لادني ملابسة والتزاما في الاقامة وقال الخليل محله
القوم ودارهم ثم اقررتم اي خلفا بعد سلف ان هذا الميثاق
اخذ عليكم والتزمتموه ويحتمل هذا ان يكون من الاقرار الذي هو
ضد الجحد وتعدي بالبا وان يكون من الاقرار الذي هو ابقا
الامر علي حاله اي اقررتم هذا الميثاق وملتزما فقوله وانتم
تشهدون تاسيس علي هذا وتاكيد علي الاول لقطع احتمال
ان يكون اقرار عن تكلم بما يلزم منه الاقرار ثم انتم هؤلاء استبعاد
قوي لما ينسب لهم بعد اخذ الميثاق علي الانتها منه واقرارهم
وشهادتهم وفي هؤلاء توبيخ وتعيير بليغ وتحقير اي انتم المشاهدون
المشار اليهم بنقض العهد الذي لا يمكن ذمهم بما يزيد علي ما يشاهد
منهم ويشار به اليهم كقولهم في التحقير يا هذا او انتم المشاهدون
اي قوم اخرون غير اولئك المقربين تنزيلا لتغير الصفة منزلة
تغير الذات كقولك خرجت بغير الوجه الذي دخلت به وعدهم
باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكي عنهم غيبا
ثم فصل ما ابهم في اسم الاشارة للمستحيل عليهم وتشنيعهم بنقض

العهد ومخالفة الاقرار والشهادة والافراط في ذلك بالتظاهر بالاثم
والعدوان فقال تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
ويجوز ان يكون خبرا لانتم وهؤلاء منادى او منصوب على الاختصاص
للذم اعني هؤلاء الحاضرين او تاكيد والخبر هو الجملة وبمعنى الذي والجملة
صلته والمجموع هو الخبر ويجوز ان يكون حالا والعامل فيه معنى الاشارة
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله
او كليهما والتظاهر التعاون واصله التظهر ويجمع الاسناد
والاعتماد وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا
حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق
حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من
الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقرئ اسرى وهو جمع اسير كجرحى
وجريح واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع
اسير كما قالوا شيخ قديم وشيوخ قدامى وهو قليل وقال الواحدي
نقلا عن سيبويه قالوا كسالى شبهوه باسرى كما قالوا اسارى
شبهوه بكسالى والاسير هو الماخوذ قهرا واصل الاسر الشد
ومن اخذ قهرا شد غالبا فسمي الماخوذ قهرا اسيرا وان لم يشد
وقال ابو عمرو والاسارى الذين هم في الوثاق والاسرى الذين هم
في اليد وان لم يكن في الوثاق وقرئ تفدوهم اي تطلقوهم
بعد ان تاخذوا منهم شيئا قال ابو علي وفاديت نفسي اي
اطلقتها بعد ان دفعت شيئا وفديت فاديت بمعنى فديت
اي دفعت فيه من مالي نفسي ومنه قول العباس للنبي
صلى الله عليه وسلم فاديت نفسي وفاديت عقيلا وهما فعلان
يتعديان الى مفعولين الثاني منهما بحرف الجر تقول فديت
زيدا بمال وفاديته بمال قال ابو علي كل واحد من الفريقين فعل
الاسر ودفع الاسير والماسور منه دفع ايضا اما اسيرا واما
غيره والمفعول الثاني محذوف وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق
بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير
للشان ومحرم خبره واخراجهم مرفوع بمحرم ويجوز ان يكون اخراجهم
مبتدا ومحرم خبر مقدم والجملة خبر هو او مبهم وتفسيره اخراجهم
او راجع الى مصدر دل عليه تخرجون ويكون محرم الخبر واخراجهم بدلا
من الضمير في محرم او من هو او تاكيد وبيان كيلا يذهب الوهم الى ان
يرجع ذلك الى الاسارى وانما اكد الاخراج بالنص على تحريمه لانه
كان مما سبق ايضا محرما لما فيه من الجلاء والنفي الذي لا ينقطع ۞

شرع بخلاف

شرع ينقطع في الحال والمحرم الممنوع منه افتؤمنون ببعض الكتاب
يعني الفداء به وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء والاستفهام
بمعنى الانكار والتوبيخ والتهديد وذلك على التفريق بين احكام الله
تعالى فكان مرجع الانكار الى القيد المستفاد من لفظ البعض فما جزاء
من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا فاذا فعلتم ذلك تسبب
ان لا يكون جزاؤكم في الدنيا الا خزي وفي قوله منكم دلالة على ان
التفريق المذكور فعل بعضهم والتوبيخ للكل لعدم منع الباقين عنه
والخزي بالكسر الذل من الفضيحة وقد خزي خزيا فهو خزي والخزاية
الاستحياء وقد خزي خزاية فهو خزيان قال المرزوقي واخزى يجوز
ان يكون من الخزي اي الهوان ويجوز ان يكون من الخزاية
الاستحياء والمراد قتل قريظة فانه قتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم
واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم والدنيا ماخوذة
من دنا يدنو واصل الياء فيه واو لكنه ابدلت فرقا بين الاسماء
والصفات وانما قدم ذكر الجزاء هنا للاشارة الى بقائهم احياء الى
تلك الحالة مدة مديدة واخر الجزاء في الاخرة لانه عند انتهاء يوم القيامة ثم
ويوم القيامة يردون معنى الرد الارجاع ففيه اشارة الى انهم
كانوا قبل ذلك مرة اخرى في اشد العذاب وهو ما في القبر ثم ان فيه
بيان ان ما كان في الحيوة الدنيا من خزي غير مكفر لذنوبهم الى اشد
العذاب اي الى عذاب لا روح فيه لاتصال اجزائه ودوام ذلك لان
عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد وقرئ
يردون بالياء اعتبارا من يفعل وبالتاء اعتبارا لقوله منكم
وقرئ يعملون ايضا بالياء والتاء على اعتبار ذين اولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالاخرة اي بحظوظهم الاجلة بها اذ هي لا تفوت
عنهم والاشتراء استعارة لايثار العاجل الفاني على الاجل الباقي فلا
يخفف عنهم العذاب اي يبقى على شدته معطوف على الصلة
من قبيل عطف الجمل فلا يشترط اتحاد الزمان ولا هم ينصرون بدفعه
عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده
بالرسل اي جئنا من بعده بالرسل مقتفين اثره متبعين شريعته
يقال قفاه اذا اتبعه من القفا كذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه
اياه ولولا اعتبار معنى جئنا على التضمين لضاع قوله من بعده
واتينا عيسى بن مريم البينات الايات الظاهرة من قولك بان
اي ظهر وما تثبت به الدعوى من حيث افادته البيان يسمى بينة
ومن حيث الغلبة به على الخصم حجة لما لم يكن عيسى عليه السلام

من جملة المقفين اثر موسى عليه السلام المتبعين شريعته او رد بالذكر
واضافة الى امه تحقيقا لعدم نسبته الى الاب وفيه رد لقول اليهود
حيث نسبوه الى الاب وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بالسريانية الخادم
وقد جعلته امها محررة لخدمة المسجد وبالعربية كالزير من الرجال
وقال ابو البقاء مريم علم عجمي ولو كان مشتقا من رام يريم لكان
مريم بفتح الميم وسكون الياء وقد جاء في الاعلام بفتح الياء نحو مريد وهو
خلاف القياس والمراد بالبينات المعجزات والواضحات كاحيا الموتى
وابرا الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وايدناه بروح
القدس جبريل عليه السلام وذلك انه تولد بنفخة وانه عصمه من
اول حاله الى اخره فلم يدن منه الشيطان عند الولادة ورفعه
الى السما حين قصد اليهود قتله والقدس الطهارة وكان الاصل
الروح المقدسة لكن اضيف الروح الى القدس تنبيها على زيادة
اختصاص الروح به لان من شان الصفة ان تكون منسوبة
اليه فاذا عكس باضافته اليها يزيد معنى الاختصاص افكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر اذا احب
وهوى بالفتح وهويا بالضم سقط وانما اسند الهوى الى النفس
لان النفس الى الكثير الخطاب اشعارا بان حق السيات ان يسند
اليها وقوله كلما جاءكم مسبب عن قوله ولقد اتينا موسى الكتاب
ولهذا دخلت الفا عليه على تقدير حتى انعمنا عليكم ببعثة
موسى عليه السلام واتينا به الكتاب ثم اتبعناه الرسل هو
بايات عيسى عليه السلام لتشكروا وتلقوا النعم بالتلقي بالقبول فعكستم
بان كذبتم فريقا وقتلتم فريقا اخرين ثم ادخل بين السبب
والمسبب همزة التوبيخ والتعجيب انعكسهم فيما يجب عليهم ويجوز ان
يكون استينافا والفا للعطف على مقدر فعلى هذا ما عطفوا
الا انما محذوف وهو قوله فعلتم ما فعلتم وهو كناية عن التكذيب
والقتل وغير ذلك من قبائحهم وعنادهم ثم استانف الكلام موبخا
لهم مصدر الجملة بهمزة الانكار على تقدير الكفرتم وخالفتم فكلما جاءكم رسول
وايرح هنا انه جمع بين التقريع والتوبيخ اجمالا وتفصيلا استكبرتم
اي تعظمتم عن قبول ما اتى به مما لا تحبه انفسكم على تضمين الاستكبار معنى
الابا عن الايمان به لانهم كانوا مصدقين ببعض ما جاء من بعد
موسى عليه السلام من الرسل كيوشع وداود وسليمان عليهم السلام
ففريقا اي ففريقا منهم كذبتم بريد به التكذيب من غير قتل وتقديمه
للتفريق ههنا عن قرينه والا فمطلق التكذيب ينتظمها والفا للسببية

او

او التعقيب وفريقا اي فريقا اخر تقتلون حال ما مضيه ارير
استحضارها وتصويرها لشدة فظاعتها وتكررها او خروجها مخرج
الحال المشاهدة او قصدا للدلالة على انهم بعد فيه لانهم كانوا حولوا
قتل محمد عليه السلام لولا العصمة من الله ولهذا اسحروه وسموا الشاة
له ثم ان فيه محافظة على الفاصلة وانما لم يذكر لكذبتهم هذا التفريق
استغنا بذكر افتح الفعلين عن الاخر وقالوا قلوبنا غلف جمع اغلف
وهو الذي لم يختن مستعار للقلب المغشاه بالاغطية خلقة وجبلة
اي مجبولة على صفة لا يتوصل اليها ما جاء به محمد وقد افصح عن هذا
في موضع اخر بقوله قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه والقران يفسر
بعضه بعضا وفي القراءة الشاذة غلف بضم اللام جمع غلاف وهو
الغشا والوعا كالشهاب والشهب معناه قلوبنا اوعية العلم تفهم
ونعي ما يقال ونخاطب به ولكن لا نفهم ما تقول ولا نفقه ما
تحدث فلو كان حقا وصدقا لفهمته ونفهمت بدعون به ابطال
ما يقول ولكن مستغنون بما فيها عن غيره ويابى عن حمل القراءة
المتواترة على هذا التصريح بالمعنى الاول في موضع اخر بل لعنهم الله
بكفرهم رد لما قالوا اي ليست قلوبهم كذلك خلقة لانها خلقت على
الفطرة بل طردهم الله وابعدهم عن قبول ذلك بسبب كفرهم واحتجابهم
بالعقايد الفاسدة فهم الذين غفلوا قلوبهم بما اسقطوها عن الفطرة
اثبت الكفر من نفسه والكفر منهم وهو مذهب اهل السنة والجماعة
والمعنى على القراءة الشاذة بل انهم متعدون عن خير العلم بشوم
كفرهم لستم تعلما ولو كنتم كذلك لقبلتم هنا وعملتم به فقليلا ما يؤمنون
اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وما مزيدة
للتاكيد لانا فيه لان ما في حيزها لا يتقدم عليها وجوز ان يكون
مصدرية على ان قليلا منصوب بنزع الخافض وجوز ان يكون
المبالغة كناية عن العدم في القلة بناء على ان القليل اذا بولغ فيه
يستتبعه العدم ووجه جوز ان يكون انتصاب قليلا على الظرفية
ولما جاءهم كتاب اي القران من عند الله زيادة عند للتعين بمعنى
النزول فان كل شيء من الله تعالى مصدق لما معهم من كتابهم وفي
مصحف ابي مصدقا لما معهم بالنصب على الحال من كتاب لتخصيص
بالوصف وحذف جواب لما للدلالة جواب لما الثانية عليه
وقيل لما الثانية عليه تكرار للاولى والفا للاشعار بان مجيئه
كان عقيب استفتاحهم به ولا بعد فيه لان ما حرفوه حاصل الكتاب
اي من قبل مجي الكتاب وكانوا من قبل يستفتحون اي يستنصرون

على الذين كفروا وهم المشركون الذين يقاتلونهم ويقولون اللهم
انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت في التورية او يفتخرون عليهم و
يعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه فالسين للمبالغة
كانهم يطلبون الفتح من انفسهم كما في سيعصمه ونحو ذلك لان الفعل
مع الداعي والطلب يكون اقوى بمجردها ولانه لما كان الفعل حاصلا
يكون الطلب للزيادة فلما جاءهم ما عرفوا من الكتاب والنبي كفروا به
حسدا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم على ان
التعريف للعهد كما هو الاصل فلا يعدل عنه الى الجنس الا عند التعذر
على ان الفاء يأبى عن الحمل على الجنس والاظهار في موضع الاضمار للدلالة
على ان استحقاقهم اللعنة لثباتهم على الكفر وكلمة على واقع من اللام
لما فيها من الدلالة على انه تعالى جعل اللعنة متغلبة عليهم جللهم
بها بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس
المستكن اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم اي باعوها او اشتروا
بحسب زعمهم فانهم زعموا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا
والمراد كفرهم في الماضي الا انه عبر عنه بصيغة المضارع استحضارا
لذلك الامر القبيح ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا اي
حسدا قال اللحياني بغيت على اخيك بغيا اي حسدته فالبغي
اصله الحسد والباغي هو الظالم الذي يفعل ذلك عن حسد واما
بغى بمعنى طلب فمصدره بغا بضم الباء وبغيت بمعنى فجرت
مصدره بغيا بالكسر وهو علة اشتروا الا ان يكفروا اذ المعنى
على ذم الكفر الذي اوثر على الايمان بغيا لا على ذم الكفر المعلل
بالبغي واما الفصل فليس مما هو اجنبي لان الصلة والموصول
في حكم الاتحاد وكذا التمييز والمميز فلا يكون اجنبيا بالنسبة الى
ما عمل فيه لا ريبة في ان ايثار الكفر على انفسهم بغيا وعنادا ادخل
في الذم من ايثارهم الكفر الناشئ عن البغي على انفسهم اذ لا يتعين
كون الايثار عنادا او بغيا فيحتمل ان يكون لوجه يخف به
استحقاق الذم والفرق واضح ان ينزل الله لان ينزل
اوحسدوه على ان ينزل الله من فضله اي بعض فضله الذي
هو الوحي او الشيء الذي هو فضلهم على من يشاء من عباده على من
اختاره بالرسالة فباءوا بغضب على غضب اي صاروا احقاء بغضب
مترادف متراكم بعضه على بعض لكفرهم بنبي الحق وبغيهم عليه
او كفرهم بمحمد عليه السلام بعد كفرهم بعيسى عليه السلام وغير
ذلك من انواع كفرهم والاستحقاق مفهوم في موهوم باعلى ما تقدم

ببيانه

ببيانه دلالة الفاعل بسببية الاشتراء المذكور لذلك الاستحقاق وقوله
بغضب حال وعلى غضب صفة له وللكافرين عذاب مهين يريد به
اذلالهم وتقديم الجار والمجرور للتخصيص فان عذاب العاصي من
المؤمنين طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله اي بجميع الكتب
الالهية قالوا نؤمن بما انزل علينا خصصوا ايمانهم بالتورية ويكفرون
حال من الضمير في قالوا على حذف المبتدا وتقديره وهم يكفرون او
بتجويز الواو في المضارع وضع المثبت بما وراءه قال الازهري
ان وراء يصلح لما بعده ولما قبله لا لانه وضع لكل منهما على حدة
بل لان معناه ما توارى عنك اي استتر وهو موجود فيهما وهو في
الاصل مصدر جعل ظرفا يضاف الى الفاعل والمفعول فيراد
على الاول الخلف وعلى الثاني القدام وفيه نظر وهو الحق والضمير
لما وراء الشامل للانجيل والقرآن وانما وحد بتوحيد اللفظ مصدقا
لما معهم حال مؤكدة تتضمن الرد لايمانهم بالتورية لانهم كفروا بما
تصدقها حيث نزل على حسب ما نعت فيها فقد كفروا بها والجملة
حال ما وراءه وتعريف الحق لزيادة التوبيخ والتجهيل بمعنى انه
خاصة هو الحق الذي يقارن تصديق كتابهم ولولا الحال
اعني مصدقا لم يستقم الحصر لانه في مقابلة كتابهم وهو ايضا حق
قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين الفاء جواب
شرط مقدر دل عليه المعنى اي قل لهم ان كنتم امنتم بما انزل الله
عليكم فلم تقتلون انبياء الله فان ذلك المنزل نهى عنه وانما قال
تقتلون حكاية للحال الماضية كانه قيل فلم كنتم تقتلون وانما
اسنده اليهم لانه فعل ابائهم وهم راضون به عازمون عليه
ويجوز ان يكون المعنى على التضمين فلم ترضون قتل الانبياء
وتعزمون عليه وح يتضح وجه الاعتراض ولم اصله لما
وسقطت الالف وهذا السقوط خص بالاستفهامية لانها
تامة فالفها طرف فالاطراف محل الحذف وغيره من التغيير بخلاف
الموصولة فانها ناقصة تحتاج الى ما توصل به كاسم واحد فالفها
في حكم المتوسط ولقد جاءكم موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة
زيد الخلق فلق البحر وهو خارج عن الايات التسع المذكورة في
قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات لان المراد بها
ما جاء به موسى عليه السلام الى فرعون على ما اتفق عليه
في موضعه باذن الله تعالى فلا حاجة لحمل البينات المذكورة ههنا
على الايات التسع ثم اتخذتم العجل اي الها ولفظه ثم ابلغ من الواو

في التوبيخ لانها تدل على انهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في
الآيات وذلك اعظم ذنبا من بعده اي بعد مجيء موسى عليه السلام
لكم بالبينات لا بعد مجيئه او ذهابه الى الطور لعدم انفهامه من
سياق الكلام وانتم ظالمون حال اي واضعون العبادة غير
موضعها او ظالمون بالاخلال بآيات الله تعالى ويجوز ان يكون
اتخذ من قبيل اتخذ خاتما بمعنى صنعه وعمله ففائدة الحال ظاهرة لان
الاتخاذ بهذا المعنى لا يكون ظلما الا حال كونه مقرونا بالعبادة
وعلى الاول فائدته زيادة التوبيخ والتقبيح او اعتراض بمعنى
انتم قوم عادتكم الظلم ومساق هذه ايضا لابطال قولهم نؤمن
بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول عليه السلام طريقة
اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتأكيد القصة بالتكرير وكذا ما بعده
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة
ويجوز ان يكون تكرير هذا لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى
واسمعوا اي اطيعوا فان الامر بالسماع في العرف يفيد الاجابة
والقبول ومنه سمع الله لمن حمده اي قبل واجاب لمن قال دعوت
الله حتى خفت ان لا يكون الله يسمع ما اقول اي يقبل وهم حملوه
على المفهوم اللغوي تجاهلا وتعاميا عنادا وامتناعا قالوا سمعنا اي
القول وعصينا اي الامر قال الامام القرطبي اختلف هل صدر
منهم هذا القول او فعلوا فعلا قام مقامه فيكون مجازا وقال
الامام ابو منصور قولهم وعصينا لم يكن على اثر قولهم سمعنا
لكن بعده بأوقات فانهم لما ابوا قبول التوراة لما فيها من
الشدائد رفع الله الجبل فوقهم فقبلوها خوفا وقالوا سمعنا
واطعنا فلما زال الجبل وامنوا قالوا عصينا وهو ما ذكر في قوله
تعالى ثم توليتم وكان التولي بعد ذلك بأوقات واشربوا في
قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط
شغفهم به وهذا كما يقال اشرب الثوب الصبغ اجزاءه تداخل
الماء اعضاء الشارب كانه جعل شاربا اياه وفي العدول عن الظاهر
وهو اشرب قلوبهم حب العجل الى ما عليه المنزل ما لا يخفى من الفخامة
والايهام والتفسير من وجه والمبالغة في الاسناد الى الكل والدلالة
على التمكن المستفاد من الظرفية وان العجل نفسه هو المشرب
مبالغة في اشرب الحب الى غير ذلك بكفرهم بسبب كفرهم لما رأوا انهم
كانوا مجسمة وحلولية قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتوراة
اذ ليس فيها عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانكم تهكم وكذلك

اضافة الايمان اما الثاني فظاهر كما في قوله ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون تحقيرا واستبعادا لا ودلالة على ان مثل هذا لا ينبغي ان يسمى
ايمانا الا بالاضافة اليكم وليس المراد انه استعارة تهكمية واما الاول
فلان الايمان انما يأمر ويدعو الى عبادة من له غاية في العلم والحكمة
فالاخبار بان ايمانهم يأمر بعبادة من هو غاية في البلادة غاية
التهكم والاستهزاء سواء جعل يأمركم بمعنى يدعو الله او لا وسواء قصد
الاسناد الى السبب الباعث مجازا كما في بنوه او لا هو الحق والمخصوص
بالذم محذوف نحو هذا الامر وما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في
الآيات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين ليس للشك من المتكلم لا
لاستحالته لان المأمور بهذا القول مما يصح منه الشك بل لعدم
مطابقته للواقع ولا للتشكيك اذ لم يعهد استعمال ان لتشكيك السامعين
بل لتقرير القدح في دعواهم الايمان بالتوراة وذلك لان القائل قد
يأتي بالشرط وهو جازم في بعد وقوعه اقامة للحجة بقياس بين كما
في قوله ان كنت قلته فقد علمته والتقدير ان كنتم مؤمنين بها
فبئسما يأمركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما
يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم بمؤمنين قل
ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله المراد من الدار الآخرة الجنة وانما
قال عند الله تشريفا لها وتنبيها على انها في غاية الغيب خالصة
صافية عن شوب حظ المخالف لعدم احتمال الزوال الذي هو سبب الاستحقاق
وهو كونهم ابناء الله واحباءه في زعمهم اصل الخلوص الصفوة والاخلاص تصفية
السر والقول والعمل الا انه ضمن معنى الاختصاص على ما ستقف عليه
وهو نصب على الحال من الدار عند من جوز مجيء الحال من اسم كان واما
عند من لم يجوزه فهو حال عن الضمير المستتر في الخبر العائد الى الدار
ومرجع الخلاف الى ان اسم كان هل هو فاعل او لا من دون الناس
متعلق بخالصة باعتبار تضمنه معنى الاختصاص ودون لفظ
يستعمل للاختصاص وقطع الشركة تقول هذا لي دون لك او من دونك
اي لا حق لك فيه ولا نصيب وفي غير هذا الاستعمال يأتي بمعنى
الانتقاص في المنزلة او المكان فان قلت اليس قد استفيد معنى
الاختصاص من تقديم الظرف قلت نعم الا انه يحتمل ان يراد به
الاختصاص بجنس المخاطبين فلا قطع فيه بالمعنى المقصود فان
قلت لا وجه لدعوى الاختصاص مطلقا لانهم لم ينكروا ان من مات
قبل حدوث اليهودية على شريعة ابراهيم عليه السلام يدخل الجنة
قلت ذلك اذا كان معنى الخلوص الاختصاص واما اذا كان معناه

الصفا عن شوب خطر التخلف فلا بعد في ان يدعوا اختصاصا من دخول
الجنة مقيد بتلك الحال لانفسهم مطلقا وايضا تفرع الامر بالتمني
الاتي ذكره انما يصح على اعتبار الخلوص بالمعنى المذكور والظاهر ان المراد
من الناس سائر الامم لا سائرهم مطلقا حتى يشمل الانبيا عليهم السلام
اذ هم لا ينكرون الانبيا المتقدمين به كنوح وابراهيم واسحاق ويعقوب
عليهم السلام ولا دلالة في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى على ما ذكر لان المفهوم منه اختصاص الجنة لهم لا اختصاصهم
بالجنة وما يصلح منشا للتمني المذكور انما هو الثاني دون الاول
على ما نبهت عليه انفا **فتمنوا الموت ان كنتم صادقين** لان من
ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات
الشوائب ولا يذهب عليك ان هذا الايقان على تقدير ان يكون معنى الخلوص
على ما ذكرناه لا على ما ذكره القوم **ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم**
بما اسلفوا من الكبائر الموجبة لدخول النار وانما اسند التقديم الى
اليد لانه اعظم الاعضا في التصرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على
وجه الارض يهودي والمراد بالتمني قول القايل ليتني مت لا معناه
في القلب دل عليه قوله عليه السلام غص بريقه وان التحدي
لا يمكن بالاعمال القلبية لخفائها ولو كان المراد المعنى القلبي
لكان يمكنهم ان يقولوا تمنينا كاذبين ولو ادعوا مع ذلك لنقل النبا
لتوفر دواعيهم على النقل مع كثرتهم ولو نقل لاشتهر وكذا فوت
احدهم بتمني منت لم ينقل مع كثرة اليهود وغيرهم من الطاعنين
في الاسلام كما نقل سائر المطاعن فهذه الجملة اخبار بالغيب
صادقا كقوله ولن تفعلوا **والله عليم بالظالمين** تهديد لهم
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بمعنى علم المتعدي الى
المفعولين وهما هم واحرص وتنكير الحيوة للدلالة على نوع منه
الحيوة متطاولة ولذلك كانت القراءة اوقع من قراءة على الحيوة
ومن الذين اشركوا اما ان يكون معطوفا على الناس محمولا
على المعنى لان المعنى احرص من باقي الناس واما ان يراد
واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص عليه وعلى
الوجه الاول انما خص المشركون بالذكر لاختصاصهم من
بين الناس بزيادة الحرص على الحيوة الدنيا لعدم اقرارهم
بالبعث فكانهم نوع اخر غير الناس ففي افرادهم بالذكر زيادة
توبيخ وتقريع لاهل الكتاب لانه لما زاد حرصهم وهم مقرون

بالجزا

بالجزا اعلى حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار
وقيل من الذين اشركوا كلام مبتدا على حذف الموصوف اي ومن
الذين اشركوا اناس **يود احدهم** على ان المراد بالذين اشركوا
المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم هزار سال بزي اي عش
الف سنة فالجملة على هذا صفة محذوف وعلى الاولين استيناف
لزيادة حرصهم **لو يعمر الف سنة** حكاية لودادتهم على طريق الالتفات
لان لو للتمني وكان القياس لو اعمر ليطابق الحكاية المحكي الا انه
جرى على لفظ يود بالغيبة كقولهم حلف بالله ليفعلن ومفعول
يود محذوف كما يشعر اليه الفعل مجرى اللازم اي يصدر من احدهم
الودادة المطلقة فيكون لو يعمر توضيحا بعد الايهام للايقاع
في النفس ويجوز ان تكون لو هذه مصدرية بمنزلة ان للتاكيد
تعني الودادة فيكون مفعولا ليود والضمير في **وما هو بمزحزحه من
العذاب** لاحدهم **ان يعمر** فاعل لمزحزحه اي وما احدهم بمزحزحه
من النار تعميره وقيل الضمير عائد اليه يعمر من مصدر وان يعمر
بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة
التبعيد والانجاء **والله بصير بما تعملون** قري بالتاء جريا على
سبيل الالتفات وكني بالبصير من العليم مبالغة في ادراك الخفيات
وفيه تهديد ووعيد **قل من كان عدوا لجبريل** نزل في عبد الله بن
صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عمن
نزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه
نزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه
ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا
يسلطكم عليه والا فيم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه
مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا
يطلع محمدا عليه السلام على اسرارنا وانه صاحب كل خسف
وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما
من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما
عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر
من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو لله تعالى ثم رجع فوجد
جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر
وفي جبريل ثمان لغات وقرئ بهن اربع في المشهورات جبرئيل
كسلسبيل وجبرئل بحذف اليا وجبريل وجبريل بفتح الجيم وكسرها
وحذف الهمزة واربع في الشواذ جبرائيل وجبرايل بالمد فيهما

وحذف اليا في الثانية وجبرال بحذف اليا وتشديد اللام وجبرئيل
قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه ومنع صرفه
للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله ومن للشرط وقوله فانه نزله
تعليل للجزا اقام مقامه والبارز الاول لجبرئيل عليه السلام اي فلا وجه
لعداوته فانه نزله اي القران واضماره غير مذكور يدل على
فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته يدل على نفسه ويستغني
عن ذكره من صفاته عن التصريح باسمه على قلبك لانه القابل
الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وصرفا الاستغلا للدلالة على ان
المنزل ياخذ بمجامع قلبه وكان الظاهر ان يقال على قلبي لكنه
جا على حكاية كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله
بتيسيره حال من فاعل نزله مصدقا لما بين يديه حال من ضمير القران
وكذا وهدى وبشرى للمومنين اي مخفف ان يحبوه ويشكروا له
صنعه لانزاله ما يصدق كتابهم وجميع الكتب المنزلة ويهديهم
ويبشرهم اي ان كانوا مومنين له ويجوز ان يكون المعنى من عادى
جبرائيل فالسبب في عداوته انه نزل القران على قلبك مصدقا لما بين
يديه موافقا اياه وهم يكرهون القران خوفا من فوات رياستهم
ولهذا يحرفون كتابهم وينكرون موافقته اياه كقولك ان عادك
فلان فقد اذيته او خوف افتضاحهم لانه يكشف عن اسرارهم
من تحريف التورية وكتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعداوة
المومنين من كان عدوا لله اراد بعداوة الله مخالفة اوامره عنادا
او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره على طريقة
التمهيد ونفخيما لشانهم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وملائكته ورسله من بني ادم والملائكة ولو لم يكن المراد من
الرسل ما يعم الرسول من جنس الملائكة لما حسن الفصل بهما
بينهم وبين لما خص منهم بالذكر وجبريل وميكال خصهما بالذكر مع
اندراجهما تحت عموم الملائكة والرسل لفضلهما وكرامتهما كان
كل واحد منهما جنسا براسه تنزيلا لتغاير الوصف منزلة تغاير
الموصوف وتنبيها على ان معاداة الواحد والكل سوا في الكفر واستجلاب
العداوة من الله وفي ميكائيل خمس لغات ميكائيل وميكائل بحذف
اليا وميكئيل وميكائل بحذف المد عنهما والياء عن الثانية وميكال
صاحب محمد لا نتبعه لانه ياتي بالخصب والسلام تنبيها على ان
من ابغض جبريل فقد ابغض ميكائيل لانهما قرينان بغض احدهما
يستلزم بغض الاخر فان الله عدو للكافرين مجرد المعاداة

معلوم

معلوم فلا بد من الحمل على الكناية تنبيها للفائدة اي من عاداهم عاقبه
الله تعالى اشد العقاب ولما كان فيه تنزيل المتقدم منزلة المحقق استحق
التاكيد بالجملة الاسمية وان والشدة المذكورة معتبرة في الكناية عنه
ولا تاثير فيه لتاكيد الخبر وكان الظاهر ان يقال فانه عدو لهم والعدول
عن الظاهر اولى للتهويل ولان فيه احتمالا لان يذهب الوهم الى رجوع
الضمير الى مجموع ما تقدم وتاتيا للدلالة على ان عداوة المذكورين
كفر وان الكفر سبب لعداوة الله تعالى اياه ولقد انزلنا اليك ايات
بينات اي واضحة الدلالة لا التباس فيها فعدم الايمان بها ليست
شبهة وما يكفر بها عطف على مقدر اي فلا يشتبه على احد ولا
يكفر بها الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن
اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع
من كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما جئتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك بها
فنزلت واللام للجنس والمراد باهل الكتاب الخارجون عن
دينهم لان الاية نزلت فيهم وطرفي الكلام في شانهم والوصف
بالتمرد التي تخالهم ففيه دلالة على ان ذلك الخروج بسبب كفرهم فيكون
فيه مبالغة وهي ان كفر غيرهم كالعدم ومن لم يتنبه لهذا زعم ان الاحسن
ان يكون للعهد اوكلما عاهدوا عهدا الواو للعطف على محذوف
اي لا مجال للعطف على السابق معناه كفروا بالايات البينات او
كلما عاهدوا فالهمزة لانكار الجمع بين الكفر ونقض العهد وقرئ بسكون
الواو على ان الفاسقين بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل الا الذين
فسقوا ونقضوا العهد مرارا كثيرة لا على ان الواو العاطفة
اسكنت اسكان الهاء في وهو لانه لو لم يثبت مثل ذلك في الواو
العاطفة واو في مثل هذا الموضع يفيد تساوي الامرين في
الوقوع مع ان الثاني بعيد والبعيد بان لا يقع فيحمل على انها بمعنى
بل وقد اثبتها الثقات وشهد بها الاستعمال ودلت عليه
ههنا القرينة وهو قوله بل اكثرهم لا يومنون ترقيا الى الاغلظ
فالاغلظ نبذه فريق منهم النبذ الرمي بالزمام ورفعه ولم يغلب فيما
ينسى فلذلك احتيج الى زيادة قوله وراء ظهورهم عند ارادة معنى
النسيان وانما قال فريق منهم لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يومنون
رد لما يتوهم ان الفريق هو الاقلون وهذا على تقدير ان يكون
من لم ينبذه مومنا حقا ولما جاءهم رسول تنكير الرسول محمد
عليه السلام للتعظيم وفي قوله من عند الله اشارة الى ان تحقيقه

طفة

التعظيم من جهة اخرى مصدق لما معهم من الكتاب وتخصيصه بكونه
على الوصف الذي ذكر فالمراد من الرسول محمد عليه السلام نبذ فريق
من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية حيث لم يعملوا
بموجب ما فيها وهو الايمان بالرسول المصدق بها وراء ظهورهم النبذ
وراء الظهر مثل لترك الشيء والاعراض عنه بالكلية مثل ما يرمى به وراء
الظهر استغناء عنه وقد يكون كناية عن نسيانه فان نبذ الشيء
الى وراء الظهر مستتبع نسيانه غالبا ويجوز ان يستعار النسيان
للاعراض راسا ثم يكون النبذ وراء الظهر كناية عنه على انه
نسيان فيكون كناية متفرعة على الاستعارة المكنية وتسميه
كناية بالاستعارة وهذا ابلغ من الكناية ابتداء والاستعارة التمثيلية
كانهم لا يعلمون انه كتاب الله تعالى جملة حالية وكان فيه
ايماء الى ما ذكر من الاستعارة المكنية واتبعوا ما تتلو الشياطين
على ملك سليمان عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله تعالى
واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت الشياطين وهم المتمردون
من الجن يقرؤنها على عهد ملك سليمان عليه السلام وليست
على صلة التلاوة بل من قولهم كان هذا على عهد فلان اي في وقته
وزمانه وتتلو حكاية حال ماضية وما كفر سليمان تكذيب
لمن زعم ان سليمان عليه السلام يسخر الانس والجن والريح ده
بالسحر وان ملكه تم بهذا العلم والكناية عن السحر بالكفر للدلالة
على انه كفر والاشارة الى ما يوجب تنزهه عليه السلام عنه كانه
قال وما سحر سليمان لان السحر كفر والنبي معصوم عن الكفر
ولكن الشياطين كفروا لما نفى الكفر عن سليمان عليه السلام وكانت
الشياطين قد سخرت لسليمان عليه السلام ليستعملهم فيما يشا
فقد يتوهم انهم لا يكفرون ايضا اذهم في خدمة نبي فاستدرك
انهم كفروا باستعمالهم السحر وقرئ الحسن الشياطون وقال السجا
وندي خطا انما زكي ولو سلم صحته فلا خفاء في عدم فصاحته
يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والسحر
مزاولة النفوس الخبيثة لافعال واقوال تترتب عليها امور
خارقة للعادة ولا يروى خلاف في كون العمل به كفرا وعده نوعا من
الكباير مغاير للاشراك لا في ذلك لان الكفر اعم والاشراك نوع منه
وهو في اصل اللغة الصرف حكاه الازهري عن الفراء ويونس فاطلاقه
على ما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية وما تريك صاحب
خفة اليد باعتبار ما فيه من صرف الشيء من جهته حقيقة

لغوية

لغوية وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف
لانه نوع اقوى منه كانه من جنس اخر وهما ملكان انزلا لتعليم السحر
ابتلاء من الله تعالى للناس وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما
ويؤيده قراءة ملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على كفر تكذيب
لليهود في هذه القصة وتكذيب قوله وما يعلمان من احد فانه
اذا لم يكن هناك شيء منزل في التعليم والتعلم في اي شيء يكون ببابل
ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل قال ابن مسعود هي
في سواد الكوفة ومنع صرفها للعلمية والعجمة هاروت وماروت
عطف بيان او بدل للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ولو كانا
من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرئ بالرفع
على هما هاروت وماروت وابدالهما من الشياطين بدل البعض
عن الكل تعسف جدا لما قيل ان ما انزل نفي يرده تعلق قوله وما
كفر سليمان الاية لما قبله تعلقا خاصا بحيث لا يستطيع بدونه
فان المبدل منه في حكم الساقط بحيث لو اقيم البدل مقامه
لا ينتظم الكلام معه وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
تصريح بما قدمناه من ان انزال السحر عليهما للابتلاء اي ما يعلمان
احدا حتى ينصحاه وينهياه على انه سحر والعمل به كفر والفتنة
ما تبين بها حال الانسان من الخير والشر يقال فتنت الذهب بالنار
اذا اخرجته بها لتعلم انه خالص ام مشوب ومنه الفتانة وهو
الحجر الذي يجرب به الذهب والفضة فلا تكفر بالعمل به او باعتقاد
جوازه انما نحن ابتلاء من الله تعالى واختبار فان علي رضي الله
عنه كانا يعلمان تعليم انذار لا تعليم دعاء اليه كانهما يقولان
لا تفعل كذا وكذا والصحيح من مذهب اصحابنا ان تعلمه حرام
مطلقا لانه توسل الى محظور عنه غنا وتوقيه فالتجنب اصلح
واحوط فيتعلمون منهما عطف على يعلمان المقدر اي يعلمان
فيتعلمون الناس على ان الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون
به بين المرء وزوجه اي ما يحدث الله تعالى عنده التفرق فيه
بينهما وما هم بضارين به اي بما يفرقون من احد الا باذن الله
استثناء مفرغ من الاحوال فهو حال من فاعل بضارين ومن احد في
محل النصب بالمفعولية في موضعين وفي زيادة من تاكيد بليغ فيه
وقرئ بضاري على حذف النون من اسم الفاعل وان لم يكن فيه
الى قال ابو حيان وله نظير في نثر العرب ونظمها واما حذفها
على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه فمردود بان الجار موثر

فيه وجزء الشيء لا يؤثر في الشيء ويتعلمون ما يضرهم لما عرفت انه افعال
واقوال يزاولها النفوس الخبيثة تحصل لها لا تخلو عن نوع تاثير في
نفس المتعلم اما ما قيل لانهم يقصدون به العمل او لان العلم غالبا
يجر العمل غالبا فانما يصلح وجها لضرر العلم لا لضرر المعلوم ولا ينفعهم
نفي لاحتمال ان يكون مضرا مشوبا بنفع في الجملة وهذا كالرد على
من توهم ان في تعلمه لنوفاه وليلا يغتر به نفع ما واستشهد بقوله
بن نوال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لم يعرف الشر من الخير
وقع فيه ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدله بكتاب
الله والضمير لما تتلوا الشياطين واللام الاولى للتاكيد القسمي
والثانية لام الابتداء لتعلقه فعل العلم ما له في الاخرة من خلاق نصيب
ولبئس ما شروا به انفسهم عطف على جملة القسم والجواب او على
الجواب وعطف الانشاء على الاخبار كثير وقد تقدم الكلام فيه
لو كانوا يعلمون جواب لو محذوف اي لارتدعوا عن تعلم السحر
واشار كنيد او لكان خيرا لهم والمعنى لو اعتادوا العمل بموجب العلم
كني بعدم العلم تنبيها على قوة الملازمة بين العلم والعمل بموجبه وان
عدم العمل لعدم الصحة فيما يوجبه من العلم ولو انهم امنوا برسول
الله والقران والتورية لان ايمانهم بها كلا ايمان واتقوا اجتنبوا ما
هم عليه من اتباع السحر واستبدله بكتاب الله تعالى لمثوبة لشيء
ما من الثواب من عند الله فيه تعظيم للثواب وتنبيه على نفاسته
بناء على ان ما عند الله عبارة كما في عالم الغيب اعني عالم الاخرة
ودفع لما عسى ان يتوهم ان التنكير التقليلي في مثوبة للتحقير
خير جواب لو اصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خير مما شروا به
انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي في جملة اسمية ليدل على ثبات
المثوبة والجزم بخيرتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل
من ان ينسب اليه ويجوز ان يكون ولو انهم امنوا تمنيا على سبيل
المجاز كانه قيل وليتهم امنوا واتقوا وترك الجواب في لو هذه
كاللازم في معنى ليت وتقديره لو امنوا واتقوا لكان حسنا وايراد
الجملة الابتدائية بعده كالتعليل للتمني لو كانوا يعلمون اي ثواب
الله خير مما هم فيه جهلهم لتركهم العمل بعلمهم يا ايها الذين امنوا لا
تقولوا راعنا وقولوا انظرنا راعنا امر من المراعاة يقتضي المشاركة
غالبا اي ليكن منك رعي لنا ومنا رعي لك والرعي حفظ الغير لمصلحة
نهوا ان ينطقوا بلفظ يقتضي المشاركة مع من يعظم وتضمن
هذا النهي عن كل ما يكون فيه استواء مع النبي عليه السلام وروي

ان

ان المسلمين كانوا يقولون للرسول عليه السلام راعنا اي راقبنا
وتان بنا فيما نلقنا حتى نفهم وسمع اليهود ففرحوا وخاطبوه
به مريدين نسبته الى الرعي او نسبه فانكلمة العبرانية التي كانوا
يتسابون بها وهي راعينا فنهى المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك
الفائدة ولا يحتمل التلبيس وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ
وانظرنا من النظرة اذا امهلنا حتى نحفظه وقرئ راعونا على
لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا راعنا نسبة الى الرعي وهو
الهوج لما شابه قولهم راعينا فنسب للسبب واسمعوا ما يكلمكم به
رسول الله صلى الله عليه وسلم سماع تيقظ حتى لا تحتاجوا الى المراجعة
والمراعاة او واسمعوا ما امرتم به حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه
تاكيدا عليهم في تركها وللكافرين اي الذين تهاونوا وسبوا الرسول عليه
السلام وسبوه عذاب اليم بسبب كفرهم ما يود الذين كفروا
من اهل الكتاب ولا المشركين المودة محبة الشيء مع تمنيه ولذلك
يستعمل في كل منهما ومن للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان
اهل الكتاب والمشركون ولا مزيدة للتاكيد نزلت تكذيبا لجمع من
اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير
ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود من الاولى مزيدة
للاستغراق بعد النفي والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى
انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه بالعلم والنصرة
والوجه تعميم الكل لانه نكرة في سياق النفي بالواسطة والله
يختص برحمته من يشاء على مقتضى حكمته وتقديم اسم الله تعالى
على الفعل للتاكيد والتخصيص ثم وضع المظهر موضع المضمر للتعظيم
فتزينه معنى الاضافة بالانفراد والله ذو الفضل العظيم اشعار
بان الكونية هي الفضل العظيم والله تعالى صاحبه دون غيره ما
ننسخ من اية او ننسها وقرئ ونسخ من انسخ ونجيبها بالنسخ بد
من التنبيه وننساها بالهمزة وننسها من نسي وانسى على خطاب
الرسول عليه السلام وقرئ ما ننسك من اية او ننسخها وما ننسخ
من اية او ننسكها والنسخ في اللغة هو النقل والتحويل ومنه
انتساخ الكتاب هو نقله من نسخة الى اخرى ونسخ الاية بيان
انتهاء التعبد بقراءتها او حكمها او بهما جميعا وانساخها الامر بنسخها
وتنسوها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساها ونسيها ان يذهب
بحفظها عن القلوب وما شرطية جازمة ننسخ منتصبة به
على المفعولية وننساها مجزوم ايضا للعطف على المجزوم وجزمه

بحرف الباء منه والاية على المعنى اللغوى وهو جماعة من الكلام يقال خرج
القوم بآيتهم اى بجماعتهم ولا اختصاص للنسخ بتمام الاية المصطلحة
نأت بخير منها بما هو انفع لكم فى الدنيا او فى الاخرة او مثلها فى النفع
فى واحدة منها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد
عليه السلام يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه وفى الاية
دلالة على جواز النسخ بل على وقوعه قبل وذلك لان الاحكام شرعت
والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله تعالى ورحمة
وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان
النافع فى عصر قد يضر فى غيره فكان هذا القائل غافلا عن قوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم او عن دلالته على
ان النسخ قد يكون غضبا على قوم ثم ان قوله وذلك يختلف باختلاف
الاعصار الى اخره سنباه المعقول على ان النسخ قد يكون قبل العمل
بالمنسوخ الم تعلم الخطاب لكل واحد لان الامر عظيم شامل والتيقظ له
ضرورى للكل فيصلح ان يخاطب له كل احد ان الله على كل شىء قدير
فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله فى الخير ويجوز ان يكون
الخطاب لمحمد عليه السلام تعريضا للمشركين او اليهود كما ان قوله
تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى خطاب لعيسى يوم القيامة تعريضا
للنصارى الم تعلم تاكيد لما مر وجعله استفهاما محضا ومعادلة ام
تريدون قول من لم يذق فصاحة القران ان الله له ملك السموات
والارض فهو يملك اموركم ويليها ويدبرها فيتعبدكم بما شاء مما يرى
فيه مصلحتكم وما لكم من دون الله من ولى من يلى اموركم ولا نصير
من ينصركم عليه وفى اظهار اسم الله فى من دون الله ما مر انفا ثم
لما قرر عليهم انه مالك امورهم ومدبرها بحسب مصالحهم وانه لا ينزل عليهم
الا ما هو خير لهم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما ينزل عليهم ويدبره
امرهم ويتعبدهم به وان لا يكونوا كقوم موسى عليه السلام فى السؤال
عن امور عادت عليهم وبالا فيسالوا رسولهم ما يضرهم ولا ينفعهم
فقال ام تريدون ان تسالوا رسولكم ام هى المنقطعة بمعنى بل والهمزة بمعنى
بل عن اعتراضهم على القران بالنسخ وطعنهم وغفلتهم عن حكمة الله تعالى
ومعنى الهمزة انكار لما يناسبه من اقتراحهم على النبى عليه السلام
كاقتراحهم على موسى عليه السلام وفيه مبالغة فى النهى حتى كانهم كانوا
قصدوا الارادة فنهوا عن الارادة فضلا عن الرسول بعينه من كثرة
الاقتراحات لا ينبغى لارادة ذلك ويجوز ان تكون متصلة بهمزة
محذوفة اى تعترضون عليه بالنسخ وتطعنون فيه ام تريدون

ان

ان تسالوا قوله كما سئل موسى من قبل بلفظ المبنى للمفعول ترشيح لهذا
المعنى ان من سال مثل هذا السؤال حقيق بان يجاب عن ذكره المقال والا
فالمناسب ان يشبه سؤالهم بسؤال قومه او سؤال نبينا بسؤال موسى
على المصدر المبنى للفاعل ثم ذيل الكلام بقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان
اى ومن ترك الثقة بالايات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل
سواء السبيل الطريق المستقيم اضاف الوصف الى الموصوف لتعيين
بعد الانحراف ويكون اول ما يطرق سمعهم بعيد الضلال هو الاسنى فينبهوا
على انهم اخطأوا الاستقامة فى طريقهم فيرجعوا وهو ابلغ من قولك
فقد ضل الطريق المستوى ود كثير من اهل الكتاب يعنى احبارهم لو
يردونكم تمنوا ان يردوكم فان لو ينوب عن ان فى المعنى دون العمل من
بعد ايمانكم كفارا حالا ومفعولا ثانيا على تضمين يود معنى
يجعل حسدا مفعول له او حال اريد به نعت الجمع اى حاسدين لكم والحسد
الاسف على من له خير غيره والتمنى ان يزول عنه اليه من عند انفسهم
متعلق بحسدا اى حسدا ناشيا من عند انفسهم يعنى حسدا متناهيا
ذاتيا لا يمكن ازالته لا عرضيا جائز الزوال او لا بحسدهم لا يكون الا من عند
انفسهم ويجوز ان يتعلق بود اى تمنوا ارتدادكم من قبل انفسكم وشهوتها
لا من جهة التدين والميل الى التحقيق لانهم تمنوا ذلك من بعد ما تحققوا
انكم على الحق من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة
فى التوراة ومعنى الفاء فى فاعفوا واصفحوا للسببية يعنى اذا علمتم
ان ودادتهم المؤكدة انما هى بحسدهم لا للدين فليس يملككم ازالتهم فلا
سبيل لكم الا العفو وهو الترك والصفح وهو الاعراض حتى ياتى الله بامره
من قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير واذلالهم بالجزية ولا يخفى ما فى
نسبة الاتيان اليه تعالى من التعظيم والتهويل ولذلك عدل عن
الاضمار وهو حتى ياتى الله ولما كان مظنة ان يسبق الى الوهم ان
ذلك التوقف لعدم القدرة على الانتقام على الفور تدارك دفعه
بقوله ان الله على كل شىء قدير فيقدر على الانتقام منهم اى وقت
شاء وعن ابن عباس رضى الله عنه انه منسوخ باية السيف
والغاية التى يتعلق بها الامر اذا كانت لا يعلم الا شرعا لم يخرج ذلك
الوارد من ان يكون ناسخا دل على ذلك انتساخ ما فى حكم التوراة
والانجيل بظهور نبينا عليه السلام مع ما فيها من بيان انتهاء حكمها
بظهور النبى الامى واقيموا الصلاة واتوا الزكاة عطف على فاعفوا
كانه امرهم بالصبر والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا
لانفسكم من خير اى شيئا قليلا من جنس الخير تجدوه جاء فى الحديث

الصحاح ان الاعمال نفسها تجسد يوم الجزاء وتوجد نفسها عند الله قد
مر تفسيره ان الله بما تعملون بصير وقد تضمن الوعيد على عدم الاخلاص
في العمل وقرئ بالياء فتحقق وعيد او وقال عطف على ود والضمير لاهل
الكتاب من الفريقين لن يدخل الجنة الا من كان هودا جمع هائد كعائد
وعوذ وهو جمع الانتقاص في فاعل وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر باعتبار
اللفظ والمعنى او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله كونوا هودا
او نصارى ايجازا اعتمادا على فهم السامع وامنا من الالتباس لشهرة
بين الناس بالتعادي تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي
ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل
الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية
امانيهم والجملة اعتراض وقد مر ان الامنية افعولة من التمني مثل
الاضحوكة والاعجوبة والتمني تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها
ولما كان اكثره عن تخمين صار البطلان له املك قل هاتوا برهانكم
اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة والبرهان مشتق
من البره وهو القطع او من البرهنة وهي البيان ان كنتم صادقين
في دعواكم فان قلت هل لا يجوز ان يكون واحد منا صادقا في دعواه
ومع ذلك يكون عاجزا عن اثباته قلت يجوز ذلك في العقليات
واما الذي مداره على السمع فلا يجوز بلى اثبات لما نفوه من دخول
غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يشرك به غيره عبر بالوجه
عن الجملة اذ هو اشرف الاعضاء وفيه الحواس ولان اثر الانقياد والخضوع
يظهر فيه وهو محسن في عمله حال فله اجره الذي وعد على عمله عند
ربه لا يضيع ولا ينقص ويجوز ان يكون بلى وحده ردا لقولهم ثم يقع من
اسلم كلاما مبتدأ والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت
موصولة والفاء فيها لتضمنه معنى الشرط وان تكون من موصولة
فاعل فعل محذوف دل عليه بلى اي يدخلها من اسلم وجهه لله ويكون
قوله فله اجره معطوفة على يدخلها من اسلم ولا يخفى ما في الشرطية
العامة من التعويض بانهم لا يدخلون الجنة لانتفاء الاوصاف
الموجبة للاجر بحكم الموعد الصادق والترغيب في طريق سلوك الدخول
ولم يجزم بان غيرهم موصوف بذلك لانه على اسلوب الكلام المنصف
واوجه الوجوه ان يقدر بلى يدخلها غيرهم فقيل من هو فقيل من
اسلم ويكون قوله فله اجره من التتميم على انه زيادة على دخول
الجنة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد مر تفسيره وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء

هي

هو في غاية المبالغة لان الشيء يتناول المعدوم والممكن والمحال فاذا نو
سلب التشبيه لم يبق من المبالغة حد وراءه ومن قيد بقوله يعتد به فقد
اخذ بها نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود لهم
ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى عليه السلام والانجيل وقالت النصارى
لهم نحوه وكفروا بموسى عليه السلام والتوراة وهم يتلون الكتاب
الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة
والكتب وحق من يكفر ببعض كتب الله الايمان بالباقي لان بعضها مصدق
لبعض كذلك اي مثل ذلك القول البعيد عن الصواب قال الذين لا يعلمون
اي الجهال من المعطلة والدهرية والمشركين الذين لا كتاب لهم مثل قولهم
لم يغير مثل قولهم لان المنظوم هنا جملة اتحادهم وهي كونهم اهل الكتاب
وهو بيان لقوله كذلك لما فيه من الابهام او بدل منه ويجوز ان يكون
كذلك مفعولا به اي كلاما مثل ذلك الكلام الشنيع الذي سمعت
به قال الجهلة قولا مثل قولهم صادرا عن عناد وجهل بلا حجة فيكون
مثل نصبا على المصدر وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم
مع علمهم في سلك من لا يعلم فالله يحكم بينهم اي بين اهل الكتاب لا بين
الكفرتين ولا القبيل بينهما او بينهم وبين الجهلة ايضا يوم القيمة
اي يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا فيظهر المحق
من المبطل وانما فصلنا كذلك لانه قد اراد لم يرضوا بحكم الكتاب في
الدنيا فالله يحكم الاية فيما كانوا فيه يختلفون من الدين والكتاب
والنبي ومن اظلم ممن منع مساجد الله اي لا اظلم منه ولذا عطف على ذلك
صيغة التفضيل في سياق الاستفهام الانكاري وهذا لا ينافي في
كون المشرك اظلم لان فضله في الظلم لنفسه وفضل هذا في الظلم
للغير وسبب نزولها ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس
الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وقيل منع المشركون رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وكيف
كان فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص خصوص السبب ولذلك
اي لقصد تعميم الحكم قيل مساجد الله مع ان المنع والتخريب
انما وقع على مسجد واحد مسجد البيت المقدس او المسجد الحرام ان
يذكر فيها اسمه مفعول ثان لمنع ويجوز ان يكون على تقدير من
اي من ان يذكر وحذف حرف الجر مع ان قياس ويمكن ان ينتصب مفعولا
له اي كراهة ان يذكر وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل وسعي كلمة
يختلف معانيها باختلاف مصادرها يقال سعى يسعى سعيا اذا عمل

وإذا كسب وإذا عدى وسعى سعاية إذا أخذ الصدقات وهو عامل
وكذا سعى به إلى السلطان سعاية أيضا ووشى به إذا أخذ الصدقات
وهو عامل وكذا سعى المكاتب ومعتق البعض في أداء ما عليه سعاية
وساعى الرجل الأمة أي فجر بها مساعاة ولا يقال ذلك في الحرة وفائدة
زيادة سعى هنا قطع احتمال التسبب أولئك المانعون ما كان لهم ينبغي
لهم أن يدخلوها إلا خائفين أي وجلين من عقابه تعالى فكيف لهم
الجراءة على تخريبها قيد بما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه فيكون
وعدا للمؤمنين بالنصر واستخلاص المساجد منهم وفيه نظر
لأن تخريبهم ومنعهم يدل على أنه قد كان في علم الله تعالى وقضائه
أن يدخلوها غير خائفين وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول
في المسجد وفيه نظر أيضا لأن النهي عن تمكينهم من الدخول مطلقا
لا عن تمكينهم منه غير خائفين لهم في الدنيا خزي أي قتل وسبي وذلة
بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بسبب ظلمهم العظيم
وإنما أعيد لهم تنصيصا على أن المعذبين في الآخرة هم المعذبون
في الدنيا مكثرا الذنوبهم حتى يكون أحد العذابين لبعضهم
والآخرة للباقي ولله المشرق والمغرب وهما عبارتان عن ناحيتي
المعمورة والمراد كلها فأينما تولوا ففي أي مكان فعلتم التولية
يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه
الله أي جهته التي أمر بها الوجه والجهة كالوزن والزنة مصدران
نقلا إلى الاسم والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو
في بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجدا فصلوا في أي بقعة
شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان
لا يختص إمكانها بمسجد دون مسجد ولا بمكان دون مكان
إن الله واسع بالرحمة يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم
وأعمالهم في الأماكن وعن ابن عمر رضي الله عنه أنها نزلت في صلاة
المسافر على الراحلة وعن عطاء عميت القبلة على القوم فصلوا على
أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا أي في العقل
وأما وجوب القضاء وعدمه فأمر آخر والظاهر أنه مستطرد
عند ذكر المساجد وتمهيد لذكر الولد لأن من له الجهات كلها
متعال عنها فيستحيل أن يماثله ذو جهة والولد جنس الوالد
لا محالة وقالوا اتخذ الله ولدا أي الذين قالوا عزير ابن الله والذين
قالوا المسيح ابن الله والذين قالوا الملائكة بنات الله قالوا اتخذ

الله ولدا

الله ولدا فالضمير لمن سبق ذكرهم من اليهود والنصارى والمشركين الذين
لا يعلمون وقرئ بغير الواو على الاستئناف كأنه سئل هل انقطع حبل افترائهم
على الله تعالى أو امتد فلم ينقطع فقيل بل قالوا أعظم من ذلك وأقطع سبحانه
تنزيه له عن ذلك اعتراض بل له ما في السموات والأرض رد لما قالوا
وتنبيه على فساده والمعنى أنه خالق ما في العالم كله ومن جملته عزير
والمسيح والملائكة كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيئته
وتكوينه وكل ما كان في هذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته
فلا يكون له ولد لما تقرر من حق الولد أن يجانس والده وإنما جاء بما
للعموم وقانتون بتغليب العقلاء وهذا التغليب يأبى عن قصد التحقير
بإيرادها وتنوين كل عوض عن المضاف إليه أي كل ما فيهما في السموات
والأرض والآية تدل على فساد ما قالوه بثلاثة أوجه ومعنى تضمنه
بالاحتجاج بالوجه الأول على ثبوت التنافي في ولدية أحد للآخر
ومملوكيته له إذ لا تصريح بهذا فيما ذكرنا الاحتجاج به على أن من
ملك ولده عتق عليه بناء على ذلك المبنى لا يخلو عن نوع مصادرة
بديع السموات والأرض يقال بدع الشيء فهو بديع كقولهم ظرف
فهو ظريف وبديع السموات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها
أي بديع سمواته وأرضه أي بديع في السموات والأرض كقولك فلان
ثبت الغدر أي ثابت فيه والمعنى أنه تعالى عديم النظير والمثل
فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع فيكون مضافا إلى المفعول وقال
ابن مقسم يجوز أن تكون العين بدلا من الهمزة والبديع والمبدع
كالبديء والمبدئ اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وعلى هذا المعنى لا
تكون الأشياء كلها مبدعا وهذا رد على الذين قالوا اتخذ الله ولدا
بوجه آخر تقريره أن من قدر على خلق السموات والأرض من غير شيء
كيف لا يقدر على خلق مثل عيسى عليه السلام من غير أب وقرئ بديع
مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح وإذا قضى أمرا
أي إذا أراد شيئا لقوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون
وأصل القضاء إتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك أو فعلا كقوله فقضاهن
سبع سموات وأطلق على تعلق الإرادة الإلهية لوجود الشيء من حيث إنه
يوجبه فإنما يقول له كن فيكون من كان التامة أي أحدث فيحدث
أي لا يدخله تأخر عن وقته ولا يمتنع عليه شيء ولا يلحقه به تعب ولا
يحتاج إلى استعمال آلة ومزاولة عمل استعارة تمثيلية به شبهت الحالة
التي تتصور من تعلق إرادته تعالى بشيء من المكونات وسهولة إيجاده
إياه من غير امتناع ولا توقف بحالة أمر الآمر النافذ تصرفه في المأمور

المطيع الذي لا يتوقف في الامتثال فاطلق على هذه الحالة ما كان يستعمل في
تلك من غير ان يكون هنا قول وامر وهذا اقرب ما يتناول به المعنى المقصود
فلا تتجه المناقشة بان وجه الشبه اقوى وحق التشبيه عكس هذا وذهب
بعضهم الى انه حقيقة وقد جرت السنة الالهية بان يكون الاشياء
بكلمة كن فيكون المامور الحاضر في العلم والمامور به الدخول في الوجود
وقرئ برفع فيكون اي فهو يكون وبالنصب على جواب الامر وفيه تقرير
لمعنى الابداع وتاكيد لاستبعاد الولادة المدلول عليه بقوله سبحانه
واما ما قيل انه حجة اخرى وهو ان اتخاذ الولد باطوار ومهلة وفعله تعالى
يستغني عن ذلك فيرد عليه انما يكون باطوار ومهلة هو تكون الولد على
جري العادة فللمخالف ان يقول اتخاذه الولد على سبيل خرق العادة ثم ان
فعله تعالى قد يقارن المهلة لحكمة وان كان مستغنيا عنه كيف وقد
كان خلق السموات والارض في ستة ايام ومن هنا ظهر ان من اعتبر في
التمثيل المذكور الحصول بلا مهلة لم يصب **وقال الذين لا يعلمون** اي
الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفي عنهم العلم لانهم لا يعملون
به سواء تجاهلوا او لا بان اظهروا علمهم **لولا** هلا **يكلمنا الله** كما يكلم الملائكة
وموسى عليه السلام ويامرنا وينهانا بالذات وهذا استكبار منهم
عن اتباع بشر مثلهم **او تاتينا آية** من الله نعلم بها انك رسول الله
وهذا استهانة منهم بالمعجزات الباهرة وانكار للآيات الظاهرة **كذلك**
قال الذين من قبلهم يعني اليهود حيث قالوا ارنا الله جهرة واما
قول الحواريين هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
فليس من هذا القبيل على ما تقف عليه في موضعه **مثل قولهم** قد
مر تفسيره والمماثلة بين القولين في كونهما تحكما وعنادا **تشابهت**
قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى او العناد اعتراض وقرئ
بتشديد الشين وخطاه النور قائلا ان ذلك انما يجوز في المضارع
يعني تتشابه فتدغم احدى التائين في الشين **قد بينا الآيات**
لقوم ذوي بصائر **يوقنون** لانها آيات يجب الاكتفاء بها عن غيرها
واصل البيان الذي يقع به الالزام يعم الكل لكن خص الموقنين
في حق النفع واليقين ابلغ علم واوكده لا يكون معه مجال عناد واحتمال
زوال ولذلك قال في حق ابراهيم عليه السلام وليكون من الموقنين
ولو صح ان يتخلف عنه الاذعان لكان درجته فوق الايمان فكان
من له ذلك ابلغ من المؤمنين واللام في الآيات للاستغراق اي
كل الآيات او الماهية او ما يعرفه العقلاء انها آيات وتنكير قوم
للتعظيم اي قوم اي قوم صفتهم الايقان وفيه تعريض بانهم

ارذال

ارذال اهل الظن والتقليد وايذان بان الايمان له شان **انا ارسلناك بالحق**
مصحوبا به لا يفارقك **بشيرا ونذيرا** للمطيع والعاصي فلا عليك الا البلاغ
المبين **ولا تسال عن اصحاب الجحيم** ما بالهم لم يؤمنوا اذا بلغت في دعوتهم جهدك
وقرئ ولا تسال على النهي تعظيما لما في الكفرة من العذاب كانها تسال عمن هو
واقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه اي هو في حالة لا تحتمل سماعها
لفظاعتها وايحاشها السامع او ازعاجه او جزعه ان تكلم بها فلا تكلفني
او اعظم ان يكتبها او يعبر عنها عبارة قيل انه امر بتبشير المومنين وانذار
الكفار كان يذكر عقوبات الكفار فقام رجل وقال يا رسول الله اين
والدي فقال في النار فحزن الرجل فقال عليه السلام ان والدك ووالدي
ووالد ابراهيم في النار فنزل القول المذكور فلم يسال شيئا من بعد ذلك
والجحيم النار الشديدة الالتهاب والجاحم المكان الشديد الحر **ولن**
ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم لف بعد النشر على عكس
ما في قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى حكى
الله تعالى كلامهم ولا بد من الحمل على هذا ليطابق قوله **قل ان هدى**
الله فانه يقتضي سابقة قول ممن ندب عليه السلام الى محاجتهم مبني
على تمادي لجاجهم والملة من امللت الكتاب وهو اسم لما شرعه الله تعالى
لعباده على لسان نبيه ليتوصلوا به الى اجل ثوابه والدين مثلها لكن
الملة تقال باعتبار الدعاء اليه والدين باعتبار الطاعة والانقياد له
ثم يقال الملة والدين لما لم يكن من قبل الله تعالى على التقييد كقولك ملة
ترك ودينه قيل كان عليه السلام يجتهد في طلب ما يرضيهم ليقبلوا الى
الاسلام فقال له دع طلب ما يرضيهم الى ما امرتك به من مجاهدتهم
فليس فيه اقناط عن اسلامهم **قل ان هدى الله هو الهدى** بالغ في تعظيم هدى
دين الاسلام بتسميته الهدى واضافته الى نفسه وحصر الهدى فيه
بان والضمير واللام اي ان دين الاسلام الذي هو نفس الهدى المخصوص
بالله الذي يتبناها او يسمى هدى وهو الهدى كله لا غير فيلزم ان ما عداه
ليس بهدى بل هوى او لكن قول لا حجة معه ولا عن علم فهو هوى
فلهذا قال على سبيل الفرض **ولئن اتبعت اهواءهم** اراءهم الزائغة
فان الهوى راي عن شهوة داع الى الضلال وانما سمي بذلك لانه يهوي
بصاحبه في الدنيا الى كل داهية والى الهاوية **بعد الذي جاءك من العلم**
ابهمه ثم بينه للتعظيم اي من الدين المعلوم صحته بالبرهان **ما لك من**
الله جواب للقسم قد سد مسد جواب الشرط **من ولي ولا نصير** يدفع
عنك عقابه **الذين آتيناهم الكتاب** هم مومنوا اهل الكتاب **يتلونه**
حال مقدرة من هم او من الكتاب لانهم لم يكونوا وقت ايتائه تالين له

او خبر **حق تلاوته** نصب على المصدر اي تلاوة كما يجب ان يتلى لا يحرفونه
ولا يكتمون شيا منه كنعت الرسول عليه السلام وغيره **اولئك** اي
التالون على ما يجب **يومنون به** بكتابهم دون غيرهم من المحرفين
ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه **فاولئك هم الخاسرون** المخسرون
بالخسران باشترايهم الضلالة بالهدى **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي**
انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس
عن نفس شيا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
لما ذكرهم النعمة اولا وخصهم بالخطاب من بين بني ادم وخصهم بالخطاب
على اتباع من رحمة للعالمين فانقسموا الى من قبل ومن ابى فقتلهم اخرهم
خاطبهم على سبيل الالتفات بمثل الاول خطابا شاملا للفريقين عودا على
بدء تخسيرا سيا وتخسيرا لمن كابد علم من ذلك ان التكرير ليس بمجرد
التقرير وفيه حسن للتخلص الى حديث جدهم ابراهيم عليه السلام على وجه
يوكد ما يدعوا اليه **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات** باوامر ونواهي
واعلم ان الابتلاء والبلا يتضمنان مرين يعرف من حاله وظهور جودته ورداءته
بعده فربما قصد الامران معا وربما قصد احدهما فاذا نسب الى الله تعالى
فهو الامر الثاني وليس هذا من ابتلاء سبكذا اذا اصابه بما يكرهه
ويشق عليه لان حمل الاوامر والنواهي على المكاره وعدهما من البلا بالبس
بهنا سبب وابراهيم تفسيره بالسريانية رب راحم وذلك لرحمته بالاطفال
قيل جعل هو وزوجته سارة كافلين لاولاد المومنين الذين يموتون
صغارا الى يوم القيامة **فاتمهن** اي قام بهن حق القيام والطاعة
لقوله وابراهيم الذي وفى **قال** استيناف فالعامل في اذ محذوف
او هو العامل في اذ والواو داخلة عليه عطفا على ما قبله عطف
القصة على القصة المشار اليها اجمالا بقوله يا بني اسرائيل اذكروا **اني**
جاعلك من الجعل بمعنى التصيير فيتعدى الى اثنين **للناس اماما**
الامام اسم لمن يوتم به كالازار لما يوتزر به وامامته عليه السلام موبدة
اذ لم يبعث بعده نبي الا كان مامورا باتباعه واما عمومها فينا في
قوله عليه السلام اعطيت خمسا الحديث **قال ومن ذريتي** اي
واجعل بعض ذريتي واستعمال صيغة الامر في موضع التماس سايغ
شايع وهذا اولى من المصير الى عطف التلقين لانه لا يخلو عن سو
ادب وذريته نسله **قال لا ينال عهدي الظالمين** اي من كان
ظالما من ذريتك لا يناله لا يناله عهدي اليه بالامامة وانما ينال من
كان عادلا والنيل الحوف واختلف في المراد بالعهد والاظهر انه النبوة فلا
دلالة في الاية على ان الفاسق لا يصلح للامامة **واذ جعلنا البيت** اسم

غالب للكعبة كالنجم للثريا **مثابة للناس** المثابة كالمابة صيغة ومعنى
اي مرجعا يثوبون اليه بعد التفرق عنه **وامنا** اي موضعا في غاية الامن
لا يتعرض لاهله لقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حوله قيل يامن
حاجه من عذاب الاخرة وفيه نظر لان الحج لا يجب ما قبله من المظالم وقيل
لا يواخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وفيه نظر ايضا لانه يلجي الى الخروج
فلا يبقى امنا **واتخذوا** على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او
اعتراض معتبره وتوبوا الى الله واتخذوا وعلى هذا الواو فصيحة **من**
مقام ابراهيم مصلى موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الا
ستحباب دون الايجاب وهو الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع
الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء
البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر رضي
الله عنه وقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال
عليه السلام لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل
المراد الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رضي الله عنه انه عليه السلام
لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا
واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي اتخذ الناس مقامه
الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها ويحتمل ان يكون امرا
على صيغة الخبر للتاكيد فتتوافق القراءتان وعلى هذا يتعين كون
الامر للايجاب **وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا** اي بان طهرا
بيتي من الاوثان والانجاس ويجوز ان تكون ان مفسرة لتضمن العهد
معنى القول والمعنى دوما على تطهيره فهو امران ينفياه على
الطهارة لان يكون فيه نجاسة فيزيلاها وهو قوله عليه تعالى
لهم فيها ازواج مطهرة اي منقاة على الطهارة الاصلية **للطائفين**
اي للدايرين حوله **والعاكفين** العاكف من لزم الشي واقام عليه
والركع السجود جمع الراكع والساجد اي المصلين والصلاة تشتمل
على فعال اقربها الى الخشوع هذان وترك العاطف بينهما لكمال الاتصال
واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا اي هذا البلد وهذا المكان
بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه غيرها كان
او من اهله كقولك ليل نايم والبلد الاثر في الجلد وغيره وانما سمي البلد
بلدا لما فيه من الاثار **وارزق اهله من الثمرات** الثمرة هي جميع ما
يخرج من الارض والاشجار فهو سوا في الطعام والفواكه وذلك لانه
اسكن اهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع وانما قال اهله دون
اهلي تعميما للدعا كما هو اللايق لشان الانبيا **من امن منهم بالله**

والبوم الاخر بدل من اهله اي وارزق المومنين من اهله خاصة
قالوا قاس ابراهيم عليه السلام الرزق على الامامة فخص الرزق المطلوب
بالمومنين وهذا القياس لا يليق بشانه عليه السلام لظهور الفرق
بينهما عند من له ادنى تمييز فالوجه ان يقال انه عليه السلام الجا على
تعميم الدعا للكافر لان الكافر لا يدعى له بل يدعى عليه قال عليه السلام
اللهم اشدد وطئتك على مضر وقال موسى عليه السلام ربنا اطمس
على اموالهم واشدد على قلوبهم او خشي ان يخرج ذلك مخرج المعونة
لهم على العصيان او اراد ان يجعل ذلك ابتدا ترغيبا للكفار في الاسلام
قال ومن كفر مبتدا فيه معنى الشرط وجوابه وخبره مقدر تقديره
فلا اهلكه والثاني قوله فامتعه فصحيحة وجعله جواب او خبر
باعتبار الفا فان الكفر لا يصلح سببا للتمتع لا كثيرا ولا قليلا انما يصلح
لتقليله لكن صرف النظر اليه لا يخلو عن تعسف واما عطف من كفر
على من امن ففيه ان العطف يقتضي التشريك في العامل فيصير
التقدير قال ابراهيم وارزق من كفر ولا يناسبه التسياق والسياق
ومن هنا ظهر منافي قراءة الحبر بن علي بلفظ الامر على انه من دعا
ابراهيم عليه السلام من القصور كيف والمناسب له عليه السلام
طلب الهداية اي الاسلام لمن كفر لا طلب ختمهم على الضلالة قليلا
نصب على المصدر اي تمتعا قليلا او على الظرف اي زمانا قليلا ثم
اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وقرئ واضطره
بادغام الضاد في الطا كما قالوا اطجع نقل سيبويه عن بعض العرب
مضطجعا وقال مصطجع الكوفد على ابن مضطجعا كثير فلا يكون
لغة مرذولة وبيس المصير مصيرهم فحذف المخصوص بالذم
واذ يرفع ابراهيم برفع حكاية حال ماضية اورده مع استحضار
لها لعظم وقعها في النفوس ولهذا ابهم القواعد بالاطلاق ثم بينها
بالتقييد بقوله من البيت تفخيما لشان مبين والقاعدة هي
الاساس والاصل لما فوقه وهي من الصفات الغالبة من القعود بمعنى
الثابتة ورفع هو بالبنا عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى
هيئة الارتفاع واسماعيل عطف على ابراهيم فهما مشتركان في
الرفع اي يقولان ربنا والجملة حال منهما تقبل منا اي هذا العمل
الذي قصد به رضاك انك انت السميع العليم بدعائنا العليم بنياتنا
ربنا واجعلنا عطف على الدعوة السابقة وتكرير ربنا للاستلذاذ
بذكره والخضوع للربوبية مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهنا
ومنقادين من اسلم بمعنى استسلم والمراد طلب الزيادة على ما كان

او الثبات

او الثبات عليه وقرئ مسلمين على لفظ الجمع من مراتب الجمع وقيل ارادا انفسهما
وهاجر ومن ذريتنا خصا الذرية بالدعا لانهم احق بالشفقة وانتيا
باداة التبعيض لانه تعالى كان اعلمهما ان في ذريتهما من لا ينال العهد
لكونه ظالما واما ما قيل ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على
الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش فلا
يصلح وجها لما ذكرنا كما لا يخفى امة مسلمة لك الاسلام هو الانقياد والخضوع
وارنا من الرؤية بمعنى الابصار او المعرفة دل على ذلك الاقتصار على
مفعولين والاختيار ان يقرا بكسر الرا وهي قراءة الجمهور لانها كسرت
الهمزة جعلت الى الرا وسقطت الهمزة فلا ينبغي ان يسكن قياسا على
فخذ كما فعله ابن كثير لئلا يجحف بالكلمة وتبطل الدلالة على
الهمزة مناسكنا متعبدا تنا في الحج قال الزجاج كل متعبد منسك
والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة
والبعد عن العادة او مذابحنا فان النسك خص بالذبيحة وبحرف
منه حتى قيل نسك فلان اذا ذبح وتب علينا انك التوبة هنا
رجوع الى الطاعة عن العصيان ومن الله تعالى رجوع بالاحسان
ولهذا يتعدى بعلى وذلك ان تاب يعني رجع حكمها ان رجع لازمه
ومتعد وانما قالا ذلك هضما لانفسهما واستتابة عما فرط منهما سهوا
وارشاد الذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا تكرير لما مر
وابعث فيهم ذريتنا في ذريتهما لا في الامة المسلمة لعدم الدلالة على
انهم امة ذلك الرسول رسولا منهم البعث فيهم لا يستلزم ان يكون
منهم كالعكس ولهذا جمع بينهما يتلوا يقرا عليهم اياتك المراد بالاية
المعجزة الواضحة الدلالة وفي عبارة التلاوة اشارة الى انه اراد ان
يكون للرسول المسول معجزات من جنس الكلام ويعلمهم اي يلطفهم
في الفهم شيا فشيا الكتاب كلام الله تعالى المنزل عليه عليه السلام
وهو اعم من القران لاشتماله على منسوخ التلاوة الخارج عن القران
والحكمة السنة ذكره قتادة ووجه المناسبة بينهما ان الحكمة
منتظم العلم والعمل كما ان السنة منتظم القول والفعل ويزكيهم ويطهرهم
اي يحليهم بالفضايل ويخليهم عن الرذايل وانما قدم الاول لان نعم
القبايح يكون سببا لتركها والجامع لما ذكر انما هو محمد عليه السلام
وقد روي انه عليه السلام قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة اخي
عيسى ورويا امي امنه انك انت العزيز الغالب الذي يقهر ولا
يقهر الحكيم المحكم لاوامره ومن يرغب عن ملة ابراهيم سعه
الارادة ومنه يطلق رغب اي منهم ومنه فعل يطلق اقتضى

صرف الارادة عن ذلك الشيء وذلك بالتزهد فيه ومن الاستفهامية
على وجه الاستبعاد والمراد الجحد على وجه ابلغ اي لا يزهد في ملة
ابراهيم الا من الا الذي سفه نفسه اذلها واستخف بها قال
المبرد وثعلب ان سفه بكسر الفاء يتعدى كسفه المشددة ويشهد
له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس والمستثنى
في محل الرفع بدل من الضمير الذي في يرغب وهو اجود من النصب
على الاستثناء ولقد اصطفيناه في الدنيا اي جعلناه صافيا
من جميع ما لا يليق خلت الحق ثم الاصطفاء في الاصل تناول صفوة الشيء
كما ان الاختيار تناول خيره والاجتباء تناول جابيته اي وسطه وهو
المختار وانه في الاخرة لمن الصالحين اي من الذين يغلب لصلاح في
الدنيا حتى يكون كذلك في العقبى فكم من صالح من اول حاله ذهب
صلاحه في ماله فهو في مقام التعليل لاصطفائه في الدنيا كما انه في مقام
التعليل كما سبق من ان تحقيق الابتاع لا يرغب عنه الا سفيه او
متسفه اخل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم
قال اسلمت العامل في اذ قال اسلمت اي حين امره الله تعالى بالاسلام
قال اسلمت استئناف تعليل لما تقدم عن الفلاح في الدارين وانما
زاد قوله لرب العالمين ليبين ان المراد من الاسلام هو الانقياد عن
عرفان بما يوجب الاذعان لا مجرد الاقرار باللسان ووصى بها اي
بملة الاسلام المذكور ابراهيم بنيه والتوصية التقدم بفعل فيه صلاح
ديني او دنيوي وقرئ واوصى والاول ابلغ واشتقاقهما من وصاه
اي وصله وباعتباره رحناه اي فصله ويعقوب عطف على ابراهيم
اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه م
ابراهيم وانما منع عن الصرف للعجمة والعلمية يا بني على اضمار
القول او متعلق بوصى لانه نوع منه وباعتبار القول والفعل
يجوز اثبات ان وحذفها كما في الرسالة والابلاغ والانذار والوعد
ان الله اصطفى لكم الدين حين الاسلام الذي هو صفوة الاديان
لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون كناية عن الثبات على الاسلام
وفي العبارة المذكورة اشارة الى ان العبرة للخاتمة ام كنتم شهداء
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر
يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم يدعون اليهودية عليه
وروي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان
يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت واليهود حضور
بالذات او بالعناية والمقال والحضور اكثر ما يقال بالذات كذا

قال

قال الراغب وتقديم المفعول وهو يعقوب لشدة الاهتمام به لانهم يدعون
عليه اليهودية اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون لم يعن
به العبادة المشروعة فقط بل عنى جميع الاعمال فكانه دعاهم ان لا يتخيروا
في اعمالهم غير وجه الله تعالى ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الاصنام
وانما خاف ان يشغلهم دنياهم ولهذا زادوا في الجواب قولهم ونحن
له مسلمون اي منقادون له في جميع الافعال والاقوال قالوا نعبد
الهك واله اباءك اي نقتدي بك كما اقتديت بابائك وللاشعار
بهذا الاعتبار المناسب للمقام زادوا في الكلام على قدر الحاجة
في الجواب وقرئ واله ابيك على انه جمع اب على السلامة او مفرد
ابراهيم عطف بيان واسماعيل واسحاق بدل من قوله اباءك وابراهيم
عليه السلام كان جده والجد اب قال الله تعالى كما اخرج ابويكم من
الجنة واسماعيل عليه السلام كان عمه والعم عند العرب يسمى ابا قال
النبي عليه السلام في حق العباس ردوا على ابي وانما قدمه على ابيه
اسحاق لانه اكبر سنا منه الها واحدا بدل من قوله اباءك ويجوز
ان يكون نصبا على الحال والها توطئة والفائدة التنصيص على
ان معبودهم ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف واما النصب
على الاختصاص فيرده نص النحاة على ان المنصوب على الاختصاص
لا يكون نكرة ولا مبهما ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله
او منهما ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد او اعتراضية
تلك امة الاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة اهل الملة
الواحدة وهي في الاصل المقصود كالعمدة من عمد ويسمى بها
الجماعة لان الفرق تامها قد خلت اي مضت وصارت الى الخلاء وهي
الارض التي لا انيس بها ويلزمه الانفراد ومنه خلا الرجل بنفسه
اذا انفرد وخلا المكان من اهله اي انفرد منهم لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم الكسب اجتلاب النفع بعلاج وحرص ولذلك لا يجوز في
صفة الله تعالى واذا قيل في المضرة فعلى طريق الاستعارة وتقديم
لها ولكم للتخصيص والجملة استئناف لبيان ان الانتفاع بالاكتساب
لا بالانتساب ولا تسألون عما كانوا يعملون تتميم لما تقدم اي
لا يثاب ولا يعاقب احدا بما كان من الاخر على ان المراد سؤال المؤاخذة
وقالوا اي رؤساء اليهود ونصارى نجران كونوا المامور
من امن برسول الله صلى الله عليه وسلم هودا او نصارى كان الظاهر
ايراد اداة الجمع لان الكلام مجموع مجموع الكلامين الا انه اراد ان
يتضمن الكلام بيان انقسام المقال على الانفصال الحقيقي فاتى

بادأة المنع **تهتدوا** وجواب الامر **قل بل ملة ابراهيم** اي قل يا محمد جوابا عن
قولهم بل نكون اهل ملة ابراهيم على حذف المضاف وقرئ ملة بالرفع
على معنى بل المهتدين ملة ابراهيم **حنيفا** حال من المضاف اليه
والحنيف المائل والمراد المائل عن الاديان كلها الى دين الحق كان يقول
في الجاهلية لمن كان على دين ابراهيم عليه السلام حنيف لميلهم عن
طريقتهم الى طريقة غيرها **وما كان من المشركين** تعريض بهم الى ان تلك
الطائفتين قد اشركت **قولوا** خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون
خطابا للكافرين على ان المراد بل ملة ابراهيم بل كونوا اهل ملته
لتكونوا مهتدين فيكون قولوا بيانا له **آمنا بالله** اي بالوهيته
ووحدانيته وسائر صفاته ومن جملتها كلامه وكان الايمان
مشتملا للايمان بجميع ما انزل من عنده فلهذا لم يفصل بينهما باداة
التعدية الدالة على الاستقلال **وما انزل الينا** القرآن قدمه
لان التصديق به اهم واتم **وما انزل الى ابراهيم** من الصحف **واسماعيل**
واسحاق ويعقوب عطفوا على ابراهيم لانهم لما كلفوا العمل بشريعته
صارت الصحف المنزلة اليه كانها منزلة اليهم **والاسباط** اولاد
يعقوب جمع سبط وهو في الاصل كالطائفة والفرقة والاسباط
في اولاد اسحاق عليه السلام كالقبائل في اولاد اسماعيل عليه السلام
وهم جماعة من اب وام ماخوذ من السبط وهو شجرة واحدة
لها اغصان كثيرة **وما اوتي موسى وعيسى** التورية والانجيل
والايات البينات ولهذا اتى هنا بعبارة اوتي ولم يكرر ما
اوتي لان شريعة عيسى عليه السلام هي شريعة موسى عليه
السلام الا في اليسير وافردهما بالذكر لوقوع النزاع فيهما **وما**
اوتي النبيون تعميم بعد التخصيص **من ربهم** اي منزلا من ربهم
لا نفرق بين احد منهم اي لا نكون كالذين آمنوا ببعض وكفروا
ببعض من اليهود والنصارى واحد عام فساغ ان يضاف اليه
بين وعمومه ليس من جهة كونه نكرة في سياق النفي كما هو السابق
الى الوهم بل لانه موضوع له في النفي لمستوي فيه المذكر والمؤنث
والواحد وما وراءه ولو قال بينهم لكان اوجز الا انه لما كانت
القصد الى ان يبين ان لا نفرق بين واحد وواحد ذكر لفظ
احد **ونحن له مسلمون** مذعنون مخلصون **فان** الفاء لترتيب
الكلام على ما تقدم **آمنوا** اي اليهود والنصارى **بمثل ما آمنتم به**
اي بمثل ايمانكم فالمقصد ربه ونيه بدل من بمثل يفيد التاكيد
وكذا الباء المزيدة ويجوز ان يكون للآلة والمعنى تحروا طريقا

يهدي

يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق
او المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
اي عليه وتشهد له قراءة بما آمنتم به بالذي آمنتم به **فقد اهتدوا**
اي اصابوا الصراط السوي **وان تولوا** يقال تولاه اي اتخذه وليا
قال الله تعالى لا تتولوا قوما غضب الله عليهم واذا وصل بالى يكون
بمعنى الاقبال عليه قال تعالى ثم تولى الى الظل واذا وصل بعن
يكون بمعنى الاعراض وهو المراد هنا اي ان اعرضوا عن الايمان بما
آمنتم به او عما تقولون لهم **فانما هم في شقاق** اي فما هم الا في شقاق عظيم
وهو المناواة والمخالفة لاهل الحق فان كل احد من المتخالفين في شق غير
شق الآخر **فسيكفيكهم الله** تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم
بالحفظ والنصر والسين اشارة الى كون الوعد محقق الوقوع وان تأخر
وهو السميع العليم حذف المفعول للتعميم او ترك تنزيلا للمتعدي
منزلة اللازم لايهام المبالغة وعد للمؤمنين ووعيد للكفار **صبغة**
الله انتصب انتصاب المصدر المؤكد لمضمون الجملة من قوله
قولوا آمنا اي صبغة الله تعالى بالايمان الفطري صبغة
وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان
الصبغة حلية المصبوغ او هدانا الله تعالى هدايته وارشد بحجته
او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم
ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخله الثوب
وقيل انه كلام وارد على طريق المشاكلة وذلك انه كان للنصارى
صبغ يسمونه بالمعمودية وهو ماء اصفر كانوا يغمسون اولادهم
فيه يزعمون انه تطهير لهم ويقولون للمغموس الآن صار نصرانيا
حقا **ومن احسن من الله صبغة** اي لا احد احسن من الله صبغة
ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وفيه تعريض بهم اي
لا نشرك به كشرككم **قل اتحاجوننا** المحاجة المغالبة في اظهار
الحجة المبينة للحق اي المقصد **في الله** في شأنه واصطفائه
نبيا من قريش روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت
نبيا لكنت منا فنزلت **وهو ربنا وربكم** لا اختصاص له بربوبيته
بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده **ولنا اعمالنا**
ولكم اعمالكم وكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى فكذلك لنا اعمالنا
ونحن له مخلصون اي في الاعتقاد والعمل الا انتم كيف تكونون
افضل منا واولى كانه الزمهم على كل مذهب ينتحلونه افحاما
وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء

والكل فيه سواء واما افاضته على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة
والتحلي بالاخلاص ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصارى على القراءة بالتاء فام فانه يحتمل
ان تكون ام متصلة معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين
تاتون المحاجة في حكم الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبيا
عليهم السلام وان تكون منقطعة وعلى القراءة بالياء
لا تكون الا منقطعة لان المتصلة تقتضي المساواة بين ما يلي
الهمزة وام ولا مساواة ح ومعنى الاستفهام الانكاري وعلى
تقدير اتصال ام انكار الامرين جميعا وكذا على تقدير انقطاعه
وفي القراءة الثانية اعراض عن الخطاب لهم استجهالا لهم بما كان
منهم وفي قل انتم اعلم ام الله انكار للقسم الاول وتقرير الثاني
اي ان الله تعالى شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وهؤلاء المعطوفون
عليه اتباعه في الدين اتفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده
كائنة من الله اي شهادة الله تعالى في حق ابراهيم التي ثبتت
عنده في كتابه التي يتلوها والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب
لانهم كتموا الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض
لهم بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم
وغيرها وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد
الله ما يتعلق بهذا المقام من بيان وجه هذه الطريقة من الكلام
وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم تلك امة قد خلت لها
ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير
للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالابا
والاتكال عليهم سيقول السفهاء من الناس قد مر معنى السفه
والمراد المنكرون لتغيير القبلة من المنافقين والمشركين واليهود
وفائدة تقديم الاخبار به مع انه نوع من الاعجاز توطين النفس
واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
يعني بيت المقدس والقبلة وان كانت في الاصل اسما للحال التي
عليها الانسان من الاستقبال كالجلسة والقعدة صارت في
العرف للمكان المتوجه نحوه للصلاة اليها قل لله المشرق والمغرب
كني بهما عن الجهات كلها اشارة الى ان نسبة جميع الجهات اليه
تعالى على السوا فلا يختص بامره مكان دون مكان بخاصية
ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا

لا بخصوص

لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو ما علم الله تعالى
صلاحهم واستقامة امرهم فيه من توجيههم الى بيت المقدس تارة نحو
والى الكعبة اخرى وكذلك اي مثل ذلك الجعل العجيب والاشارة
المدلول عليه بجعلناكم لا الى الجعل المفهوم من الاية المتقدمة وانما
جي بما يدل على البعد تفخيما والكاف مقحم للمبالغة جعلناكم امة
وسطا اخيارا بكونهم عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل
اسم للمكان الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب في المدور ومن
الطرفين في المطول كالنقطة من الدايرة ولسان الميزان من
العمود فجعل عبارة عن العدل وشبه به كل ما وقع بين طرفين
افراط وتفريط كالجود بين السرف والبخل والشجاعة بين
التهور والجبن ثم جعل عبارة عن المختار من كل شي حتى قيل فلان
من اوسطهم نسبا فاستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث
كساير الاسما التي يوصف بها لتكونوا شهدا يعني الانبيا
عليهم السلام يوم القيمة على الناس على الكفار ويكون الرسول
محمد عليه السلام عليكم خاصة شهيدا متعد لامر كيانهم والشهيد
كالرقيب والمهيمن يجي بعلى للاستعلائية المشهود له روي ان الامم
يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبيا عليهم السلام فيطالب الله
الانبيا بالبينة على انهم بلغوا وهو اعلم فيوتون محمد صلى الله
عليه وسلم بالنفس كل رسول منه طايفة من امته تشهد له فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله
تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى
بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم
وذلك قوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك
على هولاء شهيدا واستدل بالاية المذكورة على ان الاجماع حجة
اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطلا لانثلمت به عدالتهم ولا يخفى ضعفه
اذ غايته ما لزم ح خطاؤهم في الاجتهاد ولا تنثلم به العدالة
كيف والخطا في الاجتهاد مما يثاب عليه وما يثاب عليه لا يكون
قادحا في العدالة وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة
التي كنت عليها وهي الكعبة لانه عليه السلام يصلي اليها بمكة
ثم بعد الهجرة امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس لا تالفا
لليهود لانه مردود بالحصر المستفاد من تمام الكلام الا كذا
ذكره فانه صريح في ان جعل الكعبة ليس تالفا لقريش على هذا
الوجه وان جعل الصخرة قبلة ليس تالفا لليهود على الوجه

الاخير ثم حول الى الكعبة فالمعنى ما رددناك الى الكعبة وولاك لا يقتضي
ان تكون القبلة المفعول الاول والتي كنت عليها المفعول الثاني كما
توهم بل يجوز ان يكون على العكس اي صيرنا الجهة التي كنت عليها اولا
ثم صرفت عنها الى بيت المقدس قبلتك او الصخرة والمخبر به على الوجه
الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان
تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا امتحانا وابتلاء
للناس وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته عليه السلام بمكة
بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه ولا دلالة في هذا على احد
المعنيين المذكورين بخصوصه كما لا يخفى الا لنعلم من يتبع الرسول
ليظهر علمنا على مظاهر الرسول عليه السلام والمؤمنين ويتميز
عندهم الثابت على الاسلام الصادق فيه وانما عبر عن الظهور
المذكور بالعلم المسند الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده
تعظيما لهم وبهذا اندفع ما قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل
وهو لم يزل عالما واما التاويل بانه باعتبار التعلق الحالي الذي
هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق به علمنا موجودا فليس بشيء لان
علمه تعالى به موجودا في وقت وجوده لم يزل ايضا فانه
تعالى كان عالما في الازل بهم وبكل حال من احوالهم التي تقع في
زمان من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان الذي تقع فيه
تلك الحالة ممن ينقلب على عقبيه من المرتد الذي يرتد
بادنى سبب لقلة تفكره بسوء حالهم في الارتداد باقبح الوجوه
فان الانقلاب على التعقيب اسوا احوال الراجع في مشيه وحسبه
العقب تعقو به لمساته والعقب على ما قاله الاصمعي ما اصاب الارض
من مؤخر الرجل الى موضع الشراك الذي ذكره من جنس الحكم والغايات
الذي يترتب عليها المصالح لا من قبيل الاعراض وقرئ الا ليعلم على
بنيا للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان تكون من متضمنة
لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام
عمرو وان كانت لكبيرة شاقة لان من الف شيئا ثم فارقه شق عليه
ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفاصلة وقيل ان هي النافية
واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة اي
الجعلة او التحويلة او المرادة ويجوز ان يكون للقبلة وقرئ
لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة كما في قوله وجيران لنا كانوا
كرام الا على الذين استثناء من محذوف اي لكبيرة على الناس الا على
الذين هدى الله اي حكمة الاحكام الثابتين على الاسلام والاتباع

و

وما كان الله ليضيع ايمانكم ثباتكم على الايمان في الاتباع بل يشكره
صنيعكم واعد لكم الاجر العظيم وقيد الاستمرار المستفاد من لفظ كان
مقدم في الاعتبار على النفي وصلاتكم الى بيت المقدس اي ايمانكم بسبب
الصلاة فيه فانها قبل التحويل ما صحت الا باستقبالها قال ابن عباس رضي الله
عنهما لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات
يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله فيه مجيء التعليل
والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم بالناس على الاطلاق فكيف بالمؤمنين
منهم لرؤوف رحيم فلا يضيع اعمالهم ولا يخل بما يصلح احوالهم وانما قدم
الرؤوف على الرحيم لان الرافة انما تكون باعتبار الحفظ والصيانة
عن الافات والنقائص الذي يستحق الثواب فالاولى من باب
التزكية والثانية من باب التحلية ولا تكون التحلية الا بعد
التزكية قد نرى قد للتقليل وقد يستعمل ههنا في مقام التكثير كما في
قوله قد انزل القرآن مصفرا انامله يعني انك تفعل كثيرا على ما
دل عليه عبارة تقلب وهو قليل بالنسبة الى ما تهم به وتريد وقت
البيت يدعي قلت الترك بالنسبة الى ما في نفسه وما يريد وهو
كثير في حد ذاته تقلب وجهك تقلب الوجه ابلغ من تقلب العين
على ان الوجه يراد به التوجه كقولك وجهي الى فلان في السما اي في
جهتها تطلعا للوحي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه
ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم عليه السلام واقدم
القبلتين وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم
ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه عليه السلام حيث انتظر
ولم يسال كما فعله ابوه عليه السلام حيث قال حسبي عن سؤالي علمه
بحالي فلنولينك فلنجعلنك واليا قبلة من وليته كذا اذا جعلته
واليا له او لنجعلنك تلي سمتها من اولى ترضاها تحبها وتميل اليها
لمصلحة دينية هذا التقييد للدلالة على ان التولية كانت رعاية
لرضاه عليه السلام فلا دلالة فيه على كراهة القبلة الاخرى
فول وجهك فاجعل وجهك يلي شطر المسجد نحوه وجانبه الشطر
في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل عن الشيء ثم استعمل
لجانبه وان لم ينفصل وزيادته ليبين لانه عليه السلام كان
بالمدينة والبعيد يكفيه رعاية الجهة لان التعيين المستفاد من
قوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره يأباه بل للدلالة على ان
القبلة هو الهوا ولا دخل للبنا فيه الحرام اي المحرم فيه القتال او
ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وهذا الوصف هو الباعث لايثاره

المسمى على الكعبة فان الحكم المذكور لا اختصاص له بها لا لان في
استقبال غيرها حرجا لانه قد ينفع بزيادة عبارة الشرط روي
انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر
شهرا ثم وجه الى الكعبة وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص
الرسول عليه السلام بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا
بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم اجمالا لعلمهم
بان عادة الله تعالى تخصيص اهل كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن
كتبهم انه عليه السلام يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه
وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وفي قوله
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب اللام موطئة للقسم بكل آية اي
برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة هو الحق بعد قوله ليعلمون
انه الحق دلالة على ان امتناعهم عن التوجه الى ~~الكعبة هو الحق بعد قوله~~
اليها ليس عن شبهة بل عن عناد ومكابرة فلا ينجع البرهان
قطعا ما تبعوا اي كلهم فلا ينافي اتباع بعضهم قبلتك جواب
القسم المضمر وهو مع جوابه ساد مسد جواب الشرط وما
انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا تعزيرا له عليه السلام
واطماعا لو ثبت على قبلتك لكنا نرجوا ان تكون صاحبهم وقبلة
المخالفين وان تعددت لكنها متحدة من جهة البطلان ومخالفة
الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض لان اليهود تستقبل الصخرة
والنصارى مطلع الشمس فلا يرجى توافقهم فلا وجه للتوجه
الى احدى تلك القبلتين ارضاء لاحد الفريقين مع ما فيه من
سخط الامر ولئن اتبعت اهواءهم اي ولئن اتبعتهم في موافقة
الهوى وضاد في العدول عن الظاهر التنبيه على ان قبلتهم لما
انتسخت لم يبق فيها الا جهة الهوى والميل الى مقتضى النفس لبطلان
وجه الحق من بعد ما جاءك من العلم اي سببه وهو الوحي انك اذا
لمن الظالمين الثلاث المجملة والموطئة للقسم
في الجمل الثلاث والتكرار في قوله قوله وقوله مع التفخيم في حديثها
والتاكيد بان واللام والوعيد في قوله وما الله بغافل كو ايراد
الجملتين المنفيتين وهما وما انت بتابع وما بعضهم بتابع اسميتين
وتاكيد النفي بالباء فيهما وايراد كلمة الشك في قوله ولئن اتبعت
بعد القطع في قوله وما انت بتابع ليدل على الفرض والتقدير
كالمحالات وتقويته ذلك ظاهر بقوله من بعد ما جاءك من العلم

وذكر

بياض

وذكر الاهواء والتاكيدات الاربعة في جوابه مبالغة عظيمة في ان كل واحد
من المحق فلقوة يقينه ووضوح برهانه وكونه على بينة من ربه واما
المبطل فلشدة شكيمته في عناده ومكابرته وتعظيم للحق المعلوم وتحريض
على اقتفائه وتحذير عن متابعة الهوى واستفظاع لصدور الذنب
عن الانبياء عليهم السلام الذين اتيناهم الكتاب اينا فهم ودراسه
وهم الاحبار يعرفونه الضمير للرسول عليه السلام وقد سبق ذكره
في قوله تعالى انك اذا لمن الظالمين وهذا الكلام غير منقطع عنه
لانه التفت من الخطاب الى الغيبة ثم منها الى الخطاب في قوله وهم
يعلمون الحق من ربك كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه عليه السلام
معرفة لا شبهة فيه بالوصف الذي يعينه كما يعرفون البنين
على التعيين لا اشتباه في معرفتهم اياهم بغيرهم وانما خص الابناء
بالذكر لان اختلاطهم بالآباء اكثر فعدم الاشتباه فيهم اظهر روي
عن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله ابن سلام عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني
لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت
فيه فقبل عمر رضي الله عنه راسه وان فريقا منهم التخصيص للكفار
وللاشارة الى قلة قدرهم بالنسبة الى المظاهرين منهم ليكتمون
الحق اي كونه النبي الموعود وكان الظاهر ان يقال ليكتمونه
والعدول عنه للتنبيه على ان المراد معرفته عليه بذلك الوجه
لا معرفة ذاته وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن
الحق من ربك كلام مستانف والحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق
ومن ربك خبر بعد خبر او حال او الحق مبتدا خبره من ربك
واللام اما للعهد والاشارة الى ما يكتمونه اي الحق الذي يكتمونه
هو الحق من ربك او الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما للجنس اي الحق من ربك لا من غيره اي ماهية الحق ما
ثبت انه من ربك يعني الذي انت عليه وما لم يثبت انه من ربك
كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل كما تقول الرجل زيد اي ما
عداه ليس بالرجل وقرى بالنصب على انه بدل من الاول
او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين النهي عن الكون على
صفة ابلغ من النهي عن تلك الصفة ولذلك كثر في القرآن
النهي عن الكون على الصفة التي يطلب اجتنابها والامترا
من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها واستعير للتردد في
الامر وهو لا يكون بقصد واختيار فالنهي المذكور للتحث

على محافظة الاسباب المزيلة له والتحذير عن الغفلة عليها والرسول
عليه السلام احق بها من امته ولقد احسن من قال ان التحذير تنبيه
من اتباع الهوى اكثر مما يحذر غيره لان ذا المنزلة الرفيعة الى
تحذير الابتداء احوج حفظا لمنزلته وصيانة لمكانته وقد قيل
حق المرأة المجلوة ان يكون تعهدها اكثر اذ كان القليل من الصدأ
عليها اظهر ومن ذهب عليه هذا قال ليس المراد به نهي الرسول
عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد
واختيار وكانه غافل عن انه لا صحة للكلام عن ظاهره وبعد
الصرف عنه لا مانع عن كون الخطاب له عليه السلام ثم انه
لا اختصاص للنهي بالمتوقع الا يرى ان الجهل غير متوقع من نوح
عليه السلام وقد وقع التحذير عنه في حقه في قوله تعالى اني
اعظك ان تكون من الجاهلين وفايدة نهيه عليه السلام مع
ان النهي غير متوقع منه المبالغة في حق من يتوقع منه ذلك
ولكل وجهة اي ولكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة
وقيل المعنى ولكل امة من اهل الاديان المختلفة جهة وقبلة
ولا ينتظمه وجه التفريع الاتي ذكره وفي قراءة ابي قبلة والتنوين
عوض عن الاضافة هو موليها هو اما راجع الى كل اي هو
موليها وجهه فحذف احد المفعولين او الى الله تعالى اي هو
موليها وجهة وقرئ ولكل وجهة بالاضافة اي ولكل وجهة
الله تعالى موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبر الضعف
العامل وقرئ مولاها اي تولى تلك الجهة ولما كان في التوسعة
المستفادة من الكلام السابق اخاحة العذر في التوقف و
التاخير رتب عليه الامر بالمبادرة بقوله فاستبقوا الخيرات
اي سارعوا الى اداء الصلاة في اوايل اوقاتها والسبق التقدم
والاستباق من الاثنين ومن التسابق وكذا التبادر
والابتدار والتقاتل والاقتتال وفي التعبير بالخير عن الصلاة
دلالة على تفوقها في الخيرية على ساير الاعمال الصالحة فان
النوع الخاص اذا عبر عنه باسم الجنس يدل على فضله على
ساير الانواع اينما تكونوا يأت بكم الله اي في اي موضع
كنتم احضركم الله المحشر للثواب والعقاب استينافي تعليل
للامر المذكور وانما قال جميعا لان نكال العاصي على رؤس
الاشهاد يكون اشد فظاعة والاحسان للمطيع في تلك
الحالة يكون اقوى تاثيرا في تحسير العاصي فيه تاكيد للتحذير

وقيل

وقيل المعنى اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم
كانها الى جهة واحدة ويأباه قوله ان الله على كل شيء قدير اذ لا دخل لشمول
القدرة وكمالها في المعنى المذكور فان مبناه على الرخصة والوسعة في امر
التكليف لا على القدرة في امر التكوين ومن حيث اي ومن اي مكان خرجت
سواء كان للسفر او لامر اخر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت
وانه وان هذا الامر للحق من ربك تاكيد على ابلغ الوجوه وما الله بغافل
عما تعملون وقرئ بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الوجه لتعدد حكمته
فانه تعالى ذكر لتحويل القبلة ثلاث فوايد تعظيم الرسول عليه السلام
بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي اهل كل ملة
وصاحب دعوة جهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين
على ما سياتي بيانه وقرن بكل حكم حكمته تفرعها وتعقيبا لعلات
القبلة لها شان والنسخ من مظان الشبهة والفتن ومجال تسويل
الشيطان فيحتاج الى التاكيد والتشديد ليتحققوا انه ليس
بالبدا لئلا يكون للناس عليكم حجة تعليل لقوله فولوا يعني ان
في التولية عن الصخرة الى الكعبة دفع احتجاج اليهود بان
المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا عليه السلام يجحد ديننا و
يتبعنا في قبلتنا واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم عليه
السلام ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من
من الناس هم المعاندون من اليهود والقايلون ما ترك قبلتنا الى
الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة
الانبيا عليهم السلام واهل مكة من العرب الذين قالوا بدا له فرجع
الى قبلة ابايه ويوشك ان يرجع الى دينهم فلا تخشوهم ولا تبالوا
بهم فان قولهم عناد وظن ليس بحجة فلا يضركم وان ساقوه مساق
الحجة وكذلك الاستثناء من الحجة بناء على زعمهم وقراءة زيد بن علي رضي الله عنه
الا الذين ظلموا وقفا على حجة مستانفا للجملة مصدرة بالا للتنبيه
دلت على كونه ليس بحجة واخشوني ولا تخالفوا امري ولكون الموصول
متضمنا معنى الشرط وكون الخبر جملة انشائية دخل الفاء في الخبر
اي فلا يسوغ ان تخشوهم ويجب ان تخشوني لان الجملة الانشائية
لا تقع خبرا الا على تاويل الخبرية ولاتم نعمتي عليكم معطوف على
علة محذوفة اي واخشوني لاعصمكم منهم في الدنيا ولاتم نعمتي عليكم
في الاخرة بان ادخلكم الجنة ولعلكم تهتدون الى الهدى وفي
الحديث اتمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه اتمام النعمة

الموت على الاسلام او على ابدا لا يكون او معللة بمحذوف اي اتم نعمتي عليكم
واردي اهتدائكم امرتكم بذلك كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متعلق بما قبله
مصدر اي واتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا
بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني
بالطاعة وانما جمع بين فيكم ومنكم لان كلا منهما واقع ولا يغني احدهما
عن الاخر يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكيا
قدمه هنا باعتبار القصد واخره في قصة ابراهيم عليه السلام ثمة
باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة قد مر تفسيرهما ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي
وتكرير الفعل للدلالة على انه جنس اخر فاذكروني الذكر حضور الشي
للقلب كني به عما يتلوه من الطاعة وفيه تنبيه على ان العصيان
للنسيان حقيقة او حكما اذكركم كني به عن الاحسان وذلك مشهور
في كل لسان واشكروا لي يقال شكرته وشكرت له والثاني افصح
ولا تكفرون حذف اليا من اخره ليستوي الفواصل والشكر اظهار
النعمة بالاعتراف بها او بما هو كالاعتراف من القيام بحقها والكفران
ستر نعمة المنعم بالجحود او بما هو في حكمه من العمل يا ايها الذين امنوا
استعينوا بالصبر والصلاة قد مر الكلام فيهما حث الله تعالى
على الصبر لانه ذريعة الى كل خير واول كل فضل وعلى الصلاة
التي هي ام العبادات البدنية والقلبية ان الله مع الصابرين
يعني ان النصر مع الصبر لمن لازمه فقد فاز بالنصر ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله اي في الجهاد لانه طريق الى ثواب الله تعالى
ورحمته اموات اي هم اموات بل احيا اي بل هم احيا ولكن لا تشعرون
كيف حياتهم وكيف حالهم في حياتهم اي ليس ذلك مما يدرك بالمشاعر
اي الحواس وعن الحسن ان الشهدا احيا عند الله تعالى تعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على
ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت
في شهدا بدر وهم وما روي عنه عليه السلام لما قتل من صناديد
قريش يوم بدر من قتل جمعهم في قليب ثم اقبل يخاطبهم بقوله
هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا
فقيل له عليه السلام اتخاطب جيفا فقال ما انتم باسمع منهم
ولكنهم لا يقدرون على الجواب دلالة على ان الارواح جميعا جواهر
قايمة بانفسها دراكة مغايرة لما يحس من البدن تبقى
بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه

نطقت

نطقت الايات والاثار وعلى هذا فتخصيص الشهدا بالذكر لاختصا
صهم بالزلفى ولنبلونكم مجازا اذ الابتلا عبارة عما يظهر به جوهر
النفس هل تصبرون وتثبت اي نصيبنكم بمكروه اصابة تشبه
فعل المختبر بشيء ايراد شي وتنكيره تقليلا لما ابتلانا به ليؤذن
ان كل بلا اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل وهو بالنسبة
اليه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم
حتى في حال البلا فلو عرفوا ذلك لشكروا في موضع الصبر ولهذا
شكر الصحابة وحمدوا الله تعالى على البلا كما شكر غيرهم على النعما وقد
مر في تفسير الفاتحة ان نعمة الدفع تنتظم لو يتعين في الدار الاخرة كما
انتظمت نعمة النفع في هذه الدار وانما وعدهم ذلك ليعلموا ثواب الصبر
ويوطنوا عليه نفوسهم من الخوف والجوع اي خوف الاعدا والقحط ونقص
تغيير وتقليل من الاموال بالهلاك والخسران والانفس بالقتل والموت
والثمرات بالجوايح وقلة النبات وانقطاع البركات وبشر من الخطاب
المتوجه الى كل واحد ممن يأتي منه البشارة عند الملك بعظم الصبر
وتفخيمه لانه فضيلة عظيمة الثواب يستحق صاحبه ان يبشره كل احد
الصابرين الحابسين لانفسهم على مكروه الذين اذا اصابتهم
مصيبة المصيبة ما يصيب الانسان من مكروه روي
انه طفي سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون
فقيل مصيبة هي قال نعم كل شي يوذي المومن فهو له مصيبة قالوا انا
لله اقرار على انفسنا بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا
بالهلاك وليس الصبر بالاسترجاع باللسان فقط بل لا بد معه
من الاذعان بالجنان والمسند اليه محذوف دل عليه قوله تعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة في الاصل الدعا ومن
الله تعالى افاضة الكمالات والسعادات فهي من باب التحلية
كما ان السلام وهو التطهير والتجريد من باب التزكية والتخلية وجمعها
للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان
واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا واستسلموا
لقضا الله تعالى عظم الله تعالى الصبر بوجوه البشارة العامة
وبقوله اولئك بعد وصفهم بما وصفهم اشعارا بان ذلك
الوصف يوجب هذه الكرامة بعده وبتكرير اولئك وبتقديم
عليهم خاصة وبتكثير صلوات وجمعه اي امدادا فايضات متصلة
متتالية وتغيرات لا يعرف كنهها ولا يقدر قدرها وبتقييدها
بقوله من ربهم ورحمة اي رحمة وتنوينها وتعريف المهتدين بلام

الماهية ان الصفا والمروة الصفا الحجر الصلب الاملس الذي لا يخالطه
طين ولا تراب ولا رمل ماخوذ من الصفوة وهي الخلوص والمروة هو
الحجر اللين وقيل الحجر الابيض الذي يبرق ثم جعلا علمين للجبلين بمكة
من شعائر الله الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من الاعلام
مناسكه ومتعبداته من موقف ومسعى ومنحر لما اراد ازالة الكراهة
عن انفس الساعين بين الصفا والمروة على ما سياتي
بيانه مهد لذلك كونهما من شعائر الله تعالى موكدا بان لنفي التردد
الذي فيهما اي الاعلام دينه تعالى ومعالم تعبده فتسبب عنه رفع
الجناح عن الساعين بينهما فلذلك اورد فا السببية في قوله فمن حج البيت
او اعتمر الحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت
وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت
في الاعيان فلا جناح عليه الجناح الميل الى الاثم اصله من الجناح
ونفيه ابلغ من نفي الاثم ان يطوف بهما الطوف الدور والتطوف
تكلفه واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف
روي انه اساف كان على الصفا ونائلة على المروة وهما صنمان
وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت
الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما كذلك فنزلت
واحتمال الجناح لا يندفع بالوجوب فان اليمين على المعصية يجب
نقضه وفيه جناح ولهذا تلزمه الكفارة ومن هنا اتضح وجه
الحاجة الى الاخبار عن عدم الجناح في الطواف المذكور بعد ما يلزمه
انه من معالم الدين واعلم انه لا خلاف في انه مشروع في الحج والعمرة
وانما الخلاف في وجه مشروعيته فعن احمد انه سنة وبه قال انس
وابن عباس رضي الله عنهم لقوله تعالى فلا جناح فان الظاهر المتبادر
منه التخيير المنافي للوجوب وقد مر وجه دفعه ولانحصر في قراءة ابن
مسعود رضي الله عنه فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما لما ذكر لان
موجب تفريعه على ما تقدم ان تكون لا زائدة لعدم تسبب انتفا
الجناح عن عدم الطواف بهما عما تقدم من كونهما من شعائر الله وعند
ابي حنيفة واصحابه انه واجب يجبر بالدم وبه قال سفيان
الثوري وعامة اهل العلم وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله
عليه السلام اسعوا فان الله تعالى قد كتب عليكم السعي ويرد
عليه ان دلالته على الوجوب دون الركنية ومن تطوع اي فعل
طاعة فرضا كان او واجبا او نفلا او زاد على ما فرض عليه من
حج او عمرة او طواف خيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف اي

يتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل لا بحذف الجار وايصال الفعل اليه
لانه ليس بقياس فلا يصار اليه بلا ضرورة وقرئ يطوع واصله يتطوع
فادغم مثل يطوف فان الله شاكر مثيب على الطاعة عليم لا يخفى
عليه شيء ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية من
البينات البينات على امر محمد عليه السلام والهدى اي اتباعه والايمان به
من بعد ما بيناه وشرحناه للناس في الكتاب في التورية من
نعته عليه السلام ووصفه بما لا ابهام فيه ولا اشكال ولا اشتباه على احد
فكتموه ولبسوا على الناس ففي قوله من البينات والهدى توبيخ لهم
والزام ببيان استحقاقهم للعن منضما لما عندهم من السبب بالابهام
والتلبيس لانهم اعتقدوا انها بينات وهدى ثم كتموها ولذلك جر
يلعنهم الله تعالى ويلعنهم اللاعنون احياء واذا ماتوا على الكفر
والكتمان ولم يتوبوا خص بهم اللعنة بسبب ذلك ابدا سرمدا
اولئك يلعنهم الله اللعن الابعاد على وجه الطرد وصار في التعارف
دعاء ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم
من الملائكة والمومنين من الثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان
وسائر ما يجب ان يتاب عليه واصلحوا ما افسدوه من احوالهم وبينوا
ما كتموا من نعته عليه السلام كاسلام عبد الله ابن سلام واضرابه
فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم
المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار اي الذين ماتوا على الكفر من هولاء الكاتمين اولئك الموصوفون
بالكفر الثابتون عليه حتى الموت عليهم لعنة الله والملائكة هم
المخصوصون باللعنة الابدية احياء وامواتا ورد في الاولى الجملة
الفعلية الدالة على الحدوث المسبب عن الكتمان لامكان التوبة والفعل
المضارع الدال على التجدد المترتب عليه وقتا بعد وقت متتابعا
في الازمنة المتتالية وفي الثانية الجملة الاسمية مع تقديم الخبر
المفيدة للاختصاص على الدوام واللام في والناس اما للماهية
والتاكيد بقوله اجمعين لله والملائكة والناس واما للاستغراق
والتاكيد لهم او للكل ثم انه يحتمل العموم لان الكفار يوم القيامة
يلعن بعضهم بعضا والخصوص بمن يعتد بلعنه وهم المومنون
كان من عداهم ليسوا من الناس اذ لا اعتداد بهم عند الله تعالى
وقرئ والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم
الله تعالى لانه فاعل في المعنى المذكور كقولك عجبت من ضربك
زيد وعمرو اي من ان ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل محذوف مقدر

نحو وتلعنهم الملايكة خالدين فيها اي في اللعنة وفي النار وانما
اضمرت بلا ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب
ولاهم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يوجلون او لا ينظرون
ليعتذروا ولا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد اي المستحق
للعبادة منكم واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها والخطاب
عام لا اله الا هو تقرير للوحدانية ورفع لتوهم ان يكون اله ولكن
لا يستحق العبادة منهم الرحمن الرحيم اي المنعم على خلقه بادرار رزقه
واسباغ فضله فهو مرجع كل مضطر وغياث كل قانع ومعتر ولا
دلالة فيه على ان ما سواه اما نعمة او منعم عليه حتى يكون كالحجة
على الوحدانية وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف
او صفة لقوله والهكم وفصل بالخبر ولا الهكم خبر ثان او اعتراض
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار باقبال احدهما
وادبار الاخر وتفاوتهما بالنور والظلمة والطول والقصر والتساوي وقدم
الليل لسبقه في الخلق والفلك السفينة المدورة يقال للواحد
والجمع وقرئ بضمتين على الاصل التي تجري في البحر وهو ثقيل كثيف والما
خفيف لطيف ثقيل ويدبر بريح واحدة بما ينفع الناس ما موصولة
اي بالذي ينفع الناس مما يحمل فيها وما انزل الله من السما من ماء
بيان للموصول والسما يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به
الارض بعد موتها الاحيا والموت استعارتان لطيبهما لتزيين
الارض بالنبات واخضرارها وكونها صعيدا جرزا وانما قال
بعد موتها دون اماتتها تنبيها على انه مقتضى طبعها وبث فيها
اي اظهر وما كان تغيبا عن الحاسة حدثا كان او هما او غيرهما
من كل دابة الدبيب اصله حكاية صوت حركة المشي ثم قيل دب اذا
مشى ويقال لكل ما يمشي دابة وانما عطف بها على احيا الارض لانهم
لا يكونون الا احيا بها بالنبات وتصريف الرياح اي صرفها الله تعالى
او صرفها السحاب من جهة الى اخرى والسحاب السحب الثوب
والسحاب ما يجر الريح المسخر بين السما والارض يعني للرياح تقليبه
في الجو بمشية الله تعالى ليمطر حيث يشا ويرشدكم الى هنا ذكره عقيب
تصريف الرياح تعقيبه ولولا ذلك لكان حقه ان يذكر قبل قوله وما
انزل واما ما قيل لا يذكر ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما
منظور فيه لان بعض المركبات لا يرسب في الما ولا يخرج منه
ولا يتغير حاله فلم لا يجوز ان يكون بعض كذا بان الحق شانه
كذلك والتسخير القهر على الفعل وهو ابلغ من الاكراه فانه حمل

الغير

انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات بخلاف الارض صح

الغير على الفعل بلا ارادة منه كحمل الوحي على الطعن لايات لقوم يعقلون
ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون وفيه تعريض لجهل المشركين الذين
اقترحوا على الرسول عليه السلام اية في صدق قوله والهكم اله واحد لانه
اذ لو عقلوا لكفاهم بهذه التصاريف اية ومن الناس لا يخفى على الخبير
ما في هذا التعبير من التحقير من يتخذ من دون الله من لابتدا الغاية
متعلق بيتخذ او حال من انداد وهو ثاني مفعولي يتخذ اندادا امثالا من
الروسا الذين يتبعونهم ويطيعونهم في اوامرهم ونواهيهم وقيل
من الاصنام ولا يلايمه قوله اذ تبرا الذين اتبعوا الخ يحبونهم حال من
فاعل يتخذ او مفعوله كحب الله في محل النصب على المصدر من الفعل
المبني للمفعول اي محبة كما يحب الله او المبني للفاعل كحبهم الله اي
يسوون ما بينهم وبين الله تعالى في الحب لانهم كانوا يقرون بالله
ويتقربون اليه والذين امنوا اشد حبا لله في موضع الحال وانما قيل
حبهم اشد لانهم لا يعدلون عنه تعالى الى غيره بخلاف المشركين فانهم
يعدلون عن روسايهم الى الله تعالى عند الشدايد وكذا يعدلون
عنهم الى غيرهم والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب
ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة
طاعته والاعتنا بتحصيل مراضيه ومحبة الله تعالى للعبد ارادة اكرامه
واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم
هولاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه عند الموت
او بعد الحشر لو واذ في المستقبل استعارتان لتحقق لوقوعه كانه
قد وقع واخبر عنه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة وحذف جواب
لو ايما الى انه لا يمكن التعبير عنه اما لكونه ازليا اي على العبادة وكونه
ممتنع الالتفات اولا يحتمل المعتبر لغاية الضجر والجزع والتفجع عليه
او لمستمع وقرئ ولو ترى بالتا على خطاب الرسول عليه السلام او كل
مخاطب على ما ذكر من التفخيم ومعناه لو رايت امرا فظيعا لا يمكن
وصفه وقرئ اقبرون على البنا للمفعول ان القوة لله جميعا
ساد مسد مفعولي يرى اي ولو يعلمون حين معاينتهم
العذاب يوم القيمة ان القدرة المطلقة على كل شي من
الثواب والعقاب كلها لله تعالى دون من سواه من الانداد
وغيرهم وان الله شديد العقاب للظالمين لكان من الامر ما لا يدخل تحت
الوصف من الحسرة والندامة على ظلمهم وضلالهم وحذف الجواب
كما في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وقرئ ان في
الموضعين بالكسر على الاستيناف او على اضمار القول اذ تبرا

الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون العذاب اي اذ تبرا
المتبوعون من الاتباع وقرئ بالكسر اذ تبرا الاتباع من الرؤسا والواو
في ورأوا العذاب للحال وقد مضمرة اي تبروا في حال رؤيتهم العذاب
وقيل عطف على تبرا وتقطعت عطف الاسباب الوصل التي كانت
بينهم من الاتفاق على دين واحد والانساب والمحال والوسايل انواع
الاتباع والاستتباع واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقال
الذين اتبعوا اي من قرئ فيما سبق بالعكس ان يقرا هنا على البنا
للمفعول لو ان لنا كرة الكر الرجوع عن الشي فنتبرا منهم كما تبرؤا منا
نصب بفا الجواب لما في لو من معنى التمني اي ليت لنا كرة فنتبرا
منهم واستعيرت لامتناع المتمنى والتبرا الانفصال ومنه برئ
من مرضه اذا انفصل منه بالعافية كذلك نصب على المصدر
من يريهم اي مثل ذلك الارا الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم
يقال حسر يحسر حسرا وحسرة اذا اغتم على الشي الفايت وتلهف عليه
وهي غير الندم والاشد منه حالا لان روية الاعمال تكون بالبصر على
ما نطق به الخبر عن خير البشرية فسر ابن عباس رضي الله عنهما حيث
قال اراد به الاعمال التي عملوها من الحسنات بزعمهم يرونها حسرات
عليهم حيث احبطوا وهم في وما هم بخارجين من النار بجعل الجملة
اسمية يفيد الدوام بحسب العرف كما مر في قوله وما هم بمؤمنين
اي وما هم بخارجين من النار ابدا ما داموا هم والتخصيص نفي
السبب بهم اي بالمشركين من بين المكلفين لقوله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا اي هم خاصة
ليسوا بخارجين من النار كقوله هم القوم كل القوم يا ام خالد
لا لسبب التخصيص فان ارادة السلب متاخرة عن اداة التخصيص
معنى وان تقدمت عليها لفظا والبا في الخبر لتاكيد النفي يا ايها الناس
كلوا الاكل هو البلع عن مضغ ومن في قوله مما في الارض ان كانت لابتدا
الغاية فقوله حلالا مفعول وان كانت للتبعيض فمفعول وهو حال
او صفة مصدر محذوف وهذا اوجه الاوجه لان حل الاكل يستلزم
حل الماكول بدون العكس فان الحلال قد يوكل على وجه يحرم
او يكره كاكله فوق الشبع او صايما او في مجلس الفسق طيبا
طاهرا على كل شبهة والى هذا اشار من قال الحلال ما ليس بمحظور
والطيب ما ليس بمحظور والاية نزلت في قوم حرموا على انفسهم
رفيع الاطعمة واعلا الملبوس والامر في كلوا امر في الملبوس لانه
ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتفوا على اثاره اعتقادا

وقولا وعملا

وقولا وعملا وقد اجتمع هذه الثلاثة في سبب النزول ومن فسر بالنهي
عن مطلق الاتباع فقد ضيع ما في عبارة الجمع من الاشارة اللطيفة
يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته قرئ
خطوات بضمتين وضمة وسكون الطاء وبفتحتين وفتحة وسكونها
والخطوة بالفتح المرة من الخطو وهو نقل قدم الماشي والخطوة بالضم
اسم ما بين قدمي الخاطي وهما كالقبضة والقبضة انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة عداوته لهم لابيهم في ولايتهم اماه المفهوم من قوله تعالى
اولياؤهم الطاغوت حتى يحتاج الى التكلف في التوفيق بان يقال
يسمى وليا لاظهاره الموالاة لمن يغويه انما يامركم استيناف لبيان
وجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي ما يامركم الا بالشر استعير
الامر لوسوسة الشيطان وتزيينه تشبيها في تسلطه عليهم بامر
مطاع فشبهوا في قبولهم لها وطاعتهم له بالطاعة مامور مطيع لما تقوى وفيه
بالسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف
الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل والفحشاء باستقباح الشرع اياه
وقيل الفحشاء ما يظهر قبحه من المعاصي او ما يتجاوز الحد في القبح من
العظايم ويرده قوله تعالى كباير الاثم والفواحش الا اللمم وقيل السوء
ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله القول
اذا تعدى بعلى يكون بمعنى الافترا اي وان تفتروا عليه تعالى فلا
تعرض في الاية لاتباع الظن ما لا تعلمون كاتخاذ الولد وتحليل المحرمات
وتحريم الطيبات والافترا عن جهل محض اقبح من الافترا عن ظن فاسد
واذا قيل لهم الضمير للناس على طريقة الالتفات والسر فيه انهم وقعوا
في حد البعد والغيبة في طاعة الشيطان وانهم في غاية الحمق
والضلال الى حد لا يستاهلون للخطاب اذ لا ضلال اضل من المقلد
للباطل كانه يقول للعقلا انظروا الى هولاء الحمقى ماذا يجيبون الداعي
اتبعوا ما انزل الله في عبارة ما انزل اشارة الى وجه وجوب الاتباع
قالوا بل نتبع ما الفينا ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا نزلت
في المشركين امروا باتباع القران وساير ما انزل الله تعالى من الحجج والبينات
فجنحوا الى التقليد والهمزة في اولو كان اباؤهم للرد والتعجيب والواو
للحال اي يتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون جهلة لا يتفكرون
في امر الدين شيا ولا يهتدون الى الحق ولو في مثل هذا التركيب يجي تنبيها
على ان ما بعدها غير مناسب لما قبلها كما في قوله اعطوا السايل
ولو جاء على فرس والمعنى على كل حال وذلك انها تجي لاستقصاء الاحوال
التي يقع عليها الفعل ويدل على ان المراد بذلك وجود الفعل في كل

حالجتي في هذه الحال التي لا يناسب الفعل واذا قصد التوبيخ والتعجيب
كما في هذه الاية لا يكون ايرادها الا استقصاء الاحوال ولما كانت الواو
للحال لم يحتج الى جواب لان الشرط انما يقع حالا اذا انسلخ عنه معنى
الشرط ولا دلالة في الاية على المنع من التقليد لمن قدر على النظر بل
الظاهر منه انه انما يتكرر اذا كان المقلد ضالا ومثل الذين كفروا قد
مر معنى المثل وفيه اضمار في الكلام تقديره ومثل داعي الذين كفروا
كمثل الذي او مثلهم كمثل بهيم الذي والاضمار في الكلام من الايجازات
المعتبرة في البلاغة لتنبيه الزكي عند الخلل المعنوي في الحمل على
الظاهر على المضمر ثم على خصوصيته بالقرائن اللفظية او المعنوية
فتثبت في التدبر وتنبههم في التعكس فيتحقق المعنى هذا ما يحسب جليل
النظر والذي يحسب دقيق النظر ما مر في تفسير او كصيب من
السماء من ان التشبيه التمثيلي لا يلزمه ان يكون ما يلي اداة التشبيه
هو المشبه به فلا حاجة الى تقدير شي ينعق بما لا يسمع قال
صاحب العين نعق الراعي بالغنم اذا صاح بها زجرا الا دعاء ونداء
الدعاء للقريب والنداء للبعيد ولذلك قال الاعرابي اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه صم هم صم رفع على الذم بكم
عمي اي ومثل هنا داعيهم الى الايمان كمثل الناعق بالبهائم
في انهم لا يسمعون الا دعاء الداعي ونصوبته من غير فهم المعنى
وتعقله او بالاصم الذي لا يسمع من دعا الرافع صوته بكلامه
الا التصويت والنداء من غير تمييز الحروف وادراكها وقيل مثلهم
في تقليدهم اباءهم واتباعهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت
ولا تفهم معناه فكذلك يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون
ما هم عليه احق هو ام باطل فهم لا يعقلون اي بالفعل لاخلالهم
بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع
الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليه
امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا وقد مر
ان الطيب اخص من الحلال وان يقوموا بحقوقها فقال واشكروا
لله على ما رزقكم واحل لكم ولما تضمن الامر الاول الامتنان
ناسبه الخطاب وما في الامر الثاني من التنبيه على ان استحقاقه
تعالى للشكر ليس لكونه رزقهم ومبيحا لطيبات الرزق فقط
بل لكونه خالقا للعالم ولم يتدرج فيه ما يستوجب الشكر فقضى
العدول عن الخطاب الى الغيبة وعن التوبيخ بالمال الى العطف
بالواو ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر

وتقديم

وتقديم المفعول لمحافظة الفاصلة كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا
تعبرون اذ لا دخل للتخصيص في التعليل ولكن تقول كان الظاهر
ان يقول ان كنتم تعرفون انه مولي النعم كلها الا ان الذي عنه يلازمه
وهو تخصيص العبادة اياه تعالى انما حرم عليكم الميتة قد يحرم
وحرم وحرم بالتخفيف والتشديد والميتة بالتخفيف والتشديد
وكلمة انما قد لا تكون للقصر كما في قوله تعالى قل انما حرم ربي
الفواحش الاية فلا حاجة الا ان يقال ان ما ابين من حي في حكمه
الميتة بالحديث وانما المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه
لا مطلقا وانما يستثنى السمك والجراد من الميتة والكبد والطحال
من قوله والدم وان احلت على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احلت لي ميتتان ودمان اما الميتتان فالسمك والجراد واما الدمان
فالكبد والطحال بناء على ما يتعارفه الناس ويتفاهمه في العادة
ولما كان المتبادر من الحرمة المضافة الى العين حرمة التصرف فيه
مطلقا زاد عبارة اللحم في قوله ولحم الخنزير قرينة صارفة
عنه دالة على ان المحرم اكل العين المذكور لا الانتفاع به مطلقا
حتى يلزم انتساخ النص بالحديث في جلد الميتة وانما خص اللحم
بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع
له وبهذا الوجه ايضا لا يساعده تقرير الانتفاع المقام للاكل
وغيره وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه
لغير الله تعالى مما كان او نارا او غيره ذلك وما ذكر معناه
الاصلي على ما نص عليه الجوهري والاهلال عند الفرا انما سمي به
لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير فمن اضطر غير باغ
على مضطر اخر بالاستئثار عليه ولا عاد سد الجوعة فلا اثم عليه
في تناوله دل بمفهومه على ثبوت الاثم في تناوله غير مضطر
وبهذا الاعتبار صح تفريعه على ما تقدم ففيه دلالة على
اعتبار المفهوم كما هو مذهب الامام الشافعي فانه لولا اعتباره
لما صح تصدير الكلام المذكور باداة التفريع ان الله غفور
اي يغفر المعاصي فاولى ان لا يؤاخذ بما رخص فيه او غفور
لما عسى ان يفرط عند العمل بالرخصة فيه رحيم بالرخصة
فيه فهو مقرر للاول ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قد مر تفسيره وبيان ما في عبارة الثمن
من المزية على عبارة الشيء والعرض وغير ذلك قليلا ليس المراد
به انهم اذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان جائزا على المعنى ان كل ما يأخذ

في مقابلته من حطام الدنيا فهو قليل أولئك ما يأكلون في بطونهم اي ملا
بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه قال الشاعر
كلوا في بعض بطنكم تعفوا فمرادهم من الاكل في جميع البطن والظاهر
ان التقييد به بنفي لتضمنه معنى الاستقرار المناسب للمقام فان
الاكل قد يقتضيه الدفع خصوصا اذ كان الماكول غير ملايم للطبع
وذكر الاكل لكن المقصود الاول من تحصيل المال وذكر في بطونهم
تنبيها على شرههم وتقبيحا لتضييعهم اعظم النعم لاجل المطعم الذي
هو اخس مطلب من الدنيا الا النار مجاز من باب اطلاق اسم
المسبب على السبب او الغلبة على الشيء لتلبسه به فانهم اذا
اكلوا السحت وهو الرشي على الكتمان لزمهم عقوبته التي هي النار
فكأنهم اكلوا النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي
بدل منه ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم عبارة عن غضبه
تعالى عليهم لان غضب على صاحبه حرمه وقطع كلامه وقيل
تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله تعالى اياهم بكلامه
وتزكيتهم بالثناء ولهم عذاب اليم مولم وتقديم الجار والمجرور للمحافظة
الفاصلة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب
بالمغفرة في الآخرة والحاجة الى المغفرة اشد من الثواب فالخسران
في فقدها اقوى ولهذا اثرها عليه مع انه انسب لان يذكر
مع العذاب لفظا ومعنى فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في
ارتكاب موجبات النار والتباسهم بها من غير مبالاة منهم فيه
كما يقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك
على القيد والسجن يريد انه لا يتعرض لما يوجب ذلك الا من
هو شديد الصبر على العذاب وما تامة مرفوعة بالابتداء
وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية مبتدأ
وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف
ذلك اي العذاب بان الله بسبب ان الله نزل الكتاب
بالحق اي نزل ما نزل من الكتب متلبسا بالحق وان الذين اختلفوا
في الكتاب الظاهر ان المراد هو القرآن واللام اشارة الى انه
الجنس المسمى كتابا اي الكامل في كونه كتابا كان ما عداه من الكتب
لا يستاهل منه ان يسمى كتابا والاظهار في موضع الاضمار للتعظيم
وتزيينه فايدة اللام وبيان ان الاختلاف فيه عظيمة من العظايم
ولهذا قيده في الاول بالحق واختلافهم فيه قول بعضهم سحر وقول
بعضهم شعر وقول بعضهم اساطير الاولين لفي شقاق بعيد

عن الحق

عن الحق والشقاق انحياز كل من المتخالفين عن شق صاحبه للخلاف
وطلب كل منهما ما يشق على الآخر ليس البر البر اسم جامع للطاعات
وفعل الخيرات أن تولوا وجوهكم الخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا
الخوض في امر القبلة حين حولت قبل المشرق اي متوجها اليه كفعل
النصارى والمغرب اي قبل المغرب كفعل اليهود وذلك منسوخ فهو
اعم لا البر وقرى ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرى بان تولوا
بالباء لتاكيد النفي ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر اي بالمبدا
والمعاد والملائكة والكتاب والنبيين اي بالشرايع المنحصرة في اصول
الدين المنزلة على الانبياء عليهم السلام بواسطة الملك وللتنبيه
على جهة الاتحاد قال والكتاب دون الكتب انما قال والملائكة
دون الملك لان سفير الوحي وان كان واحدا الا انه قد انزل بعض
الكتب بل بعض سور القرآن بجم غفير من الملائكة تعظيما لشأن المنزل
والمعنى والله اعلم ولكن البر هذه العقايد الصحيحة والاعمال الصالحة
والوصف لا يذكر في مقام الموصوف بلا حذف ولا يجوز بحسب
اللفظ كما في قولك رجل عدل فان التجوز فيه في اسناد دون
المسند كذلك يذكر الموصوف في مقام الوصف بلا حذف ولا يجوز
بحسب اللفظ كالذي نحن فيه تنزيلا للموصوف منزلته ولا يخفى
ما فيه من المبالغة في شأن ذلك الوصف وتعظيمه على عكس
ما في المثال المذكور فان المبالغة فيه في شأن الموصوف ولدقة
الفرق بين الاعتبارين ذهب على كثير من الحذاق وفي المصير الى
التقدير في مثل هذا المقام تنزيل للكلام عن منزلته الرفيعة وتغيير
لصورته البديعة على انه اذا قيل ولكن البر من آمن الخ يفهم
منه عدم الاعتبار بمن قصر في بعض تلك الاعمال واذا قيل
ولكن ذا البر من آمن يخرج الكلام على سنن الانتظام وايضا
لو قصد هذا لكان المناسب ان يقال ولكن البر بفتح الباء
وآتى المال على حبه اي على حب المال والشح به كما قال علي رضي
الله عنه لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح
شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقال الله تعالى لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى
واليتامى لايتا اعم من الصدقة فلا يشترط فيهما الفقر وقد
قيده بالزكاة فانصرف الى المندوبات من الصلات وقدم ذوي
القربى لانهم احق بالاحسان قال عليه السلام صدقتك على
المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان صدقة وصلة

والمساكين جمع مسكين صيغة وهو الدائم السكون الى الناس لشدة
فقره او الدائم السكون في البيت لعدم اللباس او لعدم الكياس لقوة
كالمسكين الدائم السكون وابن السبيل المسافر المنقطع به وجعل
ابنا السبيل لملازمته له والسائلين المستطعمين وفي الرقاب اي في
معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها
وقيل في فك الاسارى وفي العطف بعبارة الجمع الى فضل التوزيع
الى هذه الانواع واقام الصلاة مفروضة كانت او واجبة واتى الزكاة
المقدرة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين
نصب على المدح لبيان فضيلة الصبر في الشدائد ومواطن القتال
واظهار الفضل على سائر الاخلاق والاعمال في البأساء في الفقر والشدة
والضراء المرض والزمانة وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك
الذين صدقوا كانوا صادقين في الدين جادين واولئك هم المتقون
اي هم الموفون حق الصدق قولا وفعلا وعقدا او حق التقوى
خطرا او كراهة وندبا والصدق فيما يفعل والتقوى فيما يترك فالاية
جامعة لكمالات الانسانية باثرها واليه اشار النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم القصاص تخصيص الخطاب بالمؤمنين
لا لاختصاص الحكم المذكور بهم بل للتنبيه بخطابهم بوصف الايمان
عند ايجاب القصاص عليهم بقتل العمد الذي هو من الكبائر التي ورد
فيها اشد وعيد وتهديد على ان الكبيرة لا تزيل الايمان واصل
الكتابة الخط وكني بها عن الالزام وهذا الوجوب على الناس كافة
فمنهم من يلزمه استيفاؤه وهو السلطان اذا طلبه الولي ومنهم
من يلزمه تسليم النفس وهو القاتل ومنهم من تلزمه المعاونة
او الرضا به ومنهم من يلزمه ان لا يتعدى بل يقتص او ياخذ
الدية او يعفو والقص قطع الشيء على سبيل الاحتذاء ومنه
قص شعره وقص اثره وقص الحديث اقتطع كلاما جاريا
حد وغيره والقصة اسم منه وحقيقة القصاص ان يفعل
بالقاتل او الجارح مثل ما فعل ففيه اشارة الى ان القصد بالاية
منع التعدية فان اهل الجاهلية كانوا يتعدون في القتل وكلمة في
في القتلى للسببية كما في قوله تعالى لمتنني فيه والقتلى جمع قتيل
والاتيان بصيغة الجمع للاهتمام في المنع عن التعدي فانه اذا كان
ممنوعا في قتل جماعة فالمنع عنه في قتل واحد بطريق الاولى الحر بالحر
اي يقتص الحر القاتل بالحر المقتول ولا يتعدى من الحر الى العبد

لخساسة

لخساسته ولي للمقتول ولا من واحد الى اثنين لشرفه والعبد بالعبد
ولا يتعدى من العبد الى الحر لشرف ولي المقتول وقبيلته والانثى بالانثى
ولا يتعدى من الانثى الى الذكر لشرف المقتول كان بنو النضير يقولون
لبني قريظة اذا قتلتم منا عبدا قتلنا حرا واذا قتلتم منا حرا قتلنا منكم
حرين وكانوا على ذلك قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء الاسلام
تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتبوعوا فلا
دلالة فيها على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا دلالة على
عكسه فان المفهوم انما يعتبر حيث لا يظهر للتخصيص وجه سوى
اختصاص الحكم وقد ظهر هنا وجهه فلا متمسك للقائلين بحجية
المفهوم في هذه الاية لاثبات ما قالوا من عدم قتل الحر بالعبد فمن عفي
تفريع على ما في عبارة القصاص من الاشارة الى ان المكتوب حق
العبد يسقط باسقاطه له مفعول به لكن لكونه بواسطة حرف
الجر كان مساويا للمصدر وغيره في جواز الاسناد اليه من اخيه
اي من جهة اخيه يجوز ان يتعلق بالفعل وان يكون حالا من شيء
يعني ولي الدم وانما ذكره بهذه العبارة تذكيرا لما بينهما من الاخوة
الدينية والجنسية ليرق له ويعطف عليه فينشأ هل شيء اي
شيء من العفو بان كان للقتيل اولياء فعفى بعضهم فصار نصيب
الباقين مالا وهو حصتهم من الدية فهو في موقع المفعول المطلق
المقيد الموصوف مثل ضرب ضربا شديدا لما في تنكير شيء من الدلالة
على ذلك وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام
في اسقاط القصاص ولا يصح ان يكون شيء مفعولا به لان عفي
لا يتعدى بنفسه الى المفعول به لكن بعن الى الجاني والى الذنب
واذا تعدى الى الذنب بعن عدي الى الجاني باللام وكان اصله
في الاية فمن عفي له عن الجناية من اخيه فاستغنى بذكر القصاص
في القتلى عن ذكر الجناية وما عفي يعني ترك المتعدي بنفسه
الى المفعول به فلم يثبت وانما ثبت اعفي ولما تغليب حق يا في
الوارد في الصورة المذكورة من القصاص الى الاية قال
فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فعلى الولي اتباع بالمعروف
على الجاني بان لا يتجاوز عن الحد المعهود في الدية باخذ الزيادة او
عن حصته منها ومن هنا ظهر وجه التعريف في المعروف وعلى
الجاني اداء اليه باحسان بان لا يماطله ولا يبخسه على ان كلا
منهما مبتدا او فاعل للظرف او فليكن اتباع من الولي واداء من
الجاني على الفاعلية فيهما او فامر الولي اتباع وامر الجاني اداء على

الحنوية فيهما وفي هذه التوصية لهما ترغيب لهما بذكر الاخوة ذلك
اشارة الى المذكور صريحا وهو العفو المستلزم للدية وضمنا وهو
العفو العاري عنها وذلك ان عفو بعض القصاص لما كان مشروعا
بكونه حق العبد علم منه بطريق الدلالة ان عفو كله ايضا مشروع
تخفيف تسهيل بدفع القصاص عن الجاني من ربكم ورحمة بنفع الولي
حيث لم يضيع حقه والفصل بينهما بقوله من ربكم للايذان بـ
بتعلقه بهما كما في قوله تعالى لم تكن آمنت من قبل او كسبت في
ايمانها خيرا قال ابن عباس رضي الله عنه والحسن البصري
كان في شريعة موسى عليه السلام القتل لا غير وفي شريعة عيسى عليه السلام
العفو لا غير وفي شريعتنا القصاص ثابت والعفو حسن والصلح جائز
على حسب ما يراه انفع له واشفى لغليله واوفق لمراده ومن قال
وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو لم يصب
اذ ليس اثنان منها باختيار الولي لانه بدل الصلح صلحا لا يكون
الا برضى الجاني بقي ههنا شيء وهو ان قولهم كان في شريعة موسى
عليه السلام القتل لا غير محل بحث فان ما ياتي في تفسير قوله تعالى
في سورة الاعراف يأخذوا باحسنها ان الحسن هو الاقتصاص والاحسن
العفو صريح في ان ذلك في التورية ان ضمير احسنها للالواح فمن
اعتدى بعد ذلك الحكم والتخفيف فيتجاوز ويقتل غير القاتل
او القتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب نوع من العذاب
اليم شديد الالم ولكم في القصاص حياة كلام كامل في الفصاحة
وعالي الطبقة في البلاغة لم يوجد اقل مسموعا واجل مفهوما
منه مع اشتماله على البدائع التي هي من نكت البلاغة وذلك
ان القصاص قتل وتفويت للحياة فجعل محل الحياة وعرف
القصاص ونكر حيوة وقدم الخبر وخصص الخطاب باولي
الالباب اشعارا بانه لا يفهم معناه الا ذوو اللب اي لكم خاصة
ايها العقلاء في هذا الجنس من الحكم نوع من الحيوة او حياة عظيمة
لا يقدر قدرها اذ لو لم يشرع فكان كما كان في الجاهلية من
قتل غير القاتل وقتل الجماعة بواحد لوقع الهرج والمرج بين الناس
وهاجت الفتن والحروب وارتفع الامن من الناس فانطفت
تلك النائرة بشرع القصاص وارتدع كل منهم بالقتل لعلمه بذلك
فسلم المقتول من القتل والقاتل من القود ولم يجترء احد من اولي
الالباب على القتل فامن الناس وتلك حياة لخلق كثير في امن
وسلامة وسعة فضلا عن النفسين فلهذا قال لعلكم تتقون

القتل بغير الحق

القتل بغير الحق اي ادركم ما فيه الحياة لكي تتقوا ويجوز ان يختص
الخطاب بالائمة وهم اولي الالباب اي لعلكم تتقون في المحافظة على
القصاص والحكم به كتب عليكم امر الوصية لا بد في اقامته بظهور
اماراته ان ترك خيرا اي مالا طيبا وكان هذا القيد لا بد منه
لان المال الخبيث لا يجوز الوصية به لما فيه من الاثم والتزيين
للتكسب لما روي عن عايشه رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي
فسألته كم مالك فقال ثلاثة الاف درهم فقالت كم عيالك قال
اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء
يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين الوصية
فاعل كتب وتانيثها ليست حقيقية فيجوز تذكيرها اذ لا حاجة
وتذكير الفعل للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولهذا ذكر ضميرها
في قوله فمن بدله وانما مر في ذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه
عليه بالمعروف اي بالعدل المعهود وهو ان لا يوصي للغني ويدع
الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر موكدا اي حق ذلك حقا
على المتقين كان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بعد نزول
اية المواريث بقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه
الا لا وصية لوارث فانه وان كان من الاحاد الا ان الامة تلقته
بالقبول حتى لحق بالمتواتر لعلمنا بانهم لا يتلقون بالقبول الا
الثبت الذي صحت روايته فمن بدله اي قول الموصي تغييره
قوله بعدما سمعه اي عرفه عن وجهه من الاوصياء والشهود
والحكام ولا حاجة الى ان يقال ان كان موافقا للشرع لان الذي
لا يوافقه مردود ولا مبدل فانما اثمه اي اثم التبديل والايصا
المبدل على الذين يبدلونه لا على الموصي والموصى له وانما اتى ههنا
بصيغة الجمع لان التبديل انما يتيسر بالاتفاق فان الوصي مثلا
انما يقدر على التبديل بمشاهدة الشهود ولو بالسكوت وكذا
الحال في غيره ان الله سميع بقول الموصي عليم بفعل الوصي
وغيره من الذين يبدلونه الوصية ظاهره الاخبار وباطنه
الوعيد للمبدل ومن يساعده فيه فمن خاف يراد بالخوف في
مثل هذا ما يلزمه من التوقع والظن الغالب اذ لا خفا في انه
لا معنى للخوف من الميل والاثم بعد الوقوع من موص جنفا ميلا
عن الحق او اثما تعمدا للجنف قال الربيع الجنف في الخطا والاثم في
العمد فاصلح بينهم اي بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون
او بين الموصي لهم والورثة بردهم الى الحق وجاز اضمارهم لانهم

من سياق الكلام بمعونة المقام قال الراغب ولا فرق بين ان يخاف
منه ذلك قبل موت الموصي فيرشده له او بعد موته فيصلح وليس
الاصلاح بمقصود على ايقاع الصلح دون استعمال الصلح تكريرا ولهما
فلا اثم عليه اي على المبدل لح لانه تبديل باطل بحق وانما قال هذا لانه
لما خوف في الاية الاولى من تغيير الوصية بين ان النهي عن تغيير فيما
لا حيف ولا اثم فيه فاما اذا كان فيه شي من ذلك فلا شي في تغييره
ولما كان ما تضمنته الكلام السابق من الوعيد باعتبار احاطته
تعالى بالظواهر والسراير علما ناسب ان يرتب عليه ما في هذا
الكلام من الوعد لمن قد بتغيير الوصية الصلاح لقصده باداة
الترتيب وبين بقوله **ان الله غفور** انه يتجاوز عما عسى ان
يسقط من المصلح ما لا يجوز **رحيم** بالرخصة فيما ذكر **يا ايها الذين**
امنوا كتب عليكم تخصيص الخطاب بالمومنين لا لاختصاص الكتاب
المذكور بهم بل لاشتراط صحة المكتوب بالايمان فلا متمسك فيه
لمن قال ان الكفار غير مخاطبين بالعبادات **الصيام** الصوم هو
قال الخليل الصوم قيام بلا عمل والصوم الامساك عن الطعم وفي الشرع الامساك
بالنية في النهار الشرعي عن المفطرات **كما كتب** نصب على المصدر اي
كتبا كما كتب **على الذين من قبلكم** من الانبيا والامم من لدن ادم عليه
السلام يعني انه عبادة قديمة ما اخلى الله تعالى امة من افتراضها
عليهم ففيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس
والتشبيه في اصل الوجوب فقط وقيل في الاصل والمقدار والوقت
جميعا **لعلكم تتقون** الله بالمحافظة عليها لقدمها واصالتها
فانها ما فرضت عليكم وحدكم او تتقون المعاصي لان الصايم اردع
لنفسه فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبداها على ما اشار اليه
النبي عليه السلام بقوله فان الصوم شعارهم **اياما معدودات**
موقتات بعدد معلوم او قلايل كقوله تعالى دراهم معدودة واصله
ان المال القليل يقدر بالعد والكثير يحثى حثيا ونصبها على الظرفيه
للصيام وقد جوز عمل المصدر في الظرف مع تخلل الفاصل وان لم
يجز في غيرها والمراد بها اما ما وجب صومها قبل فرضية رمضان ونسخ
به وهو عاشورا او ثلاثة ايام من كل شهر او يجوز ان يراد بها رمضان
والاول اولى اذ الانسب على الثاني ان يقال شهرا معلوما كما قيل
الحج اشهر معلومات وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام كما روي
ان الربيع رمضان كتب على النصارى فوقع في حر او برد شديد
فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة للتحويل وقيل زادوا ذلك

لموتان اصابهم **فمن كان منكم مريضا** ذهب بعضهم الى ان كل مرض مبيح للافطار
اخذا باطلاق النص وبعضهم الى ان المراد المرض الذي يضره الصوم
او يعسر معه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر **او على سفر** لم يقل مسافرا فيها
ليتناول من دخل بلدة ومكث فيها اياما لا بنية الاقامة فان
ما ذكر يطلق عليه دون ما ترك **فعدة من ايام اخر** اي فعليه صوم عدة
ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف
اليه للعلم بها كذا قالوا وفيه ان وجه التعليل المذكور ظاهر في حذف
المضافين لانه بحكم قانون العربية واما في حذف الشرط فلا لانه
بحكم الشرع ولم يعلم بعد انه حتم او معلق على شرط ولذلك قال بعضهم
مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة ايام اخر ولعله حذف
مساغا للاجتهاد فيه وقري فعدة بالنصب اي فليصم عدة **وعلى**
الذين يطيقونه اي المطيقين للصيام ولا عذر لهم ان افطروا
وقري يطوقونه على البنا للمفعول تفعيل من الطوق بمعنى
الطاقة اي يكلفونه او التقلادة اي يقلدونه ويقال لهم
صوموا وقري يتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه
بادغام التا في الطا ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه
واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق
فقلبت الواو يا وادغمت فيها اليا كقولهم تدير المكان وما بها
ديار وهو اما بمعنى يطيقونه او يتقلدونه ويتقلدونه
واما بمعنى يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم
الشيوخ والعجايز وحكمهم الافطار والفدية وعلى هذا الوجه
ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون معنى يطيقونه ايضا
هذا اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم **فدية طعام**
مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقها العراق
ومد عند فقها الحجاز قيل رخص لهم ذلك في اول الامر لما امروا
بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقد تنبهت فيما
تقدم على انه لا حاجة الى المصير الى النسخ وقري فدية بتنوينها
وطعام مرفوع بدلا من فدية ومساكين معرفا وجمعا وقري
بالاضافة والجمع وتبين بقراة الافراد ان الحكم لكل يوم يفطر فيه
طعام مسكين **فمن تطوع خيرا** بان زاد في الطعام للمسكين
او في عدد من يلزمه اطعامه وانتصاب خيرا على انه صفة
لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على اسقاط الحرف اي
بخير لانه غير قياسي وفي قراة من جعل تطوع ماضيا يحتمل الموصول

والشرطية وفي قراءة من قرأها مجزوما شرطية فهو اي فالتطوع خير
اي اكثر خيرا له من الاقتصار على القدر المفروض وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون خير لكم من الفدية على اي وجه
كان ان كنتم تعلمون جوابه محذوف دل عليه ما قبله اي ان كنتم
من اهل العلم والتميز علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان
مبتدا خبره الذي انزل فيه القران او من شهد والفا لوصف
المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه
سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه او بدل من الصيام
في قوله كتب عليكم الصيام والذي انزل صفته او خبر مبتدا
محذوف اي هو اي الايام المعدودات وقرا بالنصب بدلا من اياما
او على صوموا شهر رمضان ولا يجوز ان يكون مفعول
ان تصوموا اذ ح يلزم الفصل بين المعمول وعامله بالخبر
والرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف
اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون
وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع والظما او لوقوعه
ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسما الشهور على اللغة القديمة
وقد يحذف المضاف لامن الالباس عليه ما جا في الحديث من صام
رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه الذي انزل
فيه القران اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل
انزل جملة الى سما الدنيا ثم انزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه
القران وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام هدى للناس الى الحق
حال وبينات وايات واضحات عطف عليه من الهدى من جملة
ما يهدي الله به الناس والفرقان وما يفرق به بين الحق
والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بينهما
فمن شهد منكم الشهر اي فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه
على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها وعلى
هذا ينتظم امر المريض والمسافر ولا بد منه لان اصل الوجوب
ثابت في حقهما والساقط بالرخصة المستفادة من قوله
ومن كان مريضا او على سفر انما هو وجوب الادا فلا وجه لان
يكون شهد بمعنى حضر لاستلزامه اختصاص الامر بالمقيم ولا
صحة له اذ ح يلزم ان يكون الحكم المذكور في حق المسافر عزيمة
وعلى تقدير حمل الوجوب المستفاد من الامر على وجوب الادا
لا وجه لتخصيص المقيم بالذكر دون الصحيح ثم ان اختصاص

وجوب

وجوب الادا بما عدا المريض والمسافر قد علم من قوله فعدة من ايام
اخر فالوجه ان يحمل ما قبله على اصل الوجوب لان الافادة خير من
الاعادة فعدة من ايام اخر اطلاقه اقتضى التخيير بين الجمع والتفريق
ولا يجوز تقييده بالتتابع بخبر الواحد لان التقييد نسخ ولا يجوز
نسخ الكتاب باخبار الاحاد يريد الله بكم اليسر برخصة الافطار
بعذر المرض والسفر ولا يريد بكم العسر بايجاب القضا متواليا
وبلا تاخير عند زوال العذر وفي عبارة يريد الله اشارة الى ان الاحب
عنده تعالى الافطار عند احد هذين العذرين لما في مقابلة عدم
قبول الاحسان والامتنان به وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم
على هذا بقوله ليس من البر الصيام في السفر واما في الادا في
رمضان من الفضيلة لا يعارض هذا الاستحباب والله اعلم بالصواب
ولتكملوا العدة يجوز ان يعطف على علة محذوفة اي لتعلموا ما
شرع لكم ولتكملوا العدة او على اليسر اي يريد الله بكم اليسر ويريد
لتكملوا العدة كقوله يريد الله ليذهب عنكم الرجس ولعلكم تشكرون
ولتكبروا الله قيل هو تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال فمعنى
فعل التكبير بمعنى الحمد فعدي بعلى فكان المعنى حامدين على ما هداكم
على هداه اياكم ولعلكم تشكرون اي ارادة ان تشكروا لا محال لاشتراك
المرجو والمراد في الترجي والا فصح ان يجعل ولتكملوا العدة الى اخره
عللا لفعل معلل محذوف مدلول عليه بما ذكر من قوله فمن شهد
منكم الشهر الخ اي وهذه الامور شرع ذلك فقوله ولتكملوا العدة
علة الامر في قوله فعدة ولتكبروا الله على ما هداكم علة للامر بصوم
الشاهد في الشهر وافطار المسافر والمريض لما علم من كيفية
القضا والخروج عن عهدة الفطر اي ولتعظموا الله وتثنوا عليه
ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف
لطيف المسلك لا يطلع عليه الا الحذاق من علما البيان واذا
سالك عبادي مرتبط بما تقدم من جهة انه لما حث على تكبيره
وشكره بين ان الذي يذكرونه ويشكرونه وبيانهم وهذا
فصله به بين حكمي رمضان عبادي شرفهم بالاضافة
الى نفسه عني اي عن صفتي ومعاملتي معهم اذا دعوني
فاني قريب لم يقل فقل اني قريب كما في ساير سؤالاتهم لانه
تعالى تولى جوابهم حين كان عنه سؤالهم فتعذر الكلام
فا قوله اني قريب روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت

تمثيل حاله في اجابة الداعي بحال من قريب مكانه فليبه اذا
دعاه لانه تعالى عن المكان فانه كان ولا مكان وهو الان
على ما كان اجيب دعوة الداعي اذا دعاني تقريب للقرب ووعد
للداعي بالاخلاص مقرونا بشرايطه بالاجابة والاجابة من
الجواب وهو القطع فاجابة السايل القطع بما سال لان سواله
على الوقوف ايكون ام لا يكون فليستجيبوا لي اي انا اجيبهم
فيما دعوني فعليهم ان يجيبوني فيما دعوتهم اليه بالايتمار
فيما امروا به والانتها عما نهوا عنه قال ابو عبيدة الاستجابة
والاجابة واحد كالاتابة والاستتابة وانشد لكعب بن سعد
الغنوي وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك
مجيب اي لم يجبه هذا ما يحسب جليل النظر والذي يحسب
دقيقه وهو انه تعالى انما قال فليستجيبوا ولم يقل فليجيبوا
لطيفة وهو ان حقيقة الاستجابة طلب الاجابة وان
كانت قد يستعمل في معنى الاجابة فيتبين ان العباد متى
تحروا اجابته تعذر وسعهم فانه قد يرضى به عنهم هذا
ما يتولاه الجوارح من الاعمال واما الذي يتعلق بالاذعان
القلبي من الايمان فلا بد فيه من حقيقة الاجابة ولهذا اورده
بلا لام بقوله وليومنوا بي مع انتظامه ما تقدم بحسب جليل
النظر لعلهم يرشدون راجين الرشد وهو اصابة الخير
ونقيضه الغي وقرئ بفتح الشين وضمها اما الاول فمن
الرشد بالفتح يقال رشد يرشد رشدا فهو رشيد
من حد علم واما الثاني فمن الرشد بالضم يقال رشد يرشد
فهو راشد من حد دخل وقرئ بالكسر ايضا احل لكم ليلة الصيام
نصب على الظرف وانما لم يقل ليالي الصيام مما لا دلالة للكلام
ولا يخفى لطفه على ذوي الافهام الرفث الى نسايكم روي ان
المسلمين كانوا اذا صلوا العشا او ناموا حرم عليهم الفطر
الى القابلة وان لم يفطر ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد
العشا فندم واتى النبي عليه السلام واعتذر اليه فقام رجال
واعترفوا بما صنعوا بعد العشا فنزلت والرفث في الاصل
هو قول الفحش ثم جعل اسما للافصاح بما يجب ان يكنى عنه
عند النسا من معاني الافضا اليهن يرشدك الى هذا قول
ابن عباس رضي الله عنهما حين انشد وهو محرم وهن يمشين
بنا هميسا ان يصدق الطير ننل لميسا فقيل له ارفثت

قال

قال انما الرفث ما كان عند النسا وانما عدي بالى لما في مفهومه
من معنى الافضا ثم انه كنى بمجموع قوله الرفث الى نسايكم عن
الجماع وقد كنى عن الجماع في جميع القرآن بلفظ مستحي لا يدل على
معنى القبح مراعاة للادب ولا ادب كادب التنزيل كقوله
وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النسا
دخلتم بهن فانكحوهن من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به
منهن ولا تقربوهن الى هنا فانه كنى عنه بما دل على معنى القبح
استهجانا واستقباحا لما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة هن لباس
لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة
الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة
الملابسة وفي كونكم هن لباس نوع تاييد لمحبة كان
ذلك الزيادة الشغف من جانبه شبه الرجل والمراة في تعانقهما
واشتمال كل منهما على صاحبه في عناقه باللباس المشتمل عليه
قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفه تثنت فكانت عليه لباسا
وافرد اللباس لانه كالمصدر علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان
ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب لتضمنه معنى
التعمد والزيادة والخيانة ضد الامانة وقد ايتمن الله تعالى
على عباده على ما امرهم به ونهاهم عنه فاذا عصوا في
السر فقد خانوه وفي زيادة كنتم دلالة على انهم مجبولون
على ذلك فعبيه نوع اشارة الى وجه قبول توبتهم ولهذا اتى
باداة التوزيع في قوله فتاب عليكم اي لما تبتم مما اقترفتموه
من المحظور وفيه تفسير التوبة وعفا عنكم ومحا اثر ذلك عنكم
بالتجاوز فالان اذا صله فعل بمعنى حان ثم جعل اسما للزمان
الحاضر وعرف بالالف واللام وبني على الفتحة والمراد ليلة
الصيام باشروهن لما نسخ عنكم حكم التحريم ولا دلالة فيه على
انتساخ السنة بالقرآن لاحتمال ان يكون المنسوخ حكم
من كلام الله تعالى المنسوخ تلاوة واصل المباشرة الصاق
البشرة بالبشرة وهي ظاهر الجلد كني به عن المجامعة والامر للاباحة
وابتغوا الابتغا الطلب للبغية ما كتب الله لكم ما قدر الله تعالى
لكم الولد اي لا تباشروهن لقضا الشهوة وحدها ولكن لابتغا
ما كتب الله له النكاح من التناسل لبقا النوع الى غاية وهذا
يتضمن النهي عن العزل واتيان المحل المحرم وكفى في الابتغا المذكور

كون الولد مخدرا للجملة ولا يلزم ان يكون مقدرا لكل واحد منهم
وكلوا الظاهر انه كلام مستأنف لا معطوف على باشروهن وانما زيد
قوله واشربوا ههنا للدلالة فانه على تقدير عدمها كم ينبئ حاجته
الى تلك الزيادة وانما اهملت لانها منتظر الوقوع وهو لا يجوز
ان يفعل الى طلوع الفجر اذ لا ينقطع اثره المفسد للصوم في الحال
بخلاف الاكل والشرب حتى يتبين لكم التبين تميز الشيء الذي يظهر
للنفس على التحقيق الخيط الابيض من الخيط الاسود شبه
اول ما يبدو من نور الفجر المعترض في الافق بالخيط الابيض
وما يمتد معه من غلس الليل بالخيط الاسود اختلف مشايخ اصحابنا
في ان العبرة لاول طلوعه ام لاستطارته وانتشاره قال
شمس الائمة الحلواني الاول احوط والثاني اوسع ونحن نقول
ان التشبيه بالخيط للتنبيه على ان العبرة لاول طلوعه فلا مساغ
للاختلاف المذكور من الفجر بيان لهما اما كونه بيانا للاول فظاهر
واما كونه بيانا للثاني فلانه باعتبار انتهائه اليه واتصاله به
بعد مده ومثل هذا التوسع في البيان ليس بعزيز ولهذا قدم
الخيط الابيض على قرينه فانه على تقدير اختصاص البيان له
حقه التاخير عنه ومن هنا اتضح انه لا وجه لان تكون من المذكورة
للتبعيض وبالبيان المذكور خرج الكلام من احتمال الاستعارة
وانما زيد مع ان الاستعارة ابلغ من التشبيه لفقد شرطها
وهو تعذر الحقيقة قال سهل بن سعد الساعدي نزلت
هذه الاية حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل
قوله من الفجر وكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم
في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب
حتى يتبين له منهما فانزل الله تعالى بعد ذلك قوله من الفجر
فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وهذا حديث صحيح
عند ائمة الحديث كالبخاري ومسلم لا يقال انه غير مقبول عند
ائمة البلاغة لان الكلام المذكور بدون البيان المذكور مع
ساقط عن درجة البلاغة لفقدان قرينة الاستعارة على ما
نبهت عليه انفا وعند عامة الاصوليين لما فيه تاخير البيان
عن وقت الحاجة ولا خلاف في امتناعه عند من لا يجوز تكليف المحال
وانما الخلاف في التاخير عن وقت الخطاب لانا نقول كفى قوله
لكم قرينة للاستعارة وذلك ان في التخصيص المستفاد من تقديمه
دلالة على ان النهي المذكور ما يختلف فيتحقق لبعض الرائين دون
بعض

بعض وعلى تقدير الحقيقة لا يحال ولهذا الاختلاف انما يتحقق مع تقدير الا
ستعارة لاختلاف المطالع ولما في هذا البيان من الدقة اشتبه
على بعض الناس فاحتيج الى زيادة البيان بقوله من الفجر قيل
في تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل عنه
ويلزمه صحة صوم المصبح جنبا وبسناه المنقول عما قدمناه من
اهمال الدلالة ثم ان تمام الاستدلال المذكور على تحقق المنافاة
بين اباحة المباشرة الى اخر الليل ووجوب الاغتسال فيه وذلك
غير مسلم فان وجوب الصلاة مع كونها مشروطة بالطهارة فقد
اجتمع مع اباحته في اخر جزء من اجزاء وقت صلاة المغرب ثم اتموا
الصيام تمسك اصحابنا بهذا في جواز النية بالنهار في صوم رمضان
ولا وجه له بل هو الظاهر فيما ذكره المخالف حيث قال الله تعالى ثم اتموا
الصيام ولم يقل ثم صوموا ولولا ما فيه من تحذير الدلالة على
تراخي الشروع في الصوم عن طلوع الفجر لما عدل عن الاخصر الى
الاظهر الى الليل بيان لاخر وقت المفروض واخراج الليل عن حد
لا يستلزم اخراجه عن محلية الصوم مطلقا فلا دلالة فيه
على نفي صوم الوصال ولا تباشروهن المراد بالمباشرة الوطء هنا
والنهي عنه لا لعينه بل لانه سبب للجنابة المانعة لصحة من
الاعتكاف فانه في الشرع لبث المسلم العاقل الطاهر في
المسجد بنية التقرب فينتظم النهي ما في معناه من الملامسة
بالشهوة مع الانزال وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها
والعكوف في اللغة الاقامة بين ان المباشرة تحل في ليالي رمضان
لكن لغير المعتكف فانها تفسد الاعتكاف عن قتادة رضي
الله عنه كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع
فنهوا عن ذلك وانما زاد قوله في المساجد للاشارة الى ان الاعتكاف
انما يكون في المسجد وصيغة الجمع لدفع وهم العهد فيفهم منه
عدم اختصاصه بمسجد دون مسجد تلك اشارة الى ان التقديرات
الواقعة في الاوامر والنواهي المذكورة المانعة عن التجاوز عنها
حدود الله اصل الحد المنع ومنه الحداد للبواب وحدود
الشرع موانع عن الجنايات وحدود الدار موانع عن الاختلاط
فلا تقربوها نهي اشفاق يتضمن نهي التحريم عن التجاوز عنها
على وجه ابلغ كما في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة قال النبي
عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع
حول الحمى يوشك ان يقع فيه ومن هنا ظهر وجه النهي المذكور

كذلك مثل ذلك التبيين **يبين الله آياته** الدالة على سائر مشروعاته
للناس لعلهم يتقون مخالفة الأوامر والنواهي **ولا تأكلوا أموالكم بينكم** نصب
على الظرف أو الحال من الأموال التقبيح بليغ لما كانوا يتعاطونه من المنكر
في ذلك مع اطلاع بعضهم على بعض **بالباطل** بالجهة التي ليست مشروعة
كما في العقود الفاسدة والأكساب الخبيثة وأموال الغنيمة
قبل القسمة هذا هو الظاهر من قوله أموالكم قيل أي ولا تأكلوا بعضكم
مال بعض ولا يخفى ما فيه من الصرف عن الظاهر بلا داع إليه **وتدلوا بها**
إلى الحكام عطف على النهي أي ولا تدلوا أو لا تأكلوا أو منصوب بإضمار
أن أي يكون المعنى لا تجمعوا بين الأكل بالباطل والإدلاء إلى الحكام والنهي
عن الجمع بينهما لا يستلزم النهي عن كل منهما حرام فحقه أن لا ينهى
عنه منفردا عن الآخر فيفهم منه النهي عن الجمع بينهما بطريق
الدلالة على الوجه الأبلغ والإدلاء الإرسال أي أدلوا في البئر و
واستعير للتوصل إلى الشيء **لتأكلوا** بالتحاكم **فريقا من أموال الناس**
الفريق القطعة المعزولة من الشيء **بالإثم** أي بما يوجب الإثم
كشهادة الزور واليمين الكاذبة أو ملتبس بالإثم **وأنتم تعلمون**
أنكم مبطلون وإنما قيد به لأن حصول الإثم مشروط بالعلم المذكور
وقيل ارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أعظم وصاحبها بالتوبيخ
أحق والأول أولى كما لا يخفى روي أن عبدان الحضرمي ادعى
على امرئ القيس الكندي أرضا عضبا في يده واختصما
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعبدان ألك بينة قال لا
قال لك يمينه فقال إذا يذهب بأرضي فقال النبي عليه
السلام ليس لك إلا ذلك فحلف كاذبا بالله ما له قبله حق فنزلت
الآية فأقر عبدان ورد أرضه إليه وأعطاه أرضا أخرى
عوضا مكان ما أخذ من غلتها **يسئلونك عن الأهلة** الأهلة جمع
هلال الليلة أو ليلتين سمي به لأن الناس يرفعون أصواتهم نحو
عند رؤيته روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري
سألا فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يمتلي
ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ومن هنا ظهر وجه
الإتيان بصيغة الجمع فإنهما لما سألا عما في أول الشهر وعما
في آخره كان المناسب أن يعبر عن المسؤول عنه بصيغة
الجمع **قل هي مواقيت للناس** جمع ميقات وهو مفعال من الوقت
معناه ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الإحرام وهي
الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة محرما والوقت

والمدة والزمان تتقارب لكن المدة المطلقة أوسعها فإنها امتداد حركة
الفلك أي انقضائها من مبدئها إلى غايتها والغاية مقسومة من مطلق المدة
والوقت الزمان المفروض للعمل للناس **والحج** أي لما يتعلق بهم من أمور
المعاملات ومصالحهم وفيه يذكر الحج على ما يتعلق به من العبادات ولكن
ذكره أعظمها أثرا فإن الحج يراعى في أدائه وقضائه الوقت المعلوم بخلاف
سائر العبادات التي لا يتعين في قضائها وقت معين كان السؤال
عن السبب العادي لاختلاف القمر في زيادة النور ونقصانه ثم
وأجيب على أسلوب الحكيم ببيان الحكمة في هذا الاختلاف للتنبيه
على أن المناسب لحال السائلين أن يسأل عن ذلك لا عن السبب لأنه
ليس مما يطلع عليه بسهولة لابتنائه على معرفة مسائل من دقائق
علم الهيئة **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى**
أي بر من اتقى لما بين أنهم عكسوا الحال في السؤال عن حال الأهلة مثل
حالهم في السؤال عما لا ينبغي كالحمق في الإحرام في الحج وخبطهم على
خلاف ما يجب أن يكونوا عليه وهو أن ناسا من الأنصار كانوا
إذا أحرموا لم يدخلوا بيتا من البيوت من بابه فإن كانوا من أهل
المدر نقبوا نقبا في ظهر بيوتهم منه يدخلون ويخرجون أو
اتخذوا سلما يصعدون فيه وينزلون وإن كانوا من أهل الوبر
دخلوا وخرجوا من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول
الباب ولكن البر الاتقاء من محارم الله تعالى وهذا مع كونه نهيا
لهم عن عادتهم الرديئة في باب الحج على سبيل الاستطراد لذكر
الحج وبيان مواقيته بيان لتعكيسهم في السؤال وهو أن يسكتوا
عما يعنيهم ويسألوا عما لا يعنيهم أي ما أنتم في سؤالكم عن سبب
نقصان الأهلة وكمالها وترككم ما يهمكم من فوائدها إلا كمن يكون
متحرجين عن دخول البيت عن أبوابها وإتيانكم من ظهورها لو
حسبتم ذلك برا وما هو من البر في شيء وترككم التحرج عما يجب
عليكم اتقاؤه واجتنابه وهو الإثم ثم قال **وأتوا البيوت من أبوابها**
أي باشروا الأمور من وجوهها والمراد توطين النفس عن ترك
الفضول من السؤال والفعال واجتناب ما يجب اجتنابه
والتزام ما أوجبه الشرع من غير شك وشبهة فإن في السؤال
أمارة الشك **واتقوا الله** في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله
لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالبر **وقاتلوا في سبيل الله** أي جاهدوا
لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه والقتال مجادلة القتل تمكينا وله
والقتل نقض بنية الحياة **الذين يقاتلونكم** عن الربيع بن أنس

رضي الله عنهما هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف اي قاتلوا الذين يناجزونكم
القتال دون المحاجزين فعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى
وقاتلوا المشركين كافة والذين يناصبونكم القتال دون غيرهم كالشيوخ
والنساء والصبيان والرهبان او الكفرة كلهم لانهم اعداء المؤمنين
قاصدين لقتالهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا اولم يقاتلوا فيكون
غير منسوخ وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا
له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضا خاف المسلمون ان لا يفي لهم
قريش ويقاتلونهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت
واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم فيها ولا تعتدوا بابتداء القتال على
الاول او الرابع او بقتال غير المناصبين كالشيوخ والصبيان والنسوان
والرهبان والذين بينكم وبينهم عهد على الثاني او بالمثلة او
المفاجاة من غير دعوة على الثالث ان الله لا يحب المعتدين عدم
الحب كناية عن الكراهة فهم في معرض المواخذة بسبب الاعتدا
واقتلوهم حيث ثقفتموهم في حل وحرم تقول ثقفته اثقفه ثقفا
اذا ظفرت به ومنه قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم
وقول الشاعر فاما تثقفوني فاقتلوني فان اثقف فسوف ترى لي
بالي واما الحذقة في الاخذ فغير معتبر في مفهومه واخرجوهم من حيث
اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم
يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل من باب التعميم لاندراج
الحاصل فيه اي المحنة والبلاء اللذين يعذب به الانسان اشد عليهم
من القتل قيل لبعض الحكما ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه
الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن الذي يتمنى عندها
الموت ومنه قول القائل القتل بحد السيف اهون موقعا على
النفس من قتل بحد فراق ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي لا تفاتحوهم
بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام والمسجد الحرام الحرم كله فان
الله تعالى صدوكم عن المسجد الحرام وانما صدوهم عن الحرم كله
حتى يقاتلوكم فيه الى هنا عبارة فيه دون عند للدلالة على انه
لا رخصة للقتال عند تلبسهم عند المسجد الحرام بل لابد في اول الامر
من الالتجا اليه بالدخول فيه فان انتهوا عن القتال والا فلهم ان
يقاتلوهم عند المسجد الحرام بل لابد بعد ذلك وهذا الرعاية حرمته
مهما امكن وفيما تقدم الى يعتدون فيه بدون العكس فكل من

العبارتين اصاب محزها فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم
الذين هتكوا حرمته وهذا تصريح بمفهوم الغاية وبشارة بالغلبة حيث
قال فاقتلوهم دون فقاتلوهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان
قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم تقول قتلنا بنو فلان كذلك
جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن الكفر
والقتال فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف ويرحمهم في المستأنف
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة عدوان وتفسيرها بالشرك يأباه العطف
بالواو في قوله ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه
نصيب فان انتهوا اي عن العدوان والفاء هنا للتعقيب فلا عدوان
الا على الظالمين اي فلا تعتدوا تخص العدوان في اضدادهم وسجل
على ان العدوان ظلم ووضع الظالمين موضع ضمير العائدين فدل
بالتحري على المنتهين هم العادلون الذين لا عدوان عليهم ويسمى القتل
عدوانا مجازا من حيث كان عقوبة على العدوان كما قال وجزاء سيئة
سيئة مثلها وحسن ذلك لازدواج الكلام ومزاوجته هاهنا على
اعتبار المقدر لما عرفت ان تقديره وان انتهوا عن العدوان فلا
عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون
عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم
لعمرة القضا فيه وكراهتهم القتال الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا
الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج
عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليه يجري فيه القصاص
فلما هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة و
واقتلوهم ان قاتلوكم واكد حكم القصاص بقوله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم الاعتداء مجاوزة حدها وذلك قد لا يكون
مذموما بخلاف الظلم فانه وضع الشي في غير الموضع الذي يجب ان
يوضع فيه وهذا في كل حال مذموم فلا يقال من ظلمك فاظلمه
الا بطريق المشاكلة بخلاف ما في الاية المذكورة واتقوا الله في
حال كونكم منتصرين منهم فلا تزيدوا على المثل فتعتدوا الى ما لا
يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا
في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
بالاسراف وتضييع اسباب المعاش فان المال قوام النفس
فتضييعه يفضي الى تضييعها او بالكف عن الغزو والانفاق فيه
فان ذلك يقوي العدو ويسلطه عليكم ويؤيده ما روي عن
ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه نحن اعلم بهذه الاية

فانه نزلت فينا حين رجعنا الى اصلاح الاموال وتركنا القتال بعد
ما فشا الاسلام وكثر اهله والهلاك انتهاء الشيء في الفساد ولهذا سمي
الموت هلاكا عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد والالقاء
اطلاق الشيء الى جهة السفل ويقتضيه للامساك وتعديته بالى لما فيه
من معنى الانتهاء والمراد بالايدي الانفس فان اليد يعبر بها عن النفس
كما في قوله تعالى تبت يدا ابي لهب والباء مزيدة واحسنوا اعمالكم
واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين يريد بهم
الخير واتموا الحج والعمرة انما قال فيهما اتموا كما في الصوم وثم
اقيموا كما في الصلاة تنبيها على انهما يجبان بالنية كالصوم فيلزم
اتمامهما بعد النية كما يلزم اتمام الصوم بعدها بخلاف الصلاة
فانها لا تجب بالنية فلا يلزم اتمامها بعدها بل يجوز ان تترك
ومن هنا اتضح وجه تخصيص هذه الثلاثة من بين العبادات
بالامر بالاتمام ومن لا ينتبه لهذه الدقيقة الانيقة قال في تفسيره
ايتوا بهما تامين مستجمعي المناسك فدلالته على ان من شرع
فيهما لزم اتمامهما من جهة الاركان والشرائط وبه تقول ان العمرة
تجب بالشروع وكذا الحج مطلقا انما يجب به فلا متمسك فيه للقائل
بوجوب العمرة واقيموا الحج والعمرة شاذة فلا تنهض حجة وما
روي جابر رضي الله عنه انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل
الحج فقال لا ولكن ان تعتمروا خير لكم نص في هذا الباب ولا
يعارضه ما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة
نبيك لان الاثر لا يعارض الخبر على انه ليس في الكلام ترتيب
الاهلال على الوجدان بل الظاهر منه بيان سبب الوجدان
على سبيل الاستئناف لله لوجه الله تعالى عن علي وابن عباس
وابن مسعود رضي الله عنهم ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل
ان تفرد لكل منهما سفرا وقيل ان تخلصوها للعبادة ولا تشوبوها
بشيء من التجارة والاعراض الدنيوية وقرئ والعمرة لله على الابتدا
فان احصرتم اي منعتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف
او مرض او عجز قال الله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله وقال
ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك
شغول ويقال حصره اذا حبسه عدو عن المضي او سجن هذا
هو الاكثر في كلامهم وقد نص عليه الخليل حيث قال الحصر الحبس
والاحصار ان يحصر الحاج عن بلوغ المناسك لمرض او غيره

ويوافقه

ويوافقه قول الكسائي وابي عبيدة وقال الفراء وابو عمرو الشيباني هما
بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وعن جماعة من الصحابة من كسر
او عرج فقد احصر وهو مذهب اصحابنا وقال الشافعي رضي الله عنه
لا يكون الاحصار الا من عدو فان احصار النبي عليه السلام واصحابه
كان بالعدو ولانه تعالى قال فاذا امنتم وذلك زوال الخوف وقلنا
العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب واللفظ لما قلنا لغة
والامن يكون عن العلل ايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم الزكام
امان من الجذام فما استيسر من الهدي في محل الرفع بالابتداء فعليه
ما استيسر او النصب على تقدير فاهدوا ما استيسر واستيسر بمعنى
تيسر كاستصعب وتصعب واستغنى وتغنى كذا قالوا والظاهر ان
زيادة السين لزيادة اليسر فالمراد الشاة لان الهدي من الثلاث
من الابل والبقر والغنم وايسرها الشاة والهدي جمع هدية كجدي
وجدية وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي والمعنى
ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه حيث احصر عند
الشافعي فان النبي صلى الله عليه وسلم احصر بالحديبية وذبح هناك
وتحلل وعند ابي حنيفة لا يذبح الا بالحرم ببعثه ولا يتحلل حتى يبلغ
محله ويعين المبعوث على يده يوم امارة ويدل عليه قوله ولا تحلقوا
رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فان بلوغ المحل يدل على مسافة
بين موضع الحصر وبين المحل وكذا قوله والهدي معكوفا ان يبلغ محله
والخطاب في ولا تحلقوا للمحصرين اي ولا تتحللوا حتى تعلموا بلوغ
الهدي محله ومحله مكانه الذي يجب فيه نحره او ذبحه كمحل الدين
هو الوقت الذي يجب فيه قضاؤه وانما نحر الرسول عليه السلام
في موضع الاحصار لان محصره كان طرف الحديبية الذي الى اسفل
مكة وهو من الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة
اميال من مكة وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحر هديه في الحرم فمن كان منكم مريضا الفاء للتعقيب وفائدتها
دفع ذهاب الوهم الى العطف على ان احصرتم على تقدير التقدير
بالواو فانه يلزم اخراج المريض عن حد المحصر ولا وجه له
والخطاب في منكم للذين بعثوا الهدي من المحصرين فالمعنى
من كان بعد البعث مريضا يخرجه الى الحلق والتقصير للتحليل
فينتظم المرض المرخص ما في الراس من الجراحة والقرحة
او به اذى هو ما يؤذيه اي يتعبه ويشق عليه من بخار
في الراس وقمل وللتعميم التنائي قال من راسه اي من جهته

دون في راسه ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة
او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه
السلام قال لكعب بن عجرة اذ مر عليه والقمل تتهافت في وجهه
لعلك اذاك هوامك فقال نعم يا رسول الله فقال احلق وصم ثلاثة
اصع واو للعطف على وجه التخيير وبيان عدم حلق الواجب
عن احد الانواع الثلاث المذكورة للفدية والتخيير يلزم هذا
البيان ضرورة لا لانه معناها الوضعي والنسك جمع نسيكة
وهي الذبيحة واختير الجمع هنا لتعدد انواعها وقرئ او نسك
بالتخفيف كان مقتضى الظاهر البداية بالاشق وهو النسك
وانما عدل عنه بالبداية بالصيام تطييبا لقلوب الفقراء العاجزين
عن النسك باظهار العناية والاهتمام في شان الصيام
سعد به على الباقين والتقدم لا يخلو عن التعظيم فاذا امنتم
الاحصار وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي
استمتع بها الى وقت الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج
انتفاعه اذا احل من عمرته باستباحة ما كان محرما عليه الى
ان يحرم بالحج وقيل بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع
بتقربه اليه بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم بسبب التمتع
هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة رضي الله عنه
لا يذبحه الا يوم النحر ويا كل منه وجبران عند الشافعي
يجوز ذبحه اذا احرم بحجة لان السبب هو التمتع ولا يتحقق
الا به ولا يا كل منه لانه دم جناية فمن لم يجد اي الهدي
فصيام ثلاثة ايام اي فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج في ايام
الاشتغال به بعد الاحرام عند الشافعي وعند ابي حنيفة
في وقت الحج اي في اشهره ما بين الاحرامين وافضله اليوم
السابع ويوم التروية وعرفة ولا يجوز في ايام النحر وايام
التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو
احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من افعال الحج وهو قوله
الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ وسبعة بالنصب عطف على
محل ثلاثة ايام اذ تقديره فصيام ثلاثة تلك عشرة فذلكة
الحساب وفائدتها امران احدهما ان يعلم جملة كما علم تفصيلا
فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب قال الفرزدق ثلاث
واثنتان فهن خمس والثاني ان ينفي توهم الاباحة فان
الواو قد تجي لها كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين

ويرد على

ويرد على الاول انه لا يناسب بلاغة القران لان المدعو فيه بمقتضى المقام
نظر الى الخواص دون العوام وعلى الثاني ان الاباحة موجب صيغة الامر
والواو للتشريك في الحكم فقط واما ارادة الكثرة من السبعة دون العدد
فلا يذهب اليه وهم عند ذكرها مع الثلاثة فلا حاجة الى دفعها وعندي
ان صيام ثلاثة ايام لما كان قبل تعذر الاصل ودخوله فقد احتمل ان
يذهب الوهم الى عدم اعتباره في اصل البدل فانفي بالعدد لكونه المذكورة
دفعا لذلك الوهم كاملة صفة موكدة تفيد المبالغة في محافظة
العدة او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد
ويتم مراتبها او مقيدة تفيد بدليتها من الهدي كذا قيل والاوجه
انها مقيدة تفيد تمامها في الثواب والاجر ودفع ذهاب الوهم الى
ان صوم السبعة ليس كصوم الثلاثة في الاجر للتفاوت في زمانه
ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واكثر الائمة لانه مختص بالآفاقي
عندهم فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام فمن فعل ذلك منهم
فعليه دم جناية والى الحكم المذكور عند الشافعي لمن لم يكن اهله
حاضري المسجد الحرام اي للذي لا يسكن ثمة وانما ذكر الاهل
لان الظاهر ان الانسان يسكن حيث سكن اهله فعبر بسكون
الاهل عن سكون نفسه وقد مر ان المسجد الحرام هو الحرم كله
وحاضروا المسجد الحرام عند ابي حنيفة هم اهل مكة ومن كان منزله
داخل الميقات وعند الشافعي هم اهل مكة ومن كان من الحرم على
مسافة عنه وعند مالك اهل مكة واهل ذي طوى
واتقوا الله فيما تقدم امره ونهيه وواجب ناسب ان يختم ذلك
بالامر بالتقوى في ان لا يتعدى ما حد ثم اعلم بقوله واعلموا ان الله
شديد العقاب شدة عقابه على المخالفة الحج اشهر اي وقته كقولك
البرد شهران لما امر باتمام الحج والعمرة ثم نص على بيان وقت
الحج علم منه بطريق البيان السكوتي وقت العمرة ان العمرة غير
موقتة وهذا من جملة وجوه الايجاز الذي ارتقى به القران الى ذروة
الاعجاز ولم يتنبه له الناظرون فيه معلومات في شوال وذو
القعدة وعشر ذي الحجة خلافا للشافعي في يوم النحر وذو الحجة
كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد من وقته وقت افعاله او
وقت احرامه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا وانما لم
يسمها باعيانها لانها كانت معروفة عندهم على ما توارثوه الى انهم
كانوا يدخلون منها النسيء فنبه على نفيه واوقاته دون
غيرها والاشهر على الحقيقة وانما التجوز في جعل بعض الشهر او ما

اطلاق الجمع على ما فوق الواحد فلا يناسب المقام لما فيه من اخراج الشهر
الثالث من حج الحرام ثم ان الاستدلال على الاطلاق المذكور بقوله تعالى
فقد صغت قلوبكما فليس بشي لانهم صرحوا بان مثل هذا ليس من
المتنازع فيه **فمن فرض فيهن الحج** الزمه نفسه بالاحرام ولا خلاف فيه انما
الخلاف بيننا وبين الشافعي في ان الاحرام يتم بالنية او لا يتم بل
لا بد من التلبية معها او من سوق الهدي او لا دلالة فيه على خروج
يوم النحر من وقت الحج لان معناه من فرض فيهن من فرضه في كل من الاشهر
المذكورة لا من فرضه في كل يوم من ايامها نعم فيه دلالة على كراهة
تقديم الاحرام عليها فانه لو جاز ذلك لضاع قوله فيهن واما ان من احرم
بالحج لزمه الاتمام فقد دل عليه قوله اتموا الحج والعمرة بظاهره **فلا رفث**
فلا جماع او فلا فحش في الكلام **ولا فسوق** ولا خروج عن حدود
الشريعة بالاسباب والتنابز بالالقاب لقوله تعالى ولا تنابزوا
بالالقاب بئس الاسم الفسوق **ولا جدال** ولا مراء ولا شقاق مع
الرفقاء والخدم وغيرهم وانما نهي عنه في الحج مع كونه منهيا عنه
لكونه في الحج اقبح كلبس الحرير في الصلاة **في الحج** في اثناء اقامة مناسكه
بعد الاحرام وانما نفى الحقيقة في الثلاثة المذكورة للمبالغة
في النهي اي فلا يكونن هذه الاجناس واذا وجب انتفاؤها وكانت
حقيقة بان لا تكون لزم الانتهاء عنها ضرورة وقرئ الاولان بالرفع
على معنى النهي اي فلا يكونن رفث ولا فسوق والاخير بالفتح على معنى
الاخبار بانتفاء الجدال اي الخلاف وذلك ان قريشا كانت تخالف
ساير العرب في الحج فتقف بالمشعر الحرام وساير العرب بعرفة
وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسي فرد
الوقوف الى عرفة والحج الى وقت واحد فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع
الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال
بقوله عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم
ولدته امه فانه لم يذكر الجدال **وما تفعلوا من خير** التنكير للتقليل
يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ومبناه على الكناية
بعلمه تعالى بفعل من افعال العباد عن ترتب الجزاء عليه ولا يخفى
ما في ضمن هذا الوعد من الوعيد وبه يتم حق المقام والمراد من
الخير بقرينة سياق الكلام ان ياتوا بالكلام الحسن مكان القبيح
وبالبر والتقوى مكان الفسوق وبالثناء والمدح مكان السباب
والتنابز بالالقاب مكان الخلاف ومحاسن الاخلاق مكان الجدال
ويجوز تذييله لما قبله بان يراد بفعل الخير ضبط انفسهم عما نهوا عنه

وتزودوا

وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم في الاخرة اتقاء القبائح
فان خير الزاد اتقاؤها والزاد الطعام الذي يتخذ للسفر وقيل كانت
اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون ونحن نحج بيت
الله تعالى فلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه
وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان
خير الزاد الاجتناب من ذلك **واتقون** وخافوا عقابي **يا اولي الالباب**
ايها الذين منة عليهم بالعقول التي هي افضل ما جعل في الخلق فان
لب الشيء هو خالص ما فيه اي جعلت فيكم العقول التي هي الات التمييز
والتدبير فيستعمل معها التقوى والتفكر **ليس عليكم جناح** حرج **ان تبتغوا**
في ان تبتغوا اي تطلبوا **فضلا من ربكم** زيادة عطاء وهو الربح
بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية
يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منها
فنزلت برفع عنهم الجناح في ذلك وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة
الواجبة **فاذا افضتم** دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء اي صبه
بكثرة واصله افضتم انفسكم وترك ذكر المفعول كما ترى في موضع
دفعوا من موضع كذا وصبوا والفاء للتعقيب لما بين وقت الحج وذكر
ما نهي عنه في الاحرام وما ندب اليه وما ابيح فيه عقبه ببيان
ما يجب ان يفعل بعد الفراغ عن اقامة ركنه وهو الوقوف **من عرفات**
علم للموقف منقول عن الجمع كاذرعات والظاهر انه جمع عرفة جمع
عارف والا فهو من الاسماء المرتجلة ولا يعرف النقل في اسماء الاجناس
منصرف لان تاءه مع الالف علامة جمع المؤنث لا التاء التي هي علامة
التانيث واما التانيث المعنوي فمقدر باعتبار المعنى والموقف
ليس بمؤنث فليس فيه الا العلمية فلا تمنعه الصرف وحدها وانما
سمي الموقف بها لان ادم عليه السلام وحوى التقيا
فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وكان جبرائيل عليه السلام
يدور بابراهيم عليه السلام في المشاعر اراه اياها فقال عرفت
وقيل وصف له عليه السلام فلما راه عرفه وليس هذا دليل على وجوب
الوقوف فيه **فاذكروا الله عند المشعر الحرام** بالتلبية والتهليل والتكبير
والثناء والدعاء وقيل بصلاة المغرب والعشاء فانهما يجمعان بالمزدلفة
المشعر الحرام وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل
ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان
ولا وادي محسر من المشعر والصحيح انه الجبل لما روى جابر رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة

يغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا
حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته
ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه وذلك للفضل كالقرب
من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت
اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر
واذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها
واذكروه كما علمكم كيف تذكرونه وما مصدرية او كافة وان كنتم من
قبله اي من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه
وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا من حيث
افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش
كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا
بان يساووهم فليس فيه ايجاب الافاضة حتى يدل على وجوب الوقوف
بعرفة بناء على ان الافاضة لا تكون الا بعده بل بيان اختصاص مشروعيته
بالوجه المذكور وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى
الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة
من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد
ادم عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة
شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف وغيرها
من افعال الجاهلية وعاداتهم ان الله غفور يغفر الذنوب رحيم
بالمذنبين يدعوهم بجميل احسانه الى بابه ويرغبهم في جزيل ثوابه
ولهذا اي ولتضمنه الترغيب المذكور اتى باداة ويرغبهم في جزيل
السببية في قوله فاذا قضيتم مناسككم اي فاذا فرغتم امور حجكم
فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاذكروا الله تعالى ذكرا كثيرا وبالغوا
فيه كما تفعلون في ذكركم اباءكم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم
وقفوا بين المسجد بمنى والجبل ويذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن
ايامهم فنزلت اي اكثروا ذكر الله تعالى ودعائه ولا تطلبوا بالذكر
اغراض الدنيا كالذاكرين اباءهم او اشد ذكرا في موضع الجر عطف على
الضمير المضاف اليه المذكور في قوله كذكركم اي او كقوم اشد ذكرا
من ذكركم اباكم الفعل المبني للمفعول اي مذكورية ويجوز ان يكون
معطوفا على الكاف في كذكركم اي ذكرا مثل ذكركم او ذكرا اشد ذكرا
من ذكركم اباكم على ان الذكر ذاكرا اشد من ذكرها كقولهم جد جده
وشعر شاعر واو هنا ليست للتخيير بل للنقل عن الاول قال
القفال ومجاز اللغة في مثل هذا معروف يقول الرجل لاخر افعل

كذا الى شهر او اسرع منه وانما يريد به النقل عن الاول الى
ما هو اقرب منه فمن الناس من يقول الفاء سبب عن تقسيم تضمنه
الكلام السابق فانه يشتمل على ذكر المفيضين من عرفات الذاكرين
الله والمفيضين من المزدلفة الذاكرين لابائهم فعقب القسم
الثاني بانهم ابطاليون لحظوظ الدنيا واما القسم الاول الجامعون
بين الامرين فاولئك هم اهل الفلاح والفوز ربنا اتنا في الدنيا اي
اجعل ايتاءنا في الدنيا خاصة وما له في الاخرة من خلاق الخلاق
نصيب الانسان من افعاله المحمودة التي تكون خلقا له وقد يراد
به النصيب من الخير على وجه الاستحقاق وهو المراد هنا ومنهم
من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة من الصحة والكفاف والتوفيق
للخير وفي الاخرة حسنة من الثواب والكرامة والرحمة وقنا عذاب النار
بالعفو والمغفرة اولئك اشارة الى الفريق الثاني او اليهما لهم
نصيب النصيب في الاصل المنصوب وجعل السهم المفرز نصيبا
مما كسبوا اي من جنسه وهي الاعمال الحسنة وهو الثواب الحسن في
الاخرة والمنافع الحسنة في الدنيا او من اجل ما كسبوا او مما دعوا به
نعطيهم منه ما يستوجبونه في الاخرة لان الدعاء من الاعمال
الحسنة والاعمال توصف بالكسب فسمي كسبا او من جنس ما كسبوا
عليهما بمقتضيه مشيئة الله تعالى وحكمته والله سريع الحساب
وعيدا اي سريع حسابه للخلائق مع كثرة اعدادهم واعمالهم لكمال
علمه وقدرته فيجب الحذر منه او وجب على العباد اي سريع وقوع
حسابه يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا
الى اكثار الذكر وطلب الاخرة واذكروا الله في ايام معدودات
الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات
وعند الجمار وعند القرابين فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين
يوم النحر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق قبل
طلوع الفجر عندنا وبعد رمي الجمار عند الشافعي فلا اثم عليه
باستعجاله ومن تأخر اي في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال
فلا اثم عليه فان ابو حنيفة يجوز تقديم رميه قبل الزوال وهو مخير
بين النفرين فلذلك سوى بينهما بنفي الاثم عن صاحبهما وفيه
رد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المستعجل ومنهم من اثم المتأخر
لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج
المتجنب عن كل ما يريبه او لانه هو الحاج عند الله بالحقيقة
واتقوا الله في المحافظة على هذه الاحكام ليعبأ بكم واعلموا

انكم اليه تحشرون وعيد شديد اي اليه لا الى غيره حشركم ومجازاتكم
على حسب تقواكم واصل الحشر ضم المتفرق وسوقه من جهات
مختلفة ومن الناس من يعجبك قوله بروقك ويعظم في نفسك والتعجب
حيرة تعرض الانسان عند الجهل بالشيء ومعنى اعجبني كذا ظهر لي
ظهورا لم اعرف سببه في الحياة الدنيا متعلق بقوله اي ما يقوله
في باب الدنيا وشانها اذ مراده به احراز حظوظ الدنيا
لا ثواب الاخرة كما يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة وقيل
بيعجبك اي يعجبك في الحيوة الدنيا لفصاحته وحلاوته لا في
الاخرة لما يرهقه هناك من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له
في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويقول الله شاهد
على ما في قلبي من المحبة للاسلام وهو الد الخصام شديد الجدال
والعداوة للمسلمين واضافة الالد بمعنى في على ان الخصام بمعنى
المخاصمة كقولهم ثبت الغدر او على وصف بكونه الد للمبالغة
وجعل خصامه لشدته كانه في نفسه خصم الد وقيل جمع خصم
كصعب وصعاب اي هو اشد الخصوم خصومة روي انها
نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو
المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل
في المنافقين كلهم واذا تولى سعى التولي الانحراف عن الشيء
الى خلاف جهته والسعي الاسراع في المشي اي اذا انصرف عنك
وذهب مسرعا في الارض ليفسد فيها كما فعله الاخنس بثقيف
وقيل اذا صار واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الافساد والظلم
ويهلك الحرث والنسل حقيقة او حكما بان يمنع الله تعالى القطر بشوم
ظلمه وفساده فيهلك الحرث والنسل والحرث هو الزرع واصله الشق
والنسل ما خرج من كل انثى من اجناس الحيوانات والله لا يحب الفساد
عدم الحب كناية عن البغض فعيد ووعيد بليغ ويتضمن التعليل
لما سبق على المعنى الثاني والافساد في الحقيقة اخراج الشيء عن
حاله المحمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود في فعل الله تعالى
ولا هو امر به ولا محب له وما نراه في فعله فسادا فهو بالاضافة
الينا وبالاعتبار ربنا فاما بالنظر اليه فكله صلاح واذا قيل له
اتق الله اي اذا خوف هذا المنافق بالله تعالى اخذته العزة بالاثم
اي حملته العزة على ذلك من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه
والزمته اياه وفيه مبالغة شديدة كان العزة فيه حمية الجاهلية
والنزع حاكم مسلط عليه يلزمه ارتكاب الاثم الذي ينهى عنه

لجاجا

لجاجا وضرارا وعلى زعم الواعظ ورد قوله فحسبه جهنم اي كافيه
جزاء جهنم وهو استغنا بما حل به وجهنم اسم علم للنار وهي ماخوذة من
قولهم ركية جهنام اذا كانت بعيدة الغور واشتقاقه من الصرف وللتانيث
والعلمية بين اذ جهنم نصيبه الكافي وجزاؤه الوافي ثم دل على حال
جهنم بقوله ولبئس المهاد وجواب قسم محذوف وحذف المخصوص
بالذم للعلم به والمهاد ما يوطى للجنب ويهيى للنوم ومن الناس من يشري
نفسه يبيعها للجهاد وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر حتى يقتل ابتغاء
مرضات الله طلبا لرضاه والله رؤوف بالعباد بهو في غاية الرحمة
لهم ولهذا عوضهم النعيم المقيم على عمل منقطع عقب ذكر المذموم من
اعدائه بذكر المحمودين من اوليائه ترهيبا وترغيبا يا ايها الذين
امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالفتح والكسر الاسلام والطاعة
اسم للجملة من الكف كانهم كفوا باجتماعهم عن ان يخرج احد حال من فاعل
ادخلوا ومن السلم وتاوها بعد النقل نقل للتانيث والمعنى استسلموا
لله تعالى واطيعوه جميعا ظاهرا وباطنا على ان الخطاب للمنافقين
او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره على ان الخطاب لمؤمني
اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل
والبانها او شرايع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء عليهم السلام
والكتب جميعا على ان الخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام
واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها على ان الخطاب للمسلمين ولا
تتبعوا خطوات الشيطان بالتفريق والتفرق وقد مر ما يتعلق
بقوله انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم
اصل الزلل في القدم يقال زل يزل زلا وزللا اذا دحضت قدمه
ثم استعمل في الاعتقادات والاراء بطريق الاستعارة من بعد ما جاءتكم
البينات الحجج والشواهد على ان ما امرتم بالدخول فيه هو الحق فاعلموا
ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يهمل وان يمهل على
ما تقتضيه الحكمة هل ينظرون ما ينتظرون الا ان ياتيهم الله
اي ياتيهم امره لقوله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة
او ياتي امر ربك وانما اسند الاتيان الى الله تعالى تعظيما وتهويلا
وتنبيها على انه ياتي الامر الذي لا يدافع كان امره هو لوجوبه واكد التهويل
وشدة العذاب ببيان اتيانه من الغمام الذي هو مظنة الرحمة لكونه
اقطع فان الشدة اذا جاءت من حيث لا يحتسب كان اعظم كما ان الخير اذا جاء
من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير
ولهذا كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع

الغيب في ظلل جمع ظلة كعلة وقلل وهي ما يستظل به وقري ظلالت
جمعها لعلة وقلال وظلل من الغمام قال الثعلبي في سر الادب اول
ما يبتدا هو النشو فاذا انسحب في الهوا فهو السحاب فاذا تغيرت
السما فهو الغمام انتهي فالغمام اقوي من السحاب ظلمة فكان انسب
لعبارة الظلل من السحاب والملايكة وقري بالجر عطفا علي ظلل
او الغمام وقضي الامر اي فضي امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه عبر
بالماضي عن المستقبل لدنوه او تيقن وقوعه وقري وقضا الامر
عطفا علي الملايكة والي الله ترجع الامور وقري علي البنا للمفعول
علي انه من الرجع وعلي البنا للفاعل انه من الرجوع سل بني اسرايل
بحذف الهمزة في الكلام المبتدا وتثبت في العطف مثل قوله واسيل
القرية والسوال للتوبيخ والخطاب لكل احد او للرسول عليه السلام
كم اتيناهم من اية بينة علي يدي انبيايهم وهي معجزاتهم او من اية
في الكتب شاهد علي صحة دين الاسلام وحقيقته وكم خبرية او هي
استفهامية للتقرير ومحلها النصب علي المفعولية او الرفع بالابتدا
علي حذف العايد من الخبر واية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله
اي اية او هي حجة نعمة من الله تعالي بان يجعلها اسباب الضلالة وهي
اسباب الهدي والنجاة عنها لقوله تعالي فزادتهم رجسا الي رجسهم
او يحرفها كما حرفوا الايات الدالة علي دين محمد عليه السلام من بعد
ما جاته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض
بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن
يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب
اعظم جريمة والعقاب ماخوذ من العقب كان المعاقب يمشي بالمجازاة
له في اثار عقبه زين للذين كفروا الحيوة الدنيا التزيين هو التحسين
المدرك بالحس دون المدرك بالعقل ولهذا جا في اوصاف الدنيا
في اعينهم وحببها اليهم وقراة زين علي البنا للفاعل والحيوة بالنصب
علي الاسناد المجازي فانه تعالي امهل المزين فجعل امهاله تزيينا
او زينها حتي استحسنوها واحبوها ومن قال المزين علي حقيقته
هو الله اذ ما من شي الا وهو فاعله لفظا في المدعي وما اصاب في
الدليل اما الاول فلان التزيين صفة تقوم بالشيطان والفاعل
الحقيقي لصفة ما تقوم به تلك الصفة وليت شعري ما يقول
هذا القايل في الكفر والضلالة فان فاعل القيام حقيقة هو القايم
الذي يتصف به لا خالقه واما الثاني فلان معناه عدم
الفرق بين الفاعل النحوي الذي كلامنا فيه والفاعل الكلامي

الذي

الذي يعزل عن هذا المقام ويسخرون من الذين امنوا اي يهزون من فقرا
المومنين الذين لا حظ لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم
رضي الله عنهم علي رفضهم الدنيا واقبالهم علي الاخرة قال القرطبي يقال
سخرت منه وسخرت به وضحكت منه وضحكت به وهزيت منه وهزيت
به كل ذلك يقال حكاه الاخفش والاسم السخرية والذين اتقوا اي
الذين اتقوا الدنيا واختاروا الفقر من المومنين هم اهل الزلفة والكرامة
عند الله تعالي وضع موضع الذين امنوا لانهم يسخرون منهم دون
الاغنيا تنبيها علي انهم اهل السعادة الكبري عند الله تعالي وتحريضا
للمومنين علي التقوي فوقهم يوم القيمة لانهم كانوا في درجات
الجنة وهم في دركات النار فينادونهم ان افيضوا علينا من الما
او مما رزقكم الله والله يرزق من يشا يعني في الدنيا لان مساق
الكلام فيه بغير حساب بغير تقدير اي يوسع بحسب الحكمة
والمشية التي يعلمها له علي عباده فمنهم من يكون التوسعة عليه
استدراجا كهولا الكفرة وقارون واحزابهم ومنهم من يكون له
التوسعة عليه كرامة له كاغنيا المسلمين وسليمان وداود عليهم
السلام واما لهم كان الناس امة واحدة علي الفطرة متفقة علي
دين الاسلام علي الصحيح وقيل هم نوح عليه السلام ومن معه
في السفينة فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الله فحذف
لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراة
عبد الله فاختلفوا فبعث الله تعالي ولقوله تعالي وما كان
الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولما كان سبب البعثة الاختلاف
لم يبق احتمال لان يكون المراد من الامة المذكورة المتفقين علي
الجهالة والكفر مبشرين من اطاع ومنذرين من عصي وانزل
معهم الكتاب اي الكتب واسم الجنس يصلح للجميع ومعهم حال
مقدرة من الكتاب تتعلق بمحذوف وليس منصوبا بانزل ولا يريد
به انه انزل مع كل واحد منهم كتاب يخصه لا لانه اكثرهم لم يكن
لهم كتاب يخصهم بل كانوا ياخذون بكتب من قبلهم لان المعني
مع كل واحد من الذين لهم كتاب وعموم النبيين لا ينافي خصوص
الضمير العايد اليه بمعونة القرينة بل لان بعض الكتاب
المخصوص من معه لا يشمل الاحكام كالزبور فلا يصلح ما ذكر
بقوله ليحكم بين الناس غاية له بالحق حال من الكتاب
اي ملتبسا بالحق ليحكم بين الناس اي النبي الذي معه الكتاب
فيما اختلفوا فيه من امور الدين وما اختلف فيه الا الذين اوتوه اي

الكتاب المنزل لازالة الاختلاف ومعناه زاد اختلافهم بسبب الكتاب
حتى كان الاختلاف الاول بالنسبة اليه كالاختلاف ولما كان الاختلاف
الا الذي حدث بعده كان الاختلاف الموجب لنزول الكتاب اتفاقا
في جنبه لشدة عنادهم من بعد ما جاءتهم البينات الدلايل الشاهدة
على حقيقة الدين المتفق عليه بغيا بينهم وحسدا وقلة انصاف
منهم لحرصهم على الدنيا وتهالكهم فهدى الله بسبب تلك البينات
الذين امنوا منهم لما اختلفوا فيه من الحق بيان لما اختلفوا فيه
باذنه بتيسيره وتوفيقه اياهم والله يهدي دون غيره من يشاء
من اهل العناية بمقتضى الحكمة الى صراط مستقيم صراط لا يعرف
كنهه وهو طريق التوحيد ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار والحسبان كالظن يستعمل في المترجح لما
ذكر الامم الخالية واختلافهم على النبيين بعد مجيء البينات وانكارهم
تشجيعا للرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين واغراء لهم على
الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب
وانكارهم لاياته وعداوتهم له خاطبهم على طريقة الالتفات التي
هي ابلغ ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة
ولما تتوقع في النفي كقد في الاثبات ومعناها ان اتيان ذلك متوقع
ومنتظر ولم يقع بعد مستهم بيان للمثل على الاستيناف البأساء
الشدة من الخوف والجوع والفاقة والضراء الالم والامراض وزلزلوا
اي ازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة مما اصابهم من الاهوال
والافزاع حتى يقول لتناهي الشدة وتماديها في العظم بحيث تنقطع
حبال الصبر الرسول مع كونه في كمال الثبات فالصبر وضبط
النفس والوقار الى غاية لا يقدر قدرها والذين امنوا معه الصابرة
في البأساء والضراء وقرئ يقول بالرفع على معنى الحال وهي حكاية
حال الماضية وبالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال متى نصر
الله معناه استبطاء النصر لطوله وتمنيه واستطالة زمان الشدة
الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اي فقيل لهم اجابة
لهم الى طلبهم من عاجل النصر واعطا سولهم يسالونك ماذا ينفقون
لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا جاء عمرو
بن جموح الانصاري وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
كم ننفق وعلى من ننفق فنزل جواب السوالين في ايتين من هذه
السورة جواب قوله كم ننفق في قوله قل العفو وجواب قوله
على من ننفق في قوله قل ما انفقتم من خير اي شيء انفقتم من

مال

مال والمال يسمى خيرا قال الله تعالى لا يسام الانسان من دعاء
الخير وقال وانه لحب الخير لشديد وانما سماه خيرا هنا لانه مذكور في
موضع الصرف الى الخير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين
وابن السبيل بدأ في المصرف بالاقرب فالاقرب ثم الاحوج فالاحوج
وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان
تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه والفعل اعم من الانفاق
وغيره سالوا عن خاص واجيب بخاص ثم اتى بالعموم في افعال
الخير قيل كان هذا للايجاب ونسخ الامر بالزكاة وقيل كان
للاستحباب وهو باق كتب عليكم القتال اي فرض عليكم الجهاد
وهو كره لكم من الكراهة لقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف
للمبالغة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول
كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرئ بالفتح على ان يكون
بمعنى المضموم كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على سبيل
المجاز كانهم اكرهوا عليه لفرط كراهتهم له وكراهته الطبع لا
توجب الذم بل تحقق معنى العبودية اذا فعل ذلك ابتغاء للشرع
مع نفرة الطبع واما كراهة الاعتقاد فهو من صفات المنافقين
ونبه بقوله وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم بالعطف
وجه على ان ما كتب عليهم من القتال خير لهم واوضح دلالة وهي
انه اذا جاز ان يكون شيء كرهتموه لا يرد عليه الخيرية فيجوز
ان تكون محبتكم لما احببتموه شرا ثم نبه على ان هذا الجائز كونه
عندكم واجب كونه في نفسه بقوله والله يعلم وانتم لا تعلمون
وقد قضى بان ذلك خير واذا كان خيرا فيجب ان تحبوه ولا تكرهوه
فالخير يجب ارادته والشر يجب كراهته والمحبة ميل النفس الى
ما تراه وتظنه خيرا والارادة لا يلزمها ظن الخير ولهذا قيل ان
تحبوا دون ان تريدوا ولم يراع حق المقابلة مع قوله ان تكرهوا
وعسى كلمة تجري مجرى لعل وهي من العباد للترجي ومن الله
تعالى للتوجيه قيل جميع ما كلفوا به من قبيل الاول وجميع ما
نهوا عنه من قبيل الثاني وفيه نظر يسالونك عن الشهر
الحرام نزلت في اول سرية في الاسلام اغاروا على عير لقريش
قافلة من الطائف وقتلوا عمرو بن عبد الله الحضرمي اول
يوم من رجب وهم يظنون انه من جمادى الاخر فعيرهم اهل مكة
باستحلال له قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفائدة الابدال

ان في ذكر الشهر اولا تنبيه على ان السؤال عن القتال لاجل الشهر
لا لغيره قل قتال فيه كبير ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله
تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطا ولا وجه
لمنع دلالة الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا على
ان النكرة في خبر الاثبات لا تعم لا يقال اذا لم تكن موصوفة وقد
مر ما يوجبه هذا وصد اي صد ناحية الشعب والوادي اكما نحو
السالك وجده عن كذا كانما جعل بينه وبين ما يريده سدا يمنعه
والصديد ما حال بين الجلد واللحم من الدم والقيح كذا قال
الراغب عن سبيل الله اي ما يوصل العبد الى الله من الطاعات
وكفر به اي بالله تعالى عطف على صد وقد عطف عليه قبل
تمام المعطوف عليه لشدة الاعتنا عن ذكر الله تعالى بان الكفر به
اكبر الكبائر واعمها والذي اندرج فيه جميع الكبائر فلا بد
ان يوخر عن قوله والمسجد الحرام لما اشرنا اليه من انه من تمام
قوله وصد عن سبيل الله اخراج اهله منه اكبر عند الله خبر عن
الاشيا المعدودة وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن
المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمومنون منه اكبر عند الله مما فعلته
السرية على سبيل الخطا والبنا على الظن والفتنة اكبر من القتل وما
ارتكبوه من الصد والاخراج والكفر اكبر من قتل الحضرمي ولا يزالون
يقاتلونكم اي يداومون على عداوتكم ولا ينفكون عن مقاتلتكم حتى
يردوكم عن دينكم حتى للتعليل كما في قولك اعبد الله حتى ادخل الجنة
لقوله ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه
ان ظفرت بي فلا تبق علي مع وثوقه بانه لا يظفر به وايراد ان
في موضع اليقين للتهكم او بنا على ظنهم الفاسد ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر ومن يرجع منكم عن دينه الى دينهم
ويطاوعهم على رده اياه اليه ولم يتب فيمت على الردة فاولئك
حبطت اعمالهم اي حسناتهم لانها هي الاعمال في الحقيقة اذ السيئات
مما ينبغي ان لا تعمل ويقال لمن عمل ما لا ينتفع به لم يعمل شيئا في الدنيا
لفوات ما لهم من الثواب لو لم يرتدوا او لموتهم عليها والحبط فساد
العمل واولئك اصحاب النار ملازموها يقال فلان صاحب فلان
اذا كان ملازما له هم فيها خالدون اعدا يموت فيها لا يموتون ولا
يخرجون عنها ثم الطاعة تحبط بنفس الردة عندنا لقوله تعالى
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والموت عليها ليس بشرط وقال الشافعي شرط

وتمسك

وتمسك بهذه الاية وقلنا انما جعل الموت على الكفر شرطا جميع ما ذكر في هذه
الاية من حبوط العمل والخلود في النار ابدية تقول كذا قيل وياباه تكرير
اولئك لما فيه من الدلالة على اعتبار الشرط المذكور في كل واحد من
الحكمين المذكورين فالصواب في الجواب ان يقال انما اعتبر الشرط
المذكور في حبوط عمل الدنيا وعمل الاخرة معا لا في حبوط عمل وحده فلا
متمسك فيه للخصم لانا نقول تاثير الشرط المذكور في حبوط عمل
الدنيا فانه ما لم يستمر على الردة الى اخر الحيوة لا يحرم عن ثمرات
الاسلام ان الذين امنوا نزلت في السرية المذكورة لما ظن بعض الناس
فيهم انهم ان لم يكن عليهم وزر فليس لهم اجر والذين هاجروا اي من
مكة الى المدينة قيل اي فارقوا اماكن السوء واصحابها والاول كان
فرضا فنسخت فرضيتها والثاني فرضيته باقية وجاهدوا في سبيل الله
اي قاتلوا الكفار وقيل اي استفرغوا المجهود في طاعة الله وتكرير
الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء
اولئك يرجون رحمت الله في الدنيا والاخرة نفعا ورفعا ودفعا وفي
عبارة الرجا مدح لهم باستقصارهم اعمالهم واستشعارهم اعمالهم خائفين
رده راجين قبوله قال الله تعالى والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة والله غفور لما فعلوا خطا وقلة احتياط رحيم باجزال
الثواب والايصال الى حسن الماب يسالونك عن الخمر والميسر روي
انها نزلت بمكة شربها ابيح تعالى وقوله تعالى ومن ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي
لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رضي الله عنهم قالوا
يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل ومسلبة للمال
فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها اخرون
والخمر ما خمر العقل اي ستره كانها سميت بالمصدر للمبالغة
ومنه الخمار لانه يستر الراس وقال ابن الانباري سميت خمرا لانها
تخامر العقل اي تخالطه قال عمر رضي الله عنه في خطبته ايها الناس
فانه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب والعسل والتمر والحنطة
والشعير والميسر القمار وقال الازهري الميسر الجزور الذي كانوا
يتقامرون عليه سمي ميسرا لانه يجزى اجزاء فكانه موضع التجزئة
وكل شي جزاته فقد يسرته والياسر الجازر لانه يجزي لحم الجزور
قل فيهما لما كان منشا للاثم وسببا للمانع جعلهما منبعا له
ومعدنا لها تنبيها على قوتهما في المنشاية والسببية فلا حاجة
الى تقدير المضاف بل لا وجه له عندنا لبلغا فلا دلالة في هذا على

أي السؤال عن تعاطيهما إثم الإثم ما يستحق فاعله العقاب
فتخصيص بما يكون عمدا يرشدك إليه ذكره في قوله تعالى ومن
يكسب خطيئة أو إثما في مقابلة الخطيئة كبير من حيث إنه يؤدي إلى
الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور ومنافع من الطرب والالتذاذ
وكسب المال ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان
وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة للناس في عبارة اسم الجنس إشارة
إلى عموم المنافع لما تحته من الأصناف والأفراد وفيه وفي جمع
المنفعة تمهيد لتعظيم الإثم فيهما ضرورة أن تعظيم المفضل عليه يستلزم
تعظيم المفضل وإثمهما أكبر من نفعهما يعني أن الآثام المترتبة على المفاسد
التي تنشأ من كل منهما أعظم من المنافع المتوقعة منه قال الحسن هذه
الآية تدل على تحريم الخمر لأنه ذكر أن فيها إثما كبيرا وقد حرم الله تعالى
الإثم بقوله قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم
على أنه قد وصف ما فيهما من الإثم بالكبير والكبير منه حرام بالاتفاق
وقوله حسن وإن كان تحريمها إنما نزل فيما سبق ويسألونك ماذا ينفقون
قد مر أن سائله أيضا عمرو بن الجموح قل العفو نقيض الجهد وهو القصد
في الإنفاق بحيث لا يبلغ الجهد واستفراغ الوسع كذلك يبين الله
لكم الآيات أي مثل ما بين من الأحكام والكاف في موضع النصب صفة
المصدر محذوف وتوحيد العلامة على تأويل القبيل لعلكم تتفكرون
في الدنيا والآخرة متعلق بتتفكرون في أمر الدارين وما هو أصلح لكم فيهما
فتختارونه وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم أو يضركم أكثر ويسألونك
عن اليتامى الحال تشهد بأن السؤال ليس عن أعيانهم بل عن كفالتهم
ومخالطتهم والإفصاح بالأمثال هذه تخاف عن طريق البلاغة
لأنه لا يخلو عن عبارة للتكلم وتعبئة للمخاطب وسوء أدب وكلام
الله تعالى منزه عن كل هجنة روي أنه لما نزلت إن الذين يأكلون
أموال اليتامى ظلما تحاموا عن اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام
بمصالحهم وأموالهم والاهتمام بأحوالهم فشق ذلك عليهم وكاد
يوقعهم في الحرج فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعلى
هذا الأسلوب في سبب النزول فالوجه ما قاله مقاتل من أن المسلمين
لما أشفقوا من مخالطة اليتامى فعزلوا بيت اليتيم وطعامه شق
عليهم فقال ثابت بن رفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله
في اليتيم ما أنزل فعزلناهم والذي لهم وعزلنا والذي لنا فشق علينا
وعليهم وليس كلنا يجد سعة فهل يصلح لنا مخالطتهم فيكون
البيت والطعام واحدا لا نرزأهم شيئا إلا أن يعود عليهم بأفضل

منه

منه فنزل قوله تعالى قل إصلاح لهم خير أي مداخلتهم على وجه المخالطة
أي إنهم تحويكم الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم وإن تخالطوهم
فإخوانكم حث على المخالطة أي أنهم إخوانكم في الدين ومن حق الأخ أن
يخالط أخاه والخلط الجمع بين أجزاء شيئين سواء كان ما يتعين أو غير
ما يتعين فهو أخص من المزج والله يعلم المفسد من المصلح والله يميز
المخالط بالإفساد من المخالط بالإصلاح ولا يخفى عليه فيجازي بحسبه
فلا تقصدوا في مخالطتهم إلا الإصلاح ولو شاء الله إعناتكم لأعنتكم أي
لحملكم على العنت وهو المشقة ومنعكم عن المخالطة فوقعتم في الحرج إن
الله عزيز غالب يقدر على الإعنات حكيم لا يكلف إلا ما يسع طاقتهم ويصلح
حالهم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن أي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم
أي ولا تزوجوهن من المسلمين المشركات والمشركة تعم الكتابية لقوله
تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن
الله إلى قوله سبحانه عما يشركون ولكن خصت عنها الكتابيات
بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وبقيت الحربيات في
عموم هذه الآية روي أنه عليه السلام بعث مرثد الغنوي إلى مكة
ليخرج منها أناسا من المسلمين فأتته عناق وكان يهواها في الجاهلية
فقالت ألا تخلو فقال إن الإسلام حال بيننا فقالت هل لك أن
تتزوج بي فقال نعم ولكن أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره
عليه السلام فنزلت ولأمة مؤمنة خير من مشركة يعني أن المؤمنة ولو
كان معه خساسة الرق خير من الكافر ولو كان معه شرف
الحرية فإن شرفها لا يجدي نفعا مع الكفر ودناءة الرق لا تضر
مع شرف الإيمان ولو أعجبتكم جملة اعتراضية وجواب لو محذوف لدلالة
ما قبلها عليه وكذا ولو أعجبتكم أي ولو أحببتموها وأعجبكم حسنها كانت
المؤمنة مع ذلك خيرا لكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا أي ولا تزوجوهم
المؤمنات وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم وضع
اللازم مقام الملزوم إلى الوصفين للتنفير والترغيب فقال أولئك
أي المشركون والمشركات يدعون إلى النار أي الشرك المستلزم لدخول
النار فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا والله يدعو إلى الجنة
والمغفرة أي الإيمان المستلزم لدخول الجنة وأورد الله مكان
المؤمنين لاختصاصهم به وتعظيمهم حثا على مصاهرتهم
وموالاتهم وإيثارهم على غيرهم بإذنه بتيسيره وتوفيقه لما
يستحق به الجنة والمغفرة من الإيمان والعمل الصالح ويبين
آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا ويكونوا بحيث

يرجى منهم التذكر لما ذكر في العقول السليمة من الميل الى نيل الخير والاجتناب
عن مظان المضار ويسألونك عن المحيض المحيض مصدر يقال حاضت
محيضا كما يقال جاء مجيئا روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض
ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح
في نفر من الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك فنزلت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك
في المواضع الثلاثة بعدها مع الواو لان الاول ليس بمظنة للواو وكانت
الاسولة عن الحوادث الاخر من الثلاثة الاول كانت في وقت واحد وليس
مبني هذا على ان الواو حرف الجمع لان الجمع الذي هو مدلول الواو ايهم من
المعية بل على ان في ترك الواو ودلالة على الاستقلال في ذكرها
دلالة على خلافه قل هو اذى لما كان الموضع موضع الكناية
والمجاز لكون التصريح في الحقيقة لا يخلو عن سوء ادب سلك طريقة
التعريض والتشبيه باحسن الوجوه فكنى عن المحيض المستقذر
الذي ينفر عنه الطبع بالاذى وهو اسم لما ينال منه النفس مكروه وعن
اجتناب الجماع بقوله فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن واصل
الاعتزال التعود عن الشيء ولما كان الانسان قد يتحمل الاذى ولا
يراه محرما صرح بالحكم ولم يكتف بذكر العلة وانما اكد بصيغتي امر ونهي
مبالغة في المنع لان الزوجان يجتمعان غالبا ومعهما داعيان
اليه ظاهر والدليل على ان المراد الاجتناب عن مجامعتهن قوله
عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم
باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو لا قصد دينا فرط
اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون
بالحيض حتى يطهرن بيان لغاية ما يحرم من الحيض بانقطاع
الدم وان كان ايامها عشرة فكلما انقطع حل وطيها واذا كانت دون
ذلك وانقطع واغتسلت فكذلك واذا لم تغتسل ومضى عليها وقت
صلاة فكذلك خلافا لزفر والشافعي فانهما قالا لا يحل حتى تغتسل
الاغتسال واحتجا بقراءة التشديد فان التطهير الاغتسال ونحن
نعمل بالقراءتين في حالتين وفيه نظر لان شرط العمل بالمفهوم ان لا يكون
مخالفا للمنطوق ومفهوم قراءة التخفيف مخالف لمنطوق قراءة التشديد
ونحن نقول ليس العمل بقراءة التخفيف بطريق المفهوم بل بطريق
المنطوق فان الدلالة على انتهاء الحكم عند الغاية بحسب الوضع
ثم ان قوله فاذا تطهرن فأتوهن ظاهر في تاخير جواز الاتيان
عن الغسل من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم به وحلله
لكم وهو القبل وانما زيد هذا وكان الكلام تاما بدونه للنهي بطريق

المفهوم عن

المفهوم عن اتيانهن في الدبر فان الله تعالى يحرم الاتيان في ايام الحيض
للاذى فيحرم اتيان الدبر في الايام الاخر كلها لما في الاتيان اليه من الاذى
ومن هنا ظهر وجه تقصير الكلام المذكور لغاية التوضيح ان الله يحب
التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب
ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان
في غير المأتى نساؤكم حرث لكم اشارة الى ان الغرض الاصلي من الاتيان
المامور به طلب النسل لا مجرد قضاء الشهوة والى وجه النهي الذي قصد
بطريق المفهوم شبههن بالمحارث تشبيها لالقاء النطف في الارحام للنسل
بالقاء البذر في الارض للزرع ولما كان التشبيه المذكور مترتبا على
هذا التمثيل المتروك ترتب اللازم على الملزوم لم يبعد ان يسمى تمثيلا
على سبيل الكناية والقوم قد غفلوا عن هذا النوع من التمثيل فأتوا
حرثكم انى شئتم كما يأتي الحراثون محارثهم من اي جهة شاؤوا بعد
مراعاة موضع الحرث عبر به عن وجوه الاتيان المختلفة مع اتحاد
المأتي تمثيلا لحالهم بحالهم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته
وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود فنزلت وقدموا لانفسكم
الخير والذخر بطاعة الله تعالى فيما امر به ونهى عنه في هذه الاية وقيل
التسمية حالة المجامعة اي لا تقتصروا على قضاء الشهوة ولكن اقصدوا التعفف
والولد واتقوا الله بالاجتناب عن المعاصي واعلموا انكم ملاقوه فلا
تجترئوا عليه بمخالفته وتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين
المستوجبين للمدح والكرامة بترك القبائح والفواحش ولا تجعلوا
الله عرضة العرضة فعلة بمعنى المفعول كالقرضة تطلق لما يعرض
دون الشيء لايمانكم يتعلق بعرضة اي حاجزا لايمانكم ان في العرضة معنى
الاعتراض والمنع او بالفعل اي لا تجعلوه لايمانكم حاجزا ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم اي الامور المقسم عليها
التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس ويجوز ان تكون اللام للتعليل
وان تبروا وما عطف عليه متعلقا بالفعل اي ولا تجعلوا الله عرضة تبروا
لاجل ايمانكم به او بعضها اي ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه
بكثرة الحلف ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان
تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين
الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لا يكون
برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح البين نزلت في الصديق رضي
الله عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله عنها

وقيل في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير ابن النعمان ولا يصلح
بينه وبين اخته والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم فيجازيكم بحسبها وهو
وعيد على كثرة الحلف وعلى جعلها مانعا للشي من انواع البر والتقوى لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم اللغو الشي الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره
واللغو من اليمين هو الذي لا عقد له كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه
كقول العرب وغيرهم في اثنا الكلام للتاكيد لا والله وبلى والله ولا يخطر ببالهم
الحلف بدليل قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولكن يؤاخذكم بما
كسبت قلوبكم وهو قصد القلب لعقد اليمين والمعنى لا يؤاخذكم الله
بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم
من الايمان وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بنا على ظنه
الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن
يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها ولا يساعده ظاهر قوله ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث
لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم
اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلا الحلف وتعديته بعلى الى
انه ضمن في هذا القسم معنى الامتناع فعدي بمن اي يمتنعون من
نسائهم مقسمين ويجوز ان يكون المقسم عليه محذوفا والمراد
لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والتربص الانتظار
والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي لتلبث الاخذ
والابتا منهم لانهم المامورون بالاخذ والابتا عند الترافع اليهم فكانهم
الاخذون والموتون وقرى الا ان يخافا على البنا للمفعول وابدال
ان يقيما عن الضمير بدل الاشتمال وقرى يظنا وهو يؤيد تفسير
الخوف بالظن في هذه المدة فلا يلزمه شي منها وهذا لا ينافي بوقوع
الطلاق البائن عند مضيها كما قال ابو حنيفة رضي الله عنه ولا
يقتضي ان تكون مدة الايلا اكثر مما ذكر كما قاله الشافعي رضي الله
عنه ولا دلالة في الفا في قوله فان فاؤا على ذلك لانها للتعقيب
فان انفصل بالفيئة وان كانت مضي المدة ووقوع الطلاق بعقب
المفصل والفي الرجوع اي ان رجعوا عن هذا الاصرار بترك القربان
بان تقربوا في المدة فان الله غفور يغفر للمولين ما ارادوا به اضرار
النسا بالايلا الغيبة التي بعاقبة التوبة رحيم حيث اجاز لهم الحنث
وقبل منهم الكفارة ورفع عنهم الذنب وان عزموا الطلاق العزم
هو العقد على الامضا فان الله سميع بما جرى بينهم عليم بما
قصدتموه والمطلقات يعني اللتي من ذوات الاقرا يتربصن

الخبر

الخبر عام مخصوص بالمدخول بهن من الحرائر بالنصوص الدالة على اختصاص
الحكم الاتي ذكره بهن يتربصن اخبار في معنى الامر وانما عدل عن
الظاهر للتاكيد واظهار الاعتنا بالمبادرة الى الامتثال كانهن
امتثلنه واخبر عنه موجودا كما يقال في الدعا رحمك الله ثقة
بالاجابة ونفعه بها كان الرحمة وقعت فاخبر عنها وبناوها على
المبتدا زاده فضل تاكيد لم يكن لو قيل ويتربصن المطلقات
وفي قوله بانفسهن زيادة تحريض وبعث وتهييج لهن على
التربص وقمع الانفس وذلك ان انفس النسا طوامح الى الرجال
فاذا امرن ان يقمعنها على الطموح يستنكفن فيحملهن حميتهن
على التربص بها ثلاثة قروء انتصب على انه مفعول به كقولك
المحتكر يتربص الغلا اي يتربص مضي ثلاثة قروء وعلى انه ظرف
اي يتربصن مدة ثلاثة قروء والقروء جمع القرء بالضم والفتح وهو
لفظ مشترك بين الحيض والطهر باجماع اهل اللغة وقد ورد الشرع
في كل واحد منهما قال عليه السلام لامراة دعي الصلاة يوم اقرائك اي
حيضك وقال لعبد الله بن عمر رضي الله عنه ان من السنة
ان يطلقها في كل قرء تطليقة اي في كل طهر وقال ابو حنيفة ان
المراد من القرء هنا الحيض وقال الشافعي المراد الطهر وقوله
عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان صريح
في الاول وانما جا التمييز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقرا
اعتبارا لما في المطلقات من معنى العموم فان المعنى ليتربص
كل واحدة من المطلقات ثلاثة قروء فيدل على الكثرة المرادة واما
الانفس فكان التكثير فلما اسند الى جماعتهن والواجب على كل
واحدة منهن ثلاثة قروء اتي بلفظ القروء ليدل على الكثرة
المرادة واما الانفس فكان النكتة في تقليلها الايما الى ان التطليق
ينبغي ان يكون قليل الوقوع من الرجال ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن من الولد بان يكتمن حملهن استعجالا
للطلاق مخافة ان ينتظر الزوج لطلاقها ان تضع او يشفق على
الولد فلا يطلق وقيل من الحيض بان يقولن طهرن وهي حائض
استعجالا للفراق ويجوز ان يكون الكتمان كناية على اراده
اسقاط ما في ارحامهن من الاجنة فلا يعترفن بهن وفيه
دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم
الاخر تعظيم لفعلهن وايمانهن اي لا يفعل ذلك من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر ولا يجترئ على مثل هذا العظيم وبعولتهن

اي ازواج المطلقات والبعول جمع بعل والتا لاحقة لتانيث الجمع وانما سمي زوج المراة بعلا لانه سيدها ومالكها ذكره الازهري ومن هنا نبين وجه التعبير عنه بالبعل فان الحكم الاتي ذكره مخصوص بصورة الطلاق الرجعي الذي لا يزول به ملك النكاح وفي عبارة البعل اشارة اليه احق بردهن اي برجعتهن ومعنى احق ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المراة فهو احق بقبول قوله لا ان لها حقا في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اي بالرجعة اصلاحا بينهم وبينهن لا اضرارا والمراد التحريض عليه في الرجعة والمنع من قصد الاضرار لا بيان اشتراط بان صحة الرجعة بقصد الاصلاح ولهن من الحقوق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع والعادة الجميلة اي لا يكلف احد الزوجين صاحبه ما لا تستحسن في الشرع ولا يعنف به ولكن يسامحه ويسهل والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب بالواجب والمستحب بالمستحب لا الاتحاد في الجنس وللرجال عليهن درجة الدرجة نحو المنزلة لكن يقال اذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيط كدرجة السلم وبتعبيرها عن المنزلة الرفيعة اي زيادة فضيلة بقيامهم عليهن وانفاقهم في مصالحهن بعد ما تساويا في بذل اللذة والله عزيز على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم شرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم يعني التطليق الشرعي مرتان على التفريق تطليقة بعد تطليقة يعقبها رجعة لا تطليقتان على التثنية والارسال دفعة واحدة ولا التطليق الباين واحدا كان او اثنين لقوله فامساك اي امر الزوج بعدهما امساك فعليه امساك ولا يخفى ما في عبارة الامساك من الدلالة على استدامة الملك وهي لا تبقى بعد البائن بمعروف بحسن عشرة وما يعرف شرعا من القيام بمواجبه او تسريح بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة باحسان بان لا يراجعها مراجعة يريد بها الضرار وتطويل العدة عليها وقيل التسريح ان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم او تسريح باحسان وظاهر الاية حجة الشافعي في قوله لا باس بارسال الثلاث ولا متمسك له في حديث العجلاني الذي لاعن امراته وطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه لعدم الدليل على تاخره عن نزول الاية ولا يحل

لكم ايها الازواج ان تاخذوا مما اتيتموهن من الصداق شيئا قليلا الا ان يخافا الا ان يظن الزوجان استثناء مفرغ وان يخافا نصب على الظرف او مفعول له اي الا خوف ان لا يقيما كانهم اذا رضوا بالخلع وهموا بالاخذ وقعوا في حد البعيد ولم يتساهلوا للخطاب لعدم انتهائهم وعدم التزامهم واحتياجهم الى الائمة والحكام فخوطبوا ايما يأتي ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للحكام وان لم يكن الاخذ والايتاء منهم لانهم الامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والموتون وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته عن الضمير بدل الاشتمال وقرئ يظنا ويؤيده تفسير الخوف بالظن ان لا يقيما حدود الله بترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما حدود الله بتركهما اقامة الحدود المذكورة فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي لا جناح على الزوج فيما اخذ ولا على المراة فيما بذلت وافتدت به نفسها واختلعت به من الصداق او الزيادة عليه على كره روي ان جميلة اخت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام وما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله عدل عن الضمير الى الظاهر للتفخيم فاولئك هم الظالمون فتعقيب النهي عن الوعيد مبالغة في التهديد فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تارة ويعود اخرى والمعنى فان طلقها التطليقة الثالثة فلا تحل له من بعد اي من بعد ذلك التطليق حتى تنكح اي تتزوج زوجا غيره والنكاح يستند الى كل منهما كالتزوج يقال فلانة ناكح في بني فلان وتمسك ابن المسيب بدلالة حتى على انتهاء الحرمة بتزوجها زوجا اخر في الاقتصار على العقد في التحليل فان قلت اليست الحرمة باقية الى ان يطلقها وتنقضي عدتها قلت بل تنتهي تلك الحرمة بالعقد وتحدث حرمة اخرى هي اثره والجمهور على انه لا بد من الاصابة لحديث العسيلة وتجوزيه انتساخ حكم الغاية

وان كان ثبوته منطوقا لا مفهوما لانه حديث مشهور تلقته الامة
بالقبول ومنهم من وفق فقال ان شرط الدخول ثابت بنص الكتاب
لان المراد من التزوج الاصابة على طريق الكناية عن حطها من الشرط المذكور
او الكلام على القلب كقوله اذ خلت الخاتم في الاصبع والمعنى حتى ينكح
زوج اخر ولا بد من القصد الى احدهن من الوجهين كيلا يضيع قوله
زوجا والحكمة في هذا الحكم الردع على التسرع الى الطلاق فان طلقها
اي الزوج الثاني وانقضت العدة هذا القيد معلوم من موضع اخر ولهذا
لم يذكروا الفا للتفريع صحة المراجعة بعد تطليقه اياها على ما تقدم
من ثبوت التحليل بالتزوج فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع
كل من الزوج الاول والمراة الى صاحبه بالمزاوجة ان ظنا ان يقيما
حدود الله حقوق المعاشرة وما يجب عليهما من جنس المصاهرة
حبة ومن فسر الظن بالعلم فقد وهم من جهة اللفظ والمعنى لانه لا يقال
علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وان
المستقبل غيب فلا يعلمه الا الله تعالى وهذا الظن ليس بشرط في صحة
النكاح بل اباحته ورفع الاثم لان العقد صحيح وان ظنا ان لا يقيما
حدود الله وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون
يفهمون ويعملون بموجب العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اريد بالاجل اخر المدة وبالبلوغ مشارفته والقرب منه على الاتساع
لقوله فامسكوهن بمعروف اذ الامساك بعد البلوغ حقيقة او سرحوهن
بمعروف لما اعيد ذكر الرجعة علق التسريح بالمعروف كما قال بعض الناس
لسلطان ان لم تحسن فعدلا وهذه الاية ظاهرها اعادة حكم ما
تقدم لان الاولى لبيان جواز الرجعة بعد التطليقة والتطليقتين
وهذه لبيان جوازها ما دامت في العدة واما حقيقة المشارفة بالذكر
لانهم كانوا يطلقون المراة فيتركونها حتى يشارف انقضاء العدة
ثم يراجعونها اضرارا بها فنهوا عنه بقوله ولا تمسكوهن ضرارا
بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على انه مفعول له اي
للمضارة او حال اي مضارين لتعتدوا لتظلموهن بتطويل العدة
والالجاء بها الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييد
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله تعالى
ولا تتخذوا ايات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في
العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كني بالنهي
عن الهزو عن الامر بالجد فيها قيل كان الرجل يطلق ويعتق او يتزوج
ويقول كنت لاعبا فنزلت عن النبي عليه السلام ثلاث جدهن

جد وهزلهن

جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية الى الاسلام وبعثة محمد عليه السلام والمراد من
ذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها وفي الكناية بالذكر عن
الشكر تنبيه على انها نعمة جليلة بحيث تذكيرها كاف في ايجاب
شكرها والقيام بحقها والمانع عنه ليس الا الغفلة عنها وما
انزل عليكم التروف على النبي عليه السلام الا انه لما كان لمصالحهم
نزل منزلة النازل عليهم من الكتاب والحكمة الكتاب والسنة وقد
مر وجه تسمية الحكمة بالسنة وانما افردهما بالذكر لشرفهما يعظكم به
اي بما انزل عليكم واتقوا الله اي لا تخلوا امره ونهيه واعلموا ان
الله بكل شيء عليم وعد ووعيد وتاكيد وتهديد والعدول بالظاهر
عن الضمير الى الاسم الظاهر للتفخيم واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن اي انقضت عدتهن لقوله فلا تعضلوهن ان ينكحن
ازواجهن العضل المنع مع تضييق يقال عضلت الدجاجة
ببيضها والمراة بولدها والخطاب لا يجوز ان يكون للازواج
بدلالة ما روى البخاري والترمذي وابو داود ان الاية
نزلت في معقل بن يسار وكانت اخته تحت ابن عم له فطلقها
طلقة فلما انقضت عدتها خطبها وهي تريد ان ترجع اليه فقال
معقل لا ازوجكها ابدا فانزل الله تعالى هذه الاية فدعاه النبي
عليه السلام فتلاها عليه فقال سمعا لربي وطاعة والحكم الوارد
في سبب لا يصح ان يكون السبب خارجا عنه وان اريد معه
غيره ولا ان يكون الاوليا لما فيه من تنافر الخطاب من
الازواج قبل تمام الكلام الى الاوليا فالخطاب اذا طلقتم لا يصلح
للاوليا قطعا فالوجه ان يكون للناس ليتناول عضل الازواج
والاوليا جميعا مع السلامة عن المحذور المذكور والمعنى لا يوجد
بينكم عضل ايها الناس ولا يخفى ما فيه من تهويل امر العضل بان
من حق الاوليا ان لا يحوموا حولهن وحق الناس كافة ان
ينصروا المظلوم اذ ذاك ولا متمسك للشافعي في الاية على ان
النكاح لا ينعقد بعبارة النساء اذ لا يلزم من قدرة الاوليا على
منعهن ان يكون النكاح بعبارتهم وقوله ان ينكحن صريح في
انه ينعقد بعبارتهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف اذا تراضى
الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف
بالوجه الجميل في الدين والمروءة حال عن الضمير المرفوع او صفة
مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف ذلك الاشارة الى

ما مضى ذكره والخطاب للواحد والرسول للدلالة على ان حقيقة
المشار اليه امر لا يتصوره كل احد ويجوز ان يكون الكاف مجرد الخطاب
والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين يوعظ به من
كان يؤمن بالله واليوم الاخر لان المتعظ والمنتفع ذالكم اي
العمل بمقتضى ما ذكر ازكى انفع لكم واطهر من دنس الاثام والله يعلم
ما فيه من النفع والفلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات
يرضعن اولادهن اخبار في معنى الامر للمبالغة في الحث على
الارضاع فان الامر لما كان للاستحباب دون الايجاب على ما دل عليه
التعليق بالارادة اخرج الى المبالغة فيه والحمل على الوجوب والتخصيص
بما دام لم يرتضع الصبي الا منها او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد
عن الاستيجار يأباه تعيين المدة والتعليق المذكور حولين كاملين
صفة مؤكدة لحولين كما في قوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح
فيه كما في قوله الحج اشهر لمن اراد ان يتم الرضاعة اي ذلك لمن
اراد اتمام الرضاعة قيل متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه
الارضاع كالنفقة والام ترضع له وفيه ما مر من ان التعليق
بالارادة لا يناسب الوجوب وقد نبه على هذا من قال
وهذا على ان النقصان عن ذلك والزيادة عليه عند
وقوع الكفاية بما دونها والحاجة الى الزيادة جائز ان حمل
على ذلك بالارادة وعلى المولود له اي الذي حكم له الولد شرعا
بموجب قوله عليه السلام الولد للفراش وان لم يكن والده
حقيقة وله في محل الرفع على انه نائب الفاعل نحو عليهم في غير المغضوب
عليهم ومن الفرق بين المولود والد باختصاص الاول بالصغير
على ما ذكره المطرزي تبين لطف موقعه ثم ان في العبارة هذه
المذكورة اشارة الى علة بناء الحكم كما في قوله وراودته التي
هو في بيتها لان الذي ولد له وجب عليه الرزق والكسوة
اذا ارضعت ولده كالظئر بناء على ما تقرر من ان الغنم بالغرم
وعلى هذا يكون مونتها على المولى اذا ولد الولد من جاريته
التي تحت نكاح الغير لان المولود له حقيقة في هذه الصورة
ومن هنا اتضح ان المولود له اعم من الوالد لانتظامه ما لا يكون
والدا من صاحب الفراش والمولى رزقهن وكسوتهن اريد بالرزق
المأكول والمشروب ولهذا ذكر الكسوة بعده بالمعروف اي
من غير اسراف ولا تقتير نظرا الى الجانبين لا تكلف نفس الا وسعها
الوسع ما تحتمله الطاقة اي لا يحمل احد الا ما يطيقه فلا يكلف

المولود له ما لا يطيقه من الاجر ولا الوالدة ما لا يستطيع من العمل ولا الارضاع
بما لا يكفيه من الاجر وهذه الاية كالتي في سورة الطلاق فان ارضعن لكم
فآتوهن اجورهن الى قوله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها لا تضار والدة
بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما تقدم وتقرير له اي لا يضار
واحد منهما الآخر بسبب المولود واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف
لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق
عليه فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وقرئ لا تضار بالرفع
على الاخبار ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل تضارر و
بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح على النهي وعلى الوجه
الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر الوالدة
بالولد فتفرط في تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون
مع التشديد بناء على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضار
يضير وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وما بينهما معترض والمراد بالوارث المولود له على العموم او
الصبي نفسه او وارث الصبي على العموم او يقيد ان يكون ذا رحم
محرم من الصبي بحيث لا يجوز بينهما النكاح على تقدير ان يكون
احدهما ذكرا والاخر انثى او يقيد ان يكون احد اصوله من الاباء
والامهات والاجداد والجدات او يقيد ان يكون من عصبته واما
حمل الوارث بمعنى الباقي وان كان صحيحا لغة فعلق في هذا المقام
اذ ليس لقولنا فالنفقة على الاب وعلى من بقي من الاب والام معنى
يعتد به وذلك اشارة الى ما وجب على المولود له من الرزق
والكسوة فان ارادا فصالا تفريع على ما تقدم من تعليق اتمام
الحولين على الارادة وتصريح بالتوسعة بعد التحديد بيوم الفصال
الفطام سمي به لانه فصل بين الغذاء والصبي عن تراض منهما
وتشاور صادر عنهما والتراضي احتمامهما في المشورة وهي استخراج
صواب الرأي باشارة المستشار من شرت العسل وهو اجتناؤه وانما
اطلقه لينتظم تشاور احدهما الاخر وتشاورهما الثالث ممن له خبرة
في تربية الاطفال وتدبيرهم وانما اعتبرناهما لان الفطام قبل تمام
الحولين مظنة لحوق الضرر فلا بد من اتفاقهما اما المولود له فلانه
حقه واما الام فلانها اعلم بحاله وتربيته والدليل على ان المراد الفطام
قبل التمام قوله فلا جناح عليهما اذ لا يتصور الجناح بعد تمام مدة الرضاع
وان اردتم ان تسترضعوا اي المراضع اولادكم يقال ارضعت
المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته

اباها فحذف المفعول الاول استغناء عنه لعدم القصد الى خصوص المرضع
فلا جناح عليكم فيه وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد ويمنع
الام عن الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاؤه وقري
ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقري ما اوتيتم اي ما اتاكم الله
واقدركم عليه بالمعروف متعلق بسلمتم اي سلمتم على الوجه الجميل
بالطلاقة والبشاشة من اطيب ما يكون من اموالكم على احسن ما يكون
من وجوه الاعطا لتكون طيبة النفس مشفقة على الرضيع وجواب
الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس التسليم شرطا لجواز الاستيجار بل هو
مندوب اليه لتطيب نفس المرضعة ولهذا قيد بالمعروف واتقوا
الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في الاسترضاع واعلموا ان الله
بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم اي يقبض
ارواحهم بالموت واصل التوفي اتمام القبض وقري يتوفون بفتح
اليا اي يستوفون اعمارهم وهو كناية عن الموت ويذرون ازواجا
اي يتركون زوجات ويذر مستقبل اميت ماضيه ومصدره وكذلك
يدع يتربصن ينتظرن بانفسهن تقديره يتربصن لوفاتهم دل
عليه يتوفون وبه يحصل الربط بين المبتدا والخبر اربعة اشهر وعشرا
اي يمكثون هذه المدة ولا حاجة الى التاويل في عشرا لما نقل عن
ائمة النحو انه اذا كان المعدود مذكورا وحذفته ذكرت فيه
وجهان احدهما وهو الاصل ان تبقي العدد على ما كان عليه لو لم يحذف
المعدود فتقول صمت خمسة ايام والثاني ان تحذف منه كلمة
التانيث فتقول عشرا على احد الجائزين وحسنه هنا انه مقطع
كلام شبيه بالفواصل واطلاق اللفظ يقتضي عدم الفرق بين المسلمة
والكتابية والحرة والامة والحامل وغيرها الا ان القياس اقتضى
تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه بقوله تعالى
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن فاذا بلغن اي انقضت عدتهن
تتربص على التحديد المذكور فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين
فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي
لا ينكره الشرع ودل بالمفهوم على انهن لو فعلن ما ينكره الشرع كان عليهم
ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح والله بما تعملون خبير وعيد
لهن في ارتكاب المنكر وللائمة في التقصير في المنع ولا جناح عليكم
فيما عرضتم به التعريض ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة
ولا مجازا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض من خطبة النسا
الخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة

والمكسورة

والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنسا المعتدات وتعريض خطبتها
ان يقال لها انت جميلة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك
او اكننتم في انفسكم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا
علم الله انكم ستذكرونهن اي ستظهرون رغبتكم فيهن لقلة صبركم
عن النطق به وفيه طرف من التوبيخ على التجري ابتداء عما ابيح لحكمة
ولكن لا تواعدوهن سرا مستدرك عن محذوف دل ستذكرونهن
عليه اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر كناية عن النكاح
بمعنى الوطي لانه مما يسر عبر به عن النكاح بمعنى العقد لانه سببه
الا ان تقولوا قولا معروفا استثنا مفرغ وان تقولوا نصب على المصدر
اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة وهي بالتعريض
او لا تواعدوهن بوجه الا بان تقولوا قولا معروفا غير منكر في
الشرع ولا يجوز ان يكون استثنا منقطعا لفساد المعنى وهو ولا
تواعدوهن الا التعريض وليس المراد مواعدة التعريض بل مواعدة
النكاح بالتعريض وقيل لا تواعدوهن في السر لان مسارتهن في
الغالب انما هي بما يستحي من المجاهرة به لاستهجانه الا وقت
ان تقولوا قولا جميلا غير منكر في الشرع فعلى هذا ان تقولوا في
محل النصب بالظرف ويكون المفعول محذوفا اي لا تواعدوهن
النكاح في السر ولا تعزموا عقدة النكاح اي لا تقصدوا عقد عقدة
النكاح قصدا جازما لا تردد معه نهي عن العزم ليكون ابلغ في
منع الفعل وتقدير المضاف لان العزم انما يكون على الفعل كالعقد
لا على نفس العقد وقيل العزم القطع والمعنى لا تقطعوا عقدها اي
لا تبرموه ولا تلزموه ولا تقربوا عليه فيكون النهي عن نفس الفعل
لا عن قصده حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز شرعا
فاحذروه اي فاحذروا مواخذته بالمنافي الصادرة عن العزيمة
ولما كان انسياق الى الوهم مما تقدم المواخذة بالعزم على المنافي
رفعه بقوله واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية
من الله تعالى حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بعدم المواخذة
بالعذاب عاجلا لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ولزومه
اذا طلقتم النسا ما لم تمسوهن المس كناية عن الوطي لان حقيقة
المس لا يوجب المهر اذا لم توجد خلوة صحيحة او تفرضوا لهن فريضة
اما جزم عطفا على تمسوهن اي او لم تفرضوا لهن فريضة او نصب
بمعنى الا ان او الى ان تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وهي

بمعنى المفروضة و فريضة نصب على المفعول به فعلية بمعنى مفعوله
والتا للنقل من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر وانما اعتبر
القيد ان المذكوران لانه يجب مهر المثل في المسيس وان لم يفرض لها شي
ويجب نصف المسمى اذا طلقها وان لم يمسها ومتعوهن عطف على
مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن اي ملكوهن ما يتمتعن به ويسمى ذلك
متعة واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا قليلا غير باق بل
ينقضي عن قريب وضمير النصب عايد على المطلقات قبل المسيس
وقيل الفرض والحكمة في امر المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها
مفوض الى امر الحاكم ويؤيده قوله تعالى على الموسع قدره وعلى
المقتر قدره يقال اوسع الرجل اتسع حاله فصار ذا سعة وغنى
والمقتر المقل من اقتر اذا افتقر وقرئ قدره بفتح الدال وتسكينها
وهما المقدار اي على كل من الذي له سعة ومن الفقير الضيق الحال
قدر يساره واعساره اي ما يطيقه ويليق به لان الحد الذي
يطيقه هو الذي يختص به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري
طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها ولو بقلنسوتك اما انها
لا تساوي شيئا ولكن احب ان احيي السنة متاعا تمتيعها
بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة
لمتاع اي تمتيعا واجبا او مصدر موكد اي حق ذلك حقا على المحسنين
اي على الموصوفين بالاحسان من اصحاب المروات او الذين
يحسنون الى المطلقات بالتمتع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا
وتحريضا ولما اتى بعبارة ظاهرة في الوجوب تاكيدا في الحث واهتماما
في الترغيب دفع ذهاب الوهم الى معنى الايجاب حقيقة بعبارة
المحسنين بما فيها من الاشارة الى انه بطريق الاحسان لا بطريق
الالزام ومبنى هذه الاشارة على ما في قوله تعالى ما على
المحسنين من سبيل من التنصيص على عدم الايجاب فيكون
احسانا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن
فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم
فيه دلالة على ان الجناح المنفي تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير
لانه قسيمها الا ان يعفون الاستثناء مفرغ وان يعفون نصب
على الظرف اي على تقليبها او فالواجب نصف ما فرضتم لا يحل لكم
منعه ابدا الا وقت ان يعفون والنون ضمير المطلقات في
طلقتموهن ضميرها محلها الرفع بالفاعلية والواو لام الفعل وقد
يشتبه في اللفظ بفعل جماعة الذكور نحو الرجال يعفون والفرق

ان

ان الواو ضمير الرجال والنون علامة الرفع والفعل على الاول
مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان نصب المعطوف عليه او يعفو الذي
بيده عقدة النكاح وهو الزوج لان الطلاق بيده فكان ابقا
العقد بيده والمراد ان يعطيها المهر كله واطلاق العفو عليه بطريق
المشاكلة وقيل هو ولي الصغيرة والكبيرة والعفو على حقيقته وهذا
لا يصح لانه لا يملك التبرع بحق الصغيرة ولا بحق الكبيرة بغير رضاها
وان تعفوا اقرب للتقوى خطاب للازواج وكذا قوله تعالى
ولا تنسوا الفضل بينكم اي فضل الرجال على النسا ندب الزوج
الى كمال المهر اظهارا للمروة واعتبارا بالفتوة ان الله بما تعملون
بصير اي لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات
بالاداء لوقتها والمداومة عليها والامر بها في تضاعيف احكام الا
ولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلاة
الوسطى اي الصلاة المتوسطة بين الصلوات الخمس ثنتان
يوميتان وثنتان ليليتان وهي صلاة العصر لما روي انه عليه
السلام قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر
ملأ الله قبورهم نارا وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها
بالفضل لكونها اشق لاشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم فيكون
معنى الوسطى الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وقرئ والصلاة
الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقوموا لله في الصلاة
قانتين ذاكرين له تعالى في قيامكم والقنوت الذكر في القيام وقال
زيد بن ارقم كنا على عهد النبي عليه السلام يكلم احدنا صاحبه
في الصلوات لحاجته حتى نزلت قوله تعالى وقوموا لله قانتين
اي ساكتين فان خفتم من عدو او غيره فرجالا اي وحافظوا
عليها في حال الخوف ايضا ولا تؤخروها وصلوا رجالا وهو جمع راجل
وهو القائم على الرجل او الرجل ومعناه ويجوز لهم اداؤها بالجماعة
او ركبانا هو جمع راكب ولهم ان يصلوا وحدانا ايماء ويسقط
عنهم التوجه الى القبلة ولا يجوز ان يصلوا بجماعة عندنا ولا في
حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي رضي الله عنه
يصلون في كل حال اخذا بما في هذه الاية من الاطلاق فاذا امنتم
اي زال خوفكم فاذكروا الله فصلوا صلاة الامن والذكر اسم للصلوة
كما علمكم اي صلوا طائفة واحدة من غير انصراف وفي حالة الخوف
يصلون طائفتين وتنصرف كل طائفة الى العدو وعند تمام الركعة
على ما ياتي بيانه في سورة النسا باذن الله تعالى ما لم تكونوا تعلمون

مفعول علمكم **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا** قدم تفسيره
وصية لازواجهم قرئ وصية بالنصب على تقدير والذين يتوفون
عن ازواجهم ان يوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيد قراءة كتب
عليكم الوصية لازواجكم الخ وقرئ بالرفع على تقدير ووصية الذين
يتوفون او وحكم الله الذين يتوفون وصية او والذين يتوفون منكم
اهل وصية او كتب **متاعا الى الحول** نصب بيوصون ان اضمرت
والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ متاع لازواجكم لانه بمعنى
التمتيع **غير اخراج** مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول
او بدل من متاع او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى
يجب على الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا
لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من
تركتهم ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم
نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا ونسخت النفقة
بالارث الذي هو الربع والثمن والناسخة وان كانت متقدمة
في التلاوة لكنها متاخرة في النزول والسكنى لها بعد ثابتة
عند الشافعي خلافا للحنفية **فان خرجن** من المنزل من غير اخراج
الورثة او من العدة بانقضاء الحول **فلا جناح عليكم** ايها الائمة
فيما فعلن في انفسهن من معروف من التزين لطلب الزوج على
وفق الشرع وهذه الاية متقدمة في النزول وان كانت متاخرة
في الترتيب ولهذا جاء المعروف منكرا هنا ومعرفا فيما سبق وفيها
دلالة على انها لا تجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه
بل هي مخيرة بينها واخذ النفقة وبين الخروج وتركها وهذا من
تمام ما كان في بدء الاسلام **والله عزيز** اي منتقم ممن عصاه
حكيم مصيب فيما حكم **وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين**
عم المطلقات باستحباب المتعة لهن بعدما خص واحدة منهن بها
وهي غير المدخول بها **كذلك** اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق
والعدة **يبين الله لكم اياته** وعد بانه تعالى لعباده ما يحتاجون
اليه معاشا ومعادا من الاحكام ولا بد لها **لعلكم تعقلون** لتعقلوا
اي لتستعملوا عقولكم في قبولها والتفكر فيها لاستنباط غير المنصوص
من المنصوص **الم تر** كلمة تجري مجرى المثل في التعجيب يخاطب بها من لم
ير ولم يسمع ما بعدها وهي تقرير لمن سمع بالقصة من اهل الكتاب
واخبار الاولين وتعجيب من شانهم والخطاب لكل احد **الى الذين خرجوا
من ديارهم** روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون

فخرجوا

فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم
الله تعالى وقضائه وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد
فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم **وهم
الوف** كثيرة واختلف في عددها بما لا يجدي وهذا تشجيع للمسلمين
على الجهاد والتعرض للشهادة بان الموت اذا لم يندفع بشيء ولم يكن
منه بد فاولى ان يكون في سبيل الله والدليل عليه الامر بالقتال
بعده **وهم الوف** الواو للحال **حذر الموت** مفعول له **فقال لهم الله موتوا**
اي اماتهم الله تعالى بالامر التكويني دفعة واحدة على خلاف العادة
ثم احياهم اي اماتهم موتة عقوبة او تنبيهة لا موت انقضاء اجال
ثم اعادهم الى الحياة ليستوفوا بقية اعمارهم **ان الله لذو فضل على الناس**
حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون من اقتصاص خبرهم
كما بصروا اولئك بالاماتة والاحياء او حيث احياهم ليعتبروا بحالهم
ويتيقنون بالغيب **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** اي لا يشكرونه
كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وكان
مقتضى الظاهر الاضمار وانما اعيد اسم الظاهر لما فيه من الايماء
الى سبب الغفلة عن النعمة **وقاتلوا في سبيل الله** عطف في المعنى
على الم تر لانه في معنى انظروا وتفكروا واقبل لما بين ان الفرار عن الموت
غير نافع وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي
سبيل الله والا فالنصر والثواب ويرد عليه انه تعالى نهى عن
القاء النفس بالمهلكة ولو لم يكن في الاحتراز نفع لما نهى عنه
واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون
عليم بما يضمرونه فيجازيهم بحسبه **من ذا الذي يقرض الله** من
استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او
بدل له واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
قرضا حسنا اقراضا حسنا بخلوص النية وطلب النفس بلا من
ولا اذى او مقروضا حسنا بكونه حلالا طيبا وقيل المراد من
القرض الانفاق في سبيل الله تعالى ويؤيده انها نزلت في ابي الدحداح
حين تصدق بحديقة له **فيضاعفه** فيضاعف جزاءه له
اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرئ بالنصب على جواب
الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى
ايقرض الله احد وقرئ فيضعفه بالرفع والنصب **اضعافا** جمع
ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني
على تضمين يضاعف معنى يصير او المصدر على ان الضعف اسم

المصدر وجمعه للتنويع كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله والله يقبض
لشخص ويبسط لآخر ويقبض في حال ويبسط في اخرى حسبما اقتضت
يقبض اذا اقتضت لا طاقة ويبسط اذا بسط حتى لا فاقة اي لا
تخافوا الاقلال بالانفاق ولا تظنوا ابقاء لسعة بامساك فان الله
تعالى هو الموسع والمضيق لا الامساك والانفاق سهل بهذا عليهم
الاقراض واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم وفيه تنبيه على
ان الغني يفارق ماله بالموت فليبادر الفوت الم تر الى الملأ من بني
اسرائيل الملأ الجماعة الاشراف يجتمعون للتشاور وقيل هو من الملاءة
التي هي القدرة فهم قوم لا حاجة الى الزيادة عليهم فيما اجتمعوا لقدرتهم
عليه لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد
وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم اختلفوا فيه والاشهر الاظهر انه
اشمويل من نسل هرون عليه السلام ابعث لنا ملكا انهض لنا امير
نقاتل في سبيل الله نقاتل بالنون والجزم جواب الامر وقرئ بالرفع
حالا اي ابعث لنا مقدرين القتال او استئنافا كانه قيل كيف
تصنعون بالملك فقالوا نقاتل في سبيل الله وقرئ بالياء والجزم جوابا
وبالرفع صفة لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا معنى
الاستفهام في هل التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه مصيب في ظنه
وتوقعه كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان وخبر عسيتم الا
تقاتلوا والشرط اعتراض بينهما وجوابه محذوف مدلول عليه بقوله
عسيتم اي ان كتب عليكم القتال خفت ان تجبنوا ولا تقاتلوا
بقول عسيتم ان لا تقاتلوا اي اتوقع منكم الجبن عن القتال فادخل
هل للتقرير السابق ذكره قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا
من ديارنا اي داع لنا الى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه من
الاخراج عن الديار وابنائنا اي منفردين عنهم على تقدير الاخراج
معنى الانفراد والديار ابلغ من الاوطان لما في الاخراج عنه من الدلالة
على استيلاء العدو على املاكهم واما ذكر الانفراد دون الاولاد المتناولة
للبنات فلعدم استئناس العرب بهن فلا يشق الانفراد عنهن بل هم يانفون
عن انتسابهن اليهم فلا يرضون لاظهار التعلق بهن ومن لم يتنبه
لما ذكر اورد في تفسيره الاوطان بدل الديار والاولاد بدل الابناء ولم
يدر ما فيه من سوء الادب حيث اوهم فضل البدل على المبدل ومن
احسن من الله قيلا وليس لكلام المعجز بديل بقي هاهنا شيء اخر لا بد من التنبيه
له ايضا وهو انهم عللوا القتال بما يرجع الى حظوظهم فتولوا ولو قالوا كيف
لا نقاتل وقد عصوا الله وخربوا بلاده وقهروا عباده لو فقوا روي

ان جالوت

ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل البحر بحر الروم بين مصر
وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم فلما كتب
عليهم القتال تولوا لما قالوا ذلك دعا نبيهم الله تعالى وسال لهم ملكا
فاجابه الله تعالى الى ذلك ونصب لهم طالوت ملكا وفرض عليهم القتال
وكان فيهم طاغية هو الذي دعاهم عن غايتهم وكرهوا قالوا في قوله فلما
كتب عليهم القتال فصيحة والقول الاتي ذكره متقدم وقوعا وان كان
موخرا ذكرا الا قليلا منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم وتسجيل عليهم بالظلم في القعود عن القتال ولذلك
وضع الظاهر موضع المضمر وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم صرح
بنسبة البعث الى الله تعالى تعظيما لشان المبعوث ودفعا لذهاب
الوهم الى ان يكون تعيينه عن سبيل ونسبته اليه طالوت علم عجمي
كجالوت فامتنع عن الصرف للعلمية والعجمة وقيل انه من الطول لما
وصف به من البسطة في الجسم وامتناعه عن الصرف يا باعن ذلك
الا ان يقال اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وشيما لاها
رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو على هذا فعلوت من الطول
اصله طولوت كما لو كان عربيا ملكا روي ان نبيهم دعا الله تعالى حين
طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يتملك عليهم فلم يساوها
الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا انى يعني كيف كما في قوله
انى يكون استبعدوا تملكه عليهم والواو في ونحن احق بالملك منه
واو الحال وفي ولم يؤت سعة من المال عاطفة فانتظمت الجملتان
في حكم الحال اي والحال انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه
فقير لا مال له حتى يتشرف به اذ انه لنسب الملوك وانما قالوا ذلك
لان الملك كانوا في اولاد يهودا وكان فيهم من سبطه خلق كثير اغنياء
وطالوت كان فقيرا من سبط ابن يامين ولم يكن فيهم الملك ولا
النبوة لانها كانت في اولاد لاوي ذكروا لبعده عن استحقاق الملك
عليهم وجهين احدهما في الخارج والاخر في نفسه وقدموا ما كان
في الخارج اخذا الطريقة الترقي قال ان الله اصطفاه اختاره عليكم
اصل الاصطفاء اخذ صفوة الشيء والقاء ما سواه اي ان لم يكن له نسب
ولا نشب فله فضيلة ذاته على ما نبه عليه بقوله وزاده
بسطة في العلم قدمه لكونه اقدم في الاعتبار والجسم طولا وعرضا
لما انكروا تملكه عليهم اجابه بالجملة التاكيدية المصدرة بان وقدم
المسند اليه وهو الله على الفعل للتخصيص وتاكيد النسبة الى ان
الله تعالى هو الذي اصطفاه عليكم دون غيره وهو اعلم بمصالحكم منكم

ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر خصلتين كالبرهان وبيان حكمته في اختياره هما اقوى في باب الملك واولى بالاعتبار من النسب والمال وهما العلم والجسامة ليتمكن من معرفة امور السياسة ويكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب واطلق العلم ووصفه بالبسطة فيه وفي الجسم ليندرج تحته العلم الذي طلبوه لاجله وهو المعرفة بامر الحروب والله يؤتي ملكه من يشا قدم المسند اليه لافادة الاختصاص اي الملك له خاصة غير منازع فيه فهو يؤتي ملكه من يشاء دون غيره بسبب اصطلاحه لذلك والله واسع اي واسع الفضل والعطا يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه من العدم عليم بمن يصطفيه للملك ان لم يكن من نسل الملوك فقوله واسع رد لقولهم ولم يؤت سعة من المال كما ان قوله ان الله اصطفاه رد لقولهم ونحن احق بالملك منه يعني اصطفى مثل من تنسبون اليه وليس المال كالمستقر وقوله عليم تكميل حسن يدل على انه اصطفاه وابتلاه عن علم وحكم لا عن جهل وسفه وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت التابوت صندوق التورية فعلوت من التوب بمعنى الرجوع لانه ظرف يوضع فيه الاشيا فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يترك المعروف اليه ومن قراه بالها فلعله ابدله منه كما ابدله من تا التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة فيه سكينة ما به يسكنون اليه من ربكم اي من فضله والضمير للتابوت لا للاتيان لقوله وبقية فلها باتخاذه والبقية مثل في الجودة والفضل يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وذلك لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله مما ترك ال موسى وال هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون والال مقحم لتفخيم شانهما كما في قوله عليه السلام لقد اوتيت مزمارا من مزامير ال داود تحمله الملائكة حال على التابوت قيل رفعه الله تعالى بعد موسى عليه السلام فنزلت الملائكة وهم ينظرون ان في ذلك اي في اتيان التابوت والملائكة تحمله لاية عظيمة لكم ان كنتم مؤمنين من تمام كلام النبي عليه السلام لان المقام لا يحتمل الخطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قيل هاهنا جمل محذوفة اي فجاءهم التابوت واقروا لطالوت بالملك وتاهبوا للخروج فالفا فصيحة والبا في

بالجنود

بالجنود للملابسة اي ملتبسا بالجنود سوا كان فصل لازما بمعنى انفصل عن بلده او متعديا بمعنى فصل نفسه عنه فانه الفصل في المتعدي والفصول في اللازم لغتان مثل وقفه وقفا ووقف وقوفا والجنود جمع الكثرة للجند والاجناد جمع القلة له والجند الجيش لا شدة ماخوذ من الجند وهو الارض الغليظ الشديد وروي انهم لما فارقوا بلدهم سلكوا مفازة وكان الوقت قيظا فسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال طالوت ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة مختبره بما اقترحتموه وكان في جند طالوت المخلص والمنافق فميز بينهما بالما كالذهب والفضة فيهما الخبث فميز الخالص من غيره بالنار والنهر بفتح الهاء وتسكينها المجرى الواسع للما وكل ثلاثي حشوه حرف حلق فتسكينه وفتحه لغة كالشعر والنحر والدواب فمن شرب منه فليس مني اي فليس بمتصل بي ولا متحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه فانه مني اي لم يذقه ويقع على الاكل والشرب الا من اغترف غرفة بيده الغرف اخذ الما بالة كالكف والغرفة بالفتح المرة من هذا الفعل والغرفة بالضم قدر ما يغرف بالكف من الما واصل الغرف القطع ومنه الغرفة التي هي العلية قطعة من البنا استثنى من الشرب الممنوع هذا النوع وانما قدمت عليه الجملة الثانية لان مدلولها مفهوم منه بطريق الدلالة وانما ذكرت تتميما للجملة الاولى بما فيها من الترغيب الى الانتهاء بالنهر المذكور ويحتمل ان تذكر عقيبها قبل الاستثناء المذكور وطالوت ان كان نبيا فله ان يعرف ذلك بالوحي والا فبالالهام او باخبار من النبي فشربوا منه اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بواسطة وتعميم الاول ليتصل الاستثناء وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء وبالرفع على انه تابع للمرفوع قبله لان الكلام اذا كان موجبا جاز فيما بعد الا النصب وهو الافصح والاتباع لما قبله ان رفعا فرفع وان نصبا فنصب او جرا فجر وليس هذا من مواضع الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا والقليل على ما قيل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا منهم فلما جاوزه هو اي قطع طالوت النهر والذين امنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه وفي التعبير عنهم بما ذكر دلالة على ان المخالفين لم يكونوا مخلصين في دعوى الايمان وانما زاد قوله معه لافادة معنى المتابعة اياه والموافقة له ولما افترقوا فرقتين قال كل فرقة ما يليق بشانه وعدم العطف بين

القولين لعدم جمعهما مقام واحد ومساق كلام واحد قالوا اي الذين
تخذلوا على ما نص عليه ابن عباس رضي الله عنهما كانهم قالوا عذرا
في التخلف وتخذيلا للمقدمين على القتال لا طاقة لنا اليوم بجالوت
اي بقتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم وقدرتهم وفي عبارة الجنود
دلالة على هذا على ما بيناه فيما سبق قال الذين يظنون انهم ملاقوا
الله الظن على حقيقته ومعنى ملاقوا الله انهم يستشهدون في ذلك
اليوم لعزمهم على صدق القتال وصدقهم في عزمه او بمعنى الايقان
اي يوقنون بالغيب على ان معنى ملاقوا الله انهم راجعون اليه
في القيامة ومجزيون باعمالهم يومئذ وعلى هذا المعنى من الملاقاة
يجوز ان يكون الظن على اصله ويكون التفصيل على انه يكفي في هذا
الظن فكيف باليقين كم من فئة قليلة كم كلمة للتكثير ومن مبينة او
مزيدة للتاكيد والفئة الفرقة من الناس من فاوت راسه اي
شققته او من فاء اذا رجع غلبت فئة كثيرة كم مبتدا خبره غلبت
باذن الله بتيسيره وهذا التحريض على القتال واستشعار بالنصر
والله مع الصابرين بالنصر والاثابة تحريض على الصبر في القتال
ولما برزوا لجالوت وجنوده المبارزة في الحرب ان يظهر المحارب
لمن يستحث براه قالوا ربنا افرغ علينا صبرا الافراغ صب الكثير
استعير للكمال والاكثار وثبت اقدامنا اي في المعركة كيلا نزلت
ولا نزول وانصرنا على القوم الكافرين اي اعنا عليهم وامنعهم منا
التجاوا الى الله بالدعا وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر
في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب
المسبب منه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا ثم اشاروا في
توصيف القوم بالكافرين الى انهم يطلبون النصر لا للانتقام منهم
بفعلهم بهم بل لانهم كفروا واعتدوا بربهم فهزموهم اي فصحبة وقيله
مضمرا اي فاستجاب الله دعاهم ونصرهم فالهزيمة دفع الشيء بقوة
حتى ينحز بعضه في بعض والهزام خشبة يحرك بها الجمر ويدفع بعض
على بعض باذن الله بعونه وتيسيره وقتل داود جالوت لم يبين
الله تعالى كيفية القتل الا انه اشار في سياقه الى انه كان يسهو له
واتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود عليه السلام
على ملك والحكمة النبوة اذ بها وضع الامور مواضعها فاتاه ملك طالوت
ونبوة نبيهم وجمع له كليهما وكان قبله الملك في سبط والنبوة في سبط
وعلمه مما يشا من صنعة الدرع وكلام الطير والدواب وغير ذلك
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ولولا ان الله تعالى يدفع

بعض الناس ببعض ويمنع فسادهم بذلك لفسدت الارض لم فسادهم د
الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولكن الله يبسط الفضل على
العالمين بنصر المصلحين على المفسدين تلك ايات الله اشارة
الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت
وانهزام الجبابرة وقتل داود عليه السلام جالوت نتلوها عليك
بالحق بالصدق واليقين الذي لا ريب فيه لاهل الكتاب اذ هي في
كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير قراءة كتاب
ولا سماع اخبار تلك الرسل اي المذكورة في السورة كلها او
المعلومة بالوحي فضلنا بعضهم على بعض بحسب درجاتهم في
الزلفى وتفاوت مراتبهم في الاصطفا منهم من كلم الله تفصيل
للتفضيل اي خاطبه الله تعالى بكلامه الازلي بلا واسطة وهو
موسى عليه السلام لقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما ورفع بعضهم
درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متنا
بعدة وهو محمد عليه السلام المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يوت احدهم
والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المعين لهذا الوصف المستغني
عن التعيين وتنكير درجات بعضده في تعظيم شانه واتينا
عيسى ابن مريم البينات خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى
في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها ايات
ظاهرة وبينات باهرة لم يستجمعها غيره وايدناه بروح القدس
قد مر تفسيره ولو شا الله ان لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم اي
من بعد هولا الرسل من بعد ما جاتهم البينات اي المعجزات الواضحات
لاختلافهم في الدين وتشعيب مذاهبهم وتضليل بعضهم بعضا
ولكن اختلفوا اي ما شا ذلك لاقتضاء حكمته فمنهم من امن لالتزامه
دين الانبيا عليهم السلام بتوفيقه ومنهم من كفر لاعراضه عنه
لخذلانه ولو شا الله ما اقتتلوا كرر للتاكيد لكون الامور بمشيته
الله تعالى ولكن الله يفعل ما يريد من تخصيص بعضهم بالسعادة
والايمان وبعضهم بالشقاوة والكفر فان قلت الاستدراك مع
بعد استعمال كلمة لو على قاعدة العربية ان يذكر انتفا الشرط
لثبت انتفا الجزا اي لكن لم يشا عدم الاقتتال فاقتتلوا وعلى قاعدة
الاستدلال ان يذكر انتفا الجزا ليعلم انتفا الشرط اي لكنهم اقتتلوا
فعلم انه لم يشا عدم الاقتتال فاوجه قوله ولكن الله يفعل ما يريد
قلت معناه لكنه لم يشا عدم الاقتتال بل ارادة فثبت
لانه يثبت ما يريده ابدا ما كان قيل يوفق من يشا فضلا ويخذل من

يساعده ولا يرد عليه انه ح يكون الخذلان ما عنت فيفيد ارادته المتعلقة
به وبارادة التعميم المستفاد مما ذكروا لآية دليل على ان الانبيا عليهم السلام
ولو كانوا اولوا العزم من المرسلين متفاوتة الاقدام واما انه يجوز
تفضيل بعضهم على بعض على التعيين فلا دلالة عليه في الآية نعم يجوز
ذلك اذا وجد دليل قاطع لانه مما يتعلق بالاعتقاد دون العمل حتى لو
يكتفي فيه بالظن وان ما تعلق به ارادة الله تعالى فعلا كان او
تركا خيرا كان او شرا يقع واما ان كل ما يقع انما يقع بارادته الله
تعالى فلا دلالة عليه فيها انما علم ذلك من موضع آخر يا ايها الذين آمنوا
انفقوا مما رزقناكم اراد به الواجب من الزكاة الظاهر الامر واتصال
الوعيد به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه لانه يوم جزاء لا يوم عمل
وعبر عن كل المكاسب بجلها ولا خلة لان الاخلا بعضهم عدو لبعض
يومئذ فان قلت ليس زمرة المتقين مستثناة منهم قلت بلى ولكن
الوعيد في حق من ترك الانفاق الواجب فالانفاق الواجب والاستثنا
المذكور لا يجديه ولا شفاعة يعني ان تداركوا ما فاتكم من الانفاق
بالادا بعد الحصول بطريق المعاملة والمجاملة واما بالايرار ولا سبيل
الى شي من ذلك اذ لا كسب ولا خلة ولا شفاعة خصوصا في اسقاط
حقوق العباد واما ان الشفاعة لا تكون الا في زيادة الفضل بطريقة
الاعتزال موضع بيانه وما خذ عنا نه علم الكلام وانما رفعت
ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة
او شفاعة وقد فتحها من فتح على الاصل والكافرون اي التاركون
للزكاة وانما عبر عنهم بالكافرين تغليظا عليهم وزجرا لهم كما في اخر آية
الحج حيث شبه فعلهم الذي هو ترك الزكاة بالكفر او جعل مشارفة على
الكفر او تعبيرا باللازم عن الملزوم حيث جعل ترك الزكاة في موضع
آخر من صفات الكفار ولوازمهم فهو على الاول استعارة تبعية
او مجاز المشارفة وعلى الثاني كناية او مجاز اللزوم هم الظالمون
هم الذين ظلموا انفسهم بترك الانفاق الواجب وصرف المال على
غير وجهه ووضعه في غير موضعه الله لا اله الا هو مبتدا وخبر
والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وقيل خبر الحي القيوم ولا اله الا
هو معترض بينهما والمراد من الحيوة في حقه تعالى البقا الذي لا
سبيل اليه للفنا مجازا وذلك ان الحيوة بحسب اللغة عبارة عن
قوة مزاجية تقتضي الحس والحركة ولا صحة لها في حقه تعالى فلا
بد من المصير الى المعنى المجازي المناسب له وهو البقا وانما وصفناه
بما ذكر لانه مستند الى ذاته تعالى فلا يمكن زواله واما الذي ذكره

المتكلمون

لا كسب صح

المتكلمون بقولهم الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر فعناه الاصطلاحي
الحادث فلا مساغ لحمل ما في الكلام القديم عليه بحيث لا يعرفه اهل
اللسان وقت نزول القرآن وقدره صاحب الكشاف مثل هذا في
تفسير قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وجوزه هنا
والقيوم القائم بذاته المقوم لغيره وقيل الدائم القيام بتدبير الخلق
وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تأخذه الاخذ التناول
ومنه اخذ الشارب قصه وقطع شي من شعره سنة السنة ثقلة
من النعاس وفتور يعتري المزاج قبل النوم وليست بداخلة في حد
النوم على ما دل عليه قول عدي ابن الرقاع وسنان اقصده النعا
س رنقت في عينه سنة وليس بنائم ولا دلالة فيه على ان السنة هي
النعاس كما توهم ولا نوم النوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب
الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة
عن الاحساس رأسا اي لا يعتريه ما يعتري المخلوق فان من الغفلة
والملال والفتور في حفظ ما هو قائم بحفظه ولا يعرض له عوارض النوم
المحوجة الى الاستراحة فيستريح بالنوم والسنة فالجملة بيان للقيوم
بانه مهيمن على من يقوم غيره فرعنه وتأكيد لكونه حيا فان من
اخذه سنة او نوم كان مؤوف الحياة ولذلك ترك العاطف فيه
وتقديم السنة على النوم على قياس المبالغة والترقي فان سلب
السنة وان كان ابلغ من سلب النوم لكن سلب اخذها ليس
بابلغ من سلب اخذه لما فيه من القوة فمن يقدر على دفعها قد
لا يقدر على دفعه فمن وهم ان قياس المبالغة عكسه فقد وهم حيث
لم يفرق بين سلبهما وسلب اخذهما وايضا السنة من دلايل النوم
ومقتضيات سبب السابقة عليه فنفي النوم بعد نفيها باعتبار انه
يستلزم نفي سببه يكون ابلغ واما نفي التنبيه فقد حصل بالحي القيوم
على المحقق المراد منهما له ما في السموات وما في الارض بيان
وتقرير لنفي السنة والنوم لان الذي يحكمهما وما فيهما يحفظهما وما
فيهما بتدبيره فلا يمكن ان ينام والا لزم التاعن النظام ولهذا
ترتب على ما قبله من غير حرف عطف ولو كان تقريرا للقيومية
كما قيل لا يحد مع ما قبله في هذه الجهة فكان حقه ان يرتب عليه
بحرف عطف والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما
او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات
والارض وما فيهن ولما ذكر ما يكشف لكل يعني ذلك بقوله من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه اي يبلغ ما لكنه وكبريائه ان لا يتمكن احد ان

س

يتكلم يوم القيامة الا من اذن له لقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ثم بين ذلك بقوله **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** اي ما كان قبلهم وما يكون بعدهم وغيره والضمير لما في السموات والارض لان فيهما العقلا او لما دل عليه من ذا من الانبيا عليهم السلام **ولا يحيطون بشي من علمه** اي معلومه فان اسم المصدر يقع على المفعول كما في الدعا اللهم اغفر علمك فينا اي معلومك وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بعلم من يستحق الشفاعة وغيره وانما فصل المعطوف عليه عما قبله لما اشرنا اليه من انه مبين لما قبله واما على ما قيل ان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته فلا يظهر وجه الفصل المذكور كما لا يخفى **الا بما شا** ان يعلمهم به من المعلومات **وسع كرسيه السموات والارض** بيان لشمول علمه واحاطته وسعته وبسطته وانه لم يعجز عن السموات والارض على سبيل التمثيل والتخييل وتصوير امر المعنوي بالصورة الحسية ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد لقوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين قيل تصوير لعظمته وتمثيل وعلى هذا لا يظهر وجه الفصل عما قبله وعلى ما ذكرنا قد ترتب الجمل الخمس ما بينه ومنعا نقد كل منهما تبين ما ترتبت عليه مقررة لمعناها فلا سبيل للعاطف بينهما لكمال الانفصال بين معانيهما وعن الحسن الكرسي هو العرش وقيل انه تعالى خلق كرسيا بين يدي عرشه دونه السموات والارض وهو الى العرش كالصغير شي وعرش الخالق للجلوس عليه والكرسي لوضع القدمين عليه وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا كما ان بيت الخالق للسكنى فيه والله تعالى خلق الكعبة بيته وتعالى ان يسكنها انما المراد بيان ما في السموات والارض لا يغيب عنه كما لا يغيب عمن جلس على السرير ما تحت قدميه واصل الكرسي في اللغة هو المتراكب والكراسة سميت بها لتراكب بعض اوراقها على بعض والكرسي البعر والبول اذا تلبد بعضه على بعض **ولا يوده** ولا يثقله ولا يشق عليه **حفظهما** حفظ السموات والارض وانما ثني لان معناه السموات جمع ردا الى الجنس الاود الاعوجاج الذي يحصل من الاعتماد عليه بالثقل **وهو العلي العظيم** اسما في جامعان لكمال التوحيد فالعلي هو المتعالي عن الصفات التي لا تليق به والعظيم هو الموصوف بكل الصفات التي تليق به قيل تذاكر الصحابة رضي الله عنهم افضل ما في القران فقال لهم علي رضي الله عنه ابن ذلكم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان

وسيد الروم

وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وفيه نظر لان قوله سيد البشر ادم وسيد العرب محمد يفصح عن تفضيل ادم على محمد عليهما السلام وهو خلاف ما انعقد عليه الاجماع وما ورد في الحديث الصحيح من قوله عليه السلام انا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر ويمكن ان يقال ان ادم عليه السلام سيد البشر في الدنيا ومحمد عليه السلام سيد البشر في الاخرة على ما افصح عنه بقوله انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لواي اخرجه صاحب المصابيح عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنهم ولا خفا في ان السيادة في الاخرة راجحة على السيادة في الدنيا فالفضل لنبينا عليه وعلى ساير الانبيا الصلاة والسلام وانما فضلت اية الكرسي لاشتمالها على توحيد الله تعالى وصفاته كما فضلت سورة الاخلاص لافصاحها على التوحيد الذاتي وان شرف العلم بشرف المعلوم والموضوع ولا معلوم اجل واعلى من الله تعالى ولا مذكور اعظم واجل فلا ذكر اشرف ولا افضل منه **لا اكراه في الدين** اي لا الزام على الدين الحق وهو الاسلام بما يضطره الى قبوله اذ الاكراه في الحقيقة انما يكون بحمل الغير على ما لا يرى فيه خيرا فعلا كان او تركا **قد تبين الرشد من الغي** استينا في تعليلي فلا وجه لتقديره ولكن اي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يودي الى الشقاوة السرمدية وانما غالب من تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجا وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لانهم حصنوا انفسهم واموالهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري ابنان تنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله يدخل بعضي النار وانا انظر اليه فنزلت فخلاهما والغي ضد الرشد يقول غوى يغوي غيا وغواية اذا سلك خلاف طريق الرشد **فمن يكفر بالطاغوت** بكل ما هو معبود سوى الله ولا يلزم اطلاق الطاغوت على عزير وعيسى والملايكة عليهم السلام لان عبادهم ما عبدوهم في الحقيقة بل عبدوا الشيطان على ما ياتي تفصيله في تفسير قوله تعالى

انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وبهذا التفصيل
انتظم فساد ما قيل والطاغوت كل ما عبد من دون الله مما هو
مذموم في نفسه ولا يرد عليه عيسى عليه السلام لانا قيدناه بالذم
لعدم الحاجة الى زيادة القيد المذكور بل لا وجه له كما لا يخفى وتبين
الخلل فيما قيل بالشيطان او الاصنام وكل ما عبد من دون الله
مما هو مذموم في نفسه ولا يرد او صد عن عبادة الله تعالى والطا
غوت من الطغيان وهو مجاوزة الحد في الشر واصله طغووت
مقلوب من طغووت على وزن فعلوت قلبت ثم جعلت
الواو الفا لتحرك ما قبلها **ويؤمن بالله** عدي فعل الايمان
بالبا والمقصود التصديق وهو متعد بنفسه لانه نقيض الكفر
المتعدي بالبا والمقصود التصديق ومن دابهم حمل النقيض
على النقيض **فقد استمسك** اي تمسك عن قصد وطلب والفعل
الاختياري اذا كان مسبوقا بذلك يكون حصوله على اوكد
وجه ولهذا تؤثر هذه الصيغة في مقام المبالغة ومن ثم
ينبه لهذا قال في تفسيره طلب الامساك من نفسه **بالعروة
الوثقى** بما هو اوثق من المتمسكات المحكمة المامونة انقطاعها
والظاهر ان الاستمساك بالعروة الوثقى كالاعتصام بالحبل المتين
مثل في كل اعتقاد مطابق لا يحتمل النقيض فهو تشبيه للمعقول
المعلوم بالبرهان بالمحسوس المشاهد ولا مجاز ولا استعارة
في مفرداتها والقول بالاستعارة في العروة تنزيل للكلام عن
الدرجة العليا الى الدرجة العالية كما لا يخفى على من له كعب
عال في صناعة البلاغة **لا انفصام لها** لا انقصم بالقاف القطع
بلا ابانة والفصم بالفاء القطع مع الابانة ونفي الاول
ابلغ من نفي الثاني كما ان اثبات الثاني ابلغ من اثبات
الاول فتامل **والله سميع** بالاقوال **عليم** بالعزائم والعقائد
وهو ابلغ وعد ووعيد في عامة الناس ويندرج تحت
التهديد في حق المنافق **الله ولي الذين امنوا** ناصرهم و
متولي امورهم **يخرجهم** بالتوفيق والتاييد **من الظلمات**
من ظلمات الشبه والشك والضلال **الى النور** الى نور اليقين
والمعرفة والهداية **والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت** الشياطين
يخرجونهم بالاغواء والوسوسة **من النور الى الظلمات** من نور
البينات الى ظلمات الشك والشبه او ولي الذين ارادوا الايمان
يخرجهم بالهداية والتوفيق من ظلمات الكفر الى نور الايمان

والذين

والذين ارادوا الكفر تثبيتا طبعهم الذين يولونهم يخرجونهم من نور البينات
والدلايل الواضحة الى ظلمات الكفر والشبه جمع الظلمات ووحد النور لان
الباطل متعدد والحق واحد **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** وعيد
وتحذير وفيه دلالة على ما في مقابله من الوعد والتبشير ولهذا اكتفى به
عنه واتمام بعكس ما فطن على الحاصلة **الم تر الى الذي حاج ابراهيم** تعجيب
من محاجة نمرود **في ربه** يجوز ان يعود الضمير على ابراهيم عليه السلام
الى ان الارجح ان يعود على الذي حاج لان مساق الكلام فيه على وجه
التعجيب عن حالة تقتضي ذلك **ان اتاه الله الملك** مفعول له اي لان
اتاه الله الملك يعني بطرته النعمة وحمله الملك على العتو والكفر فحاج
لذلك او وضع المحاجة مكان ما وجب عليه من الشكر فعكس الامر والتعجب
على هذا الوجه اقوى او ظرف اي وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على
منع ايتاء الله الملك لكافر من المعتزلة والجواب بان المراد ايتاء الاسباب
لا يشفي كما لا يخفى على ذوي الالباب وكذا ما قيل ملكه امتحانا اذ ما
من قبيح الا ويمكن ان يكون فيه غرض صحيح مثل الامتحان **اذ قال
ابراهيم** نصب على الظرف لحاج على الاول وبدل من اتاه الله على
الثاني **ربي الذي يحيي ويميت** اي يحيي الاموات ويميت الاحيا
قال انا احيي واميت اي اعفي عن القتل واقتل فاعرض ابراهيم عليه
السلام عنه وان كان يتيسر عليه ان يقول له ليس هذا باحياء ولا اماتة
لكن كان هناك عند ملا من الناس وفيهم الضعفة فاراد ابراهيم عليه السلام
ان يفضحه فضيحة ظاهرة لا تخفى على احد فيما لا يمكنه المعارضة فيه
بالتلبيس وبهذا التفصيل اندفع ما قيل ما كان ينبغي للنبي ان ينتقل
بل كان عليه ازاحة الشبهة دفعا لتوهم الافحام واجيب بان ذلك
انما يكون اذا كانت للشبهة قوة والتلبيس على السامعين واما
في الشبهة الواهية فيحسن الاعراض عنها وعدم الالتفات سيما
مجادلة الاحمق على انه عليه السلام ما اعرض عن الاعتراض اعراضا
كليا بل تعرض له اجمالا **قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب** حيث ابلغ بالفا الفصيحة عن كلام معتذر يناسب
المقام كانه قال لا اخذ مكنف هذا التلبيس في المادة المذكورة فان الله
تعالى متفرد بفعل لا مجال للتلبيس في معارضته فيه ولا مجال له لان
يقول انه يلبس من قبل ربك ايضا كما انه ليس من فعلي لانه ليس من
الدهرية بل معترف بالحاجة في العالم الى الرب ولقد ادعى الربوبية
فبهت الذي كفر فغلب بهتة اي حيرة والبرهان على اشانه هو
الالزام الذي يحيره اي انقطع في هذه الالزام الظاهر متحيرا

قبل انقطاعه في الالزامين جميعا في الاول عند العقلا وفي الثاني عند الكل
فان قيل فهلا قال نمرود لابراهيم عليه السلام فليات بها ربك من المغرب
قلنا لانه خاف انه لو سال ذلك فعل الله لما راى منه بعض الخوارق
فان هذه المحاجة كانت بعد خلاصه عليه السلام من النار فعلم المعلوم
ان من قدر على ذلك قدر عليه قال الحسن قال الله تعالى وعزتي
وجلالي لاتين بها من المغرب تصديقا لقول خليلي والله لا يهدي
القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية
وقيل لا يهديهم لحجة الاحتجاج وفيه انه يوهم ان يكون لنمرود
طريقا الى المعارضة في الثاني الا انه تعالى لم يهده اليه كما زعمه
من قال ان الله تعالى انسيه ذلك نصرة لنبيه او كالذي مر على
قرية اصله او ارايت مثل الذي مر فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما
كلمة تعجيب ويجوز ان يكون من الكلام المحمول على المعنى دون اللفظ
كانه قيل ارايت الذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية وانما
زيد هنا حرف التشبيه لانه سلك طريقة الترقي في التعجيب ولا يخفى
ان قولك هل رايت مثل هذا ابلغ من قولك هل رايت نفسا فمن ثم يتنبه
لهذا اليوم زيادة الكاف واما قصد التكثير بها فلا يناسب المقام
انما المناسب له ما ذكرناه والقرية هي مجتمع الناس من قولك قريت
الما في الحوض اي جمعته والمراد هنا ايليا بلدة ببيت المقدس وكانت
بخت نصر ايليا بل خربها وهي خاوية ساقطة يقال خوى البيت
بكسر الواو يخوي خوى مقصورا اي اسقط وخوي البيت بالفتح خواء
ممدودا اذا خلى فلا يجوز الجمع بينهما والاول متعين للارادة لقوله
على عروشها سقوفها واحدها عرش اي سقطت السقوف ثم وقعت
الحيطان عليها كما هو الغالب في خراب البيوت قال قيل ظاهر الكلام
ان المار المذكور كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك
واحد ولكلمة الاستبعاد وانتظامه مع ابراهيم عليه السلام في مثل
حاله وهي طلب معرفة احيا الموتى ترجح انه كان مومنا وقوله
انى يحيي على هذا استعظام لقدرة المحيي واعتراف بالعجز عن معرفة
طريق الاحيا ولهذا اشتهر انه كان عزيرا وقيل الخضر اراد ان يعاين
احيا الموتى ليزداد بصيرة كما اراد ابراهيم عليه السلام ويويد هذا
ذكر الله واضافة الاحيا اليه في قوله هذه الله بعد موتها فانه
لو كان الغرض انكار البعث لكان حقه ان يقول انى يحيي هذه
بعد موتها وانى في محل النصب على الظرف بمعنى متى او على الحال
بمعنى كيف والاشارة الى اهل القرية [illegible] هذا القوم ثم ربط

حمار ونام فنزع الله تعالى الروح منه مائة سنة فالقا في قوله تعالى
فاماته الله سبحانه لا تخفيفه وحماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله
تعالى العيون عن رويته مائة عام اي فالبثه ميتا مائة عام او
فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحيا قال كم لبثت روي انه ناداه
مناد من السما وقيل القايل هو الله تعالى ويأباه الفصل فان حق النظ
م الوصل بالفا او ثم قال لبثت يوما او بعض يوم انما تردد لان
نومه كان اول النهار وبعثه قبل الغروب ولم يدر انه ذلك اليوم
او ما بعده وحمل او على الاضراب تكلف مستغنى عنه قال المنادي
بل لبثت مكثت مائة عام فانظر لما كان الامر بالنظر للتنبيه على خارق
العادة وكان ذلك مبنيا على ما تقدم صدر بارادة الترتيب والتفريع
الى طعامك كان طعامه عنبا او تينا وشرابك يعني العصير لم يتسنه
لم يتغير مع انه في صدد الاخبار عن الشيين رد الضمير الى اقربهما ذكرا
لانه اسرع تغيرا فاكتفى بذكرها لها عن ذكرها لقرينة والمعظم بتغير
مرور السنوات واشتقاقه من السنة ولها اصليتان ان قدر لام
السنة ها ولا للسكت ان قدرت واوا وانظر الى حمارك ظاهر بانه
عراي منه على هيئة الحمار غير متغير كالطعام والشراب ولما كان
بقاوه حيا بلا ما ولا علف ابعد واغرب اعاد فيه الامر بالنظر واخره
على طريقة الترقي وقيل الاول على الحال والافق لما بعده ان يكون
المعنى كيف تفرقت عظامه ويرد عليه انه لا دلالة فيه على اللبث
مائة سنة فان الزيادة في الدلالة وما بعده ذو الوجهين فلا
ترجيح من تلك الجهة وفي نظم الامر بالنظر الى الحمار مع الامر بالنظر
الى الطعام والشراب دون الامر بالنظر الى العظام حسن فرق بينهما
بقوله تعالى ولنجعلك اية للناس اي فعلنا ذلك لنبين لك الحال
ولنجعلك عبرة للناس ودلالة لهم على البعث اشارة ظاهرة الى ان
الحمار من جملة الباقين كما كان لم يمت مع صاحبه على ما فعل عن
السدي وبه اخذ كثير من المفسرين وانما قلنا ان الواو للعطف
على المقدر لان المقام مقام الفصل للتباين بين الجملتين انشا
واخبارا او من لم يتنبه له قال اي وفعلنا ذلك لنجعلك اية للناس
فان قلت لا بد للحذف من قرينة قلت نعم وكفى قوله فلما تبين له
قرينة له روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا
التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن
الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخ فاذا
حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني

عظام الموتى الذين تعجبت من احيابهم كيف ننشزها بالراي المعجمة
اي نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها
على بعض وقرى بغير المعجمة من الانشار وهو الاحيا واحيا العظم جعلها
عمار الاحيا ولما كان اللحم فضيله لا يتوقف عليه بنية الحيوة نبه
عليه بكلمة التراخي بقوله ثم نكسوها نلبسها لحما وهو مجاز عن سترها
وانما وجد اللحم مع جمع العظام لان العظام متفرقة متعددة صورة
واللحم متصل متحد نا مشاهدة وكيف منصوب بننشزها والجملة حال
من العظام اي انظر اليها محياة كذا قيل والاوجه ان يكون في موقع
البدل من العظام والتقدير وانظر الى العظام كيفية انشازها على
نمط قوله الشاعر الى الله اشكو بالمدينة حاجة وبالشام اخرى
كيف يلتقيان اي اشكوهاتين الحاجتين كيفية التقايهما فلما تبين
اي الحال عليه ما دل عليه سابق المقال له قال اعلم ان الله على كل شي قدير
من احيا الموتى وغيره وعلم من قوله اعلم دون علمت انه متعجب دون
منكر وقرى اعلم على الامر لمخاطبه واذ قال ابراهيم رب استعطاف
بين يدي السوال ارني كيف تحيي الموتى كان موقنا به ايقانا عيب
فاحب ان يوقن به ايقانا عيانا قال اولم تومن الواو للعطف على
مقدر اي انقول ذلك ولم تومن باني قادر على احيا الموتى باعادة
التركيب والحيوة قال بلى امنت ولكن سالت ليطمين قلبي ليزيد
سكونا بتظاهر بان الادلة ومضامنه علم الضرورة علم الاستدلال فانه
لا مجال للتشكيك في الضرور بخلاف الاستدلال والطمانينة السكون
والمطمين في الارض ما انخفض منها وحكم خطاب الله تعالى اياه فقطع
اوهام الجهال بجوابه كيلا يظنوا به عليه السلام شكا فيه ولقد اجاد
فيما افاد من قال الظاهر انه عليه السلام سال عن كيفية الاحيا لانها
وهي غير معلومة لا استدلالا ولا ضرورة نعم العلم الاجمالي بان لا بد له
من كيفية حاصله وقوله تعالى اولم تومن اشارة الى ان العلم الاجمالي كاف
فيما يجب ان يعتقد ويومن به في هذا الباب وقوله عليه السلام في
الجواب ولكن ليطمين قلبي اشارة الى ان العلم التفصيلي اقوى وفيه
خطوة خاصة للعارف وان العيان وراما يدل عليه البرهان ومن
هذا التقرير يلوح تفاوت ما بين كلمتي الخليل وعزير عليهما السلام قال
فخذ اربعة من الطير قال في المعرب الطير اسم جمع مونث وقد جا
للواحد عن قطرب وكذا حكاه ثعلب عن ابي عبيدة وجمعه طيور وعليه
قول محمد في المحرم يذبح الطير المشرك وانما خص الطير من بين ساير
الحيوانات لان للطاير ما للساير وله زيادة الطيران ولانه هوايي

وماي

وما يجه وارضي فكانت الاعجوبة في احيابه اكثر ولهذا قال عيسى عليه السلام
اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فصرهن اليك اي املهن واضممهن اليك
لتتاملها وتعرف شانها لئلا تلتبس عليك بعد الاحيا وقرى ابن عباس رضي
الله عنهما فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها وتشديد الرا من صره الى
اذا جمعه ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاهن على
الجبال وعبارة كل في مثل هذا للمبالغة كما في قوله تعالى واوتيت من كل
شي فلا حاجة الى تقييد الجبال بالتي بحضرتك ثم ادعهن قل لهن تعالين
باذن الله تعالى ياتينك سعيا اسراعا في مشيهن على ارجلهن او في
طيرانهن والتجوز في سعيا على المبالغة كما في عدل في رجل عدل روي
انه عليه السلام امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك روسها
ويخلط ساير اجزايها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل كذلك فجعل
كل جزء الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فضممن الى روسهن وفيه
دلالة على سمن الضراعة في الدعا وحسن الادب في السوال وعلى
فضل ابراهيم عليه السلام على عزير عليه السلام حيث اراه في الحال
ما اراد ان يراه على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة
عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عن شي بل يتصرف في كل شي بالقدرة
الغالبة حكيم ذو حكمة غالية في افعاله فلا يصدر عنه خوارق
العادات الا قدر ما تقتضيه الحكمة البالغة مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله اي على وجه يتوسل به الى رضائه تعالى
كمثل حبة اي مثل نفقة الذين كمثل حبة او مثل الذين بادر حبة
واعتبار حذف المضاف وتقديره في جانب المشبه او المشبه به
ليحصل ملايمة المثل للممثل وان كان التشبيه الذي لا عبرة فيه بتشبيه
المفردات انبتت الانبات فعل الله تعالى وانما اسند الى الحبة مجازا
لكونها من الاسباب سبع سنابل ابراد جمع الكثرة في موضع تمييز
السبع مكان جمع القلة وهو سنبلات فقد مر توجيهه في ثلاثة قروء
في كل سنبلة مائة حبة يعني يخرج منها ساق يتشعب منها سبع
شعب لكل شعب منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه
على انه قد يكون في الذرة والدخن وغيرهما في الاراضي المغلة
والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء من المتقين لا لكل منفق
لتفاوت احوالهم ونياتهم في اعمالهم ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال
في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من
الزيادة عليم بنية المنفق وقدر المنفق الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله نزلت في عثمان رضي الله تعالى عنه فانه جهز جيش العسرة

بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فانه اتى
النبي صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة ثم لا يتبعون ما
انفقوا منا ولا اذى المن ان يتعدى باحسانه على من احسن اليه
والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه والتنكير في الموضعين
للتقليل وثم للتراخي في المعطوف باعتبار الانتهاء وفائدته الدلالة
على لزوم الاستمرار على عدم اتباعهم ما انفق بالمن والاذى في
استحقاق الاجر المذكور ومن لم يتنبه لهذه الدقيقة الانيقة قال
انها للتفاوت بين المعطوفين لهم اجرهم قيل لعله لم يدخل الفاء فيه
وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم
يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا ومبناه الغفلة عن الفرق بين مطلق
الثواب والذي يعطى اجرا فان الثاني لا يتصور بدون العمل عند
ربهم اي مهيأ محفوظ لا يحتمل الضياع ولا الم الانتظار لتحصيله
وقت الحاجة ولا خوف عليهم من العذاب والتنكير للتقليل ولا هم يحزنون
بنقصان في الثواب قول معروف اي كلام جميل في رد من التمس منكم
صدقة ومغفرة اي تجاوز عنه اذا اساء السؤال او ستر عليه
حاله فلا يخبره بفقره ولا تهتك سره عند الناس سأل اعرابي قوما
بكلام فصيح فقال له قائل ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء الاكتساب
يمنع من الانتساب خير من صدقة يتبعها اذى خبر عن مجموع القول
الموصوف والمغفرة والتوصيف مما يصحح الابتداء بالنكرة والعطف
على المخصص مخصص والله غني عن كل شيء من صدقة وغيرها
وانما وعالم اليها ليسعفكم بها حليم لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء
صنيعكم في معاملتكم مع الغير خصوصا مع الفقراء السائلين وعيد
شديد وسخط بليغ لما ورد في الحديث القديم نعوذ بالله من
غضب الحليم يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم لا تحبطوا اجرها
وتخصيص الخطاب بالمؤمنين لعدم الاحتمال للابطال في صدقات
غيرهم لانه فرع الاستحقاق للاجر وهو مفقود فيها بالمن
والاذى اي لا بذاك ولا بهذا كالذي اي مماثلين الذي ينفق ماله
رئاء الناس تشبيه من جهة المعنى فان ما تقدم في معنى كالذي
لا تضيعوا اموالكم بصدقات بالمن مشوبة بالاذى لانه ضيع
ماله ابتداء وهم ان فيه ابطالا فقد وهم والرياء مصدر اي
من الرؤية وهو ان يرى الناس شيئا يفعله من جنس البر حتى يثنوا
عليه ويعظموه ويظنوا انه من اهل الخير وممن ينفق لوجه
الله تعالى وانتصب رئاء على انه مفعول له او الحال بمعنى مرائيا

او مصدرا

او مصدرا اي انفاقا رئاء ولا يؤمن بالله واليوم الآخر اي لا يعتقد لا بالمبدأ
ولا بالمعاد فلا حاجة في زعمه الى الزاد وانما قيد به مع تمام الغرض من التشبيه
بما تقدم فانه لا ثواب للانفاق رياء وان كان المنفق مؤمنا تغليظا في الزجر
للمنفق المؤذي المنان وايماء الى تلك الحال لا تليق بمن يعتقد بالمعاد والا
يحتاج الى الزاد واما تخصيص المراد من المشبه به بالمنافق فلا يقتضيه
المقام ولا قرينة له في الكلام فمثله اي مثله لما كان من حال المنفق رياء كذلك فمثله
كمثل صفوان حجر املس عليه تراب تقديم الجار والمجرور لان بيان محلوله
اهم فاصابه وابل اي مطر شديد الوقع كبير القطر فتركه صلدا املس نقيا
من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا استئناف كانه قيل ما بال المنفق
رياء مثلوا بالصفوان المذكور فقيل لا يقدرون اي لا ينتفعون بشيء
منه وعلى هذا لا حاجة الى التأويل بان الذي ينفق في معنى الجمع
او بان من والذي يتعاقبان انما الحاجة اليه على تقدير ان يكون
لا يقدرون حالا من الذي ينفق والله لا يهدي القوم الكافرين
اي لا يوفقهم بعد الهداية حتى يهتدون فالهداية في حقهم في
حكم المعدوم وعلى هذا قوله تعالى هدى للمتقين والا فالهداية بمعنى
تحملهم الى الخير والرشاد تعم الفريقين لقوله تعالى وهديناه النجدين
وقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وفيه تعريض
بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من اخلاق اهل الكفر والنفاق
فلا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء
مرضات الله اي لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم كلمة من اما للتبعيض
كما في قولهم هز من عطفه اي ليثبتوا بعض انفسهم فان من بذل ماله
وروحه معا فقد ثبت بعض نفسه لان المال شقيق الروح ومن بذل
ماله وروحه معا فقد ثبتها كلها واما لابتداء الغاية كما في قوله تعالى
حسدا من عند انفسهم اي تثبيتا للايمان صادرا من انفسهم لان
الانفاق امارة ان الايمان من اصل النفس ويحتمل ان يكون المعنى
وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة
فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم وهذا يتمشى على
التبعيض والابتداء وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق تزكية
المنفق نفسه عن البخل وحب المال فانه رأس كل خطيئة كمثل جنة
بربوة بموضع مرتفع من الارض والربو الزيادة ومنه الربا
واصابته ربوا اذا زاد نفسه في جوفه على عادته اي ومثل
نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون
احسن منظرا وازكى ثمرا وقد قرئ كمثل حبة بربوة بالحركات

الثلاث أصابها وابل فاذ من تفسيره فآتت أي أعطت وحذف المفعول
لأن المقصود ذكر ما يثمر لا لمن يثمر أكلها الأكل بالضم الطعام الذي
يؤكل والمراد الثمرة ضعفين مثل ما كانت تثمر بسبب الوابل وانتصابه
على الحال أي مضاعفا والضعف يراد به الواحد كما يراد بالزوج قال
الله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل أربعة أمثال ونسبة الإيتاء إليها
مجازية والمناسبة فإن لم يصبها وابل فطل أي مطر القطر يكفيها
لكرم منبتها ونظافة هوائها والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية عند
الله تعالى لا تضيع بحال وإن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم إليها
من أحوالهم ومثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة
والقليلة بالوابل والطل وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة
فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله تعالى
ويبذل فيه الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم والله
بما تعملون بصير ترهيب عن الرياء وترغيب في الإخلاص وإنما قال
بصير دون خبير تنزيلا للرائي منزلة الظاهر لعدم التفاوت
بالنظر إلى الله تعالى أيود أحدكم الهمزة فيه للإنكار أن تكون له جنة
من نخيل وأعناب النخيل جمع نخل كالعبيد جمع عبد
والنخل يكون واحدا فيذكر قال الله تعالى أعجاز نخل منقعر ويكون
جمعا للنخلة كالتمر جمع تمرة فيؤنث قال الله تعالى أعجاز نخل خاوية
والأعناب جمع عنب تجري من تحتها أي من تحت تلك الأشجار الأنهار
الجاري في الحقيقة مياهها فلا بد من التجوز في المسند أو في الإسناد
وبالماء نماؤها وبهاؤها له فيها أي في تلك الأشجار من كل الثمرات
كلمة كل للمبالغة في التكثير لا للتحديد والمراد من الثمرات المنافع وقيل
ضمير فيها للجنة جعلها من النخيل والأعناب مع ما فيها من سائر
الأشجار تغليبا لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر أن فيها كل الثمرات
ليدل على احتوائها على سائر أنواع الأشجار وعلى هذا يكون له فيها
صفة أخرى للجنة من قبيل الصفة الأولى ولا يناسبه الفصل بينهما
بقوله تجري من تحتها الأنهار أما إذا كان الضمير للأشجار فظاهر
وأما إذا كان للجنة فلأنه صفة من جنس آخر وأصابه الكبر أي
كبر السن وإصابته كناية عن العجز عن الكسب فإن الفاقة والعالم
في زمان العجز عن الكسب أشد والواو للحال أو للعطف حملا على المعنى
فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فأصابها إعصار عطف على
أصابه أو على تكون على اعتبار المعنى والإعصار ريح عاصفة

تنعكس

تنعكس من الأرض إلى السماء ملتفة في الهواء حاملة للتراب مستديرة كالعمود
فيه نار فاحترقت أي الجنة بالنار فصارت ثمرها إلى الذهاب وأصلها إلى
الخراب وكان يبقى هو وذريته في الحسرات لتقطع الأسباب فكذا الكافر
والمنافق والمرائي والمنان والمؤذي يتحسرون على صدقاتهم يوم الحجة
بقوم الحساب حين فاتهم الثواب وحق عليهم العذاب كذلك يبين
الله لكم الآيات بضرب الأمثال لأنه أوضح بيانا وأفصح تبيانا لما
فيه من تصوير المعقول بصورة المحسوس مشاهد عيانا لعلكم تتفكرون
أي تتفكرون فيها والتفكر فيها عن الاعتبار بها يا أيها الذين آمنوا
أنفقوا من طيبات ما كسبتم الطيب والحلال لأن الحل يجامع الكراهة
والطيب ما لا خصص فيه لا بسبب الحرمة ولا بسبب الكراهة
وما كسبتم ينتظم أنواع ما يملك بأسباب الكسب من التجارة
والزراعة وغيرها ومما أخرجنا لكم من الأرض يعني بلا مؤنة كسب
منكم دل على ذلك إضافة الإخراج إلى نفسه تعالى دون المنفقين
وفيه إضافة قرينة المسابق إليهم والمراد منهم المباحات التي
ملكوها بالإحراز ولا حاجة فيه إلى قيد الطيب لعدم الخطر فيه
بوجه من الوجوه ولهذا قال الله تعالى ومما عطفا له على الطيبات
دون وما عطفا له على مدخولها ومن لم يتنبه لهذا قال أي ومن
طيبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف
لتقدم ذكره ولم يدر أنه يصح حقه عدم زيادة من كيلا يحتاج إلى
التقدير ولا يخفى أنه من قبيل التطويل المخل للبلاغة لا من قبيل
الإطناب المفيد ولا تيمموا الخبيث أي ولا تقصدوه وهو أبلغ
من ولا تنفقوا الخبيث ومعناه الردي وخبيث الفضة
والحديد ما نفاه الكير لأنه ينفي الردي وهو ينتظم الحرام والمكروه
منه تنفقون في محل النصب على الحال والضمير البارز للخبيث
وتقديم الجار والمجرور للتخصيص أي تخصون بعضا منه
بالإنفاق لأن شح النفس وحب المال يقتضي شيئا من الردي
وما يشبه حائر بالإنفاق وهو مناف لفضيلة البر قال الله تعالى
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وفيه توبيخ وتعيير
وتعريض بما كانوا يفعلون ويجوز أن يكون الضمير المذكور
مجموع المكسوب والمخرج كما في قوله في الجلد توليع البهق وتنفقون
حال مقدرة من فاعل تيمموا ولستم بآخذيه الأخذ كناية عن
الاختيار ضرورة أنه مأخوذ حقيقة لما عرفت أنه مكسوب
أو مخرج أي وحالكم أنكم لا تختارونه لأنفسكم لرداءته إلا أن

تغمضوا فيه في محل النصب على الظرف اي الا وقت ان تغمضوا فيه
اي لا تاخذونه الا اذا تسامحتم في اخذه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ
تُغمضوا اي تُحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين روي انهم كانوا
يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله
غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد مستحق للحمد على
الامر بذلك مع استغنائه عنه لينفعكم ذلك في الدارين الشيطان
يعدكم الفقر في الانفاق والوعد على الاطلاق يستعمل في الخير
كالوعيد في الشر ويستعمل في الشر ايضا اذا قيد به ويامركم بالفحشا
يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغرا الامر للمامور والفاحش عند
العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم والضمير
في منه لله تعالى وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم في
الدنيا او ثوابا في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق
عليم بانفاقه يؤتي الحكمة يوفق العلم والعمل به من يشا مفعول
اول اخر للاهتمام بالثاني ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه
المقصود وقرئ بالكسر اي ومن يؤته الله تعالى فقد اوتي خيرا
كثيرا التنكير للتعظيم كانه قال فقد اوتي خير كثير وما يذكر الا
اي وما يتعظ بما ذكر من الايات اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة
عن شوائب الوهم والركون الى الهوى والمراد به الحث على العمل
بما تضمنت الاية في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة قليلة او
كثيرة سرا او علانية في حق ربا او لوجه الله تعالى او باطلا او نذرتم
من نذر فانشرط او بغير شرط في مثل هذا المقام كناية عن العمل
بموجبه يقال فلان لا يعلم الاحسان اي لا يعلم بمقتضاه وما
للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم ريا او مع
المن والاذى او لا لوجه الله تعالى وابتغا مرضاته او يقصدون
الانفاق بالخبيث الردي او ينفقون في المعاصي ولا يوفون
بالنذور او ينذرون في المعاصي فان الظلم وهو في الاصل وضع
الشي في غير موضعه المستحق له عبارة جامعة لهذه الاحوال
كلها من انصار ينصرهم من الله تعالى ويمنعهم من عقابه والعدول
عن نفي المفرد وهو ابلغ من نفي الجمع بحسب جليل النظر رعاية لمقابلة
الجمع بالجمع والتوزيع اي لا ناصر لظالم قط وهذا ابلغ بحسب
دقيق النظر ان تبدوا الصدقات فنعما هي ما نكرة غير موصولة
ولا موصوفة اي فنعم شيا ابداؤها فوضع هي موضع ابداؤها
اي الصدقات المبداة وان تخفوها وتؤتوها الفقرا اعتبر هذا

القيد هنا

القيد هنا ولم يعتبره فيما سبق اذ لا تاثير له ثمة فان الصدقة نعما هي
سوا كانت للفقير او للغني ثم تاثيره في كون اخفائها خيرا من ابدائها
وذلك عند كونها للفقير لما فيه من ستر حاله وصونها عن شوب
الريا فانه لا بد منه اذا كانت لوجه الله تعالى وذلك اذا كانت للفقير
واما اذا كانت للغني فلا يكون لوجه الله تعالى فلا حاجة الى الصون
المذكور ولا الى الستر المذكور فهو اي فالاخفا اصابة موضع الاستحقاق
خير لكم هذا في المندوبات واما في الواجبات فالاظهار افضل عن ابن
عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها
بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها
بخمسة وعشرين ضعفا وانما كان اظهار الفرائض افضل لنفي التهمة
حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤها افضل
والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهارها افضل والاعمال
بالنيات ونكفر عنكم قرئ بالنون مرفوعا عطفا على ما بعد
الفا فيكون جملة فعلية في حكم الجزا او على انه خبر مبتدا محذوف
اي ونحن نكفر او على انه جملة فعلية مبتدا ومجزوما عطفا على
محل الفا وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر باليا مرفوعا
والفعل لله تعالى او للاخفا ونكفر بالتا مرفوعا ومجزوما والفعل
للصدقات وقرئ باليا والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوه
يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم من سياتكم من للتبعيض اي نكفر بعض
سياتكم وذلك لان ما هو من حقوق العباد لا يتعلق به المغفرة
بدون رضا الخصم قال الامام المطرزي في المغرب الكفر في الاصل
الستر يقال كفره وكفره اذا ستره ومنه الحديث في ذكر الجهاد
هل ذلك مكفر عنه خطاياه يعني هل يكون القتل في سبيل الله تعالى
ذنوبه فقال نعم الا الدين اي الا ذنب الدين فانه لا بد من قضائه
والله بما تعملون خبير فلا يتفاوت الاظهار والاسرار وفيه ترغيب
في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم
مهتدين الى ان تتنبهوا لما امروا به والانتها عما نهوا عنه من المن
والاذى والريا والانفاق من الخبيث وغير ذلك مما مروا عليك
الا ان تبلغهم فحسب ولكن الله يهدي من يشا استدراك
عما يقتضيه الكلام السابق ويتضمنه من تعليله كانه قيل
لانك لا تقدر عليه ولكن الله قادر على الهداية المنجية عن
الضلال فيخص بها من يشا وفيه دلالة على ان الهداية
الموصلة الى البغية من الله تعالى وعطيته وانها مخصوص

يخصوم دون قوم فهو اظهر من ان يخفى والحاجة الى البيان فيما يشتبه فيه
الحال وما تنفقوا من خير فلانفسكم اي فانتم تنتفعون به وانما
قال من خير دون من مال لانه اذا لم يكن طيبا لا ينتفع به المنفق
ثم ينتصر فالعبارة المذكورة ضمنتها الاشارة الى النهي عن انفاق
المال الخبيث وعن المن على الغير والاذى له على ابلغ وجه واما
انه لا ينتفع به عاجلا ثم لا يقتضيه المقام ولا هو المناسب لان تعضد
بالكلام المذكور وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال كانه قال
وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله
وطلب ثوابه وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة
فلا تتركوه وان تنفقوا من احسن الاموال على احسن الوجوه فهو
تاكيد للشرطية السابقة وما يخلف المنفق استجابة لدعوة
الملك القائل اللهم اعط المنفق خلفا والممسك تلفا روي ان ناسا
من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون
عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت واختلف في الواجب
وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره وانتم
لا تظلمون جملة حالية اي لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب
جزاء الاعمال لكم فان نقص الاجر الموعود ظلم وان لم يكن نقص الثواب
مطلقا ظلما للفقراء الجار متعلق بمحذوف تقديره اعمدوا للفقراء
واجعلوا نفقتكم للفقراء كقوله في تسع ايات اي ذهب في تسع
ايات او خبر لمبتدا اي صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل
الله احصرهم الجهاد والاحصار منع النفس عن التصرف لا
يستطيعون ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب تقول ضربت
في الارض ضربا اذا سرت فيها اي يكرهون المسير لاجله لبلاء
يضر بهم صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخروج في سريته
وهذا كقوله تعالى لا يستطيعون سمعا اي يكرهون سماعه
ولهم الة السماع ولا يخفى ان هذا المعنى ابلغ في وصفهم مما قيل
لا يستطيعون لاشتغالهم بالجهاد وقيل هم اهل الصفة وكانوا
نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد
يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة واقواتهم من فضل
الاغنياء وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء وانما قال من التعفف
اي من اجل تعففهم عن السؤال دفعا لاحتمال ان يكون
حسبانه من الاغنياء لكونه من الاغنياء في اطلاق اسم الجاهل

عليه على الاطلاق ما لا يخفى من الذم وذلك الاستحقاق لان الغافل
عن حالهم لا يكون من اهل الصحبة والوفاق والتعفف تفعل من
العفة يقال عف عن الشيء اذا امسك عنه وتنزه عن طلبه
تعرفهم الخطاب لمن يستحق التوصيف بعرفانهم من الاصحاب رضي
الله عنهم ومن حذا حذوهم في سلوك طريق الصواب بسيماهم و
بعلاماتهم من صفرة الوجوه ورثاثة الحال والجاهل يستدل بعدم
السؤال ومعنى لا يسألون الناس الحافا نفي السؤال والالحاف جميعا
كقولهم لا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب بها ولا انجحار ولا يخفى ان هذا المعنى
ادخل في التعفف وفي ان يحسبوك اغنياء فيكون انسب للمقام
واجيب لمزيد حسن في الكلام كيف وفي هذا النوع من التركيب دقيقة لطيفة
وهي انه لما جعل نفي الاول تمهيدا لنفي الثاني جعل الاول حسما لا نواحيه
اذ من حق الدليل ان يكون اوضح من المدلول ولهذا قال ابن عباس
رضي الله عنهما في تفسير لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف وقيل
ترك غير الحاف ذكر الايماء الى ان اطلاق السؤال عند الحاجة ورفع الامر عمن
نعلمه مضطر والالحاف فلزوم السؤال من اللحاف الذي يلازم الملتحف
به والجمل الاربع بعد الصلة مترتبة عليها بمنزلة البيان لها فلا سبيل
للعاطف بينهما لشدة اتصال كل منها بالاخرى وما تنفقوا من خير
فان الله به عليم ترغيب في الانفاق لان علم الله تعالى به كناية
عن انه لا يضيع ولهذا زاد قوله من خير فانه اذا اريد علمه تعالى
به على حقيقته تكون تلك الزيادة خلوا عن الافادة الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاحوال
والاوقات بالصدقة لحرصهم عليها فكلما نزلت بهم حاجة محتاج
عجلوا قضاءها ولم يؤخروها ولم يتعللوا بوقت ولا حال نزلت
في ابي بكر رضي الله عنه وقيل في علي كرم الله وجهه وقيل نزلت
في علف الخيل وربطها في سبيل الله تعالى فلهم اجرهم عند ربهم
[illegible] عن الضياع خبر الذين والفاء [illegible] لكون الصلة سببا
لحصول الخبر للموصول ضمنت معنى الشرط وادخالها في الخبر اذا لم
يقصد ذلك فلا كقوله تعالى والذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم وقيل
للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولهذا جوز الوقف على
قوله وعلانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد مر تفسيره الذين
ياكلون الربا اي ينتفعون به فان التعبير بالاكل عن مطلق الانتفاع
على طريقة العبارة عن كل وجوه الشيء بمحله شايع في الالسنة

كلها كتب الربا بالواو على لغة من يفخم كما كتب الصلوة والزكوة وزيدت
الالف بعدها تشبيها لها بواو الجمع لزيادة التفخيم ومعناه لغة
الزيادة المطلقة وشرعا الزيادة في العدد او في الاجل على الوجه المذكور
في كتب الفقه لا يقومون يوم القيامة الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان الا قياما كقيام الذي يتخبطه تكلف الخبط والمراد الزيادة فيه
من المس يتعلق بيقوم او بيتخبطه والمس الجنون يقال مس على ما لم
يسم فاعله فهو ممسوس كما يقال جن فهو مجنون والجنون قد
يكون بضرب الشياطين من الجن ولذلك يسمى مجنونا وهو بتسليط
الله اياهم على الناس كما يسلط عليهم بعض الدواب والسباع وله
ان يفعل في ملكه ما يشاء اي لا يقوم اكل الربا عن قبره في يوم القيامة
الا كالذي ضربه الجن فخبله فصار كالمصروع فهو يقوم ويسقط
ليس كسائر الناس لانهم يخرجون من الاجداث سراعا وهذه علامة
لهم بها يعرفون بعد مبعثهم وقد انتفخ بطونهم ما اكلوه من الربا ذلك
بانهم قالوا انما البيع مثل الربا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا
الربا والبيع في سلك واحد وقاسوا احدهما على الاخر يعني ان البيع يكون
مثل الربا في اشتماله على الفضل ولو كان ذلك سببا للحرمة لحرم البيع لكنه
حلال فثبت انه ليس بسبب للحرمة فالربا ليس بحرام وتشبيههم ان بيع
السلم وغيره قد يكون المشتري فيه يد رهم يساوي درهمين فيكون
اربى من الربا ومن لم يتنبه لما قررناه زعم انهم بالغوا في وصف اعتقادهم
حل الربا حتى جعلوه اصلا في القياس وشبهوا البيع به مع ان كلام في الربا
والبيع اصل في الحل على طريقة قول الشاعر وبلدة مغبرة ارجاؤها
كان لون ارضها سماؤها بالغ في وصف السما بالاغبرار حتى شبه
الارض بها وفي التعبير عن اعتقادهم هذا بالقول ما لا يخفى من المبالغة
في انه لا حقيقة له اصلا ثم انكر تسويتهم بينهما بقوله واحل الله البيع
وحرم الربا وفيه دلالة على ان القياس يهدمه النص حيث نقل
قياسهم وابطله بمجرد القول المذكور من غير تعرض لفساد القياس
من حيث ان الفضل في الربا محقق وفي البيع متوهم واما ما قيل هو
ابطال للقياس لمعارضة النص فيرد عليه انهم قاسوا قبل ورود النص
الفارق بينهما فلا معارضة وقت ادعائهم فمن جاءه موعظة من ربه فمن
بلغه وعظ من الله تعالى وزجر بالنهي عن الربا وفي عبارة الرب ايماء
الى انه تعالى يربي عبده بفضله بلا توقف على كسبه كيف وقد رباه
وهو جنين فحقه ان لا يتجاوز في طلب المكسب عن حد الرخصة فانتهى
فاتعظ به وتبع النهي فله ما سلف اي فلا يؤاخذ بما مضى منه وله ما

اخذ لانه قبل نزول التحريم وما في موضع الرفع بالظرف ان جعل من موصولة
وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على
ما قبله وان ما ذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي مع ان فيه
فاصلا فلا حاجة الى التاويل بانها في معنى الوعظ وامره في ذلك الى الله يحكم
في شانه بما شاء يوم القيامة لا اليكم فلا تطالبوه بشيء ومن عاد الى الربا
بعد النهي عنه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لاصرارهم عليه
اذا اعتقدوا حله لانه كفر والكفر يوجب الخلود في النار يمحق الله الربا
المحق نقصان الشيء حالا بعد حال حتى يذهب كله كما في محاق الشهر وهو
حال اكل الربا قال الله تعالى يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه
ويربي الصدقات اي ينمي ويزيدها بان يضاعف عليها الثواب
ويزيد المال الذي اخرجت منه ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت
زكاة من مال قط لا يقال الكلام انما في الربا المتصدق به وهذا ليس منه
لانا نقول وقع زيادة المال والبركة فيه بسببه فضيلة تزيد ورابا
له لتضاعف الثواب بسببه والله لا يحب عدم المحبة كناية شايعة
عن البغض كل كفار باستحلال الربا اثيم باكله بدون المبالاة تحمل على
التعميم بعد السلب حتى يكون سالبه دون العكس اذ ح يكون
رفع الايجاب الكلي وهو لا يناسب المقام ولا يبعد فيما ذكرنا لان القيد
المقدم ذكرا قد يعتبر موخرا في معنى وفي صيغة المبالغة تغليظ
بليغ في شان المستحيل للربا لما فيه من الايذان بتجدد كفرهم في كل آن
ان الذين امنوا بالله ورسوله والايمان بالرسول لا يتم الا بالايمان بجميع
ما جاء به منه تعالى وعملوا الصالحات من الفرايض والواجبات والمندوبات
واقاموا الصلاة واتوا الزكاة عطفهما على ما يعمهما لفضلهما على ساير
الاعمال الصالحة لكونهما من العبادات البدنية والمالية لهم اجرهم
عند ربهم قد تفسيره ولا خوف عليهم من ات ولا هم يحزنون على
ما فات يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا واتركوا ما بقي من الربا
بقايا ما شرطتم على الناس منه وقرا الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على
لغة طي وعند ما بقي بيا ساكنة ان كنتم مومنين بقلوبكم فان دليله
امتثال ما امرتم به وفي اطلاق مومنين في الذكر عن القيد المذكور دلالة
على ان المومن حقيقة هو من يمتثله روي انه كان لثقيف وكان لهم على قوم
من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت فان لم تفعلوا لم
يرد مطلقا الترك بل اريد الترك في ضمن الابرار فلهذا قيل لم تفعلوا
دون لم تتركوا فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به
وقرئ فاذنوا اي فاعلموا غيركم من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق

العلم وقرئ فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة والتنكير في حرب للتعظيم من الله
ورسوله الحرب يكون من الرسول صلى الله عليه وسلم بامر من الله تعالى فذكره تعالى
للتمهيد وحرب منه ابلغ من حرب الله في التنكير من التهويل اي بنوع من الحرب
لا يعقل التوضيح لعظم شانه وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابه
حتى يفي الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف
لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتبا ومن زاد على هذا قوله
واعتقاد حله فكانه غفل عن قوله بان سياق الكلام لا يقتضي كفره فان
قلت اليس يفهم من قوله فلكم رؤس اموالكم اصولها واما الارباح فطوارئ
عليها لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان انهم ان لم
يتوبوا فليس لهم اموالهم قلت ذلك وهم سبق الى فهم من قال انه صرح بكون
ما لهم فيا للمسلمين وتبعه القايل وهو سديد على ما قلنا اذ المصر على
التحليل مرتد والحق ان الظاهر منه بطريق المفهوم هو انهم ان لم يتوبوا
لا تصل ايديهم الى رؤس اموالهم وذلك لانهم يقتلون حينئذ كما يقتل الباغي
وان كان اي وجد غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم
ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فليكن نظرة او فعليكم نظرة وهي الانظار
وقرئ فناظره على الخبر اي فصاحب الحق ناظره بمعنى منتظره او
صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى
ميسرة قرئ بضم السين وفتحها وهما لغتان بمعنى يسار وقرئ
بهما مضافين بحذف التا عند الاضافة وان تصدقوا بالابرا خير لكم
اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه
وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم
فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة بعث لهم على التصدق بالدين
كله او بعضه على من غريمهم او على الامهال الى وقت اليسار ان كنتم
تعلمون كنى بالعلم عن العمل لانه اذا كان نافعا فلما يتخلف عن علمه
فهذه الكناية باعتبار مبناها تاكيد لما تقدم من الخيرية على ابلغ
وجه ومن لم يتنبه لهذا قال في تفسيره ما فيه الذكر الجميل والاجر الجزيل
ثم انه لم يدر ان الذكر الجميل لا يصلح وجها للحث على الصدقة اذا كان
الحث من الله تعالى لان الصدقة المرضية عنده تعالى ما لم يشوبها
غرض دنيوي واتقوا يوما يوم القيامة والتنكير للتعظيم وللاشارة
الى انه لا يقبل التعريف ترجعون من الرجع وقرئ بفتح التا وكسر
الجيم من الرجوع وقرئ بالياء على الالتفات فيه الى الله تعالى
للحساب والجزاء والامر بالاتقا كناية عن الامر بتوجيه وهو التاهب
للمصير اليه ثم توفى التوفيه والايفا الاكمال كل نفس جزاء ما كسبت

اي

اي احرزته من جزا الاعمال الموعود لها فان الكناية بالكسب عن الاحراز
شايع في الالسنة كلها وانما وصفها الجزا بالموعود لان الظلم بنقص الثواب
انما يكون بذلك الاعتبار وهم لا يظلمون لا بنقص ثواب ولا بزيادة
عذاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها اخر اية نزل بها جبريل عليه
السلام وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش
رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقيل اقل وقيل اكثر
يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم اذا تداين بعضكم بعضا يقال داينت
الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا كما يقال بايعته اذا بعته
او باعك واما كونها نسيئة فغير معتبر في المداينة واراد انها في المقام
لذكر الاجل وانما قال بدين مع انه مستفاد من تداينتم للتعميم اي دين
كان قليلا او كثيرا ولتقطع معنى احتمال خرافات المداينة قد يراد
بها المجازاة ودما تنوعه الى المؤجل والحال فيعلم من قوله الى اجل ومرجع
الضمير في فاكتبوه لا يلزم ان يكون مذكورا بل يكفي ان يكون مفهوما
في ضمن الكلام السابق هذا كله بحسب جليل النظر والذي بحسب
دقيقه هو انه لا بد من ذكر الدين ليتعلق الجار به فانه لو لم يذكر لتعين
تعلقه بتداينتم ولا وجه له فان ابنا لعقد الى اجل غير مشروع
مسمى معلوم موقت بالسنة والشهور والايام المعينة لا بالحصاد
والدراس وقدوم الحاج ونحو ذلك مما لا يتعلق فاكتبوه تنبيه على
انقسام الدين الى حال ومؤجل وامر بكتابته للمؤجل على سبيل الندب
والارشاد لانه اوثق وامن من النسيان وابعد من الجحود وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال انما حرم الله
الربا اباح السلم وسياتي ما يتعلق بهذا المقام من الكلام وليكتب
قيده بقوله بينكم ليكون ابعد عن الاشتباه والتهمة والتنكير في
كاتب للتنبيه على ان المعتبر كون الكتابة على وجه المعهود لا كون
الكاتب معهودا ولهذا قيدها بقوله بالعدل واطلق الكاتب اي
وليكتب بالتسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ولا ينقص
عنه وهذا يدل اقتضاء على ان الكاتب يجب ان يكون فقيها عالما
بالشروط حتى يكون مكتوبه معدلا بالشرع فيحصل ما هو المقصود
من الكلام على تقدير تعلق القيد المذكور بالكاتب واما الذي
ذكرناه فيفهم منه صريحا فالراجح تعلقه بالفعل والامر في الحقيقة
للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجي مكتوبه موثقا به
معدلا بالشرع ولا ياب اي ولا يمتنع كاتب احد من الكتابة ان يكتب
وان تنكير كاتب بعد النهي يفيد العموم كما علمه الله مثل ما علمه

من كتبة الوثائق اولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى
بتعليمها كما قال الله تعالى واحسن كما احسن الله اليك **فليكتب** تلك المكاتبة
المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا وهذا لان الفاء تدل على
ان الترتيب على السابق ولان ورود الامر عقيب ذلك النهي تأبيدا
له يشعر بذلك كل الاشعار ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون
النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وهذا الوجه
احسن من جعل الاول تمهيدا له لما فيه من تدرج وتفخيم لشأن الكتابة
على النهج المذكور في تقديم كما علمه الله مبالغة حسنة والاول
اظهر واقرب تناولا **وليملل الذي عليه الحق** الاملال والاملاء الالقاء
على الكاتب للكتابة والذي عليه الحق هو الذي عليه الدين وانما
كان الاملال اليه لانه المقر المشهود عليه **وليتق الله ربه** اي الكاتب
لا المملي على ما ستقف عليه جمع بين اسم الذات والوصف تذكيرا لهم
لكونه مربيا له مصلحا لحاله **ولا يبخس منه شيئا** اي ولا ينقص مما املى
عليه فليملا ولما كان الامر بالتقوى تمهيدا للنهي عن النقص المذكور لم يؤت
بينهما بأداة الترتيب **فان كان الذي عليه الحق** دل هذا على توجه الامر
والنهي الى الكاتب فانهما لو توجها الى المملي لكان حق الكلام في هذا المقام
الاكتفاء بالضمير وتصديره بالفاء لترتيبه على ما تقدم **سفيها** محجورا
عليه لجهله بالتصرف والتبذير **او ضعيفا** لصغره او لكبره والمراد
ضعف القوى لا ضعف النهى لانه من اسباب السفه فيندرج تحت
السفه **او لا يستطيع ان يمل هو** او غير مستطيع بنفسه او خرس
فليملل وليه اي الذي يلي امره وصيا كان او وليا او وكيلا او ترجمانا
بالعدل فيه دلالة على جواز النيابة في الاقرار بالدين **واستشهدوا**
شهيدين اي واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان **من رجالكم** اي من
المؤمنين البالغين اما البلوغ فلا بد منه قطعا واما الاسلام فلا بد
منه ايضا ان كان المديون مسلما وان كان كافرا فاعتباره احتياطا
لانه يحتمل ان يسلم فلا دلالة في الاية على انه لا تسمع شهادة الكفار
بعضهم على بعض ثم ان المقصود بيان النصاب لا بيان الشرائط
فلهذا لم يتعرض لقيد الحرية والعقل **فان لم يكونا رجلين** فان لم يكن
الشهيدان رجلين **فرجل وامرأتان** فليشهد رجل وامرأتان من قال
هنا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي
حنيفة فكأنه ذهل عن ان الكلام في الاشهاد على الدين فان قلت
اليس كل منهما نصاب الشهادة فلا تفاوت بينهما ولا يتوقف
لصحة الثاني على عدم الاول قلت نعم لا نتوقف لصحة الثاني

على

على عدم الاول ولهذا لم يقل فان لم يوجدا فرجل وامرأتان واما عدم
التفاوت بينهما فممنوع فان الاصل هو الاول وهو الراجح ولهذا صدر
الشرطية المذكورة بأداة الترتيب **ممن ترضون من الشهداء** اي من العدول
المرضيين من الشهود **ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى** علة لاقامة
شهادة امرأتين مقام شهادة رجل واحد والضلال بمعنى النسيان
مجازا لانه سببه كما في قوله تعالى فعلتها اذا وانا من الضالين
فان قيل كيف قال ان تضل وانما الاقامة المذكورة للاذكار لا للضلال
قلنا اجاب عنه سيبويه بان الضلال سبب الاذكار فيقدم عليه لانه
سبب العلة لا لانه العلة كما يقال اعددت هذا الحائط ان يميل
فادعمه وانما اعددته للدعم لا للميل لكن قدم عليه الميل لانه سببه
والعدول عن الظاهر للاعتناء بشأن التذكير فان افضاء الفعل
اليه وكونه مقصودا من الفعل يبلغ مبلغا صار المهروب عنه مطلوبا
لاجله ومن حيث كونه مفضيا اليه واجاب عنه الفراء بانه بمعنى
الجزاء وتقديره ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الا انه لما كان قدم
ان تضل بما قبله من العامل فانفتح ويؤيده قراءة ان تضل
بكسر الالف على الشرط فتذكر بالرفع وقرئ ان تضل على البناء للمفعول
اي ان توجد ضلالة من الضلال الذي هو ضد الوجدان نحو احمدته
بمعنى وجدته محمودا ولا يخفى ما في التعليل المذكور من الدلالة على
ضعف حفظهن وقلة ضبطهن وليس ذلك الا لنقصان عقلهن
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا اي لا يمتنع المدعوون لتحمل الشهادة من
الحضور لتحمل الشهادات وكان تسميتهم شهداء قبل التحمل تنزيلا للمشارف
منزلة الكائن او لا يمتنع المتحملون اذا دعوا الى اداء الشهادة ليؤدوها
والنهي عن الاول تنزيهي وعن الثاني تحريمي **ولا تسأموا** نهي عن
الضجر والملل من كثرة المداينات **ان تكتبوه** اي لا تملوا ان تكتبوا الدين
او الحق او الكتاب كذا قالوا ويرد عليه ان الضجر والملل انما يكون
بعد الشروع فيه والاكثار منه والمراد هنا النهي عن السآمة من
ان تكتب ابتداء فالوجه ان تكون السآمة كناية عن الكسل والمصير
الى الكناية لا لانه من صفة المنافق افصح لا يجدي نفعا بل التعبير
بل لان تلك العبارة كانت دائرة على السنة المنافقين فصارت من
شعارهم ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت **صغيرا** قدم
اهتماما به وانتقالا من الادنى الى الاعلى **او كبيرا** حال لامته اي
لا تسأموا كتابة الحق والدين على اي حال كان من صغر او كبر ولا تسأموا
ان تكتبوه مختصرا او مشبعا على ان الضمير للكتابة **الى اجله** الى وقته

الذي عينه المتداينان ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر
اقسط اكثر قسطا عند الله اي في حكمه واقوم للشهادة واثبت لها
واعون على اقامتها وافسط مبني من قاسط بمعنى النسب اي ذي
قسط واقوم من قويم ويجوز عند سيبويه ان يبني افعل التفضيل
من غير الثلاثي فيكون مبنيين من اقسط واقام وادنى ان لا ترتابوا
واقرب لانتفا الريبة في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو
ذلك والمفضل عليه محذوف وحسن حذفه وقوع افعل التفضيل
خبر المبتدا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم
جناح ان لا تكتبوها استثنا منقطع اي لا تتركوا الكتابة وقتا او لعلة
ما الا وقت كونها تجارة ناجزة تتعاطونها بينكم يدا بيد او لا تكون
تجارة ناجزة على ان ما بعد الا نصب على الظرف او على المفعول له
وقري تجارة حاضرة بالرفع على ان كان التامة او الناقصة واسمها
تجارة وخبرها تديرونها وبالنصب على ان لا ان تكون التجارة الحاضرة
تجارة نقم المبالغة بدين او عين والمفهوم من تفريع نفي الجناح وهو الاثم على
الشرط المذكور في المستثني ثبوت الاثم في عدم الكتابة على تقدير
فقد ذلك الشرط وموجبه ان يكون الامر بالكتابة فيما تقدم للوجوب
فالقائلون بحجية المفهوم لا بد له من القول بوجوب الكتابة ثمة واشهدوا
اذا تبايعتم في العاجل والاجل جميعا والامر للندب ولا يضار كاتب
ولا شهيد يحتمل البنا للفاعل والمفعول جميعا والدليل عليه قراة عمرو
ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراة ابن عباس رضي الله عنهما ولا يضارر
بالاظهار والفتح والمراد نهي الكاتب والشهيد من ترك الاجابة الى ما
يطلب منهما وعن التغيير بالزيادة والنقصان او نهي المستكتب
والمستشهد عن الضرر بهما بان يعجلا عن مهم او لا يعطي الكاتب حقه
من الجعل او يكلف الشهيد مونة النقل من مسافة بعيدة وامثال ذلك
وقري الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا اي وان تضاروا وان تفعلوا
شيا مما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا
الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم
والله بكل شي عليم كرر لفظة الله ثلاث مرات متواليات وكان
الثاني والثالث موضع كناية ولهذا الباب قانون يعرف به
المستحسن من المستقبح وهو ان كل تكرير على طريق تعظيم الامر
او تحقيره في جمل متواليات كل جملة منها مستقلة بنفسها فذلك غير
مستقبح واذا كان ذلك في جملة واحدة او في جمل في معنى واحد ولم يكن
فيه التعظيم او التحقير فذلك مستقبح وهذا ظاهر في الاية فان

الجملة

114

الجملة الاولى منها حث على التقوي والثانية تذكير بنعمه والثالثة
تعظيم له متضمن لوعد ووعيد شديد وقصد تعظيم كل واحد من
هذه الاحكام فاعيد لفظة الله فيها وان كنتم على سفر بقدر مسافر بين
لما بينهما من الفرق الظاهر فان من دخل مدينة ولم ينو الاقامة
مسافر ولكنه ليس على سفر والمناسب لانه يذكر ثم تمهيدا لقوله ولم
تجدوا كاتبا هو الثاني دون الاول فرهان خبر مبتدا محذوف
اي فالذي يستوثق به رهان وهي جمع رهن وهو العين المقبوض
بالدين توثيقا له وقري فرهن وهو جمع جمع قال الجوهري كانه
يجمع رهن على رهان ثم يجمع على رهن فراش وفرش ولا يجمع فعل
على فعل الا قليلا شاذا مقبوضة نعت للرهان ودل ذلك
على ان حكمه دوام الحبس فانه لا يصير رهنا الا بانتزاع القبض
فذكر الرهن ذكر لذلك القبض ثم وصفها بالمقبوضة بعد ذلك هو
اشتراط لدوام القبض فيها وليس الغرض تخصيص الرهن بالسفر
شرطا في جوازه لكن لما كان السفر مظنة اعواز الكاتب والشهيد
ارشد المسافر الى حفظ المال بان يقيم التوثق بالارتهان به
مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه
الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية وليس بشي لان رسول الله صلى
الله عليه وسلم رهن درعه في حضر واما القبض فلا بد من اعتباره
على ما ينبت عليه انفا وعليه الجمهور وقال مالك يصح الرهن و
بمجرد الايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا
فان امن بعض المداينين بعض المديونين لحسن ظنه به فليؤد الذي
اؤتمن امانته اي فلا يجب على المديون اداء امانته الذي ائتمنه
عليها بان لم يرتهن منه شيا حقا له على انه يكون عند ظنه به وفي
تسمية الدين امانة ايضا حث للمديون على ادايه واي كان
مضمونا بخلاف الامانة وقري فان اومن اي امنه الناس بان
وصفوه بالامانة والديانة والاستغنا عن الارتهان من مثله
وليتق الله ربه نهي عن الخيانة وانكار الحق على ابلغ وجه وقد
مر وجه الجمع بين اسم الذات والوصف ولا تكتموا الشهادة
خطاب للشهود ومن يكتمها فانه اثم قلبه اثم خبر انه وقلبه
فاعل اثم اي فانه ياثم قلبه او قلبه مبتدا واثم قلبه خبره و
الجملة خبر ان وقري قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقري
واثم قلبه اي جعله اثما اسند الاثم الى القلب لكونه ابلغ من
من وجوه احدها ان يعلم انه الذي اضمرها ولم يود الى كلسان

ليطهرها فالقلب هو المعترف فيكون صاحبه قاصدا للذنب لا اللسان
فيكون كالهواد والنا في الفعل اذا اسند الى الجارحة التي عمل بها
كان ابلغ واكد كما اذا اردت التاكيد قلت هذا مما ابصره عيني
وسمعه اذني وعرفه قلبي الثالث ان القلب هو الرئيس والامثل
في البنية فاسناده اليه افاد انه يمكن في اصل نفسه وملك
اشرف محل فيه ورسخ في ذاته الرابع ان الاثام المتعلقة بالاعضا
الظاهرة اسهل واخف واسرع زوالا ما دام القلب سليما واما
القلبيات فتكون اشد وابعد واغلظ عن العفو الخامس الايذان
بان الكتمان من الكبائر المتعلقة بالعقائد كالكفر والنفاق والشرك
وامثالها ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك
بالله كقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان
الشهادة السادس القلب هو الاصل الذي يتقوم به سائر
الاعضا فافعاله هي الاصول التي يتشعب عنها افعال الجوارح الا
ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر فهو الذي
اذا اصلح صلح الكل واذا فسد فسد الكل فاذا اثم القلب اثم الكل
والله بما تعملون عليم وعيد شديد لله ما في السموات وما في
الارض ناسب ختم ما في هذه السورة من الكلام المشتمل للاحكام
العديدة والتكاليف الشديدة بذكر انه تعالى له ما في عالمي الملك
والملكوت فهو يكلف من يشا بما يشا ولما كانت التكاليف محل
اعتقادها الانفس قال وان تبدوا ما في انفسكم من السوء
او تخفوه ولا بد خروج الوساوس وحديث النفس اذ ليس في
وسعه الخلو منه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ولكن ما اعتقد او
عزم عليه يحاسبكم به الله قال الحسن ليس يعاقب الله تعالى عبده
يوم القيامة اسر عملا او اعلنه من حركة في جوارحه او هم في قلبه
دون ان يعرفه اياه يوم القيامة حتى يقرره ثم يغفر ما يسالمن
يشا ويعذب من يشا بما يشا فيغفر لمن يشا من اهل المغفرة
ويعذب من يشا من اهل العقوبة وهذا صريح في نفي وجوب
التعذيب وفي الاية دلالة على وقوع الحساب فيكون حجة على من
انكره من المعتزلة والروافض وقرا فيغفر ويعذب مجزومين على
جواب الشرط ومرفوعين على الاستئناف وتقديره فهو يغفر ويعذب
وقري يغفر بغير فا مجزوما على البدل من يحاسبكم بدل البعض من
الكل او بدل الاشتمال ومعنى الابدال تفصيل للاجمال الذي في الحساب
لان التفصيل ابين واوضح فكل ما يحتاج الى البيان يجري قبله

هذا البدل اسما كان او فعلا اذ الفعل قد يحتاج اليه الاسم والقراة هنا
اظهار الرا في الجزم وادغام البا ومن روي ادغام الرا في اللام عن ابي عمرو
فهو مخطي مرتين حيث الحن لحنا فاحشا اذ الرا لا يدغم الا في مثلها ونسبه
الى اعلم الناس بالعربية والسبب عدم ضبط الرواية لعدم
الدراية كذا قيل وفيه بحث يطلب من تفسير ابي حيان والله على كل شي
قدير فلا يعجز عن الاحيا والمحاسبة وما يعقبها من المغفرة والتعذيب
امن الرسول تنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه عليه السلام والاعتداد
به بما انزل اليه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جبريل عليه
السلام انزل على محمد عليه السلام جميع القران الا هذه الايات الثلاث
قال الله تعالى اوحيها اليه عليه السلام ليلة المعراج وبه قال
الحسن ومجاهد وابن سيرين من ربه في عبارة الرب اشارة الى ان
في الانزال المذكور تربية له عليه السلام ولهذا كان تدريجا والمومنون
كل امن بالله وملائكته ان عطف والمومنون على الرسول كان التنوين
في كل عوض عن الضمير الراجع الى الرسول والمومنون اي كلهم امن
ووحد ضمير كل في امن ليتناول كل واحد فيكون ابلغ من الجمع وان
جعل مبتدا كان الضمير للمومنين دون الرسول وباعتباره يصح
وقوع كل بخبره خبر مبتدا فيكون افراد الرسول عليه السلام بالحكم
اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن
نظر وبرهان فكانهما جنسان وكتبه ورسله ذكر الكتب بين
الملائكة والرسل باعتبار انها تنزل منهم اليه وقرا ابن عباس رضي
الله عنهما وكتابه يريد القران او الجنس وعنه الكتاب اكثر من
الكتب لما ذكر من تناوله وحدان الجنس بخلاف الكتب فانه
تناوله وحدان الجمع لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق
وقري يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقري لا يفرقون حملا على
معناه كقوله تعالى وكل اتوه داخرين واحد في الاصل بمعنى وحد
وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمونث
والواحد وما وراه وهذا العموم غير العموم المستفاد من وقوع
النكرة في سياق النفي يدل عليه انه لا يستقيم لا نفرق بين
رسول من الرسل الا بتقدير عطف اي رسول ورسول والمراد
الفرق بالتصديق لا الفرق مطلقا فان الفرق بالتفضيل
والبعثة بالشريعة منهي عنه وقالوا سمعنا اي فهمنا كما في
قوله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي
كان اطاعتنا عن اذعان وقبول لا عن تقليد على العمى او طمعا

في متاع الدنيا وقيل اي احسانا وفيه ان قوله واطعنا يغني عنه
والافادة خير من الاعادة ويجوز ان يكون المراد سمعنا قولك فيما
كلفتنا واطعنا امرك في ذلك غفرانك ربنا منصوب باضمار فعله
يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك اي من التقصير في حقك
وفي عبادتك التي لا نوفي حقها لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما
يسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود
وهذا اخبار من عدله ورافته كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولانه
كان في طاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج
اكثر من حجة وفيه دلالة على عدم وقوع التكليف بالمحال واما انه
ممتنع فلا دلالة عليه بل الظاهر من الاخبار عن عدم وقوعه امكانه
لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر وتقديم لها وعليها
على الكسب والاكتساب للتخصيص اي لا يثاب بخيرها ولا يواخذ
بشرها غيرها بل يختصان بها وتخصيص الكسب بالخير
والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه
النفس وتنجذب اليه فكانت احق بتحصيله واعمل بخلاف
الخير كما فيه التنبيه على زيادة اللطف وكمال الفضل
حيث يثيب على الخير كيفما وقع ولا يعاقب على الشر الا بعد الاعتمال
فيه وقوة التصرف ربنا اي يقولون ربنا كما تقدم وما بينهما اخبار
من الله تعالى والاعتراض قبل تمام الكلام كثير في القران لا تواخذنا ان نسينا
او اخطانا النسيان والخطا مجازان من باب اطلاق اسم السبب
على المسبب ان فرط بسبب النسيان او الخطا او من باب اطلاق اسم
المسبب على السبب اي لا تواخذنا بما ادى بنا الى النسيان والخطا
من تفريط وقلة مبالاة ويجوز ان تكون على حقيقتهما اذ لا تمتنع المواخذة
بهما عقلا كقوله لكنه تعالى وعد التجاوز عنهما رحمة وفضلا فيجوز
ان يدعو الانسان فيه استدامة واعتدادا بالنعمة فيه وقوله عليه
السلام رفع عن امتي الخطا والنسيان يحتمل المعنيين ايضا لان المرفوع
اثرهما لا نفسهما وعلى هذا يصح ان يراد المعنى الاول ربنا تكرير للمنادى
فلا يخل بعطف قوله ولا تحمل علينا على قوله لا تواخذنا اصرا الاصر العبء
الذي ياصر صاحبه اي يحبسه في مكانه لا يستقل به لثقله والمراد به
التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة في الطلب
لان المطلوب انتفاؤه كما حملته حملا مثل حملك اياه على الذين من قبلنا
من الامم او مثل الذي حملته عليهم فيكون صفة لاصرا والمراد به
ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة

لفظ واليك المصير ساقط

وخمسين

وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بالامم السالفة
طلبوا الاعفاء عن التكاليف الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما
نزل بهم من العقوبات لتفريطهم في المحافظة عليها وقيل هو
تاكيد للاول بالتكرير والمراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع
من التكاليف وهذا دليل على جواز التكليف بما لا يطاق ولم يتعين
هذا المعنى مرادا من الاية حتى تتم الدلالة فيها على جوازه لو
والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى المفعول الثاني واعف عنا
قال الازهري كل من استحق عقوبة فتركتها فقد عفوت عنه
لفظ اللازم والمتعدي سوا يقال عفا الله عن العبد عفوا
وعفت الرياح الاثر عفا فعفا الاثر عفوا واغفر لنا واستر
ذنوبنا ولا تفضحنا بكشف عيوبنا والعفو لا يستلزم الستر فلا
تكرار وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا
ونحن عبيدك او ناصرنا ومتولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعدا او فان ذلك من امورنا
التي توليها ختمت السورة الكريمة بما بدئت به من اثبات
توحيده وصفات جلاله والنبوات والمعاد والقضا والقدر في
ضمن ذكر المومنين السامعين المطيعين وهم المتقون الذين
جعل الكتاب هدى لهم وبين شمول لطفه في شان هذا النوع
وخصوصا هذه الامة وجعل ختام ذلك كله ما يدل على ان
كمال حال المومنين المطيعين ان لا يزال مستمدا من بحر جوده
بالسنة الاستعداد والحال والمقال فيتدارك ارتقاؤه في مدارج
الكمال ومعارج الجلال والحمد لله على التمام والصلاة على نبيه
سيد الانام وعلى اله وصحبه الكرام ما تعاقب الليالي والايام

سورة ال عمران مكية في قول عكرمة والحسن البصري ومدنية في قول عامة اهل التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الافصح ان يوقف على ميم كما وقف على الف ولام
كما هو قراءة ابي بكر في رواية عن عاصم واطبق سائر القراء على فتح
الميم بطرح الهمزة للتخفيف والقاء حركتها عليها وهي في حكم
الوقف والهمزة في حكم الثابت ومن قال ان الحركة لالتقاء
الساكنين لم يرد بالساكنين الياء والميم من الالف لام ميم في
الوقف بل اراد بهما الميم ولام التعريف فنظيرها النون واللام
في من الرجل فلا يرد عليه انه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم

يحرك في لام لما عرفت انه اعتبر التقا الساكنين من كلمتين ثم ذكر ليبين
بنظيره لانه في كلمة واحدة والفرق واضح واما قراة الكسر فما جوزها
الاخفش ولم ينقل عن احد من السبعة الحي القيوم اسم الله الاعظم بدلالة
ما روي انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله
لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل
عليك الكتاب القران منجما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره
ومواعيده او بالبينات المحققة انه من عند الله تعالى وهو في
موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب الالهية المنزلة
على الانبيا السالفة عليهم السلام الحاضرة عند نزوله وانزل جملة
التورية والانجيل اسمان عبرانيان فلا يدخلهما اشتقاق عربي بعض
النحاة ثم تكلموا فيهما على كونهما عربيين فالتورية فوعلة او تفعلة
بكسر العين او تفعلة بفتحها من الوري والانجيل افعيل من النجل من قبل
تنزيل القران هدى للناس على العموم واختصاص الكتابين المذكورين
ببني اسرايل من جهة التكليف لا ينافي عمومها الجنس الانس من جهة الهداية
فان من تعبد بهما قبل الانتساخ فقد اهتدى وان لم يكن من بني
اسرايل على ان كونهما هداية الى اصول الدين لا يختص بقبل النسخ
ولهذا قال تعالى فبهداهم اقتده وانزل الفرقان رابع الكتب الاربعة
وهو الزبور لان الظاهر من العطف خصوصا مع اعادة لفظ انزل
التغاير بالذات وانما خص بعبارة الفرقان جبر النقصان المتوهم
من جهة تاخير ذكره عن قوله هدى للناس فكانه قيل في الكتب الثلاثة
شرايع هي هداية للناس وفي هذا الكتاب حكم يفرق بها بين الحق والباطل
ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها من المعجزات لهم عذاب
شديد مخصوص بنوع لا يعرف كنهه من العذاب الشديد والله عزيز
غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام تنكيره دل على قوته كما ان
اقترانه بصفة العزة فدل على قوته كيفا حيث لم يتصور ايذاعه
فهم من الجملة معنى قوله لا يقدر له انتقام لا يقدر قدره من الشدة
ولا يقدر على مثله منتقم والنقمة مطلق العقوبة لا عقوبة المجرم
خاصة وعيد جي به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة
في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا
يخفى عليه شي في الارض ولا في السما عبر عن العالم بقطريه وتقديم
الارض لان المقصود بالذكر ما اقترف فيها كانه قيل يوعدهم الله
الذي لكمال القدرة والغلبة والعلم باحوال العباد هو على الانفراد
والتفيق الذي يصوركم في الارحام كيف يشا من الصور وقد

تصوركم

تصويركم اي يصوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره
جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز المنيع في ملكه وحكمه
الحكيم في قوله وفعله قيل هذا احتجاج على من زعم ان عيسى عليه
السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم نزلت سورة من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج
به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات
في موضع النصب بالحال من الكتاب او كلام مستانف موضح لحاله
محكمات احكمت بظهور دلالتها على المعنى المراد هن ام الكتاب اي
اصله الذي يحمل المتشابهات عليه ويرد اليه وانما افرد الام تجريدا
للكلام للدلالة على ما يساق له واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف
لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان القياس
ان يعرف ولم يعرف لانه في معنى المعرف او عن اخر من متشابهات
محتملات لكونه معنى واحدا او غير ظاهر الدلالة وفايدته بعث
النفوس على النظر والتفكر وتحريض القلوب على التامل والتدبر
ليتميزن في الاستدلال واستخراج الدقايق وابراز مكنونات من
الحقايق ويزداد حرصهم على تحصيل العلوم المتوقف عليها
استنباط المراد من المتشابهات والتوفيق بينها وبين المحكمات
فان الاتيان بذلك ينال من الثواب والدرجات ما لا ينال
بالغلب في العبادات والمواظبة على ساير القربات ومن وهم
انه لو كان كله محكما لتعطل الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله تعالى
الا به فقد وهم اذ لا يلزم من ترك التامل في معرفة معاني الالفاظ تركه
في ترتيب المعقول على البعض واستنباط ما فيها من العلل النكات
والفروع وغير ذلك واما المراد المحكم في قوله احكمت اياته المحفوظ
من فساد المعنى وركاكة اللفظ ومن المتشابه في قوله كتابا متشابها
المشتبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ فاما الذين
في قلوبهم زيغ ميل عن الصواب وتعرف للحق كما ان فيه محال الرد اليه
واما للتفصيل حال الفريقين السالكين مسلكي الصرف عنه والصرف
اليه وانما اقتصر على ذكر الاول منهما لظهور حال الثاني فيتبعون
ما تشابه منه فيتعلقون المتشابه المحتمل لما يطابق اهواهم
ولا يلتفتون الى المحكمات وكان حقهم ان يتبعوها ابتغا الفتنة
طلب ان يفتنوا الناس ويضلوهم عن الحق وابتغا تاويله الذي
يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون اي الذين ثبتوا وتحققوا
في العلم وتمكنوا منه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثره

الله تعالى بعلمه وعجز فهم الخلق عنه من ايانه فلم يطلع عليه احد لا يقال لو لم يكن للراسخين حظ من علم المتشابه الا ان يقولوا امنا به بالله كل من عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال لانهم ايضا يقولون ذلك لانا نقول ليس الكلام في اثبات الفضيلة لهم في بيان اختصاص علم المتشابهات بالله تعالى فالمعنى ان الراسخين مع ما فيهم من المزية والفضل يقفون عند التصديق الاجمالي ولا يتجاوزون عنه الى حد التفصيل بالتفسير او التاويل فكيف من دونهم يقولون امنا كلام مستانف موضح لحال الراسخين او حال منهم وخبر ان جعل والراسخون مبتدا مسنانفة بالمتشابه او بالكتاب كل من عند ربنا اي كل من المحكم والمتشابه منزل من اللوح المحفوظ عنده تعالى وما يذكر الا اولو الالباب مسرور على سبيل المدح للراسخين المحققين في العلم وايما الى انهم جردوا عقولهم من قرش الاوهام والحيالات وشوب الاهوا والعادات فهم اهل اللب الخالص لا يحوم غيرهم حول التذكر والتفكر ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وما بينهما اعتراض ويحتمل الاستئناف على اضمار قولوا والمعنى لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه تاويل باطل قال عليه السلام قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شا اقام على الحق وان شا ازاغه عنه وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ منها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق ويندرج فيه الايمان بالقسمين اندراجا اوليا بعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة ترشدنا بها الى كل خير وصلاح وتعصمنا بها عن كل شر وفساد انك انت الوهاب كثير الهبة وهي ما ليس على الفاعل فعله ولا دلالة فيه على ما هو الحق في الخلافية المشهورة لان المعتزلة لا ينكرون الافضال بعد اداء الواجب ربنا انك جامع الناس ليوم المراد من اليوم واقعة القيامة وللتكثير للتهويل لا ريب فيه في وقوعه ان الله لا يخلف الميعاد اي للداعين بالاجابة وللمطيعين بالاثابة واقامة القيامة كما وضع اولو الالباب موضع اولئك للمدح والتسجيل بالثبات على طريقة الالتفات من الخطاب الى الغيبة ووضع اسم الله في موضع انك للتعظيم واما افادة معنى التنافي بين الالوهية وخلف الميعاد فمرادها على التعبير بالاسم المذكور لا على الالتفات غايته وحد التعبير المذكور هنا في ضمنه ان الذين كفروا يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من جهة رحمته وطاعته كانه قال لا يقوم بدل رحمته او طاعته فيغني عنهم اغناؤهما

واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كداب ال فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء كداب هم في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه ثم غلب استعماله في معنى الشان والذين من قبلهم عطف على ال فرعون او استئناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استئناف تفسير حالهم وخبر على تقدير الاستئناف بالذين والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا اي المشركين مكة وقيل اليهود ستغلبون يوم بدر او بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على ما عداهم وتحشرون الى جهنم وقرئ بالياء فيهما على الغيبة الاخبار بمعنى بلغهم كلام الله تعالى وعلى الخطاب بالغيبة وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استئناف اي بئس المهاد جهنم او ما مهدوا لانفسهم وفي عبارة المهاد تهكم بهم قد كان لكم اية الخطاب لقريش او اليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة صح الابتداء بالنكرة لانه في موضع تفصيل وثمة صفة محذوفة تقديرها فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله واخرى معطوفة على فئة تقديره واخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت كما قال الله تعالى الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت حذف من الجملة الثانية ومن الثانية ما اثبت مقابله في الاولى وهذا من الاختصارات البليغة يرونهم مثليهم اي يرى المشركون المؤمنين مثل عددهم وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر او مثل المشركين وكانوا قريبا الف وهذا لا ينافي قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم لانه يجوز ان يكون التقليل من جهة العدد فلا ينافي التكثير من جهة العدد ويكونان في حالة واحدة كيلا يجبنوا كل الجبن فيحجموا عن القتال ولا يجترؤا كل الجراة فيستعدوا للامر وهذا اولى من التوفيق بينهما بان التقليل في اول الملاقاة والتكثير بعد ذلك او ترى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والقراءة بالتاء الفوقانية يؤيد هذا ان كان الخطاب للمؤمنين ويؤيد المعنى الاول ان كان الخطاب لقريش وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك

بقدرته وقرئ فيه بالجر على البدل من فئتين والنصب على المدح وأخرى
كافرة على الذم او الحال من فاعل التقتا رأي العين لا بد من صرفه عن ظاهره
لان الروية بمعنى الابصار لا يتعدى الى المفعولين ومثليهم مفعول
ثان لا حال لعدم ثبوت تلك الحال في الواقع او اخذ من الغيبين فالمراد
معناه المجازي وهو العلم الحاصل بسبب روية العين والله يؤيد
بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي فيما ذكر من غلبة
المسلمين على قلتهم وضعفهم الكافرين على كثرتهم وشوكتهم بالكيفية
المذكورة لعبرة لعظة لاولي الابصار لذوي البصاير او لمن ابصرهم
زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة
وايما الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهواتها وهي توقان
النفس الى الشيء والمزين في الحقيقة هو الشيطان لان التزيين
صفة تقوم به فمن قال المزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال
والدواعي فقد اخطا في المدعى وما اصاب في الدليل على ما سبق
تفصيله في تفسير سورة البقرة وانما سلطه الله تعالى على تزيين
ما ذكر لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة القناطير جمع القنطار وهو المال الكثير
والمقنطرة ماخوذة منه للمبالغة اي من شان العرب ان يشتقوا
من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه ما يتبعونه به
تاكيدا وتنبيها على تناهيه من ذلك ظل ظليل وداهية دهيا وبدرة
مبدرة ويحتمل ان يكون من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة
لانه بناء مشيد من الذهب والفضة والخيل المسومة والخيل
الافراس سميت خيلا لاختيالها في مشيها والمسومة المعلمة
من الوسمة وهي العلامة والمرعية من اسام الدابة وسومها او
المطهمة اي تامة الخلق من السومة لانها كانها علم في الحسن او من
السوم في البيع لانها تسام كثيرا والانعام الابل والبقر والغنم
والحرث هو القاء البذر وتهيئة الارض والزرع مراعاتا تدوانا له
ولهذا قال الله تعالى افرايتم ما تحرثون اانتم تزرعونه ام نحن الزارعون
فاثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع ذلك اشارة الى ما ذكر متاع
الحيوة الدنيا المتاع ما يستمتع به مدة ثم يفنى والله عنده حسن
المآب المرجع وفي الاشارة بذلك اشارة الى بعد تلك المشتهيات
عن الله تعالى وتقديم اسم الله تعالى على ما عنده تقرير لذلك
البعد لتخصيص علوه به وذكر الحسن وتقديم الظرف عليه
اشارة الى ان الحسن يختص بالعندية وايما الى قبح الشهوات

البعيدة

البعيدة والمقصود التحريض على ان ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية
على الشهوات الناقصة الفانية قل ءانبيكم بخير من ذلكم تقرير لخيرية ما عند
الله من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها استئناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع
جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة
قد سبق تفسيره في سورة البقرة ورضوان من الله جمع بين التكثير المستفاد
من التنكير والتشريف المستفاد من قوله من الله فهو ابلغ من رضوان الله
والله بصير بالعباد اي يثيب ويعاقب على استحقاقهم او بصير بالذين
اتقوا وباحوالهم فلذلك عدلهم الجنات على حسب درجاتهم الذين يقولون ربنا
اننا امنا نصب على المدح او رفع عليه او جر صفة للمتقين او العباد
فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار في ترتيب السؤال على مجرد الايمان
دلالة على انه وسيلة كافية في طلب المغفرة الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك
على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب
والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها عن الفضائل
والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو
القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل
الخير واما الطلب فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها
وتوسيط الواو بينها للدلالة على انهم جامعون لها واما لدلالته على
استقلال كل من المعطوفين وفيه انه غير مسلمة فان دلالتها على الانضمام
على ما ياتي في تفسير سورة التوبة وتخصيص الاستغفار بالاسحار
لانها اصفى اوقات العبادة فانهم كانوا يحدون قوامين بالليل
يتقربون الى الله تعالى فيكون طلب الحاجة بعده احسن واقرب
الى الاجابة لتعاضد الامرين صفاء الوقت والتقرب الى الله بالطاعة
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه شهد الله انه لا اله
الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات
الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم من الثقلين بالاحتجاج
عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد
والدلالة والاقرار والاحتجاج من افراد معنى مجازي هو الامر
المشبه بالشهادة لا معاني مجازية ليمتنع الجمع بينها في الارادة
وانما لم يجعل تقدير فعل اخر ليكون الاول مجازا والثاني حقيقة
لانه خلاف الظاهر مع الغنية عنه بالمجاز المستفيض قائما بالقسط
للعدل في قسمة الارزاق والاجال والعقاب وتعيين الشرائع والاحكام

بين العباد وانتصابه على الحال من والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما
وهذا اوجه الاوجه لانه اقرب وادل على المقصود اعني دخول
التعديل تحت الشهادة كالتوحيد واوفق بما عليه غالب الاستعمالات
من كون الحال المؤكدة عقيب الجملة الاسمية واما انتصابه على
المدح فلانه نكرة والمنتصب عليه معرفة فيمنعه القياس ولم يرد به
الاستعمال وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف
لا اله الا هو كرره ليؤكد المشهود به على ما هو عليه في نفس الامر
ويقرر ان الاصل في الدين هو التوحيد والعدل لازم له لزوم
الظل للذات ولهذا اكدهما بقوله العزيز اي الغالب بوحدته على
كل شيء لا يغالبه شيء فيكون الها الحكيم الذي يوفي كل ذي حق
حقه ولا يعدل عن العدل في افضاله فهما صفتان مقررتان
لهما ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهدت
ان الدين عند الله الاسلام كلام مستانف لانه لما قرر اصل الدين واساسه
باطنا وظاهرا وهما التوحيد والعدل اتجه ان يقال فما الدين
الذي يجب ان يتدين به بعد هذا الاعتقاد فاجيب بان الذي
يستاهل ان يسمى دينا ويتدين به عند الله ويقبل هو الشرع الذي
جاء به محمد عليه السلام وقرئ بالفتح على انه بدل من انه بدل
اشتمال وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني
واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه
معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى
الا من بعد ما جاءهم العلم من بعد ما تمكنوا من العلم بحقيقة الامر
بالايات البينات لا خفا في ان المراد اختلافهم فيما بينهم على
ما دل عليه قوله بغيا بينهم حسدا وطلبا للرياسة اذ انقسمت
اليهود الى قراي وربانى وانقسمت النصارى الى ملكى ويعقوبي
ونسطوري وكل طائفة يكفر من خالفها بعد ان كانت اليهود
امة واحدة والنصارى كذلك وقد تمكنوا من العلم بحقيقة الامر
بالكتب المنزلة عليهم من التورية والزبور والانجيل ومن يكفر بايات
الله يرشدك هذا الى ان المراد من مجيء العلم مجيء ما يفيد من
الايات فان الله سريع الحساب اي لا يهمل في حسابه ولا يمهل
فان الحساب كناية عن عدم الاهمال في الجزاء وسرعته كناية
عن عدم الامهال في الايصال وهذا اية وعيد شديد في الغاية
فان حاجوك ولم يقل فيما ذا التنبيه من الجواب انه في الدين
فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجعلتني له لا اشرك فيها

غيره فالوجه مجاز عن نفس الشيء وذاته كما في قوله ويبقى وجه ربك او عن جملة
الشخص تعبيرا عن الكل باشرف الاجزاء المقصود والمبالغة بجعل كل البدن
محلا للاخلاص والفا للترتيب على ما فهم مما تقدم من ان اختلافهم في الدين لغرض
دنيوي لا لاظهار الحق وازالة الشبهة فلا يجدي المجادلة معهم والاحتجاج
عليهم ولهذا امره عليه السلام بالجواب المفصح عن الاعراض عن محاجتهم ومن
اتبعن في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره
اسلم وجهه لله ولا يجوز عطفه على الضمير في اسلمت لاستلزامه في المفعول
ولا صحة لها وحمل الواو على معنى مع لا يقتضي الى ذلك الا ان حق مع ان
يدخل المتبوع وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب فيهم
كمشركي العرب ااسلمتم استفهام فيه استقصار وتعيير بالمعاندة
قد جاءكم من البينات ما يوجب الاسلام ولم يبق معه شبهة فهل اسلمتم
ام انتم بعد على كفركم وعنادكم فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا
انفسهم باخراجها من ظلمة الضلال الى نور الهدى وان تولوا فلم يضروك
فانما عليك البلاغ فان الرسول ما عليه الا البلاغ وقد بلغت وبالغت
في الحجة والله بصير بالعباد وعد للرسول ووعيد لهم ان الذين يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق قد مر في سورة البقرة بغير
الحق اي بغير الحق الذي يجعله الله تعالى واذن فيه والتنكير هاهنا
على معنى ان القتل يكون بوجوه من الحق فمعناه يقتلون بغير الحق
من تلك الحقوق ويقتلون الذين يامرون بالقسط قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل
ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة
رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم وهو
الذي ذكره الله تعالى وفائدة البيان بقوله من الناس للتنبيه
على انهم قتلوا لامرهم بالقسط لا لخصوصية فيهم ووجه المضارع الدال
على الاستقبال والحال مع ان قتل الانبياء انما كان فيما مضى ان اوايل
اهل الكتاب قتلوا الانبياء واتباعهم الامرين بالقسط والمعاصرين لهم
راضون بذلك وقاصدون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين
وذلك في حكم القتل فكانوا مستمرين على قتل الانبياء واتباعهم فصح
المضارع الدال على الاستمرار ويكون الحكم بالقتل على المعاصرين
تغليبية فقوله فبشرهم بعذاب اليم لا على المجموع لئلا يلزم الجمع بين الحقيقة
والمجاز على ان الماضين قد تعرضوا والمعاصرين لم يباشروا
فالاستمرار على القتل في الكل ايضا مجاز فلا جمع وقد منع سيبويه

ادخال الفا في خبر ان كليت ولعل ولهذا قيل الخبر أولئك الذين حبطت
اعمالهم كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق ان ان لا يغير معنى الابتدا
بخلاف ليت ولعل في الدنيا والاخرة اي لا ينتفعون بها نفعا لا في
الدنيا ولا في الاخرة وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب واعتبر
مقابلة الجمع بالجمع والا فنفي المفرد ابلغ الم تر تعجيب من حالهم وتنبيه
على سوء صنيعهم الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود
فانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية لافادة التكثير واللام للعهد
والمعهود التورية ومن اما للتبعيض لان ما فهموه منه وقوعه ليس
الا البعض منها لتعذر احاطة البشر بكنه كلام الله تعالى واما للبيان
بمعنى ان النصيب الوافر الذي اوتوه هو التورية وعلى هذا فالانسب
ان يفسر الايتا بالانزال عليهم واطلاعهم لا بالتحصيل ويجوز ان
تكون للجنس ومن للابتدا او للتبعيض وان تكون للعهد والمعهود
اللوح ومن للابتدا والنصيب التورية ووصفها بالعظم انسب
من وصفها بالكثرة يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم حال او
استيناف وكتاب الله هو التورية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت
فقال عليه السلام على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا
فقال هلموا التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل في الرجم وقد
اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله تعالى القران لانهم قد
علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم
بعد علمهم ان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم
الاعراض اعتراض او حال لتغليظ فائدة تقييد التولي به وان استعماله
ان يكون حالا موكدا وقرئ ليحكم على البنا للمفعول والوجه ان يراد
ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من
لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو
التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق وهم الذين لم
يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا
بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشارة الى
التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ
والطمع الفارغ والسبب في الحقيقة زعمهم اياه الا انه عبر عنه بالقول
تنزيلا لمعتقدهم الفاسد عن منزلة العقايد الفاسدة الى حالة
الاقوال الباطلة التي لا طايل تحتها وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون

من ان اباهم الانبيا يشفعون لهم والغرور والاطماع فيما لا يصح اي غرهم
الضعفا قول الكبرا وانما سماه افترا وهو اختلاق الكذب على الغير لانهم
اضافوا القول الى التورية فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما اعد
لهم من العقاب وتهويل لهم اي فكيف يصنعون او كيف يكون حالهم اذا وقعوا
فيما لا حيلة لهم في دفعه ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت قيل فيه دلالة
على ان العبادة لا تحبط وان المومن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله
لا يكون في النار ولا قبل دخولها واذا هي الخلاص ويرد عليه انا لا نسلم ذلك
فانه يجوز ان يكون فيها بتخفيف العذاب وقبلها بدفع بعض الاهوال
عند موقف الحساب والمرور على الصراط وهم لا يظلمون بنقص ما وعد
من اجورهم والضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم
الميم عوض من يا ولهذا لا يجتمعان وذلك من بعض خواص هذا الاسم كدخول
تا القسم وبا مع حرف التعريف وقطع همزته مالك الملك اللام للاستغراق
يفيد العموم وهذا ندا ثان عند سيبويه لان الميم عنده تمنع الوصفية
تؤتي الملك من تشا اللام للاستغراق هنا وفي قوله وتنزع الملك ممن
تشا للماهية التي تختص بوجود فرد منه فهما خاصان اي تعطي من
تشا النصيب الذي قسمت له منه وتنزع ممن تشا النصيب الذي
اعطيته منه وتعز من تشا وتذل من تشا في الدنيا بالنصر والادبار
وفي الاخرة بالتوفيق والخذلان بيدك الخير انما خص الخير بالذكر لعدم نسبة
الشر اليه تعالى على ما وقع التصريح به في الحديث النبوي حيث قال
والخير في يديك والشر ليس اليك ولما احتمل ان يظن ان الشر خارج عن
حيز قدرته دفع بقوله انك على كل شي قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار
في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشا بغير
حساب لما ذكر قدرته في ايتا الملك والنزع والاعزاز والاذلال عقبه بالتنبيه
عد ايات القدرة الباهرة بذكر الليل والنهار وزيادة كل منهما بنقص الاخر
وذكر الحي والميت واخراج كل منهما من الاخر وذكر سعة فضله دلالة على
ان من قدر عليها ان يرزق من يشا من عباده بغير حساب المحيرة للعقول
والافهام ثم قدر عليك ان يرزق من يشا من عباده بغير حساب فهو قادر
على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم ويرزقهم
بغير حساب والولوج الدخول بشي بكلفة واستعير هنا للحوق قدر من
الليل بالنهار وقدر من النهار بالليل بالعكس على وجه يكون اللاحق من
جنس الملحوق والمراد من اخراج الحي من الميت وعكسه انشا النسمة
الحية من النطفة الميتة والنطفة الميتة من النسمة الحية وقيل هو
اخراج المومن من الكافر وعكسه وفيه انه ليس من الايات الباهرة التي

تستحق ان يستند اليها على ما ذكرو ذكر من مع ان الرزق غير مخصوص بذوي
العقول للتنبيه على ان رزق هذا الجنس وهو اقل افراد امن جنس الاخر اذا
كان خارجا عن حد الحد فالخروج عنه في الجنس الاخر فى الكل بطريق الاولى
لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة
ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة من دون
المومنين اي لا تتخذوهم اوليا متجاوزين ولاية المومنين فان لهم في موالاتهم
مندوحة عن موالات الكافرين فلا توثروهم عليهم بالولاية ومن
يفعل ذلك اي اتخاذهم اوليا فليس من الله في شي فليس من ولاية الله
في شي يطلق عليه اسم الولاية فان ولاية العدو عداوة وهم اعدا الله
الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاوه في محل
النصب على الظرف اي الا وقت ان تتقوا قيل عدي تخافوا وتحذروا
فتعدي بمن كان هذا القايل ظن ان خاف وكذا اخذ ولا يتعدي بنفسه
ولم يحسب ويكون تقاة نصبا على المصدر بمعني تتقي وقري تتقيه
فعلية بمعني مفعول ونصبه بالمصدر ايضا ويجوز ان يكونا مصدرين
ان جعل مفعولا به ففيه مبالغة شديدة حيث كان الرخصة معلقة
بشدة الخوف حتى كان المحذور من غاية كونه مخوفا كانه نفس الحذر
وفيه التفات ولا يخفى ما فيه من اللطف فانهم لما نهوا عن فعل ما لا
يجوز جعل ذلك في اسم غايب فلم يواجهوا بالنهي ولا وقعت المسامحة
والاذن في بعض ذلك واجهوا به ايذانا بلطف الله تعالى بهم وتشريفا
بخطابه اياهم ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة الاعدا
وعيد شديد مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان
المحذور منه عقاب يصدر منه فلا يوبه دونه بما يحذر من
الكفرة والى الله المصير دون غيره فلا تفوتونه ولا يمكنكم الحذر ايضا
ويليق عند مخالفته ثم بين قوله ويحذركم الله نفسه بقوله
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله وهو بيان من باب
التعليم كاقامة البرهان اي ان تخفوا ما في صدوركم من ولاية الكفر
وغيره مما لا يرضي الله به او تبدوه يعلمه الله تعالى ويستوي عنده
الاخفا والابدا فذكر قوله او تبدوه بعد قوله ان تخفوا مع انه
مغني عنه لتقرير معني التسوية المذكوره وهو قوله كهلا في قوله
ويكلم الناس في المهد وكهلا اي وكيف لا وهو يعلم ما في
السموات وما في الارض فانه مطلع بالذات على الاشيا كلها سرها
وعلنها والله على كل شي قدير فهو القادر على عقوبتكم وفي اظهار ذكر
الله في المواضع الثلاثة وتقديمه على المصير مع ان الموقع موقع

الاضمار

الاضمار ايعاد شديد وتربية للعلم والقدرة والمهابة بانه هو العالم القادر
دون غيره ولا يخص علمه وقدرته ببعض المعلومات والمقدورات دون
بعض فيجب ان يحذر ويتقي يوم تجد نصب بمضمر نحو اذكر او بيود اذ
بضيع توصيف اليوم بوجدان كل نفس ما عملت من خير محضرا بل يحمل
ان لا يصلح منشا لتلك الودادة والاصل في مثل ذلك هو المتشابه كل نفس
اي كل نفس عاملة للخير وهي النفس المومنة لعدم الخير للكافر وحذف
الوصف لدلالة قوله ما عملت من خير محضرا عليه وفيه اشارة
بشارة للمومنين لانه ذكر انه يجد الخير محضرا ولم يذكر في حقه احضار
الشر لازمنة ما يغفر ولا يحضر قال الله تعالى اولئك الذين يتقبل عنهم
احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيأتهم واذا ظهر حضور العمل بنفسه
من الخير والشر على ما نطق به الخبر عن خير البشر فلا يجوز الصرف
عنه بلا صارف وما عملت من سوء مبتدا وخبر تود لو ان بينها وبينه
اي تحب متمنيا اي بينها وبين ذلك اليوم مسافة ولا يجوز ان
يكون تود حالا من الضمير في عملت لان عملها للبس في حال الودادة
المذكورة وعلى قراة ودت يجوز ان تكون ما شرطية وكذا على قراة
العامة عند التخفيف ولا يا باه رفع يود لان الشرط اذا كان ما
ضيا والجزا مضارعا جاز فيه الرفع والجزم لكن الحمل على الجملة
الاسمية اوقع في المعني لانه حكاية الكاين في ذلك اليوم امدا بعيدا
والامد المسافة او الزمان ويحذركم الله نفسه ذكره فيما سبق للمنع عن
موالات الكافرين وذكر للحث على عمل الخير والمنع عن عمل السوء فلا تكرار
والله روف بالعباد يعني ان المبالغة في تحذيرهم واستيقاظهم عن الغفلة
وتذكيرهم كمال علمه وقدرته واحاطته بهم من الرافة العظيمة بالعباد
لانهم اذا انتبهوا او عرفوه حق معرفته حذروا سخطه وطلبوا رضاه
فنجوا ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لاحاطة علمه وكمال قدرته
ورفقه فهو مرجو لسعة رحمته ورافته ولطفه كقوله ان ربك لذو
مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة امر وجداني
لا يمكن تعريفه بحسب الحقيقة كما قيل حقيقة الحب لا تحكى لفاقدها
والواجد استبشع التعريف بالقيل لا يعرف الشمس الا من يشا
هدها للكلم في تعريفها عين تفصيل واثرها الحادث في القلب ميل
الى المحبوب لكمال ادركه فيه بحيث يحمله على ما يقربه اليه فمحبة الله
تعالى تقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة
بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص
على طاعته يحببكم الله جواب الامر اي يرضى عنكم ويقربكم من جنابه

عزه ويبويكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة و
المشاكلة ويغفر لكم ذنوبكم ما سلف من ذنوبكم والله غفور رحيم لمن
يتحبب اليه بطاعته ومتابعة نبيه قل اطيعوا الله والرسول ذكر الله
توطئة لذكر الرسول تخصيصا له بالله تعالى وتعظيما لكون الطاعة نو
لذكر الرسول محل ان المتابعة كانه قال فان لم تتبعوني فاطيعوني ونوه
بذكر الرسول والالتفات واكد تعظيمه فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا
ضنبا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
قد سبق انفا بيان معنى حب الله اثبت الكفر لتاركي طاعة الله والرسول
بوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالكفر وحصر الكفر فيهم و
بافادة انهم جنس الكفار ليلزم ان تارك المتابعة ليس بكافر ما دام
مطيعا لانها لا يتيسر لكل واحد من احاد المسلمين مومنا الى ان الذي
لم يتيسر له المتابعة في سلوك طريقه فعليه بالطاعة كما امروا لما كا ن
قيل ان الله اصطفى ادم ونوحا بالرسالة والخصايص الروحانية
والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة
الرسول وبين انها الجالبة لمحبة الله تعالى عقب ذلك ببيان مناقبهم
تحريضا عليها وآل ابراهيم اسماعيل واسحاق عليهما السلام واولادهما
وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران على العالمين موسى
وهارون عليهما السلام والمراد عمران المذكورين بصهر وقيل عمران
ابن ماثان والد عيسى ومريم بنت عمران المذكور ذرية بعضها من بعض
حال وبدل من الالين او منهما ومن نوح وادم اي انهم ذرية واحدة
متشعبة بعضها من بعض والذرية لما كانت مشتقة من الذرة
وهو الخلق شملت الكل لان الاب خلق منه الولد والولد خلق من الاب
وقيل بعضها من بعض في الدين والله سميع عليم باقوال الناس
واعمالهم ويصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة
عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني
فتنتصب اذ بسميع ومنع توصيفه عن العمل غير مسلم وقيل نصبه
باضمار اذكر محررا نصب على الحال اي معتقا بخدمته مخلصا للعبادة
لا اشغله بشيء قيل كان بنوا اسرائيل لم يكن لهم غنايم اعدايهم فلم يكن
لهم مماليك يعتقونهم وكانوا يحررون اولادهم تقربا الى الله تعالى
ويقطعون منافعهم عن انفسهم ويبعثونهم الخدمة بيت الله فتقبل
مني ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على الرضا به انك انت السميع لقولي العليم
بنيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها الضمير لما في بطنها وتانيثه
لانه كان انثى حتى يكون كقولك وضعت انثى انثى بل نظرا الى الحال

او على

او على تاويل النفس او النسمة وانثى حال من وضعتها وهو بمعنى ضمير ما في بطني
للحان في الحال كثيرا واحدا غاقالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان
تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي
وضعته وهو استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرئ
وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل الله تعالى فيه سرا
والانثى كان خيرا وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها وليس الذكر
الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها بيان لقوله والله اعلم بما وضعت
والتعريف فيهما للعهد قيل ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر
كالانثى سيان فيما نذرت فيكون التعريف للجنس وفيه ان مقصودها
تنقيص الانثى بالنسبة الى الذكر والمشهود في مثله ان ينفي عن الناقص
شبهه بالكامل لا العكس واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها
وما بينهما اعتراض واراد بذلك التقرب الى الله والعصمة لها لان مريم
في لغتهم بمعنى العابدة فلعل الله يصدق فيها ظنها ويجعلها طبقا لاسمها
فتقوم مقام ما نذرته لانراها كيف اشعته بقوله واني اعيذها بك
اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي
بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه
حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها والحديث مذكور في الصحيحين
ولا صارف عن ظاهره فمن تردد في صحته ثم اوله فقد ضل واضل فتقبلها
ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به
النذائر وهو اقامتها مقام الذكر وتسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر
وتصلح للسدانة ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي
بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها
في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا اي انشاها
ورباها على احسن وجه خلقا وخلقا وكفلها زكريا وقرئ بتشديد
الفاء اي جعل الله زكريا كافلها وضامنا مصالحها كلما دخل عليها زكريا
المحراب قال الاصمعي المحراب الغرفة اي الغرفة التي نبيها وقال
الزجاج المحراب اشرف المجالس ومقدمها وقيل المساجد عندهم تسمى
المحاريب وهو مفعال من الحرب لانه يحارب فيه الشيطان كانها
وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب
كلما وناصبه وتنكير رزقا للتنويع اي نوع غريبا من الرزق روي انه
لما كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب
فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم
انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا

وهواته في غير حينه والابواب مغلقة عليك استفيد الاوصاف من اسم الاشارة
المستعمل لكمال العناية بالتمييز لما له من الاوصاف العجيبة الشان قالت
هو من عند الله فلا تستبعد قيل كان رزقها ينزل عليها من الجنة
ولم ترضع ثديا قط ان الله يرزق من يشا بغير حساب بغير تقدير لكثرته
او تفضيلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل من جملة كلامها او من كلام الله
تعالى هنالك في ذلك المكان دعا زكريا ربه لما كان المحراب مكان عبادة
وكرامة لمريم ذهب فيه ان يهب الله تعالى له ذرية طيبة قال تفسير للدعا
رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي تفضل علي باعطا ولد وانما به
كما وهبت لامراة عمران وهي عجوز عاقر بغير هذا من قوله من لدنك فان
فيه اشارة الى ان تلك الهبة على خلاف العادة وقيل لما راى الفواكه
في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال واولى
منه لما شاهد وقوع هذا الخارق كرامة لمريم امتد امله الى خارق يناسبه
كرامة والذرية الولد يقع على الذكر والانثى والواحد والجمع وتانيث الطيبة
للفظ الذرية والطيب هو الذي يستطاب فلا يكون فيه ام يستخبث ويعاب
انك سميع الدعا مجيبه فنادته الملائكة كان المنادي جبريل عليه
السلام وحده وانما ذكره جمعا لانه اذا نزل الامر خارق كان يعتمده
جماعة من الملائكة تعظيما لذلك الامر وهذا كما يقال حضر بريد خواص
السلطان يبعثونه اليه وان كان الذي يخاطبه بالدعوة واحدا منهم و
وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلاة ويصلي صفة قائم او خبر
او حال عن الضمير في قائم دل على ان المراد ان تطلب بالصلوات وفيه
اجابة الدعوات وقضا الحاجات ان الله يبشرك قرى بالفتح لوقوع
فعل الندا عليه من جبريل عليه السلام وحده وجعل الندا في معنى الاعلام
وبالكسر على ان في الندا معنى القول وقري يبشرك بالتشديد من التبشير
وبالتخفيف من البشارة وقد سبق تفسيرها في سورة البقرة بيحيى
اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن مصدقا بكلمة
من الله اي بعيسى عليه السلام مؤمنا به سمي بذلك لانه وجد بامر
الله تعالى بلا اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله تعالى
يسمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم
وكان فائقا على الناس كلهم فانه ما هم بمعصية وحصورا ممتنعا من
النسا مع القدرة عليهن والحصر الحبس والمنع وهو فعول بمعنى الفاعل
وقيل هو المتبتل الذي حصر نفسه عن كل لذة في الدنيا وروي انه مر في
صبا بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين
ناشيا منهم لانه كان في اصلاب الانبيا عليهم السلام او كاينا

الفعل

من الصلحين

من الصالحين وفي توصيفه بالصلاح بعد توصيفه بالنبوة ما لا
يخفى من التعظيم للصلاح قال رب انى يكون لي غلام استعظاما
وتعجبا وفي عبارة الغلام دون الولد تشويه له وذكر الغلام كان في
البشارة على ما ذكر في سورة مريم وترك هاهنا اختصارا والاستبعاد
بحسب العادة لا يناسب الحال وسياق المقال الا على قول من قال
كان دعاؤه عليه السلام قبل بشارته باربعين سنة فلذلك نسي
ما سال ربه حتى قال ما قال على ان الاستعظام ينتظم اذا اقتضاه
المقام واما الاستفهام عن كيفية حدوثه فلا يناسبه تمام الكلام
ولا ينتظم الجواب حق الانتظام وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن
واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون سنة
ولهذا قال وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها
ذات عقر من الاولاد قال كذلك لعظيم اي مثل ذلك الفعل العظيم
العجيب الشان البعيد عن العقل والعادة الله يفعل ما يشا من الافاعيل
العجيبة وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر ولذلك
نصب على المصدر او خبر مبتدا اسما اي على مثل هذه الصفة الله
وقوله يفعل ما يشا بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل
الخارقة للعادة قال رب اجعل لي اية علامة اعرف بها الهبة لا
ستقبله بالبشاشة والشكر وتريح مشقة الانتظار قال
ايتك الا تكلم الناس ان لا تقدر على تكليم الناس من غير خرس
ولا افة اخرى لقوله في موضع اخر سويا اي سليم الاعضا
وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة لتخلص المدة لذكر الله تعالى
وشكره قضا لحق النعمة لما اطلع الله تعالى على انه طلب الاية
لادا الشكر جعل الاية نفس الشكر فان اخلاص المدة لذكره دون
شغل لسانه بغيره من احسن انواع الشكر واحسن الجواب ما
كان منتزعا من السؤال كانه قال ايتك ان لا تقدر الا على شكري
ثلثة ايام ذكر الايام هنا والليالي هناك ولا تنافي بينهما لان
ذكر احدهما يقتضي دخول الاخر فيها لغة وعرفا الا رمزا
الرمز الايما بالشفتين وقد يستعمل في الايما بالحاجب والعين واليد
والراس والاول اغلب واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والكلام
ينتظم الرموزات المراد منه ما دل على الضمير قال جوية بن
عائذ كان تكلم الابطال رمزا وغمغمة لهم مثل الهدير فالاستثناء
متصل وقرئ رمزا كخدم ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال
منه عليه السلام ومن الناس يعني مترامزين واذكر ربك كثيرا في ايام

الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه والكثرة قيد المامور به لا
قيد الامر فعلى تقدير دلالة الامر على التكرار فايدته تكرار الذكر لكثير
وسبح بالعشي والابكار في طرفي النهار خصهما بالذكر لانهما مجتمع ملائكة
الملوين وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار بنعت البنية
بكر بفتحتين اي بكره واذ قالت الملائكة يا مريم لما فرغ من قصة
زكريا عليه السلام وكان قد استطرد من قصة مريم اليها رجع الى
قصتها والمقصود تنزيهها عما رمتها به اليهود وفي نداء الملائكة لها
باسمها تانيس لها وتوطينة لما يلقيهم اليها ودفع لاحتمال ان يكون
ذلك بطريق الالهام لا على وجه المشافهة بالكلام ان الله اصطفاك
اولا بتمام الكرامة واختصك بتقبلك من امك وتربيتك برزق
الجنة وقبض القدرة وطهرك مما يستقذر ويجتنب من الافعال
ويدخل فيه ما قذفتها اليهود دخولا اوليا واصطفاك اخيرا على
نساء العالمين بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب كانت
تلك المخاطبة كرامة لها للاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة واما
قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا فلا دلالة فيه على المطلق
لان الرسول اخص من النبي ولا يلزم من انتفاء الخاص انتفاء العام
يا مريم اقنتي اخلصي وادمي الطاعة لربك واسجدي اي صلي النافلة
وحدك واركعي مع الراكعين اي صلي الفرض مع المصلين في بيت المقدس
جماعة وانما خص السجود من بين اركان الصلاة بالذكر في مقام
التعبير عن الكل بالجزء لان تمام الصلاة به ولهذا يحنث من حلف
لا يصلي اذا اتم سجوده ولا يحنث قبله وخص الركوع بالذكر
في مقام التعبير عن الصلاة بالجماعة لان شرط صحة الاقتداء ادراك
الامام في الركوع ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا زكريا ويحيى ومريم
وعيسى عليهم السلام من انباء الغيب نوحيه اليك مما يوحى اليك
من الغيوب وما كنت لديهم الضمير عايد على ما دل عليه
المعنى اي وما كنت لدى المتنازعين اذ يلقون اقلامهم قداحهم
للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية
تبركا بها والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه كانه
قيل انه عليه السلام يخبركم بالانباء لنظر العقل وانتم تنكرون
الوحي وتعترفون بعدم السماع فلم يبق لنا بمقتضى عقولكم
ما يحتاج الى النفي سوى المشاهدة التي هي اظهر الامور انتفاء ايهم
يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها
ليعلموا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا

في

الجمل اي وجئتكم باية لاحل اذ لا وجه لعطف المفعول له على المفعول به ولك
ان تجعل الكل في معنى الحال فيستقيم العطف اي جئتكم ملتبسا باية ومصدقا
لما بين يدي وكائنا لاحل بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام
كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وذلك لا ينافي كونه
مصدقا للتورية لان النسخ في الحقيقة بيان للانتهاء حكم المنسوخ وجئتكم
باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم وبما لم اذكر من ولادتي
بغير اب ومن كلامي في المهد وغير ذلك وقرئ بايات من ربكم فاتقوا الله
لما جئتكم به من الايات واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم ابتدا فقال ان الله
ربي وربكم اي تلك الايات واسمعوا هذه فانها اعظمها وهو التوحيد الذي
يطابق عليه الرسل كلهم وهو مبني دين الكل واسه فاعبدوه تخصص
بالعبادة وقرئ ان الله بالفتح ومعناه لان الله ربي وربكم فاعبدوه
كقوله تعالى لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية
عظيمة ما اعظمها دالة على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض للتاكيد
هذا صراط مستقيم اشار بقوله ان الله ربي وربكم الى استكمال القوة
النظرية بالاعتقاد بالحق الذي غايته التوحيد وبقوله فاعبدوه
الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان
بالاوامر والانتهاء عن النواهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين
هو الطريق المشهود له بالاستقامة فلما احس عيسى منهم الكفر تنزيل
الكفر منزلة اثارة المحسوسة من سبه وطلبه للقتل مبالغة في قوة تاثيره
وشدة ظهوره ثم كنى باحساسه عن التاثر به والخوف منهم ولذلك
طلب الانصار ومن توهم ان الاحساس مستعار للعلم اليقيني الذي لا
شبهة فيه فقد وهم لان فيه تشبيه القوي بالضعيف فان الاحساس
كثيرا ما يقع فيه الغلط نعم لو شبه الكفر المعقول بالمحسوس في قوة
الظهور فاضاف اليه الاحساس على طريق الاستعارة بالكناية ح
لكان له وجه وانما فصيحة ترتيبها على محذوف يفهم من سياق
الكلام وسياقه قال من انصاري جمع النصير كالاشراف جمع الشريف
وجمع ناصر كالاصحاب جمع صاحب الى الله في محل النصب متعلق
بحال محذوف اي سايرا الى الله او ملتجيا او صلة لانصاري مضمنا
معنى فعل متعد بالى اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله تعالى
ينصرونني كما ينصرني الله قال الحواريون حواري الرجل صفوته
وخلاصته من الحور وهو البياض الخالص سمي به عليه السلام
اصحابه لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم نحن انصار الله اي انصار
دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون تاكيد لاسلامهم لان الرسل

يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم **ربنا امنا بما انزلت واتبعنا**
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبيا الذين يشهدون لاممهم او مع
امة محمد عليه السلام لانهم شهدوا على الناس ومع الشاهدين بالوحدانية
ومكروا اي الذين احس عيسى منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة
نجاة **ومكر الله** بان رفعه عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى
قتل وحقيقة المكر اظهار امر يعتقد فيه الناظر اليه الجاهل حقيقته بضد
ما هو ولذلك الاحتيال والخديعة والسخرية ومن قصده شي من فعل
ذلك امرا قبيحا يكون ذميما وان قصد به فعلا جميلا يكون بذلك حميدا
كذا قال الراغب فلا منع في اسناده الى الله تعالى كما لا شي في اسناد الكيد اليه
ومن وهم انه لا يسند اليه تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج فقد وهم
وكانه غافل عن قوله تعالى فامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون **والله خير الماكرين** اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على
ايصال الضرر من حيث لا يحتسب **اذ قال الله** ظرف لمكر الله لا لخير الما
كرين لان تقييد كونه تعالى خير الماكرين بالظرف ليس بسديد **يا عيسى**
اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما
اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي ومتوفيك نائما
اذ روي انه رفع نائما وقيل اماته الله ورفعه الى السما ثم احياه و
اليه ذهب النصارى **ورافعك الي** الى محل كرامتي ومقر ملائكتي **و**
ومطهرك من الذين كفروا من خبث صحبتهم وسوء جوارهم او قصد
جوارهم **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا** يعلونهم بالحجة وفي
اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل
الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من
اليهود والنصارى **الى يوم القيامة** الى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم
ولم يتفق لهم دولة وملك **ثم الي مرجعكم** الضمير لعيسى عليه السلام ومن
تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين بعد ما التفت من
الغيبة الى الخطاب ليكون الاخبار ابلغ في التهديد واشد زجرا
فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والتفت من الغيبة
الى التكلم مسندا للحكم الى نفسه ليعلم ان الحاكم هنا من لا يخفى عليه
خافية **فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة**
وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم
اجورهم و تفسير للحكم وتفصيل له وبدا بذكر الكفار لان ما تقدمهم
من المجمل انما ذكر على سبيل التهديد والوعيد لهم والاخبار بجزائهم
وقوله وعملوا الصالحات لم يذكر على انه قيد احترازي بل ذكر للتنبيه

على ان

على ان الايمان الصحيح يتبعه العمل الصالح ان لم يمنعه مانع **والله**
لا يحب الظالمين اي يبغضهم فانه من الكنايات الملحقة بالحقيقة
في جميع الالسنة **ذلك** اشارة الى ما سبق من نبا عيسى عليه السلام
وغيره وهو مبتدا خبره **نتلوه عليك** وقوله من الايات حال من الها
او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون **من الايات**
خبرا ونتلوه حالا والعامل معنى الاشارة وان ينتصب ذلك بمضمر
يفسره نتلوه وان يكون بمعنى الذي ونتلوه صلته والخبر من الايات
والذكر الحكيم هو القران وصفه بصفة من هو له على طريقة قولهم شعر
شاعر او الكثير محكمه كانه حكيم ناطق بالحكمة او المحكم الممنوع عن تطرق
الخلل اليه **ان مثل عيسى عند الله** اي شانه الغريب في دلالته من
غير نطفة **كمثل ادم** كشانه الغريب في خلقه كذلك ولخفا هذا الحال
على الخلق قال عند الله وهما في ذلك اي في ان وجدا وجودا خارجا على
العادة بان خلقا من غير نطفة نظيران لا مزية لاحدهما في نفس
ذلك المعنى فصح التشبيه بلا اشتباه واما كون عيسى عليه السلام
مخلوقا من غير اب وام فخارج عن مدلول الكلام وان كان مقصودا في
تمثيله ما سيق له ذلك ملحوظا من غرضه بمعونة المقام فان
الغرض دفع استغرابهم خلق عيسى عليه السلام من غير اب فيما لاحظه
من خلق من غير اب وام يتم ذلك الغرض على وجه اقوى ولهذا التعرض
لبيان حاله بقوله **خلقه من تراب** جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له
الشبه اي خلق جسده فانه من عالم الخلق وهو عالم الملك وعالم
الشهادة ثم اوجد روحه بامر كن وهو عالم الامر وهو عالم الملكوت
وعالم الغيب على ما افصح عنه بقوله **ثم قال له كن** وفيه دلالة
على ان الانسان كائن مرة بعد اخرى على ما صرح به في قوله ثم
انشاناه خلقا اخر وكلمة ثم للتراخي حقيقة **فيكون** حكاية حال
ماضية استحضارا لتلك الحالة العجيبة وبيانا لسرعة حصول
المراد فان الفا للدلالة على عدم التراخي **الحق** خبر مبتدا محذوف
اي هو الحق **من ربك** اي كائنا منه على انه حال موكدة وقيل الحق
مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله تعالى وتعريف الحق
للعهد الذهني اي ايجاد عيسى عليه السلام من غير اب هو الحق الذي
تعرفه **فلا تكونن من الممترين** الخطاب للنبي عليه السلام وفائدة النهي
عن الامترا هو التثبيت على اليقين والطمانينة والايما الى ان الممتري
هو الذي لا يعرف الحق اي قدرة الله تعالى على الايجاد من غير اب
والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم اجل من ان يمتري حتى ينهى عنه

فمن حاجك من النصارى فيه اي في عيسى عليه السلام من بعد ما جاءك
من العلم اي البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا ندع ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه
واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم
على النفس تنبيها على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وانهم مقدمون
على الانفس كيف والرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل
من البهلة بفتح الباء وضمها وهي اللعنة واصل الابتهال الالتعان
ثم استعمل في كل دعاء يجتهد الانسان عليه وان لم يكن التعانا
والمباهلة الملاعنة اي نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذبين
منا ومنكم فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان قد طول
المفسرون في قصة المباهلة وحاصلها انه عليه السلام لما دعاهم
اليها وخرج الحسن والحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم الى الميعاد
كفوا عن ذلك ان هذا ما قص من نبإ عيسى عليه السلام ومريم
لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في
شانهما حق دون ما ذكروه وما بعده خبر وحق اللام ان
تدخل المبتدأ فلما دخل ان ازيلت عنه الى الخبر والواسطة لمزيد
التاكيد واذا جاز تاخيرها الى الخبر فلأن يجوز الى الواسطة
التي هي اقرب الى المبتدأ اولى وما من اله الا الله زيادة من هنا في
افادة معنى الاستغراق والتاكيد في النفي كالبناء على الفتح في
لا اله الا الله والمراد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم
دخول ان واظهار اسم الله وتوسيط هو للفصل وادخال اللام
عليه وتعريف العزيز الحكيم مبالغات وتاكيدات في التوحيد ونفي
الشرك وان العزة اي الغلبة والقهر مخصوصة بالله تعالى ليس
لغيره فيها نصيب وان قهره انما يكون بالحكمة فلا يتغير الى الحاكم
بالغ في الايعاد بقوله فان تولوا اي عن التوحيد فان الله عليم
بالمفسدين وادخال الفا فيه ان الله اشارة الى ان الوعيد مسبب
عن الاعراض ووضع المفسدين موضع ضميرهم ليستدل عليهم
وتنبيه على ان حقيقة الفساد هو التولي عن التوحيد وان
الوعيد المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون مخصوص بهم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل
يريد وفد نجران وقيل يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم اذ لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها
الا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ولا نشرك به شيئا لم يرد به

الشرك في العبادة لان الوصل يأباه بل اراد به ما ذكر بقوله وجعلوا
لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اي لا يتخذوا الاتباع
الرؤوس اربابا من دون الله فيطيعونهم كطاعة الله تعالى نهي عن اطاعتهم
الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم من غير الرجوع الى ما شرع الله
لا عن قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله لان مرجعه الى ما تقدم
من توحيده تعالى بالعبادة فان تولوا عن التوحيد الذي هو
اصل دين الكل فقد لزمتهم الحجة بانهم ليسوا على دينهم فقولوا
اشهدوا بانا مسلمون دونكم لانكم خالفتم كتابكم ونبيكم ويجوز
ان يكون من باب التعريض اي اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون
بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل ولا يخفى ما في نظم هذه
القصص من المبالغة في الارشاد ولطف التدرج في الحجاج وحسن
المقطع عند ظهور اللجاج يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما
انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى
في ابراهيم عليه السلام وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يعني انكم معترفون بحدوث اليهودية
والنصرانية بنزول التوراة والانجيل ونزولهما بعده عليه السلام فكيف
يكون يهوديا او نصرانيا ولا يرد الالزام علينا في قولنا عليه السلام كان
على دين الاسلام لانا ما نقول بحدوث دين الاسلام بنزول
القران افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم
هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ها حرف التنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة
مبينة للاولى اي تنبهوا ايها الغافلون انتم هؤلاء الحمقى على هذه
الصفة التي انتم عليها مما لا يمكن ذمكم بما هو ابلغ منه فانتم الاشخاص
المتعينة المتناهية اليهم في الحماقة وفي حرف التنبيه مبالغة في
غفلتهم وفي هؤلاء الذم بالجهل وحاججتم كشف بجهلهم وسخافة
عقولهم اي ان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم من التورية والانجيل
من حال ابراهيم عليه السلام فلم تحاجون فيما لا ذكر له في كتابكم ولا علم
لكم به من حال ابراهيم عليه السلام والله يعلم ما حاججتم فيه فيعلمنا
وانتم لا تعلمون ولا انتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
تصريح بمقتضى ما قرر من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن
العقائد الزائغة مسلما ثابتا على ملة الاسلام وما سبق الى بعض
الاوهام من الاشراك في الالزام فقد اندفع بما قدمناه من الكلام وما

كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به تعالى عزيرا والمسيح
ورد لادعا المشركين انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان اولى الناس
بابراهيم اي اقرب الناس منه واخصهم به من الولي وهو القرب
للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين امنوا
من امته لموافقتهم له في اكثر ما شرع له اصالة وقرئ والنبي بالنصب
عطفا على الها في واتبعوا وبالجر عطفا على ابراهيم والذين امنوا
على قراءة النصب عطف على الذين وعلى قراءة الجر يحتمل العطف على
النبي وعلى الذين اتبعوه وهذا اوجه والله ولي المومنين بنصرهم
ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو
بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم اي وما يقدرون على اضلال
المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم او ما يعود وبال ضلالهم
وما يشعرون ذلك يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله بما في
التوراة والانجيل من الايات الناطقة بنبوة محمد عليه السلام وانتم تشهدون
انها ايات الله تعالى او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او
تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف
وابراز الباطل في صورة الحق وقرئ تلبسون بفتح البا اي تلبسون
الحق مع الباطل لقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق
بنبوة محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت
طايفة من اهل الكتاب المراد بالطايفة كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف وكعب بن اسيد قالوا بالذي انزل على محمد واما على
غير المنزل لعدم المساعدة من باطنه على الكلام به وجه النهار اوله
قال من كان مسرورا عند مالك فليات بنسوتنا بوجه نهار اي اظهروا
والايمان بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار
واكفروا اخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يرجعون ظانين بانكم رجعتم
لخلل ظهر لكم وقيل اثنا عشر من الاحبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في
الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم
نجد محمدا بالنعت الذي ورد في كتابنا لعل اصحابنا يشكون فيه فيرجعون
ولا تومنوا ولا تقروا عن تصديق قلب الا لمن تبع دينكم الا لاهل
دينكم اي لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان
رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشا من الايمان
او يثبته عليه والهدى اسم او وهدى الله بدل عنه ان يوتى احد مثل
ما اوتيتم خبره واللام في الهدى للماهية الهدى الالهي الذي ليس وراءه

وفايدة

هبة

وفايدة الابدال تعظيم الهدى بنسبته الى الله تعالى اي ان حقيقة الهدى وما
الهدى الالهي الذي ليس وراءه بل لا هدى الا هو لان ما عداه من هدى الخلق ليس
بهدى وعلى هذا او في قوله او يحاجوكم بمعنى حتى لان المحاجة نفسها الانضباح
لذلك الامر متبطة بالايتا مرتبة عليه وهدى الله خبر ان وان يوتى علة فعل
محذوف دل عليه ما قبله من اظهار ايمانهم ورجوعهم لتنفير من اسلم من اصحابهم
اي لا يوتى احد كتابا موافقا لكتابكم مصدقا له منزلا من عند الله او المحاجة
اهله اياكم عند ربكم دبرتم ما دبرتم وقلتم ذلك لاصحابكم وانما اوتي باو
تنبيها على ان كل واحد منهما مستقل في غاظتهم وحملهم على الحسد حتى
دبروا ما دبروا ولو اتى بالواو لما وقع هذا الموقع للعلم بان الثاني يلزم
الاول فلم يكن فيه فايدة زايدة واما اذا اتى باو فقد اشعر بان كلا
مستقلا في الباعثية على الحسد والاحتشاد في التدبير والحمل على معنى
حتى ليس له موقع يردع السامع وان كان وجها ظاهرا ويويد
هذا الوجه قراءة ان يوتى بهمزة الاستفهام اي الا ان يوتى احدا ولا ان
يحاجوكم فعلم ذلك ويجوز ان يتعلق ان يوتى بلا تومنوا اي ولا تظهروا
ايمانكم بان يوتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين
لئلا يزيدوا ثباتهم ولا الى المشركين لئلا تدعوهم الى الاسلام وقوله قل
ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطايل وقرئ ان يوتى
بكسر الهمزة على انها نافية فيكون من كلام الطايفة اي ولا تومنوا الا لمن
تبع دينكم وقولوا لهم ما يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم
عطف على ان يوتى والضمير فيه لاحد على ان المراد به المنزل عليه
وامته قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا اي لا بايديكم وبيد غيركم فمن
يوتيه ويوفقه له لم يكن لاحد دفعه وهو الاسلام فيكون تاكيدا لقوله
قل ان الهدى هدى الله ويجوز ان يكون اعتراض اخر لتقرير امر الاثبات
في قوله ان يوتى احدا اي النبوة والوحي الذي هو الفضل كل الفضل
بيد الله يوتيه من يشا لا يمكنكم دفعه ولا ينفعكم الحسد ولا البغض
والله واسع عليم واسع الرحمة عليم بالمصلحة لمن يصلح لذلك من غيركم
فهو يوتيه متفضلا عليه يختص برحمته من يشا تاكيد وتاييد لقوله
ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم فيه
دفع وهم القصور في افضاله المتبادر الى الفهم من اختصاص من يشا
برحمته ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك كعبد
الله بن سلام استودعه قرشي الفا وما يتي اوقيه ذهبا فاداه اليه
ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك كفنحاص بن عازورا استودعه
قرشي اخر دينارا فجحده الا ما دمت عليه قايما في محل النصب على الظرف

اي الا وقت دوامك عليه قايما على راسه بالمطالبة والتقاضي والتعنيف
او بالبينة عليه عند المرافعة الى الحاكم ذلك اشارة الى عدم الاداء الذي
دل عليه لا يوده اي تركهم اداء الحقوق بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا
في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا ذم ولا عتاب في شان الاميين اي الذين
ليسوا من اهل الكتاب ويقولون على الله الكذب بادعايهم ان ذلك في كتابهم
وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا
لم يجعل لهم في التورية حرمة بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من
اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين جملة مستانفة مقررة للجملة
التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من او الى الله تعالى
ويقويه بعهد الله بعده والضمير الراجع من الجملة الجزائية الى من
يقوم مقامه المتقين لعمومه فيشتمله اي كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى
الخيانة والغدر فان الله يحبه ويستلزمه ان يبغض الخاين الغادر
فالذم والعقاب عليهم سبيل في الاميين وفي غيرهم ووضع المتقين موضع
الضمير للدلالة على ان التقوى توجب غلبة محبة الله تعالى لصاحبها
وان الموفي بالعهد هو المتقي فالغادر هو الفاجر بدلالة الفحوى وتعميم
الحكم لعموم من والمتقين يفيد انهم لو وفوا بعهودهم واتقوا الخيانة
لوفوا بالعهد الاعظم وهو ما اخذ الله عليهم في كتابهم من الايمان برسول
مصدق لما معهم واتقوا الكذب على الله وتحريف وكانوا مسلمين محبوبين
بمنا يحبب الله لقوله فاتبعوني يحببكم الله ثم صرح بما عرض به
من تطرق الذم والعقاب الى الخاين بقوله ان الذين يشترون
يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفا
بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة قد سبق في تفسير سورة
البقرة ما يتعلق به ولا يكلمهم الله اصلا وان الملايكة يسايلونهم يوم
القيامة ولا ينتفعون بكلمات الله تعالى في الظاهر انه كناية عن
سخطه وشدة غضبه تعالى عليهم او مجاز لان الغاضب لا يكلم
المغضوب عليه ولا ينظر اليهم يوم القيامة كناية عن الاستهانة
بهم واذلالهم او مجاز عن ترك احسانه اليهم ولا يزكيهم ولا يثني عليهم هذا
غير مقيد بيوم القيامة فيفيد فايدة زايدة ولهم عذاب اليم على ما
فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة
وان منهم لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي ابن
اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها

عن

عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب فعلى هذا الباء صلة
كما تقول لويت لسانه بالشعراء قال مع نحو وفيه اضمار وسمي كتابا بانه كما
او على زعمهم لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير راجع الى شبه
الكتاب والعدول في قوله من الكتاب عن الضمير الى المظهر لتفخيمه
فان المقام مقام تعظيم جنبة التحريف وذلك بتفخيمه وقرئ ليحسبوه
بالياء والضمير للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
اي ليس هو نازلا من عنده وفيه دفع لاحتمال ان لا يكون من الكتاب
ومع ذلك يكون من عند الله بالاحاديث القدسية فهو تاسيس
لا تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتسجيل عليهم بالكذب وتشنيع
عليهم باجترائهم على الله تعالى والعدول عن الضمير الى المظهر في قوله
من عند الله لتعظيم هذا الامر وبيان انهم لفرط دعايتهم يصرحون بذلك
يودون ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم
بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ما صح له وما استقام ان
يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ذكر اولا الكتاب وهو جنس وترقى
منه الى الحكم وهو الفصل بين الناس بالكتاب ثم الى النبوة وهو الرتبة
العليا فالترتيب في غاية الفصاحة ثم يقول للناس اتى بثم وهي للمهلة
تعظيما لهذا القول واذا انتفى هذا القول بعد المهلة كان انتفاؤه
بدونها اولى واحرى اي ان هذا لا ينبغي ولا يجامع هذا القول وان كان
بعد مهلة كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى
عليه السلام وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد
اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان امر بعبادة غير
الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت ويأباه قوله بعد اذ انتم
مسلمون وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على
بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد غير الله ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله وبناء نسب هذا قوله ولكن كونوا ربانيين
ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب وزيادة الالف
والنون للمبالغة كما في اللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين
الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فالبا متعلق بكونوا فالمطلوب
هو الربانية المسببة عن العلم وهذا انما يدل على الربانية والتمسك
بطاعة الله اذا لم تكن مسببة عن العلم لا يكون معتدا بها وافقه على
وفق المامور به لا على العكس وانما كان الامر كذلك في نفس الامر وقرئ
تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من

من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسون على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا قرئ بالنصب عطفا على معنى يقول وتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر بعد الهمزة وكلا الاستدراك او غير مزيدة على معنى انه ليس لنبي ان يدعو العباد الى عبادته وينهاهم عن عبادة الملائكة والنبيين وبالرفع على الاستئناف وهو الظاهر ويؤيده قراءة وان يامركم ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له عليه السلام واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هذا على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء عليهم السلام كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى اذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية مفعول اتيتكم ومن كتاب بيان لما وحمله على التبعيض يفضي الى اعتبار قيد لا يقتضيه المقام ومثله عند البلغاء بعد هجنة في الكلام وجواب القسم لتؤمنن وما بعده وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وقدم الايمان لانه لاصل ثم النصر لانه من ثمرته ويجوز ان تكون ما خبرية وقرئ لما بكسر اللام للتعليل على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم او موصولة لان ما معكم بمعنى ما اتيتكم فيجوز عطف جاءكم على الصلة لوجود المرجع اليها اي لاجل الذي اتيتكموه من الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق له وقرئ لما بالتشديد بمعنى حين اتيتكم الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق وجب عليكم الايمان ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقل ثلاث ميمات لان النون ما لم تقلب ميما لم تدغم في الميم فحذفت احداها فصارت لما اي لمن اجل ما اتيتكم لتؤمنن به قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يوصر اي يشد ويعقد وقرئ اصري بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر

واما

واما جمع اصار قالوا اقررنا قال فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وشاهدكم شاهد اشتبنا في معناه التوكيد والتحذير وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار افغير دين الله يبغون الفا عاطفة لجملة على الجملة اي فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما للانكار ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لتوجيه الانكار الى كون دين غير الله مطلوبا والمقصود الاهم بالانكار هو المفعول ويجوز ان يكون التقديم للتخصيص لا بمعنى ان التخصيص منكر فيلزم جواز طلب دين باطل مع طلب دين الله تعالى بل للمبالغة في الانكار مع التشنيع والتوبيخ حيث لا يرضون بطلب دين باطل الى دين الله تعالى بل يخصون الدين الباطل بالطلب وقرئ تبغون بالتاء على تقدير وقل لهم وقرئ هو بالتاء وترجعون بالتاء لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وله اسلم من في السموات والارض طوعا بالادلة وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل فوق بني اسرائيل وانتصابهما على المصدرية او على الحال ومن قال او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على ان يمتنعوا عما قضي عليهم فكانه ذهب الى مذهب الجبرية واليه يرجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل امنا بالله وما انزل علينا الخطاب له عليه السلام لفظا وله ولامته معنى ولهذا قال في موضع اخر قولوا امنا واجرى الكلام في امنا وعلينا بلفظ الجمع امر الرسول بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقران وان كان منزلا عليه خاصة لكن نزوله عليه لما كان لتبليغه اليهم صح نسبته اليهم ايضا وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم ويجوز ان يكون ما مر ان يتكلم على طريقة الملوك اجلالا له وقيل لعظم قدره ارشادا له عليه السلام الى ادب المحاورة وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط قدم المنزل عليه عليه السلام على سائر الرسل لانه المعترف له والمعيار عليه والنزول باعتبار انه من فوق يعدى بعلى وباعتبار انه ينتهي الى المرسل اليه يعدى بالى وقيل التخصيص ان الخطاب هنا للرسول عليه السلام والنزول من السماء كان عليه والخطاب ثمة للمسلمين ولا انزول عليهم حقيقة بل انتهى للتبليغ اليهم ولا تتجه المناقشة بقوله بما انزلت اليك وما انزلت اليك الكتاب وقولوا امنا بالذي انزل علينا الذين

امنوا الا ان البلية الزايدة على اصل البلاغة الحاصلة بمطابقة الكلام
لمقتضى المقام لا يلتبس بها الاطراد ولهذا تتفاوت المكررات في القران
بحيث يكون بعضها افصح من بعض وما اوتي موسى وعيسى
التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة
مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما والنبيون من ربهم وفي موضع
اخر وما اوتي النبيون لما تقدم هنا قوله واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب الخ اكتفي به عن اعادة وما اوتي
ولم يتقدم ثمة مثل هذا فلم يكن فيه ما يغني عن التوكيد
باعادته لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن
له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير
الاسلام غير الاسلام الوجه لله اي التوحيد دينا نكرة
تحقيرا فلن يقبل منه في الدنيا وهو في الاخرة من الخاسرين
الواقعين في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع ولا
دلالة فيه على ان الايمان ليس غير الاسلام انما دلالته
على انه ليس دينا غير الاسلام كيف يهدي الله قوما كفروا
بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات هم
اليهود امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم حين عاينوا ما يوجب
قوة ايمانهم من البينات وتحققوا منه ومن كتابهم انه حق ثم
كفروا به وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن
الاسلام ولحقوا بمكة كيف استبعاد لان يهديهم الله تعالى
فان الحايد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلالات
بعيد الرشاد وقيل نفي وانكار له لما علم من عنادهم ومكابرتهم
وامتناع قبولهم اياه تعنتا عليهم وتوبيخا لهم فلا دلالة
فيه على عدم قبول توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في
ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار
قد من كفروا والمراد من ايمانهم تصديقهم بالله تعالى وعلى تقدير
ان يراد منه التصديق به وبالرسول عليه السلام وان كان
باباه عطف وشهدوا عليه لا دلالة في الاية ايضا على ان الاقرار
باللسان خارج عن الايمان بمعنى التصديق بالله برسوله
وليس هذا مما يقبل النزاع والله لا يهدي القوم الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف
من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة
الله والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنته

من خلقه

من خلقه ودلالته بمفهومه على عدم استقرار اللعن على غيرهم لا على عدم
جوازه في غيرهم فالمراد من الناس المؤمنون ويجوز ان يراد العموم لان
الكافر ايضا يلعن منكر الحق لكن لا يعرف بعينه خالدين فيها في اللعنة
او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ليعتذروا ولا ينظر اليهم نظر رحمة
الا الذين تابوا اي رجعوا عن الارتداد من بعد ذلك الاشارة الى
الكفر لتعظيمه وشدته وغاية بعده عن الصواب والعقل واصلحوا ما
افسدوا او دخلوا في الاصلاح فان الله غفور يقبل التوبة رحيم يتفضل
عليه ان الذين كفروا بعد ايمانهم كاليهود كفروا بعيسى عليه السلام
والانجيل بعد الايمان بموسى عليه السلام والتوراة ثم ازدادوا كفرا
بكفرهم بمحمد عليه السلام والقران او كفروا به عليه السلام بعد ايمانهم
قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد
عن الايمان ونقض الميثاق والسخرية بكل ما نزل من الايات او قوم
ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب
المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم فقد
عرفت ان التعريف في الذين كفروا للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين
والا فكل كافر اذا تاب قبلت توبته وان ازداد كفرا فان اريد بهم
المرتدون في واولئك هم الضالون للحال اي لن تقبل توبتهم في حال
كونهم ثابتين على ضلالهم الذي هم ثابتون عليه لكون توبتهم
نفاقا وان اريد بهم اليهود فكذلك وفيه وجهان اخران احدهما
ان يكون اخبارا بالغيب على طريقة قولهم الا يرى الضب بها
ينجحر اي لن يتوبوا فلا توبة ولا قبول واولئك هم الضالون اعتراض
اي هم الموصوفون بما ذكر اولئك هم الثابتون على الضلال المطلق
والثاني ان يكون كناية عن موتهم على الكفر اي يموتون وهم
كافرون على ما صح بعد والفائدة فيه التغليظ في شانهم وابراز
حالهم في صورة حال الايسين من الرحمة الى اغلظ الاحوال واشدها
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار لفظ الذين هنا عام فيمن كفر ومات
على الكفر فلذلك دخلت الفاء في قوله فلن يقبل من احدهم تضمينا
للموصول معنى الشرط على ان الموت على الكفر سبب لامتناع قبول
الفدية وانما ترك الفاء في الكلام السابق لفقد التسبب منه وايراد
والمسند اليه موصولا لتحقيق الخبر ملء الارض ذهبا ملء الشيء
ما يملاه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء
او خبرا لمحذوف وفيه انه لا بد من نعته بوصف ليحسن البدل

والا دلالة عليه والثاني يحسن اذا جعلت الجملة صفة او حالا والا ولا يخلوا
عن ضعف ولو افتدى به اعتراض اي ولو فرض انه افتدى به على
ان الافتدا ثمة محال ونعتذر بحق الكلام ان الذين ماتوا على الكفر
فلو افتدى احدهم بملء الارض ذهبا لم يقبل منه فلما كان الجزا اهم الاقناط
والبعث على الرجوع عن الكفر الى الايمان قبل الموت قدم واجعل
جزا الشرط الاول ولو وصلت للتاكيد واجزا الشرط فلزم الواو للربط
وقيل محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى
بملء الارض ذهبا اولئك لهم عذاب اليم تتميم بمعنى الاقناط
لان من لا يقبل منه الفدا ربما يعفى تكرما وما لهم من ناصرين في
دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة
البر وهو ما يتقرب به الى الله تعالى من اعمال الخير وقيل لن تنالوا بر الله
اي ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون من اموالكم التي تحبونها او ما يعمه
وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله تعالى
والمهجة في سبيله ومن هنا للتبعيض بدل عليه قراءة حتى تنفقوا
بعض ما تحبون وفي قوله وما تنفقوا من
شي لتبيين ما تنفقوا اي من اي شي طيب تحبونه او خبيث تكرهونه
فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام هو ما يطعم ماكولا
كان او مشروبا والمراد تناولها كان حلا على شريعة ابراهيم عليه السلام
لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمونث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم
اسرائيل يعقوب عليه السلام كلحوم الابل والبانها وكان تحريمه
ذلك بالنذر ولذلك قيل على نفسه ثم ان الله تعالى حرمه على اولاده
على ما دل عليه الاستثنا المذكور فلا متمسك فيه لمن جوز للنبي
ان يجتهد من قبل ان تنزل التورية متعلق للمستثنى منه
وفائدته بيان حرمة ما عدا لحوم الابل والبانها في شريعة ابراهيم
عليه السلام حتى ثبت تحريم بعض ما كان حلالا لبني اسرائيل بنزول
التورية ويحصل الالزام لليهود ويتم الرد عليهم في دعوى
البراة عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات الخ وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية
بان قالوا لسنا اول ما حرمت عليهم وان كانت محرمة على نوح
وابراهيم عليهما السلام ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا
كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول
عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها

لا

لا للمستثنى بيان لكون التحريم المذكور قبله اذ لا فائدة فيه اصلا قل
فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين في زعمكم ان تحريمه قديم
امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم
حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما زعموا روي انهم لم يجسروا على
اخراج التورية وبهتوا وفي ذلك برهان قاطع على صدق النبي عليه
السلام وحجة بينة على جواز النسخ فمن افترى على الله الكذب
ابتدعه على الله تعالى بادعا ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل
قبل انزال التورية من بعد ذلك من بعد ما الزمهم بالبرهان القاطع فاولئك
هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون
الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق
فيما انزل وانتم الكاذبون لما عرض بكذبهم لذمهم اتباع محمد عليه السلام
والايمان بالقران فعبر عن ذلك بقوله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا
اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم ولما نسب دينه وملته الى
ابراهيم عليه السلام كان اكسر لنخوتهم واقرب الى قبولهم كانه قال
فاذا ظهر بالحجة البينة كذبكم فيما زعمتم وثبت صدق كتاب الله
فظهر بطلان دينكم الذي اضطركم الى تحريف كتاب الله والافترا على
الله لتسوية اغراضكم فاتبعوا الحق الذي هو ملة ابراهيم وهي ما عليه
محمد ومن تبعه وانتصب حنيفا على الحال وقد سبق تفسيره في سورة البقرة
وما كان من المشركين اراد استمرار النفي لا الاستمرار [illegible] تقدم
في الاعتبار وفيه تعريض بشرك اليهود واشارة الى ان اتباعه
واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين ان اول بيت وضع
للناس اي جعله الله متعبدا لهم للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة
في مكة كالنبيط والنميط وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه
اذا زحمه او دقه فانها تدق اعناق الجبابرة مباركا كثير الخير والنفع
لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في
الظرف وهدى للعالمين بسبب هداية لانه قبلتهم فيه ايات
بينات حال اخرى مقام ابراهيم عطف بيان لقوله ايات بينات وحده
لقيام مقام ايات كثيرة ويدل عليه هنا قراءة اية بينة ولا يخفى ما فيه
من التحكم لا سيما انه كان لظهور اعجازه وقوة دلالته على قدرة الله
تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام بمنزلة ايات عظام كثيرة ويؤيده
ذكرها لتعظيم البالغ بتنكير ايات ووصفها بالبينات ونحوه في
التعظيم قوله تعالى ان ابراهيم كان امة ومن دخله كان
امنا جملة ابتدائية كان الحرم امنا في الجاهلية ومفزع كل خائف

وملجا كل جان وقال ابن عمر لو وجدت قاتل ابيا في الحرم لم تعقله وقيل
المراد حرم والامن من العذاب يوم القيمة وفيه ان هذا الامن على
الدفن فيه على ما افصح عنه قوله عليه السلام من مات في احد
الحرمين بعث يوم القيامة امنا لا على دخوله ولله على الناس حج البيت
اكد ما يكون من الالفاظ الدالة على الالزام كلمة على فانها علم فيه
والحج كالخوذ من المنقولات الشرعية وله فرايض وواجبات وسنن
وشرايط بعضها للوجوب وبعضها للادا ومعناه اللغوي القصد
على جهة التعظيم والمراد معناه الشرعي فاضافته الى البيت للملابسة
فان طوافه احد ركنيه او احد اركانه على الاختلاف في الاحرام فانه ركن
عند الشافعي وشرط عند ابي حنيفة من قال في تفسيره قصد
الزيارة على الوجه المخصوص فقد زاد على معناه اللغوي ونقص عن
معناه الشرعي وقرى حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا
بدل من الناس مخصص له وفيه ايراد المراد في صورتين مختلفتين
على وجه فيه تشويق ووجدان بعد تشوق وطلب وتنكير سبيلا
وتقديم اليه عليه اي سبيلا اي سبيلا اما يتيسر على اي وجه يكون
قريب وبعيد بشرط انتهائه اليه لا الى غيره وكلما ادى الى الشي فهو
سبيله وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة
وما فسر عليه السلام استطاعة السبيل الى البيت المذكور في القران
لا استطاعة الحج فانها لا بد فيها من صحة البدن ايضا فلا دلالة فيه
على احد القولين المذكورين في المسيلة الخلافية المشهورة ومن كفر
فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه
وتغليظا على تارك الحج وتشديدا عليه ولذلك قال عليه السلام
من مات ولم يحج فليمت ان شا يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج
في هذه الاية من انواع الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه
في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله
تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا
فانه كالايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية
ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغنا فانه في
مثل هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين
يدل عنه لما فيه مبالغة التعميم والدلالة على الاستغنا عنه
بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع
بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن
الشهوات والاقبال على الله تعالى نبي هنا دقيقة انيقة وهي

ان

ان اللام في قوله ولله مظنة ان يكون في الحج نفع له تعالى دفعه
ببيان غناه عن العالمين روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله تعالى
كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل
فنزل ومن كفر الاية قل يا اهل الكتاب تخصيص اهل الكتاب بالخطاب
لان كفرهم اقبح واما الدلالة على انهم وان زعموا انهم مومنون بالتورية
والانجيل فهم كافرون بهما فلا تاثير فيها للتخصيص المذكور لم
تكفرون بايات الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة على
صدق محمد عليه السلام فيما اتى به من الاوامر والنواهي ومعنى
الاستفهام في لم انكار لكفرهم وتعجب منه مع وجود المانع وهو
كون الحق شهيدا على اعمالهم والله شهيد على ما تعملون اي
والحال ان الله شهيد اي مطلع على اعمالكم فمجازيكم عليها لا ينفعكم
التحريف في الاسرار وهذه الحال توجب الايمان فلما صبركم على
الكفر باياته واظهار اسم الله تعالى والمقام مقام الاضمار للتخويف
والتربية للمهابة قل يا اهل الكتاب اعيد الخطاب لان الاول في
الضالين وهذا في المضلين فلا تكرار وكون كل واحد من الامرين
مستقبحا في نفسه مستقلا في استجلاب العذاب مما لا حاجة
الى الاشعار به لعدم الخفا فيه لم تصدون معنى الاستفهام
انكار لقصد الصد ولطلب العوج في الطريق المستقيم مع كونهم
علما شهدا بان ليس فيه عوج وان الصاد عنها ضال مضل
والتوبيخ هنا اشد لعلمها المكابرة فيه عن سبيل الله دينه الحق
المامور بسلوكه وهو الاسلام قدم للاهتمام على المفعول
الاول وهو قوله من امن كانوا يفتنون المومنين ويحرشون بينهم
حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من
التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه
ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم فعلى الاول يكون
التحريش في الصد وعلى الثاني في امن تبغونها في محل النصب
بالحال عوجا مفعول تبغون والضمير منصوب بنزع الخافض
وتعدية الفعل اليه اي تبغون لها والعوج بكسر العين الميل والانحراف
في المعاني وبفتحها في الجثث اي تطلبون عوجا وميلا عن
الاستقامة بان تلبسوا على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا
بقولكم ان شريعة موسى عليه السلام لا تنسخ وبتغيير صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوها وانتم شهدا اقابلون انها

سبيل الله لا يصدعنه الا ظالم كافر وعدل بين اهل دينكم يتمسكون
باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم لكونكم احبارا وما الله بغافل عما
تعملون وعيد بالغ والختم بهذا يناسب المقام لان الكلام في صدهم المومنين
عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه وفيما تقدم في كفرهم وهم يجاهرون
به فكان المناسب له الختم بقوله والله شهيد على ما تعملون يا ايها الذين
امنوا خاطبهم الله بنفسه بعد توسط الرسول عليه السلام في مخاطبة
اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بان لهم منزلة عند الله تعالى
دون اهل الكتاب ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب نزلت في
نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس
اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس
اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشد بعض ما قيل فيه وكان الظفر
في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا
السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وقال اتدعون الجاهلية وانا
بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية
والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا
السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والتعبير عن شاس ومن اعانه فيه بالفريق يناسب
قصدهم ايقاع التفرقة بين جمع المومنين يردوكم اي عن الهوى الى
الضلالة على ما دل عليه قوله بعد ايمانكم كافرين رد يتعدى الى
مفعولين قال الشاعر فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن
البيض سودا وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله
معنى الاستفهام الانكار والتعجيب من تطرق الكفر اليهم في حال
اجتمع اليهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر
وانما اخر قوله وفيكم رسوله مع ان حقه التقديم لان التلاوة
المذكورة بواسطته اخرجاله عن حيز الوساطة الى منزلة الاستقلال
في السببية كانه قيل والحال ان ايات الله تعالى تتلى عليكم معجزة
وازاغة عن الكفر وفيكم الرسول واعظا زاجرا لكم ناهيا عنه ومن
يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجي اليه في مجامع اموره
فقد هدي الى صراط مستقيم انما يورد قد في جواب الشرط عند
مضيه معنى والقصد هنا الى تحقيق الوقوع بمعنى فقد حصل
له الهدى كانه قد حصل له الهدى فهو مخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع
في قد ان المعتصم بالله متوقع للهدى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله

حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب
المحارم ويدخل فيه الاحتراز عن طاعة اهل الكتاب دخولا اوليا ولا تموتن
الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى الاسلام حين الموت
فالمنهي كونهم على حال غير الاسلام عند موتهم لا موتهم هذا ما عندهم
والذي عندي هو ان المنهي المذكور للتحذير عن الموت على حال سوى
الاسلام والحذر عنه انما يكون بالاحتراز عما يفضي اليه فهو حث
على الثبات على الاسلام والحذر عنه انما يكون بالاحتراز عما يفضي
اليه في جميع الازمان على ابلغ وجه وعلى هذا لا عدول عن الظاهر
خلاف ما قالوه واعتصموا بحبل الله يحتمل التمثيل بان يمثل صورة
حالهم في اعتضادهم واستظهارهم ووثوقهم بالله تعالى وحمايته
واتكالهم عليه بصورة حال المتدلي من مكان مرتفع متمسكا بحبل
وثيق امنا من انقطاعه والاستعارة بان يستعير الحبل للعهد
او كتابه ويجعل الاعتصام ترشيحا لها بما يناسب الحبل جميعا
اي مجتمعين على استعانتكم بالله ووثوقكم به او اجتمعوا على
التمسك بعهده اليكم ان تؤمنوا به ولا تعبدوا الا اياه او بكتابه
لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين ولا تفرقوا ولا تتفرقوا
كما كنتم متفرقين في الجاهلية يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او لا
تفعلوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة من القول والعمل واما التفرق
بالاختلاف في الدين كاليهود والنصارى فهو مضمون قوله تعالى
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا واذكروا نعمة الله عليكم اراد
نعمة الهداية والتوفيق للاسلام المودي الى التالف وزوال الغل
اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف اي اوقع الالفة بين قلوبكم
بالاسلام فاصبحتم بنعمته بسبب تلك النعمة اخوانا متحابين
مجتمعين على الاخوة في الله واصبح اصله دخل في الصباح ثم
اطلق على الصيرورة اي وقت كان ففيه باعتبار اصله دلالة
على خروجهم من ظلمات الضلالة الى نور الهداية وقيل كان الاوس
والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف
بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار
مشرفين عليها لكونكم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لصادفتم
القعر حفرة من النار وانما قال فانقذكم منها وان لم تكونوا فيها
لانهم كانوا منزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين
لدخولها ويجوز ان يكون الضمير للشفا وتانيثه لانه بمعنى الشفة

فان شفا البير وشفتها طرفها واصلها شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت
في المونث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم اياته دلايله لعلكم
تهتدون ارادة ان تثبتوا على الهدى او تزدادوا هدى ولتكن منكم امة
من للتبيين بمعنى وكونوا امة لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون
بالمعروف لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من
فرض الكفايات فهو واجب على كل الامة بدليل انه لو تركه الجميع وان سقط
بفعل البعض لحصول المقصود فلا بد من توجيه الخطاب الى الكل ومن
قال من للتبعيض فعلى ما ذكرناه انما اختار المذهب المردود وهو ان
يكون الوجوب على البعض من غير تعيين واما الاستدلال على انه لا يجب
على الكل بعدم الوجوب على الجاهل فمردود لانه اذا ترك بالكلية فذلك
الجاهل ايضا اثم ولو الوجوب عليه لما امكن وجب عليه الصلاة وهو
محدث فان عليه تحصيل الشرط ثم الفعل واما رد اخر من اختار ان يكون
من للتبعيض محتملا لما تقدم ثم قال خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم
ليدل على انه واجب على الكل فقد خبط حيث خلط بين المذهبين
ثم انه لم يدر ان الوجوب على الكل معناه الطلب من الكل لا الخطاب
للكل فان الخطاب بدون الطلب بمعزل عن الدلالة على الوجوب
يدعون الى الخير يعم الدعا الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي
فينتظم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقوله ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر من قبيل عطف الخاص على العام
للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال
الفلاح والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يومر به
وكذا النهي عن المنكر فانه يكون واجبا ان كان المنهي عنه مكروها
كراهة تنزيه فمن وهم ان جميع ما انكره الشرع حرام فقد وهم والعاصي
يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه كما يجب عليه انكاره ونهي الغير عنه
الا ان الثاني على طريق الكفاية والانكار في قوله تعالى اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب مرجعه الى
القيد ولا تكونوا كالذين تفرقوا اي بالعداوة واختلفوا اي في
الديانة وهم اليهود والنصارى وانما قال من بعد ما جاءهم البينات
اي الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه لان الاختلاف
في موضع الاجتهاد ليس بمنكر كيف وقد قال عليه السلام اختلاف
امتي رحمة والاختصاص لو احد من الاختلافين بالاصول والفروع
فان في الاصول ايضا موضع الاجتهاد كما ان في الفروع ما لا مساغ له فيه
واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه

بهم

بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في قولهم من معنى الفعل
وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكابة
الخوف فيه ويجوز ان يراد بالبياض والسواد حقيقتهما فاما
الذين اسودت وجوههم ابتدا بهم في مقام التفصيل للاهتمام
بالتحذير من حالهم والمجاورة لقوله وتسود وجوه وليكون الابتداء
للمومنين والاختتام بحكمهم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول
اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر
انهم اهل الكتاب كفروا وكذبوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ايمانهم به قبل بعثه وهم المرتدون وقيل هم جميع اهل الكتاب لاعراضهم
عما اوجبه الاقرار وكفرهم بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم
على ما افصح عنه قوله الست بربكم قالوا بلى فذوقوا العذاب
امر اهانة والفا للسببية عن الكفر المقدر والبا تاكيد له بما كنتم
تكفرون بسبب كفركم والجمع بين الصيغة الدالة على التجدد
وزيادة الكون الدالة على الاستمرار للمطابقة بين العمل والجزاء
المذكور مفصلا في قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
ليذوقوا العذاب والله اعلم بالصواب واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله ففي نعمة الله من الثواب المخلد جمع للتوفيق
الاول بين التنصيص بالثواب والعذاب وهنا جعلهم مستقرين
في الرحمة فهي ظرف لهم واشار الى سابق عنايته بهم وان العبد
وان كثرت طاعته لا يدخل دار الثواب الا برحمة الله تعالى واضاف
الى نفسه دون العذاب تفخيما لجانب الثواب هم فيها خالدون
اخرجه مخرج الاستيناف لبيان ان ذلك الاستقرار هو على
سبيل الخلود لا زوال منه ولا انتقال وهو تاكيد لقوله ففي رحمة الله
ولم يذكر الخلود للكفار اكتفا بذكره في قرينة ولم يعكس اذ لا يفهم
من دوام الثواب دوام العقاب بخلاف العكس ثم انه لما ذكر العذاب علله
بفعلهم ولم يذكر هنا سبب كونهم في الرحمة اشعارا بان رحمته تعالى
لا تحتاج الى سبب تلك ايات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها
عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما
للعالمين فياخذ احدا بغير جرم اي يزيد في عقاب مسيء على
ما يستحقه او ينقص من الثواب الموعود للمحسن وتقديم والبنية
على فعل الارادة بعد النفي يفيد ان الذي يظلم تاكيد بليغ في نفي
الظلم اي تنتفي ارادة الظلم عنه تعالى فضلا عن الظلم وتنكير
ظلما وتعميم للعالمين معناه لا يريد شيئا من الظلم لاحد ما يكون

لاحد من العالمين كما بينا من كان ومن قال في تعليل ما ذكر اذ يستحيل
الظلم منه لانه لا يحق عليه شي فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شي فيظلم
بفعله لانه المالك على الاطلاق لم يرد انه جار على تقدير ان يكون
الظلم منه مستحيل لا يناسب نفي ارادته فضلا عن المبالغة فيه
او ليس من شانها التعلق بما ليس مقدورا له بل الظاهر منه هو انه
مقدور له الا انه لا يريده لانه لا يليق بشانه والتعليل المذكور قاصر
لانا نعلم قطعا ان النقص عن الثواب الموعود لبعض الاعمال من
قبيل الظلم كنقص حق الاجير وهو من جملة المحتملات والله تعالى قادر له
الا انه لا يفعله ولله ما في السموات وما في الارض استيناف في معرض
التعليل لما تقدم كانه يقول ارادة الظلم امارة للحاج والرغبة الى جبر
نقصه بالظلم والله تعالى منزه عنهما لانه مالك ملك السموات
والارض والملك له خاصة والى الله ترجع الامور فالملك في دار الاخرة ايضا له
تعالى والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر للاشعار بان ما ذكره
من شان الالوهية ولوازمها وانما قال ترجع لانها قد زالت
بهلاك ما سواه كنتم خير امة دل على خيريتهم ولم يدل على انهم لم يكونوا
خيرا فصاروا خيرا او انقطع ذلك عنهم لان كان الناقصة لا دلالة
فيها على عدم سابق ولا على عدم الدوام فلذلك تستعمل فيما هو حادث
مثل كان زيد راكبا وفيما هو دائم مثل كان الله غفورا رحيما ومن قال
كان تدقيل وجدتم خير امة فكانه زعم انها تامة وان خير امة حال
ويرده عده من قبيل وكان الله غفورا رحيما اخرجت للناس اظهرت لهم
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف يبين به كونهم خير امة
وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به
تعالى انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما
اخره وحقه ان يتقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه
والتعريف في الموضعين للعهد والمعهود المعروف الشرعي والمنكر
الشرعي ومن وهم انه للاستغراق فقد وهم واستدلاله به على
حجية الاجماع ليس بتام كما لا يخفى على ذوي الافهام ولو آمن اهل
الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون اراد الكافرين
والتعبير عنهم بالفاسقين للتنبيه على ان المؤمنين المذكورين عادلون
لاحظ لهم من الفسق وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل
الاستطراد ولذلك جاءتا من غير عاطفة لن يضروكم الا اذى ضررا

يسيرا كالطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم
بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد نفي اضرارهم سوى ما يكون
بقوله وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه
يكون عاقبتهم العجز والخذلان وانما عدل به عن حكم الجزاء والعطف عليه
الى الاخبار لئلا يكون انتفاء النصر مشروطا بالشرط مقيدا بالمقاتلة كتولية
الادبار بل مطلقا اي ثم اخبركم انهم لا ينصرون بوجه ما قاتلوا او لم يقاتلوا
او يبقوا في الخذلان والذل والعجز لا ينهضون بجناح ولا يرجع اليهم قوة
وجناح كما كان من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر
وثم استعارة للتراخي في الرتبة فان الاخبار بالخذلان المطلق وانتفاء النصر
بالكلية اعظم من الاخبار بالانهزام عند المقاتلة ضربت عليهم الذلة
قد سبق تفسيره في سورة البقرة اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله
وحبل من الناس في محل النصب على الحال اي الا متمسكين او معتصمين
بذمة الله وذمة المسلمين والظاهر من تكرار الحبل تعدد الذمتين فعلى
فالمناسب ان يحمل الاولى على الذمة التي نص الله تعالى عليه في قوله حتى
يعطوا الجزية والثانية على الذي يراه الامام من اعطاء الامان
في مقابلة اخذ مال او لمصلحة اخرى والاستثناء من اعم الاحوال اي
لا عز لهم الا هذا العز وهو على طريقة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم لان
التمسك باحدى الذمتين غاية الذل ومن فسر احدى الذمتين
بدين الاسلام والاخرى بسبيل المؤمنين احتاج الاستثناء على ظاهره
فيرد عليه ان سبيل المؤمنين هو دين الاسلام بعينه فلا يناسب
تكرير ذكر الحبل وباؤوا بغضب من الله رجعوا مستوجبين له وضربت
عليهم المسكنة لم يقل ضربت عليهم الذلة والمسكنة كما قال في سورة البقرة
لانه اراد تفصيل حالهم بالمبالغة فيه بخلاف حال مسكنتهم فانها
باختيارهم في الغالب فان الاغنياء كثير في اليهود الا انهم لا يظهرون غناهم
ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والبوء بالغضب وضرب المسكنة
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق قد تقدم
تفسيره في سورة البقرة ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون
بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله على الاستمرار فان الاصرار
على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل
كرر الاشارة والمشار اليه واحد اشارة الى ان كل واحد من الامرين
مستقل بايجاب الامور المذكورة من الذل والمسكنة والبوء بغضب عظيم
من الله لو لم يكن الآخر فكيف والامران متعاضدان واريد بالامرين
الكفر ويندرج فيه قتل الانبياء والاستمرار على عدم الامتثال

بالتكاليف ومبني هذا على انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في
المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة كلام مستانف
لبيان قوله ليسوا سواء كقوله تامرون بالمعروف لبيان كنتم خير
امة قائمة مستقيمة عادلة من قولهم اقمت العود فقام اي استقام
وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله صفة امة وكذا يؤمنون
آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة
في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح ويجوز ان
يكون قائمة اخذ نعتا صيدا اي قائمة في حال تلاوة الآيات بالليل
وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها على ما ورد
في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وقوله يؤمنون بالله واليوم
الآخر في عداد خصائص المؤمنين تعريض اخر بان ايمان اليهود هم
بالامرين ليس بشيء لاشراكهم بالله عزيرا ووصفهم اليوم الآخر بخلاف
صفته وكذا ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر تعريض بانهم
مداهنون ويسارعون في الخيرات تعريض بانهم متباطئون
عنها لغلبة رغبتهم فيها فكل من رغب في شيء يسارع في توليته والقيام
به والمسارعة المبادرة والخيرات تغلبه تشتمل هذه الاوصاف
السابقة وانما اتى بها على صيغة المضارع للدلالة على التجدد
والتكرر واولئك اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف من الصالحين
حقيقة الصلاح هي انتفاء الفساد عنه بالكلية وهو غاية كمال
الوصف بالمحاسن وهو مما مدح الله به انبياءه عليهم السلام
لما عدد الخصائص الذي يستحق بها الثواب بالغ في تعظيم
جزائها للترغيب فيها بقوله وما تفعلوا من خير حيث اتى
بالتنكير للتقليل اي وان كان قليلا وجعله نعما فاستعمل في تعاليه
انتفاء الكفران ليكون من الاستعارة بالكناية ويستلزم كون الله تعالى
شاكرا فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه اليه بتضمين هو
الكفران معنى الحرمان فعدي الى مفعولين وفي هذا التضمين زيادة
تنزيه ان ينسب اليه تعالى حقيقة الكفران لان تقديره لن تحرموه
مكفورين والله عليم بالمتقين وعد وبشارة لهم بالفوز والثواب
الجزيل واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب
او من الغنا فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار اي ملازموها
هم فيها خالدون دون فساق المؤمنين مثل ما ينفقون
ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء

وخوفا

وخوفا في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع
اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت
وصف به البرد للمبالغة كما في قولك برد بارد اصابت حرث قوم
ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك
عن سخط اشد اراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث من يستحق
العقوبة ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيها منفعة ما
وهو من التشبيه المركب ولا يلزم فيه ان يكون ما يلي الاداة هو
المشبه به الا ان تشبيه المثل بالمثل يستدعي ان يراعى فيما
اضيف اليه المثل في الجانبين المناسبة على ما قرر في مثل الذين
كفروا كمثل الذي ينعق ولهذا قيل تقدير الكلام كمثل مهلك ريح وهو
الحرث وما ظلمهم الله بعدم قبول نفقاتهم ولكن انفسهم يظلمون
بخبث نياتهم او ما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب
ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد ولكن انفسهم
يظلمونها ولا يجوز اعمالها في ضمير الشان المحذوف على تقدير ولكنه
انفسهم يظلمون لان ذلك لا يجوز الا في الشعر يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يطلعه على باطنه وسره
ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار في قوله عليه
السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون
المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة
كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير
والاصل ان يعدى باللام ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك
نصحا على تضمين معنى المنع والنقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم
وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء
من افواههم لانهم لامتلائهم بالبغض لا يتمالكون ان يخفوا
ولا ينقلب من افواههم ما يظهر به بغضهم وعداوتهم مع ضبطهم
انفسهم وتحاملهم عليها وشيعتهم في الاخفاء وذكر الافواه دون
الالسنة اشعارا بان ما يلفظون به يملأ افواههم كما يقال
كلمة تملأ الفم اذا تشدق بها وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا وفي
نسبة البدا الى البغضاء والاخفاء الى صدورهم اشعارا بانهم مطبوعون
على النفاق فما بدا بلا ابدا الا بالطبع ولا بالاختيار قد بينا لكم الآيات
الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين
ان كنتم تعقلون ما تبين لكم والجمل الاربع مستانفات على
التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفات البطانة ها انتم

اولاء تحبونهم ولا يحبونكم ها تنبيه على خطائهم واولا خبرهم وتعجيب
اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم
ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاة من يبغضهم وهو خبر ثان لها
او خبر لاولاء والجملة خبر انتم او صلته او حال والعامل فيها معنى
الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون
الجملة خبرا والواو في وتؤمنون بالكتاب كله واو الحال بتقديره
وانتم تؤمنون والعامل لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون
بكتابهم كله او بجميع الكتب وفيه توبيخ شديد اي لا يحبونكم مع
كونكم تؤمنون بكتابهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم فهم في
باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا
حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام
الغيظ وزيادته والمراد به زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام
المستلزم لذلهم وتبارهم فهو من كناية بالواسطة عبر بدعاء موتهم
بالغيظ عن ملزومه الذي هو دعاء ازدياد غيظهم الى حد الهلاك
وبه عن ملزومه الذي هو قوة الاسلام وعز اهله وذلك لان
مجرد الموت بالغيظ وازدياده ليس مما يحسن ان يطلب ويدعى
ويجوز ان لا يكون ثمة قول وان يكون معنى الامر بالقول طب
نفسك وكن مستبشرا بان الله تعالى يعز الاسلام ويذم الكفر
بحيث يزداد غيظ الكفار الى حد الهلاك على ما سبق من طريق
الكناية واصل الكلام استعارة تمثيلية شبه طيب النفس والتشفي
بذلك بتحديثه نفسه واعلامها بذلك ان الله عليم بذات الصدور
الاسرار التي لا تنكشف اصلا كني بالملزوم للصدور عن عدم الظهور
البتة والظاهر انه تذييل لمجموع ما سبق من قوله ها انتم الى قوله
بغيظكم فهو وعيد على اضمار مكرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان
تصبكم سيئة يفرحوا بها التنكير في الحسنة للتحقير وفي السيئة للتعظيم
والمس مبني على ادنى مراتب الاصابة فالمعنى ان الحسنة اي قدر كان
ولو مسا ساءتهم واما الفرح بالسوء فلا يكون الا بالوصول التام بحيث
يعتد به لان مقام مبالغة الحسد والغيظ يقتضي ذلك وقيل ان
المس مستعار للاصابة فكان المعنى واحدا فتدبر وان تصبروا
على عداوتهم وتتقوا موالاتهم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله
وحفظه ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط
اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما

يعملون

يعملون في عداوتكم فيجازيهم عليه واذ غدوت اي اذكر اذ غدوت من
اهلك اذ خرجت غدوة من وطنك منزل عائشة الى احد تبوئ المؤمنين
تنزلهم وتهيئ ويرشد اليه القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف
واماكن له والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وفيه وعيد للمنافقين اذ
همت بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة
من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا اي قصدت ان تفعلا فعل
من فشل وهو الانصراف وترك القتال وهو للخطرة هنا لا للعزيمة لقوله
والله وليهما اي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة وكان ذلك عند انخزال
ابن ابي في ثلثمائة من قومه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم على الله
للتخصيص اي فلا يتوكل المؤمنون الا على الله لينصرهم كما نصرهم يوم
بدر وانما جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة المتقدم الفاء
للاختصاص قالوا والواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان كونه تعالى
وليهم سبب للتوكل عليه خاصة والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر
للتفخيم المناسب لمقام الامر بتخصيص التوكل عليه ولقد نصركم الله
ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل على الله تعالى وبدر ما بين مكة
والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير
وانما اورد اذلة على صيغة جمع القلة ليدل على انهم مع ذلتهم
كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة المركوب والسلاح
والمال فاتقوا الله بالثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما
انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها
فوضع الشكر موضع الانعام لكونه سببا له اذ تقول للمؤمنين ظرف
لنصركم او بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان
مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم
وخالفوا امر الرسول عليه السلام لم تنزل الملائكة الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم
الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وتاكيد النفي بلن اشعار بانهم
كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من
النصر قيل امدهم الله تعالى يوم بدر اولا بالف ثم صاروا ثلاثة ثم
صاروا خمسة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج وقرئ
منزلين بكسر الزاي اي منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى
يكفيكم ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية
لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم
هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت

فاستعيرت للسرعة في العرف فغلبت ثم سميت به الحال التي لا لبث
فيها ولا تعريج لصاحبها على شي والمعنى ان ياتوكم في الحال يمددكم ربكم
بخمسة الاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين
معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشي لقوله عليه السلام
لاصحابه رضي الله عنهم تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين
من التسويم بمعنى الاسامة وقرئ مسومين بكسر الواو وما جعله الله وما
جعل الوعد والامداد ومن قال وما جعل الامداد فكانه غفل عن ان البشارة
تحصل بالوعد والامداد الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر هذا غاية
للوعد وقوله ولتطمئن قلوبكم به اي ولتسكن اليه من الخوف غاية
الامداد وللتنبيه على انهما غايتان لامرين مختلفين غير الاسلوب
وفصل بينهما بحرف التعليل هذا اما بحسب البلاغة والذي بحسب
النحو هو انه لما وجدت شروط المفعول له من احد اتحاد الزمان والفاعل
في الاول دون الثاني دخل عليه اللام ولم يدخل على الاول وما النصر
الا من عند الله لا من العدد والعدد وفيه تنبيه على انه لا حاجة
في نصرهم الى عددهم الى ان عادته تعالى جرت بان ينصر باعداد
الاسباب وامداد الاصحاب ولو بتكثير السواد على ما اشار اليه بقوله
العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي يفعل على مقتضى
الحكمة بامداد واعداد وفي التنبيه المذكور ايضا الاشارة الى ان
الملائكة ما نزلوا للقتال بل لمجرد تكثير السواد ولذلك احتيج الى
الكثرة والا فملك واحد كان في اهلاك الكل ليقطع طرفا من الذين
متعلق بقوله وما النصر الا من عند الله اي ليهلك طائفة منهم ويذل
بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من
صناديد قريش ورؤسائهم كفروا او يكبتهم يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة
فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمطلوبهم ليس لك من الامر شيء اعتراض
او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله
مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور بانذارهم
وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر باضمار ان اي ليس لك من
امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم روي ان عتبة بن ابي وقاص
شجه عليه السلام يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت فانهم
ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم تعليل للتعذيب ولله ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء

صنع في نفي وجوب شي من المغفرة والتعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها
كالمنافي له وتقديم المغفرة للاشارة الى سبق الرحمة على الغضب والله
غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم قيل هم عليه السلام ان يدعو
عليهم يوم احد فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فنزلت يا ايها الذين
امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة والتخصيص
بحسب الواقع ولا بد له من نكتة ولعلها تشبيه ما قصد بتخصيص هو
الخطاب بالمومنين مع عدم اختصاص النهي بهم من التنبيه على ان
المومن بارتكاب الكبيرة لا يخرج عن الايمان واتقوا الله فيما نهيتم عنه
لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين
تخصيص بعد التعميم فان اتقاء الله تعالى ينتظم اتقاء سخطه في الدارين
ولا يخفى على الفطن ما فيه من المبالغة في التهديد على الربا حيث
انه لعل في فلاح من اتقاه واجتنبه لان تعليق امكان الفلاح ورجائه
بالاجتناب منه يستلزم امتناع الفلاح لهم اذا لم يجتنبوه ويتقوه مع
ايمانهم ثم اوعد عليهم بالنار التي اعدت للكافرين مع كونهم مومنين
في العظم امن معصية توجب عقاب الكفار للمومنين وما اشده من
تغليظ عليه ثم امد التغليظ بالامر بطاعة الله تعالى ورسوله
عليه السلام تعريضا بان اكل الربا منهمك في المعصية لا طاعة له
ثم علق رجا المومنين لرحمته بطاعة الله ورسوله اشعارا بانه لا رجا
للرحمة مع هذا النوع من العصيان فانظر كيف درج التغليظ في
التهديد بحيث الحقه بالكفار في الجزاء والعقاب واما ما قيل فيه
تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة
فمبناه على ان يكون المراد نارهم مطلقا وذلك غير مسلم وقد
نبهت فيما تقدم على ان المناسب للمقام حملها على نار مخصوصة
بالكفار واطيعوا الله في نهيه عن الربوا الجملة واطيعوا الرسول
في بيان ذلك المجمل لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا
عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك
دليل عزة التوصل الا ما جعل خبرا له وسارعوا الى مغفرة بادروا واقبلوا
الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق المغفرة من الاسلام والتوبة والاخلاص
ترك الملزوم واقيم اللازم مقامه للتشويق والتحريض على ما يوجبه
وليكون سارعة الاقبال عليه بالنشاط عليه مع خفته على النفس
وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرض السموات والارض
كما قال في موضع اخر عرضها كعرض السما والارض قال بن عباس
والحسن قال ابن عباس والحسن ان السموات والارض اذا ضم

بعضها الى بعض فعرض الجنة مثلها فاما الطول فاكثر من ذلك لان طول
كل شي يزيد على عرضه وقيل العرض هو السعة قال الشاعر
كان بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل اي
واسعة اعدت للمتقين هيئت لهم صفة اخرى للجنة وفيه دليل
على ان الجنة مخلوقة واما انها خارجة عن هذا العالم فلا دلالة عليه
فيه ويجوز ان يكون فوق السموات دون العرش وقد جا في الحديث
سقف الجنة عرش الرحمن الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين اي
مدح منصوب او مرفوع في السرا والضرا اي في حال الرخا واليسر وحال
الضيق والعسر لا يهملون انفاق ما تيسر لهم او في الاحوال كلها اذ الانسان
لا يخلو عن مسرة ومضرة اي لا يخلوا في حال ما من انفاق ما قدروا عليه
من القليل والكثير وقدم الانفاق على سائر خصال المتقين لكونه
اشق على النفس وادل على الاخلاص او التوكل ولانه كان اعظم اعمال
البر في ذلك الوقت للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومساواة فقراء
المسلمين والكاظمين الممتنعين عن انفاذه كظم البعير جرته اذا ردها
الى جوفه الغيظ وهو توقد حرارة القلب من الغضب يقال
تغيظت الهاجرة اذا اشتد حرها ويجوز ان يكون من كظمت القربة
اذا شددتها على ملئها والاول ابلغ ومن قال في تفسيره الممسكين
عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه فلم يصب في اعتبار القيد
الاخير لانه غير لازم في كظم الغيظ على ما يفهم من قوله عليه السلام
من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا
والعافين عن الناس اي المتجاوزين عن الجاني كائنا من كان
والله يحب المحسنين يحتمل الجنس فيدخل المذكورون تحته والعهد
فتكون الاشارة اليهم فيكون تسجيلا عليهم بالاحسان وبشارة لهم
بكرامة محبة الله تعالى اياهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة
في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقد قيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة وقيل الفاحشة ما لا يتعدى
وظلم النفس ما لا يتعدى ذكروا الله تذكروا حقه الموجب للخشية
والحيا منه او تذكروا عقابه او وعيده او نهيه فاستغفروا لذنوبهم
فتابوا عنها نادمين ومن يغفر الذنوب الا الله اعتراض بين المعطوفين
تصويبا للتائبين المستغفرين وتطييبا لقلوبهم وبشارة لهم بوصف
ذاته تعالى بسعة الرحمة والمغفرة وتحريضا لهم على التوبة وبعثا
على الرجا وردعا عن الياس ويعني الاستغفار ثم تعتبر بانه تعالى
وحده مخصوص بموجبات المغفرة ومصححاتها من الفضل والكرم

والعفو والرحمة

والعفو والرحمة الذاتية ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على افعالهم
السيئة غير مستغفرين اي تداركوها بالاستغفار كلما عادوا الى الذنب
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين
مرة وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب اليهما معا
اي ليسوا مصرين على الذنوب وهم يعلمون كونها منهيا عنها لانه
قد يعذر من لا يعلم قبحها وكونها معاصي اولئك جزاؤهم مغفرة من
ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين
ان ابتدات به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفته
على المتقين او على الذين ينفقون ومن ادعى ان الحق وانصف
وما تجنب عن التعسف والتعصب انصف على ان ليس في
هذه الايات سوى ان الجنة اعدت للمتقين او التائبين
او للمتقين خاصة والتائبون اجرهم مغفرة وجنة اما مع
سكوت عن حكم المصرين او دلالة ما تطيقه على انهم ليسوا كذلك ولا نزاع
في ان الجنة ليست معدة لهم ولا جزاءهم ولكن من اين البيان القاطع انهم
لا يدخلون البتة وانه لا يجوز في حقهم التفضل والاحسان على ان الكلام
وارد لترهيب اكلة الربا اولا وترغيبهم في الاقلاع عنه ثانيا فالتقييد بعدم
الاصرار لئلا يتم الغرض فينتفي شرط مفهوم المخالفة وهو ان لا يظهر فائدة اخرى
وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك
الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فرقا بين الفريقين
انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى وذلك
لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل اية
هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل
بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل
تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات رجع الى وقعة احد وما
نابهم فيه فقال قد خلت من قبلكم سنن في الامم المكذبين من الوقائع كقوله
وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ويجوز ان تكون اعتراضا للتحريض
على الايمان والتصديق بما تضمنه يعني اي مضت على هذا المنهاج سنن من
الانبياء السابقين فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين عاقبة
تكذيبهم حتى تعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم فتنزجروا عن التكذيب
وتصدقوا والفاء لتضمن الكلام معنى الشرط اي ان شككتم فسيروا هذا
بيان للناس اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي
ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب وهدى وزيادة تثبيت

وموعظة للمتقين للذين اتقوا من المؤمنين اولهما يخص من امر المتقين والثا
بتين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية لقلوبهم اي لا يورثنكم ذلك وهنا
وجبنا عن الجهاد وحزنا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم
واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد وانتم الاعلون
شانا لان قتالكم لله تعالى ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة
الكفر وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او انتم الاعلون في العاقبة فتكون
بشارة لهم بالعلو والغلبة في العاقبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي
اي ولا تهنوا ان صح ايمانكم فان صحة الايمان توجب التقوية بالله وقوة
القلب وصحة العزيمة والتوكل عليه حذف جوابه لدلالة النهي عليه
تقديره ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا او بالاعلون اي انتم الغالبون ان كنتم
مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به ان يمسسكم قرح قرئ بالضم
والفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالضم الجراح وبالفتح
المها وقيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم فقد مس القوم قرح مثله
اي نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم يوم بدر ثم لم يضعفوا ولم يجبنوا
فانتم اولى بذلك فانكم ترجون من الله تعالى ما لا يرجون وقيل كلا المسين
كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه السلام
وقوله مثله لا ينافي المعنى الاول لقوله وانتم الاعلون لان الاصابة
تنتظم الاسر والمماثلة في مس القرح وما يترتب عليه من القتل فقط
وتلك الايام تلك اشارة الى مبهم تفسيره الايام وهي الوقايع العظام
نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة
كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف
والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال وليعلم الله الذين امنوا عطف على
علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله قالوا والعاطفة
للايذان بان العلة فيه غير واحدة وانما يصيب المؤمن فيه من المصالح
ما لا يعلمه وفيه تسلية لهم عما جرى عليهم وتبصير بان العبد ربما يسوءه شيء
ويجري عليه من المكاره ولا يدري انه خير له او الفعل المعلل به محذوف
تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك
والقصد في امثاله ونظائره ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى
اثبات المعلوم ونفيه بطريق البرهان شهودا امعد ولئن بما صودف
منهم من الثبات والصبر على الشدايد والله لا يحب الظالمين الذين
يضمرون خلاف ما يظهرون اعتراض بين التعليلات ليستحيل على ما هو

ليس

[illegible]

ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان والمجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب
بالظلم والتنبيه على ان ظلمهم اوجب ان بغضهم الله تعالى والتعريض بانه
يحبهم لاجل تلك الصفات وليمحص الله الذين امنوا المحص التطهير والتصفية
والتخليص وصيغة التفعيل للمبالغة اي وليطهرهم من الذنوب ان كانت
الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق افناء
الشيء حالا بعد حال لحق الهلاك ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم
ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو للحال بتقدير
المبتدأ ولما كلمة في نفي الماضي الا ان فيه معنى التوقع في المستقبل فدل
على نفي الجهاد في الماضي مع توقعه في المستقبل لان معنى ولما يعلم الله
ولما يجاهدوا الان وقوع الشيء يستلزم كونه معلوما لله تعالى ونفي
اللازم يستلزم نفي الملزوم فنزل نفي العلم منزلة نفي الجهاد للتاكيد والمبالغة
لان انتفاء اللازم برهان على انتفاء الملزوم وفيه اشعار بان علمه تعالى
بالاشياء على ما هي عليه ضروري وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم على ارادة
التاكيد بالنون الخفيفة اي ولما يعلمن فحذفت ويعلم الصابرين نصب
باضمار ان على ان الواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي
لا تجمعوا بين الجهاد والصبر يريد وجوب الجمع بينهما وقرئ بالجزم على
العطف وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما جاهدوا
وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي لقاء العدو فانه من اسباب
الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا
ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لم يكون لهم يوم كيوم
بدر ويتمنوا الشهادة فيه لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا
يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه اي العدو فانه ملحوظ وان لم يكن
ملحوظا فقد رأيتموه حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وانتم تنظرون
معاينين له مشاهدين اي لا على غفلة واشتغال امر سواه ففيه
تاكيد وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب والحاحهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الخروج ثم قلة مصابرتهم عليه وعدم ثباتهم له
وانهزامهم عنه عدم مشاهدتهم اما على تمنيهم الشهادة ثم
توليهم مدبرين ومتوهم ان في تمني الشهادة تمني غلبة الكفار
فقدوهم فانه يقصد الجانيل كرامة الشهادة ولا يخطر بباله غلبة
الكفار وما محمد الا رسول قصر الموصوف على الصفة يستلزم انه
نفي سائر الصفات التي فوق الرسالة عنه اي ليس بمخلد ولا اله
حتى لا يمكن موته وقتله ومعنى قد خلت من قبله الرسل لا ينافي م
الرسالة المضي لسبيله فسيمضي كما مضت الرسل من قبله وما

كان مصيبهم سببا لانقلاب اتباعهم عما كانوا عليه فنسبكم ان
تتمسكوا بدينه وطريقته في الجهاد وغيره كما تمسك اتباع الرسل
بعدهم بما كانوا عليه فان المقصود من الرسالة التبليغ لا البقاء بين الامة
وقد بلغ ثم عنفهم ووبخهم على ما كان منهم بقوله افان مات الى كلمة
ان وقد علم انه يكون تنزيلا للسامع منزلة المتردد لاستعظامه
وكذا القتل بقوله او قتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله
والله يعصمك من الناس على تقدير نزوله قبل يوم احد لا ياباه اذ ليس كل اية
يسمعها كل احد ولا كل سامع يستحضرها في كل مقام سيما ذلك المقام الهايل
انقلبتم على اعقابكم نحو الكلام توبيخ الانكار على ما تقدم اي قد علمتم مضي
الرسل وتمسك اممهم بعدهم باديانهم فكيف تهم انقلابكم على اعقابكم
عقيبه بالموت او القتل الا انه قدم ما حقه التاخير لاقتضا اداة الاستفهام
الصادرة في الكلام لا انكار التوبيخ على ما تقدم لان ذلك التوبيخ عزب
عن مذهب الافهام فرده لا يناسب المقام كما لا يخفى على دون الافهام
ومن ينقلب على عقبيه قد سبق بيانه في سورة البقرة فلن يضر الله شيئا
بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات
عليه كانس واضرابه رضي الله عنه وما كان لنفس اي وما صح لها
ان تموت الا باذن الله ملك الموت في قبض روحها كان السابق الى الوهم
والمتبادر الى الفهم من اسناد الموت الى الميت في قوله افان مات هو ان
يكون الموت الواقع بلا سبب ظاهر من المرض والقتل بمقتضى طبيعته
الموت دفعه ببيان ان الموت مطلقا لا يكون الا بقبض الروح وهو
باذن الله تعالى وليس فيه تحريض وتشجيع على القتال بناء على ان
الاجل المقدر لا يتاخر بالحذر كيف وهو خلاف المامور به في قوله
تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما الوعد للرسول عليه السلام
بالحفظ وتاخير الاجل فلا يفهم منه اصلا كتابا مصدر موكد اذ المعنى
كتب الموت كتابا موجلا صفة له اي موقتا له اجل معين ومن يرد ثواب
الدنيا نوته منها تعريض للذين شغلتهم الغنايم يوم احد ومن
يرد ثواب الاخرة نوته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين
الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شي عن الجهاد وحذف المفعول
الثاني في الموضعين لابهام الجزا تعظيما اي جزا لا يوصف كنهه
وكاين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون
تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرئ كاين كقاعن ووجهه
انه قلب قلب الكلمة الواحدة فصار كيان ثم حذف اليا الثانية
للتخفيف ثم ابدلت اليا الاخرى الفا كما ابدلت في طائي من نبي

من

من بيان له قتل معه ربيون كثير الربيون الربانيون وقرئ بالحركات
الثلاث والفتح على القياس والكسر والضم من تغييرات النسب وقرئ
قتل والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه اي قاتل كاينا
معه ربيون ويويد الاول انه قرئ بالتشديد فما وهنوا فما فتروا ولم
ينكسر جدهم لما اصابهم في سبيل الله من الشدة وغلبة العدو وقتل
الاخوان وقتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده لقوة اليقين والثبات
في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو وقيل استكان افتعل
من سكن والالف للاشباع لان معناه خضع وتذلل والخاضع يسكن
لصاحبه ليفعل به ما يريده وقيل استفعل من كان التامة
كان الخاضع يطلب من نفسه ان يكون ويثبت على ما يريده
صاحبه والاول اقوى من حيث المعنى ولكن لا يساعده وجوه
الاشتقاق والتصريف والثاني اصح لفظا واضعف من حيث المعنى
وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام من الوهن
والضعف عن الجهاد والاستكانة للمشركين حتى هموا ان يقصدوا
بالمنافق عبد الله ابن ابي في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب
الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا قراة
العامة قولهم بالنصب وانما جعلوه خبر الا ان قالوا اعرف لدلالته
على جهة النسبة وزمان الحدث ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
الاسراف مجاوزة الحد وذكره بعد ذكر الذنوب للمبالغة في الاعتراف
بالذنب وسوء الظن بانفسهم في امرنا وثبت اقدامنا على حاجة الجهاد
وانصرنا على القوم الكافرين وهو مدح لهم بانهم مع حسن العمل استغفروا
من الذنوب والخلل اي وما كان قولهم الا هذا القول اي الاستغفار عن
الذنوب والاسراف واضافتها الى انفسهم وطلب تثبيت الاقدام في
مواطن الحرب والنصرة على العدو معتقدين ان الخذلان وتزلزل
القدم انما يكون لذنوبهم متقدمين عليه للاستغفار منهما هضما
لانفسهم واستقصارا مع كونهم ربيين ليكون الدعا مع الخضوع
وزكا النفس فيقرب بالاجابة كما جا بعده فاتاهم الله بسبب
الاستغفار واللجا الى الله تعالى ثواب الدنيا من النصر والغنيمة
والعز وطيب الذكر وحسن ثواب الاخرة من الجنة وما فيها من النعيم
وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده تعالى
والله يحب المحسنين اي هم محسنون والله يحبهم ويحسن ثوابهم
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا
خاسرين نزلت في قول المنافقين عند الارجاف ارجعوا الى دينكم

واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل تستكينوا لابي سفيان واشياعه
ونستامنوهم يردوكم الى دينكم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول
على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله موليكم ناصركم دون
غيره فلا تميلون الى ولاية غيره ونصرته وقرئ بالنصب على تقدير بل
اطيعوا الله موليكم وهو خير الناصرين فهو احق ان يستعان به سنلقي
في قلوب الذين كفروا الرعب هو بيان لقوله وهو خير الناصرين والرعب
الخوف الذي يملأ القلب يقول وان نالكم الحال بعض الشدة بعصيانكم
سنلقي في قلوبهم الرعب فتكون العاقبة لكم بما يمانكم وقد حقق هذا
الوعد فالقي في قلوب ابي سفيان واصحابه الرعب فلم يجيبوا في
ندب الصخرة ثم بعد ان وعدوا ذلك وقيل يريد به ما قذف في قلوبهم
من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال وانهزموا الى مكة من غير سبب
ولهم القوة والغلبة ولا يباعد الخوف عبارة سنلقي بما اشركوا بالله
بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به باشراكهم سلطانا حجة نبه على
معنى نفي الحجة والانزال جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر وذكر الانزال
لان مشارة الحجة الالهية ان ينزل من السماء ففيه تهكم [illegible]
واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة
لحدة اللسان ومأواهم النار اي مرجعهم جهنم في الاخرة وبئس مثوى
الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل
ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط الصبر والتقوى
كما مر في قوله ان تصبروا وتتقوا الخ وكان كذلك حتى خالف الرماة
اذ تحسونهم تقتلونهم من احسه اذا ابطل حسه باذنه بتيسيره
حتى اذا فشلتم الخطاب للكل والمراد بعضهم على طريقة العرب في
نسبة ما يقع من البعض الى الجمع على سبيل التجوز والفشل الجبن والضعف
وحتى حرف جر بمعنى الى داخل على اسم اذا وقد عرفت ان معنى
صدق الوعد النصر والاظفار فلا يرد انه لا يصلح غاية لان وعده
تعالى لا ينقلب كذبا وانما قدم ذكره وهو مؤخر وجودا عن التنازع
والعصيان للدلالة على ان الموعود لم ينته بتنازعهم وعصيانهم
ما لم يجبنوا فالغاية في الحقيقة جبنهم وهذا يرجح الوجه المذكور على
ما قيل ان اذا لم يجرد عن معنى الشرط وجوابه محذوف دل عليه ثم
صرفكم اي منعكم نصره وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة
حين انهزم المشركون في اول الوهلة فقال بعضهم فما موقفنا
هاهنا الغنيمة الغنيمة وقال اخرون لا تخالفوا امر الرسول فثبت
مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني

بقوله

بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الغنيمة وفيه تنبيه
على ان باعث عصيانهم وتشنيع لهم حيث اثروا الغنيمة على الجهاد
ومن زاد على ما ذكر الظفر وانهزام العدو فقد فوت النكتة منكم من يريد
الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الاخرة وهم الثابتون
محافظة على امر الرسول عليه السلام ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى
حالت الحال ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان
عندها ولقد عفا عنكم تفضلا لما فرط منكم من عصيان امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما علم من ندمكم عليه والله ذو فضل على المؤمنين
في جميع الاحوال فتارة يتفضل عليهم بالنصر والادالة على عدوهم لتقوية
امر الدين وتارة يتفضل بالابتلاء والادالة للعدو عليهم لظهور الصفات
الكمالية الكامنة فيهم ونيل درجات الشهادة وتارة يتفضل بالعفو
وتمحيصهم من الذنوب وكلها رحمة منه عليهم وفضل بحسب اقتضاء
احوالهم ذلك اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كما
ذكروا الاصعاد الابعاد في الضرب في الارض قال صاحب الديوان
الاصعاد في الارض والتصعيد في الجبل والصعود في السلم وقرئ تصعدون
بفتح التاء من الصعود وقرئ تصعدون في الوادي ويحتمل انهم
ذهبوا الى الوادي ثم صعد بعضهم الى الجبل ملتجئا اليه ولا تلوون على احد
ولا تلتفتون على احد من الاحاد من قولك لوى جيده اليه اذا التفت
اليه وهو اخبار عن غاية خوفهم من العدو والرسول يدعوكم وكان
يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم
وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم عطف على صرفكم اي مجازاكم الله على
فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وغلبة
المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او مجازاكم غما بسبب
غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم والثواب الجزاء كيف ما كان
والاثابة اعطاؤه وقال عليه السلام الواهب احق بعطائه ما لم
يثب عنه الا ان الثواب اذا اطلق يراد به الجزاء في الخير وعلى هذا
يكون فاثابكم كقوله فبشرهم بعذاب اليم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم
لتتمرنوا على تجرع الهموم وتتعودوا الصبر واحتمال الشدائد
فلا تحزنوا فيما بعد على ما فاتكم من الفوائد ولا ما اصابكم من المكاره
وقيل الضمير في اثابكم للرسول اي فاتاكم في الاغتمام فاغتم بما نزل
عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولا يثربكم على عصيانكم تسلية لكم من النصر
ولا ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عليم باعمالكم وبما
قصدتم بها وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم انزل

عليكم من بعد الغم امنة نصب على المفعول نعاسا بدل منها او هو المفعول
وامنة حال منه او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او
على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من
الامن اي انزل الله عليكم الامن وازال الغم والخوف حتى نعستم يغشى طايفة
منكم اي النعاس عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان
السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وقرئ
تغشى بالتاء ردا على الامنة والطايفة المومنون حقا وطايفة
منهم وهم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهم
والحزن لعدم اليقين او ما بهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها ما
لاهم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصر مستفاد من
المقام يظنون بالله صفة اخرى لطايفة او حال او استيناف
على وجه البيان لما قبله غير الحق نصب على المصدر اي يظنون
بالله غير الحق الذي يحق ان يظن به ظن الجاهلية بدل له وهو
الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها وفي الابدال مبالغة في
كشف خطا الظن واشعار بان ظن الجاهلية علم في البطلان
يقولون اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون
هل لنا من الامر من شي هل لنا مما امر الله تعالى ووعد من النصر
والظفر نصيب قط قل ان الامر كله لله اعتراض اي الغلبة الحقيقية
لاولياء الله تعالى فان حزب الله هم الغالبون فلا معنى لنفي الامر
بمعنى النصر لاظهار عنهم وقرئ كله بالرفع على الابتدا يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون وهو بدل
من يخفون او استيناف على وجه البيان وهو اجود اي يظهرون
هل لنا من الامر شي سوال المومنين المسترشدين ويقولون في
انفسهم او بعضهم لبعض مبطنين لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا
ههنا منكرين لقولك ان الامر كله لله تعالى اي لو كان الامر كله لله كما قال
محمد ان الامر كله لله ولاوليايه وانهم الغالبون ما غلبنا قط
وما قتل من قتل من المسلمين في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله
عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع
الاقامة بالمدينة ولم ينج احد منهم لا لان العلم الازلي
ملجيهم اليه ويلزمهم ذلك لان العلم تابع للمعلوم فلا تاثير له
فيه بل لان الله تعالى قدر الامور ودبرها في سابق قضايه
لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم

ويظهر

ويظهر سرايرها من الاخلاص والنفاق وعلة محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف
على محذوف اي ليبرز لمصالح جمة وللابتلا وليمحص ما في قلوبكم من وساوس الشيطان
والله عليم بذات الصدور من الظنون والعزايم وفيه وعد ووعيد وتنبيه
على انه تعالى غني عن الامتحان وانما فعل ذلك ليميز المومنين ويظهر حال
المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم
ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم
التاييد بالنصر وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان
اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد قدمت لهم لان الذنب يجر الى
الذنب كما ان الطاعة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل
ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقا الله تعالى معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا
امرهم ويجاهدوا على حال مرضية ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين
امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم
والمراد بالاخوة الصداقة او الاتفاق في النسب المذهب اذا ضربوا
في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة وساير المهام واذا اجد قالوا
لمجرد الظرفية على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى او خرجوا للغزو غزى
جمع غاز كعفى جمع عاف لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا
اي لو لم يخاطروا لعاشوا وهو يدل على ان اخوانهم قد فاتوا بعد ان
غابوا عنهم ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اي قالوا ذلك معتقدين
ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام للعاقبة ويجوز ان يتعلق
بالنهي اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده
ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون قلوبكم منها
ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا
مثلهم ليجعل الله انتفا كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتكم
اياهم في قولهم واعتقادهم مما يغيظهم ويغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم
وتخطية لعقيدتهم ان الامر بيده فقد يحيي المسافر والغازي ويميت
المقيم والقاعد وبالعكس كما يشا والله بما تعملون بصير تهديد للمومنين
على ان يماثلوهم وعلى القراة بالياء وعيد للكفار صدر الجملتين بالقسم
للتاكيد والتحقيق ولئن قتلتم في سبيل الله او متم في سبيل الله متعلق
بالمعطوف فيمن قتل في قوله تعالى لهم تكفي امته من قتل وكسب
في ايمانه خيرا فلا حاجة الى تقديره بعد قوله او متم وقرئ بكسر الميم

من مات بمات وتقديم القتل لانه الغالب في الجهاد بخلاف غيره ولهذا اخر
فيما ياتي ثم ان المقتول احق بالمغفرة واجدر والمثبت في الحشر اكثر فقدر
لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وساد مسد جواب
الشرط وعدل في الجواب الى الجملة الاسمية للدوام والتاكيد وتنكير
مغفرة للتعظيم وكذا تنكير رحمة كذب الكافرين اولا في زعمهم وخطابهم
في اعتقادهم ثم نهي المسلمين عن ذلك لكونه اعتقادا باطلا موجبا
للتقاعد عن الجهاد ثم قال ولئن وقع ما تحذرونه فان ما تنالونه
من المغفرة والرحمة والثواب العظيم خير مما يجمعون من منافع
الدنيا لو لم تنالوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم
لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم
لاجله لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم
ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه شان لا يخفى ولذلك
عدل عن الضمير اليه فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتوكيد
وتقديم الظرف للدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من
الله تعالى وتنكير رحمة للتعظيم اي بحظ وافر لك من رحمة الله تع
لنت لهم وتلطفت وما عيرتهم على مخالفة امرك وتركهم اياك بين
الكفار بل واسيتهم بالغم واغتممت لاجلهم والفا للترتيب على
ما دل عليه سياق الكلام من انهم كانوا مستحقين للعقاب البليغ
وان المرجو منه عليه السلام على ما هو مقتضى الطبع البشري
اي يعنف عليهم ويغلظ في مخاطبتهم ولو كنت فظا الفظ الجافي
الخشن الخلق غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا
عنك ولم يسكنوا اليك ولما بين فائدة حسن الخلق ورفق القلب
رتب عليه الامر بقوله فاعف عنهم فيما يختص بحقك واستغفر
لهم فيما يختص بحق الله اتماما للرافة بهم وشاورهم في الامر
في امر الحرب مما لا ينزل عليك فيه وحي لما في مشاورتهم من الرفع
في اقدارهم وتطييب قلوبهم والاستظهار برايهم وعن الحسن
قد علم الله تعالى انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد
ان يستن به من بعده فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على
شي بعد الشورى والفا التعقيبية للدلالة على ان حق المشاورة
ان ينتهي الى العزم على احد الامرين ولا يبقى في التردد بينهما
فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو الارشد الاصلح فانه
لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت
لك على شي او عينته لك فتوكل على الله ولا تشاور فيه

احدا

احدا ان الله يحب المتوكلين اي يرضى عنهم ويهديهم الى الصلاح وينصرهم
ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا يغلبكم احد وان
يخذلكم اي ان يترك نصرتكم كما تركها يوم احد فمن ذا الذي ينصركم
من بعده اي من بعد خذلانه او من بعد الله كما اذا جاوزته
تعالى من قولهم ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان وهو تنبيه
على المقتضي للتوكل عليه تعالى وتحريض على ما يستحق به
النصر وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
اي لما علموا ان لا ناصر لهم سواه فليخصوه بالتوكل عليه
والتفويض اليه وفي عبارة المومنون اشارة الى وجه يؤيد
التخصيص المذكور وهو ان الايمان الحقيقي يقتضي رؤية
فنا القوى والقدر كلها في قوته تعالى وقدرته فلا ناصر
سواه وما كان وما صح لنبي من الانبيا عليهم السلام فكيف
لمن هو افضل الرسل ان يغل الغلول اخذ المال من الغنيمة في
خفا فقدت قطيفة حمرا من الغنايم يوم بدر فقال بعض من كان
مع النبي صلى الله عليه وسلم لعل رسول الله اخذها فنزلت وقابل ذلك
مومن لم يظن فيه ذلك حرجا براه الله تعالى من ذلك ونزهه ونبه
على عصمته عليه السلام بان النبوة والغلول متنافيان
لئلا يظن ظان في حقه شيا منه ولا يستريب احد وقرئ
ان يغل على البنا للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد
غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة
يات بالشي الذي غله بعينه فيفتضح به على روس الخلايق
وهذا ما يقتضيه سياق الكلام واما حمله على عنقه كما ورد
في بعض الاحاديث فغير منظور اليه في هذا المقام ثم انه
مخصوص بما له تعلق على ما يفهم من قوله عليه السلام لابي
هريرة رضي الله عنه لا تخبان من اميرك شيا من الغنايم اذا
تخرج يوم القيامة وهو معلق بثيابك ولو كانت ابرة فلا
انجاه لما نقل عن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك
فتلت عليه الاية فقال اذا احملها طيبة الريح خفيفة المحمل
ثم توفى كل نفس ما كسبت يعطى جزا ما كسبت وافيا كان
الظاهر ان يقال ثم توفى ما كسب ليتصل بقوله يات
بما غل لفظا وانما عدل عنه وعمم ليدخل تحته دخولا اوليا
فيكون ابلغ واثبت بالبرهان لانه لما علم الغال ان كل نفس
توفى جزا ما كسبته خيرا كان او شرا علم انه غير متخلص

من يكبهم من عظم ما كسب فاتصل به معنى وهم لا يظلمون أفمن اتبع
رضوان الله فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم
ولما عمم كل ما سبق خير وشر وكلا المثنى فبيّن من النبي والغال كأنه
قال أيغل النبي فمن اتبع رضوان الله بالطاعة يعني النبي ﷺ
ومن تابعه كمن باء رجع بسخط عظيم من الله ومأواه جهنم
بالعصيان كالغال ومن دان بدينه وبئس المصير الفرق
بينه وبين المرجع أن المرجع هو انقلاب الشيء إلى حال كان عليها
والمصير انقلابه إلى خلاف الحال التي كان عليها هم درجات تشبيه
بليغ أي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات وقيل على حذف
المضاف أي هم ذو درجات وإنما قال عند الله تعظيما للتفاوت
والله بصير بما يعملون عالم بأعمالهم فيجازيهم على حسبها
لقد من الله على المؤمنين خصهم بالذكر لأنهم هم المنتفعون ببعثته
عليه السلام والمنة هنا الإنعام وقرئ لمن من الله على أنه خبر
محذوف مثل منه أو بعثته ويجوز أن يكون إذ في قوله
إذ بعث في محل الرفع بأنه مبتدأ أي وقت بعثته لمن من الله
لأن العرب لم تستعمل إذ منصرفة قال أبو علي الفارسي لم ترد
إذ وإذا في كلام العرب إلا ظرفين ولا يكونان فاعلين ولا
مفعولين ولا مبتدأين وإنما قال فيهم لأنهم كانوا عرفوا مولده
ومنشأه وصدقه وأمانته وطهارة أخلاقه فاندفع بذلك
كثير من الخواطر رسولا التنكير للتعظيم من أنفسهم من جنسهم عربيا
مثلهم يشهد عليهم أخذ ما يجب أخذه عنه لأنهم أفهم في اللسان
وقيل من نسبهم يعني من ولد إسمعيل عليه السلام كما أنهم
من ولده وكلما كانت الجنسية أكثر كان الأنس أوفر لمناسبتهم
إياه وسهولة قبولهم منه وعلى هذا يكون المراد من آمن من
قومه عليه السلام وتخصيصهم بالمن لزيادة انتفاعهم
ببعثته عليه السلام وعلى كلا الوجهين للاختصاص لمن آمن
معه عليه السلام وقرئ من أنفسهم أي أشرفهم لأنه عليه السلام
كان من أشرف شعوب العرب وأفخاذهم يتلو عليهم آياته
من الوحي المتلو بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم
شيء من الوحي ويزكيهم من دنس الكفر والخبائث وعوائق
الطبيعة والرذائل ويعلمهم الكتاب والحكمة أي القرآن والسنة
أيضا مثلا لأقسام الحكمة وإن في قوله وإن كانوا من قبل
لفي ضلال مبين هي المخففة من الثقيلة ومن قبل مبني على

الغاية

الغاية واللام تعلم ذلك من هي الفارقة أي وإن الشأن كانوا من قبل
بعثته في ضلال ظاهر لا شبهة فيه وهو بيان لشدة احتياجهم إلى نبي
يرشدهم وإزاحة لما يتوهم أنه عليه السلام تعلم ذلك من معلم أولما
أصابتكم مصيبة ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم قلتم أنى
هذا يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين والهمزة لتقرير القول
والتوبيخ ولما نصب بقلتم في قوله قل هو من عند أنفسكم وأصابتكم
في محل الجر بإضافة لما إليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم وإلى هذا تعيب على
الله مقول قلتم والواو عاطفة للجملة على قصة أحد من قوله ولقد صدقكم
الله وعده أو على محذوف أي أفعلتم وقلتم حين أنى هذا أي من أين هذا
إن الله على كل شيء قدير أي سيجيء لما أصابكم بسبب ناشئ من عند
أنفسكم فإنزال الله بكم ذلك فلا ينافي كونه من عنده أي السبب العادي
أنتم لتخليتكم المركز وميلكم إلى الغنيمة فإن وعد النصر كان مشروطا
بالثبات والمطاوعة وأما اختيار الخروج من المدينة فبعيد لأن الله
تعالى وعدهم النصر بعد ذلك بشرط الثبات واختيار الفداء يوم بدر
العند منه وما أصابكم يوم التقى الجمعان فهو قادر على النصر وعلى
منعه وعلى أن يصيب بكم تارة ومنكم أخرى ولا تأثير للأسباب العادية
فعينه دفع وهم الفجع عن نظمهم عند عدم شرط الثبات فهو جمع المسلمين
وجمع المشركين يوم أحد فبإذن الله فهو كائن بتخليته الكفار سماها
إذنا لأنها من لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على بإذن الله والباء
واللام كلاهما للسبب وليعلم الذين نافقوا أي وليتميز المؤمنون
والمنافقون فيظهر إيمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على
نافقوا داخل في الصلة تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا تقسيم
الأمر عليهم بين أن يقاتلوا كما يقاتل المؤمنون وبين أن يقاتلوا
دفاعا عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم إن لم يكن لهم همّ في الله وفي
الآخرة قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم أبوا القتل واحتجوا العدة
عليه رأسا لنفاقهم على ما روي أن عبد الله بن أبي انخزل
مع حلفائه فقيل له فقال ذلك ويجوز أن يكون المعنى لو نعلم
ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما أنتم عليه ليس بقتال
بل إلقاء بالنفس إلى التهلكة يريد تخطئة رأيهم لأن رأيه كان في
الإقامة بالمدينة أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين
وإن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر قلبه
بقي هاهنا شيء وهو أن مقتضى ترتيب الكلام على الوجه الأول
أن يعطف قالوا لو نعلم قتالا على نافقوا بالفاء وإنما أخرج

مخرج الاستيناف على انه جواب سوال اقتضاه دعا المومنين اياهم الى
القتال فاخبر عن الدعا كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا لو نعلم لتلنه
على ظهور امارة الشقاق منهم لتشيطهم وتعللهم بعد الدعا الذي كان يجب
عليهم اجابته ويجوز ان ينتصب الصلة على نافقوا ويكون وقيل
لهم كلاما مبتدا عطفا على جملة وما اصابكم فباذن الله هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان لانخزالهم وقولهم هذا فانهما اول امارات ظهرت
منهم موذنة بكفرهم والظروف كلها متعلقة باقرب لما فيها من
الاتساع لكن تعلق الكون باعتبار الزيادة وتعلق الايمان من حيث
المفعولية كانه قيل قربهم من الكفر يزيد على قربهم من الايمان
وصلة القرب يكون من والى ويقول العرب يقرب منه واليه
ولا تقول له فاللام بمعنى الى وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة
منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم تقوية للمشركين وتخذيلا
للمومنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي يظهرون
خلاف ما يضمرون لا تواطي قلوبهم السنتهم بالايمان واكثر
تستعمل القول في غير الكلام فيقول قال بيده اي اهوى به
وقال براسه اي اشار بقوله بافواههم بتخصيص القول بالكلام
وابتنا الافواه على الالسنة لانها اوسع دائرة فان من الحروف ما
لا دخل في تلفظه للسان والله اعلم بما يكتمون من النفاق
وتخذيل المومنين وتخطئة رايهم وذمهم فيما بينهم والشماتة
بهم وغير ذلك وانما قال اعلم لانهم يعلمون بعض ذلك علما مجملا
بامارات والله تعالى يعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته
الذين قالوا بدل من ضمير يكتمون رفع المحل او نصب على الذم
او رفع عليه اي هم الذين قالوا او نصب بدل من الذين نافقوا او جر
بدل من للضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من
قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال اي قالوا
وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل
قل فادروا عن انفسكم الموت ان كنتم جواب شرط مقدر يدل عليه
صادقين انكم تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن
انفسكم الموت فانه احرى بكم ويعني ان القعود غير مغن فان
اسبابه شتى والقتال قد يكون سببا للنجاة والقعود
سببا للهلاك ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت
في شهدا احد والابلغ ان يحمل الخطاب لكل احد لانه امر خطير
يجب ان يبشر به كل احد لتتوفر دواعيهم الى الجهاد وليتنبهوا ام

تحسين الحال وقرئ بالياء اي يحسب وقرئ بالتشديد لكثرة المقتولين
بل احيا اي هم بل احيا وقرئ بالنصب على بل احسبهم احيا عند ربهم
عندها هنا بمعنى القرب شرفا ورتبة يرزقون يعني في الجنة وهو
تاكيد لكونهم احيا فرحين حال من يرزقون بما اتاهم الله من فضله
وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله
تعالى والتمتع بنعيم الجنة معجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة
بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المومنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم
من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم
يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من حال
من تركوا خلفهم وهو انهم سيلحقون بهم فامن وفرح ورغد عيش
وفيه تحريض لمن بعدهم على الطاعة والجهاد والرغبة في مثل
درجة الشهادة للمومنين بالفوز وحسن الماب واحماد لمن يرى
نفسه بخير فيتمنى مثله لاخوانه ويستبشر به لهم والاية تدل على
ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف
عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويويد ذلك قوله تعالى النار يعرضون عليها
وما روي ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام قال ارواح الشهدا
في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل
معلقة في ظل العرش يستبشرون كرره للتاكيد وليتعلق به ما هو
بيان لقوله الا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل
وهو بنفي الحزن وعدم ضياع اجرهم بنفي الخوف لان الاول على
الواقع والثاني على المتوقع ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم
وهذا بحال انفسهم وفي تقديم الاستبشار بحال اخوانهم ارشاد
الى موجب الصدق في الاخوة الدينية وهو ان يكون صلاح حال اخيه
اهم عنده من صلاح نفسه يستبشرون بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم
وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما
للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المومنين قرئ ان الله بالفتح عطفا
على فضل فيكون من جملة المستبشر به وقرئ بالكسر على ان الجملة
استيناف على سبيل الاعتراض للاشعار بان ذلك اجرهم على ايمانهم
وان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها ويعضده قراءة والله
لا يضيع اجر المومنين الذين استجابوا لله والرسول اجابوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تمهيد البيان ان دعوته عليه السلام
دعوة الله تعالى فكان اجابته اجابة الله من بعد ما اصابهم
القرح اي الجرح في غزوة احد ويرام اثر ذلك ويجوز ان يكون الذين

مخفوض نعتا للمؤمنين وان يكون منصوبا على المدح وان يكون
مرفوعا بالابتدا وخبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته
ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد
لان المستجيبين كلهم محسنون متقون قيل لما كان اليوم الثاني
من غزوة احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من انتدب
لطلب العدو حتى يعلموا انا لم نستاصل وان فينا بقية وقال لا يخرج
معنا الا من شاهدنا بالامس فانتدبوا وبهم الجراح حتى بلغوا
حمرا الاسد وهي على ثمانية اميال المدينة واقام بها ثلاثة ايام ثم
انصرفوا وقد فاتهم العدو فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب
الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق
عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله
الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من اهل المدينة واذاعوا كلامه
ان الناس يعني ابا سفيان واصحابه فالمعرفة وان اعيدت
معرفة فليست الثانية عين الاولى واللام العهدية اشارة الى
ما ذكر صحابا بل الى ما يعرفه المخاطبون قد جمعوا لكم فاخشوهم روي
ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم
بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل
خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه
وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة
فشرط عليهم حمل بعير زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم وقد
قدم معتمرا فساله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد
المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت احد منكم
الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال
عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد
فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل
فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول اي فزادهم ذلك الكلام او للمصدر
اي فزادهم قولهم والبارز للمقتدين مع الرسول صلى الله عليه وسلم
لا للمقول لهم لما عرفت ان اكثرهم كرهوا الخروج معه عليه السلام
والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله
وازدادوا ايمانا واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو
دليل على ان الايمان يعني التصديق يزيد وينقص ومن انكره قال
ذلك بحسب المتعلق اعني ما يؤمن به واما الايمان الشرعي فقد يرد
الخلاف فيه واسعه لان من المخالفين من قال بدخول الطاعات فيه

ومنهم

ومنهم من انكره وقالوا حسبنا الله محسبنا الله وكافينا من
احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب قوله هذا رجل حسبك
على انه صفة للنكرة لكون الاضافة غير حقيقية وهي اضافة اسم
الفاعل الى معموله ونعم الوكيل وهو نعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا
من بدر الصغرى سالمين غانمين وهو ما ذكره بقوله بنعمة من
الله نعمة عظيمة وهي السلامة وهرب العدو منهم وفضل وهو
الربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا
لم يمسسهم سوء ما يسوءهم من الضرر بدنيا كان او ماليا والتنكير
للتحقير واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين
بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم بتوفيقهم لما فعلوه
والتفضل عليهم بسعادة الدنيا والاخرة من الربح والرضوان
وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث احرم نفسه ما فازوا
به انما ذلكم الشيطان ذلكم مبتدا خبره الشيطان اي انما
ذلكم المثبط هو الشيطان وما بعده بيان لتشيطنه وصفته
وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير
مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه
القاعدين عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم او يخوفكم
اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير
للناس الثاني على الاول وللاولياء على الثاني وخافون في
مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يرجح خوف الله تعالى على كل خوف ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم
المنافقون وقوم من اليهود والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك
ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء
الله بتلك المسارعة وانما يضرون بها انفسهم وانما اضاف
الضرر الى نفسه تشريفا لاوليائه وشيئا يحتمل المفعول والمصدر
وتنكيره للتحقير يريد الله ان لا يجعل لهم حظا نصيبا في الثواب في الاخرة
وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة
اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون
لهم حظ من رحمته وبان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم
ان يكون لهم حظ في الاخرة ولهم عذاب عظيم مكان الثواب ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تعميم للكفرة
بعد تخصيص المنافقين وقوم من اليهود فيتناولهم ويكون

كالبرهان عليك وبال كفرهم وضرره لا يعود الا اليهم وان لهم عذابا مؤلما
مع عظمه ولا تحسبن الذين كفروا الذين كفروا نصبا على المفعولية على قراءة
لا تحسبن بالتاء والخطاب لكل من تحسب وقد مر فيما سبق ان هذا
ابلغ من تخصيص الخطاب بالرسول صلى الله عليه وسلم وقوله انما نملي لهم
خير لانفسهم بدل منه على الاشتمال وما مصدرية فانه سنتها وانما
اقتصر على احد المفعولين مع امتناع ذلك في افعال القلوب لان الاعتماد
على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ليس بمقصود فالبدل
وهو ان مع اسمه وخبره ونبوب عن المفعولين ويجوز ان تقدر
مضاف اي ولا تحسبن حال الذين كفروا وعلى قراءته بالياء فالذين
كفروا رفع على الفاعلية والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل
تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف
شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما جملة استينافية لتعليل الحكم السابق
وما كافة واللام للتعليل فالقائلون بان الخير والشر بارادة
الله تعالى يجوزون التعليل بمثل هذا الاملا لانه غرض والغرض
لا يلزم ان يكون مطلوبا بل يكفي جعله غاية للفعل واما لانه
مراد مع الفعل تشبيها بالعلة وهم الذين لا يجعلون فعل الله
تعالى معللا بالغرض وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن
بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم
بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان
املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب
مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما
معدا لهم عذاب مهين ما كان الله اراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار
فمعنى كان متقدم في الاعتبار واللام في ليذر المؤمنين لتاكيد النفي
على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلصين بالمنافقين حتى
يميز بينهم والخطاب للمؤمنين المخلصين لانهم الممنون عليهم
والموصوفون بالطيب ولقوله ليطلعكم حتى يميز الخبيث من
الطيب يستعمل على المنافقين بالخبث وعلى المؤمنين بالطيب
اي حتى يعزل المنافق عن المخلص لئلا يبعد حينئذ الالتفات
الى الخطاب تقريب للمومنين وتخليص والمعنى لا يتركهم مختلطين
لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص
بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكليف الشاقة التي لا يصبر عليها
ولا تذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس
في سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وما كان

الله ليطلعكم على الغيب من مضمرات القلوب وغيرها فان ذلك
مما استاثر الله تعالى به ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيعلمه بعض
المغيبات بالوحي او بطريق اخر وليس هذا من قبيل الاطلاع ولذلك
قطع الاستثناء فامنوا بالله بان تعرفوه حق معرفته وتعلموه وحده
مطلعا على الغيب ورسله بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون
الا ما علمهم الله تعالى ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله من الغيوب
بالوحي وليسوا من علم الغيب في شيء قيل قال الكافرون ان كان
محمد عليه السلام صادقا فليخبرنا بمن يومن منا ومن يكفر
فنزلت وقيل انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من
يومن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم من يومن به ومن
يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تومنوا حق الايمان وتتقوا
النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما
اتاهم الله من فضله القراءات فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدره مضافا
ليتطابق مفعولاه اي ولا يحسبن الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا
من قرا بالياء وجعل فاعله ضمير الرسول او حاسب ومن جعل فاعله الذين
يبخلون جعل مفعوله الاول ما دل عليه يبخلون اي بخلهم وسوغ
حذفه لذلك وهو فصل وقرئ بغير هو بل هو شر لهم لاستجلاب
العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة تفسير لقوله
شر لهم والتطويق يستعار للالزام تشبيها لما لم ينفك عن الرجل
بالطوق اي سيلزمون وبالها بخلوا به الزام الطوق وقيل
يجعل من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من
قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك ولله ميراث السموات
والارض ما يتوارثه اهلها من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بماله
من ملكه ولا ينفقونه في سبيله والله بما تعملون من المنع والاعطا
خبير فيجازيكم وقرئ يعملون بالياء على الالتفات وهو ابلغ في
الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا
قالت اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وعيد
بليغ وقد اكده بالقسم في لقد بمعنى ولم يخف عليه وانه اعد العقاب
عليه وكذلك سنكتب ما قالوا كما يقول المهدد لمرتكب الجرم اذا وقف
منه على جرم عنده حديث لقد سمعتها وساكتبها في صواحبها يريد
ما سبب جرائمه واجمع والحق احديهما بالاخرى محفوظة مكتوبة
عندي حتى اخذك بالكل فالكلام على طريقة الاستعارة التمثيلية
ومعناه انه على جنا يغرها والسين لتاكيد الاثبات كما ان لن لتاكيد

النفي التي بها ليكون الوعيد على طريق التأكيد كما في الاخبار بوجوده
السماع لان الجريمة عظيمة اذ هو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن
وقتلهم الانبياء هذا العطف تذكير لهم لما يستحقون به اشد العذاب
اظهار الشدة والغضب وتوبيخ شديد اي هذه عظيمة مثله
ولهم سوابق في ذلك ومن ارتكب قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجترا
على مثل هذا القول ولا احتمال لان يكون قتل الانبياء بحق فقوله بغير حق
بيان للواقع زيادة في التوبيخ ونقول ذوقوا عذاب الحريق تتمة
للوعيد مع تهكم بالغ بنتيجة هذا القول وذوق كلمة يقولها المنتقم
للمنتقم منه اي لتذوقوا كما اذقتم المسلمين الغصص ذلك اشارة
الى ما مر من عذاب الحريق تهويلا وتعظيما والذوق ادراك
المطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات
والحالات وتهكم به لان سبب العذاب قولهم ان الله فقير
عن البخل والتهالك على المال وغالب الحاجة اليه لتحصيل
المطاعم ومعظم تخله للخوف من فقده ولذلك كثر ذكر الاكل
مع الاحال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتلكم الانبيا
وقولهم هذا وسائر معاصيهم ولما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي
جعل كل عمل وان كان بالقلب او اللسان وسائر الجوارح عملا بالايدي
على سبيل التغليب ولان اليد مظهر للقدرة وآلة المباشرة نسبوا
الكسب اليها كانهم ارادوا الكسب النفس وحدها بلا مشاركة احد فيه
وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت اي ذلك بسبب
كسبكم بانفسكم وبان الله عادل لا يجازيكم الا بما كسبتم وقضية
العدل عقاب المسيء وثواب المحسن وصيغة المبالغة للتنبيه
على ان شانه تعالى لبلوغه الى الغاية في كل وصف يتصف به فلو
تقدير اتصاله بالظلم يلزم ان يكون ظلاما الذين قالوا كعب ابن
الاشرف واصحابه ان الله عهد الينا يعني امرنا في التورية
واوصانا ان لا نؤمن بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله
النار بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لبني اسرائيل وهو ان يقرب
بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكل اي تحيله
الى طبعها بالاحراق قل قد جاءكم اي جاء اسلافكم الذين انتم على
ملتهم ورضوان بفعلهم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم
فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين الزام لهم بان رسلا جاؤوهم قبله
كزكريا ويحيى عليهم السلام بمعجزات موجبة للتصديق كما يعني
الآية التي اقترحوها فلم قتلتموهم اذ كانوا صادقين والايمان

الا يكونوا

الا يكونوا انه معجز فهي اذا وسائر الآيات سواء في ذلك قال السدي
ان الله امر بني اسرائيل في التورية من جاءكم يزعم انه رسول مني فلا
تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار من السماء حتى يأتيكم المسيح
ومحمد فاذا اتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان فاذكروه
ليس من مفترياتهم بل من محرفاتهم فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود
جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير الزبر جمع زبور وهو المكتوب
يقال زبرت اي كتبت والجمع يدل على الكثرة فالمراد منه الصحف
ومن الكتاب المنير التورية والزبور والانجيل وقرئ بالزبر وبالكتاب
باعادة الجار فيهما للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات
وان الكتاب مغاير لها كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق
والمكذب وهو من تمام التسلية اذ تذكر الموت والفكرة يهون ما
يصدر من الكفار من التكذيب وغيره وفيه دلالة على
ان النفس غير البدن وانها لا تموت بموته وقرئ ذائقة الموت
بالنصب مع التنوين على الاصل وعدمه لالتقاء الساكنين وانما
توفون اجوركم تعطون ثواب اعمالكم تاما وافيا ومن قال جزاء
اعمالكم خيرا كان او شرا فكأنه لم يفرق بين الاجر والجزاء يوم القيمة
يعني في دار الآخرة ولفظ التوفية ان لم يشعر بانه قد يكون
في هذه الدار بعض الاجور فلا يدل على عدمه فلا ينافي علينا ما يدل
على وقوعه من الاخبار كقوله عليه السلام نعم ان الدنيا ر وتزيد ان
في الاعمار واما ما يعطى في القبر مما يؤتى في الدار الآخرة لان الموت
بابها والقبر اول المنازل فمن زحزح عن النار اي بعد عنها وقد
سبق تفسيره في سورة البقرة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل
المراد والفوز الظفر بالبغية وما الحيوة الدنيا اي لذاتها
وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على
المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والمدلس
هو الشيطان وانما هذا التشبيه لمن يؤثرها ويخدع بها لمن اشتراها
بالآخرة ويؤثرها عليها واما بالنسبة الى من باعها بالآخرة وعمل
سعى نفاذها واتخذ منها زادا وتركها واختار الباقية فهي
متاع الغرور والعبور لا الغرور والغرور مصدر والاضافة
للملابسة لتبلون في اموالكم والله لتختبرن بتكليف الانفاق وما
يصيبه من الآفات وفي انفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجرح وما يرد عليها
من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب

من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول عليه السلام
والطعن في الدين واغراء الكفار على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها
ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى
لا يرهقهم نزولها فيفوتهم الصبر والاجر والكرامة وان تصبروا
على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى
من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه
من الامور او مما عزم الله ان يكون منكم وقطعه عليكم وبالغ فيه
والعزم القطع قال عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من
الليل اي لم يبيت ولا اختصاص له بالراي واذ اخذ الله اي ذكروا وقت
اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس
ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرئ بالياء لانهم غيب واللام
جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير
للكتاب فنبذوه اي الميثاق وما عهد اليهم وراء ظهورهم شنع
على اهل الكتاب وبالغ في توبيخهم بانهم اذا اخذ الله ميثاقهم
وعهد اليهم واكده بالقسم ان يظهروا الكتاب واوجب عليهم
بالتاكيد بيان ما فيه واجتناب كتمانه فقابلوا هذه المبالغة في ذلك
بالمبالغة في اطراحه وتركه فان النبذ وراء الظهر مثل الطرح
بالكلية وترك الاعتداد بالشيء النبذ الرمي والابعاد وفي
الحديث انه مر بقبر منتبذ عن القبور اي متنح بعيد عنهن
والوراء كما يطلق على الخلف يطلق على الامام فاضافته الى
الظهر لتعيين معنى الخلف واشتروا به واخذوا بدله ثمنا
قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون
لانفسهم وقد سبق ما يتعلق به في تفسير سورة البقرة وكفى
به دليلا على انه ماخوذ عن العلماء ان يبينوا الحق للناس
وان لا يكتموا شيئا مما علموه تبعا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة
وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة او لتقية
مما لا دليل عليه ولا امارة او البخل بالعلم وغيره ان ينسب اليه
غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام
من نار ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما
لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين واحد
المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم
تاكيد والفا للاشعار بان افعالهم المذكورة علة لنفي الحساب والنهي

عنه

عنه والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان
الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق
والاخبار بالصدق بمفازة منجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة
منه وقرئ بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين
فاعل ومفعولا يحسبن محذوف فان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه
قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة
وقيل المفعول الاول محذوف وقوله ولا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله
ومفعوله الاول وفيه ان التاكيد للفعل والفاعل فقط اذ ليس في
المذكور سابقا الا الفعل والفاعل فالضمير المنصوب المتصل بالتاكيد
هو المفعول الاول ولا حذف ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم
روي انه عليه السلام سال اليهود عن شيء في التورية فاخبروه
بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت
وقيل غير ذلك والحق انه شامل لكل من اتى بحسنة ففرح بها فرح
اعجاب واحب ان يحمده الناس بما ليس فيه من الفضيلة وبما لم
يفعل من انواع البر او هو وليس وان كان السبب خاصا ولله ملك
السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر
على عقابهم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات
لاولي الالباب لدلالات واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال
علمه وقدرته لذوي العقول الخالصة عن شوائب الاوهام والعادات
الصافية من شرب الهوى والحبالات المدركة للحقائق بنظر
الاعتبار المتدبرة للمعاني بتصويب الافكار وعن النبي عليه السلام
ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها والاقتصار على الثلاثة المذكورة لان
مناط الاستدلال هو التغير وانواعه الثلاثة توجد فيها لانه اما
ان يكون في الاحوال الخارجة عن الشيء كتغير الافلاك او في جزئه
كتغير العناصر بتبدل صورها او في ذاته كتغير الاعراض كتبدل الليل
والنهار ووجه الترتيب ظاهر الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم محله النصب على الحال عطفا على اخويه اي قائمين
وقاعدين ومضطجعين يعني يذكرون الله تعالى ذكرا دائما
على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع ويتفكرون في خلق
السموات والارض اي في خلق العالم استدلالا واعتبارا وهو
افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه عمل
القلب والمقصود من الخلق وفيه اشعار بان ذوي الالباب
بيانهم وتفسيرهم الذين يذكرون الله دائما على اي حال كانوا

المتفكرون في خلقه ربنا ما خلقت هذا باطلا مفعول قول مقدر اي
يقولون وهو في موضع الحال بمعنى يتفكرون قائلين وباطلا صفة مصدر
محذوف اي ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة او حال من هذا وهو اشارة
الى ما عبر عنه بخلق به وهو عالم الملك وفيه ضرب من التعجيب وظهور
امره في العظمة وكان ذلك يستعمل في التعظيم لبعد المرتبة وعلو القدر
فلذلك هذا يستعمل لظهور امره في ذلك المعنى وتعجيبه والتفرد به بذلك
اي ما خلقت هذا العالم العجيب الشان البين البرهان المتفرد بالعظمة
وغرابة الابداع باطلا وفي السكوت على هذا القدر من البيان دلالة على
قصور العبارة عن بيان فوايده ومنافعه ولو اجمالا سبحانك تنزيها
لك من فعل العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار
للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه ولكون الدلالة على وجوب
الاعتبار به واجتناب الغفلة عنه ماخوذة في ربنا ما خلقت هذا
باطلا حسن تعقيبه بهذا الكلام والفا للسببية اي اذا ذكرناك واقررنا بك
فقنا ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء وهذا
مستفاد من جعل الجزا امرا ظاهر اللزوم للشرط بحيث لا فايدة في ذكره
ما دام محمولا على اطلاقه فيحمل على اخص الخصوص ليفيد والمراد به
فهو بالمستفاد منه قال ابن السكيت خزي يخزي خزيا اذا وقع في
بلية فلا اشعار فيه بان العذاب الروحاني افظع وقد تمسك بهذه
الاية اصحاب الوعيد وقالوا من دخل النار ينبغي ان لا يكون مومنا
لقوله فقد اخزيته فان الله تعالى قال يوم لا يخزي الله النبي والذين
امنوا معه الاصحاب رضي الله عنهم لا الذين امنوا مطلقا وما للظالمين
من انصار اللام للعهد والاشارة الى من يدخل النار والاعلام بان
من يدخل النار فلا ناصر له ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان
ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها
ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصر دفع بقهر ربنا
اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اذ اريد به تخصيص سماع القول
بمن سمع منه اوقع الفعل على من يسمع منه وحذف المسموع و
صفة المتكلم الموقع عليه الفعل بما سمع منه او جعل حالا منه فيسد
الوصف او الحال مسد نحو قولك سمعت رجلا يقول وسمعت زيدا
يتكلم وذكر النداء مطلقا ثم قيده بالايمان تعظيما للمنادي وهو الرسول
وتفخيما لشانه والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها
معنى الانتهاء والاختصاص ان امنوا اي امنوا او بان امنوا بربكم فامنا
فامتثلنا والفا للعطف على سمعنا او سببيه عن امنوا اي تسبب

عنه ايماننا

عنه ايماننا ربنا فاغفر لنا الفا للسببية اي اذا امنا فاغفر لنا
ذنوبنا كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغايرنا
فانها مستحقة وفي تخصيص كل من التعديتين بما هو مدفوع اشارة الى
ان المراد من الذنوب الكباير كما يناسبها معناها وما تعلق بها من الفعل
بحسب معناها واختصاصه بالله تعالى ومن السيئات الصغاير كما
يناسبها ايضا معناها وما تعلق بها من الفعل بحسب معناها وجواز
استعماله في غيره تعالى وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم
معدودين في زمرتهم ولا دلالة فيه على طلب التوفي حتى يكون فيه
على انهم يحبون لقاء الله تعالى والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا واتنا عطف على الدعوات السابقة وتكرار ربنا للاستلذاذ
بذكره والخضوع بالربوبية وكذا جميع التكريرات في الاية ما وعدتنا
على رسلك اي على تصديق رسلك من الثواب قيل لما ظهر امتثاله
لما امر به سالما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة
ان لا يكون من الموعودين لبس عاقبته او قصور في الامتثال
ويرد عليه انه على تقدير وقوع ما خافه لا يكون السوال المذكور
مناسبا لحاله وعلى تقدير عدمه لا الحاجة الى السوال فالوجه ان يقال
انه تعبد واستكانة ويجوز ان يكون التقدير منزلا على رسلك
وعلى سنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما تقتضيه
انك لا تخلف الميعاد باثابة المومن واجابة الداعي فاستجاب
لهم ربهم اي طلبتهم وهو اخص من اجاب ويتعدى بنفسه وباللام
وفي الاثر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله تعالى مما يخاف اني
لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقري بالكسر على ارادة
القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر
من الانثى والانثى من الذكر فالذين هاجروا ولفظ الاضافة
والاتحاد لا يتمان من اصل واحد والاجتماع والاتفاق في الدين
وهي جملة معترضة بين بها شركة النسا مع الرجال فيما وعد
للعمال روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع
يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النسا فنزلت تفصيل الاعمال العمال
وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين
هاجروا الاوطان والعشاير واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي
بسبب ايمانهم بالله ومن اجله بدا اولا بالخاص وهي الهجرة وهي
اشق شي على النفس وثنى بما هو اعم منها فان الخروج من الديار لا
يستلزم الهجرة الى المدينة لخروج من خرج الى الحبشة والى حبد والى

تا لنا بذكر الاذى وهو اعم من ان يكون باخراج من الديار او بغيره
وارتقى بعد هذه الاوصاف السنية الى رتبة الجهاد فقال وقاتلوا
الكفار وقتلوا في سبيل الله وقرئ بالعكس ولا منافاة لان الواو لا
يوجب الترتيب والثاني افضل لاشعاره لانه قتل بعضهم وقاتل
الباقون ولم يضعفوا وقرئ قتلوا بالتشديد للتكثير لاكفرن
عنهم سيئاتهم كواذا عدي بعن بمعنى تجاوز ولادخلنهم
جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة
من عند الله تفضيلا منه فهو مصدر موكد والله عنده حسن الثواب
على الطاعات قادر عليه بالغ في جزائهم بالتاكيد القسمي وايراد
والمصدر الموكد وتقييده بالعندية بعد الاطلاق والالتفات
في عند الله واظهار اسمه في الجملة بعده وجعل الجملة الظرفية خبرا
غاية في البلاغة لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ظاهر النهي
للتقلب وحقيقة للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم تثبيتا له
على ما كان عليه كما في قوله تعالى ولا تطع المكذبين او لكل واحد ليفيد
نفي السبب وهو من باب تنزيل السبب منزلة المسبب لان
التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب اي التغرير يستلزم امتناع
المسبب الذي هو الاغترار مبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه
من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم
ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المومنين كانوا يرون
المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعدا الله فيما نرى
من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر
مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل وصف بالقلة بالنسبة
الى ما فاتهم من نعم الاخرة او بالنسبة الى ثواب المومنين او
اراد قلته في نفسه ودنو اقدره لسرعة انفصاله وزواله
ثم ماويهم جهنم عطف على محذوف كانه قيل يواخذون
بسببه يوم القيمة ثم ماويهم جهنم وثم للتراخي في الرتبة
وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم والمخصوص بالذم محذوف
لكن الذين اتقوا ربهم اي يخافونه ولم يخالفوه امره ولا نهيه لهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها قابل جزاءهم بالجنات
وقلة متاعهم بالخلود وفي النعيم فوقعت لكن احسن موافقها
لانه الى معنى الجملتين الى تعذيب الكفار والى تنعيم المتقين
وهي واقعة بين الضدين نزلا من عند الله النزل بسكون الزاي
وضمها ما يقام للنازل عند نزوله من القرى وفيه تنبيه على

عند الله

ان وراء ذلك

ان وراء ذلك ما هو اعظم منه كرامة وانتصابه اما على الحال من جنات
لتخصيصها بالوصف والعامل الظرف بحاصله لهم الجنات نزلا او
على انه في معنى مصدر موكد كقوله ثوابا كانه قيل رزقا او عطا
من عند الله وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب
فيه الفجار لقلته وسرعة زواله او خبر في بيان حال الذين كفروا وحذف
المثنا والمخصوص بالذم واقتصار الكلام للتحقير والازدراء وعدم
الاعتداد بهم وبمتاعهم واطنب في وصف المتقين اظهارا للعناية
بهم وشانهم وما لهم اولا بقوله لكن ليستدرك حالهم المخالف بما لهم المباين
مما لا يوصف بوزنه ثم بقوله ربهم وتنكير جنات للتعظيم ووصفها
للابهام والتوضيح وتقوية الاسناد بتنكير النسبة في لهم والجملة
الظرفية والتقييد بالحال والتاكيد بقوله نزلا من عند الله والجملة
اعتراضية اي وما عند الله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما
انزل نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل غيره لكن وانما دخلت اللام
على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف اليكم وما انزل اليهم من
الكتاب خاشعين خاشعين خاضعين لله حال من فاعل يومن
وجمعه ههنا وفي اليهم باعتبار المعنى بعد ما افرده باعتبار اللفظ
لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعل من يسلم من احبارهم
اولئك الموصوفون بما ذكر لهم اجرهم عند ربهم الذي يختص بهم وهو
ما وعدوه في قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين ان الله سريع
الحساب لان علمه محيط بكل شي ولا يشغله شان والمراد ان
الاجر سريع الوصول فان سرعة الحساب يستدعي سرعة
الجزا يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما
يصيبكم من الشدايد وصابروا اعدا الله في الجهاد اي غالبوهم
في الصبر على شدايد الحرب ولا تكونوا اقل صبرا منهم
وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته وصعوبته ورابطوا
اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو
واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه لعلكم تفلحون لكي تفلحوا والفلاح
الامن مما يخاف والوصول الى ما يرام والحمد لله على التمام
والصلاة على نبيه سيد الانام وعلى اله وصحبه الكرام ما تعاقب الليالي
والايام

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب عام يتناول الموجودين في زمان الخطاب
ومن بعده دون المتوطنين اتقوا ربكم في مخالفة امره ونهيه

الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام ترتيب الامر بالتقوى
على هذه القصة لما فيها من الدلالة على قدرته تعالى على هلاكهم وانشا
خلق آخر على اسهل وجه لما فيها من الدلالة على القدرة العظيمة ولا
لكان خلق السموات والارض احق بالذكر وما في ذكر الرب من الاشارة
الى نعمة التربية الموجبة للطاعة لتضمين الترهيب معنى الترغيب
وخلق منها زوجها يعني حوا خلقها من ضلع من اضلاع آدم عليه
السلام بيان خلقهم من نفس واحدة على وجه الاستيناف كأنه
قيل انهم خلقوا من ذكر وانثى لا من ذكر وحده فاجيب بان تلك
الانثى قد خلقت منه قالوا والاستيناف فيه لا عاطفة لما عرفت ان
مدخولها مقرر ومبين لما تقدم والعاطف لا يتخلل بين الشيء
ومقرره وعلى تقدير العطف على محذوف اي خلقها وخلق
منها زوجها يندفع المحذور والمذكور الا انه لا دخل للمعتذر في
تقديرها ذكر ومن شرائط البلاغة تجريد الكلام عما لا يقتضيه
المقام **وبث منهما** اي نشر من النفسين المذكورين من جهة
التناسل والتوالد اذ بيان كيفية توالدهم ولذلك قال
رجالا كثيرا ونساء دون ذكورا كثيرا واناثا ومن لم يتفطن
لهذه الدقيقة الانيقة قال في تفسيره بنات وبنين كثيرة
وذكر كثيرا حملا على معنى الجمع وحذف وصف النسا لدلالة وصف
قرينها عليه وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدا تقديره هو خالق
وباث **واتقوا الله الذي تساءلون به** اي يسأل بعضكم بعضا به
فيقول اسألك بالله وتساءلون عندكم يجي بمعنى يفعلون موضع
يفعلون للكثرة ويعضده قراءة تساءلون واصله تتساءلون
فادغمت التاء الثانية في السين وقرئ بطرحها **والارحام** بالنصب
عطف على محل الجار والمجرور وينصره قراءة تساءلون به وبالارحام
او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها
وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وما ذهب اليه البصريون
من امتناع العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار والضعف
في اظهاره يرده هذه القراءة الثابتة بالتواتر فانها مما يحتج عليه
به لا مما يحتج عليه الا عند من لا اعتماد له على القراءات الثابتة
ولا اعتداد لزعمه الفاسد وقرئ بالرفع على انه مبتدا محذوف
الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى ومما يتساءل به وقد
نبه تعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه
عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن

قطعني

قطعني قطعه الله **ان الله كان عليكم رقيبا** حافظا مطلعا **وآتوا اليتامى**
اموالهم لما بلغوا او انس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا وا
واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة اذا انفردت في صدفها اما على انه لما جرى مجرى
الاسما كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على
انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى
كاسرى واسارى وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء
معنى الانفراد على الابا الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ
الرجال فاذا بلغوا زال عنهم هذا الاسم وعلى وفق هذا ورد عرف
اسم الشرع قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم اي لا يجري عليه احكام
اليتيم ولا يحتاج الى الولي والمراد في الآية البلغ على الاتساع لقرب
عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول
عنهم هذا الاسم روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ
له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا
الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب**
اي لا تتبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم
من المكاسب والتفعل بمعنى الاستفعال كثير قليل ولا تأخذوا الرفيع
من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانه ورد بانه تبديل لا تبدل
فان في التبدل وكذا في الاستبدال ما دخلت الباء متروك وما
تعدى اليه الفعل بنفسه مأخوذ وفي التبديل بالعكس **ولا تأكلوا**
اموالهم الى اموالكم اي لا تضموها الى اموالكم في الاكل ولقوله الى اموالكم
على انكم طيبين اغنيا وذلك لانه اذا كان فقيرا يجوز ان يأكل
بالمعروف وفيه توبيخ بانهم كانوا يفعلون كذلك ليكون ازجر لهم
ولهذا عدل عن مقتضى الظاهر وهو نهي الغني عن اكل مال اليتيم
مطلقا **انه** الضمير للاكل **كان حوبا كبيرا** ذنبا عظيما والحوب مطلق
الاثم قال عليه السلام رب تقبل توبتي واغسل حوبتي اي اثمي ولو اعتبر
فيه العظم لما وصف بالكبير فتدبر وقرئ حوبا وهو مصدر حاب وكذا
حابا وقد قرئ به ايضا كقال قولا وقالا **وان خفتم الا تقسطوا**
في اليتامى اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النسا اذا تزوجتم
بهن **فانكحوا ما طاب لكم من النسا** فتزوجوا ما حل لكم من غيرهن
كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال ويكون وليها فيتزوجها
ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن
وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن

فقبلهم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة وقرئ تقسطوا بفتح التا
على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم اي ان خفتم ان تجوزوا مثنى وثلاث
ورباع منصوبة على الحال من فاعل طاب معدولة عن اعداد مكررة ثنتين
ثنتين وثلثة ثلثة واربعة اربعة غير منصرفة لوجود العدل والوصف
فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها ومعناها الاذن في الجمع
بان ينكح ما شا من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك
اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افرد كان
المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو عطفت
باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا فيما فوقه
فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع
على انه فاعل فعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم واحدة او فالمقنع
واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين المنكوحة الواحدة وبين الاما
مطلقا واحدة كانت او متعددة بلا حصر ولا تعيين عدد في
التسري والترخص لخفة مؤنتهن وعدم شرط العدل بينهن لا في
القسم ولا في الوطي ونسبة هذا الملك الى اليمين للفرق والتفاوت
بينه وبين ملك اليد ذلك اشارة الى اختيار الواحدة او التسري
ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا فتجوروا يقال عال
الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وفسر بان لا يكثر عيالكم على
انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال
بكثرة العيال بكثرة المون على الكناية ويويده قراءة ان لا تعيلوا
من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجهه على تقدير ان تكون الاشارة
الى التسري ان الوطي يجوز فهو مظنة قلة الولد وآتوا النسا
صدقاتهن مهورهن والخطاب للازواج وقيل للاوليا لانهم كانوا
ياخذون مهور مولياتهم نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة
ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ونصبها
على المصدر لانها في معنى الايتا وقيل معناه نحلة من الله تعالى
اي عطا من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل ديانة على انه
مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله تعالى مشروعا
مفروضا فان طبن لكم عن شي منه نفسا الضمير في منه جار
مجرى اسم الاشارة في التذكير على ما ذكر رؤبة وقد سلف
في تفسير سورة البقرة كانه قيل عن شي من ذلك اي ما ذكر
من الصدقات او يرجع اليها دل عليه الصدقات من الصداق
ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان

اعطين

اعطين لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة
وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وفيه دليل على وجوب الاحتياط
في ذلك وضيق المسلك في قبول شي من الصداق منهن لانه بنى الشرط
على طيب النفس الذي هو امر خفي يطرق بها ان تدعي انها ما طابت
نفسا ان نحت ولهذا لم يقل فان وهبن او سمحن اشعارا بان الشرط
تجافي نفسها عن الموهوب من طيبة لا من ضرورة ثم قال عن شي منه
بعثا لها عن تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا اما صفتان للمصدر
اي اكلا هنيئا مريئا او حالان من ضمير كلوه اي كلوه في حالة كونه هنيئا
مريئا والهني ما يلذه الآكل والمري ما يحمد عاقبته وقد سبق ما في
الاكل من الدلالة على ساير وجوه الانفاق روي ان ناسا كانوا يتاثمون
ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا
السفها اموالكم والخطاب للاوليا بدلالة السياق والحاق السفها
هم الذين ينفقون اموالهم فيما لا ينبغي من وجوه التدبير ولا يمكنهم
اصلاحها لتمييز والتصرف فيها بالتدبير واضافة الاموال اليهم لانها
في تصرفهم وتحت ولايتهم او لانه لم يقصد بها الخصوصية الشخصية
بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش وتميل اليه القلوب وهي
بهذا المعنى لا تختص باليتامى كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم فقصد
الجنس النوعي وهو اوفق لقوله تعالى التي جعل الله لكم قياما
اي تقومون بها وتنتعشون على الاول يأول بانها التي جعل من
جنس ما جعل الله لكم قياما سمي به القيام مبالغة وقرئ
قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم
فيها واكسوهم الظرف متعلق بالمعطوف ففي كما في قوله تعالى لم تكن
امنت من قبل او كسبت وامثال فيها ولم يقل بينهما على ما قال
عليه السلام ابتغوا في اموال اليتامى التجارة لا تاكلها الزكاة فعلى
هذا يكون الرزق والكسوة من الارباح لا من اصل المال فياكله
الانفاق وقولوا لهم قولا معروفا كلاما يونسهم ويولف قلوبهم
ومنه عدة جميلة وكل ما سكنت اليه النفس واحسنته لحسنه عقلا
او شرعا او عرفا فهو معروف وكل ما نفرت منه وكرهته فهو منكر
وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم بتصرفاتهم قبل البلوغ حتى اذا
بلغوا النكاح بلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح
عنده فان آنستم منهم رشدا الايناس الابصار بالحس فان تبينتم
منهم رشدا اي اهتدوا الى مصالحهم وقرئ احستم بمعنى احسستم
فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن وقت البلوغ وتنكير الرشد

معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد
حتى لا ينتظر الى تمامه ونظم الاية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة جواب
معنى الشرط والجملة غاية الابتلا فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت
بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم ويجوز
ان يكون اذا المجرد الظرفية ليست متضمنة لمعنى الشرط اي ابتلوهم الى
وقت البلوغ وفي الاية دليل على ان لا يدفع اليهم مالهم قبل البلوغ واما
عدم دفعه اليهم بعد البلوغ قبل الايناس فلا دلالة عليه اما منطوقا
فظاهر واما مفهوما فلان مفهوم قوله فان انستم منهم رشدا
عدم الدفع على الفور لا عدم الدفع مطلقا ولا تاكلوها اسرافا اي
مجاوزة عن الحد وبدارا اي مبادرة وهي المسارعة ان يكبروا ان
يبلغوا اي لا تاكلوا مسرفين ومبادرين وهو كقولك بادرت بمجي زيد
اي فعلت قبل مجيه والمعنى لا تاكلون قبل بلوغهم واستردادهم ما لهم
منكم وليس هنا قصد التحريم على الاسراف وعلى مبادرة البلوغ دون
غيرهما بل هو ذكر غالب الحال كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم
على البغا ان اردن تحصنا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان
فقيرا فلياكل بالمعروف في تقييد النهي بالاسراف والبدار الى ان للاوصيا
حقا فقسم الامرين ان يكون الغني الوصي غنيا وبين ان يكون
فقيرا اذا امر الغني بالاستعفاف من اكل مال اليتيم الى ماله وترك
الطمع في مال اليتيم والاقتناع بما رزقه الله تعالى من ماله اشفاقا
على اليتيم وابقا على ماله والفقير بالاكل بالمعروف اي باكله قوتا
مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة لقيامه على حفظه وتثميره
وعلى اليتيم وبتشديد وتدبيره وفي الاستعفاف مبالغة كانه
مامور بطلب زيادة العفة ولو قال فليعف لم تكن فيه ذلك
فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها
وبريت عنها ذممكم لئلا يتوجه اليمين عليكم عند التناكر والتنازع
ونبرى ساحتكم عن التهمة فالامر بالاشهاد هنا كالامر به في قوله
فاشهدوا اذا تبايعتم فلا دلالة فيه على ان القيم لا يصدق في دعواه
الا بالبينة وكفى بالله حسيبا كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض
او محاسبا بالبراة وعدمها والقبض وعدمه فعليكم التصادق واياكم
والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنسا نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة قيل كان اليونان
يعطون جميع المال للبنات لان الرجل لا يعجز عن الكسب والمراة تعجز
وكانت العرب لا يعطون البنات فرد الله تعالى على الفريقين

فكان للمقام مقام التفصيل والاطناب وفي عبارة الرجل اشارة الى ان
قدرتهم على الكسب غير مانع لاستحقاقهم فان احال الرجل مع قدرته
على الكسب مستحقا للنصب مع عجزه عنه يكون مستحقا له بطريق
الاولى مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل وتقديم الظرف
على المبتدا في الرجال والنسا للتخصيص لكل واحد من القبيلتين بنصيب
مفروض على ما فرض الله موروث بان لا بد لكل منهم ما خصه الله به
لا يستاثر به غيرهم ولا يغلبه عليه ثم اكده بقوله نصيبا مفروضا
نصب على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا واجبا او على انه مصدر
موكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او حال اذ المعنى
ثبت لهم مفروضا نصيب وانما ذكر النصيب على الابهام لان التعيين
خارج عما سيق له الكلام في هذا المقام وفيه دليل على ان الوارث
لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اي قسمة
التركة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فرق
بين من لا يرث من الاقارب وبين من يرث بقوله فارزقوهم منه حيث
لم يعين لهم نصيبا وندب ان يرضخوا بقليل منه ايما الى ان لا حق لهم
فيه الا ترى كيف جعل اموال اليتامى للسفها مكان رزقهم حيث قال
وارزقوهم فيها لانها حقهم وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا
لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم والامر للندب والمامور به
البالغ من الورثة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ولو احما الا كالمتعة
حيث قال وعلى الموسع قدره وعلى المقتر قدره وليخش الذين لو
تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر الاوصيا بالخشية
متمثلين في انفسهم حال الايتام بحال اولادهم على الصفة المذكورة
ليخشوا الله في رعايتهم او اكلا مالهم او متمثلين المتوفى وابناه بحالهم
وذرياتهم خلفهم على تلك الصفة غير قوالهم وهذا الوجه هو
الانسب الاليق بنظم الكلام من بين الوجوه المذكورة في التفاسير
فيكون قوله ان الذين ياكلون تتمة له وتصريحا بحال الاوصيا
لو خالفوا مقتضى الشفقة واكلوا مال اليتيم وتهديدا لهم على ذلك
ولو بما في خبره صفة للذين اي وليخشوا الذين حالهم وصفتهم انهم لو
شارفوا الان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع لفقد
كافلهم وكاسبهم وفي ترتيب الامر عليه الاشارة الى المقصود منه
ولعله فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا اي امرهم بالتقوى الذي هو غاية
الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للبدو والمنتهى اذ لا ينفع الاول بدون

الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن
الادب الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما
ياكلون في بطونهم ملا بطونهم نارا تهويلا في الروع ومبالغة في التهديد
يجعل بطونهم ظروفا مملوة نارا ولما اراد ان يصور سر عذرهم باكلون
انفسهم الى النار جعلهم ياكلون النار كانه نار بالحقيقة ونكرها
اي نارا تتعاظم عن الوصف وقوله بتنكيره سعيرا في قوله وسيصلون
سعيرا اي سعيرا لا يحتمل سماع وصفه فعيل بمعنى مفعول من سعرت
النار بمعنى الهبتها وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام
وتشديدها تقول صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته
وصليته القيته فيها يوصيكم الله يامركم ويعهد لكم في اولادكم في شان
ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين التعريف في الموضعين
للعهد والمعهود الذكر والانثيين من الاولاد فلا حاجة الى تقدير منهم
وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لفضله على الانثى وانما ذكر بدلا
مثلي حظ الانثى او مثل حظ الانثى لانه ح لا يعلم عدم نقصان
حصة الابن عن تعدد البنت فانها اذا تعددت ينتقص حصة
سائر العصبات فيجوز العقل ان ينتقص حصته ايضا اذا تعددت
واما العكس فغير محتمل فعبارة المنزل علم حد حصة الابن مع البنتين
وبدلالته على حصته مع الوحدة وادنى الاختلاط ان يجتمع ابن
وبنت وللابن ح الثلثان فعرف بهذه الاشارة ان للبنتين
الثلثين في الجملة وليس ذلك الا في حالة انفرادهما عن الاب ولما
كان حكم الانثيين حالة الانفراد معلوما بهذه الاشارة رتب
عليه بيان حكمها اذا كانت فوق اثنتين فان كن نساء ضمير للاولاد
طابق الخبر كما في قوله هذا ربي او على تاويل المولودات اي ان كانت
الاولاد نساء خلصا ليس معهن رجل فوق اثنتين خبر ثان لكان
او صفة للنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى
منكم يدل عليه المعنى وان كانت اي المولودة واحدة فلها النصف
وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والنصب اوفق لقوله
فان كن نساء ولا يجوز ان يكون الضميران في كان مبهمين
مفسرين بنساء وواحدة منصوبين على التفسير وعلى ان
كان ليست من الافعال التي يكون فاعلها مضمرا يفسره ما
بعده بل هذا مختص من الافعال بنعم وبئس وما حمل عليهما اختلف
في الثنتين فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة
لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما

فوقهما

فوقهما لما قررناه فيما سبق وقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين
لبيان ان كثرة عددهن لا يزيد على ما لهن عند التعدد والانفراد عن
الذكور وشرط المفهوم مفقود على انه لا يعارض المنطوق والوجه
الذي قدمناه من قبيل المنطوق واما ما قيل ان البنتين اسوء حالا
من الاختين اللتين تحرزان الثلثين فهما اولى بذلك الاحراز فيرد
عليه ان الابن مع كونه اسوء حالا من ابن الاخ قد لا يحرز ما يحرزه كما اذا
كانت البنت فوق الاربع واذا جاز ذلك في العصبة والمعتبر فيه
قوة القرابة فلان يجوز فيمن لا يعتبر فيه تلك القوة من اصحاب
الفرائض بطريق الاولى وكذا ما قيل ان الاخت اذا كانت مع اخيها
وجب لها الثلث فلا الاولى ان تجب لها ذلك اذا كانت مع اخت
اخرى مثلها غير تام لان مبناه ايضا على ان من اخذ سهما مع
وارث ياخذ ذلك السهم مع وارث آخر دونه بطريق الاولى وقد
عرفت عدم صحة ذلك المبنى ولابويه ولابوي الميت لكل واحد
منهما السدس بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على
استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال للتاكيد
السدس مبتدا ولابويه خبره والبدل متوسط بينهما للبيان
مما ترك اي من جملة ان كان له اي للميت ولد ذكرا او انثى او ولد الابن
وان سفل يقوم مقام الصلبي عند عدمه للاجماع غير ان الاب ياخذ
مع الانثى ما بقي من الفروض بالعصوبة بعد اخذه فرضه فان
لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك لم يذكر
حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب
الام علم ان الباقي للاب ولم يعكس مع كونه احق ببيان نصيبه
اصالة لفضله لانه يلزم حينئذ ان يكون هو نصيب صاحب
فرض وصاحب عصبة وهو خلاف وضع الشرع ومعنى القيد
انه اذا ورث مع ابويه احد الزوجين لم يكن لها الثلث
مما ترك بل ثلث ما بقي بعد فرضه كما هو مذهب الجمهور خلافا
لابن عباس رضي الله عنهما والمعنى ان الابوين اذا انفردا
بالارث تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين ولذلك لزم
انهما اذا كانا مع احد الزوجين كان لها ثلث ما بقي ولو انقلب
الفاضل مفضولا فيما اذا كانا مع الزوج لان فرضه النصف فلو
فرض لها الثلث بقي للاب السدس مع كونه اقوى وكونه ذا فرض
وتعصيب فان كان له اي للميت والفاء هنا ايضا للترتيب احد
القسمين على الآخر اخوة فلامه السدس المراد منه ما يعم الاخوات

عن طريق عموم المجاز لا على طريقة التغليب اذ لا يتناول الاخوات
المنفردة وهذا التعميم لا بد منه عند الجمهور خلافا لابن عباس
رضي الله عنهما ومن صيغة الجمع ما يتناول المثنى وفيه خلاف
لابن عباس رضي الله عنهما واطلاق الاخوة يدل على انهم يردونها
من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون كما اذا كانوا مع الاب
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم ياخذون السدس الذي حجبوا
عنه الام فالجمهور على الاثنين من الاخوة او من الاخوات او منهما سوا
كانا من الاعيان او من العلات او من الاخياف متفقين او مختلفين
محجوبين كانا او غير محجوبين يردونها من الثلث الى السدس من
بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بجميع ما تقدمه من قسمة
المواريث كلها اي هذه الانصبا للورثة من بعد ما كان من
وصية يوصي بها او دين وانما قال باو التي للاباحة دون
الواو للدلالة على انهما متساويان في التقدم على القسمة مجموعين
ومنفردين وان يكونا متساويين في التعلق بالتركة فان
الدين لا يسقط منه بذهاب بعض المال بخلاف الوصية
وانما قدمت على الدين وهي متاخرة عنه في الحكم لانها مظنة
اشتباه تقديمها فكان هو احوج الى البيان واما كونها مشبهة
بالميراث فيشق اخراجها على الورثة فلا ينتظر بعض الوصايا كالوصية
للحج اكد امر الوصية ورغب فيها بقوله اباؤكم وابناؤكم معترضا اي هم
نفعنا ولكم واهل شفقتكم ومحبتكم لا يريدون بكم الا خيرا فاعتنوا بحق
امضائها مبينا ذلك المعنى بقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
اي الفريقين منهم انفع لكم امن اوصى منهم او من لم يوصي لان من
اوصى عرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو وان كان اجلا فهو
بالحقيقة اقرب لكم نفعا واوفر جدوى وعلى هذا خبر وانفع من لم يوصي
ابقاكم على خير الدنيا وهو وان كان عاجلا لكنه في الحقيقة ابعد نفعا
واقرب ضررا واقل جدوى لانه سيزول ويفنى اباؤكم وابناؤكم خبر مبتدا
محذوف اي هم اباؤكم وابناؤكم لا تدرون بيان لحالهم او مبتدا خبره لا تدرون
ايهم فريضة من الله في موضع المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا
او حال مؤكدة بمعنى مفروضة اي لكم الانصبا المذكورة بينا ها مفروضة
وكما فرض انصباهم واثبت الوصية وسلب علمهم به قال ان الله كان
عليما اي بمصالح دنياكم واخراكم حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث
وحكم به من الوصية وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن
لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث ذكرا كان او انثى منكم

او من غيركم

من غيركم وولد الابن وان سفل يقوم مقام الصلبي في الحجب المذكور وعند عدمه
بالاجماع من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم
يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون
بها او دين تستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وفرض الرجل
بحق الزوج ضعف ما للمراة كما في النسب قيل وهكذا قياس كل رجل وامراة
اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة
وفي الحصر نظر فان الابوين ايضا من هذه الجملة وان كان رجل اي الميت
يورث اي يورث منه من ورث صفة لرجل كلالة خبر كان او يورث
خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او
مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان
يكون الرجل الوارث ويورث من ورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد
وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة
وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني المفعول له وعلى الثالث مفعول به
وهو في الاصل مصدر بمعنى الكلال فاستعيرت للقرابة التي ليست بالبعضية
لانها كلالة ضعيفة بالنسبة الى التي بالبعضية ثم وصف بها
المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي اي من ذوي
قرابتي ويجوز ان يكون صفة كانه من غاية الضعف نفس الكلالة او امراة
عطف على رجل وله اي وللواحد منهما فلا ضرورة للحمل على الاقتصار كما ذهب
اليه من قال اي للرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على
تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام على ما نص عليه في قراءة وله اخ
او اخت من الام وقد ذكر في اخر السورة ان للاخت الواحدة النصف
اي ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وما
قدر هنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما
السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين
الذكر والانثى لان الادلا بمحض الانوثة وقد عرفت ان الكلالة
استعيرت للقرابة لانتفاء النسبة فيسقط قرابة الام والجدة دون
البنت وبنت الابن لان النسب الى الابا دون الامهات فلا تخصيص
في عموم الاية من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي
لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او دونه وصية
مضارة ورثته لا وجه الله تعالى وعن الحسن المضارة في الدين
ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار واعتبر المضارة في الدين
ايضا بنا على تاخير الحال عنهما او اعتبر الايصا فيه ايضا بنا
على عطفه على وصية كانه قيل او دين يوصي بها على قاعدة

تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه وصية من الله مصدر مؤكد
او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده القراءة بالاضافة اي غير مضار
لوصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او بوصية منه بالاولاد
بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بمن جار او من عدل
في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله بعقوبته وهذا وعيد بليغ
تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث
حدود الله شرائعه التي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها حمل ولا على لفظ من في قوله يطع ويدخله فافرد ثم حمل على المعنى
في قوله خالدين فيها فجمع وانتصابه على الحال المقدرة ويجوز ان يكون
صفة لجنات على مذهب الكوفيين وبه اخذ الزجاج هنا ولا يحتاج
الى ابراز الضمير عندهم اذ لم يلتبس وذلك الفوز العظيم الذي يستحقر
دونه الدنيا وما فيها ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله
نارا خالدا فيها وله عذاب مهين زاد هنا على العصيان تعد الحدود
وهو في الاعمال صرفا للعصيان الى ما يكون في العقائد وفائدته
التنبيه على ان المراد من الاطاعة في قسيمه ما يكون في العقائد
وان الموعود من دخول الجنة ليس مشروطا بالعمل الصالح وذلك في
مقابلة الاهانة لانه لا يتبعها الا من اعترف فناسبه الاهانة
والمراد عذابها وهذا مستفاد من وصف العذاب به فانه ظاهر
بحيث لا فائدة في ذكره ما دام محمولا على اطلاقه فيحمل على الكمال
ليفيد وافرد هنا خالدا وجمع فيما قبله اشارة الى ما في المطيعين
من لذة روحانية من حظ الاستئناس وما في حق العاصين
من الم روحاني وهو عذاب الوحشة واللاتي ياتين الفاحشة من
نسائكم يفعلن الفعلة القبيحة والمراد الزنا لزيادة قبحها في القبح
على كثير من القبائح فاستشهدوا عليهن اي فاطلبوا ايها
الائمة الذين اليكم اقامة الحدود اربعة منكم من الرجال المؤمنين
ليشهدوا عليهن بالزنا فان شهدوا عليهن به فامسكوهن
في البيوت فخلدوهن محبوسات في البيوت حتى يتوفاهن
يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قبل ان
تعفو عنهن في وابل الاسلام فنسخ بالحد او يجعل الله لهن سبيلا
كتعيين الحد المخلص عن الحبس والنكاح المغني عن السفاح
واللذان ياتيانها يعني الزاني والزانية وصفا بما يوصف به
الذكران تغليبا للذكر على الانثى واطلاقا من زيادة منكم هنا

ومن

ومن زيادة من نسائكم فيما سبق تخصيص الحكم بالمسلمين والمسلمات
فآذوهما بالتوبيخ والتقريع قال الحسن او رجما نزل قبل حد الزنا الاذى
ثم الحبس ثم الجلد فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة
وقال الضحاك كان الرجل اذا زنى بامرأة وكانا بكرين حبس كل
واحد منهما في بيت ثم لا يبرحهما مارا الا اذاهما بالتعيير وعلى هذا
يكون الاذى مع الحبس مشروعين في وقت واحد في حق الرجل
والمرأة جميعا وقال مجاهد آية الاذى في الرجلين اي الذكرين يفعل
ذلك بالذكر وهو اللواطة قال ابو منصور آية الاذى هذا يكون
حجة لابي حنيفة في انه يعزر ولا يحد بالجلد او الرجم فان تابا عن
المعصية واصلحا وغيرا الحال الى العفاف فاعرضوا عنهما بالاغماض
والستر واقطعوا عنهما الاذى ان الله كان توابا يقبل توبة التائب
رحيما فلا يعذبه وهو علة الامر بالاعراض وترك المذمة انما التوبة
على الله من تاب الله عليه اذا قبل توبته لا من تاب العبد اذا رجع
الى الله للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها وليست في عدم العلم
بانه ذنب لانه عذر لكنها ترك التفكر في العاقبة كفعل من يجهله
ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله
عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان
امد الحيوة قريب وفي عبارة ثم اشارة الى انه لم يرد من القرب القرب
من عمل السوء حقيقة فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفا بما وعد
به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وفائدة اولئك الفالهم
اذا تابوا في هذا الزمان بسبب توبتهم المقبول ومعنى الحصر في انما
التوبة التي كتب الله على نفسه قبولها ليست الا هذه فيلزم ان لا
يقبل غيرها ولهذا فصل الآية بقوله وكان الله عليما اي بالتوبة
الموصوفة بما يقتضي القبول والتي لم تتصف به حكيما لا يقبل
الا الاولى فانه تهديد ووعيد وما يناسب القبول ترغيب
ووعد فلو لم يكن الحصر والنسبة لكان ينبغي ان يقول وكان
الله غفورا رحيما ولذلك اي وللفرق بين التوبتين صغر
المعصية هنا بتوحيد السوء والتقييد بالجهالة اي الغفلة
وقيد محال التوبة بالقرب وعظمها في قوله وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال
اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار حيث جمع السيئات
وبعد محال التوبة بحرف الغاية واضاف الى المحتضر قوله
التوبة لا نفسها وزاد قوله الآن وسوى بين الذين سرقوا

بتوبتهم الي ذلك لامدا لبعيد الذي هو حضرة الموت وبين الذين ماتوا
علي الكفر مبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة واكد الوعيد بقوله
اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اي الموصوفون باحد الوصفين التوبة
وقت الاحتضار والموت علي الكفر استحقوا عذابا اليما بسبب اتصافهم
بما ذكر وفخم وعيدهم بتقديم الظرف وتنكير العذاب ووصفه بالالم
فافهم والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا ها
فابدلت الدال الاولي تاء واتي بتقل اذا حضروا وقال اذا حضر احدهم
الموت لان المتبادر منه الموت النادر وهو ان يموت جماعة معا
وذلك لا يناسب مقام التغليظ للتقصير يا ايها الذين امنوا لا يحل
لكم ان ترثوا النساء كرها ولا كان الرجل اذا مات وله عصبة القي
ثوبه علي امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها
الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي
بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تحوزوها
علي سبيل الارث واظهار ما فيه من القبح فلا دلالة فيه علي جوازه
ان كان طوعا وقرئ كرها وهما لغتان فيه وقيل بالضم المشقة
وبالفتح ما يكره عليه تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن
تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل وهو
الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها
به فخرج بعضه وبقي بعضه كان احدهم اذا تزوج امراة ولم تكن
من حاجته حبسها مع سوء العشرة معها وشكاسة الخلق حتي
تفتدي منه بما لها وتختلع فمنعوا عنه وقيل لهم ولا تعضلوهن لتاخذوا
منها بعض ما اتيتموهن من الصداق والواو للعطف للجملة علي الجملة
واما عطفه علي ان ترثوا علي ان يكون الخطاب لمن خوطب فيما سبق
فياباه قوله ببعض ما اتيتموهن ولا ينتظم مع قوله الا ان يأتين
بفاحشة مبينة الاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره
فلا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين الفاحشة والمراد بها
شكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويدل عليه
قراءة الا ان يفحشن عليكم وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل
والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسي ان تكرهوا شيئا ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا قوله فعسي الخ علة للجزاء اقيم مقامه لاستلزامه اياه
اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس وحدها واصبروا عليهن مع الكراهة
فعسي ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وترون خيرا فيه كثيرا ووصفه
بالكثرة مبالغة وان اردتم استبدال زوج مكان زوج اي ان عزمتم

علي ان

علي ان تاخذوا بزوج مكان زوج مستبدلين بها اياها وتصوير الكلام
الاشارة الي المقالات في الصدقات ولهذا تعرض لكثرة ما اعطي والاشارة
الي جواز الاستبدال مع تعددها ولهذا اتي بعبارة تغضيه عنه وكان يكفي
ان يقول واتيتم اياها فلا تاخذوا منه من القنطار شيئا قليلا اتاخذونه
بهتانا واثما مبينا باهتين واثمين والاستفهام للانكار والتوبيخ اي
انفعلون هذا مع ظهور قبحه قيل يحتمل انتصابهما علي العلة وان لم
يكن غرضا كقولهم قعدت عن الحرب جبنا وفيه ان الاثم ليس بعلة
للاخذ بل الامر بالعكس وتخصيص البهتان بالذكر لانهم كانوا اذا
ارادوا احد جديدة بهتوا التي تحتهم بفاحشة حتي يلجؤها الي الافتداء
منهم بما اعطوها ليصرفوها الي تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان
افحش الكذب لانه اذا كان عن قصد يكون افكا والافك اذا كان
علي الغير يكون افتراء والافتراء اذا كان بحضرة المقول فيه يكون
بهتانا لانه يدهشه ويتركه متحيرا من بهت اذا دهش وتحير
وكيف تاخذونه انكار لاسترداد المهر وقد افضي بعضكم الي بعض ۵
والحال ان معكم ما يصرف عنه والافضاء هو الخلوة من الفضاء وهو
المفازة الخالية كذا فسره الكلبي وهو حجة اصحابنا في ان المهر يتاكد
بالخلوة الصحيحة من غير وطي واخذن منكم ميثاقا غليظا الميثاق
العهد الوثيق والغليظ المبالغة فيه وهو قوله تعالي فامساك بمعروف
او تسريح باحسان والله تعالي اخذ هذا الميثاق علي عباده لاجلهن فهو
كاخذهن وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك علي ما في كتاب الله
من امساك بمعروف او تسريح باحسان وكان ذلك معتادا في السلف
ولا تنكحوا ما نكح التي نكح اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به
الصفة وقيل مصدرية علي ارادة المفعول من المصدر وقد
يأباه البيان بقوله من النساء وزانه وزان في الارض في قوله
وما من دابة في الارض ففائدته تاكيد ما في نكح من العموم الا ما قد
سلف قيل استثناء من المعني اللازم للنهي كانه قيل يستحقون العقاب
بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد مضي قبل التحريم او من اللفظ للمبالغة
في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب والمعني ولا تنكحوا حلائل ابائكم الا ما قد سلف
ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه ولكن ما قد
سلف لا مؤاخذة عليه لانه مغفور ونتفق علي ان هذا هو الوجه
انه كان فاحشة علة للنهي وزيادة كان للدلالة علي انه لم يرخص
فيه في شريعة من الشرائع ومقتا ممقوتا والمقت البغض

باستحقاد وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله وكانوا ينكحون روابهم وناس من ذوي
مروآتهم يمقتونه ويسمى نكاح المقت وكان المولود عليه يسمى المقتي ولذلك قيل
فاحشة ومقتا اي في دين الله تعالى ومرطة الفتح مقتا في المروة والعرف ولا مزيد
على ما يجمع القبحين شرعا وعرفا وفيه زاد على الزنا فانه تعالى قال فيه ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم
وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت اراد تحريم التمتع بهن لان المفهوم في العرف
من حرمة عين حرمة ما هو المقصود منه ويلزمه حرمة النكاح لانه موضوع
لملك المتعة فلا يصح بدونه والام حقيقة هي الوالدة وفي معناها كل امراة
نسبكا اليها بالولادة من ابيك او من جهة امك والبنت هي كل انثى ولدتها وفي
معناها كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة ودرجات باناث وذكور
والاخت كل من جمعك واياها صلب او بطن وفي معناها من جمع جدك قريبا كان
او بعيدا واياها صلب او بطن والخالة من جمع امك واياها صلب او بطن
وفي معناها من جمع جدتك قريبة كانت او بعيدة واياها صلب او بطن وبنات
الاخ والاخت وان بعدن داخلات في الحكم بالذكور بدلهن او بالاناث والاخوة
من اي جهة كانت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى
الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمرضعة اختا فلزم منه
ان زوج المرضعة ابوه وابويه جداه واخته عمته وكل ولد له من غير المرضعة
قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها
خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه وولد لها
من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما
يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في المسئلتين
احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان
يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا
المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب
ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطي الاب اياها وهذا المعنى غير موجود
في الرضاع وفي الحصر نظر لان ام النافلة زوجة الابن وجده الولد ام الزوج
ولا يحرمات من الرضاع كمن ارضعت ولد ولدك وكانت اجنبية او ارضعت
ولدك هذا بحسب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه ان الحرمة في الصور المذكورة
بالمصاهرة دون النسب فلا حاجة الى الاستثناء اصلا وامهات نسائكم وربائبكم
اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكرا ولا محرمات النسب ثم
الرضاعة لانها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض
لمصلحة الزوج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من اخر سمي به
لانه يربيه كما يربي ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقتها التا

لانه

لانه صار اسما لولد المراة وان لم يربيه وقوله في حجوركم كناية عن كونهن تحت
ولايتهم وحمايتهم وقالوا ذكره خرج مخرج العادة لا مخرج الشرط ولهذا
اكتفى في موضع الاحلال بنفي الدخول وهذا ما بحسب جليل النظر والذي هو بحسب
دقيقه هو انه لتقوية العلة وتكميلها والمعنى ان اللاتي دخلتم بامهاتهن وهن في
احتضانكم او من شانهن وحقهن الكون فيه قوي الشبهة بينها وبين اولادكم
فصارت احقاء بان تجروها مجراهم وعلى هذا اي على تقدير ان يكون المعنى
على ما قررناه من تعميم المراد للتي من شانها ان تكون في احتضانهم كما هو
مقتضى كون الوصف المذكور لتقوية العلة يكون ذلك الوصف لتقييد التحريم
والاكتفاء في موضع الاحلال بنفي الدخول لا يستلزم انتفاؤه ومن نسائكم
حال من ربائبكم او صفة او من جملة الصلة اي اللاتي من نسائكم وهو اوفى
بنظم الكلام والبا في بهن للتعدية والمعنى ادخلوهن الستر وهي كناية
عن الجماع وعندنا تقوم اللمس مقامه ولا يجوز ان يكون اللاتي وصف
لنسائكم من قوله وامهات نسائكم لعدم الحاجة في افادة المعنى المراد اليه
قوله من نسائكم والكلام البليغ يجب صونه عن الحشو والرسول فرق
بين ام المراة وبنتها فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها
لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وهذا الدخول شرط بالاجماع
بخلاف كون الربائب في حجورهم فانه خرج على الاغلب وليس بشرط عند عامة
العلما فان لم تكونوا دخلتم بهن اريد استمرار النفي لا نفي الاستمرار يعني الكون
متقدم في الاعتبار فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهذا البيان مهم
عند من لا يقول بحجية المفهوم وعند من قال بها فائدته دفع القياس
وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت حليلة لحلها لزوجها او لحلولها معه
في محل الذين من اصلابكم ما لذات او بالواسطة احترز به عن المتبنى لانهم
كانوا يجعلونه كولد الصلب لا عن الابن عن الرضاع وان تجمعوا بين الاختين
في محل الرفع عطف على ما قبله من المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين
في التمتع ويلزمه حرمة الجمع بينهما بالنكاح لما قدمناه دون ملك اليمين
لانه يجامع حرمة التمتع كما في الامة المجوسية والاخت رضاعا ولا دلالة
في قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم على حل المملوكة على كل حال فلا يعارض
هذا القول الدال على حرمتها في بعض الاحوال حتى يحتاج الى الترجيح
الا ما قد سلف استثنا منقطع معناه لكن ما قد سلف منكم مغفور له
لقوله ان الله كان غفورا رحيما وروي بن هشام عن محمد بن الحسن انه
قال كان اهل الجاهلية لا يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امراة
الاب ونكاح الاختين معا فلذلك قال هناك ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
من النسا الا ما قد سلف وقال ههنا وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد

والمحصنات من النسا بفتح الصاد اي احصنهن التزوج وقري بكسرها
اي اللاتي احصن فروجهن بالتزوج والاحصان العفة وتحصين النفس
من الوقوع في الحرام الا ما ملكت ايمانكم يعني من اللاتي سبين واخرجن
بدون ازواجهن فان الفرقة انما تقع بتباين الدارين الا بالسبي
ولا تجب العدة وتحل للغانم بملك اليمين بعد الاستبرا ولا مساغ للاخذ
على عمومه فانها اذا كانت مجوسية او محرمة بسبب الرضاع او
المصاهرة او بسبب اخر او مستبراة وهي ذات زوج لا تحل لمالكها
فلا يكون حجة على ابي حنيفة في قوله لو سبي الزوجان معا
لا يرتفع النكاح ولا تحل للسابي كتاب الله عليكم مصدر موكد اي
كتب الله ذلك عليكم كتابا وهو تحريم ما حرم واحل لكم عطف على كتب المقدر
الناصب يدل عليه قراة كتب الله عليكم واحل لكم وقري كتب الله بالجمع
والرفع اي هذه فرايض الله عليكم ومن قرا واحل لكم على البنا للمفعول
عطفه على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المذكور من الاصناف المحرمة
بالنسب او الرضاع او المصاهرة والجمع وما ثبت حرمتها بالسنة ليست
بخارجة منها الكاف والميم في ذلكم خطاب للرجال والذال اشارة الى المذكور
قبله من المحرمات ولو اشار اليها لقال وراء تلكم ان تبتغوا باموالكم
مفعول له اي لان تبتغوا باموالكم ما احل لكم من النسا ويجوز ان يكون
بدلا من وراء ذلكم على الاشتمال والافصح ان لا يقدر المفعول اي
لا يصدر منكم الابتغا باموالكم وهو اخراجها في مهور النسا واشترا
الاما محصنين حال غير مسافحين صفة او حال اخرى والمعنى
بين لكم ما يحل مما يحرم لكيلا تضيعوا اموالكم فيما لا يحل لكم فتخسروا في دنياكم
ودينكم وتجمعوا بين الخسرانين والسفاح الزنا من السفح وهو صب الماء
باطلاق ومنه السفاح وهو المسرف في القتل وفي الزنا تضييع الماء
لعدم ثبوت النسب به وفي الاية دلالة على انه لا نكاح الا بمهر من جنس
المال فما استمتعتم به منهن من جماع ودواعيه والخلوة الصحيحة التي
اقيمت مقامه ولفظه ما تدل على ان يسير التمتع يوجب ايتا الاجر
فاتوهن اجورهن مهورهن والاجر بدل لمنافع العين في الاجارة وبدل
منافع البضع في النكاح فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او مصدر
وضع موضع ايتا لان الايتا مفروض ومصدر موكد اي فرض ذلك فريضة
مفروضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة من حط
شي منها او هبتها كلها منه او من زيادة عليها او فيما تراضيا به من نفقة
او مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت
مكة ثم نسخت وهي غير النكاح الموقت على ما بين في محله ان الله كان عليما

بالمصالح

بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنا واصله
الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المومنات لان سكح الحرائر لقوله فمن
ما ملكت ايمانكم من فتياتكم بعض الاما المومنات قال الشافعي لا يجوز نكاح
الامة الكتابية بنا على مفهوم الوصف ولا نكاح الامة المسلمة عند القدرة على مهر
الحرة ونفقتها بنا على مفهوم الشرط وكلا المفهومين ليس بحجة عندنا على
ان اللازم على تقدير حجية المفهوم عند اباحة نكاحهما ويجوز ان يكون
ذلك لكراهيته لا لعدم صحته وتحقق لا نتنازع فيها والله اعلم بايمانكم
تانيس بنكاح الاما وازالة الاستنكاف منه انما علم بتفاصيل ما بينكم
وبين ارقايكم في الايمان فربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة وايمان
المراة ارجح من ايمان الرجل ولا ينبغي للمومن ان يطلب الفضل
والرجحان الا باعتبار الايمان والاسلام لا بالاحساب والانساب
وقوله بعضكم من بعض تاكيد لذلك المعنى اي انتم وارقايكم متواصلون
ومتناسبون نسبكم من ادم عليه السلام ودينكم الاسلام فانكحوهن
باذن اهلهن اي مواليهن اعتبارا دنيا دون مباشرتهم ظاهر
في انعقاد النكاح بعبارتهن اذ لو كانت مباشرتهم او مباشرة كيلهم شرطا
لكان المهم ذكرها لا ذكر الاذن لان ذكرها لا يغني عن ذكرها وهذا ظاهر
والمنكر مكابر وذكرها يغني عن ذكره واتوهن اجورهن اي واتوا موا
لهن مهورهن وحذف لانهن وما بايديهن ملك الموالي فكان الادا
اليهن ادا الى الموالي وقال مالك ليس للسيد ان ياخذ مهر امته ويدعها
بلا جهاز بالمعروف بغير مطل وضرر ونقصان محصنات عفايف غير مسا
فحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان يعني الحرير من العذاب
اي ما على الحرائر من الحد وهو الجلد لان الرجم لا يتنصف والعذاب المعهود ههنا
هو الحد قال تعالى وليشهد عذابهما طايفة من المومنين كان زناهن في الجاهلية
من وجهين بالسفاح وهو بالاجر بكل من رغب فيهن والمخادنة وهي صديق
لها على الخصوص وكان الاول يقع اعلانا والثاني سرا وقوله فاذا احصن
ليس لنفي الحد عنهن اذا لم ينكحن بل لبيان انها بالنكاح لا يزداد حدها ذلك اشارة
الى نكاح الاما لمن خشي العنت منكم خاف الاثم الذي قد يقع فيه
من غلبة الشهوة والعنت في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل
مشقة فادحة لاشتراكهما في التضرر والالم ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم
بافحش القبايح وقيل المراد الحد اخذ الشافعي بظاهر الاية وقال لا يجوز نكاح
الامة الا بثلاث شرايط اثنان في الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت
والثالث في المنكوحة وهي ان تكون مومنة وهذه الاشيا عندنا للاحتياط لا للاشتراط وان تصبروا اي صبركم عن نكاح الامة خير لكم

فاذا احصن بالتزوج فان اتين بفاحشة يعني زنا [illegible]
[illegible] فعليهن نصف ما على المحصنات صح

لان فيه ارقاق الولد وقال عليه السلام الحرائر صلاح البيوت والاماء
هلاك البيوت والله غفور للزنا ما قامه الحد اذا احتسب ذلك رحيم
اذ جعل العذاب عليه الحد في الدنيا لا العقوبة في الاخرة يريد الله
ليبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالح دينكم واصله يريد الله ان يبين
لكم فزيدت اللام لتاكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتاكيد
اضافة الاب لان التاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة فانه
لا ينبغي ان يخطر بالبال في مثل هذا المقال ويهديكم سنن الذين
من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم
بمصالح عباده حكيم فيما شرع لهم والله يريد تقديم اسم الله على الفعل
للاختصاص مع تقوي الاسناد والله خاصة يريد ارادة ان يتوب
عليكم بسلوككم طريق الحق التي هداكم اليه ويريد الذين يتبعون الشهوات
يعني الفجرة اتباع الشهوة في كل حال مذموم لان ذلك ايثار لها من
حيث ما دعت الشهوة اليه اما اذا كان الاتباع من حيث العقل او الشرع
فذلك هو اتباع لهما لا للشهوة وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون
الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا الى الباطل عن القصد
والحق بموافقتهم عن اتباع الشهوات ميلا التنكير للتكثير عظيما
بوصفه بالعظم لا المبالغة فانه فوق الكبير وهو المناسب لمقام
التشنيع والتحذير لقوة ارادته تعالى وضعف ارادتهم واستلزامها
للمراد وتخلف مرادهم عن ارادتهم قدمه على الفعل واخرهم عنه
يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الاماء وسائر الرخص وخلق
الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق التكاليف
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بالوجه الغير
المشروع كالشركة والمضاربة الفاسدتين والربوا والقمار وامثا
السرقة والغصب ونحوها فلا يناسبه قوله بينكم الا ان تكون
تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن تجارة عن تراضي
غير منهي عنه اذا قصد واكون تجارة وعن تراض صفة تجارة
اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وخص التجارة بالذكر لان
اكثر اسباب الرزق تتعلق بها وقرئ تجارة بالنصب على كان
الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة
ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين فانهم كنفس واحدة
اي ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بالقصد
النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص رضي
الله عنه تأوله في التيمم لخوف البرد ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم

او

او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال
الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما
يستكمل النفوس ويستوفي فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه
بقوله ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل
معناه ان الله كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس
ونهيكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى قتل النفس اي من يقدم على قتل
النفس عدوانا وظلما لا اقتصاصا وعدلا والمراد من العدوان
التعدي على الغير ومن الظلم الاتيان بما لا يستحق فسوف نصليه
نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه
يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء على ان الضمير لله تعالى
او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر
فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاجتناب
التباعد والكبائر جمع كبيرة وهي للفعلة العظيمة الاثم وقد اضافها
الى جميع المنهيات وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر نستر عنكم سيئاتكم
من الصغائر والكبائر والصغيرة والكبيرة وصفت كل واحدة منهما
بالقياس الى صاحبتها فكلما كانت المخالفة فيه والنهي عنه اغلظ
كان اكبر وبالعكس والتكفير مبالغة في سترها بجعلها كان لم تكن
حيث لا عقاب عليها وعن امير المؤمنين علي رضي الله عنه الكبائر
سبع الشرك بالله والقتل والقذف والربا واكل مال اليتيم والفرار
من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر رضي الله عنه
ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه
لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وفيه ما فيه
وقيل المراد بها ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفيه نظر وكان هذا القائل غافل
عن الفرق بين دون ذلك وبين غير ذلك ولم يتنبه لوجه العدول
عن الثاني مع كونه اخص واظهر الى المنزل اضاف السيئات
الى المخاطبين لان المراد الذنوب التي فعلوها ولم يضف الكبائر
اليهم لان المراد منها ما اجتنبوا عنها وفي عبارة الاجتناب
اشارة الى ان تلك الكبائر مما يعترض للناس في طرق معاشه
ومكاسبه ومعاملته فالاحتراز عنها لا يخلو عن مشقة وكلفة فتلك
الكفارة جزاؤه ولو قيل ان لم تفعلوا لفاتت تلك الفائدة وندخلكم
مدخلا كريما بضم الميم وهو مصدر او مكان الادخال وهو الجنة وبفتحها
وهو مكان الدخول او مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره فيدخلوا

مدخلا حذف لدلالة الفعل المطاوع عليه ولا تتمنوا ما فضل الله به
بعضكم على بعض نهي عن تمني ما فضل الله به بعض الناس على
بعض من الجاه والمال والعلم مع قطع النظر عن كونه ذريعة الى التحاسد
والتباعد لان ذلك التفضيل قسمة من الله تعالى على ما اقتضته
حكمته فليرض كل واحد بما قسم له علما بانه هو الذي فيه صلاحه
ولا تذهب عليك ان موجب هذا ان يكون التمني المذكور منهيا
سواء كان مقارنا للطلب او لم يكن فمن وقف بالتعليل المذكور ثم قال
وانه تشهي لحصول الشي له من غير طلب وهو مذموم لان تمني
ما لم يقدر له بغير كسب ضايع وباطل لم يكن على بصيرة ثم انه
قاله معارضة لحكم القدر مناه العقوق عما بين في موضعه
من انه لا حكم للقدر والا يلزم الجبر ويبطل التكليف للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل
من الرجال والنساء نصيب مقدر على ما تقتضيه الحكمة فلا
ينبغي للمفضول ان يتمنى نصيب الفاضل ونسب الكسب
اليهم وجعل النصيب منه لانه جعل سعيه سببا للوصول ما قدر له
اليه ثم ان الشق الاخير في معرض المنع اذ يحتمل ان يكون ما
قدر له بغير كسب مشروطا بالتمني فلا يلزم المحذور المذكور
واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل
فانه طلب للمحال ولكن اسألوا الله من خزاين جوده التي لا تنفد
ان الله كان بكل شي عليما وهو يعلم ما يستحقه كل انسان
فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت ونسوة معها
ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال فيكون لنا من الاجر
مثل ما لهم فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون
مما ترك صفة لكل مبنية له اي لكل شي مما ترك الوالدان جعلنا
وراثا يلونه ويحرزونه ولكل احد مفعولي جعل او صفة
لمحذوف على ان جعلنا موالي صفة لكل اي ولكل قوم جعلناهم
موالي نصيب مما ترك الوالدان والراجع محذوف وهو احد
مفعولي جعل ولكل خبر مبتدا محذوف وهو نصيب ولا يجوز
ان يكون المعنى ولكل ميت جعلنا وارثا مما تركه اذ لا يلزم
ان يكون لكل ميت وارث فضلا ان يكون وارثا من الوالدين
والاقربين والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف
يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة اذا تعاقدا على ان يتعاقلا

ويتوارثا

ويتوارثا صح وورث بحق الموالات خلافا للشافعي وحمله على الازواج
على ان العقد عقد نكاح يأباه قوله ايمانكم وهو مبتدا ضمن معنى الشرط
وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عما هو
تقدم والضمير للموالي وقرئ عقدت بمعنى عاقدت عهودهم ايمانكم
فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما
حذف في القراءة الاولى ان الله كان على كل شي شهيدا تهديد لمن
خالف الامر الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن امرين
ناهين كالولاة وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل
الله بعضهم على بعض اي والتعبير عنه على وجه الابهام
للايهام بان هذا التفضيل من جملة التفضيلات الواقعة في
القسمة الازلية على مقتضى الحكمة المذكور فيما تقدم بقوله
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وفيه دليل على
ان الرجال انما يستحقون الولاية عليهن بالفضل لا بالتغلب
والقهر وهو كمال العقل وحسن التدبير وقوة الحزم والعزم ومزيد
القدرة على الطاعات وسائر الاعمال ولذلك خصوا بالنبوة
والامامة والولاية واقامة الشعائر ووجوب الجهاد والجمعة
ونحوها وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم
في مهورهن ونفقاتهن روي ان سعد بن ربيع نشزت عليه
امرأته فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا و
اراد الله امرا والذي اراد الله خير ثم بين ان النساء نوعان
فالفاء في قوله فالصالحات لتفصيل المجمل المفهوم مما تقدم قانتات
اي النساء الموصوفات بالصلاح عن المطيعات لله تعالى القايمات
بحقوق الازواج حافظات للغيب اي لغيبة الازواج والمعنى
بمواجب الغيبة اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب عليهن
حفظه من الفروج والاولاد والبيوت والاموال وقيل لما غاب من الحس
من اسرارهم والوجه هو الاول لما روي عنه عليه السلام خير النساء
امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها
حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بمعنى
ان حفظهن للغيب ليس من قبل انفسهن بل ذلك بحفظ الله اياهن
لذلك وقيل بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد ويرد
عليه انه لا اختصاص بحفظ الله تعالى بهذا المعنى بالنوع الاول

مرتين ومن رام الاصلاح بزيادة قوله والتوفيق لا بد ان الذي زاده وجه
مستقل ومعني تام وقري بما حفظ الله بالنصب علي ان ما موصولة اي بالامر
الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة
علي الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة
الازواج من النشز فعظوهن قال الامام ابو منصور العظة كلام يلين
القلوب القاسية ويرغب الطبايع النافرة وهو بتذكير العواقب
واهجروهن في المضاجع اي اذا لم ينفع الوعظ وظهر النشوز
فادبوهن بالهجر وهو القطع والمضاجع جمع مضجع وهو موضع
وضع الجنب للنوم ولم يرد به تبعيدها عن مضجعه ولذا لم تقل
عن المضاجع بل اراد ان يوليها ظهره وهما في مضجع واحد اعلاما
بالعتب والمواخذة واضربوهن يعني اذا لم تنفع الكناية بالهجران
فادبوهن بالضرب لاصرارهن علي النشوز وهو ضرب غير
جارح ولا خارش ولا شاين وما ذكر من الترتيب مع النظم بالواو
مستفاد من قرينة المقام وسوق الكلام للرفق في اصلاحهن م
وادخالهن تحت الطاعة فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا فلا
تتعرضوا لهن بالاذي والتوبيخ واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد
الرجوع الي الطاعة وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا يعني انكم
تعصونه تعالي مع علو شانه وكبرياء سلطانه ولا يواخذكم باول
الحال ويدعوا الي التوبة ويقبل اذا تاب ولا يواخذ بما قد كان والعبد
احق بذلك وفي علوه تعالي وكبريايه تحذير للعبد ومنع عن مجاوزة
الحد فيما يعنيه عليها من وجه التاديب وان خفتم الخطاب لولاة الامر
شقاق بينهما خلاف بين المراة وزوجها اضمرهما قبل الذكر لذكر
ما يدل عليهما واصل الشقاق ان يصير احدهما في شق والاخر
في شق بالمخالفة والمباعدة واضافته الي الظرف اما لاجرايه مجري
المفعول كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقوله نهاره صايم
فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها متي اشتبه عليكم حالهما لتبيين
الامر واصلاح ذات البين رجلا عدلا مرضيا يصلح للحكومة
والاصلاح من اهله واخر من اهلها لان الاقارب من الطرفين اعرف
ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وتسكن اليهم نفوس الزوجين
ولا يحتشما من ابراز ما في ضمايرهما من الحب والبغض وارادة
الصحبة والفرقة وهذا علي وجه الاستحباب فلو نصبا من
الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات ولا يساعده
نظم الكلام كما لا يخفي علي ذوي الافهام واختلف في انهما يليان

الجمع

الجمع والتفريق بينهما بحسب ما رايا او لا الا باذن الزوجين والاصح
ان ذلك اليهما وما جعل الحكمين الا وليهما ثبات الامر علي ما يقتضيه اجتهادهما
وبه استدل علي جواز التحكيم ان يريدا اي الحكمان اصلاحا لذات
البين يوفق الله بينهما اي اوقع الله بحسب سعيهما الموافقة بين
الزوجين وقيل الضميران كلاهما للحكمين اي قصدا الاصلاح يوفق الله
بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا
الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه
تنبيه علي ان من اصلح نيته فيما يجراه اصلح الله مبتغاه ان الله
كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع
الوفاق بينهما عقب ذكر ارادة الاصلاح والتوفيق بينهما واهمل
ذكر التفريق مع كون الحكمين منصوبين لما رايا من الامرين
جميعا حثا لهما وحثا للزوجين علي الوفاق والجمعية والالفة
وردا بمالهما عن الطلاق والتقاطع والفرقة وترجيحا للاول علي
الثاني واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا من الاشيا في العبادة
او شيا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اي واحسنوا
بهما احسانا وبذي القربي بكل من بينكم وبينه قرابة عطف بتكرير
الجار ليفيد ان احسان ذي القربي بالاصالة لا بالتبعية
واليتامي والمساكين والجار ذي القربي الذي قرب جواره وليس له
اتصال بنسب والا لما فصل بينه وبين ذي القربي بالاجنبي
وقري والجار ذي القربي نصبا علي الاختصاص تعظيما لحق
الجوار والجار الجنب الذي بعد جواره ولا قرابة له قال النبي
عليه السلام الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو حق الجوار
وهو الجار المشرك وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار
له ثلاثة حقوق حق الجار وحق الاسلام وحق القرابة والصاحب
بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر
او شريكا في تعلم علم او حرفة وابن السبيل المسافر والضيف م
في حكمه وما ملكت ايمانكم من الرقيق ان الله لا يحب من كان مختالا
تياها يتكبر عن اكرام اقاربه وجيرانه واصحابه ومماليكه فلا يلتفت
اليهم وقد سبق ان عدم المحبة عبارة عن البغض فخورا يتفاخر
عليهم الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس ارشادا
بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله الغنا والعلم بدل من
قوله من كان او صفة له فقال بحمل الا حملا علي لفظ من وجمع
فقال الذين حملا علي المعني او نصب علي الذم ورفع عليه اي هم

الذين او مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويامرون
ويكتمون احقا بالمقت والتعذيب واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
يهانون به في الاخرة غاية الاهانة وهذا مستفاد من جعل
الوصف امرا ظاهر اللزوم للموصوف بحيث لا فايدة في ذكره ان لم
يحمل على المبالغة والمعنى اعتدنا لهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم
من لو يشاء الله اطعمه والعدول عن المضمر الى الظاهر للاشعار بان
امرهم الناس بالبخل واخفايهم ما انعم الله تعالى عليهم من المال
وسعة الحال اثر الكفر وفيه تنبيه على ان الكفران لنعمة الله تعالى
من واد الكفر قال طاوس البخل هو ان يبخل الانسان بما في يده
والشح هو ان يشح بما في ايدي الناس فهم جامعون بين الشح
والبخل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ليقال ما اسخاهم
وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله عطف على الذين يبخلون وانما
شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق
لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح
واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله
ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا
بالانفاق مراضيه وثوابه ونفقة من لا يؤمن لا يكون لرضا
الله بل يكون لتزيين الشيطان ولذلك ختم الاية بقوله
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل
والريا وكل رذيلة او حين يقرن بهم في النار يقيلون اوعيدا
لهم في قسا ضمير فيهم قرينا تفسيره وبيانه والمخصوص
بالذم محذوف اي الشيطان وماذا عليهم لو امنوا بالله
واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله واي تبعة ووبال في
الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ على الجهل
بمكان المنفعة والاعتقاد في الشي على خلاف ما هو عليه
وايهام انهم في الاعتياذ بالرزايا والتشغف بالكفر والقبايح
كانهم يعتقدون انهم مثابون على ذلك ومعاقبون
على اضدادها من الفضايل والايمان والمحاسن وتحريض
على الفكر في طلب الجواب لعله يؤديهم الى العلم بما فيه من
الفوايد الجليلة والعوايد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى
امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا
تضمن المنافع ولما قصد في الاية الاولى الى ذمهم بالانفاق

رئا لكونهم

رئا لكونهم غير مومنين قدم ذكره وجعل قوله ولا يؤمنون في موضع الحال
تنبيها على ان ذلك منهم لكونهم غير مؤمنين ولما حثهم في هذه الاية على
ما يجب ان يتخذوه ابتدا بذكر الايمان تنبيها على ان انفاقهم غير معتد به
لا بعد الايمان وكان الله بهم عليما اي انه عالم علما بانهم لا يؤمنون
ليعلم الجاني ان مخالفتهم اياه لا تضره ان الله لا يظلم مثقال ذرة اي لا
ينقص من الثواب الموعود ولا يزيد في العقاب المعهود اصغر شي كالذرة
وهي النملة الصغيرة ويدل عليه قراة مثقال نملة والمثقال مفعال
من الثقل وهو فيه تنبيه على ان الاعمال صورا مثالية لها ثقل وخفة وانما
الحكم الميزان وان تك مثقال ذرة حسنة وتانيث الضمير لتانيث الخبر
او لاضافة المثقال الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف
العلة وقري حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها
وقري يضعفها والمعنى واحد ويؤت اي معها من لدنه من عنده
تفضلا وفيه تنبيه على ان اطلاق الاجر عليه بحسب الوعد لا بنافي
كونه تفضلا في الحقيقة اجرا عظيما ما وصفه الله تعالى بالعظم فمن
يعرف مقداره مع انه سمى الدنيا وما فيها قليلا وسمى هذا الفضل
عظيما فكيف حال هولاء الكفرة من اهل الكتاب وغيرهم اذا جينا من
كل امة من الامم السالفة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم او
واذا اشارة الى وقت المجي بالرسل للشهادة والعامل في الظرف مضمون
الابتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجينا بك يا محمد على هولاء
اي هذه الامة شهيدا لقوله تعالى لتكونوا شهدا على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا يوميذ يود الذين كفروا بالله وعصوا الرسول
اي خالفوا امره ونهيه لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينيذ يود الذين
جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول في ذلك الوقت ويتمنون ان تسوى
بهم الارض بان يكونوا من جملة الارض ترابا قال الله تعالى ويقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا وهنا لان الارض انما تسوى شي منهما
ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اي يود ونذلك ولا يقدرون
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم بذلك وقيل الواو للحال اي يودون
ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا
يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا
ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم
فيتمنون ان تسوى بهم الارض يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم
سكرى اي لا تذهبوا الى مواضع الصلاة وهي المساجد حالة السكر
لعطف قوله ولا جنبا عليه وهو نهي الجنب عن قربان المساجد

لان الاستثنا بقوله الا عابري سبيل في حق المساجد دون الصلاة ولا
يجوز ان يكون معناه الا في السفر لان السفر ليس بمرخص فيه والمصير
الى ان المعنى اذ المجد لما وتيمم ارتكاب لتعسف ظاهر ثم انه على تقدير
اعتبار الشرط المذكور لا ينبغي فرق بين المسافر والمقيم والنهي عن قربان
المساجد حالة السكر نهي عن الصلاة في تلك الحال على ابلغ وجه
بطريق الدلالة لان حرمة موضعها لحرمتها ثم ان النهي ليس عن
الصلاة لانها عبادة لا ينهى عنها بل هو نهي عن الافراط في
الشرب في وقت يلزمه اداء الصلاة حالة السكر فما ذكر ينطبق
على سبب النزول دلالة وان لم ينطبق عليه عبارة وهو ان
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما صنع مادبة ودعا نفرا من
الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا
وجا وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد
ما تعبدون فنزلت وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه
جمع كهلكى ومفرد بمعنى وانتم قوم سكرى كحبلى على
انه صفة الجماعة والسكرى السكر وهو الشد **حتى تعلموا ما**
تقولون بين ان السكر المانع هو ان يصير بحال لا يعلم ما يقول
ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة مع الواو في
موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي
فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر
الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال
اي لا تقربوا المسجد في عامة الاحوال الا في حال العبور او
صفة لقوله جنبا غير عابري سبيل قيل في نزوله ان رجالا
من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فكانت تصيبهم جنابة ولا ما
عندهم فيريدون الما ولا يجدون ممرا الا في المسجد ولهذا قال
ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الما
او الطريق **حتى تغتسلوا** غاية النهي عن القربان حالة الجنابة
والتيمم بدل عنه فذكر الاغتسال يغني عن ذكره **وان كنتم مرضى**
مرضا يمنعه عن استعمال الما حقيقة كما اذا لم يكن عنده ما ولا
يقدر على الحركة وليس عنده من يناوله او حكما كما اذا كان مرضه
يشتد باستعمال الما او يمتد **او على سفر** اي مسافرين اراد به
البعد من العمران ومواضع الما ولم يرد به كمال مدة السفر ولا مسافر
ايجد الما ولما ثبت ان الحكم لم يتعلق بعين المرض والسفر بل بمعنى
فيهما وهو العجز عن استعمال الما وانما علق بهما ظاهرا لان العجز

عنه

عنه يقع فيهما غالبا ثبت ان الحكم كذلك في كل موضع تحقق العجز
وظهر به صحة قول ابي حنيفة في اجازة التيمم للجنابة في المصر اذا
عدم الما الحار وخاف ان يضره الاغتسال بالما البارد **او جا**
احد منكم من الغايط الغايط المكان المطمئن من الارض وكانوا
ياتونه لقضا الحاجة قبل اتخاذ الكنيف في البيوت والمجي منه
كناية عن الحدث ولما كان الاجتماع في السفر مندوبا بخلاف
التغوط فان المندوب فيه الانفراد غير الاسلوب ولم يقل او
جئتم من الغايط واما قوله **او لامستم النسا** فعلى طريقة
مقابلة الجمع بالجمع ففيه ايضا رعي ما هو المندوب وقرئ لمستم
اي جامعتم فاجنبتم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملامسة
واللمس والمباشرة والافضا كنايات عن الجماع **فلم تجدوا ما** حقيقة
او حكما كما اذا لم يكن مقدور الاستعمال لمانع او يكون في استعماله
نوع حرج لضرر بدن او مال بقي ههنا اشكال وهو ان الجمع بين
الامور المذكورة في الشرط المرتب عليه جزا واحد وهو الامر بالتيمم
عند فقدان الما مع ان سببية الاولين انما هي للترخص والثالث
لوجوب الوضو والرابع لوجوب الغسل وليس الامر بالتيمم معنى واحد
يعم الكل وجه حله هو ان القصد الى الترخص في التيمم بالتراب لكل
من وجب عليه التطهير ولم يجد الما فقيد عدم الوجدان راجع
الى الكل وقيد وجوب التطهير المكني عنه بالمجي من الغايط
والملامسة اللذين هما من اغلب اسباب وجوب التطهير
معتبر في الكل حتى المرضى والمسافرين وذكرهما بخصوص قبل
التعميم بنا على زيادة استحقاقهما للترخيص بغلبة المرض والسفر
على سائر اسباب الرخصة فكانه قيل اذا جا احد منكم من الغا
يط او لامستم النسا فلم تجدوا ما خصوصا المرضى والمسافرين فتيمموا
ووجه سببية مضمون الجزا ظاهر **فتيمموا صعيدا طيبا** التيمم
القصد والصعيد وجه الارض والطيب الطاهر ويجوز التيمم
بكل ما كان من اجزا الارض عند ابي حنيفة لزق بالكف او لم يلزق
عملا باطلاق النص وعند محمد كذلك لكن اذا لزق بالكف لقوله
في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه
وعند ابي يوسف الصعيد هو التراب والرمل وعند الشافعي
هو التراب لا غير والطيب المنبت من الارض عنده واللايق بموضع
الطهارة انما هو المعنى الاول وشرط من التبعيض وهو صحة
وضع بعض موضعها منتف ههنا اذ لو قيل فامسحوا وجوهكم

وايديكم بعضه افاد ان المطلوب جعل الصعيد ممسوحا والعضو ممسوحا به
وهو فاسد بالاتفاق فامسحوا بوجوهكم وايديكم الى المرافق لانه
بدل عن الوضوء فيقدر بقدر الاصل ولانه عليه السلام تيمم ومسح بيديه
الى مرفقيه ومسح الشي امرار اليد على الشي تقول مسحت براسه
ومسحت راسه بمعنى ان الله كان عفوا غفورا اشارة الى وجه
الترخص والتيسير لان من كانت عادته العفو عن الخطائين
والغفران عن المذنبين فلان يكون ميسرا غير معسر احرى الم
تر الى الذين اوتوا كلمة تعجبت عن امر قد بلغ المخاطب فيخرج مخرج
التعليم من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وتعديته
بالى لتضمنه معنى الانتهاء نصيبا حظا وتنكيره ويحتمل التعظيم
والتحقير من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن
للتبعيض وللبيان يشترون الضلالة يستبدلون اليهودية
التي هم عليها بالذي هو دين الاسلام لتمكنهم منه بعدما تبين لهم
عن [illegible] انه الحق ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون
السبيل سبيل الحق وتعرضوا في سلكهم والله اعلم باعدائكم
اخبرهم بعداوتهم وما يريدون بهم فاحذروا اياهم وكفى بالله وليا
يلي امركم وكفى بالله نصيرا ينصركم عليهم فثقوا عليه واكتفوا به
عن غيره والبا تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي
بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا
من الكتاب لانه متناول لليهود والنصارى والجمل الثلاث
توسطت بينه وبين المبين على سبيل الاعتراض الاول للتصريح
بما اوقف الى سببه لان المخالفة في الدين سبب العداوة والثاني
فبيان لتشجيعهم وتقوية قلوبهم في عدم المبالاة باعدائهم
ولذلك كرر وكفى بالله لتقرير معنى كفاية الله تعالى عنهم في تخوفهم
وان ولاية الله تعالى بالانفراد كافية لهم كما ان نصرة الله تعالى
وحدها كافية او بيان لاعدائهم وما بينهما اعتراض ويجوز
ان يكون صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه
من القوم الذين كذبوا او كلاما مستقلا على ان يحرفون صفة مبتدأ
محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه
عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها بازالته عنها واثبات
غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه على ما انزل الله فيه
والكلام والكلمة كالتمر والتمرة على انه اسم جنس فرق بينه على
ما انزل الله وبين واحده بالتاء لا على انه جمع ولهذا ذكر ضميره

واما

واما جمع المواضع فلتكرره في التوراة في مواضع بحسب الجنس وقرئ الكلم بكسر
الكاف وسكون اللام على انه جمع كلمة تخفيف كلمة وتذكير الضمير على
هذه القراءة لارادة جنس الكلم ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك
واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع
غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او
اسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به واما ما قيل
واسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه فيأباه
السياق وكونه على قصد النفاق لا يحتمله السياق لانهم بقولهم
وعصينا اظهروا الخلاف والشقاق وراعنا انظرنا نكلمك ونفهم كلامك
ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث
وضعوا راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها
وطعنا في الدين كانوا يقولون له عليه السلام السام عليك ويتحرجون
ويقولون لولا يعذبنا الله بما نقول اي لو كان هو على الدين
الحق فلماذا يعذبنا الله بهذا ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا
واسمع وانظرنا انهم قالوا فاعل فعل محذوف دل عليه معنى الثبوت
والتحقق في ان يعني لو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوا والضمير
المستكن في لكان يرجع الى هذا القول خيرا لهم واقوم واعدل
ولكن لعنهم الله خذلهم الله وابعدهم عن الهدى بكفرهم بسبب
كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان
ببعض الكتب والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم لانه رديفها
في الغالب اي لا يؤمنون الا ايمانا معدوما على طريقة لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا
فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال
ليكون ما بعد الا موافقا لما قبلها في المعنى ولا يجوز ذلك
في الاستثناء وكذا لا يجوز ان يكون المعنى الا قليلا منهم امنوا
او سيؤمنوا لعدم صحة نسبته عما تقدم فافهم يا ايها الذين اوتوا
الكتاب خطاب لليهود والنصارى امنوا بما انزلنا وهو القران
مصدقا لما معكم من الكتاب الذي انزل على نبيكم يعني التوراة والانجيل
متضمنا صفة النبي عليه السلام وصحة ما جاء به من قبل ان نطمس
وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها
ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء وننكسها الى ورائها
في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس محو الاثر والازالة الاعلام وقد
يطلق بمعنى الطمس في ازالة الصورة ويطلق القلب والتغيير

ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها
ونكسوها الصغار والادبار ونردها حيث جاءت منه وهي اذرعات
الشام يعني اجلاء بني النضير او من قبل ان نطمس وجوها بان يعمي
الابصار ونعمي الاعين اي نصم الاسماع عن سماع الحق بالطبع و
نردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت
نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او باللعن المتعارف
والضمير لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم
او للذين عطف على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد الوجهاء
وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ
الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا
قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد
امن بعضهم وكان امر الله بايقاع شيء مفعولا كائنا انما المنتظر ابداؤه
بالنظر الى القيد بن نقيد متى لا يداعه المجرد عنه ان الله لا يغفر ان
يشرك به لانه ثبت الحكم على خلود عذابه ويشاركه في الحكم المذكور
ما في منزلته وهو سائر وجوه الكفر فان الحكم على خلود عذابها
ايضا قد ثبت ولوجود هذا الشبه قال ويغفر ما دون ذلك
ولم يقل يغفر غيره مع انه اخصر واظهر دلالة على المراد على تقدير
عدم قسم آخر فتنبه يرو الله الهادي الى الرشاد ولما قال
لمن يشاء مع انه معلوم ان المغفرة لا تكون الا بمشية الله تعالى
للدلالة على انها لا تعم والاشارة الى ما دون الشرك بخلافه من حيث
ان المشية لا تتعلق بمغفرته اصلا ومن يشرك بالله فقد افترى
فقد ارتكب مفتريا اي مفتعلا ما لا يصح كونه اثما عظيما
يستحقر دونه الآثام ويجوز ان يكون المعنى فقد افترى امرا
عظيما وذلك الامر لكونه سببا للاثم عبر عنه بالاثم مبالغة
كما عبر بالنار عن موجبها في قوله فاتقوا النار وهذا ابلغ
وفيه اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب الم
تر الى الذين يزكون انفسهم بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه
ولن تمسنا النار الا اياما معدودة وانما نعلم ابناءنا الصغار
التورية فنكفر بذلك ذنوبنا فنصير كاننا لا ذنب لنا وفي ذلك
غض على من يزكي نفسه بزيادة الطاعة والتقوى بل
الله يزكي بل اضطراب من تزكيتهم وانما قدم الله على الفعل
للتخصيص اي لا يزكي احدكم نفسه ولا غيره فانه غير معتبر
ولا معتد به اذ لا علم لاحد بما ينطوي عليه الانسان من قبح

حسن وقبح بل الله خاصة يزكي من يشاء من المرتضين من عباده
الذين عرف منهم الزكاء واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون
فتيلا اي اقل قليل من الظلم والفتيل وهو ما يفتل من الوسخ عند
ذلك الاصبع بالاصبع اي يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم
الموعود شيء انظر كيف يفترون على الله الكذب بقولهم نحن عند الله ازكياء
وكفى به بالخلو اليهم هذا اثما مبينا من جملة آثامهم الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب قد سبق تفسيره في هذه السورة يؤمنون
بالجبت والطاغوت الجبت في الاصل اسم صنم ثم اطلق على كل ما يعبد
من دون الله والطاغوت الشيطان وكل راس في الضلال نزلت
في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه
محمد ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين
آمنوا حذف المفعول للاختصار او للاحتقار سبيلا ارشد دينا واقوم
طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنعه العذاب
عنه بالنصر والخطاب لكل احد ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة
ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك والتنكير في نصيب
للتحقير ففيه حجة على ابلغ وجه وكذا زعمت اليهود من ان الملك
سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا النقير النقرة في ظهر
النواة ومعنى اذا انه لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
احدا مقدار نقير لفرط بخلهم وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم
اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين واذا
وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ
لا يؤتوا على النصب ثم انتقل من هذه الخصلة الذميمة الى خصلة اشد منها
وهي الحسد فان البخل منع وصول خير شيء من نفسه الى الغير والحسد تمني زوال
ما اعطى الله تعالى الغير من الخير فقال ام يحسدون الناس انكار لحسدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ما آتاهم الله تعالى من النصرة
والغلبة وازدياد العز والقوة والتقدم كل يوم واللام في الناس للعهد كانهم
الناس بالحقيقة وما عداهم من اليهود ولمبس بالناس على ما آتاهم الله
من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز فقد آتينا آل
ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما الزام لهم بما عرفوه
من ايتاء الله تعالى الكتاب والنبوة والملك العظيم لآل ابراهيم الذين هم
اسلاف محمد عليه السلام وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله تعالى مثل ما
اوتي اسلافه فمنهم فمن اليهود من آمن به بما ذكر من حديث آل ابراهيم
ومنهم من صد عنه من انكر مع علمه بصحته او فمنهم من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم

ومنهم من انكر نبوته صلى الله عليه وسلم او من آل ابراهيم عليه السلام وما آمن
بنبوته ومنهم من كفر فلا تتعجب من قومك فان احوال جميع الامم هكذا وذلك
تسلية له عليه السلام وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها
ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين
كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك وتنكير نارا
للتعظيم قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وقد تزاد
ان في الوعد ايضا كلما نضجت جلودهم اي بلغت الى حد لا يبقى ثمة
من الاحراق بدلناهم جلودا غيرها اي اعدنا تلك الجلود غير محترقة
قال ابن عباس رضي الله عنهما يوم تبدل الارض غير الارض ان الارض
تلك الارض لكن بدلت آكامها وجبالها وانهارها واشجارها والجملة
في محل النصب على الحال من الضمير المنصوب في نصليهم ليذوقوا
العذاب ليتجدد لهم ذوقوا العذاب ولما كان تأثير الذائقة اسرع واقوى
من تأثير الملامسة استعير الذوق لادراك الملامسة مبالغة في التأثير
عن العذاب وقيل على معنى لتدوم الخوف والعذاب في الحقيقة للنفس
العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا تحذر ان الله كان عزيزا
حكيما العزيز القادر الغالب الحكيم الذي لا يفعل الا الصواب انما
قاله لانه قد يقع في القلب تعجب من كون الكريم الرحيم يعذب الشخص
الضعيف الى هذا الحد لعظيم ابد الاباد فقيل ليس هذا بعجب لانه القادر على
ذلك ومع انه رحيم فهو ايضا حكيم والحكمة تقتضي ذلك والذين امنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم الوعد والوعيد متعاقبان في الذكر
غالبا وقدم الوعيد ههنا لان الكلام في الكفار جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا قد سبق تفسيره لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم
ظلا ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل
اليل ويوم ايوم وهو ما كان متسعا لا فرجة فيه ودائما لا ينسخه و
سجسجا لا حر فيه ولا برد ولما كانت بلاد العرب في غاية الحرارة كان
الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة ولهذا جعلوه كناية عن الراحة قال
عليه السلام السلطان ظل الله في الارض فلا يتجه السؤال بان يقال اذا لم
يكن في الجنة شمس تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل
ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين
والامانات وان كان سبب النزول خاصا وهو اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
مفتاح الكعبة من اسادنتها ورده لهم بعد نزول هذه الآية واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل العدل يقابله الجور والانصاف يقابله
الظلم ان الله نعما يعظكم به ما في نعما نكرة موصوفة منصوبة اي

نعم شي

نعم شيء يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي ذلك يعني المأمور به من اداء
الامانات الى اهلها والحكم بالعدل ان الله كان سميعا باقوالكم واحكامكم
بصيرا بما تفعلون من الامانات يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول كرر لفظ اطيعوا تعظيما لامر الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا
اي ولما ذكر من ان تكريره للتعظيم ترك اعادته في قوله واولي الامر
فرقا بين المطاعين في التعظيم لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها
والحكم بالعدل امر الناس بان يطيعوهم ويمتثلوا امرهم والمراد بهم امراء
المؤمنين القائمون بالعدل الثابتون على الحق لا امراء الجور على ما ستقف
على وجهه فيه وفي قوله منكم تمهيد للرخصة في المنازعة المفروضة
في قوله فان تنازعتم لما كان في الامر بالطاعة لاولي الامر اشعار
باشتراط العدالة وكونهم على الحق وفيما تقدم من قوله واذا حكمتم الآية
نوع تمهيد لذلك رتب الشرطية المذكورة على ما قبله في شيء من امور
الدين وامور الدنيا فردوه فارجعوا الى الله الى كتاب الله تعالى
والرسول الى سنته قولية كانت او فعلية او تقريرية هذا بشرط
حالتي حياته ومماته ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان
الايمان بالمبدأ والمعاد يوجب ذلك تصدير الامر بطاعة اولي الامر
بامرهم بالحكم بالعدل وتقييد جمعهم مع الله ورسوله في العطف و
تخصيصهم بقوله منكم وتنبيه بالامر بالرجوع الى الكتاب
والسنة فيما اشكل واختلف فيه اعلاما بان طاعة المتغلبة من امراء
الجور الذين هم على خلافة بل ليست بواجبة بل الواجب مخالفتهم
وعصيانهم فيما لا يطابق الكتاب والسنة بواجبة بل الواجب
مخالفتهم وعصيانهم فيما لا يطابق الكتاب والسنة من احكامهم
واحتج بالآية المذكورة منكرو القياس حيث حصر المرجع اليه في
الكتاب والسنة ولم يذكر القياس تكون حجة عليهم لا لهم لانه
تعالى اوجب في كل متنازع فيه الرد اليهما ولا يوجد في كل حادثة
نص ظاهر فعلم انه بالنظر في مودعاته والعمل بمدلولاته ومقتضياته
ذلك خير واحسن تأويلا عاقبة الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا
بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي
الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعى المنافق الى كعب ابن الاشرف ثم انهما
احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق
وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم الي كـ

فقال عمر رضي الله عنه للمنافق أكذلك قال نعم فقال مكانكما حتى أخرج إليكما
فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق وقال هكذا أقضي لمن لم يرض
بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال جبريل إن عمر فرق بين
الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الأشرف وفي
معناه من يحكم بالباطل سمي بذلك لفرط طغيانه أو لتشبهه بالشيطان
من حيث إنه الحامل عليه كما قال وقد أمروا أن يكفروا به وقرئ بها على
أن الطاغوت جمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ويريد الشيطان
أن يضلهم ضلالا بعيدا قيل ظاهر الآية يدل على أنه كان المتحاكم
منافقا من أهل الكتاب كان يظهر الإسلام على سبيل النفاق لأن قوله تعالى
يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك إنما يليق بمثل هذا
المنافق وأما صيغة الجمع فلعله لدرج أمثاله فيما ذكرنا ثم في
صدر ذلك وإن لم نظهر منهم وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى
الرسول لما بين عشتهم في التحاكم إلى الطاغوت بين هنا رغبتهم عن
التحاكم إلى الرسول عليه السلام وقد سبق الكلام في تعالوا في سورة
آل عمران رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا في موقع الحال أم
أي يعرضون عنك إعراضا فكيف يكون حالهم إذا أصابتهم مصيبة
كقتل عمر رضي الله عنه المنافق أو النقمة من الله تعالى بما قدمت أيديهم
من التحاكم إلى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤوك عطفا على أصابتهم
أي بعدما أصابتهم أي بعدها أصابتهم جاؤوك للاعتذار أو على
يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال إن أردنا إلا
إحسانا وتوفيقا ما أردنا بذلك إلا الفصل بالوجه الأحسن والتوفيق
بين الخصمين وقيل جاء أصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما أردنا
بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه
أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان
والحلف الكاذب من العقاب فأعرض عنهم أي عن عقابهم في
الدنيا مصلحة في استبقائهم أو عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك
وكفهم عما هم عليه وهذه المخاطبة لا تنافي الإعراض عن المعاتبة
وقل لهم في أنفسهم فيما يحل بهم من العذاب إن لم يرجعوا وما يصل
إليهم من الثواب إن رجعوا قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم أمره هو
بالتجافي عن جناياتهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترهيب والترغيب
كما هو مقتضى شفقة الأنبياء عليهم السلام وتعليق الظرف ببليغا
على معنى بليغا في أنفسهم مؤثرا فيها يجوز على أهل الكوفيين خلافا
للبصريين وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله بتيسيره

وتوفيقه

وتوفيقه لطاعته أو بسبب إذن الله تعالى في طاعته أي بأمره للمبعوث
إليهم أن يطيعوه لأنه مبلغ عن الله تعالى وخليفته له فطاعته طاعة الله تعالى
لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بوعظهم وإبلاغ القول فيهم أمره بطاعته فيما
أمر إنقاذا لهم بها وعظوا الإدلال فيه على أن من لم يتحظ ولم يرض بحكمه كان
كافرا مستوجب القتل فإن الكفر لا يستوجب القتل البتة كيف والذمي والمستأمن
كافران ولم يجب قتلهما ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت
جاؤوك تائبين منه وهو خبر أن وإذ متعلق به فاستغفروا الله مخلصين
له التائبين متعذرين إليك مما ارتكبوه من رد قضائك حتى استغفرت لهم وما
كان تحاكمهم إلى الطاغوت إساءة على الرسول عليه السلام وإدخالا للغم في
قلبه لزمهم الاعتذار له عليه السلام وطلب الاستغفار منه وإنما قال
واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما لشأنه وتنبيها
لاستغفاره وتنبيها على أن من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستغفاره شفاعته بمكانه من الله وأما قبول اعتذار التائب
فلا دخل فيه لوصف الرسالة فلا وجه للتنبيه عليه بالالتفات
لوجدوا الله توابا رحيما قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة توابا
حال ورحيما بدل منه أو حال من الضمير فيه فلا وربك أي فوربك
ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لأنها تزاد أيضا
في الإثبات كقوله لا أقسم بهذا البلد وفي إضافته تعالى نفسه
إليه عليه السلام في القسم رفع قدره حتى يحكموك غاية متعلقة بقوله
لا يؤمنون فيما شجر بينهم فيما اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل
أغصانه واختلافها في الجهات ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا ضيقا
مما قضيت مما حكمت به أو من حكمك إنما قال ثم لأن المحتمل الغالب
وجدان ذلك بعد زمان ويسلموا تسليما وينقادوا انقيادا
بظاهرهم وباطنهم ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أن مصدرية
أو مفسرة لأن كتبنا في معنى أمرنا أو اخرجوا من دياركم أي لو
أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل حين استتابتهم من عبادة
العجل من قتل أنفسهم وإخراجهم من ديارهم ما فعلوه الضمير للمكتوب
الذي دل عليه كتبنا إلا قليل منهم قوم قليل وهم المخلصون وهذا
توبيخ يبلغ لهم لما بين أن إيمانهم لا يتم إلا بأن يسلموا حق التسليم نبه
على قصور أكثرهم ووهن إسلامهم وقرئ بالنصب على الاستثناء
أو على إلا فعلا قليلا ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة
الرسول ومطاوعته في أوامره ونواهيه بلا اعتراض وشبهة
في أنفسهم لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم وأشد تثبيتا

لايمانهم وانفسهم واشد تثبيتا وينصبه على التمييز وهذه الاية ايضا نزلت
في شان المنافق واليهودي وقيل غير ذلك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما
جواب لسوال مقدر وحذا المحذوف معطوف على الجملة الشرطية فكانه قيل
اي ولو تثبتوا لاتيناهم وفي قوله من لدنا الدال على انه على سبيل التفضل
رفع لذهاب الوهم من الاجر الى معناه الحقيقي فان الثواب لكونه موعودا
للعمل نزلت منزلة الاجرة وهديناهم صراطا مستقيما اي وفقناهم
لطريق التوحيد وزيادة الخيرات والاستقامة في الاحوال ومن يطع
الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في
الطاعة بالوعد على مرافقة الزمر الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين
بيان للذين او حال عنه او من ضميره والصديقين اهم الصادقون
في اقوالهم واعمالهم ونياتهم واحوالهم المتقدمون الغاية الصدق في
تصديق الانبياء من افاضل اصحابهم والشهداء الباذلون للارواح
لله تعالى لغاية حضورهم وشهودهم له والصالحين هم اهل
الاستقامة الى الله تعالى بالاعمال المرضية وفي الله بالتخلق باخلاقه
والاتصاف بصفاته وليس المراد بالمعية المعية في الدرجة فان ذلك
غير ممكن بل المعنى ان الارواح الناقصة اذا استكملت علاقتها مع
الارواح الكاملة في الدنيا بقيت بعد المفارقة تلك العلائق فينعكس
الشعاع من بعضها على بعض فتصير انوارها في غاية القوة وحسن
اولئك رفيقا يفيد التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا
منصوب على التمييز ولذا لم يجمع اذ لم تقصد الانواع ويجوز ان
ينتصب على الحال ذلك اشارة قصد بها التعظيم الفضل صفة
من الله خبره والفضل خبر ومن حال والعامل فيه معنى الاشارة
وفيه تنبيه على ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة
المنعم عليهم فضل خاص منه تعالى لا عدل منه بازاء طاعتهم بل
مزيد عليه من عنده ويتفضل به عليهم تكملة لثوابهم واكراما لهم
وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه لعلمه باحواله وما يقتضي هذا
الفضل من استعدادهم بحسب العناية الاولى في حقهم فهو يوفقهم
على حسب تلك العناية يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم اي احذروا
واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم كانهم امروا بان يجعلوا
الحذر السلاح التي يتقون بها انفسهم ويعصمون بها ارواحهم والحذر
بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف
فانفروا يقال نفر القوم اذا نهضوا لقتال عدوهم وخرجوا للحرب
ثبات نصب على الحال جماعات متفرقة سرية بعد سرية جمع ثبة

من ثبت

من ثبت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه او انفروا
جميعا مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتفرقوا ولا تتخاذلوا فتلقوا بايديكم
الى التهلكة والاية نزلت في الحرب ولا دلالة في لفظها الى وجوب المبادرة
الى الخيرات كلها وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر الرسول
صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم
تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطا بمعنى ابطا وهو لازم او بطا
غيره كما فعل ابن ابي يوم احد واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان
للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة
من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن
اقسم بالله ليبطئن ووجوه التاكيد لتحقيق حال المنافقين
وانهم على خلاف ما يظهرون من الايمان فان اصابتكم مصيبة من
قتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
حاضرا فيصيبني ما اصابهم واذ لم اكن ظرف ناصبه انعم بمعنى من
ولئن اصابكم فضل من الله من الفتح والغنيمة ليقولن ذلك المنافق
اكده لفرط تحسره وقرئ بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لانه
في معنى الجماعة كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بينه وبين
مفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما حكى الله سرور
المنافقين عند نكبة المسلمين ثم اراد ان يحكي حزنه عند دولتهم
بسبب فوات الغنيمة فقبل ان يذكر الكلام بتمامه الحق هذا القول
في البين للتعجب كانه يقول انظروا الى ما يقوله هذا المنافق
كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ومخالطة اصلا والذي حسن
موقع الاعتراض كون ما بعدها فاصلة وهي ليست بفاصلة
او حال من الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول
المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا
كأن لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن
بكم فتفوزوا بما فاز ياليتني كنت معهم وكان مخففة من الثقيلة
واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرا تكن بالتاء لتانيث لفظ
المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق
للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع
على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت معهم لتدرج
الفوز مع الكون معهم في حكم التمني فيكونا متمنيين جميعا فليقاتل
في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ان جعل يشرون
بمعنى يبيعون فالامر للمؤمنين اي ان صدهم المبطئون عن

وآله

القتال فليقاتل الثابتون في الايمان المخلصون الذين يستحبون
الآخرة على الدنيا ويستبدلونها بها وان جعل بمعنى يشترون فالامر
للمبطئين الذين يشترون الحيوة الدنيا بالآخرة وعظوا بان يغيروا
نياتهم وما بهم من النفاق ويخلصون الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا
في سبيل الله فالفا على الاول لجواب شرط مقدر وعلى الثاني للتعقيب
يعني ينبغي ان يعقبوا ما صدر عنهم من التثبيط عن القتال والثبات
على النفاق بالتحريض على القتال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب
لم يقل فيغلب او يغلب اذ ح يندرج في الاول للدلالة على انه اولى واحق
بالاجر والاقتصار عليهما للتنبيه على ان حق المجاهد ان يثبت في المعركة
ولا يبرح حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة فسوف نؤتيه
اجرا عظيما قيل وعد له الاجر غلب او غلب ترغيبا للقتال وتكذيبا
لقوله قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وفيه انه لم يصب في قوله
غلب علي ما نبهت عليه انفا وكذا في قوله وتكذيبا لان مراد ذلك المنافق
من القول المذكور مطابق للواقع وما لكم مبتدأ وخبره لا تقاتلون في سبيل
الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين مجرور
عطف على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين او نصب
على الاختصاص واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين فان سبيل الله
تعالى عام في كل خير ومن اعظم الخيرات خلاصهم من ايدي الكفار وهم الذين
اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين
من الرجال والنساء والولدان جعل الولدان من جملة المستضعفين تسجيلا
على الظلمة بافراط الظلم حتى بلغ اذاهم الصبيان ارغاما وايذاء
لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم وايلاما لهم ويجوز ان يكون ذكر الولدان من
المستضعفين لاشتراكهم الاطفال في الدعا استنجاحا من الله تعالى
بدعا الصغار الذين لم يذنبوا ويجوز ان يراد بالرجال والنسا الاحرار
والحرائر وبالولدان العبيد والاما لان العبد يدعى بالوليد فغلب
الذكر واطلق عليهما الولدان كما يقال للوالدين الذين يقولون
ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها ارادوا بالتوصيف التنبيه
على ان طلبهم الخروج منها لظلم اهلها والا فهي وطنهم واشرف البقاع
لا يريدون الخروج منها بلا اضطرار ولما كان المراد من القرية مكة شرفها
الله تعالى تجنبوا عن المبالغة في ظلم اهلها بنسبة الظلم الى القرية
ولم يسلكوا مسلك قوله وكاين من قرية عتت عن امر ربها وكم اهلكنا من
قرية بطرت واجعل لنا من لدنك وليا يلي امرنا من عندك من يتولى كفايتنا
واجعل لنا من لدنك نصيرا من ينصرنا ويمنعنا من عدونا فاستجاب

الله تعالى

فاستجاب الله تعالى دعاهم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليهم وعتاب ابن
اسيد ناصرهم فكان عتاب يستنقذ واحدا منهم ويبعثه على يد مرثد بن
مرثد الى المدينة الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا
اولياء الشيطان حرضهم ورغبهم على القتال في سبيل الله وفي خلاص
المستضعفين شجعهم ورغبهم فيه ترغيبا باخبارهم انهم انما يقاتلون
في سبيل الله فالله وليهم وناصرهم واولئك يقاتلون في سبيل الشيطان
فلا ولي لهم الا الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي كيده
للمؤمنين في جنب كيد الله تعالى للكافرين اضعف شي واوهنه فلا
تخافوا اولياءه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال واقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق
منهم يخشون الناس على ما طبع عليه البشر من المخافة لا عن المخالفة وذلك
ان المسلمين كانوا بمكة مكفوفين عن القتال وكانوا يتمنون ان
يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة احجم فريق منهم خوفا
من الموت وضنة بالارواح وجبنا عن الاخطار بها لا لريبة في الدين
اذا المفاجاة جيء بها في جواب الشرط مع الجملة الاسمية بدل الفا وفريق
مبتدأ تخصص بالصفة وهي منهم وخبره يخشون كخشية الله في موضع
النصب صفة للمصدر المحذوف اي خشية مثل ما يخشى الله فهي مضافة
الى المفعول او على الحال من ضمير يخشون اي يخشون الناس مثل اهل
خشية الله منه او اشد خشية نصب عطفا على المصدر اي خشية الله
او خشية اشد خشية من خشية الله على ان الخشية خاشية او جر عطف
على خشية الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية من خشية الله او على
الله على ان الخشية من الفعل المبني للمفعول اي كخشية الله او خشية هي
اشد في كونه مخشيا من الله كما ذكر في اشد ذكرا او نصب على العطف
على محل الكاف والخشية في الاصل الخوف مع تعظيم المخوف منه
والمراد هنا المبالغة في الخوف وكلمة او للدلالة على تفاوته في الخشية
فان خشية بعضهم كانت مثل خشية الله تعالى وخشية بعضهم كانت
اشد منها وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال هذا المقال لا يناسب
حال الصحابي الراسخ قدمه في الايمان المنشرح جنانه بالاسلام الذي
يرى الوصول للدار الآجلة خيرا من التوارف بالدار العاجلة ولهذا
قيل هم المنافقون والتاويل بانهم ما تفوهوا به ولكنهم قالوه في انفسهم
فحكى الله عنهم مع انه بعيد لم يعهد مثله في القرآن لا يجدي نفعا
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت

لانهم حسبوا القتال قتلا فتمنوا تاخير الاجل وهذا انما ينجيهم قل متاع
الدنيا قليل سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى اي المعاصي ولا تظلمون
فتيلا شيئا يسيرا اي لا تنقصون عن الثواب الموعود لا بزيادة على العقاب
المعهود ومن قصر على الاول فقد قصر وقد تقدم تفسير الفتيل وفيه
ترغيب في التحمل على مشاق القتال وترهيب عن مخالفة الامتثال للامر
الجهاد وقرئ ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت اذ لا
خلاص لكم من الموت ولعلها موت يستعقبه سعادة اخروية فاذا كان
لا بد من الموت فالموت في سبيل الله تعالى اولى وقرئ يدرككم بالرفع على
حذف الفا كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام
مبتدا واينما متصل بلا تظلمون وعلى هذا اي ظرف مكان لا اسم
شرط وانتفا الظلم يشمل الدارين ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور
او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على طرف القصر
واصل البروج الظهور ومنه تبرجت المراة اذا اظهرت محاسنها وقرئ
مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم شعر شاعر ومشيدة من
شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة نعمة كخصب يقولوا هذه
من عند الله اي نسبوها اليه تعالى نسبة مجردة عن توسط كسب العبد
وان تصبهم سيئة بلية كقحط الحسنة والسيئة كما تقعان على الطاعة والمعصية
كذلك تقعان على النعمة والبلية يقولوا هذه من عندك اي اضافوها
اليك وقالوا ان هذا هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد صلى الله
عليه وسلم المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله
بتقدير الله واقع على حسب سنته في خلقه قال الله تعالى ونبلوناهم
بالحسنات والسيئات وقال وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا
اهلها بالباسا والضرا لعلهم يضرعون ولما كان هذا تفصيلا لذلك
المجمل المتروك ظهر حسن الموقع للفا في قوله فمال هولا القوم لا يكادون
يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن وتنكيره للتعظيم م
والتنبيه على انه لا حاجة الى الاشارة عند الاطلاق ومساعدة المساق
نفي المقاربة وهو ابلغ من نفي الفعل ما اصابك خاطب النبي صلى الله عليه وسلم
ليعلم حال ما اصاب غيره بطريق الدلالة من حسنة من نعمة فمن الله
تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافي نعمة الوجود
وكيف يقتضي غيره وما اصابك من سيئة فمن نفسك يعني وهو وان
كان من عند الله باعتبار الايجاد والقا عليه لكن لما كان السبب القابل
المقتضي لذلك فعلك واستحقاقك فهو من عندك وبما كسبت يداك
واستدعائك اياه نزلت بك كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت

أيديكم

ايديكم ويعفو عن كثير لما نسبوا النعمة الى الله تعالى والبلية الى النبي صلى
الله عليه وسلم رد الله عليهم بان الكل من عند الله لا فاعل لها سواه ولا واسطة
في البلايا سوى انفسهم دون النبي صلى الله عليه وسلم على ما زعموا فتمام
الرد عند قوله فمن نفسك وارسلناك للناس جميعا لا للعرب خاصة
كما زعمه بعض المنكرين وهذا المعنى مستفاد من ذكر اسم الجنس مع ما عن
المقام رسولا حال قصد بها التاكيد ويجوز نصبه على المصدر كقوله
ولا خارجا من في زور كلام ولا يجوز تعلق الجار بها لانه يفهم اختصاص
رسالته صلى الله عليه وسلم بجنس الانس وكفى بالله شهيدا على ذلك
بنصب المعجزة فوجب على الكل طاعتك واتباعك ولهذا قال من يطع
الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى
لانه لا ينطق طاعته في غير الاحكام الشرعية بل لانه تعالى ارسله وامره
بالطاعة والعدول عن الضمير الى المظهر للاشعار بترتب ايجاب
الاطاعة على وصف الرسالة وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من احبني
فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد
قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت ومن تولى اي عن طاعته فجزاوه وهو
فاعرض عنه فاوقع ما هو مسبب له موقعه فقيل فما ارسلناك عليهم
حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا
الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم امرا ونهيتهم
عن شيء طاعة اي امرنا طاعة اي لك واصلها النصب على المصدر
والعدول الى الرفع للدلالة على الثبات فاذا برزوا خرجوا من عندك
اي غابوا عنك والفا للدلالة على عدم التراخي بين قولهم الموافق
وفعلهم المخالف بيت طائفة منهم اي زورت وسوت غير الذي
تقول خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة
والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من البيت المبني
لانه يسوى ويدبر وقرئ بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج
والله يكتب ما يبيتون اي وعيد لهم اي يثبته في صحائف اعمالهم
ويجازيهم عليها ويكتب في جملة ما يوحى اليك فيطلعك عليه ليحكي
فلا يغني عنهم اسرارهم فاعرض عنهم ولا تشتغل بالانتقام منهم وتوكل
على الله في الامور كلها سيما في شانهم وكفى بالله وكيلا لمن توكل عليه
فهو الرافع كيدهم عنك والمنتقم منهم لك افلا يتدبرون القرآن الهمزة
للانكار والفا للعطف على محذوف اي يتحدثون في القرآن فلا يتدبرونه
لانهم لو تدبروه حق التدبر لم يكن لهم شك في توقف معناه وتناسق

نظمه والتدبر اثارة المعاني بغوص الافكار واستخراج جواهر المعاني بيد قابض
الاعتبار وهو في الاصل النظر في ادبار الامور وعاقبتها ثم استعمل في كل تامل
ونظر سواء كان في حقيقته اولم يساعدك احد فان الله ناصرك
لا الجنود وروي انه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه
بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلوا على احد وقرئ لا تكلف
بالنون على بنا الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا
نفسك لقوله وحرض المؤمنين على القتال وما عليك الا تحريضهم
فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا اي كفار
قريش وقد كف وقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب فرجع بهم
والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم ومن
تقريع لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة وهي التي روعي بها
حق مسلم ودفع بها عنه شرا وجلب بها اليه خيرا في حد من حدود
الله او حق من حقوقه طلبا لرضا الله تعالى لا لغرض من اغراض
الدنيا والسيئة بخلاف ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة
والتسبب الى الخير الواقع به وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة
للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل
ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك ومن يشفع
شفاعة سيئة يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو له في
القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء
اذا قدر عليه او شهيدا حافظا من القوت فانه يقوي البدن
ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على
انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان
يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وذلك
لاستجماعه اقسام مطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع
وثباتها او بردها بان يقول وعليك ان بلغ المسلم نهايته لما روي
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته وقال الاخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية
فقال صلى الله عليه وسلم انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فكلمة
او للتنويع لا للتخيير لما عرفت ان كلا من الزيادة ورد المثل مشروط
بشرط ليس في شرط الاخر فلا يجتمعان وايضا التخيير بين امرين احدهما
ايسر من الاخر لا يكون على وجه الوجوب على ما تقرر في موضعه

وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن
وفي الحمام وعند قضاء الحاجة والتحية تفعلة من حيى يحيي تحية وكانت تحية
العرب عند التلاقي حياك الله اي اطال الله حياتك وتغير ذلك في الاسلام الى
السلام وبقي الاسم لذلك ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية
وغيرها الله مبتدا لا اله الا هو خبره والقسم والخبر ليجمعنكم الخبر يجمعه
العالم في يوم القيمة للمجازاة وانما قال الى يوم القيامة تنبيها على ان
جمعهم تطلق لحشر والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس
من قبورهم او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او
صفة للمصدر ولما ذكر الجمع مقسما عليه اردفه بقوله ومن اصدق اي
لا احد اصدق من الله حديثا فانه لا يتطرق الخبر الكذب الى خبره بوجه
لانه نقص ينافي الالوهية فما لكم الفا للترتيب على ما فهم مما تقدم من ان
ما انزل في حق المنافقين وبيان احوالهم حق مطابق للواقع في المنافقين
فئتين اي فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم الذي
نطق به المنزل وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين
مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم و
قيل غير ذلك وفئتين نصب على الحال من الضمير في ما لكم والعامل فيه
ما في الظرف من معنى الاستقرار كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال
من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير في ما لكم تتفرقون فيهم
ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم ردهم في حكم
المشركين واصل الركس رد الشيء مقلوبا بما كسبوا من لحوقهم بهم واحتيالهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم او ردهم في الكفر بسبب مرض قلوبهم وسوء
عقيدتهم ثم جملة اعتراضية مثبتة لوجوب اتفاق المؤمنين على تكفيرهم
واقعة لاختلافهم في ذلك مقررة لمعنى الانكار الذي في ما الاستفهامية
او حال مبينة اتريدون ان تهدوا من اضل الله عن طريق ومعنى الهمزة
انكار ارادتهم هداية من اضل الله تعالى لكونه مستحيلا ولذلك قال
الى الحق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي الى الاهتداء ولن تجد
لهدايته سبيلا لاستحالة وقوع ما اراد الله خلافه تقرير لارادة
انكارهم المتعلقة بالمحال ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا راغبين
في ان تكفروا ككفرهم الذي وددتهم لكفرهم بلو وبقوله كما كفروا اي لا يرضون
بما نشا بكم الكفر بل تمنوا لكم كفرا بالغا مبلغا راسخا مثل كفرهم ثم بالغ
في ذلك بقوله فتكونون سواء لا بتوجيه كفرهم عطف على تكفرون
اي ودوا كفركم وكونكم مستوين معهم في الضلال ويجوز نصبه على

جواب التمني فلا تتخذوا منهم أولياء فلا تتولوهم وإن أظهروا الإيمان
حتى يهاجروا في سبيل الله حتى يظاهروا الإيمان بهجرة صحيحة في
سبيل الله بنية صادقة لله ولرسوله لا لغرض من أغراض الدنيا وسبيل الله
ما أمر بسلوكه فإن تولوا فإن أعرضوا عن الهجرة المستقيمة التي تصدق
إيمانهم فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم أي تحكموا لهم بحكم سائر المشركين
في وجوب قتلهم حيث وجدوا في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
أي وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا وجانبوهم مجانبة
كلية إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من
قوله فخذوهم واقتلوهم أي الذين ينتصلون وينتهون إلى قوم
عاهدوكم ويفارقون محاربتكم فإنهم في حكمهم في الميثاق وهم
من وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه إلى مكة على
أن لا يعينوه ولا يعينوا عليه ومن لجأ إليهم فله من الجوار مثل ما لهم
أو جاءوكم عطف على صلة الموصول أي أو الذين جاءوكم كافين عن
قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور بالأخذ والقتل من ترك
المحاربين ولحق بالمعاهدين أو من حال المؤمنين وكف عن قتال الفريقين
لا على صفة قوم لأن الاستثناء بدل لأن سبب ترك التعرض لهم أمران
أحدهما الاتصال بالمعاهدين والآخر الاتصال بالكافين عن
القتال إن كان العطف على الصفة ونفس الكف عن القتال
إن كان العطف على الصلة وقوله فإن اعتزلوكم يرشد إلى أنه الكف
وقرئ بغير العاطف على أنه بيان ليصلون أو بدل أو استئناف
حصرت صدورهم في موضع الحال بإضمار قد ويدل عليه قراءة حصرة
صدورهم وحصرات وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة
لموصوف أي أو جاءوكم قوما حصرت صدورهم وقيل بيان لجاءوكم وهم
بنو مدلج جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر
الضيق والانقباض أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم عن أن يقاتلوا
صلة لحصرت أو كراهة أن يقاتلوكم مفعول له ولو شاء الله لسلطهم
عليكم أي ولو شاء الله أن يبتليكم بهم لابتلاكم بتسليطهم عليكم وهذا
بيان القدرة ولا يلزمه الموافقة للحكمة فإنها تستتبع الوقوع دون
القدرة فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم أي فإن
لم يتعرضوا لكم وألقوا إليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم
عليهم سبيلا فما أذن لكم في قتلهم وأخذهم ستجدون آخرين يريدون
أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا
المدينة وأظهروا الإسلام فلما رجعوا كفروا كلما ردوا إلى الفتنة كلما

دعاهم

دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين أركسوا فيها رجعوا فيها وقلبوا أخبث
قلب وأشنعه لضيمهم الكفر إلى الغدر ونقض العهد فإن لم يعتزلوكم
ويلقوا إليكم السلم الاستسلام والانقياد ويكفوا أيديهم عن قتالكم
كلاهما معطوفان على يعتزلوكم في حكم الجزم بلم فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم لأنهم لم يكفوا أيديهم عن القتال
وأولئكم إشارة إلى الموصوفين بدوام نقض العهد والخيانة مرة
بعد أخرى في جميع الأوقات إنما يستحقون تسليط الله تعالى إياكم
عليهم وإظهاركم بالحجة لهذه الصفات جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا
حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور حالهم في الكفر والعداوة
والغدر أو تسليطا ظاهرا حيث أذن لكم في قتلهم أينما اقتدرتم عليهم
وما كان لمؤمن أي ليس من شأنه ولا يليق بوصف الإيمان أن
يقتل مؤمنا بأن يباشر قتله من عند نفسه بلا إيجاب الشرع ولا رخصة
منه إلا خطأ مفعول له أي لا لعلة ما إلا للخطأ وحده أو حال بمعنى
مخطئا أي لا يليق له قتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ أو صفة
مصدر محذوف أي إلا قتلا خطأ وهو ما لا يقارنه القصد إلى الفعل
أو الشخص فما لا يقصد به زهوق الروح غالبا من قبيل الأول
لأنه ما قصد إلى القتل بل قصد إلى الضرب وما لا يقصد به مخطور
كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه من قبيل الثاني لأنه
ما قصد إلى الشخص المسلم في زعمه بل قصد الشخص الكافر والمعتبر
في القصد زعم القاصد وأما غير المكلف فالشرع لم يعتبر قصده
فأعطاه حكم الخطأ وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة
والآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الأم لقي حارث
بن زيد في طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل
مؤمنا خطأ فتحرير رقبة أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة والتحرير
جعل الإنسان حرا كما أن الإعتاق جعله عتيقا والحر العتيق والكريم
لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد وحر الوجه أكرم موضع منه
والرقبة يعبر بها عن النسمة كما يعبر عنها بالرأس مؤمنة كبيرة كانت
أو صغيرة ذكرا كان أو أنثى ودية عطف على تحرير مسلمة مؤداة
إلى أهله يصرف إليه تركته فالأهل ينتظم الوصي وأمين بيت المال
ولم يعين الله تعالى في كتابه ما يعطى في الدية ولم يبين فيه أن
إيجابها على العاقلة أو القاتل وإنما أخذ ذلك من السنة إلا أن يصدقوا
يتصدقوا عليه بالدية وأصلها على القاتل ونحوها العاقلة تخفيفا
عليه وسمي العفو عنها بالتصدق حثا عليه وتنبيها على فضله

وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة
اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم اياها عليه فهو
في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او انتصابه على الظرف فقيل انه مخالف
لنص النحويين على منع قيام الظرف فانه مما اختص به ما المصدرية
فان كان اي ان كان المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو اي
المقتول مؤمن بعيد اذ اسلم الحربي في دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله
مسلم ولم يعلم بايمانه ولافادة هذا القيد صدر الكلام بالفاء المرتبة له على
ما تقدم وقيل الكفارة لا غير وهو قوله فتحرير رقبة مؤمنة دون الدية
لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون وكان هذا القايل
غافل عن العموم المذكور فيما سبق في مصرف الدية والشافعي حمله
على المؤمن اختلط باهل الحرب وبابه قوله من قوم لانه لا يكون
منهم وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق بسبط عهد الامان وعقد
الذمة فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اي حكمه حكم المسلم في
وجوب الكفارة والدية وتقديم الدية هاهنا اهتماما في رعاية حكم الميثاق
قيل هذا في مشركي العرب الذين كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم
عهد الى ان يسلموا او يؤذنوا بحرب الى اجل معلوم ومن قتل منهم
وجبت الدية والكفارة ثم نسخ بقوله براءة من الله ورسوله الى الذين
عاهدتم من المشركين واما ما قيل ولعله بما اذا كان المقتول معاهدا فلعله
لم يصب محزه واما ثانيا فلان دية الذمي تؤخذ لبيت المال اذا لم يكن
له وارث ودية الحربي انما تعطى بحكم العهد فقوله او كان له وارث
مما لا وجه له فمن لم يجد اي الرقبة المؤمنة بان لم يملكها او لا ما يتوصل
به اليها او لم يوجد في دياره فصيام شهرين فعليه او فواجب صيام
شهرين متتابعين توبة مصدر موكد اي تاب الله عليه توبة او مفعول
له اي شرع ذلك توبة منه من الله صفتها وكان الله عليما بالاحوال
وبما رجح فيه حال القاتل دخولا اوليا حكيما في الافعال ومنها ما
امر في شانه ومن يقتل مؤمنا عدل هاهنا عن الماضي الى صيغة
المستقبل استقباحا لوقوع هذا النوع من القتل متعمدا فجزاؤه جهنم
اقتصر هاهنا على بيان حكمه الاخروي لانه بين حكمه الدنيوي في سورة
البقرة خالدا فيها المراد بالتخليد المكث الطويل دون التابيد ولهذا
لم يقل ابدا لان الدلايل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم
وقيل انه مخصوص بمن لا يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن
ونحوه اما تخصيصه بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ففيه انه
تخصيص بلا مخصص فان سبب النزول لا يصلح له وهو ان مقيس

ابن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فاخذ منهم
الدية بامره عليه السلام ثم حمل على مسلم فقتله فرجع الى مكة مرتدا اذ لا
تصريح فيه بقتله مستحلا وقد تقرر في الاصول ان العبرة لعموم اللفظ
لا لخصوص السبب ومراد ابن عباس رضي الله عنهما من قوله لا تقبل توبة
قاتل المؤمن عمدا التشديد اذ روي عنه خلافه وغضب الله عليه ولعنه
اي انتقم منه وطرده من رحمته واعد له عذابا عظيما لاجترائه على الله لما
كان قتل النفس المحرمة اكبر الكبائر بعد الشرك بالله بالغ فيه بان جعله
منافيا للايمان حيث قال ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا اي ليس في
وصف الايمان قتل المؤمن ثم بتنكير مؤمن اي ليس لاي مؤمن كان ثم بحذف
الخبر المقدم لشبه العناية بالتصريح بالكفارة ثم بايجاب الدية
والكفارة على قاتل الكافر المعاهد حرمة لها وان كانت كافرة بمجرد
العهد ثم بالوعيد مع التوبة بقوله وكان الله عليما حكيما لانه اعظم
الاثم بعلمه به ثم بالالتفات غفورا رحيما اعتدادا بالتوبة وتفخيما
لها لخفاء التوبة في جنب الاثم مع كونه خطا لما عسى يقع من تفريط
فيما يجب عليه من الاحتياط والتحفظ ثم بالتهديد العظيم والايعاد
والابراق الشديد والارعاد على قتل المؤمن العدوان بالوجوه
المذكورة من دخول جهنم والخلود فيها واستحقاق الغضب ثم
العذاب العظيم كل ذلك تغليظ للدلالة على غلظ الامر وعظم الخطيئة
يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله اذا غزوتم وسرتم الى الجهاد
فتبينوا وقري فتثبتوا وتفعل بمعنى استفعل الدال على الطلب اي
فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقد قوبل التبيان بالعجلة
في قوله عليه السلام التبين من الله والعجلة من الشيطان
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم اي لمن حياكم بتحية الاسلام وقري السلم
اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلم ايضا لست مؤمنا وانما
فعلت ذلك متعوذا وقري مؤمنا بالفتح من امنه اي لا نؤمنك تبتغون
في محل النصب على الحال من الضمير في تقولوا مشعرا بما هو الحامل
لهم على العجلة اي لا تقولوا ذلك مبتغين عرض الحيوة الدنيا الغنيمة
التي من حطام الدنيا سريع النفاد فتتركون التثبت والتفحص
عن حال من تقتلونه لاجله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها
فتغنيكم عن مثل هذه الفعلة الشنيعة والفاء للتعليل للنهي كذلك
كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام ومواطاتها لا لسنتكم فمن
الله عليكم بالاستقامة والتصلب في الدين والاشتهار بالايمان
والتقدم فيه والفاء للعطف على كنتم فتبينوا فافعلوا بالداخلين

في الاسلام كما فعل بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا
فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرء مسلم وتكرير الامر بالتبيين
والايعاد بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا للتاكيد لتعظيم الامر
وترتيب الحكم على ما ذكروا المبالغة في التحذير على مثله ما فعلوا اي كونوا
محترزين محتاطين مجتهدين لاعلاء كلمة الاسلام واعزاز الدين لا لطلب
الغنيمة واخافة فان الله مطلع على ما في ضمايركم خبيرا بما عملكم وما
يشتي عليه من نياتكم فيواخذكم بها فلا تتهافتوا في القتل روي ان
سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس
ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا
وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم
فقتله اسامة رضي الله عنه واستاق غنمه فنزلت ولا دلالة فيه
على صحة ايمان المكره وان ما روي ليس من الاجتهاد المعهود في شي لا يستوي
القاعدون عن الحرب من المومنين في موضع الحال من القاعدين او من
الضمير فيه غير اولي الضرر بالرفع بدل من القاعدين او صفة لهم لانه
لم يقصد بهم قوم باعيانهم ولان غير قد يتعرف اذا وقعت بين
متضادين وقرئ بالنصب على الحال والاستثنا وقرئ بالجر على انه
صفة للمومنين او بدل منه روي انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي
الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فنزلت القيد المذكور
والضرر النقصان ابدنيا كان الاستثنا المذكور لبيان انهم غير
مرادين بالتحريض وغير المكلفين بالخروج اليه لا انهم كالمجاهدين
في الاثابة والتفضيل والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
اي لا مساواة بينهم وبين القاعدين عن الجهاد بلا عذر وفيه
تذكيرها بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا
لرتبته وانفا عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم
وانفسهم على القاعدين درجة نصب على المصدر وتنكيرها للتعظيم
والمعنى على القاعدين اولي الضرر نص على ذلك الامام الواحدي في
الوسيط ثم قال وذلك ان المجاهدين مباشرون للطاعة فلهم
فضيلة على القاعدين من اهل العذر وان كانوا على نية الجهاد وقصده
وتفصيله ان المراد بقوله لا يستوي الى قوله وانفسهم انه ليس بين
المجاهدين والقاعدين غير الاضرار تفاوتا بعيدا او انه ليس بين المجاهدين
والقاعدين الاضرار هذا التفاوت البعيد ولكن بينهم تفاوت ايضا
وكان هذا المعنى محتاجا الى البيان فبينه بقوله فضل الله وما عطف
عليه من قوله وفضل فكلتا الجملتين بيان له لا الجملة الاولى فقط فبين

بالكلام

بالكلام الاول انهم مفضلون على اهل العذر درجة ثم قال وكلا يعني ه
المجاهد والقاعد المعذور ذكر في الوسيط عن مقاتل وعد الله الحسنى
المثوبة الحسنى وهو الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما
التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب ثم بين بقوله وفضل
الله المجاهدين على القاعدين ان المجاهدين مفضلون على القاعدين
من غير عذر بدرجات وقوله اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل
بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطا كانه قيل
واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة
ورحمة كل واحدة منها بدل من اجرا او تنتصب درجات نصب درجة
كما تقول ضربت سوطا او سوطات اي ضربات كانه قيل فضلهم به
تفضيلات او اجرا حال عن درجات متقدمة عليها لكونها نكرة وتنتصب
مغفرة ورحمة باضمار فعلهما اي وغفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة وقيل
الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم في الجنة وكان
الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة
يجوز ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا حذف التا احدى منه
تتوفاهم الملائكة وقرئ توفتهم بتا التانيث على الماضي وتوفيهم
على المضارع المبني للمفعول من وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي
الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيتوفونها
ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها
نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة
قالوا اي الملائكة للمتوفين وهو خبر ان اي قالوا لهم حذف الراجع
فيم كنتم باي سبب كنتم على ما كنتم عليه من مخالطة المشركين
وموافقتهم ولفظة في هنا كالتي في قوله المبني فيه قبل اي في اي
شي كنتم من امر دينكم ولا ينتظر الجواب قالوا كنا مستضعفين في
الارض اي في ارض مكة اجابوا اعتذارا مما وبخوا به بضعفهم عن
مقاومة المشركين وعدم قدرتهم للمخالفة قيل وعجزهم عن الهجرة
ولا ينتظر المراد قالوا اي الملائكة ردا لهم الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها الى قطر اخر فتتخلصوا عن ايدي المشركين كما فعل
المهاجرون الى المدينة والحبشة هذا السوال والذي سبق يدلان
على انهما توافيهم ظالمين لانفسهم في تركهم الهجرة فانهم لو ماتوا
كافرين لكان التوبيخ على كفرهم فاولئك ماويهم جهنم لتركهم الواجب
ومساعدتهم المشركين وهو جملة معطوفة على جملة قبلها مستنتجة
منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم كانت الهجرة من فرايض الاسلام

بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله
عليه السلام لا هجرة بعد الفتح وكانه غافل عن هذا من قال وفي الآية
دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه
والاشارة الى القوم المذكور على العموم ولهذا استثنى منهم المستضعفين
العاجزين حقيقة بقوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
قيل لما نزل الوعيد المذكور قال المسلمون هلك اخواننا الذين بمكة فنزلت
الا المستضعفين الآية وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر
وان اريد به الصبيان فللمبالغة في امر المهاجرة وايهام انها
بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجب عليهم والاشعار بانه لا محيص
لهم عنها البتة اذا بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا
وان العجز ينبغي ان يكون كعجز الولدان وقيل للتخفيف خروج الرجال
والنساء عن الوعيد عند عدم الاستطاعة فانهم كالولدان في عدم الاثم
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين
لقوله ولعدم امر على اللبس ببستبي او حال عنه او عن المستكن فيه
واستطاعة الحيلة وجدان اصحاب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل
معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفوا
عنهم عسى من الله تعالى دليل الوقوع لانه اطماع والكريم اذا اطمع انجز
وفي لفظ العفو ايذان بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر
من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان
الله عفوا بالتخفيف عن العاجزين غفورا للقادرين الذين اخروا
الهجرة بعد وجوبها الى نزول الوعيد فبقي الفرقة الثالثة وهم
القادرون الذين تركوا الهجرة تحت الوعيد ومن يهاجر في سبيل الله
يجد في الارض مراغما كثيرا مهاجرا يهاجر اليه على رغم من يفارقه
او طريقا يراغم بسلوكه انوف قومه المفارق هو منهم والرغم الذل
والهوان واصله لصوق الانف الى الرغام وهو التراب وسعة
في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
قوله الى الله ذكر تمهيد الذكر الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما
له وتنبيها على قصد اختصاصه بالله تعالى ثم يدركه الموت وقرئ
يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار
ان والجمهور على ان هذا في الواو والفاء في غير جواب الاشياء الثمانية
ضرورة فكيف في ثم فقد وقع اجره على الله فقد ثبت وتحقق بموجب
وعده قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت الآية الوعيد بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة لام

لبنيه

لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق وكان
شيخا كبيرا فحملوه بنوه على سرير متوجها الى المدينة فمات بالتنعيم فبلغ
الاصحاب رضي الله عنهم موته فقالوا لو لحق بنا لاتم اجره فانزل الله
تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا واعلم انه لا يخيب من التمس رضاه
وكان الله غفورا يغفر له ما كان من القعود الى ان خرج رحيما برحمه
باكمال اجر المهاجرين له واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلاة بتنصيف ركعاتها والقصر رخصة
عند الشافعي لان نفي الحرج في الرخصة لا في العزيمة قلنا في الآية
بيان حكم حالة الخوف فتوقف حكم حالة الامن على قيام الدليل وقد
ورد ذلك في الحديث بلفظ الصدقة ولو بقي غرضية الاربعة فان في
الصدقة تمن وفي ان الآية تخالف قول عمر رضي الله عنه صلوة
السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وقول عائشة رضي الله
عنها اول ما فرضت الصلاة ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في
الحضر فعند وهم وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة
صفة محذوف اي شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول
تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
اي ان خفتم ان يقصدكم الكفار بما يكره من قتل او جرح او اخذ
مال والخوف شرط لجواز القصر عند الخوارج اخذا بمفهوم هذه الآية
وعند الجمهور ليس بشرط اما عند من لم يقل بحجة المفهوم فظاهر
واما عند من قال بها فلانها مشروطة بعدم معارض منه
منطوق نص وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة
ان يفتنكم ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اي اعداء والعدو يستوي
فيه المفرد والجمع وانما قال مبينا على اللفظ فانه للمفرد في الوضع
وفيه اشعار بان وصف الكفر الجامع لهم الباعث للعداوة جهة
وحدتهم واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وهي صلاة الخوف وتعلق
بالشرط المذكور من خصها بحضرة الرسول تا بلا انها على خلاف القياس
فلا يتعدى مورد النص والجمهور على انها غير مختصة به عليه السلام
فان الائمة بعده نوابه فيقوم هم حضوره فينتظم بطريق الدلالة
لا بطريق القياس فلتقم طائفة منهم معك يصلون وتقوم الطائفة
الاخرى تجاه العدو واما جعلهم طائفتين فمفهوم اقتضاه وليأخذوا
اي المصلون اسلحتهم ولا يجوز ان يكون الضمير للطائفة الاخرى
لانه خرج ينعرف لضمائر فيما قبلها وعليك لنظم الذي هو امام ايجاز القرآن
ومراعاته والتفاوت الذي وقع عليه التحدي على طريقة التقدير

دون القصر اذ هما يجب على المسافر فاذا سجدوا عبر بالسجود عن
الركعة فليكونوا من ورائكم اي اذا صلت هذه الطائفة التي معك
ركعة تامة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو وفي ورائكم تغليب المخاطب
على الغائب ولتأت طائفة اخرى هذا الاظهار دليل على ظاهر على ان
الضمير فيما سبق للطائفة الاولى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة
فليصلوا معك الركعة الثانية وليأخذوا حذرهم ما يتحذرون به
من العدو من الترس والدرع والمغفر واسلحتهم ما يقاتلون به من
السيف والرمح والقوس كذا فسر الامام ابو منصور والذي يناسب
بلاغة القرآن هو انه جمع بين الحذر والاسلحة في وجوب الاخذ
ايذانا للغازي بانه يجب عليه ان يجعل التحرز آلة للحرب كالاسلحة فجعلا
مأخوذين جمع بينهما في الامر فهذا مبالغة في الاحتياط لانه مظنة هجوم
العدو فان تنبهه بكونهم في الصلاة يكون بعد سجودهم ذكر صلاة
طائفة ركعة مع النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة طائفة اخرى ركعة معه
صلى الله عليه وسلم ولم يبين كيفية اتمام الطائفتين واختلفت الاخبار
في ذلك واختلف باختلافها العلماء فعند ابي حنيفة رضي الله عنه
يتم صلاته ان كانت ركعتين ثم تقف هذه بازاء العدو وتاتي الاخرى
فتؤدي الركعة بغير قراءة لانهم لاحقون ويتمون الصلاة ثم يحرسون
وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة لانهم مسبوقون ويتمون الصلاة
كذلك رواه ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم والسجود مجاز عن
الركعة على ما نبهت عليه فيما سبق لا على ظاهره ود الذين كفروا لو
تغفلون اي احب الكفار تغفلكم عن اسلحتكم وامتعتكم متمنيا ذلك
فيميلون عليكم ميلة واحدة فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان
ما لاجله امروا باخذ الحذر والسلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى
تعب من مطر او كنتم مرضى لم يقل او مرض لعدم دلالته على العموم وهو
المراد ان تضعوا اسلحتكم لما كانت حالة المرض مما يشق حمل السلاح
فيها وحالة المطر مما يثقل العدو ويمنعه من خفة الحركة للقتال رخص لهم
فيها وضع السلاح وفي قوله ولا جناح دلالة على ان الامر بالاخذ للايجاب
دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا
يهجم عليهم العدو ولما كان الامر بالحذر يوهم توقع غلبة العدو وقوته
وان الله وكلهم الى انفسهم ولم يكلأهم ازال ذلك الوهم بقوله ان الله اعد
للكافرين عذابا مهينا تقوية لقلوبهم وتشجيعا وتبشيرا بان الله تعالى
مهين عدوه ومخذله وناصرهم عليه واعلاما بان الامر بالحذر انما هو تعبد
لا تخلية بينهم وبين عدوهم مراعاة لحكم الله وسنته فاذا قضيتم الصلاة اي

اديتم وفرغتم

اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على
الذكر في جميع الاحوال وهو الذكر باللسان والدعاء بالنصر فانه حال ملاقاة
العدو وهو كما قال اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون وقيل واذا اردتم اداء الصلاة فصلوا قياما ان قدرتم عليه
وقعودا ان عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود بسبب
الجرح اي ادوها على حسب الوسع وهذا عند اشتداد الحرب بقرينة
قوله فاذا اطمأننتم اي سكنت قلوبكم من الخوف وعلى كلا التفسيرين
لا دلالة فيه على صحة الصلاة في حال المسايفة فاقيموا الصلاة فعدلوا
وادوها تامة بطائفة واحدة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا مفروضا محدودا باوقات فلا يؤخر عنها بسبب الخوف فهو
كالتعليل لما سبق واما انه لا يؤخر عنها بسبب من الاسباب فلا دلالة عليه
في الكلام فلا يكون دليلا على وجوب ادائها في حال المسايفة والاضطراب
في المعركة واما عدم دلالته على ان المراد بالذكر الصلاة فظاهر
وانما قال على المؤمنين لان الكلام في ادائها والايمان شرط صحته
وان لم يكن شرط وجوبها عند القائلين بان الكفار مخاطبون
بالعبادات المفروضة ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في
طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون اي لا تتوانوا بسبب الالم
والجراح ثم علل النهي فانهم يألمون به كما تألمون وترجون من الله ما لا
يرجون فان الالم ليس مختصا بكم هو مشترك بينهم وبينكم ثم انهم
يصبرون وفيه طرف من التوبيخ والتقريع على التواني فيه وقرئ
ان تكونوا بالفتح بمعنى لان تكونوا وكان الله عليما بمصالح العباد
حين دعاهم الى الجهاد حكيما في تدبير امورهم في المبدا والمعاد انا
انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا به لتحكم بين الناس روي ان
طعمة ابن ابيرق سرق درعا في جراب فيه دقيق لقتادة بن النعمان
وخبأها عند يهودي فحلف طعمة ما لي بها علم فاتبعوا اثر الدقيق
الى دار اليهودي فقال اليهودي دفعها الي طعمة واختصموا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اليهود وشهدوا على براءة اليهودي
وجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة وشهدوا بالسرقة على اليهودي فهم النبي
صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي فنزلت بما اراك الله بما عرفك
الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة
مفاعيل ولا تكن للخائنين لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة وقومه
الذين شهدوا زورا على اليهودي خصيما للبرئ وهو اليهودي
واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا

تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود
عليها او جعل معصية العاصين خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما عليها
وضمير الجمع وان كان الخائن طعمة وحده ليشهد كل خائن لعموم الحكم
او لان قومه شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء في الاثم ان الله
لا يحب يكني بعدم المحبة عن البغض في جميع الالسنة من كان خوانا
مبالغا في الخيانة بالاصرار عليها اثيما منهمكا فيه وانما اورد صيغة
المبالغة فيهما تعريضا بحال طعمة وافراطه في الخيانة حيث سرق ورمى
بالسرقة يهوديا وحلف كاذبا وقد كان سارقا في الجاهلية يستخفون
من الناس يستترون منهم خوفا وحياء ولا يستخفون من الله اي لا يقدرون
على الاستخفاء منه تعالى اذ لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ويجوز
ان يكون الاستخفاء كناية عن الاستحياء لانه من اسبابه اي لا يستحيون
منه تعالى وهو احق بان يستحيى منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا
طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون
ويزورون سرا واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول
من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون
محيطا اي عالما بكل وجوهه ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر وفيه مبالغة
عظيمة في التوبيخ اي مشارا اليكم في الجدال بالباطل لا يمكن ذمكم يا زيد
مما انتم عليه فانتم انتم لا تشتهرون بوصف اظهر في القبح مما انفردتم به وتفننتم
من بين سائر جنسكم ثم اكده بالتنبيه والاجمال في اسم الاشارة والتفصيل
في بيانه والابتداء بالجدال بالباطل لا يجدي في الآخرة انما هو في الدنيا
لكونها موضع التلبيس والاشتباه ولا يغني عنهم شيئا عند الافتضاح
على رؤوس الاشهاد وانتقام العزيز القهار ولا دفع الفضيحة في الدنيا
والعقوبة فيها فقوله جادلتم عنهم في الدنيا جملة اعتراضية مبينة
لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم
يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن
يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه
ثم يستغفر الله الاستغفار لا يكون ماحيا اذا لم يعد الى الاصرار يجد الله
غفورا لذنوبه رحيما يقبل توبته وامهاله الى ان يتوب وفيه حث
للمذنبين على الاستغفار ويدخل فيه طعمة وقومه دخولا اوليا ومن يكسب
اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله وان اسأتم فلها وكان
الله عليما حكيما في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه
او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما فعل طعمة ووحد الضمير
لمكان او فقد احتمل اي بسبب انكاره ورميه به بريئا بهتانا برميه البريء

الحياة

قدمه لانه اقطع واحتمل ابلغ من حمل لان افتعل فيه للتسبب واثما مبينا
بتبرئة النفس الخاطئة وليس فيه التسوية بين الكاسبين بل تشريكهما
فيما تحملا بسبب ما فعلاه بعد الكشف ولولا فضل الله عليك اي
عصمته عن الخطاء ورحمته بما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت
طائفة منهم من بني ظفر او من الناس والطائفة بنو ظفر ان يضلوك
عن القضاء بالحق مع علمهم بان الجاني صاحبهم والجملة جواب لولا وليس
القصد فيه الى نفي همهم بل الى المبالغة في نفي تاثيره تنزيلا منزلة
العدم وما يضلون الا انفسهم لانهم ما ازالوك عن الحق وعاد وبال
عملهم عليهم وما يضرونك من شيء لان الله تعالى عاصمك يحول بينك
وبين الخطا في الحكم وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر
لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر
وانزل الله عليك الكتاب القرآن والحكمة السنة المنقسمة الى القولية
والفعلية كالحكمة وفيه تنبيه على ان السنة التي هي احدى اركان الشريعة
من قبيل الوحي الغير المتلو وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور ومن امور الدين
والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من الرسالة العامة
لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم الا من امر الا نجوى من امر على حذف
المضاف وهو في محل الجر على البدل من كثير او في محل النصب على الاستثناء
المنقطع اي لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير بصدقة او معروف
وهو عام في كل جميل شرعا وعقلا وعرفا او اصلاح بين الناس او اصلاح
ذات البين ومن يفعل ذلك اي يامر بالخيرات لان الفعل كثيرا ما يطلق على
القول والامر ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ويجوز
ان يرتب الوعد على الفعل تحريضا للامر بالخير على فعله وتنبيها على
ان الامر بفعله دون فعله بل الامر يدل على ان فعله اهم وانما يوجب
الثواب لافضائه اليه فثوابه يتبع الثواب بفعله وانما شرط ان يكون
لطلب مرضاة الله تعالى لان الاعمال بالنيات فاذا لم يبتغ رضاته
النية وعرض لصاحبه الرياء والسمعة فليس بخير بل هو الى الكسب
واستيجاب العقاب اقرب ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة
ما فات من اعراض الدنيا في جنبه ومن يشاقق الرسول يخالفه
من الشق فان كلا من المتخالفين يكون في شق غير شق الآخر من بعد
ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير
سبيل المؤمنين وذلك هو السبيل الذي اتفقوا عليه صحة من
الدين الحنيفي لعله فيندرج فيه الاجماع او اجتهاد مجتهد فهو موجب
له عليه السلام في الحقيقة وان كان مخالفا لظاهر الكتاب والسنة

قف

نوله ما تولى نجعله واليا لما تولاه من الضلال بان نخلي بينه وبين ما
اختاره ونصله جهنم وندخله فيها اي نخذله في الدنيا ونعذبه بالنار
في الاخرة وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم قيل
تدل الاية على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد على المشاقة
واتباع غير سبيل المومنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما
او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل
الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها
غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم
واجبا ومنا د علمان لا يكون قوله ويتبع غير سبيل المومنين
لتعزير المخالفة المذكورة وبيانها وذلك غير مسلم ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره لقصة طعمة
واتصاله بها اذ اشرك بعد الايمان وليس للمشرك غفران
فان فيما نقل خرج طعمة من مكة ولحق بحرة بني سليم فعبد صنما لهم
حتى مات على الشرك فنزلت فيه الاية فيعلم ان طعمة لو لم يشرك
لكان في سعة رحمة الله تعالى ان يغفر له ومن يشرك بالله فقد
ضل ضلالا بعيدا اي لا انتهاء لتماديه في الضلال اي لا جهل
افحش من الجهل بالله وانما ذكر في الاية الاولى من افترى على الله لانها
متصلة باهل الكتاب وشركهم كان افتراؤهم وهو دعوى النبي صلى
الله عليه وسلم على الله وهذه في شان من ليس من اهل الكتاب ولا علم عنده
فناسب وصفه بالضلال وايضا فقد تقدم ذكر الهدى وهو
ضد الضلال ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة
ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويلبسونه انواع الحلي ويسمونه
انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات
الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله تعالى وهو
جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه
جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع
وثن كاسد واسد واسد وانثا بهما على قلب الواو لضمها همزة
وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا لانه هو
الذي بعثهم على ذلك ودعاهم اليه فاطاعوه فجعلت طاعتهم له
عبادة مريدا عاتيا خارجا عن طاعة الله تعالى ظاهر الشر و
كالغلام الامرد والشجرة المرداء التي سقطت اوراقها وظهر عيدانها
لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا
مفروضا صفة اخرى له والواو للجمع اي جامعا بين لعنة الله وهذا

القول

القول الشنيع في لاتخذن وما بعده من الافعال الدالة على فرط عداوته
للناس والمفروض المقدر اي نصيبا فرض لي وقدر من قولهم فرض له في
العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار
وبلوغ الامال ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام البتك القطع والتفعيل
للتكثير والتكرير اي يقطعونها لتحريم ما احله وهي عبارة عما كانت العرب
تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق
كاملا بالفعل او بالقوة ولامرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة
او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد
والوشم والوشي وعموم اللفظ يمنع التغيير مطلقا لكن خص منه البعض
كالختان والتثقيب للقرط خصوا منه خصا البهائم للحاجة بالقياس
واما ما هو من انواع الكفر كعبادة الشمس والقمر وغيرهما الانتفاع به
كاللواطة فقد اندرجت تحت قوله ولاضلنهم والجمل الاربع حكاية
عما ذكره الشيطان نطقا واتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من
دون الله بمجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته وايثاره ما يدعوه
اليه على ما امره تعالى به الله فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع
راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز
ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا باظهار النفع
فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اولياه
اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا اسم مصدر من حاص
يحيص اذا خلص ونجا وعنها حال منه وليس صلة له لان المصدر
لا يعمل فيما قبله وتجوز ان يكون اسم مكان اي معدلا ومهربا
بالغ في التنفير عن الشرك بوجوه مختلفة معبوداتهم ونقصهن
بالانوثة وثانيها ادعاهم وعبادتهم اياها انما هو دعوة الشيطان
وعبادته وثالثها وصف الشيطان بالمعاداة واللعن والخبثية
والدعوة الى القبايح وفنون الاغواء والاخبار عن نفسه بذلك على
التاكيد القسمي ورابعها الاخبار بان ولايته يوجب الخسران
الظاهر وخامسها تكرار اسم الشيطان في ثلاث مواضع وترك
اضماره الى اظهار اسمه الدال على البعد والطرد وسادسها تكرار
تمنيته الكاذبة والاخبار بان وعده ليس الا تغريرا محضا وفيه لهم
اباه غرورا باطلا وسابعها بيان ان المشركين المطيعين له في الشرك
وارتكاب تلك المعاصي ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ثم قابل
ذلك التنفير بالترغيب في الايمان والتوحيد بقوله والذين امنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين

فيها ابدا قد تقدم تفسيره وعد الله حقا مصدران موكدان الاول لنفسه اي وعد
وعدا لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني لغيره اي وحق ذلك
حقا ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله
سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن
اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ على سبيل الاعتراض والمقصود من الاية
معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق
لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس باماتيكم
ولا اماني اهل الكتاب اسم ليس وعد الله اي ليس ما وعد الله من الثواب
ينال باماتيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل
الصالح وقيل الخطاب مع المشركين ويعضده تقدم ذكرهم ثم قرر ذلك
فقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا واجلا ويدل على التعميم للعاجل قوله تعالى
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا سمي القطع جزاء
وقوله عليه السلام في جواب ابي بكر رضي الله عنه اذ قال كيف الصلاح
بعد هذه الاية غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض تصيبك الالام فهو
ما تجزون ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا
جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن
يعمل من الصالحات من للتبعيض لان المكلف لا يطيق عمل كل الصالحات
والطاعة بحسب الطاقة من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن
في يعمل ومن للبيان وهو مؤمن حال قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة
لانتفاع ولا دفعا والعمل الصالح لا يكون الا للمؤمن فزيادته لبيان
ان المراد من عمل صالحا وهو ثابت على الايمان ولا بد من هذا التقييد في
تحقيق ما اخبر به بقوله فاولئك يدخلون الجنة ولا عبرة للايمان اذا اقترن
بالعمل الصالح ثم زال ولا يظلمون نقيرا الا بالنقص عن الثواب الموعود
ولا بالزيادة على العقاب المعهود فهو متعلق بالوعيد ايضا المذكور
بقوله من يعمل سوءا يجز به ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله
استفهام معناه النفي اي لا احد احسن دينا منصوب على التمييز وكنى
بالوجه عن الانسان اذ كان اشرف الاعضاء ومعنى اسلم انقاد لامره وشرعه
وهو محسن جملة حالية مؤكدة وكون الغير احسن دينا منه لا يستلزم بلوغه
منتهى المراتب البشرية واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق
على صحته فانه عليه السلام بعث على ملة ابراهيم عليه السلام وزيد
له اشياء حنيفا مائلا عن سائر الاديان حال من المستكن في اتبع
واتخذ الله ابراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة
تشبه كرامة الخليل عند خليله وهي جملة اعتراضية فائدتها تاكيد وجوب

اتباع ملته

اتباع ملته لانه من بلغ من الزلفى والكرامة عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا
بان يتبع ملته وبان من اتبعه كان من احسن الناس دينا وانما اعاد ذكره
ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل
النفس وخالطها او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال
ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء وقيل
من تتمة ذكر العمال الصالحين والطالحين متقرر لوجوب طاعته عليهم
وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة
علم وقدرة ووعد ووعيد ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ فيه
نزلت قل الله يفتيكم يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب
في محل الرفع بالعطف على الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى البين مبني على
ان في يتامى النساء صلة يتلى وجاز ان يكون بدلا من فيهن او ما يتلى مبتدا
وفي الكتاب خبره والجملة اعتراضية او في محل الجر على القسم وفي يتامى النساء
على الوجهين بدل من فيهن واضافة يتامى الى النساء بمعنى من والكتاب
على الوجه الثاني هو اللوح المحفوظ وفائدة الاعتراض تعظيم المتلو وخاصة
حكم اليتامى اي المتلو عليكم في باب يتامى النساء حكم مثبت عند الله في اللوح
حقه ان يراعى ويحافظ عليه فهو من عظائم الامور عنده كما ان فائدة العطف
في الوجه الاول تعظيمه بالاختصاص بالله وان حكمه حكم الله وفائدة هذه
التوطئة تفخيم شان الموطا له وكذلك فائدة القسم في الوجه الثالث
فان الاقسام بالشيء تنويه باسمه وتعظيم لشانه اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن كان الرجل
منهم يضم اليتيمة ومالها الى نفسه فان كانت جميلة تزوجها واكل مالها
وان كانت دميمة عضلها عن التزويج حتى تموت فيرثها فيجوز ان يكون
المعنى في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن والظاهر
الثاني لقوله لا تؤتونهن ما كتب لهن ولا تنكحوهن والواو للعطف دون
الحال لانه مضارع مثبت فلا يدخل فيه الواو الا نادرا ولا حاجة لنا به
هاهنا وظاهر النص يدل على صحة تزويج الصغيرة لغير الاب والجد ولا
يعارضه احتمال ان يكون المعنى ان تنكحوهن اذا بلغن لان الاصل
في المطلق ان يجري على اطلاقه والمستضعفين من الولدان عطف
على يتامى النساء والعرب كانوا لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وكذا قوله
وان تقوموا لليتامى بالقسط عطف عليه اي وفي ان تقوموا او
هذا اذا جعلت في يتامى صلة فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا
على موضع فيهن ويجوز ان يكون منصوبا اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب
للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم

وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ذكر العمل بعد العمل ليبلغ وعد
ووعيد واعلى بشارة وتهديد وان امرأة فاعل فعل يفسره الظاهر
خافت توقعت من بعلها لما ظهر لها من المخايل نشوزا تجافيا عنها وترفعا
عن صحبتها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها
فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر
او القسم او تهب له شيئا تستميله وقرئ ان يصالحا من اصلح بين المتنازعين
وح جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على
المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او محذوف وقرئ يصلحا من اصلح
بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة
او من الخصومة في كل شيء فانه يبعث على التوافق والنساء مما اذا اقبحها
او خير من الخيرات كما ان الخصومة شر من الشرور جملة اعتراضية اكدت
باعتراض اخرى وهي قوله واحضرت الانفس الشح اي لا تنفك عنها
مراوعتا ذا فان النفوس مجبولة على الشح كانما الزمته وجعلت حاضرة
له لا تنفك عنه فان غير الشحيح تسمح بقسمها او بشيء من حقوقها او ببعضها
فلا يغضب الزوج عليها ولا تسمح محبتها فان كالامر الطبيعي للنفوس لما
ذكر ولتسامحه ولا تبغيا عضا وتنشا قا وان تحسنوا بالاقامة
على نسائكم وان كرهتموهن وتتقوا النشوز والاعراض مراعاة لحقوق
الصحبة خص الخطاب بالازواج اشارة الى انهم اولى باقامة حقوقهن
والاحسان والتقوى فانهن نواقص العقول فان الله كان بما تعملون
من الاحسان والتقوى خبيرا فيجازيكم عليه ويثيبكم به ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء حتى لا يقع بينكم زيادة ونقصان فيما يجب
لهن النية ولو حرصتم من جهة التكلف ومراعاة العدالة في الحقوق
فان ذلك امر طبيعي غير اختياري فرفع ذلك عنكم تمام العدل
والتسوية في الشيء وما كلفتم الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه
وسعكم فلا تميلوا كل الميل الى المحبوبة المرغوب فيها عن المرغوب عنها
فتمنعوها قسمها من غير رضى منها فانه في وسعكم فتذروها ..
كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة فيه ضرب من التوبيخ
وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل من
مثل ذلك فان الله كان غفورا رحيما غفر الله لكم الماضي ورحمكم بالتوفيق
بالعدل في المستقبل وان يتفرقا اي يفارق كل منهما صاحبه يغن الله
كلا منهما عن صاحبه وكفاه امره بدو ورزقه من سعته من سعة رحمته
وكان الله واسعا من جهة الافضال بل من جميع جهات الفضل
والكمال حكيما لا يامر عباده الا بما هو مصلحة وحكمة ولله ما في السموات

وما في

وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف
على الذين اوتوا ان اتقوا الله اي بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان
المفسرة لان التوصية في معنى القول واللام في الكتاب للجنس
يتناول الكتب السماوية لان المراد ولقد وصينا الامم السالفة كلهم
ووصيناكم اي هذه التوصية قديمة ما زال يوصي الله تعالى به
عباده لستم مخصوصين به فان السعادة في التقوى وفيه تفخيم
لاهل التقوى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
جملة معطوفة على ان اتقوا الله لان المعنى امرناهم واياكم بالتقوى
وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله الخلق كله ولا يتضرر بكفركم ومعاصيكم
كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم
مبين بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في حد
ذاته تجد وان خلقه العالم ليس لحاجته ومصلحته فانه كان
غنيا قبل خلقه حميدا قبل حمد الحامدين ولله ما في السموات
وما في الارض تكرير لبيان عظمته وغنائه وتقرير لوجوب تقواه
فتقدمه على التوصية تمهيد لعظمته وما لكيته وكونه اهلا
لان يتقى ويطاع والثاني لبيان غناه وتاكيد للاول في تقرير
معناه والثالث تقوية لما ذكر من كونه حميدا بلسان الحال
وكون الاشياء كلها في طاعته وحمده وعبادته فلا يضره
كفركم وكفى بالله وكيلا اعتراض مؤكد لما بينه ومدبريته للكل
ببيان انه لا يكل امورهم الى غيرهم فعليهم ان يطيعوه ويتوكلوا عليه
وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وفيما بعده
تخويف وتهويل شديد وايعاد وتهديد بليغ لاعدائهم ان يشا
يذهبكم ايها الناس اي يميتكم ويفنيكم كما اوجدكم وانشاكم
ومفعول يشا محذوف دل عليه الجواب ويأت باخرين
ويوجد قوما اخرين مكانكم يوالونه عليه السلام ويؤمنون به والخطاب
لمن يعاديه من كفار العرب وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا
اذ لا يمتنع شيء على قدرته وارادته ويروى انها لما نزلت ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا
ابنا فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يطلب الغنيمة ..
بجهاده فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فلا وجه لارادته فعند الله
ثواب الدارين فماله يطلب الاخس ويترك الاشرف وفي الحديث
ان الله يعطي الدنيا على نية الاخرة ولا يعطي الاخرة على نية الدنيا

صيكم

فان الاشرف يستتبع الاخس دون العكس فمن جاهد لوجه الله لم تفته
الغنيمة وله من ثواب الاخرة فالغنيمة بجنبه كلا شي فليرد خيرهما
وكان الله سميعا باحاديث نفوسكم بصيرا بنياتكم في اعمالكم وفيه
وعيد لمن وقف مع هوى نفسه واختار الاخس الفاني ووعد لمن
اخلص وجهه لله تعالى وطلب الاشرف الباقي يا ايها الذين امنوا كونوا
قوامين بالقسط ملازمين للعدالة فاعلين القيام بها شهداء لله
لوجه الله وهو خبر ثان لا حال لانهم مامورون لكونهم قوامين
بالقسط مطلقا فلا وجه لتقييده بحال الشهادة ولو على انفسكم
ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها فان الشهادة بيان
الحق سوا كان على نفسه او على غيره او الوالدين والاقربين اخر
ولم يسلك طريقة الترقي لمكان قوله ان يكن اي المشهود عليه
غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة ولا تجوروا فيها ميلا
لغناه او ترحما لفقره فالله اولى بهما اي بالغني والفقير وبالنظر
لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب
اقيمت مقامه والضمير في بهما ليس للمذكور اعني احد الجنسين
حتى يلزم افراده بل لما دل عليه المذكور اعني مجموع الجنسين فان
في اشتراط احد الامرين دلالة على وجودهما في الجملة وبهذا القدر
من البيان لا يتم الكلام في هذا المقام بل لابد من بيان وجه العدول
عن الظاهر وجعل الضمير للمدلول دون المذكور وهو انه للقصد
الى تعميم اولويته وان لا تتوهم انها بالنسبة الى الواحد فقط
وقرا اولى بهم شاهدة على ارادة الجنس فلا تتبعوا الهوى ان
تعدلوا كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق
عليهما ان يكون علة للنهي وطلب الترك اي انهاكم عن اتباع الهوى
ارادة لعدلكم او كراهة لعدولكم وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق
او حكومة العدل وقرئ وان تلوا اي وان وليتم احديهما من اقامة
الشهادة والحكومة او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم او عن الحكومة
بالعدل فان الله بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا
امنوا دوموا على الايمان بالله ورسوله والخطاب للمسلمين او امنوا
بقلوبكم كما امنتم بلسانكم والخطاب للمنافقين او امنوا ايمانا عاما
يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض مع انكار الباقي كلا ايمان
والخطاب لمؤمني اهل الكتاب ويشهد له انه روي ان ابن سلام
واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت وسياتي التفصيل في

قوله

188

قوله والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القرآن فانه انزل منجما
ولهذا قال نزل بخلاف الكتب السابقة والكتاب الذي انزل من قبل
اريد به الجنس وفي ذكر المنزل عليه في الاول بوصف الرسالة والاضافة
الى نفسه تعالى بما لا يخفى من التشريف والتعظيم له عليه السلام
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن
يكفر بشي من ذلك وفي التعبير عنه بالوجه المذكور تنبيه على
ان الايمان بتلك الجملة في حكم الايمان بشي واحد فان الكفر ببعضه
في حكم الكفر بكله فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد
يعود الى طريقه ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم
كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني المنافقين اذ هم المتلاعبون بالدين
بالكفر بعد اخرى والاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين
ولذلك جا بعده بشر المنافقين اظهارا لحالهم واخبارا عن ما لهم لم يكن
الله ليغفر لهم اي ليس في عادته تعالى ارادة المغفرة لهم ولا ليهديهم
سبيلا لان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق وخبر
كان في امثال هذا محذوف تتعلق به اللام اي لم يكن الله مريدا
ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما وضع بشر مكان
انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
في محل النصب على الذم لا نعت لوجود الفاصل فلا يرتكب حيث لا ضرورة
او في محل الرفع على الذم ايبتغون عندهم العزة الهمزة للانكار
اي كيف يطلبون العزة عند من ضربت عليهم الذلة ثم بين
امتناع حصول مطلبهم بحصر العزة في اوليا الله تعالى مع
التاكيد بان جمعا بقوله فان العزة لله جميعا اي ما العزة الا
لاوليا الله تعالى الذين اعزهم بنصره وكتب لهم العزة كما قال
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة
الى عزتهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن والخطاب
للمؤمنين والمنزل عليهم ما نزل بمكة من قوله واذا رايت الذين
يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في اياتنا فاعرض
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقرئ نزل والقيام مقام فا [margin: عله]
ان اذا سمعتم ايات الله وهي المخففة من الثقيلة والمعنى انه
اذا سمعتم ايات الله وهذا على طريقة قولهم سمعت فلانا يقول
المسموع ههنا استهزاؤهم بايات الله تعالى لا الايات يكفر بها
ويستهزا بها حالان من الايات والاولى تمهيد للثانية تعظيما
لامر الاستهزا بالقرآن واما جي به لتقييد النهي عن المجالسة في

قوله فلا تقعدوا معهم الضمير لما دل عليه قوله يكفر بها من الكفرة
حتى يخوضوا في حديث غيره اي غير ما خاضوا فيه والخوض الشروع
وحتى غاية للنهي وانما جعل غايته الخوض في حديث غيره دون
السكوت عنه لانه لا يدل على الفراغ عنه بخلاف الخوض
بحديث اخر انكم اذا مثلهم اي اذا امكنتم معهم فانتم مثلهم
في الوزر لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم ولم يرد به
التمثيل من كل وجه لان خوض المنافقين فيه كفر ومكث هولاء معهم
معصية اذ عدم انكارهم عليهم لا يدل على الرضا وعلى تقدير تسليم الدلالة
عليه فالرضا بكفر الغير ليس بكفر اذا لم يكن تبع استحسان له وتخصيص
الخطاب بالمنافقين لا يساعده السباق ولا يقتضيه اللحاق على
ما ستقف عليه باذن الله تعالى واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم
والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافرد مثلهم لانه كالمصدر او الاستغنا
بالاضافة الى الجمع وقرى بالفتح على البنا لاضافته الى مبني قيل
لما نزلت هذه الاية وكانوا اذا خاضوا في ذلك قام المخلصون فعلم
المنافقون بذلك فكانوا يكثرون الخوض فيه لقصد الى تفريقهم
ومن ههنا ظهر وجه انتظام قوله ان الله جامع المنافقين والكافرين
اي جامع لذينك الفريقين في جهنم وقوله جميعا لاحاطة افرادهما
وسياق الكلام لذم المنافقين وموجب ذلك ان لا يجتمع المذنبون
من مخلصي المومنين مع الكفار فيها وذلك بخروجهم قبل ان يدخلوا
الذين يتربصون بكم ينتظرون تجدد حال بكم وهذا بدل من الذين
يتخذون او صفة للمنافقين خاصة او ذم مرفوع او منصوب ويجوز
ان يكون مبتدا والخبر قوله فان كان لكم فتح من الله وفيه ضعف
لنبو المعنى عنه والزيادة الفا في غير محلها لان هذا الموصول غير ظاهر
التشبيه باسم الشرط قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا
في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال
وانما سمي ظفر المومنين فتحا وظفر الكفار نصيبا تعظيما لشان
المومنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر اهل الاسلام امر عظيم
تفتح له ابواب السما وينزل النصر على اوليائه واما ظفر الكفار
فما هي الا حظ دني كنار الوغى قالوا الكفرة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم
ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلا ولهذا
جا بالواو على اصله كما جا استروح واستصوب ونمنعكم من المومنين
بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم
فاشركونا فيما اصبتم فالله يحكم بينكم يوم القيمة يعني ان ما في حقهم

من

من الامهال في الدنيا استدراج لهم لا اهمال لامرهم والفا السببية للدلالة
على ان الحكم الموعود عليهم لاجله ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا
حجة او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة ولا متمسك فيه لاصحاب الشافعي
على فساد شرا الكافر المسلم ولا للحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه في اوايل سورة البقرة
واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى بضم الكاف وفتحها جمع كسلان اي
متثاقلين كالمكره على الفعل يراون الناس ليخالوهم مومنين والمراة مفاعلة
بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي مرايه عمله وهو يريه
استحسانه كسالى ويراون منصوبان على الحال من ضمير قاموا ولا يذكرون
الله الا قليلا لاشتغالهم بامور الدنيا وثقلها عليهم اما عطف
على يراون واما حال من ضميره فيلان المرائي لا يفعل الا بحضرة
من يرائيه وهو اقل احواله وياباه العطف بالواو والاوجه حمله على العطف
مذبذبين بين ذلك مترددين بين الكفر والايمان من الذبذبة
وهو جعل الشي مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد حال من ضمير
يذكرون او يراون او منصوب على الذم وقرى بكسر الذال اي
يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى
تصلصل وقرى بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة
واخرى في دبة وهي الطريق لا الى هولا ولا الى هولا لا صايرين الى
احد الفريقين بالكلية وفي ذمهم بهذا الوجه دلالة على ان المنافق اخبث
من الكفر الصرف ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب
اعتراض لبيان ان تلك الذبذبة من الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الكافرين اوليا من دون المومنين فانه صنيع المنافقين
ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل ظاهر على النفاق والهمزة
للانكار والتقرير ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهي
الطبقة التي في قعر جهنم وهي اشد عذابا ولذلك تقول الكافرون
ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا
من الاسفلين والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة
بعضها تحت بعض والمنافقون اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر
استهزا بالاسلام وخداعا للمسلمين ولذلك استحقوا اشد العذاب
واما قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام
وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن
خان فمن باب التغليظ وقرى في الدرك بسكون الراء وهو لغة

كالسطر والتحريك وجه لانه يجمع على دركات ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه
الا الذين تابوا واصلحوا ما افسدوا من احوالهم واسرارهم في حال
النفاق واعتصموا بالله تمسكوا او وثقوا به كما يثق المؤمنون الموقنون
واخلصوا دينهم لله بالتولي عن الريا وتخصيص العبادة به تعالى
وابتغا وجهه بالطاعات فاولئك مع المؤمنين اي اصحابهم هم
ورفقائهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
فيساهمونهم فيه ويشاركونهم في الاجر ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وامنتم انكار لانتفاعه تعالى بعذابهم اي منزه عن الاغراض
التي انما يعذب الملوك لاجلها لا يتشفى به من غيظ ولا يدرك به
ثار او لا يستجلب به نفعا ولا يستدفع ضرا كما يفعل الملوك لانه الغني
المطلق الذي لا يجوز عليه شي من ذلك وانما العذاب يقتضي حكمته
فان شكرتم نعمته باستعمالها فيما يجب وتوسلتم بها الى معرفته وانتم
به فقد بعدتم استعدادكم عن استحقاق العقاب وكان الله شاكرا
يثيبكم بايفاء اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم انما قدم الشكر على
الايمان لان اعظم الشكر هو الاستدلال بالنعمة على الصانع الموصل
الى معرفته ثم استعمالها في طاعته والاستدلال مقدم على الايمان
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول انما ذكر هذا الوصف
مع انه تعالى لا يحب السوء مطلقا لانطباقه بسبب النزول
روي ان رجلا اضاف قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوقب
على الشكاية فنزلت الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعا على الظالم
وذكره بما فيه من السو فالاستثنا متصل وقرئ ظلم على البنا
للفاعل على انه منقطع اي ولكن الظالم يجهر بالسو فاعلا ما لا
يحبه الله او على البدل من الفاعل اي لا يحبه الا الظالم على
لغة من يقولون ما جاني زيد الا عمرو وعني ما جاني الا عمرو ومنه
قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وكان
الله سميعا يسمع قول المظلوم عليما يعلم فعل الظالم ان
تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن
سوء خص العفو بالذكر مع انه يلزم الفعلين لكونه المقصود على
اي وجه كان وذكر ابدا الخير واخفايه تسبيب له ولذلك رتب
عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا يكثر العفو عن العصاة مع
القدرة على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنته وتخلقوا بخلقه
في نعم العفو بجعله صفة لله تعالى والحث على الاتصاف به وتعظيم
صاحبه بانه سميعه ان الذين يكفرون بالله ورسله قوله بالله

توطية لرسله

توطية لرسله بدليل قوله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
اي بالايمان والكفر بالرسل والمراد بالتوطية بيان ان الكفر بالرسل
كفر بالله فالتفريق خطا ظاهرا ولا واسطة بين الكفر والايمان
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر
ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا
بين الايمان والكفر وما في اول الاية ان الكفر بالبعض كفر بالكل
وصرح به في اخرها بقوله اولئك هم الكافرون على سبيل الحصر
بتوسيط الضمير وتعريف ما بعده اي الكاملون في الكفر والتاكيد
بالمصدر فان قوله حقا مصدر موكد لغيره او صفة لمصدر
الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا اراد الاهانة في الخاية والا فمعلوم ان
العذاب لا يكون الا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وقد سبق وجه دخول بين
على احد في اخر سورة البقرة اولئك سوف نوتيهم اجورهم الموعودة
لهم وتصدير بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كاين لا محالة وان
تاخر وقرئ يوتيهم بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما
فرط منهم رحيما بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتابا من السما نزلت في احبار اليهود اذ قالوا ان كنت
صادقا فاتنا بكتاب من السما جملة كما قال تعالى وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القران جملة واحدة وقيل كتابا محررا بخط سماوي
على اللوح كما كانت التوراة او كتابا الينا باعياننا كما قالت بل يريد كل
امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة او كتابا نعاينه حين ينزل كما قالوا
لن نومن لك حتى تنزل علينا كتابا نقراه فقد سالوا موسى اكبر من ذلك
جواب لشرط محذوف دل عليه يسالك اي يسالك ما كبر عليك فقد
سالوا موسى اكبر من ذلك اي فلك في الانبياء اسوة ولهم في ذلك سابقة
وانما قال فقد سالوا والسايلون اسلافهم لانهم على طريقة واحدة
وبريئوها عن كابرهم واوايلهم قوم واحد على مذهب واحد في التعنت
وعرقهم راسخ في ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اي ارناه نراه جهرة عيانا
او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جات من السما فاهلكتهم
بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم في السوال فلا دلالة فيه على استحالة
المسوول ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاتهم البينات المعجزات ولا يجوز
حملها على التوراة لان اتيانها بعد ذلك فعفونا عن ذلك اي تابوا
فعفونا فالفاء فصيحة يرشدك اليه قوله في سورة البقرة ثم عفونا عنكم

وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين أمرهم
بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم العجل ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم
بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا أي باب
إيليا مطأطئين عند الدخول رؤوسكم وقلنا لهم على لسان داود
عليه السلام ويجوز أن يكون موسى عليه السلام لا تعدوا في السبت
وقرئ لا تعدوا على أن أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال
وأخذنا منهم ميثاقا غليظا على قولهم سمعنا وأطعنا فبما نقضهم
ميثاقهم متعلق بمحذوف أي بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم وكذا
فعلنا بهم من تحريم الطيبات عليهم واعتداد العذاب الأليم لهم وحذف
لدلالة ما بعده عليه وأما بقوله حرمنا واعتمدنا على أن قوله
فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم وما عطف عليه
وما حرمنا به للتأكيد وتحقيق أن تحريم الطيبات عليهم واعتداد العذاب
الأليم لهم لم يكن إلا بنقض العهد وما يتبعه من الكفر بالآيات وقتل
الأنبياء عليهم السلام وعبارة لك والفا فصيحة عاطفة على محذوف
تقديره ثم نقضوا الميثاق فبسبب نقضهم الميثاق فعلنا بهم ما فعلنا
وكفرهم بآيات الله بما في كتابهم وقيل بالقرآن وفيه أنه يوجب حذفه
أن يوجه عن قوله وقتلهم الأنبياء بغير حق فقد سبق تفسيره في سورة
البقرة وقولهم قلوبنا غلف معناه بأغطية خلقية لا يصل إليها شيء
من الذكر والموعظة بل طبع الله عليها بكفرهم رد لما قالوا أي بل خلق
قلوبهم غلفا بل طبع الله عليها وختم بكفرهم فأبطل استعدادهم
فلا يؤمنون إلا قليلا إيمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه ويجوز
أن تكون القلة بمعنى العدم وقد سبق وجههما في سورة آل عمران
وأما ما قيل المعنى إلا قليلا منهم كعبد الله بن سلام فيأباه التفريع
على ما تقدم وبكفرهم يعني بعيسى عليه السلام وهو معطوف
على بكفرهم لأنه من أسباب الطبع أو على فبما نقضهم ويجوز أن
يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير
ذكر الكفر إيذانا بتكرر كفرهم فإنهم كفروا بموسى ثم بعيسى عليهما السلام
ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقولهم على مريم يعني نسبتهم إلى الزنا
والقول إذا تعدى بعلى يكون بمعنى الافتراء ونصب بهتانا على
تضمين معنى باهتين وقوله عظيما تأكيد لما في تنكير بهتانا من
التفخيم وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قالوه
استهزاء كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ويجوز
أن يكون استئنافا بأن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح

في الحكاية

في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما يذكرونه به وعيسى بدل من
المسيح أو عطف بيان وكذلك ابن مريم ويجوز أن يكون صفة أيضا وأجاز
أبو البقاء في رسول الله الأوجه الثلاثة إلا أن البدل في المشتقات
قليل وقد نوقش أن رسول الله يجري مجرى الجوامد وما قتلوه وما صلبوه
تخصيص بعدم التعميم لكونه محل الاهتمام ونفي لما ظنوا من أنهم قتلوه
أو صلبوه ولكن شبه لهم مسند إلى الجار والمجرور كأنه قيل وقع لهم
التشبيه أو إلى الضمير المقتول المدلول عليه بقولهم إنا قتلنا كأنه قيل
شبه لهم من قتلوه روي أنه دخل رجل من اليهود بيتا كان هو فيه فلم
يجده وألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى عليه السلام
فأخذ وصلب وأمثال ذلك من الخوارق لا يستبعد في زمان النبوة
وقيل إن رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى
قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله تعالى بأن يرفعه
إلى السماء فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل
ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل
وصلب وإنما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم
قتل نبيه المؤيد بالمعجزات الباهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب
حسبانهم وإن الذين اختلفوا فيه في شأن عيسى عليه السلام وذلك
أنه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود إنه
كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم إن كان
هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن
بدن صاحبنا وقال من سمع منه أن الله تعالى يرفعني إلى السماء
إنه رفع إليها وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه
من أمره والمراد من الشك التردد ولذا احتمل أن يكون الوقوع
في الشك لأكثرهم دفعه بقوله ما لهم به من علم نفي من جنس العلم
إلا اتباع الظن استثناء منقطع والمعنى أنهم مستمرون على الشك
لكن قد يلوح لهم أمارة فيحصل ظن ثم يزول ويعود الشك وهذا
أدل على شدة الحيرة من استمرار الشك بلا انقطاع هذا ما يحسب
جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه أن المراد من الشك ما لا يلزمه
من الحيرة التي لا محيص لهم عنها وعبارة في الدالة على الثبوت والتقرير
إنما تساعد هذا وما قتلوه يقينا صفة مصدر محذوف أي وما
قتلوه قتلا يقينا أو حال أي وما قتلوه متيقنين فيما ادعوا من قولهم
إنا قتلنا المسيح أو تأكيد لما قبله كأنه قيل وما قتلوه حقا أي
حق انتفى قتله حقا وهو تأكيد لغيره بل رفعه الله إليه رد وإنكار

لقتله واثبات لرفعه الى منزلة عالية مما كان فيه وكان الله عزيزا لا يغلب
على ما يريده حكيما في تدابيره ويدخل فيه دخولا اوليا ما دبره في امر
عيسى عليه السلام وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به قبل موته
جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى
عليه السلام اي ما من يهودي ولا نصراني الا ليؤمنن قبل ان يموت ولو حين
تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه بان عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله
ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في
معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلتهم الايمان به قبل
ان يضطروا اليه ولا ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى عليه السلام
والمعنى انه اذا نزل من السما امن به اهل الكتاب والملل جميعا فتكون الملة
واحدة وهي ملة الاسلام وهذا يقتضي تخصيص اهل الكتاب بالذين هم يوجدون
عند نزوله عليه السلام وتعميم الحكم لغير الكتابي ايضا فعلى ما ذكر يكون في
المنزل تخصيص في موضع التعميم وتعميم في موضع التخصيص ويوم القيمة
تقديمه للتخصيص يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتفريط
في حقه وعلى النصارى بالافراط فيه فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم يعني ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا الاية
والتنكير في بظلم للتعظيم وتقديمه على ما تعلق به يفيد التخصيص وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا اناسا كثيرا او صدا كثيرا وانما اعيدت الباء هنا دون
في واخذهم وما بعده للفصل بين المعطوف فيه بما ليس معمولا للمعطوف
عليه بخلاف الفصل فيما بعده فان الفاصل ثمة بالعموم للمعطوف
عليه واخذهم الربا وقد نهوا عنه اي نهي تحريم بدلالة السياق وفي
دليل فيه على ان النهي المطلق يدل على التحريم واكلهم اموال الناس
بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم دون
من تاب وامن عذابا اليما في الغاية لكن الراسخون في العلم كعبد الله
بن سلام واصحابه والمومنون اي منهم والمهاجرين والانصار
يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلاة
نصب على المدح لبيان فضيلة الصلاة او عطف على ما انزل اليك
والمراد بهم الانبيا عليهم السلام اي يومنون بالكتب والانبيا وقرئ
بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يومنون او على انه مبتدا والخبر
اوليك سنوتيهم والموتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمومنون
بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبيا والكتب وما يصدقه
من اتباع الشرايع لانه المقصود من الاية اوليك سنوتيهم اجرا عظيما
على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى

نوح

نوح بدئ به عليه السلام لانه اول من شرعت له الشرايع وسنت له
السنن والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب بان تنزل عليهم كتابا من
السما واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كساير الانبيا واوحينا الى ابراهيم
واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس
وهارون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم لان
ابراهيم عليه السلام اول اولى العزم وعيسى عليه السلام اخرهم والباقون
اشرف الانبيا ومشاهيرهم وانما لم يذكر موسى عليه السلام ههنا لان له
طريقة مخصوصة بالوحي على ما سياتي التصريح بها وايضا فقد انزل
عليه كتاب من السما دفعة واحدة فلا يناسب ذكره في الرد على ما طلبوا
من مثل ذلك واتينا داود زبورا وقرئ زبورا بالضم وهو جمع زبر
بمعنى مزبور ورسلا منصوب بمضمر دل عليه اوحينا او بما فسره
قد قصصناهم عليك من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى
عليه السلام من بينهم قوله تكليما لرفع المجاز قال الفرا العرب تسمي
ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ولكن لا تحققه بالمصدر فاذا
حقق به لم يكن الا حقيقة الكلام رسلا مبشرين ومنذرين منصوب
على المدح او على التكرير للتاكيد او على الحال الموطئة كقولك مررت بزيد
رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لئلا يقولوا لولا
ارسلت الينا رسولا فينبهنا من سنة الغفلة وينبهنا لما يجب
الانتباه له ومن فاته وفيه تنبيه على ان بعثة الانبيا عليهم
السلام الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح
والاكثر عن ادراك كلياتها فلم ينتبه لعدم مانعا عن الاقتصار
على التبشير والانذار لذلك لان الاول ذكر بيان الاحكام كالاول
يخفى عن ذوي الافهام واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين
ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر
حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة
وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريده حكيما فيما دبره ويدخل فيه
تدبيره في النبوة وتخصيص كل نبي من الانبيا المذكورين بما
خص به دخولا اوليا لكن الله يشهد استدراك عما دل سوالهم
فانه لما اجاب عن اقتراحهم انزال كتاب من السما تعنتا
واحتج عليهم ان طريق الوحي المنزل على جميع الانبيا عليهم السلام
على هذا الاسلوب دل على انهم لا يشهدون به والا لم يسالوا
لو فتحه ولم ينبغوا فقال لكن الله يشهد وانهم انكروه ولكن

الله يشهد ويظهره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي
انه لما نزل انا اوحينا اليك الآية قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه
حال اي ملتبسا بعلمه جملة مفسرة او وردت بيانا للشهادة اي بعلمه
الخاص وهو العلم بتاليفه على وجه يعجز عنه كل بليغ او بحال من
يستعد للنبوة ويبينا هل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي
يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم وعلى هذا يكون الحال
عن المفعول وعلى الاول بني على الفاعل والملائكة يشهدون ايضا
بنبوتك وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام به من الحجج على
صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لجمعهم بين الضلال والاضلال
ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد عن الانقلاع عنه
ان الذين كفروا بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وظلموا انفسهم
بالضلال وغيرهم بالصد والاضلال لم يكن الله ليغفر لهم اي
ليس في عادته تعالى المغفرة ما داموا على ذلك ولا ليهديهم
طريقا لامتناعهم عن قبول ذلك الا طريق جهنم لا يجذبهم
الها بهواهم ولا يجديهم يوم القيمة الا طريق جهنم خالدين فيها
ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على
الكفر فهو لا يخرج من النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك
على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس
قد جاءكم الرسول بالحق الباء اما للتعدية اي بالكتاب او الدين
الذي هو الحق او للمصاحبة اي ملتبسا بالحق من ربكم لما قرر
امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من
انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة
والوعد بالاجابة والوعيد على عدمها فآمنوا خيرا لكم اي
فان الله تعالى غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم
لانه له ما في العالم كله فحذف الجزاء واقيم تعليله مقامه وعبر
عن العدم بما يعبر به وكان الله عليما باحوالكم حكيما فيما دبر له

سورة الانعام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى
حقيق بالحمد باعتبار ذاته المستجمعة لجميع صفات الكمالات
وعبره وعامة نعوت الجلال والجمال ونبه على استحقاقه
له باعتبار افعاله العظام وآثاره الجسام ايضا حمدا او لم يحمد

ليكون حجة

ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض
مع انها مثلها في التعدد لان طبقاتها مختلفة بالحقيقة على ما ورد في
الاخبار دون الارض واما دلالة آثارها وحركاتها على تعددها فمبناها
على اصول فلسفية باطلة وقدمها لا لتقدمها وجودا لانه على خلاف
ما ورد في الاخبار الصحيحة على ما مر بيانه في تفسير سورة البقرة بل
لشرفها وعلو مكانها وعبرها باعتبار انهما فطرتا العالم على جميع
الاجسام لطيفها وكثيفها كما عبر بالظلمات والنور عن جميع الاعراض
محسوسها بالبصر وغايبها عنه وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق
بين خلق وجعل المتعدي الى مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير
والتسوية والجعل المذكور فيه معنى التعلق والارتباط بالغير بان
يكون فيه او منه او اليه لا بان يصيره اياه لانه معنى آخر للجعل فانه
يتعدى الى مفعولين ولهذا اي ولكون الارتباط بالغير معتبرا في معناه
اثره ههنا تحقيقا لما في الظلمة والنور من معنى القيام بالغير
ومعتبرا في معناه وتضمينا للرد على الثنوية بتفرده بعدم صلاحيتهما
للقيومية وجمع الظلمات دون النور لاختلاف اجناس ما غاب عن البصر
اختلافا فاحشا بحسب اختلاف مظاهره من الهوى الظاهرة والباطنة
بخلاف النور وقدمها لتقدم جنس الغايب عن البصر ظهورا فانه يظهر
للانسان وهو جنين ولا يظهر له ما يدرك بالبصر حال بولبه لرعايته
المناسبة لما تقدم ثم الذين كفروا يعني بالآخرة على ما افصح عنه
قوله تعالى والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون عطف
على خلق وفي ثم استبعاد ترك الايمان بعد ان قام عليه البرهان
كانه قيل حصل ما اوجب توحيده من خلق السما والارض وما
بينهما بناء على انه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا بربهم
يعدلون حذف المفعول حفظا على الفواصل تقديره يعدلون
غيره اي يشركون به واصل العدل المساواة اي ساووا بين الله
خالق العالم وبين اصنامهم العاجزين عن الخلق ثم ان هذا العطف
ليس على قصد انه صلة اخرى او بمعنى الصلة بل على قصد
انه من الروادف لتلك الصلة ولهذا حسن كلمة الاستبعاد دون
كلمة التشريك ولتمحضه له تمحض الفا للسببية في قولنا ما انتني
فاكرمك انقطع عنه علامة التشريك فلم يكن في معنى الحمد لله الذي
عدلوا به ولتضمنه البشارة بالاشارة الى غاية لطفه وبهاية
حلمه زاد وجه ذلك الارداف حسنا ولطافة ونحو عطفه على
الحمد لله والمعنى انه تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد

ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه فيكفرون نعمته وحذف صلة
يعدلون ليقع الانكار على نفس الفعل ووضع المظهر موضع
الراجع الى الموصول تنبيها على انه خلق هذه الاشيا اسبابا لتكونهم
ومنها تكونهم ثم حقه ان يحمد عليه ولا يكفر ومعنى ثم على هذا الوجه
استبعاد عدولهم عنه بعد ذلك هو الذي خلقكم من طين اي خلق
اصل مادتكم وهو الاغذية التي تتكون منها النطفة او مادة اصلكم
وهو ادم عليه السلام كاينة من طين وللتباعد بين الخلق الصوري
والتقدير المعنوي قال ثم قضى اجلا نوعا من الاجل يحتمل التجاوز
عنه واجل اخر لا يحتمله دل عليه ذلك قوله مسمى اي مثبت
معين وقد افصح عن هذا التفصيل قوله تعالى ويوخركم الى اجل
مسمى ان اجل الله اذا جا لا يوخر لو كنتم تعلمون على ما تحقق علم ما بين
الفاصلتين من المواصلة المعنوية في تفسير سورة نوح والذي
عبر عنه ثمة باضافة الاجل الى الله تعالى هو المعبر عنه ههنا بقوله
عنده اي ثبت تعيينه ثم اخبر بان ذلك التعيين عنده حسما
لطمع التغيير وكون ذلك الاجل مبهما بنظر الينا ذكر منكرا وانما
قدم وهو نكرة على خبره وهو ظرف الفاصل بينهما بما هو مخصص
له ثم انتم تمترون الامتراء التردد في المتفاوت بلين ماخوذ من
مري الضرع اي مسحه والفرق بينه وبين الريب والشك
قد مر بيانه في تفسير قوله تعالى لا ريب فيه والامتراء فيما ذكر
حقيقته الا انهم لانهماكهم في حب الحيوة كانهم شاكون في الموت وانما
ذكر ثم مع زيادة الالتفات في انتم تنبيها على زيادة الاستبعاد فان
دلالة كل من دليلي المبدا والمعاد على المراد وان كانت ظاهرة الا
ان ما نوخذ منه مبادية من الافاق كانه قيل خلقتم من جماد لاحظ
له من الحيوة وعشتم مرة فكيف تشكون مع ذلك وتترددون
في امر البعث باعادة تلك الحياة الزايلة وهو اهون من الاحداث
ابتدا وهو الله الضمير لله تعالى والله خبره في السموات وفي الارض
متعلق بمعنى اسم الله تعالى اي هو المستحق للعبادة فيهما لا غير
وهو المتوحد بالالوهية فيهما لا غير ويجوز ان يتعلق الظرف بقوله
يعلم ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت
الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او بالمصدر وهو
بمعنى المفعول فليس عند بحرف مصدر وصلته حتى يلزم تقدم
صلته عليه والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويجوز ان يكون
الظرف مستقرا وقع خبرا يعني انه لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما

والجملة

والجملة الفعلية الواقعة حالا عن ضمير الاستقرار في الظرف بيان
وتقرير له سركم باطنكم اي نفوسكم وجهركم ظاهركم اي ابدانكم
وعلى تقدير تعلق الظرف بالفعل المذكور يكون المعنى يعلم نفسكم
المفارقة في السموات ونفوسكم المقارنة لابدانكم في الارض ويعلم
ما تكسبون القوى النفسانية والجوارح البدنية لانه تعالى
خالق والخلق كاسب ولما كان تخصيصه العلم بذلك كونه خالقا له
وهو مظنة الاشتباه حتى ضل فيه كثير من الناس اعاد الفعل
اهتماما لتحقيق ذلك المقتضى ولما اثبت المبدا مع ما يتوقف
عليه البداية من التوحيد ثم اثبت المعاد مع ما يتوقف عليه الاعادة
من العلم بين ثبوت النبوة بشهادته واوعد للمنكرين بقوله وما
تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق دل
عليه وقوع اية في سياق النفي والثانية للتبعيض كانه قيل وما
تاتيهم بعض من الايات اي بعض كان فلا منافاة بين هذا التبعيض
والاستغراق والايات هي المعجزات الظاهرة لهم واسنادها الى الرب
للتعظيم والتنبيه على انها صادرت عنه تعالى لتصديقها للنبي
صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين تاركين لها غير ملتفتين
اليها لكونهم غير مبالين بالعواقب وفي العدول عن صيغة الفعل
وزيادة كان دلالة على شدة اعراضهم وقوة ثباتهم فيه وزيادة
تمردهم عليه فقد كذبوا كلام كما للازم لما قبله اي اذا اعرضوا
عن الايات كلها فلا عجب فقد كذبوا بما هو اعظم الايات كلها
واجلها وهو الحق لما جاءهم اي القران الذي تحدوا به فعجزوا
عن الاتيان بمثله وكانه لوضوحه معلوم عند الكل ان الحق
هو لا يحتاج الى تسميته وعلى هذا معنى الابهام في انباء ما
كانوا بتعظيم القران وتفخيم شانه اي سيعلمون باي شي
استهزءوا وينكشف لهم انه لم يكن في موضع استهزا فسوف ياتيهم
يعني ان الاتيان كاين لا محالة وان تاخر ففائدته تاكيد الوعيد
وتثبيته لا ابانة كونه متاخرا انبا ما كانوا به يستهزئون
اخبارا ما استمروا على تجديد الاستهزاء به حينا فحينا تارة
بنسبته الى السحر والكهانة واخرى الى الشعر واساطير الاولين
ان هولا ذكروا قرانا مبينا ولتعلمن نباه بعد حين والمراد من
اخبار ما فيه من الوعد للمصدقين والوعيد للمكذبين اجلا هو
وعاجلا وهذا منهم غاية العصيان ونهاية التمادي في
الطغيان حيث اعرضوا عما هو اية بنفسه اولا وكذبوه ثانيا

وسخروا به ثالثا ومن الرحمن زيادة فضل واحسان اذ اخرجهم
الي حين ولم يعجل لهم بالعذاب المهين شدد عليهم النكير وهدد
لهم ثم جاهم بالموعظة والتذكير بقوله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من
قرن كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون
اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من
قرن الشمس وهو اعلاها واول ما يبدو منها وقال الزجاج
عندي القرن هو اهل كل مدة كان فيها نبي او طبقة من العلما قلت السنون
او كثرت والتقدير بورود قوله صلى الله عليه وسلم خيركم قرني يعني اصحابه
ثم الذين يلونهم يعني التابعين ثم الذين يلونهم يعني تابعي التابعين
مكناهم في الارض اي اثبتناهم فيها ممكنين اياهم واتيناهم قبل كناية عن
طول عمرهم كان نالية كناية عن بسط معيشتهم ما لم نمكن لكم مكنه ابلغ
من مكن له اي جعل له مكانا فكانه قال اتيناهم ما لم نوت لكم لما يعرف
منه والالتفات للتنبيه والتمييز بينهم وبين الحاضرين عنهم والخطاب لاهل مكة
وارسلنا السما عليهم مدرارا السما هو المظلة والمرسل والمدر وهو
المطر والسحاب فلا بد من التجوز في المسند اليه وفي الاسناد والمدرار
افعال يستوي فيه المذكر والمونث معناه كثير الدرور وجعلنا الانهار
لم يقل واجرينا الانهار جريا على مجرى قرينة السابق لان النهر
انما يطلق على الماء حال كونه جاريا فليس له ان يجري وان لا يجري
وهو نهر بخلاف الما النازلة من السما والسحاب فانه قد يحبس وقد
يطلق وهو هو وانما صدر بالواو الداله على الاستقلال دون الفا
لان المقام تعداد النعم العظام وفي ضمنه الاشارة الي ان الانهار
ابرادها لا يلزم ان يكون من الامطار فافهم هذا الاعتبار تجري
من تحتهم خص هذا الوصف بالذكر لانه مما يتعاظم به الناس
الا تري الي قول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي فاهلكناهم
بذنوبهم الفا فصيحة تفصح عن محذوف تقديره بطرت معيشتهم
كما ورد في قوله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها وانشانا
من بعدهم تحقيق لامر الوعيد بتسهيل شان الاهلاك فان من قدر
على انشا القرون لا يتعاظم اهلاك بعضهم بذنوبهم وفي عبارة الانشا
اشارة الي انهم قلعوا من اصلهم واستوصلوا فلم يبق احد من نسلهم
ويعضد ذلك ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي عليه السلام
انه قال ان الله تعالى اذا يهلك قوما او يعذب قوما فجعل لهم نسلا قرنا
اخرين يعمرون بلادهم وحاصل الوعيد انه تعالى كما يقدر ان يهلك من
قبلكم كعاد وثمود وينشي مكانهم اخرين يعمرون بلادهم قدر ان يفعل

مثل ذلك

مثل ذلك بكم قيل جماعة من قريش قالوا يا محمد لن نومن لك حتى تاتينا
كتابا من عند الله ومعه اربعة من الملايكة يشهدون عليه انه من
عند الله وانك رسوله فنزلت ولو نزلنا عليك نزل ههنا بمعنى انزلت
لخبر يعني خبر كتابا مكتوبا في قرطاس ورق لم يقتصر على رويتهم
الكتاب عيانا في قرطاس بل زاد عليه التقييد بقوله فلمسوه تقوية
للادراك البصري بالادراك اللمسي مبالغة في الظهور وليس فيه دفع ما
عسي ان يقولوا سكرت ابصارنا وما نزل من السما شي اذ باللمس
انما يندفع احتمال كون المرئي مخيلا واما نزوله من السما فلا يثبت
به ثم ان اللمس ابلغ من المس لانه لصوق باحساس والمس لصوق
فقط ولذلك اثر اللمس عليه بايديهم قيد به لان اللصوق بالاحساس
يكون بجميع الاعضا ولليد خصوصية في الاحساس ليست في سايرها
واما التجوز باللمس على التفحص كما في قوله تعالى وانا لمسنا السما
فلا يندفع به اذ لا يبعد فان يكون ذلك لبيان مباشرتهم للتفحص
بانفسهم بل يندفع بكون المعنى الحقيقي انسب للمقام ولما سيق له
الكلام لقال الذين كفروا عدل عن الظاهر حيث لم يقل لقالوا تنبيها
على ان هذا اللبس انما كان كفرا منهم ويجوز ان يكون تعريف الموصول
للعهد والمراد به اشخاص باعيانهم توغلوا في التعنت والعناد
على وفق ما ذكر في سبب النزول فيكون التوصيف بيانا
لسبب تقولهم هذا ان هذا الا سحر مبين توصيف السحر بالمبين
في مقابلة توصيف المنزل بكونه ملموسا بايديهم فكانهم عارضوا
تاكيده الفعلي في الاظهار بتاكيدهم القولي بالانكار وهذا دليل
غاية عنادهم ونهاية خبثهم وفسادهم وقالوا لولا انزل هلا انزل
عليه ملك يكلمنا انه نبي ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب
لقولهم وبيان المانع من انزال مقترحهم وانقضا الاتمام والالزام
ذا المعنى لم امرهم لوجوب العذاب بعد ذلك وهذا لانهم لا يومنون
ولو نزل عليك الملك كما اخبر الله تعالى به في قوله ولو اننا نزلنا
اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا
وسنة الله تعالى في الكفار قد جرت على انه متى اقترحوا اية
قاهرة فظهرت ثم لم يومنوا استوصلوا بالعذاب كما افصح عن ذلك
اية المايدة ولكن الله تعالى ابى من استيصالهم به تعظيما لنبيه
كما اخبر به في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم
لا ينظرون اي لا يوخرون ولا يمهلون قال قتادة لو انزلنا
ملكا ثم لم يومنوا لعجل لهم العذاب ولم يوخروا طرفة عين يعني

بعد عدم ايمانهم لا بعد نزول العذاب وفي لفظ ثم اشارة الى انهم مهلا
قدر ان يتاملوا فيما نزل فيؤمنوا بالاختيار والاختيار لا بالالجاء والاضطرار
فافهم هذا الاعتبار ولو جعلناه اي الرسول ملكا لجعلناه اي لمثلناه
رجلا كما مثل جبريل عليه السلام دحية وذلك لان ابصار عامة
البشر لا يقدرون على النظر الى صورة الملك للطفه وضعف شعاع
ابصارهم جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك
وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة واحتمال ان يكون جوابا
ثانيا على ان الضمير للملك المقترح انزاله يأباه عبارة جعلناه ملكا فان
المناسب حينئذ ان يقال ولو انزلناه ملكا لجعلناه رجلا وانما لم
يقل بشرا مع انه المناسب لمقابلة الملك تضمينا للكلام معنى زائدا
على اصل المرام وهو الاشارة الى ان شان الرسالة البراءة عن النقصان
ولا بد من رعايته على التقدير المذكور حتى لا يصح ان يكون الرسول
المفروض في صورة امراة ولا في صورة صبي ولما كان تفصيل لما
ذكر انه لا ينفع لهم فيما سالوا لانه اذا كان في صورة رجل لا يعلمون
انه ملك ولا يجدي نفعا في دفع شبهتهم آخذه انه يقال يجوز ان يكون
له اثار الملك في صورة الرجل فيندفع الاشتباه بذلك ندور كرر دفعه
بما مرجعه الى انه لا بد من الالتباس والاشتباه كيلا يفوت حكمة
التكليف وقوله وللبسنا من تتمة الجواب وقرئ باللام على
تقدير شرط اخر وقرئ بلام واحدة على العطف وبالتشديد فيهما
للمبالغة عليهم ما يلبسون اي خلطنا عليهم ما يخلطون على
انفسهم الان فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم ثم قال تسلية له صلى
الله عليه وسلم حين استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم السلام
اسوة وانما يفعلون به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء
عليهم السلام وتخييرها لنا علينا ان قولهم ذلك على سبيل الاستهزاء
والا فهم عقلا يعلمون ان رسول قوم لا يكون الا من جنسهم ولقد
استهزئ برسل من قبلك فحاق اي احاط بسبب ذلك الاستهزاء
بالذين سخروا منهم والمراد الاهلاك من احاطة العدو وتحقيق لا يستعمل
لا يستعمل الا في الشر منهم تنبيه على ان ضرر سخريتهم لا يتعدى
انفسهم وهو مدلول القول الاتي وان يهلكون الا انفسهم ما كانوا
به يستهزئون من العذاب الذي كان الرسل يخوفونهم بنزوله فلا تجوز
الا في الاسناد ولا في المسند اليه لما ذكر اهلاك المستهزئين حرض بالسير
في الارض للاعتبار بحالهم من مساكنهم فقال قل سيروا في الارض
الى ان تشرفوا بدقلوم ينزل بهم العذاب فاختبروا واعتبروا

ولما كان في هذا السير المأمور به من الامتداد جيء بكلمة التراخي في قوله
ثم انظروا فان النظر وان لم يكن متراخيا عن السير باعتبار الابتداء
ولكنه متراخ عنه باعتبار الانتهاء واما قوله تعالى قل سيروا في
الارض فانظروا فلعل المراد من الارض فيه ما هو المشهور من ارض قوم
نزل العذاب بساحتهم فجيء بحرف التعقيب تنبيها على ان السير
انما امر به لاجل النظر فحقه ان لا يتاخر عنه وما قيل معناه اباحة
السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في اثار
الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح يأباه
سلامة الذوق لان انجام امر اجنبي وهو بيان اباحة السير للتجارة
بين الاخبار على حال المستهزئين وما يناسبه ويتصل به من الامر
بالاعتبار باثارهم مما يخل بالبلاغة اخلالا ظاهرا كيف كان عاقبة
المكذبين كيف اهلكهم الله تعالى بعذاب الاستئصال وانما عبر عنهم
بالمكذبين دون المستهزئين اشارة الى ان مال من كذب ان كان
كذلك فكيف الحال في مال من جمع بينه وبين الاستهزاء قل لمن
ما في السموات والارض الزام وتبكيت لانهم لا يقدرون ان يضيفوا
خلقهما وملكهما الى غيره تعالى ولذلك عقبه بقوله قل لله تقريرا
لهم اي لا اخلاف بيني وبينكم في ذلك وفيه انهم مع كونهم مقرين
بذلك على ما افصح عنه قوله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله تثاقلوا في الجواب وانقمعوا لما ظهر
من كونهم محجوجين فعبروا ذلك عليهم كتب على نفسه الرحمة في
الدارين اي التزمها تفضلا واحسانا لا ان ذاته اوجبه على
نفسه بمقتضى حكمته وهذا استعطاف منه تعالى للمتولين عنه
للاقبال اليه واخبار بانه رحيم بالعباد لا يعجل في العقوبة ويقبل
الانابة والتوبة ليجمعنكم ضمن الجمع معنى الحشر ولذلك قال الى يوم
القيمة اي الى واقعته في موقفها كيوم بدر استئناف وقسم
للوعيد على اشراكهم كانه قيل وما تلك الرحمة فقيل هي انه
تعالى يجمعكم الى يوم القيامة وذلك لانه لولا خوف الحساب
والعذاب لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخبط
فتقدير العقاب في الحكمة من اعظم اسباب الرحمة في الدنيا
ولكن ان تفرق بين قوله كتب على نفسه الرحمة كما قال رحمته
بالامهال ودفع عذاب الاستئصال بعدما قدم بيان كمال قدرته
بقوله قل لمن ما في السموات والارض ليتعين من اول الامر ان
امهاله ذلك عن رحمة لا عن عجز ثم بين بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة

فيجازيكم عن شركم انه يمهل ولا يهمل بل يحشرهم ويحاسبهم على نقير وقطمير
لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع
عليه او مبتدا خبره فهم لا يؤمنون والفا للسببية فان الخسران
بتضييع راس ماله وهو نور الفطرة يوجب الاصرار على الكفر
وله ما سكن في الليل والنهار لما ذكر ان له ملك ما حوى المكان
من السموات والارض ذكر ان له ما حوى الزمان واشتمل عليه الملوان
وكل واحد من الزمان والمكان وان كان مستلزما للاخر لكن التنصيص
عليهما ابلغ في مقام التقدير والبسط وقدم المكان لانه اقرب الى
العقول والاوهام من الزمان والظاهر انه استيناف واخبار وليس
منه رجا بحث قر وسكن من السكنى وهو يتعدى بفي كما يتعدى بنفسه
يقال سكنوا الدار وسكنوا فيها لا من السكون على الاكتفا باحد
الضدين عن الاخر لانه لا يناسب البسط الظاهر قصده من تفصيل
قطري المكان وصنفي الزمان وهو السميع العليم وعيد للمشركين
على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا ادخل همزة الاستفهام
على الاسم دون الفعل لان الانكار يتوجه الى اتخاذ غيره وليا لا الاتخاذ
الولي مطلقا ولا دخل في ذلك لتقديم المفعول لانه لازم الدخول همزة
الاستفهام فكان ثابتا تبعا له وانما عبر عن المعبود بالولي لانه اول
درجة العبادة لشخص اتخاذه وليا فكان فيه ابلغ فاطر السموات
والارض مبدعهما وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ويؤيده
قراءة فطر ويجوز ان يكون بدلا ويرجحه ان الفصل بين المبدل منه
والبدل اسهل من الفصل بين المنعوت والنعت بنا على ما هو
المشهور من ان البدل على تكرار العامل وقرئ بالرفع والنصب على
المدح والجملة تقرير لانكار اتخاذ غير الله تعالى وليا وتعليل له وكذا
قوله وهو يطعم ولا يطعم اي المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه
الانتفاع وخصوص الطعم غير ملحوظ بل هو من باب تنزيل الشي
منزلة كله وقرئ ولا يطعم بفتح اليا وبعكس الاول على ان الضمير
لغير الله تعالى فان الكلام وان كان مع عبدة الاصنام الا انه نظر
الى عموم غير الله تعالى وتغليب اولي النهى لان فيه انكار ان تصلح
الاصنام للالوهية بطريق الاولى والمعنى كيف اشرك من هو
فاطر السموات والارض ما هو نازل عن مرتبة الحيوانية وبنائهما
للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على انه يطعم تارة
ولا يطعم اخرى اي وهو الباسط والقابض بحسب الحكمة والعلم
والمصلحة كقولك هو يطعم وهو يجيع وعنه قل اني امرت ان اكون

اول من اسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم سابق امته في الاسلام وهذا
على طريق التحريض لهم كذلك ليحملهم على فعله ولا تكونن من المشركين
عطف على معنى قوله قل اني امرت فانه بمعنى قيل لي كن اول من اسلم
فلا حاجة الى تقدير قيل لي لا تكونن اي امرت بالمسارعة الى
الاسلام ونهيت عن الشرك ولتعلق الامر بالمسارعة دون نفس
الاسلام يؤكد تاكيد النهي المتعلق بنفس الشرك وقيل يجوز عطفه
على قيل ويرد عليه ان سلامة النظم تابى عن فصل الخطابات
التبليغية بعضها عن بعض بخطاب ليس منها قل اني اخاف ان
عصيت ربي عذاب يوم عظيم الشرط معترض بجملتها بين الفعل
والمفعول وجوابه محذوف دل عليه الجملة والانبيا عليهم السلام
وان كانوا معصومين عن الكفر الا انه قد يفرض اذا تعلق به غرض
صحيح من المبالغة في قطع اطماعهم والتعريض لهم بانهم عصاة
مستوجبو العذاب فلا دلالة في الاية على انه صلى الله عليه
وسلم كان يخاف على نفسه من الكفر من يصرف عنه اي العذاب
وهذا ابلغ لتضمنه معنى ان يقال ان انصراف العذاب رحمة
من الله سواء كان الصارف هو او غيره فان فيه تنبيها على الغير كالشفعاء
وان كان صارفا للعذاب عن العصاة لكن صرفهم ذلك باذن الله تعالى
يومئذ وقرئ يصرف مبنيا للفاعل على ان الضمير فيه لله تعالى
ويعضده القراءة باظهاره ويناسبه والمفعول به محذوف
لظهوره مما قبله او يومئذ على ان يراد منه هوله فلا حاجة الى
تقدير المضاف وفي عبارة الصرف اشارة الى ان الاية فيمن
استحق العذاب فقد رحمه رحمة هي ذلك الصرف بعينه
ونظير هذا قوله عليه السلام لن يجزي ولد والده الا ان يجده
مملوكا فيشتريه فيعتقه يعني بالاشترا المذكور ووجه ذلك
ان اختلاف العنوان يكفي في صحة الترتيب والتعقيب ولك
ان تقول الرحمة سبب للصرف سابق عليه على ما لوح اليه
حيث اوثرت بصيغة الماضي وصيغة مستقبل والترتيب باعتبار
وذلك اي صرف العذاب عنه وهو مستحق له الفوز المبين
ظهور الفوز يزداد بازدياد الاستحقاق المعتبر فيمن
صرف عنه العذاب وان يمسسك الله بضر الضر وهو سوء
الحال اخص من الشر المقابل للخير وانما خصه بالذكر لشدة
الحاجة فيه الى الكشف فلا كاشف له فلا مزيل له عنك الا هو
وان يمسسك بخير حذف جوابه لدلالة جواب مقابله

عليه ثم أكد الجواب بشمول قدرته على كل شيء فقال فهو على كل شيء
قدير فلا يقدر غيره على مخالفته وهو القاهر فوق عباده معنى
الفوقية هنا تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة لا بالجهة
وهو منع غيره عن بلوغ المراد وهو الحكيم في أمره وتدبيره
اياهم الخبير باحوالهم وخفاياهم قل أي شيء أكبر شهادة روي أن
قريشا قالوا يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا
أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك لرسول
الله فنزلت والشيء يطلق على كل موجود وقد مر تفصيله في تفسير
سورة البقرة ووضعه موضع شهيد للمبالغة في التعميم قل الله
هو الجواب ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم كرر البين ولم يقل بيننا
للإيماء إلى معنى التفصيل المترتب على الشهادة المقبولة ويجوز أن
يكون الجواب الله شهيد فهو على الأول للتسلق من اثبات التوحيد
إلى اثبات النبوة بأن هذا الشاهد الذي لا أصدق منه شهد لي
بإيحاء هذا القرآن وعلى الثاني من الأسلوب الحكيم لأن الوهم
لا يذهب إلى أن هذا الشاهد يحتمل أن يكون غيره تعالى بل الكلام
في أنه هل يشهد لنبوته أم لا وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به
أي بالقرآن والخطاب لكفار مكة وليس فيهم ما يصح أن
يبشروا به ولذا محض الإنذار بالذكر ومن بلغ في موضع نصب
عطفا على مفعول لأنذركم به أي ومن بلغه هذا القرآن
من العرب والعجم وقيل من الثقلين ممن وجد ويوجد إلى يوم
القيمة وأما أنه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه إلى يوم القيمة فلا
دلالة فيه إلا عند من قال بحجية المفهوم ويجوز أن يكون
في موضع رفع عطفا على الضمير المستكن في لأنذركم وجاز ذلك
للفصل بينهم وبين الضمير أي ولينذركم من بلغه القرآن
أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة تقرير لهم مع إنكار واستبعاد
ولما كانت الآلهة حجارة وخشبا اجريت مجرى المفرد تحقيرا لها
فوصفت بما يوصف به المفرد وقيل أخرى قل لا أشهد شهادتكم
بأن معه آلهة قل إنما هو إله واحد أي فأنا أشهد أن لا إله إلا الله
وإنني بريء مما تشركون امراق لاباء تخيرهم بانه لا يوافقهم
في الشهادة ولا يلزم من ذلك افراد الله تعالى بالالوهية فأمر
ثانيا ثم امره ثالثا بان يخبرهم بالتبري من اشراكهم وهو
التأكيد لما قبله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعني اليهود
والنصارى يعرفون النبي صلى الله عليه بحليته ونعته الثابت

في الكتابين معرفة حقة كما يعرفون أبناءهم بحلاهم الذين خسروا
أنفسهم من المشركين وأهل الكتاب بتضييعهم ما يكتسب به الإيمان
من النور الفطري فهم لا يؤمنون قد مر وجه السببية المستفادة
من على أنه لا يلزمها السببية بل يكفيها بعدها لا زمانها قبلها كما
في قوله تعالى قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ومن
أظلم ممن افترى على الله كذبا بقولهم الملائكة بنات الله تعالى وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله تعالى وغير ذلك أو كذب بآياته بالقرآن
أو بالمعجزات وإنما جاء أو مع كونهم جامعين بين الكذب والتكذيب
تنبيها على أن كلا منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم على النفس
لا أظلم فوقه إنه لا يفلح الظالمون جاء بضمير الشأن لما أن للإجمال
والتفصيل والتنبيه على أن الظالم قط لا يفلح فكيف ممن لا أحد أظلم منه
ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر حذف تهويلا للأمر ومبالغة في
التخويف تقديره كان ما لا يدخل تحت الوصف والحشر السوق من جهات
مختلفة إلى مكان واحد ثم نقول للذين أشركوا وقرئ يحشرهم ثم
يقول بالياء فيهما أين شركاؤكم سؤال توبيخ وإنما أضيف الشركاء
إليهم لأنه لا شركة في الحقيقة بين الأصنام والمعبود بحق وإنما
أوقع عليها اسم الشريك بمجرد تسميتهم لها شركاء فأضيف إليهم بهذه
النسبة ويعضده التعبير عن اعتقادهم بالزعم فإنه كالعلم في
الباطل ولا يخفى ما فيه من التهكم الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء
لله حذف المفعول لدلالة سياق الكلام عليه وهذا السؤال
ظاهر في غيبة الشركاء وقوله تعالى وما نرى معكم شفعاءكم الذين
إلى قوله وضل عنكم ما كنتم تزعمون نص فيه فلا وجه لما قيل
يجوز أن يحضروا أو يشاهدوا ولكن لم ينتفعوا بهم ولم يكن
فيهم ما رجوا من الشفاعة لهم جعلوا كأنه غيب عنهم وهو
أبلغ في التوبيخ إذ وجودهم أشد من العدم وأما ما قيل يجوز
أن يحال بينهم وبينه ليتفقدوها في الساعة التي علقوا
الرجاء بها فيها فيروا عاقبته أنه حين ينكشف الحال عندهم ويعلمون
أنه لا منفعة لهم في الشفعاء بوجه فلا احتمال للتفقد ثم لم
تكن فتنتهم جوابهم وإنما سمي فتنة لأنه معذرتهم التي توهموا
تخلصهم بها من فتنت الذهب إذا خلصته وقيل كفرهم
والمراد عاقبته إلا أن قالوا وقرئ يكن بالياء التحتانية وفتنتهم
بالنصب على أن الاسم أن قالوا وقرئ تكن بالتاء الفوقانية
والنصب على تقدير أن قالوا مونثا أي ثم لم تكن فتنتهم إلا

مقالتهم وهذا احسن من اعتبار التانيث في الخبر وقري بالتا الفوقانية
والرفع على انها الاسم **ربنا ما كنا مشركين** كذبوا وحلفوا مع علمهم
بانه لا ينفع حيرة ودهشا وقري ربنا بالنصب على النداء والمدح
انظر كيف كذبوا على انفسهم بنفي الشرك عنها يحتمل ان يكون عطفا
على كذبوا فيدخل في حيز انظر ويحتمل ان يكون اخبارا مستانفا فلا
يدخل في حيزه **ما كانوا يفترون** اي غاب عنهم ما كانوا يفترونه
من الشركا اي يفترون الهيته وشفاعته **ومنهم من يستمع اليك**
حين تتلوا القران روي ان جماعة من كفار قريش استمعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال ما يقول
الا اساطير الاولين مثل ما احدثكم عن القرون الماضية وكان
صاحب اخبار فنزلت **وجعلنا على قلوبهم اكنة** جمع كنان وهو ما
يستر الشي كالغطا **ان يفقهوه** كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون
مفعولا لما دل عليه الكلام المذكور اي منعناهم ان يفقهوه **وفي**
اذانهم وقرا ثقلا الاكنة في القلوب والوقر في الاذان مثل في نبو قلوبهم
ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته وما قيل لما كان القران
معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى
وادراك اللفظ يرد عليه انهم ما عجزوا عن ادراك اللفظ المسموع
على ما دل عليه ما مر في سبب النزول انما عجزوا عن ادراك اللفظ
المطبوع الحامل للخواص والمزايا **وان يروا كل اية لا يومنون**
لفرط عنادهم ولا بد من تخصيص الاية بغير الملجئة دفعا للمخالفة
بينه وبين قوله تعالى ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت
اعناقهم لها خاضعين **حتى اذا جاوك يجادلونك** حتى هي التي تقع
بعدها الجمل والجملة بعدها هي الشرطية يجادلونك في محل الحال
وجواب الشرط **يقول الذين كفروا** وفيه وضع المظهر موضع المضمر
للتسجيل عليهم بالكفر والعناد مع وضوح الايات ويجوز ان
يكون حتى هي الجارة واذا المجرد الظرفية في محل الجر فلا يكون
له جواب اي حتى وقت مجيئهم ويقول الذين تفسير ليجادلونك
ان هذا الا اساطير الاولين الا اساطير الا الاباطيل الواحدة الاسطورة
بالضم واسطورة بالكسر وجعل اصدق الحديث خرافات الاولين
غاية التكذيب ويجي الاساطير جمع اسطار جمع سطر بالتحريك بمعنى
الخط والكتابة وعلى هذا ينطبق ما روي عن النضر فيما سبق
واما السطر بالسكون فجمعه على اسطر وسطور **وهم ينهون عنه**
اي ينهون الناس عن القران او الرسول واتباعه والايمان به

وينأون يبعدون **عنه** بانفسهم فيضلون ويضلون **وان يهلكون**
وما يهلكون بذلك **الا انفسهم وما يشعرون** ان ضرر ذلك لا يتعداهم
الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو ترى اذ وقفوا من وقفه اي حبسه لانه قال في موضع اخر ويوم
يحشر اعدا الله الى النار فهم يوزعون اي يحبسون والقران يفسر
بعضه بعضا وضمنه معنى الاطلاع دل عليه قوله **على النار**
والمعنى اذ وقفوا مطلعين على النار وقري على البنا للفاعل
من وقف عليه وقوفا وانما حذف الجواب تهويلا اي لو تراهم حين
يقفون عليها حتى يعاينوها اي يطلعون عليها وهي تحتهم او يدخلونها
فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا لا يدخل تحت الوصف
فقالوا يا ليتنا نرد تمنوا الرجوع الى الدنيا **ولا نكذب بايات ربنا**
ونكون من المومنين قري بنصب نكذب ونكون باضمار ان بعد
الواو ولا على جواب التمني لان الواو لا تقع في جواب الشرط ولا ينعقد
ما قبلها وما بعدها شرط وجواب وانما هي واو الجمع تعطف ما
بعدها على المصدر المتوهم قبلها والافعال الثلاثة فتمناه على سبيل
الجمع بينها لان كل واحد متمنى على حدة اذ التقدير يا ليتنا يكون
لنا رد مع انتفا التكذيب وكوننا من المومنين او واو الحال
على ان مدخولها حال من الضمير في نرد اي يا ليتنا نرد غير مكذبين
وكائنين من المومنين وقري برفعهما عطفا على نرد فيكونان
داخلين في التمني فقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه
التمني من الوعد او على الاستيناف ونصب الثاني عطفا على مصدر
متوهم مقدر من الجملة السابقة ويكون ان مضمرة بعد الواو والتقدير
يكون منا رد وكون من المومنين **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل**
اضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني اي ظهر لهم في
صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم ما كانوا يخفون من الناس
من فضايحهم وقبايحهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا عزما على انهم
لو ردوا لامنوا **ولو ردوا** الى الدنيا **لعادوا لما نهوا عنه** من الكفر
والمعاصي **وانهم لكاذبون** فيما وعدوا من انفسهم **وقالوا** استيناف
او عطف على انهم لكاذبون لا على لعادوا ولا على لما نهوا اذ يخ
حق قوله وانهم لكاذبون اذ يوخر عن المعطوف او يتقدم
على المعطوف عليه **ان هي الا حياتنا الدنيا** الضمير للحياة **وما نحن**
بمبعوثين الى الحشر والجزا **ولو ترى اذ وقفوا على ربهم** للتوبيخ
والسوال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه ضمن

الوقوف بمعنى العرض ولذلك قال على ربهم والمعنى اذ عرضوا على ربهم
موقوفين وقد افصح عن هذا المعنى قوله تعالى وعرضوا على
ربك صفا وقوله تعالى اذ المجرمون موقوفون عند ربهم وقيل
معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف
وجواب لو محذوف كما مر قال اليس هذا بالحق استيناف كانه
جواب قائل قال ماذا قال لهم ربهم حينئذ فقيل قال والهمزة للتقريع
والتعيير من الله تعالى على التكذيب وانكار البعث والجزاء حين
سمعوا حديثه وقالوا ما هذا بحق والاشارة الى البعث
والجزاء قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون بسبب كفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
بالبعث وما يتصل به من احوال الاخرة حتى اذا جاءتهم الساعة
القيمة وحتى غاية لكذبوا لا لخسر فان خسرانهم لا غاية له
والكلام فيه وفيما بعدها من الجملة كما مر في حتى اذا جاؤك
بغتة فجاءة وهي مجيء الشيء بسرعة من غير خطور بالبال حال
اي باغتة او مصدر لانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا
تعالى فهذا اوانك والحسرة شدة الندم على ما فرطنا قصرنا
مع القدرة على عدم التقصير فيها اي في الحيوة الدنيا اضمرت
لانها معلومة وان لم يجر لها ذكر او في الساعة اي في شانها
والايمان بها كما في قوله فرطت في جنب الله وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم من قال ما الميزان او اعتقد وزن الاعمال وادعى
حصول الثقل لها يوم الجزا فليس له ان يقول انه تمثيل الثقل
اوزارهم والمعنى انهم تقاسوا عذاب ذنوبهم مقاساة
من يحمل ثقله على ظهره لانه مظنة الانكار بما ذكروا والجملة حال
من الضمير في قالوا الا ساء ما يزرون اعتراض والمخصوص بالذم
محذوف اي بئس شيئا يزرون وزرهم او الذي يزرونه
وساء على وزن فعل منعد تقديره ساءهم وما الحيوة الدنيا
اراد بالحيوة الدنيا اعمالها المخصوصة بها بحيث لا يظهر اثرها
في الحياة الاخرى ولذلك قال الا لعب ولهو فان مطلق اعمالها
المخصوصة الشاملة للعبادات ليس كذلك ومن ههنا
ظهر وجه السلوك الى طريق المجاز شبهت اعمال الدنيا
باللعب واللهو لقلة جدوها وسرعة زوال منافعها اولانه
يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية
وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الاخرة خير

للذين يتقون ايراد لام الابتداء واثبات ما فيه للذين يتقون والتاكيد
بقوله افلا يعقلون اشعار بان ما سوى اعمال المتقين لهو ولعب
يشتغل به من لا يعقل وان العاقل هو الزاهد في الدنيا وقرئ ولدار الاخرة
على الاضافة اي دار الاخرة وقرئ تعقلون بالتاء على خطاب المخاطبين او
تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه قد ههنا من باب استعمال
اللفظ في نقيضه للمبالغة لانه بمعنى تكثير الفعل وزيادته كما تستعمل ربما
لذلك كانه ايماء الى ان كل ما يتوهم من وقوع مراتب الفعل وزيادته بالنسبة
الى ما يراد منه قليل ويقويه في تفخيم الفعل وكثرته ايراد ضمير الشان
ولام الابتداء في المعلوم المفيد للاعتبار به وتحقق وقوعه ليلزم من
كثرة وقوع المعلوم كثرة العلم به ومن دوامه دوام العلم ليحزنك وقرئ
بفتح الياء ومنه من احزن الذي يقولون اي كثيرا ما نعلم حزنك من
قولهم ساحر كذاب او كاهن وامثاله فتسل والله عن حزنك فانهم لا يكذبونك
المراد بنفي تكذيبه صلى الله عليه وسلم استعظام تكذيبه بجعله تكذيب
الله تعالى لا نفيه حقيقة ولكن الظالمين بايات الله يجحدون بل
يكذبون الله تعالى بجحود اياته والاستشهاد لكتابه فتكذيب
تكذيبه ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالظلم وان
جحودهم مسبب عن تمردهم وفراطهم في الظلم والالتفات في اسم الله تعالى
بيان لعظم ما ارتكبوه والباء لتضمن الجحد معنى التكذيب وقرئ لا يكذبونك
بالتخفيف من اكذبه اذا وجده كاذبا او النسبة الى الكذب ومعنى كذبه
جعله كاذبا في زعمه روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك عندنا المصدق
وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التكذيب ومبناها على وقوع التكذيب
فدل هذا على ان الحقها قدمنا فصبروا على ما كذبوا واوذوا
اي على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم فاصبر كما صبروا فان مع
الصبر النصر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء الى وعد النصر للصابرين
ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين الايات الثلاث ولقد جاءك من نبإ المرسلين
اي بعض انبائهم وما كابدوا من مصابرة اعدائهم ويجوز ان
يكون الفاعل ضميرا يعود على ما دل عليه المعنى من الجملة السابقة
اي ولقد جاءك هذا الخبر من تكذيب اتباع الرسل للرسل والصبر على
الاذى الى ان نصروا ومن نبإ في موضع الحال وذو الحال ذلك الضمير
وان كان كبر عليك اعراضهم عما جئت به فان استطعت
ان تبتغي نفقا في الارض منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض فتطلع

لهم اية او سلما في السما فتاتيهم باية او مصعدا تصعد به الي السما فتنزل منها اية جواب فان استطعت محذوف اي فافعل اي انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه وتهالكه علي اسلام قومه والشرطية جواب الشرط الاول وفي الارض صفة نفقا او متعلق بتبتغي وكذا في السما صفة سلما او متعلق بالفعل ولو شا الله لجمعهم علي الهدي ولكن لم يشا فلا تتهالك علي ايمانهم فلا تكونن من الجاهلين في الذين يجهلون ذلك ويرومون خلافه اي لا تحرص علي ما لا يكون ولا تجزع في مقام فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون اي لا يستجيب دعوتك الي الايمان الا الذين يسمعون فيفهمون ويتدبرون دون الموتي وهولا الذين تحرص علي ايمانهم موتي كقوله تعالي انك لا تسمع الموتي والموتي استعار الموتي للجهال لان العلم حيوة القلب فالذين لا يسمعون انما يسمعون لان قلوبهم موتي ما لحقيقة يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان وانت لا تقدر علي اعلامهم ثم اليه يرجعون للجزا وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه مع كثرة ما انزل اليه من الايات لعدم اعتدادهم بها عنادا كانه لم ينزل عليه شي اية مما اقترحوها قل ان الله قادر علي ان ينزل وقري بالتشديد بدعلي ان نزل يعني نزلت اية مما اقترحوا وايتان يجحدوها اخذهم العذاب وهو من لوازم الايات الملجية ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله تعالي قادر علي انزالها ولكن يفعل علي مقتضي حكمته وما من دابة في الارض اي يبستقر فيها وفايدته تحقيق المقابلة بينها وبين قرينتها المقابل فان بعض الطاير يتحرك علي وجه الارض الا انه لا يستقر فيها ولا طاير وقري بالرفع علي المحل بطير بجناحيه تصوير لتلك الهيئة الغريبة الدالة علي القوة الباهرة والمقام مقام بيان كما قدرته تعالي وقيل انه لقطع مجاز السرعة وقيل للتعميم ويرد عليهما انه لو قيل ولا طاير في السما لكان اخصر وفي افادة ذينك الامرين اظهر مع ما فيه من رعاية المناسبة بين القرينتين بذكر جهة العلو في احدهما وجهة السفل في الاخر الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود من ذلك بيان كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل علي انه قادر علي ان ينزل اية وجمع الامم علي المعني فجمع تقوية للعموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي فصحبة من التي تفيد الاستغراق ولما دل بها علي كمال قدرته واحاطة علمه اوعدهم علي ما فرط منهم من الانكار

بقوله ما فرطنا وقري بالتخفيف في الكتاب اي ما اغفلنا وما اهملنا في اللوح المحفوظ من شي مما لم نكتبه ولم نبينه اي شي كان فلا بد من كتابة اعمالكم وعقايدكم واحوالكم ثم الي ربهم اي الي ذلك القادر لا الي غيره يحشرون كلهم فيجازيهم وانما جريت مجرى العقلا لاطلاق الامم عليهم او تغليب العقلا لكونهم المقصود بزيادة ومن مزيدة وشي في موضع المصدر او مفعول له علي تضمين فرط معني اهمل او اغفل والمقصود ان من يضبط احوال الدواب والطير كلها واعمالها فينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجما من القرنا ويجازي كلها كيف يهملكم سدي وقيل حشرها موتها ويرده ان الحشر بعث من كل مكان الي اخر وتعديته بالي تنصيص علي هذا المعني والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات خبر ثالث كناية عن عمي البصيرة ناظر الي عمي في قوله تعالي صم بكم عمي وهذا ابلغ اذا جعلت الظلمات ظرفا لهم وجمعت لاختلاف جهات الضلالة من الكفر والجهل والعناد والتكذيب ولما لخص من الدلايل القاطعة علي ربوبيته وقدرته وعظمته ووجوب التيقظ لما اوعد عليه والاقرار به وبالحشر قال والمكذبون باياتنا صم لا يسمعوا كلامه المنبه فيستيقظوا ورجعوا وبكم لا ينطقوا بالاقرار بالحق خابطون في ظلمات انواع الضلالة فلا يتنبهوا لذلك ولا يتاملون ولا يتفكرون فيه ثم اكد ما بين من شدة جهلهم وعميهم واحتجاجهم بقوله من يشا الله يضلله ايذانا بانهم من اهل الطبع والختم ومن يضلل الله فلا هادي له ومن يشا يجعله علي صراط مستقيم اخبروني لما كان العلم سببا للاخبار وضع العلم موضع طلب الخبر وصورته استفهام ومعناه الامر لاشتراكهما في الطلب والكاف حرف الخطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب والفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتي من قبلكم او اتتكم الساعة هولها اغير الله تدعون تبكيت لهم ان كنتم صادقين في ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعا كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول للتخصيص فيكشف ما تدعون اليه ان شا وان اراد ان يتفضل عليكم وتنسون ما تشركون اي الهتكم التي تشركونها به تعالي لما ركز في العقول انه القادر علي كشف الضر ونحوه ولقد ارسلنا الي امم من قبلك اي قبلك ومن زايدة فاخذناهم الفا فصيحة اي كذبوا فكفروا الرسل فاخذناهم والاخذ الامساك بقوة وهو المراد هنا

مبالغة العقوبة والملامة **بالبأساء** البؤس الشدة كالقحط والفقر
والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما **لعلهم يتضرعون**
يتذللون لنا ويتوبون عن الذنوب فإن البلاء يلين القلوب **فلولا إذ**
جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع في ذلك الوقت مع قيام الداعي
وعدم المانع وذلك أنه لما جاء بلولا التخصيصية الداخلة على الماضي
للتنديم دلت على أن لا مانع لهم من التضرع الذي اقتضاه الحال ولما كان
التضرع من لين القلب كان المعنى لم يتضرعوا ولم يلينوا فاستدرك
بقوله **ولكن قست قلوبهم** فالاستدراك عن كلام غير ملفوظ بل
مدلول عليه معنى **وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** يعني لا
مانع لهم من التضرع إلا قسوة قلوبهم وشدة شكيمتهم في عنادهم
وإعجابهم بأعمالهم التي زينها لهم الشيطان **فلما نسوا ما ذكروا به**
من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم يتزجروا **فتحنا عليهم**
أبواب كل شيء المراد بكل شيء التكثير دون التعميم كما في قوله تعالى
وأوتيت من كل شيء والفتح المذكور تعبير عن تيسير مطالبهم الدنيوية
أي امتحانهم بالضراء والسراء وابتليناهم بالشدة والرخاء مخاشنة
وملاطفة إلزاما للحجة وإزاحة للعلة ويجوز أن تكون التوسعة
عليهم مكرا واستدراجا لما روي في مسند أحمد بن حنبل عن عقبة
ابن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيت الله يعطي العبد
من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ثم تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به الآية فالتوسعة
قهر خفي في صورة اللطف كما أن الأخذ بالبلاء لطف خفي في صورة
القهر وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير **حتى إذا فرحوا** بطروا وأعجبوا
بما أوتوا من النعم **أخذناهم بغتة** أي أهلكناهم فجأة وهو أشد
الإهلاك إذ لم يتقدم شعور به فتوطن النفس على كتابه **فإذا هم**
مبلسون المبلس الشديد الحسرة واليائس الحزين **فقطع دابر**
القوم الذين ظلموا استؤصلوا ولم يبق منهم أحد والدابر التابع
للشيء من خلفه يقال دبر الولد الوالد يدبره دبرا ودبورا أي
إذا تبعه ووضعه الذين ظلموا تنبيها حتى لم يبق لهم مطمع
في صلاحهم **والحمد لله رب العالمين** على إهلاكهم وفيه إيذان
بأن إهلاك الظلمة من أجل النعم وأحقها بأن يحمد عليه لأن وجودهم
في الخلق بلاء وعناد وشرهم متعد ومفسدة دينا ودنيا
فتخليص المؤمنين من شؤم أعمالهم وعقائدهم خير عظيم ونعمة سنية
قل أرأيتم إن أخذ الله لما كان هذا التهديد أخف من التهديد

السابق اكتفى هنا بخطاب الضمير ولم يؤكد بحرف الخطاب كما أكده ثمة
سمعكم وأبصاركم أي أصمكم وأعماكم **وختم على قلوبكم** غطى عليها بما يذهب
فهمكم وعقلكم **من إله غير الله يأتيكم به** أي بذلك أجرى للضمير مجرى اسم
الإشارة أو بما أخذ وختم عليه أو بأحد هذه المذكورات **انظر كيف نصرف**
الآيات نكررها متنوعة تارة بالمقدمات والحجج العقلية وتارة بالوعد والوعيد
والترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال الأمم الماضية
ثم هم يصدفون يعرضون وثم لاستبعاد الإعراض عن الآيات بعد
تصريفها وظهورها ولذلك قدم الضمير على الفعل المضارع وصير
الجملة اسمية أي هم المنكر عليهم الآيات متنوعة لا غيرهم يجددون
الإعراض دائما مع تجدد التصريف فما أبعد حالهم عما فعلنا بهم **قل**
أرأيتكم لما كان التهديد شديدا جمع بين أداتي الخطاب **إن أتاكم**
عذاب الله بغتة أو جهرة لما كانت البغتة هجوم الأمر من غير ظهور أمارة
وشعور به تضمنت معنى الخفية فصح مقابلتها للجهرة وبدأ بها
لأنها أردع من الجهرة وإنما لم يقل خفية لأن الإخفاء لا يناسب شأنه
تعالى وقرئ بواو الجمع **هل يهلك** معنى الاستفهام النفي أي ما يهلك به
هلاك سخط وقهر **إلا القوم الظالمون** بالإعراض عن الآيات عنادا
لاستحقاقهم ذلك بإلزام الحجة وإزالة العذر وقرئ يهلك من هلك
وما نرسل المرسلين إلا مبشرين للمطيعين بالجنة **ومنذرين** للعاصين
بالنار وانتصابهما على الحال وفيهما معنى العلية أي أرسلناهم للتبشير
والإنذار لا لأن يقترح عليهم ويستهزأ بهم **فمن آمن وأصلح** أي طلب
إصلاحه مما شرع لهم **فلا خوف عليهم** من العذاب **ولا هم يحزنون** بفوات
الثواب **والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب** جعل العذاب ماسا كأنه
حي يطلب إيلامهم بالوصول إليهم واستغنى بالتعريف عن التوصيف
بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة **قل لا أقول**
لكم عندي خزائن الله جمع خزينة وخزانة وهي ما يخزن أي يحرز
ويحفظ بحيث لا تناله الأيدي وخزائن الله تعالى مقدوراته أي لا أملك
أن أفعل ما أريد مما تقترحونه وليس المراد التبري عن دعوى
الألوهية والاتكال لا أقول لكم إني إله كما قيل ولا أقول لكم إني ملك
وأيضا في الكناية عن الألوهية بعندي خزائن الله ما لا يخفى من البشاعة
بل هو جواب عن اقتراحهم عنه صلى الله عليه وسلم أمر بوسع عليهم خيرات
الدنيا **ولا أعلم الغيب** عطف على لا أقول فليس معمولا له بل للأمر ولذلك
احتيج إلى إعادة لا أقول في قوله **ولا أقول لكم إني ملك** فإنه على التقدير
العطف على عندي خزائن الله لا حاجة إلا الإعادة وإنما لم يأت فيه بنفيه

القول للفرق الدقيق بينه وبين قرينه وهو ان مفهومي عندي خزائن
الله وانّي ملك معلومان عند الناس فلا حاجة الي نفيهما انما الحاجة الي
نفي اعادتهما تبريا عن الدعوي الباطل بخلاف مفهوم لا اعلم الغيب
فانه كان مجهولا عندهم بل كان الظاهر من حاله صلي الله عليه وسلم الاطلاع
علي الغيب فلذلك لسئلوه الي الكهانة فالحاجة هنا الي نفيه ثم ان هذا
النفي يتضمن الجواب عند قولهم ان كنت رسولا فاخبرنا بما يقع في المستقبل
من المصالح والمضار فنستعد لتحصيل تلك ودفع هذه ونفي دعوي
الملكية تتضمن الجواب عن قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي
في الاسواق ان اتبع الا ما يوحى الي في الدعوي والاحكام والاخبارات
فقيه تتميم لما تقدم من نفي الامور الثلاثة وبيان ان منزلة الرسالة
التي هي اقصي المنازل البشرية قل هل يستوي الاعمي والبصير مثل
للضال والمهتدي والعالم والجاهل او المدعي المحال كالملكية ومدعي
الممكن الصحيح كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا كالبصير ولا تكونوا
ضالين كالاعمي او فتعلموا الي ما اعني الا ما يصح للبشر وان اتباع
الوحي واجب فتكونوا تبصر الاعمي انا وانذر به اي بما يوحي الذين
يخافون ان يحشروا الي ربهم هم المقرون بالبعث من المومنين المقصرين
في العمل او من اهل الكتاب او المترددين فيه كالمشركين المستعدين الذين
علم الله تعالي ان ينجع فيهم دون المنكرين الجازمين بانتفايه ليس لهم
من دونه ولي ولا شفيع في موضع النصب علي الحال من يحشروا او
يخافون ان يحشروا غير منصورين من احد من دون الله تعالي ولا
مشفوعا لهم لعلهم يتقون يحذرون سوء العاقبة فيعملون عمل
اهل التقوي او يومنون فيتقون وطا امر بالانذار غير المتقين ٥ ٥
ليتقوا امر باكرام المتقين وتقريبهم تكميلا لامر التحريض علي التقوي
بالترهيب والترغيب فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة
وقري ابن عامر وحده بضم الغين واسكان الدال واثبات الواو
بعدها وفيه انها معروفة ولو كانت نكرة لجاز فيها الاضافة كما
جاز غداة يوم الجمعة وقال ابو علي الفارسي الوجه الغداة لانها
تستعمل نكرة وتتعرف باللام واما غدوة فمعرفة ابدا وهو علم
صيغ له وقال ابن خالويه في توجيهه ان العرب تدخل الالف
واللام علي المعرفة اذا جاورها ما فيه الالف واللام لتزدوج الكلام
وقال الشاعر رايت الوليد بن اليزيد مباركا فادخل الالف
واللام علي اليزيد لما جاور الوليد ومنهم من قال انها انما تكون
معرفة اذا اردت بها رك وههنا لم يرد ذلك وكان التعريف حينا

وقال

وقال الجوهري سر علي فرسك غدوة وغداة وما نون من هذا
نكرة وما لم ينون فهو معرفة والعشي اي يعبدون الله تعالي دايما
فان المراد من الغداة والعشي الدوام علي اكثر استعمالهما وقيل يصلون
للصبح والعصر وقت دعوتهم بالغدوة والعشي لانها من الاعمال
الظاهرة وهي موقتة وادام ارادتهم فاستغرقت جميع اوقاتهم لانها
من الاحوال الباطنة وهي مويدة يريدون وجهه لا دنياهم كبرايها
ولا اعقابهم بعطايها والوجه يعبر به عن ذات الشي وحقيقته
والمراد بارادة وجه الله تعالي الاخلاص رتب النهي علي مواظبتهم
علي دعاء ربهم وعبادته مع الاخلاص اشارة الي انها الموجبة لا
كرامهم وان ملاك الامر في العبادة الاخلاص فلا تغتر بدونه لما
فضي لهم لسان المعارضة سكتوا منضرعين تقلوبهم بين يدي
الله تعالي داعين له بحسن الابتهال فتولي سبحانه وتعالي ٥ ٥
خصومتهم فقال ولا تطرد الذين الخ لا تشطط يا محمد الي حرفتهم علي
ظواهرهم وانظر الي حرفتهم في سرايرهم كانوا مسنورين فشهرهم
الله تعالي قال الامام ابو منصور ذهب عامة اهل التاويل الي
ان النبي صلي الله عليه وسلم هم بطرد فقرا المسلمين طمعا في اسلام
روسا المشركين فعاتبه الله تعالي في ذلك وانزل عليه هذه
الاية ولكنه تبعيد شنيع ينسبون النبي صلي الله عليه وسلم الي
اقبح فعل واوحشه ولا يجتهد ان يكون النبي صلي الله عليه وسلم
يقرب الاعدا ويبعد الاوليا ولو فعل ذلك لوجد الكفرة عليه
مطعنا يقولون يدعوا الناس الي الايمان والتوحيد والاتباع
فاذا فعلوا ذلك واجابوا طردهم وابعدهم هذا العري مدفوع
في عقل كل عاقل ولكن يجوز ان يكون طلب ذلك منه اوليك هو
فاما بهم هو به فلا ويجوز ان يكون هذا من الله تعالي ابتدا
تاديب وتعليم له في صحبة اصحابه رضوان الله تعالي عليهم
اجمعين ومعاملتهم واخبارا عن قدرهم عنده ما عليك من حسابهم
من شي وما من حسابك من شي كقوله ان حسابهم الا علي ربي
وذلك ان المشركين طعنوا في دينهم واخلاصهم وشهد الله تعالي
لهم بالاخلاص وقال لنبيه صلي الله عليه وسلم ما عليك من حسابهم
من شي كما لا عليهم من حسابك من شي اي لا يلزمك عتبار بواطنهم
واخلاصهم بعد ما اتسمهم بسيرة المتقين وصلاح ظواهرهم
انما ذلك علي الله وعليهم اخلصوا او لم يخلصوا الا عليك فعالهم
في ذلك بالنسبة اليك كحالهم بالنسبة اليهم سوا لا يتعدي ذنب احد

الي صاحبه كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فالجملتان في تادية
المعنى المراد بمنزلة جملة واحدة وقيل حساب رزقهم اي فقرهم وقيل الضمير
للمشركين اي لا يواخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم
فتطرد المومنين لاجلهم فتطردهم جواب النفي اي ما عليك شي من
حسابهم فتطردهم فتكون من الظالمين جواب النهي اي ولا تطردهم
فتكون من الظالمين وجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب
ولا يساعده المعنى فان الطرد انما يستقيم جوابا للنفي على تقدير ان يكون
حسابهم عليه وح لا يكون سببا للظلم الا ان يقدر فتطردهم بقول
المشركين وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم وهو اختلاف احوال
الناس في الدنيا فتنا بعضهم ببعض اي ابتلينا بعض الناس ببعض
فقدمنا فقرا المسلمين على اشراف قريش بالسبق على الايمان
ليقولوا اي ليقول المشركون اللام للعاقبة وان ضمن فتناهم
معنى خذلناهم فالتعليل على اصل القايلين بصحة تعليل افعاله
بالاغراض اي خذلناهم مفتونين ليقولوا فكان افتتانهم سببا
لهذا القول فانه لا يقوله الا مخذول اهولا اشارة الى
اوليك المومنين واستحقار لهم كقولهم اهذا الذي بعث الله رسولا من
الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم من بيننا بالتوفيق لما يسعدهم عنده
من الايمان اصابة الحق من دوننا ونحن الروسا والمقدمون وهم
الضعفا والعبيد وهو انكار منهم لان يكون امثالهم على الحق
وممنونا عليهم بالخير دونهم كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليس الله
باعلم بالشاكرين والاستفهام للتقرير اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان
والشكر فيوفقه لذلك وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين
يومنون باياتنا هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالمواظبة على الطاعة
ثم بالايمان بالله واياته من الحجج والبينات بعد النهي عن طردهم ثم امره
صلى الله عليه وسلم بقوله فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة
بان يبدا بالتسليم عليهم او يبلغ سلام الله تعالى اليهم ويبشرهم
بسعة رحمته وفضله عليهم وان الله تعالى التزم لهم ذلك ايذانا
بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك اوجب اعزازه
واكرامه وان يبشر من الله تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة
وقيل ان قوما جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا
عظاما فلم يرد عليهم شيا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا
استيناف بتفسير الرحمة وقرئ بالفتح على البدل منها بجهالة
في موضع الحال اي عمله وهو جاهل او متلبسا بجهالة ثم تاب من بعده

من

من بعد العمل السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود الى مثله
فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبر
اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل البين نفصل
الايات ايات القران في صفة المطيعين والمجرمين الاوابين منهم
والمصرين ولتستبين سبيل المجرمين استبان يجي لازما ومتعديا بالتبين
وقري بالتا والياء مع رفع السبيل لانها تذكر وتونث وقري بالتا ونصب
السبيل على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بما عطف على علة
محذوفة اي ليظهر الحق ولتستبين او علة لمحذوف اي ولتستبين
سبيل المجرمين نبين سبيل غيرهم منه ولم يعكس لان ذكرهم اهم والنفس
الى الترهيب اطوع منها الى الترغيب قل اني نهيت صرفت وزجرت
بنور فطري وصحا عقلي بما اوحي الي ونصب لي من الدلايل ان
اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من
دون الله تعالى وتدعونها الهة قل لا اتبع اهواكم تاكيد لقطع اطماعهم
واستجهال لهم واستركاك لعقولهم واشارة الى علة النهي وموجب
الامتناع عن متابعتهم وبيان تسبب ضلالهم وعدم تطرق نهجهم
وان ما هم عليه مجرد هوى فارغ من الدليل مخالف لمقتضى العقل ومعنى
قد ضللت اذا ان اتبعتكم فقد ضللت لانه مركوز في العقول ان كل من
اتبع الهوى فهو ضال وفيه تنبيه على ان كل من طلب الحق فليجتنب
الهوى وليتمسك بالحجة وليلزم طريق العقل فانه الهدى ثم اكده بقوله
وما انا من المهتدين على الجملة الاسمية الدالة على المنافاة الكلية
بين منافي الهوى والهدى مع المبالغة بنا على ان من المهتدين
ابلغ من مهتد وهو ابلغ من اهتدى وان العبد دخل النفي اي
وما انا من الهدى في شي ما دمت انا اتبعكم كذلك وفيه
غاية التنفير عن طريقتهم ولما بالغ في نفي كونه للهوى متبعا نبه
على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة البينة الحجة الواضحة
التي تفصل الحق عن الباطل فقيد الوضوح معتبر في مفهومها لا
مستفادا من التنكير وهي اعم من ان يكون وحيا او دليلا عقليا او
كشفا من ربي متعلق بالظرف او صفة لبينة اي اني من معرفة ربي
ووحدانيته على يقين وحجة واضحة وكذبتم به اي بربي حيث اشركتم
به غيره او بالبينة حملا على المعنى وهو القران ما عندي ما تستعجلون
به يعني العذاب الذي استعجلوه بقوله فامطر علينا حجارة من
السما او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تاخير العذاب لا الي
والا عجلته يقص الحق في كل ما يريده اليه من التعجيل والتاخير الحق

صفة للمصدر اي القضا الحق او مفعول به اي يصنع الحق من قولهم قضى الدرع
اذا صنعها فيرجع الي القران الثانية معنى قال الزجاج هذه كتبت ههنا
بغير يا على اللفظ لان اليا سقطت لالتقا الساكنين كما كتبوا سندع الزبانية
وقري يقص الحق اي يتبع ما هو الحق من قص اثره اذا اتبعه لانه من قصص
الخبر لعدم ملايمته في السياق واللحاق من الحكم والفصل وهو خير الفا
صلين اي القاضين واصل القضا الفصل بين الحق والباطل قل لو ان
عندي في قدرتي ووسعي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر
بيني وبينكم لاهلكتكم غضبا عاجلا لربي وانقطع ما بيني وبينكم
استعظاما لتكذيبهم اي انتم اذا كذبتم بما هو ابين شي احتما ان
يجايكم العذاب المستاصل لكنه لا قدرة لي ولو كان عندي اشد
العذاب لا وقعته معجلا والله اعلم بالظالمين فيستعجل عليهم بان
الشك الذي هم عليه اظلم الظلم والظلم موجب لاستحقاق العذاب
لكن الله اعلم بما يجب من عذابهم ويوقته وعنده مفاتح الغيب
المفتاح جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن الذي يفتح ويغلق او جمع
مفتح بكسرها وهو المفتاح ويويده قراءة من قرا مفاتيح استعار
المفتاح لما اودع فيه الغيب من خزائنه او لما يتوصل به اليه
وخصصت به بتقديم الظرف لانه لا اطلاع عليه ولا يمكنه التوصل
اليه لا يعلمها الا هو اي هو المطلع على مكامن غيبه وحده او هو
ما به يتوصل اليه كانه في مخزن مغلق ابوابه لا يعلم احد فتحها الا هو
اعني اسبابه التي توجب احداثه واظهاره في عالم الشهادة اي يعلم
وقاتها وما في تاخيرها وتعجيلها من الحكمة فيظهرها على ما اقتضته
مشيته بحسب حكمته وهذا الوجه انسب لما قبله قيل فيه دليل على
علمه تعالى بالاشيا قبل وقوعها ويرد عليه ان علمه تعالى ليس بزماني
فلا قبلية بينه وبين الاشيا الواقعة في الزمان ويعلم ما في
البر والبحر كما يعلم ما في الغيب كله يعلم ما في الشهادة كلها
وما تسقط من ورقة الا يعلمها اي هو المطلع تاكيد لعلمه
بالجزئيات مما في البر والبحر ولا حبة في ظلمات الارض اراد ظلمة
بطنها وظلمة داخل الشجر وظلمة جوف الثمر عبر بالحبة الموصوفة
عما هو في مبداء امره من حلقتي النامي وبالورقة الساقطة
عما بلغ منتهى شانه منه ولا رطب ولا يابس معطوف على ورقة
وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معناه
ومعنى الا في كتاب مبين واحدا ما اذا اريد بالكتاب المبين
علم الله تعالى فظاهر واما اذا اريد به اللوح المحفوظ فلان

كونه

كونه فيه كناية عن كونه من جملة معلوماته تعالى فهو ابدال منه في المعنى
وقريت بالرفع على العطف على محل من ورقة او على الابتدا والخبر الا في
كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل في وقت النوم وانما عبر عنه بالليل
وعن وقت الكسب بالنهار لانهما معظما اوقاتهما وخصهما بالذكر
عليهما هو المعتاد وقد استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما
في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشي بتمامه ويعلم ما
جرحتم بالنهار ما كسبتم فيه ومنه اطلاق الجوارح للاعضا الكاسبة
ولو اوجا اليه ناسقه والا لاخبر عن قوله ثم يبعثكم فيه في النهار
البعث الاثارة لا الايقاظ عما بتدبعث النايم يكون بايقاظه فلذا
ترشيح فيه للتوفي ليقضى اجل مسمى في علم الله تعالى وقضا
الاجل فصل مدة العمر من غيرها ويلزمه البلوغ الى نهاية تلك المدة
وهو المراد بقوله ههنا ثم اليه مرجعكم بالبعث بعد الموت والمراد
الرجوع الى موقف حسابه تعالى ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
من الخير والشر فهذا وعد ووعيد وقيل الخطاب للكفرة والمعنى انكم
ملقون كالجيف في الليل وكاسبون للاثام في النهار وانه تعالى
مطلع على اعمالكم يبعثكم في القبور في شان ما قطعتم به اعماركم
من الغفلة والمعاصي في الليل والنهار ليقضي المدة التي بها البعث
الموت وجزاهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم يخبركم باعمالكم
بالجزا وعلى هذا يكون الضمير في فيه عايدا الى مضمون كونهم
موفين وكاسبين ويكون في بمعنى لام التعليل والاجل المسمى
مدة الكون ولا يخفى ما فيه من التعسف المستغني عنه بما قدم
من الوجه الظاهر وهو القاهر فوق عباده قد مر تفسيره في هذه
السورة قدمه على ذكر ارسال الحفظة ليعلم ان ارسالهم لم يكن
لحاجة الى ذلك لان المحتاج لا يكون قاهرا بل الحكمة وهي ان يكون
العباد على حذر وهذا ابلغ في الزجر لان من علم ان عليه رقيبا
كان احذر بالحذر فان العبد اذا وثق بلطف مولاه واعتمد
على عفوه لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه
ويرسل عليكم حفظة الجمهور على انهم حفظة الاعمال وقيل انهم الذين
يحفظون انفاس الخلق ويعدونها الى وقت انقضائها ثم
يقبضون الروح يناسبه ما بعده وعليكم متعلق بيرسل كما في
قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار وهم لتمكنهم مما جعلوا له
مستولون علينا ونحوه متعلقه بحفظة اي حافظين عليكم حتى
اذا جا احدكم الموت اي اسبابه توفته قبضت روحه وقري بالف

عمالة رسلنا جاجمعا عني به ملك الموت واعوانه وفي عبارة رسلنا
اشارة الي ان ذلك بامره تعالى ولذلك اسنده الي نفسه في موضع اخر وقال
الله يتوفى الانفس حين موتها وهم لا يفرطون جملة حالية او استئناف
قرئ بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتاخير عن الحد والافراط
مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا الي الله
فيه التفات من الخطاب الي الغيبة ومن التكلم اليها وذلك لان الرد يناسبه
اعتبار الغيبة وان لم تكن حقيقة كانهم ما غابوا عن قبضته لحظة ولا
خرجوا عن حكمه نظرة ولا لفظة فالرد من البرزخ الي موقف العرض
للسؤال والجواب مولاهم الذي يتولى امرهم والمراد منه في قوله
تعالى وان الكافرين لا مولى لهم معنى المعين والناصر فلا منافاة
الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم
يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين اي لا يشغله حساب
عن حساب ولا لبث في السؤال والجواب قل من ينجيكم استفهام
بمعنى النفي وقرئ بالتخفيف من ظلمات البر والبحر من شدائدهما
استعيرت الظلمة للشدة للمشاركة بينهما وبين معنى الظلمة
في الهول وابطال الابصار فقيل اليوم الشديد يوم مظلم ومن جملة
تلك الشدائد الخسف في البر والغرق في البحر تدعونه تضرعا وخفية
مظهرين بلسان الضراعة وهي شدة الفقر والحاجة الى الشيء ومسرين
الطلب على وجه الاخلاص بالقلب او اظهارا واسرارا وقرئ خفية
بالكسر لئن انجيتنا وقرئ انجانا ليوافق قوله تعالى تدعونه من هذه
اشارة الي الظلمات لنكونن من الشاكرين جواب القسم المحذوف
ولا حاجة الي تقدير القول لدلالة تدعونه عليه قل الله ينجيكم منها
قرئ بالتشديد والتخفيف ومن كل كرب عبارة كل للمبالغة في التكثير
لمناسبة المقام فان كل نفس عند كل نفس في معرض الافات التي
لا تعد ولا تحصى والله تعالى ينجيها منها وهي نعمة الدفع فلما يتنبه
لها انسان والاولى نعمة الرفع وهي نعمة النفع ظاهرتان وتعذر
الخروج عن عهدة الشكر لعدم امكان التذكر لافراد النوع الاول
بتفاصيلها لا لان الشكر على النعمة نعمة اخرى ثم ان الكلام المذكور
على طريقة ذكر احد الفضلين وعطف متعلق المحذوف على المذكور
على حسب ما تقتضيه لفظة حتى كانه شريكه في اصل الفعل لحد الاتحاد
المتقاربين بجري الاخر كقولك تقلدت السيف والرمح الكرب الغم الشديد
اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر فالغم اذا اشتد يقلب النفس اثارة
ذلك ثم انتم تشركون اي لا تخلصون حين تخلصون ولا تشكرون

بل

بل تشركون وثم استبعاد لشركهم مع اقرارهم بانه لا يكشف الضر الا الله
تعالى ووضع تشركون موضع لا تشكرون مبالغة لان من يشرك بالله
تعالى فهو في غاية البعد من شكره قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا
ايهم هو الذي عرفتموه انه الكامل في القدرة الذي لا قدرة لاحد سواه ومعنى
الاية الوعيد باحد اصناف العذاب المذكورة من فوقكم كما امطر على
قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة او من تحت ارجلكم كما خسف بقارون
واغرق فرعون او من الجهتين معا كطوفان نوح عليه السلام وقيد
ارجلكم لقطع المجاز كما في تجري من تحتها الانهار ولك ان تقول اريد
بالاول ظلم السلاطين وبالثاني تسلط السفلة وبالثالث الهرج
والمرج ولما كان بين هذه الثلاثة منع الجمع بحسب العادة اتى باداة
التنويع او يلبسكم شيعا فرقا بان يخلط امرهم خلط شقاق لا وفاق
فيجعلهم مختلفي الاهوا ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا
نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن انظر كيف نصرف الايات
نحولها من نوع الي اخر من انواع الكلام تقريرا للمعنى وتقريبا الي الفهم
وقيل بالوعد والوعيد ولا يناسبه قوله لعلهم يفقهون وكذب به
اي بالقران قومك وهو الحق حال من الضمير في به او استئناف
اخبر بان القران الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم
امنعكم عن التكذيب اجبارا انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبا النبا
خبر ذو اخطر مستقر اي لكل شيء ينبا في القران وقت استقرار وحصول
لا بد منه وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا والاخرة وهذا
كقوله ولتعلمن نباه بعد حين واذا رايت الذين يخوضون في
اياتنا بالاستهزاء بها والطعن فيها والخوض اصله في الماء استعمل
بطريق الاستعارة في غمرات الاشياء التي هي مجاهل تشبيها لها بغمرات
الما فاعرض عنهم امره صلى الله عليه وسلم بعدم التوجه اليهم وترك
الاقبال عليهم وبلزمة النهي عن مجالستهم بطريق المبالغة
حتى يخوضوا الي ان يخوضوا في حديث غيره غير القران وليس
هذا من قبيل عود الضمير على الايات باعتبار المعنى من قبيل عوده
على ما علم من سياق الكلام واما ما زايدة بعد ان الشرطية وما
احسن مجيء الشرط الاول باذا التي هي للمحقق او غالب الوقوع
ومجي هذا الشرط بان التي هي للمشكوك ينسينك الشيطان وان
شغلك بوسوسته تلشي النهي عن مجالستهم وقرئ ينسينك
بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى فقم كما ذكرت مع القوم الظالمين
اي موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما على

المتقين الذين يجالسونهم من حسابهم مما يحاسبون عليه من ذنوبهم
واستهزائهم من شيء اي من كان تقي الثواب عن ارتكاب الآثام كان
بمعزل يوم الحشر عن ملاقاة الآثام ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى
اذا سمعوهم يخوضون فيه بالموعظة والنهي ثم اغتنام واظهار الكراهة
فذكرا نصب على المصدر ويجوز ان يكون مرفوع المحل اي عليهم ذكرى
لعلهم يتقون يجتنبون الخوض حيا او كراهة لمساءتهم ويجوز
ان يكون الضمير للذين يتقون اي لعلهم يثبتون على التقوى
ويزدادون منها ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم
يأباه لانه حال من شيء قدم عليه فصار قيدا للعامل فاذا عطف ذكرى
عليه كانت جهة التقييد معتبرة فيه بحكم الاستعمال في عطف المفرد
لا سيما بحرف الاستدراك فيؤول المعنى الى ان عليك من حسابهم
ذكرى وذكرى ليس من حسابهم وروي ان المسلمين قالوا لئن
كنا نقوم كما استهزءوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام
فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث
سخروا به او بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا ينفع فيه
اصلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او جعلوا عيدهم
الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض
عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم
كقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون اي
كلهم الى ما اختاروا فانا اعتدنا لهم من خفي المكر ما اذا احللنا بهم كشف
ما عليه خمار الغفلة وكشفنا عما الغفلة وكشفنا عنهم خمار الوهم
والجهلة ولا ضرورة في جعله منسوخا باية السيف لحمله على
الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا
اعتراض لبيان انهم انما بنوا امر دينهم على اللعب واللهو لان
الحياة الدنيا غرتهم حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقرآن
ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تمنع نفس من النجاة
وتسلم الى الهلكة والعذاب بسبب كسبها وترهن بسوء
عملها كقوله كل نفس بما كسبت رهينة او يفتضح بسوء
كسبها وعذابه كقوله وجوه يومئذ باسرة الابسال
والبسل المنع ومنه اسد باسل مانع ان تفلت فريسته
ويقال ابسل الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا
بسل ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب
وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية

لانها

لانها تعادل المفدي وكل نصب على المصدر يؤخذ في قوله لا يؤخذ منها
مسند الى منها لا الى ضمير العدل لا بطريق الاستخدام لان العدل ههنا مصدر
لوقوعه مفعولا مطلقا وهو ليس بماخوذ بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل
لانه المفدي به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي اسلموا الى العذاب
بسبب قبايح اعمالهم استعمل الابسال للاسلام الى العذاب لان المسلم اليه
يمنع المسلم لهم شراب من حميم بما شربوا من الشهوات وعذاب اليم بما تناولوا
من الشهوات بما كانوا يكفرون بهم بسبب كفرهم بين ماء مغلي يتجرجر في
بطونهم ونار تشتعل بابدانهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا
اي اطعناه ولا يضرنا ان عصيناه ونرد على اعقابنا اي نرتد عن ديننا
ونرجع الى ورائنا بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام
والمعنى انكار الرجوع الى الشرك بعد الاهتداء به الى التوحيد كالذي
استهوته الشياطين مردة الجن في الارض استهوى استفعل من هوى
في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هواه وحرصت عليه وزعم
ابو علي انه من الهوى اي القته في الهوى ويكون استفعل بمعنى
افعل نحو استزل وازل باباه ما بعده حيران تحير على الحال
ولم ينصرف لان انثاه حيرى كسكران وسكرى والحيران هو الذي
لا يهتدي لجهة حيرة له اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى الطريق
المستقيم سمي الطريق بالهدى تسمية بالمصدر للمبالغة ايتنا
يقولون له ايتنا واضمر القول لدلالة يدعونه على ذلك قل ان هدى الله
اي الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلالات وامرنا في محل النصب
عطفا على محل ان هدى الله على انه مقول واللام في لنسلم لرب العالمين
للتعليل اي وامرنا بذلك لنسلم وزعم الكسائي والفراء ان لام كي تقع في
موضع ان في اردت وامرت كما قال الله تعالى يريد الله ليبين لكم و
وقيل بمعنى الباء وقيل زائدة ويجوز بها عطف وان اقيموا الصلاة
واتقوه عليه كانه قيل بمعنى الباء وقيل وامرنا بان نسلم وان
اقيموا وعلى الاول معناه وامرنا بذلك الاسلام واقامة الصلاة
وتقوى الله تعالى فان ان المصدرية اذا دخلت على الامر ينسبك
منه مصدر ولا يلاحظ فيه معنى الامر وقيل موقع العلة موقع
المامور به فعطف على موقعه وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة
وهو الذي خلق السموات والارض بالحق في موضع النصب على الحال
اي قائما بالحق والحكمة ويوم يقول اي وحين يقول لشيء من الاشيا
كن فيكون ذلك الشيء ويوم منصوب بما دل عليه بالحق او بخلقنا بي
وتقوم بالحق يوم تقول او وخلق السموات يوم يقول قوله الحق

بياض

مبتدا وخبره فقدم فيه الخبر لا للحصر لانه لا يناسب المقام بل لكونه
الشايع في الاستعمال مثل عنده علم الساعة وقيل قوله على هذا الوجه
يجوز ان يكون فاعل فيكون الحق صفته اي ويوم يقول يا لحق يوم
يا مر كل شي بقوله كن فيكون ولا يخلوا عن تعسف او منصوب
بفعل الاستقرار على قوله الحق مبتدا ويوم يقول خبر مقدم كقولك
يوم الجمعة القتال او قوله مبتدا والحق خبره ويوم ظرف للقول او للحق
وله الملك يوم ينفخ في الصور يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله
لمن الملك اليوم او بدل من يوم يقول على ان كن فيكون بمعنى الاحيا
والبعث وقوله الحق وقوله يوم القيامة عالم الغيب والشهادة رفع
على المدح او هو عالم الغيب او خبر بعد خبر وهو الحكيم الخبير كالتذكرة للاية
واذ قال ابراهيم لابيه ازر وهو عطف بيان لابيه قال الفرا والزجاج
ليس بين النسابين اختلاف في ان اسم اب ابراهيم عليه السلام تارخ
والذي في القران يدل على ان اسمه ازر فكان ازر لقبا له قال ابن
الانباري قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به اشهر منه باسمه
فيجوز ان يكون ازر لقبا اطلق الاسم لشهرته فيخبر الله تعالى به
لذلك وقيل نعت مشتق من الازر ومنع صرفه للعجمة والعلمية
او للوصفية ووزن الفعل وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل
مضمر يفسره ما بعده اي تعبد اتتخذ اصناما الهة تفسير وتقرير
ويعضده قراة ازرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وسكون
الزاي ونصب الراء منونة على انه اسم صنم وتوجيهها على الاولان
كلاهما كان اسم صنم يعبده فلقب به للزومه عبادته او اطلق عليه بحذف
المضاف وقرئ بالضم على النداء وهو ظاهر في حذف المضاف لما في
ندا الابن اباه باسم العلم غلظة واستخفاف لا يليق بشان ابراهيم
عليه السلام الموصوف بنهاية الحلم المعروف بمحبة ابيه ورعايته
برشدك الى قوله اني اراك وقومك في ضلال مبين ظاهر الضلالة
حيث لم يقل انت وقومك في ضلال مبين رعاية لحسن الادب في مخاطبة
وكذلك نري ابراهيم مثل ذلك التبصير نبصر ابراهيم قد سبق ان اسم
الاشارة في مثل هذا المقام اشارة الى هذه الاراءة لا الى شي اخر يشبه
به هذه الجملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه ومعنى
الاعتراض بيان الارشاد والهداية بطريق الاستدلال الموصل
الى مرتبة الايقان الذي يكشف ضلال قومه ولذلك استحسن
انما جي بالاستقبال نري على الحكاية تصويرا وتعظيما وقرئ بالتا
ورفع الملكوت ومعناه يتضح دلايل الربوبية ملكوت السموات

والارض بالتا ورفع الملكوت ومعناه يتضح دلايل خلوقيه الملك وزيادة
التا للمبالغة ومعناه بملكه اي نريه ربوبيته تعالى للسموات
والارض وما يدبرهما وعلكهما به من عجايب الملكوت وليكون من الموقنين
اي وفعلنا ذلك ليكون من المحققين قيل اي ليستدل وليكون
ويا باه اللام والوا ولانهما لا يذكران بين الاستدلال وما يترتب عليه
فلما جن عليه الليل اي ستره بظلامه راي كوكبا قيل كان الكواكب
الزهرة او المشتري قال هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل لعلى
فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد وفي تقديم
الاعتراض المذكور تنبيه على هذا فانه لولا ذلك البيان لسبق الى
الوهم انه استدلال لنفسه واما بعد تقديمه فلم يبق ذلك الاحتمال
ومن ههنا تبين انه لا مجال لان يكون قوله فلما جن عليه الليل الخ
تفصيلا وبيانا لذلك لان ما ذكر طريق النظر والاستدلال الشايع
الرايج بين اصحاب الظواهر المقصور نظرهم على عالم الملك فلا يصلح
بيانا لحال من يترقى منه الى درجة الوقوف على سراير عالم الملكوت
والمشاهدة لاسرار الربوبية فتعين عطفه على قال ابراهيم فان
اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان
ينبههم عن ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والا
ستدلال فلما افل الافول الغروب قال لا احب الافلين الارباب
المتنقلين من حال الى حال المحتجبين بالغروب والانتقال فضلا
عن ان عبدهم فان التغير بالانتقال من مكان الى مكان من خواص
الاجرام المحتاجة الى الرب فلا يصلح للربوبية فلما راي القمر
بازغا مبتديا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل كانه غاب عن نظره
اولم يكن حين راه في ابتدا الطلوع بل كان في فور الجبل ثم طلع منه
او في جانب اخر لا يراه والا فلا احتمال لان يطلع القمر من مطلعه
بعد افول الكواكب ثم يغرب قبل طلوع الشمس قال لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين تنبيه لقومه على ان من اتخذ الافل
المتغير الها فهو ضال وان الهداية الى الحق انما يكون من فضل
الرب وعطائه وهذا طريق من يتلطف في البحث والارشاد
باظهار المناصحة لنفسه والمحاض النصح حيث اراد والمناصحة
ما اراد لنفسه ونسب الذم والتوبيخ الى نفسه لا يواجه
به الخصم ليكون ابعد من استغاظه وعناده واشد تليينا
لعريكته وكسرا لسورة شكيمته كما قال صاحب يس وما لي لا
اعبد الذي فطرني وفيه توبيخ قومه فلما راي الشمس بازغة

ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر او لانه لا فرق في غير لغة العرب بين
المذكر والمونث في الاشارة فاجري الكلام على قاعدة تلك اللغة في
مقام الحكاية وغير قاعدة العربية في مقام الاخبار واما قيل فكان
اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبه التانيث
فيرد عليه ان هذا الوجوب في الرب الحقيقي مسلم واما الذي فرضت
ربا للابطال باظهار ما فيه من الاوصاف النافية للربوبية فالوجوب
المذكور فيه ممنوع بل المناسب حينئذ اظهار علامة التانيث لما فيه
من الاشارة الى ما سبق له العبارة هذا اكبر من باب مرعات النصفة
ايضا مع الخصم ويحتمل ان يكون تجريد اسم الاشارة عن علامة
التانيث ايضا من هذا الباب كانه تعرض لما يخرجه ربا متجنبا
عما يمكن التحرز عنه مما يوهم بما لا يليق بشان الرب فلما افلت
قال يا قوم اني بري مما تشركون من الاجرام المحدثة المتغيرة
المحتاجة الى محدث ومدبر مغير وهذا صريح في ان الكلام مع القوم
وقد دل قوله لئن لم يهدني ربي على انه كان عارفا بان له ربا
يستحق العبادة ومنه الهداية وان قومه على الضلالة واشعر
بان محاجته كانت مع منكر مبالغ في الانكار حيث احتيج الى القسم
فان اللام في لئن موطئة للقسم وفي لاكونن جواب القسم لما تم
استدلاله وظهر بالحجة ولم يبق شبهة يتمسك بها الخصم صرح بالمقصود
واظهر التبري مما كانوا يشركون به عن اخرها والتوجه الى من دلت
عليه الممكنات المتغيرة من موجدها ومبدعها فقال اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
انما استدل بالافول دون البزوغ مع دلالته ايضا على
التغير والانتقال من حال الى حال لتعدد دلالته من جهة
الانتقال والاختفا وانتفا النورية ولانه لا مجال للاستدلال
بالبزوغ في الكوكب لانه راه في وسط السما حين قرر الاستدلال
وحاجه قومه خاصموه في توحيد الله تعالى ونفي الشركا عنه
قال اتحاجوني وقرئ بتخفيف النون في الله في وحدانيته
تعالى انكر مخاصمتهم فيها بعدما نهج عليهم بالبرهان كما اشار اليه
بقوله تعالى وقد هداني الى توحيده وكانوا خوفوه ان
معبوداتهم تصيبه بسوء فقال ولا اخاف ما تشركون به
اي لا اخاف معبوداتكم وقتا ما لانها لا تضر ولا تنفع الا ان يشا
ربي نصب على الظرف اي لا وقت مشية ربي شيئا يخاف من جهتها
مثل ان يصيبني مكروه من جهة الكواكب والشمس والقمر فان

كان

كان فذلك عنه تعالى لا منها وسع ربي كل شي علما اعتراض كالتعليل
للاستثنا اي لا اعلم والله احاط علما بكل شي فلا يبعد ان يكون في علمه
ان يصيبني مكروه من جهتها افلا تتذكرون ابعدما لخصته من الدليل
لا تتذكرون مؤداه وهو ان لا موثر الا الله تعالى او الفا للعطف على
مقدر اي اتخوفونني فلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد
والقادر والعاجز ثم تعجب من جهلهم بقوله وكيف اخاف ما اشركتم
ولا تاثير له في شي ولا تخافون انكم اشركتم بالله وانتم لا تخافون ما يوجب
كل الخوف وهو اشراككم بالله القادر على كل شي ما لم ينزل به باشراكه
عليكم سلطانا نهيكم ليهم فان اقامة الحجة على الشرك ممتنع وتعريض
بوجود الحجة على نفيه ولما دل الكلام على انهم يخافون المامون من
كل وجه وهم لا يخافون المخوف من جميع الوجوه قال فاي الفريقين
احق بالامن الموحدون ام المشركون ولم يقل فاينا انا ام انتم حفظا
للادب واحترازا عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف
منه ثم استانف جواب الاستفهام بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اي ولم يخلطوه بشرك كنسبة التاثير الى الغير بعد التصديق
بالله تعالى لما روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه
وسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله
فان الشرك لظلم عظيم وقيل معصية ويويد الاول كونه جوابا
للاستفهام من المشرك والموحد اولئك لهم الامن دون
غيرهم وهم مهتدون خاصة وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه
السلام من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون حجتنا خبر
تلك اتيناها ابراهيم الهمناها اياه ووفقناه لها على قومه متعلق
بحجتنا واتيناها خبر بعد خبر او جملة مبينة او حجتنا بدل واتيناها
خبر وعلى قومه متعلق بمحذوف دل عليه مفعول اتيناها اي اتيناها
حجة على قومه نرفع درجات من نشا في العلم والحكمة وقرئ درجات
بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال المرفوع
والمخفوض واستحقاق كل منهما بما فعل به ووهبنا له اسحاق
ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما هدينا ونوحا هدينا من قبل من
قبل ابراهيم عليه السلام وقوم نوح عليه السلام اول قوم عبدوا الا
صنام ووحدوا الله تعالى ففي عبارة من قبل اشارة الى ان فيه
اسوة حسنة لابراهيم عليه السلام واما عد هذا نعمة لابراهيم من
حيث انه جد وشرف الولد يتعدى فحقه ان يذكر نوح بعلاقته

لابراهيم كما ذكر بعده كذلك ومن ذريته الضمير لابراهيم عليه السلام
لان الكلام فيه ويونس عليه السلام ايضا من ذريته لما ذكر في جامع الاصول
انه كان من الاسباط في زمن شعيب عليه السلام ارسله الله تعالى الى
بنينوى من بلد الموصل ولا بعد في عد لوط عليه السلام من ذرية ابراهيم
عليه السلام باعتبار انه كان ابن اخيه هاجر معه الى الشام فلا ضرورة
داعية الى تخصيص البيان بالمعدودين في الاية الاولى والثانية
وعطف المذكورين في الثالثة على نوح عليه السلام وقيل لنوح عليه
السلام لانه اقرب وفيه انه يلزم خروج اسمعيل عليه السلام عن البيان في
ذرية ابراهيم عليه السلام داود وسليمان وايوب بن اموص من اسباط
اسحق عليه السلام ويوسف وموسى وهارون وكذلك ومثل ذلك
الجزاء العظيم الذي جزينا ابراهيم عليه السلام من رفع درجاته وكثرة
اولاده والنبوة فيهم نجزي المحسنين الذين احسنوا في عبادتنا
وزكريا ويحيى وعيسى هو المسيح ابن مريم عليهما السلام دل ذكره
على تناول الذرية لاولاد البنت والياس هو من سبط هرون عليه
السلام وقيل ادريس جد نوح عليهما السلام فيكون البيان
مخصوصا بمن في الاية الاولى كل من الصالحين كل من الكاملين في
الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي وفي توصيف
الانبيا عليهم السلام بالصلاح تنويه بشان تلك الصفة وتنبيه
على عظم قدرها كما في وصف الانبيا عليهم السلام والملائكة بالايمان
بان اوصافها لاشراف اشراف الاوصاف واسمعيل واليسع هو
يسع بن اخطوب وقرئ والليسع كضيغم وعلى القرائتين هو علم اعجمي
قيل ادخل عليه السلام كما ادخل على اليزيد في قوله رايت الوليد
بن اليزيد مباركا ويرده لزوم اللام له فالوجه ما قال ابن مالك
ما قارنت الى نقل كالنضر والنعمان او ارتجالا كاليسع والسموءل
فان الاغلب ثبوت ال فيه ويونس وهو يونس بن متى عليه السلام
ولوطا هو ما ران ابن اخ ابراهيم عليه السلام وكلا فضلنا
على العالمين بالنبوة على من ليس من الانبيا ولا بد من هذا القيد
كيلا يلزم تفضيل كل منهم على الاخر او تفضيل كل من المعاصرين
على الاخر ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم في محل النصب عطفا على
كلا او نوحا ومن للتبعيض لان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا
واجتبيناهم عطف على فضلنا وهديناهم الى صراط مستقيم تقرير
لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي
به من يشاء من عباده فيه دليل على ان الهداية بمشيئته تعالى

واما انه

واما انه متفضل بها تعبنا على عدم لزوم المشيئة لذاته تعالى وذلك غير ظاهر من كلام
ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وعلو درجاتهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون
لكانوا كغيرهم في بطلان اعمالهم بسقوط ثوابها عنهم اولئك الذين اتيناهم
الكتاب اي جنسه والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة
قد بينا الفرق بينها وبين الرسالة في سورة الاعراف فان يكفر بها اي
بهذه الثلاثة او بالاخيرة منها هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا
بها قوما هم موصوفوا اهل المدينة قال ابن عباس رضي الله عنهما ومعنى توكيلهم
توفيقهم للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشي ليقوم به
ويتعهده يعني المراعاة داخل في مفهوم التوكيل ليسوا بها بكافرين الباء الاولى
صلة الكافرين والثانية لتوكيد النفي اولئك الذين هدى الله الاشارة
الى الانبيا المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده تقديم فبهداهم للتخصيص
اي فاختص هداهم بالاقتدا ولا تقتد الا بهم والمراد بهداهم الايمان
والتوحيد واصول الدين مما اشترك الكل فيه دون الفروع من الشرائع
المختلفة والاديان فانها تختلف بحسب الازمان بقي قسم اخر وهو
الفروع من المتفق عليه كالصوم والصلاة وحرمة الكذب والزنا فيدخل
هذا القسم من الفروع مع الاصول تحت مطلق الهدى من المشترك المضاف
الى الكل فيصلح متمسكا في الجملة لمن قال انه صلى الله عليه وسلم كان
متعبدا بشرع من قبله والها في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج
ساكنة اجرى الوصل مجرى الوقف ووجه اشباعها ان تجعل كناية
عن المصدر قل لا اسئلكم عليه اي على التبليغ اجرا جعلا من جهتكم و
كما لم يسئل الانبيا عليهم السلام السابقون قيل وهذا من جملة ما
امر بالاقتدا بهم فيه وفيه اعتراف بعدم اختصاص الهدى المذكور
بالاصول فالاوجه لنفي التمسك لما ذكره ان هو اي التبليغ او القران
الا ذكرى للعالمين تذكرة وعظة وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه
حق معرفته في الرحمة على عباده والانعام عليهم ببعثة الرسل وانزال
الكتب او في السخط على الكافرين والبطش بهم حين انكروا الوحي
والنبوة واقدموا على تلك المقالة العظيمة اذ قالوا ما انزل الله على
بشر من شي والقائلون هم اليهود بدليل الزامهم بانزال التورية
على موسى عليه السلام وقيل القائلون قريش وانما الزموا بانزال
التوراية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا
يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس نورا وهدى
حال اي جامعا بين كونه نورا يتبين به الاحكام والشرائع

وبين كونه هدى للناس الى التوحيد والمعاد تجعلونه اعتراض لبيان سوء حملهم
للكتاب وفعلهم به ما ينافي كونه نورا وهدى للناس توبيخا لهم وتجهيلا قراطيس
ورقات متفرقة ليتمكنوا من تغييرها على ما قصدوا من الابداء والاخفاء تبدونها
وتخفون كثيرا قراءة الجمهور تجعلونه قراطيس وتبدونها وتخفون نعتا
لكلامهم والزاما لهم وقرا بعضهم بالياء التحتانية حملا على ما قالوا وما قدروا
وليتضمن الالزام توبيخهم على تحريف التورية وتحريفها وابداء بعض واخفاء
بعض وعلى هذا التفت الى الغيبة تبعيدا لهم بسبب فعلهم القبيح ثم التفت
ثانيا الى الخطاب تنبيها على ان الغايبين هم المخاطبون وما احسن الالتفاتين
حيث اريد نسبة القبيح اليهم اعرض عنهم حتى لا يواجهوا به وحيث لنسبت
اليهم الحسن وهو علم ما لم يعلموا به خاطبهم به وعلمتم خطاب لليهود اي
على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم مع كونكم حملة الكتاب
ولا اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم من الحكم والمواعظ والقصص
زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم لقوله تعالى ان هذا القرآن
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وعلى العنوان الثاني الخطاب
لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله امر بالجواب عنهم
اشعارا بان الجواب متعين لا يلتبس انزله حذف الخبر لدلالة انزل في
السوال عليه لكنهم بهتوا محجوبين ملزمين لان الكلام نصا لا الزام اي لا كلام
الا هذا ولهذا يسمي كلامهم غير هذا خوضا في الباطل اي هواه وهذيانا به
وسماه لاعبين لان الكلام الذي ليس بنافع ولا معقول لعب ومعنى ذرهم
لا عليك بعد الزام الحجة ان لم يسكتوا فاتركهم يلعبون حال من ذرهم وفي خوضهم
صلة له او ليلعبون او حال عنه او من خوضهم وهو صلة لذرهم وهذا اي القرآن
والتعظيم الذي قصد بذلك في قوله تعالى ذلك الكتاب ما حصل من تنكير
كتاب فحصل التعادل بين القولين انزلناه مبارك كثير المنافع الثابتة
والفوايد لنا فيه فان البركة ثبوت الخير على الازدياد مصدق الذي بين
يديه من الانجيل وساير الكتب الالهية المخبرة عن رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم
والمبشرة عن بعثته ومرجعه الى تصديقه عليه السلام في دعوى النبوة
وهو من المقاصد الاصلية من انزال القرآن ولتنذر عطف على ما دل
عليه صفة الكتاب اي للبركات وللتصديق وللانذار الذي يذكره عقيب
مقابله وخصه بالذكر لعمومه وقيل يجوز عطفه على ضمن الوصف
اي كتاب مبارك وكاين للانذار وعطف الظرف على المفرد وفي باب الصفة
والخبر كثير او علة لمحذوف اي ولتنذر انزلناه وقرئ بالياء والضمير للكتاب
ام القرى اهل مكة وانما سميت به لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومكانت
اول بيت وضع للناس ولانها اعظم القرى شانا ومن حولها من العرب

وانما

وانما خصهم بالذكر مع ان اصل الانزال للانذار العام لان نزوله عربيا لاجلهم على ما افصح
عنه في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها والذين
يومنون بالآخرة يومنون به لان التصديق بالآخرة يحمل صاحبه على النظر
والتدبر خوف العاقبة حتى يومن بالكتاب وبالنبي صلى الله عليه وسلم ويحافظ
على الطاعات وهم على صلاتهم يحافظون المراد بالمحافظة على الصلوة
المحافظة على الطاعات كلها وانما خص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين فارق
بين الكفر والاسلام ناهية عن الفحشاء والمنكر فمن واظب عليها واظب على كلها
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان بعثه تعالى نبيا كمسيلمة كذاب اليمامة
والاسود كذاب صنعاء او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ونابعيه او قال
اوحي الي ولم يوح اليه شيء هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان
يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما املي عليه حتى اذا بلغ قوله ثم انشاناه
خلقا اخر تعجب عبد الله من اطوار خلقة الانسان فقال فتبارك الله
احسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبه فكذلك نزلت فشك عبد الله
وقال لان كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولين كان كاذبا لقد
قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة
ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالنضر بن الحارث واشباهه حيث
قال لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون اللام اما للعهد
والاشارة الى المذكورين من اليهود والمتنبئة وساير المدعين واما للجنس
ودخل هولا تحته دخولا اوليا وحذف جواب لو وهو لرايت امرا عظيما
ايما الى انه لا يمكن وصفه لشدته وحذف مفعول ترى لدلالة اذ
الظالمون عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت اصل الغمرة
ما يغمر من الماء فاستعير للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم
اليهم حال اخرجوا انفسكم اي تقدير القول اي يقولون اخرجوا
ارواحكم الينا من اجسادكم وقيل باسطوها بالعذاب اخرجوا انفسكم
خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص تشبيه لهم بالطالب
المعنف والغريم الملد الذي لا يمهل ولا يخفف بل يلح ويبرح تصويرا
لعنفهم في ازهاق الروح والغلظ في المطالبة والعنف من غير تنفيس و
بالمواخذ الباطش القايل لاسيره ثم كما خلص نفسك عن مريد تعجيزه
وانه لا يقدر على الخلاص البتة اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت
الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اضافة العذاب
الى الهون وهو الهوان لافادة الاصالة فيه والتمكن والعراقة كما تقول
رجل سوء بما كنتم تقولون بسبب قولكم على الله غير الحق كنسبة الولد
والشريك ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون

وباستكباركم عن الآيات فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى
منفردين عن اموالكم واولادكم وهو جمع فرد والجمع فريد كفرين وفرادى ورديف
وردافى والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادا بالتنوين كرخال وفيه انه
بالضم اسم جمع وبالكسر جمع رخل بكسر الخاء وقد يقال الرخال بالضم انه جمع واما
تجوزا واما الغالب لكسرة ضمة وقرئ فراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم
اول مرة صفة لمصدر اي مجيئا مثل خلقنا لكم اول مرة او صفة لفرادى
او بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وحال ثانية او حال
عن ضمير فرادى اي مشبهين ابتدا خلقكم عراة حفاة غرلا بهما وانتصب
اول مرة على الظرف وتركتم ما خولناكم اعطيناكم وتفضلنا عليكم به في
الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم مبالغة في الترك وعدم الانتفاع
به بحيث لا يمكنه النظر اليه وما نرى معكم شفعاءكم صرح في انه يحال بينهم
وبينهم ابتدا والاستفسار عنهم عند ذلكم انهم يحجبون معهم على ما افصح
عنه قوله تعالى اذا الذين اشركوا اشركاهم وقد مر ما يتعلق بهذا في هذه
السورة الذين زعمتم انهم فيكم شركاء في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم شركا
لله لقد تقطع بينكم والمعنى وقع التقطع بينكم اكثر القراء رفع بينكم على
اسناد الفعل الى الظرف على الاتساع كما يقال قوتل خلفكم وامامكم ومن
نصب فعلى تاويل اسناد الفعل الى المصدر كما تقول وقع التقطع بينكم
كما يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما واصله لقد تقطع ما بينكم وقد
قرئ به وقيل ان البين مصدر وهو من الاضداد يجي بمعنى الفصل والوصل
فمعناه تقطع وصلكم وتشتت جمعكم ولايا باه قراة النصب اذ ح تكون
حركته حركة بنا لاضافته الى المبني وهو ضمير الخطاب فيكون فاعلا
لتقطع فتستوي القراتان وضل عنكم ما كنتم تزعمون انها
شفعاوكم برشدك الى هذا قوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون
ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر اخبر عنه بشق النواة
مع شدتها وصلابتها وتخرج منه نبتا اخضر لينا ما لو اجتمع كل الخلائق
على اخراج مثله ما قدروا عليه وقيل المراد به الشقاق الذي في النواة
والحنطة مثلا يخرج الحي من الميت جملة مبينة لما قبله لان فلق الحب
بالنبات والنواة والشجر اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الاحيا
لقوله تعالى يحيي الارض بعد موتها الا انه اعم ليكون كالدليل ومخرج
الميت من الحي ما لا ينمو من النطفة والحب من الحي من الحيوان والنبات
وذكره بلفظ الاسم حملا على فالق ذلكم الله اي ذلكم القادر على كل الامور
العجيبة هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه
الى غيره وفيه دلالة على ان هنا كصارفا لهم عن مقتضى فطرتهم وانه

غير الله

غير الله تعالى فالق الاصباح شاق ظلمة الاصباح وهو الغلس في اخر الليل
الذي على الافق عن الصبح او شاق عمود الصبح عن بياض النهار يقال
انشق عمود الصبح وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق والاصباح
في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح
الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا
السكن ما يسكن به التعب ويسكن اليه للاستراحة فيه ونصبه
بفعل دل عليه جاعل لا به لانه فيه بمعنى المضي ويعضده قراة وجعل
الليل حملا على المعنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق وكذلك قرئ به
او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة وما يقال انه لما بعد بمعنى
المضي عن شبه الفعل لخفي الاستمرار اولى ليس بشي لان شبهه الخاص
انما هو بالمضارع وباعتباره يعمل ولهذا يشترط معنى الحال والاستقبال
الذي هو حقيقة المضارع عند الجمهور وللمضارع قد يجي بمعنى الاستمرار
كثيرا فاسم الفاعل بالاستمرار لا يبعد عن شبه الفعل بخلاف معنى المضي
وعلى هذا التقدير يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل
والاحسن نصبهما على اضمار فعل دل عليه جاعل وقرئ بالجر عطفا على
الليل ولا دلالة فيه على ان نصبهما عطفا على محل الليل حتى يتانى في حسن نصبهما
على اضمار فعل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشمس والقمر
مجعولان حسبانا اي جعلا حسبانا او جعلهما على حساب لان حساب
الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما يعني علمه وان يختلفه بحسبهما الاوقات
ويكونان علمي الحسبان وعلى قراة الجر نصب حسبانا بفعل مقدر اي
جعلا كما مر في سكنا والحسبان كالكفران مصدر حسب بفتح العين
واما مصدر حسب بالكسر فالحسبان كالغفران ذلك اي جعلهما حسبانا
يعني ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما
وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما على الادوار المختلفة وهو
الذي جعل لكم النجوم اجمال اي خلقها لاجلكم فان لكم فيها منافع وهو
دليل اضماره في انا من فالق الحب وجاعل الليل والشمس والقمر لانه في
معرض الامتنان وتعديد النعم على الانسان لتهتدوا بها ثم بين
بافراد بعض منافعها بالذكر اشارة الى انه اكثر منافعها بالذكر
واحكمها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافها
اليها للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة
قد فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا وانما قال لقوم يعلمون
لما علمت ان ذلك التفصيل في معرض الامتنان وهو لا يكون الا للعالم
به لما امتن به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام

فمستقر ومستودع فلكم استقرار في الرحم او فوق الارض واستيداع في الصلب
او تحت الارض وقال ابن الحنفيه المستقر الصلب والمستودع الرحم ٥
لتقديم ذكره على المستودع او فلكم محل استقرار واستيداع وعلى قراة كسر
القاف فمنكم مستقر اسم ومنكم مستودع اسم مفعول لان الاستقرار منا
دون الاستيداع وهو جعل الشي في الشي للاحتياط به قال الحسن المستقر من
مات والمستودع انتم وانشد في الاخيرة الاحبة قبلنا فانا لناس مجموع
به ومجمع مستودع او مستقر فيه خلا فالمستقر بزوره المستودع وكان
يقول يا ابن ادم انت وديعة في اهلك ويوشك وما المال والاهلون الا
وديعة ولابد يوما ان ترد الودايع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون
فرق بين الفاصلتين فذكر مع ذكر النجوم والاهتدا بها يعلمون لظهور
امرها ومع انشا الخلق من نفس واحدة يفقهون لان تعريفهم بين اطوار
واحوال مختلفه يحتاج الي دقة نظر وروية وهو الذي انزل من السما ما
من جانبها او من السحاب فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالما نبات
كل شي نبت كل صنف من اصناف النامي وفيه ايما الي عجيب صنعه
وبديع خلقه من كون السبب واحدا والمسببات اشيا مختلفه كقوله يسقى
بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات
خضرا شيا غضا اخضر وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة
نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها الطلع
او ما يخرج من النخلة في اكمامه قنوان وهو الاعذاق جمع قنو مبتدا
ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصله من طلع النخل
قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ونخرجه
من طلع النخل قنوان ومن قرا يخرج حب متراكب عطف قنوان على حب وقرا
بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية
قريبة التناول لان النخل نمر على قصرها او قريبة بعضها من بعض
وصف القنوان بالدانية لان النعمة فيها اكثر واهنا واستغنى بها عن ذكر
مقابلها كقوله سرابيل تقيكم الحر وجنات من اعناب بالكسر في محل النصب
عطف على نبات كل شي وقرى بالرفع على الابتدا اي ولكم او وثمة جنات
من الاعناب او مع النخل ويجوز عطفه على قنوان ولا يلزم ان يكون ه
المعنى ومن النخل جنات من اعناب اذ يكون من اعناب عطفا على
قنوان ولا يلزم ان يكون على معنى النخل فيصير من عطف مفرد على
الابتدا واخر على خبره وقدم الظرف في المعطوف عليه للتخصيص
واخر في المعطوف لعدم الاختصاص بالجنات غايته ان المعطوف
على المبتدا يكون نكرة غير مخصوصة ولم يعرف منع ذلك كيف وقد

قال الشاعر عندي اصطبار وشكوى عند قاتلتي فهل باعجب من هذا امر سمعا
والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على المدح لعزة هذين ..
الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال وتقديره والزيتون متشابها
وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا اي بعضه متشابه
وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم والشكل وذلك دليل القدرة
وقرى متشابها والاشتباه والتشابه بمعنى واحد وكذا الاشتراك
الافتعال والتفاعل بمعنى انظروا الى ثمره الى ثمر كل واحد من ذلك وقرى
بضم الثاء جمع ثمرة كخشب وخشبة او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا
اخرج ثمره نظر استبصار واعتبار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره
وناقله من حال الى حال كيف يخرج ضئيلا حتى لا ينتفع به وينعه والى حال
نضجه او الى نضجه كيف يعود جامعا للمنافع وملاذ والينع مصدر ينع
بفتح اليا في لغة اهل الحجاز وضمها في بعض لغة نجد يقال ينعت الثمرة
اذا ادركت ونضجت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرى بالضم وهو لغة
فيه وبانعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون اي لايات دالة على وجود
قادر حكيم وتوحيده بمعنى نظر واعتبر وظهور الايات لا ينفع الا من
قدر الله تعالى له الايمان فنبه على ذلك بتوصيف القوم بالايمان
فهو من قبيل هدى للمتقين ولما ذكر ما دل على صانع قادر حكيم لا ند له
ولا ضد فبح من اشرك به او استعظم ذلك فقال وجعلوا لله شركا
الجن لله شركا مفعولا ان لجعلوا والجن منصوب بمحذوف وجوابا عن
سوال كانه قيل من جعلوه شركا لله فقيل الجن او بدل من شركا او شركا
الجن مفعولاه ولله متعلق بجعلوا او حال من شركا وشركا ثاني ه
مفعوليه وقرى الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل اي هم الجن وبالجر
على الاضافة للتبيين وفايدة تقديم الله استعظام ان يكون لله
شركا اي شي كان جنيا او انسيا او غير ذلك وكذا فايدة تقديم شركا على الجن
والظاهر ان المراد به الملايكة وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم ويجوز ان
يراد بالجن الشياطين لانهم اطاعوهم كما يجب ان يطاع الله تعالى وعبدوا
الاوثان بتحريضهم وتسويلهم فهم عبدوهم في الحقيقة وقيل المراد به الثنوية
القايلون بيزدان واهرمن الذين زعموا ان الله تعالى خالق كل خير
ونافع وابليس خالق كل شر وضار وخلقهم اي الجاعلين معناه وقد
علموا ان الله تعالى خالقهم دون الجن فكيف يجعلون من لا يخلق ه
شريك الخالق او الجن يعني وخلق الله الجن فكيف يجعلون مخلوقه
شريكا له وقرى وخلقهم بسكون اللام عطفا على شركا على الوجه
الاول اي اختلافهم للافك بمعناه وجعلوا لله افتراهم وهم ما نسبوا

قبايحهم الى الله تعالى في قولهم ان الله حرم هذا وقولهم والله امرنا بها وامثال ذلك
وخرقوا له افتعلوا الافك يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى
ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا اشقه اي اشتقوا له بنين وبنات
وقرئ وخرّقوا بالتشديد للتكثير لقوله على الجمع وقرئ وحرفوا له اي
وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل وهو قول
اهل الكتابين في المسيح وعزير عليهما السلام وقول قريش في الملائكة
بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه اي قولا عن جهالة وعمى من
غير فكر وروية وهو في موضع الحال اي خرقوا متلبسين بالجهالة او
المصدر اي خرقا بغير علم ولما ذكر اثباتهم الشركاء له تعالى واختلاقهم
بنسبة ما لا يجوز نسبته الى الله تعالى نزهه عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى
عما يصفون وهو ان له شركاء او ولدا بديع السموات والارض من اضافة
الصفة الى فاعلها اي بديعة سمواته وارضه او الظرف اي بديع فيهما
بمعنى عدم النظير فيهما كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه وقيل
بمعنى المبدع وقد مر ان فعيلا بمعنى المفعل كأليم وحكيم وهو خبر مبتدا
محذوف اي هو بديع او مبتدا خبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف
يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر صفة لله تعالى او بدلا من ضمير
سبحانه وبالنصب على المدح ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ
بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو
بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما قال بكل شيء ولم يقل به لان الاول
اختص بالمخلوق فيه وفي الاية استدلال على نفي الولد من وجوه احدها
انه تعالى مبدع الاجسام كلها لا يكون جسما والولادة انما تكون
من صفات الاجسام فلم يكن له ولد وثانيها ان الاجسام مبدعة والمبدع
هو الذي لا يوجد من مادة والولد لا يكون الا من مادة شخص والمبدع
ليس بنوع وثالثها ان الولد لا يكون الا عن زوجة تجانس الوالد وهو
غير مجانس فلا زوجة له فلا ولد ورابعها انه تعالى خالق الكل والمخلوق
ممكن محتاج الى الخالق والخالق واجب مستغن فلا يشابهه شيء من
خلقه وخامسها انه تعالى عالم بكل شيء لذاته ومن عداه ليس كذلك
بالاجماع فلا يجانسه غيره والولد انما هو مجانس للوالد فلم يكن
له ولد ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو
مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
ويجوز ان يكون البعض خبرا والبعض بدلا او صفة فاعبدوه
مسبب عن مضمون الجملة اي من استجمع هذه الصفات وجب عبادته
ولا تحق العبادة الا له وهو على كل شيء وكيل اي هو مع تلك الصفات متولي

امورکم

اموركم فكلوا اليه اموركم وتوسلوا اليه بعبادته يجازيكم بها لا تدركه لا
تحيط الابصار واذ لم يحط به الكل فعدم احاطة كل واحد منها به بطريق
الاولى وهذا هو الوجه للعدول عن المفرد الى الجمع واذا كان المنفي الادراك
الخاص فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية واما الجواب عنه بتخصيص
الحكم ببعض الاوقات او ببعض الاشخاص فلا يتحمله الكلام على الوجه
المذكور المناسب للمقام والابصار جمع بصر وهو حاسة العين اي
قوتها التي بها تدرك وقد يطلق على العين مجازا وهو يدرك
الابصار يحيط بها علما وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدرك
بالبصر ويجوز ان يكون الاول ناظرا الى قوله لا تدركه الابصار والثاني
الى قوله وهو يدرك الابصار كانه قيل لا تدركه الابصار لانه
اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير بكل خفيه وجليه والمراد من
اللطيف ما لا يتعلق به حاسة النظر لعدم حظه من الكثافة بطريق
الاستعارة قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي نور
للقلب يدرك به الحق ويستبصر وهي للقلب بمنزلة البصر للعين سميت
بها الدلالة لانها يجلى بها الحق ويتبصر بها فمن ابصر اي ابصر الحق
بهذه الدلائل وامن به فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي اي
عمي عن الحق وانكره فعليها عمي واياها ضر اذ ليس وباله الا عليها
وهذا الكلام وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا
عليكم بحفيظ واما انا عليكم برقيب احفظ اعمالكم واجازيكم بها بل
الله هو الحفيظ وما انا الا منذر وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك
التصريف نصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست
علة فعل محذوف اي وليقولوا درست نصرفها واللام للعاقبة
كذا قالوا والظاهر انها لام الامر والفعل مجزوم بها لا منصوب
باضمار ان ويؤيده قراءة من قرا بتسكين اللام والمعنى عليه متمكن
كانه قيل ومثل ذلك نصرف الايات وليقولوا هم ما يقولون
وهو امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بهم وبما يقولون
والدرس استمرار التلاوة وقرئ دارست العلماء ودرست من
الدروس قد منت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير الاولين
وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء
للمفعول اي قرئت هذه الايات او عفيت ودارست بمعنى درست
او دارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لان اليهود
وكانت مشهورة عندهم بالدراسة ويجوز ان يكون الضمير للايات
والمراد اهلها وهم اهل الكتاب ودرس محمد صلى الله عليه وسلم

ودرست اي عفت ودارست اي قدمت او ذات درس كعشرة ماضية ولنبينه
اللام للتعليل على الحقيقة او بطريق الاستعارة على اختلاف الاصلين في جواز
ان يكون فعل الله تعالى معللا بالغرض ولتعبد الضمير مفردا على معنى الآيات
وهو القرآن ولما كان التنويع اعتبر فيه وحدة المعنى كان التوحيد الضمير
هنا باعتبار المعنى موقع حسن لقوم يعلمون وجه التخصيص ما ذكر
في قوله لقوم يوقنون اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو
اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي وحال مؤكدة من ربك بمعنى متفردا في
الالوهية واعرض عن المشركين اي لا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت اليهم ومن جعله
منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولا ضرورة فيه ولو
شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا دليل على ان الله تعالى لا يريد ايمان
الكفار وان مراده تعالى واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا
وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
اي لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله ليست
سبكم لان يسبوا الله فيه تلوين الخطاب بالعدول عن خطابه صلى
الله عليه وسلم وحده الى الخطاب في ضمن الكل في مواجهته عليه السلام بما
ذكر من اخلاق ما كان عليه من الاخلاق الكريمة اذ لم يكن فاحشا ولا سبابا
قال الامام ابو منصور كيف نهانا الله تعالى عن سب ما يستحق السب
لئلا يسب من لا يستحقه وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قتلونا وقتل
المؤمن بغير حق منكر وكذا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحي والتلاوة
عليهم وان كانوا يكذبونه ثم قال في جوابه ان السب لاولئك مباح غير
مفروض وقتالهم فرض وكذا التبليغ وما كان مباحا فانه ينهى عما يتولد
منه ويحدث وما كان فرضا لا ينهى عن المتولد منه وعلى هذا يخرج
الفرق لابي حنيفة فيمن قطع يد قاطع يده قصاصا فمات منه
فانه يضمن الدية لان استيفاء حقه مباح فاخذ بالمتولد منه والامام
اذا قطع يد السارق فمات لم يضمن لانه فرض عليه فلم يؤخذ
بالمتولد منه الى هنا كلامه وعلى هذا لا دلالة في الآية على ان الطاعة
الواجبة يجب ان تترك اذا ادت الى معصية راجحة كالنهي عن المنكر
يجي ههنا شي وهو انهم كانوا مقرين بالله تعالى وعظمته وان الاصنام انما
تعبد ليكونوا مقربين شفعاء عند الله تعالى فكيف يسبونه
واجيب عنه بانهم لا يفعلون ذلك صريحا لكن ربما يفضي فعلهم الى ذلك
كما قالوا اترك شتم آلهتنا والا شتمناك ومن يامرك بذلك ويعضد
ذلك قوله عدوا بغير علم اي تجاوزوا عن الحق الى الباطل عن جهالة حال
او بعادين او مفعول له اي لعدوانهم او مصدر للنوع اي سببا

عدوا

عدوا وقرئ عدوا بضم الدال وتشديد الواو وربما قررناه تبين الخلل فيما
قيل انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا
او لنهجون الهك فنزلت فان عبارة يهجون تأبى عن ذلك وبل المذكور في
وقد ذكر في التيسير سبب النزول على وفق ذلك التأويل كذلك زينا لكل امة
عملهم اي مثل ذلك التزيين العظيم وهو تزيين سب الله تعالى زينا لكل امة
من امم الكفار سوء عملهم بالخذلان والتخلية بينهم وبين اعمالهم حتى تزيينت
لهم وقيل هو عام اي زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه
ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويقوي الاول كون الكلام في الكفار
والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم والتهديد بقوله ثم الى ربهم
مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمجازاة والمعاقبة واقسموا بالله
جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي جاهدين ايمانهم جهدا وانما
اقسموا بالله تعالى مؤكدين تحكما على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طلب الآيات وتنزلا وعدم الاعتداد بما انزل منها التي جاءتهم
الا من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله لا عندي اي هو
القادر عليها لا انا فكيف آتيكم بها وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون استفهام
انكار للسبب مبالغة في المسبب اي لا تدرون ايها المؤمنون ان الآيات
المقترحة اذا جاءتهم لا يؤمنون بها بل انا اعلم بذلك يعني ان سببه عدم
انزال الآية التي يقترحونها علم الله تعالى بانها اذا جاءت لا يؤمنون
بها وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم ويتمنون مجيئها ليؤمنوا
فاجيبوا بذلك ويدل عليه قوله تعالى كما لم يؤمنوا به اول مرة ومنهم من
جعل لا مزيدة في القراءة بالفتح وقرئ لا تؤمنون بالتاء على ان الخطاب
للمشركين وما يشعركم اي وما يعلمون ان قلوبهم اذا جاءت كانت
كما كانت مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها وقيل انها بمعنى لعلها من
قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما ويؤيده قراءة ابي رضي الله عنه
لعلها وقرئ بالكسر على ان وما يشعركم كلام قد تم اي وما يشعركم
ما يكون منهم ثم ابتدأ في علمهم بقوله انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة
ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام
وكذا نذرهم اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم اي نطبع على قلوبهم ونغشي
ابصارهم كما كانت ولم يذكر اسماعهم اذ ابتنا سبيل التقليب ولهذا
ايضا لم تعقل قلوبهم لذلك افئدتهم ويجوز ان يكون كما في قوله
كما لم يؤمنوا به اول مرة للتعليل وما مصدرية اي تقلبهم لذلك
لكونهم لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اولا وقت وجاهم
هدي الله تعالى ويناسب هذا المعنى اخر الآية ونذرهم يخليهم

فيطغيانهم يعمهون متحيرين لا نهديهم هداية المومنين وقري
ويذرهم على الغيبة وقري وتقلب على البنا للمفعول ورفع افيدتهم
وابصارهم ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة كما قالوا لولا انزل علينا
الملايكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا باباينا وحشرنا عليهم كل شي قبلا
كما قالوا او تاتي بالله والملايكة قبيلا والقبل جمع قبيل اي جماعات او
مصدر بمعنى مقابلة وقري قبلا بكسر القاف وفتح البا اي عيانا نصب على الحال
على القراة على الوجوه كلها من كل شي لعمومه ما كانوا ليومنوا الا ما سبق
عليه القضا بالكفر لان فيه تعليل الحوادث بالتعلق الازلي لا يخفى
فساده لبطلان استعدادهم وتبدل فطرتهم الفاضلة بسو اختيارهم
الا ان يشا الله ظرف الى الا وقت ان يشا الله ولكن اكثرهم يجهلون
انهم لو اتوا بكل اية لا يومنوا فيقسمون جهدا يمانهم على ما لا يشعرون
ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع انه يعمهم لان المقسمين بعضهم او لو
لكن اكثرهم يجهلون انهم لا يومنون عند مجي الايات فيطمعون في
ايمانهم ويتمنون نزولها يعني ان الايات وان توالت وشموس البرهان
وان تعالت فمن فطمته الغيرة وكسته الغشية لم يزده ذلك
الا ضلالا فلم يستعد الا للغشوة حالا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا متمردين
الصنفين بدل من عدوا او هما مفعولان وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق
به او حال منه يوحي يلقي في خفية بعضهم الى بعض شياطين الجن
الى شياطين الانس او بعض احد الصنفين الى بعض اخر منه زخرف
القول تزيينه وتمويهه بالاباطيل غرورا حال اي غارين ومغرورين
او مفعول له للغرض ولو شا ربك حذف المفعول لدلالة ما فعلوه
عليه اي لو شا ربك ان لا يفعلوا معاداة الانبيا وايحا الزخارف
على ان الضمير لما ذكر ما فعلوه ولكن ما شا لما اقتضته حكمته
ويجوز ان يكون الضمير للايحا وفي الاية دلالة على ان الشرور صدورها
عنه تعالى بمشيته فذرهم وما يفترون اي اذا عرفت ان ذلك بمشيته
تعالى ومشيته تابعة لحكمته فاتركهم وكفرهم وفيه تهديد ووعيد
ولتصغى اليه افيدة الذين لا يومنون بالاخرة عطف على غرورا
ان جعل علة المحذوف اي ولتصغى اليه جعلنا لكل نبي عدوا واللام ه
للتعليل ومعناها فيه على الاختلاف في جواز ان يكون فعله تعالى معللا
بالغرض ليست لام الامر ولا التعليل ولتصغ حذف الالف ولا لام القسم
لان عطف قوله وليرضوه ياباه وهذا يدفع كونها للامر ايضا والضمير
في اليه وليرضوه لما له ضمير فعلوه والصغو الميل الغرض من الاعراض في
يقال اصغيت الانا اذا املته لتجمع ما فيه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا

و

وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام فيتميز الشقي من السعيد وترتيب هذه
المفاعيل في غاية الفصاحة لانه اولا يكون الخداع فيكون الميل فيكون
الرضى فيكون فعل الاقتراف فكان كل واحد مسببا عما قبله افغير الله
ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد والهمزة للانكار والفا للعطف
على مقدر يدل عليه ما قبله اي اشكل للكثرة الجاحدين المعتزين فغير الله تعالى
ابتغي ما طلب حكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل
روي ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا
وبينك حكما من احبار اليهود وان شيت من اساقفة النصارى ليخبرنا
فيخبرنا عنك بما في كتابهم عن امرك فنزلت وغير مفعول ابتغي وفي هو
تقديمه ايما الى وجوب تخصيصه تعالى بالابتغا والرضى بكونه حكما
حال منه ويحتمل عكسه وجوز ان يكون حكما تمييزا عن غير كقولهم ان لنا
غيرها ابلا وهو ابلغ من الحاكم قيل ولذلك لا يوصف به الا العادل وفيه
ان المبالغة من جهة التنكير ولا دلالة فيه على الوصف وهو الذي
انزل اليكم الواو للحال الكتاب اي القران مفصلا مبينا فيه الحق
والباطل مميزا به الصادق من المفتري وفيه تنبيه على ان القران
باعجازه وتقريره مغن عن ساير الايات ثم اكد الدلالة على ان القران
حق يعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته
لهم من غير قراته صلى الله عليه وسلم كتابهم بجملة استانفنا فيه وهو قوله
والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل بالتخفيف والتشديد بد
من ربك بالحق انما وصف الكل بالعلم تنزيلا للجاهلين منهم لتمكنهم
عنه منزلة العالم وقيل المراد مومنوا اهل الكتاب فلا تكونن من
الممترين انهم لا يعلمون ذلك او انه منزل من ربك بالحق لكثرة
جحودهم وكفرهم فهو من باب التهييج والالهاب او خطاب لكل احد
اي لما تعاضدت الادلة وتطابقت لا ينبغي لاحد ان يرتاب فيه
وقيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد امته وتمت كلمات
ربك اي تمت كل كلمة من ربك ومعنى تمت استمرت لانه كان بحيث
نقص فكملت وبلغت الغاية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا
في الاحكام والاقضية نصبا على الحال او التمييز او المفعول له
لا مبدل لكلماته لا احد يقدر ان يحرف شيا منها شيوعا كما فعل
بالتوراة على ان المراد بها القران فيكون ضمانا من الله تعالى هو
بحفظه اذ لا نبي ولا كتاب بعده بنسخه ويبدل احكامه وقري
كلمة ربك اي ما تكلم به او القران وهو السميع لما يقولون العليم
بما يضمرون فلا يهملهم واذا امهلهم وان تطع اكثر من في الارض اي

اكثر الناس يضلوك عن سبيل الله لان اكثرهم يتبعون اهواءهم وقيل المراد بالارض
ارض مكة ان يتبعون الا الظن اي الاراء الفاسدة والاهواء الباطلة وظنوا
ان اباءهم كانوا على الحق وهم يقلدونهم فان الظن يطلق على ما يقابل العلم
وان هم الا يخرصون اي يقدرون انهم على شيء او يكذبون في قولهم ان الله حرم كذا
واحل كذا فان الخرص التقدير والكذب ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اي اعلم بالفريقين ومن اما موصولة او موصوفة وهي في محل النصب بفعل دل عليه
اعلم لا باعلم لان افعل لا يعمل في الظاهر في مثل هذه الصورة او في محل الجر
باسقاط حرف الجر واعمال افعل لدلالة بالمهتدين عليه لان مثله لا يجوز الا في
ضرورة الشعر بل باضافة اعلم اليه او استفهامية في محل الرفع بالابتداء والخبر
يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وعلى هذا اصبر به عن وفاق فيه
تعجيبا من شان المضلين المتبعين للظن الكاذب وايجاد الهوى وقرئ
من يضل بضم الياء اي يضله الله تعالى اي اعلم المضلين من قولهم
من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم
بكثرته واحاطته بالوجوه التي من شان العلم ان يتعلق بها ولزومه
وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه سبب عن انكار
اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم
كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان
تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر اسم غيره من الهتهم
او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكور باسم الله تعالى
ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي ما ذكر وقد دل
هذا على شرط محذوف جوابه فكلوا وما لكم الا تاكلوا واي غرض
لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وتتحرجون من اكله قيل
هو كلام على التغليب اذ المراد ان تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
تغليب مبالغة في صونهم عن اكل ما حرم عليهم وانهم لتلبسوا ايمانهم
بذلك فيحتاجون الى التنبيه وانهم لشدة الاحتراز عن الحرام قد
كادوا يتركون ما احل لهم تورعا ولهذا رتب الوعيد على تجاوز الحد
وقد فصل لكم ما حرم عليكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم
يعني في هذه السورة لانها على تفصيله ونزلت في مرة واحدة
والتفصيل الواقع في البقرة والمائدة متاخر في النزول لانهما
مدنيتان وقرئ فصل على البناء للمفعول وكذا حرم الا ما اضطررتم
اليه استثناء متصل اي مما حرم عليكم ويجوز ان تكون ما
مصدرية وما في اضطررتم في محل النصب على الظرف والاستثناء

مفرغ

مفرغ اي ما حرم عليكم في جميع الاوقات الا وقت اضطراركم اليه
يعني في حال الضرورة فانه حلال وان كثيرا ليضلون فيحللون
ويحرمون باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تمسك بدليل
يفيد العلم وقرئ ليضلون بضم الياء وفتحها ان ربك هو اعلم بالمعتدين
المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر
الاثم وباطنه ما يعلن به وما يسر او ما يعمل بالجوارح وما بالقلب
وقيل الزنا في منازلهن واتخاذ الاخدان قال الضحاك كان اهل
الجاهلية يرون ما كان من الزنا سرا حلالا فحرم بهذه الاية
ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون
يكسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم
المتروك عليه اسم الله تعالى عمدا او نسيانا وعليه احمد رحمه الله
ومالك وداود وخلافا للشافعي لقوله عليه السلام ذبيحة
المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين
العمد والنسيان واوله بالميتة وما ذكر اسم غير الله تعالى
عليه لقوله او فسقا اهل لغير الله به وانه لفسق الواو
للاستئناف او للعطف على جملة استئنافية للتعليل
حذفت لدلالة ما في الكلام عليها اي انه حرام وانه لفسق
الضمير لمصدر الفعل الذي دخل عليه النهي اي وان الاكل
منه لفسق او للموصول على حذف المضاف اي وان اكله
واما جعل ما لم يذكر اسم الله عليه نفس الفسق ويجوز ان يكون
الضمير الثاني على تقدير التفسير لعدم ذكر اسم الله تعالى
وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم
من المشركين ليجادلوكم بقولهم المتقول فيما سبق وهو يؤيد
التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم
لمشركون لان من اتبع غير الله تعالى في دينه فقد
اشرك جواب القسم المقدر قبل الشرط سادا مسد جوابه
اي والله وقيل حذف الفاء لدخول الشرط على الماضي ورد
بانه يقع ضرورة فلا يكون في القران اومن كان ميتا
فاحييناه الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر دل عليه
ما قبله اي هل يكون المهتدي كالضال ومن كان ميتا
فاحييناه وقرئ ميتا على الاصل وجعلنا له نورا يمشي به اي انما
زاد في الناس تنويها للنور فان المشي بينهم يخبر عنه ما في
نور نصر ضعف كمن مثله صفته وهو مبتدا خبره

في الظلمات على سبيل الحكاية يعني انه اذا وصف يقال له ذلك
والجملة صفة مثل اي كمن صفته هذه وقوله ليس بخارج منها
حال من المستكن في الظرف والعامل معنى الاستقرار لا من البارز في
مثله للفصل وهو مثل لمن بقي في الضلالة لا يفارقها بحال وما
سبق مثل لمن هداه الله تعالى وانقذه من الضلال وجعل له نور
البصيرة يميز به بين الحق والباطل بالتامل في الايات والبينات
وكلاهما من قبيل الاستعارة التمثيلية اذ لا ذكر للمشبه صريحا ولا دلالة
بحيث ينافي الاستعارة وهذا كما تقول في الاستعارة الافرادية
ليكون الاسد كالثعلب اي الشجاع كالجبان كذلك اي مثل ذلك
التزيين والاشارة الى ما في قوله زينا لكل امة عملهم او قوله وان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم زين للكافرين ما كانوا يعملون
والاية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر او عمار
رضي الله عنه وابي جهل وكذلك اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها
ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا بمعنى
صيرنا ومفعوله الاول اكابر مجرميها وفي كل قرية مفعولها الثاني
ويجوز ان يكون في كل قرية ظرف لغو والمفعول الثاني ليمكروا
على ان الجعل بمعنى التمكين واكابر على هذين الوجهين مضاف
الى مجرميها واجاز ابو البقاء ان يكون مجرميها بدلا من اكابر واجاز ابن
عطية ان يكون مجرميها المفعول الاول واكابر المفعول الثاني
والجعل بمعنى التصيير او بمعنى التمكين على ان يكون الكلام من
قبيل اعص خمرا وبردها ان افعل التفضيل اذا كان معنى ملفوظا
بها او مقدرا او مضافا الى نكرة كان مفردا مذكرا دائما سوا
كان لمذكر او مؤنث مفردا ومثنى او مجموع فاذا انث او ثني او جمع
طابق ما هو له في ذلك ولزمه احد الامرين اما الالف واللام او
الاضافة الى معرفة وعلى الوجهين المذكورين يلزم ان يبقى اكابر
مجموعا وليس فيه الالف واللام ولا هو مضاف الى معرفة واللازم
باطل وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس في المكر بهم
وقرئ اكابر مجرميها وعلى هذه القراءة يمكن تمشية الوجهين
المردودين على القراءة السابقة وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله
يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن اي
تلك الاية حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يقولوا اسلما او تي محمد
لانهم كانوا في مقام الانكار لذلك وفيما روي ان ابا جهل قال زاحمنا
بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه

والله

والله لا نرضى به ولا نتبعه الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت قوله كما
ياتيه لا يابا سببه النكتة المذكورة وعلى صحة ما روي الحصر في قالوا
لان من تبعه من قريش رضوا بقوله فنزلوا منزلة القائلين الله اعلم
حيث يجعل رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بكثير
النفس ولا بالمال والجاه وانما هي بخصائص الله بها من يشاء من عباده
ويصطفي لها من يعلم انه يصلح لها وهو يعلم بالمحل الذي يضعها فيه
فانتصب حيث بعلم محذوف يدل عليه اعلم لانه لان افعل
التفضيل لا يعمل في المفعول به وحيث ههنا مفعول به لما
عرفت ان المعنى انه تعالى يعلم نفس المحل المستحق لوضع الرسالة
فيه لا شيئا في المحل وقرئ رسالته سيصيب الذين اجرموا من
اكابرها صغار هوان وحقارة بعد كبرهم وعظمتهم مكان
ما يفتخرون من عز النبوة وحشمة الرسالة وفيه دلالة على ان المجرم
يستحق الذل والهوان وان الرسل اعزاء وانما ذلك العز لعصمتهم عن
الجرائم عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله ويراد الفصل
به بين الصغار والعذاب لان كلاهما من عند الله تعالى ويمكن
ان يقال انه من قبيل الفصل بين المعطوف فيه بما له تعلق بهما كما
ويأتي نظيره في هذه السورة وعذاب شديد في الدارين من القتل
والاسر وعذاب النار بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء عليه
فمن يرد الله ان يهديه يوفقه للايمان ويعرفه طريق الحق
يشرح صدره للاسلام شرح الصدر وتوسيعه كناية عن تنوير
الباطن وتصفية الاستعداد عما ينافي قبول الحق من ظلمات
الشكوك والشبه فيصدق الرغبة في الايمان ومن يرد الله ان
يضله اي يخذله ولا يوفقه يجعل صدره ضيقا قرئ بالتخفيف
والتشديد وضيق الصدر كناية عن تكدر الباطن وتبديل الاستعداد
وميل النفس الى الشهوات فينبو عن الحق وينتفي عنه فلا يقبله
حرجا شديد الضيق وقرئ بفتح الراء وصفا بالمصدر كانما
يصعد في السماء مثل لمن يزاول امرا ممتنعا لا يسعه قدرته
لان صعود الانسان الى السماء امر خارج عن طوقه العادي وقيل
لمن ينبو عن الشيء ويتباعد مبالغة في الهرب منه والمتجافي واصل
يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصعد من صعد ويصاعد
من اصاعد بمعنى يتصاعد ومعنى في السماء في مهاوي
السماء وهذا ابلغ من الى السماء كذلك مثل ذلك التضييق يجعل الله
الرجس العذاب او الخذلان او الفعل المؤدي الى العذاب على الذين

لا يؤمنون وضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اي الاسلام
او ما ذكر من التوفيق والخذلان صراط ربك طريقه الذي ارتضاه
او طريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه ولا ميل
الى شيء من الجوانب او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة لان صراطه
تعالى لا يكون الا مستقيما والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا
الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر على ما يشاء وان
الخير والشر بقضائه وقدره وانه عالم باحوال العباد عادل
بما يفعل بهم لهم دار السلام اضافة الدار ان كان الى الاسلام الذي
هو اسم من اسماء الله تعالى فتعظيم ورفع من شانها واشارة
الى انها دار لا نقص فيها ولا آفة ولا عيب والا فبمعنى السلامة من
المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في نزله وضيافته
ويجوز ان يكون قوله في ضمانه كقولك له عندي حق وهو وليهم
محبهم وناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم
بجزائها ويوم نحشرهم جميعا منصوب باضمار نقول او قلنا يا
معشر الجن وهذا اولى من اضمار اذكر مفعولا به لخروجه عن
الظرفية والحاجة الى تقدير القول في ربط ما بعده
والضمير لمن يحشر من الثقلين وفريق يخص بالجن والمراد من
الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس من اغوائهم او منهم بان
جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم يقال استكثر الامير من الجند وقال
اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض
استمتع الانس بالجن لدلالتهم على شهواتهم وما يتوصل به اليها
من الحيل واستمتع الجن بالانس لطاعتهم ومساعدتهم على مرادهم
وما يشتهون من اغوائهم وقيل استمتاع الانس بهم ما في قوله
تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
واستمتاع الجن بهم اعترافهم بالجن بانهم يقدرون على الدفع
عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو
اعتراف بهم بطاعة الشياطين في الدنيا والتكذيب بالبعث
وهو اعتراف وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات
منزلكم خالدين فيها حال عاملها مثواكم ان جعل مصدرا او معنى
الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله من عصاة المؤمنين واستعمال
ما في ذوي العقول شائع كما في قوله تعالى الا ما رحم وفي قوله
تعالى فانكحوا ما طاب لكم او من الاوقات يفتح لهم وهم في النار
باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب

وذلك

وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وقيل
من الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وفيه الحاجة
الى صرف النار عن معناها العلمي الى معناها اللغوي وقيل الا ما
شاء الله قبل الدخول ولا وجه له لان حكم الخلود والابد بعد الدخول
ومن جهة المنتهى لا من جهة المبدأ ان ربك حكيم في افعاله واقواله
عليم باعمال عباده واحوالهم وكذلك اي مثل ما فعلنا من تمكين
الجن من اغواء الانس نولي بعض الظالمين بعضا اي نجعل
بعض الظالمين والياً على بعض يستخرونهم ويعدونهم او
نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او نجعل بعضهم اولياء بعض
وقرناءهم يوم القيامة كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب
ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس قدم الجن لان
الخطاب للتوبيخ الم يأتكم رسل منكم من جملتكم وهم رسل الانس
عن الكلبي كانت الرسل قبل نبينا صلى الله عليه وسلم يبعثون
الى الانس وهو صلى الله عليه وسلم بعث الى الثقلين وقيل من
الجن ايضا رسل ولا دلالة في الآية على ذلك اولم يقل رسل
منكما خفي فيحتاج القول الاول الى التأويل بمثل ما ذكر في قوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء
يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا
بالجرم والعصيان اراد واشهادتهم عند وفاتهم على ما نطق به
قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم
تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين ولذلك قالوا شهدنا بلفظ الماضي وغرتهم الحيوة
الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم وتخطئة
لرأيهم وتحذير لمن سمع للانحطاط بهم ذلك اشارة الى ما تقدم
من ارسال الرسل وانذارهم وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك
ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل وان هي
الناصبة للافعال اي لئلا يكون او المخففة من الثقيلة اي لان
الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى ويجوز ان يكون بدلا من
ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع وان
يكون خبر الذلك اي ارسال الرسل والانذار هو خبر مبتدا لانتفاء
كون ربك مهلك القرى بظلم والباء للسببية اي بسبب ظلم او بظلم
حال اي متلبسين بظلم يعني انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا
برسول وكتاب لكان ظلما وهو تعالى منزه عن الظلم ولكل اي

ولكل عامل بطاعة او معصية درجات اي مراتب في الجزا مما عملوا من اجل
اعمالهم بحسبها فالمحسن في روح الثواب متنعم والمسيء في فوح العقاب
متالم وما ربك بغافل عما يعملون قرئ بيا الغايبة ردا على الاية التي
قبلها وبتا المخاطبة ردا على قوله يا معشر الجن والانس والمعنى وما ربك بغافل
عما تعملون من المعاصي ولكن يوخر تعذيبهم رحمة منه كما قال ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم الاية وانه تعالى على علم باعمالهم
خلقهم لا عن جهل لمال صير اعمالهم ترجع اليهم لا اليه تعلق ابو يوسف ومحمد
رحمهما الله بظاهرهم في ان الجن لهم ثواب وابو حنيفة رحمه الله ذهب الى
التخصيص والقراة بتا المخاطبة تشهد لهما وربك الغني فلا ينتفع بالطاعة
ولا يتضرر بالمعصية فليس التكليف لمصلحة نفسه بل لتكميلهم وتبليغهم
الى الدرجات والكمالات ذو الرحمة فلا يعاجل بالعقوبة بل يمهلهم عسى
ان يتداركوا ما فاتهم اخبر بالاول عن جلاله وبالثاني عن افضاله فهم
في سماع هذه الاية بين احتياج وارتياح وهذا تكملة لما قبله من ان
ارسال الرسل للرحمة عليهم لا لانتفاعه بطاعتهم وتاسيس لما بعده
من قوله ان يشا يذهبكم ايها العصاة اي لغناه عنكم ويستخلف
من بعدكم ما يشا من الخلق المطيع لكنه ابقاكم ترحما عليكم كما انشاكم
من ذرية قوم اخرين اي من نسل قوم كانوا قبلكم وقيل يقال من للبدل
كما يقال اعطيتك من دينار ثوبا اي انشاكم منه بدلا انما توعدون
من البعث واحواله لات لكاين لا محالة وما انتم بمعجزين بفايتين
طالبكم به اي بدركم حيث كنتم يقال قصدت فلانا فاعجزني اي
سبقني ففاتني قل يا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة مصدر مكن
مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وقد يكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة
كما يقال مقام ومقامة اي على غاية تمكنكم واقصى استطاعتكم او
على مقامكم وحالتكم التي انتم عليه من كفركم وعداوتكم لما يقال للرجل
اثبت على مكانتك اي اثبت على ما انت عليه من حال ولا تنحرف عنه
وقرئ مكاناتكم على الجمع اني عامل فاعل على قدر ربي او استطاعتي
او على مقامي وحالي في الاسلام والمصابرة معكم حذف للاختصار
والمبالغة في الوعيد وللاشعار بان حالته لا تقف فانه تعالى يزيد على
مر الايام قوة وتصرفا ومعنى الاية على الاول اظهار التجلد للعدو وعدم
المبالاة لغاية الوثوق بحفظ الله تعالى والاعتماد على نصرته اي لا تبقوا
علي وانفقوا وسعكم في عداوتي فاني فاعل بكم ما اقدر عليه وهذا غاية
في التهديد وتعجيز الخصم وعلى الثاني التخلية والتسجيل على المامور
بانه لا ياتي منه الا الشر فكانه مامور به واجب عليه ذلك لا يسعه خلافه

و

والاعراض عنه بالكلية للاشعار بانه لا مطمع في خيره كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ٥
فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار من اما استفهامية علق عنها الفعل
ومحلها الرفع على الابتدا وما بعده خبره اي فسوف تعلمون اينا تكون له
العاقبة المحمودة التي لها هذه الدار واما موصولة فمحلها النصب على المفعولية
اي فسوف تعرفون الذي تكون له العاقبة وعيد وانذار لطيف
المسلك مع مراعاة حسن الادب والانصاف للخصم في القول عند الوثوق
بسوء عاقبته وحسن عاقبة الموعد وكذا قوله انه لا يفلح الظالمون اشعار
بظلم المخاطبين وان ظلمهم سبب امتناع فلاحهم مع حسن العبارة وارخا
العنان والمسامحة والابهام باني ان كنت انا الظالم فلا فلاح لي ولهذا ذكر
الظلم دون الكفر ثم بين ظلمهم وكفرهم في الاية بعدها وجعلوا اي مشركوا
العرب لله مما ذرا خلق فيه ايما الى انهم يرجحون ما لم يخلق شيا ولم
يقدر على شي على من خلق اشيا فيوثرونه عليه بما خلقه وزكاها جعله له وكان
العكس اولى ولهذا قال سا ما يحكمون من الحرث والانعام نصيبا
لم يذكرها نصيبا الشركا ايجازا واكتفا بذكره في التفصيل الاتي وايما
الى جهالتهم بانهم جعلوا لمن له الكل نصيبا مما خلقه وان التسوية بينه
لا يليق بالادب التلفظ به مراعاة الحشمة فقالوا هذا لله بزعمهم وقرئ
بضم الزاي وهي لغة فيه وهو الظن الخطا وقد جا فيه الكسر ايضا
كالود وفيه تنبيه على ان ذلك من جهالتهم وشرعهم ما لم ياذن به
الله تعالى وهذا لشركاينا فما كان لشركايهم فلا يصل الى الله وما كان لله
فهو يصل الى شركايهم كانوا يعينون من حرثهم ونتاجهم لله تعالى نصيبا
ولالهتهم واذا ارادوا ما عينوه لالهتهم تركوه لها معللين بان الله تعالى
غني وانما فعلوا ذلك حبا لالهتهم وايثارا لها سا ما يحكمون ما مصدرية
وسا متعد يحذف مفعولها لدلالة المعنى تقديره ساهم حكمهم اي جلب
السوء وكذلك ومثل ذلك التزيين والاشارة الى مضمون قوله وجعلوا لله
الاية اوالى نفس هذا التزيين الذي هو تزيين قتل الاولاد وقد مر مثل هذا
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد وبنحرهم لالهتهم شركاوهم من الجن
او من السدنة قرئ زين على البنا للفاعل وهو شركاوهم ونصب قتل وعلى
البنا للمفعول وهو قتل ورفع شركاوهم باضمار فعل دل عليه المذكور
كانه قيل من زينه فقيل زينه شركاوهم واما قراة ابن عامر زين
على البنا للمفعول وهو القتل ونصب الاولاد وجر الشركا على
اضافة القتل اليه والفصل بينهما بغير الظرف فنعتذر عنه بان ذلك غير
مقبول في مقام الضرورة كما في قوله زج القلوص ابي مزاده فكيف به
في غيره لا لانه مردود ولانه يختلف فيه بين النحويين على ما ذكره

ابي حيان ووقوعه في قراءة متواترة دل على الصحة لان العربية تثبت بالقران
وفيهم العكس من عكس الفهم انه لا ضرورة في الشعر المذكور كما توهمه لاستقامة
الوزن القافية بجر القلوص ورفع اي واعتقاد الضعف في مثل تلك القراءة
من ضعف الاعتقاد منا وعدم الاعتماد على القراء والطعن في الاسناد
ولا يخفى ما فيه من الفساد ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء والاضلال واللام للتعليل
ان كان التزيين من الجن والعاقبة ان كان من السدنة وليلبسوا وليخلطوا
عليهم دينهم وهو ما كانوا عليه في الاصل من دين اسمعيل عليه السلام او دينهم
الذي وجب عليهم ان يتدينوا به ولو شاء الله ما فعلوه اي ما فعل
المشركون او ما فعل الشياطين او السدنة او التزيين او الاولاد اي
او اللبس والاولى ان يجري الضمير مجرى اسم الاشارة ويراد به الجميع
فذرهم وما يفترون وافتراؤهم او الذي يفترونه من الافكة وقالوا هذه
اشارة الى ما جعل للالهة انعام وحرث حجر حرام من الحجر وهو المنع فعل
بمعنى مفعول كالذبح ويستوي فيه المذكر والمونث والواحد والكثير لان
حكمه حكم الاسماء لا الصفات وقرئ حجر بالضم وعن ابن عباس حرج
اي ضيق لا يطعمها الا من نشاء يعني خدم الاوثان او الرجال دون
النساء بزعمهم اي قولهم الباطل وانعام حرمت ظهورها اي البحاير
والسوايب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما
يذكر عليها اسم اصنامهم وقيل لا يحجون ولا يلبون على ظهورها اي
فتنموا انعامهم اجناسا بهواهم فقالوا هذه محرمة الظهر وهذه
لا يذكر عليها اسم الله تعالى افتراء عليه اي نسبوا ذلك التخليص الى
الله تعالى افتراء عليه نصب المفعول له او حال اي مفترين
على الله تعالى او مصدر موكد لان تقولهم ذلك محض الافتراء والجار
متعلق بقالوا سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه وقالوا ما في
بطون هذه الانعام يعني ما في بطون هذه البحاير ونحوها من
الاجنة وفي قول ابن عباس والشعبي رضي الله عنهم هي الالبان
وبا باه قوله وان يكن ميتة خالصة لذكورنا حلال للذكور خاصة
لا يشاركهم فيه الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة ومعنى الاختصاص
للذكور منهم في المقام لانه قرينة لارادة الاناث من الازواج وهو لا
يفاد بعبارة المباح فلذلك اورد عبارة خالصة عليه مع حق المقابلة
مع محرم لها والتاء في خالصة ليست للتانيث بل كما في الاستخلاص
وخالصة او حمل خالصة في التانيث على المعنى لان ما في بطون
في معنى الاجنة ومحرم على اللفظ او كانت التاء للمبالغة كراوية الشعر
او كان مصدرا كالعافية وقعت موقع النصب اي ذوا خالصة

بمعنى خالص ويؤيده قراءة خالصة بالنصب على انه مصدر موكد والخبر لذكورنا
ويجوز ان يكون حالا من الضمير الذي هو فاعل الاستقرار في قوله في بطون
لا من الذي في لذكورنا لان العامل المعنوي لا يتقدم عليه حاله وقرا ابن
عباس رضي الله عنهما خالصه على الاضافة وهو بدل من ما او مبتدا ثان
وفي مصحف عبد الله خالص وقرئ خالصا على ازواجنا لم تقل على اناثنا
مع ان المراد من الازواج الاناث وهي المناسب ان يذكر في مقابلة الذكور
لان المقصود الاشارة الى وجه تحريمها على الاناث وهو كونهن ازواج الرجال
في الجملة لا بيان تحريمها على الاناث فانها قد فهمت مما تقدم ولهذا
صدره باداة الوصل فانه لو اراد بيان الحرمة على اناث لكان حقه
الفصل لما بينه وبين ما تقدم كمال الاتصال وان يكن ميتة الضمير
لما في بطونها وقرئ بالتاء الفوقانية على تاويل الاجنة وقرا ابن عامر
بها ورفع ميتة كان التامة وتذكير الضمير في فهم فيه لان المستتر قد
تكون ذكرا فغلب وقرئ بالتحتانية ورفع ميتة فهم فيه شركاء اي الذكور
والاناث فيه سواء سيجزيهم وصفهم الكذب اي جزاء وصفهم الكذب على
الله تعالى في التحريم والتحليل انه حكيم في جزائهم عليم بافعالهم قد
خسر الذين قتلوا اولادهم يريد بهم العرب الذين يدفنون بناتهم
احياء فبعضهم يفعل ذلك خوف العيلة والافتقار وبعضهم خوف السبي والعار
وقرئ قتلوا بالتشديد سفها مفعول له والسفه خفة الحلم ما بالعجلة
الى ما لا ينبغي ان يعجل اليه بغير علم حال او صفة مصدر اي قتلا بغير
علم فيه اشارة الى ان فعلهم ذلك لجهلهم بان الله تعالى هو الرازق
والمقدر للسبي وغيره وحرموا ما رزقهم الله من البحاير ونحوها
افتراء على الله وجوه الاعراب في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
الى الحق والصواب وزيادة كان للدلالة على الاستمرار اي استمروا
على عدم الاهتداء على ان القيد المذكور داخل على النفي في الاعتبار
وان كان مدخولا له في الظاهر وبهذا اندفع وهم القصور والتكرار
وهو الذي انشا جنات من الكروم معروشات مرفوعات على دعائم
وغير معروشات متروكات على الارض وقيل الاول ما غرسه الناس
وعرشوه والثاني ما نبت في الجبال والبوادي ولم يغرس والنخل والزرع
مختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك حال الانشاء اكله ثمره الذي
يوكل في الهيئة والكيفية والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه
معطوفا عليه لان الاصل ان يطلق الاكل على الثمرة والحبات بالحقيقة
فغلب فيه الزرع او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع على تاويل ذلك
او كل واحد منها والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه بتشابه

بعض افرادهما في الكم والكيفية ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره الضمير
للكل واحد اذا اثمر فقد كان من المعلوم انه لا يوكل قبل ان يثمر ففائدة
القيد المذكور التنبيه علي ان اباحة الاكل ثبت قبل الادراك والايناع وعلي
وجوب الحق الشرعي المذكور في قوله وآتوا حقه يوم حصاده وهو
ما يتصدق به وقت الحصاد وكان ذلك الحق واجبا حتي نسخته بالزكاة
وقيل هو الزكاة والاية مدنية والظرف لحقه فيعلم ان الوجوب وجوبه
بالادراك لا بالتنقية لا للايتا للحاجة الي التاويل والتوقيت في الاوامر
حقه ان يحافظ علي ظاهره كيلا يشتبه الموقت بالمطلق وقرئ حصاده
بكسر الحا وهو لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق لا في الاكل ولذلك اقتصر
علي نفي المحبة عنهم وقد قيل انهم كانوا يعطون شيا سوي المحدود ويسرفون
فيه فنهوا عنه انه لا يحب المسرفين الموصوفين بهذه الصفة فانه من
امارات المكروهين لا المشكورين ومن الانعام عطف علي جنات وانشا
من الانعام حمولة وفرشا ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج
من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الاول الكبار التي تصلح للحمل
والثاني الصغار مثل الفرش وهي الارض المستوية التي يتوطاها
الناس كلوا مما رزقكم الله اي مما احل لكم منه ولا دلالة فيه علي ان كل
رزق ما كول حتي ينتهض حجة للمعتزلة في ان الحرام ليس برزق ولا
تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتفوا اثاره في التحليل والتحريم
من عند انفسكم اعتقادا وقولا وعملا وكان في الاثبات بعبارة الجمع
اشارة الي هذه الثلاثة انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج
بدل من حمولة وفرشا والزوج ما معه اخر من جنسه يزاوجه وقد
يقال لمجموعهما والمراد هنا الاول من الضان اثنين اي زوجين اثنين
الكبش والنعجة وهو مع ما بعده عطف بيان لثمانية ازواج او
من الضان بدل من الانعام واثنين من حمولة وفرشا ومن ثمانية
ازواج ان جوزنا للبدل بدلا وقرئ اثنان علي الابتدا والضان
جمع ضاين كالتجر جمع تاجر وقيل هي جمع لا واحد له من لفظه ويجمع
علي ضئين كالعبيد جمع علي عبيد وقرئ بفتح الهمزة وهي لغة فيه
ومن المعز اثنين التيس والعنز وهو جمع ماعز وقرئ بالفتح وهو
ايضا جمع له كحارس وحرس وقرئ معزي قل الذكرين ذكر الضان
والمعز والهمزة للانكار حرم ام الانثيين ام انثيهما ونصب الذكرين
والانثيين بحرم وتقديم المفعول للتخصيص اما اشتملت عليه
اي حوته وانضمت عليه ذكرا كان او انثي ارحام الانثيين الارحام جمع
رحم وهو موضع الولد وما كان في الحي منه عضوا واحدا فالاضافة

الي الانثيين بالجمع كما في قوله تعالي فقد صغت قلوبكما نبئوني بعلم اخبروني
بامر معلوم من جهة الله تعالي يدل علي انه تعالي حرم شيا من ذلك عنه بالعلم
مبالغة للتنبيه علي ان دليل التحريم لا بد ان يكون قطعيا وهو اعتراض لطيف
بين اقسام التفصيل للتاكيد في الاحتجاج علي من حرم ما احل الله لعباده من
بالتفصيل به عليهم مبالغة في التعليل ان كنتم صادقين في زعمكم ان الله تعالي
حرم هذا ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين كما سبق والمراد انكار التحريم بتحريم الله تعالي شيا من
الاجناس المذكورة وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور هذه الانعام تارة واناثها
اخري واولادها كيف ما كانت ذكورا واناثا تارة وينسبون تحريمها الي الله تعالي
فانكر ذلك عليهم ام كنتم شهدا معني بل فام المنقطعة للاضراب عن طلب
العلم والدليل القطعي الدال علي تحريم من عند الله علي سبيل المسامحة ومعني الهمزة
انكار المشاهدة وذكرها تهكم بهم وتعيير لانهم لم يومنوا بنبي ولا كتاب وزعموا
ان الله تعالي حرم هذا فلم يبق الا طريق المشاهدة والسماع فقيل لهم اشاهدتم
ربكم اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم وامركم والوصية متعدية
موكدة فيما يفعل ويترك واذا ثبت انه لا علم لهم اصلا في هذا فلم يبق الا الافترا
وهو ظلم فقال فمن اظلم ممن افتري علي الله نسب اليه تعالي تحريم ما لم يحرم وهو
عمرو بن لحي بن قمعة الموسس لتحريم البحاير وتسييب السوايب كذبا كاذبا
لا مخطيا في ظنه فان فيه مندوحة عن الكذب ليضل الناس اي عمل عمل
القاصد اضلالهم من اجل دعايهم الي ما فيه الضلال وان لم يقصد الاضلال
ولذلك قال بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين الي دار الثواب لانهم
يستحقون العقاب قل لا اجد كني بعدم الوجدان عن عدم الوجود
ومبني هذه الكناية علي ان طريق التحريم التنصيص من الله تعالي
عليه ولا مساغ للراي فيه فعنها ثبوت ذلك المنتفي اقتضا ان فيه
اشارة الي ان من الاحكام المنزلة ما في العثور عليه حاجة الي التفقد
والتتبع لكونه بطريق الدلالة الخفية وانما قال فيما اوحي الي دون
ما انزل علي لان النص المحرم لا يلزم من ان يكون من جنس الكتاب محرما
طعاما محرما علي طاعم نكرة تجريدا له علي قيد زايد حتي ينتظم الطاعم
الظالم وغير الظالم فهو في المعني الي انه ليس من جنس المطعوم من حيث
انه مطعوم محرم الا هذه الاربع فلا يتجه النقض بحرمة الماكول ظلما
لان حرمته من قيده لا من نفسه وفايدة التوصيف بقوله يطعمه
قطع المجاز كما في طاير يطير فان الطاعم يطلق علي المطعم مجازا الا ان
يكون الا ان يكون المطعوم فالاستثنا من المفهوم وقرئ بالتا
لتانيث الخبر وبرفع ميتة علي كان هي التامة والمراد من الميتة

هنا ما فقد حيوته بلا ذبح اصلا اي شرعيا كان او غير شرعي ولهذا احتيج
الي كون المحرم الرابع وفي قوله علي طاعم يطعمه دلالة علي ان جلد الميتة قبل
الدباغ يحرم لانه قد يشوي فيوكل واذا دبغ خرج عن قابلية الاكل او دما
عطف علي ميتة او علي ان مع ما في حيزه علي اختلاف القراتين فيها وانما
ذكرها هنا منكرين وفي سورة البقرة والمايدة معرفتين لان هذه
السورة مكية وهما مدنيتين فناسب ان يذكر فيهما معرفين بتعريف
العهد وتعريفهما في سورة النحل مع انها ايضا مكية هنا علي تاخر نزول
ما فيها من الاية المشتملة عليهما من نزول ما في هذه السورة مسفوحا
مصبوبا صابا بقاء يرشدك الي اعتبار هذا القيد الرابع علي معنى الصب
في مفهوم السفح اطلاقهم السفاح علي الزنا باعتبار تضييعه الما
قال صلى الله عليه وسلم ولدت من نكاح لا من سفاح واذا تقرر هذا
ففي العبارة المذكورة اشارة الي ان حق هذا الدم التضييع والاهدار
لا الحفظ والادخار وانما خص الدم بالقيد المذكور لان ما اختلط
باللحم منه وقد تعذر تخلصه من اللحم عفو مباح وانما الطحال فليس
بدم حقيقة وكذلك الكبد فلا حاجة الي الاحتراز عنهما الي القيد المذكور
او لحم خنزير انما زيد عبارة اللحم لان كله غير ماكول والانا سبب
زيادتها في الميتة ايضا للاشتراك في العلة المذكورة بل لئلا يسبق
الي الوهم انه من قبيل صيد البر حتى لا يبقى محرما بعد ما صار حلالا ولما
كان الماكول المحرم من الخنزير غير منحصر في اللحم تدارك الحكم في الباقي
بالتعميم دلالة حيث علل المذكور بقوله فانه رجس اي فذلك الخنزير
رجس اي قذر تنفر عنه الطبع السليم لتعوده اكل النجاسة ولا يخفى
ما في الاعتراض بين المعطوفين للتعليل من الدلالة علي سائر اجزائه
القابلة للاكل ويجوز ان يراد باللحم ما يوكل منه مطلقا علي طريقة
التعبير عن الكل بالجزء وعلي هذا لا حاجة الي صرف الضمير عن
المضاف فان قلت اليس في هذا التعليل غنى عن اقحام اللحم لافهام
ما ذكرتها قلت لا لان التعليل النحوي لا يلزم ان يكون كالعلة الشرعية
بل قد يكون بالحكمة التي لا يلزمها الاطراد ولا الانعكاس وانما خصص
هذا والذي يليه بالتعليل عبارة واشارة لان الطبع يساعد السمع
في الاولين بخلافهما في الاخريين او فسقا نصب عطفا علي لحم خنزير
لا علي انه مفعول له دل علي ذلك قوله تعالى في موضع اخر وانه
لفسق سمي بالمصدر مبالغة فهو بعبارته تحذير منه وباشارته
تعليل لحرمته اهل لغير الله به صفة موضحة له والاهلال به كناية
عن ذبحه وهو في الاصل رفع الصوت بالشي فمن اضطر دعته الضرورة

الي الاشي

الي كل شي من ذلك غير باغ علي مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة في تناوله
فان ربك غفور لما عسى ان يفرط عند العمل بالرخصة رحيم بالرخصة فيه وقد
استدل بهذه الاية علي ان انتساخ الكتاب بالسنة لان عبارتها وان كانت
ساكتة عن عدم تحريم اخر لكن دلالتها ناطقة بانه لا تحريم غير هذه وليس
فيه توقيت فلما زيد تحريم اشياء بالسنة انتسخ حكم تلك الدلالة وعلي الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة هي
ذوات الظلف كالابل والنعام وما ليس بذي اصابع منفرجة كالبط والاوز
ونحوهما واختاره الزجاج وفي قوله حرمنا تكذيب لليهود في قولهم ان الله
تعالى لم يحرم علينا شيا وانما حرمنا علي انفسنا ما حرم اسرائيل علي نفسه
ومن البقر والغنم عطف علي كل ذي ظفر وقوله حرمنا عليهم شحومهما لتبيين
المحرم منهما ولا بد من الاضافة للربط وفي الاجمال ثم التفصيل زيادة تقرير
وتاكيد ولولا القصد الي ذلك لكان الظاهر ان يقال وشحوم البقر والغنم
او يقال ومن البقر والغنم الشحوم والمعنى حرمنا لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شي منه
وتركت البقر والغنم علي التحليل لم يحرم منها الا الشحوم الخاصة وهي الثروب وشحوم
الكلى وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما وقع التحريم بسبب ظلمهم بقوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وتدعي النصارى
ان ذلك نسخ في شرع عيسى عليه السلام ويشهد لذلك التخصيص المستفاد
من تقديم الجار والمجرور في قوله وعلي الذين هادوا حرمنا الا ما حملت ظهورهما
الا ما علقت بظهورهما او الحوايا ان قدرتها واحدها حاوية كزاوية
وزوايا كالقصعة وقواصع وان قدرتها فعايل فجمع حوية كمطية
ومطايا وهي الدوارة التي تكون في بطون الشاة وقيل هو عطف
علي شحومهما واو للتفصيل فصل بها ما حرم من البقر والغنم او ما
اختلط بعظم كالالية وما في القوايم والجنوب والراس والعيون والاذان
والمخ ذلك التحريم او الجزا جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
فيما اخبرنا به فان كذبوك في ذلك فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي لا تعرض
عنهم ولا تويسهم عن رحمتي بل كن ثابتا في مقام الدعوة علي قدمي الابشار
والانذار وذلك لانها ذكر كلمة جامعة لهما اما الابشار فلما فهم من العبارة المذكورة
من انه تعالى يقبل التوبة ويقبل الحوبة فان رجعوا عن التكذيب الى التصديق
فلهم الفوز والنجاة واما الانذار فلما فهم من اشارتها الى انه تعالى لسعة
رحمته يمهل ولما كان في الامهال مظنة الاندفاع تداركه بقوله ولا يرد
باسه حين ينزل عن القوم المجرمين فلا تغتروا بامهاله او فان كذبوك
في الانذار وتهديد العصاة واعتلوا بان الله تعالى واسع الرحمة فلا يواخذ
بالبغي فقل ربكم ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين

فلا يرد رحمته باسه عليهم بل ربما اودع قهره في صورة لطفه اشد اخذا فلا تغتروا به
سيقول الذين اشركوا في رد الدعوة وتكذيب الرسول لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا
عطف على الضمير المرفوع في اشركنا بلا تاكيد للفصل بلا ولا حرمنا من شيء اي ما
صدر منا ومن آبائنا ما صدر الا بمشيته تعالى وارادته اصابوا فيما قالوا على
وفق ما مر في هذه السورة من قوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا ولو شاء ربك ما
ما فعلوه ولكنهم اخطأوا في تمسكهم به في الرد على الرسول صلى الله عليه وسلم
وزعمهم ان فيه حجة عليه على بناء ظنهم ان ما اراده الله تعالى لا يكون منهيا عنه
وما لم يرده الله تعالى لا يكون مامورا به فلا مساغ للنهي عن شركهم ولوقوعه
على انه لم يكن مراد الله تعالى كما تقرر في موضعه انه لا تلازم بين الامر والاراده
بل ينفك كل منهما عن الاخر وكذا بين النهي وعدم الارادة ولذلك اي لعدم خطائهم
في القول المذكور بل في احتجاجهم به صلى الله عليه وسلم ذمهم بالتكذيب دون
الكذب حيث قال كذلك اي مثل ذلك التكذيب العظيم كذب الذين من قبلهم
للرسل وهذا يدل على ان مرادهم التكذيب دون ابداء العذر حتى ذاقوا بأسنا
حتى انزلنا عليهم العقاب بتكذيبهم وبين ان احتجاجهم ليس عن علم ويقين
بل عن ظن وتخمين بقوله قل هل عندكم من علم اي ليس عندكم بذلك علم
تحتجوه فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق
شيئا وان انتم الا تخرصون وما انتم الا تخمنون وتقدرون ان الامر كما زعمتم
وليس كذلك لما مر من بطلان مدعى ذلك الظن فلا متمسك فيما ذكر
لاهل الزيغ والضلال من اصحاب الاعتزال ولا حاجة الى التوجيه والتاويل
بتقييد المشيئة اولا اي فيما مر وحملها على الاطلاق اخرا اي فيما يستقر
سيأتي قل فلله الحجة البالغة الخ للبينة والجملة مسببة عما دل
عليه الكلام السابق والمعنى اذا ظهر عدم تمام حجتكم فالحجة التامة مختصة
به تعالى فلو شاء لهداكم اجمعين الخ فامتناعه في تحقيق ما دل
عليه الكلام السابق من كونهم محجوجين وكذا ما فيه الزاما لهم بناء على قولهم
اي بل قد صدقتم ولكن كما شاء كفركم لو شاء هدايتكم لهداكم كلكم فبابى علمتم
انه لم يشاء هدايتكم حتى اصررتم وهذا التقييد لما عسى ان يكون استعداد
منهم فيسمع ويهتدي فيرجع عن الشرك ويؤمن وفيه فائدة اخرى وهي
تدارك لما يخطر بالبال لاحتجاجهم ان يكون الاختلاف في قولهم لو شاء الله ما
اشركنا بتصديقهم في ذلك المقال ففيه حجة دامغة لاصحاب الاعتزال
قل هلم شهداءكم هلم من اسماء الافعال يكون متعديا كما ههنا بمعنى هاتوا ولازما
كقوله هلم الينا اي تعالى وانما اضاف الشهداء اليهم لانها لو اطلقت لكان
المعنى هلم ناسا يشهدون فكان ظاهره طلب الشهداء بالحق وذلك فاسد
الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني مرتضاهم وقدوتهم امرهم

باحضارهم

باحضارهم ليلزمهم الحجة ويبكتهم فيظهر للمشهود لهم عند انقطاعهم انهم
ليسوا على شيء ولهذا قال فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم
ولا تسلم لهم كني عن ذلك بالشهادة معهم مبالغة في النهي دلالة على ان الاصغاء
اليهم دخول في عداد الشهداء بالباطل ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا
من باب وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان المكذب بآيات الله
تعالى لا يكون الا متبع الهوى اذ لو اتبع الدليل والعقل لكان مصدقا بها والذين
لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له تعالى
عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله امر من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه فعم
اتساعا فيه لكثرة الاستعمال اتل ما حرم ربكم ما موصولة منصوبة باتل او
استفهامية منصوبة بحرم والجملة في محل النصب باتل لان التلاوة من باب
القول اي اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم وان في الا تشركوا به شيئا
مفسرة ولا للنهي لعطف الاوامر عليه في قوله وبالوالدين احسانا لان تقديره
احسنوا بالوالدين احسانا وعطف الاوامر على النواهي الواقعة بعد ان
المفسرة للتلاوة المحرمات مع القطع بان المامور به لا يكون محرما دل على
ان التحريم راجع الى اضدادها وذلك انه علق التلاوة بالتحريم اجمالا
ثم فسره بالتفصيل وجب ان يكون التفاصيل كلها منهيات محرمات لكن
عدل في بعضها الى الامر باضدادها مبالغة في النهي وتنبيها على ان
اضدادها واجبة فيلزم النهي عنها بابلغ الوجوه ويحتمل ان يكون
الاوامر معطوفة على المناهي وداخلة تحت ان التفسيرية شيئا يحتمل
المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا تاما
وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للدلالة على ان ترك الاساءة
في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولكنك تقول انها معطوفة على قوله
الا ما حرم امرهم اولا بامر ترتب عليه ذكرناه ثم امرهم ثانيا باوامر ونهيها
المبالغة في النهي ولا تقتلوا اولادكم النهي مطلق وانما قال من املاق
اظهارا لسوء صنيعهم فانهم كانوا يفعلون ذلك من اجله في الاساس
املق الرجل انفق ماله حتى افتقر ولما كان الاملاق باعتبار بدايته فقرا
جاز استعماله في كل منهما وقد قيل الخطاب هنا للفقراء ولذا قدم رزقهم
فقيل نحن نرزقكم واياهم منعا لموجب ما كانوا يفعلون لاجله واحتجا
عليهم فناسب ان يفسر الاملاق هنا بالفقر والخطاب في ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق للاغنياء ولذا قدم رزق اولادهم فقيل نحن نرزقهم
واياكم فناسب ان يفسر الاملاق ثمة بالانفاق ولا تقربوا الفواحش كبائر
الذنوب ما ظهر منها وما بطن بدل منه والظاهر ما بينك وبين الخلق
والباطن ما بينك وبين الحق ولا تقتلوا النفس لما كان في اطلاق النفس

شمول النفس الحيوانية والاصل في قتلها الاباحة فقيدها بقوله التي حرم الله
يعني بالنفس الانسانية الا بالحق اي بما يحق به قتلها كالقود بعد ايمان و
وزنا رجم بعد احصان وقتل نفس ظلما ذلكم اي مما حق به اشارة الى ما ذكر
تفصيلا وصاكم به لما كان في الوصية معنى الاهتمام والمحافظة لعلكم تعقلون
ترشدون فان غاية العقل الرشد ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن القرب
الذي يعم وجوه التصرف وفيه سد الذريعة الا بالتي اي بالخصلة التي
هي احسن في حق اليتيم وانما جي بصيغة التفضيل مراعاة لمال اليتيم حتى
يبلغ اشده غاية من حيث المعنى اي احفظوه عليه حتى يبلغ او ان الحكم
مع الرشد فادفعوه اليه والاشد جمع شدة كانعم ونعمة واوفوا الكيل والميزان
الايفا مخصوص بالكيل والميزان عطف عليه على طريقة ذكر احد المتعلقين وعطف
متعلق المحذوف على المذكور على حسب ما يقتضيه لفظا حتى كانه شريكه
في اصل الفعل كقوله علفتها تبنا وماء باردا او قوله بالقسط بالعدل
والتسوية متعلق بالفعل المحذوف اي وزنوا الميزان بالقسط فانه عظمة
الكيس بحيث لا يتخطى لصاحبه كلاف الكيل لا نكلف نفسا الا وسعها
الا وسع ما احتملته الطاقة وذكر عقيب الامر للدلالة على انه لا يواخذها
بتقصير يقع بعد الاجتهاد في مراعاة العدل واذا قلتم اريد بالقول
هنا ما لا يطلع عليه الا بالقول من امر وحكم وشهادة وخبر وسعادة
وغير ذلك فاعدلوا فيه ولو كان المقول له او عليه ذا قربى من ذوي
قرابتكم وبعهد الله اي بما عاهدكم الله من اوامره ونواهيه اوفوا
او بما عاهدتم الله عليه من ايمانكم ونذوركم ذلكم وصاكم به اي امركم به
واكد الامر لعلكم تذكرون لما كان في هذه الامور يوقع خفا بالقياس
الى ما سبق بحيث يحتاج الى الاجتهاد والذكر الكثير ختمت بتذكرون
وان هذا صراطي مستقيما الصراط من السبيل ما لا التوا فيه ولا اعوجاج
بل يكون على جهة القصد اي التسوية وانما يوصف بالاستقامة
للاحتراز عن الميل الى شي من الجوانب الاربعة بالصعود والهبوط
ونحوهما لان الاحتراز المذكور حصل هنا بالاضافة فقوله مستقيما
حال موكدة والاشارة الى ما ذكر في السورة فانها باثرها في اثبات
التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ ان بالكسر على الاستئناف
وبالفتح بتقدير اللام على انه متعلق بقوله فاتبعوه وقرئ ان مخففة
من الثقيلة وفيها ضمير الشان ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة
والطرق التابعة للهوى والطريق كل ما يطرقه طارق معتادا كان
او غير معتاد والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك اعم من ان يكون
على جهة القصد اولا وبهذا التفصيل تبين اصابة وجه كل من الصراط

و

والسبيل بجزمه فتفرق الفا جواب النهي والمضارع المحذوف التا منصوب
بانما روفا عطفه ضمير السبيل ومنهم من لا يحذف التا بل ادغمها في تا التفعل
فقراها بتشديد التا والبا في بكم للتعدية وتعديته بعن لتضمنه معنى
الازالة اي فتزيلكم متفرقين عن سبيله فيه التفاوت ونحن ونبينه
على الطريق المنسوب اليه تعالى لا يكون الا صراطا مستقيما ذلكم الاشارة الى
مجموع الامر والنهي وصاكم به لعلكم تتقون ذكر اولا تعقلون ثم تذكرون ثم
تتقون لانهم يعقلون ثم يتفطنون ثم يتقون المحارم والملهيات ثم
اتينا موسى الكتاب عطف على ذلك وصيكم به فثم للتراخي في الاخبار
او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم
من ذلك انا اتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن
على من احسن القيام به ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على الذين
احسنوا او قراءة ابي تماما على المحسنين او على الذي احسن تبليغه وهو موسى
عليه السلام او تماما على الذي احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي
زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على ان تقديره على الذي هو احسن [illegible]
وقيل في وجه النصب انه صفة لكنه لا ينصرف فقبيح وهو يكون به لا
على الذي وترجحته غير كقولك مررت بالذي خير منك بالخفض وتفصيلا
بيانا في غاية التفصيل عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال
والمصدر لكل شي يحتاج اليه في الدين وفيه دلالة على انه لا اجتهاد في شرعة
موسى عليه السلام لانه فرع الاجمال في بعض الامور الدينية وهدى ورحمة
يهون عليهم مقاساة التكليف بما ذكر من الترغيب لعلهم لعل بني اسرائيل
بلقاء ربهم بلقاء ثوابه وعقابه يوم الجزاء يومنون يصدقون وهذا اي القران
كتاب عظيم الشان انزلناه اسنده الى نفسه بنون التعظيم مبارك كثير
النفع انما فرق بينه وبين قرينه بانزلنا لان الانتفاع به بعد نزوله فاتبعوه
واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بذلك على مرتبة كلمة الترجي لان حصولها بالجزم
على الايمان وفيه حظ ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة المصدر دل عليه انزلناه
فيما تقدم وقرئ بالتا واليا وعلى الثاني فيه التفاوت من الخطاب في فاتبعوه
واتقوا وفي فقد جاكم التفات من الغيبة الى الخطاب وكلاهما في محزنه حيث
اعرض عنهم وجعلهم غايبين عند حكاية اقوالهم الرديئة ثم خاطبهم عند قصد
توبيخهم وتبكيتهم انما انزل الكتاب جنس الكتاب المختص في التوراة
والزبور والانجيل الكائن من قبلنا واما الصحف فليست من جنس الكتاب
في العرف على طائفتين من قبلنا اي اليهود والنصارى ودل هذا على ان المجوس ليسوا من
اهل الكتاب اذ لو كانوا منهم كانوا ثلاث طوائف وان كنا ان هي المخففة دل عليه دخول
اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي

لانهم لم يكن على لغتنا فلم نتعهد على قراءته أو تقولوا عطف على الأول لو أنا أنزل علينا الكتاب
لكنا أهدى منهم لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولهذا تلقفنا
فنونا من العلم كالقصص والأشعار والخطب على أنا أميون فقد جاءكم بينة من ربكم
حجة واضحة تعرفونها تبكيت لهم والزام لهم الحجة وفيه ايجاز بحذف الشرط اشعارا
بتمسكهم في دعوى الذكاء وحدة الذهن وان من يدعي ذلك فليتنبه عن هذه
النكتة وليدرك البينة وبخا لافهامهم وتعجيزا وايذانا بان الامر هنا الجزاء
الا الشرط والمعنى ان صدقتم في الدعوى فقد جاءكم وان اظهر صدقه وهدى ورحمة
كالذي انزل على من قبلكم فمن أظلم أي لنفسه ولغيره وقد مر في تفسير قوله تعالى
ومن أظلم ممن منع مساجد الله تحقيق هذا النوع من الاستفهام ممن كذب
بآيات الله بعد ما عرف صحتها وتمكن من معرفتها وصدف صد عنها الناس فضل
واضل وأما معنى الاعراض فقد حصل بالتكذيب سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا
سوء العذاب أي العذاب السيء وهو الموصوف بنهاية النكاية بما كانوا يصدفون
بسبب استمرارهم على الصدف بعد النصب واحدا بعد واحد حينا بعد حين هل ينظرون يعني
أي ما ينظرون يعني الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الخ إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك هذا ما ذكروه بقولهم أو تأتي
بالله والملائكة قبيلا أو يأتي بعض آيات ربك هذا ما ذكروه بقولهم أو تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا وانما عبر عنه ببعض آيات ربك تعظيما لآية
أعظم الآيات الظاهرة قبل قيام الساعة يوم يأتي بعض آيات ربك يعني
الآية المذكورة انفا لبعض اشراط الساعة مطلقا لأن الايمان نافع
بعد ظهورها كيف ونزول عيسى عليه السلام لدعوى الخلق الى دين الحق
بعد خروج الدجال لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا
والايمان المقبول برهانيا كان او تقليديا ما يكون بالغيب لم تكن آمنت
صفة نفسا من قبل متعلق بالمعطوفين أو كسبت عطف على آمنت
في ايمانها خيرا أريد بالايمان المعرفة بمرشد كالجهاد قراءة لا تنفع بالتا
وبكسب الخير الاذعان والقبول وتخصيصها شر اهل السنة نفوك بما هو موجب
النفي من ان الايمان النافع مجموع الامرين فلا حجة فيه للمخالف لأن
مبناها على حمل الايمان على المعنى الاصطلاحي المخترع بعد نزول القرآن
وتخصيص الخير بما يكون بالجوارح وكل منهما خلاف الاصل والظاهر
ولو سلم فنقول الايمان النافع لا بد فيه من أمرين الاعتقاد بالقلب
والاقرار باللسان وقد عبر عن الأول بقوله آمنت وعن الثاني بقوله
أو كسبت فان الكسب يكون بالآلات كاليد وبه ومنها اللسان فمنطوق
الآية على وفق مذهبنا والله تعالى أعلم قل انتظروا أي انتظروا
إتيان أحد هذه الثلاثة إنا منتظرون له وتهديدا لهم ووعدا لنا إن الذين

احد

فرقوا بدد واد بينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وفترقوا فيه قال صلى الله عليه
وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت
النصارى على اثنين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي
على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرئ فارقوا وكانوا شيعا
فرقا جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا
تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد بها الكبار لست منهم
من امرهم في شيء أي ليس اليك شيء من مجازاتهم والعفو عنهم انما عليك الانذار
وتبليغ الوحي اليهم إنما أمرهم إلى الله إن شاء عاجلهم بالعقوبة وإن شاء
أخرهم الى الآخرة وإن شاء وفقهم للرجوع عنه فعفى عنهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون
أي في الآخرة ويجازيهم عليه ذلك من جاء بالحسنة لم يقل من عمل الحسنة ليعلم
ان النظر الى ما ختم به وعلى ذلك قال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالخواتيم فله
عشر أمثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات
أمثالها لم يرد به القصر بل اراد به التفصيل بالتضعيف وهذا اقل ما وعد
بالاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب وقرئ عشر
بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها
أي بواحدة هذا الحكم الوعد لا ما اقتضاه العدل كما توهمه المعتزلة اذ لا حق للخلق
على الخالق وهم لا يظلمون بنقص ما وعدهم من الاجر وبالعقاب بلا استحقاق
قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم أي ارشدني اليها بما نصب من الحجج دينا
بدل من محل الى صراط لأن معناه هداني صراطا لقوله ويهديكم صراطا مستقيما أو
مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ أو حال من صراط لاختصاصه بالصفة
أو نصب على المدح أو أعني أو احفظ دينا قيما فيعل من قام كسيد من ساد
وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة
لانه نص في الاستقامة وقرئ قيما وهو مصدر بمعنى القيام وصف به
ملة إبراهيم عطف على بيان لدينا انما ذكره لكونها على اتباعه لانه دين ابيهم
حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي
عبادتي وتقربي كله وقيل ذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله تعالى
فصل لربك وانحر وقيل حجي من مناسك الحج وانما خصه بالذكر لأن المشركين
كانوا يدخلون الشرك في النسك وكذا التخصيص الذبح بالذكر على القول الأول
ومحياي ومماتي وما أنا عليه في حياتي وأموت عليه من الايمان والطاعة أو طاعات
الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي باسكان الياء اجراء
للوقف مجرى الوصل لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك
الاخلاص أمرت بدأ بقوله قل وختم بهذا بيانا انه يقول ايثار الافتخار وأنا أول المسلمين
لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام أمته قل أغير الله أبغي ربا هذا أبلغ من أغير الله أبغيه

لدلالته على معناه بطريق البرهان وهو جواب عن دعائهم له صلى الله عليه وسلم الى عبادة الاصنام
وهو رب كل شيء فلا يصلح غيره ان يكون معبودا اصلا فضلا عن ان يكون شريكا له تعالى
في المعبودية وهو مستحق لان يكون معبود كل شيء جملة حالية في مقام التعليل للانكار
المذكور ولا تكسب كل نفس الا عليها اي لا تكون جناية نفس الا عليها ومعناه السلب
الكلي فاداة السور داخلة على النفي وان كانت مدخولة له لفظا ولا تزر وازرة وزر
اخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى نزلت رد لقول الوليد بن المغيرة
اتبعوا سبيلي احمل عنكم فنزلت هذا نفي القدرة عن الغير على التحمل ولما نفي
التحمل من الله تعالى فالاية ساكتة عنه فلا منافاة بينها وبين حديث ابي موسى
المذكور في صحيح مسلم وهذا يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال
فيغفرها لهم ويضعها على اليهود والنصارى ثم متعلق بقوله ولا تكسب كل
نفس الا عليها وقوله ولا تزر وازرة وزر اما معترض تاكيدا لما ذكره الى ربكم لا الى
غيره مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي
وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض خلائف الامم الماضية
في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الخلق والسكنة والعلم والكرم
ليبلوكم اي ليختبركم فيما اتاكم فيما اعطاكم من النعم بالشكر وفيما ابتلاكم به
من المحن بالصبر ان ربك سريع العقاب اي لاعدائه وانما كان عقابه
سريعا لانه لا يحتاج الى استعمال الات ولا يتوقف على استحصال ادوات
وانه لغفور رحيم اي لاوليائه وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف
ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة وعلى التاكيدات
واللام تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة
مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها لقوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض
من بعدهم لننظر كيف تعملون اي استخلفكم فيها بعد القرون التي اهلكناها
استخلاف من يختبر ولا يلزم من هذا ان يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وكل من جاء
بعد ما مضى فهو خليفة والجمع الخلائف جاء به على الاصل مثل كريمة وكرائم
وقالوا خلفاء من اجل انه لا يقع الا على مذكر وفيه الهاء جمعوه على
اسقاط الهاء فصار مثل ظريف وظرفاء لان فعيلا بالهاء لا يجمع على فعلاء

سورة الاعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

المص قد سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدا محذوف انزل اليك صفته
والمراد بالكتاب السورة وهذا اولى به فلا يكن في صدرك حرج اي فلا تكن شاكا
او خائفا على طريقة الكناية فان الشاك والخائف ضيق الصدر او فلا يكن في قلبك
شك او خوف على ان الصدر مجاز عن القلب والحرج مجاز عن الشك او الخوف
وتوجيه النهي اليه لايهام ان الحرج لو كان مما ينتهي عنه لنهيناه عنك فانته
انت عنه ولا يخفى ما في هذا الاعتبار اللطيف من تعظيم شانه الشريف

والفا

والفا للسببية اي اذا انزل اليك من الله تعالى فلا يحرج صدرك لانه سبب
الانشراح او فلا يكن في صدرك ضيق على ان يكون النهي للتكوين ويعضده
هذا الوجه قوله تعالى الم نشرح لك صدرك منه اي من انه منزل من الله تعالى
او من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وفائدته التشجيع
لتنذر به علة الانزال وانما اخر تنبيها على انه لا ينبغي ان يزيل الحرج عن صدره
ولا ثم يشتغل بالانذار او للنهي لانه اذا تيقن انه من عند الله تعالى
تشجع على الانذار وكذلك اذا امنه الله تعالى وذكرى نصب باضمار فعلها
اي ولتذكر تذكيرا فان الذكرى اسم بمعنى التذكير او جر عطفا على المصدر
المنسبك من ان والفعل المنصوب باضمارها في قوله لتنذر اي لانذارك
لا على محل لتنذر لان محله النصب او رفع عطفا على كتاب او خبرا للمحذوف
اي هو ذكرى للمؤمنين اطلق الانذار لعمومه الفريقين وخص التذكير
بالمؤمنين لانهم المنتفعون به اتبعوا ما انزل من القران والسنة لقوله
تعالى وما ينطق عن الهوى لانه لا ينطق السنة التقريرية بل لقوله تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولهذا عدل عن الضمير
وقيل اليكم من ربكم لما شجعه عليه السلام امر الجميع باتباع جميع ما يوسمه
ليكون ادعى لانشراح صدره ورحب ذراعه ولا تتبعوا من دونه اي من
دون ربكم اولياء من شياطين الجن والانس فيضلوكم عن دين الله تعالى
ويحملوكم على عبادة الاوثان واتباع الهوى والبدع او من دون ما
انزل اليكم اي من دون دين الله اولياء وقريبه ولا تتبعوا قليلا صفة
لمصدر اي تذكرا قليلا او للزمان اي زمانا قليلا حيث يتركون دين الله
تعالى ويتبعون غيره ما مزيدة لتاكيد القلة يتذكرون صفة لاولياء وقرئ
بحذف التاء وقرئ تتذكرون على ان الخطاب مع النبي عليه السلام وكم من
قرية كم خبرية منصوبة بفعل مقدر يفسره اهلكناها اي وكثيرا من القرى
اهلكناها فجاءها باسنا فيه استخدام وقلب اما الاول فلان الضمير في
اهلكناها للقرية باعتبار معناها الحقيقي والضمير في جاءها لها باعتبار
معناها المجازي وهو اهلها واما الثاني فلان اصل الكلام وكم من قرية جاءها
باسنا فاهلكناها ويجوز ان تكون الفاء تفصيلية ويكون الكلام على
اصله بياتا في موقع الحال اي بائتين او هم قائلون في محل النصب عطفا
على بياتا كانه قال بائتين او قائلين وانما وقعت الجملة الاسمية حالا
بغير واو لا اكتفاء بالضمير لانه غير فصيح بل لعطفها على حال قبلها فاستثقل
اجتماع حرفي عطف لان واو الحال هو واو العطف استعيرت للوصل وتخصيص
الوقتين بنزول العذاب لانهما وقت دعة وغفلة فيكون نزوله فيهما
اشد وافظع واما المبالغة في التعبير فلا اختصاص لها بالوقتين

فما كان دعواهم دعاؤهم على انفسهم بالويل اذ جاءهم بأسنا وقت ظهور طلايع
العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا قولهم هذا ايرشدك الى ان المعنى هذا
قوله تعالى بعد قصصهما من قريبة الى قوله قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت
تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين فلنسألن انما فصيحة
اي لنجمعن الخلايق فلنسألن الذين ارسل اليهم هم الامم بسؤالهم عما اجابوا
به الرسل لقوله تعالى ماذا اجبتم المرسلين والمراد به التوبيخ والتقريع
لا الاستخبار ولا التقرير لقوله تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ
ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به لقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم والمنفي في قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون السؤال
عن الذنب لا مطلق السؤال فلا تنافي في هذا حتى يحتاج الى التوفيق بالاختلاف
في الاوقات او في معنى السؤال فلنقصن لما كان سؤال الفريق الاول سؤال
تعنيف وتعذيب وسؤال الفريق الثاني سؤال تشريف وتقريب
لا الاستخبار والاستفسار سكتوا عن الجواب وتركوا الخطاب فناسب
المقام تصدير الكلام بالفاء الفصيحة عليهم اي على الفريقين ما كانوا عليه
بعلم كامل شامل لظواهرهم وسرائرهم وما كنا غائبين حال في مقام التعليل
اي اذ لم اكن عنهم غائبين لم يقل وما كانوا غائبين تنبيها على ان
المنشأ هذه الحال ما في شانه تعالى من الكمال لا امر عن جانبهم وعدم الغيبة
بينهم عنهم مجاز متفرع على الكناية عن الاحاطة التامة باحوالهم وافعالهم
واقوالهم وفيه دفع ما عسى ان يخطر بالبال من ان وزن الاعمال بخفاء
الحال فلك تعلق تام بجانبي الكلام مورث لكمال الحسن في النظام وتمامه
الالتئام والوزن مبتدأ يومئذ ظرفه الحق خبره اي والوزن يوم
يسأل الله الامم ورسلهم هو الحق الثابت الواجب الوقوع او الحق
صفته والخبر يومئذ اي الوزن الحق العدل كائن يومئذ والاول
اولى لان المقام مقام الاخبار عن الوزن الواقع يومئذ بانه الحق لا غير
لا عن اليوم المذكور بان الوزن الحق فيه لا في غيره قيل يوزن صحف
الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلايق اظهارا للمعدلة
وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم
وبه اخذ الجمهور ويصدقه ما ورد في الخبر عن خير البشر ان الرجل يؤتى به الى
الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له
بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة فمن ثقلت موازينه اي رجحت موازينه ثم وفي الاعمال
التي لها وزن واعتبار وقدر اي الحسنات او ما يوزن به اعماله على ان الموازين
جمع موزون او جمع ميزان وتوجيه الضمير باعتبار لفظ من لان معناه جمع

لقوله فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه
عن الحسنات وخف ميزانه توضع فيها الحسنات ان يثقل وخف لميزان توضع فيه
السيئات ان يخف وهذا على ثاني معنى الموازين فاولئك الذين خسروا انفسهم
بتضييع الفطرة السليمة التي فطروا عليها بما كانوا بآياتنا يظلمون اي
يكذبون ظلما ولقد مكناكم في الارض لقد قدرناكم على التصرف بالسكنى فيها والزرع
وغيرها وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به جمع معيشة وهي
وصلة من جهة مكسب المطعم والمشرب والملبس لما فيه الحيوة وقد يطلق
على ما يعاش فيه من المطاعم والمشارب وغيرهما والوجه تصريح الياء
لاصالتها ومن همزها فقد شبهها بما فيه الياء زايدة كصحايف قليلا ما تشكرون
نصب قليلا بتشكرون وما مزيدة لتأكيد القلة والشكر اعتراف بالنعمة مع
ضرب من التعظيم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم عليه السلام
غير مصور ثم صورناه والصورة بنية متقومة على هيئة ظاهرة نزل خلقه عليه
السلام وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره لقوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم عليه السلام ثم صورناه
قلنا وكان الظاهر ان يقول ثم امرنا الملائكة بالسجود لآدم وانما عدل عنه
لان الامر بالسجود كان قبل خلق آدم عليه السلام على ما نطق به قوله تعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والواقع بعد تصويره
انما هو قوله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم لتعيين وقت السجود المأمور به
هذا فلا صارف لكلمة ثم عن معناها الاصلي وعلى تقدير الصرف عنه حمل ان
تصرف الى معنى التفاوت في المرتبة لا على التراخي في الاخبار فسجدوا اي
سارعوا في الامتثال واتوا بما امروا به على الاستعجال ولما كان في بغتة
الاحتمال ان يكون الاستثناء بقوله الا ابليس عن المقيد راجعا الى قيده
لا الى اصله احتيج الى قوله لم يكن من الساجدين دفعا لذلك الاحتمال فلا صارف
فيه للاستثناء عن الانفصال بناء على انه لا حاجة الى هذا العذر كما ان يكفي ان
يقال لم يسجد الا انه قصد مع الاخبار عن عدم الاتيان الاشعار بانه تغلب
تقيد باظهاره السجود لا يكون ساجدا حقيقة لما فيه من امتناع
الاستكبار بل يكون معدودا من الساجدين فنفى ذلك الكون فافهم هذا
الاعتبار قال عدل عن التكلم الى الغيبة ايماء بعدم اسناد القول الى نفسه
ظاهرا ان هذه المخاطبة مع ابليس لم تكن بالذات وكان الجانبي تنبيه لهذا
الايماء حيث قال ان هذه المكالمة كان على لسان بعض الملائكة ما منعك
ان لا تسجد منع نظير صرف فحمل عليه في التعدية بالى كانه قيل ما صرفك
عن ان لا تسجد الى ان لا تسجد ولا يخفى ان اعتبار الصرف ابلغ في الكلام
وانسب للمقام ومن هنا تبين انه لا دلالة في قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد

لما خلقت بيدي على زيادة لا في هذا القول لانتظام معنى القصر في على كلا
القولين اذ معموله لقوله اي ما منعك عن السجود في وقت امرتك بالسجود فيه فلا
دلالة فيه على ان مطلق الامر للفور ولا على انه للوجوب اما الاول فلان الفور انما
لزم من تعيين وقت نفخ الروح في بدن ادم عليه السلام في قوله تعالى فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فانه فيه دلالة على المبادرة
السجدة في الحال وفي تضاعيف المقال تلويح الى انها كانت لتعظيم امر النفخ
وما ظهر عنده من آثار القدرة الباهرة في الحقيقة وان كانت في الظاهر
لتعظيم ادم عليه السلام واما الثاني فلان مبناه على ان تكون صيغة
الاستفهام للتوبيخ وان يكون التوبيخ على عدم الائتمار وكل منهما في
معرض المنع اما الاول فلان الظاهر من قوله **استكبرت ام كنت من العالين**
الاستفسار والاستخبار عن سبب المنع واما الثاني فلاحتمال ان
يكون التوبيخ على مخالفته لمن هو اعلى منه وتركه متابعته لما هو كما هو
الظاهر من قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ابى عن متابعتهم
في امر السجود وفي قوله امرتك دلالة على ان ابليس كان مامورا
بالسجود لادم عليه السلام لقوله تعالى للملائكة اسجدوا لادم
عبارة كانت ذلك او دلالة والظاهر من قوله تعالى استكبرت ام كنت
من العالين هو الثاني على ما نقف عليه في موضعه **قال انا خير منه**
لما كان هذا القول منه جوابا من حيث المعنى عن السؤال على وجه التفصيل
عن المانع المذكور في قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين مستانف فيه باختيار الشق الثاني
من الترديد المذكور اي كنت من الذين لم يثبتوا ولهم الامور لا تعلو شانهم
كما لم ينتبه وانه عبارة ذكرها هنا في معرض الجواب عن السؤال على وجه
الاجمال عن المانع ومن غفل عن هذا قال انه جواب من حيث المعنى
مستانف فيه استبعادا منه لان يؤمر الفاضل بسجود المفضول
فهو الذي قال بالحسن والقبح العقليين اولا **خلقتني من نار وخلقته**
من طين تعليل الفضل عليه وقد غلط في ذلك حيث راى الفضل كله باعتبار
العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله لما خلقت
بيدي على القراءة بالتوحيد اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما اشار
اليه بقوله لما خلقت بيدي على القراءة بالتشديد بيداي بقدرتي المنفردة
في عالمي الشهادة والغيب ولذلك اي ولكونه ذا حظ من عالمي الملك والملكوت
صار افضل عمن له حظ من احدهما فقط واستحق لان يسجد له الملائكة العالي
في تعليله كمن قيل فيه حفظت شيئا وغابت عنك اشياء وقبل العلة نسبة
خلق الانسان الى الطين وخلقه الى النار باعتبار الجزء الغالب ويرد عليه

ان المناسب لهذا الاعتبار ان يقال خلقته من تراب والله اعلم بالصواب
قال فاهبط تفريع على جوابه الخارج على حد الادب بل عن نهج السداد افتخر
اللعين بما في عنصره من شرف الصعود فجوزي بذل الهبوط وهو نزول
من جهة العلو الى جهة السفل ووضع عود الضمير في قوله **منها** الى جهة
العلو ويلزمه النزول من السما والخروج من الجنة فهذا ذهب الى كل منهما
ذاهب غافلا عن ان في عود الضمير الى واحد منهما بخصوصه محذور الاضمار
قبل الذكر **فما يكون لك** يصح لك تعليل للامر المذكور **ان تتكبر فيها** لانها
مكان المطيعين المتواضعين والتكبر في صفة المخلوق واظهار الكبريا
تكلف بلا مساعدة من الحال وفي صفة الخالق اظهاره على وجه الكمال
فلهذا صار ذما في الاول ومدحا في الثاني **فاخرج** منها اي من زمرة
الملائكة المعززين الساكنين في السما تفريع على عدم لياقته لان
يكون في جهة العلو **انك من الصاغرين** من الذليلين لصغر القدر
تعليل للامر بالخروج من بين المستحقين للعزة قوبل في كلامه تعالى
الامر بضد ما ظهر من المامور قالا او حالا **قال انظرني** من الانظار
بمعنى الامهال الى مدة فيها التطاول والقصر وقوله **الى يوم يبعثون**
بيان مدة الانظار الذي طلبه والضمير في يبعثون عائد على المفهوم
من تضاعيف المقام المعلوم بقرائن الاحوال وفيه دليل على اعتقاد
اللعين بالبعث وهو في الاصل الاطلاق في الامر استعمل مجازا في الاخراج
على المعدوم والمراد باليوم المذكور يوم النشور سال البقا الى يوم
اللقا على ما افصح عنه في قوله لئن اخرتني الى يوم القيمة **قال انك من**
المنظرين اي انك من جملة من قدر لهم الانتظار فلا حاجة الى السوال وفيه
الاشعار بان ذلك ليس من قبيل استجابة الدعوى فافهم لطف هذا
الاعتبار ان فيه الاخبار عن حصول حاجته من اهل الانظار
ابتلا للعباد وتعريضا للعبا بمخالفته للثواب لا لعنا الوصول الى المقصود
من امتداده المعهود وهو الامان من خوف الموت والم ذوق الموت
حيث قال **الى يوم الوقت المعلوم** لله تعالى وهو وقت قدر فيه انتهاء
اجل المنظرين ووجهه يوم النفخة الاولى وانما ابهمه الله تعالى كيلا
يخلو اللعين عن الم الخوف فانه كما يجب وفي انجام اليوم زيادة فيها لا يهام كما
لا يخفى على ذوي الافهام **قال فبما اغويتني** الفا للسببية تتعلق بفعل هو
القسم وقد اظهر المقسم به في قوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين لا بما فعده لان
اللام تصد عنه وما مصدرية واصل الغي الفساد لقول العرب غوى الفصيل
اذا بشم والبشم فساد اللبن في البطن والمعنى بعد ان امهلتني لاجتهدن في
اغوائهم باي وجه يمكنني بسبب اغوائك اياي فيهم حتى يفسدوا بسببي

ضمار

كما فسدت بسببهم لاقعدن لهم القعود كناية عن الترصد بل مجاز متفرع
عليه لان المراد من الصراط المستقيم الدين القويم وهو لا يصلح متعلقا للقعود
الحقيقي صراطك المستقيم نصبه على تضمين معنى اللزوم اي لالزمن صراطك
مترصدا كما يفعل قطاع الطريق للسابلة وهذا اولى من انتصابه على الظرف
واما انتصابه على اسقاط على كما قاله الزجاج وشبهه بقوله ضرب
زيد الظهر والبطن ففيه ان اسقاط حرف الجر في مثل هذا لا ينقاس ثم
يستعار لبعد ما بين الاجمال المذكور والتفصيل الاتي في ضمن التمثيل
لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وشمائلهم مثل اتيانه
اياهم بقصد التسويل والاضلال باتيان العدو السابلة بقصد القتل
ونهب الاموال محيطا بهم من الجوانب كيلا يفوت الاستيصال ولهذا
خص الجهات الاربع بالذكر والا فقصد التسويل يتيسر له من جميع الجهات
وانما قال من بين ايديهم ولم يقل قدامهم قصدا الى تشبيه اتيانه من تلك
الجهة باتيان عدو لم يختبئ له الخصم الا وهو حاضر بين يديه فانه اشد
كيدا واشد نكاية وانما عدي الفعل في الاولين بمن لان فيه معنى طلب
النكاية وفي الاخرين بعن لان فيهما معنى الانحراف عن المقصد ولا
تجد اكثرهم شاكرين لم يقل فلا تجد لانه اراد بيان ان حالهم هنا على
مقتضى جبلتهم لا بسبب تسويل واضلال ولا تعلق له بقوله ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه لان مظنونه تزيينه تمام ذلك الكلام وهو قوله
فاتبعوه الا فريقا من المومنين ما ذكره بقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين فان انطباقه عليه لا يعصمون هذا الكلام
قال اخرج منها الامر بالخروج من زمرة المومنين المتقربين فقد كان
فهو هنا منصرف الى قيد المذكور بقوله مذموما من ذامه اذا ذمه
وقرئ مذوما كمسول في مسوك او مكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما
وقيل الذام والذيم اشد العيب كما اللوم مدحورا الدحر الدفع والطرد على وجه
الهوان والاذلال لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملان
جهنم وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام اي لمن تبعك
منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم على ان لاملان جهنم في محل الابتدا
ولمن تبعك خبره او على انه علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف على
الوجهين منكم اجمعين اي منك وممن تبعك وقوله تعالى في موضع اخر
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فغلبت هنا المخاطب ويا ادم
اي وقلنا يا ادم على ما ذكره في سورة البقرة لا مساغ لان يعطف على قوله
اخرج لانه في موضع الاستيناف في جواب ابليس وهنا ليس من تتمته ولا
من تتمة الامتنان وفي العطف على ما بعد قلنا بعد اسكن انت وزوجك

قد

قد سبق ما يتعلق به من اللطائف الجنة فكلا من حيث شئتما في سورة البقرة وكلا اعتبار
عدة الاستقلال في امر الاكل بخلافها لتشابه تلك النعمة الجليلة واعتبر هنا توزيعه على الامر الاول
وفيه زيادة تفخيم لذلك الامر ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي على الاصل لتصغيره ذيه
والهاء بدل من ياء فتكونا فتصيرا يحتمل الجزم بالعطف والنصب بالجواب من الظالمين
اي بصيغة الفاعل لانه ابلغ من الذي ظلم واطلقه لينتظم غيره من ذريته فوسوس اي
تكلم كلاما خفيا متكررا والاصل الوسوسة الصوت الخفي كهينمة وسواس الحلي وهو غير متعد
كولولة المراة وعوعوة الذئب فلا بد من ارادة التعدية ولهذا قيل لهما الشيطان
والفاء للترتيب على ما تقدم من النهي ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما الابداء الاظهار
والمواراة الستر والسوءة العورة مجاز لانه يسوء صاحبه ظهورها وكانا لا يريانها
من انفسهما ولا احدهما من الاخر واللام للتعليل ان كان للعيب عما لهما لذلك والا فلام
العاقبة وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة بيان للوسوسة والواو للاستيناف
الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين من الذين يخلدون في الجنة
ولا يموتون به في حصول الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
اذ لا احتمال لطلب الخلود بلا فلا دلالة فيه على فضل الملك على ادم وقاسمهما اني لكما
لمن الناصحين اقسم لهما بالنصيحة فاخرجه على وزن المفاعلة للمبالغة
لاجتهاده فيه اجتهاده كالمبالغة وقيل اقسم لهما واقسما عليه بالله انك لمن
الناصحين فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة وفيه دلالة على انه اهبطهما
من درجة عالية متنزل الى منزلة سافلة فمعنى التدلية من ارسال الشيء من
اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم بالله وكانا لا يظنان ان احدا يحلف بالله
كاذبا او متلبسين بغرور اي خدعة وربما غر والغرور واظهار النصح مع ابطان الغش
واصل الغرر طي الثوب فان فيه اظهار حال واخفاء اخرى ومنه الغرر لخفاء
ما لا يؤمن فيه فلما ذاقا الشجرة بالاكل من ثمرها دل هذا على ان المراد بالاكل
في قوله فكلا منها بدايته كما دل هو على ان المراد من الذوق هنا نهايته فالقران
يفسر بعضه بعضا بدت لهما سوآتهما اخذتهما العقوبة بشوم المعصية
وتساقط عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما وطفقا عطف على مقدر اي
فتداركا واخذا يخصفان عليهما اي على عوراتهما ورقة فوق ورقة ليستترا
بها كما يخصف النعل ويجعل طرقة فوق طرقة من ورق الجنة قيل كان ورق
التين وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة انما قال تلكما لانه خاطب
اثنين واشار الى الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين توبيخ من
الله تعالى لهما على الاغترار بقول العدو وبعد التحذير وعتاب على مخالفة
النهي الارشادي ولا دلالة فيه على ان مجرد النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا
بنقص حظنا من المنحة وتعريضنا للمحنة وان لم تغفر لنا وانما لم يقل فان لم
تغفر لان الحاجة الى المغفرة والرحمة والكون من زمرة الخاسرين عند عدمهما ليس

تعدم من النقص والتوبيخ بلد لك الامر اخر وراء ما ذكر وترحمنا لنكونن من الخاسرين
هذا علي عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من
الحسنات لما عرفت ان النهي ارشادي لا تكليفي فلا دلالة فيه علي الصغيرة من الذنوب
معاقب عليها ان لم تغفر قال اهبطوا خطاب لهما ولذريتهما او لهما ولابليس
كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرنا او اخبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو في
موضع الحال ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع تمتع الى حين
انقضاء اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يعلمهم انهم
لا يعودون الى الجنة الى ان يحشروا من قبورهم ثم يصير السعيد الى الجنة والشقي
الى النار يا بني ادم اراد نوع الانسان والتعبير بها يشير الى بدء خلقته
وابتداء ولادته لتذكير خلقته عريانا فانه المناسب لمقام الامتنان باعطاء
اسباب اللباس قد انزلنا عليكم لباسا جعلناه في الارض منزلا من السماء
لانه قضي وقدر وخلق بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منه كقوله
وانزلنا الحديد يواري سوءاتكم التي قصد الشيطان ابداها اي يسترها
يسوءكم انكشافه من الجسد ويغنيكم عن خصف الورق وريشا وقرئ
رياشا جمع ريش كشعب وشعاب والريش لباس الزينة والجمال استعير من
ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري
سوءاتكم ولباسا يجملكم ويزينكم والزينة غرض صحيح في الشرع كما قال لتركبوها
وزينة ولكم فيها جمال ولباس التقوى هو الاكتفاء بالصوف والخشن من الثياب
ورفعه بالابتداء خبره ذلك خير او ذلك خبره وخير خبر او ذلك صفته
عدل به عن النصب وفخم بالاشارة اليه وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا علي
لباسا قيل هو ما يتقى به في الحروب ولا يناسبه الترجيح والتفخيم فان ما ذكر
وجه الرجحان انما يساعد الاول وقيل هو لباس الورع ولا يساعده ذلك
من ايات الله اي تحصيل اللباس من سواد ارضية حاصلة باسباب سماوية
وانضمام نفع احدهما بالاخرى مع بعدما بينهما دليل علي كمال قدرة
منشيهما وحكمة مدبرهما لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته ويعترفون بقدرته
ويحترزون عن نقمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح روي ان العرب
كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت
فعلي هذا يكون قصة ادم عليه السلام مقدمة لذلك تنبيها علي ان انكشاف العورة
اول سوء اصاب الناس من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وان
الفطرة النسلية اقتضت سترها بخصف الورق عليها لينقطعوا بها يا بني ادم
لا يخفى علي المنطق ما في هذا التعبير من الاشارة الى انهم مظنة الافتتان لكونهم ذرية
من افتتن لا يفتننكم لا يمنعنكم الشيطان دخول الجنة بالافتتان اي بالاغواء
كما اخرج ابويكم اي افتتن ابويكم بما ادى الى اخراجهما من الجنة والمراد بنهي الشيطان

المبالغة

المبالغة في نهيهم عن مظان الافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما
حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه مجاز للتسبب والعدول عن صيغة
الماضي لاستحضار تلك الصورة الفظيعة والنزع قلع الشيء عن موضعه الذي هو ملابس
انه اي ان الشيطان يريكم تعليل للنهي علي سبيل الاستئناف وتاكيد للتحذير من
فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم من حيث لا تشعرون هو اظهر ليصح عطف قوله
وقبيله اي وجنوده من حيث لا ترونهم اي من مكان لا ترونهم فيه قال ابن عباس
رضي الله عنهما صدر الانسان له مسكن ويجري منه مجرى الدم وانما نقل
ولا ترونهم كيلا يذهب الوهم الى عدم تلبسهم ورؤيتهم لنا مطلقا انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون بالتناسب بينهم والاية مقصودة القصة واذا فعلوا
فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في طواف قالوا
وجدنا عليها اباءنا اعتذروا بتقليد الاباء ولما راوا ما فيه من الضعف ايدوه بقولهم
والله امرنا بها قيل هما جوابا سوالين مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم
فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل من اين اخذها اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وفيه
حق النظم واسلوبهما قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته تعالى جرت علي
الامر بمحاسن الافعال والحث علي مكارم الخصال فنقض عليهم ردا للثاني لما عرفت
ان الاول لا يخفى بطلانه ويدونه في الاية دلالة علي انه يعمم الافعال وقبحها بنشر
العقل مع قطع النظر عن السمع وان لم يرد علم ترتبا للذم عليها حلا قبل النهي عنه
ان تقولون اتفترون علي الله انكار يتضمن النهي وانما قال ما لا تعلمون
اظهارا لما في افترائهم من زيادة قبح لتضمنه الاخبار عما لا علم لهم به قل امر ربي
بالقسط بالعدل الذي هو الوسطية بين طرفي الافراط والتفريط في كل شيء
واقيموا وجوهكم معطوف علي ما ينحل اليه المصدر الذي هو القسط اي
بان اقسطوا واقيموا وكما ينحل المصدر الى ان والفعل الماضي نحو عجبت من قيام
زيد وخرج اي من ان قام زيد وخرج كذلك ينحل الى ان مع الفعل المضارع نحو
لبس عباءة وتقر عيني لان البس عباءة وتقر عيني عند كل مسجد موضع سجود
اي لا تسجدوا كما يسجد اليهود علي انصاف الوجوه وقد مر وجهه ذلك في تفسير
سورة البقرة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مستغنين بها
وجه الله تعالى خالصا فانكم مبعوثون مجزيون علي اعمالكم فحذف التعليل وذكر
ما يدل علي الوعيد اكتفاء بالعبارة عن الاشارة كما بداكم اي كما ابداكم ابتداء تعودون
باعادته اي فليس الاعادة بالابتداء فلا تنكروها لانها اهون منها فريقا هدى بان
وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بابطالهم الاستعداد الاصلي والقابلية
الفطرية لا بانتفاء القضاء الازلي كما زعمت الجبرية لان القضاء تابع للمقتضى لا انه
متبوع له وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اضل كقولك زيدا مررت به
انهم اي ان الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله فاطاعوهم

تعليل المضلين او تحقيق لضلالهم ويحسبون انهم مهتدون ولولا حسبانهم هذا لكان فيهم
تأثر للانذار والتذكير وفيه تنبيه التحليل والتحقيق وبسده على ان الضلال انما حق على
من ضل وزعم انه لهتدوا ومن هنا ظهر ان المكلفين غير محصورين في الفريقين المذكورين فان
المعاند يعقل عن الحسبان المذكور يا بني آدم انما خاطبهم بهذا تذكيرا لستر ابيهم
آدم عليه السلام في ستر العورة خذوا زينتكم اي لباسكم المواري لعوراتكم والزينة
فعلة من التزين وهو اسم ما يتجمل به من ثياب وغيرها والمأمور باخذه هنا ما يستر
العورة عند كل مسجد اي عند كل قصده دل عليه سبب النزول فانهم كانوا يطوفون
بثيابهم وبالمسجد عند الطواف او الصلاة فان ستر العورة فيها واجب والسنة
ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة اعتبارا للظاهر عبارة الزينة وكلوا واشربوا
اي لا يضيقوا على انفسكم فيما وسعه الله تعالى من الاكل والشرب روي انهم كانوا لا يصيبون
في ثيابهم ويقولون لا نصلي في ثياب اذنبنا فيها ولا يأكلون من الطعام الا قوتا
ولا يأكلون دسما في ايام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يا رسول
الله نحن احق بذلك فنفعل فنزلت الآية ولما كان حذف المفعول في الموضعين
مظنة التعميم والتوسيع لدائرة الرخصة في الاكل والشرب وكيفا تدورك دفعه بقوله
ولا تسرفوا اي في التعدي بالتعدي من الحلال الى المحظور بل من الطيب الى المحذور انه اي ان
الله تعالى والاضمار قبل الذكر للتفخيم لا يحب المسرفين لا يرتضي بهم لاسرافهم وهذا
ابلغ من ذم الاسراف وصيغة الجمع للتعميم لانواعه فانه مذموم في كل امر حتى في
التصدق على ما مر في سورة الانعام قل من حرم معناه الاستفهام انكار تحريم هذه
الاشياء وتوبيخ محرميها والاستفهام اذا تضمن الانكار لا جواب له زينة الله الاضافة
اليه تعالى تعظيما لنعمة الزينة للدلالة على عدم التحريم من جهته تعالى التي اخرج من
الحيوان كالحرير والصوف والنبات كالقطن والكتان والمعدن كالحديد وسائر
الاجسام لعباده في عبارة العباد واشارة الى ان الاخراج المذكور لمصلحة العباد
فليعم اثرها على الناس والطيبات اي الحلالات فان المحرم ليس بطيب وان
كان مستلذا من الرزق من الماكول والمشروب فوصفها بالطيب هنا في مقابلة الاضافة
الى الله تعالى في قرينه في افادة المعنى المهم في المقام وهو كونهما غير محرمين في
الشرع فلا دلالة في الآية على ان الاصل في المطاعم والمشارب والملابس وانواع
التجملات الاباحة قل هي اي جملة ما ذكر من الزينة والطيبات للذين آمنوا في الحياة
الدنيا غير خالصة لهم لكون كفارهم مشاركين فيها وانما لم يقل للذين آمنوا ولغيرهم
تنبيها على انها خلقت لهم بالاصالة والكفار تبع لهم فيها واقحام الحيوة للاشعار
الى وجه التشريك فانهم ادركوا الحاجة اليها في الحيوة خالصة يوم القيامة لا يشاركهم
فيها غيرهم وانتصابها على الحال من الضمير المستكن في الجار والمجرور الواقع خبرا
لهي وقرئ بالرفع على الحال من الضمير المستكن حدا انها خبر بعد خبر
كذلك نفصل الآيات اي كتفصيلنا لكم هذه الاحكام في الحلال والحرام نفصل لكم

جميع ما بكم حاجة اليه من شرائع الاسلام وانما قال لقوم يعلمون تفصيلا للعلماء
على غيرهم بتخصيص التفصيل لهم وتغليبا للذكور على الاناث لاصالتهم في اهلية
الخطاب باعلام الاحكام وافهام الحلال والحرام قل انما حرم ربي الفواحش اي لم يحرم هو
الزينة والطيبات وانما حرم القبائح التي تزايد قبحها والتحريم المنع من الفعل باقامة
الدليل على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق في الفعل ببيان جواز تناوله
ما ظهر منها وما بطن قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يرون بالزنا سرا بأسا
وكانوا يستقبحونه علانية فنهوا عنهما جميعا وتخصيصها بالذكر مع انتظامها
في سلك الاثم ذكره للاهتمام والاثم اريد به ما بين العبد وبينه تعالى من الذنب
والبغي اريد به ما بينه وبين الغير وهو التعدي مسندا او منتصرا وقوله
بغير الحق زيادة بيان لان ما كان بحق لا يكون بغيا وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا تهكم بهم اذ معلوم انه لا برهان حتى ينزل فهو من قبيل
ولا ترى الضب بها ينجحر واذ انجر انزال البرهان من حيث ان البرهان اظهار
صحة المعنى وفساد نقيضه والسلطان اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى
بالابطال ولا يخفى ما في اعتبار هذه المرتبة واشتراط نزوله دون ظهوره من
تعظيم امر الشرك وان تقولوا على الله وان تفتروا عليه ما لا تعلمون انما ذكره
اظهارا لزيادة قبح ما فعلوه وان افتراءهم لا يكون عن علم ولكل امة اجل
الامة الجماعة التي على مقصد واحد والاجل الوقت المضروب لانقضاء المهل
ففيه اشارة الى تقرير عذاب اهل العصر الواحد واما الوعيد فمبناه على ان
يكون المراد من الاجل مدة نزول العذاب ولا يساعده اجتناء الكلمة على
ظاهرها فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
اي لا يتقدمون ولا يتأخرون وانما قال ساعة لانها اقصر الاوقات
في العرف يقول المستعجل لصاحبه في ساعة اي اقصر وقت وانما قال
فاذا جاء اجلهم لانه قبل المجيء يقبل التقديم والتأخير بخلاف ما بعده على ما
افصح عنه قوله ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر والمراد من مجيء الاجل تحقق
قربه على ما دل عليه قوله ولا يستقدمون وهذا كما يقال جاء الشتاء وجاء الصيف اذا قارب
وقته يا بني آدم وانما اوثر هذا التعبير لما فيه من التذكير لاول الرسل منهم اما يأتينكم
هي ان الشرطية زيدت عليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او
الخفيفة وجواب الشرط الجملة الشرطية الآتية رسل منكم انما جاء باتيان الرسل بحرف
الشك تنبيها على انه غير واجب كما زعم اهل التعليم يقصون عليكم آياتي القصص
وصل الحديث بالحديث واصله اتباع الشيء بالشيء فمن اتقى الشرك والمعاصي
واصلح العمل والاسلام فلا خوف عليهم من الوقوع في العقوبات وهذه ثمرة الاتقاء
ولا هم يحزنون بفوات الثواب وهذه ثمرة الاصلاح وليس فيه ابطال لما فات
الغاية المراد به العاقبة فهو كقول الطبيب لا بأس عليك ولا خوف وان كان ذا في

وجع وضعف والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي تعظموا عن قبولها والمعنى
استمروا على التكذيب فان الاستكبار يلزمه الاستمرار على خلاف من اتقى واصلح
اولئك اصحاب النار الملازمون لها لتكذيبهم بآياتنا هم فيها خالدون لاستمرارهم
عليه وانما اورد في جواب فمن اتقى الفاء دون جواب والذين للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد فمن اظلم اي فمن اشد ظلما والفاء للترتيب على ما فهم مما تقدم
من عظم شان الافتراء حيث قرن بالشرك بالله وشان التكذيب حيث اخبر بان
جزاءه الخلود في النار والاستفهام للاستعظام وقد مر بيان طريقته في تفسير
سورة الانعام ممن افترى على الله كذبا بنفسه بما علم انه ما قاله والافي الافترا
من مزيد قبح حيث جمع بين القبيحين او كذب بآياته لم يقل او كذب به لان من
كذب كلام الله تعالى مما كذب به منكر لكونه كلامه وانما قال بآياته لينتظم
المعجزات الفعلية اولئك ينالهم النيل هو وصول النفع الى الغير واذا اطلق
واذا قيد وقع على الضرر لان اصله الوصول الى الشيء نصيبهم من الكتاب اي
مما كتب لهم من الارزاق والاعمار اي هولاء مع نهاية ظلمهم لا يحرمهم في الدنيا
بل يصل اليهم حظهم في الدنيا مما كتب لهم في الكتاب السابق حتى اذا جاءتهم
غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم به وهي التي تقع بعدها الجملة رسلنا اي ملك
الموت واعوانه يتوفونهم يستوفون ارواحهم حال من الرسل قالوا جواب اذا
اينما كنتم حق ما ان تفصل لانها موصولة ولكن وقعت موصولة في خط
المصحف باتباع سنته تدعون من دون الله اي تعبدونه من الالهة
ترجون شفاعتهم ومعونتهم قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين اي اعترفوا بكفرهم بلفظة الشهادة التي هي
تحقيق الخبر ولا يخالف هذا ما تقدم في سورة الانعام من قولهم والله ربنا
ما كنا مشركين لان انكارهم ذلك عند غيبة الهتهم على ما بين فيما سبق واعترافهم
هذا عند حضورهم على ما افصح عنه قوله تعالى واذا راى الذين اشركوا شركا
ءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك قال اي يقول الله تعالى
لهم على السنة الملائكة يوم القيمة ادخلوا ويجوز ان يكون للتسخير كما
في قوله تعالى اهبطوا فيكون دخولهم في النار بلا قدرة واختيار منهم كما هو
الظاهر من قوله تعالى كلما ألقي فيها فوج في امم اي كائنين في عدادهم ومصاحبين
لهم فان كلمة في تجيء بمعنى مع قد خلت من قبلكم اي مضت لان من مضى بالهلاك فقد
انقضى عن مكانه فخلا المكان عنه الا انه قلب فنسب الخلو اليه من الجن
والانس قدم الجن على الانس لان المقام مقام التحقير في النار متعلق بادخلوا
في النار وان لم يقتض كون الذين من الكفار لكن الامر بالمشركين بالكون
عنهم في معرض العقاب دل على ذلك كلما دخلت اي في النار امة من تلك الامم
لعنت اختها مثلها في الدين التي ضلت بها وقيل بالاقتدا بها ويرد عليه انه يلزم

ج

ج ان تكون سلسلة الامم الداخلة في النار غير متناهية حتى اذا اداركوا اي تداركوا
اي تلاحقوا وهو الاصل ثم وقع الادغام فاحتيج الى الف الوصل فيها جميعا قالت اخراهم
منزلة وهم الاتباع والسفلة لاولاهم لاجل اولاهم لان الخطاب مع الله تعالى لا معهم وهم
المتبوع الرؤسا والقادة ربنا هؤلاء اضلونا بان دعونا الى ذلك وامرونا به فالك
الله تعالى خبرا عنهم اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا فلا حاجة الى الصرف
عن الظاهر المتبادر فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا
قال لكل اي لكل منكم ومنهم ضعف مثل زائد عليه مثل لان كلا من الفريقين ضال ومضل
وهذا في حق القادة ظاهر واما في حق الاتباع فلانهم بالاتباع لهم وصدودهم عن ايمانهم
زادوا في طغيانهم وثباتهم على الضلال وقوتهم على الاضلال وقد افصح عن هذا
المعنى في قوله تعالى كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا
واما التقليد في الباطل فلا يصلح وجها لعدم اختصاصه بالاتباع فان القادة
قد يكونون مقلدين ولكن لا تعلمون ذلك كيلا يحصل لهم نوع سلوة وسرور
فانه لو علم كل منهم بالآخر بسبب اضلالهم اياهم لكان لهم فيه تسلي وخفة وقرئ
بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم مرتبا كلامهم على جوابه تعالى
لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا بل انا واياكم
متساوون في الضلال والاضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون كما نحن نذوقه بما كنا نكسبه فليس هذا القول منهم تشفيا
كيف والمقام لا يحتمل الاخبار عن حادثها نوع سرورهم ان الذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها قد سبق تفسيره لا تفتح لهم اي لادعيتهم واعمالهم ولارواحهم كما
تفتح للمؤمنين فهو بمنطوقه وعيد للكفار ومفهومه وعد للمؤمنين اذ لولاه لما كان
وعيدا لهم والحاجة الى صيغة الجمع في قوله ابواب السماء لمصلحة المفهوم اذ لا
حاجة اليه في المنطوق وقرئ تفتح بالتشديد لكثرة الابواب وبالياء لان تانيثه
غير حقيقي والفعل مفتوح على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل
للابواب وبالياء على انه لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل الولوج التقحم
في الشيء وانما خص الجمل من حليتي البعير بالذكر لانه اكبر واصلب من الناقة في سم
الخياط في ثقبة الابرة وهو من باب التعليق بالمحال اذ المعنى لا يدخلون الجنة حتى
يدخل ما هو مثل الجمل في عظم الجرم فيما هو مثل في ضيق المسلك وذلك مما لا يكون
ابدا فكذلك ما علق به وقرئ الجمل كالجبل والجمل كالنغر والجمل كالنصب والجمل كالقفل
وهي الحبل الغليظ وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو والخياط
ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين
اي الكافرين الموصوفين بالجرم الكامل وانما وضع المجرمين موضع الضمير
تسجيلا على المكذبين بالاجرام وايذانا بان الاجرام هو السبب الموجب للحرمان
الموصل الى العقاب المؤبد في النيران ولذلك كرر الجزاء وسجل عليهم بالظلم

تاكيد لهم من جهنم مهاد جمع مهد وهو الوطا الذي يفترش ومنه مهد الصبي وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها فهو على طريقة قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ولهذا اي ولما في لفظ المهاد من التهكم اثره على لفظ الفراش مع ما فيه من صنعة التجنيس اعتبارا للجانب المعنوي وترجيحا للمزية المعنوية على اللفظية ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهي لباس محيط والتنكير فيه وفيما في المهاد للتعظيم والتهويل ولما كان في المهاد اختصاص بالجهة التحتية بخلاف الغاشية فانها خلو عن الاختصاص بجهة وكان المراد التغطية من جانب الفوق فلا جرم احتيج الى قوله ومن فوقهم دون تحتهم وقد ذكر في قوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل لقيام الحاجة الى تعيين الجهة في الموضعين قوله ومن تحتهم ظلل يرشدك الى ارادة معنى الجمع من المهاد وكذلك نجزي الظالمين لانفسهم بالاصرار على عدم الايمان والاستكبار عن الاذعان والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر للاشارة اولا الى ان المذكور في معرض الشرط الاعمال التكليفية وثانيا الى انه غير متعسر في حق غير المكلفين والمعذورين اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته تعالى في ان يتبع الوعيد بالوعد واولئك اشارة الى ان استحقاق الخلود في النعيم بسبب اتصافهم بالايمان والاعمال الصالحة مع سهولتهما وتعظيم شانهما ونزعنا ما في صدورهم من غل النزع رفع الشيء عن مكانه المتمكن فيه اما بتحويله عنه واما باعدامه والمراد هو الثاني والغل هو الحقد الذي يصل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة والصدر ما يصدر من جهة التدبير والراي ومنه قيل للرئيس الصدر تجري من تحتهم الانهار زيادة في حبورهم وسرورهم والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء ومنه النهار لاتساع ضيائه والجري انحدار المائع وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا بالدلالة الى ما وصلنا اليه من الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله زيادة اللام لتاكيد النفي اي وما كنا يصح ويستقيم لنا ان نكون من المهتدين الى ذلك مع تيسره لولا هداية الله تعالى وتوفيقه وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرئ ما كنا بغير واو على انها جملة مبينة للاولى وعلى القراءة المشهورة اعتراضية لتاكيد لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا [illegible] بارشادهم وهو كلام وارد على سبيل الاغتباط والتبجح بما نالوا والسرور بما شاهدوا ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها النداء للدعاء على طريقة يا فلان كانه قيل لهم يا ايها الذين امنوا وان هي المخففة من الثقيلة تقديره بانه والضمير ضمير الشان والمفسرة لان النداء في معنى القول والجنة صفة تلكم ومن مبتدا خبره اورثتموها او الجنة خبر واورثتموها حال والعامل معنى الاشارة في تلكم اي مورثة لكم والاشارة بتلك للقصد التعظيم وانما سماها ميراثا لانها ليست مما يستحق بالعمل بل هو محض فضل الله ووعده على الطاعة كالميراث من الميت لا يكون

عوضا

عوضا مستحقا عن شيء بل هو عطية خالصة ففيه حفظ السامع عن المتبادر الى الفهم من الباء السببية في قوله بما كنتم تعملون من ان تكون تلك الاعمال اسبابا حقيقية لما يعطونه في الاخرة فانما سببيتها لها انما هي بحكم الوعد وهذا طريقة بليغة سميناها في بعض رسائلنا المعمولة في اسرار البلاغة بما لتقدم بالحفظ وهي ابلغ من طريقة التدارك وقد غفل عنها القوم ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار قد مر ان نادى معناه دعى غير ان في النداء معنى امتداد الصوت ورفعه وليس كذلك الدعاء لانه قد يكون بعلامة كالاشارة من غير صوت ولا كلام والصاحب هو المقارن على نية طول المدة والصحبة والمقارنة نظيران الا ان في الصحبة الارادة ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ان في المواضع الاربع محتملة الوجهين كالتي مرت انفا ووجدنا من الوجود وحقا مفعوله الثاني او من المصادفة وحقا حال فهل وجدتم ما وعد حقا انما قالوا تبجحا بحالهم وتحسيرا لاصحاب النار وكذلك ذكر مفعول وعد في الاول وترك في الثاني فان اهل الجنة يستبشرون بحصول موعودهم فذكروا ما وعدنا الله تعالى مضافا اليهم واطلقوه حين سالوا اهل النار ليشمل كل موعود من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر ما في احوال القيامة من الاهوال تنبيها على تكذيبهم بامور كثيرة ليست مخصوصة بهم سائرها كلها وتكون اجابتهم بنعم تصديقا بجميع ما وعد الله بوقوعه في الاخرة للصنفين واعترافا منهم بحصول موعود المؤمنين ليتحسروا على ما فاتهم من نعيمهم اذ نعيم اهل الجنة مما يحزنهم ويزيد في عذابهم قالوا نعم وقري والغنم فاذن مؤذن اسم للتنكير وتكرير للتعظيم وهو ملك ينادي باذن الله تعالى ندا يسمعه اهل النار زيادة في تحسيرهم بينهم يعني بين القايلين نعم ولو كان المعنى بين الفريقين لقيل بينهما كما قيل وبينهما حجاب ان لعنة الله على الظالمين اي الكفرة اطلاقا لاسم الجنس على الفرد الكامل بدليل قوله تعالى وهم بالاخرة كافرون وقرئ ان بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول والواحد النادين مجراه الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او نصب على الذم او رفع عليه والصد الصرف عن الخير خاصة ويبغونها اي يبغون بها والضمير للسبيل وهو يذكر ويؤنث عوجا العوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة والفتح في المنتصبة كالحائط والرمح اي يطلبون لها زيغا وميلا الى الباطل وهم بالاخرة كافرون اي كانوا بها جاحدين لما كان مناداة الفريقين مشعرة عن القرب بينهما ومظنة ان يتوهم وصول روح الجنة الى اهل النار ووصفهم الى اهل الجنة دفعه بقوله وبينهما اي وبين الفريقين لا بين الدارين لانه قال في موضع اخر وبينهم حجاب الحجاب الحاجز المانع عن الادراك والمراد ههنا هو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور

وعلى الاعراف اي اعراف الحجاب وهو اعاليه جمع عرف وهو ما ارتفع من الشي
فانه بارتفاعه وظهوره اعرف من غيره ومنه عرف الديك رجال قوم علت
درجاتهم كالانبيا عليهم السلام والشهدا واخيار المومنين او ملايكة يرون
في صورة الرجال وقيل قوم قصروا في العمل او تساوت حسناتهم وسياتهم وانما
عبارة الرجال لان الامر المذكور بالذكور يعرفون كلا من اهل الجنة والنار
بسيماهم بعلاماتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده
فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او علا من وسم على القلب
كالجاه من الوجه وقد دل البا السببية على انهم يعرفونهم بالامارات الظاهرة
فلا وجه لما قيل وعرفانهم ذلك يجوز ان يكون بالالهام من الله تعالى او بتعريف
الملايكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا الى اهل الجنة
نادوهم بالتسليم عليهم وقد دل على هذا تمام الكلام فلا حاجة الى تقديره لم
يدخلوها استيناف او صفة لاصحاب اي لم يدخلوها وفيه رفع ما يتبادر
الى الفهم من عبارة اصحاب الجنة ودفع وهم مخالفته لما ياتي من قوله ادخلوا
الجنة وهم يطمعون حال منهم والطمع توقع المحبوب ونقيضه الياس وهو
القطع بعدم حصوله واذا صرفت الصرف امالة الشي من جهة الى اخرى
ابصارهم تلقا اصحاب النار اي حذاهم وهي جهة اللقا تفعال استعمل ظرف
مكان وفيه دلالة على ان نظرهم الى اهل الجنة نظر رغبة وارتضا واما نظرهم
الى اهل النار فليس كذلك بل لا ينظرون اليهم لكراهتهم ونفرتهم منهم ولا
يتاتى منهم النظر اليهم طوعا حتى كان صارفا صرف نظرهم اليهم كرها
ليعلموا قدر ما هم فيه ولهذا كان الاول متقابلا بالتسليم والثاني بالاستعاذة
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين استعاذوا بالله تعالى من مصاحبتهم
صريحا وفي ضمنها الاستعاذة من النار ولا يخفى ما في هذا الاعتبار من
تقديم الفرار من عذاب صحبة الفجار على الفرار من عذاب النار بنا على ان
الاول روحاني والثاني جسماني والروحاني اشد ايلاما ونادى اصحاب
الاعراف رجالا من روس الكفرة واعيان الفجرة يعرفونهم في الدنيا بسيماهم
المعهودة عندهم فهذه معرفتهم باشخاصهم وما سبق معرفتهم من حيث
انهم من اهل الجنة او من اهل النار قالوا ما اغنى عنكم استيناف لبيان
ما نودي به جمعكم كثرة جندكم واعوانكم او جمعكم المال وما في ما اغنى استفهامية
للتوبيخ والتقريع ويجوز ان تكون نافية وفي وما كنتم تستكبرون
مصدرية اي وكونكم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقري بالثا المثلثة
اهولا الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى
فقرا اهل الجنة والخطاب لروسا الكفرة الذين كانوا يستحقرونهم ويحتقرونهم
لفقرهم يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة وقد مر تفسير النيل ادخلوا الجنة من

كلام اهل الاعراف الفقرا اهل الجنة لما اشاروا اليهم بهولا معيرين لروسا الكفرة
قالوا لهم اخبارا من الله تعالى ملتفتين اليهم ادخلوا الجنة وقري ادخلوا على
البنا للمفعول وقري دخلوا على الاستيناف والتقدير ادخلوا او دخلوا مقولا
لهم لا خوف عليكم فيما ياتي ولا انتم تحزنون على ما فاتكم وفيه تعريض لاصحاب
النار بانهم يحزنون ونادى اصحاب النار اي الكفار على ما ستقف عليه
اصحاب الجنة ان قلت كيف النداء وبينهما حجاب قلت في الجنة ينظر اهلها منه الى
اهل النار ان افيضوا من الفيض وهو السيلان عن الامتلا ولما فيه من معنى
الاحسان قالوا علينا اي احسنوا علينا بما اذداد منكم من الما فلا دلالة فيه
على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله تعالى من انواع الخير بجنس
المشروب وانما خصهم بالطلب لما بهم من غلبة العطش وشدة الحرارة ولهذا
اتوا باداة التنويع ولو كان المراد الطعام لما عدلوا عن العطف باداة الجمع
اذ لا بد لهم من طلب الما ولما كان في سوالهم ما دل على التماسهم من الفضلة
وما لا حاجة لهم به وكان الامتناع عن الاجابة في مثله مظنة البخل
اجابوا بما يندفع به هذا الوهم ثم انهم عدلوا عن الجواب بالمنع الصريح الى ذكر
سببه محافظة لجانب الكرم مهما امكن وقطعا لاطماعهم على وجه احسن
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين لم يقل عليكم تضمينا لمعنى التعليل وتتميما
للجواب لغير السايلين من جنسهم والتحريم المنع وتعديته بعلى كتعدية
الشهادة بها كما في قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من منع المحروم عن
المكلف الذين اتخذوا دينهم الاتخاذ اخذ الشي باعداد الامر من الامور ولا
يخفى لطف موقعه ههنا من حيث تضمنه الاشارة الى ان حق الدين
الجد والاهتمام بشانه دون الهزل واللعب فكان فيه نعي لهم بتقبيح
صنيعهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واصل
اللهو الانصراف عن الشي والمراد ما يتصرف اليه كما لا يعني واللعب طلب
المزح بما لا يحسن ان يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور
على الاستوا وغرتهم الحيوة الدنيا التغرير تزيين الباطل للوقوع فيه
فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين بتركهم في النار وترك المنسي كما نسوا
لقا يومهم هذا اي كما فعلوا به فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له ولم يهتموا به
والمراد من اليوم الواقعة ولهذا اضافه اليهم وما كانوا باياتنا يجحدون
معطوف على كما نسوا وما فيهما مصدرية والكاف في التعليل اي لنسيانهم وكونهم
جحدوا بايات الله ولقد جيناهم بكتاب التنكير للتعظيم وفي التعبير بجيانه
زيادة تعظيم له فصلناه اي جعلناه فصولا هي صنوف الامور الدينية والدنيوية
على علم عالمين كيف يجب ان يفصل حتى جا حكيما وقري فضلناه اي رجحناه
على ساير الكتب عالمين بوجه رجحانه وانه حقيق بذلك هدى ورحمة

لقوم يومنون حال من الها او المفعول له اي لاجل هدي هل ينظرون اي ما
ينتظرون والانتظار هو الاقبال عليها باتي بالتوقع له وانما قيل لهم ينتظرون
وان كانوا جاحدين لانهم بمنزلة المنتظر في انه باتيهم لامحالة اذ ليس المنتظر
الا تاويله التاويل ما يول اليه حال الشي يوم ياتي تاويله اي يتبين صدقه
بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك
الناسي قد جات رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاوا بالحق فظهر ما
اخبروا عنه فهل لنا من شفعا فيشفعوا لنا اليوم حذف النون للنصب
بالفا جوابا للتمني او نرد اوهل نرد الي الدنيا وجوابه فنعمل وقري او نرد
بالنصب عطفا علي يشفعوا لنا او فنرد وجعلا وعلي معني الي ان اي
فيشفعوا حتي نرد ورفع فنعمل اي فنحن نعمل فالمعني علي الرفع تمني
الشفاعة او الرد علي ولوجهي النصب تمني الشفيع للشفاعة هو
مقضيا الي الرد وسببا ووسيلة اليه غير الذي كنا نعمل من الكفر
والمعاصي قد خسروا انفسهم في الدنيا بابطال استعدادهم فلا يجدي
الرد علي ما افصح عنه في قوله تعالي ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
استينا فبيان حالهم علي وجه يتضمن الحكمة في عدم استجابتهم وضل اي وغاب
عنهم في الاخرة ما كانوا يفترون ما كانوا يعبدونه من الهتهم ان ربكم الله
اي ليس ربكم ومدبركم وحافظكم ما عبدتموه من الاصنام والكواكب والملايكة
والجن بل كل ذلك مربوب ومخلوق ومحتاج الي مدبر وحافظ بل ربكم وحافظكم
وخالقكم الذي خلق السموات والارض وما بينهما علي ما بينه في موضع
اخر جعل الخبر موصولا بنا علي كون ذلك معهودا علي عند السامع
ومقررا من تحقيق السبب والعلم به في ستة ايام في صحيح مسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ بيدي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقال خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد
وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق الظلمة يوم الثلاثا وخلق النور يوم
الاربعا وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم
الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر
الي الليل والمراد من اليوم مقدار دورة العرش من الزمان ثم استوي
علي العرش استوي عليه باثار تدبير فيجاد الاشيا بالابنات صورها
عليه فقد استوليا من غير ان يلوي الي شي اخر فهو شانه الذي عليه
كل يوم ولما ذكر الاستوا علي العرش وهو اخبار عن نفاذ امره وكمال
ملكه والمراد تدبيره بين ذلك في عيان فقال يغشي الليل النهار
اي يغطيه به ولم يذكر عكسه لان اللفظ يحتملهما ولابد من ارادة
احدهما علي التعيين بالعلم به يطلبه حثيثا من الحث وهو الحمل

علي لسرعة حال من الليل لتقديره حاثا او من النهار وتقديره محثوثا
ويجوز ان ينتصب نعتا لمصدر محذوف اي طلبا حثيثا اي حاثا او
محثا والمراد من طلب الليل النهار رنفا فيه اللازم فكانه طالب له
لا يدركه بل هو في اثره بحيث يكاد يدركه والشمس والقمر والنجوم عطف
علي السموات مسخرات حال منه بامره متعلق بمسخرات وقري كلها
بالرفع علي الابتدا والخبر الا له الخلق والامر اي هو الذي اوجد الاشيا
وصرفها بارادته كيف يشا جملة اعتراضية مبينة لما ذكر من
التوحيد كالمقصود منه ولذا صدرها بحرف التنبيه وقدم فيها
الظرف للتخصيص ايذانا بان اهم الاشيا اعتقاد التوحيد في الخلق
والتدبير تبارك الله رب العالمين اي فذلك هو الرب للجميع لا رب
سواه فليجب تعظيمه اعتراض اخر لبيان تعظيمه بالوحدانية في
الالوهية والربوبية تعالي اي تعاظم الواحد الموحد للكل المتصرف فيه
بالربوبية وتوجيهه ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فدعاهم الي
التوحيد بالحكمة والحجة وصدر الاية بان لانكارهم فقال ان ربكم المستحق
للربوبية ليس الا واحد وهو الله الموجد للكل علي الترتيب المحكم المتقن
الدال علي العلم والحكمة والقدرة الذي انشا ملكه علي ما نشاهد
ثم عمد الي تدبيره كالملك المتمكن في مملكته لتدبير ملكه فتصرف الدهر علي
ما نري من تصريف الملوين وسخر الاجرام السماوية بامره ونفذ امره
بقضايه وقدره ثم صرح بما هو فذلكة للتقرير في باب التوحيد
بالجملة الاعتراضية الاولي وافصح عن المقصود من التركيب كالنتيجة
بالجملة الاعتراضية الثانية ثم امرهم بتخصيصه بالعبادة والدعوة
متضرعين متذللين وقري خفية بقوله ادعوا ربكم تضرعا التضرع
التذلل وهو التكلف في اظهار الذل الذي في النفس وخفية كيلا يشوب الدعا
معني الريا والاخفا اغماض الشي بحيث لا يقع عليه الادراك وفي التعبير
عن قسيم الدعا خفية بما ذكر اشارة الي ان الدعا جهرا انما يصلح
ما مورا به اذا كان مقرونا بالاستكانة والتذلل انه لا يحب المعتدين
استينا في تعليل ما قدمه عبارة واشارة والاعتدا تجاوز الحد الذي
لا ينبغي تجاوزه اي ان الله تعالي لا يحب المجاوزين ما امروا به في كل
شي من الدعا وغيره ففيه تنبيه علي انه لا ينبغي الصياح في الدعا
والاسهاب فيه وطلب ما لا يليق ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي
بعد اصلاحها ببعث الانبيا عليهم السلام وشرع الاحكام والاحكام
وادعوه خوفا وطمعا خايفين من عقابه طامعين في ثوابه
والخوف هو الانزعاج بما لا يومن من المضار والطمع توقع المحبوب

وانما قدم الخوف لانه اهم ان رحمة الله قريب من المحسنين استئناف لتعليل ما
قدمه من التقييد بعبارة واشارة اما الاول فظاهر فان الاخبار التاكيدي
عن قرب رحمته تعالى مطمع واما الثاني فلان اشتراط الاحسان وهو ترك
الايمان والاسلام مظنة الخوف العامة المومنين وقد قال كثير من العلما ينبغي
ان يغلب الخوف على الرجا طول الحياة فاذا جا الموت غلب الرجا ومن هنا
انفتح وجه اخر لتقديم الخوف على الطمع وتذكير قريب لان تاويل الرحمة بالرحم والترحم
او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ذكروا في قراة ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة
المختار نيه او لكونه صفة محذوف اي شي قريب او على تشبيهه بفعيل بمعني
مفعول او بفعيل الذي هو مصدر كالنقيق او للفرق بين القريب من النسب
والقريب من غيره واما التذكير لكون التانيث غير حقيقي فوهم لوجوب التانيث
في نحو الشمس طالعة والموعظة نافعة وهو الذي يرسل الرياح وقرئ
الريح على الوحدة والاول اولى لان الغالب استعمال الجمع في الرحمة واستعمال المفرد
في العذاب ولهذا قال عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا
نشرا بضمتين جمع نشور بمعني ناشر ونشرا بتخفيف نشر كرسل ورسل
ونشرا بمعني منشورات فعل بمعني مفعول ونشرا بفتح النون على انه مصدر في
موضع الحال بمعني ناشرات او مفعول مطلق فان النشر والارسال ٠٠
متقاربان وبشرا جمع بشير وبشرا بالخفيفة وبشرا بفتح البا مصدرا بمعني
بشره وبشري بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اهم النعم
واعمها نفعا وقد سبق بيان ما في عبارة بين يدي من الدلالة على القرب
ولهذا اوثر على عبارة الامام والقدام قيل ان الصبا ينشر السحاب والشمال
يجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت حملت ورفعت
واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يري ما يرفعه قليلا
سحابا ثقالا بالما وجمعه لان السحاب جمع سحابة سقناه الضمير
للسحاب على لفظ ونسب السوق اليه بنون العظمة التفاتا لما
فيه من عظيم المنة وجليل النعمة لبلد اي لاجله ولا يلزم ان يصل له
بل يكفي ان يكون وصوله لما وصله لمصلحته فينتظم السوق الى
الجبال والاودية ومن هنا ظهر وجه مزية اللام على الى ميت
استعير الموت لجدبه وعدم نباته لانه من حيث عدم الانتفاع
به كالجسد الذي لا روح فيه فانزلنا به اي بالبلد او بالسوق او
بالسحاب والبا للسببية وعلى الاول يحتمل الظرفية والالصاق
الما المعهود وهو ما تقلبه السحاب فاخرجنا به اي بالما لانه اقرب
لفظا ومعني لا الي البلد على ان البا للظرفية لقوله من كل الثمرات
فان جميع انواعها لا يخرج في البلد وقوله وهو الذي انزل من السماء

ما

ما فاخرجنا به نبات كل شي صرح في المعني الاول والثواني بعين بعضه
بعضا كذلك اي مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى من
الاجداث قال الكلبي وذلك اذا مات الناس كلهم امطرت السما اربعين يوما
كمني الرجال فينبتون في قبورهم بذلك المطر كما ينبتون في بطون امهاتهم
ثم يخرجون في النفخة الاخرة وبينهما اربعون سنة لعلكم تذكرون ٠٠
فتعلمون ان من قدر على هذا قدر على ذلك والبلد الطيب الارض الكريمة
التربة وتخصيص البلد بالذكر لانه اصلح منبتا على ما نبه عليه في الخبر المأثور
وهو قوله الرجال من القرى ولهذا اسقطه في مقابله والذي خبث السبخة
التي لا ينبت ما ينتفع به لا يخرج الا نكدا النكد الذي لا خير فيه ونصبه على
الحال تقديره لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه وهو الضمير المجرور مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع
الفاعل او تقديره ونبات الذي خبث وقرئ يخرج من اخرج فيكون
نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد او اسكانها للتخفيف كذلك
مثل ذلك التصريف والترديد نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم
يشكرون نعمة الله تعالى ويتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل
لمن تدبر الايات وانتفع ولمن لم يرفع اليها راسا فلم يتاثر بها لقد
ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف ولا يكاد تنفع هذه اللام الا مع
قد لان الجملة القسمية مظنة التردد ونوح عليه السلام اول من
شرعت له الشرايع وسنت له السنن وليس بينه وبين ادريس عليه
السلام نبي وانما قال الى قومه لان بعثته كانت مخصوصة
لقومه كبعثة ساير الانبيا عليهم السلام غير نبينا عليه السلام
فان بعثته عامة خاصة ولا ينافي هذا قول نوح عليه السلام رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا لان من لم يعم له دعوته لا يدخل
تحت هذا الدعا فقال يا قوم اتى هنا بالفا الدالة على التعقيب
بدون الامهال دلالة على الاستعجال في الامتثال اعبدوا الله
اي وحدوه وافردوه بالعبادة لتفرده بالالوهية ما لكم من اله غيره
بيان لوجه اختصاصه بالعبادة وقرئ غيره بالجر على اللفظ والرفع
على المحل كانه قال ما لكم اله غيره وبالنصب على الاستثنا ما لكم
من اله الا اياه اني اخاف عليكم تعليل وبيان للداعي الى عبادته تعالى
وموقعه الاعراض عذاب العذاب هو الالم الجاري على الاستمرار يوم
عظيم هو يوم القيمة او يوم نزول العذاب وهو الطوفان قال
الملا الملا الجماعة الشريفة لانهم يملون النفس والعين بجلالهم
وجمالهم على انه ماخوذ من الملا ويحتمل ان يكون ماخوذا من تمالاء

القوم علي مرصنعة غالبة وجمعه املا وليس من باب رهط وان كانا
اسمين للجمع لان رهطا لا واحد له من لفظه وملا يوجد له من لفظه
مالي قال احمد ابن يحيى المالي الرجل الجليل الذي يملا العين فهو كعاذب
وخادم فان اسم جمعهما عزب وخدم **من قومه** القوم الجمع الذين يقوم
بالامر لا نسوة فيهم وفايدة التقييد بالوصفين تحريك المسند اليه
عن نافصات العقول كيلا يتوهم ان هذا القول صدر عن بعض
منعفا بهم في العقل والراي فاسند الي الكل اسنادا فعل واحد الي
الجماعة **انا لنراك** استعار الروية للعلم بلا شبهة تمهيدا لما دعوا
من الظهور في المعلوم **في ضلال** منغمسا والضلال الذهاب عن صوب
الصواب والتنكير للتعظيم **مبين** بالغ قبحه كيفا بعد ما بالغ كما **قال**
يا قوم اضافه الي نفسه تمهيدا لما ياتي من دعوي الاخلاص والامحاض
ليس بي ضلالة قدم الجار والمجرور للتعريض لهم به وزيدت التا للتقليل
اي ليس بي اقل قليل من الضلال فضلا عن الضلال العظيم انطا هروما
يتجاوز من ان نفي الماهية ابلغ لان نفي الشي مع قيد الوحدة قد يكون
بانتفا الوحدة مضمحل بان الوحدة ليست صفة مقيدة بل اللفظ
موضوع للجزء الاقل المتحقق مع الكثرة **ولكني رسول** استدراك بطريق
الكناية كانه قال ولكني علي هدي كامل في الغاية لاني رسول قابل
تصريحهم بالتعريض الذي هو اوقع في البلاغة وبالكناية التي هي اقوي
في الكناية واداة طرفه باداة الملابسة لانها اوسع دايرة فنفي النفي
يكون اقطع لدابر احتمال الضلال واداة تعظيمه في التضليل باداة التحقير
والتقليل ولا يخفي ما في هذه المقابلة علي وجه المقابلة من المبالغة في
المخالفة **من رب العالمين** فيه اشارة الي ان رسالته لمصلحة تربيتهم
ففيه اظهار بعكابرتهم وفرط عنادهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة
من الهدي لما هو في الضلال المبين الظاهر **ابلغكم** لبيان كونه رسولا
والابلاغ ايصال ما فيه بيان الاوهام ومنه البلاغة وهي ايصال
المعني الي النفس باحسن صورة من اللفظ **رسالات** الرسالة جملة من البيان
يحملها للتفاهم بها ليوديها الي غيرها وانما جمعها باعتبار تعددها بحسب
الاوقات او باعتبار تنوعها بحسب المعاني وفي قوله **ربي** بعد قوله من رب
العالمين اشارة الي ان في الرسالة تربيات عامة وهي المرسل اليهم وخاصة
وهي المرسل **وانصح لكم** النصيحة الدعا الي ما فيه الصلاح والنهي عما فيه
الفساد ومنه قوله صلي الله عليه وسلم الدين النصيحة والنصح كذلك وتلافي
العشرة في زيادة اللام تاكيد في امحاض النصح لهم ومبالغة في ابتغاء خالصة
للمنصوح له مقصودا بجانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح

واعلم

واعلم من الله ما لا تعلمون وعيد وتقرير لما في قوله عليكم عذاب يوم عظيم
اي اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشيا لا تعلمونها علمه
او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف علي محذوف تقديره اكذبتم وعجبتم
والعجب تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله **ان جاءكم ذكر** موعظة
من ربكم كلاما ياتي من الله تعالي فله حكم النزول فكانه جاء معناه نزل فحسن
معه ان يقال **علي رجل** ولا حاجة الي تقدير لسان **منكم** من جنسكم فانهم
كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملايكة ما
سمعنا بهذا في اباينا الاولين اي ارسال البشر وانما لم يقل علي بشر لان اثر
الاطناب علي الوجه المذكور لان المناسب لانكار تعجبهم اذ ليس تعجبهم
الرسالة علي مقتضي الحكمة وهو ان يكون الرسول من جنسهم ولا يكون
انثي ولا صغيرا **لينذركم** ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي الكفني باحد النوعين
عن الاحزان وانما خص الانذار بالذكر دون الابشار لانه اهم **ولتتقوا**
وليوجد منكم التقوي ولم يجي بسببه الانذار له والا لقيل فتتقوا
ولعلكم ترحمون بتقواكم والعطف بالواو دون الفا للتنبيه علي ان الترحم
من الله تعالي تفضل لا يوجبه التقوي فهو في تقيحه الايمان وكلمة
الترجي لترجيح جانب الوقوع حتي يزداد الرغبة في تحصيل التقوي
ولا يعتمد عليه كل الاعتماد **فكذبوه** ولكن ان تقول في الوصل بينهما
باداة التعقيب تنزيل للتكذيب منزلة العذاب الذي يترتب عليه ولا
يخفي ما فيه من التهويل والتعظيم لامر التكذيب **فانجيناه** الفا فصيحة
وقد ذكر ما حذف هنا في موضع اخر **والذين معه** من البشر وساير
انواع الحيوان وفي العبارة المذكورة اشارة الي ان نجاتهم بسبب
متابعتهم وبركة مصاحبتهم فقوله **في الفلك** متعلق بمعه اي الذين صحبوه
في الفلك واشتقاقه من فلك ثدي المراة اذا استدار وسميت السفينة
فلكا لانها تدور علي الما كيف ادبرت **واغرقنا** الاغراق الغوص في المتلف
في الما **الذين كذبوا باياتنا** كان اغراقهم بسبب تكذيبهم علي ما
اشير اليه واغراق ساير انواع الحيوان بشوم مصاحبتهم **انهم كانوا**
قوما عمين استيناف علي سبيل التعليل وانما قال قوما عمين تغليب
الذكور علي الاناث تنبيها علي تبعيتهن للرجال في الضلالة الحاصلة
بسبب كونهم عمي القلوب غير مستبصرين وفي عمين دون الاول ابلغ
لدلالته علي الثبات **والي عاد اخاهم** عطف علي نوحا الي قومه وهم قوم
سموا باسم ابيهم وهو عاد بن عوص ابن ارم ابن سام ابن نوح عليه
السلام ومعني اخاهم نسيبهم وانما جعل منهم لانهم افهم لمقاله واعرف
بحاله وارغب في اقتدايه **هودا** عطف بيان لاخاهم **قال يا قوم** استيناف

على تعدد رسوله سايل قال فما قال لهم فقيل قال يا قوم وكذا جوابه ههنا فان
قلت ما وجه اختصاص قول نوح عليه السلام بالعطف والربط اللفظي وقول
هود عليه السلام بالاستيناف والربط المعنوي قلنا قصة نوح عليه السلام
ابتدا الكلام فليس مظنة سوال بخلاف قصة هود عليه السلام فانها
معطوفة على قصة نوح عليه السلام فكانت مظنة ان يقال اقال هود مثل
ما قال نوح عليه السلام ام لا **اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** قد سبق تفسيره
افلا تتقون عاقبة الشرك الهمزة للانكار والفا للترتيب على ما تقدم
من موجب التوحيد فهي مقدمة على الهمزة معنى وان اخرت عنها لفظا
محافظة على حق صدارتها وكانهم كانوا اخفين على نزل العذاب على مشركي
قوم نوح لقرب عهدهم منهم فلهذا انكر عليهم بهذه الصيغة **قال الملا
الذين كفروا من قومه** التقييد بالذين كفروا للتنبيه على ان في اشراف
قومه من امن به كمرثد بن سعد الذي اسلم وكتم ايمانه ولا مساغ لهذا
التنبيه في قصة نوح عليه السلام ولهذا لم يذكر ذلك القيد ثمة واما ذكره
فيها وفي سورة المومنين فللذم والمذموم كان في معرض الذم فلا كذلك
الالزام **انا لنراك في سفاهة** متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث
خالفت اشراف قومك واسلافك ولما كان هذا تخطية له عليه السلام في
فعله قالوا انا لنراك على سبيل القطع واليقين وقوله **وانا لنظنك من
الكاذبين** تخطية في قوله ولا علم عندهم بحقيقة الحال انما تمسكهم فيه
التقليد باباهم قالوا انا لنظنك **قال يا قوم ليس بي سفاهة** اكتفى بنفي السفاهة
ايما الى ان الاقدام على الكذب في مثل هذا الامر الخطير لا يخلو عن نوع سفه فنفيه
راسا يغني عن نفي الكذب **ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي
وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم** و
قد سبق تفسيره وفي اجابة الانبيا عليهم السلام اممهم المكذبين على كلماتهم
الحمقى بما اجابوا به والاعراض عن مقابلتهم كمال الشفقة وهضم النفس وحسن
المجادلة وكرم الخلق ليقتدى بهم المومنون في ادب المناظرة والمعاشرة مع
الخلق وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انه مشهور فيما بينهم بالنصح
والامانة **واذكروا** حذرهم من انتقام الله ثم ذكرهم بانعامه **اذ جعلكم** مفعول
به لا ظرف اي اذكروا ذلك الوقت **خلفا من قوم نوح** اي خلفتموهم في مساكنهم
او في الارض وجعلكم ملوكا فان منهم شداد بن عاد **وزادكم في الخلق بسطة**
في القامة العلم والقوة والبدانة وهو تعميم بعد تخصيص **فاذكروا الا الله**
اي فاشكروا على نعم الله تعالى وفي الكناية بالذكر عن الشكر تنبيه على ان
هذه النعم بحيث يستتبع ذكرها الشكر عليها ففي تذكيرها غنى عن الحث
على الشكر عليها **لعلكم تفلحون** لعل الشكر عليها يفضي الى الفلاح **قالوا اجئتنا**

كان له

كان له عليه السلام مكان يتحنث فيه منقطعا عن قومه كما كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بحرا فلما اوحي اليه جا قومه يدعوهم ويحتمل ان لا يراد
حقيقة المجي ولكن التعرض لذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا
يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا **لنعبد الله وحده** ونذر
لنا تتكليف ذلك **ونذر ما كان يعبد اباونا** انكروا واستبعدوا اختصاص
الله تعالى بالعبادة والاعراض عن الالهة التي اعتكف عليها اباوهم حبا لما
نشاوا عليه والفا لما صادفوا اسلافهم يتدينون به **فاتنا بما تعدنا**
استعجال منهم لما خوفهم منه من العذاب تكذيبا **ان كنت من الصادقين**
قال قد وقع قد حق ووجب **عليكم** او على حيل المتوقع الذي لا بد من
وقوعه بمنزلة الواقع **من ربكم رجس** عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
وغضب ارادة انتقام **اتجادلونني في اسما سميتموها انتم واباوكم**
اي اسما بلا مسميات لانكم سميتموها الهة واستحالة فيها معنى الالوهية
ما نزل الله بها من سلطان تحكم بهم لان المستحيل لا يمكن اثباته بالحجة
ولا بنزول الوحي به فجمع بينهما اظهارا لفضحها لتنبهم **فانتظروا** اي لما تبين
الحق وانتم مصرون على العناد فانتظروا العذاب **اني معكم من المنتظرين** هذا غاية
في التهديد والوعيد ونهاية في الوثوق بما يحل بهم وانه كائن لا محالة **فانجيناه** الفا فصيحة
وما خوذ هنا مذكور في موضع اخر والانجا التخليص من الهلاك واصله من النجوة وهي
الارتفاع من الارض **والذين معه** اي الذين اتبعوه **برحمة منا** عليهم لا بنبوة ونذير
منهم فيه اشارة الى ان هودا عليه السلام مع رتبته في النبوة ودرجته في الرسالة
انما نجا برحمة من الله ليعلم ان النجاة لا تكون باستحقاق ولا باستجاب الصواب
من العمل وانما يكون بفضل من الله ورحمة ابتدا **وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا**
قطع دابرهم استيصالهم عن اخرهم لان الدابر الذي يدبر القوم ويأتي خلفهم فاذا
انتهى القطع الى ذلك لم يبق احد وفي قوله باياتنا دلالة على انه كانت لهود عليه السلام
معجزات ولكنه لم يذكر لنا بخصوصها **وما كانوا مومنين** تعريض لمن امن منهم كمرثد وتنبيه
على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان وان النجاة مرتبة عليه كما ان الهلاك
مسبب عن التكذيب كانه قيل قطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا ولم يكونوا ممن امن
والى ثمود بمنع الصرف اسم القبيلة وقرئ بثمود بالصرف بنا وبل الحي وباعتبار
الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر **اخاهم صالحا قال** قد سبق وجه الاستيناف **يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاتكم بينة** ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي حيث جاتكم من
ربكم لتصديقي في دعوى النبوة **هذه ناقة الله** استيناف لبيانها واضافة الناقة
الى الله تعالى للتعظيم ولانها وجدت معجزة من عنده تعالى من غير اسباب ووسايط
معهودة فاضيفت اليه **لكم اية** نصب على الحال من ناقة الله والعامل فيها معنى
الاشارة ولكم بيان لمن هي له اية وهم ثمود فان دعوة هود عليه السلام كانت مخصوصة

لم فمعجزته كانت لاجلهم ومن وهم انها كانت معجزة لهم خاصة لانهم عاينوها وساير الناس اخبروا
عنها فقد وهم اذ بعد ظهور المعجزة الاخبار المتواترة كافية بغير المشاهدة وهو حال من اية
او ناقة بدل من هذه او عطف بيان والخبر لكم وللعامل ما فيه من معنى الاستقرار فذروها
تاكل في ارض الله اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فذروها تاكل فيها من العشب
فليست الارض ارضكم ولاما فيها من النبات نباتكم ولا تمسوها بسوء قد سبق ان في
السوء امرا زايدا على معنى الاصابة وهو تاثير الحاسة وان سوء العذاب لاحق فلا وجه
لما قيل نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في
الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد لم تخل من عاد لما بينهما خلا يعني هو خلايق عاد بالذات وبواكم نزلكم المباءة
المنزلة في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها اسهل ما ليس فيه مشقة على النفس
من عمل العوارض قصورا القصر هو الدار الكبيرة يسور وتكون به مقصورة قيل كانوا
يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء وتنحتون الجبال بيوتا اي من الجبال
والنحت النجر والنشر في الشيء الصلب كالحجر والشجر فاذكروا ما مر من الذكر اللساني
وهذا من الذكر القلبي الاء الله انواع نعمه من التمكين في الارض والتسخير حتى بنوا
القصور وشيدوا المنازل الدور مع طول الامال وتبليغ الاجال والمراد الامر بالشكر
على تلك النعمة بطريق الكناية وفيه الايماء الى انها من النعم الجسام التي لا مانع عن
القيام بشكرها الا الغفلة عنها ولا تعثوا في الارض مفسدين قد سبق تفسيره
في سورة البقرة قال الملا الذين استكبروا اي عن متابعته هود عليه السلام لان الاستكبار
الداعي الى الحق من قومه للذين استضعفوا الاستضعاف طلب الضعف بالاحوال التي
يقعد صاحبها عما يحكي غيره من القيام بالامور بنا المجهول لانهم غير مقصورين على
من استضعفهم تلك الملاء واستذلهم لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا
بتكرير العامل بدل البعض من الكل سواء كان الضمير للذين او لقومه لان من المستضعفين
من لم يومن وانما اثر اختلاف المرجعين من حيث انه على الاول لا يكون الاستضعاف
مقصورا عليهم بحكم دلالة اللفظ بخلاف الثاني تعلمون ان صالحا مرسل من ربه
كلام قالوه على سبيل الاستهزاء والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق
العرش ولهذا لم يقولوا نعم بل اجابوا بما فصل عنهم في قوله قالوا انا بما ارسل به مومنون
ايذانا بان ارساله اظهر من ان يشك فيه او يخفى على احد فيحتاج الى السوال عنه
لغايته في وضوح وانارة برهانه انما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به
مومنين قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون كان الجواب المطابق
انا بما ارسل به كافرون الا انهم لما عدلوا عن الظاهر بان جعلوا الارسال مسلما معلوما
كان جواب الكفرة ايضا معدولا به عن الظاهر اي ليس ما جعلتموه معلوما مسلما من
ذلك القبيل وايضا لم يريدوا ان يتفوهوا باثبات الرسالة له فعقروا الناقة اسندوا
الفعل الى الجميع لانهم امروا صاحبهم فتعاطى فعقر على ما ياتي التفصيل في سورة القمر

ومن غفل

ومن غفل عن هذا ذعم ان الاسناد اليهم للملابسة والعقر الجرح الذي ياتي على
اصل النفس وهو من عقر الحوض وهو اصله وعتوا عن امر ربهم وهو ما بلغه صالح عليه
السلام بقوله فذروها وعتوا الامر مخالفته على وجه التهاون به والاستكبار عن قوله
وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب والابهام لقلة الاهتمام ذريعة الى
التحقير في مثل هذا المقام والوعد يذكر في الخير والشر ويفرق بالقرينة عند الاطلاق
ان كنت من المرسلين استعجالهم للعذاب اظهار للجزم في تكذيبهم فاخذتهم الرجفة
الزلزلة الحركة فاصبحوا في دارهم اي في بلدهم ولذلك وحد جاثمين باركين على
ركبهم غير قادرين على الحركة كقوله تعالى في سورة الذاريات فما استطاعوا
من قيام ثم صاروا هشيم المحتظر وهو المذكور في سورة القمر فتولى صالح عليه
السلام عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون
الناصحين حكاية حال ماضية والظاهر انه كان تولى عنهم حين راى العلامات
قبل نزول العذاب تولي ذاهبا عنهم منكرا لاصرارهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال
لقومه وقت قوله لهم اتاتون الفاحشة من اتى المراة اذا غشيها انكار وتوبيخ
لهم وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح واللام في الفاحشة للجنس
كانها الفاحشة على الحقيقة وما عداها ليس من جنسها نظرا الى فحش التفاوت
بينهما في ذلك المعنى ما سبقكم بها من احد من العالمين الباء للتعدية ومن الاولى
زايدة لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض اي ما عملها احد قبلكم قط وهو
جملة استينافية مقررة للانكار وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه
اسوا وافحش لعدم المجال للاعتذار بالتقليد انكم لتاتون الرجال بيان لقوله
اتاتون الفاحشة والهمزة في مثلها للانكار والاستقباح كررت لتاكيد الانكار
تفصيلا واجمالا وهي مع ان ابلغ في الانكار وتقريع انكم على الاخبار المستانف
وفي التقييد بقوله شهوة وهو مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة زيادة
استهجان ووصف لهم بالبهيمية الصرفة ولازم اعظم منه اي لا حامل لكم عليه
الا مجرد الشهوة لا طلب النسل وبقاء النوع الذي هو مقتضى العقل فهو مفعول
له او مصدر في موقع الحال اي مشتهين تابعين للشهوة وقوله من دون النساء نصب حال من
الرجال اي منفردين والمعنى تاتون الرجال لمجرد الشهوة البهيمية ولكم عنها بدل ففيه تذكير
لتجاوزهم المعتاد المطبوع المشروع واظهار بعدم الضرورة الداعية لصنيعهم الشنيع
باظهار انهم يفعلونه باشالهم في الرجولية وذلك لا يخلو عن الايماء الى انهم يفعلونه
كرها لان مقتضى الرجولية الامتناع عنه بل انتم قوم مسرفون انكر عليهم مخالفة
العقل ثم اضرب عن الانكار بالاخبار عنهم بحالهم التي هي ام الرذايل وموجب ارتكاب
جميع القبايح اي فليست هذه غريبة عن عادتهم حتى تنكر عليهم وهم انهم قوم
عادتهم الاسراف وتجاوز الحد في كل شيء فمن ثمة اسرفوا في باب الشهوة ايضا
وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي وما جاؤوا بما هو جواب

الاية الفعل التقبيح وفي ذكر الرجال دون الذكور المقابل للنساء زيادة تقبيح صح

له عما الممهم به ويفضح لهم فيه من انكار الفاحشة واستعظامها لغاية دعارتهم
وخبثهم ولكنهم قابلوا نصيحته ووعظه بالامر باخراجه ومن معه من المومنين
من قريتهم وهي من القرى وهو الجمع سميت بها لما فيه من الابنية لانها مجمع الناس
في الاقامة الا ان صار بالعرف عبارة عن مجتمع الناس في منازل متجاورة بقرب
ضيعة يأوي اليها الاكثر انهم اناس يتطهرون استيناف بطريق الاستهزاء كانه
قيل لهم لم تخرجونهم من قريتكم فقالوا لانا قوم ملوثون بالفواحش وهم اناس يبالغون
في التنزه منها فلا وجه لاختلاط الطاهرين بالخبائث وهذا غاية السخرية منهم
وهذا ليس جوابا عن انكاره وتوبيخه لكنهم قالوه تضجرا منه عقيب انكاره
وتوبيخه وفي اطلاق الجواب عليه اشارة الى انهم كانوا ملتزمين مبهوتين حتى
لم يقدروا على ان يتكلموا في معرض الجواب بشي سوى هذا وهذا قريب من اسلوب
الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ولما كان
مال المعنى انهم لم يقدروا على الجواب وكان السلوك الى الطريق المذكور للمبالغة
في عدم قدرتهم اندفع وهم المنافاة بينه وبين قوله تعالى فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ايتنا بعذاب الله وبين قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا
ايتنا بعذاب الله وبين قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين
لان المنقول فيهما ايضا ليس بجواب حقيقة وان كان مذكورا في معرض الجواب والله اعلم
بالصواب **فانجيناه** الفاء فصيحة والمحذوف هنا مذكور في موضع اخر والمراد منه
الانجاء اخراجه من بينهم قبل نزول العذاب **واهله** اهل بيته لا من تبعه في الدين
لقوله **الا امراته** فانها كانت تسر الكفر **كانت من الغابرين** من الذين بقوا في ديارهم
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور **وامطرنا عليهم** يقال في العذاب امطرت وفي الرحمة
مطرت وتعديته بعلى لما فيه من معنى النزول **مطرا** نوعا من المطر عجيبا غير
معهود وكانت الممطور عليهم الحجارة على ما بين في موضع اخر **فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين** من قوم نوح وهود وصالح ولوط والمراد نظر التفكر او نظر البصر
فيمن بقيت لها اثار منازل ومساكن وفيه اتعاظ وانزجارات تسلك هذه الامة ذلك
المسلك القطيع **والى مدين اخاهم شعيبا** اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم
وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** قد سبق تفسيره **قد جاءتكم بينة
من ربكم** معجزة شاهدة بنبوتي لم يذكر في القران فانما ذكر فيه وفي انتفاء سير متاخره
عن هذه المقاولة **فاوفوا الكيل والميزان** اي الة الكيل الا انه قوبل بالميزان لانه يجي بمعنى
الموزون في قوله في سورة هود والمكيال ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد
والميلاد والمراد الايفاء في الكيل والوزن او يراد المكيل والوزن بالميزان على الاضمار او
اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش هنا هو ما عند القوم والذي هو عندي
ولعله هو ادق وبالقبول احق قد سبق في تفسير سورة الانعام والمراد بايفاء

الكيل

الكيل والميزان والميزان ايفاؤهما بكماله بما يوزن فتنسب الى الفعل مجازا او الى الالة للملابسة كانوا
اهل بخس للمكيال والموازين فامرهم بالايفاء ولما كان المحظور بالامر المذكور التخيير المجانب
النقصان لا الجانب الزيادة نبه على ذلك بقوله **ولا تبخسوا الناس اشياءهم** ولا تنقصوا
حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم لانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير
او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه **ولا تفسدوا في الارض** بالكفر والحيف
بعد اصلاحها بعد ما اصلح فيها الانبياء بالايمان والعدل ذلكم اشارة الى العمل بما امرهم
به ونهاهم عنه **خير لكم** مطلقا **ان كنتم مومنين** بزعمكم لان فضيلة الايمان العدالة
او خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة او فيما تطلبون من التكسب والتربح
وزيادة المال لان الناس اذا عرفوا منكم الامانة والعدالة رغبوا في متاجرتكم ان
كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم **ولا تقعدوا بكل صراط** ولا تقعدوا كالشيطان في قوله
لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل منهج من مناهج الدين لقوله **توعدون
وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا** وطريق الحق وان كان
واحدا لكنه يتشعب الى عقائد ومعارف حقة وفضائل واخلاق حميدة وحدود
واحكام كثيرة فكانوا اذا راوا احدا يسلك طريقا منها او منتكم فيه منعوه واوعدوه و
وصدوه وقيل كانوا يقعدون بالمراصد ويقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك
عن دينك كما كان يفعل قريش بمكة وتوعدون من امن به وقيل كانوا يقطعون
الطريق ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي لا تقعدوا موعدين وصادين
وباغين اياها عوجا ومن امن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ومفعول توعدون محذوف
لدلالة عليه ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم الا ان يجعل تصدون بمعنى
تعرضون لازما والضمير في به لله اي توعدون وتصدون من امن بالله عن سبيله
تبغونها اي تطلبون لسبيل الله عوجا تصفونها للناس بالعوج وانها معوجة وغير
مستقيم فلا تسلكوها او بالقاء الشبه وقيل الضمير المذكور راجع الى كل صراط اي توعدون
من امن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير تعبيحا لما
كانوا عليه ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتبغونها عوجا تهكم بهم اي تطلبون
ما هو محال **واذكروا اذ كنتم قليلا** عددا او عددا **فكثركم** بالبركة في النسل والمال
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من قوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريب
العهد وبما اصاب المؤتفكة والمراد من النظر الاعتبار بهم **وان كان طائفة منكم**
من الطوائف صفة غالبة اقيمت مقام الموصوف ماخوذة من الاجتماع على الطواف
امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يومنوا اطلقه هنا ايماء الى ان عدم الايمان
ارسل به نبي يستلزم عدم الايمان بما ارسل به ساير الانبياء عليهم السلام لان كلا
منهم يصدق والاخرين **فاصبروا** الصبر حبس النفس عما تنازع اليه من الجزع
حتى يحكم الله بيننا اي فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا بين الفريقين بنصر
المحقين على المبطلين فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين **وهو خير الحاكمين** لان حكمه حق

وعدل لا يخاف حيفا ولا ميلا والحاكم المنع من الخروج عن الحق قال الملا الذين استكبروا من
قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك اي امنوا بما ارسلت به تابعين لك من قريتنا
او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية واما عودكم في الكفر
والعود هو الرجوع الى الحالة التي كان عليها لما شركوا شعيبا عليه السلام في الاخراج مع
الذين معه شركوه في العود تغليبا للجماعة على الواحد وان لم يكن عليه السلام في ملتهم
قط لان الانبيا عليهم السلام لا يجوز عليهم الكفر مطلقا وكذلك اجرى شعيب عليه السلام
جوابه على التغليب ويجوز ان يكون قولهم على زعمهم وقوله عليه السلام للمشاكلة ويجوز
ان يكون العود بمعنى الصيرورة كما في قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم
اي صار فيا بلغ من الى لا لانه على الاستقرار والتمكن كانهم لم يرضوا بان
يتظاهروا انهم من اهل ملتهم قال اولو كنا كارهين الواو للحال والهمزة للاستفهام
الانكاري اي انعود فيها ونحن كارهون لها او انعيدونا فيها على كراهتنا
اياها قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل
كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الان ان هممنا
بالعود في ملتكم بعد ان وفقنا الله تعالى للنجاة منها بالتوحيد ولانا علمنا ان لا
شريك له فان زعمنا انه له ندا فلا افترا اعظم من افترائنا وقد سبق معنى
الافترا ووجه تقييده بقوله على الله كذبا ان عدنا في ملتكم شرط جوابه محذوف
دل عليه قد افترينا وهو استيناف في معنى التعجب كانهم قالوا ما كذبنا على الله ان
ان عدنا لان تحقيقنا بالتوحيد وتيقناه وادعاءنا لتدرج اعتقاد التوحيد
افترا في غاية القبح وقيل جواب قسم على تقدير حذف اللام اي لقد افترينا
على هذا التقدير بعد اذ نجانا الله منها اي حفظنا عنها فان النجاة الحقيقية انما
تكون بعد الابتلا ولا ابتلا هنا فلا بد من المصير الى اقرب المجاز وما يكون لنا وما يصح
لنا ان نعود فيها الا وقت ان يشا الله ربنا عودنا هذا هو الذي يقتضيه المساق
وتقرير الخذلان من خذلان التقدير وسع ربنا كل شي علما لم يقل قدرة او ارادة لان
الاخبار عن سعة قدرته او ارادته لكل شي انما يناسب المقام اذا كان مساق الكلام
للاشعار بوقوع المستثنى واما اذا كان مسافه بعدم وقوعه فلا يناسب ذلك
انما المناسب الاخبار عن سعة علمه وحكمته وفائدة هذا الاشعار حسم
طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وفي زيادة ربنا مع تمام الكلام بدونه
نوع تاييد للاشعار المذكور وفصل تاكيد للحسم المذكور من حيث ان الرب في
الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشي اي كماله شيا فشيا على الله خاصة توكلنا
ان يثبتنا على الايمان ويحفظنا عن الشر والعدوان ربنا افتح بيننا وبين قومنا
احكم بيننا وبينهم بالحق والفتاحة الحكومة والفتاح القاضي او اظهر امرنا
بفتح ما بيننا وينكشف ويتميز المحق من المبطل بانزال العذاب عليه وانجا المحق من
فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملا الذين كفروا من قومه

اي قال

اي قال بعضهم لبعض لين اتبعتم شعيبا فيما امركم به ونهاكم عنه في معاملاتكم
انكم اذا حينئذ ام زمان لخاسرون الاموال وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم
الموطا باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة الحادثة من الصيحة المذكورة في سورة
هود عليه السلام فاصبحوا في دارهم جاثمين قد سبق تفسيره الذين كذبوا شعيبا
مبتدا كان لم يغنوا فيها خبره وكذا ما بعده اي كانهم لم يقيموا فيها يقال غني
بالمكان اذا اقام به والمغاني المنازل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين تبال
بالغ في تقدير هلاكهم بوجوه بالاستيناف وايراد الموصول كانه قال الذين كذبوا هم
شعيبا هم المخصوصون بالاستيصال لاختايه للتكذيب وبقوله كان لم يغنوا فيها اي
ما بقي اثر منهم كانهم لم يكونوا قط وبالتكرير على الوجه الاول وبكونهما استيناف ترتيب
الخاسرين بلام المهملة وباطلاقه اي الخاسرين في الدارين وبتوسيطهم في الثانية اي
هم الاختصاص بالخسران المطلق لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا انهم الراعون غير
كل ذلك لرد المقالة الملا فيما بينهم وتشنيعهم لرايهم واستهزا بنصح بعضهم لبعض
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم كلام قال
بعد هلاكهم تاسفا وتحزنا عليهم ثم انكر على نفسه السفه وشدة حزنه عليهم
فقال فكيف اسى على قوم كافرين ليسوا باهل الحزن عليهم لاستحقاقهم ما حل
بهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم اي لقد اعذرت عليكم
وبالغت في الابلاغ وبذلت وسعي في النصح لكم والتحذير عما نزل بكم فلم تصدقوا
قولي فكيف اسى عليكم اي فلا احزن عليكم بعد التي والتيا لكفركم وكونكم غير
مستحقين لذلك وما ارسلنا في قرية من نبي بعد نبي ارسل بالى وانما اتى بنفي
اعتبارا بمعنى الاستغراق لانه يدل على الاستمرار في امر الابشار والانذار وعند
ذلك يظهر استحقاقهم بالاخذ الذي ذكره الا اخذنا اهلها اي الاخذين اهلها
فهو استثنا مفرغ من الاحوال بالباساء بالبوس والفقر والضراء والضر والمرض
لاستكبارهم عن اتباع النبي وتعززهم والشدة والبلاء تلين القلوب القاسية
الابية وتذلل النفوس الطاغية القوية لعلهم يضرعون لكي يتذللوا ويضعفوا
ويتخلوا عن الزهو والكبر والنخوة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة لفظة ثم للدلالة
على استبعاد تلك الحالة ويؤيده ما في عبارة المكان من الاشعار بالتمكن اي
ثم اوردنا مكان الحالة السيئة الحالة الحسنة حيث لم احديهما بالاخرى اجمالا الامر
الابتلا قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات والحكمة فيه ان النفوس
الجافية الغليظة تتنبه وتنكسر بالبلاء والشدة والنفوس اللطيفة تتعاهد
وتطيع بالسعة والنعمة حتى عفوا كثروا واعددا وعددا بالنمو في انفسهم واموالهم
من عفى النبات اذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقالوا قد مس اباءنا
الضراء والسراء بطرا واشرا بالنعمة ونسيانا للنعمة واعتقادا ان هذه عادة
الدهر يضيق تارة ويوسع اخرى ويتعاقب فيه المحنة والمنحة كما على حال ابائنا

فلم يروا ذلك ابتلاء من الله تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون لما لم ينتهوا من
غفلتهم بإحدى الحالتين فلم يبق إلا أن أخذناهم أشد الأخذ بالعذاب وهو الأخذ
فجاءة من غير شعور لأنه أعظم حسرة ولو أن أهل القرى اللام للعهد والإشارة إلى القرى
التي دل عليها وما أرسلنا في قرية آمنوا وصدقوا بدل كفرهم وتكذيبهم واتقوا بدل
عصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض لوسعنا عليهم الخير في كل شيء
ومن كل جهة ويسرناه لهم وقيل لآتيناهم المطر والنبات ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم
بما كانوا يكسبون لسوء كسبهم المعتاد من التكذيب والعصيان أفأمن أهل
القرى الفاء للعطف على فأخذناهم وكذا الواو في أوأمن ولو أن أهل القرى اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه والهمزة للإنكار أي بعد أخذنا إياهم بتكذيبهم أمن
أهل هذه القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا أي بيتا إن كان بمعنى البيتوتة فظرف
أي وقت بيات وإن كان بمعنى التبييت فحال أي مبيتا أو مبيتين أو مصدر
لأن التبييت نوع من الإتيان كأنه قال أن يبيتهم بأسنا تبييتا وهم نائمون
حال من ضميرهم البارز أو المستتر في بياتا أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا
ضحى نصب على الظرف والضحى بين البكرة والضحوة وهم يلعبون يشتغلون
بأمور الدنيا قال الله تعالى إنما الحياة الدنيا لهو ولعب والعدول إلى صيغة
المضارع للدلالة على التجدد المناسب للعب أفأمنوا مكر الله تكرير للتأكيد والتقرير
للحالتين على سبيل التعميم باستعارة لطيفة وهي استعارة المكر للأخذ بغتة
بلا شعور منهم استدراجا فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون أي إذا كان استدراجه
وأخذه على هذا الوجه فلا يأمن مكر الله إلا الذين خسروا أنفسهم بالكفر وترك النظر
والاعتبار وفي تكرير مكر الله تهويل وتربية للمهابة أولم يهد للذين يرثون الأرض
من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم قرئ يهدي بالياء على أن قوله أن لو
نشاء فاعله وبالنون على أنه مفعوله وأن مخففة من الثقيلة معموله ضمير الشأن
وتعدية فعل الهداية باللام إلى المفعول الأول لما فيها من معنى التبيين أي
أولم يهد ويبين للذين يخلفون من مضى قبلهم في ديارهم ويرثون أرضهم
هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا
الوارثين كما أهلكنا المورثين ولم نبين لهم ذلك ونطبع على قلوبهم
عطف على ما دل عليه أولم يهد أي يغفلون عن الهداية ونطبع أو كلام مبتدأ
عطف الجملة على الجملة أي ونحن نطبع ولا يستقيم عطفه على أصبناهم بمعنى
وطبعنا لأن في سياقه لو فيؤدي إلى نفي الطبع والقوم مطبوع على قلوبهم وأما
عطفه على يرثون فيلزمه الفصل بين أبعاض الصلة بالأجنبي لأن المعطوف على
الصلة صلة ولا تعلق لقوله أن لو نشاء لأصبناهم بذنوبهم بشيء من الصلة
فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى أي قرى الأمم المار ذكرهم نقص
عليك من أنبائها حال منها لقوله هذا بعلي شيخا أو خبر ثان والقرى صفة تلك ونقص

خبر ومن للتبعيض أي نقص عليك بعض أنبائها إذ لهم أنباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من قبل
بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر
أعمارهم بما كذبوا أولا حين مجيء الرسل أي استمروا على التكذيب مع تكرار المواعظ
وتتابع البينات ولم تلن قلوبهم حتى ماتوا وتأكيد النفي باللام للدلالة على أن
الإيمان كان منافيا لحالهم في تصميمهم على الكفر طول أعمارهم وشدة شكيمتهم
بالآيات والنذر وفيه إيذان بأن سبب الطبع كفرهم الأصلي وما وجدنا
لأكثرهم أي لأكثر الأمم المذكورين لأن الأقل حين كل منهم آمنوا والناس على
الإطلاق والجملة اعتراضية من عهد أراد بنفي العهد نفي الوفاء به على سبيل المبالغة
يقال ما له عهد لمن ينكث العهد والمراد من العهد إما ميثاق الفطرة في الإيمان
والتقوى وإما قولهم عند الضر والمخافة لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين أو عهدهم مع الأنبياء عليهم السلام كقولهم لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين أي علمناهم من وجدت زيدا ذا
الحفاظ لدخول إن المخففة واللام الفارقة فيه وهذا لا يجوز إلا في المبتدأ
والخبر والأفعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين إن للنفي واللام بمعنى إلا ثم
بعثنا البعث الإرسال وهو في الأصل النقل باعتماد يوجب الإسراع إلى الشيء
من بعدهم الضمير للرسل أو للأمم موسى بآياتنا بمعجزاتنا إلى فرعون وملائه
أي الأشراف من قومه وفرعون كان لقبا لمن ملك مصر من العمالقة فظلموا بها
الظلم وضع الشيء في غير موضعه وتعديته بالباء لتضمينه معنى الجحد والمراد
من ظلمهم اختيارهم الكفر على الإيمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
النظر تحديق القلب إلى المعنى لإدراكه فكأنه قيل فانظر بعين القلب كيف كان
عاقبتهم بسبب إفسادهم وموضع كيف نصب لأنه خبر كان وتقديره انظر
أي شيء كان آخر أمر الذين أفسدوا وقال موسى يا فرعون خطاب له
بأحسن ما يدعى به وأحبها له لما عرفت أنه من الألقاب الشريفة المخصوصة
بملوك العمالقة ففيه ائتمار بالأمر الوارد في قوله تعالى فقولا له قولا
لينا إني رسول من رب العالمين لم يقل إليك لعدم اختصاص رسالته عليه السلام
به ولما كان فرعون قد ادعى الربوبية فأخبر موسى عليه السلام بما ينبه على
أنه مبطل في الوصف الذي ادعاه حقيق على أن لا أقول جواب لتكذيبه
إياه في دعوى الرسالة المفهومة من قوله فظلموا بها وقرئ علي بالتشديد
أي واجب علي وعلى قراءة التخفيف معنى حقيق جدير وخليق إلا أنه ضمن
معنى المجبول ولذلك عدي بعلى أي مجبول على كل حد يؤديه وفيه
إشارة إلى أن من هو في مقام الرسالة يكون في غاية العصمة عن وصمة
الكذب حتى لو قصده لا يقدر عليه على الله إلا الحق إنما قال على الله لأن في

الرسالة بتخييل العهدة على المرسل الذي نقل عنه الرسالة قد جئتكم ببينة من ربكم اي
بما يبين اني رسول من رب العالمين ادعى الرسالة ثم اردفها بما يدل على صحتها ولما
قرر رسالته فرع عليها تبليغ الحكم بقوله فارسل اي فاطلق معي بني اسرائيل اي يرجعوا
معي الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم
في الاعمال الشاقة منذ توفي يوسف عليه السلام وانقرضت الاسباط قال ان كنت
جئت باية من عند من ارسلك فأت بها فاظهرها واحضرها عندي ليثبت بها
صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه اصل الالقاء من اللقاء
الذي هو الاتصال فالقى عصاه ازال اتصالها بما كان وعصا عود يابس واصله
الامتناع لييبسه يقال عصي اذا امتنع ومنه العصا لمن عصى فاذا هي اذا الفجائية
والفا للتعقيب ثعبان حية عظيمة يقال انثعب الماء اذا جرى باتساع و
المثعب هو المجرى الواسع ومنه الثعبان لانه يجري باتساع لعظمته
مبين اي ابان عن نفسه انه ثعبان حقيقة لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشيا
المزورة بالشعوذة والسحر ونزع يده اي اخرجها من جيبه لقوله تعالى وادخل
يدك في جيبك تخرج بيضا والنزع اخراج الشيء مما كان متصلا به وملابسا له
فاذا هي بيضا لها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق وفي قوله للناظرين
دلالة على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وقيل
بيضا للناظرين لانها كانت بيضا حقيقة ويرده قوله تعالى في موضع اخر تخرج
بيضا من غير سوء لانه صريح في انقلابها ابيض لان مظنة السوء عند ذلك قال
الملا من قوم فرعون وفي موضع اخر قال للملا حوله وذلك انه قال هو واشراف
قومه على سبيل التشاور في امره فحكي عنه تارة وعنهم اخرى وفي عبارة الملا نوع اشارة
الى ذلك من حيث ان الملا جماعة يجتمعون للتشاور ان هذا لساحر عليم فائق في علم
السحر وهو السحر وهو نطق الحيلة في اظهار اعجوبة توهم خرق العادة لخاسيه
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره بان يلقي العداوة والفرقة بينكم ويستميل بعضكم ليحارب
بعضكم فيخرجكم من بلادكم فماذا تامرون لماذا مفعول ثان لتامرون على
سبيل التوسع فيه بان حذف منه حرف الجر والمفعول الاول محذوف اي باي شيء
تامرونني من امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي يخبر عند غلبته
سلطان المعجزة فنسي دعوى الالوهية ومرتبته كونه امرا ونهيا خنع خاطبهم خطاب
الاذلا المقهور بين المامورين قالوا ارجه من الارجا وهو التاخير اي اخر امره وهذا
يدل على تقدم من هم فرعون بقتله عليه ما لعليه قوله تعالى وقال فرعون ذروني
اقتل موسى فقالوا اخره واغلبه بالحجة كيلا يدخل على الناس الشبهة توهموا انهم م
بالتاخير وتقديم التدبير وبذل الجهد والتشمير يغيرون شيئا من التقدير واخاه يعني
هارون وكان معه على ما ذكر في موضع اخر وارسل في المداين حاشرين الحشر السوق من جهات
مختلفة الى مكان واحد اي اخر امره وتعديه ارسل بالى وانما الى يعني تقيمينا بمعنى الاستقرار

ليفيد

ليفيد الاهتمام في امر الحشر ولان المقصود اتيان مهرة السحرة وهم في الطبقة العليا من
ذلك الجنس وهو لا يكون الا بالتتبع والتفحص فلا بد من مكث في مظانهم من المداين ياتوك
بكل ساحر عليم مثله في السحر وعلمه وقرئ سحار وهو ابلغ لان اعتبار المبالغة في وصف
من يوتى للمبالغة اولى فجد جول كلمة كل على المفرد دلالة على ان كل واحد منهم منفردا
عن الاخرين مطلوب بالاتيان ومقصود اصالة وبالذات وجاء السحرة فرعون اي فارسل الحاشرين
وجاء السحرة قالوا وفصيحة كالفا في قوله فجمع السحرة قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
استئناف وقع جوابا عن سؤال سائل ما قالوا اذا جاءوه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا هو
استفهاما والتورية بالاخبار اوقع للدلالة على ايجابهم عليه اجرا عظيما كانهم قالوا لا بد
لنا من اجر كثير ومثل هذا التنكير في افادة التعظيم والتكثير قولهم ان له لابلا وان له
لغنما والاجر الجزاء بالخير وقد يكون بالخير والشر بحسب العمل وبحسب ما يقتضيه العدل
والغلبة ابطال المقاومة بالقوة قال نعم مجيبا لهم عما سألوه وانكم الواو للعطف
كانه قال نعم لكم ذلك وانكم لمن المقربين الى مراتب الجلالة التي تكون تحتها الحاجرون ولا
يتخطى اليها العامة تحقيق امنيتهم وزاد على ذلك ما لم يتصوروه مع المبالغة
بان واللام اي لا تقتصر على الثواب العظيم وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب
وهو التقريب والتعظيم تحريضا لهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن
الملقين الالقاء ارسال المعتمد الى جهة اسفل وضده الامساك واما للتخيير ع
والتقدير اما ان تلقي انت اولا واما ان نلقي نحن اولا بدليله ما في موضع اخر واما ان
نكون اول من القى فاظهروا الاقتدار وقالوا ان بدات انت او بدانا فلا خوف علينا
ولاجل ادب نبيل احترموا وببركة ذلك سلموا ولما كانت رغبتهم في ان يلقي قبله
نبهوا عليه بتغيير النظم الى ما فيه رجحان طرفهم في الالقاء من الجملة الابتدائية
والتاكيد بتوسيط الضمير وتعريف الخبر قال القوا لما كان ردوه بالتخيير هم
كرمهم موسى عليه السلام وسوغ لهم ما تراغبوا فيه اظهارا للفضيلة وتحقيرا لهم وازدرا
بشانهم وثقة بالله تعالى وما خصصه به من التاييد السماوي وان المعجز
لم يغلبها سحر ابدا فلما القوا سحروا اعين الناس حيلوا اليهم بالحقيقة بخلاف
ما اروهم بالحيل والشعوذة ما لا وجود له ومن هنا ظهر ان السحر لا يقلب عينا
وانما هو من باب التخييل واسترهبوهم اي ارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا
رهبتهم وقيل استعمل هنا بمعنى فعل كابل واستبل والرهبة الخوف مع التحرز
وجاءوا بسحر عظيم فصفه بالعظيم لبعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه حتى اوجس
موسى عليه السلام في نفسه خيفة واوحينا الى موسى ان الق عصاك ان مصدرية
ويجوز ان تكون المفسرة لان في الوحي معنى القول فاذا هي اذا الفجائية والفا فصيحة
اي فالقاها فاذا هي ونكتة الحذف في مثل هذا قد مر بيانها في تفسير قوله تعالى
فانفجرت منه من سورة البقرة تلقف تبتلع تناولا بفيها بسرعة وقرئ تلقم
تلقم اي تبتلع كاللقمة ما يافكون الافك قلب الشيء عن وجهه وما موصولة اي ما

يا فكونها او مصدرية اي افكهم تسمية لها فوكاذ كان مبالغة فوقع الحق الوقوع ظهور الشيء
بوجوده الالي مستقره والحق كون الشيء في موضعه الذي اقتضته الحكمة وبطل ما كانوا يعملون
من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك اي عند ذلك الجمع وانقلبوا صاغرين اي رجعوا الى
المدينة اذلا مقهورين والضمير لفرعون وقومه وانما قال والقي السحرة ساجدين دون
وخروا سجدا للمبالغة كأنه تعالى القاهم ملقي لشدة خرورهم لان الحق بهرهم واضطرهم
الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك وتعوقهم الله تعالى لذلك ودبر الامر ليكسر فرعون
وقومه بالذين اراد بهم كسر موسى عليه السلام قالوا امنا برب العالمين لما استشعروا
ان يتوهم انهم ارادوا فرعون تداركوه بقولهم رب موسى وهرون بان ابدلوه منه قال
فرعون امنتم استفهام على سبيل الانكار والتوبيخ اي افعلتم هذا الفعل الشنيع
وقرئ بالاخبار وهو ايضا توبيخ وتشنيع بدلالة ما بعده به اي بموسى عليه السلام
لا بالله تعالى لان قوله في سورة الشعراء انه لكبيركم الذي علمكم السحر لا ينتظمه قبل ان
اذن لكم فيه ايذان بوهن امره حيث جوز تبنيهم مفارقة الاذن دون نفس الايمان به
ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة اي صنعكم هذا الحيلة اختلقوها انتم وموسى في مصر
قبل ان تخرجوا الى الميعاد وتواطيتم عليه لتخرجوا منها اهلها القبط وتخلص لكم هو
ولبني اسرائيل وكان تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان فسوف تعلمون
عاقبة ما فعلتم وعيد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق
طرفا وذلك للتشديد في العذاب والتغليظ فان الانسان لا يتعيش بيد
واحدة ورجل واحد اذا كانتا من جنس واحد بخلاف ما اذا كانتا من جانبين ولهذا يقطع
رجل السارق في المرة الثانية من خلاف واذا كان القطع من وفاق بامنا من الانتفاع
بالحيوة الباقية يكون الموت بعده راحة بخلاف ما اذا كان القطع من خلاف فان في الموت بعده
خصوصا اذا كان متراخيا الما حديدا فاراد فرعون ان يجمع وعيد الشديد بتجديد
العذاب بالقتل بعد ما زال الم القطع وعاد لذة الحيوة على ما دل عليه كلمة ثم في قوله ثم لا
صلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من قطع وصلب قالوا انا الى ربنا
منقلبون انا لا نبالي بوعيدك لانقلابنا الى ربنا ورحمته كانهم استطابوه شغفا
الى لقاء الله تعالى او انا جميعا اي انا وانت منقلبون اليه فيحكم بيننا وما تنقم منا
النقمة الاخذ بالعقوبة وتعديته بمن لتضمنه معنى تناول وعلى هذا يكون قوله الا
ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا مفعولا من اجله استثناء مفرغا اي ما تنال منا احدا
ايانا بالعقوبة لشيء من الاشياء الا لان امنا وهذا ما اشار اليه عطفا على تفسيره حيث
قال اي ما لنا عندك ذنب تعذبنا عليه الا ان امنا ثم فزعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا
افرغ علينا صبرا اي على وعيد فرعون لعلمهم ان الصبر مطهر ثم استعارة بالكناية
شبه الصبر بالماء فاثبت له الافراغ اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا ويفيض عنا كما
يفرغ الماء افراغا والتنوين للتعظيم اي صبرا واسعا كثيرا او ما يطهرون من اوضار
الاوثام كما يطهر الماء من الاقذار وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام الى الممات قيل

الله

2,45

به فعل بهم ما اوعدهم وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وفيه
نظر لان المراد من اتبعهما قبل غلبتهما فلا يتناول السحرة وقال الملا من قوم فرعون
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك
ويذرك عطف على يفسدوا وفي الارض بدوا ولا بالملة العامة ثم اتبعوه بالخاصة فقد
حوابه لك تريد تنفيطه على موسى عليه السلام وقومه ليكون ذلك ابغى عليهم منا زلهم
اذ تهم الاشراف وبتركه موسى عليه السلام وقومه عصيد يذهب ملكهم وشرفهم وانما نسبوا
الفساد الى الجميع والترك الى موسى خاصة لان الترك المذكور راجع الى امر الدين وقومه
تابعين له فيه فذكر تركه كاف بخلاف الفساد لانه من جهة الدنيا والملك وهم مستقلون
فيه او جواب للاستفهام بالواو على معنى ان يكون منكرا بتركه موسى عليه السلام
وقومه ويكون تركه اياك والهتك وقرا بالرفع عطفا على اتذر اي اتذره ويذرك
بمعنى يطيق له ذلك لو استنبينا فاوحالا اي وهو يذرك والهتك وقرئ بالجزم كانه
قيل يفسدوا او يذرك جوابا للاستفهام كقوله تعالى فاصدق واكون والهتك قيل
كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال
انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اي عبادتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم سنعيد عليهم
ما كنا محناهم به ليعلموا وانا فوقهم قاهرون اي وانا على ما كنا عليه من القهر و
والغلبة عليهم وانه لا اثر لغلبة موسى عليه السلام في ملكنا وانه لا يتوهم العامة انه هو
المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده قال موسى لقومه
لما جزع قوم موسى عليه السلام من قول فرعون سنقتل ابناءهم وتضجروا سلاهم
بقوله استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ذكرهم ما
وعده الله تعالى من املاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فاللام في الارض للعهد
والافصح ان تكون للجنس فيتناول المعهود وهو ارض مصر تناولا اوليا وعلق الايراث
بالمشية فجلعه بنية والعاقبة للمتقين للبشارة بعد الابهام بان العاقبة التي تتشاهل
ان تسمى عاقبة اي العاقبة المحمودة كانها عداها ليست بعاقبة مخصوصة بالمتقين
منكم ومن القبط اشعارا بانهم هم المتقون والعاقبة لهم وقرئ والعاقبة بالنصب
عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا بقتل الانبياء والاستعباد والامتهان
بالجدحة وانواع التعذيب الاذى ضرر لا يبلغ بصاحبه ان يأتي على نفسه من قبل ان
تاتينا بالرسالة والاتيان بنظم الجمع ما يقابله وهو الذهاب ومن بعد ما جئتنا
باعادة تعديلها قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم كصنيع بما مر اليه
من البشارة وهو اهلاك فرعون وقومه واستخلافهم في الارض فينظر كيف تعملون
شكرا وكفرا بالطاعة او معصية فيجازيكم بحسبه ولقد اخذنا ال فرعون اثر
عبارة الال على عبارة القوم لانتظامها الاناث حقيقة ولا نكتة للتغليب و
وللتنبيه على ان اختصهم بذلك لاتباعهم فرعون فيهم حتى سلامة من امن من قومه
ودخول فرعون في الحكم المذكور بطريق الدلالة بالسنين بالجدب وبقلة الامطار والمياه

والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به فصارت كالدابة
والنجم ثم اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم اذا قحطوا او جمعت على سنين ونقص من
الثمرات قال ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون فكانت البادية واما نقص الثمرات
فكانت في امصارهم لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم
او يتعظوا فتلين قلوبهم وترق بالشدائد فيفزعوا الى الله تعالى ويرغبوا فاذا
جاءتهم الفاء فصيحة للترتيب مدخولها على مقدر يدل عليه سياق الكلام وكأنه
من عدم تنبههم لما ذكر وتفصيل لكيفية الحسنة الخصب والرخاء والسعة قالوا لنا هذه
اي لكرامتنا خاصة واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة جدب وشدة وضيق
يطيروا بموسى ومن معه وقالوا هذا بشؤمهم ولولا مكانهم فينا لما اصابتنا
والتطير التشاؤم واصله التفاؤل بالطير ومنه الطائر الذي هو سبب الخير والشر
ثم غلب التطير على الشر واصل يطيروا يتطيروا فادغم وانما عرف الحسنة بلام العهد
الذهبي مع اذا الدالة على الوقوع وصيغة الماضي الدالة على الاستمرار باعتبار
جنسها مقطوع الوقوع لكثرته واتساعه ونكر السيئة مع حرف الشك وصيغة
المضارع لقلتها وندور وقوعها وتجددها بناء سبب الايقاظ والاتعاظ والحسنة
لا يخلو عنها احد والسيئة لا يقع منها الا اليسير وهذا اعتراف في وصفهم بالقساوة
والجفوة والغباوة بان الشدائد التي ترقق القلوب وتذلل النفوس وتلين
العرائك وتكثر التشاكي لم تؤثر فيهم ولم يزدادوا بها الا تماديا في الغي وعتوا
في الكفر ولذلك بولغ في انكار التطير بموسى عليه السلام ومن معه باسناد الشر
والخير الى الله تعالى على ابلغ وجه وتصدير الجملة بحرف التنبيه حيث قال الا انما طائرهم
سبب خيرهم وشرهم عند الله اي بقضائه ومشيئته وهو الذي يصيبهم بما شاء ما اصابهم به وليس بيمن احد
ولا بشؤمه والتأكيد ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا
مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت الفها هاء لئلا يتوهم التكرير وهي
مبالغة في التعميم ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تأتنا به اي شيء تحضرنا تأتنا به
من آية بيان لمهما وانما سموها آية استهزاء ولذلك قالوا لتسحرنا بها اي لتسحر بها اعيننا والضمير
ان لما الاولى باعتبار اللفظ والثاني باعتبار المعنى وعدلوا في الجزاء عن نؤمن الى الجملة الاسمية
مع تأكيد النفي بالباء وتخفيف الجزاء بزيادة ما حيث قالوا فما نحن لك بمؤمنين اي فلا تتشاغل بايرادها
فما نحن لك بمصدقين انها عند الله تعالى وهذا منهم غاية الضلالة والعناد اذ كذبوه بما لم يأت به
بعد واظهروا انهم مصرون على كونهم ابدا غير منقادين للحق وان ظهر وبرا فارسلنا عليهم الطوفان
قال ابن عباس رضي الله عنهما الطوفان هو الماء المغرق وقال مجاهد هو المطر المتتابع المضر وهو في
اللغة ما طاف بالقوم وغلبهم من ماء وطاعون او غيرهما والجراد والقمل هي كبار القردان والضفادع
جمع ضفدع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر
احدهم ان يخرج من داره ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل
مشتبكة ببيوتهم ولم يدخلها قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم فمنعهم من الحرث والبناء

والتصرف فقالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم
ونبت لهم من الزرع ما لم يعهد مثله فلم يؤمنوا فبعث الله تعالى الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم
ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى عليه
السلام ووعدوه التوبة فرفع عنهم ثم لم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد
وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه عليه السلام فرفع
عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب
ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم
عند التكلم ففزعوا اليه عليه السلام وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله تعالى عنهم
فنقضوا العهد فارسل الله تعالى عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع
السبطي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي السبطي ماء ويمص الماء من فم السبطي فيصير
دما في فيه آيات نصب على الحال مفصلات مميزات بعضها من بعض بين كل اثنين فصل
ومدة ليتأملوا في كل واحدة حق التأمل كان اذا انتهت آية منها اقامت عليهم اسبوعا ثم تقلع
عنهم شهرا ثم تأتيهم اخرى تأكيدا للحجة عليهم كأنه يقول قد قالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا
بها فما نحن لك بمؤمنين لكنا تأتيهم بها الآية ولم ينقطع عنهم البراهين بما ظهر وامن
الجهالات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فتعاظموا عن الانقياد للحق والايمان بموسى
عليه السلام وكانوا قد اعتادوا الآثام والاجرام واكتساب انفسهم العذاب باللزام ولما
وقع عليهم الرجز اي الطاعون فمات من القبط سبعون الف انسان وقيل هذا
العذاب المفصل وعنه اتضح تصديقوا الكلام بكلمة قالوا يا موسى ادع لنا ربك فيه انه غاية
عنادهم حيث قالوا ربك دون ربنا ظنا والاصرار على الانكار في مقام العجز والاضطرار بما
عهد عندك بانه امنك وسيلك اليه فهو يعم جميع الوسائل بين الله تعالى وبينه عليه السلام
من طاعة منه ونعمة من الله وهو صلة لادع اي ادع لنا ربك يكشف عنا العذاب بحق ما
عندك من عهد الله او بمعنى الحال اي متوسلا اليه بعهده عندك او قسم جوابه لنؤمنن
اي بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وجوز ان تكون موصولة اي
بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك وفي اسناد الكشف اليه عليه السلام بعد ذلك
عن اسناده الى الله تعالى لعدم اقرارهم به ولنرسلن معك بني اسرائيل انما زاد قوله
معك لانه عليه السلام كان طالبا لارسالهم معه حيث قال ان ارسل معنا بني اسرائيل
فلما كشفنا عنهم الرجز الفاء فصيحة عاطفة على مقدر كأنه قيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم
الرجز فلما كشفنا الى اجل الى حد من الزمان هم بالغوه مهلكون فيه وهو وقت الغرق لا
يتأتى منهم من ساعة قبل الغرق ومنهم من بقي بعيدا لانسياق الكلام بمدفعه عما يستقف
عليه يبالغ في وصف الاجل بالجملة الاسمية مع تجريد الخبر عن شائبة الحدوث اشارة
الى ضرورة بلوغهم الحد المقدر لهم ولزومه اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم
الرجز فاجؤوا بالنكث وبادروه من غير توقف وتأمل فانتقمنا منهم اي احللنا بهم النقمة
وهي ضد النعمة فاغرقناهم الفاء تفسيرية كما في قولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلا

يحسن الي الغرق في اليم وهو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه وهذا
صريح في ان الناكثين كلهم هلكوا بالغرق بانهم بسبب انهم كذبوا باياتنا والايات هي
المعجزات التي ظهرت علي يدي موسي عليه السلام وكانوا عنها اي عن اياتنا غافلين غفلتهم
من جهة دلالتها علي صدق موسي عليه السلام في دعوى الرسالة غفلة عن ذلك
الايمان في الحقيقة لانها بدون الدلالة المذكورة لا تسمي ايات وهذه الغفلة هي سبب التكذيب
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وهم بنوا اسرايل مشارق
الارض يعني ارض الشام ومغاربها ملكهم الله تعالي بعد الفراعنة والعمالقة نواحيها
الشرقية والغربية وتصرفوا فيها كيف شاؤا وصيغة الجمع للمبالغة في وسعتها من جهة
الخصب والبركة التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وهذا ظاهر في ان المراد
ارض الشام لا ارض مصر لان القوم المستضعفين لم يعودوا الي ديار مصر بل
اقاموا في الارض المقدسة وتمت كلمة ربك الحسني علي بني اسرايل تحقق عدته الحسني
بالتمكين في الارض ونوزف بالانجاز وهي قوله ونريد ان نمن الي قوله ما كانوا
يحذرون وقرئ كلمات ربك لانها كانت مواعيد بما صبروا بسبب صبرهم وكفى به حاثا
علي الصبر ودمرنا خربنا ما كان يصنع فرعون وقومه القصور والعمارات وما كانوا
يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان واصل التعريش
الترفع وجاوزنا ببني اسرايل البحر اي البحر الذي غرق فيه فرعون وقومه وهو
بحر القلزم لم يقل وجاوز بنوا اسرايل البحر تنبيها علي ان جوازه كان خارقا للعادة
خارجا عن طوق البشر ثم تجاوزه ابلغ من اجازه كما ان ذهب به ابلغ من ان
اذهب ذكر ما احدثوه بعدما اهلك عدوهم وانجاهم من الامور الشنيعة عقيب
ما رأوا من الايات العظام والنعم الجسام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما راي
منهم بالمدينة وايقاظا للمؤمنين لئلا يغفلوا عن سياسة نفوسهم ومحاسبتها
ومراسة احوالهم ومراقبتها فاتوا علي قوم فمروا عليهم يعكفون يقيمون علي اصنام
علي عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وانما قال لهم تنبيها علي غاية
حماقتهم حيث عبدوا ما يعكفونه قالوا يا موسي اجعل لنا الها صنما نعكف عليه
كما لهم الهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولم يقل كالهتهم لان مشابهتها
غير مقصودة انما مقصودهم ان يكون لهم ايضا اله قال موسي عليه السلام انكم قوم تجهلون
تعجب من قولهم بعدما راوا الاية العظمي والمعجزة الكبري فجهلهم بالاطلاق وتكرير
النسبة وتقويتها بان وايراد الفعل المضارع الدال علي التجدد الدائم اشعار بان
ذلك منهم كالطبع والغريزة لا ينتقلون عنه في حال ان هؤلاء اي عبدة تلك التماثيل متبر
مكسر مدمر ما هم فيه اي ينبر الذي هم عليه علي يدي ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل
مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها بالغ في تحذيرهم وتنفيرهم عما طلبوا اليه بايراد هؤلاء
اسما لان وتقديم الخبر في الجملتين بعده وايقاع كانوا اتجاها هؤلاء الذين عبدوا
الاصنام هم المعيبون المعرضون بوسمهم وعبادتهم لها للتتبير وانه لا يعدوهم البتة

وانه

وانه لهم مزية لازب وهباء ما هم فيه وما عملوا من شيء من عبادتها فيما سلف من الزمان الا
وهو باطل مضمحل وان كان في زعمهم انه تقرب الي الله تعالي ثم انكر عليهم ما طلبوا وتعجب
من طلبهم عبادة غير الله تعالي مع كونهم مغمورين في نعمه بالمعجزة ونحو تنبيهم المعقول
فقال قال اغير الله اي اغير المستحق للعبادة ابغيكم اطلب لكم الها معبودا وهو
فضلكم علي العالمين وهو الذي فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم
ينعم بها علي احد من العالمين وفيه تنبيه علي سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص
الله تعالي اياهم من امثالهم بما لا يستحقونه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به
اخس شيء من مخلوقاته والمراد من العالمين عالمي زمانهم وانتصب غير مفعولا لابغيكم
والها تمييز عن غير او حال وعلي الحال الها المفعول فكان غير صفة فلما تقدم
انتصب حالا ثم ذكر نعمة الانجاء وما يتبعه واذ انجيناكم من ال فرعون واذكروا صنيعه
معكم في هذا الوقت يسومونكم يبغونكم استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين
او من ال فرعون او منهما سوء العذاب شدته يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل
منه مبين والمعني مبين فيما سبق وفي ذلكم اشارة الي الانجاء والعذاب بلاء نعمة
او محنة من ربكم عظيم وزيادة قوله من ربكم يرجح المعني الاول وواعدنا موسي ثلاثين
ليلة ذا القعدة واتممناها التمييز للمواعدة المفهومة من واعدنا بعشر
من ذي الحجة وحذفت الهاء من عشر لان العدد مونث فتم ميقات ربه
الميقات وقت قدر فيه عمل من الاعمال وفي عبارة ربه اشارة الي انه لمصلحته عليه
السلام وتربيته اربعين ليلة مفعول به لتم لان معناه بلغ ويجوز ان يكون تمييزا
منقولا من الفاعل واصله فتم اربعون ميقات ربه اي كاملت ثم اسند التمام الي
الميقات وانتصب اربعون علي التمييز ودلت الاية علي ان التاريخ بالليالي دون
الايام وهذه الاية الليالي اوايل الشهور روي انه عليه السلام وعد بني اسرايل
بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله تعالي فيه بيان ما ياتون
وما يذرون فلما هلك سال ربه فامره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك
فقالت الملايكة كنا نشم منك رايحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالي ان
يزيد عليها عشرا وقال موسي لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح
ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا فيهم ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع المفسدين
في سبيلهم كقوله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهدي الخائنين في كيدهم وهو اسلوب بديع
لم ينتبه له الناظرون في كلام الله تعالي ويجوز ان يكون علي طريقة لا تضربن يا ولا تسلك
سبيل المفسدين منتهيا لهم ولما جاء موسي لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددناه واللام
للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه بغير واسطة كما يكلم الملايكة وروي انه
عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وذلك لان الله تعالي ليس في جهة وكلامه
ليس من جنس كلام المحدثين والعدول عن الظاهر وهو وكلمناه الي ما ذكر كالعدول
عن ميقاتنا الي ميقات ربه والنكتة مشتركة بينهما قال رب ارني انظر اليك ربي

ارني نفسك بان تتجلي لي فانظر اليك واراك وهو دليل علي ان رويته تعالي جايزة في الجملة لان
طلب المستحيل علي الانبيا عليهم السلام محال وخصوصا بما يتعلق بمعرفة الله تعالي
ويقتضي الجهل به ورده بقوله لن تراني ليس لامتناع رويته تعالي في نفس الامر والالقال ارى
بل لقصور الطالب عن رويته بنفيه الحجاب فهي موقوفة علي ارتفاعه وجعل السوال لتبكيت قومه
الذين قالوا ارنا الله جهرة خبط لبس شي لان حقه عليه السلام في ان يجهلهم ويزيل شبهتهم كما فعل
بهم حين قالوا اجعل لنا الها والاستدلال علي سبقه لهم بالجواب ابعد عن الصواب اذ لا دلالة
فيه علي انه لا يراه عليه السلام ابدا ولا علي انه لا يراه غيره اصلا فضلا من ان يدل علي استحالتها
ودعوي الضرورة فيه مكابرة او جهل له بحقيقة الروية قال لن تراني اي لن تطيق ان تراني
ولكن انظر الي الجبل استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه فان الجبل مع شدته وصلابته
اذا لم يستقر فالادمي مع ضعف بنيته اولي ان لا يستقر وهذا تسلي لقلب موسي عليه السلام
وتخفيف عنه ثقل اعبا المنع ولا يزهب علي من تطلع بجهة الانصاف وتجنب عن التعصب والا
عتساف انه ليس بجواب من سال محالا وقد قال الله تعالي لنوح عليه السلام فلا تسالني ما
ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فلو سال موسي عليه السلام محالا لكان في الجواب
زجرا ما فان استقر مكانه فسوف تراني بعد رفع الموانع من تلبيس علق رويته بالاستقرار
وهو امر ممكن في نفس الامر فيفهم منه انه ممكن في نفسه لكن المانع من جهته علي ما دل عليه
قوله تعالي ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب حيث قال ما كان لبشر ولم
يقل ما كان له تعالي اي بالتعليق ثم بالتسويف مبالغة في تعذر المطلب اما التعليق
فلبيان ان الطاقة البشرية لا تتحمل رويته تعالي واما التسويف فلبيان انه علي تقدير
التحمل لا بد من ارتفاع موانع زوالها تدريجي تقتضي مهلة ومدة فلما تجلي ربه للجبل اي ظهر
له ظهور المرئي للرائي بان خلق الله تعالي فيه حياة وحسا وهذا المعني هو المروي عن ابن
عباس رضي الله عنهما وهو الموافق لسياق الكلام المطابق لاصل اهل السنة والجماعة ومن
صرفه عن الظاهر فقد دس فيه مذهب الاعتزال جعله دكا الدك والدق اخوان كالشك
والشق وانما قال دكا مبالغة كرجل عدل والمجاز عقلي نحو فسره بالمذكور علي انه مصدر
بمعني مفعول والمجاز لغوي فقد اخرجه الي شي مفسول علي طريقة كلام عامي مرذول
فان قلت اليس صحة المرام وصدق الكلام يقتضي معني المذكور قلت لا نزاع فيه
انما الخلاف في طريق افادته وكيفية ارادته من عبارة الدك وقري دكا اي ارضا مستوية
وقري دكا اي قطعا جمع دكا تانيث ادك وخر سقط موسي صعقا مغشيا عليه كمال
من تصيبه الصعقة لا لهول ما راي من تلاشي الجبل والا لكان حق النظم العطف بالفاء ولما عطف
بالواو علم انه ايضا مترتب علي التجلي للجبل فلما افاق اي من غشيته قال سبحانك تبت اليك
قال الامام ابو نصر خرج هذا الكلام منه عليه السلام مخرج العادة عند ونه الافزاع حسبه
ما يجري علي السنة الانام عند الاخطار لا عن ذنب يتذكرونه فيتوبون عنه ونظير
هذا التسبيح ما في قول عيسي عليه السلام سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
ونظير ذلك التوبة من غير ذنب ما في قول النبي صلي الله عليه وسلم في كل يوم ماية مرة

استغفروا الله واتوبوا اليه وانا اول المومنين اي بما اخبرتني به في حق الروية من انه لا يطيق
هذه البنية للبشر وانما اخفي عليه السلام الجواز لكان لو فقه انه لا يعطي الخلق رويته في الدنيا مع
جوازها لم يوجد منه عليه السلام سوال الروية بناء علي معرفة جوازها ليتحقق جواز الروية
بسواله عليه السلام ذلك فيكون حجة قاطعة لاهل الحق علي المنكرين له من اهل البدعة قال يا
موسي اني اصطفيتك اخترتك علي الناس الموجودين في زمانك وهرون عليه السلام وان
كان نبيا واكبر منه سنا لكنه كان وزيرا له ماموزا باتباعه لا كليما ولا صاحب شرع
برسالاتي تنويع على الجمع اذا الذي ارسله به ضروب وعلي الافراد علي ان كل الرسالة
المصدر الذي هو الارسال وبكلامي يعني اسفار التورية وانما اخره لان الرسالة اسبق
زمانا او للانتقال من الشريف الي الاشرف فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة والحكمة وكن
من الشاكرين من المعروفين بالشكر وهذا ابلغ من الامر بالشكر علي النعمة بوجوه روي
ان سوال الروية كان يوم عرفة واعطي التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شي
لفظ كل هنا للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله واوتيت من كل شي والالواح
جمع لوح وهو الصفحة المهياة للكتابة فيها وانما قال له لان الموقوف بالمكتوب فيها
علي تفصيل كل شي كان مخصوصا به عليه السلام موعظة تحذيرا عما يزجر عن القبح وتبشيرا
بمواقع الحق في الجزر وهي مفعول له لا البدل من الجار والمجرور لان المعني الذي ذكرناه مخصوص
بالافادة في المقام وتفصيلا لكل شي من المصالح الدينية والدنيوية فخذها عطف علي
كتبنا علي ارادة القول اي فقلنا خذها والضمير للالواح بقوة بجد وعزيمة وامر قومك
ياخذوا باحسنها بواجباتها فانها احسن من غيرها او بما هو واجب وندب فانه احسن
من المباح او باحسن ما فيها ماهو حسن واحسن كالصبر بالنسبة الي الانتصار
مرهم بالاختيار الافضل علي طريقة الندب ساريكم من روية العين ولهذا تعدت
الي اثنين دار الفاسقين الذين اهلكهم الله تعالي بفسقهم فينتظر دار فرعون
وقومه ودار العمالقة ومنازل عاد وثمود وموعظة بليغة تجري مجري الوعيد
علي ترك الطاعة اي وامر قومك ياخذوا باحسنها ويطيعوا ولا يهملوها ولا
يفسقوا فسأريكم دار من فسق منهم كيلا كم ليعتبروا وقري ساوريكم اي
سابين لكم من اوريت الزند وهي لغة فاشية بالحجاز وقري ساورثكم علي وفق
قوله تعالي واورثنا القوم ساصرف عن اياتي في الافاق حتي لا يتفكروا في خلقها ولا يعتبروا
بها وفي الانفس حتي لا يتفكروا في خلقها ولا يعتبروا بها وفي الانفس حتي لا يروا فناها
ولا يعجبوا بها الذين يتكبرون يتعظمون عن الانقيا دللانبيا عليهم السلام طالبا
للعلو والرياسة وانما قال في الارض اشارة الي كونهم من العالم السفلي الذي لا يليق
الرفع بشان من كان منها فقيه تمهيد لقوله بغير الحق اي بدون الاستحقاق حال
من فاعل يتكبرون او صلة اي يتكبرون بما ليس بحق اي بباطل وفيه انذار للمخاطبين من
عاقبة المتكبرين الذين طبعوا علي قلوبهم بسبب شامة المتكبر فلا يتفكروا في ايات
الله تعالي وان يروا كل اية لا يومنوا بها اذ لا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم

عنه من شهواتهم **وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا** لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرئ
الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات **وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا** أراهم الله
تعالى السبيلين قال الله تعالى وهديناه النجدين ورآهما فآثروا الغي على الرشد كقوله
تعالى فاستحبوا العمى على الهدى **ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين** أي ذلك
الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها أو نصب على المصدر أي سأصرفهم ذلك
الصرف بسببهما وجوز أن يكون قوله وكانوا عنها غافلين استئنافا في إخبار رحمته تعالى عنهم
أي من شأنهم أنهم كانوا عنها غافلين عن الآيات وتدبرها وأورثهم الغفلة التكذيب بها
وهنا أبحاث والوجه عندي هو أن يكون ذلك إشارة إلى التكبر لأن سبب الصرف قد علم
من قوله الذين يتكبرون لما تقرر في الأصول أن ترتيب الحكم على الموصول يدل على علية الصلة
له إنما المحتاج إلى البيان سبب ذلك التكبر فالكلام على ما ذكرنا يكون على أحسن وجوه
الانتظام حيث يشار فيه أولا إلى أن سبب الصرف هو التكبر عن الانقياد للأنبيا
عليهم السلام ثم يصرح بأن سبب التكبر تكذيب المعجزات الدالة على صدقهم ثم بينه
على أن سبب التكذيب أنهما متكبرون في أسباب الغفلة عن جهة دلالة الآيات
المذكورة على صدقهم في دعوى النبوة وإعراضهم عن النظر فيها ولا بد من صرف القول
المذكور عن ظاهره وتأويله بالوجه المذكور كيلا يكون مظنة الاعتذار من جهتهم
والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة من باب إضافة المصدر إلى المفعول به أي لقائهم الآخرة
أو إلى الظرف أي ولقاء ما وعده الله في الآخرة **حبطت** أي بطلت وتلاشت **أعمالهم** فلا
ينتفعون بها واحتمال عموم الأعمال للسيئات أيضا قد اندفع بقوله **هل يجزون إلا ما كانوا
يعملون** استفهام بمعنى النفي أي لا يجزون إلا جزاء ما عملوا من الكفر والمعاصي **واتخذ قوم
موسى من بعده** من بعد مفارقته عليه السلام إياهم إلى الطور للميقات من حليهم
الذي استعاروه من القبط حين هموا بالخروج من مصر وإضافتها إليهم للملابسة
لأنها كانت في أيديهم وأما ما قيل إنهم قد ملكوها بعد المهلكين فلا صحة له لفظا ولا
معنى أما الأول فلأن التنافي بين الوجهين يأبى عن عبارة العلاوة وأما الثاني
فلأن المهلكين هم الرجال والحلي كانت لنسائهم وقيل هذه الحلي ما أخذه بنو إسرائيل
من قوم فرعون بعد الغرق وعلى هذا يصح الوجه الثاني والحلي بضم الحاء جمع حلي كثدي
وثدي وهو اسم ما يتزين به من الذهب والفضة وقرئ من حليهم بكسرها بالإتباع
كدلي وقرئ بالإفراد **عجلا** لما كان المتبادر منه أن يكون عجلا حقيقة نبه عليه بقوله
جسدا لا روح فيه لم يقل بدنا لأن الرأس وسائر الأطراف خارج عنه **له خوار** صوت
العجل قيل إن السامري لما صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت ونسبة
الاتخاذ إليهم لا لأنهم رضوا بفعله بل لأن المراد اتخاذهم إياه إلها على ما دل عليه التشنيع
الآتي ذكره وإنما حذف قوله إلها لدلالة مساق الكلام عليه وفيه إبهام أن ما صنعوا
أمر منكر مع قطع النظر عن عبادته وقرئ جؤار أي صياح **ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا
يهديهم سبيلا** تقريع على فرط ضلالهم وإضلالهم بالنظر أي ألم يروا حين اتخذوه إلها

الله

أنه لا يقدر على التكلم ولا على الإرشاد كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الأجسام والقوى
والقدر ولما كان الإرشاد إلى السبيل ممكنا بالإشارة كان نفي الثاني أبلغ فأخر على طريقة
الترقي **اتخذوه** تكرير للذم أي أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر الفظيع **وكانوا
ظالمين** أي تعودوا عادتهم وضع الأشياء على غير مواضعها فلم يكن هذا بدعا منهم
ولا أول مناكيرهم **ولما سقط في أيديهم** كناية عن اشتداد ندمهم وتحيرهم لأن من
شأن النادم المتحسر أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه
وقع فيها بلا اختيار وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقال
الزجاج أنه تشبيه بما يحصل في النفس وتصوير للمعقول في القلب معناه سقط
الندم في أنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه **ورأوا أنهم** وعلموا أنهم **قد ضلوا**
باتخاذه **قالوا لئن لم يرحمنا ربنا** وقرئ ربنا بالنصب على النداء انقطاع إلى الله
تعالى واعتراف بعظم ما قدموا عليه ولما كان ذنبهم أعظم الذنوب بدؤوا بالرحمة
التي وسعت كل شيء ومن نتائجها غفران الذنب **ويغفر لنا** بالتجاوز عن الخطيئة
لنكونن من الخاسرين من المغبونين في الدنيا والآخرة **ولما رجع موسى إلى
قومه غضبان** صيغة مبالغة **أسفا** شديد الحزن على ما كان منهم في
غيبته عليه السلام **قال بئسما خلفتموني** أي قمتم مقامي وكنتم خلفائي حيث لم تمنعوا
من عبادة العجل والخطاب لهارون عليه السلام والمؤمنين معه أو بئسما خلفتموني
حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله تعالى والخطاب لعبدة العجل **من بعدي** من بعد ذهابي
عنكم أو من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والدعوة إلى عبادة الله تعالى والكف عن عبادة
غيره ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف ما نكرة موصوفة مفسرة للمستكن
في بئس منصوبة المحل خلفتموني صفتها والمخصوص بالذم محذوف أي بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدي خلافتكم **أعجلتم أمر ربكم** أتركتموه غير تام استفهام إنكار يقال
عجل عن الأمر إذا تركه غير تام لأنه ضمن معنى سبق فعدي بتعديته أي لم تنتظروا وعد
ربكم الذي وعدنيه من الأربعين فتركتم الميعاد غير تام لقوله تعالى في موضع آخر ألم
يعدكم ربكم وعدا حسنا روي أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين ثم
أحدثوا ما أحدثوا بعدما قال لهم السامري إن موسى عليه السلام لم يرجع وإنه قد مات
فغيروا ما غيرت الأمم بعد موت أنبيائهم **وألقى الألواح** طرحها من شدة الغضب
وفرط الضجر حمية للدين قيل إن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما
ألقاها انكسرت فرفعت ستة أسباعها وكانت فيها كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ
والأحكام ويأباه قوله وأخذ الألواح لأن الظاهر منه أن المأخوذ هو الملقى بعينه **وأخذ
برأس أخيه** ولحيته على ما نص في موضع آخر **يجره إليه** لفرط ما دهمه حينئذ الأمر الذي يستفزه
ظنا بأخيه أنه قصر في الكف **قال ابن أم** ذكر الأم مع أنهما كانا أخوين لأب وأم استعطاف
واسترحام لتذكيره أنهما من بطن واحد بلا شبهة فيه وأن مراعاة حقها أحق وأوجب
فإنه أعظم لأنها هي التي قاست المخاوف والشدائد لأجله وقرئ بكسر الميم وطرح بالإضافة

أكثرها بالكسر وبالفتح لكونها أخف أو تشبيهها بخمسة عشر إن القوم استضعفوني أي لم
يبالوا بي ولم يستخفوا مني وكادوا يقتلونني أي بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني
وقاربوا قتلي فالمراد إزاحة توهم التقصير في حقه فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل
ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي وما يشمتون بي لأجله والشماتة فرحة العدو
بمصائب عدوه ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة
التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت بأخي ولأخي ضم إليه أخاه في الاستغفار إن عسى
فرط في حسن الخلافة ترضية له ودفعا للشماتة عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام
علينا وأنت أرحم الراحمين أرحم بنا منا على أنفسنا والواو للعطف على مقدر كأنه
قيل أنت الغفور وأنت أرحم الخ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب هو أمرهم به من
قتل أنفسهم وإنما قال من ربهم إشارة إلى ما في ضمنه من آثار الرحمة حيث كان فيه قبول
توبتهم ولهذا قدمه على قوله وذلة إخراجا لها عن حيز التربية لهم في الحيوة الدنيا
هي خروجهم عن ديارهم وقيل الجزية وكذلك مثل ذلك الجزاء نجزي المفترين على الله سبحانه
ولا فرية أعظم من فريتهم هذا إلهكم وإله موسى ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا بعدهم
والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وعبارة
ثم للدلالة على أن التمادي فيها لا يضر بعدما تاب عنها وآمنوا أي أخلصوا الإيمان لأن
أصل الإيمان قد ذكر فيما سبق إن ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور
محاء لها وإن كبرت كعبادة العجل وكثرة كجنايات بني إسرائيل رحيم بالإمهال وترك الاستعجال
في الأخذ بالنكال كما كان في عبارة ثم تمهيد لهذا أو تكرير من بعدها مع إن واللام
مبالغة في شمول غفرانه وسعة رحمته عظمة جريمتهم ولأن عقبه بتعظيم مغفرته
ورحمته تعظيما لا لتعظيمها بل أريد ليعلم أن الذنوب وإن جلت فإن عفوه
وغفرانه وكرمه وإحسانه إذا تاب صاحبها وأخلص إخلاصا أعظم وفيه تحريض على
التوبة وحث على الإخلاص ولما سكت ضمنه معنى الخمود يعني أي زال عن موسى
الغضب بسالتنا وهو كلام في غاية البلاغة لأن فيه تشبيه الغضب بشخص كان
يهزيه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وخذ برأس أخيك على
طريقة الاستعارة بالكناية فكون السكوت على حقيقته غير مجاز عن السكون أبلغ
أو طريقة الاستعارة التمثيلية على تشبيه حال سكون الغضب بحال سكوت
الناطق الآمر الناهي ولا يشترط أن تكون أجزاء الكلام على معانيها الأصلية وقال
الزجاج مصدر سكت الغضب سكتة ومصدر سكت الرجل سكوتا وهذا يقتضي أنه
فعل على حدة والمعنى سكوت الناس ويؤيده قول يونس بن حبيب تقول العرب سال
الوادي يومين ثم سكت فعلى هذا سكت بمعنى سكن وقرئ سكت وأسكت
على أن المسكت هو الله تعالى أو أخوه بالاعتذار أو قومه بتوبتهم وفيه إشارة إلى حسن
إمهال الله تعالى العباد إذا تغير عن حاله وغلب عليه ما لا يطيق وإن كان من أولي العزم
من الرسل بغلبة ما يصرفه عن الاختيار فكيف الظن بمن دونه أخذ الألواح التي ألقاها

وفي

وفي نسختها النسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وهي المكتوب أي فيما نسخ فيها
يعني كتب والنسخ النقل فيقتضي نقل مكتوب من أصل أخرج وقد يطلق على الكتابة و
إن لم يكن نقل من آخر ويجوز أن يكون المعنى وفيما انتسخ بنو إسرائيل من الألواح والواو
في نسختها للحال هدى بيان للحق ورحمة وإرشاد إلى الصلاح والخير للذين هم لربهم
يرهبون للذين يخصون رهبتهم بالله تعالى والرهبة خوف مع تحرز واضطراب
واللام في لربهم دخلت جابرة لضعف العارض للفعل بسبب تأخره عن المفعول
واختار موسى قومه أي اختار موسى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل إليه وفيه
إيهام تنزيل جل القوم منزلة كلهم سبعين رجلا القوم لا يكونوا إلا رجالا فقيل
قوله رجلا دفع احتمال التغليب والتفخيم المستفاد من التنكير لميقاتنا روي أنه
تعالى أمره عليه السلام بأن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فاختار من كل
سبط من الأسباط اثني عشر ستة فزاد رجلان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا
فقال إن ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا جميعا فقال إن لمن قعد منكم مثل أجر من خرج
فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمامة فدخل
موسى عليه السلام بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوا تعالى يكلم موسى عليه السلام
يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فأخذتهم الرجفة فصعقوا منها فلما أخذتهم الرجفة أي الاهتزاز لما
للهول العظيم وقيل هي رجفة الجبل قال موسى عليه السلام رب لو شئت أهلكتهم من
قبل وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما يرى كما يقول المبتلى ببلية لو شاء الله
لأهلكني قبل هذا واسترحم الله تعالى فقال إنك قدرت أن تهلكنا بسبب إقدار
فرعون علينا والإغراق بالبحر وغيرهما فترحمت وأنجيتنا فإن ترحمت مرة بعد أخرى
لم يبعد من عميم إحسانك أتهلكنا جميعا بما فعل السفهاء منا من العناد على
طلب الرؤية وكان القائل بعضهم فسفههم وقيل المراد به عبادة العجل والاختيار
موسى عليه السلام السبعين إنما كان لميقات التوبة فغشيتهم هيبة فأقلقوا منها ورجفوا
حتى كادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى عليه السلام فبكى
ودعا فكشفها الله تعالى عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك
وطمعوا في رؤيتك وأحداثك في العجل خوارا فضلوا به والضمير للفتنة تضل بها
بالفتنة من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده أو باتباع المخايل وتهدي من تشاء
هدايته فيقوى بها إيمانه وكذا كل ابتلاء أنت ولينا مولانا القائم بأمرنا فاغفر لنا
بمغفرة ما قارفنا وارحمنا بدفع العذاب عنا لما كان هو وأخوه عليهما السلام من
المعصومين من الذنوب في سؤاله المغفرة له ولأخيه لم يؤكد المغفرة بل قال وأنت
أرحم الراحمين ولما كان قد اندرج قومه في قوله أنت ولينا وفي سؤال المغفرة والرحمة
وكان قومه أصحاب الذنوب أكد استعطاف ربه تعالى في غفران تلك الذنوب فقال
وأنت خير الغافرين تغفر الذنوب الكبير بالعذر اليسير ثم تجود بالعطاء الجزيل

الكثير واكتب لنا اي اثبت لنا الكتب يستعمل في كل ما يجاب في هذه الدنيا زيادة
هذه لتنزيل شان الدنيا عن شان الاخرة حسنة عافية وحيوة طيبة وحسن سيرة
وتوفيقا للطاعة وفي الاخرة اي وفيها حسنة ايضا وهي الجنة وما فيها انا هدنا اليك
تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقري هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه
وامالة ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا
اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض
قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه بمقتضى عدل ورحمتي وسعت كل شي
لا يخلو منها مسلم ولا كافر ولا شي من الاشيا والاختصاص لرحمة الاخرة يبتني على ما بيناه
في تفسير سورة الفاتحة فساكتبها فسأثبتها والضمير للرحمة للذين يتقون
الكفر والمعاصي ويوتون الزكاة خصها بالذكر لانافتها لانها حق الصلاة التي هي
عماد الدين بل لانها كانت اشق عليهم لحبهم الدنيا والذين هم باياتنا بجميع اياتنا
يومنون لا يكفرون بشي منها الذين يتبعون اما صفة للذين يتقون او
بدل منه بدل الكل على ان المراد من امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم او البعض
او نصب على المدح او رفع عليه اي هم الذين يتبعون او مبتدا خبره يامرهم الرسول
النبي الامي وصفه بالرسالة باعتبار تبليغ الاحكام من الله تعالى وقدمه لانه
الاهم حيث يوصف به الملائكة بالنبوة باعتبار انبائه عن الله تعالى وصفاته
واخباره عن الغيوب واحوال الاخرة وفيها جهة عموم اذا اعتبر الرسالة في
بني ادم فلو اعتبر هذه الجهة يكون تقديم الرسالة بالنظر الى انه ارسله الله تعالى
الى الخلق فانبائه عنه تعالى بكونه اميا تنبيها على ان كمال علمه مع انه لم يتعلم
شيا ولم يكتب اصلا ليس الا اختصاصا من عند الله تعالى واصطفا منه لدينه
والمجاز او الامي الذي هو على صفة امة العرب قال عليه السلام انا امة امية
لا نكتب ولا نحسب كانه نسبة الى الام فان الولد يولد من امه غير كاتب ولا قاري
ولا حاسب الذي يجدونه اي يجدون اسمه ونعته مكتوبا عندهم في التورية
والانجيل رفع لذكره واشارة بانه مذكور في كتب الله تعالى اخبر عنه الانبياء
السابقون واقروا بنبوته وزيادة قوله عندهم لافادة انه وصفه في الكتابين المذكورين
حال كونهما محفوظين عندهم فلا احتمال لان يكون ذلك ملحقا من خارج يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر المعروف ما عرف بالشرع جهة حسنه والمنكر ما عرف به
جهة قبحه ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم كالشحوم وغيرها ويحرم عليهم
الخبائث كلحم الخنزير ونحوها ونسبة الحل والحرمة اليه لانه مظهرهما
والاختلاف في اداة التعدية لما في الثاني من معنى التكليف دون الاول ويضع عنهم
اصرهم وقري اصارهم لانه جنس فيصلح للجنس والاغلال التي كانت عليهم الاصر
والاغلال استعارتان لطيفتان للثقل الذي كان عليهم من التكاليف الشاقة المانعة
عن حركاتهم بمقتضى الهوى والقيود التي تمنعهم عن اختيارهم والاصر في الاصل الثقل الذي

باصر صاحبه اي يحبسه عن الحركة اي يخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة
كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة والعقود الصعبة كقرض
موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت
واما تعيين القصاص في العمد والخطا فقد مر ما فيه فتذكر ولا خفا في ان ما اريد بالا
اسنى مما اريد بالاغلال والاصق منه فلذلك ذكرها بالاضافة اليهم دون الاغلال فالذين
امنوا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم تكرير لتاكيد مدحهم وتعظيمهم بالصفات المذكورة واعلام
بانها هي الموجبة لاختصاص الفلاح فيهم والفا للترتيب على ما تقدم وعزروه منعوه من العدو
حتى لا يقوى عليه وقري وعزروه بالتشديد اي عظموه بالتقوية ونصروه واتبعوا النور
الذي انزل معه اي مع نبوته اي القران وانما سمي نورا لانه باعجازه ظاهر امره ومظهر
غيره او لانه كاشف الحقائق مظهرها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي باتبعوا
اي واتبعوا القران مع اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيكون اشارة الى اتباع السنة
اولئك هم المفلحون الاشارة باولئك الى الموصوفين بالصفات المذكورة والجملة استحقاقا
للفلاح انما هو بسببها ونحو سبطهم وتعريف الفلاح قد مر ما يتعلق بهما غير مرة ومضمون
الاية جواب لدعا موسى عليه السلام متضمن لتوبيخ بني اسرائيل على ما صدر
منهم من انواع الكفر والمعاصي والتعريض بهم في تكذيبهم بايات الله العظام التي اجراها
على يد موسى عليه السلام بقوله والذين هم باياتنا يومنون وترغيبهم في الاخلاص والعمل
الصالح ببيان حال اعقابهم الذين يتبعون النبي المبعوث في اخر الزمان وتحريض
بعضهم على التصديق بما في التورية والانجيل ليوطنوا انفسهم على الايمان به طمعا
في الرحمة التي خصصها بهم في قوله فساكتبها فيحشروا معهم وهم عبد الله بن سلام
واضرابه قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام كان كل نبي مبعوثا الى
قومه خاصة ورسولنا عليه السلام الى الناس كافة بل الى الانس والجن عامة جميعا
حال عن اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة الله او بدل منه ولا يمنعه الفصل
في حكم المقدم او نصب على المدح او رفع عليه او مبتدا وخبره لا اله الا هو وهو على
الوجه الاول بيان للجملة التي هي الصلة لان من ملك العالم كله لا يكون غيره الها وكذلك
يحيي ويميت بيان لما قبله لانه تقرير لاختصاصه بالالوهية اذ لا يقدر على الاحيا
والاماتة غيره فامنوا بالله ورسوله النبي الامي لما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرهم بالايمان به عليه السلام وبدا بالايمان بالله تعالى لانه اصل يتفرع الايمان بالرسل
عليهم السلام والتفت عن التكلم الى الغيبة تعظيما له لتكرر ذكر الرسول واعادته صفات
المدح وتنبيها على ان الذي وجب الايمان به واتباعه وهو الموصوف بهذه الصفات
لاجلها كائنا من كان ذاتا تنبيها للسامع لئلا يغفل عنه فيتمكن وقعه في نفسه الذي يومن بالله
وكلماته اي ما انزل الله عليه وعلى جميع الرسل من كتبه ووحيه وقري كلمته اي جنس
ما تكلم به او القران او عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يومن به
عليه السلام يعتبر ايمانه وقيل كلمته التي اوجد بها الكل وهي قوله كن واتبعوه لعلكم تهتدون

صار

فهم

حيل رجا لاهتدائه الامرين تنبيها على ان من صدق ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد
في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة التنكير للتكثير يهدون بالحق
يرشدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون في الحكم بين الناس وهم الثابتون
في الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه ابلغ ذكرهم ذكر عبدة العجل كما هو عادة القران في
الجمع بين السعدا والاشقيا في الذكر تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق
والباطل امر مستمر وفيه رفع ما اوهم تخصيص الرحمة في جواب دعا موسى عليه السلام
بالذين يتبعون الرسول في اخر الزمان ان غيرهم كلهم اهل الضلالة وقيل هم من تولوا اهل
الكتاب وقيل قوم وراء الصين راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به
وقطعناهم اثنتي عشرة مفعول ثان على تضمين قطعنا معنى صيرنا وتانيثه
على تاويل القطعة او الفرقة اسباطا بدل منه ولذلك جمع وتمييزه لانه اراد اثنتي عشرة
قبيلة كل قبيلة اسباط فوضع اسباط موضع قبيلة للدلالة على ان كل واحد منهم اسباط
تحقيقا فعلى هذا اسباطا قائم مقام المميز امما بدل من اثنتي عشرة او من اسباطا او
نعت لها وفيها اشارة الى ان كل واحد من الاسباط كانت امة كثيرة العدد وتؤم كل
واحدة منهم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تاتلف وتتفق والباقي مر تفسيره في
سورة البقرة واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر
فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه لتقصير اللفظ وتكثير المعنى وهو
ابلغ وجوه الايجاز وذلك اذ فيه اشعار بان الانبجاس مسبب عن الايحاء من غير علم
وان الضرب لا تاثير له بذاته واما ان موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال فلا
دلالة عليه في قوله وضرب محذوفا او مذكورا والانبجاس خروج الما الجاري بقلة
والانفجار خروجه بكثرة وكان الابتدا بقلة ثم يكثر بالاتساع منه اثنتا عشرة عينا
قد علم كل اناس كل سبط اسم جمع كرجال ونسا لا جمع تكسير او جمع انس واصله كسر الهمزة
كشعيب وشعاب فابدلت الكسرة ضمة مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليغنيهم الحر
وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما
ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون قد مر تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا
هذه القرية باضمار اذكروا القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة
وادخلوا الباب مثل ما في سورة البقرة غير ان هناك ادخلوا وهنا ما يتسبب عنه وهناك
فكلوا بالفاء وهنا بالواو وذلك لان الدخول حالة منقضية فحسن ذكر فا التعقيب بعده
والسكنى حالة مستمرة فحسن الامر بالاكل معه لا بعده واثبت رغدا هناك بعد الامر
بالدخول لانها حالة قدوم فالاكل فيه الذ بخلاف السكنى المذكور هنا فانها حالة
استقرار واطمينان فليس الاكل فيه كالاكل عند الدخول واما تقديم الحطة على الدخول وتاخيرها
عنه فلا تفاوت فيه لان الواو للجمع لا للترتيب واما قوله واذ قيل في مقام واذ قلنا على حذف
الفاعل للعلم به واما انزلنا وارسلنا ويفسقون ويظلمون فمن واد واحد نغفر لكم خطيئاتكم
سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة قيل وانما اخرج الثاني مخرج

الا

سيات
يظلمون

الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به ومعناه المعطوف على
الواو الجامعة بينهما في سورة البقرة الدالة على التشريك في المقابلة المذكورة فبدل الذين
ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السما بما كانوا يظلمون
مر تفسيره في سورة البقرة واسالهم المراد من سؤالهم التوبيخ بتقديم كفرهم واعتدايهم حدود
الله تعالى والتقرير والاعلام من هذا من العلوم التي تحصل الا بالتعليم او بالوحي ولم يتعلم عليه السلام
قط فهو حجة لانه معجزة عن القرية عن خبرها وحال اهلها وهي ايلة التي كانت حاضرة البحر
قريبة منه على شاطيه بين مدين والطور وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية اذ يعدون
في السبت اذ يتجاوزون حدود الله في تعظيم السبت بالاصطياد واذ ظرف لكانت او حاضرة
او للمضاف المحذوف ولا يجوز ان يكون معمولا له لان اذ من الظروف التي
لا تتصرف ولا يدخل عليها حرف جر وجعلها بدلا يجوز دخول عن عليها لان البدل على نية
تكرير العامل وانما يتصرف فيها بان اضيف اليها بعض الظروف الزمانية نحو يوم اذ وكان
كذا وقرئ يعدون واصله يعتدون ادغمت التا في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون
من الاعداد اي يعدون الات الصيد في حال تعظيم السبت او يوم السبت وقد نهوا
عنه وامروا بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون
واحتمال الابدال قد مر وجه بطلانه يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم للسبت مصدر سبتت
اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم
باحكام فيه ويرجح الاول قراءة يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا
يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البنا للمفعول يعني لا يدخلون في السبت
وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الما من شرع علينا اذا دنى واشرف
وقيل اي مقبلا اليهم مصطفا كما تقول شرعت الرماح اذا امدت مصطفة والحيتان
جمع حوت واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة واختلف في اطلاق اسم السمكة
على ما سوى الحوت من الحيوانات البحرية والذي نص عليه الشافعي في الام والمختصر
انها تطلق على الجميع قال صاحب الروضة وهو الصحيح كذلك اي مثل ذلك
البلا الشديد والظاهر ان الاشارة الى ابتلايهم باتيان الحيتان يوم السبت
وعدم اتيانها في ساير الايام نبلوهم بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم
على الفسق واذ قالت عطف على اذ قبلها امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحايهم
الذين بالغوا في وعظهم وبذلوا المجهود في نهيهم حتى ملوا وايسوا من قبولهم وتوسموا
من حالهم ان الوعظ لا يوثر فيه فتركوا الاخرين منهم لم يتركوا مواعظهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم اي قد اشرفوا على ان يهلكهم الله تعالى فيستاصلهم او معذبهم
عذابا شديدا غير مستاصل قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا معذرة الى الله تعالى
لئلا ينسب الى التقصير في النهي عن المنكر وقرئ معذرة بالنصب اي نعظهم معذرة
على انه مفعول له او نعتذر معذرة على المصدر ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان
يتقوا بعض الاتقا فلما نسوا تركوا ما ذكروا به ما ذكرهم به الصلحا وحمل الترك

نسيا نا مبالغة اذا قوي احوال التركان بنسي المتروك انجينا الذين ينهون عن
السوء اي عامة في المعاصي ويدخل فيها صيد الحوت دخولا اوليا واخذنا الذين ظلموا
بالارتكاب للمنكر وفيه تنبيه على ان العلة للاخذ هي الظلم بعذاب بئيس شديد
فعيل من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقرئ وبيس كحذر وبيس كطيس على تسكين
العين للتخفيف ونقل حركتها الى اليا ككبد في كبد وقرئ ابيس على قلب الهمزة يا كما
قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به وجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب همزته يا ثم
وادغام اليا فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم على
الفسق فلما عتوا عما نهوا عنه طغوا وتكبروا عما نهوا عنه وزادوا عصيانا وتمردا قلنا لهم على
طريقة الامر التكويني كونوا قردة اي مسخناهم دفعة خاسئين اذلاء مبعدين عن الناس وقد
مر ما يتعلق به في تفسير سورة البقرة والظاهر من المعنى ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب
شديد فلم يلتهوا وعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير وتقرير لقوله فلما نسوا ه
والعذاب الشديد هو المسخ وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك تاذن
عزم وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يؤذن نفسه به ويحدثها ثم
في التفعيل بمعنى الافعال نحو توعد بمعنى اوعد واجري مجرى القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك
اجيب بما يجاب به القسم وهو ليبعثن عليهم اي عزم ربك واوجب على نفسه ليسلطن على اليهود
الى يوم القيمة من يسومهم يكلفهم سوء العذاب الاذلال وضرب الجزية بعث الله تعالى عليهم
بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم
وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم وضربها عليهم لا الى اخر الدهر بل الى نزول عيسى عليه السلام لانه بعد نزوله من السما يضع
عنهم الجزية على ما ورد في الحديث المرفوع وعندي يجوز ان يكون المراد من يوم القيمة وقت
ظهوره وبعض اشراطه لا حاجة الى تخصيص سوء العذاب والله اعلم بالصواب ان ربك لسريع العقاب
لا يحتاج الا اعداد الالات واحضار الاسباب وانه لغفور رحيم لمن تاب واناب وقطعناهم
في الارض وفرقناهم في اقطارها بحيث لا يخلو قطر منهم تتميما لادبارهم حتى لا يكون
لهم شوكة بالاجتماع امما مفعول ثان او حال منهم الصالحون الذين امنوا بالمدينة ونظر
ائهم والصالحون فاعل للظرف لاعتماده على الموصوف او مبتدا ومنهم خبره والجملة ه
صفة لامما ومنهم دون ذلك دون صفة المبتدا المحذوف اي ومنهم ناس دون
ذلك الوصف منحطون عن درجة الصلاح وهم الفسقة والكفار وبلوناهم بالحسنات
والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون كما كانوا عليه بالانتها فخلف من بعدهم
من بعد المذكورين خلف بدل سو وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه
الواحد والكثير وقيل جمع قال ثعلب الناس كلهم يقولون خلف صدق للصالح وخلف
سوء للطالح وكانه غافل عن قول حسان في المدح لنا القدم الاولى اليك وخلفنا
لاولنا في طاعة الله تابع والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها ولا يعملون

ذلك بتغليب تكليف الجزية الى اشد
وهو تكليف الاسلام بالقتل وسوء العذاب
بتنظمه صح

وفي عبارة

وفي عبارة ورثوا اشارة الى انها وصلت اليهم بلا استحقاق منهم كما يحصل المال
الموروث من المورث الصالح الى الوارث الصالح ياخذون عرض هذا الادنى اي
حطام هذا الشي الادنى وهو ما ياخذونه من الرشا في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل
على العامة والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لان الشي الحقير سهل التناول
قريب الماخذ واما من الدناءة بمعنى الخسة والمراد به الدنيا وما يتمتع به منها
والاشارة بهذا المزيد التحقير والجملة حال من ضمير ورثوا او صفة بعد صفة
ويقولون سيغفر لنا اي اذا عوتبوا على ذلك اعتذروا بما يرجونه من
سعة رحمة الله تعالى ويقولون لا يؤاخذنا الله تعالى بما اخذنا ويتجاوز
عنا وهو يحتمل العطف والحال او الفعل مسند الى الجار والمجرور او الى مصدر ياخذون
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في يقولون اي يرجون
المغفرة جازمين بها وهم مصرون عليه عائدون الى مثله لا يتوبون عنها الم يؤخذ عليهم
ميثاق الكتاب اي العهد الذي في التورية ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف
بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا اي لا يفتروا على الله تعالى وهو القطع
بالمغفرة مع الاصرار على الذنب وهو خلاف ميثاق الكتاب ويجوز ان تكون
ان مفسرة ولا يقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم ان لا يقولوا الخ وان فسر الميثاق
بما بين فيه وهو ان من ارتكب ذنبا عظيما لا يغفر الا بالتوبة كان ان لا يقولوا
مفعولا له اي لئلا يقولوا ودرسوا ما فيه الظاهر انه عطف على ورثوا وقوله
الم يؤخذ اعتراض او حال بتقدير قد وقيل عطف الم يؤخذ من حيث المعنى
لانه تقرير له كانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ومعنى
الهمزة في الم يؤخذ تقريع وتوبيخ على اخذ الرشوة والقطع بالمغفرة ولذا قبح
فعلهم بوجوه اولها انه خلاف ميثاق الكتاب الثاني انه افترا على الله تعالى
الثالث التاكيد بقوله ودرسوا ما فيه من اشتراط التوبة في غفران الذنب
الرابع قوله والدار الاخرة خير اي من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشا
وهو تعريض بانهم يستحبون الدنيا على الاخرة ويستفيد لو يفابهم التاكيد
بقوله افلا تعقلون اي ياخذون العرض الحقير فلا تعقلون ان الدار الاخرة
خير فلا يبيعون الشريف الباقي بالخسيس الفاني وقرئ تعقلون بالتاء على نوع
الالتفات وفي الابهام بقوله الا يعقلون تنبيه على عظم ما يرتكبون والذين يمسكون
بالكتاب واقاموا الصلاة تعريض بانهم لا يمسكون بالكتاب اذ يحرفونه وانهم لا
يصلون وتخصيصها بالذكر لانها عماد الدين وام العبادات والجملة عطف على للذين
يتقون وافلا تعقلون اعتراض بينهما وانا لا نضيع اجر المصلحين اعتراض اخبر
او مبتدا وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين اي منهم او على وضع الظاهر موضع
المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وايماء الى انهم مفسدون بما يفعلون
او استئناف لتعليل الخبر المحذوف كانه قيل نوفيهم اجورهم لانا لا نضيع اجر المحسنين

وإذ نتقنا الجبل اي قلعناه من الاصل ورفعناه فوقهم يقال نتقت الدابة صاحبها حين نفضوا
به اي حركته ورفعته كأنه ظلة في موضع الحال من الجبل والظلة كل ما اظل من سقيفة او سحاب
وقرئ بالطاء المهملة من اطل اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم ساقط عليهم وذلك انهم ابوا
ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا
ليقعن عليكم وهذا لا يقتضي تيقنهم بوقوع الجبل بهم وكذا عدم ثبوت الجبل في الجو لا يقتضيه
لانه على خرق العادة واما على تقدير خرقه فلا تعويق فيه وعدم وقوع المتعلق لا يصلح
وجها لاطلاق الظن على اعتقاد الجازم لعدم الفرق بينهما في عدم الاقتضاء لوقوعه
فالوجه ان يكون الظن هنا على حقيقته خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا
وقابلنا خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على احتمال تكاليفه
ومشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل فيه ولا تتركوه كالمنسي لو
لعلكم تتقون ما انتم عليه من قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني
آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد
قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض والضمير لآدم عليه السلام وبنيه
لا لبنيه خاصة ولا يلزم اخراج اولاده من خير الارادة واما عيسى عليه السلام فخارج
من ظهر جده بواسطة امه واشهدهم على انفسهم ألست بربكم اي نصب
لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من
قيل لهم ألست بربكم ونزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منزلة الاشهاد والاعتراف على
طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا بلى في سؤال النفي اثبات وكان
اقرار والاقرار بدون الاعتقاد لا يكون شهادة ولهذا رد الله تعالى قول المنافقين
قالوا نشهد انك لرسول الله لسبق التصديق تمت مقتضى قولهم شهدنا ان تقولوا اي
كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او تقولوا عطف
على ان تقولوا وقرئ كلاهما بالياء بناء على ان اول الكلام من الغيبة انما اشرك
آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل
والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون اي تعذبنا بسبب
آبائنا الشرك المبطلين وجعلهم اياه سنة لنا تهلكنا بما فعلوه وقيل لما خلق الله
تعالى آدم عليه السلام اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق
والهمهم ذلك بخبر رواه عمر رضي الله عنه والمقصود من ايراد هذا الكلام هنا الزام اليهود
بمقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم
بالحجج السمعية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك ومثل
ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات قطعا لعذرهم ولعلهم يرجعون اي يميز بعضها
على بعض ليتمكنوا من الاستدلال بها ويرجعون عن التقليد واتباع الباطل والواو للعطف
لمقدر نبهنا عليه واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء
بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعورا اوتي علم بعض كتب الله تعالى

فانسلخ

فانسلخ منها بان كفر وخرج عن حكمها فاتبعه الشيطان خطواته اي جعله
تابعا له وقيل استتبعه او اتبعه ليضله فادركه ولحقه وصار قرينا له فكان من
الغاوين فصار من الضالين وقيل هو امية بن ابي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم
ان الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا وتوقع ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله
عليه وسلم حسده وكفر به ولو شئنا لرفعناه بها الى منازل الابرار من العلماء لان مراد الله تعالى
لا يتخلف ولكن حكمته اقتضت ان يتبع ارادته اختيار العبد واشير الى هذا حيث قال في
موقع ولكن لم نشأ ولكنه اخلد الى الارض فذكر فعل المسفالة اي مال الى الدنيا والى
السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات
نسب اثبات الآيات الى الله تعالى وخروجه عن حكمها اليه اشعارا بان الاكمال انما يكون بحسب
استعداد العبد فاعطى اسباب الكمال ولكنه بحسب استعداده الى الجهة السفلية
فخرج عن حكمها فناسب الشيطان فاغواه فشقي بها وعلق رفعه بمشية الله تعالى
واسند ركونه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان
عدمه دليل عدمها لاستلزام انتفاء السبب انتفاء المسبب وان السبب الحقيقي هو المشية
وان الاسباب وسائط في حصول المسبب اذا تعلقت المشية به كذلك ووضع قوله
اخلد الى الارض واتبع هواه موضع اعرضنا عنه اقامة للسبب مقام المسبب مبالغة
وتنبيها على ان موجب اعراضه هوى النفس وحب الدنيا وانه رأس كل خطيئة وكان
مقتضى الظاهر ان يقول ولكنه اخلد الى الارض فحططناه في مقابلة رفعناه فوضع
قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط واذله مبالغة اي صفته
كصفة الكلب الذي هو مثل في الخسة في احسن احواله واذلها وهو دوام اللهث
سواء حمل عليه وزجر او ترك ولم يزجر عليه ما ذكر بقوله ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث فانه دائما يلهث لضعف قلبه وحرارته بخلاف سائر الحيوانات فانه يلهث
عند التحريك والازعاج ولا يلهث عند التوديع والاجمام واللهث هو اندلاع اللسان من
التنفس الشديد الذي يلحق الانسان وغيره من شدة الاعياء وهو في الكلاب
طبع وقد يكون من العطش محل الجملة الشرطية النصب على الحال اي يلهث لاهثا
في الحالين والمراد من التمثيل ان ايتاء الآيات لا يوجب لاستعداد الخبيث الترقي واسباب
الكمال والسعادة بل يزيد نقصا وانحطاطا وشقاوة كما لا ينفعه الآيات بل زادته
رجسا الى رجسه ووجه التمثيل ان ايتاء الآيات واسباب السعادات كالتوديع
والاجمام وضلاله واستعداده كلهث الكلب وطبيعته ولهذا قال معناه ان وعظته
فهو ضال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني ما الاختصاص للتمثيل المذكور
بالذي ورد في حقه بل يعمه وامثاله من المكذبين بآياتنا كما لا اختصاص للاحكام
النازلة باسباب نزولها ومن هنا يتضح وجه التفريع في قوله فاقصص القصص
المذكور المشتمل على التمثيلات المشبهة نحو حاله كحالهم لعلهم يتفكرون فيتعظون
به ويحذرون مثل عاقبته ساء مثلا القوم الذين كذبوا ساء بئس وفاعله

التقديم تقول ساءني الشيء يسوءني **بآياتنا** ثم لما استعمل استعمال بئس بنيت
على فعل وجرت عليه احكام بئس ومنها تمييز الضمير المستكن في ساء فاعلا وهو مفسر
بهذا التمييز وهو من الضماير التي يفسرها ما بعدها ولا بد ان يكون المخصوص بالذم
من جنس التمييز فاحتيج الى تقدير مضاف اما في التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم
واما في المخصوص اي ساء مثلا مثل القوم وهذه الجملة تأكيد للجملة السابقة **وانفسهم**
كانوا يظلمون بعد قيام الحجة وعلمهم بها اما معطوف على كذبوا فيكون في حيز
الصلة جمعوا بين التكذيب على انفسهم واما كلام خارج عن الصلة اعتراضا للبيان
اي وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم لان وباله لا يتعداها الا اليها وهذا للتخصيص
قدم المفعول وهذا الاخير احسن **من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم**
الخاسرون لما تقدم ذكر المهتدين والضالين اخبر تعالى انه المتصرف فيهم
بما شاء من هداية وضلال وفيه تصريح بان الاهتداء مخصوص بمن يهدي
الله تعالى وتنزيلا للهداية التي لم يترتب عليها الاهتداء منزلة العدم واما
اختصاص هداية الله تعالى ببعض دون بعض واستلزامها للاهتداء فيرده
قوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وفي الافراد
في الاول والجمع في الثاني للاعتبار اللفظ في الاول والمعنى في الثاني والتعبير
عنه بلفظ الضالين تنبيه على ان المهتدين كنفس واحدة لاتحاد طريقهم بخلاف
الضالين فان لهم طرقا لا تحصى وان اجتماعهم لا يجدي نفعا في دفع
الخسران اللازم لضلالتهم وفي الاقتصار في الاخبار عن هداه الله تعالى بالمهتدي
تعظيما لشأن الاهتداء وبيان انه في نفسه كمال تام لو لم يكن غيره لكفى نفعا
جليلا وزكاء وافيا لانه المستلزم للفوز الاكبر والعنوان لجمع الكمالات **ولقد ذرأنا**
خلقنا **لجهنم** لمصلحة فانه مظهر جلال الله تعالى وقهره فلاكيا سبب الحكم نعطله
وفيه تنبيه على سبب خلقه من الخلطة في الاهتداء **كثيرا من الجن والانس** قدم الجن
على الانس لان الكلام في مقام التحقير والاذلال وهم المطبوع على قلوبهم الذين علم
الله انه لا ينجع فيهم الدعوة الى الحق والايات **لهم قلوب لا يفقهون بها** اذ لا يلقون
اذهانهم الى النظر في الدلايل ولا اذانهم في طلب الحق ومعرفته **ولهم اعين لا يبصرون**
بها اي لا ينظرون بها نظر اعتبار الى ما خلق الله تعالى **ولهم اذان لا يسمعون**
بها ايات الله تعالى سماع تدبر وتامل فانه لا ادراك لقلوبهم ومشاعرهم **اولئك كالانعام**
لما لم ينتفعوا بقلوبهم ومشاعرهم جعلها مسلوبة الفهم والادراك ثم شبههم بالانعام
في عدم الفقه والاعتبار والفهم او في ان مشاعرهم لا تتوجه الا الى اللذات الحسية
وامور المعاش لا يطمح ابصارهم وتلتفت بصايرهم الى امور المعاد **بل هم اضل** لانها
مع عدم العقل تجتنب المضار وتطلب اسباب المسار بخلاف الكفار فانهم على عكس
هذا كيف وهم يصرون على الكفر والانكار والاصرار ويرون الاضلال في هذه الدار
ودار القرار **اولئك هم الغافلون** الكاملون في الغفلة يعني به سبب كونهم اضل

من

من الانعام وهو الغفلة عما اعد الله تعالى لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب وفي الاية
تعريض لليهود ببيان ما هو صورة حالهم **ولله الاسماء الحسنى** التي هي احسن الاسماء لدلالتها على
المعاني التي هي اشرف المعاني **فادعوه بها** لا بغيرها ولا تدعوا غيره بها **وذروا الذين في اسمائه**
وتركوا تسمية الذين يميلون في اسمائه عن الحق الى الباطل فيسمونه بما لا يليق
فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او الذين يزيغون
في اسمائه فيطلقونها على غيره تعالى كقولهم ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة فلا تبالوا
بانكارهم واتركوهم والحادهم او ذروهم والحادهم في اطلاقهم على اصنامهم لتسميتهم الهة
او اشتقاقهم اسماءها منها كاللات من الله تعالى والعزى من العزيز وقيل لا توافقوهم فيها
واعرضوا عنهم فان الله تعالى مجازيهم كما قال **سيجزون ما كانوا يعملون** والتركيب على هذا
الوجه ادل وقرئ يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ولما قال ذرأنا لجهنم
كثيرا الضالين الغافلين والملحدين ذكر ما يدل على انه خلق للجنة كثيرا وهو قوله **وممن**
خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون في الحكم اي في كل قرن طائفة بهذه الصفة
لقوله عليه السلام لا تزال طائفة من امتي على الحق الى ان ياتي الله فقيه دلالة على صحة
الاجماع **والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم** اي بايات الله تعالى التي تضمنها القرآن
لقوله تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم والمراد من الاستدراج
الاستدناء الى الهلاك قليلا قليلا يقال درج الكتاب اي طواه شيئا فشيئا قال الخليل
اي سنطوي عمرهم في اغترارهم فهو من الدرج بمعنى اللف ومنه ادرج الميت
في اكفانه وقيل هو من الدرج فهو في الاصل التقريب من المقصود درجة درجة بالاصعاد
او الاهباط ثم اتسع فاطلق على التقريب منه قليلا قليلا ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه
ثم اتسع فاطلق على التدريج والفرق بين المعنيين واضح وان اشتبه على من ذكر المعنى
الثاني وقال ومنه درج الكتاب **من حيث لا يعلمون** انه استدراج حيث جددوا لهم
النعمة كلما جددوا واما يستحقون به النقمة فاغتروا بها حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم
بغتة **واملي لهم** واؤخر عذابهم من الملي بمعنى المهلة يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاوة
بفتح الميم وضمها وكسرها اي قطعة منه عطف على نستدرجهم لا على سنستدرجهم
لا حاجة الى ادخاله في حكم السين فان الاملاء يلزمه الاستدراج المذكور واما بينا
فتاكيده يغني عن تاكيدها ومن قال عطف على سنستدرجهم ثم قال وهو داخل في حكم السين
فقد اخطأ مرتين وانما لم يقل نملي لهم على وفق نستدرجهم للفرق بينهما فان الاستدراج
بالتدبير العادي الذي توسط فيه المدبرات امرا والاملاء بالتقدير الالهي الذي لا
دخل فيه لاحد **ان كيدي** الكيد الاخذ على خفاء فاطلاقه هنا على الحقيقة لا على التشبيه
كما زعمه من قال وانما سماه كيدا لانه على صورته لا يغتر فيه ظاهره بخلاف ما يبطنه وبه
يفارق المكر فانه يشارك الكيد في الاخذ المذكور ويمتاز عنه باشتماله العقد المذكور **متين**
شديد قوي اصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي على جانب الصلب وهو متانة **اولم يتفكروا**
الاستفهام للتعجب والواو للعطف على محذوف تقديره الم تعلموا اولم يتفكروا **ما بصاحبهم**

يعني محمد صلى الله عليه وسلم من جنة اي جنون من مس الجن وكانوا يقولون فيه عليه السلام
شاعر مجنون بالغ في نفي الجنون عنه عليه السلام بنفي الجنة منكرا قاصدا بتنكيرها التقليل
اي ليس به عليه السلام تلك الحال التي خفيت عليكم لما بينكما من المصاحبة والمخالطة ان هو
الا نذير عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس
الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يصوت الى الصباح فنزلت فالمعنى
ما هو عليه السلام في تلك الحال الا منذر مبين موضح انذاره باعلى صوت اولم ينظروا
نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما يدل لان عليه من عظم ملكه فيما يملك
به السموات والارض من ملكوتها نفيا الملكوت الملك العظيم او الملايكة المدبرة لها بامره تعالى
ثم انهم لم يقتصر على الحث على النظر في الملكوت بل نبه على ان كل فرد من الموجودات محل للنظر
والاعتبار والاستدلال على وجود الصانع ووحدانيته كما قيل وفي كل شي له اية تدل على انه
واحد فقال وما خلق الله من شي وفيما خلق الله تعالى مما يقع عليه اسم الشي مما لا يمكن
حصره ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة فاطرها وعظم شان مالكها ومدبرها ثم
فيعلموا صحة ما يدعوهم اليه وفي امكان اقتراب اجلهم فلعلهم يموتون عن قريب
فيسارعون الى النظر فيما يهديهم الى الحق ويبادرون من العمل الى ما ينجيهم من العذاب
قبل مناقضة الاجل وحلول العقاب على ما ذكره بقوله وان عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من الثقيلة اصله انه والضمير فيه وفي يكون
ضمير الشان والحديث اي وفي ان الشان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولا يجوز ان
تكون مصدرية لانهم نصوا انها توصل بفعل متصرف وعسى فعل جامد فلا يجوز ان تكون
صلة لان ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة فباي حديث بعده اي بعد
القرآن يؤمنون متعلق بعسى ان يكون اي لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون
الى الايمان بالقرآن قبل الموت وماذا ينتظرون بعد وضوحه ولزوم الحجة عليهم وقيل
فواته ما هو الا كونهم مطبوعا على قلوبهم لما ارشدهم الى الاستدلال لا لاوحثهم على
النظر في امكان قرب الاجل انكر عليهم التثبط من الايمان ثم فسر معنى الامكان وجايزه وعلل
ذلك بقوله من يضلل الله فلا هادي له نفيا نفيا عاما ان يكون هاد لمن اضله الله تعالى
فتضمن الياس من ايمانهم والمقت لهم ونذرهم بالرفع اعتراض للبيان اي وهو يتركهم
وقرئ ويذرهم بالياء لقوله من يضلل الله وقرئ به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه
قيل لا يهده احد غيره في طغيانهم في افراط تمردهم يعمهون حال منهم يسالونك عن
الساعة اي عن يوم القيامة لقوله تعالى يسالون ايان يوم الدين وهو من الاسماء الغالبة
واطلاقها على ذلك اليوم اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها كساعة
عند الله تعالى وقيل اصلها ساعة قيام الناس بالاضافة فلما غلبت تعينت فاستغنت
عن الاضافة وعلى هذا الاجابة الحوجية التسمية ايان مرساها ايان بمعنى متى قيل
اشتقاقها من اي وان من او بين لان البعض اوى الى الكل ويمكن ان يكون تركيبها من اي حين
الان خرجت له لان معناه اي وقت مرسيها مصدرا اي ارسائها او اسم زمان والارسا
الاثبات من الرسو وهو ثبات جسم ثقيل واستقراره ومنه رسا الجبل ولا اثقل من الساعة

كان

كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الايمان والطاعة وينهاهم عن الكفر والمعصية ويحذرهم
قيام الساعة فقالوا متى هي قل انما علمها عند ربي استاثر به ولم يطلع عليه ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا لما كان السوال عن الساعة عموما ثم خصص بالسوال عن وقتها جا الجواب
عنها عموما بقوله قل انما علمها عند ربي ثم خصص من حيث الوقت فقيل لا يجليها لوقتها
الا هو اي لا يبينها ولا يكشف امرها للناس واللام للتاقيت كما في اقم الصلاة لدلوك الشمس والمعنى
ان الخفا بها يستمر على غيره الى وقت وقوعه ولا يظهرها الا في ذلك الوقت الذي يقع فيه بغتة
بنفس الوقوع لا بالاخبار عنها ليكون ادعى الى الطاعة وانهى عن المعصية كما اخفى الاجل
الخاص الذي هو وقت الموت ثقلت في السموات والارض اي ثقلت وكبرت على
اهلها من الملايكة والثقلين لشدة هولها وعظمها كانه اشارة الى حكمة اخفائها اي لا
يطيقون حمل اخبارها وثقل اخفائها عليهم فان ما خفي امره ثقل على النفوس
لا تاتيكم الا بغتة فجاة على غفلة منكم كما قال ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم
وهم يخصمون وقد ورد في الحديث ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه
والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في السوق والرجل يخفض ميزانه
ويرفعه يسالونك اي عن الساعة كانك حفي عنها حفي عن الشي اذا بالغ في السوال
عنه والتركيب للمبالغة ومنه احفا الشارب واحتفا البقل استيصاله واحتفى
في المسالة اذا الحف فالمعنى عالم بها علما متقنا لان من بالغ في المسالة عن الشي
استحكم علمه واتقن ولهذا عدي بعن اي كانك بليغ في السوال عنها حتى احكمت
علمها وقيل حفي بها اي عليم بليغ في العلم بها قل انما علمها عند الله كرره لتكرير
يسالونك لما نيط به من زيادة قوله كانك حفي عنها للتاكيد والمبالغة ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ان علمها عند الله تعالى لم يوته احدا من خلقه قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ودفع ضر وهو اظهار للعبودية وتبري عما يختص
بالربوبية من علم الغيب اي كيف ادعي ما لا يليق الا به لا املك لنفسي شيئا الا ما
شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من
الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار الخير باجتلاب
المنافع والاستخلاص عن الشر باجتناب المضار كما هو مقتضى طبع البشر وفيه
دلالة على انه لا تاثير للتدبير والا لما امكن التغير بالتدبير على تقدير العلم باسباب
المنفع والضر فقد يرى انه موضع النظر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اهل مكة
الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتري فتربح وبالارض التي
تريد ان تجدب فترحل عنها الى ما اخصب فنزلت ان انا الا نذير وبشير الا
عبد ارسلت بشيرا ونذيرا لقوم يؤمنون متعلق بالتبشير ومتعلق النذير
محذوف للتعميم لقوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين امنوا والقوم مختص
بالرجال كما ان البشارة عبارة تختص بهم ودلالة تعم النسا حيث علقت بالايمان
فان ترتبت امر موصوف يدل على الوصف له وفيه تحريض للكفار على
الايمان هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو ادم وجعل منها من جنسها لقوله وجعل

لكم من انفسكم ازواجا زوجها حوا ليسكن اليها سكون الشي الي جنسه فيانس
والميل لان الذكر بالانثي انس واليها اميل لينا سب قوله فلما تغشاها التغشي كناية
عن الجماع حملت حملا الحمل بالفتح ما كان في البطن وبالكسر ما كان علي ظهر خفيفا لكونه
نطفة او خفت عليها ولم تلق منه ما يلقي الحبالي الي اليا من الكرب والاذي فمرت به فقامت
به وقعدت اي ترددت به لخفته كما لم تكن تحبل واستمرت به كما هو قراة ابن
عباس رضي الله عنهما اي لم تزلق ولم تسقط ولم تجزع وقري بالتخفيف اي فشكت
فيما اصابها هل هو حمل او مرض او غيرها وقري فمارت به اي جاءت وذهبت وتصرفت
كما تقول مارت الريح مورا فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها
اي كان وقت وضعه وقري اثقلت علي البنا للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله
الضمير لادم وحوي ربهما مالك امرهما ومتعلق الدعا محذوف يدل عليه جملة جواب
القسم لين اتيتنا صالحا اي دعوا الله ورغبا اليه في ان يوتيهما ولدا سويا
قد صلح بدنه كما خلقه لنكونن من الشاكرين لك علي نعمايك ويدخل فيه دخولا اوليا
الشكر علي هذه النعمة المجددة فلما اتاهما صالحا جعلا اي جعل اولادهما له شركا فيما
اتاهما اي اتي اولادهما فسموه عبد العزي وعبد مناف علي حذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه ويدل عليه قوله تعالي فتعالي الله عما يشركون وكون الخطاب لغير ادم
عليه السلام يا باه قوله وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقري شركا اي شركة بان اشركا
فيه غيره او ذوي شرك اي شركا ايشركون الاستفهام لمعني التوبيخ ما لا يخلق شيا وهم
يخلقون ضمير الاصنام جي به علي تسميتهم اياها الهة ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم
نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين
الي الهدي الي الاسلام لا يتبعوكم وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان
تدعوهم الي ان يهدوكم لا يتبعوكم الي مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله تعالي وقري
لا يتبعوكم بالتخفيف سوا عليكم ادعوتموهم قد مر ما يتعلق به في تفسير سورة البقرة
ام انتم صامتون انما لم يقل ام صمتم لان المراد انها لسوا عليكم احداثكم الدعا ام انتم علي
ما انتم عليه من عادة الصمت عن دعايهم فانهم جمادات وهو حسب حالهم لانهم اذا
همهم امر دعوا الله دون الاصنام كقوله فاذا مس الناس ضر دعوا ربهم وفيه مبالغة
في عدم افادة الدعا من حيث هو مسوي بدوام الثبات علي الصمات ان الذين تدعون
من دون الله تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة
وانما سمي الاصنام عبادا لانهم كانوا يعتقدون انها تضر وتنفع فادعوهم فليستجيبوا
لكم ان كنتم صادقين في انها قادرة علي النفع والضر وقيل ذلك استهزا بهم اي قصارى
امرهم ان يكونوا احيا عقلا فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان
يكونوا عبادا امثالكم فقال باثبات انهم ابعد منهم الهم ارجل يمشون بها وبابا الفصل
بقوله فادعوهم الخ فان انتظامه مع سياق الكلام والتيامه للمقام علي الوجه الاول
كما لا يخفي علي ذوي الافهام وقري ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا علي انها نافية
عملت عمل ما الحجازية فرفعت الاسم ونصبت الخبر وفيه خلاف اجازه الكسائي واكثر الكوفيين
ومن البصريين ابن السراج والفارسي وابن جني ومنعه الفرا واكثر البصريين واختلف النقل

عن

عن سيبويه والمبرد والصحيح انه لغة ثبت في النظم والنثر ام لهم ايد يبطشون بها
وقري بكسر الطا وضمها وهما لغتان والبطش الاخذ بقوة والقدرة علي الامساك وبحذف الزيادة
ليكون الاخذ من خواص اليد من بين الاعضا كما ان المشي بما فيه من الزيادة علي مطلق الحركة يكون
من خواص الرجل واعادة اداة الجمع للايذان باستقلال نفي كل منها في الابطال والاثبات
المذكورين انفا ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها ام منقطعة فيتقدر
ببل والهمزة وهو اضراب علي معني الانتقال لا علي معني الابطال وانما هو توبيخ علي
نفي كل واحدة من هذه الجملة وتوجيه النفي الي الوصف لانهم كانوا يصورون هذه الام
للاصنام قل ادعوا شركاءكم من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتهكم بعد اثبات
عجزهم اي استعينوا بهم علي ضلالتي ثم كيدون اي بالغوا فيما تقدرون عليه من
مكر وكيد انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم وهذا غاية الوثوق
علي ولاية الله تعالي وحفظه ولهذا قال بعده علي سبيل التاكيد ان ولي الله
الاية لما كان بلوغهم الي الغاية في بذل الجهد متراخيا عن الاستعانة المذكورة
عطف عليها باداة التراخي وكان عدم الامهال مرتبا عليه صدره باداة التعقيب
ان ولي الله الذي نزل الكتاب اي ناصري وحافظي الله الذي اكرمني بانزال
القران علي لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون اي انهم عاجزون عن
نصر انفسهم فضلا وهو يتولي الصالحين ومن عادته انه يتولي الصالحين
من عباده والذين تدعون من دونه اي من دون الله تعالي لا يستطيعون
نصركم ولا انفسهم ينصرون اي انهم عاجزون عن نصر انفسهم فضلا عن نصر
غيرهم اعاد بيان عجزهم لان الاول للتقريع والثاني لتتميم التعليل لعدم مبالاتهم
فلا تكرار وان تدعوهم الي الهدي لا يسمعوا لانهم جماد لا حس له وليس هذا موضع
اشتباه بخلاف النظر فانهم صوروها بصورة من ينظر الي من يواجهه ولهذا قال
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون والحال انه لا قدرة فيهم علي الابصار فليس
ما تراه علي الحقيقة انما تكرر القول في هذا وترددت الايات فيه لان امر الاصنام
وتعظيمها كان متمكنا من نفوس العرب في ذلك ومستوليا علي عقولهم فاطنب القول في
ذلك من الله تعالي بهم خذ العفو اي السهل وما تيسر من افعال الناس واخلاقهم من
غير كلفة ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد
الجهد او الفضل من صدقاتهم وما يسهل عليهم وينشرح له صدورهم وذلك قبل وجوب الزكاة
وامر بالمعروف بالمعروف المستحسن من الافعال والاقوال والاحوال واعرض عن
الجاهلين ولا تكافي السفها بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واعرض عن المذنبين
وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق وروي انه عليه السلام سال جبريل عليه السلام عن معني
هذه الاية فقال اعط من حرمك وصل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الي من
اسا اليك وقيل لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا رب كيف والغضب
فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ اما كلمتان ان التي هي للشرط وما التي هي
صلة المؤكدة والنون للتاكيد والنزغ الانزعاج بالتحريك الي الشر اي اعترضنك

عضا

الشيطان بافساد شيء من هذه الاخلاق التي امرتك بها فاستعذ بالله فاستعظم به من
الشيطان الرجيم انه سميع لكلامك عليم بعزامك كناية عن الاستجابة ان الذين اتقوا
ان المومنين المتقين انه اذا مسهم طائف من الشيطان اذا نالهم وسوسة قيل كانها طافت بهم
ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر ومناه العقول عن دلالة المس على انها تؤثر وقرئ طيف والطيف والطائف
ما الم بالانسان من عوارض الشيطان وقرئ طيف بتشديد اليا قال الزجاج طاف الخيال يطيف
اذا الم به وطاف عليهم يطوف اي دار ومن جعل هذا من الطوف الوادي قال طيف اصله طيف بالتشديد
ثم خففت كالهين والهين والمراد من الشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى
عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطا ومكايدة الشيطان فيحترزون
عنها ولا يتبعونه فيه والاية تقرير لما تقدم وما فيه من وجوب الاستعاذة عند نزغ
الشيطان وبيان المتقين عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ والا يوسوسة ان يستعيذوا وينفكوا
قبل ان يصير خاطرا وحالة في النفس بالفكر واخوانهم يمدونهم اي اخوان الشياطين الذين
لم يتقوا يمدهم الشيطان في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم
يعينونهم بالتسهيل والاغوا وهولا يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون
لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم وهذا اشد من الاول ولهذا عطف عليه بثم المستعارة
للتراخي في الرتبة ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين والضمير المضاف اليه للجاهلين فيكون
الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا واذا لم تاتهم باية
من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها افتراء وتقولا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون
ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها مقترحة من حياة اذا جمعه او منتجا اليه فاجتباها بمعنى اخذه
قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا
القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون قد سبق
تفسيره واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لما ذكر ان القرآن بصائر وهدى ورحمة
امره باستماعه اذا شرع في قراءته وبالانصات وهو السكوت مع الاصغاء اليه لان ما اشتمل على
تلك الاوصاف حري بان يصغى اليه حتى يحصل منه للمنصت المستمع هذه النتائج العظيمة فيتبصر
من العمى ويهتدي من الضلال ويرحم بها وقيل نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا
باستماع قراءة القرآن والانصات له واطلاقه لامر يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن
مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة وفيه اشكال اذ يلزم الجمع بين
معنى الامر ويمكن ان يقال انه جائز عند الخلاف بحمل على ما ذهب اليه الحنفية ويقرون من
اصحابه خلفه فنزلت هذه الاية ومن هنا اتضح وجه احتجاج من لا يرى القراءة على
الماموم بها واما قول من قال انها في الخطبة فضعيف فان الاية مكية والخطبة لم
تكن الا بعد الهجرة بقي هنا نكتة دقيقة لا بد من التنبيه عليها وهو ان الانصات
مقدمة الاستماع فحقه ان يتقدم في الذكر وانما اخرها هنا اهتماما بشانه ولخراجه عن حيز
الاتباع الى حد الاستقلال وتنبيها على انه مقصود بالذات ومامور به اصالة حتى لو كان
في مجلس القراءة نائيا عن القاري فحقه ان ينصت ولم يتيسر له الاستماع تعظيما لشان

القرآن

القرآن واحرازا لاجر المخاطبين وتقديم الانصات لتبادره الى الفهم ان الامر به
لمصلحة الاستماع فلا يجب بدونها واذكر ربك في نفسك عام في جميع الاذكار من
القراءة والدعاء والتهليل والتسبيح وغيرها لان الاخفاء في النفس ادخل في الاخلاص والخشوع
تضرعا باللسان وخيفة مفعول من اجله اي للتضرع والخيفة او مصدران منصوبان
على الحال اي متضرعا وخائفا ودون الجهر معطوف على قوله في نفسك اي ذكرا في نفسك
وذكرا دون الجهر او على تضرعا اي وقائلا قولا دون الجهر فلهذا جعل قوله من القول
بيانا للجهر بالغدو والآصال باوقات الغدو اي غدوات المقارنة الآصال وهو جمع اصيل
كاليمين والايمان وقيل جمعه الاصل وجمع الاصل الاصال وقرئ بالايصال من اصل اذا دخل
مع الاصيل وهما عبارة عن الليل والنهار والمراد به الذكر على الدوام لما امر تعالى بالذكر
اكد ذلك بالنهي عن ضده فقال ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى خاطبه عليه السلام
والمراد نهي امته عنها بابلغ وجه اي لا تغفلوا بالغافلين لكن بالملائكة الذين لا يغفلون
وذلك قوله تعالى ان الذين عند ربك هم الملائكة المقربون وعند بيان قرب الكرامة
دون المكان فان الله تعالى يتعالى عن ذلك لا يستكبرون عن عبادته كما ان الاستكبار ه
مقدمة العصيان كذلك عدمه مقدمة الطاعة ثم ذكر الطاعة القلبية وهو التنزيه
والتطهير عن جميع ما لا يليق بذاته المقدسة بقوله ويسبحونه والطاعة القالبية
وهي الحال التي يكون العبد فيها اقرب الى الله تعالى بقوله وله يسجدون وتقديم له
للاختصاص اي ويخصونه بالعبادة لا يشركون به وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين
ولذلك شرع السجود لقراءته

سورة الانفال

بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال جمع نفل وهو الغنيمة واصله الزيادة ومنه نوافل العبادات
وانما سميت الغنيمة نفلا لانها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الحوزة والدعا
الى الله تعالى وعبادة عن ضرتكه في ان السؤال سؤال الاستفتا فالمطلوب بيان
حكمها وقرئ يسلونك عن فيكون السؤال سؤال الاستعطا وما يشترط الامام لمن
يغنم خطرا زائدا على سهمه يسمى ايضا نفلا فالمعنى يسالك المتحيرون الخطر
ما شرطت لهم وفرا علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون
عن فيها قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله تعالى
رسوله عليه السلام بقسمتها على مقتضى حكمته ويمتثل الرسول صلى الله عليه وسلم
امره تعالى فيها فيقسمها على حسب امره وليس لاحد فيها حكم وسبب نزولها اختلاف
المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرين منهم او الانصار وقيل
شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا
سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه
الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت وعلى هذا يكون
ما شرع بالسنة منسوخا بالكتاب قبل العمل فلا متمسك فيه للشافعي في انه

لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت اولا فصارت
الانفال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزلت هذه الاية وذلك انه لما كان يوم بدر قتل
اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته
منه فقال ليس هذا لي ولا لك فاطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل
اخي واخذ سلبي وما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعلى هذا يكون المعنى الانفال للرسول
ويكون ذكر الله تمهيدا لتعظيم شانه عليه السلام والتنبيه على انه عليه السلام يتصرف فيها
على ما يرتضيه تعالى ويقتضيه الحكم فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحابين متاخين
في الله واصلحوا بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وتسليم امره
الى الله تعالى والرسول ذات بينكم ذات البين هي الاحوال التي تقع بين الناس اي ما بينكم من
الاحوال ولما كانت ملابسة للبين قيل لها ذات البين بالاضافة كقوله عليم بذات الصدور
اي مضمراتها من السرائر اكرام واطيعوا الله ورسوله في تفويض امركم اليهما والتسليم لحكمه
ان كنتم مومنين اي ما يعتد به فقد جعل التقوى وطاعة الله ورسوله واصلاح ذات البين
من لوازم الايمان وشرائطه ايذانا بان كمال الايمان موقوف عليه حتى اذا فقدت كان كالايمان
كما تقول ان كنت من الرجال فاوف بعهدك تشير الى لزوم الوفا للرجولية واللام في قوله
انما المومنون اشارة اليهم والمراد الكاملون في الايمان والدلالة عليه قوله اولئك هم المومنون
حقا كان غيرهم ليسوا بمومنين حقيقة الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما
له وتهيبا من جلاله فلا يخالفونه في امره وقيل هو الرجل يهم بمعصيته فيقال اتق الله فينزع
عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة فيه وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم
اياته زادتهم ايمانا اي يقينا وطمانينة نفس فان للايمان مراتب في القوة والضعف و
ورسوخ اليقين انما هو بتظاهر الادلة وقيل لزيادة المومن به ويلزمه تخصيص الايات
بالتي نزلت اولا وقيل بالعمل بموجبها على قول من قال بدخول العمل في الايمان ويلزمه
تخصيصها بالتي يتعلق بالاعمال زيادة على التخصيص الاول فتامل وعلى ربهم يتوكلون
في تقديم الجار والمجرور على الفعل اشارة الى ان المومنين بالايمان الكامل حقهم ان يفوضوا
امورهم الا اليه ويسلموا تسليما الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون قد مر تفسيره
في اول سورة البقرة اولئك هم المومنون قد جمع في الاية بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلاة والزكاة لان الظاهر عنوان الباطن والباطن اساس
الظاهر وكما ان الثلاثة الاول اصول الاعمال القلبية وملاكها فاخوياتها اصول الاعمال
القالبية وعيارها فهي مستتبعة لسائرها حقا مصدر موكد لما تقدم اي حق ذلك حقا
او صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة
ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده
لما تقدم ثلاث صفات قلبية وقالبية ومالية يترتب عليها ثلاثة اشيا فقوبلت
الاعمال القلبية بالدرجات والقالبية بالغفران والمالية بالرزق الكريم قوله

عند ربهم متعلق بالمعطوفين كمن قبل في قوله تعالى لم تكن امنت من قبل او كسبت وقد مر بيانه
في تفسير سورة الانعام كما اخرجك ربك في محل الرفع خبر مبتدا محذوف اي في هذه
الحال كحال اخراجك للحرب في كراهتهم اياها او في محل النصب صفة لمصدر الفعل المقدر
في قوله تعالى لله والرسول اي الانفال ثبت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات
اخراج ربك من بيتك بالمدينة والمدينة نفسها لانها في اختصاصها به من حيث انها
مسكنه ومهاجره كاختصاص البيت بصاحبه مع كراهتهم اياه بالحق صفة للمصدر
اي اخراجا ملتبسا بالحق وان فريقا من المومنين لكارهون حال اي اخرجك في
حال كراهتهم وفيه دلالة على ان كراهة الاخراج انما كانت من بعضهم وسبب
اخراجه ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة وفيها اربعون راكبا
فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير
وقلة القوم فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل
مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا
بعدها ابدا فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهو النفير في المثل السائر لا في العير ولا في
النفير فقيل ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال
لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ببدر وتغنينا مع جميع
العرب بمخرجنا ان محمدا لم يصب العير وانا اعضضنا فمضى بهم الى بدر وهو ما
كانت العرب تجتمع عليه سوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذ
ذفران فنزل جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما النفير فاستشار
فيه اصحابه رضي الله عنهم فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا
خرجنا للعير وهم المراد من الفريق المذكور وتمام القصة يطلب من كتب السير
يجادلونك في الحق يحتمل ان يكون من موضع الحال في الضمير في الكارهون ويحتمل ه
ان يكون استئنافا في اخبارا وحيا لهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير ولو عرفنا لاستعددنا
للقتال والحق هنا نصرة دين الاسلام بالجهاد بعد ما تبين اي بعد تبينه ه
باعلام الرسول انهم ينصرون وهذا ابلغ في الانكار لجدالهم كانما يساقون الى
الموت حال اي يجادلونك مشبهين من يساق الى الموت وهم ينظرون حال
من ضمير يساقون شبه حالهم من شدة فزعهم وفرط رعبهم لقلة عددهم وعددهم
بحال من يساق بالذل والصغار الى القتل المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظرا
اليه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم بدل الاشتمال وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم هي العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا وكانوا
يكرهون النفير لشوكتهم بكثرة العدد وقوة العدد والشوكة الحدة استعيرت
في الاصل من واحد الشوك فغلبت في كل قوة وحده ومنه شاكي السلاح ويريد
الله ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات
الشوكة او بامر الملائكة بالنزول لنصرتهم وعا قضى وقدر من قتلهم واسرهم

وقري بكمة اي بامره ويقطع دابر الكافرين بستاصلهم والدابر الاخر من دبر اذا دبر
واذا قطع اخرهم لم يبق منهم احد والمعني انكم تتمنون ان تصيبوا ما لا ولا تلقوا
مكروها وهو من سفساف الامور والله يريد اعلا الدين واظهار الحق وما فيه فوزه
الدارين وهو معالي الامور ليحق الحق ويبطل الباطل متعلق بمحذوف اي فعل ذلك
ويجوز ان يكون متعلقا بيقطع ويجب ان يقدر الفعل موخرا ليفيد معني الاختصاص
وانه ما فعل الا ذلك وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد فيما بينه وبين مرادهم من
التفاوت والثاني لبيان الداعي الي حمل الرسول علي اختيار ذات الشوكة ونصره عليها
ولو كره المجرمون ذلك الجملة في موضع الحال اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم
او نصب باضمار اذكر ويجوز ان يكون متعلقا بقوله ليحق ويبطل عون الله بقولون
اي رب انصرنا علي عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا فاستجاب لكم اني ممدكم
اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب وقري اني بالكسر اجراء للقراة
مجري القول بالف من الملايكة مردفين بكسر الدال من ردفه اذا تبعه اي
متبعين بعضهم بعضا المومنين ليحفظوهم وانفسهم المومنون او يتقدمونهم
فيتبعونهم انفسهم او من اردفته اذا جيت بعده اي متبعين بعضهم بعضا او متبعين
المومنين وقري بفتح الدال بمعني متبعين اي كانوا مقدمة الجيش ومتبعين اي كانوا
ساقتهم وقري مردفين فادغمت الدال في الفا فالتقا ساكنان فحركت الرا بالكسر
علي الاصل او بالضم علي الاتباع وقري بالالف ليوافق ما في سورة ال عمران ووجه
القراة علي التوحيد اذ لم يفسر الارداف باتباع مليكة اخرين ان المراد بالالف الذين كانوا علي
المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم والبا في اتباع لهم او من قاتل منهم واختلف في
مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها والظاهر من قوله وما جعله الله اي الامداد الا بشري
الا بشارة لكم بالنصر ولتطمين به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وعدم عدتكم انهم لم
يكونوا تاركين وللمخالف ان يقول ان الضمير من جعل في قوله اني ممدكم فلا ينافي ان يكون
نزولهم للقتال والله اعلم بحقيقة الحال وقوله ولتطمين عطف علي بشري من جهة المعني والمراد به
مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا علي الاتساع كما في قوله تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فالمعني
الا للبشارة لكم ولطمانينة قلوبكم وما النصر الا من عند الله لا من الملايكة ولا من المقاتلة او وما
النصر بالملايكة وسائر الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله تعالي ان الله عزيز
منيع لا يغالب حكيم في اقواله وافعاله اذ يغشاكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة
ثالثة او منصوب بالنصر او بما في عند الله من معني الفعل او بما جعله او باضمار اذكر وقري
بالتخفيف من اغشيته الشي اذا غشيته اياه والفاعل هو الله تعالي وقري يغشاكم بفتح اليا
ورفع النعاس من غشي والنعاس ابتدا حال النوم قبل الاستثقال امنة مفعول له من جهة
المعني فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معني تنعسون ويعساكم بمعناه والامنة
فعل الفاعلة منه صفة لامنة اي امنا لكم حاصلا منه تعالي ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون
فعل المعشي وان يجعل علي القراة الاخيرة فعل النعاس علي المجاز لانها لاصحابه ولانه كان من

حقه ان لا يغشيهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله تعالي لولاها لم
يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشي عيونا تهابك فهو نفار شرود
والمعني تنعسون في وقت كان مايكم من الخوف مانعا من النوم فامنكم الله فنعستم لامنكم
وقري امنة كرحمة وهي لغة فيه وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به من الحدث والجنابة
ويذهب عنكم رجز الشيطان اي الجنابة فانها من تخييله او وسوسته اليهم وتخويفهم
من العطش والجنابة وذلك ان الشيطان تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الي الما ونزل
المومنون في كثيب احمر تسوخ فيه الاقدام علي غير ما وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم
انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم علي الحق ما غلبكم هولا علي الما وما ينتظرون بكم الا ان
يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم
الي مكة فاشفقوا فانزل المطر فمطروا ليلا حتي جري الوادي واتخذ رسول الله صلي الله
عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم الحياض علي عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضوا
وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتي تثبتت فيه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان
وليربط علي قلوبكم بشدها وبتقويتها بالسكون وحسن الظن وزوال الاضطراب والارتياب
ويثبت به الاقدام اي في موقف الالتقا للقتال والضمير من به للربط فان القلب
اذا قوي باليقين والوثوق بالله تعالي يثبت القدم في المعركة وحينيذ يكون الثبوت
من لوازم الربط ويظهر وجه عدم الفصل بينهما باعادة اداة التعليل كعدم الفصل
بين التطهير والاذهاب المذكورين قبل هنا وقيل للمطر فانه يتلبد الرمل فلا يسوخ
القدم فيه ويرد عليه انه حينيذ لا يكون الثبوت من لوازم الربط فحقه ان يعاد فيه
اداة التعليل اذ يوحي ربك الي الملايكة بدل ثالث او متعلق بيثبت اني معكم اعينكم
في تثبيت المومنين وهو مفعول يوحي وقري اني بالكسر اجرا للوحي مجري القول
فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدايهم فيكون قوله سالقي
في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا اذ لا اعانة كالقا الرعب
في قلوب الاعدا او نوع اخر من الاعانة والرعب الخوف الذي يملا القلب من قولهم رعبت
السيل الوادي اذا ملاه او يقطع القلب من ترعيب السنام وهو تقطيعه فاضربوا
فوق الاعناق اعاليها اي المذابح او الروس والهامات واضربوا منهم كل بنان
اي اصابع الاطراف اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم وزاد هنا عبارة كل المتعدد
في الاطراف والمراد استيفاوهم بالقطع امر الملايكة بان يقتلوهم علي وجه لا يمتنعون
علي من قصد اسرهم وفيه دليل علي انهم قاتلوا ومن انكره قال قوله سالقي الي
قوله كل بنان تلقين لهم معني تثبيتهم كانه قال لهم قولوا للمومنين قولي هذا
او تفسير للخطاب بان يكون فثبتوا الذين امنوا خطاب الملايكة والباقي خطاب
المومنين ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اشارة الي ما اصاب الكفار من القتل
والعقاب بسبب مشاقتهم لله تعالي وللرسول عليه السلام والخطاب للرسول
عليه السلام او لكل احد وهو ابلغ كذلك لانه علي قطاعة الامر والمشاقة مشتقة

من الشق لان كل واحد من المتعادين في شق خلاف شق آخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة
من الخصم وكلاهما الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير
للتعليل ووعيد لهم بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا بسبب المشاقة ومن
شاق فلا ينقض على هذا فان الله شديد العقاب في الآخرة والخطاب في قوله ذلكم
للكفرة على طريقة الالتفات وهو رفع بالابتداء او الخبر اي ذلكم العقاب او العقاب
ذلكم او نصب بفعل يفسره قوله فذوقوه الفاء عاطفة اي ذوقوا ذلكم فذوقوه او باشروا
قبل او عليكم ذلكم ولا وجه له لان عليكم من اسماء الافعال لا تضمر وهذه الجملة تاكيد وتقرير
لما سبق لان الاولى دالة على استحقاقهم العذاب العاجل مع العذاب الآجل ولما كان عذاب
الدنيا بالنسبة الى عذاب الآخرة يسيرا سمي ما اصابهم فيه ذوقا لان الذوق يعرف به
الطعم وهو يسير وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم رفعا ونصبا ويجوز
ان يكون مفعولا معه على ان الواو بمعنى مع اي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع العذاب
الآجل الذي لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب
العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف ولما كانت النار اعدادها
للكفار على ما نطق به قوله تعالى اعدت للكافرين صح تقديم الجار والمجرور المفيد
للاختصاص فيها لهم المعدة لهم يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا حال من الذين
كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب من زحف الصبي اذا
دب على استه قليلا سمي بالمصدر فلا تولوهم الادبار كناية عن الفرار ولا يلزمه الانهزام
على ما قيل عنه الاستثناء الآتي ذكره اي اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وانتم قليل فلا تفروا
فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم ومن يولهم يومئذ دبره الا
متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر تغرير العدو وهو من باب خدع الحرب ومكائدها
يخيل للعدو انه منهزم ثم يعطف عليه او متحيزا الى فئة اي منحازا الى جماعة اخرى
من المسلمين على القرب منه لما روي ابن عمر رضي الله عنهما انه خرج في سرية وانا فيهم
ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن
الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال
والا لغو لا عمل لها او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز
متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فبناء حاز الشيء اي ضمه وجمعه
والخير مجتمع القوم فيجعل من الحوز والتحيز الانضمام اليهم والدخول في جملتهم
وهو تفعل من الخير والفئة الجماعة المنقطعة عن غيرها من فأى وهو قطع الراس
بالسيف وان جعل زحفا حالا من المؤمنين يكون اشعارا لهم بما سيكون منهم يوم
حنين وحين تقدمه نهي تولوا مدبرين وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ
دبره امارة عليه فقد باء بغضب من الله اي استوجبه ومأواه جهنم هذا
اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل
هذه الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب وبئس المصير هي اي

جهنم

جهنم فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وامدادكم بالملائكة والقاء الرعب في قلوبهم
وتقوية قلوبكم وهو كالتعليل لما تقدم من النهي عن الانهزام بسبب كثرة العدو وروي
انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول الرسول كفا من الحصى فرمى بها في وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون
يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول القائل قتلت
واسرت فنزلت الآية [illegible] لهم عن الاعجاب وتنبيها على ان الله تعالى هو الذي
هيأ لهم هذه الاسباب وكذا الخطاب في الخطاب الآتي ذكره وقيل الفاء جواب شرط
محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وبابه عطف
قوله وما رميت تلك الرمية العجيبة يا محمد اذ رميت لانك لو رميتها لما زاد اثرها على
تاثير رمي البشر ولكن الله رمى حيث اثرت ذلك الاثر العظيم اثبت الرمية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يقدر عليه
البشر فعل الله تعالى فكان الله فاعلها على الحقيقة لا الرسول والفعل قد يطلق به ويراد
به مسماه وقد يطلق ويراد به كماله والمقصود منه اي غايته مجازا وليبلي المؤمنين
وليبلغ عليهم منه بلاء حسنا انعاما جميلا اي وللانعام على المؤمنين ذلك الانعام العظيم
بالنصرة والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل ما فعل الا لذلك ان الله سميع لدعائهم و
استغاثتهم عليم بأحوالهم ونياتهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي المقصود
ذلكم او الامر ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين معطوف على ذلكم اي المقصود
ابلاء المؤمنين وتوهين الكافرين وقرئ ان بالفتح اي ولان الله [illegible] للمؤمنين كان ذلك
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا
ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين
وان تنتهوا عن الكفر وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين
وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم
جماعتكم شيئا من الاغناء ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة كذا قالوا
ويشكل هذا بيوم احد فانهم عادوا فيه للمحاربة وكانت الغلبة لهم وقيل الخطاب للمؤمنين
والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التثاقل في القتال والرغبة عما
يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا الى التثاقل نعد بالانكار ولن تغني عنكم
كثرتكم شيئا اذا لم يكن معكم بالنصر فان الله مع الكاملين ايمانا ويؤيد هذا حسن
الالتئام مع قوله يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا
تتولوا عن الرسول فان المراد الامر بطاعته عليه السلام والنهي عن الاعراض وذكر الله تمهيد
للاختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم به تعالى كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وفيه تنبيه على ان طاعة الله وطاعة الرسول شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله
ويجوز ان يرجع الضمير في عنه الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وانتم
تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين ادعوا السماع وهم

لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن
والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الامور كقسمة الغنائم دخل
كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ان شر الدواب عند الله شر من
يدب على وجه الارض او شر البهائم الصم البكم الذين لا يعقلون قد مر تفسيره في سورة البقرة
جعلهم كالبهائم في عدم انتفاعهم بالمشاعر والجوارح ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به
عنها وفضلوا به عنها ولو علم الله فيهم خيرا اي شيئا من جنس الخير لاسمعهم سماع تفهم
اي لا يسمعهم لانه لا يجدي فيهم نفعا فقوله ولو اسمعهم لتولوا اي لم ينتفعوا به
تقرير وتاكيد له فهو من قبيل العطف على ما قبله باعتبار المعنى التولي قد يكون
للتردد والتدبر فقوله وهم معرضون تاسيس لا تاكيد يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير لان دعوة الله تسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم
وقصد التمهيد باياه اعادة الصلة لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب
والجهل موته فالجاهل ميت وان لم يدفن بيته قبره وثوبه كفن وقيل الجهاد الكفار لانهم لو
تركوه لغلبوهم وقتلوهم فهم سبب حياتهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل الشهادة
بل احياء عند ربهم المراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه تحذير عن تاخير الاستجابة وزيادة واعلموا لمزيد التاكيد
اي ان القلوب بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء فعجلوا بالاستجابة قبل ان يحدث الله تعالى
في قلوبكم ما يشغلنا عنها ويمنعكم عن الامتثال بالامر وقرئ بين المرء بتشديد الراء على
حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه
اليه تحشرون فيجازيكم على التغيير والتطهير من اعمالكم واحوالكم قالبية كانت او قلبية
وفيه زيادة تحذير عن التقصير بالتاخير واشير الى هذا في قوله عليه السلام عجلوا
بالصلاة قبل الفوت وعجلوا بالتوبة قبل الموت واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة اراد بالفتنة الظلم الفاحش بقرينة الذين ظلموا والتنكير الدال على التكثير لا تصيبن
جواب الامر اي ان اصابتكم لا تصيب الظالمين خاصة بل تعم الطالح والصالح ثم يكون للظالم
عقوبة ولغيره كفارة والنون لتضمنه معنى النهي كالتاكيد به للمبالغة في النهي ومن
للتبعيض قال ابن عباس رضي الله عنهما هي امر بترك الامر بالمعروف عند غلبة المنكر فيصيب
الفسقة بفسقهم من نبات لكسبهم الذين ظلموا اي باشروا الظلم او نهي بعد امر كانه
قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب
من ظلم منكم خاصة او صفة لفتنة على ارادة القول اي فتنة مقولا عندها لا تصيبن
كقوله جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط ومن على هذين الوجهين للتبيين ويعضد
الاخير قراءة لتصيبن على جواب قسم محذوف وفي تقييد الظالمين بكم في الوجهين
الاخيرين تنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب
وعيد شديد وفي زيادة اعلموا مزيد تهديد واذكروا واحفظوا يا لكم او احالكم
اذ انتم قليل قيل في اول الاسلام قبل ان تكملوا اربعين وقيل قبل الهجرة والخطاب

للمهاجرين

262

للمهاجرين مستضعفون في الارض مقهورون في ارض مكة لم تحل ذليل مع ما فيه
من حسن الازدواج تقليل تعادد باعتبار اطلاقه على من هو عزيز بعز الاسلام وقيل الخطاب
لعامة العرب لانهم كانوا مغلوبين لاهل فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس
لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء والتخطف الاخذ والانتزاع بسرعة فاواكم الى المدينة
وجعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار يعطاهم الا
نصار بامداد الملائكة يوم بدر وعلى تقدير ان يكون الخطاب لقريش يكون
المعنى فاواكم الى الحرم ويؤيده قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا و
يتخطف الناس من حولهم ورزقكم من الطيبات الغنائم لعلكم تشكرون ارادة
ان تشكروا هذه النعم وعلى المعنى الاخر يكون المراد من الطيبات الثمرات لقوله
وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول
الخون النقص كما ان الوفاء التمام ومنه تخونه اذا نقصه ثم استعمل في مقابلة
الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل فقد ادخلت عليه النقصان وذكر الله تعالى
للتمهيد وخيانتهم للرسول صلى الله عليه وسلم بان يضمروا خلاف ما يظهرون او بالغلول
في الغنائم روي انها نزلت في ابي لبابة رضي الله عنه وقصته مذكورة في كتب التفاسير
وتخونوا اماناتكم فيما بينكم اي لا يصدر منكم خلاف ما هو من حكم الايمان جزم داخل
في حكم النهي او نصب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم تخونون
اي وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة جعل
الاموال والاولاد فتنة لانها سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب او محنة وبلاء
يحملكم فيه على الخيانة كابي لبابة رضي الله عنه وعليكم ان تحافظوا فيهم على حدود
الله تعالى وهي من جملة ما نزلت فيه وان الله عنده اجر عظيم ان تؤثروا حب الله
على حبهم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على حب المال والولد وفي قوله عنده
تشريف للاجر المذكور وبيان انه مصون عن الضياع يا ايها الذين امنوا ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا هداية ونورا في قلوبكم وتوفيقا وشرحا لصدوركم تفرقون به
بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز الاسلام واهله واذلال
الكفر وحزبه ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم
في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم
صغاير ذنوبكم اراد بالكفارة الازالة ولذلك قال عنكم وهي بالحسنات لقوله ان الحسنات
يذهبن السيئات ويغفر لكم كبايرها والغفر الستر ضمنه معنى الترجمة ولذلك قال لكم و
كنى به عن العفو والتجاوز عنه وذلك بالاستغفار والشفاعة والله ذو الفضل العظيم
باللطف الوافي في الدنيا والاحسان الباقي في دار القرار لما عرفت ان العبد اعطى
جزاء حسناته بازالة سيئاته وكان ما وصل اليه من اللطف والاحسان فضلا من الله
تعالى ووعده على التقوى ايضا تفضلا لا طلاق الاجر على وعده في مقابلته بطريق
الاستعارة واذ يمكر بك الذين كفروا ذكره عليه السلام ما مكر به حين كان بمكة ليشكر نعمة

الله تعالى عليه في انجائه من مكرهم حيث كانت حكمة وتسليط عليهم اي واذكر وقت
مكرهم بك وتسليطه وتفصيله مذكور في كتب التفاسير ليثبتوك ليسجنوك او
يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح
وقرئ ليبيتوك من البيات او يقتلوك او يخرجوك من مكة ويمكرون باخفاء
المكايد له ويمكر الله باخفاء ما اعد لهم حتى يأتيهم بغتة او برد مكرهم عليهم او بمعاملة
الماكرين معهم حيث اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا
والله خير الماكرين ان مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تأثيرا وقيل واسناد المكر الى الله
تعالى للمزاوجة والمشاكلة ولا يجوز اطلاقها عليه تعالى ابتداء لما فيه من ايهام الذم
وكان هذا القائل غافلا عن قوله تعالى فأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هذا غاية
مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم
بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم
ان يغلبوا خصوصا في باب البيان قيل هو قول النضر بن الحارث وهو كان موسوما
بينهم بالنبل والفهم فكان اذا قال قاله كثير منهم واتبعوه عليه كما يفعله الناس اقتداء
بعلمائهم ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص قد سبق ما
يتعلق بالاساطير واذ قالوا اي واذكر اذ قالوا وهذا ايضا من ذلك القبيل بل ابلغ في
الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم
ويلك انه كلام الله تعالى فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء اي ان كان القرآن حقا منزلا فامطر علينا حجارة خاصة عقوبة لنا
على انكاره والمراد التهكم واظهار اليقين والجزم التام بكونه باطلا اغراقا في الانكار
واظهار الجراءة فيه جحد القرآن اولا بان جعله مثل كلامهم وسماه اساطير الاولين ثم بالغ
بالجحود بتنبيهه جعله الدليل على بطلانه زاعما انه برهان وهو لو كان حقا لاستحق
منكره العقاب لكنا لم نعاقب بانكاره فلم يكن حقا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل
وفائدة التعريف انه ان كان هو الحق الذي يدعيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من انه كلام
الله تعالى منزل عليه لانه لم ينكروا كونه مطابقا للواقع كالاساطير وفائدة التقييد
بكونه من السماء مع ان الامطار لا تكون الا منها كونها حجارة مسومة للعذاب وهي السجيل
فوضعت حجارة من السماء موضعه ولهذا قال او ائتنا بعذاب اليم اي بنوع من عذاب
اليم سواه اشارة الى ان السجيل نوع اليم من العذاب وما كان الله اي ليس في عادته
تعالى ليعذبهم وانت فيهم بيان سبب امهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام
لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم حال كون النبي عليه السلام فيهم غير جائز في
الحكمة لان سنة الله تعالى جارية ان لا يبتلي قوما بالعذاب ما دام نبيهم بين اظهرهم
وفيه اشعار بانهم مرصدون للعذاب اذا هاجر عنهم لدلالة قوله وما لهم الى اخره
على اثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا

فارقتهم

فارقتهم وما كان الله معذبهم لما كانت كينونته عليه السلام فيهم سببا لانتفاء تعذيبهم
اكد خبر كان باللام على رأي الكوفيين او جعل خبر كان الارادة المنفية على رأي البصريين و
انتفاء الارادة للعذاب ابلغ من انتفاء العذاب ولما كان استغفارهم دون تلك الكينونة
الشريفة لم يؤكد باللام فشتان ما بين استغفارهم وكينونته عليه السلام فيهم وهم يستغفرون
حال لقوله وانت فيهم والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او
قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال
ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم
عند الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واما احصارهم عام الحديبية
فقد كان بعد قتل النضر ونظرائه فلا انتظام له مع ما سبق الكلام له في هذا المقام
وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن
ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون الذين
لا يعبدون فيه غيره اي ما استحقوا الولاية البيت وما خط لهم منها لانها مخصوصة
بالمتقين من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فكيف بالمشركين من اعداء الدين ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه نبه بالاكثر على ان فيهم من يعلم ذلك ولكن
يعاند لما نفى عنهم ان يكونوا من ولاة البيت ذكر من فعلهم القبيح ما يؤكد ذلك وان
من كانت صلاته ما يذكر لا يستأهل ان يكونوا اولياءه وما ذكر بقوله وما كان
صلاتهم عند البيت من جملة موانع استحقاقهم للولاية وموجبات استحقاقهم للعذاب
كما ذكر بقوله وهم يصدون والمراد بصلاتهم ما يصنعونه موضعها ويسمونه صلاة
وفيه من التهكم ما لا يخفى وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم الا مكاء
صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من
الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء يعني انهم يضعون المكاء
والتصفيق موضع الصلاة ولهذا اورد قوله فذوقوا العذاب بفاء السببية اي بسبب
هذا الكفر وذوقوا وباله في الدنيا والمراد عذاب القتل والاسر يوم بدر والظاهر ان
يكون اللام للعهد والمعهود ما ذكر في قوله او ائتنا بعذاب اليم ووضعهم المكاء
والتصدية موضع الصلاة انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون
بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا بما كنتم
تكفرون اتى بصيغة المضارع وزاد عليها عبارة كنتم للدلالة على الاستمرار التجددي
والمراد ما كانوا يفعلونه عند البيت من المكاء والتصدية مكان الصلاة ولا يجوز
ان يكون المراد من العذاب عذاب الاخرة لان الفاء باباه وذلك لان السببية
للعذاب مطلقا قد استفيدت من الباء والفاء انما تفيد اذا كان ذلك العذاب له
السبب بما ذكر مجملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله عن دينه

وأتباع رسوله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل
واحد منهم كل يوم عشر جزر أو في أبي سفيان استأجر ليوم احد الفين من الاحابيش
سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية وقيل في اصحاب العير فانه
لما اصيب قريش ببدر قالوا لكل من له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا
ندرك منه ثارنا ففعلوا فسينفقونها فائدة تكرار ذكر الانفاق ان مساق الاول
لبيان الغرض منه والثاني لبيان عاقبته ومآل امره وان غرضهم لا يحصل منه
ويعقب الخيبة هذا اما قالوا ويأباه زيادة السين في الثاني وترتيبه بالفاء على الاول
وكذا يأبى هذا الاخير حمل الاول على ما كان في يوم بدر والثاني على ما كان في يوم
احد فالوجه ان يحمل الاول على عزمهم على الانفاق والثاني على وقوعه عن قريب
متفرعا على ذلك العزم ثم تكون عليهم حسرة لاستلزام انفاقهم الاموال ندامة
وسرعة انقلابه اليهم كان ذاته تصير ندامة مبالغة والحسرة غم بما انكشفت
من فوت استدراك الخطيئة وذكر الغم يسمى ندامة واصلها الكشف من قولهم حسر
على ذراعيه والحاسر ضد الدارع ثم يغلبون ثم لا ينفع حالهم على الندم والحسرة
لفقد الاموال وفقدان الغرض حتى يصير آخر الامر الى المغلوبية التي هي ضد الحالة
التي قصدوها فيمدحون خلفاءه وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين قبل
ذلك سجالا ومعنى ثم في الموضعين غاية بعد ما بين غرضهم في الانفاق وبين
ما يحصل منه ويقع بعده والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر اذ اسلم بعضهم وحسن
اسلامه الى جهنم خاصة يحشرون يجمعون بالسوق من جهات متعددة
وفائدة تقديم الجار والمجرور دفع وهم الفرار في جمع المحشر ليميز الله الخبيث
من الطيب اي الفريق الكافر من الفريق المؤمن ويجعل الخبيث اي الكافر بعضه
على بعض فيركمه جميعا اي يجمعهم ويضمهم حتى يتراكموا كقوله كادوا يكونون
عليه لبدا اي لفرط ازدحامهم فيجعله في جهنم جعل الكفار في الانضمام والازدحام
والاجتماع في النار شيئا مركوما كحطب متركب بعضه على بعض مجموع ملقى
في جهنم مبالغة او المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي انفقه المسلمون في نصرته فيجمع
الخبيث الذي انفقه المشركون فيجعله في جهنم من جملة ما يعذبون به كمال
الكافرين واللام في قوله ليميز على الاول متعلق بيحشرون او يغلبون وعلى
الثاني بيكون وقرئ ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز اولئك اشارة الى الفريق
الخبيث على الاول والى الذين كفروا على الثاني من قال اولى المتعين فكأنه غفل
عن ان منهم من اسلم وحسن اسلامه هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم
خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا لمن بقي من كفار قريش بعد من قتل منهم
ببدر واللام للتبليغ ان ينتهوا عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وقتاله
بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم لان الاسلام يجب ما قبله

وقرئ

وقرئ بالتاء والكاف على الخطاب وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين تعليل
للجواب اقيم مقامه والتقدير وان يعودوا انتقمنا منهم واهلكناهم فقد مضت سنة الاولين في
انا انتقمنا منهم واهلكناهم بتكذيب انبيائهم عليهم السلام وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
الى ان لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله بل تضمحل الاديان الباطلة كلها ويبقى
فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عما يجب الانتهاء عنه والفاء للترتيب على ما تقدم
فان الله بما يعملون بصير تعليل لما تضمنه الجواب من عدم التقصير في المجازاة تقديره
فيجازيهم على الامتثال ولا يضيع نقير وقطمير من التروك والاعمال وقرئ تعملون
بالتاء على معنى فان الله تعالى بما تعملون من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بصير يجازيكم
عليه ويكون تعليقه بان انتهوا على الغيبة للتغليب اي انه بصير بعملكم وعملهم فيثيبكم
جميعا ويجازي كلا بحسب عمله ومن وهم ان اثابتهم للتسبب فقد وهم وان تولوا عن
الامتثال فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فلا تبالوا بمعاداتهم وثقوا
بولايته تعالى وفي زيادة اعلموا لتضمنه الدلالة على تنزيلهم منزلة الجاهل لنكتة
خطابية تناسب المقام وتزيد في البلاغة درجة الكلام مزيد تهييج لهم على ذلك نعم
المولى هو فلا يضيع من تولاه ونعم النصير فلا يغلب من ينصره واعلموا انما غنمتم ان الذي
اخذتموه من الكفار قهرا من شيء اي من اقل ما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط
وتصدير الكلام بقوله اعلموا لزيادة الاهتمام فان لله خمسه دخلت الفاء
في خبر ان لتضمن الموصول الذي دل عليه ما في معنى وان لله في موضع رفع على انه خبر
مبتدأ محذوف تقديره فالحكم ان لله خمسه والجمهور على ان ذكر الله تعالى تمهيدا
لذكر الرسول وما عطف عليه تعظيما وتخصيصا للمعطوفين به كما في قوله تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين و
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كانه قال فان لله خمسه
يصرف الى هؤلاء الاخصين به تفضيلا لهم على غيرهم وليس المراد من قوله واعلموا
مجرد العلم يستوي فيه المؤمن والكافر بل العلم المستلزم للعمل فان المقصود بالذات
من العلم اذا امر به هو العمل والعلم مقصود بالعرض وهو متعلق بمحذوف دل عليه
واعلموا الى آخره اي الخمس لله واحيا به للتقرب اليه فاقطعوا اطماعكم عنه واصرفوا
الى من عين من المخصوصين به واقتنعوا بالاخماس الاربعة والحكم بعد باق الا ان
سهم الرسول يصرف الى مكان يصرفه من مصالح المسلمين كما كان يفعله هو
الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة الباقية وعند ابي حنيفة سقط سهمه
عليه السلام بوفاته وسهم ذوي القربى لانهم استحقوه بالنصرة والمظاهرة حينئذ وصار
الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعند مالك يفوض الى راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم
وما انزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصرة معطوف على بالله وقرئ
عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين
الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار واليوم الاول يعني الوقعة

والثاني بمعني الوقت والله علي كل شي قدير فتم بصفة القدرة لانه تعالي انال المومنين
عليه قلتهم علي الكافرين علي كثرتهم ذلك اليوم اذ انتم اد بدل من يوم التقي الجمعان
بالعدوة الدنيا القربي يعني من المدينة والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي و
قري بها والمشهور الضم والكسر وهم بالعدوة القصوي البعدي تانيث الاقصي وكان
قياسه قلب الواو يا كالدنيا والعليا ولذا الكل فعلي من بنات الواو تفرقة بين الاسم والصفة
فجا علي الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير وقودها اسفل منكم
في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل نصب علي الظرف وهو مرفوع المحل لانه خبر مبتدا
والجملة حال من الظرف قبله وفايدة التقييد به وتعيين مراكز الفريقين بيان للحالة
الدالة علي شوكة الكفار وعدة غلبتهم واستظهارهم بالركب وحرصهم علي المقاتلة عنه وتوطين
نفوسهم علي ان لا تخلوا مراكزهم ويبذلوا جهدهم وضعف شان المسلمين وآثار امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة وان ظفرهم بالعدو وغلبتهم في مثل هذه الحالة ليس الا تاييدا من الله تعالي ونصرة
ليعلموا ان الجود والقوة والقدرة كله لله تعالي وان الفتح كان صنعا الهيا من خوارق العادات
فيزدادوا وثوقا وذلك ان مركز المومنين كان ايضا رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا تمشي
الا بتعب ولم يكن بها ما يخالف العدوة القصوي ويقربه قوله ولو تواعدتم لاختلفتم
في الميعاد اي ولو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالهم في الكثرة والقوة والشوكة وتهيئا
لعدوة وحالكم في القلة والضعف وعدم اسباب الظفر لاختلفتم انتم تهيبا منهم وما يباني
الظفر عليهم وطنا بالمغلوبية ولكن دبر الله تعالي ذلك حيث وعدا حدى الطايفتين بهجة
واخرجكم راغبين في الغنيمة اخرجهم ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب وجمع بينكم وبينهم علي
هذه الحالة ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليايه
وقهر اعدايه ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة بدل منه او متعلق
بقوله مفعولا استعير الهلاك للكفر والحياة للاسلام كما يستعار الموت والحياة للجهل
والعلم اي ليكون كفر من كفر عن وضوح بينة حتي لا يبقي عند الله تعالي معذرة وتصدرا
سلام من اسلم ايضا عن يقين بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتدين به
وذلك ان وقعت بدر كانت من الايات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا
لنفسه مغالطا لها وقري وحيي باظهار التضعيف لموافقة مستقبله وان الله
لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه والجمع بين الوصفين لاشتمال
الامرين علي القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا بدل ثان من يوم
الفرقان او نصب باضمار اذكر او بقوله عليم اي سمع باحاديث نفوسكم في كراهة
القتال عليم بتدابير اموركم وتسوية مصالحكم اذ يريكهم في نومكم قليلا اراهم الله تعالي
اياه في روياه قليلا فاخبره اصحابه فثبتهم ذلك وشجعهم علي عدوهم ولو اريكهم
كثيرا لفشلتم الفشل ضعف من الوجل لم يقل لفشلت لانه عليه السلام كان معصوما
من التقابيح فاسند الفشل اليه عليه السلام علي طريقة التغليب رعاية لجانب الكلام
والمقام ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت اراكم بين الثبات والفرار والتنازع الاختلاف

الذي يحاول كل واحد منهما نزع الاخر صاحبه عما هو عليه ولكن الله سلم انعم بالسلامة من
الفشل والتنازع وعصمكم منهما انه عليم بذات الصدور بما سيكون فيها من الجبن والجراة
والصبر والجزع وبما يغير احوالها وان يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا حتي قال ابن مسعود رضي
الله عنهما لمن الي جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وقيل تصديق الرويا الرسول
وفيه نظر والضمير ان مفعولا يري وقليلا نصب علي الحال ويقللكم في اعينهم حتي قال
ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجروا عليهم ولا
يستعدوا لهم ثم كثرهم بعد حتي راوهم مثليهم ليفاجيهم الكثرة فتبهتهم وتكسر حدتهم وشوكتهم
وذلك من عظايم ايات تلك الوقعة ولمثل هذا التفاوت في الابصار مع تساوي الشروط الا
بخرق العادة ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به اولان المراد بالامر
ثمة الالتقا علي وجه الحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والي الله ترجع
الامور فلا راد لقضايه ولا تغيير لتقديره يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم اي حاربتم فئة
اللفا بما غلب في القتال فئة الانقطاع معتبر في مفهوم الفية اصله من فاوت راسه
بالسيف اذا قطعته والجماعة المنقطعة عن المومنين كفارا وبغاة ومن لم يقف علي هذه
الدقيقة لا انيقة قال ولم يصفهم لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا في مواطن الحرب راعين له تعالي مستظهرين بذكره ومترقبين لنصره لعلكم
تفلحون تظفرون بالنصرة والمثوبة وفيه تنبيه علي ان المومن يجب ان يدام علي ذكر الله
تعالي خصوصا عند الشدايد ليجتمع همه ولا يتوزع باله وينشرح قلبه ويطمين بالتوجه
نحوه ويستمد منه فيثبت به ويستظهر بقوته وحوله واطيعوا الله ورسوله باتفاق
الكلمة ولا تنازعوا باختلافها تنازعكم باحد فتفشلوا نصب باضمار ان او جزم داخل في
حكم النهي وقري وتذهب ريحكم بالتا والنصب عطفا علي الاول والبا والجزم علي
الثاني اي تذهب دولتكم علي ان الريح مستعارة للدولة شبهت في نفوذ امرها ونفاذه تم
بالريح في جريها يقال هبت رياح فلان اذا الت اليه الدولة ومنه قول علي رضي الله عنه

اذا الريح مالت مال حيث تميل ... ولا خير في وامر مثلون

كما قال عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين
بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني قريشا حين خرجوا لحماية العير
بطرا البطر سوء احتمال الغني ومن اثاره الفخر والاشر ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة
والسماحة نزلت في ابي جهل واصحابه خرجوا من مكة لنصرة العير بالقينات والمعازف فنهي الله
تعالي المومنين ان يكونوا مثل هولا بطرين مرائين باعمالهم ويلزمه الامر بالتقوي
والاخلاص بنا علي ان النهي عن الشي يستلزم الامر بضده واما ما قيل وذلك انهم
لما بلغوا الجحفة واتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال
ابو جهل لا والله حتي نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها
من حضرنا من العرب فوفرها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوايح فلا يصلح
وجها لخروجهم من مكة بطرين ومرائين بطرا ورئا نصب علي الحال او المفعول

لها ويصدون عن سبيل الله عطف عليهما حالين مطلقا ومفعولا لها على تاويل
المصدر اي وصدوا عن سبيل الله والله بما يعملون محيط اي عالم به فيجازيكم عليه
وعيد وتهديد لمن بقي من الكفار واذ زين لهم الشيطان منصوب باذكر اعمالهم
التي عملوها في معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لا غالب لكم خبر لا غالب اي كاين
لكم او صفته وليس صلته بمعنى لا غالب اياكم والا لكان منصوبا كقولك لا ضاربا زيدا
عندنا اليوم من الناس واني جار لكم والجار هو المجير الذي يعطي الخايف الامان
روي ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين تخوفوا من بني بكر بن كنانة اذ كانوا قتلوا
منهم قتيلا فلم يامنوا يوم خروجهم الى بدر ان ياتوهم من ورايهم فتصور لهم ابليس بصورة
سراقة بن مالك وهو من بني بكر وقال انا جار لكم من بني بكر فركنوا الى قوله ه
وساروا وهو معهم حتى اذا التقى المسلمون والكفار اسلمهم شر مسلم وتبرا منهم ولما
نكص على عقبيه اخذ الحارث بن هشام بيده فقال الى على هذه الحالة تخذلنا قال
اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله قال الحارث والله ما نرى الا جعاسيس يثرب
قال اني اخاف الله قال الحارث فهلا كان هذا امس فدفع الى صدر الحارث وانطلق
فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة بن مالك فقال بلغني
انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا
ما اتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان وذهب بعضهم الى
ان التزيين في هذه الاية وما بعده من الاقوال هو بالوسوسة والمحادثة في النفوس
ولا يخفى ضعفه فان قوله واني جار لكم ليس مما يخفى بالوسوسة وكذا النكوص
على عقبيه وما بعده من الاقوال وليس مما يلقى بها فلما ترات الفئتان ترات تفاعلت
من الرؤية اي راى كل من الفريقين الاخر وهذه الحالة قبل الالتقا نكص على عقبيه
نكص الشيطان اي رجع سو الحال وقال اني بري منكم اني رجعت عما كنت ضمنت لكم
من الايمان اني ارى ما لا ترون تعليل براءته حين قال راى امداد المسلمين بالملايكة
كانه يقول اني كنت مجيركم من الناس وضمنت لكم الغلبة عليهم واري ما ليس من جنسكم جاوز
لمحاربتكم اني اخاف الله اني اخاف عقابه على ايدي من اراهم ولا ترونهم انتم قال قتادة
وابن الكلبي ان هذه معذرة كاذبة ولم تلحقه قط مخافة وقال الزجاج وغيره بل خاف
مما راى من الامر وهوله انه يومه الذي انظره الله تعالى اليه والله شديد العقاب لا يرد
عقابه شي ولا يفوته والظاهر انه من كلامه اذ على تقدير كونه مستانفا يكون تقريرا
لمعذرته ولا يقتضيه المقام فيكون فضلة في الكلام اذ يقول المنافقون بالمدينة
والذين في قلوبهم مرض والذين ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام بل كانوا على حرف
وعن الحسن هم المشركون ويحتمل ان يكون صفة للمنافقين والواو للجمع بين الصفتين
اي الجامعون بين النفاق والشرك غر هولاء اي المسلمين دينهم حيث تقووا به ه
وتعرضوا لما بدا لهم به فخرجوا وهم ثلثماية وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل
على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل وبتسلط بتاييده

على الكثير القوي حكيم يفعل بحكمته ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت
فان لو ترد المضارع ماضيا كما ترد ان الماضي مضارعا وانما عدل عن الماضي الى
المستقبل لتصوير الحال الماضية بالاستحضار استفظاعا لها اذ يتوفى الذين كفروا
الملايكة ببدر واذ ظرف والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ
والملايكة فاعل يتوفى ويؤيده قراءة تتوفى بالتا والاصل في القراءتين التوفيق
بينهما مهما امكن فلا وجه لما قيل ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله تعالى وهو مبتدا
خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن
الواو وهو على ما ذكرنا حال منهم او من الملايكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم
ظهورهم واستاههم وتخصيصهما بالضرب لكون الخزي والنكال في ضربهما اشد ويجوز
ان يكون المراد تعميم الضرب لما اقبل منهم وما ادبر وحذف جواب لو للتفظيع والتهويل
اي لرايت امرا عظيما لا يمكن وصفه وذوقوا عذاب الحريق اي ويقولون ذوقوا
عذاب النار فان الحريق اسم النار وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها
التهبت النار ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي
وهو خبر لذلك يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون من كلام الله تعالى وان الله ليس
بظلام للعبيد جملة حالية لتقرير ما فهم مما سبق من ان ما يفعل بهم انما يفعل جزاء
بما كسبوه فيكون عدلا محضا ولو قيل ليس بظالم لكان ابلغ والعدول عنه الى صيغة
المبالغة للتنبيه على ان شانه تعالى يقتضي ان يكون كل وصف يثبت له بالغا الى
حد الكمال ومن لم يتنبه لهذه الدقيقة الانيقة زعم انه لاجل العبيد ولم يدر ان
ما يقال ان الله تعالى ليس بظالم اصلا ونفي مبالغة الظلم لا يستلزم نفي اصله بل
ربما يوجب اثباته بدليل الخطاب وبرجوع النفي الى القيد لا يندفع بما ذكر اذ المعنى
حينيذ نفي ظلمه تعالى عن الكل ولا يلزمه نفيه عن كل واحد فان رفع الايجاب الكلي ينافي
الايجاب الجزي وقيل انه تعالى عطف على ما قدمت اي ذلك العذاب بسببين بسبب
ما كسبوا وبسبب ان الله ليس بظلام لان تعذيب الكفار من العدل ويرد عليه
انا سلمنا ذلك لكن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم بل فضل فلا ينتهض نفي الظلم
بسبب التعذيب وقيل ان العطف المذكور للدلالة على سببيته مقيدة بانضمامه
اذ لولاه لامكنه ان يعذبهم بغير ذنوبهم وفيه ان الحاجة الى ما ذكر لانحصار السببية
فيما كسبوا بحيث لا يكون التعذيب بسبب اخر محتملا وذلك غير مستفاد من الكلام وليس
بمقتضى المقام كداب ال فرعون الكاف في محل الرفع اي داب هولا مثل داب ال
فرعون والداب العادة والعمل الذي دابوا فيه اي واظبوا عليه والذين من قبلهم
من قبل ال فرعون كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم بذنوبهم كما اخذ هولاء
ان الله قوي لا يغلبه شي شديد العقاب لا يطاق عقابه ولا يرده شي ذلك
اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله تعالى لم يك مغيرا مبدلا نعمة انعمها
على قوم بالنقمة حتى يغيروا يبدلوا ما بانفسهم ما بهم من الحال الى حال اسوا منها

كما بدلت قريش حالهم في صلة الرحم وعدم التعرض للآيات والرسل وادكانوا كفرة لان الكفر لا يمنع النعمة الدنيوية لقوله تعالى ومن كفر فامتعه قليلا بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تابعه وايذائهم والسعي في قتلهم والاستهزاء بالآيات الى غير ذلك مما احدثوه بعد البعث فبدل الله تعالى ما انعم به عليهم من الامهال وحسن الحال في العاجل وعاجلهم بالعذاب اي سنة الله تعالى جارية بان يغير نعمته على من انعم عليهم عند تغييرهم حالهم فالسبب مفهوم ما ذكر لا منطوقه واصل يك يكون فلما دخلها الجزم صار لم يكن فالتقى ساكنان فحذف الواو فبقي لم يكن ثم لما كثر استعماله حذفوا النون تخفيفا فاذا تحركت اثبتوها قالوا لم يكن الرجل كذا قال الجوهري والذي ذكره ليس بحتم فان النون قد ثبتت عند سكون كما في قوله تعالى وان تك حسنة وقوله لم اكن لاسجد وان الله سميع لاقوالهم عليم بافعالهم واحوالهم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم تكرير للتاكيد وفي تفسير تغييره زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق لما في لفظ الرب المضاف اليهم من الاشعار بكونه منعما عليهم وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وفيه انه لا مساعدة للتخصيص المذكور لا من جهة المقام ولا من جهة نظم الكلام فاهلكناهم اي عاجلا بذنوبهم على العموم دلالة الباء على السببية المطلقة والسببية للعذاب العاجل مما تستفاد من الفا واغرقنا آل فرعون على الخصوص وفيه بيان الاخذ بالذنوب وفي قوله وكل كانوا ظالمين اشارة الى ان سبب الاخذ ظلمهم وفيه تقرير لقوله وان الله ليس بظلام للعبيد اي المشبهون الذين هم قتلى قريش والمشبه بهم الذين هم آل فرعون والذين من قبلهم كلهم كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي فنشبه شدة ظلمهم لعقابهم فما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اي اصروا على الكفر ورسخوا فيه لان بمجرد الكفر لا يصح الاخبار عنهم بعدم الايمان فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم الايمان لكونهم مطبوعا على قلوبهم معنى الفا السببية التنبيه على ان تمكنهم في الرسوخ بحيث يوجب انتفاء الايمان منهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا وبدل الكل او البعض للبيان او التخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم وانما قال منهم لتضمن المعاهدة مع اخذ الميثاق والمراد من المرة في قوله ثم ينقضون عهدهم في كل مرة من مرة المعاهدة او المحاربة وانما كانوا شر الدواب لان نقض العهد خروج عن المروة والانسانية فلما لم يقتضي فطرتهم يا الكفر ونقض العهد الاول الفطري فاخطوا عما جبلوا عليه ثم اصروا على ذلك ثم نكثوا العهد الظاهر فكانوا اشر الدواب لكونهم على ما جبلت عليه وهم لا يتقون عاقبة الغدر ولا يبالون بوخامته في الدنيا والآخرة من العار والنار فاما تثقفنهم

في

في الحرب وتظفرون بهم او تقتلهم شر قتلة والثقف الادراك بسرعة فشرد بهم من خلفهم اي فنكل بهم تنكيلا يكون سببا لتشرد من وراءهم خوفا منك والتشريد التفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب من شذر وقرئ من خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من ورائهم فقد فعل التشريد في الورا لعلهم لعل المشردين يذكرون يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة بامارة ذلك الخيانة نقض عهد فيما ائتمن عليه فانبذ اليهم النبذ القا الخبر الى من لا يعلمه بما يوجب انه حرب على سواء مستويا حال من النابذ والمنبوذ اليهم اي الق اليهم الخبر انك نقضت العهد الذي بينك وبينهم لتكونوا انتم وهم في العلم بالنقض على سوي اي مستوين فيه ولا تحاربهم قبل الاعلام فانه خيانة ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف ولا تحسبن خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرئ ولا يحسبن بيا الغيبة والفاعل ضمير يعود على الرسول عليه السلام او على السامع والمفعول الاول الذين والثاني سبقوا وقيل اصله ان سبقوا فحذفت ان كما في قوله ومن آياته يريكم البرق ودليله قراءة ابن مسعود رضي الله عنه انهم سبقوا وهذه القراءة لم ينفرد بها حمزة كما توهم بل وافقه ابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه انهم لا يعجزون تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافاتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالكسر على انه تعليل على سبيل الاستيناف والمراد الازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فعل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لنا قضي العهد او لكفار وما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة ابن عامر رضي الله عنه سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا والمراد انه اقواها ومن رباط الخيل الرباط اسم من العقد بفتح ربطه يربطه ربطا ورباطا وصار اسما للمربوط الا انه لا يستعمل الا في الخيل فاضافة باعتبار عموم المفهوم الاصلي ويحتمل ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم البا وسكونها جمع رباط وعطفها على قوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون به الارهاب ازعاج النفس بالخوف به اي بما استطعتم او بالاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وفي عبارة يوف بعد بيان ما ينفق بقوله من شيء اشارة الى انه وان كان قليلا تجزاؤه جليل وانتم لا تظلمون بتضييع العمل قبل او بنقص الثواب ومبناه على استحقاق العبد بالعمل للثواب وقد عرفت ما فيه من تفسير والله ذو الفضل العظيم وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وتعديته باللام او الى للسلم

للصلح والاستسلام فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها وهو
الحرب وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله تعالى يعصمك منه
ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم واحوالهم والاية مخصوصة باهل الكتاب
لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك بالصلح
فان حسبك الله حسبك بمعنى محسبك وكافيك قال جرير
اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين اي بجماعة المؤمنين وباتفاق كلمتهم على ما دل
عليه قوله والف اي واقع التاليف بين قلوبهم حتى صاروا كنفس واحدة بعد
ما كان فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شي والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد
يأتلف فيهم قلبان كما بينه بقوله لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصطلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لا يقدر
على الالفة والاصطلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب
يقلبها كيف يشا انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف
ينبغي ان يفعل ما يريد وقيل الاية في الاوس والخزرج وكان بينهم من الحروب والوقائع
ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ولم يكن لتضليلهم امد ومنتهى وسببها التجاور الذي
يهيج الضغائن ويديم التحاسد وكان كل من الطائفتين يتجنب ما اثرته الاخرى ويكره
ما احبه فانساهم الله تعالى ذلك كله حتى توافقوا على الاسلام والطاعة وتصادقوا وتحابوا
وصاروا انصار الله وذلك من المعجزات الباهرة والايات الظاهرة يا ايها النبي حسبك الله
ومن اتبعك من المؤمنين اي كفاك الله تعالى وكفى اتباعك من المؤمنين ناصرا او كفاك
الله تعالى وكفاك المؤمنون على ان من اتبعك من محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك
وزيدا درهم او الرفع عطفا على اسم الله نزلت في البيداء في غزوة بدر وقيل نزلت عند اسلام
المبالغة في الحث على الا عمر رضي الله عنه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال التحريض
المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشرف على الموت وقرئ حرص
بالصاد المهملة ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم
مائة عليه يغلبوا الفا من الذين كفروا تكرار المعنى الواحد بالاعداد المتناسبة في المقامين
للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد وشرط في الوعد والبشارة بغلبة الجماعة من المؤمنين
على عشرة امثالهم من الكفار الصبر حتى يؤيدهم بعونه ونصره ثم قال بانهم قوم لا يفقهون
اي بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يقاتلون لله تعالى ولا يثبتون ثبات المؤمنين الذين يبتغون
بالقتال رضا الله تعالى فلا يستحقون النصرة والمعونة لكون دواعيهم منبعثة عن الهوى
والشيطنة فاستحقوا الهوان والخذلان لتوليهم الشيطان الآن خفف الله عنكم وعلم ان
فيكم ضعفا كان في اول الامر لخواص اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة استبصار وقوة
قلب حتى لقي حمزة رضي الله عنه في ثلاثين راكبا ابا جهل في ثلاثمائة راكب فلما اختلط بهم
سائر الناس وفيهم من يكون به حب الاهل والولد والمال وانه يضعف القلب عن مقاومة

الكثير من الكفار

الكثير من الكفار خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله بتقديره وتيسيره والله مع الصابرين
بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبوا وفي ضمن الاية مبالغة في شدة المطلوبة ولكونه اهم
واثبت في اولى جملتي التخفيف وحذف من الثانية لدلالة السابقة عليه ما كان
لنبي اي ما صح له وما استقام وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرئ
تكون بالتاء وقرئ اسارى حتى يثخن في الارض باشاعة القتل اي بضعف الكفر ويذله
ويعز الاسلام بالنصر ثم يجوز له الاسر بعد ذلك ولهذا المالك المسلمون وضرب له الاسلام
حرانه فاما منا بعد واما فداء من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد
للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفدا والله يريد الاخرة يريد لكم ثواب
الاخرة او سبب نيله من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله
اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر
بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت
الحال وصارت الغلبة للمؤمنين وروي انه اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن
ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم
فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله
اغناك عن الفدا مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم
فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين
من اللبن وان الله تعالى ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك
يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك
يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه رضي الله تعالى
عنهم فاخذوا الفدا فنزلت فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت
فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفدا ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة وفيه انهم اخذوا الفدا الا بعد تخييرهم صاحب الشرع فلا يستحقون العذاب
وفيما ذكر ما يفصح عن استحقاقهم اياه ثم ان المذكور في سبب النزول صريح في انه عليه
السلام استشار بعض اصحابه رضي الله تعالى عنهم واخذ براي ابي بكر في القضية المذكورة
فلا دلالة في الاية المزبورة على ان الانبياء عليهم السلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ
ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب حكم وقضاء من الله سبق اثباته في اللوح اي لا يعذب الا بعد
النهي لعذبتكم فيما صنعتم ولم يكن نهاهم او ان الفدية التي اخذوها تستحل لهم قال الحسن
ان الله تعالى اطعم هذه الامة الغنيمة وانهم اخذوا الفدا من اسارى بدر قبل ان يؤمروا به
فعاتب الله تعالى ذلك عليهم ثم احله لهم او ان لا يعذب اهل بدر لمسكم المس اصابة ينال منه
البشر فيما اخذتم بسبب ما اخذتم من الفدا عذاب عظيم لما نزلت هذه امسكوا عن مد ايديهم

الي شي من الغنايم فنزل فكلوا مما غنمتم الفا للسبب والسبب محذوف تقديره احلت لكم الغنايم
فكلوا او في عموم ما غنمتم يدخل الفدية لانها من جملة الغنايم واذا كان تقديرا لكلام ما ذكر لا يكون
فيه متمسك لمن زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا من المغنوم او صفة للمصدر
اي اكلا حلالا وفايدته ازاحة ما وقع في نفوسهم بسبب العتاب ولذلك وصفه بقوله طيبا
لبيان انه لا تبعة فيه فان الحلال قد يكون مكروها فاذا وصف بالطيب لا يبقى هذا الاحتمال
واما الاباحة فلا تجامعه الكراهة فالمباح اخص من الحلال ومن ههنا تبين ان حق المقدر
ان يكون احللت دون ابحت ويجوز ان تكون الفايدة ما وقع في نفوسهم بسبب حرمة
الغنايم على الاولين وفيه انه عليه السلام بعد ما رخص وخير بين القتل والفدا لا وجه
لان يبقي في نفوسهم احتمال الحرمة خصوصا بعد ما اقدموا على وجه الفدا وعملوا بموجب ذي
الرخصة واتقوا الله في الاقدام على ما لم يعهد اليه فيكم حكم ان الله غفور غفر ذنبكم رحيم
اباح لكم ما اخذتم ولا يخفي لطف موقع هذا الكلام وحسن انطباقه بمقتضي المقام فان في
الامر بالاتقاء ما يسبق الي الاوهام من بقاء التبعة وشي من الاثام فيما صدر عنهم من الاقدام
والالتزام يا ايها النبي قل لمن في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم من الاسري
وقري من الاساري امر النبي صلى الله عليه وسلم باستمالة الاساري الذين اخذ منهم الفدا
ترغيبا لهم في الاسلام ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اخلاصا في الايمان وصدقا في النية
يوتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا اما في الدنيا اخلافا واما في الاخرة اثابة روي انها
نزلت في العباس رضي الله عنه كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه
عقيل ابن ابي طالب ونوفل بن حارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت
فقال اين الذهب الذي دفعت الي ام الفضل وقت خروجك فقال وما يدريك فقال اخبرني
وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل
وقثم فقال وما يدريك فقال اخبرني ربي فقال فاشهد انك صادق وان لا اله
الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد رفعته اليها في سواد الليل قال
العباس فابدلني الله خيرا من ذلك المال الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين
الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم
يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك
نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل من قبل فامكن
منهم فامكنك منهم اي فاقدرك عليهم يوم بدر وهم وروساهم فكيف بعد ذهابهم
بالقتل فان اعادوا الخيانة فيمكنك منهم والله عليم بالاحوال ان الذين امنوا
وهاجروا وهم المهاجرون هجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم
بان صرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها في المحاويج وانفسهم في سبيل الله
بمباشرة القتال والذين اووا اي المهاجرين الي ديارهم ونصروا على اعدايهم
وهم الانصار اولئك بعضهم اوليا بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار
يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام

بعضهم اولي ببعض وقيل بالنصرة والمظاهرة والذين امنوا في ذكر امنوا ههنا دون
الثاني لان قوله اووا يغني عنه بخلاف قوله ولم يهاجروا بل يوهم خلافه ما لكم
من ولايتهم من شي اي من توليهم في الميراث حتى يهاجروا وقري ولايتهم بالكسر تشبيها
للتولي بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان
استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على
قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا يجوز ان ينقض عهدهم بنصرهم عليهم
والله بما تعملون بصير تحذير عن تعدي حد الشرع في الموالاة وتركها والذين
كفروا بعضهم اوليا بعض ظاهره اثبات الموالاة بين الكفار والمراد نهي المسلمين
عن موالاتهم وموارثتهم لان الموالاة بينهم مبنية على التناسب في الكفر لترتبه
بين المومنين على التناسب في الايمان فالمفهوم عدم الموالاة حيث لا تناسب له
فيلزم انتفاء موالاة المومنين والكافرين في التوارث ووجوب مصارمتهم ومباعدتهم
وان كانوا الاقارب الا تفعلوه ان لم تمتثلوا ما امرتكم به ولم تتركوا موالاة الكفار
ولم تفضلوا نسبة الايمان على نسبة القرابة واخوة الاسلام على انتساب اللحمة
ولم تقطعوا العلايق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا القرابة ذاتية فقط تكن فتنة
تحصل فتنة في الارض عظيمة هي ضعف الاسلام وقوة الكفر وفساد كبير في الدين لان
المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الكفر لم يتم الدين وازداد الفساد وكبر وقري كثير
اكتفي بالتكبير في توصيف الفتنة بالكبير للتنبيه على انه لا يفي به التفسير والذين امنوا وها
جروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا
لما قسم المومنين ثلاثة اقسام بين ان القسمين الاولين المتواصلين هم الكاملون في
الايمان الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال
ونصرة الحق والثنا عليهم ووعدهم الموعد الكريم مخصوصا بهم وبين لحقهم حيث قال
لهم مغفرة ورزق كريم اي مغفرة عظيمة ونوع من الرزق لا تبعة ولا منة فيه والتخصيص
مستفاد من تقديم الجار والمجرور والاية الاولى للامر بالتواصل بينهم والموالاة وهذه
لبيان فضلهم فلا تكرار والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك
منكم من جملتكم ايها المهاجرون والانصار اي حكم اللاحقين بهم المنتسبين بسمتهم
حكم السابقين الي الهجرة وكمال الايمان والموعد ترغيبا لهم وتكريما واولوا الارحام
بعضهم اولي ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح المحفوظ
او في القران وهو اية المواريث واستدل بها على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شي
عليم فيعلم الحكمة في التوريث بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا ثم بنسبة القرابة ثانيا

سورة التوبة

هي اخر ما نزلت ولها اسما اخر منها سورة التوبة وعن حذيفة رضي الله عنه انكم
تسمونها سورة التوبة وانها سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه قيل كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه اية او سورة يبين موضعها وتوفي ولم يبين موضع

هذه السورة وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان سورة الانفال ذكر العهود
وفي البراة نبذها فرق فرق بينهما واما انها لم تنضم اليها فلان الصحابة رضي الله عنهم
اختلفوا في انها سورة واحدة وهي سابعة السبع الطوال او سورتان فتركت بينهما
فرجة ولم تكتب بسم الله رعاية للاحتمالين ومن قال انما تركت التسمية بينهما لانها
نزلت لرفع الامان وبسم الله امان فكانه غافل عن انها تقتضي ان لا تدخل القراءة
في اثنائها وتركها براة مبتدا لانها موصوفة بقوله من الله ورسوله اي واصلة
منهما خبره الى الذين عاهدتم اي واصلة اليهم ويجوز ان تكون براة مبتدا محذوف
اي هذه براة وحينئذ لا حاجة الى تقدير حاصلة بل يكفي تقدير واصلة اي من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم والعهد الذي يتقدم به لتوثيق الامر به واظهارها ذكر في
صورة الاخبار وهو امر في الحقيقة للمبالغة في مبادرته عليه السلام الى الامتثال للاوامر
الواردة وذكر الله تعالى تمهيد كما في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
تعظيما لشانه عليه السلام واشارا بانه من الله تعالى بمكان يوجب اجلاله وانما نسب
البراة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعاهدة الى المسلمين لشركتهم في الثانية دون
الاول من المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فانهم نكثوا العهد الا اناسا منهم من
بني ضمرة وبني كنانة فامر الله تعالى المسلمين بنبذ العهد الى الناكثين منهم فسيحوا
السيح المسير على مهل والجري على انبساط ولا يخفى حسن موقعه هنا وفيه تلوين الخطاب
من صورة الخبر الى الامر الظاهر ونقله من مخاطب الى اخر بلا فصل بينهما باداة الندا
وهذا جائز عند عدم الاشتباه كما في قوله يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك
فلا حاجة الى تقدير القول ولا بعد في ترتب الثاني على الاول كما في قول الحماسة
ولا تقبروني ان قبري محرم عليكم ولكن ابشري ام عامر
وانما زيد قوله في الارض تعميما للاذن والا فمعلوم ان السيح لا يكون الا في الارض
اربعة اشهر امهلهم اربعة اشهر ليسيروا فيها على مهل امنين اين شاؤا وهي الاشهر
المراد بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم على ما ياتي بيانه باذن الله تعالى وقيل هي شوال
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال سنة تسع من الهجرة كان صيانة
الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها واجبة فوافقت النزول وقيل عشرون من ذي
الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر وكانت
حرما لانهم امنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها
ويرد عليه انه لا دلالة في كون التبليغ العام على روس الانام يوم النحر على ما ذكر
ان يجوز ان يكون النزول قبله ويحصل فائدة التبليغ بالاعلان والاشاعة روي
انه لما ضرب بهم مدة قالوا نسيح في المدة على امان ثم نختار فيمتنع فنزل قوله
واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وزيادة اعلموا للتشديد وان الله
مخزي الكافرين الاخزا الاذلال بما فيه الفضيحة والعار اي مذلهم بالقتل والاسر
في الدنيا والعذاب في الاخرة ووضع الظاهر موضع الضمير في الموضعين اما في

الاول فلتفخيم امر الخزي واما في الثاني فللدلالة على ان الكفر هو الموجب له
وكذا في بشر الذين كفروا واذان من الله ورسوله الاذان فعال بمعنى الافعال
كامان والعطا بمعنى الايمان والاعطا قيل معناه الندا بالامر الذي يسمع بالاذن
ورفعه كرفع براة على الوجهين والواو عاطفة للجملة على الجملة الى الناس
لما كانت البراة مخصوصة بالمعاهدين والاذان بها للعموم على الاخبار بالبراة
للمعاهدين والاخبار بالايذان بذلك بالناس يوم الحج الاكبر يوم العيد لان
فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان التبليغ كان فيه ولما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر
وتوصيفه بالاكبر لان العمرة حج اصغر او لان المراد من الحج اعماله وما يقع فيه
اكبر من سائرها في الاعمال او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل الكافرين واما
الموافقة لاعياد سائر الملل فلا ينبغي ان يعبا به في تعظيم حجنا ثم ان التوصيف
المذكور قد ورد في حجة الوداع ايضا ولا موافقة ثمة ان الله اي بان الله
حذفت التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر اجرا للاذان مجرى القول
بري من المشركين من اقوالهم وافعالهم ويتدرج فيها عهودهم اندراجا اوليا
ورسوله عطف على المستكن في بري من تاكيد للفصل او على محل ان المكسورة
واسمها بلا فصل باداته وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او على ان الواو
بمعنى مع ويجوز ان يكون مبتدا محذوف الخبر اي ورسوله كذلك فان تبتم
تفريع على ما فهم مما تقدم من كون المشركين واثاره سببا للبراة المذكورة وفي
هذا التفريع غنى عن ذكر متعلق التوبة فهو اي فالتوب خير لكم في الدنيا
والاخرة وان توليتم اي اعرضتم عما دعيتم اليه فاعلموا انكم قدموا ان لتمام
اعلموا الى مثل هذا المقام للتهديد في الوعيد وبشر الذين كفروا الامر بالتبشير
عام لكل من يقدر عليها وفيه تلوين الخطاب بعذاب اليم في الاخرة الا الذين
عاهدتم استدراك من قوله براة من الله ورسوله الى اخره بحسب المفهوم كانه
قيل لا تمهلوا الناكثين للعهد غير اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم ولم ينقضوا
عهدهم لا تجعلوهم في حكم الناكثين الذين لا رخصة في امهالهم عن المدة المذكورة
ولا يضر تخلل الفاصل اعني قوله واذان من الله الى اخره لانه ليس باجنبي
بالكلية لكونه امرا بالاعلام يعني كانه قيل واعلموا ان الله بري منهم قبل
استثنا من فسيحوا ومبناه على تقدير القول بين الفا ومدخوله وقد
عرفت انه تكلف مستغنى عنه وقيل استثنا من المشركين ورد بانه يلزم
حينئذ تخلل الفاصل بالاجنبي مع منافاته لعموم المشركين في قوله ان الله
بري من المشركين والعدول في قوله من المشركين من المضمر الى الظاهر
لطول العهد والتنبيه على ان المشرك اذا قارنه الوفا بالعهد لا يوثر فيه
النبذ ولا يخفى ما فيه من التفخيم لشان الوفا ثم لم ينقصوكم شيئا من

شرايط العهد وفي عبارة ثم اشارة الي انهم لم يفعلوا ذلك مع تمادي العهد ولم يظاهروا
اي ولم يعاونوا عليكم احدا من اعدايكم فاتموا اليهم تفريع علي ما تقدم وبيان للمراد
من عدم جعلهم في حكم الناكثين وانما قال اليهم تضمينا لمعني الارسال اي اتموا عهدهم
الي مدتهم مرسلين اليهم يعني امر الاتمام وذلك لما اعتبر الاعلام في قرينة السابق
ذكره كان المناسب اعتباره هاهنا ايضا وفيه دفع وهم تعميم حكم النبذ لهم ايضا واما
تضمين اد وافضي ففيه التزام للجمع بين معنيين احدهما مغني عن الاخر عهدهم الي
مدتهم المدة زمان طويل الفسحة واشتقاقه من مددت له في الاجل المهلة
والمراد منتهاها هاهنا بقرينة الي التي لانتهاء الغاية فلا حاجة الي تقدير المضاف
ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه علي ان قضية التقوي اتمام العهد والتسوية
بين الوفي والغادر والنبذ مخالفة التقوي وان كان الاول مشتركا وفيه
تخصيص لما قصد بقوله من المشركين من التخصيص لبيان الوفا بالعهد فاذا
انسلخ الانسلاخ انفصال الشي عما يلابسه ملابسة التحام من سلخ الشاة
واذا كان الانفصال عما يلابسه ملابسة مجاورة والتصاق دون التحام
يقال انخلع ولا يقال انسلخ ثم الخلع والسلخ مشتركان في التعلق بما يحتوي
الشي وبه يفارق النزع فانه يتعلق بما يحويه الشي مثلا يقال نزعت الشمار
ولا يقال خلعته ولا سلخته وانما يقال لاخر الشهر يوم السلخ استعارة لعيانة السلخ
لازالة النور الاشهر الحرم وهي تسعة اشهر لبني كنانة واربعة اشهر لساير
المعاهدين المذكورة في قوله تعالي فسيحوا في الارض اربعة اشهر ومن قال التي
ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فكانه غفل عن عموم الحكم لبني كنانة وقيل هي رجب
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ويأباه ترتيب الكلام علي ما تقدم بالفا واما
رده بانه مخالف للاجماع لانه يقتضي بقا حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما ينزل
بعد ما ينسخه فليس بتام لان ناسخ الكتاب لا يلزم ان يكون من الكتاب
وعلي تقدير لزومه كما هو مذهب الشافعي يحتمل ان يكون ناسخه من الكتاب
منسوخ التلاوة فاقتلوا المشركين الناكثين عهدهم حيث وجدتموهم في
حل وحرم ولما كان التعريف في الموضعين للعهد لم يكن ملمسا لجواز قتال
المشركين في الاشهر الحرم تعلق لهذا المقام كما سبق الي بعض الاوهام وخذوهم
الاخذ الاسر ومنه الاخيذ للاسير وليس اسرهم للاسترقاق لانه لا يجوز في حق
المشرك ولهذا امر بالحبس والمراد منه الامهال في تخييرهم بين السيف
والاسلام هذا في حق الحاضر والذي في حق الغايب ما ذكر في قوله فاقعدوا لهم
الي اخره واحصروهم اي واحبسوهم ويجوز ان يكون المراد من الحصر المنع من
التبسط في البلاد ويدخل فيه دخولا اوليا من منعهم من المسجد الحرام واقعدوا
لهم كل مرصد اي مواضع الغرة قال النابغة
اعاذل ان الجهل من لذة الفتي ... وان المنايا للنفوس بمرصد

وقيل هي كل ممر

وقيل هي كل ممر ومجاز برصد ونهم لئلا يتبسطوا في البلاد وعلي هذا يكون من قبيل
التاسيس والتاكيد خير منه وانتصابه علي الظرف فان تابوا اي من المعاصي
ويدخل فيها دخولا اوليا الرجوع عن الكفر فهي متضمنة للايمان ثم قرن به اقامة
الصلاة وايتا الزكاة تنبيها علي مكانهما من الشرع ويجوز ان يكون من قبيل
الاكتفا بذكر اي العبادات البدنية والمالية عن جميع العبادات الواجبة واقاموا
الصلاة واتوا الزكاة اي التزموا التبيل العبادتين البدنية والمالية وذلك
يتضمن التصديق بنبوة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وهو المقصود الاصلي فمضمون
الكلام المذكور منطوق كلمتي الشهادة فخلوا سبيلهم تامين لهم اي فدعوهم ولا تتعرضوا
لهم بشي من ذلك ولا دلالة فيه علي ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلي سبيله
لما عرفت ان الشرط التزامها كما في قوله تعالي حتي يعطوا الجزية ان الله غفور
تعليل لما تقدم اي لان الله غفور يغفر لهم ما سلف رحيم لا يكلفهم المشاق ولا
يخفي حسن انتظامه مع المساق لتضمنه الاشارة الي وجه الاكتفا بالالتزام لما
امر به وان احد فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده لوجوب دخول حرف الشرط وانما قال
احد لعدم الرخصة لاجارة الجماعة لانها مظنة الفساد ولا يتوقف عليها تمام
المصلحة من المشركين لم يقل منهم لعدم اختصاص الحكم بهم علي ما يأتي بيانه
استجارك سالك ان تومنه وتكون جارا له ليسمع كلام الله تعالي ويتبين ما
يدعو اليه فاجره فاجبه الي ذلك حتي يسمع كلام الله تعالي خاصة اي
يفهمه ويتدبر فيعلم انه معجز من عند الله تعالي وذلك يقتضي مهلة ولهذا
قال ثم ابلغه مأمنه يعني ان لم يومن وطلب الرجوع الي موضع امنه والتعبير
عن الفهم بالسمع لانهم من اهل اللسان فيفهمون المعني كما يسمعون اللفظ
ذلك الحكم بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون اشارة الي لطف المعاملة معهم
في الاجارة وتبليغ المامن اي لا يعلمون حقيقة ما تدعون اليه فلا بد من
الامان زمانا حتي يسمعوا ويفهموا الحق فيذعنوه ويجوز ان يكون لا يعلمون
منزلا منزلة اللازم اي ليسوا من اهل العلم والمعرفة وهذا الحكم عام
ثابت ابدا كيف يكون للمشركين استفهام علي جهة التعجب والاستبعاد
ومرجعه الي الانكار علي وجه الاغلب عهد عند الله بما يومنون به من عذاب الاخرة
وعند رسوله بما يومنون به من عذاب الدنيا من القتل والاخذ وتكرار عند
للتنبيه علي اختلاف المراد وفيه سد لباب التمهيد وقيل تكرار واستبعاد
لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع غرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله
بالعهد وهم نكثوه ولا يذهب عليك ان ما ذكر معني قولنا كيف يكون لله
ورسوله عهد عند المشركين لا يعني ما قاله كيف حال عن اسم يكون
مقدمة للاستفهام وللمشركين خبره وعند الله صفة للعهد وظرف
ليكون او كيف خبر مقدم وللمشركين حال مبينة للعهد او عند الله خبر

إلا الذين عاهدتم نصب على الاستثناء أو جر على البدل أو رفع على أنه كلام مستدرك
بمعنى لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبله فما استقاموا لكم على العهد
فاستقيموا لهم عليه والفاء الأولى على الوجهين الأولين عاطفة الجملة على مقدر
أي فتربصوا أمرهم فما استقاموا لكم وعلى الثالث فالجزاء لتضمن الموصول معنى
الشرط وما شرطية وجزاء الشرط فاستقيموا أو مصدرية على معنى فاستقيموا لهم
ما استقاموا لكم والفاء الثانية مكررة للتأكيد إن الله يحب المتقين تعليل للأمر
بالاستقامة وإشعار بأن المحافظة على العهد من لوازم التقوى كيف إعادة للاستبعاد
المذكور على وجه الاختصار على طريقة الاقتصار على ذكر أول الكلام عند انفهام
التمام بمعونة المقام وأما التنبيه على العلة فحاصل بدون إعادة كيف والمعنى كيف
يكون لهم عهد عند الله وعند رسوله ولا عهد لله ولرسوله عندهم وقد عبر عن
هذا على طريقة إقامة دليل الشيء مقامه بقوله وإن يظهروا عليكم أي وحالهم
أنهم إن يظفروا بكم أصل الظهور العلو بالغلبة لا يرقبوا لا يراعوا فيكم أصل الارتقاب
بالبصر ومنه الرقيب ثم قيل لكل من حافظ على شيء وراعاه راقبه وارتقبه إلا حلفا
وقيل قرابة ولا ذمة عهدا أو حقا يعاب على إغفاله يرضونكم بأفواههم كلام
مستأنف لبيان حالهم المنافية للثبات على العهد وتقرير عدم مراعاتهم حق
الميثاق للحلف أو القرابة والإرضاء بالأفواه عبارة عن معاذيرهم الكاذبة ومواعيدهم
الباطلة وإنما ذكر الأفواه لأنه المظاهرة وتأبى قلوبهم عن الإرضاء حقيقة بما فيها
من الغوائل على خلاف ما قالوا وإنما قال وأكثرهم فاسقون لما في بعضهم من
التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر إلى الأحدوثة السوء وتوصيفهم بالفسق مع
الشرك أشد منه لرفع شأن الفسق في الذم كما أن توصيف الأنبياء عليهم السلام
بالإيمان لرفع شأن الإيمان في المدح فلا حاجة إلى التكلف في صرف الفسق عن
ظاهره اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا استبدلوا في شأن فسقهم وقد مر تفسيره في سورة
البقرة فصدوا أي أعرضوا من صد عنه يصد صدودا أو منعوا من صده عنه
يصد صدا عن سبيله أراد بالسبيل الدين الحق والإضافة إلى الله تعالى للتشريف
إنهم ساء ما كانوا يعملون المخصوص بالذم محذوف أو ما دل عليه قوله لا يرقبون
في مؤمن إلا ولا ذمة تفسيرا لما كانوا يعملون لا تكرير وأولئك هم المعتدون
المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة والواو للعطف من جهة المعنى على ما تقدم
من الجملة الإنشائية فإن تابوا أي بعد هذا كله إذ رجعوا عن الكفر إلى الإيمان
وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة قد مر تفسيره فإخوانكم فهم إخوانكم في الدين لهم
ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات اعتراض للتحريض على تدبر ما فصل
من الآيات وما بين من أحكام المشركين المعاهدين والتائبين والحث على المحافظة
عليه لقوم يعلمون فيه إشعار بأن العالم من تأمل تفصيلها والواو للعطف
على مقدر أي ننزل القرآن ونفصل الآيات وإن نكثوا أيمانهم النكث النقض وأصله

فيما بينكم ثم يحل فهو في الأيمان والعهود مستعار وإنما قال من بعد عهدهم
إظهارا لغاية قبح حال الناكثين حيث عاهدوا ثم أكدوا عهدهم بالأيمان وأفرد
العهد وجمع الأيمان لأن الأول يكون بالنيابة فعهد مقدم جماعة يكون
عهدا لهم دون الثاني فلا بد من صدور اليمين من كل واحد منهم وطعنوا الطعن
هو الاعتماد بالعيب وأصله الاعتماد بالرمح في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح
الأحكام أي أظهروا النقض المذكور بالقول ولا بد من إظهاره في إباحة القتال
وتخصيص الإظهار للإيذان بالذكر ليعلم الحكم في الإظهار بالأعلى وهو ما يكون
بالفعل بالطريق الأولى ولما كان ذكر الطعن في صدد بيان أن نقض العهد
إنما يبيح القتل والقتال إذا كان ظاهرا قولا وفعلا لم يكن في الآية دلالة على
أن الذمي إذا طعن في الدين ينكث عهده ويباح قتله فقاتلوا أئمة الكفر وضع
الظاهر موضع الضمير للدلالة على أن سياق الكلام في رؤسائهم بأن تحمل أعباء
المعاهدة إنما يكون بهم بحسب العادة فقوله من بعد عهدهم تمهيد له ولك
أن تقول إن الجزاء في الحقيقة فاقتلوهم ولما كان قتلهم مسبوقا بمقاتلة
مقدميهم ودفع مدافعة رؤسائهم عن اليمين نزلها منزلة الجزاء على طريقة
الكناية بذكر الملزوم عن اللازم وقرئ أيمة بتحقيق الهمزتين والأفصح جعل
الثانية بين بين وأما التصريح بالياء فلحن صريح إنهم لا أيمان لهم تعليل لما ذكر
على طريقة تنزيل الشيء الخالي عن الثابت منزلة العدم لا أثر لعهودهم في
المنع عن قتلهم بعد النكث فلا دلالة فيه على أن يمين الكافر ليس بيمين
وقرئ لا إيمان بالكسر يعني أن المانع عن قتلهم أخذ العهد وقد نقضوه
والإيمان ولا وجود له لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا أي
ليكن غرضكم في قتالهم انتهاؤهم عما هم عليه من الكفر والوزر وسائر العظائم
لا إيصال الأذية بهم كما هو طريقة المؤذين ألا تقاتلون معنى الهمزة
الداخلة على نفي القتال الإنكار والتوبيخ فيفيد المبالغة في الحث والتحريض
عليه وتعديد الصفات الموجبة له من نكث الإيمان والهم بإخراجه
عليه السلام والبدء بالقتال تقوية وتأكيدا بذلك قوما نكثوا أيمانهم
التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم
فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا بإخراج الرسول حين تشاوروا
بمكة في أمره حتى أذن الله تعالى له عليه السلام في الهجرة وهم بدؤوكم
أول مرة بالمعاداة والمقاتلة لأنه عليه السلام بدأهم بالدعوة وكذلكهم
بالكتاب وألزمهم بالحجة فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى المقاتلة
فهم البادئون بالقتال أتخشونهم أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم منهم
مكروه والخشية انزعاج النفس لتوقع ما لا يؤمن من الضرر وإدخال
الهمزة هنا إنكار للخشية وإيماء إلى منافاتها للإيمان على ما صرح به

بعده بقوله فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين لان الايمان يستلزم ده
تخصيص الخشية بالله تعالى وعدم المبالاة لغيره وفيه جمع بين التقريع و
التشجيع وهو ابلغ في التحريك ولما بالغ في التوبيخ على ترك القتال وبين حكمة
حردلهم الامر به صريحا ووعدهم النصر ولغلبة وتعذيب الكفار بايديهم ليكون
اوقع في نفوسهم واشد تثبيتا لقلوبهم وتقوية لعذابهم فقال قاتلوهم يعذبهم
الله بايديكم قتلا ويخزهم الله الخزي ذل يستحيي منه وينصركم عليهم النصر
المعونة بدفع الضرر وتعديته بعلى لتضمنه معنى التغليب ويشف
الشفا ملايمة النفس بما يزيل عنها الاذى صدور قوم مومنين وهم خزاعة وجه
تخصيصهم انهم الذين نقض فيهم العهد ونالهم الحرب وكان فيهم مومنون كثير
وتخصيص المومنين منهم بالذكر لان المقصود اصالة شفا صدورهم ويذهب
غيظ قلوبهم لما لقوا منهم من المكروه والغيظ امرهم بالقتال ووعد عليه هذه
الاشيا وانجزما وعد فكان الاخبار بذلك من المعجزات ويتوب الله على من يشا
كلام مبتدا واخبار بان بعض اهل مكة يتوب ويقبل الله توبته لصدقه وكان
ذلك ايضا منفصلا عما قبله لفظا ولكنه متصل به معنى اي ومن فوايد ده
القتال انه يتوب بسببه بعض من تاخل فيه وقرى ويتوب الله بالنصب على اضمار
ان وعلى دخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من حيث المعنى والله العدل
عن الضمير للتفخيم عليم لا يكون عليه خفا حكيم لا يلحقه خطا ام حسبتم ام ده
منقطعة تتضمن اضرابا عن اللفظ الاول لا عن معناه واستفهاما فهي تسد
مسد بل والالف للاستفهام والاستفهام هنا للتوبيخ على حسابهم ان تتركوا كالمهم
اي احطاتم في ظنكم انكم تتركون على ما انتم عليه دون اختبار وامتحان فانكم لا
تتركون حتى يتميز الخلص الذين جاهدوا منكم في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا
بطانة من الذين يضادون رسول الله والمومنون يوالونهم ويفشون اسرارهم
من غيرهم ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وما في لما من معنى التوقع منبهة على
ان تبين ذلك متوقع اي لم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم لما
التقى العلم مع التوقع والمراد به المبالغة في نفي المعلوم على طريق البرهاني لانه لو
وقع لكان معلوما له فلما لم يعلم لزم عدم وقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا
داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة بطانة من الولوج
وهو الدخول ووليجك صديقك الذي تطلعه على ما في داخل قلبك والله خبير
بما تعملون فيعلم علم المجاهدين المخلصين قبل وقوعه فهو كالمزج لا يقع في الوهم
من الشبهة في قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد
الله شيا منها فضلا عن المسجد الحرام والمراد هو وانما جمع لانه قبلة المساجد كلها
وامامها فعامره كعامر الجميع وقرا ابن كثير بالتوحيد في الموضعين يوافق
المعنيين لان تعريفه يحتمل العهد وفيه اشارة الى حالهم المنافية اي ما استقام

لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره اولئك حبطت
اعمالهم التي يفتخرون بها من العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة لان
الكفر الطاري يهدم الاعمال فكيف بالمقارن وفي النار هم خالدون لكفرهم دون
العصاة من المومنين انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام
الصلاة واتى الزكاة اي لا يستقيم ولا يصح عمارة مساجد الله تعالى الا ممن
جمع بين الكمالات العلمية والعملية والايمان باليوم الاخر المتضمن ه
للتصديق بالمعاد الجسماني لا يكون الا بطريق السمع فهو يفيد الا
عنا ويشمل الايمان بنبينا عليه السلام لان المعاد الجسماني لم يذكر
في غير القران من الكتب السما وية هذا هو الوجه لعدم ذكر الايمان به
عليه السلام واما قوله واقام الصلاة واتى الزكاة فلم يغن عنه لانهما
يجوزان من ساير الشرايع والعمارة تتناول رم ما استهدم منها وتنظيفها ه
وتنويرها بالمصابيح وتزيينها بالفرش واقامة الصلاة واقامة الذكر وتلاوة القران
ودراسة العلوم وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وساير الفضول ولم يخش
الا الله المراد من الخشية هو الرهبة والهيبة والانقياع اللازمة من تصور عظمة الله
تعالى لا الانفعال الجبلي الذي هو الخوف فانه ليس بارادي واما هذه فانه من لوازم
التقوى لان عظم الخالق في قلب المومن يصغر المخلوق في عينه فلا خشية له من
غيره فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين في ذكره بصيغة التوقع قطع لاطماع
المشركين في الاهتدا وتبعيد لهم عن حظانه لان الموحدين المخلصين في الاعمال
اذا كان اهتداؤهم دايرا بين عسى ولعل فكيف يطمع فيه المشركون باعمالهم المبنية
على الافتخار والريا والمباهات والتقرب بها الى العزى واللات ومنع المومنين
ان يفتخروا باحوالهم ويتكاثروا عليهم اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام
كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران ه
والحدث لا يشبه بالجثة فلا بد من مضمر مؤول عليه تقديره العمل محذوف
للايجاز تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن ده
ويعضده قراءة سقاة الحاج وعمرة المسجد او سقايته كايمان من امن
والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمومنين واعمالهم
المثبتة وقوله لا يستوون عند الله تقرير لذلك وتاكيد له وبين عدم تساويهم
بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول
عليه السلام منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله تعالى
ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين
المومنين وانما قال لا يهدي تنزيلا للهداية الواقعة في حقهم منزلة العدم
لعدم ترتب الاثر عليها الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم او

ممن لم يكن كذلك فيندرج فيه اهلهما اندراجا اوليا لكونهم مشركين واولئك هم الفائزون المختصون بالفوز دونكم او دون من عداهم والفوز بلوغ البغية اما في نيل مرغوب او نجاة من مكروه والمراد هنا الفوز الكامل فيشتملهما يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها اي الجنات نعيم النعيم لين العيش ورغده مقيم دائم وتنكير المبشر به للتعظيم وكونه فوق وصف الواصف وتعريف المعرف وفي اسناد البشارة الى ربهم زيادة تعظيم للمبشر به وتكريم للمبشر وبيان كون الرحمة منه تعالى مع كونه معلوما لا يخلو عن قصد التعظيم لها وانما اطلق الرضوان ليتنظم نوعيه المذكورين في قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه الاجور الدنيوية يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء عن ابن عباس رضي الله عنهما هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم ولم يذكر الابناء في هذه الاية اذ الاغلب في البشر ان الابناء هم التبع للاباء والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر اي اختاروه واثروه على الايمان فتعديته بعلى لتضمينه معنى الاختيار والايثار ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الموالاة غير موضعها على خلاف امر الله تعالى لما ورد التشديد في امر المهاجرة قالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخرجت ديارنا وبقينا ضايعين فنزلت قل ان كان اباؤكم وابناؤكم ذكر الابناء في هذه الاية لما جلبت ذكرهم المحبة والابناء صدر في المحبة واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فانها جماعة ترجع الى عقد واحد كعقد العشرة واموال اقترفتموها اكتسبتموها واصل الاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه الى غيره وتجارة تخشون كسادها بعني ما اشتريتموه طلبا للربح تخافون فوتها وخسرانها بفوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها منازل تعجبكم الاقامة فيها احب اليكم اراد الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ من الله ورسوله وجهاد في سبيله فيه دلالة ظاهرة على ان سياق الكلام في الحض على الهجرة فتربصوا جواب ووعيد والتربص التوقف على الانتظار حتى ياتي الله بامره وبعقوبة عاجلة واجلة وفي العدول عن حتى ياتي امر الله الى ما ذكر تفخيم للامر والله لا يهدي القوم الفاسقين فيه تنزيل لوجود الهداية في حقهم منزلة العدم لعدم الاثر وفي الاية تشديد عظيم وقلما يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة الموطن موضع الاقامة ومواطن الحرب مواقفها وهي المراد هنا ويوم حنين عطف على محل في مواطن اي موطن يوم حنين

او التقدير في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين لتناسب الامكنة او الازمنة فيقع حرف الفسق موقعه ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا يمنع ابداله منه عطفه على محل في مواطن اذ لا يقتضي العطف ه اشتراكهما فيما اضيف اليه المعطوف فلا يلزم ان تكون اعجابهم اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف قيل انهزم المسلمون يومئذ وكانوا اثني عشر الفا وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم مركزه ليس معه الا عمه العباس وابن عمه ابو سفيان رضي الله عنه وليس الامر كما قيل فان الثابتين معه عليه السلام كانوا عشرة رجال وقد اوضح عنه العباس رضي الله عنه في قوله

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من فر منهم واقشعوا

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ... بما مسه في الله لا يتوجع

وذلك العاشر ايمن ابن ام ايمن رضي الله عنه قال البراء بن عازب رضي الله عنه لقد رايته عليه السلام وانه على بغلته البيضاء وان ابا سفيان اخذ بلجامها والنبي عليه السلام يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب اول قوله تثبيت المسلمين عامة واخره تثبيت عمه ومن معه خاصة كان في ذكر جده اشعارا بان من كان من نسل جده الفرار دون الفرار وهذا نهاية الشجاعة حيث لم يخف في تلك الحالة ولم يخف الكفار على نفسه فلم تغن عنكم اي تلك الكثرة شيئا قليلا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي من الخوف كما قال الشاعر

كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل

والرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع والجار والمجرور في محل الحال اي ملتبسة برحبها ومعنى ضيق الارض عليهم مع سعتها انهم لا يجدون فيها منجا ولا مهربا يرضونه لفرط الرعب فكانها ضاقت عليهم او لا يثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل وقيل الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وتكرير الجار على اختلاف الحال وانزل جنودا لم تروها باعينكم والجنود الجموع التي تصلح للحرب والمراد هنا الملائكة وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك الجريمة العظيمة على من يشاء بالتوفيق للاسلام وهم ناس منهم والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس مصدر والافصح ان يجعل نجس خبرا على انهم النجاسة بعينها والمعنى انه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن النجاسة الا انه بولغ في وصفهم بها فجعلوا عينها للتنفير وبيان وجوب تبعيدهم عن المسجد وقرئ نجس بكسر النون والجيم وهو تخفيف نجس نعت واكثر ما جاء تبعا لرجس وعلى هذه القراءة لا بد من تقدير موصوف له كجنس او ضرب فلا يقربوا المسجد الحرام الفاء للسببية اي فلا يقربوه لهم

بسبب انهم عين النجاسة والنهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو
مذهب عطا والمراد من نهيهم ان يقربوه نهي المسلمين عن تمكينهم منه ولهذا صدر الكلام
بالخطاب لهم فلا دلالة فيه على ان الكفار يخاطبون بالفروع وقيل المراد المنع من الحج والعمرة
وعليه ابو حنيفة ويؤيده قوله **بعد عامهم هذا** فانه لولا هذه الارادة لكان مقتضى
التفريع المذكور انتظام النهي لبقية ايام هذا العام ايضا والاشارة الى سنة عشر وقيل
الى سنة تسع **وان خفتم عيلة** فقرا وسبب وروده ان المسلمين حين منعوا المشركين
من الموسم وهم كانوا يجلبون الاطعمة والتجارات قذف الشيطان في نفوسهم الخوف من
الفقر فقالوا من اين نعيش فوعدهم الله تعالى ان يغنيهم من فضله قال الضحاك
ففتح عليهم باب اخذ الجزية من اهل الذمة بقوله قاتلوا الذين الاية وقرى
عائلة وهو مصدر كالعاقبة او نعت لمحذوف اي حالا عائلة **فسوف يغنيكم الله من
فضله** من عطائه او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان فتح عليهم باب اخذ الجزية
من اهل الذمة واخذ الغنيمة من اهل دار الحرب ورفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا
لهم **ان شاء** قيده بالمشية لا ليبينه انه متفضل في ذلك لان قوله من فضله
صريح في ذلك بل لينقطع الامال اليه وينبه على وجه اختلاف الاحوال والاعوام
والاشخاص والاقوام **ان الله عليم** بمصالح العباد **حكيم** فيما حكم واراد **قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر** اي لا يؤمنون بهما على وجه يصح
ويقبل على ما مر بيانه في اوائل سورة البقرة وانما قال قاتلوا دون اقتلوا
اشارة الى اختصاص الجزية التي ينتهي عندها القتال بمن يحتمل بنيته الحراب
فلا جزية على المراة والصبي والشيخ الفاني **ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** لم
يقل او رسوله لانه عليه السلام لم يحرم شيئا الا بالوحي على المذهب الصحيح فليس
المعنى ما حرم الله بالكتاب ورسوله بالسنة لما في هذا التوزيع من ايهام استقلاله
عليه السلام في التحريم **ولا يدينون دين الحق** الثابت الذي هو ناسخ سائر
الاديان ومبطلها **من الذين اوتوا الكتاب** بيان للذين لا يؤمنون وتاكيد للحجة
التي لا بد من تقدمها على القتال لانهم كانوا يجدونه عليه السلام في التورية
والانجيل فلا دلالة فيه من جهة المفهوم على اختصاص قبول الجزية باهل الكتاب
كما لا دلالة فيه على اختصاص وجوب القتال بهم بين في الاية السابقة قتال
المشركين وبين في هذه الاية قتال اليهود والنصارى ولو قال فقاتلوا اهل الكتاب
لكفى وانما اطنب بذكر هذه الاوصاف الذميمة تحريضا للمومنين على قتالهم
لانها صفات توجب البراءة منهم والعداوة لهم **حتى يعطوا الجزية** اي يقبلوها
وهي عطية عقوبة جزاء على الكفر على ما وظفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل الذمة
وهي على وزن جلسة وقعدة لنوع من الجزاء وقيل من جزى يجزي اذا كان اهدى اليه
كانهم اعطوها جزاء ما منحوا من الامن ومن هذا المعنى قول الشاعر
يجزيك او يثني عليك وان من ۞ اثنى عليك بما فعلت كمن جزى

مد وجوب القتال الى هذه الغاية وهذا حكم اهل الكتاب بالنص وحكم المجوس كذلك بالخبر
وهو قوله عليه السلام سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي
ذبائحهم ولا يجوز هذا في مشركي العرب لقوله عليه السلام لا يقبل منهم الا الاسلام
او السيف ويجوز في الهنود والاتراك عندنا خلافا للشافعي وعند مالك يؤخذ
من كل كافر الا المرتد **عن يد** حال من الضمير واليد مجاز عن القوة والقدرة والمراد
قدرة المعطي وفايدته الاشارة الى انه لا جزية على الفقير العاجز عن الكسب
وان كان بنيته بنية الحراب وهذه الاشارة من مقتضيات المقام فلا وجه لتوزيع
محل القيد المذكور على معنى اخر كمعنى الانعام عليهم ومعنى الطاعة والانقياد
ومعنى التسليم بنفسه على ان هذين المعنيين الاخرين من لوازم القيد الاتي ذكره
فلا حاجة لافادته الى زيادة قيد اخر ومن هنا تبين انه لا وجه لان يكون
المراد من القدرة المحمول عليها قدرة الاخذ واما معنى نقدا مسلمة عن يد الى يد على انه
حال من الجزية فلا يناسب المقام لما عرفت ان الغاية حقيقة هي التقبل والالتزام
دون العطاء بالفعل **وهم صاغرون** الصغار الذل والنكال الذي يصغر قدر
صاحبه اي وهم اذلاء يأتون لاداء الجزية مشاة لا ركبانا ويؤدون قياما والاخذ
قاعدا ويؤخذ بلبيبه عند الاخذ ويحرك ويقال اد الجزية يا يهودي او
يا نصراني والجزية على ثلاث مراتب على المعتمد في السنة اثنى عشر درهما
وعلى وسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى كامل الحال ثمانية واربعون
درهما كذلك وظفها عمر رضي الله عنه وبهذه الجزية اغنانا الله تعالى عن
العيلة وهو وجه اتصال هذه الاية بالاولى **وقالت اليهود** وانما قاله بعضهم
من متقدميهم او ممن كان بالمدينة **عزير ابن الله** مبتدا وخبر وسقط التنوين
بمنع الصرف للعجمة والعلمية ومن نونه على انه جعله عربيا او لان ابن صفة
له وعلى هذا يكون الخبر متروكا غير ملفوظ ولا ملحوظ وقصر النظر على هذا
القدر من كلامهم عن خبر التمام وتمهيد للمقصود من زيادة قوله بافواههم
على احد الوجهين الاتي ذكرهما **وقالت النصارى المسيح ابن الله** هو ايضا
قول بعضهم **ذلك قولهم بافواههم** يعني انهم يذكرونه صريحا لا انه يفهم
بطريق الاستدلال من بعض افعالهم فهو لرفع التجوز في المسند فانه اهم من
دفع التجوز في الاسناد ونسبة القول الى الافواه دون الالسنة لان الاية
اولى اشمل واكمل لان من الاقوال ما لا حاجة في التلفظ به الى اللسان ويجوز ان يكون
المراد انه قول لا حقيقة له ولا معنى كالمهملات الملفوظة التي تخرج من الافواه
ولا معنى لها في القلوب **يضاهئون قول الذين كفروا** تقديره يضاهي قولهم قول
الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا
هذا ما قالوا وعندي انه على طريقة لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهديهم في كيدهم
فالمعنى يضاهونهم في القول والمضاهاة المشابهة وقرى بالهمزة من قولهم

امراة ضهيا وهي التي ضاهات الرجال في انها لا تحيض من قبل من قبلهم والمراد
المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله قاتلهم الله دعا عليهم بالهلاك فان
من قاتله الله هلك ويفهم التعجب من السياق لانه كلمة لا يفاه بها الا في موضع التعجب
من شناعة فعل قوم او قولهم ولهذا تعجب بعده من اعتقادهم وتلفظهم بالكلمة
الشنعا بقوله انى يؤفكون اي يصرفون عن الحق الى الباطل فلا مانع عن الجمع
بينهما قصدا اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله اي اتخذوا علما اليهود
وعباد النصارى كالارباب حيث احلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم الحلال
فحرموه فقوله اربابا كقوله نارا في قوله تعالى حتى اذا جعله نارا قال ابن السكيت
الحبر بالكسر المداد وبالفتح العالم والراهب ماخوذ من الرهبة وهو الذي حمله خوف
الله تعالى على ان يخلص له النية دون الناس والمسيح ابن مريم اي اتخذوه ربا
معبودا لان الرب هنا على الحقيقة ولهذا فصله عما قبله مخرجا له عن زعمهم معتدا
له باخبار عنه وانما ذكره بنسبة الى امه اظهارا لعدم صلاحيته للربوبية وفي التعبير
عنه بلقبه المشعر بالربوبية نوع تمهيد لذلك المقصود ولا يخفى ما فيه من النعي عليهم
وما امروا اي وما امر المتخذون قيل يجوز ان يكون المعنى وما امر المتخذون اربابا
فيكون كالبرهان على بطلان الاتخاذ كان هذا القائل غافل من ان الرب في غير
المسيح عليه السلام لم يتخذ على الحقيقة الا ليعبدوا الها واحدا وهو الله تعالى
ولا حاجة الى صرف العبارة عن معناها الى معنى الاطاعة حتى يحتاج الى ان تكون
طاعة الرسول عليه السلام وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهو طاعة الله تعالى
في الحقيقة لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون
تنزيه له عن الاشراك به يريدون ان يطفئوا الاطفا اذهاب نور النار ثم
استعمل في اذهاب كل نور وفي سورة الصف يريدون ليطفئوا اي يقومون لذلك
الامر ولقوة عزم ارادتهم اتى باللام لمجاز شايع فكذا عكسه شايع والقيام بالامر
عبارة عن الاهتمام بشانه نور الله بافواههم اطفا نور الله بافواههم تهكم بهم في
ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القران هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في
نور الشمس بفيه ليطفئه ويجوز ان يكون المراد من نور الله القران والاسلام
والحجج الدالة على حقيقته ويكون المراد من افواههم اقوالهم التي لا صحة لها فانها
لا تتجاوز عن الافواه الى فهم السامع وعلى هذا يكون الاطفا ترشيحا لاستعارة
النور ويابى الله الا ان يتم نوره باعزاز الاسلام واعلا كلمة التوحيد وانما جاز
الاستثنا المفرغ من الكلام الموجب لان قوله يابى الله واقع موقع لا يريد الله
الا ترى كيف قابل قوله يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم بقوله ويابى
الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون حذف جواب لو لدلالة ما قبله عليه اي
ولو كره الكافرون اتمام نور الله ابى الا اتمامه هو الذي ارسل رسوله اي محمدا عليه
السلام بالهدى بالقران كما في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ودين الحق

اي الاسلام ليظهره اي دين الحق او الرسول على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله
الا ان يتم نوره ولذلك كرر قوله ولو كره المشركون بوضع المشركين موضع
الكافرين للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله تعالى والتعريف في
الدين للجنس والظهور على الجنس انما يكون بالظهور على جميع افراده ووقت
ارساله عليه السلام انما هو سائر الاديان وظهور الدين على الدين انما يكون
بنسخه وابطاله وعلى تقدير رجوع الضمير الى الرسول عليه السلام يكون المراد
ظهوره عليه السلام على اهل سائر الاديان على تقدير المضاف يا ايها الذين امنوا
المراد بهذه الاية بيان تقابيح المذكورين قبله وفي ضمنه نهي المؤمنين عن تلك
التقابيح لما ذكر الله تعالى انهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
ذكر ما هو عليه كثير منهم تنقيصا في شانهم وتحقيرا وان مثل هولا لا ينبغي تعظيمهم
فضلا عن اتخاذهم اربابا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس
بالباطل ياخذونها بالرشى والتخفيف في الشرايع واطلق الاكل على اخذ المال
مجازا لانه معظم الغرض منه او لكونه سبب الاكل ويصدون صد يستعمل واقعا
ومجازا الى المعنى يصدون غيرهم عن سبيل الله اي عن دين الاسلام وشريعة محمد عليه
السلام او يصدون عنه في اكلهم الاموال بالباطل اي لا تتوهموا في كثير من الاحبار والرهبان
صلاحا ولا تغتروا بظاهر رايهم وسكونهم فان ذلك كله مصايد للمطامع واستجلاب
للرياسة ومكايد للصد عن سبيل الله والجر الى الضلالة قال عبد الله بن المبارك

وهل افسد الناس الا الملوك ... واحبار سوء ورهبانها

والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونها ويحفظونها في الاوعية ومنه
قولهم رجل مكتنز اي مجتمع اللحم وليس من شرط الكنز الدفن ولكن كثر في حفظ المال
ان يدفن حتى تعورف اسم الكنز في المدفون وانما خصا بالذكر لانهما قانون التمول
واثمان الاشيا فالاحتياج اليهما فيما بين الناس اكثر ولا يجوز كنزهما ومنع الناس
عن فايدتهما والذين مبتدا اسم موصول ضمن معنى اسم الشرط فلذلك دخلت
الفا في خبره في قوله لياكلون اموال الناس والفصل بينهم مقام التاكيد وان
يكون محل الموصول منصوبا عطفا على اسم ان في قوله ان كثيرا وهو اشارة
الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم
اخذ الرشا وكنز الاموال والضن بها على الانفاق في سبيل الخير واورد عليه
انه لو اريد اهل الكتاب خاصة لقيل ويكنزون بغير والذين فلما زيد والذين فقد
استونف معنى اخر يبين انه عطف جملة على جملة واما تسوية للمسلمين الكانزين
غير المنفقين بالمرتشين من اهل الكتاب باقترانهم بهم في استحقاق البشارة بالعذاب
الاليم تغليظا ونهيا عن الكنز وبعثا على الانفاق ويدل على هذا انه لما نزل كبر
على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض
الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم فعلم ان المراد بترك الانفاق في سبيل الله منع

الزكاة وقوله عليه السلام ما ادي زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكي
فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا معناه ليس بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز
مع عدم الانفاق فيما امر تعالى ان ينفق فيه على ما فهم من قوله ولا ينفقونها في
سبيل الله والضمير للفضة وحدها احالة للحكم في قرينتها على الدلالة وانما لم يعكس
مع ما فيه اعتبار جانب التذكير رعاية لجهة القرب وعلى هذه الطريقة سلك في قوله
تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا ايضا واما قوله عليه السلام
من ترك صفرا او بيضا كوي به او نحوه فالمراد منه ما لم يؤد حقها لقوله عليه
السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم
القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم
بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها اصله تحمى النار عليها اي يوقد ذات النار
حمي وشديد من قوله نار حامية فحذفت النار وقوله في نار جهنم واسند
الفعل الى الجار والمجرور فلزم تذكيره كما يقال رفعت القصة الى فلان فاذا حذفت
قيل رفع الى فلان وفي جعل الاحماء للنار والابهام باسناد الفعل الى الظرف ثم التفسير
وجعل نار جهنم مكان الاحماء من المبالغة ما ليس في قولك تحمى بالنار واما الاكتفاء بضمير
الفضة فلما مر وجهه فتكوى بها الكي الصاق الشيء الحار بالفضة جباههم وجنوبهم
وظهورهم انما خصصت هذه المواضع بالكي لانه في الجبهة اشنع وفي الجنب والظهر
اوجع لوصول الحر الى الجوف بخلاف اليد والرجل وقيل لان المعنى المانع للزكاة اذا
راى الفقير انقبض وجهه واذا ضمه والفقير مجلس ازور عنه فعارضه بجنبه واذا
امله قام وولاه ظهره هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم توبيخ لهم وتهكم بهم
اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ بها فكانت عين مضرتها وسبب تعذيبها
فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال ما كنزتم وما تكنزونه ان عدة الشهور مبلغ
عددها عند الله طرف عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا شهور السنة شمسية
كانت او قمرية كذلك الا ان المراد هنا الشهور القمرية في كتاب الله في اللوح المحفوظ
او فيما اثبته واوجبه في حكمه صفة لاثني عشر اي مثبتة فيه وقوله يوم خلق
السموات والارض اي امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والازمنة
متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا منها اربعة حرم واحد
فرد وهو رجب وثلاثة سرد وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك اي تحريم
الاشهر الاربعة الدين القيم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وكانت العرب
ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن لما كان جمع الحرم للقلة عاد الضمير عليها بالنون
تعود العرب الجذوع انكسرت لانه جمع قلة انفسكم بهتك حرمتها وعن عطا لا يحل
للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت والجمهور على
ان حرمة المقاتلة فيهن منسوخة واولوا الظلم بارتكابها في الحرم وحال الاحرام
وقيل يؤيده ما روي انه عليه السلام غزا هوازن بحنين وحاصر الطايف في شوال

وذي القعدة

وذي القعدة وفيه نظر لان غزو هوازن بحنين كان في شوال فلا تاييد فيه واما
محاصرة الطايف فقيل انه عليه السلام حاصر بقية الشهر المذكور فلما دخل ذو القعدة
انصرف عنه واتى الجعرانة واحرم منها للعمرة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
جميعا من الكف بمعنى منع كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم وقع موقع الحال
واعلموا اي كونوا على ثقة وتيقن ان الله مع المتقين بشارة لهم وضمان بالنصرة بسبب
ان تقواهم سبب لنصرهم انما النسيء مصدر نساه اذا اخره اي انما تاخير حرمة الشهر الى شهر
اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء شهر حرام وهم محاربون
احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد
وذلك قوله تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله وهي الاربعة وربما زادوا في عدة الشهور
فيجعلونها ثلاثة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال تعالى ان عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا اي من غير زيادة زادوها زيادة في الكفر لانهم لما احلوا ما حرم
الله تعالى وحرموا ما احله زادوا كفرا على كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا
يحلونه عاما الضمير للنسيء الدال عليه النسيء ويحرمونه عاما اي اذا احلوا منها شهرا
رجعوا فحرموه في العام القابل والجملتان تفسير للضلال او في موقع الحال ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل
عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت
زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي
على طريقة تنزيل وجود ما لا يترتب عليه اثره بمنزلة العدم القوم الكافرين من
وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان كفرهم مانع من قبول الهداية وترتب
الاثر يا ايها الذين امنوا هو حرف استفهام بمعنى التوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
النفر التنقل بسرعة من مكان الى مكان لامر يحدث وسبيل الله طريق طلب رضا الله
تعالى اثاقلتم الى الارض تباطأتم وتقاعدتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وقرئ
اثاقلتم على الاستفهام ومعناه الانكار والتوبيخ ضمنه معنى الميل والاخلاد فعدي
بالى اي ملتم الى الدنيا ولذاتها او ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وكرهتم مشاق
السفر والجهاد وهو العامل في اذا استفهم به واذا استفهم منع الاستفهام عمله
فيما قبله فالعامل حينئذ ما دل عليه او معنى الفعل في ما لكم كما يعمل في الحال اذا
قيل ما لك قائما كانه قيل ما تصنعون وما ذكر عبارة عن تخلفهم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتركهم الغزو واختيارهم سكنى ديارهم والتزام نخلهم وظلالهم وكان
ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطايف في وقت عسرة وقحط
بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحياة الدنيا وغرورها من الاخرة
بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا فما التمتع بها في الاخرة في جنب الاخرة
الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما
ويستبدل قوما غيركم اظهار سخط عظيم على ترك النفر والتثاقل حيث اوعدهم

عليه بعذاب مطلق متناول لعذاب الدنيا والاخرة ونكره ووصفه بالايلام وانه
يهلكهم ويستبدل بهم قوما خيرا منهم واطوع كاهل اليمن وابنا فارس ولا تضروه
شيا اي انه غني عنهم في نصرة دينه وفي كل امر لا يقدح تثاقلهم فيه شيا وقيل
الضمير للرسول عليه السلام ولا تضروه لان الله تعالى وعده بالعصمة والنصرة
ووعده حق والله على كل شي قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة
كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره من نصره حين
لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله في الماضي على انه ينصره في
المستقبل كما نصره في ذلك الوقت واقامه مقامه او فقد حكم الله بنصره واوجبه
على نفسه حين نصره في ذلك الوقت فلم يكن ليخذله في غيره ابدا اذ اخرجه الذين
كفروا اسناد مجازي لانهم الكفرة باخراجه او قتله سبب لاذن الله تعالى له
بالخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين نصب على الحال وهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه ولا يخفى ما في التعبير المذكور من التعظيم للصديق
رضي الله عنه اذ المعنى احد اثنين والعدول الى ما ذكر للاشعار بانه عليه السلام
كان ثانيا له في دخولهما الغار وقد كان كذلك اذ هما بدل من اذ اخرجه بدل البعض
اذ المراد بزمان الاخراج زمان متسع في الغار هو النقب العظيم في الجبل وهو في جبل
بمكة يقال له ثور ماخوذ من غار يغور اذا دخل في عمق اذ يقول بدل ثان او ظرف
لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن الحزن الغم الذي يغلظ على
النفس ومنه الحزن للارض الغليظة ان الله معنا بالحفظ والعون فانزل الله
سكينته منه الذي تسكن عنده القلوب والفا للتعقيب بلا مهلة وفيه نوع دلالة
على ان توكله عليه السلام على الله كان سببا للنزول المذكور وعليه اي على ابي
بكر رضي الله عنه فانه هو الخائف المحتاج الى الامن فاما النبي صلى الله عليه وسلم
فقد كان امنا ساكنا بما وعد له من النصر وايده بجنود لم تروها عطف على
قوله فقد نصره الله والمراد من الجنود الملايكة عليهم السلام والتاييد بهم
كان في حرب بدر وحنين وجعل كلمة الذين كفروا اي دعوتهم الى الكفر السفلى وكلمة
الله اي دعوته الى الاسلام هي العليا وتغيير الاسلوب للدلالة على ان الاولى اولى
بالتغيير والتبديل بخلاف الثانية فانها المستمرة الثابتة وقرى كلمة الله بالنصب
عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه على وفق ما قدمناه من الاشعار بان
كلمة الله تعالى عالية في نفسها فان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه والاعتبار وكذلك
وسط الفصل والله عزيز في انتقامه حكيم في تدبيره واحكامه انفروا خفافا
وثقالا الخفة والثقل مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة
وما ذكر في تفسيرهما من المعاني فلا وجه لتخصيص بعضها دون بعض بالارادة
بل هي معاني متفقة والتحقيق ان الناس مراجلة وتلك الاقوال انما هي على وجه
التمثيل للثقل والخفة وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذكرا كما ما يكون

من

من الجهاد وانفعه عند الله تعالى وقدمت الاموال في الذكر لانها اول مصروف وقت التجهيز
فرتب الامر كما هو في نفسه ذلكم خير لكم من الجهاد باحدهما ومن القاعد ومن تركه فلم يصب
ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير لو كان عرضا العرض خلاف النقد وقد عبر به
عن الغنيمة لانه الغالب فيها اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل الماخذ وسفرا
قاصدا متوسطا سمي قصدا لانه مما يقصد لاتبعوك فيما قصدت اليه ولكن بعدت
عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وهي القطعة من الارض التي يشق ركوبها عليه
وسيحلفون بالله اي المتخلفون عند رجوعك عن غزوة تبوك معتذرين
صاحبها لو استطعنا لو كان لنا استطاعة الخروج من جهة البدن والمال والشرطية محكية
على ان الحلف من جنس القول فلا حاجة الى تقدير لان التعدية باعتبار التضمين من
خارج جاز فجوازها باعتبار ما في ضمنها بالطريق الاولى لخرجنا معكم ساد مسد
جوابي القسم والشرط وقرى لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله
اشتروا الضلالة يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع
النفس في العذاب او حال بمعنى مهلكين والاخبار بهذا قبل وقوعه فقد كان من المعجزات
والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لكنهم كانوا مستطيعين للخروج عفا الله عنك الاخبار
عن العفو مقصود بالافادة فلا يكون كناية عن الخطا نعم يفهم منه وجود الخطا بطريق
الاقتضا وهذا من لطيف المعاتبة ولو لم يفتح باب المخاطبة بالعفو لما كان عليه
السلام يتحمل بقوله تعالى لم اذنت لهم ولا يخفى ما في تقديم العفو على ما ذكرنا
يوهم العتاب من تعظيم شانه عليه السلام والتنبيه على لطف مكانه ومن لم
ينتبه لذلك قال انه كناية عن الجناية ومعناه اخطات وبيس ما فعلت ثم انه
لم يدر ان الاذن المذكور من قبيل الخطا في الاجتهاد فهو مظنة الثواب لا العقاب
والله تعالى اعلم بالصواب والاذن رفع التبعة في الفعل حتى يتبين لك الذين
صدقوا في الاعتذار متعلق بما تقدم باعتبار المفهوم لا باعتبار المنطوق فانه
استفهام الاعتذار انكاري في معنى هلا توقفته فحاصل المعنى لم اذنت على الفور
فرجع الانكار الى كيفية الاذن لا الى نفسه وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيين لم يومر بهما اخذه للفدا واذنه للمنافقين فعاتبه
الله تعالى عليهما وقد كان هذا القايل غافلا عن ثالثهما وهو تحريمه عليه السلام
ما احل الله تعالى ابتغا لمرضات ازواجه ثم ان العتاب ليس على الاذن لما عرفت
انه بالاجتهاد والخطا فيه لا يتعلق به العتاب بل على عدم التوقف على نزول
الوحي في بيان شانهم على ما نبهت عليه انفا لا يستاذنك الذين يومنون بالله
واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك
في ان يجاهدوا فضلا ان يستاذنوك في التخلف عنه وكان الخلص من المهاجرين
والانصار يقولون لا نستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنجاهدن معه
باموالنا وانفسنا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى

وعدة لهم بثوابه **انما يستاذنك** في التخلف **الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر** تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر بالذكر في الموضعين اشعار بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال لله تعالى هو الايمان بهما والوازع عنه عدمه **وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون** يتحيرون **ولو ارادوا الخروج** اي معكم للغزو **لاعدوا له** اي للخروج **عدة** العدة ما يعد للامر ويهيا له وقرئ عدة بكسر العين اي جماعة من الالات **ولكن كره الله انبعاثهم** انطلاقهم للخروج استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج لان معناه ارادة الخروج كانه قيل ما ارادوا الخروج وتنزيل لعلة الشيء منزلته فان المعنى ولكن تثبطوا عنه لان الله تعالى كره انبعاثهم هذا ما قيل في توجيه ما ذكر وفيه وقوع لكن بابه المعنيين من جهة المعنى فالوجه ان يكون ذلك من قبيل حذف الجملة من الكلام لدلالة الباقي عليه كقوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الاية وذلك انه لما احتمل ان يتوهم ان عدم خروجهم للغزو لعدم تهيئهم لذلك حتى تهيئا وانه تدارك دفعه بما ذكر بحذوف الصدر كانه قيل ليس هذا من تقصير منك في بعثهم للخروج ولكن كره الله انبعاثهم **فثبطهم** التثبيط التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه **وقيل اقعدوا** تمثيل لالقاء الله تعالى في قلوبهم التثبط وكراهة الانبعاث او وسوسة الشيطان بامرهم بالقعود عنه او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول عليه السلام لهم وقوله **مع القاعدين** ذم لهم والحاق بالذين شانهم القعود ولزوم البيت للعجز عن القيام بمصالح الغزو من النساء والصبيان والزمنى **لو خرجوا فيكم** لم يقل معكم لان اضرارهم على تقدير خروجهم مختلطين معهم لا منفردين عنهم **ما زادوكم** شيئا **الا خبالا** الخبال الفساد في الاشياء المؤتلفة الملتحمة والزيادة لما كانت باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء لم يلزم ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا فيهم زادوه **ولا وضعوا خلالكم** الايضاع تهييج المركوب على الاسراع اي لسعوا بينكم بالنميمة وافساد ذات البين وهو مجاز يفيد المبالغة في السعي بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وتقويته حذف المفعول لما في التعميم من زيادة المبالغة بتغيير السامع كل ما شاء من الراكب كانه قيل لا وضعوا كل ما وجدوا من الركائب **يبغونكم الفتنة** حال من ضمير اوضعوا اي يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم **وفيكم سماعون لهم** اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او ضعفة مطيعون لهم يسمعون ما يامرونهم **والله عليم بالظالمين** فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم وعيد لهم من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم وايجاب الظلم للوعيد **لقد ابتغوا الفتنة** بالسعي في تشتيت امرك وتفريق اصحابك **من قبل** يعني يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بمن معه **وقلبوا لك الامور** ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال امرك **حتى جاء الحق** النصر والتاييد الالهي **وظهر امر الله** على دينه **وهم كارهون** اي غلب امر الله وشرعه على رغم منهم والاتيان لتسلية الرسول عليه السلام

والمؤمنين

والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم منه بالمبادرة الى الاذن **ومنهم من يقول ائذن لي** اي في القعود **ولا تفتني** ولا توقعني في الفتنة وهي المعصية والاثم فاني ان لم تاذن لي وتخلفت بغير اذنك اثمت اذ لا يمكنني الخروج معك فلابد لي من التخلف اذنت او لم تاذن او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك ما لي وعيالي اذ لا كافل لهم او لا تفتني ببنات الاصفر لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني **الا في الفتنة سقطوا** تقديم الظرف بعد حرف التنبيه ايذان بعظم ما وقعوا فيه وتخصيص له اي ما الفتنة الا التي وقعوا فيها وهي التخلف لا ما احترزوا عنه وما وقعوا الا فيما زعموا انهم محترزون عنه وفي عبارة سقطوا اشارة الى انهم وقعوا فيها ووقعوا فيه من غفلة وعدم تدارك **وان جهنم لمحيطة بالكافرين** وعيد لهم من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشارة الى سبب الاحاطة بهم والمراد به احاطة اسبابها فوضع المسبب موضع السبب اشعار الشدة ايجابه له كقوله تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا **ان تصبك** في بعض غزواتك **حسنة** ظفر وغنيمة **تسؤهم** لفرط حسدهم **وان تصبك** في بعضها **مصيبة** هي افة في النفس والاهل او المال واصل الصوب وقوع الشيء الى الشيء ومنه صوب الاناء اذا امليه والاصابة وقوع الشيء بما قصد به والصواب اصابة الحق **يقولوا قد اخذنا امرنا** الذي نحن مسمون به من التيقظ والحذر والعمل بالجزم **من قبل** اي من قبل ما وقع اي يتحدون بانصرافهم ويستحمدون رايهم في التخلف **ويتولوا** عن مقام التحدث بذلك الى اهليهم او عن الرسول صلى الله عليه وسلم **وهم فرحون** مسرورون **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا** يعني في اللوح المحفوظ امر الله تعالى نبينا عليه السلام ان يردع المنافقين بان يعلمهم ان الشيء الذي يعتقدونه مصيبة ليس كما اعتقدوه بل الجميع مما كتبه الله تعالى للمؤمنين فاما ان يكون ظفرا وسرورا في الدنيا واما ان يكون ذخرا للاخرة يرشدك الى هذا قوله **هو مولانا** اي الذي يتولانا فانه لتاكيد ما سبق من الاختصاص وانما قيل ان المعنى الا ما كتب الله في اللوح وجف به القلم فلا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم فلا يناسب المقام لانه لا يصلح ردا لهم ثم ان ما ذكر على وفق ما قاله الخبرية وقرئ هل يصيبنا بتشديد الياء وهو تفعيل من فيعل من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب **وعلى الله** لا على غيره **فليتوكل المؤمنون** لان حقهم ان لا يتوكلوا الا عليه جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم العلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء للعادة التسبب والتوكل تفويض الامر الى الله تعالى والرضا بتدبيره والثقة بحسن اختياره **قل هل تربصون بنا** التربص التمسك بما ينتظر به مجيئه **الا احدى الحسنيين**

احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما حسنى العواقب النصر والشهادة ونحن نتربص
بكم احدى السوأيين من العواقب أن يصيبكم الله بعذاب من عنده اي قارعة من
السماء كما نزلت على عاد وثمود او بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ذكرنا
من عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها نصب
على الحال اي طائعين او كارهين لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم
نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين
في عدم القبول كانهم امروا ان يمتحنوا فينفقوا في الحالين وينظروا هل يتقبل
منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان لا يتقبل الرسول
عليه السلام ولا ياخذ منهم وان لا يتقبل الله تعالى منهم ولا يثيب عليها وكرها يحتمل
الالزام والاكراه فيؤيد الثاني والكراهة من المنفقين فلا يرجح احدهما ولعمري
انهم لا ينفقون الا كارهين كما اخبر عنهم في الاية التي بعدها واما الطوع فهو على
سبيل الفرض لمساواة الكره في عدم القبول او ان يطيعوا من غير الزام واكراه وفي
انفسهم الكراهة انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لرد انفاقهم على سبيل
الاستيناف اذ الفسق هنا هو التمرد والعتو في الكفر فيوجب رد كل عمل وفيه تنفير
للمسلمين عن الفسق وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
لا يخفى ما في هذا التعبير من حسن التصوير لقبول النفقة بصورة امر مرغوب
مطلوب كانهم طالبوه بالطبع فان كرام العرب مجبولون على حب الانفاق له
ومنعهم اياه ما بهم من الكفر والنفاق الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما
منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم واعادة الجار للتنبيه على ان كفرهم به عليه السلام
اصالة لا تبعا لكفرهم بالله تعالى ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين
ذمهم على الكسل في الصلوة ذم على النفاق الذي يبعث على الكسل وفقد
الايمان الذي يبعث على النشاط ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون
بفعلها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا فلا تعجبك اموالهم الاعجاب بالشيء ان
يسر به سرور متعجب من حسنه راغب فيه والتفريع على ما تقدم باعتبار
ان كون المال مرغوبا يؤدي الى كراهة الانفاق اي سياق الكلام في ذمه ولا
اولادهم من الله اي فلا يسرك اموالهم ولا اولادهم مستحسنا اياها متعجبا منها
فان ذلك استدراج لهم ووبال كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا
اي بسبب ما يكابدون منها من كلف الجمع والحفظ وما ينوبهم من الشدائد
والمصائب واذاق النهب والسبي وما كلفهم الله تعالى من الانفاق في سبيل الخير
على كراهتهم اياه ومفعول يريد محذوف تقديره ايتاهم من الاموال والاولاد
وتزهق انفسهم الزهوق الخروج بصعوبة وشدة وهم كافرون في حال
كفرهم متحسرين لاهين بالتمتع بها عن النظر في العاقبة متالمين بالتعلق بها
وحبها منغصين بفراقها لما قطع رجاؤهم عن جميع منافع الاخرة بين ان الاشياء التي

يظنونها

يظنونها من باب منافع الدنيا جعلها الله تعالى اسبابا لتعذيبهم بها في الدنيا والاخرة
ويحلفون بالله عطف على مقدر تقديره ينافقون ويحلفون وما هم منكم لكفرهم الباطن
ولكنهم قوم يفرقون اي يخافون منكم على انفسهم ان تظهروا لكم ما في قلوبهم فلهذا يحلفون
انهم منكم قال تعالى اتخذوا ايمانهم جنة والفرق في الاصل انزعاج النفس بتوقع
الضرر فلا يستعمل الا في الخوف الشديد لو يجدون ملجا حصنا يلجئون اليه او مغارات
جمع مغارة من غار يغور وقال ابن عباس رضي الله عنهما المغارات الغيران والسراديب
وهي المواضع التي يستتر فيها او مدخلا مفتعل من الدخول اي مسلكا يتترس بالدخول فيه
لولوا وجوههم اليه اي لاقبلوا نحوه والضمير لاحد الثلاثة وهم يجمحون يسرعون اسراعا
لا يرده شيء من جمح الفرس اذا لم يرده اللجام ومنهم من يلمزك يعيبك قال الزجاج اللمز
التعييب مسارة والهمز التعييب مجاهرة في الصدقات في قسمتها وفي هنا بمعنى لام
السببية كما في قوله المتنبي فيه فان اعطوا منها رضوا وذكروه بالجميل وان لم يعطوا
منها اذا هم يسخطون اذا للمفاجاة نابت مناب الفاء الجزائية وما احسن مجيء جواب
هذين الشرطين لان الاول لا يلزم ان يقارنه ولا ان يعقبه بل قد يكون متاخرا
نحو ان اسلمت دخلت الجنة واما جواب الشرط الثاني فانما جاء باذا الفجائية
ليدل على انه اذا لم يعطوا فاجاهم سخطهم ولم يمكن تاخره لما جبلوا عليه من
محبة الدنيا والشره في تحصيلها ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ذكر الله تعالى
تمهيد للتنبيه على ان اعطاءه عليه السلام بامره تعالى فهو المعطي في الحقيقة
قال عليه السلام والله المعطي وانا القاسم ومفعول رضوا محذوف اي رضوا ما
اعطاهم الرسول عليه السلام وطابت به انفسهم وان قل نصيبهم وليس المعنى رضوا
عن الرسول عليه السلام لانهم ما فعلوا ولان رضاهم وسخطهم لم يكن الا لاجل
الدنيا وقالوا عطف على رضوا في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا
لهم حسبنا الله اي لكان كافينا ورازقنا من حيث يشاء فيعطينا كفايتنا وان
تاخرت سيؤتينا الله من صدقة اخرى وانما قال من فضله لان ما اتاه الله
فضل منه سوا يكسب العبد او بدونه ورسوله اي ويؤتينا رسوله عليه
السلام بامره انا الى الله اي الى رضاه تعالى راغبون لا رغبة لنا الى زخارف
الدنيا فتقديم الجار والمجرور للتخصيص انما الصدقات للفقراء والمساكين
قصر جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة المشار اليه بصيغة الجمع
على الاصناف المعدودة تصويبا لما فعله الرسول عليه السلام ورغما لانوف المنافقين
وردعا لهم عن اللمز وحسما لاطماعهم باثبات استحقاق غيرهم لها ودونهم ليسوا
منها في شيء فما لهم والكلام فيها وفي قسامها فايرادها استطراد ساق اليه الكلام
في مثالبهم ورذائلهم وظهور ما اضمروا من معاداة الرسول عليه السلام والمؤمنين
من فلتات لسانهم ولهذا توسطت بين بين ذكر المنافقين ومن ابهم بهم دو
ومعناه انما هي لهم لا لغيرهم وهو دليل على ان اللام في قسمة الزكوة لا في الغنائم والقصر

المذكور يفيد اختصاصها بالاصناف الثمانية وعدم تجاوزها الى غيرهم لا ايجاب شمولها
لهم وقسمتها على جميعهم فيحتمل استيعاب الجمع الصرف الى بعضهم فابو حنيفة اختار
الثاني وعن عمر وابن عباس وحذيفة وكثير من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين جواز
صرفها الى واحد منهم والشافعي اختار وجوب الصرف الى كل واحد منهم والتسوية
بينهم على قضية الاشتراك والمسكين من له مال وكسب ولكن لا يكفيه والفقير من
ليس له واحد منهما ولهذا قدمه وروي انه عليه السلام سال المسكنة وتعوذ من الفقر
والعاملين السعاة في جمع الصدقات وقبضها وانما قال عليها لتضمين معنى القيام
كانه قيل القائمين على جميع مصالحها وكل من يبعث معهم من عون لا يستغنى عنه
فهو منهم لانه يجتنى له شي عليهم والمولفة قلوبهم وهم كانوا اصنافا ثلاثة صنف كان
النبي عليه السلام يتالفهم ليسلموا وصنف كانوا اسلموا وفي اسلامهم ضعف فيزيدهم بذلك تقريرا
على الاسلام كل ذلك كان جهادا منه عليه السلام لاعلاء كلمة الله تعالى لان الجهاد تارة يكون
بالسنان وتارة بالبيان وتارة بالاحسان واختلف في انقطاع هذا الصنف بعزة الاسلام
وظهوره وفي الرقاب اي وللصرف في الرقاب بان يعان المكاتب بشي منها على اداء النجوم
وقيل بان يبتاع الرقاب فيعتق وقيل بان يفدى الاسارى والعدول من اللام الى في
للدلالة على ان الاستحقاق في الجهة لا في الرقاب او للايذان بانهم احق بها واقوى
استحقاقا لان في للظرفية اي هم مواضعها التي يوضع فيها لما فيها من الفك والانقاذ
من الرق والغرم والاسر وحفظ بيضة الاسلام والتخلص من الاشراف على الهلاك
والغارمين الذين يدينون لانفسهم من غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات
البين بتحمل الحمالات وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة
لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على
المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله اي وللصرف في الجهاد
بالانفاق على المتطوع وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء القنطرة والمصانع واعادة
الجار لانه من نوع اخر وابن السبيل اخر عن سبيل الله تعالى مع انه من قبيل ما سبق رعاية
لظاهر الكلام فان ابن السبيل يناسب ان يذكر بعد السبيل والمراد منه المسافر المنقطع عن
ماله وابن السبيل كالعلم فلذلك لم يجمع فريضة من الله مصدر موكد لان معنى قوله تعالى
انما الصدقات للفقراء فرض الله الصدقات لهم او حال من الضمير في قوله للفقراء وقرئ
فريضة بالرفع اي تلك الفريضة والله عليم بمواضع الاستحقاق حكيم بوضع الاشياء
مواضعها ومنهم اي المنافقين الذين يؤذون النبي روي ان جماعة منهم ذموه عليه
السلام وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم انما هو اذن سامعة
قد سمع كلام المبلغ فنأتي ونحن نأتيه فنعتذر فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فهذا
ما ذكره بقوله ويقولون هو اذن الاذن من اذا قيل له شي سمعه وحدث بشي لا
ينكره فان الاذن الذي هو جارحة السماع كذلك اي ليس فيه وراء الاستماع تمييز الحق
من الباطل واراد ذمه عليه السلام فما ذكر من قبيل التشبيه والغرض المبالغة

في الذم واما اطلاق العين على الجاسوس فمن قبيل المجاز العقلي كاطلاق العدل والغرض منه
المبالغة في المدح فابن تعذر من ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يستمع الى كلام كل من يجيء
بشي لكرمه وحسن خلقه فظن او قيل انه لسلامة قلبه وغفلته ولقد احسن من قال غاية
الجهال بما هو اية غاية كرمه وعلامة حسن همته قال عليه السلام المؤمن غر كريم والمنافق
خب لئيم قل اذن خير لكم اضاف الاذن الى الخير للمبالغة كقولك رجل صدق تريد وصفه
بالجودة والصلاح كانه مطبوع منه فلا يبين الاية نحو خاتم فضة ويختص بذلك المعنى
اراد الوصف بالخيرية كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن او اذن في الخير وفيما يجب
سماعه وقبوله لا في كل شي على الوجه الذي ذممتموه به والدليل عليه قراءة ورحمة
بالجر اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن خير لكم برفعهما منونين
على ان خير صفة له او خبر ثان او كلاهما خبر لمبتدا محذوف اي هو اذن هو خير لكم
لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء ظنكم ثم فسر بقوله يؤمن بالله اي يصدق
به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين اي يسلم لهم ما يقولون فالاختلاف في
التعدية للاختلاف في المعنى ورحمة هو رحمة اريد المبالغة في رحمته لهم فسلك مسلك
رجل عدل للذين امنوا اي اظهروا الايمان منكم حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه
تنبيه على انه عليه السلام ليس يقبل قولهم جهلا بحالهم بل يقبل ترحما لهم ورفقا بهم وقرئ
ورحمة بالنصب تعليلا لما تقدم من جهة المعنى فان اذن خير لكم في معنى ياذن لكم
رحمة والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم اظهار ذكر رسول الله لتعظيم
والايذان بان ايذاء الذي هذا شانه يوجب استحقاقهم العذاب الاليم يحلفون
بالله لكم الخطاب للمؤمنين ليرضوكم اي يحلفون على معاذيرهم بعد
الاعتذار اليكم في التخلف عن الجهاد والتكلم بالمطاعن والايذاء لتعذروهم وترضوا
عنهم والله ورسوله احق ان يرضوه ذكر الله تمهيد لتعظيم الرسول عليه
السلام وبيان ان ارضاءه ارضاء الله تعالى او ورسوله احق بالارضاء بالطاعة
والموافقة ان كانوا مؤمنين كما يزعمون لان الايمان يقتضي ابتغاء مرضات
الله تعالى ولا يسخط من سواه الم يعلموا استفهام بمعنى التوبيخ انه اي
الشان من يحادد الله ورسوله المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة
من الشق لان المتخالفين كل منهما في حد وذكر الله تعالى هنا ايضا تمهيد
فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد
قيل يجوز ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من
يحادد الله ورسوله يهلك فيكون فان له نار جهنم في موضع نصب وهذا
الذي قرره لا يصح لانهم نصوا على انه اذا حذف الجواب لدلالة الكلام عليه
كان فعل الشرط ماضيا في اللفظ او مضارعا مجزوما بلم في كلامهم انت
ظالم ان فعلت ولا يجوز ان تفعل وهنا حذف جواب الشرط وفعل الشرط
ليس ماضي اللفظ ولا مضارعا منفيا بلم وذلك ان جاء في كلامهم مخصوص

بالضرورة وايضا فتجدد الكلام ثم ما دون تعذيرهذا الجواب ذلك الهلاك الدائم
الخزي العظيم الخزي الهوان بما يستحي من مثله يحذر المنافقون خبر عن
حذرهم وقيل هو بمعنى الامر اي ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة
تنبئهم تخبرهم بما في قلوبهم لم يكن ذلك الاخبار لاعلام المخبر به بل لاعلام انه
لا يخفى على الله تعالى ولا يخفيه عن رسوله عليه السلام وفيه هتك استارهم
واظهار اسرارهم للمؤمنين ولا يخفى ما في هذا المعنى من شدة الالتئام بين اجزاء
الكلام واعتبار لطيف يناسب المقام بل التام لانتشار الضمائر ثم ان ما
ذكر على تقدير الامر ظاهر واما على تقدير الخبر فيقولون لكن شرع ما كان يطلع
الله تعالى ورسوله عليه السلام ويستهزؤن به وذلك قوله تعالى قل استهزءوا
صيغة امر وهي للتهديد ودليله ان الله مخرج من الكمون الى البروز ما تحذرون
اي ما تحذرونه من نزول السورة في اظهار اسراركم وهتك استاركم او من اظهار
مساويكم ولئن سألتهم ليقولن روي ان ركب المنافقين مروا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح
قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه عليه السلام
فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك
ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فنزلت
فما ذكر من السؤال والجواب كان مع بعضهم الا انه اسند الى الكل لاتحادهم في
المنشأ انما كنا نخوض ونلعب الاصل في الخوض دخول القدم فيما كان مائعا
من الماء والطين ثم كان وكثر حتى كان في كل دخول فيه اذى ومؤنة قل أبالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزءون تقرير للاستهزاء وتوبيخ لهم على استهزائهم
لمن يجب تعظيمه ولا يصح الاستهزاء به لان ايلاء المستهزأ به حرف الاستفهام
انما يصح بعد وقوع الاستهزاء فلم يعبأ باعتذارهم للعلم بكذبهم في ذلك وذكر الله
تمهيد لتعظيم آياته والتنبيه على ان استهزاءها راجع الى الله تعالى لا تعتذروا
اي لا تشتغلوا باعذاركم فانها معلومة الكذب لا ينفعكم بعد ظهور اسراركم قد
كفرتم بالاستهزاء والايذاء بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان يعف عن طائفة
منكم لتوبتهم واخلاصهم او لاجتنابهم عما كانوا يفعلونه من الايذاء والاستهزاء نعذب
طائفة بانهم كانوا مجرمين بكونهم مجرمين مصرين على النفاق وما كانوا
عليه المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي جنس واحد كالابعاض
للشيء الواحد غير مماثل لجنس المؤمنين تعريض بانهم ليسوا من المؤمنين وتكذيب
لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وما بعده كالدليل
عليه ببيان منافاة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف اي الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم قبض اليد
عبارة عن الشح اي يمتنعون عن الانفاق في سبيل الخير نسوا الله فنسيهم النسيان في

الاول كناية

282

الاول كناية عن الترك والمراد ترك رحمتهم وانما يعبر بالنسيان عن الترك مبالغة
اذ ابلغ وجوه الترك هو الترك الذي يقترن به النسيان ان المنافقين هم الفا
سقون الكاملون في التمرد والخروج عن دائرة الخير والمبالغة في ذمهم
بالفسق وجعله غاية في التمرد والعتو والفاروق الاعظم بينهم وبين المسلمين
تنفير للمسلمين عنه وعد الله المنافقين والمنافقات التفصيل بين الجنسين
منهم للاهتمام بشانهم لان الكلام في ذمهم والكفار اي المجاهرين بالكفر تقريبه
المقابلة وهي لا تخلو عن الدلالة الى انهم جنس آخر نار جهنم خالدين فيها
حال مقدرة وعد فانه كناية عن وقوع العذاب كانه قيل يعذبهم الله بنار جهنم
خالدين فيها هي حسبهم اشار الى عظم عذابها وانه لا مزيد عليه اي حسبهم
عقابا وعذابا اذ لا شيء ابلغ منه ولعنهم الله طردهم واهانهم مع التعذيب وقرنهم
بالشياطين الملاعين في التبعيد ففيه بيان تعذيبهم الروحاني ولهم عذاب
اي ولهم نوع من العذاب سوى المصلي بالنار مقيم دائم بهم عذاب النار كالذين
اي انتم مثل الذين من قبلكم او فعلتم مثل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
منعة وبطشا واكثر اموالا واولادا اي كانوا اشد منكم قوة واقدر فاذا كنتم
في سوء المعاملة مثلهم وفي القوة والتمرد دونهم فما يؤمنكم ان يصيبكم من العقوبة
مثل ما اصابهم ومن وجهه بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فقد وهم
فانهم فاستمتعوا بخلاقهم الخلاق النصيب من الخلق بمعنى التقدير
وهو ما خلق للانسان اي قدر له من خير كما يسمى نصيبا لانه نصب له
واثبت وتفديحه على التشبيه المذكور بقوله فاستمتعتم بخلاقكم كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم تمهيد لذمهم بذم الاولين بالاستمتاع
بما اوتوا من حظوظ الدنيا واشتغالهم بها وهو لهم بلذاتها الفانية عن
التفكر في امر الآخرة والنظر في العاقبة وطلب الفلاح وتحصيل اللذات الباقية
للتوبيخ لهم وسماجة فعلهم في انفسهم ثم يتفطنوا لقبح ما هم فيه بتشبيههم
واقتفاء آثارهم والاستمتاع طلب المنفعة وهي تحصيل ما فيه اللذة من المآكل
والمشارب والمناكح وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين
خاضوا الذي اسم ناقص يعبر به عن الواحد والجمع اولئك الذين رضوا من
آخرتهم بدنياهم حبطت بطلت اعمالهم في الدنيا والآخرة اما في الآخرة
فلانه لا ثواب لهم ولا نجاة من العذاب واما في الدنيا فلانهم قصدوا بذلك
توهين الاسلام وقهر اهله وعلو انفسهم فابطل الله تعالى كيدهم وخيب املهم
واولئك هم الخاسرون ذهب اموالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم ولو ذهب فيما لا
يضرهم ولا ينفعهم اشارة الى الاولين المستمتعين بالعلم المشبهين بهم ان استمتاعهم
وتلهيهم سبب لحبط اعمالهم في الدنيا والآخرة وخسرانهم المطلق فيرتدعوا
الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم الاستفهام للتقرير والتحذير وانبأ الخبر الذي له

شأن قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة
وقوم ابراهيم هلك نمرود ببعوض وكذا اصحابه واصحاب مدين اهلكوا
بالرجفة على ما صرح في سورة الاعراف والذين اهلكوا بالنار يوم الظلة هم
اصحاب الايكة من قوم شعيب عليه السلام فعلى هذا عدل فيما سبق من
قوم هود وقوم صالح عليهما السلام الى عاد وثمود والمؤتفكات الائتفاك
الانقلاب والمراد قرى من اهلك من المكذبين المتمردين كما يقال انقلبت عليه
الدنيا ويدخل فيهم دخولا اوليا قوم لوط ولو اريد بها قومه عليه السلام خاصة
لكان حقها ان يذكر قبل اصحاب مدين اتتهم رسلهم بالبينات الضمير لكل
ما تقدم ذكره من الامم فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته العقوبة
بلا جرم وما ابني هذا مما تقدم صدره باداة التفريع فهو كما يكون باعتبار
الوجود يكون باعتبار الظهور ولكن كانوا انفسهم يظلمون بارتكابهم ما
يوجب العقوبة وتقديم المفعول يفيد التخصيص والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض ذكر مقابلة المنافقين والمنافقات والمراد المخلصون والمخلصات
وفي العبارة المذكورة اشارة الى ان حق الايمان الاخلاص وان المنافقين ليسوا
من جنس المؤمنين والمعنى ان ذكورهم واناثهم يتوالون على الدين ويتناصرون
ويتعاونون حتى ان الرجل يخرج الى الحرب وامرأته تهيئ اسبابه وتخرج
النساء مع الرجال ايضا فيداوين الجرحى ويعالجن المرضى ويصلحن الطعام
ويحملن الماء وغير ذلك من المهمات واختيار كلمة التبعيض ثمة لشدة الارتباط
فيما بينهم وقوة اتفاقهم على الكفر والنفاق وايثار عبارة الولاية هنا للاشارة
الى ان حق الاخوة الايمانية الموالاة في المصالح الدينية وان كان معاداة في
المصالح الدنيوية يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر التعريف في الموضعين
للجنس ويقيمون الصلاة فهم يذكرون الله تعالى ويؤتون الزكاة
فلا يقبضون ايديهم والتعريفان هنا للعهد ولو حمل على الجنس نظرا الى ان
المدح بالنوافل ابلغ او من تعميم النافلة احرى باقامة الغرض لكان له وجه
ويطيعون الله ورسوله في الاوامر والنواهي اولئك سيرحمهم الله السين
مؤكدة للوعد مفيدة لوقوع الرحمة لا محالة هذا ما بحسب جليل النظر والذي
هو بحسب دقيقه انها مدخلة في الوعد مهلة لتكون النفوس تتنعم برجائه
وفضله تعالى زعيم بالانجاز ان الله عزيز اي قوي غالب قادر على قهر اعدائه
واعزاز اوليائه بجميع الوجوه حكيم يضع الاشياء مواضعها فيخص النقمة بالمنافقين
والكفار والرحمة باعدائهم على حسب استحقاقاتهم فليتعذبوا لكلا الامرين
فهو من تتمة وعيد المنافقين على وجه يتضمن وعد المؤمنين وعد الله
المؤمنين والمؤمنات فيه انتقال من التضمين والاشارة الى التصريح
اهتماما بامر البشارة جنات اي السكون والقرار فيها خالدين فيها حال اعنه

بلا تاويل ومساكن طيبة يستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث
انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن مقام معين
لما روى ابو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن
دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون
والصديقون والشهداء وهذا لا ينافي تعميم الوعد لسائر المؤمنين فان
الموعود لهم ما في حولها من الجنات قال ابن مسعود رضي الله عنه عدن
هي بطنان الجنة وسرتها ولا يجوز ان يراد به معناه اللغوي وهو الاقامة
والخلود لما فيه من التكرار في اعتبار معنى واحد وعدهم اولا بالرحمة
المطلقة اجمالا ثم فصلها وفسرها بما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها
من جنات تجري من تحتها الانهار ونكرها للتعظيم ليميل اليها طباعهم
اول ما يقرع اسماعهم ثم زاد عليها دفع وهم ما ينقص به العيش وهو
زوال تلك النعمة ثم وصفها بانها محفوفة بطيب العيش معرى عن شوائب
الكدورات التي لا يخلو شيء منها اماكن الدنيا واما زيادة قوله في جنات
عدن فدفع وهم ان تكون تلك المساكن خارجة عن الجنات ويكون
سكون المؤمنين فيها قبل الدخول في الجنة ثم وعدهم بما هو اكبر مما تقدم
ذكره فقال ورضوان من الله اكبر افرده بالذكر وتنوينه تعظيما في شأنه
اي وشيء من رضوان الله تعالى اكبر من ذلك كله لان رضاه تعالى سبب كل فوز وسعادة
وموجب كل قرب وكرامة وروي ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون
ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل
من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا
ذلك اشارة الى جميع ما وعدهم وقيل الى الرضوان خاصة لتعظيمه وفيه اخراج
ما عدا الرضوان المذكور عن حد الفوز العظيم ويأباه ما يأتي من قوله تعالى اعد
الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم فانه صريح
في دخوله في حد الفوز المذكور هو الفوز العظيم لا ما يعده الناس في الدنيا فوزا لانه
يفنى ويتغير دونه وينقص وينكد بخلافه يا ايها النبي جاهد الكفار المجاهرين بالقتل
والسبي والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود وتقديم الكفار لان جهادهم اهم
لكونه بالسنان اولا وباللسان ثانيا وجهاد المنافقين باللسان فقط واغلظ عليهم
في الجهادين قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح ومأواهم جهنم عطفه
بالواو دلالة على ان المذكور بعض ما اعد لهم فاضمر بعضه ثم عطف عليه ما ذكره
ولا يخفى ما فيه من التهويل وبئس المصير هي يحلفون بالله ما قالوا روي انه اقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل القرآن ويعيب المتخلفين
فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب

الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر هي كل لفظة ترجع الى الطعن في الدين
او في الرسول صلى الله عليه وسلم وكفروا بعد اسلامهم اي اظهروا الكفر بعد ما اظهروا الاسلام
وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك
وما نقموا وما انكروا وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله استثناء مفرغ
من اعم المفاعيل والعلل وعلى الاخير يكون الكلام على طريقة قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

او ما نقموا الا وحقه ان يشكروا ذلك انهم كانوا محاويج فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم ورسوله
من فضله الضمير لله تعالى وتوسط ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لانه الواسطة في وصول
الفضل المذكور منه تعالى اليهم فان يتوبوا يك خيرا لهم والضمير في يك للتوب وهذا
احسان منه تعالى ورفق بهم حيث فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرائم
العظيمة وهذا هو الذي حمل الجلاس على التوبة وان يتولوا بالاصرار على النفاق
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا
نصير ينجيهم من العذاب باللطف او بالعنف وانما افرد الارض بالذكر تخصيصا لما هو
المعتبر بالنفي وهذا ابلغ من ذكر السماء معه والتصريح بنفي الولي والنصير فيه ايضا ومنهم
اي من المنافقين من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن قال الضحاك هم سهل
بن الحرث وجد بن قيس ومعتب بن قشير وثعلبة بن حاطب وفيهم نزلت الاية
روي انه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق نبيا
لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود
حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرءاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه
الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي
فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت
فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب
على راسه فقال عليه السلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضي الله عنه
فلم يقبلها ثم جاء بها الى عثمان رضي الله عنه فلم يقبلها وهلك في زمن خلافته
ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج ليلائم المعطوف عليه
اعني لنصدقن مع اشارة الى الزكوة فيحسن ترتيبها عليها بناء المال اليه يقولون
بين ابنائنا من فضله ومن هاهنا قالوا الصلاح في المال بعد الصدقة في الحج والغزو فلما

اتاهم

اتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله تعالى منه وتولوا عن طاعة الله تعالى وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم اي فعلهم ذلك من البخل والتولي نفاقا متمكنا في
قلوبهم لانه كان سببا فيه والظاهر ان الضمير لله تعالى اي فجعل عاقبة فعلهم ذلك نفاقا
ثابتا في قلوبهم الى يوم يلقونه الى موتهم على النفاق ولذلك لم يقبل الخلفاء زكوة
ثعلبة والضمير لله تعالى ويوم لقائه يوم الجزاء وابتداؤه من وقت الموت او لفعلهم
والاعمال تتجسم حينئذ وتحصل الملاقاة حقيقة على ما ورد في الاحاديث الصحيحة
والمقام يقبل الى ان يموتوا تنبيها على ان يوم الجزاء ابتداؤه من وقت الموت ولهذا قال
النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب
اخلافهم ما وعدوا الله تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين
فيه فان خلف الوعد اخت الكذب يجوز استعارة اسمه له فيه وعيد بالعذاب وتهديد
بالعقاب ثم عقبه تاكيدا للوعيد بقوله الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم ما اسروه
من النفاق والعزم على اخلاف الوعد وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين
وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من ذلك
الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم او الجر على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم
واللمز قد مر تفسيره المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه باربعة الاف
درهم وامسك مثلها فبارك له فيها الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اعطاه وفيما امسك وتصدق
عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فامره صلى الله عليه وسلم ان ينثره
على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وما تصدق ابو
عقيل الا ليذكر مع الاكابر او ليذكر بنفسه ليعطى من الصدقات والله غني عن صاعه فنزلت
والذين لا يجدون الا جهدهم وقرئ بالضم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل
هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم اي يهزؤون بهم سخر الله منهم قد
مر بيانه في تفسير الله يستهزئ بهم من سورة البقرة ولهم عذاب اليم تنكير العذاب للتعظيم
ومعلوم ان العذاب لا يخلو عن الم فالتوصيف انما يفيد اذا قصد به المبالغة وتقديم
الجار والمجرور للمحافظة على الفاصلة استغفر لهم او لا تستغفر لهم اراد الخبر عن تسوية
الاستغفار وتركه في امتناع الغفران كما نص عليه في قوله تعالى فلن يغفر الله لهم
وفائدة الامر به وتركه ان يمتحن فيعلم يقينا انه لا يتفاوت في الحالين عدم الغفران
ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي انه سال عبد الله ابن ابي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا مخلصا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال
عليه السلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن
يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل
فجوز ان يكون حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون
التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال

السبعة على جملة ما هو الاصل من كسور العدد فكانها العدد باسره ذلك اشارة امتناع
الغفران وعدم تاثير الاستغفار في حقهم بانهم كفروا بالله ورسوله يعني ان ذلك لعدم
قبولهم له بسبب كفرهم وتمردهم في الفسق والعصيان ولا ينفع ولا تفصيل والله لا يهدي
قد مر انه من قبيل تنزيل الموجود منزلة المعدوم لعدم اثره القوم الفاسقين المتمردين
في كفرهم وهذا كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد
الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقطع ولا يهتدي والتنبيه على عذر النبي
صلى الله عليه وسلم في استغفاره وهو عدم يأسه عليه السلام عن ايمانهم ما لم يعلم انهم
مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون الذين لم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى غزوة تبوك التخلف المتروك خلف من مضى والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة
بمقعدهم اي بقعودهم عن الغزو في المدينة عند خروجه عليه السلام خلاف
رسول الله نصب على الظرف اي خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعد ارتحالهم ويؤيده
ويعضده قراءة ابي حيوة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف نحو قوله تعالى فضرب
اي اضربوا الرقاب ضربا وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه عليه السلام وحينئذ
يكون حالا او مفعولا له اي مخالفين له او للمخالفة وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم
ايثارا للموجود الفاني على الموجود الباقي وانفسهم ترجيحا للدعة على طاعة الله
تعالى في سبيل الله اي في طريق الغزو والاضافة الى الله تعالى للتشريف والتنبيه على
ان الغزو المحمود ما كان خالصا لله تعالى وفي ذكر حالهم هذه في معرض القدح تعريض
لحال الباذلين اموالهم وانفسهم في سبيل الله المتحملين للمشاق لوجه الله تعالى بالمدح
وقالوا حذف القول له للتفخيم اي قالوا لكل من لا قوة وقدروا على اغوائه واضلاله
لا تنفروا في الحر في وقته اي لا تخرجوا للغزو فانه وقع في شدة الحر لا بومن حرها قلة
المياه وهلاك الظهر والضعف عن المشي فعاب الله هذا من قولهم وهددهم عليه بالنار
بقوله قل نار جهنم اشد حرا فتمت عليهم الحجة بان قيل لهم فاذا كنتم تجزعون من حر
القيظ فنار جهنم اشد حرا فاحرى ان تجزعوا منها وذكره في سياق الوعيد لهم
يتضمن الدلالة على ان حالتهم هذه موجبة للتعذيب بنار جهنم لو كانوا يفقهون
الفقه الفطنة اي لو كان لهم فهم وفطنة لما رغبوا عن طاعة الله تعالى لما فيها من
التعب وهو سبب الرغبة فيها لان الاجر للعمل بقدر المشقة فيه قال عليه السلام
افضل الاعمال احمزها واما ما قيل استجهال لهم لان من تصون عن مشقة ساعة
فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل فلا يناسبه
ايضا ويفقهون على يعلمون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا الفاء للتسبب والضحك حالة تنبئ
وانبساط يظهر في وجه الانسان عن تعجب مع فرح والبكاء حالة تظهر في الوجه عن غم
مع جري الدموع على الخد والامر في الموضعين للتكوين وتجيبه على صيغة المضارع

لان كون

لان كون تلك الحال في الاستقبال وما قيل اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه
على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ومبناه على ان يكون الاخراج المذكور لنكتة
اقوى من ابقاء الاخبار على صيغته ولا يخفى ضعفه كيف وما عليه الجمهور وهو المشهور
ان اخراج الامر على صيغة الاخبار اقوى من ابقائه على حاله ويجوز ان يكون المراد
من الضحك والبكاء فرط السرور والغم ومن القلة العدم ومن الكثرة الابد جزاء بما كانوا
يكسبون من انواع المعاصي ويندرج فيه معصيتهم السابق ذكرها اندراجا اوليا
ففيه تقرير وتعيين لما دل عليه الفاء السببية والكسب اجتلاب نفع بما هو له من الاسباب
فلا ينتظم ترك الوجب والمفهوم انما يعتبر اذا لم يعارضه منطوق نص اخر والجمع بين
كان وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي واعتبارها بناسب الاخبار
عن الجزاء الرافان رجعك الله الى طائفة الفاء للتعريف على ما تقدم ورجع متعد
من الرجع بمعنى الرد والطائفة الجماعة التي من شانها ان تطوف ولهذا لا يقال
في جماعة الجار طائفة والمراد الجماعة المتخلفون وانما قال منهم لان كلهم لم
يكونوا منافقين او لان فيهم من تاب وما كان يعود الرسول صلى الله عليه وسلم
الى المدينة بطيب الخاطر وحسن الاختبار وما وصولا الى زمرة المنافقين فقد
كان بكراهة واضطرار فاوثر صيغة التعدي على اللازم للاشعار بهذه الدقيقة
الا بنيته فاستاذنوك الاستيذان طلب الاذن وهو رفع التبعة في الفعل
او الترك واصله ان يكون يقول بسمع بالاذن والفاء فصيحة عاطفة على مقدر
تقديره ثم اراد الخروج الى غزوة اخرى للخروج اي معك والخروج في الاصل هو
الانتقال عن فقل جواب شرط لن تخرجوا معي نهي عن خروجهم معه عليه السلام
الى الغزو اخرجه على صيغة الاخبار للدلالة على وقوع الامتثال عنهم بالاضطرار
وعدم قدرتهم على المخالفة ابدا الابد الزمان المستقبل من غير انتهاء الى حد ونظيره
في الماضي فقط ولن تقاتلوا معي عدوا الاول لاسقاطهم عن ديوان الغزاة خاصة
وهذا لاسقاطهم عن ديوان المجاهدين مطلقا انكم رضيتم بالقعود تعليل للنهي
المذكور وكان اسقاطهم عن الديوانين المذكورين انما عقوبة لهم عن التخلف
بالاختيار بلا كره واضطرار لا على التخلف مطلقا ولذا اشار الى هذا الى بعبارة
الرضى اول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين من النساء
والصبيان وسائر من لا يليق بالجهاد من اصحاب الاعذار ولا تصل على احد
منهم مات هذه فضيحة لهم بعد الوفاة وما ذكر قبلها خزي لهم في حال الحياة
قال قتادة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن ابي ابن سلول
في مرض موته وكان دعاه فسأله ان يصلي عليه ويقوم على قبره ويكفنه في
قميصه ففعل ذلك فنزلت الاية وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما توفي عبد الله
ابن ابي سلول وضعناه لنصلي عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا وعدد ت ايام الخبيثة فتبسم رسول الله صلى الله

عليه وسلم وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن وانصرف فوالله ما لبث
الا يسيرًا حتى نزلت ولا تصل على احد منهم الاية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدها على منافق ولا قام على قبره انما قال مات والمراد الاستقبال لانه كائن لا محالة
وقوله ابدًا منصوب ويتصل به صارت الاية محتملة لايمان كما توهمه من قال فان
احيا الكافر للتعذيب له دون التمتع فكانه لم يحي ولم يدر انه على التقدير المذكور ايضًا
لا حاجة الى التوجيه المذكور بل لا وجه له لان الحيوة في البرزخ لانها في استمرار الموت
الواقع في الدنيا ولا تقم على قبره القبر حفرة يدفن فيها الميت والمراد القيام عليه معناه
الحقيقي وهو نوع اكرام وقيل اريد به المباشرة باسباب دفنه ومواراته وعلى هذا يراد
بالقبر معناه المصدري ويندرج فيه التكفين فلا يتمشى ما قيل انما لم ينه عن التكفين في
قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كانت مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة
لالباسه العباس رضي الله عنه قميصه حين اسر ببدر على ان ما ذكره لا يصلح تعليلًا
لعدم النهي عنه لما عرفت ان نزول الاية المذكورة بعد الصلاة والتكفين فيكون النهي
على تقدير وروده عن العود الى مثله وفي بعض الروايات قيل له عليه السلام اتلبس
عدو الله قميصك قال اني لارجو ان يسلم بقميصي الف من بني الخزرج وكان كذلك
انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي على سبيل الاستئناف وماتوا وهم فاسقون
اي لقد كفروا واصروا عليه حتى ماتوا على الفسق اي الخروج عن الطاعة قال الامام
ابو منصور سمى الله تعالى الكفار والمنافقين فاسقين في ايات وان كان اسم الكافر
والمنافق ابلغ في الذم من اسم الفاسق لان اسم الفاسق يانف منه كل ذي دين فانه
خروج عما يدين به فاخبر الله تعالى انهم مع تدينهم بالباطل فاسقون في معاملاتهم
خارجون عن دياناتهم مستوجبون للمذمة بتلك الجهة ايضًا ولا تعجبك اموالهم واولادهم
قد مر تفسيره ومعنى التكرير المبالغة في التاكيد والتقرير الامر حقيق به فانه
الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والقلوب مرتبطة بها والنفوس مغتبطة عليها
وانما عطفت ههنا بالواو دون الفاء لعدم صحة التفريع على ما تقدم بخلاف ما سبق
فان للتفريع ثمة جهة على ما بين هناك انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا لا تحسبن
ان تمكين اهل النفاق من تنفيذ مرادهم وتكثير اموالهم واولادهم اسداء معروف من
الله تعالى اليهم واسباغ انعام من لدنه عليهم انما ذلك مكر بهم واستدراج لهم
وامهال لا اهمال والله [illegible] وتزهق انفسهم وهم كافرون فيعذبون بالنار
في دار القرار ابدًا واذا انزلت سورة بتمامها على الحقيقة او بعضها على المجاز
لانه علم للمجموع المعين بخلاف القران والكتاب فانه يقع كل منهما على الكل والبعض
على الحقيقة ان امنوا ان هي المفسرة بالله وجاهدوا مع رسوله اي جاهدوا الكفار
متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم استاذنك اولوا الطول منهم اي الفضل
والسعة من طال عليه طولًا وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا عن
الجهاد بعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف من النساء جمع خالفة وقيل معناه

مع الخساس من قولهم فلان خالفة قومه اذا كان دونهم في اسباب الفضل وهذا
تعيير لهم وذم وطبع على قلوبهم اي ختم عليها انما عطف على ما تقدم بالواو
دون الفاء تنبيهًا على ان الطبع المذكور ليس اثر الرضا المذكور بل الامر بالعكس
فهم لا يفقهون فضل ما في الجهاد من السعادة الاجلة على ما في تركه من الراحة
العاجلة ورجحان ما في التخلف من الشقاوة الباقية على ما في عدمه من
المشقة الزائلة وعلى هذا يظهر وجه ايثار لا يفقهون على لا يعلمون وايضًا فيه
تنبيه على ان اثر الطبع ازالة الفطنة لا ازالة الفهم راسًا فاختير بها في بناء التكليف
لكن الرسول استدراك مما تقدم من جهة المعنى فان قوله تعالى رضوا الى
اخره في معنى لم يجاهدوا اصلًا والذين امنوا معه اي المخلصين من المؤمنين وانما
قال معه افادة لمعنى التبعية له عليه السلام جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان
تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واخلص نية كقوله تعالى
فان استكبروا فالذين عند ربك لا يستكبرون صرح ههنا بما قدمه تعريضًا
واولئك لهم الخيرات انما اتى بالواو عطفًا على مضمر كانه قيل فاولئك لهم النصر
والغلبة والمراد من الخيرات انواع الغنائم فانها جمع خيرة بتخفيف خيرة وهو
المستحسن من كل شيء وكثر استعمالها في النساء ومنه ما في قوله تعالى فيهن
خيرات حسان ولهذا قيل اريد ههنا الحور واولئك هم المفلحون الذين
ادركوا بغيتهم في الاخرة والحصر في المواضع الثلاثة اضافي اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار بيان لوجه لا دركهم الخيبة خالدين فيها ذلك
الفوز العظيم قد مر ما يتعلق به من التفسير وجاء المعذرون من الاعراب
ليؤذن لهم يقال اعذرت الى فلان اي تكلمت بالعذر فعذرني اي قبل
عذري واعتذرت اليه اي اقمت العذر الصحيح على امري وعذرت
بالتشديد يراد اتيت بما هو في صورة العذر ولا عذر لي فيه حقيقة والاية
قرئت بالتخفيف وهو قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وبالتشديد وهو قراءة سائر
فبالتخفيف من اعذر وبالتشديد من اعتذر على ادغام التاء في الذال ونقل حركتها
الى العين اخبار عن قوم اتوا بالعذر الصحيح فعذروا وبالتشديد من عذر اخبار
عن اعراب تكلموا بالعذر ولا عذر لهم فلم يعذروا وفي الاية ذم لهم وجملته ان
نزول السورة في الجهاد صار الناس على اصناف منافقوا اهل المدينة وقد
ذكرهم في قوله ~~الذين امنوا وهاجروا الاية~~ استاذنك اولوا الطول منهم
والمخلصون وذكرهم في قوله والذين امنوا وهاجروا الاية واعراب اهل
البادية ممن لهم عذر حقيقة او لا عذر لهم وذكرهم الله تعالى في هذه الاية على
القرائن واخرون من الاعراب تخلفوا من غير استيذان وذكرهم في قوله
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان ودليله قراءة ابي
رضي الله عنه كذبوا الله بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب وانما قال

الذين كفروا منهم لان منهم من اعتذر للتكاسل لا للكفر عذاب اليم في الدنيا بالقتل
وفي الاخرة بالنار وقوم اخرون من ضعفاء المسلمين لم يكن لهم علة نجيا واستحانوا
وذكرهم في قوله ليس على الضعفاء الذين لا قوة لهم بسبب كبر سن او زمانة او عرج
او عمى او غيرها كالهرم ولا على المرضى الذين بهم علة يرجى زوالها الا انه لا طاقة به في
الحال ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم حرج اثم في التاخير اذا نصحوا
لله ورسوله النصح لله تعالى ولرسوله عليه السلام الايمان بهما وطاعتهما في السر
والعلن والقيام بما يعود الى الاسلام والمسلمين بالصلاح قولا وفعلا كما يفعله
الناصح لمن ينصحه ويندرج فيه اندراجا اوليا ما قيل اي لم يثبطوا غيرهم من المؤمنين
والاصحاء عن الخروج ولم يوهموهم ان قعودهم كان لجواز التخلف لكل من اراده بل بينوا
سبب تخلفهم وصنعوا القادرين عليه وقاموا باسبابهم عند خروجهم
واسباب من خلفهم بالمعونة ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح
ولا الى معاتبتهم سبيل واما وضع الظاهر موضع الضمير فللدلالة على انهم
موصوفون بصفة تنافي العتاب فيفيد المدح والتعليل والله غفور رحيم
للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء
اي ولا حرج ايضا على الاصحاء الذين لا يستطيعون المشي ويحتاجون الى
المركب وجاؤك ليستاذنوك مراكب تحملهم عليها يقال حمل الامير فلانا اذا
اعطاه مركبا قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد
كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا اتوك قائلا لا اجد تولوا جواب
اذا ويجوز ان يكون جوابا لسوال مقدر كانه قيل فما حالهم اذا اجابهم الرسول
قيل تولوا ويكون جواب اذا قوله قلت واعينهم تفيض الفيض هو السيلان
عن الامتلاء من الدمع من للبيان كما في قولك افديك من رجل وقيل محل الجار
والمجرور النصب على التمييز ورد بان التمييز الذي اصله فاعل لا يجوز جره بمن واصل
الكلام تفيض دمعها فعدل الى ما ذكر ليكون ابلغ كان العين كلها دمع فياض
حزنا مفعول له او حال او مصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا
يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم فيه دلالة على انهم
مندرجون تحت قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ويجوز
ان يكون قوله ولا على الذين معطوفا على المحسنين عطف الخاص على العام
ويحسن هذا قوله انما السبيل معرفا بالالف واللام اذ عاد على النكرة وكلمة
انما ليست للحصر بل هي للمبالغة فيما يريد تقريره كما في قولك انما الشجاع عنترة
على الذين السبيل يتعدى بوصل بعلى وبالى غير ان وصلها بعلى يقتضي ضعف المتوصل
اليه وقلة منعته فلذلك حسنت في هذه الاية يستاذنوك وهم اغنياء
واجدون الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم استيناف
كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالضعة والدناءة والانتظام

في سلك

في سلك الخوالف ايثارا للدعة وفيما بعده بيان سبب الاستيذان مع الغنى وهو
امران رضاهم بالدناءة والطبع على قلوبهم بالخذلان حتى غفلوا وجهلوا
وخامة عاقبتهم فهم لا يعلمون مغبته فتحصر المعذرون في التخلف في ثلاثة
اقسام الذين قعدوا مع الاستطاعة البدنية والذين عدموا الاستطاعة المالية
والذين استحملوه فلم يجد ما يحملهم عليه يعتذرون اليكم في التخلف خطاب
للصحابة رضي الله عنهم اذا رجعتم اليهم من هذا السفر قل لا تعتذروا بالمعاذير
الكاذبة لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق بترك
الاعتذار قد نبانا الله من اخباركم علة لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي الى
نبيه عليه السلام بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم
رؤية العمل في مثل هذا المقام يكون كناية عن فعل الرائي ما يستحقه العامل بسببه
اي سيرى الله تعالى اتنيبون اليه وتتوبون ام تثبتون على الكفر وتصرون
عليه ففيه وعيد بالاساءة في الدنيا ووعد بالاحسان فيها وتقديم عملكم على قوله
ورسوله للفصل بين الرؤيتين تنبيها على ان الثاني على حقيقته والمراد موجبه
وهو الفضاحة على تقدير الثبات على الكفر ولا يخفى انه في غاية الايجاز والفصاحة
ثم ان في عبارة التسويف اشارة الى الامهال لتدارك الانابة ففي الكلام استنابة
على العطف وجه وانما قلنا ان ما ذكر من الوعد والوعيد في الدنيا لان قوله ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة وعد ووعيد في الاخرة وفيه تدارك لما عسى ان
يذهب اليه الوهم من قوله وسيرى الله الى ما لا يليق بشانه تعالى من الحاجة
الى الرؤية وسبق علمه ببعض الاشياء بالغفلة عنه ولهذا وضع عالم الغيب
والشهادة موضع الضمير اي لا يخفى عليه خافية مما في قلوبكم ولا بادرة مما
يظهر على السنتكم وجوارحكم فيجازيكم به فينبئكم على رؤوس الاشهاد بما كنتم
تعملون تشهيرا لحالهم وتعزيزا لوباتهم وتذكيرا لما ذهب عن خيالهم ووبالهم
على ما افصح عنه في موضع اخر بقوله فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه
فيمتنون عنده المسارعة بهم الى النار ولما يحيق بهم من الخزي والعار سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم لما ذكر انه يصدر منهم الاعتذار
اخبر انهم سيؤكدون ذلك الاعتذار الكاذب بالحلف بالله وان سبب الحلف
طلبهم ان يعرضوا عنهم اعراض صفح فلا يلوموهم ولا يوبخوهم فاعرضوا عنهم
اي فاجيبوا الى طلبتهم وفي تعليل الاعراض عنهم بقوله انهم رجس دلالة على
انه اعراض مقت اي مستقذرون بما انطووا عليه من النفاق فيجب
ابعادهم واجتنابهم كما قال في الاية الاخرى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
وهذا اولى مما قيل لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل
على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير لان قوله وماواهم جهنم يفيد هذا
المعنى اي انهم ارجاس من اهل النار لا يجدي فيهم التوبيخ والانابة خير من الافادة

اليهم الآن بقاله انه تعليل اخرى وكفتهم جهنم عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا في عتابهم **جزاء بما كانوا يكسبون** مصدر مؤكد او مفعول له او حال من جهنم **يحلفون لكم** حذف ههنا المحلوف به واثبت فيما تقدم اكتفاء بذكره مرة كما في قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها وقوله تعالى **لترضوا عنهم** اي غرضهم من الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم من دنياهم **فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** اي فان رضاكم عنهم لا ينفعهم اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم لان سخط الله تعالى يورثهم عقوبة الدنيا والآخرة ورضاكم لا يستلزم رضاه والعدول عن الضمير الى الظاهر للتسجيل عليهم بالفسق والدلالة على ان سخطه تعالى عليهم مسبب عن فسقهم فلا يحصل رضاه ما داموا فاسقين وعلى ان الحكم عام وان كان سبب الورود خاصا لان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب والمراد نهيهم عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم لما ذكر حلفهم فيما سبق لاجل الاعراض جاء الامر بالاعراض هنا لانها تنوع بحسب الاعراض فيكون المعنى على مقتضى الحكمة ولا كذلك الرضا وقد ذكر ههنا الحلف لاجل الرضا وابرز النهي عنه في صورة الشرطية اخراجا له مخرج التردد فيه لانه من الامور القلبية بخلاف الاعراض فانه محسوس مشاهد وجعل جوابه انتفاء رضا الله تعالى عنهم فصار رضا المؤمنين ابعد شيء من الوقوع لان اللائق بهم ان لا يرضوا عمن لا يرضى عنهم **الاعراب** سكان البوادي **اشد كفرا ونفاقا** من اهل الحضر لانهم كانوا في البوادي ولا محالة انهم هناك اقل من خوف منافقي المدينة فالسنتهم لذلك اطلق ونفاقهم اشق ازالة القساوة قلبهم **واجدر ان لا يعلموا حدود** واحق بان لا يعلموا لبعدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيبتهم عن مجالسته وقلة ما يرد عليهم من مواعظ القرآن **ما انزل الله على رسوله** من الاوامر والنواهي لقوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها **والله عليم** بحال كل واحد من اهل الوبر والمدر **حكيم** فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ذلك العلم بعد العمل ابلغ وعد ووعيد واكمل بشارة وتهديد **ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق** يصرفه في سبيل الله ويتصدق به **مغرما** غرامة وخسرانا اي يجعله مقصده ولا يرى فيه غير ذلك اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء وتقية واصل الغرم الدين ومنه تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المغرم والمأثم ولكن كثر استعماله فيما يؤديه الانسان مما لا يلزمه بحق وفي لفظه معنى اللزوم ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراما **ويتربص بكم الدوائر** الدائرة في الاصل مصدر سمي به كالعاقبة او اسم فاعل من دار يدور سمي به عقبة الزمان التي لا تخلص عنها فهي تحيط بالشيء كما تحيط الدائرة وتحتمل ان يؤخذ من دوران الزمان اي ينتظر بكم ما يأتي به الايام وتدور به من النوائب لينقلب الامر عليكم فيتخلصوا من الانفاق عليهم

عليهم دائرة

عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما يتربصون به معترض كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم والسوء بالفتح وهو ذم الدائرة اضيف اليه كقولك رجل سوء لان من دارت اليه ذمه بالسوء وقرئ بضم السين قيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم وقال ابو علي معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه ولا يقال رجل سوء الا بفتح السين وهذا لم يختلف القراء في فتح السين في قوله تعالى ما كان ابوك امرأ سوء **والله سميع** لما يظهرونه عند الانفاق **عليم** بما يضمرونه من النفاق **ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر** لما ذكر من يتخذ ما ينفق مغرما وذكر ههنا الاصل الذي يترتب عليه انفاق المال في القربات وهو الايمان بالله تعالى واليوم الآخر اذ جاء ما ينفق انما يظهر ثوابه الدائم في الآخرة وقد اكتفى ثمة بذكر نتيجة الكفر وهو اتخاذ ما ينفق مغرما والتربص بالمؤمنين الدوائر **ويتخذ** اي يجعل مقصدا **ما ينفق قربات عند الله** سبب قربات وهو ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفته او ظرف ليتخذ **وصلوات الرسول** سبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره اقيم المسبب مقام السبب في الموضعين لقوة الاستلزام وشدة التشوق الى اللازم **الا انها قربة لهم** شهادة من الله تعالى للمتصدقين بصحة ما اعتقدوه على ابلغ الوجوه من التأكيد بالاستئناف والاداتين المفيدين للتحقيق وثبات الامر وتمكنه وتنكير قربة للتعظيم والضمير لنفقتهم **سيدخلهم الله في رحمته** تصديق لرجائهم لما في السين من تحقيق الوعد باحاطة عليهم وما اقوى دلالة هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة من الله تعالى بمكان اذا خلصت النية من صاحبها **ان الله غفور رحيم** استئناف لتقرير ما وعد لهم **والسابقون الاولون من المهاجرين** هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم الذين شهدوا بدرا **والانصار** اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على السابقون **والذين اتبعوهم** اللاحقون بالسابقين من القبيلتين والذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة **باحسان** باخلاص قال الله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن **رضي الله عنهم** لطاعتهم واعمالهم **ورضوا عنه** لما افاض عليهم نعمه الدينية والدنيوية **واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار** وقرئ من تحتها **خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم** قد مر تفسيره **وممن حولكم** اي حول بلدكم وهي المدينة **من الاعراب منافقون** وهي جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار **ومن اهل المدينة** عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته **مردوا على النفاق** اي دربوا فيه ومردوا عليه وتحوا فيه وهو يستعمل في الشر لا في الخير ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في

النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم بيان لقوله مردوا على النفاق اي بلغوا من مهارتهم فيه الحان خفي حالهم عليك مع كمال فطنتك وتصدق فراستك لتنوقهم في توقي مواقع التهم نحن نعلمهم تأكيد للبيان لافادة تقديم الضمير التخصيص اي لا يعلمهم الا الله تعالى وحده ولا يطلع على سرهم غيره لشدة ابطانهم الكفر واظهارهم الاخلاص وحمل مردوا على الاستمرار ابلغ وانسب لهذه المبالغة سنعذبهم فيه تحقيق لعذابهم بموجب على مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك الابدان ويحتمل ان لا يراد بها شفع الواحد بل يكون المعنى على التكثير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اي مرة بعد مرة ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار في دار القرار واخرون اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة من تخلفهم واعترفوا بتقصيرهم ومخالفتهم نادمين وهم طايفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال عنهم فذكر انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب واخر سيئا هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو في الخلط ابلغ من الباء لدلالتها على كون كل منهما مخلوطا او مخلوطا به بخلاف الباء لافادتها ان يكون احدهما مخلوطا به ويجوز ان يكون بمعنى الباء والمفعول محذوف وعملا بدل منه من قولهم بعت الشاة شاة ودرهما عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم قال الكلبي عسى من الله تعالى واجب اي هو اطماع واطماع الكريم ايجاب ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التايب ويتفضل عليه قال بعض العلماء المسيء منا الى مخلوق اذا خافه لم يخلصه من ذلك الا شيئان الانكار والفرار والمسيء في حق الله تعالى لا ينجيه الا شيئان الاقرار والفرار قال قايلهم

اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزه ۝ واعلم بان جحود الذنب ذنبان

خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي لهم الى مثله صفة لصدقة والتاء للخطاب او لغيبة المؤنث وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وقرئ تطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرا وتزكيهم بها الا بالاثبات التاء والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او الانماء والبركة في المال بها اي بالصدقة وصل عليهم واعطف عليهم وترحم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن قلوبهم بان الله تعالى قبل توبتهم وجمعت لتعدد المدعو لهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم عليم بما في ضمائرهم من الغم والندم وصدق التوبة الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان

يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد التحضيض عليهما ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت لا رسوله ولا غيره وياخذ الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية واخذها مجاز عن قبولها وقبولها كناية عن اعطاء الثواب في مقابلتها كما هو شان الكريم وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين مرة بعد اخرى والتفضيل عليهم بالتجاوز عما وقع بين التوبتين والواو للعطف على مقدر كانه قيل ان الله هو البر الكريم تعليل للكناية المذكورة وحذف اداة التعليل مع انه قياس وتقديمه على ما ذكر في تعليل قبول التوبة للتقريب بين التعليل والمعلل مهما امكن فتامل وقل اعملوا ما شئتم ظاهره امر وباطنه وعد ووعيد والخطاب للجميع فسيرى الله عملكم خيرا كان او شرا وقد مر بيانه ورسوله والمؤمنون وفي الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة تخرج عمله الى الناس كاينا ما كان وستردون الى عالم الغيب والشهادة قد مر بيانه وانما اتى هنا بذلك ثم حرف التعقيب لان كل ات قريب ولان الرد عند الموت وهو يحتمل في كل ان والمقام مقام التحذير فلا يناسبه اداة التسويف فينبئكم بما كنتم تعملون وعد في حق المحسن ووعيد في المسيء واخرون من المتخلفين مرجون قرئ بالهمزة من الارجاء وبغير الهمزة من ارجيته ومعناه موخرون اي موقوف امرهم لامر الله اي الى امر الله تعالى في شانهم اما يعذبهم اي ان اصروا ولم يتوبوا واما يتوب عليهم باعمالهم ونياتهم اي ان تابوا والترديد بالنسبة للعباد وفيه دلالة على ان يكون له تعالى قال والله عليم باعمالهم ونياتهم حكيم بما يفعل بهم وبعد ذلك امر التاخير دخولا اوليا وقرئ غفور رحيم والمراد بهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه رضي الله عنهم ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا عطف على اخرون او نصب على الذم او خبر مبتدا محذوف تقديره وهم الذين او مبتدا خبر محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او بالواو عاطفة الجملة على الجملة وقرئ بغير واو فاحتمل ان يكون بدلا من قوله واخرون وان يكون خبر مبتدا محذوف او مبتدا الخبر واتخذوا هنا تعدى لواحد كما في قوله اتخذت بيتا اي عملته ضرارا اي مضارة مفعول لاجله لما ذكر طرايق ذميمة لاصناف المنافقين اقوالا وافعالا ذكر ان منهم من بالغ في الشر حتى ابتنى مجمعا للمنافقين يدبرون ما شاءوا فيه من الشرور وسموه مسجدا وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم اخوانهم بنو غنم

بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابن عامر الراهب اذا قدم من
الشام وتفريقا بين المؤمنين المجتمعين على الصلوة في مسجد قبا لانهم ارادوا
ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا وترقبا لمن حارب الله لاجل من حارب
الله يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله عليه السلام الى يوم حنين انهزم
مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا ورسوله ذكر الله تعالى تمهيد لتعظيم
امر محاربته عليه السلام من قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا
من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه من قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء
الله تعالى صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت فدعا بجماعة منهم الوحشي فقال لهم
انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا واتخذ مكانه
كناسة وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى
او الارادة الحسنى وهي الصلوة والزكاة والتوسعة على المصلين فانهم قد قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اتموا بناءه انا قد بنينا مسجدا لذي
الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية والله يشهد انهم لكاذبون في
حلفهم لا تقم فيه ابدا اراد القيام للصلوة كما في قوله عليه السلام من صام
رمضان وقام لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسس لاحياء دين الله تعالى واظهار شريعته التي لا يقوم بها الا من اتقى الله تعالى
قال ابو سعيد الخدري وابي بن كعب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه
وسلم هو مسجدي هذا من اول يوم من ايام وجوده وقيل هو مسجد قبا لانه
هو اوفق للقصة والاول هو الوجه لانه لا نظر مع نظره ولانه اوفق لقوله
احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال التنكير للتعظيم يحبون
ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله تعالى وقيل من
الجنابة فلا ينامون عليها استيناف تعليلي يتضمن الاشارة الى ان صلاح جماعة
من اسباب ترجيح الصلوة في مسجدهم والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم
من جنابه ادناء المحب حبيبه روي انه عليه السلام قال يا معشر الانصار رايت
الله قد اثنى عليكم بالطهور فماذا تفعلون عند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار
الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا فيه رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس
بنيانه اي بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان على قاعدة محكمة هي التقوى
من الله تعالى وطلب مرضاته بالطاعة خير ام من اسس بنيانه على شفا
جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها الشفا الحرف والشفير
وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله السيول وتجرفه بالماء فيبقى واهيا من

من

من الجرف وهو انقلاع الشيء من اصله والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على الهدم
والسقوط لما استعار الجرف الهائر لمقابل التقوى من الباطل الذي هو الغي والنفاق
والضرار على انه شبه الحق الذي هو التقوى بقاعدة محكمة قوية على طريق الاستعارة
بالكناية ولهذا نكر التقوى للتعظيم ووصفها بكونها من الله تعالى ثم رشح الاستعارة بقوله
فانهار به في نار جهنم فان الجرف الهائر يسهل الانهيار لجوزه وقلة ثباته واستمساكه
وهو تصوير لسرعة اداء الباطل الى صاحبه في قعر جهنم كانه بني على جرف واد من
اودية جهنم جرف اصله السيل ويفهم منه ان نار سبيل الذي يقابله على امر يحفظه
عن النار ويوصله الى الرضوان الذي ادنى مقتضياته الجنة ولذلك عطف
الرضوان على التقوى وجعلا كانهما امران متلازمان وتكون كالتقوى اشعارا
بان تلازمهما بحيث كلما يلزم احدهما يلزم الاخر ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل
على ما هو المقصود من المقام منه وانما لم يقل فوقع في نار جهنم لانه ما دام حيا
امكنه ان يخلص فيتخلص ولا يقع فيها والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهديهم
من حيث هم ظالمون الى ما فيه صلاح ونجاة وتقدم ان نفي الهداية في مثل هذا
على طريقة تنزيل ما لا اثر له منزلة العدم والا فالله هادي الكل الى مصالحهم لا يزال
بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وقيل هو جمع واحده
بنيانة وحينئذ يكون الذي بمعنى الذين والاخبار بقوله ريبة في قلوبهم عن
المضاف المحذوف اي بناء بنيانهم الذي بنوها سبب ريبة فانه حملهم على ذلك ثم
لما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازدادوا نفاقا بحيث
لا يزول وسمة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية
الادراك والاضمار فالتقطيع تصوير لامتناع زوال الشك عن القلوب مع بقائها
وان زوالها لا يكون الا بزوال وهو غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة
اي وقت ان تقطع وهو في محل النصب على الظرف ويجوز ان يكون المراد
حقيقة التقطيع بالقتل او في القبور او في النار وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة
يتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم وقرئ يقطع بالياء ويقطع
بالتخفيف وتقطع على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب وقرئ ولو
قطعت على البناء والله عليم بضمائر العباد حكيم في التمييز بين اهل الصلاح
واهل الفساد فيدخل في الاول بناؤهم وفي الثانية الامر الوارد في حقهم دخولا
اوليا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة استعار الاشتراء لاثابتهم
الجنة على بذل الاموال والانفس في سبيل الله تعالى ولم يقل بالجنة مدحا لهم باعتبار
انهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد وفيه كمال ثقتهم بوعده تعالى وايضا تمام
الاستعارة المذكورة به اذ لا بد لها من قرينة مانعة عن ارادة الحقيقة ولو قيل
بالجنة لم توجد تلك القرينة لان الجنة صالحة لان يكون احد العوضين بخلاف
الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استيناف لبيان الاشتراء لا لبيان ما لاجله الشراء

وقيل خبر بمعنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم اظهارًا للاهتمام
بالماموربه كانهم سارعوا الي الامتثال فاخبرعنه فعلى هذا يكون الاشترا تمهيدًا له
فيقتلون ويقتلون تفصيل لما تقدم وبيان لاحرازهم فضيلتي الجهاد وقرى
بتقديم المبني للمفعول ومبناه على اسناد فعل البعض الى الكل وفيه دلالة على ثبات
قلوبهم وجراتهم على العدو وحيث لم ينكسروا بان قتل بعضهم كما قال تعالى وكاين
من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا وقيل في توجيهه ان الواو لا توجب الترتيب
ولا هو بجدي لان تقديم ما هو حقه التاخير لا يكون بسلامة الامر وعدًا عليه
مصدر موكد لما دل عليه قوله بان لهم الجنة حقا صفته في التورية والانجيل والقرآن
اي اوحي به الى انبيائه عليهم السلام واثبته في كتبه ومن اوفى بعهده من الله مبالغة
في انجاز الوعد وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به
غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا بباقي وتاخذون ثمنا من مشتري يبيع هو ملكه
وخص خاطبهم على سبيل الالتفات تشريفا لهم واستبشر فعل جاء فيه استفعل
بمعنى افعل وليس هذا من معنى الطلب في شي كعجب واستعجب وذلك البيع هو الفوز
العظيم لانه الوصول الى الحظ الاغبط من حط الذنوب ودخول الجنة بلا حساب
التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المومنون المذكورون
والدليل عليه قراة التائبين الى قوله والحافظين نصبًا على المدح او جرا صفة
للمومنين ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف اي التائبون الموصوفون بهذه
الصفات من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره العابدون
وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه
الصفات العابدون الذين عبدوا الله تعالى وحده مخلصين له الدين الحامدون
لنعمائه اولما نابهم من السرا والضرا السائحون اي الصائمون لقوله عليه السلام
سياحة امتي الصيام شبه بها من حيث يعوق عن الشهوات اولانه رياضة نفسانية
يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائرون للجهاد او طلب
العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة
والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انهما
بمنزلة خصلة واحدة كانه قال والجامعون بينهما في قوله والحافظون لحدود
الله اي فيما بينه وعينه من الحقايق والشرايع لانه من تمام تلك الخصلة
فان من لم يصدق فعله قوله ولم يوافق حاله مقاله لا يجري امره نفعًا ولا يفيد
نصيحه ردعا ومن لم يتنبه لهذا قال انه للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضايل
وهذا مجملها وليت شعري ما وجه الدلالة في العاطف على هذا وقيل انه للايذان
بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتدا
تعداد اخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية وتعقب باذن الله تعالى على ما
فيه موضعه وبشر المومنين يعني بهم هولا الموصوفين بتلك الفضايل ووضع

المومنين موضع ضميرهم اشعارا بان الايمان هو الباعث على هذه الخصال وان الكامل
في الايمان من كان على الصفات المذكورة وحذف المبشربه للتعظيم كانه قيل وبشرهم
لما يجل عن الوصف واحاطة الافهام والتعبير عنه بالكلام ما كان للنبي فايدة دخول
كان المبالغة في نفي الفعل الداخلة هي عليه بتعديد جهة نفيه عموما باعتبار الكون
وخصوصا باعتبار الاستغفار مثلا والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين اي يطلبوا
المغفرة لهم ولو كانوا اولي قربى روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل
كلمة احاج بها عند الله فابى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت هذه
وفيه ان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذه اخر ما نزلت بالمدينة لا يقال مما ذكر
انما يتم ان لو كانت نزول الاية عقيب موت ابي طالب وليس بلازم لجواز ان يكون النبي
عليه السلام يستغفر له الى وقت نزول الاية لانا نقول الظاهر من قول الراوي فنزلت
انما هو التعقيب بلا تراخ وانما قال للمشركين دون الكافرين لان منهم من معذور
كالذي لم تبلغه الدعوة فلا نهي عن الاستغفار لهم وذكر الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
زار قبر امه في الف فارس وهو يريد ان يستغفر لها فلما قام عند قبرها فاذا هو بجبريل
عليه السلام فوضع يده على صدره وتلا هذه الاية فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى
المسلمون فما روي يوما اشد باكيا من يوميذ من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
لا بموتهم على شرك خاصة بل به وبنزول الوحي فيه فلا يختص النهي بالذين ماتوا
على الشرك وانما قال من بعد ما تبين لعدم المنع عن الاستغفار قبل ذلك لانه
طلب التوفيق للايمان اقتضا ومن قال بحجية المفهوم امكنه دليلا على جواز الاستغفار
للاحيا من الكفار مطلقا ولما ورد النهي عن الاستغفار للمشركين قال الناس ان ابراهيم
عليه السلام استغفر لابيه المشرك فنزلت هذه الاية وما كان استغفار ابراهيم لابيه
يعني بعد موته على الشرك لان الاستغفار له قبل الموت لا يصلح متمسكا للقايل المذكور
وذلك ظاهر فلا ينطبق سبب النزول الا عن موعدة وعدها اياه وقرى اباه اي وعدها
ابراهيم عليه السلام بقوله سلام عليك سا استغفر لك ربي فانجز وعده فان انجاز الوعد
واجب ولم يكن موته على الشرك ظاهرا عنده حينيذ عليه السلام كما هو الظاهر من قوله
تعالى فلما تبين له انه عدو لله وهذا التبين عنده عليه السلام كان يوم الجزا على
ما ورد في الحديث الصحيح تبرا منه ولم يطلب مغفرته بعد ذلك ان ابراهيم استيناف
لبيان ما حمله عليه السلام على الاستغفار لابيه لاواه فعال من اوه وهو الذي يكثر
التاوه اي الترحم والتعطف وكثرة تاوهه كان يتعطف لابيه المشرك حليم صبور على
الاذى ولذلك كان يحلم عن ابيه ويتحمل اذاه ويستغفر له مع شكاسة خلقه وما
كان الله ليضل قوما اي ليحكم عليهم بالضلالة قدم وجه زيادة كان في مثل هذا المقام
ومن قال يسميهم ضلالا فقد دس فيه مذهب الاعتزال بعد اذ هداهم للاسلام
حتى يبين لهم بالنهي عبارة او دلالة ما يتقون ما يجب اتقاوه اي ليس من شانه تعالى
تكليف الغافل فالمهتدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الشرع انما يكون

ضالا اذا كان اقدمه عليه بعد بيان خطىه وكانه عذر الرسول صلى الله عليه وسلم
في الاقدام على استغفاره لهم وفيه دليل على ان تكليف الغافل غير واقع في شرايع الانبيا
عليهم السلام ان الله بكل شيء عليم فيعلم حاجة الغافل الى البيان فيعذرهم وهو تتميم
للبيان المذكور ان الله له خاصة ملك السموات والارض لا شريك له يحيي ويميت
يهدي ويضل وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين
ولو كانوا اولي قربى واشار بقوله تبرا منه الى وجوب التبري منهم بعدما تبين حالهم
بين ان الملك والحول والقوة كلها لله تعالى وانه الهادي والمضل ولا ولاية ولا نصرة
لهم الا منه ليتولوه ويتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبروا عما عداه حتى لا يبقى لهم
مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس
وهو العفو عن اذنه للمنافقين بالتخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل
هو في حق زلات سبقت منهم يوم احد وحنين قال الله تعالى انما استزلهم
الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم فعينه بحث للمؤمنين على
التوبة والمعنى ما من احد الا وهو يحتاج الى التوبة حتى النبي عليه السلام
والمهاجرين والانصار رضي الله عنهم لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ لا
احد الا وله حال سينتقص ما فيه هو بالنسبة اليها فالترقي منه اليها توبة
في تلك النقصية وفيه بيان لفضلها وشرفها بانها مقام الانبيا عليهم السلام
والصالحين رحمهم الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت السورة تدعى
الفاضحة فلما نزلت هذه الاية سميت بها سورة التوبة الذين اتبعوه اي
اتبعوا امره عليه السلام في ساعة العسرة وفي وقتها فان الساعة في اللغة
بمعنى مطلق الزمان والعسرة الضيق والشدة والعدم وهي حالهم في غزوة تبوك
كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين
كانا يقتسمان تمرة والما حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها في شدة زمانهم
من حرارة القيظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق اي بعد ما قاربوا من الميل
عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة وانما اسند زيغهم الى القلب
اظهارا لكونه بمعنى الميل القلبي لا بمعنى الانحراف القالبي منهم اي من المتبعين
له عليه السلام وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعايد عليه الضمير في منهم لم
يقل زاغت بل قال كاد تزيغ ولم يقل قلوبهم بل قال قلوب فريق منهم تنبيها على
شركة كلهم في القرار على قدم الثبات في مثل تلك الحال وامتياز كلهم عن
البا فين بقوة الثبات وفيه اشارة الى جهة استحقاقهم ان يتوب الله
تعالى عليهم وما في قوله منهم من الايهام لا يقام انهم ليسوا من المهاجرين
والانصار لعدم انحصار المتبعين له عليه السلام فيهما ما لا يخفى من التعظيم لشانهما
والترفيع لمكانهما عن مظنة التشنيع ثم تاب عليهم على الفريق الذي كاد تزيغ
قلوبهم لكيدودتهم وعلى قراة عبد الله من بعد ما زاغت لزيغهم وما تقدم

في حق زلات سبقت من المهاجرين والانصار في يوم احد وحنين لا يغني عن
هذا فلا تكرير وفي عبارة التراخي اشارة الى تاخر عفوهم الى تغلل الكدورة وبيان
جزعتهم انه بهم اشنياف تغليلي رؤف رحيم والجمع بين الاسمين للمبالغة
والتاكيد وعلى الثلاثة الذين هم الذين تقدم فيهم وآخرون مرجون
معطوف على قوله والانصار خلفوا اخروا وترك امرهم بل تقبل منهم معذرة
ولا ردت عليهم فكانهم خلفوا عن المعتذرين حتى اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت
عليهم انفسهم قلوبهم من فرط حيرة الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس
ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه الا اليه بالتوبة
والاستغفار رحانهذه الجملة في كيف اذا غاية الحسن والترتيب حيث ذكر اولا
ما هو كناية عن ضيق المحل وثانيا ما هو كناية عن ضيق الحال والاول لا يغني عن
الثاني لانه قد يضيق المحل وتكون النفس منشرحة وثالثا هو كناية عن
عن الياس عن الناس والانقطاع الى الله تعالى وحتى اذا الكلمة غاية لتغريره
وخلفوا الى هذه الغاية ثم تاب عليهم وفقهم للتوبة ليتوبوا وانزل قبول
توبتهم بتزيينة الاستيناف وليصيروا من جملة التوابين ورجع عليهم
بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم بقرينة الاستيناف
للتعليل بقوله ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في يوم الف مرة الرحيم
المتفضل عليهم باصناف النعم وهم المستحقون بانواع النعم يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين الذين صدقوا في دين الله تعالى
نية وقولا وعملا او في ايمانهم ومعاهدتهم الله تعالى ورسوله عليه السلام على
الطاعة او في توبتهم وانابتهم فيكون المراد هولا الثلاثة واضرابهم و
قرئ من الصادقين ونسبة القرائين الى المعاني المذكورة على السوا ما كان
لاهل المدينة اي ما صح وما جاز لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة واشجع
وجهينة وغفار ان يتخلفوا عن رسول الله معاتبة للمؤمنين من اهل
يثرب وقبايل العرب المجاورة لها على التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوته ونهيهم منه الامر على ابلغ وجه بملازمته عليه السلام اينما توجه
تمازيا ويبذل النفوس دونه ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي ولا ان يرغبوا
عطفا على الاول ورغب اذا تعدى بعن يفيد معنى الترك والاعراض وما ال
المعنى ولا يرضوا ان يكونوا في خفض ودعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في شدة
ونصب روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امراة حسنا فرشت
له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والما البارد فقال ظل ظليل ورطب يانع
وما بارد وامراة حسنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل
ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه في الطريق

فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة مكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا بحوز النصب والجزم ذلك اشارة الى وجوب متا
بعته عليه السلام المدلول عليه بقوله ما كان لهم ان يتخلفوا بانهم بسبب انهم لا يصيبهم
ظما عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة مفعلة من خموص البطن وهو ضمره
وكني بذلك عن حالة الجوع لانه ملازم لها والتنكير في الثلاثة للتقليل في سبيل الله في
طريق الجهاد ولا يطئون موطئا باقدامهم او ارجل خيولهم والموطا يجوز ان يكون
مصدرا وان يكون موضعا كالمبرح يغيظ الكفار وطيهم اياه ولا ينالون من عدو
لم يقل منهم اخراجا للمسلمين منهم والغيظ وهو انقباض الطبع بما يرى مما يسوءه
نيلا شيا من قتل او جرح او ضرب او اسر او تشريد او اخذ مال الا كتب
لهم به عمل صالح اي حصل لهم بكل واحد من هذه الاثار حسنة مقبولة فان كتابته كناية
عن حصوله وذلك مما يوجب المتابعة وانما قال به مع ذكر اشيا جمعا لانه لما ادخل
بين كل شيئين منها لا مكررا ولا لحما حنث بكل واحد منهما ولو قال لا ياكل خبزا
ولحما لا يحنث الا بهما جميعا ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم فيه ايذان
بان الجهاد احسان وان الاحسان موجب للاجر فيكون تعليلا لكتب اما كونه
احسانا بالنسبة الى المومنين فلما فيه صيانة حوزة الاسلام عن استيلا الكفار واما
بالنسبة الى الكفار فلانه سعي في اصلاحهم وارشادهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي
للمجنون ليشرب الدوا النافع ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وتقديم النفقة الصغيرة
مع انحطاط رتبتها عن التاخير للاهتمام بشانها لانها مظنة التحقير وعدم الالتفات بها ولا
يقطعون واديا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من
ودى اذا سال فشاع في معنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم
الله به احسن ما كانوا يعملون احسن مصدر او مفعول ثان اي يجزيهم
احسن اعمالهم او احسن جزا اعمالهم فيلحق ما دونه به تشكرا لسعيهم وتوفيرا
لاجرهم وما كان المومنون لينفروا كافة اللام لتاكيد النفي اي وما استقام
لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا
فانه يخل بامر المعاش وهو تمهيد لوجوب النفر في طلب العلم لانه فهم منه انه
لو امكن نفرا الكل ولم يود الى مفسدة لوجب وهذا لوجوب النفقة على كل
مسلم لقوله عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم فلولا نفر من كل
فرقة منهم طايفة اي فاذا لم يمكن نفير الكل لما فانه المصلحة فهلا
نفر من كل فرقة كثيرة منهم كقبيلة واهل بلدة طايفة قليلة ليتفقهوا في
الدين كلهم ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
اي ليتكلفوا الفقاهة ويتجشموا مشاق تحصيلها وليجعلوا غرضهم
في ذلك وغاية سعيهم انذار قومهم وارشادهم ارادة ان يحذروا الله

تعالى

تعالى في اجتناب معاصيه وامتثال اوامره وتخصيص الانذار بالذكر وجعله
وحده غرض التفقه وان كان العمل به اقدم واهم لانه اشرف واعلى
لان التفقه لا يكون نفعها الا عند العمل به فمن لم يعمل بما علم فليس بفقيه
ولا شك ان التكميل بعد الكمال فكان العمل داخلا في التفقه وبعد الكمال
بالعلم والعمل لا يكون الغرض منه الا التكميل وفيه دليل على ان التفقه في الدين
والتذكير من فروض الكفاية وان خبر الاحاد حجة لعموم كل فرقة فلو كانت
فرقة في قرية لوجب خروج بعضهم للتفقه وانذارهم ولوجب عمل الباقين
باخبارهم وان لم يتواتر فانه غير ممكن فيه وفي الاية وجه اخر وهو
ان المومنين بعد ما سمعوا ما انزل الله تعالى في المتخلفين في غزوة تبوك
نسبوا نفوا في الجهاد وكان اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا نفروا
عن اخرهم وانقطعوا جميعا عن سماع الوحي والتفقه فامروا ان ينفر وان
ينفر من كل فرقة طايفة ليتفقه الباقون في الدين فلا ينقطع التفقه الذي
هو الغرض من البعثة والجهاد الاكبر فان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجدال بالسيف
ولينذروا قومهم واليهم للفرقة الباقين وفي رجوع لعلهم للطايفة النافرين وفيه
تشتت الضماير وهو ان لم يكن مخلا بالفصاحة عند انتظام المعنى واستينا ف الذهن
لكن عدمه اولى فالراجح هو الوجه الاول يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم
يقربون منكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب قيل كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا اغزا رمايجا وركفار او يقاتل الا يتعد ليكون ابلغ لنوبته انه لا يبالي
ولا يخاف من تركه فنزلت الاية تعليما للمومنين امر الحرب كما علمتم ذلك في ابان اخر
من الامر باخذ الحذر واعداد ما استطاعوا من قوة وقيل ان الذين يلونهم من الاعدا
يوم نزول هذه الاية هم الروم الذين بهم ختم رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك
فكان الكلام متصلا بما تقدم من تقدم غزوة تبوك وليجدوا فيكم غلظة خشونة
وشدة وصبرا على القتال وقرى غلظة بالحركات الثلاث واعلموا قدم وجه
زيادة اعلموا في مثل هذا المقام ان الله مع المتقين بنصر من اتقاه فهو تبشير
لهم بالنصر واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول لبعضهم ايكم
زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزا بالمومنين وقرى ايكم بالنصب على
اضمار فعل زاده فاما الذين امنوا اي فاما الذين المخلصون والفا للترتيب ثم
الاخبار عنهم وعن مقابليهم على التوبيخ والتفصيل على ما تقدم فزادتهم ايمانا بزيادة
اليقين الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون
وهم يفرحون بنزولها لزيادة ايمانهم وارتفاع درجاتهم حتى يتبين ذلك في وجوههم
وبشرتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما
الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه او لان
القران للقوم شفا ولقوم شقا اولا يرون يعني المنافقين وانما فتحت الواو لانه

عاطفة دخل عليها الف الاستفهام للتوبيخ فالكلام مستانف من وجه متصل من وجه
وقرئ بتا الخطاب يعني المؤمنين والاستفهام حينئذ للتعجب اي عجبا منهم كيف
قست قلوبهم وعميت ابصارهم عما يتتابع عليهم من انواع المحن وامتحانا في الفتن انهم
يفتنون يبتلون بانواع البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاينون ما
يظهر عليه من الايات في كل عام العام هنا ليس على عمومه بل مخصص بقرينة المقام
مرة او مرتين قيل هذه الفتنة هتك استارهم واظهار اسرارهم ثم لا يتوبون من نفاقهم
ولا هم يذكرون ولا يتعظون بما يصيبهم حتى ينتهون عما هم عليه وزيادة هم لان غيرهم
يتعظون باختبارهم سنة الله تعالى ان لا يخلي ارباب التكليف من دلايل التوبيخ
والتحريك لهم في كل وقت بنوع من البيان والتحريك في كل اوان بضرب من الامتحان
فمنهم من لا يزداد بايضاح البرهان الا زيادة الخذلان والحجبة عن فرايد البيان
واذا ما انزلت سورة ذكر فيها سبق ما يحدث منهم من القول على سبيل
الاستهزاء وذكر هنا ما يحدث منهم من الفعل استهزاء نظر بعضهم الى بعض
تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم
قايلين هل يريكم من احد من المسلمين يريدون الانصراف شرالانتقاص صبرهم
على الاستماع لغلبة الضحك ولذا منعوا بتشاور ون في تدبير الخروج والانسلال
لغلبة الغيظ فان لم يرهم احد قاموا وان راهم قاموا نفاقا ثم انصرفوا عن حضرته
عليه السلام مخافة الفضيحة على التقدير بين صرف الله قلوبهم الظاهر انه خبر
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لما كان الكلام في معرض
ذكر الذكر بدئ بالفعل المنسوب اليهم بقوله ثم انصرفوا ثم ذكر فعله بهم على سبيل
المجازاة لهم في فعلهم كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ومن بلاغة القرآن وبديع
نظمه انه اذا كان القول في تعداد الذنب بدا في ترتيبه من الجهة التي هي عن المذنب
كما في المثالين المذكورين ليكون هذا اشد تعزيرا للذنب عليهم واذا كان في تعداد
نعمه تعالى بدا في ترتيبه بالجهة التي هي عنه تعالى كما في قوله ثم تاب عليهم
ليتوبوا ليكون ذلك منبها عن تلقى النعم من عنده لقد جاءكم رسول مخاطبة
للعرب على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك اذ انشا من مكانهم وجابلسانهم
وبما يفهمونه من الاعراض والفصاحة وتشرفوا به عابر الايام على سائر الامم
وقرئ من انفسكم اي اشرفكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة بقوله
عزيز عليه ما عنتم اي شديد وشاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه من سوء
العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين
خاصة ففيه تعميم من وجه وتخصيص من وجه رءوف رحيم الرافة اشد الرحمة
والرحمة اعم منها لان الرحمة تستعمل في كل نفع من الطرو والسعة والعافية وغيرها
فكان المعنى في الرؤوف الشفيق العطوف وفي الرحيم النافع المفضل فلكل منهما وجه
تقدم على الاخر وقيل قدم الرافة على الرحمة لان الرافة انما تكون باعتبار الحفظ

والصيانة

والصيانة عن الافات والنقايص التي يستحق بها العقاب والرحمة باعتبار افاضة
الكمالات والسعادات التي يستحق بها الثواب فالاولى من باب التزكية والثانية
من باب التحلية ولا تكون التحلية الا بعد التزكية وتنبيها الى الاولى بنسبة حريص
الى عزيز فان تولوا فقل اي فان اعرضوا عن الايمان بك فقل لهم وفيه تلوين الخطاب
ووجه التوبيخ ان مقتضى الرحمة والرافة لا يدعوا عليهم ولا يجازيهم بالفعل الذي
يؤذيهم اي فاقتصر على القول الجامع للترغيب والترهيب حسبي الله اي
فاستعن بالله تعالى وفوض اليه امرك فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا
اله الا هو كالدليل على التسليم والتوكل عليه توكلت فلا ارجوه ولا اخاف الا منه
وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام
والمقادير وعن ابي رضي الله عنه اخر ما نزل هاتان الايتان وقال البراء بن عازب
رضي الله عنه اخر سورة انزلت كاملة براءة ومن قال وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما نزل القرآن الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما
نزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملايكة فكانه نسي ما قدمه من قوله
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة معها
سبعون الف ملك الحديث والله اعلم

سورة يونس عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الر قرئ بفتح الراء على التفخيم وبكسرها على الامالة وقرئ بين الفتح والكسر والاصل
ترك الامالة لان الفها ليست منقلبة من اليا ومن امال قصد التنبيه على انها اسم
لاحرف تلك آيات الكتاب الحكيم تلك اشارة الى ما تضمنه السورة او القرآن
والمراد من الكتاب احدهما والاول ابلغ من حيث ان البعض اذا اشتمل بوصف الكمال
فالكل اولى والحكيم ذو الحكمة وصف به الكتاب لاشتماله عليها ويجوز ان يكون
من قبيل توصيف الكلام بصفة المتكلم كشعر شاعر للمبالغة كانه في نفسه حكيم لكثرة
حكمه وان يكون على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بحكمته فيكون استعارة
مكنية واثبات الحكمة قرينة اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجب الكفار من الايحا
ولتعجب السامعين من تعجبهم لكونه في غير المحل وعجبا خبر كان قدم على اسمه وهو
ان اوحينا لكون الانكار والتعجب راجعين اليه وقرئ عجب فجعل اسما مع كونه
نكرة لتخصصه بتقدم للناس عليه لانه في المعنى صفة له انقلبت حالا بالتقدم ولا
ستفهام خصوصا الانكاري في حكم النفي وان اوحينا خبرا على عكس ما تقدم لا على
القلب لانه خلاف الاصل لانه لا يجوز الا لنكتة بلاغية بل لان القلب المقبول هو المشتمل على
لطيفة او اعتبر كان تامة وعجب فاعلها والمعنى احدث للناس عجب لان اوحينا
واما ما قيل ان اوحينا بدل من عجبا فلا يساعده سداد المعنى اللام في للناس متعلقة
بعجبا على طريقة البيان بمعنى ان هذا العجب لهم كما في هيت لك بمعنى هذا الخطاب

لك اي انهم جعلوه اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه لهم علما في انكارهم واستهزائهم
به ولو قيل عند الناس لم يفد هذا المعنى والتعبير عنهم باسم الجنس للتحقير كما في
قولهم ومن الناس من يقول لذا فكانه قصد حقا بلتهم فيما قصدوه بقولهم الى
رجل منهم تعجبوا من ان يوحى الى رجل من افنا رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد
كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا الى الناس الا يتيم ابي طالب وذلك من فرط حماقتهم
وقصور نظرهم عن معرفة الاوصاف التي بها اختاره الله تعالى للرسالة فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ينقصه من عظمائهم في النسب والحسب والشرف وكل ما يعتبر
في الرياسة من اكرم الخصال الا المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر
الانبياء عليهم السلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه تعالى بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره
في سورة الانعام فمن خلط بين الوجهين لم يصب كما لا يخفى على ذوي الافهام ان انذر الناس
ان هي المفسرة لان في الايحا معنى القول ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة على ان الاصل انه
انذر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس وموقعه النصب باوحينا وفيه حذف الاسم والخبر
وفي الاول خلاف الكوفيين فالاولى ان تكون مصدرية تقديره بانذار الناس وذكر اسم الجنس
للتعميم للفريقين كانه قال لان انذر الناس مومنا كان او كافرا وبشر الذين امنوا خاصة
لان المبشر به مشروط بالايمان فالبشارة به ينقلب انذارا في حق الكفار لا للاستغراق
كما ذهب اليه من قال عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه لان تبليغ
الانذار ولو بارسال الخبر الى كل من في عصر النبي في وسعه عليه السلام واطلاق المومنين
للتعميم لما امن من الثقلين وبذلك يخص المقصور السابق الى الوهم من تخصيص الانذار
باحدهما لاصالته في امر البعثة لان المفهوم انما يعتبر اذا لم يعارضه المنطوق وهذا
الشرط مفقود ههنا لان العبارة وان كانت ساكتة عن العموم لكن الدلالة ناطقة
به بقرينة ما في قرينته من التعميم وانما قدم الانذار على التبشير لانه اهم ولان التحلية
بعد التخلية ان لهم في محل النصب بيبشر على حذف الباء قدم صدق سميت السابقة
والمسعاة الجميلة قدما لان السعي والسبق انما يكون بالقدم كما سميت النعمة يدا
لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق للدلالة على زيادة فضل وانها متحققة
او ان صاحبها قدمنا لها بصدق القول والنية ويجوز ان يراد به المنزلة الرفيعة
معنوية وصورية فيكون كقوله في مقعد صدق عند مليك مقتدر ويعضده
قوله عند ربهم ومن قال اي سابقة وفضلا ومنزلة ورفعة لم يصب في الجمع بين
وجهي المجاز بل بين وجوه قال الكافرون ان هذا فيه دلالة على انهم يقولونه
عند حضرته عليه السلام لساحر مبين وقرئ لسحر والاشارة الى القران وسائر
ما اتى به من الخوارق للعادات وكيفما كان ففيه اعتراف بعجزهم عن المعارضة
وتسليم لاعجازه معنى وان كانوا يطلقون عليه لفظ السحر عنادا ومكابرة
لان التعجب اولا ثم التكلم بما هو معلوم الانتفا قطعا حين عند نفس المعارض داب
العاجز ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش دليل

على عظمة شانه وكمال سلطانه بالقدرة على خلق اصول الممكنات كلها مع سعتها
وبسطها في وقت يسير وعلى عظم ملكه بالاستواء على العرش فردها واكدها بقوله
يدبر الامر لان تدبير امر الخلائق كلها بتهيئة اسبابها وترتيبها على النظام الحكمي
مما ينبئ عن العظمة ويقرره والتدبير في ادبار الامور ليقع على ما ينبغي من الوجه
الاتم الاصوب ثم زاد على تقرير معنى العظمة والكبريا والعزة والجلال بقوله ما
من شفيع الا من بعد اذنه كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له واما الرد على من
زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله تعالى فلا يتم لانهم يدعون ان الله تعالى باذن
لهم في الشفاعة ولا دلالة في الاية على عدم الاذن لهم ذلكم الله اشارة الى المعلوم
الموصوف بتلك العظمة والكبريا الموجبة لاستحقاق العبادة اي ذلكم الموصوف
بما وصف هو ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحده ولا
تشركوا به شيئا من اشرف الموجودات فضلا عن الجماد افلا تذكرون
ابعد النظر في تفرده تعالى في هذه الاوصاف الموجب لتخصيصه
بالعبادة لا تتذكرون فتنتهون بادنى تفكر على خطا ما انتم فيه اليه
لا الى غيره مرجعكم جميعا بالبعث من القبور يوم النشور ظاهره اخبار عن المال وباطنه
انذار بما فيه من سوء الحال وامر على وجه الارشاد بالاستعداد ليوم المعاد وعد
الله مصدر موكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله تعالى حقا مصدر اخر
موكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤا الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه
استئناف كالدليل لما تقدم وذلك انه تعالى لما اخبر عن وقوع الحشر والنشر ذكر بعده
ما يدل على كونه ممكن الوقوع في نفسه بقوله انه يبدؤا الخلق لان امكان الوجود
اولا يدل على امكانه ثانيا ثم ذكر ما يدل على وقوعه بقوله ثم يعيده وقيل هو
كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا لانه لما كان المقصود من الابدا والاعادة
مجازاة الله المكلفين على اعمالهم وجب ان يكون مرجع الجميع اليه ويؤيده قراءة انه
بالفتح اي لانه وبعد حذف اللام يكون منصوبا بالظرف اعني اليه ويجوز ان يكون
من غير اعتبار اللام منصوبا بوعد المحذوف مفعولا به باعتبار المعطوف اعني
ثم يعيده لان الموعود هو الاعادة لا البدؤ او مرفوعا بحقا المحذوف وقد قرئ
وعد الله على لفظ الفعل وحقا انه يبدؤا الخلق كقولك حقا ان زيدا منطلق
وقرئ يبدئ الخلق من الابدا ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط
متعلق بيجزي اي بعدله او بعدلهم وبما عدلوا بايمانهم وعملهم ولم يظلموا بالشرك
الا ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته قوله بما كانوا يكفرون والذين
كفروا لهم شراب من حميم من ماء حار متناه قد انتهى حره وهو في جهنم وعذاب اليم
اي عذاب يخلص وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكفرون غير النظم ولم يقل ويجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط للمبالغة في استحقاقهم للعقاب وللصوق

العذاب بهم وجعل ثواب الايمان والعمل الصالح غرضا دون عقاب الكفر للتنبيه على
ان المقصود بالذات من الابدا والاعادة هو الاثابة وان الله تعالى هو الذي يتولى اثابة
المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما العقاب فانه واقع بالعرض
كانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم اعمالهم هو الذي جعل الشمس ضيا
ان كان جعل بمعنى صير يكون ضيا مفعولا ثانيا وان كان بمعنى خلق يكون حالا
والضيا مصدر او جمع كضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وقرئ بهمزتين
على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اجعل نفس الشمس ضيا وعين
القمر نورا للمبالغة ولما كانت الشمس اعظم جرما خصت بالضيا لانه هو الذي
له سطوع ولمعان وهو اقوى من النور وقيل ما هو بالذات ضوء وما هو بالعرض
نور فكانه قصد بما ذكر التنبيه على ان نور الشمس ذاتي ونور القمر عرضي مستفاد
منها وقدره قدر القمر منازل اي مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر
قدرناه منازل والمراد بالمنازل البروج اذ بها ينضبط عدد الشهور والسنين
وخصص القمر بها لان المعتبر في الشرع السنة القمرية والشهر الهلالي وبهما يتعلق
احكام الشرع ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب اي حساب
الاوقات من الاشهر والايام والليالي في معاملاتكم وعباداتكم ما خلق الله ذلك
اشارة الى ما ذكر الا بالحق حال مستثناة من اعم الاحوال اي ما خلقه بحال الا
ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة الى الصواب يفصل الايات تبيين
العلامات التي يستدل بها على الحق لقوم يعلمون خصهم بالذكر بذلك لانهم
هم المنتفعون بها ان في اختلاف الليل والنهار اختلافهما تعاقبهما وكون احدهما
يخلف الاخر وتفاوتهما وكون احدهما يزيد بنقصان الاخر وما خلق الله في
السموات والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون خصهم بذلك لان الباعث على النظر و
التدبر لا يكون الا تقوى الله والحذر عن العاقبة فهم الذين يعلمونها ايات
وينتفعون بها دون غيرهم ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافونه لا لانكارهم
البعث لانه لا ينتظم مع تعليل قرينة بل لاعتمادهم على شفعائهم واستعمال
الرجا في معنى الخوف شائع كما في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقال
الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها والمراد من لقاء الله تعالى سوء الحساب
عنده تعالى وما يترتب عليه من اصابة المكروه وهذا صريح في عدم تاثير
التحذير والترهيب فيهم ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها ولا
تمشية لهذا التعليل في حق المنكرين لها ضرورة ان الانكار لامر لا يجامع الغفلة عنه
ووصفهم هذا كناية عن ان الترغيب لا يجدي نفعا في حقهم ولما احتمل ان يقال
لم لا يجوز ان يزال غفلتهم بالتنبيه والاستدلال دفعه بقوله واطمأنوا بها
اي سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فانظر الى حسن انتظام هذا المقال فمن

قال في تفسير الوصف الاول لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات
عما وراها فكما اخطا في التعليل لم يصب في المحل لانه اخل بشق الترهيب ثم قوله وذهولهم
بالمحسوسات عما وراها انما يناسب تفسير الرجا بالامل على ما هو حقيقته وحمل اللقا
على نيل الثواب على ان عبارة الذهول لا يقتضيه سوق العلم لا يناسب المقام والذين هم
عن اياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والواو بين الموصولين
للجمع بين الوصفين المتغايرين والتنبيه على ان الوعيد لها والذاتين وهي الفرقة الفارغة
عن احوال الاخرة واهوالها الراضية بالحياة الدنيا والتي الهاهم حب العاجل عن التامل
في الآجل والاعداد له اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به
من المعاصي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب
ايمانهم الى سلوك السبيل المؤدي الى الجنة ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا
وتفسيرا له او يهديهم في الاخرة بسبب نور ايمانهم الى الجنة كقوله تعالى يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم او لما يريدونه في الجنة وعلى هذا
يكون تجري خبرا ثانيا لان او حالا من الضمير المنصوب في يهديهم وجعل التمسك بسبب
السعادة نفس الوصول اليها كان هدايتهم الى الطريق هدايتهم الى المقصود بسرعة
الادا اليه في جنات النعيم متعلق بتجري او بيهدي او خبر او حال اخر من الضمير
المذكور او من الانهار ولا يخفى على من اتصف بالتجنب عن التعسف انصف لان
الجمع بين الايمان والعمل الصالح ظاهر في انه السبب لا سيما في مقام الترغيب في
اكتساب اسباب حسن اللقا واجتناب اسباب سوء الجزاء التصريح بسببية
الايمان المضاف الى الذين امنوا وعملوا الصالحات كالتنصيص على انه ذلك الايمان
المقرون بالعمل الصالح لا مطلق الايمان غاية الامر انه ذكر لاصالته وزيادة شرفه
فلا يكون ذكره مستدركا ولا دالا على استقلال الايمان وبهذا التفصيل اندفع ما قيل
ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل
منطوق قوله تعالى بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح
كالتتمة والرديف قيل ولا مخالف لما ذكر من اهل السنة والجماعة لان العصاة غير
مهتدين واما ان كل من لم يكن مهتديا فهو خالد في النار فهو ممنوع ودعوى ذلك
غاية المكابرة ولا وجه له لان الكلام في الهداية بسبب الايمان الى سلوك السبيل
المؤدي الى الجنة وعصاة المؤمنين مهتدين بهذه الهداية ولا خلاف في ان من
لا يكون مهتديا بهذه الهداية لا يدخل الجنة فالصواب في الجواب عن تمسك المخالف
بهذه الاية انها معارضة بمثل قوله تعالى وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اعدت للذين امنوا بالله ورسله فان فيه دلالة على الايمان وحده كاف في استحقاق
ما اعد له والامر في النصوص التوقيف وهو هنا بحمل النعيم على ما هو اسم خاص لاحدى
الجنان السبع على ما مر تفصيله في تفسير سورة البقرة والمراد من الجنات المضافة
اليه ما فيه من البساتين ونظيره قوله تعالى فلهم جنات الماوى فيجوز ان تكون

الهداية الى جنة النعيم مشروطة بالعمل الصالح فيكون الايمان وحده كافيا في الهداية
الى مطلق الجنة **دعواهم فيها** اي دعاؤهم **سبحانك اللهم** اللهم انا نسبحك تسبيحا
وتحيتهم فيها اي تحية بعضهم لبعض او تحية الملايكة اياهم **سلام واخر دعواهم** خاتمة
دعائهم **ان الحمد لله رب العالمين** اي يقولوا ذلك وان هي المخففة من الثقيلة اصله
انه الحمد لله والضمير للشان وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد يعني ان اهل
الجنة مستغنون عن طلب النوال لحصول كلما يشتهيهم في الحال امنون عن احتمال الا
الانقطاع والزوال فلا جرم دعاؤهم اولا واخرا مقصور على التمجيد والتحميد **ولو
يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير** اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم
الخير حتى استعجلوه بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله الخير وحذف ما
حذف منه لدلالة الباقي عليه ايجازا وذلك الوضع للاشعار بسرعة اجابته تعالى
لهم في الخير حتى كان استعجالهم به نفس تعجيل له والمراد بالشر الشر الذي استعجلوه
كقولهم فامطر علينا حجارة من السما **لقضي اليهم اجلهم** اي ولو يعجل الله لاهل مكة
الشر الذي دعوا به واستعجلوه كما يعجل لهم الخير وتجيبهم اليه لما اقاموا لعذابنا بل اهلكوا
وامتنوا الا ان ترتيبهم في الدنيا لا يحتمل ذلك وقرئ لقضى على البنا للفاعل وهو الله تعالى
ويويده قراة لقضينا وهذه الاية متصلة بقوله ان الذين لا يرجون لقانا دلالة
على استحقاقهم العذاب والله تعالى انما يمهلهم استدراجا وجي بالناس بدل ضميرهم
تعطيفا للامر ثم قيل **فنذر الذين لا يرجون لقانا في طغيانهم يعمهون** مصرحا
باسمهم وذكر المومنين انما وقع فيما بين تتميما ومقابلة فليس باجنبي ومن هنا
ظهر انه لا حاجة الى ان يجعل فنذر جواب شرط محذوف **واذا مس الانسان
الضر دعانا** لازالته في جميع احواله لا يفتر عنه في حال من احواله **لجنبه** ملقيا
لجنبه في موضع الحال بعطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا **او قاعدا او قايما**
فالترديد للتعميم لجميع الاحوال او لجميع اصناف احوال اصناف الضر رملقي لجنبه
عاجزا عن القعود او قاعدا لا يقدر على القيام او قايما لا يقدر على التعلل اي لا يستغنى
عن الدعا في نوع من انواعه **فلما كشفنا عنه ضره مر** مضى على طريقته الاولى في
الذهول والغفلة عنا ونسي الجهد او مر عن موقف الدعا لا يرجع اليه **كان لم
يدعنا** اصله كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما في قوله ومحمد مشرق
اللون كان ثدياه حقان **الى ضر مسه** كشف ضر **كذلك** مثل الذي التزيين **زين
للمسرفين ما كانوا يعملون** عملهم من الاعراض عن الذكر والدعا والانهماك في
الشهوات **ولقد اهلكنا القرون من قبلكم** الخطاب لاهل مكة **لما ظلموا** حين
ظلموا بالتكذيب **وجاءتهم رسلهم** الواو للحال ولا حاجة الى تقدير قد لانها لم
تدخل على جاءتهم رسلهم بالبينات وحده بل على جملة ذلك القعود والتي بينهما كانه
قيل لما ظلموا وقصتهم هذه وقد مر نظير هذا في اوايل سورة البقرة في تفسير
قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم الاية او عطف على ظلموا لان معناه احدثوا التكذيب

وهذا معنى الاصرار عليه بحيث لا فايدة في ايمانهم **وما كانوا ليومنوا** وما
استقام لهم ان يومنوا لفساد استعدادهم واللام لتاكيد النفي واما علمه تعالى
بانهم يموتون على الكفر فلا تاثير له في عدم ايمانهم لان العلم تابع للمعلوم فلا
يوثر فيه ويجوز ان يكون عطفا على ظلموا ويكون ظلموا موخرا عن جاءتهم
رسلهم بالبينات معنى وان قدم عليه لفظا للاهتمام كما قدم ورفع ابويه على
العرش وخروا له سجدا لذلك والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعدم
الفايدة في ايمانهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل ويجوز ان يكون وجاءتهم
رسلهم بالبينات اعتراضا للتقرير ربما تخلل هو بينه **كذلك** مثل ذلك الجزا بالاهلاك
على وجه الاستيصال **نجزي القوم المجرمين** اذا دال المجرمين بالجرم المعهود وهو
تكذيب الرسل والاصرار عليه وانما قال نجزي القوم لان الكلام في عذاب الاستيصال
ولم يتنبه له من قال في تفسيره نجزي كل مجرم والمقصود وعيد لاهل مكة
وتهديد لهم ومبنا دعلى اندراجهم فيه اندراجا اوليا وهذا ابلغ من الخطاب
لهم ولم يتنبه له جوازان يكون المعنى نجزيكم على وضع المظهر موضع الضمير **ثم جعلناكم
خلايف في الارض من بعدهم** من بعد القرون التي اهلكناهم جعل تخيرا **لننظر
كيف تعملون** خيرا ام شرا فيما ملكم على حسب اعمالكم استغير ثم للتراخي في
الرتبة فلا يخفى عنه قوله من بعدهم وكيف في محل النصب بتعملون مستعار
لمعنى اي شي فيكون نصبه على المفعولية فيجوز ان يكون نصبه على الحالية
اي لننظر على اي حال تعملون على حال الخير ام على حال الشر ولا يجوز انتصابه
بننظر لان الاستفهام لا يتقدم عليه عامله وفايدته التنبيه على ان المعتبر في
الجزا ماهيات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولهذا يحسن الفعل تارة
ويقبح اخرى والنظر على حقيقته لان الكلام على طريقة الاستعارة التمثيلية كقوله
تعالى وودنا الى عملوا من عمل على ما نبهت عليه انفا ومن لم يتنبه لذلك قال
هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشي موجودا ويلزمه الالتزام بان يكون
علمه تعالى بالحوادث حادثا ولا صحة له لانه صفة كمال لا يجوز خلوه تعالى عنه
ومنشاه الغفول عن ان من ليس بزماني لا يتوقف علمه بالحوادث على مرور الزمان
وحصول تلك الحوادث في اوقاتها كما هو شان علم من هو زماني **واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون** لا يخافون **لقانا** يعني المستهزئين
من المشركين ذكره ابن عباس رضي الله عنهما **ايت بقران غير هذا** بكتاب اخر
ليس فيه ما يغيظنا من ذم الهتنا والوعيد على عبادتها نتبعك **او بدله** بان
يجعل مكان اية تفيد تلك اية اخرى وانما اقترحوا ذلك مكرا وطمعا في اجابته
اليه فيلزموا او يستهزوا منه ولما كان الاتيان بقران غير هذا ليس مقدورا للانسان
لم يحتج الى نفيه ونفى ما هو مقدور له وان كان غير جايز في نفسه عليه السلام
وان كان غير مقدور فقيل له **قل ما يكون لي** ما يصح لي **ان ابدله من تلقا نفسي** مصدرا

مستعمل ظرفا هذا اما بحسب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه ان نفي الثاني نفي
للاول دلالة فلا اقتصار في النفي والاكتفا ببعض الجواب والله تعالى اعلم بالصواب ان
اتبع الا ما يوحى الي تعليل لقوله ما يكون لي لان المتبع لغيره في امر سيما الوحي لا
يستقل بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخه بقران اخر ورد لما عرضوا به
في هذا السؤال من ان القران كلامه عليه السلام ومفتراه وكذلك قيد التبديل في الجواب
بقوله من تلقا نفسي وسماه عصيانا بقوله اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل
عذاب يوم عظيم فيه ايما بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاخراج قل لو شا الله غير ذلك
ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني اي ان تلاوته ليست الا بمشية
الله تعالى لا بمشيتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه وتقترحونه ولا ادريكم بلام التاكيد اي
لو شا الله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم الله به على غيري والمعنى انه الحق الذي محيص عنه لو لم
ارسلني به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم على لغة من يقول اعطيته وارضيته
في اعطيته وارضيته ويعضده قراة ابن عباس رضي الله عنهما ولا انذرتكم وقرئ
ولا ادرأتكم به بالهمزة على لغة من يقلب الالف المبدلة من اليا همزة لانهما من وادي
واحد او على انه من درأته اذا دفعته وادراته جعلته دارئا اي ولا جعلتكم بتلاوته خصما
تدرونني بالجدال وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا طويلا مقدار اربعين سنة من قبله
من هذا القران او لا اتلوه ولا اعلم شيا وهو تقرير لكونه من اعلام الله تعالى وتعليمه
فان من نشا بينهم وعاش فيهم هذه المدة لم يتعلم شيا ولم يجالس قط عالما ولم يمارس علما
ولم ينشد شعرا ولا خطبة ولا قريضا ثم اتى بكلام بهت فصاحته فصاحة كل بليغ وعلا نظمه كل منظوم
ومنثور خارقا للعادة اعجز عن معارضته البلغا عن اخرهم يحتوي على فنون العلوم والحكم ناطق
بغيوب لا يعلمها الا الله مشتمل على اصول الاحكام وفروعها معرب عن اقاصيص
الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من عند الله تعالى افلا
تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتامل فيه فتعلمون انه ليس الا من الله
تعالى لا من مثلي فلا تتهمونني بالافترا على الله تعالى فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب باياته كناية منه عليه السلام ومنهم اي من اظلم مني
ان افتريت على الله كذبا بتبديل ما انزل الله تعالى علي ومنكم بتكذيبكم
بايات الله تعالى في قولهم انه ذو شريك وذو ولد فبا ياه التصدير بالفا
الدالة على ترتيب الكلام على ما سبق وانما زاد قوله كذبا مع ان الافترا لا يكون
الا كذبا لك اظهارا لما فيه من حصي الفتح انه لا يفلح المجرمون لا يظفرون
بمطلوب ولا يصلون الى ما مولهم ولا يامنون من محذور ويعبدون من
دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم اي الاوثان لانها جماد لا يضرهم ان تركوا
عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها ومن خواص المعبود ان يكون قادرا على النفع
والضر مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية ويقولون هؤلا الاوثان شفعاؤنا
عند الله تشفع لنا في الاخرة وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات

والعزى ومن زاد على هذا قوله ان تكن نبعث وكانهم كانوا شاكين فيه فقد اخبر
بشي عجاب مما لا يخفى على ذوي الالباب قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم
اي بما لا وجود له اصلا وهو ان له شركا انبا تهم الله تعالى تهكم بهم وتصريح
بهم باخبارهم علام الغيوب بما ادعوه من المحال الذي هو وجود الشركا وشفاعتهم
عند الله تعالى المحيط بجميع الاشيا ولا حاجة في تمشية هذا الكلام الى تفسير الشي بما
يعلم وتخبر عنه في السموات ولا في الارض حال من العايد المحذوف موكدة للنفي
لا لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف لعدم صحته بل لما جرى به العرف من انه يقال
عند تاكيد النفي ليس هذا في السما ولا في الارض لاعتقاد العامة ان كل ما يوجد
فهو اما في السما واما في الارض فلا حاجة الى التزام ان يكون الكلام الزاميا ودعوى
ان الامر كذلك في اعتقاد دعوى المخاطبين سبحانه وتعالى عما يشركون عن
اشراكهم او عن الشركا الذين يشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة ٥
موحدين على الفطرة من غير اختلاف بينهم وذلك في عهد ادم عليه السلام الى
ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر من الكافرين ديارا ومبنى هذا
على عموم اية الطوفان وتمامه موقوف على ان يكون نوح عليه السلام مبعوثا
لكافة الانام حتى يلزم الكفر لمن لم يتبعه ولا يخفى ما فيه من الكلام فاختلفوا باتباع
الهوى فبعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين على ما مر في سورة البقرة وفي
وهم ان اختلافهم ببعثة الرسل فانه مخالف لنص القران ولولا كلمة سبقت
من ربك قضا جرى في الازل بتاخير الفصل والحكم بينهم الى يوم القيامة لمجازاة
الردي والعمل في دار التكليف لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق
عن الباطل بابقا المحق واهلاك المبطل ويقولون عدل عن صيغة الماضي الى صيغة
المضارع حكاية للحال الماضية وقصدا الى الاستمرار لولا انزل عليه اية من ربه
ارادوا به اية من الايات العظام المتكاثرة التي لم ينزل مثلها على احد من الا
نبيا عليهم السلام قبله خصوصا القران المعجز الباقي على وجه الدهر وغير متغير
به عنادا ومكابرة بل جعلوا نزوله كلا نزول وكانه لم ينزل عليه اية قط حتى
قالوا لولا انزل عليه بتنكير اية للتحقير اي اية ما واحدة وشي من جنس الاية وذلك
لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي انه لا
اعلم المانع من انزالها فانه غيب ولا يعلم الغيب الا الله وما قيل فلعله يعلم في
انزالها من مفاسد تصرف عنه لا ينتظم مع قوله فانتظروا نزول ما اقترحتموه
اني معكم من المنتظرين ما يفعل الله بكم من العذاب بجحودكم الايات العظام
واقتراحكم غيرها تعنتا واذا اذقنا الناس رحمة خصبا وامنا وصحة من
بعد ضرا من القحط والشدة والمرض مستهم خالطتهم حتى احسوا بسو اثرها
اذا لهم مكر في اياتنا قد سبق في تفسير سورة الاعراف بيان معنى المكر وما
به يفارق الكيد واذا الاولى شرطية والثانية للمفاجاة وقعت جوابا للشرط

قيل سلط الله تعالى القحط على اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم
رحمهم بالحياة فطفقوا يقدحون في ايات الله تعالى ويمكرون رسوله عليه السلام
قل الله اسرع مكرا انما قال اسرع مكرا يعني منكم لان معنى المفاجاة قد دل على
السرعة فمعنى عليه اي فاجاؤا في وقت الرحمة المكر وسارعوا اليه قبل
ان ينفض من رؤسهم غبار الضرا ومعناه انه قد دبر عقابكم وهو موقعه بكم
قبل ان تدبروا كيدكم في اطفا نور الاسلام والمكر من الله تعالى جزا مكرهم واخذهم
بغتة بعد الاستدراج ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما دبروا
في اخفائه من مقدمات المكر لم يخف على الحفظة فضلا عن ان يخفى على الله تعالى
وابعاد با لانتقام وتحقيق له وقرئ يمكرون ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم في
البر يمكنكم من السير فيه بان جعل لكم الارض ذلولا تمشون في مناكبها وقرئ ينشركم من
النشر والبحر ولما كان السير فيه اغرب والى ظهور اثار القدرة والرحمة اقرب خصصه
بالتفصيل فقال حتى اذا كنتم في الفلك في سفن وحتى على القراة الثانية لبيان ان غاية
مضمون الجملة الشرطية والالتفات في وجرين بهم اي بمن فيها المبالغة في جري الفلك
بمرادهم كان ركوبها ووقوعهما في الغيبة معا السرعة الجري وفي تعقيبه حالهم بقوله ما اذا
اعرض المتكلم عن المخاطب وحكى لغيره سوء صنيعه وقلة حيائه كانه يذكر لغيره حالهم
ليفضحهم منه ويستدعي منهم الانكار والتقبيح ولذلك نقول في وجه الالتفات ان قوله
هو الذي يسيركم في البر والبحر خطاب فيه امتنان واظهار نعمة للمخاطبين والسايرون
في البر والبحر مومنون وكفار والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك ليستديم
الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع فلما ذكرت حالة الامر
في اخرها الى ان الملتبس بها هو باغ في الارض بغير الحق عدل عن الخطاب الى
الغيبة حتى لا يكون المومنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة بريح طيبة
لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للريح الطيبة
بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب ويجوز ان يكون الضمير
للفلك ولا يلايمه قوله وجاءهم الموج لما فيه من تخصيص مجي الريح بالسفينة ومجي
الموج من جهات شتى بل ينبغي ان يكون الضمير للريح الطيبة حتى يفيد معنى
التقابل والتدافع بين الريحين فتحصل المبالغة في التحاج البحر واضطراب امواجه
المقصودة من قوله من كل مكان فان عبارة كل في مثل هذا المقام للمبالغة
والتهويل لا للاحاطة والتعميم ومن غفل عنه قيد المكان بقوله يجي الموج منه
وظنوا انهم احيط بهم سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو
مثل في الهلاك فاستعمل مكانه دعوا الله بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان
دعاهم من لوازم ظنهم مخلصين له الدين موحدين بلا اشراك لصفا الفطرة
بزوال المانع من شدة لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين مفعول
دعوا لانه من جملة القول فلا حاجة الى تقديره واللام من لئن موطية للقسم

فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاؤا الفساد فيها وسار
عوا الى ما كانوا عليه بغير الحق احترازا من البغي بالحق كتخريب المسلمين ديار
الكفار وقلع اشجارهم واحراق زروعهم فانه افساد بحق يا ايها الناس تلوين
للخطاب في اثنا الكلام والتفات اخر لشدة الاعتناء بترك البغي والمبالغة في
النهي والتنفير عنه انما بغيكم على انفسكم بغيكم مبتدأ على انفسكم صلة متاع
الحيوة الدنيا خبره اي بغيكم على من هو من جنسكم ومثلكم يعني بغي بعضكم
على بعض منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها او على انفسكم خبر اي انما
بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا خبر مبتدا محذوف اي هو متاع
الحياة الدنيا وقرئ متاع بالنصب على انه مصدر مؤكد وعلى انفسكم خبر اي
انما بغيكم وبال على انفسكم تتمتعون متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم
في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون وقد سبق تفسيره في سورة التوبة انما مثل
الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس
بها كماء انزلناه من السما فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه
بعضا لتكاثفه مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت
الارض زخرفها استعير لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظة الزخرف
وهو الذهب لما كان من الاشيا البهية المنظر السارة للنفوس وازينت باصناف
النبات واشكالها والوانها المختلفة وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
على افعلت من غير ادغام كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها
انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها وتحصيل ريعها والانتفاع بها اتاها
امرنا باتلاف زرعها وافساده ببعض العاهات بعد امنهم من افاتها ليلا او نهارا
فجعلناها اي فجعلنا زرعها على تقدير حذف المضاف للمبالغة حصيدا مقطوعا
مستاصلا شبيها بالحصيد كان لم تغن بالامس اي كان لم يثبت ذلك الزرع
ولا حاجة هنا الى تقدير المضاف وقرئ بالياء على الاصل يقال غني بالمكان مثل عمي عمى
وتغنى اذا اقام وقرئ لم يغن بالامس فيما قبيله مثل في الوقت القريب الماضي كانه
قيل كان لم تغن انفا لما قرر ان البغي متاع الحياة الدنيا عقبه بتمثيل الحياة الدنيا
في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها مع بهجته وزينته بحال نبات الارض بماء المطر في
في سرعة جفافه وذهابه حطاما بعد اخضراره وغضاضته قبل انتفاع الناس
به لعسر الاقلاع عنه والمثل به مضمون الحكاية للماء وان وليه حرف التشبيه
لانه من التشبيه المركب وقوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت مبا
لغة في ترصيب الارض وبهجتها في اثنا التمثيل بتشبيهها فجعلها اخذت زخرفها
بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بانواع
الزين والحلي على طريق الاستعارة بالكناية كذلك نفصل الايات نبينها ونميز
بعضها عن بعض لقوم يتفكرون انما خصها بهم لانهم المنتفعون بها والله يدعو

الى دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعالى تعظيما لها او دار السلامة من
النقص والافة لسلامة اهلها من كل مكروه وقيل دار السلام لنشر السلام بينهم
او تسليم الملائكة عليهم ويهدي من يشاء هدايته بالتوفيق الى صراط مستقيم طريق
وهو الاسلام والتقوى ولما كان الدعا عاما لم يتقيد بالمشية بخلاف الهداية فانها
خاصة فتقيدت بها وفيه ايذان بان الامر غير الارادة وان المقر على الضلالة
لم يرد الله تعالى ان يرشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة
عليها وهي تفضل لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة
عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة الرضوان وقيل الحسنى الجنة
والزيادة هو اللقا ومن غلاة اصحاب الضلال من قال زعمت المشبهة والمجبرة
ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجات بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة
الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله
شيا هو احب اليهم منه قوله مرفوع صح بالقاف عنده ومعناه مرفوع مفترى
واما عند اهل الحق فقد صح بالفا رواه ابو بكر الصديق وابو موسى الاشعري وحذيفة
وابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك وابن ابي ليلى ومقاتل واورده مسلم في
صحيحه بالاسناد وصححه احمد بن حنبل والترمذي وابن ماجه فالحديث متفق
على صحته وذلك المتعصب طعن في الحديث الصحيح والخبر الحق الصريح ترويجا
لاعتقاده المفاسد وتصحيحا لمذهبه الباطل وصحف المرفوع فجعله مرفوعا
ليرقع به مذهبه المخروق هيهات اتسع الخرق على الراقع والحق الواقع ما له
من دافع ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هو
ان يعني لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ولا يلحقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء
حال وكسوف بال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها
ولا انقطاع لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات عطف
على للذين احسنوا كقولهم في الدار زيد والحجرة عمرو وجاز العطف على عاملين مختلفين
لتقدم المجرور او مبتدا خبره جزاء سيئة بمثلها على تقدير وجزاء الذين كسبوا
السيئات اي يجازى سيئة بسيئة واحدة مثلها وفيه دليل على ان الزيادة هي
الفضل لان جزاء السيئة بمثلها هو العدل وترهقهم ذلة نكار لهم بما تقدم
منه برحمته ما لهم من الله من عاصم اي من سخط الله تعالى وعقابه او من جهة الله
ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما
حال من الليل ولفرط سوادها وظلمتها والعامل فيها اغشيت لانه العامل في قطعا
ومن الليل صفة له والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل
وقرى قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل فيكون مظلما صفة لقطعا او
حالا منه لاختصاصه بالوصف ويعضده قراة كانما يغشى وجوههم قطع من
الليل مظلم اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ولا متمسك فيه للوعيدية

لان

لان سياق الكلام في الكفار لقوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة
اولئك هم الكفرة الفجرة وقوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد
ايمانكم واما التعليل باشتمال السيات على الشرك والكفر ففيه تخصيص الحكم
المذكور بالمشركين والاوجه له والتعليل بيننا ولان الذين احسنوا اصحاب الكبيرة من
المومنين فلا بيننا ولم فسيمه فليس بقوي لان كونهم من المحسنين على الاطلاق غير
ظاهر ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم
اي الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المرفوع المنتقل الى
مكانكم من عامله لسده مسد الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرى شركاؤكم
بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت
بينهم في الدنيا قيل فباعدنا بينهم بعد الجمع في المحشر وتبري شركاؤهم منهم
ومن عبادتهم لقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وياباه
ترتيب قوله وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون بالفا الواصلة بلا
تراخ على ما تقدم وهو مجاز عن براة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في
الحقيقة اهواهم لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به والمراد من الشركاء
الملائكة وعزير والمسيح ومن عبدوه من اولي العقل وقيل الاصنام
ينطقها الله تعالى فيكلمهم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها
وقيل الشيطان والشياطين ويرده فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم العالم
بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين لان عبادتهم كانت باغوائهم ان هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المكان تبلو كل نفس
ما اسلفت تختبر ما قدمت من العمل اي تعارف ضره ونفعه وقرى نتلوا
من التلاوة اي تقرا في صحيفتها ما قدمت من الخير والشر او من التلو اي
تتبع لان عملها هو الذي يقودها الى الجنة او النار وقرى نبلو بالنون
ونصب كل اي نصيب كل نفس بالبلاء وهو العذاب بسبب ما قدمت من الشر
فيكون ما نا صبا بانتزاع الخافض او نختبرها باختبار ما اسلفت اي نفعل
بها فعل المختبر بحالها المتعرف لسعادتها وشقاها ونتعرف عملها في
الصلاح والفساد والقبول والرد فيكون ما بدلا من كل نفس بدل الاشتمال
وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم والمتولي امورهم
الحق لا الباطل الذي اتخذوه موليا او مولاهم على الحقيقة لا الذي ليس
لولايته حقيقة او العدل الذي لا يظلم احدا وقرى الحق بالنصب على المدح
كقولك الحق لا الباطل وضل عنهم ما كانوا يفترون من انهم الهتهم تشفع
لهم او ما كانوا يدعون الهة قل من يرزقكم من السما والارض منهما جميعا
فان الارزاق انما تحصل من الاسباب سماوية وارضية معا او من كل واحد
حدة توسعة عليكم وقيل من البيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء

والارض ام من يملك السمع والابصار اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما
او حفظهما وكلاءتهما من الآفات مع كثرتهما وسرعة تاذيهما وتحللهما
من ادنى شيء ولما كان الوصول الى الرزق بواسطتهما كان خلقهما وحفظهما
من تمام الترزيق ولهذا قال ام من ولم يقل ومن كما قال ومن يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي اي ينشئ الحياة من النطفة وعنه ومن يدبر
الامر ومن يلي تدبير امر العالم تعميم بعد التخصيص تنبيها على ان تفاصيل الشئ والنعم
والاسباب الايجاب والربوبية اكثر من ان تحصى كانه قال وبالجملة من يدبر الامر
العالم كله فسيقولون الله اي لا يقدرون بنسبة ذلك الى غيره مكابرة
لفرط وضوحه فالسين للتاكيد والفا جزائية للترتيب على شرط محذوف
تقديره ان سالتهم عن ذلك فسيقولون الله البتة فقل تفريع على الشرطية
المذكورة افلا تتقون الله في اشراككم به ما لا يشاركه في شيء من ذلك الهمزة
للاستفهام الانكاري والفا للترتيب الانكاري على الاعتراف المذكور فهي مقدمة
معنى وان اخرت لفظا حفظا لصدارة الهمزة فذلكم الله اشارة الى من
من هذه افعاله وقدرته ربكم الحق الثابت ربوبيته الواجب وجوده لانه
الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال
استفهام انكاري اي ليس بعد الحق الذي هو التوحيد وتخصيص العبادة به
تعالى الا الضلال فانى تصرفون من الحق الى الضلال ومن التوحيد
الى الشرك كذلك مثل ذلك الحق اي كما حقت الربوبية لله تعالى وكما حق
وثبت ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك
حكم على الذين فسقوا وتمردوا في الكفر وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم
لا يؤمنون مفعول كلمة لانها في معنى الحكم اي حكمهم بانهم لا يؤمنون او
تعليل على ان الكلمة كلمة العذاب وعدته اي لانهم لا يؤمنون قل هل من
شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده بابتداء الخلق واعادته وان لم يكونوا
معترفين بها تنبيها على وضوح برهانها ولا لزم على من انكرها كان
مكابرا رادا للظاهر البين الذي اعترف بصحته العقلاء وكان تعنتهم من
المسلمات وقد اومى الى لجاجهم وعنادهم وشدة مكابرتهم بامر النبي صلى الله
عليه وسلم بان ينوب عنهم في الجواب في قوله قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده بابتدا
الخلق واعادته وان لم يكونوا معترفين بها تنبيها على وضوح برهانها
اي يدعهم لحاجتهم ان لم ينطقوا بكلمة فتكلم عنهم فانى تؤفكون تصرفون عن قصد
السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتمكين
والاقتدار على النظر والتوفيق للفكر والتدبر والهام الحق والصواب وهدى
كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى
غاية الهداية وانها لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بالى بها

ما اسند الى الله تعالى في قوله قل الله يهدي للحق اي الله تعالى وحده هو
الذي يهدي للحق دون غيره افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي
الا ان يهدى امن يهدي هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهتدي
بنفسه الا ان يهديه الله تعالى وهذا حال اشرف شركائهم كالملائكة
والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل من لا يهتدي من الاوثان الى مكان
فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل وقرئ لا يهدي بفتح الها وكسرها وتشديد
الدال والاصل يهتدي فادغم وقرئ الا ان يهدي من هداه للمبالغة ومنه
ما تهدي بمعنا وعنه لقولهم قطعته فتقطع فما لكم كيف تحكمون بالباطل
اذ تزعمون انهم انداد الله تعالى وما يتبع اكثرهم في معتقداتهم الا ظنا
غير مستند الى خيالات واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد و
والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر من ينتمي منهم
الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق في
معرفة الله تعالى من الحق الى العلم والاعتقاد شيئا مفعول به ومن الحق
حال منه او نصب على المصدر اي لا يغني بدل الحق شيئا من الاغنا
وقيل وما يتبع اكثرهم في اتخاذ الاصنام آلهة وانها شفعاء الا ظنا وفيه
دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والتقليد والاستغنا بالظن
غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على ما يفعلون من اتباع
الظن وتقليد الآباء دون البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون
الله وما صح ان يكون مثل هذا القرآن في الاعجاز افترا من الخلق ولكن
تصديق الذي بين يديه ولكن كان تصديق ما تقدمه من الكتب المنزلة
الصادقة وتصديق الصادق وهو لكونه معجزا دليل على صدقها
وشاهد لصحتها تصديق خبر كان المقدر او علة لفعل محذوف تقديره
لكن انزل الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق
الذي وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وما فرض من الاحكام والشرائع
من قوله كتاب الله عليكم وقرئ وتفصيل بالرفع عطفا على تصديق على
قراءة الرفع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب
كائنا من رب العالمين ويجوز ان يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق
وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كقولك زيد لا شك فيه كريم او بالفعل
المعلل بهما او حالا من الكتاب والضمير في فيه لانه مفعول في المعنى ومساق
الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه كونه
من عند الله ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة انكار لقولهم
واستبعاد لدعوى الافترا مع كونه حجة عليهم بالاعجاز قل فاتوا بسورة
مثله اي ان كان افترا كما زعمتم فاتوا انتم بسورة مفتراة مثله في البلاغة

والفصاحة بل اشد تمرنا بها مني وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن
امكنكم ان تستعينوا به من دون الله من خلقه اي لا تدعوا الله وحده فانه قادر على ذلك
وادعوا غيره ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه بل سارعوا
الى التكذيب بالقران في اول وهلة سماعه قبل ان يفقهوه ويعلموا معانيه او يتاملوه
ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم لفرط انسهم بما الفوه ونفود
رايه من دينهم ونفورهم عما يخالفه ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ
اذهانهم معانيه او لم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم
انه صدق ام كذب يعني ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجاهم
تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم
بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونه
او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا
وعنادا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم انبياءهم قبل النظر في
معجزاتهم تقليدا وبعده عنادا او حسدا فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم من يؤمن به يصدق به في نفسه
ولكن يعاند ومنهم من لا يؤمن به من يشك فيه ولا يصدق ومنهم من يؤمن
ومنهم من يستبصر ولا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين والمصرين
وان كذبوك اي اصروا وواظبوا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم
عملكم فتبرا منهم وخلهم فقد اعذرت وقل لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان
او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعمله ولا
اواخذ بعملكم قيل ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه
منسوخ باية السيف ولا وجه له لان النسخ انما يصار اليه عند قيام التعارض
قطعا والايهام بمعزل عنه ومنهم من يستمعون اليك اذا قرات القران و
علمت الشرايع ولكن لا يقبلون ولا ينتفعون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت
تسمع الصم ايجاد التبليغ تقدر على اسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم
الى صممهم عدم تعقلهم ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلايل صدقك ونبوتك
ولكن لا يصدق افانت تهدي العمي انت بعد اظهار المعجزات ودلايل النبوة
تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون ولو انضم الى عماهم عدم بصيرتهم
افانت انكار ان يكون هو الذي يقدر على اسماع الاصم الذي لا يعقل وهداية
الاعمى الذي لا يبصر له وفيه تنبيه على ان حقيقة الاستماع هو فهم المعنى وحقيقة
الابصار هو الاستبصار والاعتبار وهما انما يكونان بالعقل والبصيرة لا بالحاستين
ولذلك لا يوصف بالاول البهايم ويحدث الاعمى المستبصر ويتفطن بما لا
يدركه البصير الاحمق وانه لا يقدر على موهبة العقل والبصيرة والتوفيق للفهم
والاستبصار الا الله تعالى وحده فاذا لم يهب ولم يوفق فمحال ان يقدر على ذلك

وفي

وفي تشبيههم بالصم والعميان فايدة السمع والبصر الفهم والاستبصار فاذا لم يحصلا
فكانهما لم يكونا وفي منع سلب العقل والبصيرة الى الصم والعمي انهم على الياس من ان
يفهموا ويستبصروا واما سلب العقل في الاول وسلب البصر في الثاني فلان البصر
بدون العقل يوصل الى اهتداء الطريق والسلوك فيه الا ترى ان البهايم تبصر الطرق
وتسلك فيها وتنتفي بها المهالك ولا عقل لها بخلاف السمع فانه لا ينتفع بها بدون
العقل فبظاهر البصر بدون العقل يبصر الاشيا ونظاء السمع بدون العقل لا
تعرف الاشياء والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس
شيا باخلال شيء من الاسباب كما لهم ووسايل اهتدايهم كنقص حواسهم وسلب
عقولهم وبصايرهم واهمالهم سدى بلا تنبيه ببعثه الرسل وانزال الكتب ولكن الناس
انفسهم يظلمون بترك استعمال مشاعرهم وعدم التفكر والتفهم بعقولهم والنظر
والاعتبار ببصايرهم والذهول عن الوحي والانذار بالانهماك في شهواتهم او
لا يظلمهم بالتعذيب بكفرهم وعنادهم يوم القيامة فانه عدل ولكن الناس
انفسهم يظلمون باقتراف اسبابه واستيجابه فعلى هذا الوجه هو وعيد لهم وعلى
الاول تنبيه على ان كونهم بمنزلة الصم والعمي من عدم استعمالهم لا بانت الاهتدا
فيما خلقت له لا لان اسباب الهداية مفقودة وعلى الوجهين تذييل لما سبق
ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة استقصارا منهم لمدة لبثهم في الدنيا او
في البرزخ لهول ما يرون وفي بيانها بقوله من النهار تاكيد للاستقصار لان
النهار يكون زمان الاشتغال بالاشغال لا يحس كطوله ساعة بخلاف الليل
والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او
صفة ليوم والعايد محذوف اي يوما كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم
يعرف بعضهم بعضا كان لم يتفارقوا الا قليلا وذلك اول ما حشروا ثم ينقطع
التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فهو بيان لقوله كان لم يلبثوا الا ان طول مدة
اللبث يوجب التناكر والتعارف انما يبقى مع قلتها قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
استيناف للشهادة من الله تعالى بخسرانهم في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر
وما كانوا مهتدين اي الى طريق التجارة وفيه معنى التعجب كانه قيل ما
اخسرهم ووضع الذين كفروا موضع ضميرهم اشعارا بان سبب الخسران انما هو
تكذيبهم لقاء الله تعالى وعدم اهتدايهم لاستعمال ما اوتوا من المشاعر
والعقول والبصاير في تحصيل المعارف واكتسابهم بها معارف بدل فاسدة و
جهالات تؤديهم الى الحساب والهلاك والعذاب واما نرينك بعض
الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراده يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك
فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة قيل فهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ولا حاجة الى تقدير الجواب المذكور لان قوله فالينا مرجعهم صالح لان
يكون جوابا للشرط وما عطف عليه وعلى هذا يكون المعنى فعلى كلا التقديرين نعذبهم

في الاخرة والذي نريكه في الدنيا لا يكون سببا لتخفيف عذابهم في الاخرة وهذا هو
المناسب للمقام فلا وجه للعدول عنه بها لارتكاب المحذوف في الكلام ثم الله شهيد
على ما يفعلون اي بعد رجوعهم الينا الله مجازيهم على افعالهم او الله مؤد شهادته
على افعالهم حين تنطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم بشاهدة عليهم
والمراد من الشهادة مقتضاها ونتيجتها اي العقاب لان شهادة الذي احاط
علمه بجميع افعالهم السيئة الخفية والظاهرة توجب العقاب الشديد لانه يحصر كل
ما شهده والالتفات من التكلم الى الغيبة واظهار اسم الله تعالى وايقاع ثم وايراد
الجملة الاسمية للتنبيه على ان المعاقب هو الله تعالى الذي لا يخفى عليه ما فيه وتربية
المهابة والتهديد والتهويل بان مضمون الوعيد في غاية البعد من تصوره عند
الرجوع ودوام العقاب وفيه انواع من المبالغات في تشديد الوعيد وتاكيده
ويجوز ان يراد بالفعل ايقاعه هناك ولكل امة من الامم الماضية رسول بعث اليهم ليدعوهم
الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بالقسط بالعدل
فانجي الرسول ومن امن به واهلك المكذبين وذلك لالزام الحجة كقوله وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون بالعقاب في الاخرة بعد العذاب
في الدنيا لا نجزاء سيئاتهم والتعذيب في الدنيا لا يكون مكفرا في حق الكفار وعلى
هذا هو تاسيس لا تاكيد لما قبله فانها طف اصحاب المجد بخلاف ما قيل معناه لكل
امة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر
والايمان قضي بينهم بانجاء المومن وعقاب الكافر كقوله وجيء بالنبيين والشهداء
وقضي بينهم فانه حينئذ يتعين التاكيد فالعاطف يكون واقعا بين السجع والحايه
ويقولون متى هذا الوعد استعجال من المكذبين لما وعدوا من العذاب استبعادا
وانكارا واستهزاء ان كنتم صادقين خطاب للرسول عليه السلام والمومنين به
قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاعجل لكم العذاب وتقديم
الضر لان ما فيه الكلام من جنسه الا ما شاء الله استثناء متصل اي الا ما شاء
الله ان املكه او منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل
مضروب لهلاكهم عند الله تعالى وحد محدود من الزمان اذا جاء
اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اذا جاء وقته
انجز وعدكم بالعذاب فلا تستعجلوه فسيجيء وقته وقد سبق به في
تفسير سورة الاعراف قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به
بياتا نصب على الظرف اي وقت بياتكم وغفلتكم بالنوم او نهارا اي وقت
اشتغالكم بطلب المعاش والكسب او اللهو وجواب الشرط محذوف
اي تندمتم على الاستعجال او عرفتم الخطا فيه وقوله ماذا يستعجل منه
المجرمون متعلق بارايتم اي اخبروني ماذا يستعجلون منه والشرطية
اعتراض والاولى ان يكون ماذا جواب الشرط كقولك ان اتيتك ماذا

نطعمني

تطعمني والشرطية متعلقة بارايتم ونحوه ان العذاب كله مكروه موجب
للنفار يجب ان ينفر منه لا ان يستعجل فاي شيء تستعجلون منه على ان
الضمير في منه للعذاب وقيل لله تعالى ويجوز ان يكون معنى الاستفهام
في ماذا هو التعجب من العذاب مع الانكار اي اي شيء هائل شديد يستعجلون
منه ومن في هذا يجوز ان يكون للبيان ووضع المجرمون موضع ضمير المخاطبين
على طريقة الالتفات تقوية لما في الاستفهام من معنى الانكار والتعجب ودلالة
على موجب ترك الاستعجال الذي هو الاجرام فان المجرم من حقه ان يخاف
ويستعيذ منه وان ابطا فضلا عن ان يستعجله ويجوز ان يكون اثم اذا
ما وقع امنتم به جواب الشرط وماذا استفهام منه اعتراضا اي اخبروني
ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول
الهمزة على ثم لانكار تاخير الايمان الى وقت لا ينفع وهو وقت العذاب
وادخالها على المعطوف لانه مصب الانكار والاستبعاد والاتيان بحرف
التراخي بدل الواو لدلالة على الاستبعاد ثم زيادة اداة الشرط دلالة على استقلاله
بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجيء باذا مركبا بما ترشيحا لمعنى الوقوع
والتحقيق وزيادة التجهيل وانهم لم يومنوا الا بعد ان لم ينفعهم البتة الان على ارادة
القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا وانكارا ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر قبل الان ذوقوا عذاب الخلد المولم على
الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك و
يستخبرونك احق هو الضمير للعذاب الموعود احق خبر والضمير مبتدا او المبتدا والضمير
مرتفع به ساد مسد الخبر كقولهم قايم زيد والجملة في محل النصب بيستنبئونك والهمزة
للاستفهام على سبيل الانكار او الاستهزاء وقري الحق هو على ان اللام للجنس كانه قيل اهو
الحق لا الباطل وهو الذي سميتموه الحق وهو اقوى في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض
بانه باطل قل اي وربي انه لحق اي العذاب الكائن واي من حروف الايجاب بمعنى نعم
ويختص بالقسم كما ان هل بمعنى قد يختص بالاستفهام فيقولون اي والله ولا
ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب اي هو لاحق بكم لا محالة
ولو ان لكل نفس ظلمت بفعل ما يستحق به العذاب ما في الارض اي ما في الدنيا
اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها لافتدت به لجعلته فدية لها من
العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه ولفظة كل لتعميم الحكم لكل واحدة من النفوس الظالمة
واسروا الندامة لما راوا العذاب حين رويتهم العذاب لانهم بهتوا بما عاينوه مما لم يخطر
ببالهم ولم يحتسبوا وسلبت شدته وفظاعته قواهم فلم يطيقوا بجنسيونه اظهار الجزع
والبكا للدهش والحياة لا للتجلد اذ ليس هناك فامتلات قلوبهم ندما وقيل اسروها
رؤساهم الندامة اخلصوها وجعلوها سرهم اي ملاوا بطونهم بحيث لم يكن فيها شي
اخر او من قولهم سر الشي لخالصه لانها تخفى ويضن بها وعلى هذا يكون فيه تهكم بهم

وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء اذا اظهره وهو من الاضداد وقضي بينهم بالقسط
اي بين الظالمين والمظلومين لدلالة ذكر الظلم وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول
قضا حكومة والثاني مجازاتهم على الشرك وساير المعاصي الا ان لله ما في السموت
والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده
من الثواب والعقاب كاين لا خلف فيه اتي بكلمتي التنبيه والتحقيق وجمع بينهما
في جملتي الاختصاص بالملك وانجاز الوعد تقريرا لما وعده وتنبيها على ان ما ذكره
حق واجب الوقوع لا محالة ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم كهم في الغفلة هو يحيي
ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى ايضا لان القادر لذاته لا تزول قدرته
والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ايضا واليه ترجعون بالبعث
بعد الموت تحذير وترهيب واطماع وترغيب يخاف ويرجى يا ايها الناس قد جاءتكم
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين اي كتاب جامع
جامع لهذه الفوايد من الحكم العملية المبينة لمحاسن الاعمال وقبايحها والتحريض على
الاولى والتحذير عن الثانية والحكمة النظرية من المعارف والحقايق التي هي شفاء لما في
الصدور من الامراض القلبية كالجهل والشك والنفاق والشرك والهداية الى الحق والتو
حيد والرحمة لمن امن به من انزاله عليهم ما ينجيهم من ظلمات الضلال والكفر الى نور
الهدى والايمان ومن دركات النيران الى درجات الجنان وتنكير موعظة وما عطف
عليها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته متعلق بفعل محذوف يفسره ما بعده تقديره
بفضل الله وبرحمته يعني بانزال القران والهداية الى الايمان فليفرحوا فبذلك فليفرحوا
يعني نوعه وما يناسبه نحو بفضل والرحمة تناول ما ذكر وتقديمه للتاكيد والبيان
بعد الابهام وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا
وكذا تكرير الفا للتاكيد وهو جواب شرط مقدر تقديره ان كانوا يفرحون بشيء
فليخصوهما بالفرح فانه اي مفروح به احق منهما ويجوز ان تكون الفا للربط بما قبلها
والدلالة على ان مجي الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح ويجوز ان يتعلق
بفضل الله وبرحمته بقوله قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته بقوله وذلك
اشارة الى مصدر جاءتكم فليفرحوا وقرئ بالتا فلتفرحوا على الاصل المرفوض
وهو القياس وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعا وانما اثره عليه السلام لانه
ادل على الامر بالفرح واشد تصريحا به هو راجع الى ذلك هو خير مما يجمعون من حطام
الدنيا السريع الزوال وقرئ تجمعون بالتا على الخطاب ومن لم يذق حسن هذا
الاستيناف في مقام التعليل ولم يدر انه اقوى الوصلين قال على معنى فبذلك
فليفرح المومنون فهو خير مما يجمعون فاوهم ان حق نظام الوصل بالفا التعليلية
ولا يخفى ما فيه من سوء الادب قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل منزلا
لانه مقدر في السما مسبب باسباب منها من المطر والشمس والقمر في الانبات
والانضاج والتلوين وما في محل النصب بانزل او بارايتم لانه بمعنى اخبروني وكم

دل على ان المراد بالرزق ما حل وذلك وبخهم على التبعيض بقوله فجعلتم منه حراما
وحلالا من البحيرة والسايبة والوصيلة والحام وما جعلوا لله من الحرث والانعام
وانما قدم حراما لانه مصب الانكار وفي اسناد التحريم والتحليل اليهم اشارة الى انهم
هم المبعوثون توبيخا وتعريضا الاثبات القسم الثاني من المنفصلة في قوله قل الله
اذن لكم ام على الله تفترون اي اخبروني الله اذن لكم في التحريم والتحليل فتفعلون
ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبته اليه على ان ام متصلة وتكرير قل بين ارايتم
وما يتعلق به للتاكيد والاستفهام للتكذيب والاشارة الى ان نسبة ذلك الى الله تعالى
تقليد وقول بلا حجة فلزم الافترا وكان الاصل الله اذن لكم ام غيره فعدل الى
المنزل دلالة على ان الثابت هو الشق الثاني وهو نسبوه الى الله تعالى فهم مفترون
عليه لا على غيره وفيه زجر وتهديد عظيم وان جعلت ام منقطعة بمعنى بل والهمزة
فالاستفهام للانكار ومعنى بل اضراب عن ان يكون باذن الله تعالى ومعنى
الهمزة تقرير للافترا وتوبيخ عليه وتقديمه على الله تقبيح لتخصيصه تعالى بالافترا
عليه فانه نهاية في قبح الكذب وفي العدول عن الضمير الى الاسم المظهر تقبيحا
زيادة اظهار لقبح الافترى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب في ايهام متعلق
بالظن بحذفه والسؤال عنه وعيد بليغ وتهديد عظيم اي اي شيء ظنهم يوم القيامة
وهو يوم الجزا يحسبون انهم لا يجازون على الافترا وقرئ ظن على لفظ الفعل
على حمل المحقق الوقوع واقعا ونصب ما على المصدر اي اي شيء ظن ظنوا فيه
ان الله لذو فضل على الناس على كلهم بما انعم عليهم من العقل والحواس وساق
اليهم الرزق وهداهم الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب واخر عنهم العذاب من
غير سابقة صنع منهم يستوجبون به ذلك ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه
النعم العظيمة لجهلهم بمواقعها وما تكون في شان الشان الامر واصله القصد
وعينه الهمزة من شانت شانه اذا قصدت قصده فخففت والضمير في قوله وما
تتلوا منه راجع الى الشان لان تلاوة القران شان معظم من شون النبي صلى
الله عليه وسلم او لان القراءة تكون بشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلوا
من قران على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران واضماره قبل
الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل من تاكيد النفي اي اي عمل
كان ولا تعملون تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ومقدمهم وحيث
خص ذكر ما فيه فخامة وحيث عم ذلك ما يتناول الخطير والحقير للمناسبة
الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه استثناء مفرغ من اعم الاحوال على
تقدير قد كنا او اعم الاوقات اي وقت كنا اذ تفيضون فيه وقت اندفاعكم
فيه ظرف لشهودا وعلى الثاني جاز كونه بدلا من الوقت المقدر وما يعزب
عن ربك قرئ يعزب بكسر الزاي وضمها والعزوب معناه البعد والغيبة
يقال عزب اذا انفرد عن اهله من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء

في الارض ولا في السما غير بتقطيع العالم عن كله والمراد احاطة علمه بجميع ما في
الوجود وعبر عنه بما ذكر على معتقد العامة فان التنزيل وارد على لسانهم وقدم هم
ينكرون وجود ممكن ليس بخيز وقدم الارض على السما هنا بخلاف ما في سورة
سبا لان الكلام هنا في شان اهل الارض وشهادته عليهم رعاية للملايمة ولا
قالوا وفي الجميع بينهما كالتنبيه ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين
جملة براسها ولا لنفي الجنس واصغر مبني على الفتح اسمها وفي كتاب خبرها ولا اكبر
عطف عليه بالنصب ولا مزيدة للتاكيد او مفتوح مثله وقرا بالرفع على ان
الاول مبتدا خبره في كتاب والثاني عطف عليه ومن جعل رفعهما عطفا على محل
من مثقال وفتحهما على لفظ مثقال لكونهما غير منصرفين مفتوحين في موضع الجر
جعل لا في كتاب استثنا منقطعا بمعنى لكن في كتاب مبين والمراد من الكتاب اللوح
المحفوظ موكدا لقوله وما يعزب عن ربك كانه قيل كيف يعزب وهو في كتاب
مبين على ان الاتصال له ايضا وجه لا سيما اذا فسر الكتاب المبين بعلم الله كما مر
في سورة الانعام ويكون المعنى لا يغيب عنه الا في علمه ومعلوم ان غيبة الشي في
العلم عين كشفه فهو من باب الا ما قد سلف وان فسر باللوح فلا باس به ايضا
لانه محل صور معلوماته تعالى وكان مقتضى البلاغة بحسب جليل النظر تقديم
الاكبر على الاصغر ليكون الكلام على طريقة الترقي وانما عكس الترتيب سوقا له
على مقتضيها بحسب دقيق النظر ليكون في كل واحد من جزئي الكلام نوع من الاهتمام
وذلك انه حينئذ يكون في الجز الاول نوع من الاهتمام منه اهتمام التقديم
وفي الثاني اهتمام التصريح بعد العلم بالالتزام الا ان اوليا الله الذين يتولونه
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم في الحال من لحوق محذور ولا هم يحزنون
من وقوع مكروه من فوات نافع وحصول ضار الذين امنوا وكانوا يتقون م
نصب او رفع على المدح او على وصف الاوليا فيكون بيانا لتوليهم ربهم او رفع
على الابتدا والخبر لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة بيان لتوليه تعالى
اياهم والبشرى في الدنيا ما بشر الله تعالى به المومنين المتقين في غير موضع من كتابه
وعلى لسان نبيه عليه السلام وما يريهم في الرويا الصادقة وما يسنح
لهم بالمكاشفة وبشرى الملايكة عند النزع واما البشرى في الاخرة فتلقي الملايكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله
واحكامه ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى تحقيق البشارة بهم في
الدارين هو الفوز العظيم لانه نيل جميع ما يرجى والامن من كل ما يخشى وهذه
الجملة والتي قبلها اعتراض للتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه
ان يقع بعده كلام متصل بما قبله ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم
وتشاورهم في تدبير هلاكك وغير ذلك ولا يحزنك من احزنه ان العزة لله
جميعا استيناف للتعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة الى اخره اي

العلية

305

الغلبة والقدرة كلها لله تعالى لا يملك احد غيره شيا منها فهو يغلبهم وينصرك عليهم
وقرى ان العزة بالفتح لان العزة نصرتكا بالتعليل فيه اخبار عن اهل العزة بتسليته
لاهل العزة هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات
ومن في الارض تمهيد لما بعده من انتسابه ان يكون الجماد له ندا لانه تخصيص للعقلا
بملايكة بتقديم لله وابراد من دون ما مع التاكيد بتصدير الجملة بحرفي التنبيه
والتحقيق فالعقلا من الملايكة والثقلين اذا كانوا تحت يده عبيدا مملوكين مع
كونهم اشرف المخلوقات ولا يصح ان يكونهم شركا يصح ان يكون الجماد له ندا
فهو كالدليل على بطلان اعتقاد المشركين وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركا ما نافية وشركا مفعول يتبع ومفعول يدعون من دون الله شركا اي
شركا حقيقة فحذف احدهما لدلالة الثاني عليه ويجوز ان يكون شركا مفعول
يدعون ومفعول يتبعون محذوف لدلالة عليه ان يتبعون اي ما يتبعون الا الظن
يقينا وانما يتبعون ظنهم انهم شركا وان جعلت ما استفهامية فهي مفعول يتبع
وشركا مفعول يدعون وان جعلت موصولة فمنصوبة المحل عطفا على من وقري
تدعون بالتا والمعنى واي شي يتبع الذين تدعونهم شركا من الملايكة والنبيين
اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله
اوليك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان
وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشا رايهم وان هم الا يخرصون
اي يكذبون فيما ينسبون الى الله تعالى او يحزرون ويقدرون انها شركا تقديرا
باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على انه تعالى
هو المنفرد بكمال قدرته وعظيم نعمته التي لا يمكنهم ان يجحدوها ليدلهم
على انه المتوحد باستحقاق العبادة فيخصوه بها وجعل متعد الى مفعول
واحد بمعنى خلق ومبصرا حال ويجوز ان يكون متعديا الى مفعولين والثاني
لكم او لتسكنوا اي جعله محلا لسكونكم وقيل مظلما والنهار مبصرا عطف على المفعولين
ذكر علة خلق الليل لتسكنوا فيه ولتستريحوا من تعب التردد في طلب المعاش
وما يكدحون نعته في النهار وحذفها من النهار وذكر وصف النهار وحذفه
من الليل وكل من المحذوفين يدل عليه المذكور في مقابلته والتقدير جعل لكم
الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتحركوا فيه في مكاسبكم وتهتدوا
الى حوايجكم واسناد الابصار الى النهار مجازي على طريقة ليله قايم ونهاره
صايم وانما عدل عن قوله لتبصروا فيه مناسبا لتسكنوا فيه للدلالة
على انه مع كونه ظرفا للابصار سبب له بخلاف ساير الظروف ان في ذلك
لايات لقوم يسمعون اعتبار وتدبر قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه
سبحانه تنزيه له تعالى عن التبني وتعجيب من كلمتهم الحمقا هو الغني
علة لتنزهه عنه فانه مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض

تقدير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض البرهان الذي اقامه
تحقيقا لبطلان قولهم ومبالغة في تجهيلهم اي ما عندكم من حجة بهذا القول
مع ان الحجة دالة على خلافه والبا في بهذا متعلق بسلطان او بقوله ان عندكم
بمعنى الظرفية اي ما عندكم في القول حجة كقولك ما عندكم بارضكم موزا اتقولون
على الله ما لا تعلمون لما نفي البرهان عنهم جعلهم جاهلين وفيه دليل
على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهل وان العقايد لا بد ان تكون برهانية
لا تقليدية والهمزة للتوبيخ والتقريع لهم على اختلاقهم وجهلهم قل ان الذين
يفترون على الله الكذب بنسبته الولد والشريك اليه تعالى لا يفلحون لا
ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع خبر مبتدا محذوف والتنكير
للتقليل تقديره افتراؤهم متاع قليل اي منفعة يسيرة في الدنيا اي يبتغون
به في الدنيا رياستهم في الكفر وحيوتهم وتقلبهم فيه متاع او مبتدا خبره
محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالبعث بعد الموت فيلقون
الشقا المويد ثم نذيقهم العذاب الشديد في جهنم بما كانوا يكفرون بسبب
استمرارهم على الكفر واتل عليهم نبا نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم شق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على
الخاشعين مقامي مكاني اي كوني ووجودي ومنه فعلت كذا لمكان فلان
او اقامتي ومكثي بينكم ازمنة مدة طويلة او قيامي على الدعوة لا على التذكير
لان قوله وتذكيري يغني عنه والتا سبب خبر من التاكيد بايات الله فعلى
الله توكلت اي خصصت الله تعالى بالتوكل عليه والتوثق به فانه جواب
الشرط وجوابه كما تقول ان كنت انكرت علي شيئا فان الله حسبي فاعمل ما تريد فاجمعوا
قري بالوصل من الجمع وبالقطع من الاجماع وهو العزم في اسناد الجمع والاجماع على
الشركا تهكم بهم ومشركا يهم كما في قوله تعالى فلا دعوا شركاكم معطوف على امركم على
حذف مضاف تقديره وامر شركايكم او منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاكم
وقد قري به وقيل اجمعوا بمعنى اعدوا فيقع على المعطوف بين جميعا وقال الزجاج
هو مفعول معه والواو بمعنى مع اي مع شركايكم ولا يساعده قراءة الوصل
كما قال الحريري في درة الغواص لا يقال اجتمع فلان مع فلان وانما اجتمع فلان
وفلان وقري بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز بلا تاكيد للفصل ثم لا يكن
امركم في قصدي عليكم غمة مستورا عليكم وليكن مكشوفا مجاهرا به من غمه
اذا ستره او لا يكن امركم اي ما تكونون فيه من شدة الحال والكراهة وثقل
مقامي فيكم ومشقته عليكم غما وكربا عليكم الغم والغمة كالكرب والكربة معنى وصيغة
اي لا تتوقفوا في اهلاكي وتدبيره لئلا يكون عيشكم بسبب مصاحبتي وحالكم مع
غمة عليكم ثم اقضوا الي اي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي من الايذا واقطعوه
وتصحيحه اي كقوله وقضينا اليه ذلك الامر وادوا الي ما هو حق عليكم من وجوب

اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه وقري ثم افضوا بالفا اي ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من
افضى الرجل اذا خرج الى الفضا اي اصحروا به الي وابرزوه لي ولا تنظرون ولا
تمهلون فان توليتم اي اعرضتم عن تذكيري فما سالتكم من اجر يوجب اعراضكم
عني لثقله عليكم وانهامكم اياي لاجله من طمع في اموالكم ان اجري في نصيحتكم وو
عظكم الا على الله هو الذي يثيبني عليه اي ما نصحتكم الا لوجه الله تعالى
لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لامر الله تعالى
وقضيته الاسلام انه لا تطلب على تعليم الدين شي ولا يبتغي بالدعوة والموعظة
الا وجه الله تعالى رضي الله عن ابي حنيفة ما امعن النظر اذلم ير الاجارة في
الاجارة على الطاعات والمراد الزام الحجة لهم وتبرية ساحته عما يوجب الاعراض
فكذبوه فاصروا على تكذيبه تمردا وعنادا بعد طول مدة الدعوة والزام الحجة
فنجيناه يعني من الغرق دل عليه قوله ومن معه في الفلك من الانسان والحيوان
وانما قال ومن دون ما تغليبا للعقلا على غيرهم للتنبيه على ان نجاة غيرهم كان
تبعا لهم وجعلناهم خلايف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان
والجملة موخر عن الاغراق وان قدم لفظا للاهتمام به فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين تعظيم لما نزل بهم من العذاب وتهديد لمن كذب رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم وتسلية له والعدول عن مقتضى ظاهر السياق وهو المكذبين
الى المنذرين للتنبيه على ان التكذيب انما يستوجب نزول العذاب اذا كان بعد
الانذار فاعتبرهذا للفظ وذق لطف هذا الاعتبار ثم بعثنا البعث اعم من
الارسال فان كل شي ارسلته فقد بعثته ومنه قوله تعالى من بعثنا من مرقدنا
والذي امر بتبليغ الرسالة الى قوم وهو فيهم انما يناسبه عبارة البعث دون
الارسال من بعده من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتكثير الى قومهم الي
اقوامهم كل رسول الى قومه وانما لم يجمع لانه في الاصل مصدر فجاؤهم بالبينات
بالحجج الواضحة المثبتة لدعاويهم فما كانوا ليومنوا عبارة كان الدالة على الاستمرار
متقدمة على اداة النفي في الاعتبار اي لم يومنوا بهم واصروا على الانكار وفي زيادة
لام الجحود تاكيد لهذا المعنى ودلالة على ايمانهم في خبر الامتناع بما كذبوا به
من قبل بسبب تعودهم بتكذيب الحق وتمرنهم عليه من قبل بعثة الرسل اي ما
تفاوت في حالهم قبل البعثة وبعده لاعتيادهم بالعناد وانكار الحق كذلك مثل
ذلك الطبع نطبع على قلوب المعتدين لان الاعتدا والافراط في التجافي عن
الحق يوجب الخذلان حتى يصير دينا وطبعا فالكلام على الحقيقة دون
الكناية ثم بعثنا من بعدهم من بعد هولا الرسل موسى وهرون الى فرعون
وملايه خص اشرافهم بالذكر اكتفا بذكر الجزء عن الكل باياتنا بالايات التسع
اضافها الى نفسه تنبيها على خروجها عن حيز استطاعة العبيد وتعلق كسبهم
بها وكونها من خوارق العادات فاستكبروا عن قبول الحق واتباع من ارسل

اليهم والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق واعظم الكبر استهانة العبيد برسالة ربه بعد تبينه بالبينات وكانوا قوما مجرمين معتادين بالآثام العظام

فلذلك استكبروا اعنى واجترؤا على ردها اما توصيف الآثام بالعظام فلان الجرم يوذن عن ذنب له عظم ثم ان سبيل الكلام الاعتراض التذييلي ويدل على تمردهم واعتيادهم له فجعله كذلك على ان الكافر اذا وصف بالجرم والفسق فهو للاشعار بالشدة واما السببية فمن نفس الاعتراض والحمل على العطف السابق لا يلايم بلاغة القرآن فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه الحق وانه من عند الله تعالى لا من قبل موسى وهرون عليهما السلام قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر وفائق في فنه واضح من بين فنونه والدليل على العرفان المذكور من النظم ايقاع الحق موضع ضمير الآيات واسناد المجيء اليه وقولهم ان هذا السحر مبين كما مر في صدر السورة من دلالته على الاعتراف وتناهي العجز قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه عيب به وتطعنون فيه من قولهم فلان يخاف القالة لكونه سمعنا فيه يذكركم فيستغنى عن المفعول وقيل حذف مفعول القول لدلالة ما قبله عليه وهو انه لسحر والهمزة للتوبيخ او التقرير ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم نبوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم من قولهم وهذا على الوجه الاول اشارة الى وضوح حقيقته وكونه ممتازا عن السحر الباطل معلوم الحقيقة بحيث لا يشك فيه مشارا اليه في ذلك وعلى الثاني تحقير واستبعاد وكونه موجبا للفلاح ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون ويأباه قوله ايتوني بكل ساحر عليم لانه مظنة طلب الفوز بهم وصيغة الجمع للدلالة على ان اجتماعهم لا يجدي نفعا في طلب الفوز قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها فان الملوك يوصفون بالكبر وعوزان يقصد به ذمهما بانهما يريدان ان يتكبرا ويتجبرا في ارض مصر باستتباع الناس وما نحن لكما بمؤمنين مصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم وقرئ بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا استطالة عليهم وعدم مبالاة بهم وفي ابهام ما انتم ملقون تحقير لهم وتعليل واعلام بانه لا شيء يلتفت اليه فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر موصول مبتدأ خبره السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي جئنا به من ايات الله تعالى وقرئ السحر على الاستفهام فما مبتداة تقديره اي شيء جئتم به الخبر والسحر بدل منه او خبر مبتدا محذوف

تقديره اهو السحر او مبتدا خبره محذوف تقديره السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم السحر فساد ذكر تمويه لا حقيقة له ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره ولو كره المجرمون فما امن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري قومه اي اولاد من بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون وقومه واجابه طائفة من ابنائهم وبناتهم وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية طائفة من شبان قومه او من آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة الخازن وماشطته ولا يناسبه قوله على خوف من فرعون فان حق الكلام حينئذ اظهار اسم فرعون ثمة واضماره هاهنا وملائهم الضمير يرجع الى فرعون يعني آل فرعون كما يقال مضر وربيعة ولانه ذو اصحاب يأتمرون له فعلى هذا يكون من باب قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ولا يجوز ان يكون جمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء لانه يكون عند قصد التعظيم ولا يساعده المقام او الى الذرية او قومه اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم او على انفسهم بدليل قوله تعالى ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف فعلى الوجه الاول افراده بالضمير يحتاج الى التاويل بان يقال الخوف من الملا كان بسببه وانما قال على خوف للدلالة على شدة خوفهم ولا يبعد مع ما افاده على ان المصحوب ... الكون اي المؤمنين خائفين فالمناسب وان فرعون لعال في الارض لغالب قاهر فيها استيناف لبيان السبب في كون اولئك المؤمنين خائفين فالمناسب ان يكون المراد بالاسراف في قوله وانه لمن المسرفين تجاوزه عن الحد المعتاد في التعذيب والقتل بمن يخالفه في امره من الامور وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به تعالى وباياته وفي ايراد ان ايماء الى ان حالهم ليست حال المصدق بالله الصادق في الايمان الواثق به تعالى فعليه توكلوا مخصوصه بالتفويض اليه او توابه في العصمة من فرعون ثم شرط في حصول التوكل به وصحة الاسلام بقوله ان كنتم مسلمين كما شرط في وجوبه الايمان لان من قضية الايمان وجوب التوكل على الله تعالى ولا يصح التوكل الا مع تسليم نفوسهم خالصة سالمة ليس لغيره فيها حظ ولا تخليط فيه فهو كقولك ان اباك زيد فاحسن اليه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مخلصين ولذلك قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافون عذابه وبلاءه وجعلهم خلفاء في الارض ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا به او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون عنا بنا يقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من مجاهدة استعبادهم وسوء شقا تهدتهم وانما قدموا التوكل على الدعاء لان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لاجابة دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ

ان اتخذا مباءة اي مرجعا يرجع اليه لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون
اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى واقيموا
الصلوة فيها قال ابن عباس رضي الله عنهما ان فرعون لما اتاه موسى عليه
السلام بالرسالة امر بمساجد بني اسرائيل فخربت كلها وكانت مساجدهم
ظاهرة فامرهم الله تعالى ان يجعلا لقومهما مساجد في جوف البيوت ولا يظهروها
وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم
واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد
والصلاة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب
الشرع وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة ما يتزين به من لباس
وحلي وفرش وغير ذلك واموالا اصنافا من الاموال في الحياة الدنيا عن ابن عباس رضي
الله عنهما كانت لهم من ارض مصر فسطاط الى ارض الحبشة جبال فيها معادن ذهب
وفضة وزبرجد وياقوت ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا عليهم بما هم فيه بلفظ
الامر للاياس عن قبولهم الدعوة والهداية وتحقق اصرارهم على الكفر كقولك لعن
الله ابليس وقيل ان اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان
ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال
فكانهم اوتوها للضلال فيكون تكريرا للاول وتنبيها على ان المقصود من عرض
الايات ضلالهم وكفرانهم تقدمه لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس
المحق قال ابن عباس رضي الله عنهما بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة
كهيئة الدراهم والدنانير واشدد على قلوبهم اشدد على القلوب للاستيثاق منها
وقبضها حتى لا يدخلها الايمان اي واطبع عليها حتى لا تنشرح لقبول الحق فلا
يؤمنوا جواب لدعائه الذي هو اشدد ودعاء بلفظ النهي وقيل ان جعلت اللام
في ليضلوا للعاقبة او للتعليل فهو عطف عليه وقوله ربنا اطمس واشدد دعاء معترض
بين المعطوف والمعطوف عليه واعترض عليه بان الاعتراض بالدعاء لا يكون له حسن
موقع ولهذا اعيب على النابغة في قوله لعل زيادا لا ابا لك غافل حتى يروا العذاب
الاليم اي يروا ذلك ويحتمل الغاية اي الى ان يروا العذاب الاليم وكان ذلك فانهم
لم يؤمنوا الى الغرق قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عليهما السلام
لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة
ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن في وقته روي انه مكث بعد الدعاء اربعين
سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال
فان الامور مقدرة معلقة باوقاتها او عدم الوثوق بوعد الله تعالى قال
الزجاج قوله ولا تتبعان موضعه جزم والتقدير ولا تتبعا الا ان النون المشددة
دخلت على النهي مؤكدة وكسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها فاختير لها
الكسرة لانها بعد الالف تشبيه نون التثنية واستضعفه ابن الحاجب وحمل

على انه

على انه نفي بمعنى النهي لجواز العطف والواو للحال وفعل المضارع المنفي لا يجوز
دخول الواو عليه اي استقيما غير متبعين وهذا اشد ملايمة وقرئ ولا تتبعان
بتخفيف النون ولا تتبعان من تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر حتى بلغوا
الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف
فاتبعهم فرعون وجنوده اي طلبوا الحاقهم فقربوا منهم واما الادراك فلم يحصل
بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو حتى اذا ادركه الغرق الغرق
بالفتح القرب من الهلاك بعموم الماء الغرق بتسكين الهلاك فيه قال امنت انه
قرئ بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وبالكسر على الاستيناف بدلا من
امنت وتفسيرا له لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين
على الاول تكريرا للمعنى الواحد بعبارات مختلفتين وعلى الثاني بثلاث عبارات
شغفا على القبول لكن لما لم يبق وقت التكليف لم يقبل ولو بقي وقته لكفت
من واحدة وكان مؤمنا ضرورة حصول التصديق القلبي ولم يكن مسلما
لان الاسلام تسليم النفس الى الله تعالى فاذا امن في وقت خرجت نفسه من
يده لم يصر مسلما نفسه اليه تعالى اذ ليس نفسه في يده حينئذ فيسلمها
وكذلك يحكم بالعصيان المقابل للاذعان دون الكفر المقابل للتصديق
حيث قال الان اي تؤمن الان وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد
عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين روى
الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق
الله فرعون قال امنت الى قوله بنوا اسرائيل قال جبريل فلو رايتني يا محمد وانا
اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة ارادوا ادراك الرحمة
في الدنيا كما ادرك قوم يونس فنجوا من العذاب فليس فيه ما يدل على كراهة
ايمان الكافر والرضا بكفره فان الرضا بالشيء لا يستلزم الرضا بسببه الا يرى
ان المريض يشرب الدواء للشفاء كارها اياه راضيا لما يترتب عليه من منفعة
الشفاء فمن وهم ان في قوله مخافة ان تدركه الرحمة جها لثان احدهما ان الايمان
يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخر ان من كره ايمان
الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر وزعم بناء على ذلك
انه من زيادات الباطنية لله تعالى وملائكته فقد وهم ثم انه على تقدير
زيادته لا يحنث فيه لله تعالى فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه قومك من
قعر البحر ونجعلك ناجيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل
ببدنك في موقع الحال اي بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ
بابدانك اي بدروعك كانه كان مظاهرا بينها وخروجه من الماء او ظهوره على
وجهه مع ما عليه من جسم تفيد اية اخرى وقيل اي ببدنك عاريا عن الروح
او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او باه الباء لانها تقتضي وجود شيء اخر

غير البدن ولم يبق غير جسده على انه فرق بين البدن والجسد فان الاطراف خارج
عن الجسد داخل في الثاني لتحقق المقام حينئذ ان بذكر الجسد بدل البدن لتكون لمن
خلفك اية لمن يأتي بعدك من السبطي والقبطي علامة اذا كان في نفوسهم من عظمته
ما قيل اليهم انه لا يموت حتى روي ان بني اسرائيل لم يصدقوا موسى عليه السلام في اخباره
بغرقه حتى عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل ولمن يأتي بعدك من القرون اذا
سمعوا ممن شهدك غيره ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم على ما كان عليه من
عظم الشان وكبرياء الملك والسلطان مملوك ومقهور بعيد من مكان الربوبية
وقرئ ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء المهملة وهو التبعيد بيدنك على انه تنبيه
البدن خلفك بالقاف اي نبعدك عن الرحمة بما كسبت يداك من الجنوة لتكون من
خالقك اية كخلقه فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد بكشف
تزويرك واماطة الشبهة عن امرك قال في تفسيره على القراءة الاخيرة اي نلقيك
بناحية الساحل فقد غفل عن ان من قراءه بالحاء قرئ بيدنك بالباء فوقع فيما
وقع وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون
بها ولقد بوانا نزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر
والشام ورزقناهم من الطيبات من اسباب المعيشة المستطابة فما اختلفوا
اي كانوا على ملة واحدة وطريقة موسى عليه السلام في اول حاله حتى جاءهم
العلم بنزول التورية فاختلفوا وهذا ذم لهم من جهة ان العلم سبب الاتفاق فصار
عندهم سبب الاختلاف حتى تشعبوا شعبا بعدما قرؤوا التورية وفي ترتيب ذلك
الاختلاف الذي لا يخلو عن نوع كفران على انعامه تعالى عليهم المنازل البهية
والمطاعم الشهية والعلم بالاحكام تاكيد للذم لتنزيلهم الكفر منزلة الشكر وقيل
المراد من اختلافهم الاختلاف في امر محمد صلى الله عليه وسلم من بعدما علموا صدقه
بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون فيميز المحق من المبطل ويجزي كل منهم على استحقاقهم وينزل منزلة
استيجابه على حكم وعده ووعيده فان كنت في شك مما انزلنا اليك كلام
مبني على الفرض والتقدير موكد بما هو وارد على سبيل التهييج وزيادة التثبيت
فلا يستلزم وجود الريب ولا الافتراء والتكذيب ولا امكانها ذكر ذلك من باب
فرض المحال وبنى الكلام عليه اي حتى هو الناس يقينا واشرفهم رتبة
واعز خلق الله تعالى عليه مثلك لو كان موصوفا بهذه الصفات الخبيثة
التي وصفوا بها لوقع في الخسران المطلق وكما دل على زيادة التثبيت والعصمة
له دل على سوء حال الشاكين فيه من بني اسرائيل فاسال الذين يقرؤون الكتاب
من قبلك من بني اسرائيل الذين اتيناهم الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم
ثابت في كتبهم على نحو ما انزلنا اليك والمراد اثبات نبوته عليه السلام بشهادة
الاحبار وذلك انه لما ذكر بني اسرائيل ووصفهم بالعلم اراد ان يقرر عليهم صحة

نبوته عليه السلام وصدق القران بشهادة علمائهم وكتبهم او وصف الاحبار
بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عليه السلام وما انزل الله تعالى عليه لا اثبات
الشك وامكانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه السلام لا اشك
ولا اسال اشهد انه الحق وبهذا التقرير تبين وجه تصدير الكلام باداة الترديد
تنبيه على ما قبله وقيل الخطاب لكل من يسمع اي ان كنت في شك ايها السامع مما
انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالجته شبهة فعليه
بمراجعة العلماء لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالبراهين القاطعة والمعجزات
الواضحة ان الذي جاءك هو الحق الذي لا تدخل الشبهة فيه فلا تكونن من الممترين
ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين فاثبت على ما
انت عليه من الجزم والتيقن وانتفاء المرية والتكذيب وقد مر انه من باب التهييج
والالهاب لقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم
كلمة ربك حكم بانهم يموتون على الكفر فيخلدون في العذاب لا يؤمنون اي لا يكذب
كلامه ولا ينتقض قضاؤه حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع
لفرعون فلولا كانت قرية امنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها امنت
قبل معاينة العذاب وضيق الخناق ولم يؤخر اليه كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان
يقبله الله تعالى منها لوقوعه في وقت الاختيار ويكشف عنها العذاب الا قوم يونس
استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو متصل والجملة في معنى النفي لتضمن التخصيص
معناه كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة فنفعها ايمانها الا قوم يونس و
انتصابه على الاستثناء والدليل عليه قراءته بالرفع على البدل او منقطع اي ولكن
قوم يونس عليه السلام لما امنوا اول ما راوا امارات العذاب ولم يؤخروه
الى حلوله امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا والخزي الهوان
الذي يفضح صاحبه ومتعناهم الى حين الى وقت انقضاء اجالهم ولو شاء ربك
لامن من في الارض كلهم حتى لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان
لا يختلفون فيه وفيه دلالة على ان من شاء الله ايمانه يؤمن لا محالة افانت
تكره الناس على ما لم يشاء الله منهم يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم
الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن
مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا الله وحده لا يشاركه فيه
احد لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك
غير مستطاع للبشر وهذا لمساق تمسك من جملة المشيئة المذكورة على المشيئة
الملجئة حتى يكونوا مؤمنين ترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف
الاستفهام للانكار والدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل يعني اذا لم يشا
الله تعالى ايمانهم لم يقدر عليه انت ولا غيرك بالاكراه فضلا عن مجرد الحث
والتحريض روي انه عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فنزل ولذلك

فرده بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله اي بارادته وتو
فيقه وتيسيره فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب
وقرئ الرجز بالزاء على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج
والآيات فيؤمنوا واورد في مقابلة الايمان عدم العقل وفي مقابلة الاذن الرجس لان
الايمان انما يكون بصحة العقل والنظر في الدلائل العقلية والسمعية والاصرار
على الكفر المقابل للايمان مسبب عن عدمه كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون فاومى
الى ان العاقل هو المومن ومن لم يوفقه الله تعالى للايمان لعدم عقله لزم كونه الموجب
للعذاب فرتب لازم الكفر الذي هو الرجس على ملزومه الذي هو عدم العقل للجمع
بين التهديد والتوبيخ قل انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب
الصنائع الدالة على توحيده وكمال قدرته وحكمته وماذا استفهام علق فعل
النظر عن العمل وما في وما تغني الآيات نافية واستفهامية في محل النصب
تغني والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه فهل ينتظرون الا مثل
ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول باس الله تعالى بهم اذ لا يستحقون
غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك
او فانتظروا الاهلاك اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا عطف على
محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل فنهلك الامم ثم ننجي رسلنا والذين
امنوا معهم على حكاية الحال الماضية كذلك مثل ذلك الانجا حقا علينا اعتراض
اي حق ذلك حقا علينا او بدل من كذلك ننجي المومنين منكم ونهلك المشركين
قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا
اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا ديني
اعتقادا وعملا فاعرضوه على العقل الصحيح وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا
صحته وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي يوجدكم ثم
يتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وانه حقيق بان يخاف ويتقى فيعبد لا الجماد
الذي لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المومنين بما دل عليه العقل ونطق به
الوحي وحذف الجار من ان اجتمع فيه الوجهان القياس وهو انه حذف مع ان
وان يطرد في سائر الافعال والسماع وهو حذفه بعد فعل الامر وان اقم وجهك
للدين استقم عليه ولا تلتفت الى غيره عطف على ان اكون وجاز مع كون الفعل
انشا لان حق هذه ان تكون مع الفعل في تاويل المصدر والامر والخبر في تضمن المصدر
سوا حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون
الله ما لا ينفعكم ولا يضركم تكنى عن الفعل مجازا فان فعلت فانك اذا من
الظالمين لان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يردك بخير فلا راد لفضله لما اشار الى علة النهي بايراده التي لغير العقلا
وسلب النفع والضر عن اصنامهم واثبات الظلم لمن عبدها اتبعه بايراد العلة الموجبة

للتخصيص

للتخصيص العبادة بالله تعالى وهي انه هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم
يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل قادر غيره فضلا عن الجماد الذي لا حياة
له وان اراك بخير لم يرد احد على ما اراده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان
ليدل على انه هو الحقيق بالعبادة دون ما عداه وفي ذكر المس مع الضر والارادة
مع الخير مع تلازمهما ايما الى ان المراد بالذات هو الخير ولهذا لا يخلو احد عنه
وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول وفي وضع الفضل موضع الضمير دلالة على انه
من باب الامتنان والتفضل لا باستحقاق منا واستيجاب كالشر واكد ذلك بقوله
يصيب به بالخير من يشاء من عباده وتقديم الضمير للتهديد والايمان الى عبادة
الغير توجب المس بالضر وتعرض للعقاب ظلما ورجح جانب الترغيب فيه على جانب التر
هيب لان المقصود الحث على اجابة الله تعالى وحده والاعتصام به ولا شك ان داعي اللطف
ايسر والنفوس لكرمه اليه اميل فاوثر في الاول لفظ المس الدال على ملاصقة الظاهر
دون نفوذه في عدم التصريح بالارادة زيادة لطف وكذلك في قوله فلا كاشف
له الا هو وما فيه من انه يكشفه لا محالة تنبيه وفي الثاني لفظ الارادة
فجعل المخاطب مرادا والخير تابعا له وفيه ابلغ اللطف ثم في اطلاق الارادة
وما فيه من شمول الظاهر والباطن زيادة تفوق له ثم انه طيب مسا
معدا اولا بكونه خيرا مونثا وثانيا بكونه فضلا ولهذا لم يكدر الرجا
بالتعقيب بالاستثنا وضع مورده عن شوب الاهوا وما قيل لم يستثن
يعني في الثاني لان مراد الله تعالى لا يمكن رده انما يصلح وجها لعدم
الاستثنا فيه على طريقة غير مختص في ذلك الوجه ومن لم يتنبه
لكون كل واحد من لفظي المس والارادة امس بمقامه من الاخر قال كانه
اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير
وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان
ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك
ثم انه لم يصب في عدم الفرق بينهما في تفسير سورة البقرة وهو الغفور
الرحيم تحريض وبعث على التوبة من الشرك اي لا تيأسوا من غفرانه وتوبوا
اليه من عصيانه وتعرضوا لرحمته بتوحيده وتخصيصه بالعبادة قل
يا ايها الناس قد جاءكم الحق اي الرسول بالدين المتين والقران المبين من
ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله تعالى الحجة فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه
فمن اختار الهدى واتباع الحق فما ينفع الا نفسه ومن ضل فانما يضل عليها
ومن اثر الضلال فما وبال ذلك الا عليها وفيه حث على ايثار الهدى والا
عراض عن الضلال وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا
بشير ونذير واتبع ودم على ما انت عليه من اتباع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على مشقة دعوتهم واحتمال اذاهم حتى يحكم الله بالنصر عليهم

والغلبة وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على السرائر
اطلاعه على الظواهر

سورة هود عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب خبر مبتدا محذوف احكمت اياته صفة له اي احكمت من جهة
اللفظ والمعنى والنظم عن تطرق الخلل فصارت في غاية الاحكام ثم فصلت
اي ميزت بعضها عن بعض في النزول كيلا يختل امر الاستدلال على الاحكام
فالتراخي على الحقيقة وقيل المراد ايات السورة اذ ليس فيها منسوخ فمعنى احكامها
منعها من النسخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم اذا صار
حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ومعنى فصلت انها فصلت
بالفوائد كما يفصل القلائد بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار
او جعلت فصولا فصولا اية اية او فصل منها ما يحتاج اليه العباد اي بين وثم للتراخي
رتبي وقرئ فصلت من الثلاثي المجرد اي فرقت بين الحق والباطل وقرئ احكمت
اياته ثم فصلت على البناء للمتكلم من لدن حكيم خبير في تعلقه باحكمت ثم فصلت
طباق حسن لان معناه احكمها حكيم وفصلها اي بينها خبير بالاشياء واحوالها
فصار على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا مفعول له اي لان
لا تعبدوا او نهي وان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول او امر لان فيه
معنى الامر اي امرتم ان لا تعبدوا الا الله ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا
عما قبله على لسان النبي عليه السلام بتقدير قل اغراء منه على تخصيص الله تعالى
بالعبادة او امرا به ويدل عليه قوله انني لكم منه من جهته نذير وبشير
اي هلا تعبدوا الا الله او الزموا ترك عبادة غير الله تعالى على ان ان
مصدرية ولا نافية وانما قدم نذير على بشير لان الانذار اعم واهم وان
استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه اي استغفروا من
الكفر والمعصية ثم توبوا الى الله تعالى بالطاعة فالتراخي على الحقيقة
ويجوز ان يراد التراخي في الرتبة لان التخلية والاستغفار ينتظم الندم على
ما سلف واحسان العمل في المستقبل حتى يكون راجعا بعمله الى ربه ولهذا قدم
ذكر الاستغفار على التوبة اي اطلبوا مغفرة ربكم بالاسلام والندم على سالف
الاجرام والثبات على الطاعة في باقي الايام وارجعوا الى الله تعالى بالاخلاص
والاسلام على الثبات والدوام يمتعكم متاعا حسنا في خفض عيش وسعة
وامن ورغد الى اجل مسمى مقدر عند الله تعالى فهو اخر اعماركم المقدرة اذ لا
يهلككم بعذاب الاستئصال ويؤت كل ذي فضل فضله في العمل والطاعة
فضله جزاء فضله في الاخرة او كل ذي فضل في الدين فضله في الدرجات
والثواب فان الدرجات تتفاضل في الجنة بحسب تفاضل الاعمال وان تولوا
وان تتولوا وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير اي يوم

القيامة

القيامة وصف بالكبير كما وصف بالعظم والثقل الى الله مرجعكم جميعا رجوعكم
في ذلك اليوم وهو على كل شيء قدير بيان لوجه كبر ذلك اليوم بان مرجعهم الى
من هو قادر على كل شيء الا الى غيره فهو قادر على اشد ما يريده من العذاب
ولا يمكنهم التفصي عنه الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون
عنه لان من ازور عن الشيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه كما ان من توجه اليه
استقبله بصدره او يعطفون صدورهم على الكفر وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي يخفونه فيها وقرئ تثنوني صدورهم بالتاء والياء من اثنوني افعوعل من الثني
وهو ما بني وضعف من الكلام اي تطاوع صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات
او تضعف قلوبهم وايمانهم وتثنون من اثنان افعال منه ثم همز كما همزت في
ابياض وتثنوي بوزن ترعوي ليستخفوا منه اي يريدون ليستخفوا من
الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ولان ثني الصدور
بمعنى الاعراض اظهار للنفاق فلا يصح تعليله بالاستخفاء ونظير اضمار
يريدون لتعلق المعنى الى اضماره في قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها
كذلك يحيي الله الموتى فالمعنى يظهرون النفاق ويريدون مع ذلك ان
يستخفوه هذا على الوجه الاول من التفسير واما على الثاني فلا حاجة الى
الاضمار الا حين يستغشون ثيابهم يتغطون بها يريدون الاستخفاء
ايضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم
في اذانهم واستغشوا ثيابهم اي الا حين يريدون في اظهار نفاقهم
ويفعلون ما هو ادل عليه من ثني الصدور وقال ابن عباس رضي الله عنهما انها
نزلت في اخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة
وله منطق حلو وحسن سياق للحديث بحيث كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مجالسته ومحادثته ويضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين حجبا وكون النفاق
في المدينة غير مسلم بل ظهوره والاستثناء بثلاث طوائف كان فيها يعلم ما يسرون في قلوبهم
وما يعلنون بافواههم او له التسوية بينهما ولهذا عدل عن اسلوب الترقي الظاهر
في خلافه اي يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما يضمرونه انه عليم
بذات الصدور بسرائرها وضمائرها تعليل على سبيل الاستئناف للتلويح المذكور في
قوله يعلم الى اخره والاولى للتنبيه على جهلهم وفساد اعتقادهم والاستثناء ونفي
الصدور وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اسباب معاشها لتكلفه اياه
تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحثا على التوكل فيه
ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنه في الحياة والممات او الاصلاب والارحام
او مساكنها في الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المبدا والمعاد حين كانت
بعد بالقوة كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مثبت في اللوح المحفوظ
بيان وتقرير لكونه تعالى عالما بجميع المعلومات والاية التي بعدها بيان لكونه

قادرا على كل شي وتقرير لما سبق من التوحيد والوعد والوعيد وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام مر تفسيره في سورة الاعراف ووجه الجمع في الاولى
والافراد في الثانية مر في سورة الانعام وكان عرشه على الما عرشه عبارة عن
قيوميته تعالى والما اشارة الى صفة الحيوة اذ من الما كل شي حي وفي على بنا بيان
الاولى على الثانية اي وكان حيا قيوما فلا دلالة فيه على امكان الخلا ولا على ان الما
اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وليت شعري من اين الدلالة على
تاخر خلق الما من خلق العرش ليبلوكم علة للخلق اي خلق ذلك ليعاملكم معاملة
المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم
وما تحتاج اليه اعمالكم ودلايل وامارات يستدلون بها ويستنبطون منه ولما
كان الابتلا اي الاختبار احد طرق العلم واشهرها واعمها استعير للعلم لانه ملابس
له كالنظر في قوله فانظر ماذا يرجعون وانما قال ايكم احسن عملا وهم المتقون في
المخاطبين من عمل قبيح وافخم الامرين احدهما ان المقصود من الخلق بالقصد الاول
وبالذات هو الايمان والعمل الصالح ونظر تعالى الى ما هو احسن من ذلك لا الى القبيح
والافخم والثاني التحريض والحث على حسن العمل والترغيب فيه وهو اعم من الاعمال
البدنية كالطاعات والخيرات والقلبية كالاعتقادات والنيات فكانه قال ليظهر
من هو اكمل علما وعملا ويتميز عمن هو على خلافه ولهذا قال النبي عليه السلام ليبلوكم
ايكم احسن عقلا واورع من محارم الله واسرع في طاعة الله وفيه تعظيم للمحسنين
المتقين وتشويق لهم واشارة الى انهم من الله تعالى بمكان ولين قلت انكم مبعوثون
من بعد الموت للجزا على ما تكشف منكم بالابتلا ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين اشارة الى القول بالبعث فاذا رجعوه ظاهرا لبطلان كالسحر لزم بطلان ما فيه
من البعث وغيره من الوعد والوعيد وقرئ الا ساحر اشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم
اي كاذب مبطل كالساحر وقرئ انكم بفتح الهمزة على تضمين قلت معنى ذكرت او على
ان ان بمعنى لعل اي ولين قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تجزموا
بانكاره بعده من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره واللام في لين موطية
للقسم في الايات الاربع والجواب له ساد مسد جواب الشرط ولين اخرنا عنهم العذاب
الموعود الى امة معدودة الى جملة من الاوقات قليلة ليقولن ما يحبسه ما يمنعه
من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم
ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه قيل هو دليل على جواز تقدم خبرها عليها ان المعمول
على جواز تقدم العامل وايضا الظرف والجار يتوسع فيهما ما لا يتوسع في غيرهما
ويتفقان حيث لا يقع العامل فيه وكان ما ذكر استعجالا منهم للتعذيب على وجه التكذيب
والاستهزا ولذلك قال وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به يستهزءون واضعا
يستهزءون موضع يستعجلون كانه محض الاستهزا ولكون عذابهم محقق الوقوع
عما قريب اورد حاق موضع يحيق على عادة كلام الله تعالى كانه قد وقع مبالغة

في التهديد ولين اذقنا الانسان منا رحمة نعمة من صحة وامن وخصب ووجده
بحيث يجد ذوقها ولذاتها ثم نزعناها سلبناها منه وفي عبارة النزع اشارة الى ما
في السلب المذكور من شدة الالم انه ليؤس شديد الياس من عود مثلها اليه قاطع
رجاه من فضل الله تعالى وسعة رحمته غير صابر ولا مسترجع ولا مسلم لقضايه كفور
عظيم الكفران بما سلف له من النعمة ولين اذقناه نعما بعد ضرا مسته كصحة بعد
سقم وغنى بعد عدم وفي ذكر الاذاقة مع النعما والمس مع الضرا اشارة الى ان النعمة
ادوم حتى يجد الانسان ذوقها ويتلذذ بها بخلاف الضر فان المس مبتدا الوصول
ففيه دلالة على قلة صبرهم كانهم بمجرد اثره جزعوا وكفروا النعمة الطويلة الزمان
ليقولن ذهب السيات عني اي البليات التي سائتني انه لفرح اشر بطر فخور على
الناس بما اذاقه الله تعالى من نعمايه قد شغلته الفخر والفرح عن الشكر الا الذين
صبروا على الضرا وعملوا الصالحات شكرا لالايه سابقها ولاحقها فان في قوله صبروا
دلالة على هذا لان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر اي المومنين الذين عادتهم
الصبر عند زوال النعمة ووقوع الضرا والشكر عند النعما استثنا من الانسان واللام
لاستغراق الجنس كما في قوله تعالى ان الانسان لفي خسر ومن خص الانسان بالكافر
بسبق ذكرهم جعل الاستثنا منقطعا اوليك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير ثواب
عظيم فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك هذا على النهي اي لا تترك بعض ما يوحى اليك
وهو ما يخالف راي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم وهو كما يقول الرجل لاخر لعلك تريد
ان تفعل كذا وهو يريد نهيه عنه ولما كان مبنى هذا النهي على الصبر على اذى المشركين واستهزائهم
وضع ترتيبه على كلام تضمن الحث والتحريض على الصبر ومن وهم ان لعل للتوقع فقد وهم
وضايق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك وانما اختار ضايق على
ضيق لان تعيده ابلغ وهو تناسب لفظ تارك ان يقولوا بان يقولوا وقيل الضمير
في به مبهم وان يقولوا تفسيره اي يضيق صدرك بسبب قولهم هذا لولا انزل
عليه كنز ينفقه في استتباع الناس كالملوك او جا معه ملك يصدقه انما انت
نذير ما عليك الا الانذار وما عليك ان يقبلوه ولا يردوه فلا يضيق صدرك بردهم
وتهكمهم به والله على كل شي وكيل فتوكل اليه امرك فانه حافظ عليهم ما يقولون ويفعلون
وفاعل بهم ما يجب ان يفعل من جزايهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والضمير في افتراه
لما يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله في البلاغة تنزلا ولا قوله تعالى فلياتوا بحديث
مثله وهو كل القران في ذلك الوقت فلما ظهر عجزهم عنه تحداهم بعشر سور منه فلما
عجزوا عنه ايضا سهل عليهم وتحداهم بسورة واحدة كما هو عادة المعارضين وتوحيد
المثل لان المراد مماثلة من جهة البلاغة ولا اختلاف بين السور فيها فما هو مثل لاحدها
مثل لسايرها ففيه تنبيه على ان المراد المماثلة في حسن البيان لا في بدايع المعاني
مفتريات من باب المساهلة وارخا العنان لما قالوا افتراه من عنده احرب
يغادرهم على دعواهم ويقول هبوا اني افتريته فاتوا انتم بكلام مثله في حسن النظم

والبيان مفتريات من عند كم فانكم فصحاء مثلي وادعوا من استطعتم من دون الله الى
المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين في انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم ايها المؤمنين
باتيان مثله فانهم ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول عليه السلام متناولا لهم من حيث
انه يجب عليهم اتباعه في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب
رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه الامر الاتي ذكره
ويجوز ان يكون الجمع في الخطاب لتعظيم الرسول عليه السلام ويجوز ان يكون
الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن في من استطعتم اي فان لم يستجب
لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم انهم عاجزون
عن ذلك فاعلموا انما انزل ملتبسا بعلم الله اي بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق
وان لا اله الا هو واعلموا عند عجز الكل ان لا اله الا الله وحده القادر على ما لا يقدر
عليه احد وان الشرك به ظلم وان ما تعبدونه ليس من الالوهية في شيء فهل انتم
مسلمون بعد هذه الحجة القاطعة ويجوز ان يكون الخطاب للمسلمين ومعناه
واثبتوا على العلم بالتوحيد وزيدوا يقينا فهل انتم دائمون على الاسلام مخلصون
لله تعالى بازدياد اليقين وثبات القدم والطمانينة في تفسير يقتضي الاستفهام
بهم والعدول عن الفعل الى الجملة وسبك المسلمون من يسلمون ايذان بطلب
دوام الاسلام وقوة الثبات في الدين وانهم مطالبون بذلك لزوال العذر
ووضوح الدليل وقوته وعلى خطاب المشركين فاشارة الى ان قوة الصارف
عن الشرك وقيام موجب التوحيد يقتضي استحالة الشرك والمواظبة على الاسلام
فما ابعد حالكم عن ذلك وفيه تهديد بليغ واقناط من ان يجيرهم من بأس الله تعالى
شركاؤهم لان دليل التوحيد دال على نفي القدرة والالوهية عن الغير ووجوب
الاذعان له من كان يريد الحياة الدنيا باحسانه وبره وزيادة كان للدلالة على
استمرار تلك الحالة ولابد في ترتب ما ياتي ذكره وزينتها الزينة تختص الشيء
وغيره من لبسه وحليته وغيرها لكن نوف اليهم وقرئ يوف بالياء اي يوف الله
تعالى ويوف للبناء على المفعول ويوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض اليهم
اعمالهم جزاء اعمالهم من الصحة والامن وسعة الرزق وكثرة الاولاد والرياسة
والتوفية تادية الحق على التمام فيها في الحياة الدنيا وهم فيها اي في جزاء الاعمال
ويجوز عود الضمير الى الحياة الدنيا لما فيه من الاعادة دون الافادة لا يبخسون
البخس نقصان الحق ظلما يعني لا ظلم في ايفاء جزاء اعمالهم في هذه الدار وت
ابتنائه الجزاء الى الذات فما ذكرناه تاسيس لا تاكيد والاية عامة في الكفرة وبرهم
اولئك الذين ليس لهم في الاخرة اي حظ فالهم ما به ينال لعلمهم بكون الكلام
على طريقة بشر قاتل الزبير بالنار الا النار وما فيها من انواع العذاب والاقتصار
على ذكر النار من قبيل الاكتفاء عن الشيء بذكر منبعه وذلك لانهم استوفوا ما يقتضيه
صور اعمالهم الحسنة وبقيت عليهم اوزار العزايم السيئة وحبط ما صنعوا فيها في مقابلة

الاخرة من وجوه البر بنوع من التكليف لانه خلاف مقتضى الطبع وهو المستحق لها
عبر عنه بالصنع وانما قال فيها حبط لانه ليس باطلا في حد نفسه لترتب
الاثر ذكر الا انه لا يجدي في الاخرة لانه لم يقارن شرط القبول وهو الايمان
وباطل في نفسه ما كانوا يعملون ما اعتادوا واعمل في مصالح الحياة الدنيا واسباب
زينتها ثم للدلالة على الاستمرار التجددي جمع بين كان وصيغة المضارع كما في
قوله من كان يريد الحياة الدنيا ومجموع الجملتين علة لما قبلها وقرئ بطل على
الفعل وباطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله
ولا خارجا من في زور كلام افمن كان على بينة من ربه برهان من الله تعالى على ان
دين الاسلام حق وهو القرآن من مبتدا خبره محذوف تقديره افمن كان على بينة
من ربه كمن كان يريد الحياة الدنيا في المنزلة والرتبة يعني ان بين هؤلاء
الكاملين المحققين وبين اولئك الناقصين المقصرين بونا بعيدا وتفاوتا
عظيما فالهمزة لانكار المماثلة بينهما والفاء لتفريع هذا الانكار وترتيبه على ما
تقدم من بيان مساواة حال تلك الناقصين فهي متقدمة بعيدا ان اخرت عن
الهمزة لفظا لاقتضائها الصدارة في الكلام ومن ذهب الى ان الفاء عاطفة للتعقيب
مستدعية سبق ما يعطف عليه فالتقدير امن كان يريد الحياة الدنيا
فمن كان على بينة من ربه والخبر محذوف لدلالة الفاء عليه اي يعقبونهم
ويقربونهم والاستفهام لانكار هذا التعقيب فقد تكلف واما من اختار
التقدير الاول وزعم ان الهمزة لانكار التعقيب فلم يكن على بصيرة حيث خلط
بين الوجهين فخبط ويتلوه اي يتبع ذلك البرهان الذي يتضمن الدليل
العقلي لكونه معجزا شاهد هو عيسى عليه السلام حيث بشر ببعثته نبينا عليه
السلام وبهذه البشارة منه شهادة حقية دين الاسلام والتنكير للتعظيم
وكذا قوله منه اي من الله تعالى ومن قبله اي من قبل ذلك الشاهد كتاب
موسى يعني التورية فانه ايضا يتلوه في التصديق وقرئ كتاب بالنصب عطفا
على الضمير في يتلوه والضمير في قبله للقرآن الذي عبر عنه بالبينة والمعنى ان
الشاهد المذكور يتبع الكتابين القرآن والتورية اماما كتابا يؤتم به
في الدين قدوة منه ورحمة نعمة عظيمة على المنزل اليهم لان الوصلة الى الفوز
بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به اي القرآن ومن
يكفر به من الاحزاب من اصناف الكفار مشركا كان او كتابيا فالنار موعده يردها
لا محالة لانه تعالى لا يخلف وعده فلا تك في مرية منه من القرآن وقيل من الموعد وقوله
انه الحق من ربك ظاهر في الاول وقرئ مرية بضم الميم وهما لغتان وقد مر
في اول سورة البقرة الفرق بينهما وبين الريب والشك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
بكونه من عند الله تعالى لقلة نظرهم وقصور تدبرهم ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا بان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزل وقد مر ما يتعلق به في

سورة الانعام اولئك يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويقول
الاشهاد من الملائكة والنبيين جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف وتاوصفهم
بذلك لانهم يختصون بهذا العرض لان العرض عام في كل العباد كما قال وعرضوا على
ربك صفا بل اراد انهم يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد عند عرضهم هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم بنسبة الولد والشريك اليه ونفي ما انزل عنه الا لعنة الله على الظالمين
من قول الاشهاد او قول الله تعالى اي طردوا ولعنوا بسبب ظلمهم بالكذب على الله
تعالى وفيه تهويل عظيم مما يحيق بهم الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها
عوجا يصفونها بالاعوجاج او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد والعوج الانحراف
والميل المودي الى الفساد تقول بغيتك خيرا او شرا او طلبت لك وهم بالاخرة
هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به
اولئك لم يكونوا معجزين اي ما كانوا معجزين الله تعالى في الدنيا ان يعاقبهم ومعنى
معجزين مغلبين لا يقدر عليهم وانما قال في الارض لان تصرف بني ادم وتمتعهم انما
هو فيها وهي قصارى ان لا يستطيع التجاوز منها وما كان لهم من دون الله
اثبت ذكر الله هنا واسقط فيما سبق وكان مقتضى الظاهر اثباته ثمة والاكتفاء
بالضمير هنا وانما عدل الى ما وقع احترازا عن اضافة العجز اليه تعالى صريحا
من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكن اخرهم الى هذا اليوم ليتضاعف عذابهم
فقوله يضاعف لهم العذاب في مقام التدارك بالجواب للسؤال عن وجه
تاخير العقاب والله اعلم بالصواب ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم
كراهة استماع الحق كانهم لا يقدرون على استماعه وما كانوا يبصرون لفرط
تعاميهم كراهة ابصاره وكانه العلة لمضاعفة العذاب اولئك الذين خسروا
انفسهم باشتراء عبادة الاوثان بعبادة الله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الالهة وشفاعتها او خسروا ما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى
الندامة لا جرم مذهب الخليل وسيبويه انه ركب من لا وجرم وبني والمعنى حق
وما بعده رفع على الفاعلية وقال الكسائي معناه لا بد ولا منع فيكون جرم
اسم وهو مبني على الفتح انهم في الاخرة هم الاخسرون لما كان خسران النفس
اعظم الخسران على كل خاسر من سواهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم اطمانوا اليه بالخشوع من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمومن وقدم الكافر اعتبارا للسياق
كالاعمى والاصم والبصير والسميع شبه فريق الكافرين في عدم انتفاعهم بالمشاعر
بالاعمى والاصم وفريق المومنين بالسميع والبصير والتشبيه بحسب جليل النظر
من قبيل المفرد وبحسب دقيقه من قبيل المركب لانه ابلغ والتعبير بالمثل انسب
وذلك ان المقام يحتمل تشبيه الفريقين بالجامع بين العمى والصمم والجامع بين
السمع والبصر للجمع بين الصفتين كما في قوله الصابح فالغانم فالايب وتشبيه

احدهما بكل واحد من الاعمى والاصم والاخر بكل واحد من السميع والبصير فيكون لكل منهما
تشبيهان كما في قوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
وهو من باب اللف والطباق والوجه هو الاول لانه تفنيهم الكفار الى مشبه بالاول
ومشبه بالثاني وكذلك المومنون غير مقصود في الاية بخلاف البيت المذكور
بل المراد تشبيه حال هؤلاء الكفرة الغاوين الموصوفين بالتصام عن ايات الله
بحال من خلق اعمى واصم لا تنفعه اشارة ولا عبارة وحال هؤلاء الذين امنوا وعملوا
الصالحات فانتفعوا باسماعهم وابصارهم اهتدوا الى الجنة وانكفوا عما كانوا خابطين
فيه من ضلال الكفر والرحمة بحال من هو بصير سميع يستضيء بالانوار في الظلام
ويستضي مغانم الانذار والابشار فوز بالمرام هل يستويان اي الفريقان والاستفهام
انكاري مثلا صفة او تشبيها افلا تذكرون بالتامل فيما ضربناه من المثل
فالفاء لترتيب الاستفهام التقريري على ما تقدم وتاخرها لفظا لرعاية ما للاستفهام
من حق الصدارة في الكلام ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير قرئ اني
بالكسر على ارادة القول اي قايلا اني وبالفتح فتقديره باني اي ارسلناه ملتبسا
بهذا الكلام فلما اتصل به الكاف فتح كما في كان زيدا الاسد والمعنى بحاله مبين ابين
لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم
على قراءة الكسر ان مفسرة متعلقة بنذير او بارسلنا ويجوز ان يكون المعنى
بان لا تعبدوا الا الله على انها صلة ارسلنا كانه قيل ارسلناه بنهيهم عن
الاشراك قايلا اني نذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وصف اليوم بالاليم
من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه كقوله نهاره صايم فقال الملا الذين
كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا ارادوا به نفي رسالته بطريق البرهان
بناء على زعمهم ان الرسول يجب ان يكون ملكا واما ما قيل اي لا نرى لك علينا
تفضلا بالنبوة ووجوب الطاعة فيغني عنه قوله وما نرى لكم علينا من فضل
فقوله مثلنا لتحقيق البشرية وقوله وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذ
لنا استدلال بانهم ضعفاء العقول لتميزهم فجوزوا ان لا يكون الرسول بشيرا
والاراذل جمع الارذل وهو بمعنى الاخس فانه بالغلبة صار كالاسم كالاكبر
والارذل جمع رذل بادي الراي قرئ بالهمز من بدا يبدا اي اول الراي وبغير
الهمز من بدا يبدو اذا ظهر اي ظاهر الراي نصب على الظرف والعامل اتبعك
اي اتبعوك وقت حدوث اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما
لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف والمحروم منها ارذل
وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل
التنكير للتقليل فهذا القول منهم تسجيل بان دعوى النبوة باطلة لادخاله عليه
السلام الاراذل في سلك على اسلوب يدعي انهم انقص البشر فضلا عن الارتقا

الى درجة التفضيل بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم
بصدقك وكانهم اظهروا الاحتراز عن الجزاف والاقتصار على قدر الحاجة ولهذا
عدلوا عن دعوى اليقين الى دعوى الظن الكافي في ايجاب العاقل لموجبه قال
يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي اي حجة شاهدة بصحة
دعوى وآتاني رحمة من عنده هي النبوة فعميت عليكم خفيت عليكم البينة لان
خفاها يوجب خفا النبوة اذ النبوة بعد ظهور البينة او كل واحدة منهما او
قدر فعميت بعد البينة فحذف للاختصار والاكتفا بذكره مرة كقوله يريت
دراعي وجبهته الاسد ويجوز ان يراد بالبينة الرحمة مع النبوة وقرئ فعميت
بالتشديد اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله تعالى انلزمكموها
انكرهكم على الاهتدا بها جواب ارايتم ساد مسد جواب الشرط واذا اجتمع
ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف جاز في الثاني الاتصال كما وقع
ها هنا والانفصال كما لو قيل انلزمكم اياها وانتم لها كارهون لا تختارونها
ولا تتاملون فيها ويا قوم لا اسالكم عليه الضمير راجع الى قوله اني لكم نذير
مبين ان لا تعبدوا الا الله وهذا اي الرجوع الى القول اولى من الرجوع الى المدلول
لان الاجر في مقابلة الشغل فالقول المشتمل على الانذار هو المقابل بالاجر مالا
جعلا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المستجيب فقيرا او غنيا ففيه الجواب
عن قولهم ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا ان اجري الا على الله بالتزامه
تفضلا لا بالايجاب شرعا او عقلا وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سالوا
طردهم ليوسموا به انفة من ان يكونوا معهم وما لوح اليهم ما شككهم في امرهم
وترددوا في علته قال انهم ملاقوا ربهم اي فايزون بلقا ربهم وقربه فكيف
اطردهم ويجوز ان يكون جوابا عن قولهم اتبعوك بادي الراي اي فعل بظاهر
ما ارى فاكتفي بظاهر ايمانهم واحال باطنهم الى الله تعالى فانهم ملاقوه فيجازيهم
على سرايرهم ولكني اراكم قوما تجهلون استدراك عما تقدم من قولهم ما نريك
وما نريك اي لا حقيقة لما رايتم فكانكم ما رايتم فينا شيا ولكني اراكم قوما تجهلون
ما لا ينبغي ان يخفى على الرجال من ان الشرف لا يتفاضلون بالاحساب والاموال
بل باسباب الكمال من الاعمال والاحوال وبما قررناه تبين وجه ادراج قوله
قوما في الكلام وادماج رفيقة انيقة في اثنا تقريب المرام ويا قوم تلطف نوح
عليه السلام بندايه اياهم بقوله يا قوم استدراجا لهم في قبول كلامه كما تلطف
مومن ال فرعون بقوله يا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم
وهم بتلك المثابة من القرب والكرامة عند الله تعالى افلا تذكرون لتعرفوا ان
توقيف الايمان على طردهم ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزاين الله خزاين
رزقه ونعمه اي كما لا اسالكم مالا فكذلك لا ادعي اني ملك مالا ادفعه لاتباعي
فلا غرض لي في المال لا اخذا ولا دفعا ولا اعلم الغيب حتى اصل الى ما اريده

لنفسي

لنفسي ولاتباعي عطف على لا اقول لا على عندي خزاين الله والغالب انه فيه ينفي
القول المفرق الدقيق بينه وبين ما اتى فيه لنفسه وقد مر بيانه في تفسير سورة
الانعام واما فايدة تكرار لا انك اذا اكدت به لا يزال احتمال المعية في النفي فعلى تقدير
انك في الكلام يحق باق على التعيين بعيد عن الشهوة والتجوز ولا اقول اني ملك بعبارته
جواب عن قولهم ما انت الا بشر مثلنا وباشارته جواب عن طعنهم فيه عليه السلام
لمخالطته للفقرا اي لا اتعاظم بذلك عليكم بل طريقي الخضوع والتواضع ومن كان
شانه وطريقه كذلك لا يستنكف عن مخالطة الفقرا والمساكين ولا يطلب مجالسة
الاغنيا والسلاطين فلما كانت طريقتي توجب مخالطة الفقرا كيف جعلتم ذلك
عيبا علي ثم اكد هذا بقوله ولا اقول للذين تزدري اعينكم اي في شان من
استرذلتموه لفقرهم الازدرا افتعال من زرى عليه اذا عاب وازدريته
وازدريته اي احتقرته واسناد الازدرا الى الاعين مجاز للمبالغة والتنبيه
على انهم استخسوهم بادي الروية من غير روية بل بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة
منالهم من تامل في معتقدهم وكمالاتهم لن يوتيهم الله خيرا عسى ان يكون ما
اعد الله لهم في الاخرة او في الدنيا والاخرة خيرا مما اتيكم من الغنى الله اعلم بما في
انفسهم من الايمان وعدمه اني اذا ان فعلت او قلت شيا من ذلك لمن الظالمين
انفسهم بطرد من امرت بقبوله قالوا يا نوح قد جادلتنا اي خاصمتنا والجادلة
المخاصمة ليرجعه عما عليه واصله الجدل وهو الفتل فاكثرت جدالنا فاطلته
او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل ان كنت من الصادقين في
الوعيد فان مناظرتك لا توثر فينا ولا تفيد قال انما ياتيكم به الله ان شا
اي ليس الاتيان به الي انما هو الى الذي عصيتموه وكفرتم به فيفعله ان شا كما شا
عاجلا او اجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب عنه ولا ينفعكم نصحي النصح
المحاض ارادة الخير في الدلالة ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موضع الغي ليتقي
والرشد ليبتغى ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل وجواب له والجملة دليل جواب
قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم
ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام
بلا طايل وانما قال ان اردت ان انصح مع وقوع النصح استظهارا في الحجة لانهم
ذهبوا الى انه ليس بنصح فقال لو كان نصحا ما نفع من لا يقبله وفيه دلالة
على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغوا وان خلاف مراده تعالى غير واقع
هو ربكم خالقكم ومتقلبكم في الدنيا الى وقت اهلاككم واليه ترجعون فيجازيكم
على اعمالكم ام يقولون افتراه قال مقاتل هذا الكلام في شان محمد صلى الله عليه وسلم
اعترض في قصة نوح عليه السلام وهذا اظهر وانسب بالسياق لانه كالتقرير
لقوله ام يقولون افتراه بالدلالة على بطلان العناد وان مثله بعد الاتيان بالقصة
على هذا الاسلوب المعجز لا ينبغي ان ينسب الى الافترا في زيادة انكاره فكانه قيل

بل مع هذا البيان ايضا يقولون افتراه وهو نظير اعتراض قوله وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم بين قصة ابراهيم عليه السلام على احد الوجهين قل ان افتريته فعلي اجرامي اي ان ثبت افتري فعلي عقوبة اجرامي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتعادوني وانا بري مما تجرمون اي ولم يثبت ذلك بل هو فريكم وانا بري من افترائكم اي نسبتكم اياي الى الافترا وانما عدل الى المنزل على طريقة المشاكلة اوماجا لكونهم مجرمين وان المسالة معكوسة واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن هذا الاستثنا على طريقة الا ما قد سلف على ما قيل انه استثنا من اللفظ للمبالغة في التحريم فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله تعالى في ايمانهم على وجه ابلغ ثم نهاه ان يغتم بما اصروا عليه من تكذيبه والاستهزا والابتيا س حزن استكانة واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا وكما كانت العين هي الجارحة التي بها يحفظ الشي عبر بكثرتها عن المبالغة في الحفظ والرعاية والرعاية عن الاختلال والزيغ عن صنعته وعن من احمة العدو له وكيده في المنع ومن عمله على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا نهي عن التكلم فيهم مبالغة في النهي عن الدعا في استدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه من عمل السفينة وكان يعملها في برية بعيدة من الما اوان عزته فكانوا يتضاحكون منه ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا والسخر الاستجهال مع الاستهزا ومصدره سخري بضم السين والمصدر من السخرة سخري بكسرها قال ان تسخروا منا فيه تنزيل المحقق منزلة المشكوك تمهيدا لما قصدوه من تجهيلهم فيما فعلوه فانا نسخر منكم كما تسخرون المراد من سخرية عليه السلام مجرد الاستجهال واطلاق السخرية عليه بطريق المشاكلة اي انا نستجهلكم في سخريتكم ابانا بنا على ظاهر الحال جهلا بحقيقة الامر كما هو عادة الجهال والسخرية بهذا المعنى منه عليه السلام في الحال ومن قال اذا اغرقكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة فقد حمله على الحقيقة وكانه لم يدر انه الاستهزا لا يليق بمنصبه عليه السلام فسوف تعلمون تهديد بليغ من ياتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبعذاب يخزيه الغرق في الدنيا ويحل عليه حلول الدين اللازم الذي لا انفكاك له عنه في الاخرة عذاب مقيم دائم هو عذاب النار حتى اذا جا امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدا بعدها الكلام وفار التنور اي يفور القدر بالغليان اي نبع الما وارتفع من الارض لشدة الاندفاع والتنور تنور الخبز ابتدا منه النبوع على خرق العادة قلنا احمل فيها الضمير للسفينة وكانت ذات بطون والمحمولون كانوا في بطونها على طبقاتهم ولهذا قال فيها دون عليها من كل من كل نوع لا بد منه زوجين الزوج واحد له

شكل

شكل فالذكر زوج والانثى زوج وقد يطلق الزوج على مجموعهما وقد دفع هذا الاحتمال قال اثنين وانما يقل من كل نوع اثنين اخراجا لمثل البغل عن خبر الامر بالحمل لعدم الحاجة اليه قرئ من كل زوجين بالاضافة الى معنى احمل اثنين من كل زوجين واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امراته وبنوه ونساوهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين وقد كان القول السابق صنا راهم قال عليه دون فيه استثنا من المعنى اللازم للامر كانه قيل انهم لا يغرقون الا من سبق عليه القول يعني ابنه كنعان وامراته واعلة فانهما كانا كافرين فاندفع السوال بانه لا يخلو من ان يكون المستثنى معلوما لنوح عليه السلام فلا وجه لقوله رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق اولا فيلزم استثنا المجهول من الذين امر عليه السلام بحملهم على السفينة ولا وجه له ومن امن اي والذين امنوا من غيرهم وافردهم بالذكر مع انهم من الذين امنوا المصلحة الاستثنا المذكور المتضمن للاشارة الى الانتساب اليه عليه السلام لا يجدي نفعا في دفع العذاب المذكور انما المنجي عنه هو الاتباع له عليه السلام وما امن معه الا قليل اختلفوا في عدده ولا فايدة في تعيينه وكلمة مع هنا كالتي في قوله واسلمت مع سليمان وقال اي وقال نوح عليه السلام لمن امن معه اركبوا فيها والركوب العلو على ظهر الشي وهو يتعدى بنفسه فيقال ركبت السفينة وزيادة في لانه عليه السلام امرهم ان يكونوا في جوفها لا على فوقها بسم الله متعلق باركبوا حالا من ضمير الفاعل اي اركبوا مسمين الله تعالى او قايلين بسم الله مجراها ومرساها نصب على الظرف اي وقت ارسايها واجرايها لانهما اسما زمان او مصدران كالاجرا والارسا بحذف الوقت كقولهم خفوق النجم ويجوز ان يكونا اسمي مكان وانتصابهما بما في اسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة من مبتدا وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيه مجراه ومرساه بسم الله يعني التقدير كقوله ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراها وارساها بسم الله تعالى فيكونان كلامين عليه السلام يروى انه اذا اراد ان يجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو فقال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراوها وارساوها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله تعالى ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لغرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري بهم والبا في بهم كالتي في قولك دخلت عليه بثياب السفر والجري من سريع والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار تلك الحالة العجيبة في موج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الما الكثير عند اضطرابه

كالجبال شبه كل موجة بجبل في تراكمها وارتفاعها وفي قوله موج رد لما قيل
ان الما طبق ما بين السما والارض وكانت السفينة تجري في جوفه اذ حينئذ
لا يحال للموج والحمل على انه في تلك الحال يأباه المقام لاقتضا المبالغة في بيان تلك
الاهوال فلا حاجة للاكتفا بذكرها وايلها ونادى نوح ابنه كنعان وقرى ابنها
وابنه بفتح الها اكتفا بالفتحة عن الالف والضمير لامراته على انه كان ربيبه
وقرى ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل المعزل موضع
منقطع عن غيره وكان كنعان في ناحية منفصلة عن موضعه عليه السلام يا بني
قرى بكسر اليا اقتصارا عليه من يا الاضافة في قولك او سقطت الالف واليا لا
لتقا الساكنين لان الرا بعدهما ساكنة اركب اي اركب السفينة معنا فتحوز وقرى
بادغام البا في الميم لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين فتهلك وحاله كانت ملتبسة
عليه عليه السلام لانه كان ينافقه ولهذا سعى في خلاصه بحل العلم بان الكفار كلهم
مؤاخذون واما السوال بانه كيف ساغ له الامر بركوبه في السفينة بعد العلم بانه
من جملة المستثنين من اهله المامور بحملهم فقد مر وجه اندفاعه قال ساوي الى
جبل عظيم يعصمني من الما يعني بارتفاعه قال لا عاصم اليوم من امر الله
انما قال اليوم لان في سائر الايام يوجد عاصم من امر الله على ما نطق به
قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله والمراد
من امر الله الافات الواقعة على خلاف العادة الا من رحم الله اي الا الله الذي
قد رحمنا بما امننا من الغرق وفي العدول من الضمير الى الموصول زيادة تفخيم
وتحقيق لرحمته وان رحمته هي المعتصم لا الجبل وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة
الا من رحم الله وحال بينهما الموج بين نوح عليه السلام وابنه لا بين ابنه
والجبل لمكان التفريع في قوله فكان من المغرقين اذ لا دخل للحيلولة بينه
وبين الجبل في صيرورته من المهلكين بالما لما مر انه ليس بعاصم وقيل يا ارض
ابلعي ماءك ويا سما اقلعي البلع الازدراد والمراد به نشفها على طريقة الا
ستعارة لاغور الما في الارض لان فعل الارض هو النشف دون الغور فانه
فعل الما بطبعه والاقلاع اذهاب الشي من اصله حتى لا يبقى له اثر يقال
اقلعت السما اذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شي منه شبهت السما والارض
في سرعة انقيادهما لامر ربهما وانفعالهما بفعله فيهما بلا توقف وقبول ما يريد
منهما مع تعلق الارادة به من غير امتناع بالماهور المطيع للامر المطاع
القادر على ما شا الذي اذا امر سارع الامتثال من غير ريب وبادر
الى الطاعة بلا لبث خشية وهيبة من عظمته وجلاله فنوديا بما ينادى
به العاقل المميز المطلوب اقباله وامرا بما يؤمر به المدرك المتفطن لما امر
به تفخيما على كمال قدرته ونفاذ امره ومشيئته في الكل وغيض الما حين
غاض اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجا

المومنين

المومنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بعدا
للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا اذا صار بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم
استعير للهلاك وخص بدعا السو وايراد الاخبار على الفعل المبني للمفعول للدلالة
على عظمة الفاعل وجلالة قدره وعلو شانه وانه لا يمكن ان تكون تلك الافعال
والاثار الا الله الواحد القهار القادر على ما يشا وتعين روانه متعين عند العقل
بدليل ابى من اللفظ اذ يستحيل ان يشاركه فيها غيره ولا يذهب الوهم الى ان يقول غيره
يا ارض ابلعي ماك ويا سما اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر العظيم الهايل سواه ولا ان تستقر
السفينة بعد اضطرابها الا بامره وتقديره وبخلقه يهلك الظلمة ذلك الهلاك الفظيع
الا بتقديره وتدبيره وقد جمعت الاية من فخامة المعنى وجزالة اللفظ وحسن النظم
ورصافة التركيب ووضوح الدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي من الاخلال ما تاهت
الافهام في مجاريه واستغلقت به الالباب من كثرة الركاكة ولطايف المعاني التي
تخو بها بدايع الطباق والجناس التي فيه لانها وان كانت تحسن ظاهر الكلام وتزين
ديباجة النظام لكنها بالنسبة الى اللطايف المعنوية كالقشر من اللباب وكالدردي
من صفو الشراب ونادى نوح ربه اراد النداء في نفسه ولا دلالة في عطف قوله فقال
على تقدير الارادة فانه من قبيل عطف المفصل على المجمل بل نقول لا وجه لتقديرها لان
الاخبار عنه خلو عن فائدة الخبر ولازمها رب ان ابني من اهلي الذي وعدتني انجاهم
بالركوب في السفينة هذا الوعد غير مذكور في القرآن صريحا بل يفهم من الامر بحملهم
في السفينة وان وعدك الحق وان كل وعد تعده لا يتطرق اليه الخلف وانت احكم
الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم فلا يشوب حكمك ذلك ولا اخلل فترجح وهذا ا
ابني قد حرم عن الركوب في السفينة وعرفني حتى اكون على علم فيسكن قلبي ومبني
هذا على زعم ان ابنه ليس بكافر لما انه كان ينافقه على ما تقدم بيانه وهذا الندا
منه عليه السلام وان كان بعد مكالمته مع ابنه لكن قوله ساوي الى جبل الى اخره
لا يدل على كفره لجواز ان يكون قد ظن ان الصعود على الجبل الشامخ يجري مجرى ركوب
السفينة وانه يصونه عن الغرق وبعد اخبار ابيه انه لا عاصم اليوم من امر
الله حال الموج بينه وبين ابنه فلم يتمكن له مجال التكرير وانما قلنا انه بعد المكالمة
لانه لو كان قبله لما ساغ له عليه السلام انه من الذين نهي عن حملهم في السفينة
قال يا نوح انه ليس من اهلك لانقطاع الولاية بين المومنين والكافرين
واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله وابدل
فاسد بغير صالح تصريحا بالمنافاة بين وصفيهما الموجبة لانتفا القرابة بينهما
ونفيا لما اوجب النجاة لمن نجا من اهله وايما الى من نجا من اهله انما نجا به
بالصلاح لا بقرابته وقرى انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وجعل ذاته
نفس العمل للمبالغة في ذمه واصله ذو عمل فاسد فحذف فلا تسالني قرى
بتشديد النون من غير يا وبالنون الثقيلة بيا وبغير يا ما ليس لك به علم

اي لا تطلب مني ما لا تعلم اصواب هو ام ليس بصواب حتي يتبين لك وجه كونه مطلوبا وانما نهاه عن ذلك ليضمن كلامه بتذكير الوعد بنجاة اهله استجازة في حق ولده وهذا لانه عليه السلام لم يكن حينئذ عالما بهلاك ابنه ولا دلالة علي هلاكه في حيلولة الموج بينهما واما ظاهر كلامه عليه السلام وهو استفسار عن المانع لكونه محمولا في السفينة مع كونه من اهله الذين ورد البشارة في حقهم بذلك فلا يناسبه النهي عنه خصوصا مع التقييد بقوله ما ليس لك به علم فانه باعث للاستفسار دون الانتها عنه اني اعظك الوعظ الزجر عن القبيح بما يدعوا الي الجميل علي وجه الترغيب والترهيب ان تكون من الجاهلين انما سماه جهلا ونفاه عنه لانه لما استثنى عند الموعد بقوله الا من سبق عليه القول فقد نبهه ان من اهله من يهلك فكان الواجب عليه ان يوطن نفسه علي ان من اهله من يستوجب العذاب وقد دل ظاهر حال ابنه انه منهم فلا رخصة في حقه بسوال الاستخبار قبل ان تبين حاله فعوتب علي ذلك واما سوال الاستفسار وان كان ينتظمه ايضا هذا القول لكن القيد المتقدم ذكره لا يتحمله علي ما نبهت عليه انفا واما ما قيل ان استثنا من سبق عليه القول من اهله قد دله علي الحال واستغناه عن السوال لكن شغله حب الولد عنه حتي اشتبه عليه الامر فبناه علي ان يكون الاستثنا المذكور من لفظ اهله وقد عرفت ما فيه من الاشكال فانه بعد علمه عليه السلام ان ابنه مستثنى من الذين امر بحملهم في السفينة يكون قوله يا بني اركب معنا عصيانا والاعتذار بذكر لا يجدي نفعا قال رب اني اعوذ بك العياذ الاعتصام بما يمنع من الشر ان اسالك اي اطلب منك ما ليس لي به علم بحاله لاحتمال الخطا وهذا توبة منه عليه السلام ان يعود الي مثله في المستقبل تادبا بتاديب الله تعالي والا تغفر لي ما فرط مني وترحمني بالتفضل علي بقبول توبتي اكن من الخاسرين اي ما لا اطلب المغفرة والرحمة بهذه الطريقة لكنا بينه ابلغ واكد من قوله اللهم اغفر لي وارحمني لما فيه من قطع الرجا من غيره تعالي واخبار انه لا يملك احد ذلك غيره بخلاف ما صرح فيه بالطلب قيل يا نوح اهبط اي انزل من الجبل الي قرار الارض فالهبوط نزول من اعلي مكان الي ما دونه بسلام منا اي بتحية كما قال سلام علي نوح في العالمين وقيل اي سلامة من الافات وبركات عليك جمع بركة وهو ثبوت الخير بتمامه وهي في حقه عليه السلام تكثير ذريته واتباعه وسائر المنافع لما كان الطوفان عاما فعنه ما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم انه ليس في الارض ما ينتفع به من النبات والحيوان فكان كالخائف في انه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من الماكول والمشروب فازال الله تعالي ذلك الخوف عنه بالبشارة ه بحصول السلامة عن العاهات وسعة الرزق والمهمات وعلي امم ممن معك من لابتدا الغاية اي امم ناشية ممن معك في السفينة الي اخر الدهر ويجوز ان يكون للبيان ويراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات

لان

لان الامم يتشعب منه وامم مبتدا سنمتعهم صفة له والخبر محذوف دل عليه ممن معك اي وممن معك امم سنمتعهم ولما خص امما ناشية ممن معه بالسلام والبركات وهم المومنون اشار الي ان منهم امما متمتعين في الدنيا معذبين في الاخرة وهم الكافرون وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والعذاب المذكور في قوله ثم يمسهم منا عذاب اليم ما نزل بهم تلك اشارة الي قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتدا وخبره من انبا الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك وحال من الانبا او هو الخبر ومن انبا متعلق به او حال من الها ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر اخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائنا اليك او حال من الها في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها والفائدة في قوله ولا قومك ان قومك مع كثرتهم لم يسمعوا علم القصص والاخبار وانت احدهم فلم يمكن تعلمك منهم ولم تخالط غيرهم فما علمت الا بالوحي فاصبر علي ادا الرسالة واذي قومك كما صبر نوح عليه السلام وتوقع في العاقبة لك ولمن تبعك ما قيض له ولقومه ان العاقبة بالظفر في الدنيا والفوز في الاخرة للمتقين عن الكفر والمعاصي والي عاد اخاهم واحدا منهم عطف علي نوحا الي قومه هودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله اي لا تعبدوا غيره دل عليه تعقيبه بقوله ما لكم من اله غيره وذلك يدل علي ان المقصود من هذا نهيهم عن عبادة الاصنام وغيره صفة لاله قرئ بالرفع حملا علي محله وبالجر علي لفظه ان انتم الا مفترون علي الله تعالي في قولكم انه امرنا بعبادة الاصنام واما ما قيل باتخاذ الاوثان شركا وجعلها شفعا فمبناه عدم الفرق بين الكذب والافترا ويا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا علي الذي فطرني فما من رسول الا خاطب قومه بهذا القول ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع لا تنجع افلا تعقلون فتميزون بين الحق والباطل وتعلمون ان من لا غرض له في النصيحة لا ترد نصيحته ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه انما قدم الاستغفار علي التوبة لانه طلب المغفرة التي هو الغرض ثم بين ما به يتوصل اليها من التوبة فعبارة ثم هنا كالتي في قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يرسل السما عليكم مدرارا المدرار كثير الدرور والمراد من السما المطر ويزدكم قوة الي قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بذلك لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات قليل حبس عنهم بذلك لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات فقيل حبس عنهم القطر وعقمت نساؤهم ثلاث سنين فالمراد بالقوة هو كثرة الاولاد ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين علي اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل صحة دعواك قالوا ذلك عنادا وجحودا مثل كثرة معجزاته كقول قريش لرسول الله صلي الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت ايانه الحصر وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك حال من الضمير في تاركي اي صادرين عن قولك الجملة الاسمية وسبك اسم الفاعل من تركيب زيادة الباء في الخبر في قولهم وما نحن لك بمومنين اي ما يصح من امثالنا ما مع وفور العقل والكياسة

ان يصدقوا مثلك اقناطا له عليه السلام مع الاجابة التصديق علي وجه المبالغة والتاكيد
ان نقول الا اعتراك اعتراك مفعول القول والا لغو لان الاستثنا مفرغ اي ما نقول الا قولنا
اعتراك هو من اعتراه اي قصد عراه وهو الفضا والساحة والمراد الاصابة بطريق
الكناية بعض الهتنا بسوء بجنون بسبب سبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم
بالخرافات والقوم كانوا جفاة ثاتا بقين قال اني اشهد الله واشهدوا اني بري مما
تشركون ما مصدرية او موصولة واشهاده تعالي كلام جار علي اصطلحي به ليوكد به
ما ذكره من البراة عن شركهم وشركائهم واما اشهاده اياهم علي البراة فلانه لا يقول
احد لمن يعاديه اشهد اني بري الا وهو يريد عدم المبالاة والاستهانة بعداوته
واذا كان كذلك لزم التخالف بين الصيغتين خبرا ثانيا ابانة وطلبا جازما استهانة
من دونه اي انتم تجعلونها شركا ولم يجعلها هو شركاه ولما ينزل بذلك سلطانا نالمـ
واجهوه بكلمتهم الجفا وبهتوه بتخييل الالهة وسموا التوحيد الذي دعاهم اليه والارشاد
الذي نصحهم به خبثا وخبطا ولم يعتدوا بالبينات وخوفوه من الهتهم وانسوع
من الابهات بمجابهة احابهم بالبراة عن الهتهم وقابلهم بعدم المبالاة بهم والهتهم
ثقة بالله واكد البراة وثقتها باشهاد الله واشهاد العباد علي مجري العادة وبالغ
في ذلك الي ان قال اني اشهد الله وخالف بين اشهاد الله واشهادهم بان بت في الاول
واكد اخباره تثبيتا للتوحيد واحكاما لمعاقده وعدل عن الخبر الي الامر في الثاني
قلة مبالاة بهم وبربهم والهتهم واستهانة بما زعموا واعتقدوا من عقوبتهم
ثقة بالله وقوة اعتماد عليه وصحة توكل وزاد علي ذلك ان امرهم بالاجتماع
علي الكيد في هلاكه والاحتشاد فيه وعدم الانظار والتوقف بقوله فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون كقول نوح عليه السلام ثم اقضوا الي ولا تنظرون
وذلك من اعظم المعجزات فانه كان رجلا واحدا بين الجم الغفير والعدد الوفير
من الاقويا الغلاظ الشداد وخاطبهم بما يخاطب وحقرهم والهتهم بما حقر
وسبجهم علي نفسه فلم يقدروا علي اضراره ولم يجسروا علي بطشه وما
ذاك الا لعصمة الله تعالي اياه وحسن كلامه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت
علي الله ربي وربكم تقرير له اي انكم ان اجتمعتم وتعاونتم انتم والهتكم علي
وبذلتم وسعكم في قصدي بالسوء لم تضروني ولم تقدروا علي اهلاكي فاني توكلت
علي الله مالكي ومالككم لم يمكنكم اصابتي بما لم يرد ثم علي تقتضي مشيته وهي في
قبضته وملكته وتحت قهره وسلطنته والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك حتي
صار الاخذ بالناصية عرفا في القدرة علي التصرف وكانت العرب تجز ناصية
الاسير الممنون عليه علامة انه قد قدر عليه وقبض علي ناصيته ان ربي علي
صراط مستقيم علي طريق الحق والعدل في ربوبيته لا يسلط علي من توكل عليه
ظالما ولا يضيع عنده معتصم به ولا يغلب احد احدا الا باذنه وفي قوله
ان ربي بغير اعادة ربكم كما في الاول نكتة سرية بعد الاختصار المغني عن الحشو

فيه ما يدل علي زيادة اختصاصه به وانه رب الكل استحقاقا وتربية دونهم
تشريفا فان تولوا اي فان تتولوا وجواب الشرط ما في صريح فلذلك جا بالفا
وقد فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي فان تعرضوا فالحجة عليكم لم اعاتب فاني
ما فرطت في الابلاغ واداء ما ارسلت به اليكم وانتم ما اردتم الا التكذيب الرسالة
ومكافاة الرسول بالعداوة ويستخلف ربي قوما غيركم كلام مستانف بالوعيد
لهم اي ويهلككم ويأتي بقوم اخرين يخلفكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه شيئا
من الضرر بتوليكم لاستحالة ذلك عليه وقرئ ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه
بحذف النون عطفا علي محل فقد ابلغتكم اي ان تتولوا يعذب ربي ويستخلف قوما غيركم
ولا تضروا الا انفسكم ان ربي علي كل شي حفيظ رقيب مهيمن يحفظ اعمالكم ويواخذ
بها او حافظ علي الاشيا كلها والكل محتاج الي حفظه من الضرر ومن كان كذلك لا
يمكن ان يضره شي ولما جا امرنا في التعقيب بمجي الامر عن نزول عذابه الا
تنبيها علي عاد ما لا يخفي من الدلالة علي العظمة والجلال في جانب الامر وعن
الامتثال في جانب المامور نجينا هودا والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة الاف
برحمة منا من شوم معاصي العاصين فانه لولا تداركهم الرحمة من الرحمن لما تخلو
من العذاب النازل عليهم يدل عليه قوله تعالي واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة ونجيناهم من عذاب غليظ الغلظة كناية عن الشدة والتنكير
في عذاب ورحمة للتعظيم اخبر اولا بان الانجا الذي وقع لهم صار بسبب ايمانهم
ثم اخبر بان ذلك الانجا كان من عذاب اي عذاب دلالة علي كمال الامتنان
وتحريضا علي الايمان او هما متغايران فالاولي انجا الدنيا والثاني انجا الاخرة
والاولي اوفق لمقتضي المقام وعلي الوجه الاول ايضا لا تكرير ومن غفل عن هذا
قال تكرير لبيان ما نجاهم عنه وتلك عاد الاشارة الي مصارعهم واثارهم
حثا علي الاعتبار بهم واحضارا لهم كانهم مشاهدون بما يعاينون من الاثار
وفي اتيان باسم الاشارة وبما يدل علي البعد تهويل وتفخيم لما نزل بهم لا تعظيم
لشانهم او تحقير جحدوا بايات ربهم استيناف لبيان الوصف الذي استوجبوا
به العذاب وانما قال وعصوا رسله ولم يرسل اليهم غير هود عليه السلام
لان الانبيا كلهم دعوا الي التوحيد والاسلام متفقين وصدق بعضهم بعضا
فاذا عصوا واحدا منهم فقد عصوا كلهم واتبعوا امر كل جبار عنيد
رؤسايهم وكبرايهم الطاغين وعنيد من عند وعند وعنود اذا طغي
واتباع امرهم طاعتهم اي عصوا من دعاهم الي الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الي الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم
القيامة لما اتبعوا الجبابرة الطغاة جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين
تكبهم علي وجوههم في عذاب الله الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا
نعمه او كفروا به وانما عدي بالذات حملا له علي نقيضه الا بعدا لعاد دعا

عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم مستوجبين لما نزل عليهم بسبب
ما حكي عنهم وتكرير حرف التنبيه مع اسمهم في الموضعين وايراد حرف التحقيق
مع وصفهم الموجب للهلاك والعذاب تهويل وتفظيع لامرهم وحث على الحذر
من مثل حالهم والاعتبار بهم وايماء الى انهم في التعيين والاستحقاق لما نزل بهم
بسبب كفرهم كالعلم حتى صاروا امثالا مشهورة قوم هود عطف بيان لعاد
وفائدته التمييز بينهم وبين عاد الثانية وايماء الى ان استنبائهم بغاية
البعد بالهلاك بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام والى ثمود
اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد مر تفسيره هو
انشأكم من الارض اي لم ينشئكم منها الا هو وذلك لانه انشأ خلق ادم عليه السلام
او خلق مواد النطف التي خلقوا منها من التراب واستعمركم فيها وعمركم فيها واستبقاكم
من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها
منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها
لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه قد مر تفسيره فالفاء فصيحة عاطفة على
مقدر معناه وقابلتم العصيان بالاحسان ان ربي قريب اي الى الرحمة مجيب
لدعائه استيناف للترغيب في الامتثال بامره قالوا يا صالح قد كنت فينا
فيما بيننا مرجوا قبل هذا اي كنا نشاهد منك مخايل الرشد وامارات الصلاح
فرجونا ان تكون فينا سيدا ومستشارا ومرشدا ومسترشدا في التدابير او موافقا
في ديننا فلما تكلمت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا
حكاية حال ماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري من الاوثان
مريب اسم فاعل من ارابه اذا اوقعه في ريبة وهي قلق النفس وانتفاء
الطمانينة او من لازم بمعنى اراب الرجل اذا كان ذا ريبة والاسناد الى الشك مجازي
على كلا الوجهين قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة التي بحرف الشك باعتبار
المخاطبين الجاحدين اي قدروا اني على برهان من ربي واتاني منه رحمة نبوة
فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذاب الله والعدول من الضمير الى الاسم
الظاهر للتفخيم ان عصيته في تبليغ الرسالة والمنع من الاشراك به على هذا
التقدير فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسرون بالباطل
اعمالي والتعرض لعذابه او فيما تزيدونني بما تقولون لي غير ان اخسركم فانسبكم
الى الخسران ~~لعذابه او فيما تزيدونني~~ ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة
للتعظيم لكم اية حال والعامل فيها ما في اسم الاشارة من معنى الفعل ولكم حال من
اية تقدمت عليها ولو تاخرت عنها كانت صفة لها فذروها تاكل في ارض الله
ترع نباتها وتشرب ماءها وانما اضاف الارض اليه تعالى اظهارا لوجه
التفريع يعني ان الارض ارضه والناقة ناقته فذروها تاكل في ارضه ما
ينبتها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم

لها

لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها العقر قطع العضو الذي
له تاثير في النفس فقال تمتعوا اي تلذذوا بما تريدون من اسباب العيش
في داركم في بلدكم تقول العرب الذين في حوالي مكة نحن عرب الدار اي من عرب
البلد وقيل في دنياكم ثلاثة ايام قيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت
ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف
حرف الجر واجرائه مجرى المفعول به كقوله يوم مشهود او وعد غير كذب
على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوق بمعنى الصدق
ويجوز ان يكون من باب الاسناد المجازي كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفى
به فقد صدق ولم يكذب فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه
برحمة منا قد مر تفسيره ومن خزي يومئذ من متعلق بمحذوف اي
ونجيناهم من خزي على وفق ما تقدم في قصة هود عليه السلام والمراد من الخزي
هلاكهم بالذل والفضيحة وقرئ ومن خزي بالتنوين ونصب يومئذ على
الظرف معمولا لخزي وقرئ بالاضافة وفتح الميم والتنوين في اذ تنوين عوض
من الجملة المحذوفة المتقدمة بالذكر اي ومن فضيحة يوم اذ جاء الامر وحل
بهم ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء الغالب عليه واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسيره في سورة الاعراف كان لم
يغنوا فيها اي كانهم لم يوجدوا والمغنى المقام الذي يقيم به الحي الا ان ثمود كفروا
ربهم قرئ ثمود بفتح الدال من غير تنوين وقرئ بالتنوين وخفض الدال في قوله
الا بعدا لثمود اي نسبا الى الحي او للاب الاكبر ولقد جاءت اللام لتاكيد الخبر
وقد للتوقع لان السامع بقصص الانبياء عليهم السلام يتوقع قصة بعد قصة
رسلنا ابراهيم اي الملائكة بالبشرى اي بالبشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط
ويأباه ما في الذاريات من قوله وبشروه بغلام حليم ثم بعده قال فما
خطبكم ايها المرسلون قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقا
لوا على معنى ذكروا قال سلام اي عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من
تحيتهم والتنكير لدلالته على التعظيم ابلغ من التنوين وقرئ سلم بمعنى السلام
كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث فما مكث اذ كان معه طعام معد للاضياف
كل يوم والفاء للتعقيب على ما ظهر من المسالة انهم جاءوا بالخير دون الشر ان جاء
بعجل اما في محل الجر على تقدير فما لبث في المجيء به او النصب على حذف حرف الجر والرفع
على الفاعلية اي فما لبث مجيئه والعجل ولد البقر سمي به لتعجيل امره بقرب ميلاده
ولا يخفى لطف موقعه بعد ما فهم من قوله فما لبث من معنى العجلة حنيذ والحنيذ
هو الذي يقطر دسمه من حنذ الفرس اذا القيت عليه الجل حتى يقطر عرقا ويدل
عليه قوله تعالى في موضع اخر بعجل سمين وقيل المشوي بالرضف في اخدود وفيه
ان اعتبار قيد لا يهم اظهاره في المقام بما بعد هجنة في الكلام فلما راى ايديهم لا تصل

اليه روي انهم كانوا ينكثون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل ايديهم اليه
وعلى هذا يظهر وجه الاتيان بالفا الفصيحة والعدول عن لا يمدون اليه ايديهم
ومن وهم ان المذكور كناية عن المتروك فقد وهم نكرهم هذا صريح في ان انكاره عليه
السلام اياهم كان بعد رايه انهم لم يمدوا اليهم الى الطعام والظاهر من قوله
قال سلام قوم منكرون انه كان قبل ذلك في سورة الحجر والتوفيق انه نكرهم بعينه
حين راهم ونكرهم بقلبه بعدما راى منهم امارة الخلاف وقال ابو العالية يقال
نكره بقلبه وانكره بعينه واوجس منهم خيفة الايجاس الاحساس وذلك لانهم
كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقيل اوجس بمعنى
اضمر ويرده قوله تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون وكذا يرده ما قيل
وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف
الله او علموا لان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بالعذاب
فان مبنى هذا ايضا الغفول عن انه عليه السلام افصح من خوفه باوضح عبارة
قالوا له عليه السلام لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط يعني بالعذاب على ما افصح
عنه في موضع اخر بقوله عليهم حجارة وقيل وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرفهم
فيم ارسلوا ومبناه ايضا الغفول عن التفصيل الواقع في سورة الحجر فان هذا
القول منهم بعد البشارة له عليه السلام بالغلام واستفساره بقوله فما خطبكم
ايها المرسلون وكذا مبنى ما قيل هنا انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم
نمد ايدينا لانا لا ناكل ومبناه الغفول عما ذكر وامراته قائمة يعني في الخدمة
وكانت تسمع منهم لا على رؤسهم كما قيل لانه مردود بقوله في موضع اخر فاقبلت
امراته في صرة فضحكت سرورا بالامن وبهلاك ليك لوطا فاني اعلم ان العذاب
ينزل بهذا القوم ويرد عليه انه حينئذ اي على تقدير ان يكون المعنى فضحكت
بمعنى حاضت ورد بان التعجب بعده يبعده اذ لا تعجب من الولادة في زمن الحيض
وادخاله في سياق التعجب ياباه اللفظ فبشرناها باسحق هذه البشارة ايضا
على لسان الملائكة والفا للتعقيب اي بشرناها بالولد ويولد للولد عقيب
ما اوجب سرورها والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل
وقوعهما في الحكاية ومن وراء اسحق يعقوب رفع بالابتداء خبره الظرف
اي ومن بعد اسحق يعقوب مولود وقرئ بالنصب بفعل دل عليه بشرناها
اي ووهبنا له من وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتا يا عجبا واصله في الشر
ثم اطلق في كل امر فظيع والالف فيه مبدلة من يا الاضافة وقرئ بالياء على
الاصل ءالد وانا عجوز اي مسنة قيل كانت في تسع وتسعين ولم يدخلت
الها لانها وصف للانثى خاصة وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر
شيخا حال والعامل فيه معنى الاشارة في هذا وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا
محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او خبر مبتدا لهذا وبعلي بدل منه او خبر بعد

خبر

خبر ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة
وانما انكرت الملائكة تعجبها بقولهم قالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت
الايات والمعجزات وخوارق العادات فكان حقها ان لا تسمى بل تستوقر وتشكر نعمة
الله تعالى وتحمده ولا تتعجب منه لاعتيادها بامثالها ولهذا قالت الملائكة
رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل
ليس هذا بمكان التعجب فان الله تعالى حكم من بين الناس بامثال هذه الكرامات
واكرمكم بها اهل بيت النبوة ونصبه على المدح او على النداء لقصد التخصيص
وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء كانوا فيهم كثيرا
انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كريم يستحق التمجيد والثنا بكثرة
الاحسان والانعام على عباده فلما ذهب عن ابرهيم الروع اي الافزاع بما اوجس
من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفا للترتيب بعض
ما يتعلق بابرهيم عليه السلام من الكلام على بعض وقد تخلل بينهما ما يتعلق
بامراته وله ايضا مدخل في ذهاب روعه عليه السلام وجاءته البشرى بدل
الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله لوطا
وجواب لما محذوف اي يجادلنا كلام مستانف وقيل دال عليه تقديره اجترا على
خطابنا او فزع لمجادلتنا ونحو ذلك وقيل الجواب يجادلنا على حكاية الحال الما
ضية وقيل لما يرد المضارع الى معنى الماضي كما يرد الماضي الى المستقبل معنى
وقيل معناه اخذ يجادلنا او اقبل يجادلنا او ما في معناهما ان ابرهيم لحليم متحمل
جهل السفهاء غير متعجل على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب
والتاسف على الناس منيب رجاع الى الله تعالى بما يحب ويرضى والمقصود من ذلك
بيان الحامل له على المجادلة وهو الرافة والرحمة والرقة على ابنا الجنس يا ابرهيم
على ارادة القول اي قالت الملائكة له يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال وان
كانت الرحمة دعتك اليه فربهم اعلم بهم وبما يستوجبونه انه قد جاء امر ربك اي
قضاؤه وحكمه وانهم اتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا بغير
ذلك لابرامه عند الله تعالى فلا فايدة في جدالك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
اسف واغتم لمجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان حسان فحسبهم انسانا فخاف عليهم
خبث قومه وعجزه عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا كناية عن شدة الانقباض
عن مدافعة المكروه وكانه ضاق بمكانهم صدره وقال هذا يوم عصيب شديد من
قولك عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون يسرعون اليه كانوا يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون
السيئات الفواحش فتمرنوا عليها ولم يستحيوا منها فلذلك جاؤا يهرعون
اليه مجاهرين قال يا قوم هولاء بناتي فتزوجوهن فدى بهن اضيافه
كرما وفتوة وحمية وكان اذ ذاك تزوج المسلمات من الكفار جائزا ومن زاد على هذا

قوله وكانوا يخطبونهن قبل ذلك ولا يجيبهم اليهن لخبثهم وعدم كفايتهم من ذلك
كي يرفوا له فلا يناسب شانه عليه السلام ولا يلايمه قوله فكانه لم يتامل في قولهم
لقد علمت ما لنا في بناتك من حق فانه ظاهر في عدم رغبتهم فيهن وقيل
المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي مصحف
ابن مسعود رضي الله عنه وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فياباه قوله لقد علمت ما
لنا في بناتك من حق والما قيل قاله عليه السلام مبالغة في تناهي خبث ما يريدونه حتى
ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة استقباحه فلا يلايمه قوله هن اطهر لكم اراد
المبالغة في الطهارة لا تفضيلهن فيها على من راموه كقوله عليه السلام مبالغة
في تناهي خبث ما يريدونه حتى ان ذاك اهون منه او اظهارا لشدة استقباحه
فلا يلايمه قوله الله اعلى واجل في مقابلة قول ابي سفيان اعل هبل وقرئ اطهر بالنصب
على تقدير خذوا هؤلاء اطهر لكم وقوله بناتي هن جملة معترضة تعليلا للامر وكونهن
اولى قدمت للاهتمام كانه قيل خذوا هؤلاء العفايف اطهر لكم ان بناتي هن وانتم تعلمون
طهارتي وطهارة بناتي وجوز ان يكون هؤلاء مبتدا وبناتي خبر وهن تاكيد للمستكن
في بناتي لانه وصف ومشتق واطهر حال فاتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون
من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الخجالة في ضيفي بسببهم فان التحدي لضيف
الرجل اخزاله وترتيبه على المحذوف لا على المذكور على ما فصح عنه في موضع اخر حيث
قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون وقد علم منه ان المراد
من الخزي معنى اخر غير الفضاحة اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي
عن القبيح فيرشد اصحابه اليه ويمنعهم عنه والمراد هذا وكذلك قال منكم دون
فيكم لعمومه الاجنبي وكلامه لا يوثر تاثير كلام الذي منكم قالوا لقد علمت ما لنا
في بناتك من حق من حاجة بالغوا في النفي بتنكير حق وزيادة من كما بالغوا
في النفي باثبات علمه له على ابلغ وجه واكده وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران
قال لو ان لي بكم قوة لما كان فيه معنى الفعل عطف عليه قوله او اوي الى ركن شديد
اي لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم شبه
القوي العزيز الذي يحتمي من ياوي اليه ويحميه بالركن من الجبل في شدته ومنعته
وجواب لو محذوف وتقديره لدفعتكم وقرئ اوي بالنصب باضمار ان كانه قال
لو ان لي بكم قوة او اويا فلما راوا الملائكة ما بلا لوطا عليه السلام من الكرب قالوا
يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا الينا ولا احتمال ان يخبروه عليه السلام لعدم حصول
تجنبهم دفعه بقوله لن يصلوا اليك فهو استيناف في غاية الجزالة ومن لم يتنبه
له قال لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا ثم انه لم يدر ان حق الكلام حينئذ الوصل
بالفا دون الفصل فاسر باهلك بالقطع من الاسرا وقرئ بالوصل من السرى
ترتيبه على المحذوف المذكور في موضع اخر بقوله واتيناك بالحق وانا لصادقون
بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف ولا ينظر الى ورائه

والنهي عام له عليه السلام ولاهله والمخصوص به انما هو تبلغه اليهم ومن وهم
انه في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط عليه السلام فقد وهم الا امراتك بالنصب
استثنا من قوله فاسر باهلك ويدل عليه قراءة فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرا
تك
قيل وذلك انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف لا بالنظر الى الخلف لئلا
يناقض قراءة من قرا بالرفع بدلا من احد ولا يلزم على القراءتين ان يكون امراته
مسري بها وغير مسري بها وفيه نظر لان الاستثنا منقطعا على قراءة الرفع
ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسرا اليس الصبح بقريب جواب
لاستعجال لوط عليه السلام واستبطائه العذاب وانما جعل الصبح ميقاتا لهلاكهم
لان النفوس فيه اودع والراحة فيه اجمع فيكون العذاب فيه افظع فلما جاء
امرنا وقت امرنا واما الا نفسه فقد ورد قبل هذا واما المامور به فنفس ما ذكر
في قوله جعلنا عاليها سافلها جواب لما وانما عدل عن الظاهر وهو جعلوا اي
الملايكة المامورون به واسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر
وامطرنا عليها من المدن حجارة روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه
تحت مدائنهم ورفعها الى السما ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم والتنكير
في حجارة للتعظيم من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين كلمة معربة
من سنك كل وقيل هو من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين لقوله لنرسل
عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب فيه من السجل وسجل لفلان منضود في
الارسال يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به
او نضد معدا لعذابهم مسومة في خزائنه التي لا يتصرف فيها الا هو وما هي من الظالمين
ببعيد لاستحقاقهم لذلك وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
سال جبريل عليه السلام عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك وقيل الضمير للقرى اي هي
قريبة من ظالمي امتك يمرون بها في مسيرهم قوله ببعيد بشي بعيد او بمكان بعيد
كذا قيل ولا حاجة الى التاويل لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي
في الوصف بها المونث والمذكر والى مدين اخاهم شعيبا قد مر نظايره ومدين مدينة
بناها مدين ابن ابراهيم عليه السلام فسميت باسمه والمراد اهلها واولاده قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره ولا تنقصوا المكيال والميزان
امرهم بالتوحيد اولا لانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل
المخل بحكمة التعاوض اني اراكم بخير بسعة وثروة تغنيكم عن التطفيف او بنعمة حقها
ان تتقابل بالشكر لا بما تفعلون او بخير فلا تزيلوه عنكم بما تفعلون وهو على كل الوجوه
علة للنهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد او مهلك من قوله
واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة
من باب الاسناد المجازي وهو ابلغ من وصف العذاب بها لانه يشتمل على حوادث مع
اشتماله على العذاب فاذا كان مهلكا فما اشتمل عليه الحوادث كان مجتمعا على المعذب في اهلاكه

﴿ويا قوم اوفوا المكيال والميزان﴾ امر بالايفاء بعد النهي عن ضده قصدًا الى تقبيح
المنهي وتعييبه لان التصريح بالمنهي عنه توبيخ للمنهي وتعيير له فيرجعوا الى
القبول فاذا ورد الامر بعده مصرحًا به كان اوقع في نفسه واسرع الى القبول والامتثال
لانه ترغيب وحث بعد ترهيب وزجر عن ضده فكان ابلغ ﴿بالقسط﴾ بالعدل والتسوية
من غير زيادة ونقصان وانما قيدهما به قصدًا على ما هو الواجب وتنبيهًا على ان المطلوب
من الايفاء القسط ولهذا قد يكون الفضل محرمًا كما في الربويات ﴿ولا تبخسوا الناس
اشياءهم﴾ تعميم بعد تخصيص لان نقص الحقوق مطلقًا اعم من النقص في الكيل والوزن
وكذا ﴿ولا تعثوا في الارض﴾ لانه التمادي في انواع الفساد ودرجهم في النهي عما غلب
عليهم الى ساير القبايح ويجوز ان يراد بالعثي البخس مبالغة وتعريضًا بانه شر
انواع الفساد وانما قال ﴿مفسدين﴾ اخراجًا لما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر
﴿بقية الله﴾ ما يبقى عليكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم ﴿خير لكم﴾ مما تجمعون
بالتطفيف ونقص الحقوق ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ بشرط ان تؤمنوا وانما قيد به
لظهور فايدتها معه وان كان مع الكفر نجاة عن تبعتها وذلك لان حصول الثواب
بها مشروط بالايمان ولا يظهر عليها الا اثر النجاة من تبعة البخس لانغماره في
غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة قدره وايما الى ان الافادة
للحسنات به ونداوان كنتم مصدقين لي في نصحي اياكم وقيل البقية الطاعة اي ما
يبقى لكم عند الله تعالى من الطاعات خير مما يبقى كقوله والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابًا واضافتها الى الله تعالى تعظيم لها وتشريف تشبيهًا اليه وقرئ
تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي والقبايح ﴿وما انا عليكم بحفيظ﴾ تقديم
الظرف وايلاوه حرف النفي وعيد بليغ اي الله حفيظ عليكم ومجازيكم بها لا انا انما
انا نذير مبلغ وقد انذرت وبلغت ونصحت واعذرت ﴿قالوا يا شعيب اصلواتك
تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا﴾ من الاصنام اجابوه به بعد امرهم بعبادة الله
تعالى وترك عبادة الاصنام وبايفاء الحقوق على طريق السخرية والاستهزا
حيث اسندوا الامر الى الصلاة اشعارًا بان المامور مما لا يومر به العقلا لانه
امر وسوسة وجنون لا امر فطنة وعقل واما تخصيصهم الصلاة بالاسناد
اليها لانه عليه السلام كان يصلي وكانوا يقولون له ما تستفيد بهذا فيقول انها
تامر بالمحاسن وتنهى عن المساوي كما عرفه الله تعالى عباده بقوله ان الصلوة
تنهى عن الفحشا والمنكر فقالوا على وجه التهكم به اصلوتك تامرك الى اخره ففيه
استهزا من وجه اخر واما جمعها فلانه عليه السلام كان كثير الصلاة وكانوا اذا راوه
يصلي يتغامزون ويتضاحكون استبعادًا منهم ان يفعل مثل ذلك الافعال ففي
اتيانها على صيغة الجمع اشارة الى نوع اخر من الاستهزا له ثم انهم جعلوه عليه السلام
مامورًا بفعل الغير لانه على افراطه في ذلك كان نفسه مامورًا به وذلك في الامر
بنهي الغير يكفي الابلاغ منه او مرتين وهو عليه السلام قد واظب على ذلك فنزلوه منزلة

المامور

المامور بان بيان الترك الواجب على الغير وهذا ايضا نوع من الاستهزا منهم مبناه
على اعتقاد قبح ولهذا غفل عنه الناظرون في هذا المقام حتى ذهبوا الى تقدير المضاف
اي تامرك بتكليف ان نترك فاذهبوا حسن الكلام ولطف الاعتبار المناسب للمقام
﴿او ان نفعل في اموالنا ما نشا﴾ عطف على ما اي او نترك فعلنا ما نشا في اموالنا و
والعطف باو دون الواو للاشعار بان الامر بواحد منهما على سبيل البدل يكفي في
التسفيه والنسبة الى الضلال فكيف اذا امر بهما معًا ولا يخفى ما فيه من الدلالة على
انهم كانوا اية في الجهالة قد بلغوا غاية الضلالة وقرئ بالتا في تفعل وتشا على
ان العطف على ان نترك ﴿انك لانت الحليم الرشيد﴾ تهكم به بهم وبفعله لانهم ارادوا
وصفه بغاية السفه والغي على ما يقتضيه السياق والسباق فعكسوا تهكما كقوله
خزنة جهنم ذق انك انت العزيز الكريم واما ما قيل عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده
بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك فيا باه ما في
سياق الكلام من الاقدام على السخرية والاستهزا من وجوه شتى ﴿قال يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي﴾ اشارة الى ما اتاه من العلم والنبوة ﴿ورزقني
منه رزقا حسنا﴾ اشارة الى ما اتاه من المال الحلال والتقييد بحسنا للاحتراز عن
الرزق القبيح وفيه اشارة الى ان الحرام رزق وجواب الشرط محذوف تقديره فهل
يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمية ان اخون في وحيه
واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من الاقدام على تغيير المالوف
والنهي عن دين الاباء ولا يخفى ما فيه من حسن المراجعة الاستنزال ورفق الاستدعا
ولذلك قال فيه عليه السلام ذاك خطيب الانبيا والضمير في منه لله تعالى عنده
وبالاعانة بل اكرمني في تحصيله فقد ادمج فيه الجواب عن قولهم وان نفعل في اموالنا
ما نشا على القراءة بالتا فيهما ﴿وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه﴾ وما اريد
ان اقصد الى ما انهيكم عنه من المعاصي والملاذ لاستبد بها دونكم فلو كان صوابا
لاثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفني الى كذا اذا قصده وانت
مول عنه وانت قاصده ﴿ان اريد الا الاصلاح ما استطعت﴾ ما اريد الا ان
اصلحكم بموعظتي ونصيحتي ما امكنني فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه
لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه
على ان العاقل يجب عليه ان يراعي فيما يباشره احد ثلاثة حقوق اولها
واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق نفسه وثالثها حق الناس وكل ذلك به
يقتضي ان امركم بما امرتكم وانهاكم عما نهيتكم عنه وانتهاكم عنه وما مصدرية
واقع موقع الظرف اي مدة استطاعتي او خبرية بدل من الاصلاح اي الاقدر
الذي استطعت منه او على تقدير حذف المضاف اي الاصلاح اصلاح ما استطعته
او مفعول اي الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وفيه ان اعمال
المصدر المعرف قليل ﴿وما توفيقي الا بالله﴾ اي وما توفيقي لاصابة الحق والصواب

فيما اتي وما اذر الا بتأييد الله تعالى ومعونته عليه توكلت لا على غيره فانه
القادر على ما يشاء دون غيره فان من عداه عاجز ساقط عن درجة الاعتبار في
الوجود فضلا عن القدرة واليه انيب لا الى غيره وفي الاية طلب التوفيق من الله تعالى
لاصابة الحق فيما هو بصدده على ابلغ وجه وحسم لاطماعهم وعدم المبالاة بهم ومعاداتهم
بتوكله على الله تعالى وتهديد الكفار بانابته اليه تعالى للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا
يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود
من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه مثل كسب في
معناه وتعديته الى مفعول واحد والى مفعولين وقرى لا يجرمنكم بضم اليا من اجرمته
اذا جعلته جارما وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما يقال اكسبه المال
من كسب والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحا وقرى مثل بالفتح
لاضافته الى المبني وما قوم لوط منكم ببعيد منكم في الكفر والمعاصي وما يستحق به
العقاب فحالكم كحالهم وافراد البعيد وقد مر وجهه فتذكر واستغفروا ربكم ثم توبوا
اليه قد سبق ما يتعلق به ايضا ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود
بعباده يفعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد
على التوبة بعد الوعيد على الاصرار لشمول الدعوة واخذ الحبل بطرفيه قالوا يا شعيب
ما نفقه الفقه فهم الكلام على ما تضمن من المعنى وفي نفيه دون نفي الفهم دلالة على
انهم لم يريدوا قصوره في اداء الكلام كما سبق الى بعض الاوهام حيث قال في وجهه
ما ذكر انه عليه السلام كانت له لثغة وانما قالوا ذلك استهانة بكلامه حيث كنوا
بعدم فقههم قاله عن عدم دلالته على معنى صحيح فنزلوه منزلة الهذيان
والتخليط وفي التقييد بقوله كثيرا اظهار التنزه عن المكابرة وهذا ابلغ في المبالغة
عن الكلام الخالي من ذلك القيد ومن هذا القبيل قولهم في وصف سيف الشجاع يقطر
دما دون يسيل قيل كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه فلا يذهب
عليك ان هذا التنزيل انما يناسب اعتباره ان لو كان في الحكاية دون المحكي
وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عزة فيما بيننا وفي قوله فينا نوع
تقوية لما ارادوه من اثبات العجز له عن المدافعة كانهم يقولون انك لست بخارج
عنا حتى لا نصل اليك ايدينا ولا قوة في نفسك فلا مانع ولا دافع لا من جهة
شانك ولا من جهة مكانك ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط
من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك لرجمناك احتراما
لهم لكونهم على ملتهم لا خوفا منهم ولدفع هذا الوهم عبروا عنه بالرهط دون
العشيرة والقبيلة ونحو ذلك والرجم الرمي بالحجارة والمراد قتله به يعني فقتلناك
شر قتلة باصعب وجه وهذا دين السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب
والتهديد وما انت علينا بعزيز اي لست علينا بممتنع فلا نتعذر على
رجمك وهذا هو المناسب لسياق الكلام وعلى هذا لا مفهوم لقيده ومن

فهم منه

فهم منه الفهم قايلا كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا فقد حمل
العزة على الكرامة ما صرح به حيث قال اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك عن الرجم فقد
غفل عن ان المناسب حينئذ ان يقولوا عندنا بدل علينا ومنطوق قولهم ولولا رهطك
لرجمناك اغنى عن اعتبار المفهوم المذكور لما عرفت ان معناها ولولا حرمة رهطك وعزتهم
عندنا لرجمناك فاعتباره بعد هذا كالاستضاءة بالمصباح بعد طلوع الصباح وايلاء
الضمير حرف النفي لتقوية الحكم وتاكيده كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وتقديم علينا
لمحافظة الفاصلة وزيادة الباء في بعزيز لتاكيد النفي وتنكيره للتقليل اي ليس لك
علينا شي من جنس العزة واما ما قيل وقد دل ايلاء الضمير حرف النفي على ان الكلام واقع
في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز على ان رهطه هم الاعزة علينا ولذلك
قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب
فيرد عليه انه لا دلالة له في مفهوم قوله وما انت علينا بعزيز على ان رهطه هم الاعزة
انما دلالته على انهم هم العزيزون لان المفهوم تابع للمنطوق والمنفي عنه بطريق المنطوق
انما هو اصل العزة لا زيادتها ثم ان قوله ولو قيل وما عززت الى اخره فيه
جزما به يظهر انه ليس بصواب قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله لما كان نبيا
مبعوثا من عند الله تعالى كانت الاستهانة به استهانة بالله لقوله من يطع
الرسول فقد اطاع الله فجعل كونه رهطه اعز عليهم منه كونه اعز من الله
لان امره امر الله ويحتمل الانكار التوبيخي على ان المعنى ارهطي اعز عليكم من الله
في نظركم واعتباركم والانكار الابطالي على ان المعنى انهم اعز عليكم منه تعالى في
الواقع وعلى الاول يدخل قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا ايضا في حيز الاستفهام
والاتخاذ اخذ الشي لامر يستمر في المستانف كاتخاذ البيت واتخاذ المركوب فدلالته
على المعنى المقصود اولى من دلالة الجعل عليه والظهري منسوب الى الظهر كالامسي
منسوب الى الامس والكسرة في مثل هذا من تغييرات النسب والكناية عن الترك
وعدم الاعتداد به فقد تمت بقوله واتخذتموه وراءكم الانذار وفيه تنبيه الى ان
الظهري بما الحق به الياء لغة وافادة لمعنى الاعراض عنه بالكلية ان ربي بما تعملون
محيط قد احاط باعمالكم فلا يخفى منها شي فهو مجازيكم عليها ويا قوم اعملوا على
مكانتكم اني عامل سوف تعلمون سبق مثله في سورة الانعام والفا في
فسوف ثمة للتصريح بالاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذف ههنا
للاستيناف كانه قيل فماذا يكون اذا عملنا على مكانتنا وعملت انت فقال
سوف تعلمون وهو ابلغ من الوصل بالفا من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب
قياس الكلام ومن هو صادق بدل قوله ومن هو كاذب وليكونا قسمين
بتصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا اجرى الكلام على
مقتضى زعمهم فقال ومن هو كاذب اي على دعواكم ودعواكم او اراد سوف تعلمون
من المعذب ومن الكاذب مني ومنكم لانهم كذبوه واوعدوه وارتقبوا وانتظروا

ما تقول اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الفاعل كالصريم او المراقب كالعشير
او المترافق كالرفيع ولما جا امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما
ذكر سياق قصة عاد وقصة مدين بالواو وساقتي قصة ثمود ولوط بالفا
لانه لم يسبق فيهما وعد يقتضي التسبيب نحقهما ان يعطفا بحرف الجمع عطف
قصة على قصة واما في قصة ثمود ولوط فقد سبق وعد يقتضي التسبيب •
وهو قوله في الاولى ذلك وعد غير مكذوب وفي الثانية ان موعدهم الصبح
فجي بهما كما تقول وعدته فلما جا الميعاد كان كيت وكيت واخذت الذين
ظلموا الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين
فهلكوا بحيث لم يبرح كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا في ديارهم مترددين في
تصرفاتهم الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود انما شبههم بثمود في هلاكهم لانهم
ايضا اهلكوا بالصيحة الا ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين
كانت من فوقهم وقرى بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد
بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر لها والمبعد مصدر
المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين له على صدق نبوته يجوز
ان يكون المراد بالايات المعجزات وسلطان مبين هو العصا وافرادها بالذكر لانها
ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه ايات
وكونها سلطانا له على صحة دعواه والفرق بينهما ان الايات تعم الامارات
والدلايل القاطعة والسلطان يختص بالقاطع والمبين ما فيه جلا ومن وهم ان المراد
من الايات التورية فقد وهم ومما فهم ان قوله الى فرعون وملايه ياباه لان
التورية نزولها انما كان بعد هلاك فرعون وملايه فاتبعوا امر فرعون بالكفر
بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المويد بالمعجزات الباهرات واتبعوا طريقة
فرعون البين الضلال والطغيان لفرط جهلهم وغباوتهم فانه ادعى ما لا يخفى على
من له ادنى تمييز وفطنة اصالته وهو الالهية مع كونه بشرا جادا تماثلهم وما
امر فرعون برشيد بمرشد او بذي رشد انما هو على صريح ضلال لا رشد فيه
يقدم قومه يوم القيامة يتقدمهم الى النار كما كان تقدمهم في الدنيا الى الضلال
يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش تفسير وبيان لعدم كون امر فرعون
برشيد بصواب حميد العاقبة وعدل الى الماضي فيما عطف عليه فقيل فاوردهم
النار مبالغة في تحقق وقوعه وشبه في جرهم الى النار بالفارط الذي يتقدم الواردة
واتباعه بالواردة الحرام على الما ونزول النار لهم منزلة الما فسمى اتيانها موردا
ثم قال وبيس الورد المورود اي بيس المورود الذي وردوه فانه يراد لتبريد
الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد واتبعوا في هذه اي في هذه الدنيا لعنة
ويوم القيامة اي يلعنون في الدنيا والاخرة بيس الرفد المرفود المخصوص
بالذم محذوف اي رفدهم والرفد هو العطية واصله الذي يعين به المطلوب قال

قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله تعالى لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة
وكل شي جعلته عونا للشي فقد رفدته به ذلك مبتدا من انبا القرى خبره اي
ذلك النبا بعض انبا القرى المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر اي مقصوص عليك
منها قايم وحصيد جملة مستانفة لا محل لها اي بعضها باق على مكانه كالزرع
القايم على ساق وبعضها باقي الاثر كالزرع الحصيد وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب الشرك والمعاصي التي اهلكوا بها فما اغنت عنهم
الهتهم فما قدرت ان تدفع عنهم باس الله تعالى الهتهم التي يدعون حكاية
حال ماضية اي التي كانوا يعبدونها من دون الله اي اصنامهم التي
اعتقدوها الهة معبودة من شي غنا قليلا لما جا امر ربك حين جا عذابه
ونقمته وما زادوهم غير تتبيب تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك
وقرى اخذ ربك بالفعل ويكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي
اهلها وقرى اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة
لاهلها لكنها لما اقيمت مقامها اجريت عليها وفايدتها الاشعار بانهم اخذوا
بظلمهم وانذار كل ظالم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد
من باب الاسناد المجازي لان الاخذ مولم كقوله ضرب وجيع ومعناه صعب
على الماخوذ حتى كان الاخذ تالم من صعوبته ولا يخفى ما فيه من المبالغة
في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله
تعالى لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة لانه ينظر الى ما نزل بهم بسبب ذنوبهم
فيعتبر به حال الاخرة ويعلم من شدته شدة العذاب الموعود وعظمه فينزجروا
واما الذي ينكر الاخرة او لا يخطر بباله اهوالها فلا حظ له من ذلك الاعتبار ذلك
اشارة الى يوم القيمة لدلالة عذاب الاخرة عليه يوم مجموع له الناس للحساب
والجزا والناس فاعل مجموع كانه قيل يوم يجمع له الناس والعدول من لفظ الفعل
الى لفظ الاسم المفعول للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه موصوف به
صفة لازمة لا محالة وانه اثبت لاسناد الجمع الى الناس لانه يفيد انهم لا ينفكون
عن الموصوف الذي هو ظرف لهم فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع
وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرايه مجرى
المفعول به اي يشهد فيه الخلايق الموقوف لا يغيب عن احد والمراد بالمشهود
الذي كثر شاهدوه كما يقال لفلان مجلس مشهود قطعا وطعام محضور
يريدون الكثرة ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لفات الغرض وهو التعظيم
لليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك والتهويل الحاصل من عدم ذكر المشهود
وما نوخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتها مدة معدودة قليلة على حذف
المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم ياتي
وقرى بكسر التا والاكتفا بالكسرة على اليا والفاعل هو الله تعالى كقوله او ياتي

ربك ويؤيده قراءة وما يؤخره بالياء وقوله باذنه او اليوم كقوله الا ان
تأتيهم الساعة والمراد من اتيان اليوم اتيان اهواله وشدائده فلا يلزم ان
يكون الزمان ظرفا لنفسه والعامل في الظرف لا تكلم اولا تنتهي المحذوف اي ينتهي
الاجل يوم يأتي فلا حاجة الى تقدير اذكر لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي
من جواب او شفاعة الا باذنه الا باذن الله تعالى كقوله الا من اذن له
الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
في موقف اخر وقوله تجادلون عن انفسهم في موقف اخر ولما كان القول
بتعدد المواقف مما لا بد منه توفيقا بين الآيات المذكورة فلا حاجة الى
تخصيص الممنوع عنه بالاعذار الباطلة والماذون فيه بالجوابات الحقة
بل لا وجه له لان الشفاعة ايضا ماذون فيها وليست من جنس الجواب
فمنهم الضمير للناس المذكور او لاهل الموقف المدلول عليه بقوله لا تكلم نفس شقي
وجبت له النار بمقتضى الوعيد تفصيل لما فهم من قوله لا تكلم نفس الا باذنه
انقسامهم الى قسمين اجمالا وتقديم الشقي على السعيد لانه المفهوم اولا في
مرتبة الاجمال وسعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والاصل ومنهم سعيد
فحذف منهم اختصارا والتنكير فيهما للنوعية فاما الذين شقوا ففي النار
شرع في تفصيل احوال الصنفين المذكورين بعد تفصيلهما لهم فيها تقديم
الظرف للتخصيص زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما
في اول النهيق واخره وهما من اصوات المكروبين ففيه تشبيه حالهم بحال من
استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه للدلالة على شدة كربهم وغمهم
خالدين فيها ما دامت السموات والارض انتصاب خالدين على انها حال
مقدرة وما مصدرية ظرفية اي مدة دوام السموات والارض والمراد بهذا
التوقيت التابيد على طريقة العرب في قولهم ما اقام ثبير وما لاح كوكب
وغير ذلك مما يذكرونه في مقام المبالغة في الانقطاع ولا يسبق الى الفهم منه
الا التابيد لا تعليق مدتها بمدة بقائهما ويجوز ان يراد التعليق على المراد من
السموات والارض سموات الاخرة وارضها فانه لا بد لاهلها من مقلة و
مظلة ولا يلزم من التعليق بهما علمنا بكيفيتهما بل يكفي تعلق ابديتهم بين
مقلة ومظلة وهو معلوم من النصوص كقوله يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وليس
فيه تشبيه ما يعرف بما لا يعرف كما توهم الا ما شاء ربك استثناء من الخلود
في عذاب النار عبارة عن دار العقاب غير وارد لانا لا ننكر استعمال النار فيه
تغليبا اما دعوى الغلبة حتى يهجر الاصل فكلا الا يرى الى قوله تعالى نارا تلظى
نارا وقودها الناس والحجارة وكم وكم واما ما قيل لان بعضهم وهو فساق الموحـ
دين يخرجون منها وذلك كاف لصحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه

زواله

زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام
عذابهم فان التابيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابد كما ينتقض باعتبار الابتدا
كما ينتقض باعتبار الانتهاء ففيه ان موجب ذلك اندراج الفساق في الفريقين فيفوت
ما قصد بالتنكير من التنويع والتمييز بينهما بحيث لا يندرج احدهما في حكم الاخر
والتقابل المتعارف بينهما المفهوم من قوله عليه الصلاة والسلام السعيد سعيد
في بطن امه والشقي شقي في بطن امه يأبى عن الجمع بينهما بالاعتبارين ثم ان
الزفير والشهيق من خواص الكفار وعلى ما ذكر يلزم تشريك الفساق معهم فيهما
واما ما ذكرنا ثانيا ففيه انه لا دلالة في اللفظ على المبدأ المعين ولو سلم فاستثناؤه
يقتضي اخراجا عن حكم الخلود وهو لا محالة بعد الدخول ولا يجوز ان يكون الاستثناء
من قوله لهم فيها زفير وشهيق لان حق النظم ان يتقدم قوله خالدين فيها ما
دامت السموات والارض على قوله لهم زفير وشهيق ان ربك فعال لما يريد
فلا ينبغي الاعتراض عليه في تخصيصه بعض الاشقياء باحد نوعي العذاب و
بعضهم بنوعيه الاخر واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما
دامت السموات والارض وقرئ سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى
اسعده الا ما شاء ربك قال الزجاج هذا من باب حتى يلج الجمل في سم الخياط ولا
يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل اهل الجنة ينعمون لما هو اعلى
من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله تعالى ولقائه ورد
بان ما ذكر يحصل وهم في الجنة فيأبى الاستثناء عطاء نصب على المصدر المؤكد
اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب
لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء ههنا الانقطاع وقوله في الاشقياء
ان ربك فعال لما يريد في مقابلة هذا القول من السعداء يرجح نقل الاشقياء
الى ما هو اغلظ من عذاب النار من عقوبات يقتضيها سخط الله وما يعلمها
الا هو فلا تك في مرية المرية التردد الحاصل مع الشك لما قص عليه السلام
قصص عبدة الاوثان وما حل بهم من انواع العذاب والنقم قيل عليه متسليا
بقوله هذا اي لا تكن في تردد بعد ما انزل اليك في سوء عاقبة قومك وعواقب
عبادتهم الاوثان مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال
مود الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او
من حال ما يعبدون فانه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف
للتعليل النهي عن المرية اي ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت
وقد بلغك ما نزل باباءهم بسببه فسينزل عليهم مثله لان التماثل في [illegible]
المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لمو
فوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق
فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام موجبه غير منقوص نصيب

حالا عن النصيب تعنيدًا له لدفع احتمال ان يكون منقوصًا في حد نفسه عمن
يستحقونه و نوفيه لا يدفع هذا الاحتمال ومن لم يتنبه لهذا قال انه
لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفا بعضه ولو مجازا واما
من قال يجوز ان يوفي وهو ناقص ويوفي وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر
حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فلم يصب في التنوير لان اوله يعزل عما فيه
الكلام واخره ليس بتمام كما لا يخفي علي ذوي الافهام ولقد اتينا موسي الكتاب
فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هولا في القران ولولا كلمة
سبقت من ربك اي قضا سبق بتاخيرهم الي يوم القيامة لقضي بينهم بين
قوم موسي عليه السلام او بين قومك وميز بين المحق والمبطل وانهم وان كفار
قومك لفي شك منه من القران مريب موقع في الريبة والقلق وهذه
الاية من جملة التسلية له عليه السلام وان كلا التنوين عوض عن المضاف
اليه اي جميع المختلفين فيه المومنين والكافرين وقري بالتخفيف علي اعمال
المخففة اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولي موطية للقسم
والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقري لما بالتشديد
علي ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت
اوليهن والمعني لمن الذين يوفينهم ربك جزا اعمالهم وقري لما بالتنوين اي
جمعا وقري وان كل لما علي ان نافية ولما بمعني الا وقد قري به انه بما
يعملون خبير فلا يفوت شي منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر
المختلفين في التوحيد والنبوة وبالغ في الوعد والوعيد امر نبيه عليه السلام
بالاستقامة كما امر به في العقايد والاعمال من وظايف العبادات والتبليغ
كما انزل اليه وبيان الشرايع جامعا بين التنزيه والتشبيه في التوحيد كثيرا
عن الافراط والتفريط في الاعمال محتاطا في التبليغ والتشريع والفا للسببية
اي اذا كان جزا الكل عليه لا عليك فاستقم انت فيما امرت به والكاف في محل
النصب صفة للمصدر اي استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها ومن
تاب معك عطف علي المستتر في فاستقم وحسن من غير تاكيد للفصل
اي فليستقم من تاب معك من الكفر وامن في اتباعه في العقايد والاعمال سالكا
سبيل الامرين دون ما هو مخصوص به عليه السلام ولما في هذه القضية
من تبليغ ذلك الامر العسير الي غاية العسر قال النبي عليه السلام شيبتني
سورة هود الي حفص هذه السورة بالمذكور والا فالامر بالاستقامة وارد في
سورة الشعرا ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم فتعتدوا انه بما تعملون
بصير فهو مجازيكم به وهو في معني التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل وجوب
اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بمجرد الراي واما التصرف بمقتضي
الاجتهاد فيما يحتاج اليه فليس بمنهي عنه بل ما مور به علي ما ورد به النصوص

والتصرف بالقياس والاستحسان من المجتهدين من هذا القبيل ولا تركنوا الي الذين
ظلموا الركون الميل اليسير اي ولا تميلوا ميلا ما الي من وجد منه ظلم ولم يقل الي
الظالمين للمبالغة في النهي كانه قيل لا يوجد منكم ادني ميل الي من صدر
منه ولو مرة ما ظلم ما فضلا عن الميل الكثير الي الذين عادتهم الظلم فكيف بالظلم
بنفسه ولو مصاحبتهم ومداهنتهم في اعمالهم والانحطاط الي هواهم والتزيي بزيهم
ومد العين الي زهرتهم وتعظيمهم وانما قال الي الذين ظلموا دون الي الذين ظلم
لان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم فالنهي عن ركونهم ابلغ والاية
ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه فتمسكم النار بالركون اليهم
وخطاب الرسول صلي الله عليه وسلم للتثبيت علي الاستقامة التي هي العدل
وابعادهم بالنار مع سلب الولاية والنصرة عنهم عند ادني انحراف منهم عن جادة
العدل الي من وجد منه ضده مع كونه عليه السلام احب الخلايق اليه زيادة تاكيد
في المبالغة فان الميل الي احد طرفي الافراط والتفريط ظلم في نفسه سوا كان
علي نفس الظالم او غيره وما لكم من دون الله من اوليا من انصار يمنعونكم
من عذابه حال من قوله فتمسكم النار وانما اتي بصيغة الجمع لمكان لكم والا فنفي
المفرد ابلغ ثم لا تنصرون هو ايضا اذ سبق حكمه بتعذيبكم فلا يبقي عليكم
ومعني ثم استبعاد نصرته له بعد الحكم باستحقاقه العذاب واقم الصلاة
طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه علي الظرفية لاضافته الي الوقت
وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه
وهو جمع زلفة عطف علي طرفي النهار وان فسر بقرب فالوجه ان يعطف
علي الصلاة اي واقم صلوات يتقرب بها الي الله تعالي في بعض الليل وصلوات
الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة
الزلف المغرب والعشا وقري زلفة بمعني زلفة كقربي وقربة ان الحسنات
يذهبن السيات يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الي الصلاة كفارة لما بينهما
ما اجتنبت الكباير او يمنعن السيات يعني يزلنا استعدادا ارتكابها
كقوله ان الصلاة تنهي عن الفحشا والمنكر ذلك اشارة الي قوله فاستقم وما
بعده ذكري للذاكرين عظة للمتعظين واصبر كرر التذكير بالصبر بعد ما جا
بما هو خاتمة للتذكير للدلالة علي فضيلة الصبر وزينته والتنبيه علي
علو شانه وكانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واخص بالتوصية
في بابه وهو الصبر علي امتثال ما امرت به والانتها عما نهيت عنه فلا
يتم شي الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين تعميم كالتعليل بالبرهان
للاوامر والنواهي المذكورة من قوله فاستقم الي قوله فاصبر واتما عدل عن
الضمير ايما الي ان الصلوة والصبر احسان الا انه لا يعتد بهما دون الاخلاص
به فلولا كان لولا هنا للتخصيص ضمنه معني التوجع والتاسف الذي ينبغي

ان يقع من البشر على هذه الامم الرذيلة بعد من القرون من قبلكم اولو بقية
اولو افضل وخير وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله
فصار مثلا في الجودة والفضل ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا
وقوله عليه السلام في العباس رضي الله عنه هذا بقية اباي ويجوز ان يكون
مصدرا كالبقية اي ذو بقيا على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه
قرئ بقية وهو المرة مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض
الا قليلا ممن انجينا منهم اي ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد
واكثرهم تاركون للنهي على ان من للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم
لقوله وانجينا الذين ينهون عن السوء ولا يجوز ان يكون الاستثناء متصلا على
الظاهر لفساد المعنى لانه يكون تحضيضا لاولي بقية عن النهي عن الفساد
الا القليل من الناجين منهم ويمكن ان استثني من النفي اللازم للتخصيص جاز
كونه متصلا كانه قيل ما كان من القرون اولو بقية على البدل واتبع الذين
ظلموا تركوا النهي عن المنكرات ما اترفوا ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا
بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد
ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم منهم
واتباعهم للهوى مع الكفر واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم
ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وعادتهم التمادي في الاجرام
او على نهوا واعتراض وقرئ واتبع وتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز
ان يفسر به المشهور ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اللام لتاكيد
النفي بظلم حال من الفاعل والتنكير للتعظيم والاشارة الى ان اهلاك المصلحين ظلم عظيم
ولذلك اكد النفي باللام وكذا ان فسر الظلم بالشرك والبا للسببية اي لا يهلكهم بسبب
ظلم الا ظلم اعظم منه واهلها مصلحون حال كونهم مصلحين ما بينهم بالعدالة لكمال
رافته ورحمته بالعباد ومساهلته في حقه ومن ثمة قدم الفقها عند تزاحم الحقوق
حقوق العباد اي وما صح ان يهلك ربك القرى ظالما لها تنزيها لذاته من الظلم
او بسبب شرك اهلها ما لم يضموا الى الشرك افسادا فيما بينهم ولذلك قيل الملك يبقى
مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة على ملة الاسلام
كلهم وهو دليل على ان الامر لا يستلزم الارادة وانه تعالى قادر على ايقاع ما اراده
في الخصوص المذكور واما ان كل ما اراده يجب وقوعه فلا دلالة فيما ذكر عليه ولا
يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل الا من رحم ربك الا
قوما هداهم الله تعالى من فضله فاتفقوا على دين الحق وملة التوحيد ولذلك
خلقهم الضمير للقوم والاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة ولما هم عليه من الاختلاف
خلقهم ليتميز المحق من المبطل ويترتب الثواب والعقاب على الطفا بدو الاعمال
وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اي من

عصاتهما اجمعين لا من احدهما ويضاف اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان والمراد استيعاب الصنفين لا استيعاب افرادهما وكلا مفعول
نقص عليك والتنوين بدل من المضاف اليه اي نبأ وقوله من انباء الرسل بيان كلا اي
نخبرك به ما نثبت به فؤادك بدل منه او كلا مصدر اي وكل اقتصاص نقص
على معنى وكل نوع واسلوب من انواع القصص واساليبه نقص عليك وما نثبت به
مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده عليه السلام طمانينة قلبه وزيادة يقينه
والتاسي بهم في الثبات والصبر على تبليغ الرسالة وتحمل الاذى كقوله وزيادة
يقينه اصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وذلك لان المشاركة في الامور الصعبة
تهون على ما يلقي الانسان من الاذى والاعلام بما جرى على المكذبين من العقوبات
المستاصلة بانواع العذاب من غرق وريح ورجفة وخسف فيه طمانينة النفس و
تثبيت وجاءك في هذه السورة او الانبا المقتصة عليك الحق ما هو الحق وموعظة
وذكرى اشارة الى سائر فوائده العامة وانما قال للمؤمنين اذ لا ينتفع بها
الا المؤمن وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون قد سبق
تفسيره في سورة الانعام وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم ما
نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة دون غيره ولا يخفى
عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه خاصة لا الى غيره يرجع الامر
كله فلا بد ان يرجع عليه امرك وامرهم فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه
فانه كافيك وتقديم العبادة على التوكل للتنبيه على ان التوكل انما ينفع العابد
تخصيصه بالعبادة والانسلاخ عن افعال النفس الى المامور به وما ربك بغافل
عما تعملون انت وهم فيجازيك بما تستحق من الثواب ويجازيهم بما يستحقونه
من العقاب والله اعلم بالصواب سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك اشارة الى السورة ايات الكتاب القرآن المبين الظاهر من ابان بمعنى
بان والمراد ظهور اعجازه وهو ههنا بمنزلة لا ريب قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه ويجوز
ان يكون من ابان بمعنى بين اي المبين لما سالت اليهود عن سبب انتقال ال يعقوب
عليهم السلام من الشام الى مصر وعلى هذا يكون تلك اشارة الى ايات السورة اي
حال كونه مقروا وليس فيه اطلاق وهو المراد بالكتاب انا انزلناه اراد تعظيم الكتاب
المذكور باسناد انزاله الى نفسه قرانا اي حال كونه مقروا وليس فيه اطلاق اسم
الكل على الجزء لان مبناه على كون القران علما بالغلبة وذلك بعد النزول فلا وجه لا
عتباره عنده عربيا اي كسوناه القراة كسوة العربية وهو كالتعليل لكونه مبينا
على المعنى الاول لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموا حقائق معانيه ودقائق مبانيه
وما في عبارته من الاسرار والاشارات اذ هي لغتكم كما انزل التورية على اهلها بلغة
العبري والانجيل بلغة السريان لذلك وفيه اشارة الى ان حقيقة كلام الله تعالى

منزهة في كلاميها عن كسوة الحروف واللغات ولكن الخلق محتاجون في تعقل
معانيها اليه نحن زيادة تأكيد لانه نقص دال على معنى الجمع عليك احسن
القصص اي قصصا اي حسن القصص وهو في الاصل تتبع الشيء ومنه قالت لاخته
قصيه اي تتبعي اثره والقاص يتتبع الاثار فيخبر بها والحسن عائد الى القصص يقال
فلان حسن الاقتصاص للحديث اي السياقة له الى القصة فانها اتم القصص المذكورة
في القران واسلها لانواع العبر واصناف الحكم ويجوز ان يكون المعنى لعلكم تعقلون
انه منزل من الله تعالى وذلك ان الدليل عليه اعجازه لغاية بلاغته ونهاية فصاحته
وبلوغه اليها لكونه على لسان العرب لانه افصح الالسنة وابلغها وعلى هذا
يكون تمهيدا لما ذكر بقوله بما اوحينا اي بايحائنا اليك بواسطة جبريل عليه
السلام وانما اسقط الواسطة تشريفا للموحي والموحى اليه هذا يجوز ان يكون
مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر والاشارة المتضمنة للتقريب بذكر
المقصود المذكور القران نعت لهذا او بدل منه او عطف بيان واجاز الزجاج
الرفع على اضمار مبتدا كان سائلا سال عما اوحي فقيل هو هذا القران واجاز الفراء
الخفض على التكرير وهو عند البصريين على البدل من ما وعلى هذين التقديرين
يجوز ان يكون ما موصولة والعائد محذوف والبا بمعنى في وعلى هذا يجوز ان
يكون نصب هذا القران على الاختصاص او بيانا للمحذوف والمراد بالقران السورة
وان كنت ان هي مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة من قبله الضمير راجع الى
ما اوحينا والمعنى وان الشان كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين من هذه
القصة لم تخطر ببالك وهو تعليل لكونه موحى كني بالغفلة عن عدم العلم بالكلية اجلالا
لشانه عليه السلام فان في التصريح بكونه من الجاهلين ما لا يخفى ومن الغافلين
عما في هذا الكلام من الاحتراز من قال في تفسيره اي من الجاهلين اذ قال بدل من
احسن القصص بدل الاشتمال على انه مفعول او نصب باضمار اذكر يوسف اسم عبراني
اذ لو كان عربيا لصرف لخلوه عن سبب اخر سوى التعريف وقرئ بفتح السين
وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول والفاعل من اسف لان
القراءة المشهورة شهدت بعجميته لابيه يعقوب عليه السلام يا ابت اصله يا
ابي عوض التا التانيث عن اليا لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبت في الوقف ها
وقرئ بالفتح لانها حركة اصلها ولم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح نزل منزلة الاسم
فوجب تحريكها ككاف الخطاب او لانه كان يا ابتا فحذفت الالف واكتفي بالفتحة
وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض عنه وقرئ بالضم اجراء
لها مجرى الاسماء المونثة بالتا من غير اعتبار التعويض كقوله يا ابت اني رايت
من الرويا لا من الروية لانه لو كانت في اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه
السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس لانه يجوز ان يكون ارهاصا ليوسف والكرامة
لا يلزمها ان يطلع عليها صاحبها واما اطلاع الناس عليه فانما يلزم ان لو كان [illegible]

مجتمعين في الارض ولا دلالة عليه فيما ذكر بل لان قوله لا تقصص رؤياك وقوله
هذا تاويل رؤياي صريحان فيه احد عشر وقرئ بسكون الشين لاجتماع ست فتحات
وروي بسكون العين لطول الاسم وكثرة الحركات كوكبا نصب على التمييز والشمس
والقمر انما اخرجهما عن الكوكب ليعطفهما عليها بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على ساير
الطوالع رايتهم لي ساجدين استيناف ببيان حالهم التي راها عليها وانما اجريت مجرى
العقلاء لوصفها بصفاتهم فيجوز ان يكون الاول لبيان مشاهدتهم في المنام على
وجه التفصيل والثاني لبيان مشاهدتهم جملة مجتمعين في السجود له فالاعادة له
للافادة وتقديم الظرف للاهتمام والعناية بما هو الاهم وفي ضمنه رعاية الفاصلة
قال يا بني تصغير ابن للشفقة او لصغر السن لا تقصص رؤياك الرويا في المنام
والروية في العين والراي في القلب والرويا كالروية غير ان احدهما مختصة بما يكون
في النوم والاخرى بما يكون في اليقظة وفرق بينهما بحرفي التانيث كالقربى والقربة
على اخوتك فيكيدوا لك منصوب باضمار ان جوابا للنهي والمعنى ان قصصتها عليهم
كادوك نحو احتيال لبعيد تعني الفعلين مبالغة وتاكيدا في التحذير وكذلك اكده بالمصدر
والكيد الاحتيال على خفاء وانما اتى باللام ولم يقل فيكيدوك كما قيل فكيدوني لانه ضمن
معنى فعل يتعدى باللام لانهم يعلمون تاويلها فيحتالون في هلاكك كيدا منكودا
بعيدا عن فهمك وهو مع تنكيرها وابهامها والمقصود زيادة مبالغة في التخويف
ولذلك استانف قوله ان الشيطان للانسان عدو مبين على تقدير سوال
كان يوسف عليه السلام استبعد وقوع الكيد في حقه من اخوته فازال استبعاده
ببيان منشايه يعني ان الشيطان ظاهر العداوة للانسان كما فعل بادم وحوا فهو
على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمل فلا يومن ان يحملهم على مثله وكذلك محله
النصب على المصدر اي ومثل ذلك الاجتبا الذي اجتباك للرويا يجتبيك ربك يصطفيك
من ساير الخلق فانت فضلا من اقربايك لما هو اعظم منها واصل الاجتبا الجمع على طريق
الاصطفا ثم استانف بقوله ويعلمك ليلا يكون داخلا في حكم التشبيه اي وهو يعلمك
من تاويل الاحاديث اي تعبير الرويا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة
واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة وانما سمي التعبير تاويلا لانه يؤول
ما راه الى ما ذكره وكان يوسف عليه السلام اعبر الناس للرويا واصحهم عبارة لها
ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث تبيين معاني كتب الله تعالى وسنن الانبيا
عليهم السلام وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها وسميت
احاديث لانها يحدث بها عن الله تعالى ورسله عليهم السلام واحاديث مبني على
واحده المستعمل وهو الحديث كانهم جمعوا احديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احا
ديث كقطيع واقطعة واقاطيع والقول بانه اسم جمع للحديث مردود بانه لم يات
اسم جمع على هذا الوزن واما اباطيل فجمع لا واحد له كعباديد وشماطيط ويتم
نعمته عليك بالنبوة او بوصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى آل يعقوب ساير

بغنية قيل استدل على شرفهم ونبوتهم بضوء الكوكب او شدة كما اتمها على ابويك
من قبل ابراهيم واسحاق تذكير لكونه من حضرة الانبيا الكرام عليهم السلام وتلويح
الى معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به ومن ههنا ظهر وجه رجحان
اضافة الابوين اليه دون يعقوب عليه السلام وايضا في اضافتهما الى يعقوب
عليه السلام تغليب اسحاق على ابراهيم عليهما السلام بخلاف ما اذا اضيف الى
يوسف عليه السلام والمراد بالابوين الجد واب الجد لانهما في الاصالة في حكم
الاب ومن ثمة يقولون ابن فلان بينه وبين فلا تعدة ابا واتمام النعمة عليهم
بالنبوة ورفع الدرجات في الاخرة وقيل على ابراهيم عليه السلام بالخلة والانجا من
النار وعلى اسحاق عليه السلام بالانجا من الذبح والفدا بذبح عظيم ان ربك
عليم يعلم من يستحق الاجتبا حكيم يفعل الاشيا على ما ينبغي فلا يتم نعمته الا على
ما يستحقه لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم ايات دلايل على قدرة الله
تعالى وحكمته للسايلين للطالبين لها او دلايل على نبوته عليه السلام للذين
سالوا من اليهود عنهم فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراة كتاب
وانما جمع العدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى والمراد باخوته بنو علاته العشرة
اذ قالوا ليوسف واخوه بن يامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه
بالاخوة من الطرفين واشاروا بهذه الاضافة الى ان سبب فضيلته عند ابيهم
اختصاصه بيوسف عليه السلام فذكرهم زيادة محبة ابيه له ليس حسدا منهم
عليه بل حسدا على يوسف عليه السلام لانه حينئذ يرجع الى زيادة محبة له ولهذا
خصوا التعرض له وفايدة لام الابتدا في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده
الى ان زيادة محبته لهما امر محقق لا شبهة فيه احب الى ابينا منا انما وحد
احب مع كونهما اثنين لان افعل من كذا لا يفرق عن صيغة الواحد المذكر ولان
تمامه بمن ولا يثنى الاسم ولا يجمع ولا يؤنث قبل تمامه ولا بد في المعرف
باللام من المطابقة وفي المضاف جاز الامران ونحن عصبة اي يفضلهما
في المحبة علينا والحال انا جماعة كنا اقويا يقوم بمصالحه ومنافعه وهما
صغيران لا كفاية لهما ولا منفعة فنحن احق بزيادة المحبة منهما والعصبة
والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور
وتستكفى النوايب ان ابانا لفي ضلال مبين لفي ذهاب عن وجه الصواب
في رايه لهذا بايثار اثنين من الصغار على عشرة من الاقويا مع استوايهم في
الانتساب بالغوا في الاسناد بزيادة حرفي التاكيد وفي المسند بوصف الضلال
بالظهور وجد طرفا له عليه السلام وذلك لزيادة تاثرهم عن التفضيل المذكور
روي انه كان عليه السلام احب الى ابيه لما يرى فيه من المحامد وكان اخوته
يحسدونه لما راى الرويا تضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فبالغ حسدهم
حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد القول ان قالوا كانهم

اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا او اطرحوه ارضا منكورة مجهولة بعيدة عن
العمران وهو معنى تنكيرها ولابهامها نصب على الظروف المبهمة والمعتبر فيها ان
لا يكون محدودا بالحدود ومحصورا بالاقطار ولا ينافيه التقييد بنوع من القيود
يخل مجزوم لانه جواب الامر ومعناه يخلص ويصفو لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم
بكليته لا يلتفت عنكم غيركم وذكر الوجه لتصوير اقباله عليهم لان من اقبل على الشي
يكون وجهه في جانبه ويجوز ان يكون المراد بالوجه الذات كما في قوله ويبقى
وجه ربك لانه اذا صفت محبته لهم يكون لهم وحده غير مشترك فيه وتكونوا
جزم عطفا على يخل او نصب باضمار ان والواو بمعنى مع من بعده من بعد يوسف
او من بعد قتله او طرحه او الفراغ من امره قوما صالحين تائبين الى الله تعالى
عما جنيتم عليه او ذوي صلاح في امر دنياكم لانتظامه بخلو وجه ابيكم لكم او يصلح
ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه له قال قايل منهم ابهمه سترا على القايلين
بقتله عليه السلام حذرا عن سوء الظن من السامعين بخصوصهم وهم انبيا عليهم
السلام ومن لم يبينه لهذا قالت يعني يهودا كان هذا القايل احسنهم رايا حيث
انكر كلا من الامرين للذين عزموا على ان لا يفعلوا واحدا منهما لما راى في احدهما افراطا
وفي الاخر تفريطا نظروا الى عزمهم لعدم قدرتهم في يوم واحد على تبعيد يوسف
عليه السلام عن ديارهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والغرض يحصل بدونه
ولم يصرح بالنهي عن المنكر الاخر احالة له على دلالة اختاره عليه كانه قال دعوهم
تحدودكم الذي يتم به غرضكم هو هذا والقوه في غيابة الجب الغيابة ما غاب عن عين
الناظر واظلم والجب البير الذي لم يطو انما سمي جبا لانه ليس فيه غير جب الارض اي قطعها
وغيابته اسفله الذي يغيب ما وقع فيه وقعره وقرى غيابات على الجمع كانه
لتلك الجب غيابات يلتقطه الالتقاط اخذ الشي من حيث لا يحتسب لا الاخذ
مطلقا ولهذا احسن موقعه ههنا وفي قوله تعالى فالتقطه ال فرعون بعض
السيارة اي بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية بعيدة فتفرطوا منه والسيارة
جمع سايرة وهو كثير السير في الارض وانما اختار صيغة المبالغة لانها المناسب
لما قصده من الاذهاب الى ديار بعيدة وفيما ذكر قرينة على انه اشار بقوله
في غيابة الجب اي بير عرفوها في ديارهم ولذلك عرفوها وقرى تلتقطه بالتاء
الفوقانية على المعنى لان بعض السيارة سايرة ان كنتم فاعلين ما تفرق بينه
وبين ابيه فهذا هو الراي لان هذا القدر يكفي فيه ولما كان اول كلام هذا القايل
على نظر الشفقة الى في اخذه ما يناسبه حيث قال ان كنتم قالوا يا ابانا ما لك لا
تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد
له الخير وما وجدنا في حقه الا النصح والمحبة ارادوا استنزاله عن رايه
في حفظه منهم لما احس بالحسد ارسله معنا غدا في الصحرا وفي لفظ ارسله
دليل على ان يعقوب عليه السلام كان يمسك يوسف عليه السلام ويضمه دايما

يرتع الرتع الاتساع في الملاذ بالذهاب في جهات من اليمين والشمال وقيل
اصل الرتع التصرف في الشهوات يقال رتع فلان في ماله اذا انفقه في شهواته
ويلعب المراد من اللعب ههنا هو الاستباق والانتضال ويتدربون بذلك
لقتال العدو وانما سموه لعبا لانه بصورة اللعب ولم يكن يريدوا به اللهو
بدليل قولهم انا ذهبنا نستبق ولو كان مرادهم اللهو لما اقرهم عليه يعقوب عليه
السلام وقرئ نرتع بالنون وسكون العين من ارتع يرتع وقرئ بالكسر والياء
فيه وفي يلعب وقرئ يلعب بالياء والسكون علي اسناد الفعل الي يوسف عليه
السلام لصغره وما يعبر عنه باللعب يناسب اسناده الي الصغير خاف يعقوب
عليه السلام علي يوسف عليه السلام الضيعة من جهة الجوع فامنوه عن ذلك بقولهم
نرتع اي نتسع في اكل الفواكه ونحوها وخاف عليه ان يلحقوه امرا يشق عليه ويشيد
فامنوه ايضا عن ذلك بقولهم **وانا له لحافظون** ان ينا له مكروه **قال اني ليحز**
نني ان تذهبوا به ذهابكم به لقلة صبري عليه لشدة مفارقته علي **واخا**
ف ان ياكله الذيب واخاف عليه عدوة الذيب وكانت الارض مذابة الحزن
الم القلب لفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس عن نزول المكروه كانه يقول
لا اصبر عن رؤيته ولا طاقة لي بفرقته هذا اذا كانت الحالة السلامة فكيف
ومع هذا المخالفات ياكله الذيب وقيل راي في المنام ان الذيب قد شد علي يوسف
عليه السلام فكان يحذره قال ذلك وقد لقنهم العلة وقرئ الذيب بالهمزة
علي الاصل وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اهبت من كل جهة لانه يخبط به
في مشيه ويضطرب وقال الاصمعي ان اشتقاق تذابت من الذيب لان الذيب
يفعله في عدوه وهذا اظهر لفظا ومعنا **وانتم عنه غافلون** لاشتغالكم بالرتع
واللعب وقلة اهتمامكم بحفظه **قالوا لئن اكله الذيب** اعتذر لهم يعقوب عليه السلام
بشيئين احدهما عاجل في الحال وهو ما يلحقه من الحزن وكان لا يصبر عليه والثاني
خوفه عليه السلام من الذيب ان يغفلوا عنه برتعهم ولعبهم وعدل اخوة يوسف
عن الاول لقصر مدة الحزن وايهامهم انهم يرجعون به اليه من قريب واجابوا
عن الثاني لانه السبب القوي في منعه عن الذهاب بهم واللام موطئة
للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذيب والواو في **ونحن عصبة**
اي فرقة مجتمعة مقتدرة علي الرفع للحال **انا اذا لخاسرون** جواب للقسم
مجزي عن جزاء الشرط مغبونون ضعفا لاعنائهم ومستحقون ان يدعي عليهم
بالخسار والدمار وقيل لخسرهم الله حين اكل بعضهم الذيب وهم حاضرون
وقيل انا لم نقدر علي حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها
فلما ذهبوا به متصل بمحذوف تقديره فاذن لهم وارسله معهم فلما فصلة
واجمعوا ان يجعلوه عزموا عليه ولا يقال اجمع الا اذا قربت الدواعي الي
الفعل من غير صارف ومنه الاجماع فكانه ماخوذ من اجتماع الدواعي ولما لم

يكن مراده من الغيابه في البير اهلاكه كان التعبير عنه بالجعل افصح **في غيابة الجب**
قيل هو بير علي ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام ولا يخالفه القول
بانها بارض الاردن لان كنعان ناحية من نواحي الاردن ومنزله عليه السلام
كان فيها وكذا القول بانها كانت بين مصر ومدين لان مدين ايضا كان من
ارض الاردن في جوار كنعان واما القول بانها بير بيت المقدس فلا صحة له لانهم
جاءوا الي منزلهم عشاء ذلك اليوم وبينه وبين بيت المقدس مراحل وقرئ
في غيابات وهي لا توجد في التي تطوى ومنه ظهر وجه ايثار الجب علي البير وجواب
لما محذوف للمبالغة مع ايجازه فعلوا به من الاذى والاهانة ما لا يمكن وصفه
او لا يحتمل سماعه وتفصيله مذكور في كتب التفاسير **واوحينا اليه** يعني في
البير فهو معطوف علي محذوف تقديره والقوه في غيابة الجب فالواو فصيحة
قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الي عيسى ويحيى عليهما السلام وقيل كان ان ذاك
مدركا **لتنبئنهم بامرهم هذا** بالتوبيخ وذلك قوله عليه السلام لهم هل علمتم ما فعلتم
بيوسف وفيه تبشير بحسن حاله في المال وعما يؤل اليه من علو شان ورفعة
مكان ايناسا له وتطيبا لتسليه **وهم لا يشعرون** انك يوسف لطول
العهد المغير للهيات والاشكال وبعد الحال عن اوهامهم علي ما دل عليه قوله
فعرفهم وهم له منكرون ومن توهم انه اشارة الي هذا القول فقد وهم وما
فهم ما فيه من التوبيخ فالقول ما قالته حذام وهو المناسب للمقام كما لا
يخفى علي ذوي الافهام ويؤيده الاشارة الي الامر المذكور بهذا المتضمنة الدلالة
علي ما فيه من الدلالة علي الفاحشة وقرئ لتنبئهم بالنون علي انه وعيد لهم
تقول العرب لمن يتوعده لمجازاة سوء فعله لانبئنك ولاعرفنك يعني لاجازينك
وهذا شايع في سائر الالسنة ايضا وهم لا يشعرون علي هذه القراءة متعلق
باوحينا اي انسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك **وجاءوا اباهم عشاء** وقرئ
عشيا وهو تصغير عشا وعشى بالضم والقصر جمع اعشي اي عشوا من
البكا وفيه ضعف لان قدر ما يكون في ذلك اليوم لا يعشو منه الانسان
والعشا اخر النهار اي نصف الليل ومنه اشتق الاعشي لانه يستضئ ببصره
ضعيف اي جاءوا ليلا وذلك ليكونوا اقدر علي الاعتذار في الظلمة ولهذا قيل
لا تطلب الحاجة بالليل فان الحيا في العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب
فتتلجلج في الاعتذار **يبكون** حال معناه متباكين دون باكين لان البكاء
جريان الدمع من العين عند حال الحزن ولا حزن لهم الا انهم اظهروا
صورة البكا ليوهموا انهم صادقون روي انه عليه السلام لما سمع صوت
بكائهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف **قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق**
اي نتسابق في العدو والرمي والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال
والتناضل والارتما والترامي **وتركنا يوسف عند متاعنا** اي تركناه عند

الرحل ليحفظه فاكله الذيب الفا للتعقيب بلا تراخ ولابد من اعتباره في هذا
الاعتذار عند عدم التدارك وما انت بمومن لنا فدمرات الايمان اذا كان بمعنى
التسليم بتعدي باللام وان كان بمعنى التصديق بتعدي بالذات او الباو تقديم
انت والايلاو حرف النفي لا دعايم ان غيرك مصدق لنا لانا مشهورون بالصدق
موثوق بقولنا عندك وما انت فلسوظنك بنا وفرط محبتك ليوسف فلا تسلم
لنا ولذلك اكده بزيادة البا والتقييد بقوله ولوكنا صادقين اي ولوكنا
عندك من اهل الصدق والثقة فكيف وانت سيي الظن بنا غير واثق بقولنا هذا
وانما حذف الظرف لان ذكره متقدما يفسد المعنى لافادته الاختصاص الذي لا
يناسب المقام وذكره موخرا يفسد اللفظ لانه حينيذ تفوت محافظة رؤس
الاي ونضح رعاية الفواصل وهي من شرايط حسن نظام الكلام وفصل الفصل
وجاوا علي قميصه بدم في محل النصب من الدم ومنع تقدمها علي صاحبها المجرور
في غير الظرف وجوز نصبه بمعنى فوق واورد عليه بان العامل فيه حينيذ
جاوا وليس فوق القميص ظرفا لهم بخلاف فوق الجمال بخلاف في قولك جاوا علي
جمالة بالجمال ومبناه ان تكون الباء المصاحبة كما في ذهب الله بنورهم واما
اذا كانت للتعدية كما في ولوجينا بمثله مددا فلا يلزم المحذور المذكور
ولاوجه للحمل علي الاول لسبق الاخبار عن مجيئهم كذب وصف بالمصدر
مبالغة او مصدرا ريد به المفعول اي مكذوب فيه كالثقة يراد بها الموثوق
به وتقديره في مثل هذا المقام بنزل الكلام عن منزلة البلاغة وقري
بالنصب علي الحال من الواو اي جاوا كاذبين وكذب بالدال الغير المعجمة
اي كدرا وطري روي انه عليه السلام لما راي قميصه غير ممزق قال ما
رايت ذيبا احلم من هذا الذيب ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل
سولت لكم انفسكم كذا قالوا والذي عندي ان امارة الكذب قلة الدم المفهومة من
التنكير ومن التعبير بكونه علي القميص ولوكانت الامارة عدم تمزق القميص لكان
هو بالتعرض احق بل اضراب عن مقدر يقتضيه المقام ويدل عليه سياق الكلام
فيه تمام الانتظام فهو كانما الفضيحة والتسويل تحسين الشي وتزيينه وتحبيبه
الي الانسان ليفعله او يقوله امرا اي امرا منكرا لايحتمل التعريف والتوصيف
فصبر اي فحقي صبر كقوله فعدة من ايام اخر اي فعليه جميل في الحديث المرفوع
الصبر الجميل الذي لاشكوي فيه ولاحاجة الي تخصيص الشكوي بالتي تكون
الي غير الله تعالي اذ ليس في كلامه عليه السلام وعد بالصبر الجميل والله المستعان
علي ما تصفون اي المطلوب منه العون علي كشف ما التبس من امركم هذا هو
المناسب لقوله فصبر جميل عسي الله ان ياتيني بهم جميعا لا ما قيل علي احتمال
ما تصفونه من هلاك يوسف عليه السلام كما لا يخفي وهذه الجريمة كانت قبل
استنبائهم ان صح وجات سيارة رفقة يسيرون وفي صيغة المبالغة دلالة

على

على انهم جاوا من بعيد والمراد مرادهم الي قرب بير يدل له السياق واللحاق والظاهر
من قولهم يلتقطه بعض السيارة انها كانت قريبة من الطريق العام قيل كان ذلك
بعد ثلاث من القايم فيها فارسلوا اي الي البير واردهم هو الذي يسير الي الما ليستقي
منه فادلي دلوه تقول ادليت الدلو اذا ارسلتها ليملا دلوها فتدلي بها يوسف
فلما خرج فاذا هو غلام احسن ما يكون قال يا بشراي هذا غلام بشر اصحابه
بانه وجد عبدا او معني الندا التنبيه اي انتبهوا الفرحي وسروري قيل نادي
رجلا اسمه بشرا اي معنيا لنيل التنبيه فانه لوكان اسما لم يكن مضافا الي ضمير المتكلم
واسروه اي الوارد واصحابه عن ساير الرفقة بضاعة نصب علي الحال اي
اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال اي قطع منه للتجارة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان الضمير لاخوة يوسف عليه السلام وانهم قالوا للرفقة
هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفي ما
فيه من الاختلال لحسن نظم المقال والاشكال من جهة ان التعبير المذكور لا يناسب
الحال والله عليم بما يعملون وعيد لهم حيث استصحبوا ما ليس لهم وشروه باعوه
بثمن التنكير للتقليل بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن معدودة قليلة
فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها وفيه تصريح بما قصد
بالتنكير وتنبيه علي انه لم يقصد به المبالغة وكانوا فيه في يوسف عليه السلام
من الزاهدين الزهد خلاف الرغبة يقال زهد في الشي وعن الشي وذلك لانهم
كانوا التقطوه والملتقط للشي متهاون به خايف عن انتزاعه من يده مستعجل
في بيعه وفيه متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم
علي الموصول وان ما بعد الجار لا يعمل فيما قبله وكانه قيل وما كانوا زهدوا
فيه فحذف لدلالة من الزاهدين عليه وقال الذي اشتراه منهم وهو العزيز
الذي كان علي خزاين مصر وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد
امن بيوسف عليه السلام ومات في حياته روي انه اشتراه العزيز وهو
ابن ثلاث وثلاثين سنة ومبناه الغفلة عن لبثه في السجن وانما
قال من مصر تنبيها علي انه غير المشتري الاول لامراته راعيل او زليخا واللام
متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اي اجعلي مكان اقامته حسنا بر مقاه
والاكرام الاحسان علي جهة الاعظام ويلزمه الارضا وانما اضاف الي مثواه
دون نفسه مبالغة في احسان تعهده لان من اكرم غيره لاجله كان اعظم منزلة
ممن يكرم في نفسه عسي ان ينفعنا نفع مملوك مقبل لما لكه او نتخذه ولدا فيتبع
بنا قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك ولا دلالة فيه علي انه كان عقيما لا يولد له
وكذلك اي مثل ذلك التمكين من قلب العزيز حين عطف عليه وامر امراته باكرام مثواه
مكنا ليوسف في الارض مكناه في ارض مصر اي جعلنا له منزلة فيها كما كنا بيننا
في الارض ليتصرف فيها بالعدل والحكمة ولنعلمه بعض تاويل الاحاديث وهو

تاويل الرويا فيعبرها ويعرف الحوادث قبل وقوعها فيبني تدبير الامور عليها كما دبر
الامر لبني مصر او علة معلل المحذوف اي ولنعلمه فعلنا ذلك والله غالب على امره
لا يمنعه مانع ولا ينازعه منازع فيما يقضي ويريد هذا على عمومه ويدخل فيه
امر يوسف عليه السلام دخولا اوليا فان اخوته ارادوا واما ارادوا ولم يكن الا
ما اراده تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او حسن كلائته
وعصمته وخفايا لطفه وعنايته ولما بلغ اشده الاشد منتهى اشتداد
الجسم والقوة وكمال البنية وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين
يؤيده قوله تعالى ولما بلغ اشده وبلغ اربعين سنة آتيناه حكما حكمة وهو العلم
المؤيد بالعمل وعلما بتاويل الاحاديث او حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي
المحسنين تنبيه على ان الله تعالى آتاه الحكم والعلم لاستحقاقه اياه باحسانه
في العمل وايقانه في عنفوان الامر وراودته التي هو في بيتها عن نفسه المراودة
المطالبة من راد يرود اذا ذهب وجاء لطلب الشيء ومنه الرائد ويجوز
ان يكون من الترويد وهو التمهل والرفق فالمراودة هي المطالبة على الرفق
والتمهل وهي مفاعلة من راده يروده نحو داينت المريض وتعديته بعن
لتضمين معنى المخادعة اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه من الاحتيال في
اخراج ما في يده وهو يحفظه ويكره اخراجه فعن للمجاوزة اي راودته ان
يجاوز ويخدعها نفسه لان يقف عندها بان لا يطأها وانما قال التي هو في
بيتها ولم يصرح باسمها ولا بامرأة العزيز سترا على الحرم والعرب تضيف
البيوت الى النساء فتقول ربة البيت قال يا ربة البيت قومي غير صاغرة
وفي ذكرها بالموصول الى زيادة تقرير معنى الخبر ليفيد براءة يوسف عليه السلام
فان كونها في بيته يقرر معنى المراودة وغلقت الابواب قيل كانت سبعة
والتغليق الاطباق بما يعسر فتحه والتشديد للتعدية لان غلقت الباب غلقا
لغة ردية متروكة ذكره الجوهري فمن وهم انه للتكثير او للمبالغة في الاشتقاق
فقد وهم وقالت هيت لك اسم فعل معناه بادر واقبل واللام للبيان اي لك اقول
هذا وقرئ هيئت لك على لفظ الفعل بمعنى تهيأت وعلى هذا فاللام صلة قال
معاذ الله مصدر اي اعوذ بالله معاذا انه ربي اي الشان سيدي قطفير
احسن مثواي حين امرك بالاحسان الي فكيف اخونه في اهله نوع من
الايجاز البليغ حيث اكتفى بذكر المقتضي والتقدير في مثل هذا والذهاب الى نوع
من المجاز من ضيق العطن كما لا يخفى على ارباب الفطن انه لا يفلح الظالمون
يدخل فيهم الذي يجازي الحسن بالسيء دخولا اوليا وايثار صيغة الجمع لبيان
ان جرمهم لا يغني ولقد همت به اي بمخالطته لان الهم لا يتعلق بالاعيان وهم بها
اي بمخالطتها ولو قيل وقصدها بالمخالطة لكان اخصر ولكان انباؤه عن الجواب
المقدر اظهر الا انه فصل بين الهمين بذكر كل على حياله دلالة على افتراقهما

حكما

حكما ثم مدحا وذما فالجمع بينهما ابطال لما هو المقصود من الكلام وهو التنبيه
على انهما وان كانا مشتركين في الميل المخصوص الا ان احدهما ميل عن شهوة تبعها
العقل فاضمحلت في الاخرة واذا كانا كذلك فالفرق بينهما عن طباق المقام بمراحل
ولا خلاف في ان همها كانت معصية لانها كانت مصرة واما همه فمن قبيل ما
يخطر في النفس ولا يثبت في الصدر وهو الذي رفع الله تعالى فيه المؤاخذة عن
الخلق اذ لا قدرة للمكلف على دفعه فلا زلة فيه مع ان الزلة للانبيا عليهم السلام
حكمها زيادة الوجل وشدة الحيا بالخجل والتخلي عن عجب العمل والتلذذ بنعمة العفو
بعد الامل وكونهم ايمة في الرجا لاهل الزلل لولا ان راى برهان ربه اي رأى
في موضع رفع والجواب محذوف لعلم السامع به اي لولا رؤية برهان ربه لامضى
ما هم به ولا يجوز ان يجعلوا وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط
فلا يتقدم عليها جوابها وظاهره يدل على انه شاهد امرا صرفه عما قصده
حتى قيل انه راى جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عليه السلام
عاضا على انامله وقيل نحو ذلك وهذا الذي ذكروه غير صحيح لان ذلك يقتضي
الالجاء وزوال التكليف ولو كان كذلك لما استحق يوسف عليه السلام مدحا وثوابا
على امتناعه عما هم به وقد مدحه بقوله انه من عبادنا المخلصين فالوجه ان
تكون الرؤية بمعنى العلم والبرهان ما اراد الله ليوسف عليه السلام على تحريم ما هم به
كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة
السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته
وقرئ بالكسر اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى واستبقا الباب اي تسابقا
اليه هو للخروج والهرب منها وهي لمنعه منه واصل استبق ان يتعدى بالى
فحذف الجار واوصل الفعل ولقد حسن موقعه حيث كان في التعبير عن المراد ايضا
سابقة الى المقصود وانما وحد الباب هاهنا لان بيان تعدده فضلة في هذا
المقام بخلاف ما سبق والاستباق الى الباب ينتظم الاستباق الى الكل وقيل تعديته
بالذات باعتبار تضمين التسابق معنى تبادر الباب طالبين السبق فسبقها
يوسف عليه السلام ما دل عليه قوله وقدت قميصه من دبر عطف على محذوف
تقديره فادركته وقدت والقد الشق طولا قيل ادركته قبل ان يخرج فقبضته
في اعلا قميصه فتخرق القميص عند طوقه ونزل التخريق الى اسفل القميص
ففي قوله قدت دون خرقت بيان انها جذبته من اعلا القميص دون اسفله
ولولا ذلك لكان المتبادر الى الفهم خلاف ما هو الواقع وهو الجذب من الذيل فالقيد
المعتبر في القد اصاب المحز والفيا سيدها اي صادفا بعلها تقول المرأة لبعلها
سيدي لدى الباب لدى مخصوص بالحضور ولا يتضمن معنى الاستحفاظ
بخلاف عند فانه قد يتضمنه ويستعمل في الغيبة ايضا ولهذا ذكر عند في
قوله عند متاعنا دون لدى فكل منهما صادف محزه قالت ما جزاء من اراد

باهلك سوا الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن او
التعذيب او استفهامية اي اي شي جزاؤه الا السجن والتعذيب كقولك من في
الدار الا زيد ما عنيت يوسف عليه السلام بل زعمت حيث قالت من اراد اي كل
من اراد باهلك سوا فما جزاؤه الا السجن او التعذيب ليكون ابلغ فيما هو مرادها
من تخويف يوسف عليه السلام وانما كان ابلغ لانه كالدليل علي سيئاته للعقاب
قالت لبعلها لما راها علي تلك الهيئة المريبة ابهاما انما فرت منه تبرئة
لساحتها واغراء بيوسف عليه السلام وهي مغتاظة عليه اذ لم يراعها ده
فارادت تخويفه عسي ان يقضي وطرها خوفا من مكرها حين لم يقض حاجتها
حبا لها كقولها ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن فجمعت بين كيدهن وقيل العذاب
الاليم الضرب بالسياط والتهديد بينه وبين السجن يدل علي عظم موقع
السجن من ذوي الاقدار حيث قرنته بالعذاب الاليم ولما اغرت بيوسف
عليه السلام واظهرت تهمته احتاج الي ازالة التهمة عن نفسه ولذلك **قال**
هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة اتي بضمير الغيبة اذ كان غلب عليه
الحيا ان يشير اليها ويعينها بالاشارة لان في المواجهة بالقبيح ما ليس
في الغيبة وما تعارض قولها عند العزيز وكان رجلا فيه اناة ونصفة
طلب الشاهد فقالوا وفي قوله **وشهد شاهد من اهلها** عاطفة علي
مقدر قيل كان ابن خال لها صبيا في المهد ما قيل انه كان رجلا حكيما يرده
ما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسي رواه الحاكم من حديث
ابي هريرة وقال صحيح علي شرط الشيخين وانما القي الله الشهادة علي
لسان اهلها ليكون الزم للحجة عليها **ان كان قميصه قد من قبل فصد**
قت وهو من الكاذبين من قبيل المسامحة في احد شقي الكلام لتعيين الاخر
عند القايل بتنزيل المحتمل منزلة الظاهر لان الشق بالجذب في هذا الشق
ايضا محتمل ومن عقل هذا قال لانه يدل علي انها قصدها فرفعت عن نفسها
فقدت قميصه او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد من قدامه **وان**
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل علي انها
تبعته فاجتذبت قميصه فقدته حكيت الشرطية بعد فعل الشهادة
لانها نوع من القول فلا حاجة الي ارادة القول من الخارج قيل استعارة
الشهادة الشرطية المذكورة لادايها مودي الشهادة في ثبات قول يوسف
عليه السلام وابطال قولها ومبناه المنقول عن ان القول المذكور معطوف
علي مقدر به ينتظم الكلام وهو امر الشهادة علي الحقيقة وجواب الشرط
فصدقت فكذبت وهو علي اضمار قد والجمع بين الاستقبال والماضي المحقق
في الشرط والجزا علي تاويل ان يعلم انه كان قميصه قد كقولك لمن

من

من عليك باحسانه اذا احسنت الي فقد احسنت اليك من ايمان تمنن علي به
باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقري من قبل ومن دبر لانهما
قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتحة كانهما جعلا علمين للجهتين
فمنعا الصرف وبسكون العين **فلما راي قميصه قد من دبر** وعلم صدقه
وكذبها **قال انه** اي ان قولك ما جزا من اراد باهلك سوا وان هذا الامر
من كيدكن من حيلتكن ايتها النسوان فالخطاب لها ولجواريها او لها
ولساير النسا فانهن قد اشتهرت بشدة الحيل **ان كيدكن عظيم** لان كيد
النسا الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس وعن بعض العلما اني اخاف
من النسا اكثر مما اخاف من الشيطان وهذا لانهن يواجهن الرجال والشيطان
يوسوس به مسارقة **يوسف** حذف حرف الندا لقربه وكمال فطنته
وسرعة فهمه للحديث لذكايه وقيل فيه تقريب له وتلطيف لمحله وفيه
نظر لان الاسم الظاهر علي ما بين في كتب المعاني طريق الغيبة **اعرض عن هذا**
اي عن هذا الامر اراد بالاعراض عنه كتمه وعدم التحدث به ثم اقبل عليها فقال
واستغفري انت ثم ذكر سبب الاستغفار بقوله **لذنبك** ثم اكد ذلك بقوله
انك كنت من الخاطيين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطا اذا
اذنب متعمدا والتذكير تغليبا لتاكيد التعمد فان النسيان في النسوان غالب
وقال نسوة النسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث
اللمة ولذلك لم يلحق فعله تا التانيث وضم النون لغة فيه **في المدينة**
ظرف لقالوا اي اشعن الحكاية في مصر ويفهم منه كونهن فيها بخلاف ما اذا
كان صفة لنسوة فانه لا يفهم منه معني الاشاعة فيها والوجه كونه
ظرفا دون صفة **امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه** تطلب مواقعة
غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك والفتي الغلام وعرفه في الملوك
وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي ولا امتي وليقل فتاي وفتاتي واضافته
لقولهم فتيان والفتوة شاذة يعني انهن اشعن هذا الامر من حب راعيل
ليوسف عليه السلام وصرحن باضافتها الي العزيز مبالغة في التشنيع لان
النفوس اميل لسماع اخبار ذوي الاخطار وما يجري لهم واخترن صيغة المضارع
لدلالتها علي انه صار ذلك سجية لها تخادعه دايما عن نفسه ثم نبهوا علي
علة ديمومة المراودة وهي كونها والهة في حبه بقولهن **قد شغفها حبا** اي
خرق حبه الشغاف وهو حجاب القلب حتي وصل الفواد وانتصب حبا علي
التمييز المنقول عن الفاعل وفيه مبالغة بليغة في التعشق بذكر الشغاف
والايهام والتبيين كانه من استيلا حبه علي قلبها قد شق شغاف قلبها
وتمكن حبه في قلبها وسويدايه وقري شعفها من شعف البعير اذا هناه
فاحرقه بالقطران ثم نعي ذلك عليهن فقلن **انا لنريها في ضلال** عن الرشد

ويُبعد عن الصواب مبين واضح للناس فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه
مكرًا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره لما عرفت ان سياق الكلام يفصح عن الاشاعة
بل لانهن قلن ذلك ليرين يوسف عليه السلام ارسلت اليهن تدعوهن واعتدت
لهن متكا اي سوت وهيات لهن ما يتكين عليه من النمارق والوسايد وقيل
متكا مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكون للطعام والشراب كعادة المترفين
ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكا والاول يناسب المقام لما فيه من مقابلة المكر
كانها قصدت بقعودهن متكا ت والسكاكين في ايديهن ان يقع ايديهن على
ايديهن فيقطعنها اذا رايته وشغلن عن انفسهن من الدهش والحيرة عند رويته
لان المتكي اذا دهش مال عن متكا يه فوقعت يده علي يده وقري متكا مفعولا
من تكا يتكا اذا اتكا ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشي بمعني بتكه
او قطعه واتت كل واحدة منهن سكينا اي واعطت سكينا يعالج به ما يحتاج
الي قطعه مما قدم من اللحوم والفواكه وقالت ليوسف اخرج عليهن وذلك
في حال ماكن يعالجن بالسكين فلما راينه عطف علي محذوف تقديره فخرج فلما
راينه وحذفه هاهنا كحذف ومضرب في قوله تعالي اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
وفيه دلالة علي سرعة امتثاله لامرها اذا كان بالمعروف اكبرنه اعظمنه واعجبن
من ذلك الجمال الباهر للعقول المدهش للقلوب وعن النبي صلي الله عليه وسلم رايت يوسف
ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يري تلالؤ وجهه علي الجدران كما يري
نور الشمس من الماعليه وقيل معني اكبرن حضن يقال اكبرت المراة اذا حاضت
واصله دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الكبر والهاء هاء السكت وضمير المصدر
او ضمير يوسف عليه السلام علي حذف اللام وايصال الفعل اي حضن له من
شدة الشبق ومنه قول ابن الطيب خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت
حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن اي جرحنها بالسكاكين لفرط
الدهش والتضعيف للتكثير كانت الجرح وقع مرارا في اليد الواحدة وصاحبها
حيث لا يشعر به لما ذهلت بما راها من جمال يوسف عليه السلام فكانها
غابت عن حسها اثرت رويته عليه السلام فيهن ولم يوثر في امراة العزيز
لطول الصحبة والاعتياد والتغيير صفة اهل البداية وقلن حاش لله
تنزيها لله تعالي من صفات العجز وتعجبا من قدرته علي خلق مثله وحاش
اصله حاشا فخففت بحذف الالف وهي كلمة تفيد معني التبراية والتنزيه
ومن زاد علي هذا قوله في باب الاستثنا فقد خبط لما عرفت انه يفيد المعني
المذكور في غير مقام الاستثنا وانه في ذلك الباب لا يفيد الا معني الاستثنا
اذ لا فرق بين قولك قام القوم حاشا زيدا ثم انه مثل قوله اساء القوم
الا زيدا ولم يرد ان معني التنزيه انما استفيد لدلالة الكلام علي براءه زيد
من الاساءة لان حاشا في مقام الاستثنا يقتضي ذلك قطعا الا يري الله

لو ذكر

لو ذكر بدل اسا فعلا اخر لا يفيد المعني المذكور واللام للبيان كما في قولك
سقيا لك وقري حاشا الله بغير لام بمعني براءة الله وحاشا لله بالتنوين علي
تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله
ضمير يوسف عليه السلام اي صار في ناحية الله مما يتوهم ما هذا بشرا لان
هذا الجمال غير معهود للبشر واعمال ما بمعني ليس لغة اهل الحجاز لمشاركتها
في نفي الحال وقري بشر علي لغة تميم واما قراءة بشري اي بعبيد بشري بمعني
مشتري حاصل بشري فلا يطابق قوله ان هذا الا ملك كريم لان هذه
المشاركة الرايعة بالحسن والهيئة في الجمال لا تكون الا للملك وقد ركز في
الطباع ان لا احسن من الملك ولا اقبح من الشيطان وشبه كل شاني في الحسن
والقبح بهما ولان الجمع بين الجمال الرايع والعصمة البالغة لا تكون الا للملايكة
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي به واللوم الوصف بالقبيح علي وجه
التوبيخ والتشنيع وذا اسم اشارة واللام لبعد المشار اليه وكن خطاب لتلك
النسوة والمعني ان هذا الذي صدر منكن الاكبار وتقطيع الايدي فيه ونفي
البشرية عنه واثبات الملكية له ذلك العبد الكنعاني لمتنني بسبب الا
فتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني
او فهذا الذي لمتنني به وانما قيل ذلك وهو حاضر تعظيما له ورفعا لمنزلته
في الحسن واستبعادا لمحله والغرض ان يثبت له استحقاق ان يحب ويفتتن
به ولقد راودته عن نفسه الاخبار عن المراودة المذكورة موكدا بالقد
واللام يدل علي انه لم يخبر عنها قبل هذا فما قيل في تفسير فلما سمعت بمكرهن
انما سماه مكرا لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ليس بذلك ذ
فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن عذرنها
كي يعاونها علي الانة عريكته الاستعصام بنا مبالغة يدل علي الامتناع
البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمته وهو يجتهد في الاستزادة منها
ونحوه استجمع الراي واستجمل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه
السلام لا مزيد عليه السلام وبرهان لا شي انور منه علي غاية عصمته ونهاية
طهارته وفي الفاء التعقيبية دلالة علي ما صدر عن يوسف عليه السلام بين
المراودة والاستعصام فعل يفصله عنها فمن هنا تبين ان الواقع من جانبه
عليه السلام مجرد وهم غير اختياري فما زيد علي ذلك وذكر في كتب التفا
سير والقصص مردود بنص الكتاب فافهم والله الهادي للصواب ولين لم
يفعل ما امره اي ما امر به فحذف الجار كما في قولك امرتك الخير وامري اياه
ومعناه موجب امري ومقتضاه فيكون الضمير له عليه السلام واللام في لين
موطية لقسم محذوف وجوابه ليسجنن وجاءت النون المشددة لانها اكد
من الخفيفة ثم عطف عليه وليكونا بالنون المخففة لان الصغار اخف من

السجن وقرئ بالنون المشددة والاولى اولى معنى لما تقدم ولفظا لان النون
كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة من الصاغرين
من الاذلاء من صغر بكسر الغين يصغر صغرا قال رب السجن وقرئ بالفتح على
انه مصدر احب الي مما يدعونني
اليه من ركوب المعصية وهي محبة الاختيار والايثار لا محبة النفس فانها تهوى
ما تدعون اليه قوله اصب اليهن ودلت الاية على ان النسوة راودنه عن نفسه
ولذلك قال اذ راودتن يوسف عن نفسه ويجوز ان يكون اسناد الدعوة والمراودة
اليهن لانهن ينصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن
والصغار وقيل انما ابتلي يوسف عليه السلام بالسجن لانه تحكم على الله وتصبر
بقوله رب السجن احب الي وكان حقه ان يسال العافية ولذلك رد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كان يسال الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني
كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل
الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه
الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب من
الصبابة واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى
لعلمه فهو ومن لا يعلم سوا او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه
فاجاب الله تعالى دعاه الذي ضمنه قوله والا تصرف عني فان فيه معنى طلب الصرف له
والدعا باللطف فصرف عنه كيدهن بتثبيته على العصمة تعليل للاستجابة انه هو السميع
لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم ظهر للعزيز واهله
من بعد ما راوا الايات هي الشواهد على براته كشهادة الصبي وقد القميص وقطع
النسا ايديهن فليس منها كما لا يخفى وفاعل بدا مضمر لدلالة ما يفسره عليه
وهو ليسجننه وهو جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمول لقول محذوف
تقديره قايلين وما كان ذلك الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة
والغارب وكان مطواعا لها حتى انساه ذلك بعد ما عاين من الايات وعمل برايها
في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او
لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وقرئ لتسجننه بالتا على الخطاب خاطب به
بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها
اقترحت ان يسجن زمانا حتى يبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم
فلبث في السجن بضع سنين وقرئ حتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان
اي عبدان للملك قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى شيخا كان او شابا والواو
للعطف على محذوف تقديره امضوا رايهم في سجنه فسجنوه ودخل معه اي في
صحبته السجن فان مع حقيقة ما فيها فلا تصرف عنها الى المجاز الا لصارف
كما في قوله واسلمت مع سليمان والمعنى انه عليه السلام دخل السجن واتفق ان دخل

حينئذ اخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما قصدا ان يسماه قال
احدهما وهو الشرابي اني اراني اي ارى في المنام وهي حكاية حال ماضية استحضار لها
للصورة عند السامع اظهارا للاهتمام بنا وبلها اعصر خمرا وفي قراة ابن مسعود عنبا
واطلاق الخمر على العنب مجاز من باب تسمية الشي بما يؤول اليه ونكتة المجاز بيان
ان عصره كان للتخمير لا لامر اخر على وجه الايجاز وقال الاخر وهو الخباز اني اراني
احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه تنهشه نبئنا بتاويله شبه الاخبار بما سيقع
من الامور المغيبة بتفسير المشكل والافصاح عن معناه لابهامه فسماه التاويل
والضمير لما قصا عليه جاريا مجرى اسم الاشارة كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك
انا نراك من المحسنين الذين يحسنون تاويل الرويات الا ذلك لانهما راياه
يعبر رويا بعض اهل السجن او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل
ما رايناه ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه لما استعبراه
اراد ان يجعل ذلك ذريعة الى دعوتهما الى التوحيد فقدم لذلك مقدمة باعثة
اياهما على القبول وهي الاخبار عن المغيبات كما هو طريقة الانبيا عليهم السلام
في انتهاض الفرصة في الدعوة الى الحق تعالى فقال لا ياتيكما من عند اهلكما
او صديقكما او من غيرهم ما تحتاجان اليه من الطعام في السجن الا نباتكما بتاويله
اي ببيان ماهيته وكيفيته قبل ان ياتيكما فجعل يخبرهما كل يوم بما يحمل اليهما
من الطعام قبل ان ياتيهما ويقول اليوم ياتيكما كذا وكذا من الطعام من صفته
كيت وكيت فيكون كما اخبر ويجوز ان يكون الضمير في نباتكما بتاويله راجعا
الى ما استعبراه عنه اي سانبيكم بتاويل ما قصصتما علي قبل ان ياتيكما وظيفة
الطعام الذي ترزقانه فكانهما قالا له عليه السلام كيف تعلم ذلك فهو غيب
فقال ذلكما اشارة الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما
علمني ربي بالالهام والوحي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله تعليل لما قبله
وتشويق لهما الى الايمان اي لاني تركت ملة قوم انتما على دينهم وهم اهل مصر
وكانوا مشركين وليس هو تركا بعد الكون فيها بل هو الامتناع عنها اصلا وهم
بالاخرة هم كافرون لما اراد ان يجيب اليهما بالايمان والتوحيد ويكره اليهما
الكفر والفسوق فقال هذه الكرامة لاني امتنعت عن ملة قوم ليسوا من الايمان
بالله في شي ولا من الايمان بالاخرة وعدل عن الجملة الفعلية الى الاسمية وكررهم
وتقدم الاخرة للدلالة على انهم قوم عادتهم الكفر فهو لهم كالطبيعة لا مرعا
رضي وانهم خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم مؤمنون وهم الذين على
ملة ابراهيم عليه السلام والتخصيص لكفرهم بالاخرة والجزا فان علمي التوحيد
والمعاد هما اساس الدين وللتعريض بان ما هم عليه من الظلم والكباير لا يرتكبه الا من
هو كافر بدار الجزا واتبعت ملة ابائي فيه اطلاق الاب على الجد وقد مر وجهه
ابراهيم واسحاق ويعقوب اي واتبعت ملة اباي الانبيا عليهم السلام وتجوز

ان يكون اعني قوله اني تركت الي اخره ابتدا الكلام بتمهيد الدعوة بعد اظهار
المعجزة واثبات انه من بيت النبوة والشرف والكمال والكرامة لتقوي رغبتهما
في قبول كلامه واتباعه وتوثقهما به ولهذا يجوز للعامل الخامل ان يصف نفسه
ليعرف فيقتبس عنه ويهتدي بهداه ما كان اي ما صح لنا معاشر الانبيا ان نشرك
بالله من شي اي شي كان وتعميم مفعول نشرك وتاكيدا لنفي بزيادة من ليكون كالبرهان
علي امتناع اشراك الاصنام به تعالي علي ابلغ الوجوه وانه اذا لم يجز الاشتراك
بشي ما به ولو كان اشرف الاشيا فكيف باخسها وهي الجمادات ذلك التوحيد من
فضل الله علينا بالوحي والاختصاص بالنبوة وعلي الناس بارسالنا اليهم لنهديهم
اليه ونعلمهم ونزكيهم ولكن اكثر الناس المرسل اليهم لا يشكرون فضل الله تعالي
عليهم ولا يعرفون نعمة الهداية فكيف يشكرونها او من فضل الله تعالي علينا
وعليهم بنصب الادلة وانزال الايات ولكن اكثرهم لا ينظرون في الادلة اتباعا
لاهوايهم ولا يستدلون بها ولا ينتبهون لذلك الفضل فلا يشكرون تلك النعمة
السنية يا صاحبي السجن ناداهما باسم الصحبة في مكان المشاق الذي
تخلص فيه المودة وتمحض فيه النصيحة والمعني يا صاحبي فيه فاضافهما اليه
علي الاتساع كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار ثم اورد الدليل علي بطلان ملة
قومهما بقوله ارباب متكاثرون في العدد متفرقون بتفريق الغير المقهورون
تحت قدرته خير ام الله الواحد القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه
غيره مثل ضربه لعبادة الله تعالي وحده وعبادة الاصنام فيما قدمناه تبين
وجه اصابة التوصيف بانتفا تعدده وكان الظاهر مقابلته الله بالالهة
وانما عدل عنه للتنبيه علي ان التعدد ينافي الالوهية ثم استطرد بعد هذا
الاستفهام الي الاخبار عن حقيقة ما تعبدون فقال ما تعبدون من دونه
اي ما تعبدون شيا من دون الله تعالي والخطاب لهما ولمن علي دينهما الا اسما
سميتموها الا اسما بلا مسميات احدثتموها انتم واباؤكم اي سميتم اشيا لكن
ليس فيها معني الالوهية الهة فعبدتموها باعتبار تلك الاسما فكانكم تعبدون
تلك الاسما الخالية من المسميات ما انزل الله بها من سلطان من حجة تدل
علي تحقق مسمياتها ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله لانه المستحق
للعبادة بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك للامر ثم
بين ما حكم به فقال امر اي علي لسان انبيايه عليهم السلام ان لا تعبدوا
الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك اي تخصيصه تعالي بالعبادة هو الدين
القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا
يعلمون فيخبطون في جهالاتهم قد رجح في الدعوة فبدا بتقبيح ملتهما في اعينهما
وابطالها اولا ثم بتقرير ملة التوحيد وتزيينها عليهم وبيان انه من فضل
الله تعالي تنفيرا وترغيبا ثم بين رجحان التوحيد علي اتخاذ الالهة بالتمثيل

علي طريق الخطابة ثم ابطل الشرك بانه لا حجة عليه اصلا لا عقلا ولا نقلا فانه
عبارة العدم البحت ثم صرح بان الحق هو التوحيد وذلك هو الدين الثابت بالبرهان
العقلي والسلطان النقلي الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن
لا يعرف ذلك فهو الجاهل مطلقا يا صاحبي السجن لما القي اليهما ما كان اهم وهو
امر الدين وجاء في ايمانهما نادهما ثانيا لتجتمع نفسهما لسماع الجواب اما احدكما يريد
الشرابي اتمام بعينه صرحا ابهاما لامر الاخر مهما امكن واحترازا عن المخاطبة
بالمكروه والتصدير باما للشروع في تفصيل ما قصده من الجواب عما استفتياه
فيسقي ربه سيده وقرئ ربه اي يسقي ما يدور به خمرا كما كان يسقيه قبله
اي يعود الي ما كان عليه قبل سقيه واسقي لغتان بمعني واحد والذي عليه
اكثر اهل اللغة ان معني سقاه ناوله فشرب او صب الما في حلقه ومعني اسقاه
جعل له سقيا قال تعالي واسقيناكم ما فراتا واما الاخر يريد الخباز فيصلب
فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي تم ما تستفتيان
فيه مما يؤل اليه امركما وهو ما اتهما فيه وسجنا لاجله وفرغ عنه وهما ظنا
ما راياه في معني ما نزل بهما فاستفتيا في ما عاقبته وقيل جحدا وقالا كذبنا
ما راينا شيا وتحالمنا لنجربك فقال ان ذلك كاين سواء كان منكما حلما فتحا كما
والاستفتا طلب الفتيا والفتيا جواب لحكم المعني وهو غير الجواب عليه وزمانه
الاستفتا لا يقتضي ما لم يعرض المفتي الوطر في الفتيا ولهذا قال تستفتيان دونه
استفتيتما وقال يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج منهما الظان ايضا عليه
السلام ان كان تاويله عن اجتهاد والشرابي ان كان عن وحي لا ان يكون الظن بمعني
اليقين كما في قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه والنجاة الخلاص عن الورطة سلامة
اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك عسي ان يخلصني فانساه الضمير للشرابي
الشيطان الانسا حقيقة من الله تعالي وانما نسب الي الشيطان لانه كان بوسوسته
اليه من الاشتغال المانعة عن التذكر والفا للسببية فان توصيته عليه السلام
به المتضمنة للاستعانة من غير الله تعالي كان سببا للانسا الذي ترتب
عليه مكثه في السجن مدة مديدة ذكر ربه اي ذكر يوسف عليه السلام للملك
والاضافة لادني ملابسة ومن جوز ان يكون المعني نسي يوسف عليه السلام
ذكر الله تعالي حتي استعان لم يرد ان حق لفا حينئذ ان تدخل علي قال
ويذكر جملته بعد اخيها ولا تاييد لما ذكره في قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف
لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس انما تاييده لما ذكرناه ثم
فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الي التسع من البضع وهي
القطع واكثر الاقاويل علي انه عليه السلام لبث فيه سبع سنين وقال الملك اني اري
حكاية حال فلذلك جا بلفظ المضارع سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
لما دني فرجه عليه السلام راي ملك مصر في المنام سبع بقرات سمان خرجن

من نحو يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان **وسبع سنبلات خضر** قد انعقد حبها **واخر يابسات** وسبعًا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص عن حال البقرات وسمان جمع سمين وسمينة كرام صفة اجريت على المميز دون المميز للقصد الى التمييز بنوع من الجنس والعجف غاية الهزال والعجاف جمع عجفا وقياسه عجف لان فعلا افعل جمع على فعل لكنه حمل على سمان ومن عادة العرب حمل النقيض على النقيض كحمل النظير على النظير وانما جريت عجاف على سبع للاستغنا عن التمييز بالمميز الاول الذي هو الجنس كما لا يجوز ثلاثة غلاظ واربعة ضخام لعدم دلالتها على الجنس فاذا اجريت على سبع بالوصف بالنوع بعد تمييزه بالجنس تقديرا فرجع الى الاولى واخر عطف على سبع يابسات منصوب المحل صفته على قياس عجاف في الاول **يا ايها الملا** خطاب للاعيان والاشراف من العلما والحكما **افتوني في رؤياي** عبروها **ان كنتم للرؤيا** اراد الجنس فلذلك عدل عن الضمير واللام للبيان او لتقوية العامل لان الفعل اذا تاخر عن معموله ضعف تاثيره فتقوى باللام كاسم الفاعل ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا فيه **تعبرون** حال او خبر بعد خبر او ان تضمن تعبرون معنى فعل تعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا ولعبارة المجاوزة وعبرت الرؤيا جاوزتها اي جاوزت صورتها المخيلة المرتسمة الى الصورة الكائنة في نفس الامر التي انتقلت المخيلة منها الى المرتسمة وكذا اولتها اي ذكرت مآلها وما ترجع هي اليه من الصورة الواقعة في نفس الامر وعبرت اثبت عند اهل اللغة وعبرت بالتشديد للمبالغة كقطعت وقطعت **قالوا اضغاث احلام** هذه اضغاث احلام او امثال هذه اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو ما جمع من اخلاط النبات وحزم شبه بها ما يجمعه فاستعير للرؤيا الكاذبة والاحلام جمع حلم بالضم وهو رؤيا كاذبة لا حقيقة لها وفي الخبر الرؤيا من الله والحلم من الشيطان اخرجه عن جنس الرؤيا لعدم ترتب اثره عليه والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام وانما جمع ولم يكن الا حلما واحدا لتضمنه اشيا مختلفة وقيل للمبالغة في الوصف بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس عمايم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدة وما له الا عمامة واحدة تزيدا في الوصف وعلى تقدير امثال يكون الجمع على ظاهره **وما نحن بتاويل الاحلام** بتاويل المنامات الباطلة **بعالمين** لما اجابوا بقولهم اضغاث احلام عن سوال التعبير واسقطوا احتمال السوال بطلب التاويل لانه اوسع دايرة من التعبير فتداركوه باظهار العجز عن تاويل الاباطيل وفيه دليل على انهم نزلوا اماراه لتضمنه الاشيا منزلة الاحكام والالكان تحرجهم ان يقولوا وما نحن بتاويل الحلم بعالمين **وقال الذي نجا منهما** من صاحبي السجن وهو الشرابي **وادكر** جملة حالية وادكر بالدال المهملة وهو الفصيح وعن الحسن والذكر بالذال

المعجمة

المعجمة اي تذكر **بعد امة** بعد جماعة من الزمان طويلة حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملا تاويلها وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة من القتل وقرئ بعد امه بالها اي بعد نسيان **انا انبئكم بتاويله** بمن عنده علمه **فارسلون** اليه لاساله عنده والمعنى فارسلون الى يوسف عليه السلام فاتاه فقال **يوسف** فحذف ايجازا **ايها الصديق** ناداه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه عرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه واختبر حاله في السجن **افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات** اي في رؤيا ذلك **لعلي ارجع الى الناس** الى الملك ومن عنده وانما بنى الكلام على الظن لانه لم يجزم في الرجوع اليهم فربما اخترم دونه ولا تادب بصحبة يوسف عليه السلام فلم يجزم في علمهم فربما لم يعلموا وقيل لم يكن السجن في المدينة **لعلهم يعلمون** فضلك ومنزلتك فيخلصوك من محنتك **قال تزرعون** خبر في معنى الامر كقوله يؤمنون بالله واليوم الاخر وتجاهدون وفايدة اخراج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب المامور به والاعتنا بشانه فجعل كانه قد يوجد فيخبر عنه والدليل على انه في معنى الامر قوله تذروه **سبع سنين دابا** بسكون الهمزة وتحريكها مصدر داب في العمل اذا واظب اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدابون دابا وتكون الجملة حالا **فما حصدتم فذروه في سنبله** لئلا يتسوس **الا قليلا مما تاكلون** في تلك السنين نصيحة خارجة عن التعبير واشارة براي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين الا بحيلة ابقايها في السنبل **ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد** اي سبع سنين شداد فحذف المميز لدلالة قوله سبع سنين عليه **ياكلن ما قدمتم لهن** اسند الاكل اليهن على سبيل المجاز من حيث انه يوكل فيها كما قال والنهار مبصرا تطبيقا بين المعبر والمعبر **الا قليلا مما تحصنون** تحرزون لبذور الزراعة **ثم ياتي من بعد ذلك عام** لمن يقل سنة لعلنها في عام القحط **فيه يغاث الناس** يمطرون فيه من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث الاول يبنى من ثلاثي وفي الثاني من رباعي تقول غاثنا الله من الغيث واغاثنا من الغوث والغيث المطر الذي يجي في وقت الحاجة وباعتبار هذا القيد فيه حسن موقعه في قولهم الغيث لا يخلو عن الغوث والغوث الذي ياتي على شدة حاجته يبتغي المغيث **وفيه يعصرون** ما يعصر كالعنب والقصب والزيتون والسمسم لكثرة ما يحصدون من الفواكه وغيرها وقيل يحلبون الضروع وقرئ تعصرون بالتا على تغليب المستفتي وقرئ على بنا المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل بمعناه اي يغيثهم الله او يغيث بعضهم بعضا ومن اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض وبتضمينه معنى المطر وهذه بشارة

يبشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف
واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في
السنين المجدبة نصحهم وهداهم الى التدبير فيها ثم بشرهم بان العام الثامن يجيء
خصبا وذلك اما بالوحي واما بالعلم بان انتهاء الجدب الى الخصب وان السنة الالهية
جارية بالتوسع على العباد بعد التضييق عليهم وقال الملك بعدما جاءه بالتعبير ايتوني
به اي بالمعبر ففي الكلام حذف فلما جاءه الرسول يوسف عليه السلام ليخرجه من
السجن قال يوسف عليه السلام ارجع الى ربك انما تأنى وتثبت في اجابة الملك
وقدم سؤال النسوة لتظهر براءة ساحته عما ترف به وفيه دليل على ان السعي في دفع
التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لو كنت مكانه او لبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وزاد على ما ذكر قوله
ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل الى تقبيح امره لم يصب لان التعجيل اعون
على دفع الوهم المذكور فان في تأخيره مخافته الافة وحال السؤال لا يختلف بكونه في داخل
السجن وخارجه ولذلك قال عليه السلام لاسرعت الاجابة وفي بعض الروايات ما اخبرتهم
يعني عن تعبير الرؤيا حتى اشترط ان يخرجوني وانما قال فاسأله ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث
وتحقيق الحال لان الانسان اذا سئل عن شيء جد فيه واجتهد في تحقيقه بخلاف ما اذا التمس
منه شيء وانما لم يتعرض لامرأة العزيز صريحا وقصدا مع ما صنعت به كرما ومراعاة
للادب وانما قلنا صريحا وقصدا لان التعرض للمقطعات ايديهن يستلزم التعرض
لها والسؤال عن بالهن يؤدي الى السؤال عن بالها ان ربي بكيدهن عليم حين قلن
لي اطع مولاتك تعظيم لكيدهن بانه كيد بعيد الغور لا يعلم كنهه الا الله تعالى واستشهاد
بعلم الله تعالى وعلى انه بريء مما اتهم به ووعيد لهن بان الله تعالى عليم بكيدهن مجازيهن
عليه قال اي الملك مخاطبا لهن بعد احضارهن ففي الكلام حذف ما
خطبكن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه لعظمه اذ راودتن
يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا الى ما دعوتموه اليه قلن حاش لله تعجبا
من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها ما علمنا عليه من
سوء بالغن في نفي جنس المكروه عنه عليه السلام بالتنكير وزيادة من وانما قلن عليه
لان مرادهن نفي ما يسوءه لا ما يسوء الغير قالت امرأة العزيز فصلها عما قبله ولم
يقل وقالت لان مبنى الوصل على دخولها في الخطاب بقوله ما خطبكن وليست بداخلة
فيه الان حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ
في براءة يوسف عليه السلام اقرت باعظم مما اقرت به اذ كانت هي اقوى سببا
فيما جرى به من المراودة ومن سجنه ولا بينة اجلى من اعترافهن عن انفسهن
وشهادتهن له بالبراءة والنزاهة وهن خصومه والفضل ما شهدت به الاعداء
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي

ذلك

ذلك ليعلم من كلام يوسف عليه السلام لما جاءه الرسول واخبره بكلامهن فحذف ما
حذف لدلالة الكلام عليه كقوله تعالى قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر
عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يستشير
بذلك مخاطبا اياهم اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب
في حرمه وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني
او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله اي وليعلم ان
الله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهدي الخائنين في كيدهم كقوله ولا تتبع سبيل المفسدين
اي لا تتبع المفسدين في سبيلهم وقوله يضاهون قول الذين كفروا في قولهم وهذه
طريقة دقيقة لا يسلكها الا من له السليقة وفيه تعريض بامرأة العزيز في
خيانتها امانة زوجها وتوكيد الامانة ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي
نفيا لتزكية نفسه وهضما لها واحترازا عن اعجابها بامانتها وعصمتها واقرارا
بان ذلك بتوفيق الله ورحمته وتأييده وعصمته لا منه اي وما ابرئ نفسي
من الزلل ولا ازكيها ولا اشهد لها بالبراءة وهي اعني نفي التبرئة والتزكية اما
مختصة بهذه الواقعة واراده الهم المذكور الذي هو ميل النفس لا القصد الاختياري
واما عامة في جميع الاحوال ان النفس لامارة بالسوء تعليل وتأكيد بعد التلويح
والمراد بالنفس الجنس اي هذا الجنس كله دائم الامر بالسوء حامل عليه بما فيه
من الشهوات باعث للقوى والجوارح عليه الا ما رحم ربي الا ما عصمه الله تعالى
برحمته نصب على الظرف من اعم الاوقات اي الا وقت رحمة ربي وعصمته
او على الاستثناء المتصل اي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة واللام في النفس
للاستغراق حتى يصح الاستثناء ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن
رحمة ربي هي التي تصرف السوء كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل هو من كلام
امرأة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اكذب عليه
في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك
من الخيانة فاني قد خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
فهو اعتذار منها عما سلف ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله تعالى
بالعصمة كنفس يوسف عليه السلام وفيه تكلف صرف الخيانة عن معناها الى
معنى الكذب ان ربي غفور رحيم يغفر النفوس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر
المستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه وقال الملك ائتوني به لما اخبر النساء
بما اخبرن قال ملك مصر جيئوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي لما
ظهر عنده من علمه وصلاحه فلما كلمه معطوف على محذوف تقديره فاتوا به
فاستنطقه اي الملك فالفاعل ضمير يوسف عليه السلام اي فلما كلم يوسف
الملك ورأى حسن منطقه لما صدق به الخبر قيل كان الملك يعرف سبعين لسانا
فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه قال انك اليوم لدينا مكين اي ذو مكان

ومنزلة امين مؤتمن على كل شي قيل توفي العزيز في تلك الليالي فنصبه منصبه
وزوج منه زوجته فوجدها عذراء وولد له منها افرايم وميشا قال اجعلني على
خزاين الارض اي كلني امرها والارض ارض مصر ولما وصفه الملك بالتمكن عنده
والامانة طلب من الاعمال ما يناسب هذين الوصفين اني حفيظ لها احفظها
ممن يستحفظه عليم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة
الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل به الى امضا احكام الله تعالى واقامة
الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله يبعث الانبيا عليهم السلام ولعلمه ان احدا
لا يضيع بذلك ولا يقيم مقامه فيه فطلب التولية ابتغا وجه الله تعالى لا لحب
الملك والدنيا وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي
من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق الا بالاستظهار به وعن مجاهد
انه قد اسلم على يده عليه السلام وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف
في الارض ارض مصر يتبوا منها حيث يشا ينزل من بلادها حيث يهوى اذ الكل
جملتها تحت مملكته وسلطانه نصيب برحمتنا بعطائنا من نشا في الدنيا
والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا واجلا ولا ينقص
من اجورهم في الاخرة بسبب ما اعطيناهم من الملك والغنى شيا ولهذا قال ولاجر
الاخرة خير لانه الدايم الذي لا يفنى للذين امنوا وكانوا يتقون اي داوموا على
التقوى من باب وضع الظاهر موضع المضمر تنويها بذكر الايمان والتقوى وتنبيها
لماهية الاحسان واصله بانه هو الايمان والتقوى اي العلم والعمل وايما الى ان جزا الاخرة
انما يستحق بهما وان غير المومن المتقي اعني عن الشرك لا نصيب له في الاخرة قال
سفين بن عيينة رحمه الله المومن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر
يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية وفيه شهادة
من الله تعالى ليوسف عليه السلام بالاحسان واشارة الى ان حاله في الاخرة
خير من حالته العظيمة في الدنيا وايذان بان الاحسان هو الذي لا يضيع الله
تعالى اجره وجا اخوة يوسف اي من كنعان من ارض الفلسطين من نواحي الشام
الى مصر ليمتاروا منها فتوصلوا الى يوسف عليه السلام للميرة روي انه اصاب
بلاد الشام وارض كنعان نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب عليه السلام بنيه
ليمتاروا واحتبس بنيامين عنده فدخلوا عليه فعرفهم لانه فارقهم وهم رجال
ملتحون ورأى زيهم قريبا مما كان من قبل وهم له منكرون لانهم فارقوه في
سن الحداثة غير ملتحي وحسبوا انه هلك ولبعد ما بين الحالين التي بلغها من الملك
والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها وتبدل زيه وابهته ولما نابهم من
التهيب والاستعظام مما ينكر له المعروف ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم
واوقر ركابهم لما جاوا له من الميرة وقري بجهازهم بالكسر والجهاز بالفتح والكسر
عدة المسافر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون وقيل هو فاخر المتاع الذي

يجمل

يجمل من بلد الى بلد اخرى ومنه جهاز العروس قال ايتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من
مقدمة تقتضي هذا الامر روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون
قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من انبيا الله تعالى اسمه يعقوب
قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا
عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا
لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وايتوني باخيكم
من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام
يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زايدا للاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه
به ليعلم صدقهم ثم ذكر ما يحرضهم على الاتيان باخيهم الا ترون اني اوفي الكيل
اتمه وانا خير المنزلين للضيف اي المضيفين يعني في قطره وفي زمانهم وقد
كان احسن انزالهم وضيافتهم يونسهم بذلك ويستميلهم ثم توعدهم ان لم ياتوا اليه
بحرمانهم من الميرة في المستقبل بقوله فان لم تاتوني به فلا كيل فلا طعام لكم عندي
ولا تقربون يحتمل ان يكون نهيا وان يكون نفيا داخلا في الجزا معطوفا على محل
فلا كيل لكم عندي فيكون مجزوما لطف في استحضار بنيامين بالترغيب والترهيب
قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده ثم اكدوا له
ذلك الوعد بقولهم وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نتوانى فيه ولا نقصر او الفا
درون على ذلك وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقري لفتيانه على جمع
الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعني
فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا
وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون
عند ابيه ما يرجعون به والرحل اثاث السفر من وعاء ومركب لعلهم يعرفونها
لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم
لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا
يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم يذهب بنيامين فارسل معنا
اخانا نكتل ما نحتاج اليه من الطعام لوجود الشرط ورفع المانع وقري يكتل
بالياء اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا ويجوز ان يكون المعنى يكن هو
سببا للاكتيال على الاسناد المجازي لان امتناعه بسبب عدم ذهابه معهم فاذا
ارسل معهم كان هو سببا لاكتيالهم فكانه هو الكيال وانا له لحافظون عن ان
يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل استفهام بمعنى
النفي وهذا انتهزيرو توقيف وتالم من فراقه بنيامين ولم يصرح بمنعه من
ارساله لما راى في ذلك من المصلحة وشبه هذا الايتمان في ابنه هذا بايتمانه
اياهم في حق يوسف عليه السلام كانه يقول قد قلتم فيه وانا له لحافظون
كما قلتم في هذا فاخاف ان تكيدوا له كما كدتم بذلك ولكنه لم يخف عليه كما خاف

على يوسف عليه السلام واستسلم لله تعالى فقال فالله خير حافظا فاتوكل
عليه واعتمد على حفظه وكلاءته دونهم ورضي بدفعه اليهم وقرئ حفظا و
وانتصابه وكذا انتصاب حافظا على التمييز وكون حافظا حالا ليس بجيد
لان فيه تقييد خيريته بهذه الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه
ولا يجمع على مصيبتين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اي
وضعت في رحالهم وقرئ ردت بكسر الراء على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى
الراء كما قيل قيل وبيع قالوا يا ابانا ما نبغي ما استفهامية منصوبة المحل اي اي
شي نطلب وراء هذا هل مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا ورد علينا
متاعنا او نافية اي ما ينبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان
الملك وروي ما تبغي بالتاء على الخطاب اي اي شي تطلب وراء هذا من الاحسان
والثنا هذه على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا جملة استينافية وقعت
بيانا لقوله ما نبغي ونمير اهلنا عطف على محذوف اي هذه بضاعتنا ردت الينا
فنستظهر بها ونمير اهلنا اذا فسر البغي بالطلب واذا فسر بالكذب والتزيد
في القول جاز ان يعطف نمير على ما نبغي ويجوز ان يكون كلاما مبتدا اي و
ينبغي ان نمير اهلنا كقولك سعيت في حاجة فلان ويجب علي ان اسعى له
ونحفظ اخانا من المخاوف في الذهاب والاياب ونزداد كيل بعير اي وسق بعير
باستصحاب اخينا الزيادة وسقه على اوساق اباعرنا فاي شي نبغي وراء هذه المساعي
ذلك اي الذي جئنا به كيل يسير لا يكفينا فلا بد ان نرجع اليه ونضاعفه
او ذلك الزائد لاخينا كيل قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه او ذلك الذي
يعود بكال له شي يسير يزاد عليه ما يكال لاخينا وقيل هو من كلام يعقوب عليه
السلام اي ذلك المزاد وهو حمل بعير واحد شي يسير لا يخاطر بمثله بالولد كقوله
ذلك ليعلم ويأباه تاخير قال عنه فانه حينئذ ان يتقدم عليه قال لن ارسله
معكم البتة بعد ما رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله ما اوثق به
من عند الله يعني الحلف بالله تعالى وانما جعله موثقا من الله تعالى لان الحلف بالله تعالى
مما يؤكد به العهود وقد اذن الله تعالى فيه اذ امتنه تعالى لتأتنني به جواب
للقسم لان المعنى حتى تؤتوني موثقا حتى تحلفوا لي الا ان يحاط بكم الا ان تهلكوا او
الا ان تغلبوا فلن تطيقوا الاتيان به مفعول له وقوله لتأتنني به في تأويل
النفي اي لا تتركوه لعلة ما الا لعلة الاحاطة بكم لانه استثناء مفرغ من اعم العلل
فلا يكون الا في النفي كقولك اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب منك الا فعلك او
ظرف مستثنى من اعم الظروف اي لا تمتنعوا من الاتيان وقتا ما الا وقت الاحاطة
بكم فلما اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل اي
مطلع رقيب وقال حين تجهزوا للخروج معهم يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة وصاهم بالحذر عن اصابة العين لانهم كانوا جماعة ذوي ابهة

واشارة

واشارة حسنة مشتهرين بين اهل مصر بالقربة والكرامة عند الملك
فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجلالتهم في الصدور وقد عرف
كونهم اخوة والعين تتسارع تاثيرا الى امثالهم ولذلك لم يوصهم بذلك في الكرة
الاولى لانهم حينئذ كانوا مجهولين مغمورين بين الناس وكان الداعي الى التوصية
خوفه على بنيه مع ان تاثير العين مما لا ينكر وقد ورد في الخبر عن خير البشر العين
حق وفي خبر اخر ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وانه عليه السلام تعوذ
الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال اعيذكما بكلمات الله التامات من كل هامة و
ومن كل عين لامة وشهدت به التجربة ولا ينافي ذلك ان لا مؤثر الا الله تعالى لان
حقيقة التاثير واصله ليس الا منه تعالى وان ظهر على مظاهر الاشيا بحسب جري
العادة وليس هذا بمحل الامتحان والابتلا لانه ليس من خوارق العادات وما
اغني عنكم من الله من شي مما قضي عليكم مما اشرت به اليكم اي لا انفع ولا ادفع
ان اراد الله تعالى بكم شيا سببا ولم يرد به ابطال الحذر عن القا النفس الى محل
الخطر ببيان عدم التاثير للتدبير في تغيير ما في التقدير لانه لا يناسب
شان النبي صلى الله عليه وسلم ان يوصي بشي على وجه الاهتمام بجنبة الكرام
ثم يبطله ويظهر انه من خطرات الاوهام بل اراد رفع ما يخطر بالبال عند سماع
مثل هذا المقال من معارضة التقدير بالتدبير بحسب الظاهر المتبادر الى الافهام
بما مرجعه الى ان الحذر عن مظان الضرر ولذلك امرنا به في قوله تعالى ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة ان الحكم الا لله اي ليس الفصل بين الامور على ما
تقتضيه الحكمة الا لله تعالى ولما كان في توصيتهم مظنة التوسل بالاسباب
العادية تداركه بقوله عليه توكلت اي فوضت امري الى الله تعالى يديرني
كيف يشا وتقديم الصلة لتخصيص التوكل بالله تعالى وعليه فليتوكل المتوكلون
جمع بين حرفي العطف مع تقديم الصلة واراد بالعطف على فعله من تخصيص التوكل
بالله تعالى في حفظهم والفا للتسبيب لان فعل الانبيا عليهم السلام سبب لان
يقتدى به اي وعليه خاصة اذ خصصته بالتوكل عليه فليتوكل المتو
كلون في جميع امورهم او وعليه ان توكل متوكل فليتوكل كما عليه توكلت ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم
من الله من شي اي ما كان دخولهم في البلد متفرقين على راي يعقوب عليه
السلام مغنيا عنهم من قضا الله في حقهم شيا الا حاجة في نفس يعقوب قضاها
اي لكن كان اضطرابا في قلبه ودغدغة في خاطره ازال ذلك عن نفسه بوصيته
واما ما قيل فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت
المصيبة على يعقوب عليه السلام فلا يناسب المقام لانه مساق الكلام في عدم
تاثير تدبيره فيما وصاهم به وهو الاحتراز عن فطنة الضرر من جهة اصابة
العين لهم لا من جهة اخرى وانه اي وان يعقوب عليه السلام لذو علم عظيم وفي

التنكير للتعظيم توطية لما في قوله لما علمناه من كلام التعظيم الحاصل من اضافة
التعظيم الى نفسه تعالى ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين
على الطعام او في المنزل لا يوا الضم والتصيير الى موضع الراحة ومنه الماوى وهو
المنزل الذي يصير اليه صاحبه للراحة فيه روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى
فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه
على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات
عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه فعانقه
قال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البوس بما كانوا
يعملون بما استمر به عادتهم من الجفا في حقنا وذكرك بغير الجميل عندك مخاطبة
لك وكانه قصد الاشارة الى ما هم بصدد ان يعملوا في حقهم من اسناد السرقة
بقولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ولذلك اتى بصيغة المضارع وكان
ذلك معلوما له بطريق الوحي فلما جهزهم بجهازهم الفا فصيحة عاطفة على محذوف
تقديره ظاهر وقد مر تفسيره الجهاز جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قد
مر تفسير الرحل قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت تسقى بها
الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وفرى وجعل على حذف
جواب لما وتقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى منادي الايذان
الاعلام يقول بسمع بالاذان يقال اذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن
لكثرة ذلك منه ايتها العير العير القافلة ومنه المثل لا في العير ولا في النفير وهو
في الاصل اسم ما امتير عليه من الابل والحمير والبغال لانها تعير الى تره دو القول
بتخصيصه بالابل يطنفش عليه الازهري ثم قيل لاصحابها كالخيل في قوله عليه السلام
يا خيل الله اركبي انكم لسارقون من قبيل نسبة الفعل الى جماعة كلهم واحدة
لصدوره عن واحد منهم والسرقة اخذ الشي من حرز في خفية بغير حق قيل
لم يامرهم يوسف عليه السلام بذلك ولا علمه وانما كان امر بعض خواصه بجعل
السقاية في رحل اخيه على ما امره الله تعالى به فلما فقدها الموكلون بها
اتهموهم بسرقتها قالوا اي اخوة يوسف عليه السلام واقبلوا جملة حالية
اي وقد اقبلوا عليهم اي على طالبي السقاية وفيه تنبيه على ما في قوله ثم
اذن مؤذن من ايجاز الحذف والاقبال مجي الشي الى جهة المقابلة بوجهه
ومنه الادبار ماذا تفقدون يحتمل ان يكون ماذا استفهامية في موضع
نصب بتفقدون ويحتمل ان يكون ما وحدها استفهامية مبتدا وذا موصولة
بمعنى الذي خبر عن ما وتفقدون صلة لذا والعائد محذوف اي تفقدونه
وفقد الشي طلبه عند غيبته عن الحس بحيث لا يدرى اين هو قال الجوهري
فقدت الشي افقده فقدا وتفقدته اي طلبته عند غيبته وما فيه من معنى

الطلب

الطلب قالوا تفقدون ولو كان معناه الغيبة المجردة عن الطلب لكان حقهم ان
يقولوا ماذا افقدتم وقرى تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد
صواع الملك هو المكيال وهو السقاية المذكورة سماه اولا باحدى صفتيه واخرى
بالثانية وقرى صاع وصوع بالضم والفتح والغين صواغ من الصياغة ولمن
جاء به حمل بعير اي وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله وتمام الكلام في هذا
المقام توعيد للمسي ووعد للمحسن من ربيس تلك الجماعة الا انه اختصر
واكتفى بجزئه الثاني مصدرا بالواو الفصيحة الدالة على محذوف وهو جزئه
الاول وحينئذ ينتظم الافراد في وانا به زعيم اي كفيل اديه الى من رده مع
الجمع في قوله قالوا نفقد قيل فيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل
تمام العمل ويرد عليه انه لا دلالة فيه على لزوم الضمان وصحة الالتزام بدون
اللزوم مما لا حاجة الى الدليل عليه قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف
اليهم والتا بدل من الواو في قول اكثر النحويين وقال السهيلي انها اصل
بنفسها وقد حكى عن العرب دخولها على الرب والرحمن وحياتك قالوا ترب
الكعبة وتالرحمن وتحياتك لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض اي في ارضكم
وانما استشهد بعلمهم لاشتهارهم بينهم بالامانة والديانة واختبارهم
حالهم في كرتي المجي ومداخلتهم ولانهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم معكوكة
لئلا يتناول زرعا وطعاما لاحد ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم
لهم وما كنا سارقين مرادهم نفي السرقة عن انفسهم وكان حقهم ان يقولوا
وما سرقنا الا انهم ارادوا ان يضمنوا عبارتهم الدلالة على ان الاقدام على
مثل هذه السرقة انما تيسر ممن هو معتاد بها قالوا فما جزاوه الضمير للصواع
اي فما جزاء سرقته على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا
جزاوه جزاء سرقته من وجد في رحله اي اخذه واسترقاقه هكذا كان
شرع يعقوب عليه السلام فهو جزاوه جملة اخرى لتقدير الحكم والزامه او
خبر من والفا لتضمنه معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هو
خبر جزاوه على اقامة الظاهر مقام الضمير تفخيما لشان الجزاء كله فنبلى
جزاوه من وجد في رحله فهو هو كذلك مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق نجزي
الظالمين بالسرقة وهذا كلام من لم يشك انهم برآء مما رموا به ولا عنقاد هم البراءة
علقوا الحكم على وجدان الصاع لا على سرقته فبدا باوعيتهم اي فبدا من
قال وانا به زعيم وقد تقدم انه مقدم المتفقدين بتفتيش اوعيتهم وقيل
يوسف عليه السلام لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة
ثم استخرجها اي السقاية وتذكير الضمير فيما سبق لان الخدمة عبروا عنها
بالصواع فما دام الكلام منقولا عن لسانهم ذكر الضمير عائدا اليه من وعاء
اخيه وقرى بضم الواو وبقلبها همزة كذلك اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا

ليوسف اي علمناه اياه واوحينا اليه ما كان ليأخذ اخاه بالسرقة
في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق
وهو تفسير للكيد وبيان له الا ان يشاء الله نصب على الظرف او المفعول له
اي ما كان ليأخذه وقتا من الاوقات الا وقت مشيئة الله تعالى واذنه فيه
او لعلة ما الا لعلة مشيئة الله تعالى والا بسبب مشيئة الله تعالى نرفع درجات
من نشاء في العلم كما رفعنا درجته عليه السلام فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات
بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه في العلم ازداد المبالغة في عدم
انتهاء مراتب العلم في المخلوق ودرجاته لعدم انتهاء المعلومات وعلم الله تعالى
ليس بوصف زائد على ذاته فلا يتناوله تعالى وعلى ما قررناه ظهر وجه
العدول عن العالم الى ذي علم قالوا ان يسرق يعنون بنيامين فقد سرق
اخ له من قبل يعنون به يوسف عليه السلام قيل ورثت عمته من ابيها منطقة
ابراهيم عليه السلام انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت
ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وبقي
عندها حتى ماتت فاسرها يوسف في نفسه الضمير لما يفهم من سياق الكلام
اي اكن كراهة ذلك القول في نفسه والفاء للعطف على تقديره وسمع ذلك
يوسف كلامهم فاسرها وقوله ولم يبدها لهم تاكيد للسابق وبيان للمراد
من اللاحق فانه علم عنه انه عليه السلام قال في نفسه انتم شر مكانا اي شر
منزلة في سرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون اي يعلم ان الامر ليس
كما تصفونه من نسبة السرقة الينا وصيغة افعل للمبالغة لا للتفضيل على
معنى والله اعلم منكم بما تصفون اذ لا علم لهم بذلك قطعا لو انبئ عن الجهل الجبلة
غير مطابق للواقع قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا ذكروا له حال
ابيهم في كونه شيخا كبيرا لغيرا استعطافا له عليه وقد كانوا اخبروه بانه
كان له ولد قد هلك وهذا شقيقه يستأنس به وهو احب اليه منهم فخذ احدنا
مكانه بدله على وجه الاستعباد والاسترقاق انا نراك من المحسنين
الينا وما الانعام الا بالتمام فاتمم احسانك او من المتعودين بالاحسان
فلا تغير عادتك قال معاذ الله مصدر يقوم مقام الفعل اي نعوذ بالله معاذا
ان نأخذ من ان نأخذ فاضيف الى المفعول به وحذف من الا من وجدنا
متاعنا عنده اي ان نظلم فان اخذ السارق على فتواكم واجب فلئن اخذنا غيره انا
اذا لظالمون في مذهبكم ودينكم فلم تطلبون منا ما هو ظلم عندكم كلام توجيه
ذو وجهين ظاهره ما مر وباطنه اني مأمور من عند الله تعالى باخذ بنيامين
فان خالفته كنت ظالما مرتكبا خلاف الوحي عاصيا وانما قال الا من وجدنا متاعنا
عنده اجراء للكلام على مجرى ما قالوه عند بيان الجزاء واحترازا عن التصريح باسناد
السرقة الى اخيه والا فالاخص لفظا والاظهر معنى ان يقول الا من سرق فلما

استيأسوا منه يئسوا من يوسف عليه السلام اي من اجابته اياهم وزيادة
السين والتاء للمبالغة كما ذكر في استعصم خلصوا انفردوا عن الناس خالصين
لا يخالطهم غيرهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا حال او مفعول له اي مناجيا
او ليناجي بعضهم بعضا وكان يناجيهم في تدبير امرهم والنجي قد يجيء بمعنى
المناجي كالعشير بمعنى المعاشر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وقد يكون
بمعنى المصدر بمعنى التناجي كالنجوى ومنه قيل قوم نجوى كما قيل واذ هم نجوى
تنزيلا للمصدر منزلة الوصف ويتناوله نجي كما يتناول صديق لانه على زنة
المصادر قال كبيرهم في السن وهو روبيل او رئيسهم وهو شمعون او كبيرهم في
الرأي والعقل وهو يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا
وثيقا وانما جعل حلفهم بالله تعالى موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته
وانما قال عليكم لما في اخذه من التكلف والايجاب ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم
في يوسف قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهد ابيكم فيه وما مزيدة او مصدرية
ومحل المصدر النصب بالعطف على مفعول تعلموا لانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم
موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف واما الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل اي وقع من تفريطكم
في يوسف فمردود بان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا
ينقص او موصولة اي ومن قبل هذا ما فرطتموه في حق يوسف اي ما قدمتموه
من الخيانة العظيمة ومحله النصب او الرفع على الوجهين فلن ابرح الارض
فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي بالتوفي
او الخروج منها او بتخليص اخي من يد من اخذه بسبب من الاسباب ولو
بالمقاتلة معهم وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقو
لوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق
اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع
استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين اعتذار من مواعد
تهم اباهم بحفظه ليس من شأننا حفظه لامر غائب عنا فانا كنا ضمنا لك
حفظه مما يمكننا الحفظ عنه من الآفات في الطريق فاما السرقة فمما لم يكن
لنا الى حفظه منها سبيل هذا هو الظاهر من الكلام المتبادر الى الافهام
المطابق لما يقتضيه المقام فلا حاجة الى صرف الحفظ عن معناه الى معنى
العلم كما سبق الى بعض الاوهام واسأل القرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل
الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها قدم ان العير يطلق
على القافلة وهم كانوا من كنعان جيران يعقوب عليه السلام وقيل من صنعاء
وانا لصادقون تاكيد في محل القسم وفي الكلام اضمار معناه فلما رجعوا الى
ابيهم وقالوا له ما قال اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم

امرًا اردتموه والا فما ادري الملك ان السارق يواخذ بسرقته لولا فتواكم فصبر جميل قد مر تفسيره عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والكبير المتوقف هناك انه العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيره ولا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهية لما اخبروه به وقال يا اسفا على يوسف اي يا اسفا تعالي فهذا اوانك والاسف اشد الحزن على الغايب وهو اشد الغضب ايضا ويجوز ان يكون اجتمع له المعنيان الحزن على فقد يوسف والغضب على اخوته او على نفسه بيعثه معهم ومناسبه ما في لحاق الكلام من التعرض لها وانما تاسف على يوسف عليه السلام والحادث مصيبته اخويه لان الرزية اشد المصايب وانكارها وهو الاخذ بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم يعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا يرى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفي منادى مضاف الى يا المتكلم ابدلت الياء الفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وغيرته الى بياض كدر وعلل الابيضاض بالحزن وانما هو من البكا المتوالي لانه ثمرة الحزن فعلل بالاصل الذي نشا منه البكاء والحزن الهم الغليظ على النفس من الارض الحزن بفتح الحاء الغليظة و والظاهر انه عليه السلام كان اعمى لقوله تعالى فارتد بصيرًا وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكا عند التفجع ومثل ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدايد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك به في قلبه ولا يظهر فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده على مليئه او بمعنى فاعل لقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله من كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه والكظم بفتح الظا مجرى النفس قالوا تالله تفتؤ جواب القسم حذفت منه لا وحذفها جايز لانها لا تلتبس بالاثبات اذ لو كان اثباتا بعد القسم لقيل لتفتان اذ لا بد في الاثبات من اللام والنون فقرينة النفي خلوه من علامة الاثبات والمعنى لا تزال واسمها ضمير الخطاب وتذكر خبر تفتؤ اي لا تزال تذكر تفجعا عليه تذكر يوسف حتى تكون حرضًا مريضا مشرفا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث والنعت بالكسر كدنق ودنق وقد قرئ بضمتين كجنب او تكون من الهالكين الهلاك ذهاب الشي بحيث لا يدري الطالب له اين هو فلذلك هالك لهذا المعني ويطلق على الوالد الشي وهو المراد هنا

ولهذا

344

ولهذا اخر فانه لو اريد المعنى الاول لكان حقه التقديم قال انما اشكوا بثي البث اصعب الهم الذي لا يقدر صاحبه ان يكتمه فيبثه اي ينشره وحزني الى الله اي لا اشكوا الى احد منكم ولا من غيركم انما اشكوا الى الله تعالى ملتجيا اليه فخلوني وشكايتي وهو بمعنى توليه عنهم الى الله تعالى واعلم من الله اي اعلم من لطفه ورحمته انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب واعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا تعلمون من حيوة يوسف عليه السلام قيل انه راي ملك الموت في منامه فساله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقيل علم من منام يوسف انه لا يموت حتى يسجد له ابوه واخوه يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس الاستقصا والطلب ومنه الجاسوس امرهم بطلب يوسف بالبصر لعلهم يرونه وبالاذن لعلهم يسمعون ذكره ولا تياسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون بالله ~~[illegible] منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس~~ تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمة الله في شي من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف عليه السلام بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية وجينا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل غير ذلك فاوف لنا الكيل التمسوا منه ايفا الكيل بعدما قدموا اسباب الشفقة وموجب المرحمة ولذلك صدروه باداة التفريع وتصدق علينا اي بالمسامحة والاغماض عن رداة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل له وزيادة لا تلزمه صدقة تمكنا وتواضعا له فلا دلالة فيه على عدم اختصاص حرمة الصدقة لنبينا عليه السلام نزلوا او ضع منزل كانهم قالوا ان لم نستوجب معاملة البيع والشرا فقد استوجبنا بذل العطا وعلى الله تعالى المكافاة والجزا ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزا والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه سوال عن الملزوم واراده اللازم اي هل تبتم عن ذلك ورجعتم الى الله تعالى فهو شفقة عليهم وتنصح لهم في الدين كما هو عادة الانبيا عليهم السلام لا معاتبة والتثريب ايثارا لحق الله تعالى على حق نفسه ولذلك قال لا تثريب عليكم اليوم فلا يناسب تقدير القبح على ان يكون المعنى هل علمتم قبح ما فعلتم لانه لا يخلو عن نوع توبيخ وتثريب والمراد من فعلهم باخيه افرادهم اياه عنه واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون عاقبته فلذلك قدمتم عليه وانما قال ذلك اعتذارا من جانبهم واظهارا للشفقة في حقهم حتى يوثر تنصيحه لهم وتحريضه اياهم على التوبة وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام

في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال
لهم ذلك وانما جهلهم لا لانهم حينئذ كانوا صبيانا لانه لا يطابق الوقع وبنا في ما
تقدم من قولهم ونحن عصبة بل لانه فعلهم فعل الجهال قالوا ءإنك لانت يوسف
استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام ويدل عليه قراءة انك على الايجاب وهذا
كلام متعجب مستغرب لما سمع فهو يكرر الاستثبات قيل عرفوه بروائه وشمائله
حين كلمهم وقيل تبسم وعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة
بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب عليه السلام مثلها قال انا
يوسف انما قال وهذا اخي حين سالوه عن نفسه بيانا لما سالوه عنه اي هذا
اخي من ابي وامي تفخيما له وادخالا في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة
والاجتماع بعد التفرقة والانس بعد الوحشة ثم ذكر ان السبب من الله هو التقوى
والصبر فقال على طريقة الاستئناف في التعليل انه من يتق الله في اموره ويصبر
على بلاياه او على طاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين
موضع هم للتنبيه على ان المتقي الصابر هو المحسن والتسجيل عليهم بالاحسان قالوا
تالله لقد آثرك الله علينا فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة اهل الاحسان
وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا متعمدين للاثم فلذلك اعزك بالملك
واذلنا بالتمسكن بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم تفعيل من الثرب وهو
الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد
فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وتثريب اسم لا وعليكم
الخبر واليوم منصوب بالعامل في الخبر اي لا تثريب مستقر عليكم اليوم ولا يجوز تعلقه
بالتثريب لانه مصدر وقد فصل بينه وبين معموله ولا يجوز ذلك لان
معمول المصدر من تمامه والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر
الايام ثم دعا لهم بالمغفرة بقوله يغفر الله لكم ويجوز تعليق الظرف بيغفر اي
البشرى بغفران الله تعالى عاجلا لما تجدد اليوم من توبتكم وندمكم على خطيئتكم
ولما دعا لهم بالمغفرة اخبر عن الله تعالى بالصفة التي هي سبب الغفران بقوله
وهو ارحم الراحمين لانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل فيرجى منه
قبول دعائه لهم بالمغفرة ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا
انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك
فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم
حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص
الذي كان عليه وقيل هو القميص المتوارث امره جبريل عليه السلام اذ ارسله
اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي فالقوه على وجه
ابي يات بصيرا اي يصير بصيرا كقولك جاء البناء محكما اي صار محكما ودليله

فارتد بصيرا او ياتي الي وهو بصير ويبصره واتوني باهلكم اجمعين اي بابي واله
جميعا ولا حاجة الى التغليب على ان يكون المعنى واتوني ابي وانتم لان اباهم لما كان
شيخا كبيرا عاجزا عن الكسب كان داخلا في اهلهم ولما فصلت العير يقال فصل
من البلد يفصل فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم وفصل
الشيء فصلا فرقه وهو متعد والمعنى انفصلت العير من عريش مصر ومن عقل عن
التفصيل المذكور فالاصل فصل نفسه عنه ولما كثر حذف مفعوله فصار
كاللازم قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ما عبق
بقميصه من ريح يوسف عليه السلام حين اقبل به يهوذا من ثمانين فرسخا
لولا ان تفندون التفنيد النسبة الى الفند وهو نقصان عقل كامل يحدث
من الهرم يقال شيخ مفند اي قد فسد رايه ولا يقال عجوز مفندة لان المراة
لم يكن لها قط راي اصيل فيدخله التفنيد وجواب لولا محذوف اي لولا تفنيدكم
اياي الى الخرف لصدقتموني قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك
عن الصواب قديما بالافراط في حب يوسف والاكثار ذكره والتوقع للقائه فلما
ان جاء البشير وهو يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ
بالدم افرحه بحمل هذا اليه القاه طرح البشير القميص على وجهه على وجه
يعقوب عليه السلام او طرح يعقوب عليه السلام نفسه فارتد بصيرا
عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا
تعلمون من حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا
والمقول لا تياسوا من روح الله واني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان
يصفح عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي اخره الى
ان يستحلهم من يوسف عليه السلام او يعلم انه عفا عنهم لان عفو
المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما
يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى
نزل جبريل عليه السلام وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك
وعقد مواثيقهم بعد ذلك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم
وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم واما ما قيل اخر الى السحر او الى
صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة فيأباه سوف لانه
ابلغ في التنفيس من السين وعلى ما ذكر حق العبارة ان يكون
بالسين وكذا وعدهم بالاستغفار رجاء بحصول الغفران بقوله
انه هو الغفور يغفر المعاصي الرحيم يرحم العاصي اذا تاب واستغفر
فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه اموالا ليتجهز اليه
بمن معه واستقبله يوسف عليه السلام والملك واهل مصر باجمعهم

وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة اوى اليه ابويه
ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب في قوله
واله اباءك ابراهيم واسماعيل واسحاق ولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد
امه والدابة تزعي ثما وقال الحسن وابن اسحاق وكانت امه بالحياة وعلى هذا
لاحاجة الى التاويل وقال ادخلوا مصر والدخول الاول كان في موضع خارج
البلد كانه ضرب لهم مضربا او بيت حين استقبلهم في الطريق فدخلوا فيه
ان شاء الله امنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول
المكيف بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن عند دخولهم ورفع ابويه على
العرش اي رفعهما على السرير وخصهما بذلك تكرمة لهما دون اخوته وخروا له
سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها والواو لابويه
ولاخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه
لهما والواو لا تفيد الترتيب وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله وقيل الضمير
لله وبابها قوله وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل رايتها ايام الصبا
قد جعلها ربي حقا صدقا اذ لا مطابقة حينئذ بين الرؤيا والواقع وقد
احسن بي حمله على لطف حمل النظير على النظير فعداه بالباء والا فالاحسن اصله
ان يتعدى بالى وباللام واما التضمين فلا يناسب المقام لان احدهما يغني عن الاخر
فلا فائدة في الجمع بينهما اذ اخرجني من السجن لم يذكر الجب اكتفاء بدلالة النزع
الاتي ذكره عليه لا صفحا عن ذكر ما تعلق بفعل اخوته لئلا يكون تثريبا عليهم لانه
على تقدير ان يكون خطابه عليه السلام لابيه بسمع منهم فلا دلالة في الكلام
عليه وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل عمد
تقلبهم من البدو نعمة اخرى وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله
به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة اي اصلح حالكم من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي اي افسد بيننا واغوى نزغ بمعنى نخس من نخس الراكض
الدابة وحمله على الحري وانما ذكر هذا القدر من امر اخوته لان النعمة اذا
جاءت اثر بلاء وشدة كانت احسن موقعا وليت شعري من قال عدم ذكر الجب
للاحتراز عن التثريب عليهم ما يقول في ذكر الفساد الواقع بينه وبينهم و
والعجب انه قال في تفسير قوله ما فعلتم بيوسف قبح ما فعلتم به والتثريب
فيه اظهر منه في ذكر الجب ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير لما
يشاء من الامور رب امر صعب الامر تنفذ فيه مشيئته ويتسهل بلطف تدبيره
انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء على وجه
تقتضيه الحكمة رب قد اتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر ومن قال
او بعض ملك مصر فكانه غفل عن قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض
يتبوا منها حيث يشاء وعلمتني من تاويل الاحاديث بعض تاويلها لانه عليه

السلام

السلام لم يوت تاويل جميع الكتب والرؤيا فاطر السموات والارض مبدعهما
وانتصابه على الصفة او على النداء انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والاخرة
او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما لما عدد نعم الله تعالى تشوق الى القارة
واللحاق بصالحي سلفه وراى ان الدنيا كلها فانية فتمنى الموت وقيل لما راى امره الى
الكمال علم انه على الزوال فسال سعادة الانتقال وليس فيه سؤال التوفي في الحال بل سؤال
الختم على الاسلام متى كان فتوفاه الله تعالى طيبا طاهرا ولقد تواريث الفراعنة بعده مصر
ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وابائه عليهم السلام الى ان بعث
الله تعالى موسى عليه السلام والحقني بالصالحين من ابائي وعلى العموم وفيه اشكال
وهو ان الصلاح اول درجات المؤمنين ويوسف عليه السلام من اكابر الانبياء فكيف يليق
به ان يطلب البداية وحله ان النفوس المفارقة اذا اشرقت بالانوار الالهية وكانت
متناسبة انعكس النور من كل واحدة الى الاخرى وحينئذ يقوى الضوء وتكمل
السعادة ومن ثم يتمنيه لهذا قال في الرتبة والكرامة قيل المراد منهما عند ذكرها
على الاطلاق الانبياء عليهم السلام لكمال حالهم واستجماع خصال كمال الخير فيهم ذلك
اشارة الى ذكر من نبا يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه
وسلم وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران وان جعلت اسم الاشارة
بمعنى الموصول فمن انباء الغيب صلة والخبر نوحيه اي الذي من انباء الغيب
نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم كالدليل عليهما والمعنى ان هذا
النبا غيب لم يعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به
من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل وبابيه ليرسله
معهم جملة حالية وتفصيل ذلك ان اخباره عليه السلام عن هذه القصة
لا يكون الا عن مشاهدة او نقل او وحي ولم يخف على احد من المكذبين انه عليه السلام
لم يكن من حملة هذا الخبر ولا امثاله عن قومه فاستغني عن ذكره لظهوره
فكان الشك في انتفاء المشاهدة اوقع من الشك في انه لم يسمعه من احد ولذكره
في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاذا
انتفت المشاهدة لم يبق الا الوحي ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا
الى موسى الامر وما اكثر الناس قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اهل مكة
ولو حرصت وبالغت على ايمانهم وبالغيب في اظهار الايات عليهم بمؤمنين
لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسالهم عليه اي على ما تحدثهم به من
اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ونقلة الاثار ان هو الا ذكر عظة من الله
تعالى للعالمين عامة وكاين وكاي عدد شئت من اية دالة على وجود
الصانع وتوحيده وكمال قدرته وحكمته في السموات والارض يمرون عليها
على الايات ويشاهدونها والمراد ما يرون من اثار الامم الهالكة وغير ذلك
من العبر والدلائل وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها فلا

عزوان بعرضوا عن الايات التي تاتيهم بها وقري الارض بالرفع علي انه
مبتدا خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها اي يمرون دون فيرون مشاهد
الها لكين واثارها من الهالكين فطارها وما يومن اكثرهم بالله في اقرارهم
بوجوده وخالقيته للكل الا وهم مشركون بعبادة غيره من الاوثان او
باتخاذ الاحبار اربابا والقول باتخاذه للولد اوالقول بالنور والظلمة وامثال
ذلك جملة حالية اي انهم متلبس بالشرك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم
الذين يشبهون الله تعالي بخلقه افامنوا استفهام انكار فيه معني التوبيخ
والتهديد والفا للترتيب علي ما تقدم وهو مقدم في الاعتبار ان تاتيهم
غاشية من عذاب الله عقوبة تغشيهم وتشملهم او تاتيهم الساعة يوم
القيامة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير
مستعدين لها تاكيد لقوله بغتة قل هذه سبيلي اي هذه السبيل التي هي
الدعوة الي الايمان والتوحيد سبيلي ادعوا الي الله علي بصيرة اي ادعوا الي
دينه في حالة كوني علي حجة واضحة غير عميا حال من الياء في سبيلي والعامل
معني الاشارة في هذه او بيان وتفسير لسبيله وعلي بصيرة حال من المستكن
في ادعوا انا تاكيد له ومن اتبعني عطف عليه اي ادعوا الي الله انا ويدعوا
اليه من اتبعني وهو مرفوع بما في الظرف من معني الفعل علي الفاعلية اي
كاينا او ثابتا علي بصيرة انا ومن اتبعني او مبتدا خبره علي بصيرة والجملة
ابتدا اخبار بانه ومن تبعه علي حجة وبرهان لا علي هوي كغيرهم وسبحان
الله وانزهه عما يشركون تنزيها من الشركا وما انا من المشركين فيه تعريض
بانهم هم المشركون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا او لقولهم لو شا ربنا لانزل
ملايكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه نفي استنبا النسا يوحي اليهم
مما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقري نوحي بالنون من اهل القري
لانهم اعلم واحلم من اهل البد وعلي ان يعقوب عليه السلام من اهل البدو وسكنا
لمصلحة مواشيه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين
بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها والدار الاخرة اي دار الساعة
او الحياة او الحالة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي حض علي العمل للدار
الاخرة والاستعداد لها افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعلموا انها خير
وقري بالتا حملا علي قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتي اذا
استياس الرسل غاية لمحذوف دل عليه الكلام اي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
مثلك يبلغون الرسالة ويوضحون الدلالة فتراخي نصرهم حتي اذا
استياسوا عن النصر وعن ايمان قومهم وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم
انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم قومهم بوعد الايمان اي

لا

لا يغرن قريشا تمادي ابائهم فان الرسل قبلك قد تطاول عليهم مدة
التكذيب وعداوة الكفار وانتظار النصر حتي استشعروا القنوط وتوهموا
ان لا نصر لهم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا
انهم قد اخلفوا ما وعدهم من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله تعالي و
زلزلوا حتي يقول الرسول والذين امنوا معه متي نصر الله وقد رواه البخاري
في صحيحه فقيل في صحيحه اراد بالظن ما يهجس في القلب علي سبيل الوسوسة
وحديث النفس بحكم البشرية لا الظن بمعني الاعتقاد الراجح فانه غير جايز
علي احاد المسلمين فكيف بالرسل ويجوز ان يراد به المبالغة في التراخي والامهال
علي سبيل التمثيل وقيل فظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا
وقيل الضميران للمرسل اليهم اي ظن المرسل اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل
اي كذبتهم في انهم ينصرون عليهم وقري بالتشديد اي وظن الرسل انهم قد
كذبوا فيما اوعدوا به قومهم من النصر عليهم اما علي تاويل ابن عباس رضي
الله عنهما واما علي انهم كذبوا عند قومهم لانهم اذا لم يروا الوعد اثرا
قالوا ان الرسل قد كذبوا فيكونون كاذبين عند قومهم اي وظن المرسل اليهم ان
ان الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا بغتة فنجي علي لفظ الماضي المبني للمفعول
وقري فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وقري فنجا من نشا الرسل
والمومنين وانما لم يعينهم تعظيما لهم وتنبيها علي انهم هم الذين يستاهلون ان يشا الله
نجاتهم ولا يشاركهم فيه غيرهم ثم بين ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين
بيانا بان العذاب مخصوص بالمجرمين لازم لهم فيلزم نجاة اضدادهم من الرسل
واتباعهم ومفعول نشا محذوف تقديره نشا تنجيته لقد كان في قصصهم
في قصص الانبيا عليهم السلام واممهم او في قصة يوسف عليه السلام واخوته
عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن شوايب الالف والركون الي
الحس ما كان حديثا يفتري الضميران للقران لقوله ولكن تصديق الذي
بين يديه من الكتب الالهية وانتصب تصديق علي انه خبر كان المحذوفة اي انما
جعل نفس التصديق مبالغة في كونه مصدقا لما بين يديه وتفصيل كل شي
عبارة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تعالي واوتيت من كل
شي وقوله فتحنا عليهم ابواب كل شي ومن لم يتنبه لهذا احتاج الي تخصيص
الشي بالذي يتعلق بالدين ثم تكلف في بيانه فقال اذ ما من امر ديني الا وله
سند من القران بوسط او بغير وسط ولم يدر ان عبارة التفصيل لا تحتمل
هذا التاويل وهدي من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين وقري تصديق
وتفصيل وهدي ورحمة كلها بالرفع اي ولكن هو تصديق ولكن علي هذه القراة
تختلف فيها لعطف الجملة لقوم يومنون يصدقونه خصهم بذلك لانهم
هم الذين ينتفعون به كما قال هدي للمتقين سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قد مر في تفسيرها اقاويل وقيل معناه انا الله اعلم واري تلك اشارة الي ايات السورة وفيه تعظيم لها ايات الكتاب اللام للعهد والمراد به السورة الكاملة العجيبة في بابها والذي انزل اليك من ربك يعني القران كله ومحله الرفع علي الابتدا وخبره هو الحق اي هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي ايقاع الموصول مسندا اليه تفخيم المنزل وفي توسيط هو وتعريف الحق انه هو الذي اذا تحققت الحق وماهيته فهو هو لا غير والمراد الاخبار عنه بكمال حقيته حيث ثبت علي مر الدهور ولم يتطرق له التحريف والتغيير وثبت تلاوته وحكمه بخلاف ساير الكتب الالهية فلا دلالة فيه علي ان غير المنزل اليه ليس بحق اصلا فلا حاجة الي تعميمه للمنزل ضمنا بل لا وجه له بعد التصريح بان المراد منه القران كله علي انه لا يجدي نفعا في دفع النقض بحقية ما انزل الي ساير الانبيا عليهم السلام وفي درجه في الذي انزل اليه عليه السلام ضمنا باعتبار انه نطق بحسن اتباعه ما لا يخفي من التعسف وهو بعد التنبا والتي يودي الي ان يكون ترك قوله اليك خيرا من ذكره والجملة الثانية كالحجة علي الجملة الاولي وطريقة طريقة الانمارية في الكلمة من بني عيسي هم كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها اي كما انها نفت التفاضل اخرا ثبات الكمال واحد دلالة علي ان كمال الكل لا يحيط به الوصف وهو اجمال بعد التفصيل لهذا الغرض كذلك لما اثبت لهذه السورة خصوص الكمال استدراك بان كل المنزل كذلك لا يختص به سورة دون اخري للدلالة المذكورة ولكن اكثر الناس لا يومنون اي لا يصدقون بانه منزل من الله تعالي لاعراضهم عن النظر فيه او اضلالهم بحق التامل في وجوه اعجازه الله الذي مبتدا وخبر ويجوز ان يكون صفة الموصول والخبر يدبر الامر والاول اولي لان قوله وهو الذي مد الارض عطف عليه علي سبيل التقابل بين العلويات والسفليات وفي التقابل بتعيين الخبرية فكذلك فيه ليتوافقا ولدلالته علي ان كونه كذلك هو المقصود بالحكم لانه ذريعة الي تحقيق الخبر وتعظيمه كما هو مقتضي الوجه الاخر رفع السموات اي خلقها مرفوعة لا ان تكون موضوعة فرفعها بغير عمد جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقري عمد كرسل والعمود السارية واصله منع الميل ومنه الاعتماد والاسطون غير مرادف له ترونها استيناف للاستشهاد برويتهم السموات كذلك وقيل في صفة لعمد وفيه ايهام ان يكون لها عمد غير مرئيه ومقتضي المقام نفي العماد اصلا وذكره بصيغة الجمع للتعديد في السما وقري ترونه اي ترون رفعها بغير عمد قيل وهو دليل علي وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها علي ساير الاجسام المساوية لها في حقيقة الجسمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات علي بعض بارادته وعلي

هذا المنهاج ساير ما ذكر من الايات ولا يخفي ان مبني تلك الدلالة علي ثبوت المساواة المذكورة ولا دليل عليه لا من جهة العقل ولا من جهة النقل ثم استوي علي العرش بالحفظ والتدبير ولفظة ثم مستعارة للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر اي ذللهما وجعلهما طايعين له غير ممتنعين عليه وقصرهما علي سنن واحد لمنافع عباده ومصالح بلاده لما يوجد بهما من الاثار في الحبوب والثمار كل يجري لاجل مسمي اي كل منهما يجري لمدة معينة يتم فيها دوره فالقمر يقطع الفلك في شهر والشمس في سنة لا يختلف جري واحد منهما كما قال والشمس تجري لمستقر لها والقمر قدرناه منازل وقال الشمس والقمر بحسبان اي بحساب معلوم لا يختلف وهذا ايضا من جملة التدبيرات لمنافع العباد ومصالح البلاد بخلاف ما قيل يجري لغاية مضروبة ينقطع دونه وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت فلا يناسب الفصل به بين التسخير والتدبير ثم ان غايتهما المذكورة متحدة والتعبير بكل يجري صريح في التعدد وما للغاية الي دون اللام يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته في الايجاد والتصريف نحو المراد يفصل الايات اي ياتي بالايات الدالة علي القدرة والتدبير فضلا للتمكين من تدبر كل اية علي حدة لعلكم بلقاء ربكم توقنون فان من تدبر هذه الايات وتفكر فيها ايقن ان من قدر علي خلق هذه الاشيا وتدبيرها قدر علي الاعادة والجزا فلا بد من الرجوع اليه بمقتضي وعده والجملتان اما حالان من الضمير في قوله ثم استوي علي العرش وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمي من تتمته لانه تقرير لمعني الاستوا وتبيين له واما مفسرتان له وفي تعقيب الاوايل بهما الايقان والتوالي بقوله ان في ذلك لايات لمن يتفكر من فضل السوابق لافادتها التعقيب واللواحق ذرايع الي حصوله لان الفكر اليته والاشارة الي تقدم التوالي بالنسبة اليها مع التاخير رتبة وكذلك فابنت علي تقدير جعل الموصول وصفا لما قرر الدلايل السماوية اردفها بتقدير الدلايل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا ليثبت فيها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان ولما كان مظنة ان يقال لولا ما فيها من الجبال لكان الثبات فيها ايسر وموضع التقلب اكثر دفعه ببيان الفايدة في خلقها بقوله وجعل فيها رواسي من الرسو وهو ثبات الجسم الثقيل وقراره ومنه ارسي السفينة والمرسي كانت الارض مضطربة فثقلها الله تعالي بالجبال في احيازها فزال اضطرابها كذا قيل ولما غلب علي الجبل ومنعها بالرواسي صارت الصفة تغني عن الموصوف فجمع جمع الاسم كحايط وحوايط وكاهل وكواهل والتحقيق ان فاعل يجمع علي فواعل اذا كان لغير الادميين نص عليه الجوهري حيث قال ان فواعل جمع فاعلة نحو ضاربة وضوارب او جمع فاعل اذا كان صفة للمونث مثل حايض وحوايض اما اذا كان لغير الادميين مثل

جمع بازل وجمل بوازل وحايط وحوايط فاما مذكر ما يعقل فلم يجمع عليه الا
فوارس وهوالك ونواكس وبهذا التفصيل تبين فساد ما قيل رواسي جمع راسية
والتا للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة الي هنا وانهارا الانهار المجاري
الواسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي ضمها الى الجبال وتعليق الفعل
الواحد بهما ايما الى ان الجبال اسباب لتولدها ولهذا اكثر قران ذكرها لذكرها
في القران ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله جعل فيها زوجين اذ الزوج
قد يكون اسما للشفع وقد يكون اسما للفرد المقارب لشبهه فاتبعه اثنين
ليعلم انه لم يرد به الشفع اي جعل من انواع الثمرات فيها صنفين متقابلين
كالابيض والاسود والحلو والحامض والكبير والصغير واما ما قيل خلق فيها
من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك و
تنوعت ففيه انه دعوى بلا دليل مع ان الظاهر خلافه فان النوع الناطق
المحتاج الى الزوجين خلق ذكره اولا فكيف في الثمرات ويكون واحد من كل اولا
كاف في التولد وعبارة كل للتكثير لا للاحاطة حتى يلزم ان يوجد في الارض
صنفين من انواع الثمرات التي في حيز الامكان يغشي الليل النهار استعارة
تبعية فانه شبه اخفاء نور الجو وستره بالظلمة التي بالتغشية اي يغطي الليل
النهار فذهب ضوءه فهو مختص في الذكر مراد في المعنى بدلالة نظايره ان
في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكوينها وتخصيصها بوجه
دون وجه دليل على وجود قادر مختار وفي الارض عدل عن الضمير الى الظاهر
لان المبادر منه الظرفية كما في قوله جعل فيها والمراد ان تكون في نفسها
كون الجزء في الكل قطع وفي بعض المصاحف قطعا عطفا على وجعل وحينئذ
يكون الاحتياج الى وجه العدول اظهر متجاورات بقاع مختلفة مع كونها
متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة ورخوة الى صلبة
بعضها يصلح للزرع والضرع دون الشجر والثمار وبعضها بالعكس وذلك
من الدلايل الناطقة بانه القادر على ما يشا من تخصيص كل واحدة بخا
صية تضاد ما للاخرى مع اتحادها في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض
لها بتوسط ما يحدث من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة
مشاركة في النسب والاوضاع وكذا الكروم والزروع والنخيل النابتة في
قطعة واحدة من تلك القطاع مختلفة الاجناس والانواع متفاوتة الثمرات
في الوانها واشكالها وطعومها وروايحها متفاضلة منها وهي تسقى بماء
واحد في الارض واحدة وجنات من اعناب وزروع ونخيل وبساتين فيها
انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله والفصل به بين
نوع جنس واحد وهو من جنس اخر لما فيه من الفضل حيث كان به قوام المعاش
وقرئ وزرع ونخيل بالرفع عطفا على جنات بالنصب عطفا على زوجين

وبالجر عطفا على كل الثمرات صنوان وغير صنوان وغير متفرقات مختلفة
الاصول وقرئ بالضم كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد وقرئ يسقى بالبا
على تاويل ما ذكر اجرا للضمير مجرى اسم الاشارة ونفضل بعضها على بعض
في الاكل قرئ بضم الكاف وسكونها وقرئ يفضل بالنون والبا على البنا
ين جميعا والبنا للفاعل يطابق يدبر وانما خص التفضيل في الاكل بالذكر مع
وجود التفاضل في غيره لانه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم للتفكر وفيه اشعار بان العاقل
اذا لم يستعمل عقله لما خلق له فكانه لا يعقل وان تعجب يا محمد او يا ايها
السامع الموحد من قولهم في انكارهم للبعث فعجب حقيق بان يتعجب منه
قولهم وتقديم الخبر للتخصيص اي ما قولهم الا عجب لا اعجب منه لان من
قدر على انشا ما عدد من الفطر العجيبة كان على الاعادة اهون من الابتدا
وايسر فانكارهم اعجوبة من اعجب الاعاجيب ائذا كنا ترابا في محل الرفع بدلا
من قولهم او في محل النصب بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ائنا لفي
خلق جديد اي لفي صدر ذلك بعد ما لنا ترابا وهذا ابلغ في الانكار اولئك
المنكرون الذين كفروا بربهم المتمادون في الكفر بربهم لانهم كفروا بقدرته
على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم اي المصرون الذين لا يمكنهم النظر
والاستبصار ورفع الرؤوس الى ما دعوا اليه وغل الاعناق تمثيل كقوله
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ويجوز ان يكون وعيدا لما بعده واولئك اصحاب
النار في تكرير اولئك تعظيم لانكارهم وتاكيد في تقبيحه وبيان لاستيجابهم
العذاب الابدي لذلك اي انهم اذا انكروا ما ثبت بهذه الدلايل الدالة على
قدرة المبدي على الاعادة لا لتنها على الابدا بل قوى فما اقبح انكارهم واشد
اصرارهم وما احقهم بالخلود في النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها م
وتوسيط الفصل للتخصيص الخلود بالكفار فان عبادته وان كانت مخصوصة
بصنف منهم وهم المنكرون للبعث لكن دلالته تعم ساير الاصناف ويستعجلونك
بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا ما هددتهم
به من عذاب الدنيا استهزاء وانكارا وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات
امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يحترزوا حلول مثلها بهم
والمثلة بوزن السمرة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه وقرئ المثلات
على انها جمع مثلة كركبة وركبات وهي العقوبة المستاصلة كقطع الانف
والاذن ونحوهما وان ربك لذو مغفرة للناس اللام للعهد والمعهود هم
المستعجلون المذكورون والمراد من المغفرة الستر والامهال على ظلمهم في
محل النصب على الحال والعامل فيه المغفرة اي ظالمين انفسهم اي ظالمين ه
فان على ابلغ من مع وان ربك لشديد العقاب للظالمين فلا يهمل وان

كان يمهل فلا دلالة في الاية على جواز العفو قبل التوبة لان مبناها على حمل
المغفرة على التوبة وهو غير مسلم عند المخالف ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه اية من ربه لعنادهم وعدم اعتدادهم بالايات المنزلة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومكابرتهم مقترحين مثل ايات موسى وعيسى عليهما
السلام انما انت منذر مرسل للانذار والتخويف من سوء العاقبة كغيرك
من الرسل لا للاتيان بما اقترحوا عليك وما عليك الا اتيان ما يصح به نبوتك
من الايات والايات كلها سوا في ذلك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات
من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق بوجه من الهداية التي تخصهم
او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى اي ما عليك الا الانذار فلا يهمك عنادهم
وانكارهم للايات المنزلة عليك فليس اليك هدايتهم ولست بقادر عليها
انما القادر على ذلك هو الله تعالى لكنه لا يهدي الا من يشا من عباده بما
يشا من اياته ثم عقبه بما دل على كمال علمه وتقديره للاشيا على مقتضى حكمته
تنبيهًا على انه عالم باحوال الانبيا عليهم السلام والامم قادر على انزال
مقترحاتهم ولكن الامر مقدر عنده على ما يجب ان يكون عليه من حكمته
من تخصيص كل شي بما خص به من الايات واما ما قيل وعالم بهم قادر
على ان هدايتهم لكنه لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فمرجعه الى تفضيح
مبنى مذهب الجبرية الله يعلم ما تحمل كل انثى اما استيناف لبيان سبب
الامتناع من انزال ما اقترحوا واما جملتان الاولى تفسير لهاد اي هو
الله والثانية ابتدا كلام لبيان كون الكل بعلمه وتقديره ويجوز ان يكون
جملة قوله الله يعلم مقررة ويكون من باب اقامة الظاهر مقام المضمر
كانه قيل هو يعلم اي ذلك الهادي ما تحمل كل انثى او حملها انه على اي حال
من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد ما تنقصه
وما تزداده في الجثة والمدة والعدد وقيل المراد نقصان دم الحيض
وازدياده غاض جا متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا
تسعًا فاجعلا لازمين يتعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى
الارحام على المجاز فانهما لله تعالى ولما فيها وكل شي عنده بمقدار بقدر
واحد من جهة الكم والكيف والزمان لا يجاوزه ولا ينقص عنه والمراد
من العندية الحضور العلمي اي هو عالم بكمية كل شي وكيفيته ووقت حدوثه
فهيا له اسبابا مسوقة اليه يقتضي ذلك وهذه الجملة مقررة لما تقدم
وليس في الانفصال كالتي بعدها ولذلك وصل هذه له وفصل هي عما قبلها
عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم في
شانه وسلطانه المتعال المستعلي على كل شي بقدرته فلا يخرج شي عن
حكمه كما لا يعزب عن علمه سوا منكم من اسر القول اي اخفاه في نفسه

ومن

ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو اي وسوا من هو مستخف بالليل طالب للخفا
بالليل في مختبا من الليل وسارب بارز بالنهار يراه كل راء من سرب سروبا
اذا برز عطف على من او على مستخف ومن في معنى الاثنين كما في قوله الفرزدق
نكن مثل يا ذيب يصطحبان كانه قيل سوا اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار
والنكتة في زيادة هو في الاول انه الدال على كمال العلم فناسب زيادة تحقيق وهو
النكتة ايضا في تقديم اسروا عماله في صريح القول على جهروا عماله في ضميره وفي
حذف الموصوف من سارب على الوجه الاول له لمن اسر وجهر واستخفى او سرب
معقبات ملايكة تتعقبه في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جا على
عقبه لان بعضهم يعقب بعضا على الدوام او لانهم يعقبون ما يفعل ويتكلم به
فيكتبونه والتا للمبالغة او لانها جماعات ومن وهم ان اصله معتقبات ادغمت التا في
القاف كقوله وجا المعذرون اي المعتذرون فقد وهم لما نص عليه النص يقولون
من ان التا لا تدغم في القاف ولا القاف في التا لا من كلمتين ولا من كلمة ثم ان
المعذرون لا يتعين ان يكون اصله المعتذرون وقرى معاقيب جمع معقب
او معقبة واليا عوض من حذف احدى القافين في التكسير من بين يديه ومن
خلفه من جوانبه يحفظونه من امر الله اي من الافات التي لا يمكن دفعها
باسباب عادية والانسان ليس في وسعه التحرز عنها فالله تعالى بلطفه
عين له حفظة يحفظونه من هذا النوع من الافات قال النبي صلى الله عليه وسلم
وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب
ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وانما خص هذا النوع
من الافات بالاضافة الى امر الله وان كلها بامره تعالى لعدم ظهور اسبابها
العادية هذا ما عندي والذي ذكره القوم انه صفة لمعقبات كيحفظونه اي
له معقبات ثابتة من امر الله كيحفظونه او متعلق بيحفظونه اي يحفظونه من
اجل امر الله تعالى يعني من اجل ان الله تعالى امرهم بحفظه ولا يدل عليه قراة
بامر الله لجواز تعلقه بالسابق اي معقبات بامر الله او يحفظونه من باس
الله اذا اذنب بالاستغفار او الاستمهال عسى ان يتوب وقيل المراد من
المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان في توهمه من فضله او على التهكم به
ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة الى البلا والنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم
من الصلاح والطاعة الى الفساد والمعصية واذا اراد الله بقوم سوا فلا مرد له
فلا راد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي
امرهم فيدفع عنهم السوء ويدفعه بالعنف او باللطف اي لا رافع ولا دافع ولا
شافع ولا نافع اصلا واما الدلالة على ان خلاف مراد الله تعالى محال فالاية ساكتة
عنها هو الذي يريكم البرق خوفا من ضرره وطمعا في نفعه اذا لمع البرق
يخاف الصواعق ويطمع في الغيث كما قال ابو الطيب

فتي كالسحاب الجون يخشى ويرتجي يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق
او يخاف عنده المطر من ماله فيه ضرر فان الغيث لا يخلوا عن الغيث ويطمع
فيه من له نفع فيه وانتصابهما علي الحالية من المخاطبين اي يريكم خايفين طا
معين او من البرق كانه في نفسه من شدة ما يخاف ويطمع فيه عين الخوف
والطمع او ذا خوف وذا طمع او مفعول لهما علي ان المخاطبين رايين لان اراءتهم
متضمن لرويتهم والخوف والطمع من افعالهم من حيث انهم فاعلوا الفعل الذي
المعلل الذي هو الروية فيرجع المعني الي معني فعدت عن الحرب جبنا فيكونان
مفعولا لهما او علي تقدير حذف المضاف فاراد خوف وطمع بمعني اخافة
واطماعا **وينشي السحاب** الغيم المنسحب في الهوا **الثقال** جمع ثقيلة وانما
وصفت به لان اسم الجنس في معني الجمع **ويسبح الرعد** عن ابن عباس رضي الله
عنهما سيل النبي صلي الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه
مخاريق من نار يسوق بها السحاب **بحمده** ملتبسا به ويجوز ان يكون ع
اسناد التسبيح والحمد الي الرعد مجازا من باب الاسناد الي فاعلية الفاعل
اي يسبح اسامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين لله يسبحون
سبحان الله والحمد لله ولما كان الرعد باعثا لتسبيحهم وتحميدهم فكانه سبح
وحمد وهذا الوجه اولي لان الرعد المتعارف يقع علي الصوت المخصوص
للسامعين وهو الذي يقرن بالذكر مع البرق والسحاب والكلام في ارايت الايات
الدالة علي القدرة الباهرة في ايجادها وتسبيح ملك الرعد لا يلايم ذلك اما
حمل الصوت المخصوص للسامعين علي التسبيح والحمد فشديد الملايمة واذا حمل
علي الاسناد حقيقة فالوجه ان يكون اعترا منا دلالة علي اعتراف الملك الموكل
بالسحاب وساير الملايكة بكمال قدرته تعالي وجحود الانسان ذلك **والملايكة**
اي ويسبح الملايكة **من خيفته** اي من خوف الله تعالي واجلاله وقيل الضمير
للرعد **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشا** اصابته فيهلكه **وهم يجادلون
في الله** اي والذين كفروا وكذبوا رسول الله صلي الله عليه وسلم يجادلونه فيما وصفه
به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية والاعادة والجزا بعد مشاهدتهم
الايات المذكورة بقولهم من يحيي العظام وهي رميم واتخاذهم الانداد ونسبتهم
الولد اليه فالواو لعطف الجملة والمعطوف عليه قوله ويقول الذين كفروا
المعطوف علي يستعجلونك والعدول من الفعلية الي الاسمية وطرح رعاية
التناسب للدلالة علي انهم ما ازدادوا بعد الايات الا عنادا فزادهم رجسا
الي رجسهم ويجوز ان يعطف علي قوله هو الذي يريكم هذه الايات الكوامل
الدالة علي القدرة والرحمة وانتم تجادلون فيه وهذا اقرب ما اخذ والاول
املا فائدة وقيل الحال اي فيصيب بها من يشا في حال جدالهم وهو التشدد في
الخصومة من الجدل وهو الفتل ووجه هذا ان اربد اخا لبيد العامري

وقد علي

وقد علي رسول الله صلي الله عليه وسلم مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله
فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول
صلي الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شيت فارسل الله تعالي علي اربد بالصا
عقة فقتله ورمي عامر بغدة فمات في بيت سلولية وهو يقول غدة كغدة
البعير وموت في بيت سلولية فنزلت اعلم ان في الكلام التفاتا لان قوله سوا
منكم هو الذي يريكم فيه التفات من الغيبة الي الخطاب وان شيت فتامل قوله
اولئك الذين كفروا بربهم الي قوله الكبير المتعال ثم التفت من الخطاب الي الغيبة
وحسن مواقعهما اما الاول فلما فيه من تخصيص الوعيد المدمج سوا منكم ولهذا ذيله
بقوله ان الله لا يغير الي قوله من وال وفيه من التهديد ما لا يخفي علي
ذوي بصيرة ومن الحث علي طلب النجاة وزيادة التقريع في قوله هو الذي
يريكم ومجي سوا منكم هو الذي يريكم بعد قوله الله يعلم هكذا من دون حرف
النسق لان الاول مقرر لقوله الله يعلم مع زيادة الادماج المذكور تحقيق للعلم
والثاني مقرر لما تضمن من الدلالة علي القدرة في قوله وكل شي عنده بمقدار
مع رعاية نمط التعديد علي اسلوب الرحمن علم القران مما يبهر الالباب ويظهر
للمتامل في وجه الاعجاز التنزيل العجيب العجاب واما الثاني فلما فيه من تو
الدلالة علي انهم مع وضوح الايات وتلاوتها عليهم والتنبيه البالغ ترغيبا
وترهيبا لم يبالوا بها بالة فكانه يشكو جنايتهم الي من يستحق الخطاب
او يمكن به مدم في نفسه اي اصنع بهم وافعل كيت وكيت جزا ما ارتكبوه
بسوي ما يريد ان يوقعه بهم **وهو شديد المحال** قوي المكر باعدايه بايتيهم
بالهلاك من حيث لا يحتسبون المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة
ومنه تمحل لكذا اذا تكلف له بحول استعمال الحيلة واجتهد فيه وقري
بفتح الميم علي انه مفعول من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من
ذيب اي اشد حيلة منه وجاز ان يكون شديد المحال علي هذه القراة مثلا
في القوة والقدرة كما جا فساعد الله اشد وموساه احد لان المحال جمع المحالة
وهي الفقارة فيكون معناه شديد الفقار وهي الحيوان اذا اشتد فقاره
كان منعوتا بشدة القوه **له دعوة الحق** الدعا الحق فانه الذي يحق ان يعبد
ويدعي الي عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب
ويويده ما بعده والحق علي وجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه
للملابسة بينهما او علي تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالي
وكل دعا اليه دعوة الحق والجملتان علي الوجه الاول وعيد للكفرة علي
مجادلتهم الرسول صلي الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديد لهم باجابة دعوته
عليه السلام عليهم او بيان ان دعوته عليه السلام الي التوحيد حق وعلي
قصة اربد ونزول الاية فيها فمعناها ان اصابته بالصاعقة واصابته

صاحبه بالعدة محال من الله تعالى ومكر بهما من حيث لا يشعروا ان هو
دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت دعوة الحق
او ان دعوتهم لا لثبتهم ضلال باطل للتخصيص دعوة الحق به والذين يدعون من
دونه اي والالهة الذين يدعونهم من دون الله تعالى لا يستجيبون لهم بشي
من طلباتهم الا كباسط كفيه الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه اليه يطلب
منه ان يبلغه فاه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعايه ولا بعطشه ولا يقدر
على اجابته فكذلك الهتهم لانها جمادات كالما وقيل شبهوا في عدم جدوى دعايهم
لالهتهم بمن يبسط كفيه ناشرا اصابعه الى الما ليغرفه الى فيه فلم يمسك كفاه شيا
منه ولم يبلغ حاجته من شربه لان الما يحصل بالقبض عليه لا بالبسط اليه فهو
على الاول من تشبيه المركب التمثيلي فالاصل ابرز في معرض التهكم حيث
اثبت انهما استجابتان ايادة في التخيير والتحسير وعلى الثاني من تشبيه المورد
بالمفيد بمثله كقولك لمن لا يحصل من سعيه شي هو كالراقم على الما فان المشبه
هو الساعي مقيدا بكونه سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم مقيدا بكونه على
الما وكذلك فيما نحن فيه وما دعا الكافرين الا في ضلال الا في ضياع لا فايدة
له اما ضياع دعايهم لله تعالى فلانه لا يجيبهم لكفرهم وبعدهم عن حيز الاجابة
ولله يسجد من في السموات والارض الظاهر ان السجود على حقيقته ولهذا
خص بالذكر من المخصوص بالعقلا ويشهد له قوله طوعا وكرها الساجدون
له طوعا هم الملايكة والمومنين من الثقلين والساجدون كرها من ضمته السيف
الى الاسلام وانتصابهما على الحال وظلالهم اي ويسجد ظلالهم والسجود ههنا
بمعنى الانقياد لامره تعالى ولهذا اخره عن قوله طوعا وكرها وانقيادها
لتصريفه تعالى من جانب اخر على ما افصح عنه في قوله تعالى اولم يروا الى
ما خلق الله من شي تتفيوء ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله قال الفرا
الظل مصدر يعني في الاصل ثم اطلق على الخيال الذي يظهر للجرم عند مسامته
للشمس بالغدو والاصال ظرف يسجد المقدر وحال من الظلال وقد مر تفسيرها
في سورة الاعراف والمراد بهما تمام النهار قل من رب السموات والارض اي
خالقهما ومتولي امرهما قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد عليهم اي لم يكن لهم بد
من ان يقولوا الله فهم والخصم في الجواب سوا لكونه من البين الذي لا مرية به
لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون
الله فهو قول المناظر لصاحبه اهكذا قولك فاذا اعترف به حكاه تقريرا له
واستثبتا فاء منه ثم قيل له فيلزمك كذا وكذا فيبكته بالحجة او تلقين اي تلقنوا
في الجواب بعلمهم بما يلزمهم من الحجة بنا على اقرارهم فلقنهم فانهم يتلقونه ولا
يقدرون ان ينكروه قل افاتخذتم من دونه اوليا الزام وتقرير وتوبيخ اي
ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اوليا فجعلتم ما هو سبب

التوحيد من علمكم واقراركم بسبب الشرك فالفا عاطفة للتسبيب والتفريع
دخلت الهمزة عليه لان المنكر الاتخاذ بعد العلم لا العلم لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا اي لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف
يستطيعون انفاع الغير وادفاع الضر عنه وهو دليل ثابت على ضلالهم وفساد
رايهم في اتخاذهم اوليا رجا ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير تمثيل
للمشرك الجاهل الذي لا يهتدي والموحد العالم المهتدي الهادي ام هل تستوي
الظلمات والنور تمثيل للشرك والضلالة والتوحيد والهداية ام جعلوا لله شركا
بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله تعالى خلقوا كخلقه صفة للشركا داخلة في
حكم الانكار ومعنى الاضراب ان تعكيسهم ذلك لما لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة
كان حكاية ذلك ادخل في ذمهم وفيه طرف من التهكم فتشابه الخلق عليهم خلق
الله وخلقهم اي انهم ما اتخذوا الله تعالى شركا خالقين مثله حتى يتشابه عليهم
الخلق فيقولوا هولا خلقوا كما خلق الله تعالى فاستحقوا العبادة كما استحقها
ولكنهم اتخذوا شركا عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا
عما يقدر عليه الخالق بينه على مكان الشبهة نافيا ناعيا عليهم ومتهكما بهم
وليس من ارخا العنان والتدرج في تدرج في شي قل الله خالق كل شي ولا خالق
غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم
نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية والربوبية
القهار لكل شي فما سواه مغلوب مقهور له فكيف يستقيم ان يكون له
شريك انزل من السما من جهتها ما التنكير للتكثير وباعتباره مع التنويع
في قوله فسالت اودية جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الما فيه بكثرة
فاتسع فيه واستعمل للما الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب
بين البقاع فتسيل في بعض الاودية دون بعض وكذا في الممثل له ليس كل
قلب قابلا بل بعض منها دون بعض بقدرها بمقدارها الذي علم الله تعالى
انه نافع غير ضار وبمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا احتمل بمعنى
حمل جا فيه افتعل بمعنى المجرد كاقتدر الجوهر السيال وخبثه المبتز منه بالحركة
والخضخضة والغليات رابيا منتفخا مرتفعا على وجه الما ومما توقدون
عليه في النار ابتغا حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز على وجه التهاون
به حيث لم يذكر الانواع باسمايها بل اجمل بذكر وصفها في احسن الاحوال واهانتها
بالايقاد كما هو عادة الملوك اظهارا للكبريا به زبد مرفوع بالابتدا وخبره
مما توقدون وقديقرا يوقدون بالياء اي الناس واضماره للعلم به وانتصب
ابتغا على انه مفعول له والحلية ما يتخذ للنسا مما يتزين به من الذهب والفضة
والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس وما اشبههما من الالات التي هي قوام
العيش كالاواني والمساحي والات الحرث وغير ذلك والمقصود

منه بيان منافعها ومن الابتداء الغاية وللتبعيض اي منه زبدًا وبعضه
زبد مثله مثل زبد الماء والمماثلة في كونهما يتولدان من الاكدار والاوساخ كذلك
مثل ذلك الضرب يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فذلكة وتبيين
وكذلك يضرب الله الامثال تاكيد له وتعميم فاما الزبد من السيل والفلز الذائب
فيذهب جفاء مجفوا اي مرميا به يقال جفأت القدر بزبدها وجفأه
السيل رمى به وجفأ السيل واجفل وقرئ جفالا والمعنى واحد وانتصابه
على الحال واما ما ينفع الناس من الماء وصلاحية الفلز فيمكث في الارض مدة
طويلة ينتفع بها اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات
قد مر ما في تكثير الامثال في الكتب الالهية وكلمات الحكماء من الفوائد ولما ضرب الظلمات
والاعمى مثلا للباطل واهله والنور والبصير مثلا للحق واهله اكد التمثيل الاخير
وهو قوله ام هل تستوي الظلمات والنور بهذا المثل لان الغرض اثبات الحق وابطال
الباطل فمثل الحق من العلم النازل الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالماء الذي ينزل من السماء
والقلوب الصافية والفهوم الصائبة بالاودية وقبولها له بقدر استعدادها بسيلانها
بقدر سعتها والباطل من الجهالات والشكوك والشبه والاعمال الفاسدة في
وكونها هباء في الاخرة وبقاء الحق من العلم والعمل وحصول سعادة الدارين بهما والثواب
الابدي والنعيم السرمدي بانتفاء الزبدين في اضمحلالهما سريعا وبقاء ما ينفع الناس
من الماء بالسقي والحدث والزرع وسريانه في عروق الارض الى منابعه وتنوع هذه
العيون والغنى منه ومن الفلز بصوغ الحلي واتخاذ الامتعة والات الحرث والحرب منه
للذين استجابوا لربهم الحسنى كلام مستانف بعد ضرب الامثال وتمام الكلام
فيه والحسنى مبتدأ اخبره للذين اي للذين استجابوا المثوبة الحسنى والذين لم
يستجيبوا له مبتدأ اخبره لو مع ما في حيزه اي الجملة الشرطية والواو عاطفة الجملة
على الجملة وقيل اللام في للذين متعلقة بيضرب والحسنى صفة المصدر استجابوا
اي الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا عطف على الذين استجابوا وقوله لو ان
لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير
المستجيبين والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمومنين والكافرين اي هما مثلا الفر
يقين يعني مثلي سبيلهما ودينهما اولئك لهم سوء الحساب المناقشة فيه وعن
النخعي ان يحاسب المذنب بذنبه كله لا يغفر له منه شيء ومأواهم جهنم مرجعهم
بعد الحساب وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف تهكم بهم على تقدم
بيانه في تفسير سورة الاعراف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب به
كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب لما ذكر مثل المومن والكافر وذكر ما للمومن
والكافر من الثواب والعقاب ذكر استبعاد من يجعلهما سواء وانكر ذلك متفرعا على
ما تقدم فالفاء للعطف على وجه التفريع وانما قدمت همزة الاستفهام وهي
موخرة معنى لان له صدر الكلام انما يتذكر اولو الالباب ذوو العقول المبرأة من

عن

عن شائبة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله مبتدأ خبره اولئك
لهم عقبى الدار او صفة لاولي الالباب وحينئذ يكون الموصوفون بتلك الصفات دلالة
على ان استيجابهم بعقبى الدار انما كان بسبب تلك الصفات والاول اوجه لان
عطف الجملة الثانية وهي قوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة يشهد
بذلك وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى
وما عهد الله تعالى عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم
وبين الله تعالى وما بينهم وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون
ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات وموالاة قرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومواصلة المومنين كلهم بالاخوة الايمانية والمراعاة حقوقهم بالاحسان
والشفقة والنصيحة ويخشون ربهم فلا يعصونه هيبة وحياء ورهبة ولا يخالفونه
في شيء عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا
والذين صبروا عما تحبه النفس بالهوى وعلى ما تكرهه ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه
خاصة لا نظرا الى الخلق رياء وسمعة او الى النفس زينة وعجبا جاء الصلة هنا بلفظ
الماضي وفي الموصولين قبله وما عطف عليهما بلفظ المضارع لانه قصد بها الاستمرار
والاتساق دائما وهذه الصلة قصد بها على تقدمها على تينك الصلتين وما
عطف عليها لان حصولها مترتب على حصول الصبر وتقدمه عليها وكونه مما
لا بد منه في حصول التكاليف لم يات صلة في القران الا بصيغة الماضي واقاموا
الصلاة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه
سرا لمن تمنعه المروءة ان ياخذه وعلانية لمن لا تمنعه وقيل ومما رزقناهم سرا وعلا
نية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لانها بالجهر افضل نفيا
للتهمة واياه التخصيص المستفاد من تقديم الجار والمجرور في الخبر ويدرءون
بالحسنة السيئة يدفعونها بها اي يجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون
السيئة بالحسنة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون
مآل اهلها وما يصلح ان يكون عاقبة وهي الجنة جنات عدن بدل من عقبى الدار
والعدن في الاصل الاقامة صار علما لجنة من الجنان السبع على ما مر تفصيله
في سورة التوبة يدخلونها ومن صلح عطف على الضمير المرفوع في يدخلونها
من غير تاكيد للفصل بالضمير المنصوب او مفعول معه من آبائهم جمع ابوين
كل واحد منهم فيتناول الاباء والامهات وازواجهم وذرياتهم انما جمعوا فيها
من قرباتهم ليتم لهم النعمة بزيادة الانس والجمعية بهم وقيدوا بالصلاح دلالة
على ان مجرد النسب والقرابة لا يكفي في الجمع بينهم بل لا بد من شرط الصلاح ولا دلالة
فيه انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم
حتى يستند به على ان الدرجة تعلو بالشفاعة خصوصا اذا كان ومن صلح
مفعولا معه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب

الفتوح والنجف سلام عليكم في محل الحال اي قايلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بمحذوف والبا للسببية او البدلية اي هذا الثواب بسبب صبركم او
بدل ما احتملتم من الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والمالف والنعم ويجوز ان يتعلق بسلام
لان الخبر فاصل فنعم عقبى الدار المخصوص بالمدح محذوف اي فنعم عقبى الدار
الجنة وقرى فنعم بفتح النون والاصل نعم بفتح النون فينقل كسرة العين تخفيفا
بلا نقل والذين ينقضون عهد الله يعني مقابل الاولين من بعد ميثاقه من بعد
ما اوثقوه من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم
سوء الدار عذاب النار وسوء عاقبة الدنيا لانها في مقابلة عقبى الدار وانما
لم يقل سوء عاقبة الدار تفاديا ان يجعلها عاقبة حيث جعل العاقبة المطلقة هي الجنة
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر عما كان كثير من الاشقيا فتحت عليهم ابواب
نعم الدنيا ولذا انما اخبر تعالى انه هو الذي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه والكفر
والايمان لا تعلق لهما بالرزق قد يقدر على المومن ليعظم اجره ويبسط للكافر
املا لازدياد اثامه وفرحوا اي اهل مكة بالحياة الدنيا بما بسط لهم فرح
بطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى عليهم واغتروا به ولم يشكروا ما انعم الله تعالى
عليهم ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الاخرة وما الحياة الدنيا في الاخرة
في جنب ما اعد لاهلها فيها الا متاع الا شي نزر حقير يتمتع به ولا يدوم كعجالة
الراكب وزاد الراعي ويقول الذين كفروا مقتضى الظاهر ان يقال فرحوا اذا لم يجد
للكفار مكة ذكروا اضمارا على تقوله يجري بذكره حينئذ فاخرج على خلاف الظاهر
لارادة التمكين في ذهن السامع بالابهام والتوضيح او للظهور والتعين في الاول
والزجر والتسجيل بالكفر في الثاني لولا انزل عليه اية من ربه عنادا وجحودا للايات
المتزلة عليه عليه السلام لعدم اعتدادهم بها ولهذا امر في الجواب بقوله
قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اقبل الحق ورجع عن العناد
وحقيقة دخل في نوبة الخير وهو كلام جار مجرى التعجب من قولهم كانه قيل قل
لهم ما اعظم عنادكم حيث لم تعتدوا بهذه الايات الباهرة التي لم يوت نبي مثلها
وكفى بالقران وحده اية ان الله يضل من يشا ممن كان على صفتكم من الجحود والتعصب
والتصميم على الكفر فلا سبيل الى اهتدايه وان اتي بكل اية ويهدي من يشا تنبيه
على ان مشية الهداية مخصوصة بغير المعاند الذين امنوا بدل من من وتطمين
قلوبهم بذكر الله انسا به او بالقران او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته
الا بذكر الله تطمين القلوب تسكن اليه جملة اعتراضية تفيد كيف لا تطمين
قلوبهم به ولا اطمينان للقلب بغيره الذين امنوا وعملوا الصالحات بدل
من القلوب على تقدير المضاف اي قلوب الذين امنوا او مبتدا خبره طوبى لهم
وهو فعلى من الطيب كبشرى وزلفى قلبت ياوه واوا لضمة ما قبلها كموقن وموسر

وقري طيبي بكسر الطا وهي من المصادر المنقوية او المحدولة الى الرفع اي طيبا
لهم وطيب لهم كقولك سلاما لك وسلام لك والقراة في قوله وحسن ماب بالرفع
والنصب تدل على محليهما واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك وتكون الجملة الدعائية
خبرا على التاويل كذلك اي مثل ذلك الارسال العظيم الشان الذي له فضل
ومزية على ساير الارسالات او مثل ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد
خلت من قبلها قد تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو
لتقرا عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم وهم يكفرون وحال هولاء انهم
يكفرون بالرحمن الشامل الرحمة الذي وسعت رحمته كل شي فكفروا نعمه خصوصا
ما انعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال هذا القران المعجز المصدق لساير الكتب
الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية وقيل نزلت في مشركي مكة
حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي
امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم
واليه متاب مرجعي ومرجعكم فيحكم بيننا قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال
دال على ان اسم الاشارة والموصول فيما تقدم لتعظيم القران وتفخيم شانه
او قطعت به الارض او كلم به الموتى جواب لو محذوف اي ولو ان قرانا سيرت
به الجبال عن مقارها وزعزعت او قطعت به الارض حتى يتصدع قطعا قطعا
من خشية الله تعالى او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه
غاية في التذكير والاعجاز ونهاية في التخويف والانذار كقوله لو انزلنا هذا القران
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقيل اراد به المبالغة في
عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض
وتكليم الموتى لما امنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة الاية قيل ان قريشا
قالوا يا محمد ان تريد ان نتبعك فسير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا
فنتخذ فيها بساتين وقطايع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام
او ابعث من كنانة قصي بن كلاب وغيره من ابايننا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى
هذا فتقطيع الجبال قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم
يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على
المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل لله
القدرة على كل شي فله القدرة على الاتيان بما اقترحوا من الايات الا انه لم
تتعلق ارادته بذلك لعلمه انهم لا يومنون ويزدادون لعنادا والجحود
ويويده قوله افلم يياس الذين امنوا اي عن ايمانهم مع ما راوا من
مكابرتهم وانكارهم والاكثر على ان معنى افلم يياس افلم يعلم لما روي ان
عليا وابن عباس رضي الله عنهم وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا افلم
يتبين وهو تفسير افلم يياس فيكون بمعنى افلم يعلم وانما استعمل الياس بمعنى

العلم بان المايوس لا يكون وقيل هي لغة قوم من النخع ولذلك علقه بقوله
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا لان معناه نفي هداية بعض الناس لعدم
تعلق المشيئة باهتدائهم وتعلقه على الاول بآمنوا اي ولم يقنطوا عن ايمان
هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بمحذوف تقديره
افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم
او تحل اي القارعة قريبا من دارهم فيفزعون منها ويضطربون ويتطاير اليهم
شرارها حتى يأتي وعد الله اي الموت او القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة
تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة
وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل
بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ان
الله لا يخلف الميعاد لا لعدم الحدث عليه لان ما تعلق به الوعد كان ممكنا
وبتعلقه لم ينقلب ممتنعا لاستحالة الانقلاب وكل ممكن داخل تحت قدرته
تعالى لان الخلف لا يليق بشأنه تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه فامليت
للذين كفروا الاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف
كان عقاب اي كان عقابي اياهم استفهام معناه التعجب مما حل بهم والتقرير
في ضمنه وعيد لمن في عصره عليه السلام من الكفار افمن هو قائم على كل نفس
فالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس بما كسبت من خير وشر لا يخفى عليه
شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن
هو ليس كذلك دخلت الهمزة على الفاء لانكار ان يستوي من هو مطلع على
سرهم وعلنهم قادر على مجازاتهم بمن هو على خلافه بعد علمهم بما حل بالمنكرين
من الاخذ المفاجئ والبطش الشديد وجعلوا لله شركاء استئناف وعطف على
مقدر اي لم يوحدوه وجعلوا فيه اظهار في موضع الاضمار للتهويل والتوبيخ
والتفضيح في معرض الاحتجاج والتبكيت ويؤيده ما بعده اسلوب بديع
ضمن فيه التراقي في الانكار اولا بعينه لا عجب من انكارهم لآياتك الباهرة
مع ظهورها انما العجب كل العجب جعلهم القادر على انزالها المجازي لهم على
اعراضهم عن تدبرها وامثالها بتواتر تترى واحدة تحت اخرى
فيما هو منها رأي عين يتراءى بهم الى دار البوار وواهوا لها لكن لا يملك
لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عمن اتخذه ربا يرجو منه جلبا او دفعا ومنح
فيه التسلي ثانيا عن المعروف عن صريح الاسم الى قوله افمن هو قائم
تفخيما بواسطة الابهام المضمن في ايراده موصولا مع تحقيق ان القيام

كائن

كائن وهم يخفون ما يدهش له الالباب ويقضى من بديع ايراده العجب
العجاب وفي قوله وجعلوا لله بوضعه مقام المضمر الراجع الى من دلالة على
انه المتوحد ذاتا واسما جعلوا لله شركاء لا شريك كذلك ولا يهلك على انه
الا هالك وفي حذف الخبر تفظيعا للمقالة وتحقيرا لمن ربك الحالة حالا
تخفى من الجزالة قل سموهم كان قوله افمن هو قائم كافيا في هدم قاعدة
الاشراك للتفرع المتابق والتحقق بالوصف اللاحق وهو ابطال من طرف الحق
قد بلغ بابطاله من طرف النقيض على ابلغ وجه اي الزمهم بذلك فانهم ان سموهم
قالوا حجرا وخشب او نحاس ونحو ذلك فافتضحوا باشراكهم بمن لا يستحق
العبادة الا هو وحده روعي فيه انه لا اسماء للشركاء فضلا عن المسمى على الكناية
لا بماهية ثم يبلغ فيه بانه لا يتساهل السؤال عن حالها لظهور فساده وسلك
فيه مسلك الكناية التوبيخية من نفي العلم على نفي المعلوم ثم منه على عدم
الاستنباء ام تنبئونه بل اتنبئونه بما لا يعلم في الارض بشركاء لا يعلمهم في الارض
يعني بما ليس بشيء لان ما لا يعلمه عالم الغيب والشهادة لا وجود له كقوله
قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض والهمزة المضمنة فيها
تدل على التوبيخ وتقريرا ثم يريدون ان ينبئوا عالم السر والخفيات بما لا
يعلم وهذا محال ثم اضرب عن ذلك وقال قد بين الشمس لذي عينين وما
تلك التسمية الا بظاهر من القول عن ان يكون تحته طائل وما هو الا مجرد
صوت فارغ ام بظاهر من القول اي تسمونهم شركاء بمجرد ظاهر القول
واطلاق لفظة الشركاء والالهية من غير ان يكون لذلك معنى وحقيقة
من الالوهية والمشاركة كقوله ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على
نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف
من نفسه ومن زاد على هذا قوله فتبارك الله احسن الخالقين فقد اتى
بكلمة حق اريد بها باطل يزرون بها من هو عن حلية الانصاف عاطل
بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم قالوها واختراعهم
للضلالة وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرئ وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس
عن الايمان وصد بالتنوين عطفا على مكرهم ومن يضلل الله بالخذلان فما
له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته بوجه من الوجوه لهم عذاب
في الحياة الدنيا بالقتل والاسر وساير ما يصيبهم من المصيبات ولعذاب
الآخرة اشق لدوامه وشدة ايلامه وما لهم من الله من عذاب الله تعالى
في الدارين قبل من رحمته ولا يساعده المساق ولا يوافقه عبارة واق
من واق من ساتر يحفظهم من العذاب ويحميهم فمن الاولى صلة واق قدمت
عليه والثانية مزيدة للتأكيد ولما ذكر ما اعد للكفار في دار القرار ذكر ما اعد

للمومنين فيها فقال مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي في غرابة المثل
تقول مثلت الشي اذا وصفته وقربته للفهم وارتفع مثل على الابتدا في مذهب
سيبويه والخبر محذوف اي فيما قصصنا عليهم مثل الجنة تجري من تحتها
الانهار تفسير لذلك المثل اي في غاية النزاهة وذلك ان العرب كانوا في عوز من
الما فكانوا يعدون هذا اعظم نزاهة او حال من العايد المحذوف من الصلة وقيل
هو خبره على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة
تجري فعلى هذا لفظ المثل على حقيقته قصد به تمثيل الغايب بما في الشاهد
ثم استعير من القول السابر للصفة الغريبة اكلها دايم لا ينقطع والاكل ما يوكل
فيها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة
الموصوفة عقبى الذين اتقوا عن الكفر مالهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين
النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكفار والذين اتيناهم
الكتاب اي من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام واصحابه ومن النصارى
وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون
بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما نزل
موافقا لما في كتبهم ومن الاحزاب اي كفارهم الذين تحزبوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالعداوة ونحو كعب بن الاشرف والعاقب والسيد اسقفي
نجران واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم وما حرفوه ه
منها دون الاقاصيص وما يوافقها قل انما امرت ان اعبد الله ولا
اشرك به شيا جواب للمنكرين اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بان اعبد
الله ولا اشرك به وهو العمدة في الاسلام ولا سبيل لكم الى انكاره لانكم
قايلون بوجوب عبادته وتوحيده واما ما يخالف بعض شرايعكم من
جزييات الاحكام فليس اختلاف ذلك ببدع في الكتب الالهية وقرى ولا
اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعوا لا الى غيره واليه ماب مرجعي للجزا
لا الى غيره فلا معنى لانكاركم لان هذا هو القدر المتفق عليه بين الانبيا كلهم
فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى
لانكارهم المخالفة فيه وكذلك اي مثل ذلك الانزال المشتمل على اصول
الديانات المجمع عليها انزلناه اصل الكلام انزلناه هذا الانزال الذي بينا
هو دونه مشتملا على التوحيد والدعوة اليه فاوثر ذلك تفخيما وجي بالمثل
زيادة له ولامر ما اكثر في كتابه الكريم من ايراد هذا الاسلوب حكما
يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب
ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولين اتبعت اهواهم التي
يدعونك اليها من الامور الموافقة لدينهم وخصوصا الصلاة الى قبلتهم
بعد ما حولت عنه بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي

ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمومنين
على الثبات في الدين واللام في لين موطية للقسم وما لك جواب سد مسد
جواب الشرط ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك واللتنكير للتكثير
وجعلنا لهم فيه تغليب للاكثر على الاقل والا فمنهم من لا زوج له ولا ذرية كعيسى
عليه السلام ازواجا وذرية نسا واولادا كما هو لك كانوا يعيبونه عليه
السلام بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام
وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله
كذلك ذوي ازواج وذريات وما كان لرسول ما صح وما لم يكن في وسعه
ان ياتي باية مما اقترح عليه قومه ولا مما اقتضاه رايه الا باذن الله
فانه القادر على ذلك الحكيم الذي لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة لكل اجل
كتاب اي لكل وقت مدة حكم يكتب على العباد بحسب ما يقتضيه استصلاحهم
فان الشرايع مصالحهم وصلاح الاحوال والعباد والاستعدادات
تختلف في الاوقات والازمان فتختلف الشرايع بحسب ذلك يمحو الله
ما يشا ينسخ ما يكون الصلاح في نسخه ويثبت بدله ما هو صالح
او اصلح في وقت العبادة او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو سيات
التايب ويثبت بدلها الحسنات وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا
يتعلق به الجزا ويترك ما يتعلق به مثبتا وقيل يمحو قرنا ويثبت اخرين
وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكاينات وعنده ام الكتاب اي اصل كل
كتاب وهو اللوح المحفوظ اذ لا كاين الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض
الذي نعدهم او نتوفينك اي وكيف ما دارت الاحوال اريناك بعض ما
عدناهم من العذاب او لم نرك او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ فما
عليك الا التبليغ الوعيد بالعقوبة لا تعجيلها وعلينا الحساب لا عليك
حسابهم اي مجازاتهم على اعمالهم والانتقام منهم عند الوقت المحتوم ولما
نهاه عليه السلام عن الاهتمام بغير التبليغ والنصح لتاخر النصر
عقبه بالتسلية وطيب نفسه ونفس عنه بذكر طلايع ما وعد بقوله
اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه
على المسلمين منها فننقص من دار الحرب ونزيد في دار الاسلام والله
يحكم لا معقب لحكمه اعتراض لا محل لها او حال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول
جاني زيد لا عمامة على راسه اي حاسرا والمعقب الذي يكر على الشي
ويبطله وحقيقته الذي يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب
الحق معقب لانه يقفي غريمه بالتقاضي والطلب والمعنى لا راد لحكمه
ولا مبطل وقد حكم الاسلام بالظهور والاقبال وعلى الكفر بالتراجع والادبار
وذلك كاين لا يمكن لاحد تغييره وهذا من تباشيره وهو سريع الحساب

فيما قيل يحاسبهم في الاخرة ويجازيهم باشد العذاب بعد عذاب الدنيا
بالقتل والاجلا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمومنين منهم
فلله المكر جميعا جملة تعليلية اقيم مقام المحذوف وهو المعطوف على
ما ذكر قبلها تقديره ولا عبرة بمكرهم بالنسبة الى مكره كلا مكر عند مكره
تعالى لانه القادر على ايقاع المراد من المكر بهم دونهم فلا مكر الا مكره تعالى
لانه اذ اعلم كل ما كسبوا واعد لهم جزاوه فياتيهم به بغتة من حيث لا يعلمون
كان المكر له تعالى وسيعلم الكافر وحينئذ يعلم لمن عقبى الدار لمن حسن
العاقبة من الفريقين والسين لوجوب وقوع ذلك وعلمهم به حال وقوعه
واللام في لمن دلت على ان المراد بالعقبى المضاف الى الدار العاقبة المحمودة
وقرئ سيعلم الكفار اي اهله وسيعلم من اعلم اذا اخبره ويقول الذين كفروا
لست مرسلا قيل المراد بهم روسا اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
حيث اظهر من الدلايل الواضحة والحجج البينة على رسالته يغني عن شاهد
يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القران وما الف عليه
من النظم المعجز الغايب لقوى البشر والتورية والانجيل من علما الكتاب الذين
اسلموا كعبد الله بن سلام واضرابه لانهم يشهدون بنعته عليه السلام
في كتبهم وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق
العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم ويويد
قراة من قرا ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف لانه
معتمد على الموصول ومبتدا خبره الظرف وهو متعين على الثاني وقرئ
ومن عنده علم على الحرف وبنا الفعل للمفعول ورفع الكتاب والله اعلم بالصواب

سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك محمد على رسالتك باعجازه لتخرج
الناس كافة بدعايك اياهم الى الدين الحق من الظلمات من انواع الضلال
الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي
هو تسهيل الحجاب متعلق بتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط
العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف كانه قيل الى
اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضاف الصراط الى الله لانه مقصده
او المبين له وتخصيص الاسمين بالذكر يدل على انه يعز سالكه ويجعله حميدا
بكماله الله الذي له ما في السموات وما في الارض عطف بيان للعزيز الحميد
لانه يجري مجرى اسما الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود بالحق وقرئ
بالرفع على هو الله وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالويل وهو نقيض النجاة
واصله النصب لانه مصدر رفع عدل الى الرفع لافادة معنى الثبات كما

في

في سلام عليك واتصال قوله من عذاب شديد له بالمعنى المذكور ظاهر فلا حاجة
الى صرفه للتلفظ بكلمة التلهف من شدة العذاب الذين يستحبون الحيوة
الدنيا على الاخرة اي على الحياة الاخرة والاستحباب استفعال من المحبة لان
المختار للشي على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من الاخر وتعديته
بعلى لتضمنه معنى الايثار والاختيار ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس
عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب
وليس بفصيح كاوقفه لان في صده وقفه مندوحة عن تكلف التعدية
بالهمزة ويبغونها عوجا اصله يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل اي
يطلبون لها زيغا واعوجاجا بان يقولوا لمن يصدونه عنها انها سبيل ناكبة
عن الحق غير مستقيمة والموصول بصلته يحتمل النصب على الذم والرفع عليه
ولا يحتمل الجر صفة للكافرين لان فيه الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي
منهما وهو قوله من عذاب شديد لما عرفت ان اتصاله بالويل وعلى الرفع
يجوز ان يكون مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد عن طريق الحق اي ضلال
فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل مكانا بعيدا
والا فصيح ان وصف الضلال بالبعيد من باب الاسناد المجازي لان البعيد
في الحقيقة للضال المتباعد عن الطريق فوصف به فعله كقولهم جد جده
للمبالغة وتنكيره للتكثير وقد جعله ظرفا لهم دلالة على تمكنهم فيه تمكن المظروف
وتصويرا لاشتمال الضلال عليهم اشتمال المحيط على المحاط فيكون كناية
بالغة في اثبات الوصف المذكور لهم على الوجه الابلغ وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه بلغة قومه الذي بعث فيهم كانبيا بني اسرايل وارسل
اليهم كلوط ويونس عليهما السلام ومن قال الذي هو منهم وبعث فيهم لم يصب
وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع
كعمد وعمد ليبين لهم ما يدعوهم اليه فيفقهوه بسهولة ثم ينقلوه ويترجموه
لغيرهم فانهم احق برعاية حالهم سوا كان مبعوثا فيهم او مرسلا اليهم ومن
قال اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا
لم نفهم ما خوطبنا به فكانه غفل عن ان المحذور بعينه يتوجه لهم وايضا لغير
العرب من الامم ان يحتج بما ذكره على نبينا صلى الله عليه وسلم ولا جواب عنه الا
بما قلنا ولا دلالة في قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته
على ان يكون لهم مجال الاحتجاج بالوجه المذكور على تقدير نزوله بلغة اخرى
واما ما قيل ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك
بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم
الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس
من القرب المقتضية لجزيل الثواب فبناه المعقول عن ان ما ذكر من الفوايد

فرايت علي تقدير الترجمة من الرسول صلي الله عليه وسلم وقد عرفت ان مدار الكلام
وتمام المرام عليها علي تقدير عموم الرسالة وخصوص النزول فيضل الله من يشا
بالخذلان ويهدي من يشا بالتوفيق وفيه دفع ما سبق الي الوهم من البيان
البالغ في تسهيل الفهم ان يكون ذلك كافيا في تمام امر الهداية فينسك بان الضلالة
والهداية وفي الترتيب باداة التسبيب اشارة الي ان ما ذكر من الارسال مع كونه
علي وجه الكمال كان في حق قوم سببا للضلال وهو العزيز فلا يغلب علي
مشيته الحكيم فلا يهدي ولا يضل الا لحكمة ان اخرج قومك من الظلمات الي
النور ان مفسرة معناها اي لان في الرسالة معني القول اي ارسلناه وقلنا له
اخرج او مصدرية اي ارسلناه بان اخرج لان صيغ الافعال في الدلالة علي
المصدر سوا فيصح وصلها بالامر كوصلها بالخبر وان يوصل بها ان الناصبة
وذكرهم بايام الله بنعمايه وبلايه ذكره ابن عباس وهو الموافق لقوله تعالي
الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور والقران يفسر بعضه بعضا ان في ذلك لايات لكل صبار علي
بلاء الله تعالى شكور علي نعمايه فانه اذا سمع بما انزل الله تعالي علي الامم من
البلا وافاض عليهم من النعم اعتبر وتنبه علي ما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل
لكل مومن لان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وانما قدم الصبر علي
الشكر لانه اشق منه فهو بالاهتمام احق والعدول عن الصابر مع مناسبته
للشكور لانه في مقام الحث والتحريض بابلغ صيغتي المبالغة اليق واذ قال
موسي لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون احوال من ال
فرعون او من ضمير المخاطبين وعطف قوله ويذبحون علي يسومونكم
يفيد فايدة زايدة علي جعله تفسيرا له كما سبق في تفسير سورة البقرة
وهو ان العذاب جنس يتناول التذبيح والاستقبا والاستحيا والاستعمال
بالاعمال الشاقة فجعل التذبيح كانه جنس اخر براسه او في علي جنس العذاب
وزاد عليه بزيادة ظاهرة وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم وانما كان فعل ال
فرعون بلا من ربهم لان الله تعالي ابتلاهم بتمكينهم واقدارهم عليه وامهالهم
لهم فيه ويجوز ان تكون الاشارة الي الانجا لان البلا كما يكون بالنقمة
يكون بالنعمة قال الله تعالي وبلوناهم بالحسنات والسيات وهذا
انسب لقوله من ربكم وعلي الاول يكون عبارة الرب للاشارة الي ان
بلا المومن تربيته له واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسي عليه السلام
لقومه منصوب المحل بالعطف علي نعمة الله كانه قيل واذ قال موسي لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم لين شكرتم لا علي ارادة
القول علي معني تاذن ربكم فقال لعدم الحاجة الي التقدير بل علي اجرا
تاذن مجري قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال

ربكم

ربكم لين شكرتم وتاذن بمعني اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل
من معني التكلف والمبالغة لين شكرتم يا بني اسرايل ما خولتكم من نعمة الانجا
وغيرها بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الي نعمة ولين كفرتم غمطتم ما
انعمت به عليكم قد صرح الوعد علي الشكر بقوله لازيدنكم وعرض بالوعيد
علي الكفر حيث قال ان عذابي لشديد اي عسي عذابي ان ينالكم بالكفران
ومن عادة من هو اكرم الاكرمين التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد
وقال موسي ان تكفروا انتم يا بني اسرايل ومن في الارض من الثقلين جميعا
فان الله لغني عن شكركم وشكر كل شاكر وما ضررتم بكفرانكم الا انفسكم حيث
حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد حميد مستوجب
للحمد في ذاته محمود يحمده من في السموات من الملايكة بل كل ذرة من ذرات
المخلوقات الناطقة بنعمه وحمده الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود من جملة كلام موسي عليه السلام او ابتدا كلام من الله تعالي والهمزة في الم
للتقرير والتوبيخ والذين من بعدهم عطف علي قوم نوح وقوله لا يعلمهم الا الله
اعتراض ومبتدا خبره لا يعلمهم والجملة اعتراض والمعني انهم من الكثرة بحيث
لا يعلم عددهم الا الله كانه يقول دع التفصيل فانه لا مطمع في الحصر قيل
ولهذا كان ابن مسعود اذا قراها قال كذب النسابون اي في دعوي
علم الانساب لان الله تعالي قد نفي علمها عن العباد وفيه نظر لعدم الدلالة
فيه علي نفي علم جميع الانساب ولم يبعد احد من النسابين جاتهم رسلهم
بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اشاروا
بايديهم الي السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به علي زعمكم
اي هذا جوابنا لا غير اقناطا لهم من التصديق قيل عضوها غيظا وضجرا
مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها علي
افواههم ضحكا واستهزاء كمن غلب عليه الضحك فوضع يده علي فيه او اسكاتا
للانبيا عليهم السلام واشارة عليهم بالسكوت او ردوها في افواه الانبيا
عليهم السلام لذلك او وضعوها علي افواههم ولا يذرونهم يتكلمون او
الايدي جمع يد بمعني النعمة اي ردوا اياديهم من التوحيد والمعارف
والشرايع والنصايح التي هي اجل النعم في افواههم لانهم اذا لم يقبلوها وكذبوها
فكانهم ردوها الي حيث جاءت منه علي طريق التمثيل ولا يذهب عليك ان
الاول لا يطابق المقام فانه يحكي اول ما جاهم بالبينات الي اخر ما
ينتهي اليه حالهم وذلك يفيد التكرار وايضا الرد ينبي عن التكرار وليس
حاصل الرابع والخامس ما ذكرنا لنا لكن الرد لا يلايم الثالث والخامس والمعتاد
في الاسكات ما في الثالث لا ما في الخامس وللسادس غير ظاهر الدلالة لما
فيه من نوع تعقيد والايدي بهذا المعني قليلة الاستعمال وذكر الرد والافواه

يلايم الجارحة وانا لفي شك مما تدعوننا اليه التاكيد في انا وانا للاقساط
والمبالغة في الرد والتكذيب والمراد بما ارسلتم به الكتب والشرايع ومما
تدعوننا اليه التوحيد فترددهم في الثاني لا ينافي قطعهم في الاول مريب
موقع في الريبة او ذي ريبة من ارب الرجل اذا صار ذا ريبة وهي قلق
النفس وان لا يطمئن الى شي وعلى الثاني يكون وصف الشك به من باب
الاسناد المجازي قالت رسلهم افي الله اي في وحدانيته شك وفي حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيه على ان الله لا يكون الا واحدا
فالشك في وحدانيته شك في ذاته وشك مرتفع بالظرف وادخلت همزة
الانكار عليه مع تقدمه لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما
ندعوكم الى الايمان بالله ووحدانيته وهو لا يحتمل الشك لظهور الادلة
وشهادة وجود السموات والارض عليه ثم نبههم على الوصف الذي يقتضي
ان لا تقع فيه شك البتة بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة
ولا يضر الفصل بين الموصوف وصفته بمثل هذا المبتدا او بدل يدعوكم
الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم وفيه دلالة على ان الكافر مواخذ بكفره قبل
البعثة ففي قوله يدعوكم ليغفر لكم توطية لهذا التبعيض على تقدير تقدير
معناه وعلى تقدير ان يكون المعنى يدعوكم الى المغفرة على اقامة المفعول
مقام المفعول به كما في قولك دعوتك لتنصرني تفوت هذه التوطية وتلك
الدلالة وقيل في وجه التبعيض ان المغفور قطعا ما فعلوه حالة الكفر واما
ما فعلوه بعد الاسلام فهو بحاله وما اخذ هذين الوجهين يظهر السر في
زيادة من في خطاب الكفرة دون المومنين في مواضع من القران وفي الاخر
فايدة اخرى وهو ابقاء البعض على الاحتمال لئلا يتكلموا على الايمان
وحده وهذا معنى حسن واما ما قيل انه اريد به انه يغفر لهم ما بينهم
وبين الله تعالى لان الاسلام يجبه دون المظالم فلا يصح وجها للتخصيص
لاشتراك الفريقين فيه والتوجيه بان المغفرة حيث جاءت في خطاب
الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المومنين مشفوعة
بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم
منظور فيه لان تمام التقريب فيه على تقدير ان يكون معنى قوله مرتبة
على الايمان مرتبة عليه وحده وحينئذ يتجه النقض بقوله تعالى
قال يا قوم اني لكم منه نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر
لكم من ذنوبكم ثم ان منشاه ومنشا ما قدمه في دعوى الاقراد في زيادة
من خطاب الكفرة المنقول عن قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف ومن قال في تفسير سورة الانفال ان الحربي اذا اسلم لم
يبق عليه شي تبعة قط ثم جوز ان يكون ههنا التبعيض لاخراج المظالم

عن حيز الارادة فقد غفل عما قدمه ويوخركم الى اجل مسمى قد سماه الله
تعالى وبين مقداره وقضى ان يبلغكم اليه ان امنتم والا عاجلكم بالاهلاك
قبل ذلك الوقت قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون
بالنبوة دوننا ولو شا الله تعالى ان يبعث الى البشر لبعث من جنس هو
افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباونا بهذه الدعوى فاتونا
سلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم بهذه المزية او على
صحة دعواكم وقد جاءت رسلهم بالبينات والحجج فلم يعتنوا بها مكابرة
وعنادا واقترحوا عليهم غيرها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن
الا بشر مثلكم تسليم للمماثلة في البشرية ولكن الله يمن على من يشا
من عباده اثبات للمزية بمحض الامتنان والعناية لا الفضل لهم يقتضي
ذلك تواضعا منهم وهضما لانفسهم فلا دلالة فيه على عدم التفاوت
بين افراد البشر في الاستعداد والاستحقاق للرسالة وقد دل قوله
تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته على التفاوت فيه ولا يجاب بحسبه حتى
يبنا في الاختيار وما كان ما صح لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله
الا بتيسيره اي ليس لنا الاتيان بما اقترحتموه انما هو امر متعلق بمشية
الله تعالى فيختص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل المومنون تعميم
قصدوا به تخصيص انفسهم على وجه الاولوية والاولوية واشعارا بان
قضية الايمان وجوب التوكل على الله تعالى فامر المومنين كلهم به والمراد
امرهم انفسهم وفيه نزول عن تحزنهم وتواضع وهضم لانفسهم حيث نزلوا
الى مراتب المومنين ومبالغة في وجوبه عليهم كانهم قالوا ومن حقنا ان
نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم فان ذلك حق كل مومن
فكيف بالانبيا الا ترى الى قولهم وما لنا ان لا نتوكل على الله اي واي عذر لنا
في الا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو
التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين حتى عرفه
وعلم ان الامر كله بيده ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب قسم محذوف
اكدوا به توكلهم على الله تعالى فيما يجري عليهم من ايذا الكفار وعدم مبالاتهم
به على سبيل الاعتراض وعلى الله فليتوكل المتوكلون تكرير للامر بالتوكل
للتاكيد ووجوب الثبات عليه بعد استحداثه والفا السببية في المومنون
لانه مسبب عن الايمان وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا حلفوا ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من دياركم
واما عودكم في ملتهم وقد مر في تفسير سورة الاعراف ما يتعلق بها فاوحى
اليهم ربهم اي الى الرسل عليهم السلام لنهلكن الظالمين اجرى الايحا مجرى
القول لانه ضرب منه فلا حاجة الى اضمار القول وقرى ليهلكن ولنسكننكم

الارض اي ارضهم وديارهم باليا اعتبارا لا لوحي كقوله اقسم زيد ليخرجن من بعدهم
من بعد اهلاكهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اذى جاره ورثه الله داره ذلك
اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك
الامر حق لمن خاف مقامي اي موقفي الذي يوقف فيه العباد للحساب يوم
القيامة لانه موقف الله تعالى او قيامي عليه وحفظي لاعماله او على اقحام
المقام وخاف وعيد وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار
واستفتحوا وطلبوا الفتح واستنصروا الله على اعدائهم او سالوا القضا
بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وهو معطوف على واوحى اليهم ربهم وقرئ واستفتحوا على لفظ الامر
عطفا على لنهلكن اي واوحى اليهم ربهم وقال لهم استفتحوا والضمير للانبيا
عليهم السلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك
المبطل وخاب كل جبار عنيد منهم اي من المستفتحين معطوف على محذوف
وتقديره فنصر لهم فافلح المومنون وخاب كل جبار عنيد متكبر على الله تعالى
معاند للحق فلم يفلح والخيبة اخلاف ما قدرته من المنفعة ومقابله النجاح
وهو ادراك الطلبة والعنيد هو المعاند الا ان فيه مبالغة والعناد الا
متناع من الحق مع العلم ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من
القبيلتين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه وهو واقف عليه
قال الزجاج الورا ما توارى عنك ولهذا قد يطلق على الخلف كما في قوله
قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فان ما ورائي من لا يتركني
ورائي وقد يطلق على القدام كما في قوله

ا يرجو بني مروان سمعي وطاعتي ۞ وقومي تميم والفلاة ورائيا

وليس من الاضداد ويسقى معطوف على محذوف تقديره يدخلها ويسقى
من ماء التنكير للتنويع اي نوع من الما غير معهود سقيه قال مجاهد وغيره
هو ما يسيل من اجساد اهل النار صديد هو قيح اي دم مختلط بمدة
يسيل من الجرح عطف بيان لما فابهمه ابهاما ثم بينه بصديد وخصه
من بين انواع العذاب بالذكر ايذانا بانه اشد عذابها ولشدته قال
يتجرعه ولا يكاد يسيغه للمبالغة اي تكليف جرعه ولا يقارب ان يسيغه
فكيف بالاساغة بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على
الحلق بسهولة وقبول نفس والتجرع تناوله جرعة جرعة على الاستمرار
ويلزمه التكلف فيه وما جا في الحديث بانه يشربه محمول على ذلك وقوله
يتجرعه صفة الما وحال من الضمير في يسقى ويأتيه الموت اي اسبابه مع
الشدائد من كل مكان فيحيط به من جميع الجهات فيه اطلاق المكان على الجهة

تنصيصا

تنصيصا على ان المراد اسباب العذاب الجسماني لا اسباب العذاب الروحاني وذلك
لان الجهة قد توسع فيها توسعا شايعا بخلاف المكان وقيل من كل مكان في جسده
حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اي ليس ممن فاته الحس والشعور
حتى لا يتالم والتجوز عنه بالميت سايغ شايع في كلام الفصحا وقد حسن ههنا
موقعه لما في ظاهره من الابهام الى ان موجب ما ذكر من مجيء اسباب الموت من
جميع الجهات هو ان يكون ميتا ومن حمل الميت على حقيقته فقد نزل الكلام
عن منزلته والمناسب لارادة الحقيقة ايراده بصيغة المضارع كما ورد في
قوله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ في
كل وقت يستقبله اي يتلقى عذابا اغلظ مما كان قبله ففيه دفع ما يسبق الى الوهم
من ان يخفف عذابهم بالاعتياد كما هو المعهود من عذاب اهل الدنيا مثل الذين كفروا
بربهم مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة
اعمالهم كرماد جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل على تقدير مثل اعما
لهم والخبر كرماد ويجوز ان يكون الخبر هذه الجملة كما ذكر في قوله مثل الجنة اي صفة الذين
كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول اي هذا الكلام
اشتدت به الريح اي حملته واسرعت في الذهاب به الاشتداد الاسراع بالحركة
على عظم الخطوة ومنه اشتد به الوجع لانه اسرع اليه على قوة الم في يوم عاصف
العصف شدة الريح وصف به زمانه للمبالغة كقوله نهاره صايم وليله قايم شبه
مكارمهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفدا الاسارى واكرام الضيفان واغاثة
الملهوفين والاجارة وامثالها في حبوطها وكونها هبا منثورا لعدم ابتنايها على
اعتقاد صحيح من المعرفة والتوحيد والايمان بالله تعالى وبرسوله عليه السلام
وباليوم الاخر برماد تعصفها الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما
كسبوا باعمالهم على شي التنكير للتقليل والتعبير بالشي للتعميم اي لا يترتب عليه اثر من
الثواب وتخفيف العذاب لحبوطه وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم وهو
ابتنا اعمالهم على الشرك والتفاخر والريا هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب
او عن الثواب والخلاص عن العقاب الم تر خطاب لكل واحد من الكفرة على التلوين
لقوله تعالى ان يشا يذهبكم او لكل مخاطب على العموم وفيه تعجيب ان الله خلق
السموات والارض بالحق بالحكمة وما يجب ويحق ان يكون الامر عليه ان يشا يذ
هبكم ويات بخلق جديد اي من هو قادر على خلق السموات والارض فهو قادر
على ان يعدمكم ويخلق مكانكم خلقا اخر ولم يبق فعل الا على مشيته فان القدرة
على خلق الاصول وما يتوقف عليه خلقهم ثم تغيير الطبايع وتكوينهم منها
وتصويرهم دليل قاطع على ان اعدامهم وانشا خلق اخر غير ممتنع عليه ولذلك
عقبه بقوله وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر بل هو هين عليه
يسير لانه كان حقيقا بان يتقى ويخاف ويرجى ولا يعبد الا هو وحده وبرزوا لله

جميعًا اي يبرزون لله تعالى يوم القيامة من قبورهم لحساب الله تعالى يوم القيامة من قبورهم لحساب الله تعالى يوم القيامة من قبورهم لحساب الله تعالى وحكمه او يظهرون لله تعالى باعمالهم وما كسبوا على خلاف ما حسبوا لانهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ظنا منهم ان ذلك خاف على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشف غطاؤهم وعلموا ان لا يخفى على الله تعالى منهم شيء في الارض ولا في السما ولا يتوارى عنه متوار حتى زادت الهيبة فذلك بروزهم عند انفسهم بعد ما اعتقدوا اخلافه كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد لانهم كانوا خافين عليه فبرزوا في ذلك اليوم اذ لا يخفى عليه خافية ما وانما ابرز يبرزون في صيغة برزوا لتحقق وقوعه كانه قد وقع واخبر عنه فقال الضعفا والاتباع والعوام جمع ضعيف قيل يريد به ضعاف الرأي ولا دلالة عليه في الكلام ولا هو مما يقتضيه المقام وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعًا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كخدم وخادم او مصدر نعت به للمبالغة او اضمار المضاف في مثل هذا لا يناسب البلاغة والظاهر ان هذه المحاورة كمحاورة آل فرعون المذكورة في قوله تعالى وان يتحاجون في النار فيقول الضعفا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعًا الخ في النار لا في المحشر فترتب قوله فقال على المحذوف لا على المذكور فهل انتم مغنون عنا استفهام معناه توبيخهم اياهم وتقريعهم وقد علموا انهم لن يغنوا شيئا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض اي بعض شيء هو عذاب الله وتقديره بعض شيء كائنا بعض عذاب الله فيكون الاعذاب بحالة اوالاولى مفعول والثانية مصدر اي بعض العذاب بعض الغنا قالوا اي المستكبرون لما بكتهم اتباعهم بما ذكر وعلموا انهم لا يقدرون على شيء من الاغنا عنهم اجابوهم معتذرين اليهم عما كان منهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللنا اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دونا سبيل الخلاص سوا علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان عندنا الجزع والصبر الهمزة وام لتاكيد التسوية كما في قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم ولما كان عتاب الاتباع جزعا عامًا فيه قالوا لهم ماهذه الجزع انا مشتركون في العذاب كما كنا مشتركين في الضلالة ولا ينفعنا الجزع كما لا ينفعنا الصبر والجزع ازعاج النفس بورود ما يغم ونقيضه الصبر قال الشاعر

فان تصبروا فالصبر خير مغبة ۞ وان تجزعوا فالامر ما تريان

ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيث والمشيب وقال الشيطان خطيبا في الاشقيا من الثقلين لما قضي الامر قطع وفرغ منه

وهو

وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ان الله وعدكم وعد الحق وعدا حقا لا خلف فيه فوفى لكم وانجزه وهو البعث والجزا ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلاف ظاهرما وعدهم اخلافا فحذف من الجملة الاولى ما اثبت مقابله في الجملة الثانية ومن الثانية ما اثبت مقابله في الاولى وهذا من لطايف الايجاز التي بها يرتقي الكلام الى ذروة الاعجاز وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فالجيكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتسويلي وهذا الاستثنا على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع لان الدعا ليس من جنس السلطان بل الحرا ونفي السلطان على اكد الوجوه كانه قال ان كان مجرد الدعا سلطانا كان لي عليكم سلطان فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي واضلالي وقرئ فلا يلوموني على طريقة الالتفات نحو كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بمجرد دعائي بلا حجة ودليل فاطعتموني ولم تطيعوا ربكم اذا دعاكم بالحجج والبينات لم يرد انه لا يستحق الملامة بل يقول لومكم انفسكم اولى بكم اذ انتم اهلكتم انفسكم باجابتكم لي طوعا ولا دلالة فيه على استقلال العبد في افعاله ان يكفي في استحقاق الملامة ان يكون لقدرته الكاسبة مدخل فيه ومن قال هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله تعالى الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فقد خلط في كلامه وخبط في تمشية مرامه فان ما ذكر ولا يساعده الشيطان ايضا وقد نبهت فيما سبق على انه لا دلالة في كلامه عليه وما ذكره اخيرا انما يتجه على الجبرية لا على اهل الحق القائلين لا جبر ولا تفويض بل امر بين ذلك ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي منه وقرئ بكسر اليا وقد طعن ناس فيه ولا ينبغي ان يلتفت اليه لانها قراءة متواترة نقلها السلف واقتفى آثارهم الخلف وقد نص قطرب على انه لغة بني يربوع اني كفرت بما اشركتموني من قبل ما مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي بالله من قبل هذا اليوم في الدنيا يعني برأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة ومن قبل متعلق بكفرت وما هي كالتي في قوله سبحان ما سخركن لنا اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم فيما دعوتكم اليه من عبادتكم الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين ابيت السجود لآدم واشرك منقول من شركة زيدا للتعدية الى مفعول ثالث ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتدا كلام من الله تعالى وفي حكاية قول ابليس في ذلك الوقت ايقاظ للسامعين وتنبيه لهم على ما سيؤول

اليه امرهم ليحترزوا اليوم عن مكايده ويتعوذوا بالله من تسويلاته ويخلصوا اعمالهم فيتخلصوا عن تسليطه وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم متعلق بادخلوا اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله تعالى وامره او بخالدين وهذا متعين على قراءة وادخل على المتكلم وقد مر في سورة التوبة ما يتعلق بخالدين تحيتهم فيها سلام اي تحية بعضهم بعضا قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه يحيي في الجنة سلام واما تحية الملائكة فلا يناسبها التقييد بقوله فيها لوقوعها من خزنة الجنة وهم من الملائكة قبل الدخول فيها قال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الم تر كيف ضرب الله مثلا قد تقدم الكلام فيه في اوائل سورة البقرة كلمة طيبة كشجرة طيبة صفة لها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة او منصوب بفعل مقدر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة والجملة مفسرة لقوله ضرب الله مثلا او اول مفعولي ضرب ومثلا ثانيهما اجرا لضرب مجرى جعل وقرئ كلمة بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها اي اعلاها وراسها او فروعها اي افنانها على الاكتفاء بالجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة في السماء اي صاعد في جهة العلو وحذف من الجملة الاولى ما اثبت مقابله في الجملة الثانية ومن الثانية ما اثبت مقابله في الاولى وعبارة في ابلغ من الى اذا اريد المبالغة في الارتفاع وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى لان المخبر عنه بالاصالة هو الاصل لا الشجرة واذا اجريت الصفة على الشجرة كان القصد الى ثبوت الشجرة باصلها فلم تعوقونا حيث كانت جملة واقعة صفتها ولكن على الثاني هو جار على ما هو له فهو اقوى في اثبات ما هو له وهو ظاهر اذا كان المقصود اثبات الوصف على سبيل القوة كما نحن فيه تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين كل وقت قد ورد في الخبر عن خير البشر ان المراد من الشجرة هي النخلة اكلها الطلع والبسر والرطب والتمر فهو دائم لا ينقطع وكذا حال المؤمن لا يخلوا وقتا من الاوقات من خير ومن لم يتنبه لهذا قال كل وقت وقتته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها ومدبرها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتصوير للمعاني في صور مشاهدة وادنا للمعقول من المحسوس ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها اجتثت استؤصلت والاجتثاث اخذ الجثة بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار وثبات اختلفت كلماتهم في الكلمة فسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق والاولى ان يفسر كل منهما بما يعم الكل فيتناول الكلمة

الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وقد مر تفسير الشجرة الطيبة وفسرت الشجرة الخبيثة بالحنظلة يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت اي الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم واعتقدوه واعتقادا يمتنع زواله في الحياة الدنيا وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في الدين لم يزلوا كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة وتثبيتهم فيها انهم اذا سألوا عن معتقدهم في الموقف لم يتلعثموا ولم يدهشهم اهوال القيامة وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وورد فيه الخبر المرفوع ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض بالهداية واذلال آخرين بالاضلال من غير اعتراض عليه الم تر الم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس نعمة الله كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر واحلوا قومهم الذين تابعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسرة لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار المخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس القرار اي هي جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضلوا بفتح الياء جعل الضلال والاضلال غرضهم من اتخاذ الانداد على سبيل التشبيه والتقريب لانه لازمه ونتيجته كالاكرام الذي هو نتيجة المجيء في قولك جئتك لتكرمني فادخل عليه اللام وان لم يكن غرضا في الحقيقة قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفيه تهديد بليغ جعل انهماكهم في الشهوات وتهالكهم في الشرك واللذات كامتثال مأمور مطيع لامر آمر مطاع لا يسعه ان يخالفه ولا يملك لنفسه امرا دونه لانغماسهم في التمتع بها وانجذابهم اليها بحيث لا يعرفون غيره ولا يريدون سواه ولا يرفعون راسا الى ما عداه فقيل تمتعوا على لفظ الامر وفي قوله فان مصيركم الى النار ايذان بان المهدد به كالمطلوب لهم حتى جعل المتهدد عليه المستلزم له كالمطلوب منهم لجدهم فيه فكانه قيل جدوا ولا تقصروا فيه فانكم ان دمتم عليه فان مطلوبكم حاصل ولا يخفى ما فيه من التهكم مع شدة الوعيد قل لعبادي الذين آمنوا تخصيصهم بالاضافة الى نفسه تنويه لهم وتنبيه على انهم القائمون بحقوق العبودية ولهذا رتب اقامتهم الصلاة وانفاقهم على الامر جوابا له فقال يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم ايذانا بان فعلهم لا ينفك عن امر الرسول

صلي الله عليه وسلم لفرط مطاوعتهم له وتحقق عبوديتهم لله تعالى وانه كالسبب
الموجب لفعلهم ومفعول قل محذوف دل عليه جوابه اي قل لعبادي اقيموا الصلاة
وانفقوا وقيل المقول يقيموا وينفقوا وانما جاز حذف لام الامر لدلالة الامر عليه
سرا وعلانية نصبا على الحال اي ذوي سر وعلانية يعني مسرين ومعلنين او على
الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وعلانية والاحب
في الانفاق اخفاء المتطوع به والاعلان بالواجب من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
فيبتاع المقصر ما يتدارك تقصيره او يفتدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع
له خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ومخالة وانما ينتفع فيه
بالانفاق لوجه الله تعالى وقرئ بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق
السموات والارض مبتدا وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به اي بالماء الفاء
لتسبب الاخراج بالانزال من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم و
الملبوس مفعول لاخراج ومن الثمرات بيان له حال منه او بالعكس ويجوز ان يكون
رزقا نصبا على المصدر من اخراج لانه في معنى رزق او على المفعول له
وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار
بجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل لتسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها
وقوله بامره متعلق بالمعطوفين لكن قيل في قوله تعالى لم تكن امنت من قبل
او كسبت وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما واصلاح
ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم
ذكر انواع النعم وابرز كلا منها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على عظم
مكانها واتاكم من كل ما سالتموه من كل شيء سالتموه بلسان الحال والاحتياج
ليصلح به معاشكم ومعادكم ان من لابتداء الغاية ويجوز ان يكون السؤال على
ظاهره على ان عبارة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تعالى فتحنا
عليهم ابواب كل شيء وحمل على من للتبعيض يفضي الى اخلال لفظ كل عن فائدة زائدة
لان ما يفي في العموم بل يوهم ايتاء البعض من كل فرد يتعلق به السؤال ولا وجه
له ومن قال في تفسيره حينئذ يعني من كل شيء سالتموه شيئا فان الموجد من كل
صنف بعض ما قدره الله تعالى فقد ابى في تعليله ما لا يناسب المعلل لان الكلام
في ان المحصول بعض المسؤول فكونه بعض المقدور لا يجدي نفعا في بيانه
وقرئ من كل بالتنوين وما في محل النصب بالمفعولية او نافية وفي محل ما
سالتموه نصب على الحال اي اتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها لا تستوفوا عدها كما قال من احصاها دخل الجنة يعني انها غير قابلة
للاحصاء لعدم تناهيها فان نعمة النفع وان كانت افرادها متناهية لدخولها تحت الوجود وكذا نعمة الدفع اي دفع المضرة ماليا كان او بدنيا
ولكن نعمة الرفع غير متناهية ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال

شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان باستعمالها الا فيما ينبغي ولا فيما يبتغي
به وجه الله تعالى كفار شديد الكفران لها وقيل لظلوم في الشدة يشكو ويجزع
كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة امنا ذا
امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا انه سال ثمة ان
يجعله من جملة البلاد الامن اهلها وههنا ان يزيل الخوف عنه ويجعله ذا
امن وذلك لان محط الفائدة هو المفعول الثاني الكائن بمنزلة الخبر واجنبني
وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ
واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره رب انهن
اضللن كثيرا من الناس فلذلك سالتك ان تعصمني وبني واسناد الاضلال
الى الاصنام مجازي لانهن السبب في ضلالهم كقوله عزتهم الحياة الدنيا ولما
توجه ان يقال تخصيص طلب العصمة عن الضلال تدارك دفع هذا السؤال
بقوله فمن تبعني بالسلوك في الصراط المستقيم والتمسك بالدين القويم
فانه مني اي بمنزلة بعضي فيشمله طلبي للعصمة فكانه قال ولا اخص
طلب العصمة بهم لان من تبعني فهو في حكمهم بحكم ان النبي ابو امته فالفاء
التعليلية للعطف على محذوف يقتضيه المقام ويستدعي تقديره انتظام
الكلام فانظر الى حسن نظم هذا المقام ولطف طلب الاجمال لسائر الاشياع
وعامة الال بقوله ومن عصاني فيه طباق معنوي لان التبعية طاعة
فانك غفور تستر عليه ذنبه رحيم تمهله فلا تعاجله بالعذاب وهذا
على وفق ما اخبر به تعالى بقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم فلا دلالة فيه على ان الله تعالى ان يغفر الشرك كما زعمه من قال
في تفسيره بعد ان يغفر له ويرحمه ابتداء او بعد التوفيق وفيه دليل
على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين
غيره ثم انه لم يرد انه بالتردد بين المذكور فقد هدم مبنى تلك الدلالة
ربنا كرر النداء رغبة في الاجابة واظهار التذلل واتى بضمير الجماعة لانه
تقدم ذكره وذكر بنيه اني اسكنت من ذريتي بعض اولادي وهم اسماعيل
عليه السلام واولاده فانه اسكانهم متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع
يعني وادي مكة شرفها الله تعالى لانها حجرية لا تنبت والوادي سفح
الجبل ومن ذلك قيل للانهار العظام اودية لان حافاتها كالجبال لها والزرع
كل نبات يتفرش من غير ساق عند بيتك المحرم هو الكعبة شرفها الله تعالى
والاضافة اليه تعالى للتشريف وتوصيفه بالمحرم لانه تعالى حرم التعرض
له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه قوله بواد غير ذي زرع
اخبار من صرف توكله وصدق تفويضه وقوله عند بيتك بيان انه
راعى الرفق في الجوار لا في المباد ربنا ليقيموا الصلاة اللام بمعنى كي متعلقة

باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم
وقيل هي لام الامر والمراد هو الدعا لهم باقامة الصلاة كانه لما اسكنهم هناك طلب منهم
اقامة الصلوة وسال الله تعالي ان يوفقهم لها وتكرر النداو توسيطه للاشعار
بانها المقصود بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعا توفيقهم لها
فاجعل افيدة ذوي افيدة من الناس من للتبعيض قيل لو لم يقل لازدحموا عليه
فارس والروم والترك والهند ولا بتدا الغاية كقولك القلب مني سقيم وقري
افدة وهي مقلوب افيدة كادر في ادور واما اسم فاعل من افدت الرحلة اذا
عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وقري افيدة اما تانيث افد بوزن خشن،
واما تخفيف افدة بطرح الهمزة وان كان الوجه اخراجها بين بين تهوي اليهم
تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا واصل الهوي ان يكون من علو السرعة وقري
تهوي علي البنا للمفعول من هوي اليه واهواه غيره وتهوي اليهم من
هوي يهوي اذا الحب ضمن معني تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات
مع اسكانهم في واد لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله
تعالي دعوته فجعله حرما امنا يجبي اليه ثمرات كل شي ويجلب اليه من
كل ناحية حتي يجتمع فيه البواكير والفواكه الربيعية والصيفية والخريفية
في يوم واحد ربنا كرره تضرعا والتجا الي الله تعالي واظهارا للافتقار اليه
واستلذاذا وذوقا من مناجاته انك تعلم ما نخفي وما نعلن قدم ما
نخفي علي ما نعلن تفاديا عن اسلوب الترقي لان مبناه علي التفاوت في
علمهما وهو منتف في حق الخالق اي تعلم السر كما تعلم العلن لا تفاوت بينهما
في علمك فانت اعلم باحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا منا فلا حاجة بنا الي السوال
ولكنا ندعوك اظهارا للعبودية والتذلل والتخشع لك وامتثالا لامرك وبه
وافتقارا اليك والي رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد
الفرقة وما نعلن من البكا والدعا وما يخفي علي الله من شي الظاهر انه
من كلام ابراهيم عليه السلام علي طريقة الالتفات تاكيدا لقوله وتبيينا
له بالبرهان وتعظيما لله تعالي باظهار اسمه وتقريرا للحكم كانه قال
وكيف لا تعلم وانت الله والله هو العالم بالغيب كله لا يخفي عليه خافية
ومن للاستغراق وان جعل من كلام الله تعالي كان تصديقا منه لابرهيم
عليه السلام علي طريقة الاعتراض بين حكاية قوله كقوله تعالي وكذلك
يفعلون في الارض ولا في السما عبر عن العالم بقطريه الحمد لله الذي
وهب لي علي الكبر في موضع الحال اي وهب لي وانا كبير يعني كانت
الهبة في حال الشيخوخة وبعدا ستمرارك عليها فللدلالة علي ان هبة
الولد له لم تكن في ابتدا دخوله في سن الشيخوخة بل كانت بعد ما
استمر برهة من الزمان عليها التي يلفظه علي روي عن سعيد ابن جبير

رضي الله عنه انه لم يولد لابراهيم الا بعد ماية وسبع عشرة سنة وتقييد الهبة بحال
الكبر استعظام للنعمة واظهار للقدرة وشكر لما هو فيه من المنة فان الظفر بالحاجة
عند وقوع الياس اعظم واجل ولانها في ذلك كانت اية بينة له عليه السلام اسمعيل
واسحق كان اسماعيل عليه السلام اكبر من اسحاق عليه السلام فلهذا قدمه عليه
ان ربي لسميع الدعا لمجيبه من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به؛
وقبله ومنه سمع الله لمن حمده كان عليه السلام قد دعا ربه وساله الولد فقال
رب هب لي من الصالحين فهو من تتمة الشكر حمد الله تعالي علي موهبة الولد،
وراي المنة عليه في قبول دعايه السابق فوقع قوله الحمد لله وتذييله موقع
الاعتراض تاكيدا لما قدمه من الطلب بتذكير ما عهد من الاجابة بتوسل اليه
تعالي سابق نعمته في شانه والسميع من ابنية المبالغة مضاف الي مفعوله
معملا عمل فعله كقولهم هذا ضراب اخاه ويجوز ان يكون من اضافة الصفة الي فاعله
علي ان يجعل دعا الله سميعا مجازا عقليا والمراد سماع الله تعالي رب اجعلني مقيم
الصلاة معدلا لها متواظبا عليها ومن ذريتي عطف علي المصوب في اجعلني
اي بعض ذريتي وانما بعضها لانه عليه السلام علم باعلام الله تعالي اياه ان في
ذريته كفارا وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين ربنا تكرير النداء في قلا
يمنع عطف قوله وتقبل دعاي واستجب دعاي او تقبل عبادتي ربنا اغفر
لي ولوالدي ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقري ولولدي يعني اسماعيل و
اسحاق عليهما السلام وللمومنين دعا بالمغفرة لجميع المومنين وتدخل فيه هذه
الامة فهو قد دعا لنا ونحن ندعو له في الصلاة بامر الله تعالي اجابة لدعايه
واجعل لي لسان صدق في الاخرين يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار من
قيام القايم علي الرجل كقولهم قامت الحرب علي ساق او مسند الي الحساب اسنادا
مجازيا لاهله لا علي حذف المضاف فانه حينيذ يكون الاسناد حقيقيا والكلام نازلا
عن منزلته في الاو يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا فقد
خلط بين الاسنادين وخبط ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب
لرسول الله صلي الله عليه وسلم والمراد النهي عن لازم الحسبان المذكور بطريق الكناية
اي لا تحزن بما عملوا فانه تعالي مطلع علي احوالهم واعمالهم لا يخفي عليه شي من ذلك
وان تاخير العذاب عنهم لتشديده عليهم في العقبي فهو امهال لا اهمال او للاحد
ممن يستعجل عذاب الظالمين او يتوهم اهمالهم بانه يجب ان يعلمه تعالي رقيبا عليهم
فليتسلي الاول ولعلا يظلم الثاني ولا يحزن ان ظلم فانه المجازي والمنتقم المنتصف من
الظالم للمظلوم ولهذا قال ابن عيينة انه تسلية المظلوم وتهديد للظالم انما
يوخرهم امهالا للتاخير اليهم والموخر عذابهم علي سبيل المجاز اما علي انهم يو
من شدة العذاب في ذلك اليوم يكونون بحيث يظن من راهم انهم عذاب
مجسم ليوم تشخص فيه الابصار اي تبقي مفتوحة لا تنطبق لعظم هول ذلك

اليوم ولا اختصاص لتلك الحالة بهم ولهذا اطلق الابصار ولم يضفها اليهم كما اضاف
اليهم في قرائنها وهذا ابلغ في التهويل فمن وهم ان المعنى تشخص ابصارهم فقد وهم
ثم انه لم يصب في تفسير الشخوص بتقدم القرار قال الجوهري يقال شخص بصره فهو
شاخص اذا فتح عينيه وجعل لا يطرف مهطعين يقال هطع الرجل اذا اقبل ببصره
على الشيء لا يقلع عنه وبه فسر ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال المهطع الدايم
النظر لا يطرف وهو المناسب لسياق الكلام ولحاقه بخلاف تفسيره بالمسرع كما لا
يخفى مقنعي رؤوسهم اقناع الراس رفعه اي رافعيها حتى لا يبصروا مواضع اقدامهم
لا يرتد اليهم طرفهم اي تبقى اعينهم ممدودة نحو الهول مفتوحة لا تطرف اي
لا تتحرك اجفانهم او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم ولا يخفى ان هذا يغني
عن اضافة الابصار اليهم في وصفهم بالشخوص وانما وحد الطرف لانه
في الاصل مصدر وافئدتهم هواء خلاء وصف القلوب بالهوى مبالغة في الخلو
عن الفهم والعقل لفرط الحيرة والدهشة كانها نفس الخلاء ومنه يقال
للاحمق والجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة فالتجوز فيه عقلي كما في
رجل عدل لا لغوي كما زعمه من فسره بالخالية فاخلاه عن تلك المبالغة ونزل
الكلام عن المنزلة العالية وقيل معناه منخرقة لا تعي شيئا للخوف والفزع الذي
دخلها فهي كهواء الجو في الانخراق وبطلان الامساك وانذر الناس خطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم يوم ياتيهم العذاب يعني يوم القيامة او وقت
الموت فانه اول اوقات عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا
بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اي ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد
وحد من الزمان قريب او اخر اجالنا مقدار ما نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة
دعوتك واتباع رسلك فقوله نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر
ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا
اقسمتم من قبل على ارادة القول وجواب القسم ما لكم من زوال واقسامهم على
انتفاء الزوال عن الدنيا اما لغاية الغفلة والانهماك في الجهل وغلبة البطر والاشر
واما بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا كانهم قسموا على انهم خا
لدون فيها وانما قيل ما لكم على المطابقة لاقسمتم ولو حكي قول المقسمين
لقيل ما لنا من زوال اي اقسمتم انكم لا تزالون عن الدنيا وقيل معناه لا تنتقلون
الى دار اخرى لقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من
يموت اي اقسمتم على انكار البعث وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي كعاد وثمود سايرين بسيرهم واصل سكن ان يعدى بفي كقر
وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء والتوطن فيجري مجراه كقولك اسكنت
وزوجك الجنة والسكنى سكون خاص فترك على الاصل ويجوز ان يكون بمعنى
السكون اي لبثتم فيها واقمتم وتبين لكم كيف فعلنا بهم بمشاهدة اثار

ما نزل

ما نزل بهم في مساكنهم وتواتر اخبارهم فلم تعتبروا ولم ترتدعوا ولم تحدثوا انفسكم
بما لقوا من عذاب الله وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوه وفعل بهم التي
صارت امثالا سايرة بين الناس في غاية الغرابة مضروبة لكل ظالم وبينا انكم
مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب وقد مكروا مكرهم الذي استفرغوا فيه
جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وهو المكر المخصوص بهم لتبين لاحد مكر في
قوته وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو العذاب الذي ياتيهم بغتة
من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون لاستحقاقهم ذلك بمكرهم وان كان
مكرهم لتزول منه الجبال زوال الجبال مثل لتعاظم مكرهم وشدته اي
وان كان مكرهم وشدته وعظمته مسوى معدا لزوال الجبال منه كما تقول
اذا اعظمت الشيء وصفته بمثله قال الشاعر

لما اتى خبر الزبير تضعضعت ۝ سور المدينة والجبال الخشع

اي وان عظم مكرهم فعند الله المكر الذي يبطله والمكر الاول مضاف الى
الفاعل والثاني مضاف الى المفعول ويجوز ان يكون الثاني ايضا مضافا
الى الفاعل اي وعند الله مكرهم الذي يمكرون الرسل به يعني مكتوب عنده
فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه وان كان مكرهم نافية واللام لتاكيد
النفي كقوله وما كان الله ليعذبهم وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم
مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرايعه
وقرئ بالفتح والرفع على انها الفارقة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح
والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم والجمهور على
انها ان الشرطية وجواب الشرط محذوف دل عليه وعند الله مكرهم فلا
تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني
ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم
يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر
لا يدافع ذو انتقام لاوليايه من اعدايه الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والمراد بالنهي عن الحساب المذكور الامر بضده على ابلغ وجه وهو
الجزم بنصر المومنين وقهر اعداء الدين اي فكن على ثقة ويقين بالانجاز
وعدنا لك من الاعزاز للاسلام واهله واذلال للكفر والانتقام من اهله
يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم العذاب او ظرف للانتقام
ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات
عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات اي تبدل الارض
المعهودة ارضا اخرى والسموات المشهورة سموات اخرى والتبديل هو
التغيير اما في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير ومنه قوله تعالى

بدلناهم جلوداً غيرها واما في الصفات كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا
اذبتها وجعلتها خاتما بتغيير شكلها ومنه قوله تعالى اولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارض من فضة
وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس
على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي
تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

ويدل عليه كما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال تبدل الارض
غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا
واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء
على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله تعالى الارض جهنم والسموات
الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وقوله
تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين **وبرزوا** من اجداثهم **لله الواحد
القهار** لما كان البروز مسوقا للوعيد كان الوصفان المذكوران ترشيحين
له ببيان شدة الامر في ذلك اليوم كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار لان الامر والملك اذا كان لواحد لا يشارك فيه قهار لايعان ولا
يغالب لا مستغاث لاحد ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة
وترى المجرمين يومئذ مقرنين بعضهم مع بعض لاشتراكهم في العقائد
والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او مع الشياطين الذين اغووهم
على الاجرام او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال ويجوز ان
يكون تمثيلا لمؤاخذتهم بما اقترفته ايديهم وارجلهم فكانت ايديهم غلت
الى ارجلهم **في الاصفاد** متعلق بمقرنين او حال من ضميره وقال الراغب
الصفد والصفاد الغل وجمعه اصفاد وفي الصحاح الصفاد ما يوثق به
من قيد وقد وغل اي يوثق وقول الشاعر فقد لاقى صفادا بعض ساعد
وبعض ساق ظاهر في ان صفادا واحدا لجمعهما فكانه نوع من الغل يجمع فيه
الرجل واليد ويشدان على العنق **سرابيلهم** اي قمصهم جمع سربال **من قطران**
فيه ثلاث لغات فتح القاف مع كسر الطاء وسكونها وكسر القاف مع
سكون الطاء وهو يتحلب من شجر الابهل يطبخ فيهنأ به الابل الجربى
فيحرق الجرب والجلد بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار
بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص فيجتمع
عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه وسرعة اشتعال
النار بهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين
ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بالنفس من ظلمة الهيئات الردية والملكات

الفاسدة الموحشة فتجلب لها انواعا من الاذى والالم والعذاب وقرئ
من قطرٍ آنٍ والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة
حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وانما جيء جملة اسمية لان سرابيل
القطران الجامعة بين الانواع الاربعة المذكورة اقطع من الصفد واما
يغشى فللتجدد لاستحضار المقصود في قوله وترى لان الثاني هو
والاول في بيان حالهم في الموقف الى ان يكب بهم في النار والاخير لبيان
حالهم بعد دخولها وكان الاول حرك من السامع ان يقول واذا كان هذا
شانهم وهم في الموقف فكيف بهم وهم في جهنم خالدون فاجيب بقوله
سرابيلهم من قطران واوثر الفعل المضارع في قوله **وتغشى وجوههم
النار** لاستحضار الحال وتجدد الغشيان حالا فحالا وانما تغشاها لانهم
لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا مشاعرهم التي خلقت فيها في تدبر الحق كما تطلع على
افئدتهم لانها خالية عن المعرفة مملوءة بالجهالات **ليجزي الله كل نفس** اي مما يتعلق
بمحذوف تقديره يفعل ذلك بهم ليجزي كل نفس مجرمة **ما كسبت** او بقوله
وبرزوا اي ليجزي الله كل نفس مجرمة او مطيعة ما كسبت واكتفى بذكر عقاب
المجرمين ليستدل به على ثواب المطيعين **ان الله سريع الحساب** لانه لا
يشغله فيه تامل وتتبع ولا يمنعه حساب عن حساب حتى يستريح بعضهم عن
الاشتغال بمحاسبة الآخرين فيتأخر عنهم العذاب وهذا التفصيل تبيين وجه
اصابة التبديل المذكور ركزه **هذا** اشارة الى السورة او الى ما وصفه من قوله
ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب اي هذا الكلام وهذا الكتاب **بلاغ** اي
كفاية **للناس** في الموعظة والتذكير والاشارة الى جميع ما في السورة من
العظة والتذكير اولى ليكون كالتذكرة وخاتمة على منوال الفاتحة **ولينذروا
به** عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به فاللام متعلقة بالبلاغ
او متعلقة بفعل محذوف اي ولينذروا به انزل وقرئ ولينذروا به
بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له **وليعلموا انما هو اله واحد** بالنظر
والتامل فيما فيه من الآيات الدالة على التوحيد او المنبهة على ما يدل عليه
وليذكر اولو الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم قيل
ان الفوائد الثلاث التي ذكرها لهذا البلاغ هي الغاية والحكمة في انزال الكتب
وهي تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي غايتها كمال التوحيد
واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من
الفائزين بهما تم الكلام والحمد لله على التمام

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب
والقرآن السورة وهذا ابلغ على ما قدمنا بيانه في تفسير سورة

بياض

في الكتاب للمهية والتنكير في القران للتفخيم اي تلك ايات الكتاب الكامل في كونه كتابا وقرانا اي قران مبين يبين الرشد من الغي بيانا غريبا يعني الجامع للكمال والغرابة في البيان والبلاغة ولما كان في التعريف نوع من الفخامة وفي التنكير نوع اخر وكان الغرض الجمع عرف الكتاب ونكر القران ههنا وعكس في سورة النمل وقدم المعرف في الموضعين لزيادة التنوية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين منقادين لحكم هذا الكتاب وهذا التمني حين يخرج الله تعالي عصاة المومنين من النار وروي فيه حديث مرفوع وقيل اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين عند البعث للحساب او عند الموت اذا راوا العذاب وقيل في كل الاحوال التي تخطر بالبال لظهور بطلان ما كانوا عليه من الضلال وهذا انسب لما قصد بربما من معني التكثير علي وجه ابلغ وقوله لو كانوا مسلمين حكاية ودادهم علي لفظ الغيبة كقولك حلف بالله ليفعلن وحق ربما ان تدخل علي الماضي لا نشا تحقق التقليل لكن لما كان الغرض من الماضي تحقق وقوعه والمترقب في اخبار الله تعالي بمنزلة الماضي في تحقق وقوعه اجري مجراه ومعني التقليل فيه وارد علي طريق العرب وقولهم في موقع النصح وارتكاب المخاطب ما لا يشك في استتباعه للتندم لعلك ستندم وربما ندم الانسان علي ما فعل وليس مرادهم الشك والتقليل بل المراد ان الندم لو كان مشكوكا فيه او قليل الوقوع عما تفعل لكان حقا عليك ان لا تفعل لان قضية العقل التحرز من الغم المظنون والقليل فكيف واستتباع فعلك الغم والندم الكثير محقق اي لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقري ربما بالتخفيف وبالتاء نيث ودونها وما كافة تكفه عن العمل فيجوز دخوله علي الفعل وقيل نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر ذرهم اتركهم ياكلوا تخصيصه بالذكر مع انه راجح في قوله ويتمتعوا وتقديمه عليه للتنبيه علي ان حظهم من الحياة الدنيا حظ البهائم ياكلون ويشربون والاقتصار علي ياكلوا لان الاكل يستتبع الشرب عادة فذكره يغني عن ذكره ويتمتعوا بدنياهم ويتمكنوا في شهواتهم ويلهم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار وجريان امورهم واحوالهم علي وفق هواهم عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون وخامة عاقبتهم وسوء صنيعهم اذا عاينوا جزاهم فيه تهديد ووعيد وتحذير عن ايثار التنعيم وطول الامل والزام الحجة لان الامر بالضد لا يكون الا عند تكرار الانذار وثبوت الجحود وكذلك ما رتب عليه واقناط للرسول صلي الله عليه وسلم عن ايمانهم وايذان بانهم من اهل الخذلان لا يقبلون النصح ولا يجري فيهم الانذار وما اهلكنا من قرية اهلاكها بنا يه عن اخلائها عن اهلها باقتنائهم وهو ابلغ من المجاز في القرية واما تقدير المضاف فلا حاجة اليه بل لا وجه له عند ارباب البلاغة الا ولها كتاب معلوم اجل مكتوب في اللوح معلوم عند الله تعالي

موقت ولهذا قال ما تسبق من امة اجلها اي كتابها اي لا يتقدم امة ومن موكدة وما يستاخرون اي عنه تخفيف للعلم به ووحد تسبق بالتا لظاهر كلمة امة وجمع في قوله يستاخرون بالواو والنون للمعني والكلام متصل بقوله فسوف يعلمون اي العذاب نازل بهم في وقته الذي جعلناه اجلا له اخرناها اليه لما كان في علمنا ايمان من يخرج من اصلابهم فاذا بلغ الكتاب اجله وجب حلول العذاب علي الكافرين ولم يتاخر عنهم وجملة المستثني واقعة حالا من قرية لانها في معني العموم قريبة من المعرفة اذ المراد فرية التي وهذه الواو هي التي يعطي ان الحالة التي بعدها في اللفظ هو قبلها في المعني ومنه قوله تعالي حتي اذا جاوها وفتحت ابوابها ومن حملها علي ان الصفة المذكورة لكون القرية نكرة ثم قال والقياس ان لا يتوسط الصفة بين الواو والموصوف وانما جي بها لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في الحال تقول جاني زيد عليه ثوب وعليه ثوب فقد تعسف لان الواو اغا جي بها ليلا يشتبه الحال بالصفة لتقدم الحال علي النكرة الا تري الي قولهم جاني رجل وعليه درع كيف التزموا فيه الاتيان بالواو دفعا للاشتباه المذكور فكذا ههنا ثم ان فيما اختاره فصلا بين الصفة والموصوف بالا وهو غير جايز نص عليه الاخفش وابو علي الفارسي وقالوا يعني مشركي مكة علي وجه الاستهزا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نداء للرسول صلي الله عليه وسلم للتهكم الا تري ما نودي له وهو قولهم انك لمجنون والتعليس في الكلام للاستهزا والتهكم طريق واسع ونظيره قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون ان ادعاه لنزول الذكر عليه قول المجانين والمراد من الذكر القران لوما تاتينا اي هلا تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع المعنيين امتناع الشي لوجود غيره والتخصيص والفرق بينهما ان التخصيضية لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا والامتناعية لا يليها الا الاسما لفظا او تقديرا عند البصريين بالملايكة ليصدقوك ويشهدوا لك ويعضدوك علي الانذار كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او ليعاقبونا علي تكذيبنا اياك كما اتي الامة المكذبة من قبل ان كنت من الصادقين ان كنت صادقا في دعواك وان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين في دعواهم ما تنزل الملايكة باليا مسندا الي ضمير اسم الله تعالي وقري بالنون وهو يناسب لما تقدم وما تاخر من الفاظ التعظيم وقري بالتا والبنا للمفعول ورفع الملايكة وقري تنزل بمعني تتنزل الا بالحق متعلق بفعل قبله او بمحذوف علي انه حال من الفاعل والمفعول اي ملتبسين بالحق او نعت لمصدر محذوف اي الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالحكمة والصواب ولا حكمة في ان ياتيكم بصور تشاهدونها ويشهدون بصدقه فانه لا يزيدكم الا لبسا كقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم

ما يلبسون ولا في دعا لحلكم بالعقاب فان منكم ومن ذراريكم من سبق له حكمنا
بالايمان وقيل الحق الوحي وقيل العذاب **وما كانوا اذا منظرين** جواب لهم
وجزا الشرط مقدر اي ولو انزلنا الملايكة ما كانوا منظرين **انا نحن نزلنا الذكر**
رد لانكارهم واستهزايهم ولهذا اكده بان والضمير وبنا الفعل عليه وقرره بقوله
وانا له لحافظون اي من الطعن والتحريف والزيادة والنقصان بان جعلناه
مباينا لكلام البشر لا يخفي علي اهل البلاغة اعجازه وتغيير نظمه لو غير بخلاف
الكتب المتقدمة فانه تعالي لم يتول حفظها واستحفظها الربانيون والاحبار
ولم يجعل لفظها ونظمها معجزا لا يمكن تغييرها فاختلفوا فيما بينهم وحرفوا وغيروا
وقيل الضمير لرسول الله صلي الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس
ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين اي ارسلنا رسلا ومن قبلك يجوز
ان يتعلق بارسلنا وان يتعلق بالمحذوف علي انه نعت له والشيع جمع شيعة
وهي الفرقة المتفقة علي طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع
وهو الحطب الصغار توقد بها الحطب الكبار والمعني بينا نا رجالا فيهم وجعلناهم
رسلا فيما بينهم **وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون** كما يفعل هولا
وهو تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم قيل وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا
يدخل علي مضارع الا وهو في موضع الحال ولا علي ماض الا وهو قريب من الحال ورد
عليه بان ما يكثر دخوله علي المضارع مرادا به الحال ويدخل عليه مرادا به
الاستقبال كقوله تعالي قل ما يكون لي ان ابدله من تلقا نفسي وانشد
شاهدا له قول ابي ذويب

اودي بني واودعوني حسرة ۰ عند الرقاد وعبرة ما تقلع ۰

وقول الاعشي في مدح رسول الله صلي الله عليه وسلم ۰

له نافلات ما تغب نوالها ۰ وليس عطا اليوم مانعه غدا ۰

وقوله الا كانوا يجوز ان يكون حالا من مفعول ياتيهم ويجوز ان يكون صفة
لرسول فعلي وجهان الجر باعتبار اللفظ والرفع باعتبار المحل واذا كانت حالا فهي
حال مقدرة **كذلك** مثل ذلك السلك **نسلكه في قلوب المجرمين** والسلك ادخال
الشي في الشي كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للذكر اي
ندخله في قلوبهم مكذبا مستهزا به غير مقبول كالضمير الاخير في قوله **لا يو-
منون به** وهو حال من هذا الضمير او بيان للجملة المتضمنة له او حال من
المجرمين او منهما ولا ينافي كونه مفسرة للمعني الاول بل يقويه وتعاقب
الضماير وان لم يستلزم توافقها في المرجوع اليه لكنه مستحسن لا يعدل
عنه لشدة المعني **وقد خلت سنة الاولين** استيناف اي قد مضت طريقتهم
التي سنها الله تعالي في اهلاكهم حين كذبوا الرسل وكذبوا الذكر المنزل اليهم
وهو وعيد لاهل مكة علي تكذيبهم فوقع هذا الكلام موقع الغاية في سورة الشعرا

اعني قوله

اعني قوله حتي يروا العذاب الاليم **ولو فتحنا عليهم** علي هولا المقترحين المعاندين
بابا من السما فظلوا فيه يعرجون اي يسرنا لهم معراجا يصعدون فيه اليه
طول النهار ويرون ما هنالك وذكر الظلول ليكون عروجهم بالنهار مستو
ضحين لما يرون طوله **لقالوا** من غلوهم في العناد وتشككا في الحق **انما سكرت
ابصارنا** حيرت من السكر ويدل عليه قراته سكرت اي حارت كما يحار السكران او
حبست من السكر ويدل عليه قراته بالتخفيف اي حبست ومنعت من الابصار
كما يحبس النهر من الجري **بل نحن قوم مسحورون** قد سحرنا محمد صلي الله عليه وسلم
بذلك كما قالوا عند ظهور غيره من الايات اي هذا امر تخييلي لا حقيقة له قد سكر
ابصارنا بل سحرنا به ومعني انما انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للا
بصار وهذا معني الاضراب في بل وايراد الجملة الاسمية اي قد سحرنا سحرا ثابتا
لا افاقة معه **ولقد جعلنا في السما بروجا** هي الاثنا عشر المعروفة مختلفة
الهيات والخواص علي ما دل عليه الرصد والتجربة ومن زاد علي هذا قوله مع
بساطتها فقد ادعي ما دون اثباته خرط القتاد **وزيناها** بالاشكال
والهيات البهية **للناظرين** المعتبرين المستدلين بها علي قدرة مبدعها
وتوحيد صانعها **وحفظناها** الضمير للسما وكذا في زيناها اذ لا وجه لتخصيص
الزينة بالبروج **من كل شيطان** فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها
ويتصرف في امرها ويطلع علي احوالها **رجيم** مرجوم بالنجوم اي ترمي بها **الا
من استرق السمع** في محل النصب علي الاستثنا المتصل واستراق السمع اختلاسه
سرا شبه به الخطفة اليسيرة التي للشياطين من سكان السموات لبعض الغيب
بما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاعها وحركاتها بالسرقة
في المسموعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الشياطين غير محجوبين عن
السموات فلما بعث عيسي عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما بعث محمدا
صلي الله عليه وسلم منعوا منها جميعا بالشهب ولا يقدح في تكونها قبل المولد لجواز
ان يكون لها اسباب اخر ويجوز ان يكون من في محل الرفع بالابتدا وخبره
فاتبعه اي طلب لحوقه وانما ادخلت الفا لان من اما شرطية واما موصولة شبهت
بالشرطية والاستثنا منقطع وقيل انه بدل من كل شيطان فيكون محله الجر وفيه ان
الكلام موجب فيحتاج الي تاويله بالنفي ولا ضرورة ههنا بخلاف قوله فشربوا منه
الا قليل منهم فان فيه ضرورة علي قراة الرفع ومن قال اي فتبعه ولحقه فكانه
لم يعرف الفرق بين تبعه واتبعه والفرق قايم يقال اتبعه اتباعا اذا طلب الثاني
اللحوق بالاول وتبعه تبعا اذا مر به فمضي معه وكذلك اتبعه اتباعا
بالتشديد ثم ان ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما بعد قوله منعوا
منها جميعا فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب فيس فان
اصابه احرقه وان اخطاه خبله فصار غولا يضل الناس في البوادي صريح في

عدم اعتبار اللحوق في الاتباع **شهاب مبين** ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة
نار ساطعة واطلاقه على الكواكب والسنان بطريق الاستعارة لما فيهما من
البريق **والارض مددناها** بسطناها يحصل بها الانتفاع لمن حلها وقيل
المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه ولما كانت هذه الجملة تقدمها جملة
فعلية كان النصب على الاضمار ارجح من الرفع على الابتدا فلذلك نصب الارض
والقينا طرحنا وانما قال **فيها** دون عليها لدفع ما يتبادر الى الفهم من القاء
الجبال القاوها على الارض من الخارج وبيان ان المراد تكونها فيها على
وجه يتظاهر كانها ملقاة عليها **رواسي** جبالا ثوابت وقد مر ما يتعلق به
في سورة الرعد **وانبتنا فيها** اي في الارض والانبات في الجبال يندرج في
الانبات في الارض بدون العكس فلا حاجة الى الجمع والاوجه لعود الضمير
الى الجبال خاصة **من كل شي** لفظة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم و
قد مر نظايرها **موزون** بميزان الحكمة مقدر بقدر تقتضيه او مستحسن مناسب
كقولهم كلام موزون اي ذو قدر ووقع في باب النعمة والمنفعة **وجعلنا
لكم فيها معايش** قد مر تفسيره في سورة الاعراف **ومن لستم له برازقين** نصب
عطفا على لكم لا على الضمير المجرور والا لوجب اعادة الجار اي وجعلنا لكم
فيها معايش ومن لستم برازقين من العيال والخدم والمماليك والانعام
والدواب ممن تظنون انكم رازقوهم ظنا كاذبا والله يرزقكم واياهم او على
معايش اي وجعلنا فيها من لستم له برازقين مما ذكر فانها من معايشكم و
فذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين مختلفة
الاجزا في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوانات المختلفة خلقة وطبيعة
مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته تعالى وتناهي حكمته والتفرد في
الالوهية والامتنان على العباد بما انعم الله عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه
ثم بالغ في ذلك فقال **وان من شي الا عندنا خزاينه** من شي في محل الرفع مبتدا
خبره عندنا خزاينه ومن زايدة لتاكيد العموم الخزاين جمع خزانة وهي اسم المكان
الذي يخزن اي يحفظ فيه نفايس الاموال شبه مقدوراته تعالى الممكنة التي
اذا تعلقت الارادة بها وجدت بقدرته بالاشيا المخزونة في الخزاين فهي
استعارة وقيل ضرب ذلك مثلا لاقتداره على كل مقدور وايجاده وتكوينه
بحسب الارادة اي ما من شي من الاشيا الممكنة الا ونحن قادرون على ايجاده
اضعاف ما وجد منه **وما ننزله** اي نكونه ونوجده في العالم السفلي **الا
بقدر معلوم** الا بمقدار معين حد تعينه الحكمة واقتضته المشية فان تخصيص
كل منها بصفة دون اخرى وشكل ومقدار ووقت معين دون ما يجانسها لا بد له
من مخصص حكيم **وارسلنا الرياح** فيه اشارة الى ان مقتضى طبع الريح الهبوب و
انما يوكد بالقسر الالهي لما في هبوبه الزايد عن قدر الحاجة مفسدة عظيمة

لو

لواقح حوامل او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوايح التي جاءت بخبر
كانشا السحاب الماطر وانبات زرع وعشب بالحامل كما شبه ما لا يكون به
كذلك بالعقيم وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس **فانزلنا من السما ما**
قد مر تفصيله في تفسير سورة البقرة **فاسقيناكموه** فجعلناه لكم سقيا
وما انتم له بخازنين نفى تعالى ما اثبته لنفسه في قوله وان من شي الا عندنا
خزاينه عنهم كانه قال نحن الخازنون للما لا انتم اي نحن القادرون على
خزنه في السحاب وانزاله وما انتم عليه بقادرين دلالة باهرة على عظيم
قدرته واظهارا لعجزهم وقيل معنى وما انتم له بخازنين في الغدران والعيون
والابار **وانا لنحن نحيي ونميت** تقديم الضمير للاختصاص وتكريره وتاكيده
بان للحصر والتقوية اي لا قدرة على الاحيا والاماتة الا لنا ويجوز ان
يراد بالحياة ما يعم الحيوان والنبات وبالموت ما يقابله **ونحن الوارثون**
الباقون بعد فنا الخلق كله استعير الوارث للباقي من وارث الميت لانه
يبقى بعد فنايه **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين**
من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين فيهما او من خرج
من الاصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق
الى الطاعة ومن تاخر لا يخفى علينا من احوالكم شي فهو بيان لكمال علمه تعالى
بعد الاحتجاج على كمال قدرته وقد دل على علمه ايضا ما دل على قدرته
وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول في الصلاة فازدحموا
عليه فنزلت وقيل ان امراة حسنا كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها واستاخر بعضهم ليبصروها فنزلت
وما تقدم من الوجوه والذي نتلوه هو المطابق للسابق واللاحق **وان
ربك هو يحشرهم** الحشر جمع الحيوانات من جهات شتى الى مكان اي هو
وحده يقدر على حشرهم وحصرهم مع تباعد اطراف عددهم وتصدير الجملة
بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ما سبق من الدليل على كمال قدرته تعالى
وعلمه يدل على صحة هذا الحكم كما صرح به في قوله **انه حكيم** اي باهر الحكمة
متقن في افعاله **عليم** اي واسع العلم يحيط بكل شي علما **ولقد خلقنا الا
نسان من صلصال** لما نبه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيامة
على ما يستقرون فيه نبه على مبتدا اصلهم والصلصال الطين اليابس
الذي يصلصل لشدة يبسه وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل
اذا سمع في صوته مد عند النقر فهو صليل واذا سمع ترجيع فهو صلصلة
وقيل هو تضعيف صل اذا انتن **من حما** صفة لصلصال باعادة الجار والحما طين
تغير واسود من طول مجاورة الما **مسنون** مصبوب مفرغ من سن الما اذا
اصبه اي افرغ صورة انسان كما يفرغ الصور والتماثيل من الجواهر المذابة كانه

افرغ الجا فصو رمنها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير
ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه والجان ابو الجن كما ان ادم
عليه السلام ابو الانس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان فان
تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره
مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام وهذا باعتبار الغالب
كقوله خلقكم من تراب ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع
خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء
الناري فانها اقبل لها من الغالب فيها الجزء الارضي ومساق الاية كما هو للدلالة
على قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية
التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحيا واذ قال ربك
اذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون انما قال
هنا بشرا لان المراد الجسد الخالي عن الروح كما ان المراد فيما سبق جنس الانس ولم
يقصد خلوه عن الروح فلذلك عبر عنه ثمة بالانسان فاذا سويته عدلت
عن خلقته وهيئته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي اي احييته وهو
تمثيل التحصيل ما يحيى به حيث فيه وما ثمة نفخ ولا منفوخ لكن لما كان
ظهور الروح الانساني المخصوص بالله تعالى فيه انما هو بعد ان القوة
الحيوانية على البخار اللطيف المتولد في قلب السارية منه في الشرايين الى
سائر اعضائه الذين عبر عن احيائه بنفخ الروح فان النفخ انما هو اجراء الريح في
تجويف جسم اخر واضافة الروح الى نفسه لانه صدر منه بلا واسطة
فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم
تعلقه لامر متقدم مذكور في مواضع اخر وقد قررناه في تفسير سورة الاعراف
الا لامر معلق مذكور هنا فالفا الفصيحة للعطف على محذوف تقديره
ظاهر لمن وقف على الامر التنجيزي اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم
ومنع التخصيص هذا على قول سيبويه وعن المبرد اكد بالكل للاحاطة
وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا دفعة واحدة ورده الزجاج بان
اجمعين معرفة فلا يكون حالا الا ابليس استثنا متصل وقد سبق وجهه في سورة
البقرة والاعراف ابى استيناف كان سائلا قال هلا سجد فقيل ان يكون
مع الساجدين في عبارة مع اشارة الى ان ابليس كان في حيز الثنا بعين في امر
السجود ومع ذلك استكبر ولا يخفى لطف موقع هذه الاشارة حيث كان
الكلام في تقبيح حاله قال يا ابليس ما لك الا تكون اي عرض لك في ان لا
تكون مع الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني
وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا روحاني لطيف خلقته من صلصال من

حماء مسنون اي خلقته من اخس الاجرام وانا مخلوق من اشرفها استنقص
ادم عليه السلام باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه قال فاخرج
منها من السما او من الجنة فانك رجيم مطرود من رحمة الله تعالى اي ملعون
لان الطرد من الرحمة هو اللعن والرجم في الاصل هو الرمي بالحجارة وجعل الرجم
طردا لان من يطرد يرجم بالحجارة وقيل من الشياطين المرجومين بالشهب وهذا
ليس جوابا عن الشبهة على سبيل التصريح بل هو جواب على سبيل التنبيه وذلك ان الذي
قاله تعالى نص والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان رجيما
ملعونا وان عليك اللعنة هو الابعاد والطرد الى يوم الدين جعله منتهى
امد اللعن لا بمعنى انه ينقطع عنده بل بمعنى ان الاغوا الموجب للعن على لسان
المكلفين ينقضي بانقضا التكليف وقت الجزا فينقطع ذلك اللعن بما يجاري بما
ينسي معه اللعن ويستحقر من انواع العذاب والا فاللعن في القيامة منصوص
عليه في مواضع من كلام الله تعالى كقوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا كلما دخلت امة لعنت اختها فاذن مؤذن بينهم ان
لعنة الله على الظالمين وقيل حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس
في التابيد كقوله ما دامت السموات والارض قال رب فانظرني فاخرني و
الفا متعلقة بمحذوف دل عليه سياق الكلام فتقديره فاذ جعلتني رجيما الى
يوم القيامة فانظرني الى يوم يبعثون انما سال الانظار طلبا للامهال في المغوية
قيل اراد ان يجد فسحة في الاغوا ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه
الى الاول دون الثاني وما ذكرناه هو مستلزم لما ذكره ثانيا فمبناه ضعيف
على ما يستقف عليه قال فانك من المنظرين الفا للعطف على محذوف تقديره
لا حاجة الى السؤال فانك من الذين اقتضت حكمة التكليف انظارهم فكان فيه
تنبيها على انه لا اجابة له ولا اكرام هو من جهة الاسعاف لبعض سؤاله الى يوم
الوقت المعلوم هذا ويوم الدين ويوم يبعثون واحد الا انه خولف
بين العبارات قضاء لحق البلاغة في الكلام فعبر عنه اولا بيوم الجزا لما عرفت
وثانيا بيوم البعث لانه المناسب لغرض اللعين وثالثا بيوم الوقت
المعلوم لوقوعه في الكلامين وزيادة الوقت للتنبيه على ان التاخير الى
ذلك اليوم لا يقتضي نجاته لانه زمان ممتد والبعث في بعض اوقاته فيجوز
ان يموت في اوله ثم يبعث مع سائر الخلائق في وقت البعث وهذه
المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على كرامته عند الله تعالى لانه على
سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني البا للسبب وما مصدرية
اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب
اغوائك اياي بواسطتهم وقيل البا للقسم بصفة الذات ثم قال والمعنى
اقسم باغوائك اياي ثم قال وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف

فيكون مجازا عن اللعنة لان الرجم مستلزم
للطرد فاطلق الملزوم واريد
اللازم وهو الطرد واللعن الطعن
ثم ان الرجم على الاول بالشهب
وعلى الثاني بالحجارة

فقد اخطأ في الاول ولم يصب في الثاني لان الخلاف للفقهاء ونزاعهم في انه يمين
يترتب عليه احكامها من الكفارة وغيرها لا في اليمين المتعارف فانه لا خلاف
في ان اسم الحلف في عرف العرب يقع عليه وهو متعارف عندهم ولهذا ورد النهي
عن الحلف بالآباء وعده الاصحاب مكروها فالكلام المذكور لا مساس له بهذا
المقام **لازينن لهم في الارض** اي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله
اخلد الى الارض وقيل معنى تقييد التزيين بقوله في الارض اي قدرت على
تزيين الاكل من الشجرة لآدم عليه السلام في السماء فلأن اقدر على تزيين
المعاصي لذريته في الارض اولى **ولاغوينهم اجمعين** ولاحملنهم على الغواية
الا عبادك منهم المخلصين اي الذين اخلصهم الله لطاعته وطهرهم عن
الشوائب وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم ودينهم لله تعالى وكان
يكفيه ان يقول الا المخلصين منهم فزاد قوله عبادك اشارة الى وجه خلاصهم
عن غوايته وهو اختصاصهم بالله تعالى من جهة العبودية وتوطئة لتوصيفهم
بالوصف المذكور **قال هذا** اشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص
المخلصين من اغوائه او الى الاخلاص **صراط علي** اي تخلصهم من اغوائه وانتفاء
سلطانك عليهم حق علي ان اراعيه او الاخلاص طريق علي بمعنى مؤد الى
الوصول الي والدخول علي وايثار حرف الاستعلاء على حرف الانتهاء لتأكيد
الاستقامة والشهادة باستعلاء من ثبت عليه فهو ادل على التمكن من الوصول
فهو تمثيل اذ لا استعلاء على حرف الانتهاء لتأكيد الاستقامة والشهادة لشيء
عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا **مستقيم** من غير اعوجاج وهذا الصراط حق
علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي فقوله **ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان** تفسير للصراط المشار اليه بهذا على طريق
الاستئناف وقرئ علي من علو الشرف والمكانة وفي القول المذكور رد لما
اوهم اللعين من انه انما استثنى المخلصين رعاية لشرف تعزيهم من الله تعالى
والاضافة في عبادي للتشريف يعني ان المخلصين بعبادي المشرفين
بالانتساب الي لا قدرة لك على اغوائهم فالاستثناء في قوله **الا من اتبعك
من الغاوين** منقطع اي لكن من اتبعك من الغاوين فلك عليهم سلطان
والواو في قوله **وان جهنم لموعدهم** لموعد المتبعين للعطف على المحذوف
المذكور واما ما قيل انه تكذيب له فيما اوهم انه سلطان على من ليس بمخلص
من عباده فان منتهى امره التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا يخفى بعده لانه ان اريد
بالسلطان القدرة على الاغواء والضلال فلا وجه للتكذيب له وان اريد به
ما اراده في القول المنقول عنه من القدرة القاهرة وكلامه خلو عن ايهامه
ثم ان مبناه على انقطاع الاستثناء مع صحة التناول في المستثنى منه للمستثنى
ولا

ولا يخفى ما فيه فان حق الاستثناء على تقدير العموم في المستثنى الاتصال كما
ذهب اليه من قال انه تصديق لابليس فيما استثناه ولا يذهب عليك ان خطابه
بالتصديق فيما قاله لا يخلو عن نوع اجلال له فلا يناسب مقام الاهانة والاذلال
اجمعين تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على
تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل **لها سبعة
ابواب** بحسب طبقاتها استئناف او خبر ثان ومن قال يدخلون فيها لكثرتهم
او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم لم يصب في واحد منهما اما في الثاني
فظاهر لان الابواب مداخل تلك الطبقات لا انفسها واما في الاول فلان
مبناه على ان يكون التعدد في المدخل فقط وليس كذلك قال علي رضي الله عنه
ان الله تعالى وضع الجنان على العرض ووضع دركات النيران بعضها فوق بعض
فاسفلها جهنم وفوقها اللظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم
وفوقها السعير وفوقها الهاوية ومن وهم عكس الترتيب فقد وهم **لكل باب
منهم** من الاتباع **جزء مقسوم** افرز له فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والرابعة
للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين قال
تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذا صريح في انها دركات بعضها
فوق بعض ومما قررناه ظهر ان تخصيص العدد لان اهلها سبع فرق لا لانحصار مجامع
المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوانية والغضبية
وقرئ جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف
عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف
لا في المقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم على موصوفها **ان المتقين** من اتباعه
من قال من الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة فكانه غفل عن اشتراط كفارة الصغائر
بالاجتناب عن الكبائر **في جنات** قد سبق تفسيره في سورة البقرة ان الجنات
ايضا سبع جنان وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب
تفاوت الاعمال والعمال **وعيون** يحتمل ان يكون المراد بها الانهار المذكورة في قوله
تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر
لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وان يكون منابع مغايرة لتلك الانهار
ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض من الادخال
بسلام سالمين او مسلما عليكم الملائكة **آمنين** من الآفات والعاهات وامن
الزوال فالامن عنه انما يعلم من قوله وما هم منها بمخرجين فلا وجه لدرجه
في الامن المراد ههنا **ونزعنا ما في صدورهم من غل** كان لبعضهم في الدنيا على
آخر نزع الله تعالى ذلك من قلوبهم بعد دخولهم الجنة وطيب نفوسهم روى
ابو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اهل الجنة يد
خلوا الجنة بما في صدورهم من الشحناء والغل فاذا ترافقوا وتقابلوا نزع الله

تعالى ذلك من صدورهم فذلك قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل الآية
فمن وهم ان ذلك النزع في الدنيا فقد وهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم والغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه
وتغلغل غلا وحيه لما قيل من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا
حال من الضمير المجرور في صدورهم وجاز ذلك لان المضاف جزء المضاف اليه او
من فاعل ادخلوها او من الضمير في امنين او من الضمير في جنات وكذا قوله على
سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى
متصافين او يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب
استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين والنصب الوهن الذي
يلحق من التعب في العمل وما هم منها بمخرجين نص في الخلود وبه تتم النعمة
ولما اتم ذكر الوعد والوعيد رتبه بقوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وهو فذلكة
لذلك وفي ذكر المغفرة ايما الى انه لم يرد بالمتقين الذين اجتنبوا الذنوب باسرها
كبيرها وصغيرها وعن ابن عباس رضي الله عنه غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب
وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب والتاكيد بالضمير وتعريف
الاسمين وترجيح لجانب الوعد وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم تحقيق لهما
بما يعتبرون به مما نزل بقوم لوط عليه السلام من العذاب وانجا لوط واهله
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك او سلمنا سلاما او سلمت سلاما
قال انا منكم وجلون الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه كان وذلك لانهم
دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقيل لامتناعهم من الاكل قالوا لا توجل وقرئ
لا توجل بضم التاء من اوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله
بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك
في محل الامن والبشارة فان المبشر لا يخاف منه وقرئ نبشرك بفتح النون
والتخفيف من البشر بغلام هو اسحاق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحاق
عليم بالدين فادرج فيه الاشارة الى نبوته كما ضمن قوله بغلام البشارة بكون
الولد ذكرا قال ابشرتموني على ان مسني الكبر مس الكبر كناية عن تغييره اياه عن
الحال التي يطمع في الولد الى حال الياس عنه ومعنى الهمزة التعجب والاستنكار اي
البشارة بالولد مع مس الكبر امر عجيب مستنكر في العادة ولذلك اكده بقوله
فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني فان البشارة مما لا يتصور وقوعه في
العادة كلا بشارة او بشارة بغير شي وقرئ تبشرون بكسر النون والتشديد على
ادغام نون الجمع في نون الوقاية وبكسرها والتخفيف على حذف نون الجمع والاصل
تبشرونني قالوا بشرناك بالحق اي بما هو محقق الوقوع او باليقين الذي لا لبس فيه
ويجوز ان يكون قوله فبم تبشرون سؤالا عن وجه البشارة وطريقتها اي باي

طريقة

طريقة تبشروني بالولد ولا طريق الى هذه البشارة في العادة وعلى هذا يكون
قوله بالحق بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى ووعده فلا تكن من القانطين
من الايسين من ذلك فانه القادر على ايجاد بشر من غير ابوين فكيف من شيخ هرم
وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة
ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا
يعرفون كمال قدرته وسعة رحمته كقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون اي لم استبعد ذلك قنوطا من رحمته تعالى واستبعادا من قدرته بل
استبعدته استعجابا باعتبار العادة وقرئ يقنط بالحركات الثلاث وقرئ من القنطين
من قنط يقنط قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما الامر الجليل الذي بعثتم له
تفريع على ما علم مما تقدم من كل القصد من ارسالهم ليس البشارة لانهم كانوا ذوي
عدد ولو لم يكن المقصود الا البشارة لاكتفي بالواحد كما اكتفي به في بشارة زكريا
ومريم ولانهم يشددون في اثناء ازالة الوجل ولو كان المقصود هي وحدها
لابتدوا بها ولان نزول الملايكة يكون غالبا للعذاب قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين اريد بهم مبعوثين يدل عليه قولهم في سورة هود عليه السلام انا ارسلنا الى
قوم لوط وانما نكروهم هنا على سبيل الاستهانة بهم كانهم ابهموا ولانه تبين فنقل
كلامهم في موضع اكتفى بقدر الحاجة وفي الاشارة في توصيفهم بالمجرمين الى ان
ارسالهم بالعذاب غني عن العبارة بقوله لنرسل عليهم حجارة من طين الواقع في
موضع اخر فكانهم قالوا انا ارسلنا بالعذاب الى قوم مجرمين والمجرم المنقطع
عن الحق الى الباطل الا ال لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي قوم
اجرموا كلهم الا ال لوط او من قوم على ان توصيفهم بالاجرام باعتبار الغالب وعلى
كلا التقديرين يعم القوم والارسال شاملين للمجرمين وال لوط المؤمنين عليه السلام
والمعنى انا ارسلنا الى قوم لوط واله ليهلكوا قومه وينجوا اهله الا امراته
انا لمنجوهم اي مما يعذب به القوم اجمعين استيناف للجواب على سبق السؤال
ابراهيم عليه السلام وهو مذكور في موضع اخر بقوله قال ان فيها لوطا
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته وهذا القدر من الاختلاف
في اسلوب الكلام لا يضر اذا كان المراد نقل خلاصة المعنى وحاصل المراد الا امراته
استثناء من الضمير المجرور في منجوهم او من ال لوط بجعل انا لمنجوهم اعتراضا
قدرنا انها لمن الغابرين انها كسرت لاجل اللام في خبرها ولولاها لفتحت وهي
معلقة لما قبلها لان فعل التقدير يعلق اجراله مجرى القول لان التقدير بمعنى القضا
قول او مجرى العلم اما لكونه بمعناه او لكونه مترتبا عليه واما تضمينه معنى العلم
فلا يجري نفعا لنفي معنى الفعلين واصل التقدير جعل الشي على مقدار غيره والغابر
الباقي والمراد البقاء في العقوبة وهذه الجملة من كلام الله تعالى ذكرت تقريرا
للاستثناء الواقع في كلام الملايكة لان قوله تعالى فانجيناه واهله الا امراته

قدرناها من الغابرين صريح فيه والقصة واحدة فلا مساغ لان يكون من كلام
الملائكة فالذين سعوا في توجيه اسنادهم التقدير الى اسنادهم التقدير الى انفسهم
بما لا يخلو عن نوع تعسف لم يكن سعيهم مشكورا فلما جاء ال لوط المرسلون الفا
الفصيحة للعطف على محذوف تقديره ظاهر بقرينة المقام وباقي الكلام قال
انكم قوم منكرون تنكركم نفسي واخاف ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله وتخافه بل جئناك بما يسرك
ويشفيك من اعدائك وهو العذاب الذي تتوعدهم بنزوله فيجادلونك فيه
تكذيبا لك وقوله في سورة هود عليه السلام قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن
شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لا يمكن توفيقه لهذا المقال ولهذا لا يحمل قوله
عليه السلام ههنا على نفور الحال والتعبير عنها وحمل ما نقل عنهم على نقل مال
المعنى وحاصل الكلام واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما
اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل قرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها
من اسرى وسرى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه وقيل
من اخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهم
واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم لئلا يتخلف عنهم فيصيبه العذاب ولتكون
مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا يشتغل قلبك بمن خلفك ولا يجد زمن احدهم
هفوة في تلك الحالة الهولكة اخشا ما منك ولا يلتفت منكم احد فيرى ما بهم
من العذاب ويرق لهم او يرى ما لا يطيقه من الهول فيبقى على مكانه دهشا
فيهلك او ينصرف فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات الى الاوطان
والمالوفات تحسرا عليها ليواطؤا نفوسهم على المهاجرة وتجوزان يكون
النهي عن الالتفات كناية عن الامر بتوانر السير واتصاله وترك التواني والتوقف
فان الملتفت لا بد له من ادنى وقفة وتوان وامضوا حيث تؤمرون
اي حيث امركم الله تعالى بالمضي وهو الشام ومصر عدي امضوا الى حيث
بنفسه لانه ظرف مبهم في الامكنة وكذا تؤمرون الى ضميره المحذوف على
الاتساع وقضينا اليه ضمن قضينا معنى اوصينا فعدي بالى كانه قيل
واوصينا اليه مقضيا مبتوتا ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع
ومحله النصب على البدل منه اي يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد
وفي ابهامه والاشارة اليه بذلك ثم تفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ
ان بالكسر على الاستئناف كانه قيل فما ذلك الامر فقال ان دابر الى اخره
مصبحين داخلين في الصبح حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وانما جمع
حملا على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم
يستبشرون باضياف لوط عليه السلام طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي
الضيف في الاصل مصدر اضاف يضيف اذا اتى انسانا لطلب القرى و

وهو

وهو اسم يقع على الواحد والجمع والمذكر والمونث واطلاق الضيف على الملائكة لكونهم
في صورته فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسي الى ضيفه فقد اسي اليه
يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا ظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في ركوب
الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان ولا تخجلون
فيهم من الخزاية وهي الخجالة وهذا القول منه عليه السلام صريح في ان مجيء اهل المدينة
والمقاولة معهم في شان الاضياف قبل العلم بانهم ملائكة ارسلوا للنصر كما في
قوله وجاء اهل المدينة يستبشرون اخبار عن مجيئهم عقيب نزول الملائكة
في بيت لوط عليه السلام قبل مجاورته معهم وعلمهم بانهم ملائكة وما في قوله
فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون اخبار عن مجاورته عليه السلام
مع الملائكة بعد تمام مقاولته مع اهل المدينة ولا دلالة في الواو على الترتيب
قالوا اولم ننهك عن العالمين للاستفهام الانكاري والواو للعطف على محذوف تقديره
الم نتقدم لك لا تجير احدا بالانزال في بيتك ولم ننهك عن العالمين اي عن المنع بيننا
وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل واحد وكان لوط عليه السلام يمنعهم عنه بقدر
وسعه قال هؤلاء بناتي فيه وجوه قد مر بيانها في تفسير سورة هود عليه
السلام ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم
وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله تعالى
دون ما حرم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو نبينا صلى الله عليه وسلم وقيل
لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك واللام لام الابتداء وعمرك مبتدأ خبره
محذوف تقديره لعمرك قسمي والعمر بالفتح لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للاخف
فيه لانه كثير الدور على السنتهم وهو متى اقترن بلام الابتداء يلزمه حذف الخبر
لسد جواب القسم مسده انهم لفي سكرتهم اي غوايتهم او شدة غلمتهم التي
اذهبت تمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي يشار به اليهم يعمهون
يتحيرون فكيف يقبلون النصح فاخذتهم الصيحة اللام للجنس والمراد به
الفرد الكامل في معناه وهو صيحة جبريل عليه السلام فان اسم الجنس كما يستعمل
المسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المقصودة منه ولذلك يسلب عن
غيره فيقال زيد ليس بانسان والصيحة صوت يخرج من الفم بشدة واخذهم
الصيحة قهرها اياهم وتمكنها منهم ومنه الاخيذ بمعنى الاسير مشرقين داخلين
في الشروق وهو بزوغ الشمس يقال شرقت الشمس شروقا اذا طلعت و
واشرق الرجل اذا دخل في شروق الشمس كان ابتداء العذاب حين اصبحوا
وتمامه حين اشرقوا فلا منافاة بينه وبين قوله ان موعدهم الصبح
فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها منقلبة عليهم وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر عليه كتاب من السجل لقوله حجارة
من طين مسومة اي معلمة بكتاب قيل فتفرقت الحجارة اولا ثم قلبوا وقيل التقليب

كان للحاضرين والامطارين سندمنهم ان في ذلك لايات للمتوسمين للمتفرسين
اي الناظرين المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشي بسمته يقال توسمت
في فلان كذا اذا عرفت وسمه فيه وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم
ثابت يسلكه الناس ويرون اثارهم لم تندرس بعد وهو تنبيه لقريش المارين
به وتهديد لهم كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل ان في ذلك لاية
للمومنين بالله ورسوله ولام الاختصاص لان الانتفاع بها مخصوص بهم وان
كان ان هي المخففة واللام فارقة اصحاب الايكة هم قوم مما بعث اليهم
شعيب عليه السلام كانوا يسكنون الغيضة والايكة الشجرة الملتفة واحده الايك
لظالمين لانهم كذبوه عليه السلام فاهلكوا بالظلمة فانتقمنا منهم في عبارة
الانتقام دلالة على انهم اهلكوا بعذاب شديد وانهما اي مدينة لوط
عليه السلام اوقراها والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان
مبعوثا اليهما فدل ذكر الايكة على مدين فاتى بضميرهما لبامام مبين
لبطريق واضح والامام اسم لما يوتم به فسمي به الطريق واللوح ومطمر البنا
لانها مما يوتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا
صالحا عليه السلام ومن كذب واحدا من الرسل فقد كذب الجميع لان
سايره يصدقونه فلا حاجة الى التاويل بحمل المرسلين على صالح عليه
السلام ومن معه من المومنين والحجر واد بين المدينة والشام كانوا
يسكنونها واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يعني ايات الكتاب
المنزل على نبيهم او معجزاته وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين
من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعدا لوثاقتها او من عذاب لفرط
غفلتهم وحسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين
اتاهم صيحة من السما فاخذتهم زلزلتها وهو المذكور في سورة الاعراف
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بنا البيوت المحكمة والاموال والعدد
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا
بالحق اي بالعدل والحكمة لا ملتبسا بالباطل والعبث فيهملون على فسادهم
وظلمهم ولا يواخذون بالعذاب فانه بنا في الحكمة والعدل وان الساعة
لاتية فينتقم لك فيها ممن كذلك فاصفح الصفح الجميل اي فاصفح عنهم ولا
تعجل بالانتقام منهم وعاملهم بالخلق معاملة الصفوح الحليم وقيل هي و
منسوخة باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده
امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينك وبينهم و
فهو يحكم بينكم ويجازيكم على اعمالكم وهو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح
لكم فامرك اليوم بالصفح لعلمه بانه لا اصلح الى ان يكون السيف اصلح
ولقد اتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة على ما نص عليه النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم وقد بيناه في تفسيرها وقيل سبع سور وهي الطوال وسا
بعها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة وكذلك لم يفصل بينهما بالتسمية
ورد بان هذه السورة قد نزلت وما نزل من السبع الطوال شي والعرف عن
الظاهر يأباه مقام الامتنان من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير
او من الثنا لاشتمالها على ما هو ثنا على الله تعالى الواحدة مثناة او موضع
التثنية او الثنا تنكير سبعا للتعظيم والابهام الذي فيه والتوضيح بقوله
من المثاني للتمكين في نفوس السامعين وقوله والقران العظيم من باب
عطف الكل على البعض المعطوف عليه كانه المقصود بالذكر والاصل سابرا لا
بها من والمراد من الكل مجموع ما نزل وقت نزول هذه الاية لا مجموع القران حتى
يلزم المحذور المذكور انفا لا تمدن عينيك لا تطمحت ببصرك طموح راغب
الناظرا نما يكون ما دام عينيه الى شي يدل على استحسانه والرغبة فيه الى
ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان ما اوتيته من القران العظيم
اعظم منها لانه كمال مطلوب بالذات موصل الى دوام جوامع الذات او ما
اوتوا فهو مستحقر بالنسبة اليه اقل من لا شي ولا تحزن عليهم انهم لم يومنوا
فيتقوى بهم الاسلام او انهم المتمتعون به دون المومنين واخفض جناحك
للمومنين لمن معك من فقرا المومنين وضعفايهم خفض الجناح مجاز مرسل
عن التعطف والرفق مرتب على الكناية واصله لان الطاير اذا ضم الفرخ
اليه بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه وقل اني انا النذير المبين انذركم
ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تومنوا وانما وصفه
بالمبين لان النذارة عليه السلام من امارات الساعة فهو منذر بلسان
الحال كما انه منذر بلسان المقال وقد نبه عليه السلام على هذا المعنى
حيث قال انا النذير العريان كما انزلنا على المقتسمين في محل النصب صفة
مصدر لاتيناك لانه في معنى انزلنا عليك لانه قال ولقد انزلنا عليك سبعا
من المثاني والقران العظيم كما انزلنا على اهل الكتاب المقتسمين الذين
اقتسموا القران الى حق وباطل حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق
للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او اقتسموا الى شعر وسحر
وكهانة واساطير الاولين فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقوله ولا تمدن الى اخره اعتراضا ممدا له وصفة مفعول
للنذير اقيم مقامه اي انذر قريشا عذابا مثل ما انزلنا من العذاب على
المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة للتنفير عن الرسول والصد عن
الدين الذين جعلوا القران عضين اجزا جمع عضة بمعنى جزء واصلها
عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضا وقيل هي فعلة من
عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه بلسان قريش السحر يقولون

للساحرة العاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة
ونقصانهما على الاول وارد على الثاني ها وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف
منه كقولهم قلون وثبون والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره
فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر
فيجازيهم عليه وقيل عام اي عن كل ما عملوا من المعاصي فيتناولهما وهو وعيد لهم
وقيل يسالهم سوال تقريع **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به واظهره وقيل افرق بين
الحق والباطل به والصدع في الاصل شق في الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد
ويلزمه الابانة والتميز وما موصولة اي بالذي تؤمر به من الشرايع فحذف الجار
كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او مصدرية اي بامرك كقول ابي طالب
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وهو مصدر من الفعل المبني للمفعول وقيل
فيه خلاف والصحيح انه لا يجوز ورد بان الخلاف هو في المصدر المصرح به واما
الحرف المصدري فليس محل النزاع **واعرض عن المشركين** اي لا تلتفت الى ما يقولون
فالاعراض كناية عن عدم الالتفات **انا كفيناك** اي نكفيك وذكره في صيغة الماضي
للدلالة على قربه **المستهزئين** باهلاكهم وتدميرهم وكانوا خمسة نفر من اشراف
قريش وقصتهم مذكورة في كتب التفاسير والسير **الذين يجعلون مع الله
الها اخر** صفة المستهزئين **فسوف يعلمون** ما ينزل بهم عاجلا **ولقد نعلم انك
يضيق صدرك** ضيق الصدر كناية عن تعب القلب كما ان انشراحه كناية
عن انبساطه **بما يقولون** من اقاويل الطاعنين فيك وفيما انزل عليك
والمستهزئين فيك **فسبح بحمد ربك** فنزه ربك عن العجز والانتقام منهم
وقمعهم وتفريعه على ما تقدم باعتبار انه كناية عن الوعد بازالة ما هو
السبب لضيق صدره عليه السلام ومن لم يقف على هذا فسره بقوله فنزه
عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق واما ما قيل فافزع الى الله تعالى
فيما نابك يكفيك ويكشف الغم عنك فلم يصب نحره والفزع الى الله تعالى
هو الذكر الدايم وكثرة السجود لان التوسل بما ذكره انما هو معنى قوله **وكن
من الساجدين** اي المصلين وعنه عليه السلام انه اذا كان حزبه امر
فزع الى الصلاة **واعبد ربك** ودم على عبادة من خلقك ورباك **حتى ياتيك
اليقين** اي الموت فانه متيقن اللحوق لكل حي ذي حياة اي ولا تخل بالعبادة
ما دمت حيا وفيه اشارة وبشارة اما الاشارة فالى انه عليه السلام يموت
كما يموت ساير الانبيا والمرسلين عليهم السلام كما في قوله وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل واما البشارة فبامنه عليه السلام عن العاهات
المانعة للتكليف بالعبادة الى ان قضى نحبه تم الكلام في هذا المقام والحمد لله على الاتمام

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقوع نسخ

اتى امر الله اي دنى وقرب نفال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاك الغوث
والمراد من امر الله ما وعدهم من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم وعلى هذا
وجه اصابة الفا في قوله **فلا تستعجلوه** مخرجا ظاهرا بخلاف ما اذا كان المعنى ان
الامر الموعود بمنزلة الاتي المحقق من حيث انه واجب الوقوع والاستعجال طلب الشيء
قبل حينه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الله استهزاء وتكذيبا فنزلت ولما كان المستعجل
المستهزئ مجوزا له تعالى عن القدرة على ما اوعده وفيه تشبيه بالمخلوق قال **سبحانه
وتعالى عما يشركون** اي تنزه ان يحوم العجز حول سرادق كبريائه وجل عن ان يكون
له شريك في المعبودية فيدفع ما اراد بهم كانوا يقولون ان صح ما يقوله محمد فالاصنام
تخلصنا منه فنزلت وقرئ تشركون بالتاء على وفق فلا تستعجلوه وبالياء فلا
تلوين الخطاب واما ما قيل الخطاب للمؤمنين اولهم او لغيرهم لما روي انه لما نزلت
اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه
فيأباه التصدير بالفا **ينزل الملايكة بالروح** استعار الروح للوحي او للقران لانه
يحيي به القلوب الميتة بالجهل حياة الجسد بالروح وذكره عقيب ما وعد به اشارة
الى طريق العلم به وازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بالعلم به
وقرئ ينزل من انزل وتنزل بمعنى تتنزل على المضارع المبني للمفعول من
التنزيل **من امره** بامره او من اجل امره **على من يشاء من عباده** اي يتخذه
رسولا **ان انذروا** بان انذروا والانذار الاعلام ويختص بما فيه تخويف
ولتلك الخصوصية مناسبة للمقام من حيث ان المشرك دائر امره بين
الاسلام والسيف فابلاغ امر التوحيد اعلام يتضمن التخويف بالقتل ويجوز ان
تكون ان مفسرة لان في الوحي معنى القول او مصدرية في موضع الجر بدلا
من الروح او مخففة من الثقيلة **انه لا اله الا انا** اي الشان لا اله الا انا او
خوفوا اهل الشرك بانه لا اله الا انا **فاتقون** رجع الى مخاطبتهم بما هو
المقصود والاية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملك وان حاصله التنبيه
على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية وان النبوة عطائية
والتي بعدها دليل واحد ابنته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد
لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر
على ذلك فيلزم التمانع **خلق السموات والارض بالحق** اوجدها على مقدار
وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته **تعالى عما يشركون**
لانه موجد العالم كله وكل ما سواه مفتقر اليه فهو المتعالي عن ان
يشاركه والتحقيق ان قوله اتى امر الله تنبيه وايقاظ ليكون ما يرد بعده متمكنا
في نفس حاضرة ملتفتة اليه وهو تمهيد لما يريد من دلايل التوحيد وقوله
ينزل الملايكة بالروح تفصيل لما اجمله في قوله سبحانه وتعالى ايقاظا
لانه نعى عليهم ما هم فيه من الشرك ثم اردفه بدلايل السمع والعقل وقدم

السمعي لان صاحبه هو القايم بتجريد العقل وتهذيبه ايضًا فليس النظر الى دليل
السمع بل الى من قام به من الملايكة والرسل عليهم السلام خلق الانسان من نطفة
جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو عطف على ما تقدم
باعتبار ان المراد من خلق الانسان ايجاده وترتيبه الى ان يبلغ حد النطق د
والادراك فا ذاق التعقيب والمفاجاة اصا بتا المحن خصيم منطيق مجا دل
عن نفسه في الخصام مبين للحجة على خصمه مميز للحق عن الباطل فهو صفة
مدح اي نقله من تلك الحالة الخسيسة الى هذه الحالة الشريفة وهي حالة
النطق والابانة ويويده التعقيب بذكر ما امتن به عليه في قوام معيشته
وقيل معناه مكافح لخالقه قايل من يحيي العظام وهي رميم فهو صفة ذم وياباه
التوصيف بالابانة ولا يساعده سياق الكلام ولحاقه ومساقه فانه للدلالة
على كمال القدرة والارادة والانعام ذكرا ولا ما هو اكثر منفعة والزم لمن
انزل القران بلغتهم وقد تقدم شرح الانعام في سورة الانعام وانتصابها
بمضمر يفسره قوله خلقها وكلم في قوله لكم فيها دفء خبر مقدم لدفء
وفيها حال منه والجملة بيان لما خلق له او بالعطف على الانسان وخلقها
لكم بيان ما خلق لاجله ودفء مبتدا اخبره فيها والجملة مع ما بعدها تفصيل
لما خلق له والدفء ما يدفا به اي يسخن فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها
وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي
تاكلون ما ياكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للاختصاص
اشارة الى ان الاصل المعتد به في اكل اللحم انما هو منها واما الاكل
من غيرها فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه لجعله بمجرد محافظة
الفاصلة تنزيل المنزل عن منزلته الفاصلة ولكم فيها جمال زينة
حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراوحها بالعشي وحين تسرحون
تخرجونها بالغداة الى المرعي فان الافنية تزين بها وبجاوب الرغا والثغا
فيها من اهلها ويفرح اربابها وتجلهم في اعين الناظرين اليها وتكسبهم الجاه
والحرمة وتقديم الاراحة على السرح لان الجمال فيها اظهر اذا اقبلت
ملاي البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظاير حاضرة لاهلها بانسون
بها مستبهجين وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون كلاهما وصف لحين
اي تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
اي ليس من شانكم بلوغه بانفسكم على اقدامكم الا بشق الانفس لا بجهد
ومشقة لو لم تكن الا بل فضلا عن ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم فكيف اذا فعلت
اثقالكم من ان تحملوها او لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقرئ بشق
الانفس بكسر الشين وفتحها وهي لغتان في المعنى المذكور وقيل بينهما
فرق وهو ان المفتوح مصدر رشق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق

الذي

الذي هو الصدع واما الشق بالكسر فهو للنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من
الجهد ان ربكم لروف رحيم يروف بكم بتيسير مصالحكم ومعايشكم وبرحمكم
بخلق هذه المنافع والحوامل والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام وواحد
الخيل خايل كضاين واحد ضان وقيل لا واحد له لتركبوها ذكر هنا منفعة
الركوب عبارة واحال بين منفعة الحمل على الدلالة وعكس فيما تقدم اعتبار
في كل منهما للاصالة وزينة انتصب بالعطف على محل لتركبوها على انه
مفعول له وخولف بينهما لان الركوب فعل المخاطبين فتعذر شرط نصبه
واما الزينة ففعل الخالق لانه لا يابى عن نظم الثاني في سلك الاول لان
الاول مقصود بالذات والثاني بالعرض وقرئ زينة بغير واو ويجاز ان
يكون حالا عن احد الضميرين وان يكون علة لتركبوها واستدل به
على حرمة لحومهن ووجه الاستدلال ان المقام الامتنان بعد المنافع
والكلام مشتمل لنوعي المقصود استيفا فانها فلو كان كلها حلالا لكان
احق بالتعرض من الزينة واما اكل لحم الحمار وان كان حلالا وقيده الا انه
في معرض التحريم فالامتنان به لا يليق بحكم ويخلق ما لا تعلمون لما فصل
الحيوانات المحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها
مما لا يعلم كنهه وتفاصيله اي فيكم ولكم على سبيل الامتنان او ما لم تحصوه ولم
تكن لكم به علم لكثرتها دلالة على مزيد قدرته وحكمته ويدخل فيه ما
خلق في الجنة والنار مما لا يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه وغير النظر الى
المضارع استحضارا لا يجاد ما لم يحط به علما من الاشيا النافعة له
والدلالة على قدرته تذكيرا للنعمة وتعجيبا وتقريرا لدلايل القدرة ثم
وفضلا هداية الطريق المستقيم الموصل الى الحق وعلى الطريق المستقيم
يصل اليه والقصد مصدر بمعنى اسم الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي
مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقومه السالك والمراد بالسبيل الجنس
لاضافة القصد اليها ولقوله ومنها جاير لا يوصل الحق لسوء استعداد صاحبه
حيه وقرئ ومنكم جاير اي عن القصد وتغيير الاسلوب على انه ليس على
الله تعالى الهداية الى الطريق الجاير عن القصد والاستقامة ولا يوصل
الى الله سالكها اولان المقصود بيان سبيله وذكر قسيمه اتماما الغرض
ولو شا لهداكم اجمعين اي لو شا الله هدايتكم اجمعين الى قصد السبيل لهديكم
اليه هداية مستلزمة للاهتدا هو الذي انزل من السما من السحاب او
من جانب السما لما استدل على وجود الصانع الحكيم باحوال الحيوان
اتبعه بذكر الاستدلال عليه بعجايب احوال النبات ما تنكيره لانه على
خلاف الما المعهود حيث لا يسيل بل ينزل قطرات غير متداركة لكم متعلق
بانزل او خبر لشراب في قوله منه شراب اي مشروب ومنه على الاول

خبر لشراب وعلى الثاني تبعيضية وفي حصر المشروب المستفاد من تقديم منه
دلالة على ان مياه الارض منه ومنه شجر منه تكونه والمراد بالشجر ما يراعاه
المواشي وقيل كل ما ينبت على الارض يطلق عليه الشجر قال الشاعر نعلفها اللحم اذا
عز الشجر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة
واسامها صاحبها واصلها من السومة التي هي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات
في الارض ينبت لكم به الزرع وقرئ بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل
والاعناب تقديم الزرع لانه الاصل في الغذا وتخصيص الاجناس الثلاثة
من الثمرات وتقديمها لاظهار فضلها وانافتها على سايرها ولعل تقديم ما يسام
فيه على الكل لصيرورته غذا حيوانيا هو اشرف الاغذية اسرع ما يكون الى
اللبن واللحم ومن كل الثمرات اي وبعض كلها لان ما يمكن من الثمرات لا يكون في
الارض ان في ذلك لاية لدلالة واضحة لقوم يتفكرون ينظرون فيستدلون
بها على وجود الصانع وحكمته وقدرته ولما كان الاستدلال بانبات الماء وهو
واحد وان كثرت انواع النبات قال هنا الاية على صيغة الافراد وسخر لكم الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هياها لمنافعكم مسخرات بامره نصب
على الحال اي فعلكم بها حال كونها مسخرات بامره التكويني او على المصدرية
وجمع للتنويع جمع مسخر بمعنى تسخيرا اي سخرها انواعا من التسخير كانه
قيل سخرها تسخيرات وقرئ برفع الشمس والقمر والنجوم على الابتدا والخبر
مسخرات بالرفع وبرفع النجوم وحده ونصب ما قبله ومسخرات خبر يعني
انها مسخرات حقيقة لله تعالى وانما قيل انها سخرت لكم باعتبار ان فايدة
تسخيرها عايدة اليكم ومن وهم ان المعنى مسخرات لما خلقن له فقد وهم
اذ حينئذ يكون اعادة بلا فايدة ان في ذلك لايات اتى هنا بصيغة
الجمع لان وجه الدلالة في السموات متعدد لقوم يعقلون ذكر العقل لان
الاحتياج الى تجريد العقل لصرف في الاستدلال بها اشد فان القوة الفكرية
كافية في الاستدلال بما يشاهد من احوال النبات وتغيراته واختلاف اشكاله
والوانه واما احوال العلويات فلا بد فيها من مزيد عقل ومعرفة بالعلم
الطبيعي والهيئة والهندسة ومن زعم ان وجه الدلالة هنا مع تعدده
اظهر من وجهها ثمة مع وحدته فقد كابر مقتضى العقل الصحيح وما
ذرا لكم في الارض من انواع الحيوان والنبات والمعادن في موضع نصب بفعل
محذوف اي وخلق وانبت كذا قال ابو البقا استبعد تسلط سخر على ذلك
اذ حينئذ يلغو قوله لكم فقد رفعلا لا ينقا ومن لم يتنبه لهذا قال اي سخر
لكم ما خلق لكم فيها مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا
ان في ذلك لاية لقوم يذكرون اي يتعبرون فان اختلافها في الطباع
والهيئات والمناظر ليس الا بصنع قادر حكيم وافرد الاية لانه عبر عنه

بمفرد و

بمفرد ووصفه بمفرد وهو الذي سخر البحر بان مكنكم الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص وغيره لتاكلوا منه لحما طريا هو الحوت والتعبير عنه
باللحم وهو حابوكل من الحيوان تنبيها على جهة حله وامتيازه عن سائر
الحيوانات المأكولة فانها لا تكون لحما الا بعد الذبح والسلخ ولا يخفى لطف
موقع هذا التنبيه والتمهيد السابق بقوله من حيث تضمن الاشعار بانهم
يبيدون اكله من البحر مبالغة في تضمينه للاكل في مقام الامتنان وفي تخصيص
اكله طريا بالذكر اشارة الى انه في معرض ان يسرع اليه الفساد لكمال لطافته
فيسارع الى اكله فكانه قيل لتاكلوا منه لحما طريا في غاية اللطافة وهذا
من الطف الكنايات التي قل ما يتنبه لها ولا بد من الحمل عليها اذ على تقدير
ابقايه على ظاهره يكون بيانا للواقع خاليا عن فايدة الخبر ولازمه روي
ان ابا حنيفة رضي الله عنه لما قال لو حلف لا ياكل اللحم فاكل لحم السمك لا يحنث
لان لحم السمك ليس بلحم سمع سفيان الثوري قوله فانكر عليه محتجا بهذه
الاية فبعث اليه ابو حنيفة رجلا سأله عمن حلف لا يصلي على البساط فصلى
على الارض هل يحنث ام لا فقال سفيان لا يحنث فقال الرجل اليس ان الله تعالى
قال والله جعل لكم الارض بساطا فعرف سفيان ان ذلك تلقين ابي حنيفة
وقيل في وجه قوله ان مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر
اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذا
الدراهم لحما فجا بالسمك كان حقيقا بالانكار وهذا معارض بانه اذا قال
لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجا بلحم العصفور استحق الانكار ايضا مع انه
يحنث باكل لحم العصفور من حلف لا ياكل اللحم اخرج من البحر الملح الزعاق ذو
الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة ونهاية اللطافة علم انه انما حدث
لا بحسب الطبع بل بقدرة الله تعالى وحكمته حين اظهر الضد من الضد وتستخرجوا
منه حلية كاللؤلؤ والمرجان فان الحلية اسم لما يتحلى به وزيادة حرف
التنفيس هنا للدلالة على ان اخراجه بمشقة يقتضي المهلة تلبسونها تلبسها
النسا فهو من قبيل اسناد فعل البعض على الجملة كتربية السابق وترى الفلك
مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها مع صوت من المخر وهو شق
الما بصوت ولتبتغوا عطف على محذوف تقديره لتركبوا فيها ولتبتغوا من
فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي وتشكروا الله
تعالى على هذه النعمة الجليلة حيث تقطع بها المسافة البعيدة في المدة
القليلة مع ما فيها من الاحمال والانتقال بلا مؤونة الرفع والوضع في اثنا
السير كما هو المعتاد في مسافة البر هذا هو الوجه بتخصيص هذه النعمة
بتعقيب الشكر واما جعل الهلاك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش فلا
يناسب مقام اظهار القدرة والقى في الارض رواسي عطف على محذوف

تقديره والارض مددناها والقينا فيها رواسي ولما حذف المعطوف عليه
عدل من الضمير الى الظاهر وقد مر تفسيره في سورة الحجر ان تميد بكم كراهة ان
تميد بكم اي تتحرك وتميل والميد الاضطراب وذلك ان الارض لو بقيت على بسائطها
كانت كرية حقيقية للتحرك بادنى سبب او متحركة كالفلك فلما خلقت الجبال راسخة
فيها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال نحو المركز بثقلها فصارت كالاوتاد التي
تمنعها عن الحركة والميل من جانب الى جانب وانهارا اي وجعل فيها انهارا لان
القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لتهتدوا بها في اسفاركم الى مقاصدكم
وانما قال لعلكم لانه لابد من الاستدلال في بعض المواضع للاهتدا الى المقاصد
وعلامات ومعالم يستدل بها السابلة في النهار من الجبال والانهار ونحو
ذلك وبالنجم المراد به الجنس والثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي
ويساعدها قراته بضمتين وضم وسكون على الجمع هم يهتدون بالليل
في البراري والبحار وتقديم النجم وتوسيط الضمير فيهما واخراج الكلام عن سنن
الخطاب الى الغيبة للدلالة على هولا المنكرين من قريش بالنجم خاصة هم خصوصا
يهتدون لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بانهم اعلم الناس به
بالاهتدا بالنجوم في مسايرهم فكان الاعتبار بذلك الزم لهم والشكر لله به اوجب
عليهم فلذلك خصصوا افمن يخلق كمن لا يخلق الهمزة للانكار دخلت على فا
التعقيب اي ابعد هذه الدلايل المتكاثرة الواضحة الدلالة على كمال قدرة
الله تعالى وحكمته وانفراده بخلق ما عدد من مبدعاته يقولون بمساواة
الخالق المطلق لما لا يخلق شيا واورد من الجمادات التي هي الاصنام امسك
للمشاكلة واما بنا على اعتقادهم وتسميتهم الهة وعبادتهم لها وفيه ضرب
من التهكم واما لان المراد كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بالجماد للمبالغة وكان
حق الكلام ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق لانه الزام لعبدة الاوثان لكنه
عكس تفظيعا لشانهم بانهم لما سموها باسمه وعبدوها كعبادته وسووا
بينه وبينها فقد جعلوا الله تعالى من جنس هذه المخلوقات وشبيها بها فانكر ذلك
عليهم وحذف مفعول يخلق لان المراد نفس صدور الفعل منه اي ايكون الخالق
شبيها بغير الخالق او للتعميم اي افمن يخلق كل شي كمن لا يخلق شيا ا او لان ما عدد
من الاشيا العظيمة العجيبة كمن لا يخلق شيا منها افلا تذكرون بعد هذه التنبيهات
فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلايه ووضوحه كالبديهي المغفول عنه وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تبلغ طاقتكم ضبط عددها فضلا عن ان تطيقوا
القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم ما لا يحصى وان القيام بحق عبادته
وشكره غير مقدور لاحد ان الله لغفور حيث يغفر تقصيركم في ادا شكرها
ويتجاوز عنه رحيم لا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها
وفيه اشعار بانه تعالى ما كلفكم حق الشكر لعدم الامكان وتجاوز عن الممكن

الى السهل الميسور وفي قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ما يشعر بانهم
قصروا في هذا الميسور ايضا فاستحقوا العقاب اي يعلم ما تسرون من عقايدكم
وعزايمكم وما تعلنون من اعمالكم واقوالكم وهو وعيد على شركهم باعتبار العلم والعمل
وتقصيرهم في الشكر والعبادة وتقديم ما تسرون لان الوعد من جهة العقايد
والعزايم اهم والذين تدعون من دون الله اي والالهة الذين يدعونهم
الكفار من دونه تعالى ويعبدونهم لا يخلقون شيا لما نفى المساواة
والمشابهة بين من يخلق وبين من لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيا لينتج انهم لا
يساوونه ولا يماثلونه ثم اثبت لهم صفات تنافي الالوهية تاكيدا لذلك فقال
وهم يخلقون اي وهم ممكنات مفتقرة الى التخليق فكيف تكون الهة والاله
يجب ان يكون واجب الوجود غنيا عن الكل اموات هم اموات ولما احتمل ان يكون
المعنى اموات فيما بعد على طريقة انك ميت وانهم ميتون دفعه بقوله
غير احيا ويجوز ان يكون المعنى جمادات لا يعرض لها حياة كما يعرض لبعض
الاموات كالنطف التي يحييها الله تعالى فيجعلها حيوانات وكاجساد الموتى
التي يبعثها الله تعالى وذلك اعراق في كونها امواتا ويجوز ان يكون المعنى
حالا او ما لا غير احيا بالذات ليتناول كل معبود والاله يجب ان يكون حيا
بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون اي لا يشعرون متى
يبعث عبدتهم فكيف يجازونهم فان المعبود يجب ان يعلم عبادة العابد
وقت بعثه وجزايه حتى يقدر على مجازاته بعد موته فان البعث والجزا من
لوازم التكليف والعبادة وفيه تهكم بهم وبالهتهم فانها جمادات لا شعور لها
بشي فكيف بما لا يشعر به حتى غير الله تعالى الهكم اله واحد تلخيص للنتيجة
وتكرير للمطلوب بعد اقامة الحجة عليه على ابلغ الوجوه فالذين لا يومنون
بالاخرة قلوبهم منكرة تعكيس للمقصود من النتيجة ببيان لموجب انكارها اي انه
قد ثبت وتحقق بالبراهين المذكورة ان الالوهية تمتنع ان تكون الا لله
وحده فانه تعالى لا شريك له فيها فانتج لهم ذلك اصرارهم على شركهم
وانكار قلوبهم للوحدانية وذلك لعدم ايمانهم بالاخرة فان الذي لا يومن
بها لا ينظر في الدلايل ولا يتاملها بخلاف المومن بها وهم مستكبرون وهم قوم
عادتهم الاستكبار عن التوحيد وعن الاقرار به لما رسخ في قلوبهم من تقليد
ابايهم لا جرم قد سبق تفسيره في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون وما
يعلنون فيجازيهم على ذلك وعيد على ما ذكر على ابلغ وجه وهو في موضع
الرفع على الفاعلية لان جرم فعل او مصدر انه لا يحب المستكبرين تعليل للوعيد
اي لا يحب كل مستكبر فكيف بالذي استكبر عن توحيده او اتباع رسوله وفي اطلاق
المستكبرين تعميم برهاني واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القايل بعضهم على التهكم او
الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل اي اي شي

انزل ربكم وتقرير الجواب ما يدعون نزوله اساطير الاولين او مرفوع بالابتدا
اي اي شي انزله ربكم وتقرير الجواب هو اساطير الاولين او المنزل اساطير الاولين
علي السخرية والتهكم والمجيبون المقتسمون مداخل مكة ينفرون عن رسول
الله صلي الله عليه وسلم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة متعلق بقالوا علي
التعليل في نفس الامر لا الغرض واللام لام العاقبة اي قالوا ذلك اضلالا للناس
فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار
الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من ضل وهو وزر الاضلال فان ضلاله
انما حصل بامرين اضلال هذا وسعيه وعنه هذا ايضا ملان الوزر بغير علم حال من
المفعول اي يضلونهم علي جهلهم وفايدة التقييد به الدلالة علي جهلهم ليس
بعذر اذ كان عليهم ان يبحثوا وينظروا فيعرفوا من يقلدونهم ويميزوا بين
المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بيس شيا يزرونه فعلهم قد مكر الذين
من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتي الله بنيانهم من
القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعفت فخر عليهم
السقف قال ابن الاعرابي العرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حايط
اذا كان يملكه وان لم يكن عليه فجا بقوله من فوقهم ليخرج به هذا عن الذي
من كلام العرب اي عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا واتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون تمثيل اي قد دبروا حيلا ليمكروا بها
رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك المكائد والحيل واستيصالهم بها كحال قوم
بنوا بنيانا واحكموا قواعده فاتي الله بنيانهم من جهة الاساس فسقط عليهم
السقف وهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم قيل يعذبهم بالنار لقوله
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وياباه قوله ويقول اين شركاي
لانه قبل دخولهم في النار اضاف الى نفسه الشركا حكاية لاضافتهم توبيخا لهم
وتهكما بهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المومنين في شانهم وقري
بكسر النون يعني تشاقونني فان مشاقة المومنين كمشاقة الله قال
الذين اوتوا العلم اي الانبيا والعلما الذين كانوا يدعونهم الي التوحيد
فيشاقونهم ويتكبرون عليهم ان الخزي اليوم متعلق بطرفيه والسوء الذلة
والعذاب علي الكافرين تقريرا لما كانوا يعظونهم به وتحقيقا لما اوعدوهم او
اظهار للشماتة بهم وحكي الله تعالي قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل المراد
من القايل الملايكة ويا باه قوله الذين تتوفاهم الملايكة يحتمل الجر صفة
للكافرين فيكون داخلا تحت القول والنصب والرفع علي الذم ظالمي انفسهم
بان عرضوها علي العذاب المخلد نصب علي الحال فالقوا السلم فسالموا واخبتوا
وتولوا عما كانوا عليه من الكفر والعدوان رد عليهم اولوا العلم بقولهم بلي ان الله
عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من باب الشماتة وكذلك

فادخلوا

فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها
خالدين فيها فلبيس مثوى المتكبرين هي جهنم والوصف بالتكبير للايذان
باستحقاق صاحبه النار ومن لم يجوز الكذب يومئذ اول قولهم ذلك بانا لم نكن
في زعمنا عاملين سوا ولاينا سبه الرد المذكور كما لا يخفي وقيل للذين اتقوا يعني
المومنين عطف علي قيل لهم في قوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
اي انزل خيرا وانما رفع الاول ونصب الثاني فرقا بين جواب الجاحد وجواب
المقر اي ان المتقين لم يتلعثموا واطبقوا الجواب علي السوال بينا مكشوفا
والمشركون عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من
الانزال في شي للذين احسنوا في هذه الدنيا كلام مدح الله تعالي به القايلين
خيرا وجعل قولهم ذلك من جملة احسانهم وحمدهم عليه ووعدهم به فهو
كلام مبتدا لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون بما بعده بدلا من خيرا علي
انه من كلام المتقين اي قالوا خيرا ثم فسروا الخير بهذه الجملة يعني انزل
هذا الكلام بعد ما ابهموه وسموه خيرا حسنة مكافاة باحسانهم في الدنيا
وهي العصمة والتوفيق والنجاة من العذاب المعجل ولدار الاخرة ولثوابهم
في الاخرة خير مما لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين اللام للقسم ونعم كلمة مدح
ان لا خوف فيها ولا حزن ونعيمها مقيم وملكها دايم وصاحبها فيها
خالد وحذف المخصوص بالمدح وهو دار الاخرة لتقدم ذكرها وقوله جنات
عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص يدخلونها تجري من
تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون تقديم لهم للتخصيص اي لهم خاصة دون
غيرهم وعموم ما مع تقديم فيها يفيد ان الانسان لا يجد جميع ما يشاء من
المشتهيات الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين فذلكة للتاكيد مع تعظيم
الجزا وفيه تقوية للوجه الاول الذين تتوفاهم الملايكة طيبين طاهرين
من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم او فرحين ببشارة
الملايكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لقوة ايمانهم وتوجه نفوسهم
بالكلية الي عالم القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم علي الاعمال الصالحة وانما قال ادخلوا
الجنة لان القبر روضة من رياض الجنة في حقهم ومن غفل عن هذا ذهب الي
ما ذهب وارتكب لما يخل حسن الانتظام في الكلام هل ينظرون اي الكفار
المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملايكة لقبض ارواحهم او ياتي امر ربك العذاب
المستاصل الواقع فجاة وقد سلف وجه التعبير عن مثله بامر الله تعالي
وتفسير الامر بالقيمة ياباه كلمة او لان انتظارهما يجامع انتظار الملايكة كذلك
مثل ذلك الفعل الشنيع القبيح من الشرك والتكذيب من قال هنا فاصابهم
ما اصابهم فكانه غفل عن الاخبار عنه بعد هذا صريحا في نظم القران يابي عن

اعتباره هنا تقديرًا فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم
او تعذيبهم فاصابهم سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم على حذف
المضاف بل على تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو
شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه
من شيء من البحائر والسوائب وغيرها مما احل الله تعالى وانما قالوا ذلك
عنادًا وتعنتا والزامًا للموحدين بناء على زعمهم وقولهم ما شاء الله يجب وما لم يشا
يمتنع ومنعا للبعثة وانكارا للتكليف لعدم الفائدة فيهما او انكار القبح ما
انكر عليهم من الشرك والتحريم ونحوهما متمسكين بانها لو كانت مستقبحة لما
شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجيا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا
قبح اعمالهم كذلك فعل الذين من قبلهم اي مثل ذلك الفعل الشنيع من
الاستهزاء بالرسل وانكار البعثة والتكليف والجدال بالباطل فعل اسلافهم ولما
فهم منه ان انذار الرسل وارشادهم لم يجد نفعًا في حق الضالين المعاندين اتجه
السؤال بان يقال فما بال المرسلين حيث لم يتحروا مصلحة الارشاد اجاب عنه
بما حذف واقيم تعليله مقامه لاستلزام العلة للمعلول قوله فهل على
الرسل الا البلاغ المبين اي لا باس فيه فهل عليهم الا البلاغ الموضح للحق اي
ليس لهم عليهم الهداية ولكن الله تعالى سبب الاسباب بحكمته وجعل تبليغ الرسل
من اسباب الهداية لمن شاء هدايته فليس عليهم له عليه السلام الا ما كلفهم من
التبليغ والابانة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ثم بين
ان بعثة الرسل والدعوة الى الحق والتكليف امر جرت به السنة الالهية
في الامم كلها سببا ليهدي من اراد اهتداءه وازدياد ضلال من اراد ضلاله
كالغذاء الصالح الذي ينفع من اعتدل مزاجه ويضر من انحرف مزاجه
بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا التنكير للتعظيم ان اعبدوا الله ان
يجوز ان تكون تفسيرية لان البعث يتضمن معنى القول وان تكون
مصدرية اي بعثناه بان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت قد سبق
تفسيره في سورة البقرة فمنهم من هدى الله ووفقهم الله للايمان بارشادهم
ومنهم من حقت عليه الضلالة فغير الاسلوب بالعدول عن قوله ومنهم
من اضله للتنبيه على ان الثاني لسوء استعدادهم على ما افصح عنه قوله
تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
ومن لم يتنبه لذلك قال اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم فسيروا في الارض
ترتيبه على موجب ما تقدم من نزول العذاب عليهم فكانه اخبر عنه
واحالهم في معرفة ذلك على السير في الارض والاختصاص للامر المذكور
اي سيروا في الارض لهذا الامر واجعلوه غاية سيركم فالفا لبيان ترتيب

احد الامرين على الاخر يكون الاول وسيلة للثاني لا لتعقيب السير بالنظر فتدبر
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان
تحرص على هداهم الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على هداهم فان الله لا يهدي من يضل
من حقه ان يضل تعليل للجزاء اقيم مقامه لاستلزام العلة للمعلول اي تموت على نفسك
ولا تتبعها وتسل عنهم فان هدايتهم ممتنع وقرئ لا يهدي على البناء للمفعول وهو ابلغ وما
لهم من ناصرين ينصرونهم اذ خذلهم الله تعالى او يدفعون العذاب عنهم اذ عذبهم
وانما نفي الجمع لان الاجتماع مظنة زيادة القوة على النصرة واقسموا بالله جهد
ايمانهم مستعار من جهد نفسه اذا بلغ طاقتها واقصى وسعها للمبالغة في اليمين
وبلوغ غاية غلظتها واقصى وكادتها وهو في حكم الحال لان اصله واقسموا بالله
يجهدون ايمانهم فحذف الفعل ووضع المصدر مكانه مضافا الى المفعول لا يبعث
الله من يموت ارادوا به نفي قدرته تعالى على بعث الموتى والجملة عطف على
وقال الذين اشركوا تعريضا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه
زيادة في البت على فساده للابدان بانهما كونتان عظيمتان حقيقيتان بان
تحكيا وتدونا ليتعجب منهما ويعتبرها وقد رده الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال بلى
يبعثهم الله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله تعالى
عليه صفة للوعد اي وعدا حقا صفة اخرى له اي وعدا ثابتا عليه الوفاء به حقا لامتناع
الخلف في وعده ولكون البعث مقتضى حكمته ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم
يبعثون اوان وعده حق عليه انجازه بمقتضى حكمته وعدم العلم به لا يستلزم
العلم بالعدم فضلا عن العلم بالامتناع فما قيل في التعليل لقصور نظرهم بالمآل
لوقوف يتوهمون امتناعه من قصور النظر ليبين لهم تعليل ما دل عليه بلى اي
يبعثهم ليبين لهم والضمير في من يموت عام للناس كلهم الذي يختلفون فيه وهو الحق
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث الله من يموت وهو اشارة
الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل
والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون قولنا مبتدا ان نقول خبره واذا لمجرد الظرفية اي وقت ارادتنا
او شرطية محذوفة الجواب لدلالة الجملة الاسمية عليه اي اذا اردنا وجود
شيء فليس الا ان نقول له احدث فيحدث عقيب ذلك بلا توقف تمثيل
لبيان امكان البعث وسهولته على الله تعالى وهو ان كل ما يتعلق به ارادته
من الاشياء لا يمتنع عليه ولا يتوقف بل يكون كمامور مطيع امر امر مطاع فلم يلبث
ان يمتثل والمبعوث احد الاشياء الممكنة فكيف يمتنع عليه ولا قول وقرئ فيكون
بالنصب عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا هم رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرين رضي الله عنهم ودل قوله في الله
على ان الهجرة اذا لم تكن لله لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد

الي بلد وقوله تعالي من بعد ما ظلموا علي انهم كانوا مظلومين في يدي م
الكفار او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلي الله عليه وسلم
لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة
اكبر مما يعجل لهم في الدنيا لو كانوا يعلمون الضمير للمهاجرين اي لو كانوا يعلمون
لزادوا في اجتهادهم وصبرهم او للكفار اي لو كانوا يعلمون ان الله تعالي
يجمع لهولا المهاجرين بخير الدارين لرغبوا في دينهم الذين صبروا علي اذي
الكفار ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع علي المدح وعلي ربهم
يتوكلون منقطعين الي الله تعالي مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا يوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله
بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة الا بشرا يوحي اليه و
الموحي لا يلزم ان يكون بواسطة الملك فضلا عن ان يكون علي لسانه
والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب
او علما الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون جوابه محذوف دل عليه ما قبله
وفي الاية دليل علي انه تعالي لم يرسل ملكا ولا امراة ولا صبيا للدعوة العامة ولا
ينافيه نبوة عيسي عليه السلام وهو في المهد لانها اخص من النبوة وعليه وجوب المراجعة
الي العلما فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب متعلق بلا تعلمون علي ان
الشرطية للتبكيت والالزام من حيث الاعتراف بعدم العلم وسبيل الجاهل سوال
من يعلم لا الانكار ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثنا اي وما
ارسلنا الا رجالا بالبينات وان يكون صفة لرجالا اي رجالا ملتبسين بالبينات
او بيوحي علي المفعولية او الحال عن الفاعل من القايم مقام فاعله علي ان قوله
فاسئلوا اعتراض ويجوز ان يتعلق بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقيل ارسلوا
بالبينات والزبر فهو علي هذا كلام اخر مستانف وانزلنا اليك الذكر اي القران
وانما سمي ذكرا لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر
بتوسط نزوله عليك من الاحكام والمواعيد والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود
او يرشد الي ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة
ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقايق والواو للعطف علي محذوف تقديره
ارادة ان يصغوا افامن الذين مكروا السيات اي المكرات السيات وهم
الذين احتالوا لهلاك الانبيا عليهم السلام او الذين مكروا رسول الله صلي الله
عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان ودخول الهمزة علي فا التعقيب انكار
لامنهم بعد اطلاعهم علي عاقبة المكذبين والبينات التي انزلت علي الرسول
صلي الله عليه وسلم ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون اي في حال غفلتهم نايمين ولا يلزم ان يكون
من جانب السما ولا ان يكون بغتة ولهذا جمع بينهما في قوله من قبل ان

ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون او ياخذهم الاخذ هنا كناية عن الاهلاك
كما في قوله وكلا اخذنا بذنبه في تقلبهم في تصرفاتهم في امورهم وهذا ايضا
زمان غفلتهم عن تطرق الافات لتوغلهم في تحصيلهم المهمات الان لهم فيه
شعورا وهذا تفصيل ما اجمله الضحاك بقوله بالليل والنهار فما هم بمعجزين ه
بفايتين والفا للدلالة علي شدة الاخذ بحيث لا ينفلت الماخوذ ولو انا وبه
تتم الكناية المذكورة انفا او ياخذهم علي تخوف علي مخافة بان يهلك قوما
قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون وهو خلاف الاتيان والاخذ
المذكورين سابقا لانه اخذ علي توقع فيكون الغرض التعميم وقيل هو من
تخوفته اذا انتقصته اي ياخذهم علي تنقصهم شيا بعد شي في انفسهم واموالهم
حتي يهلكوا فان ربكم لروف رحيم لا يعاجلكم بالعقوبة مع استحقاقكم بها
وهذا كالتعليل للاخذ علي التخوف لان فيه مهلة وامتداد وقت فيمكن فيه
التلافي اولم يروا الي ما خلق الله استفهام انكار اي قد راوا امثال هذه
الصنايع فما بالهم لا يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وانما قال
من شي لان الخلق قد انقسم علي نوعين ما خلق من شي كعالم الاجسام وما خلق
من غير شي كعالم الامر وهو عالم الارواح كما قال الله تعالي الا له الخلق والامر
وانما سمي عالم الارواح الامر لانه خلق بامر كن من غير شي والظل من خواص ما
في عالم الخلق وبهذا اندفع ما قيل ان بيان ما خلق بشي بيان المبهم بما هو ابهم
فافهم تتفيو ظلاله التفيو تفعل من فا يفي اي رجع واختلف في الفي فقيل
هو مطلق الظل سوا كان قبل الزوال وبعده وهو الموافق لمعني الاية وقيل الفي
هو الذي بعد الزوال عن اليمين والشمايل اي عن الجوانب كلها استعير اليمين
والشمال من جنبي الانسان لجانبي الشي ثم اراد بالشمايل الشمال والخلف
والقدام علي طريق التغليب لان الظل يفي من الجهات كلها سجدا لله وهم داخرون حالان
من الضمير في ظلاله باعتبار المعني لانه يرجع الي ما ووحد باعتبار اللفظ وجمع
داخرون بالواو والنون للتغليب العقلا علي ساير ما خلق الله تعالي ولان السجود والدخور
من اوصاف العقلا ويجوز ان يكونا حالين من الظلال بالسجود ووصفها بها
بالدخور الذي هو ابلغ لانه انقياد قهري مع صفة المنقاد فيكمل حسن المعني بتصوير
سجود الظل وذي الظل وتقاربهما في الوجود ويظهر وجه تغيير الاسلوب
في الحال الثاني واستعير السجود والدخور للانقياد والاستسلام والتسخير
لما يريد من المخلوقات او من ظلالها سوا كان بالاضطرار او بالاختيار يقال
سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا راسه ليركب والله
اعلم والمعني يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها وباختلاف مشارقها
ومغاربها بتقدير الله من جانب منقادة لما قدر لها من التفيو او واقعة
علي الارض ملتصقة بها علي هيية الساجد والاجرام في نفسها داخرة اي

او الاول للعلم والثاني من الفيء وهذا اولى
لانه تفسير صفة الظلال جمع

صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها ولله خاصة يسجد ينقاد لقدرته وارادته
انقياداً يعم الاختياري والاضطراري ومن ذكر بدل الاول ما يكون طوعاً وبدل الثاني
ما يكون طبعاً لم يصب في واحد منهما ما في السموات وما في الارض من دابة
بيان لما في الارض لان الدابة ما تدب في الارض ولا يلزم ان يكون على وجهه
والسكوت عن بيان ما في السموات للاشعار بكثرة ما فيها اجناساً وانواعاً ومن
رام تعميم البيان زاعماً ان الدبيب هي الحركة الجسمانية سوا كانت في جسم سماوي
او ارضي فقد غفل عما في قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء من الدلالة على
اختصاص الدابة بما في الارض لان ما في السما لا يخلق بطريق التوالد والملائكة خصت
بالذكر معطوفة على ما في السموات للتعظيم عطف جبريل على الملائكة اي والملائكة
خصوصاً من الساجدين لانهم اطوع خلق واعبدهم وهم لا يستكبرون عن عبادته
جملة استينافية وتقديم هم للتخصيص يخافون ربهم خوف اجلال وهيبة وتعظيم
حال من ضمير لا يستكبرون او بيان لنفي الاستكبار وتاكيد له لان من خاف الله
تعالى لم يستكبر عن عبادته من فوقهم حال من ربهم مجاز بمعنى القهر والعلو اي
عالياً لهم قاهراً ويفعلون ما يؤمرون خوفاً له وعلماً بعظمته ونفاذ سلطانه
وقدرته ولا دلالة فيه على ان الملائكة مكلفون بالتكليف الشرعي الذي
يترتب عليه الثواب والعقاب وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين اكد الهين
بالوصف باثنين وان ذلك التثنية تنافي الالهية كما وصف الاله بواحد
في قوله انما هو اله واحد دلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون
الالهية وانها لازمة للالهية فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى
التكلم ايقاعاً للرهبة في القلوب وتمكيناً لها في النفوس ومبالغة في الترهيب
وتصريحاً بالمقصود ولذلك قدم المفعول مع فا السببية وكرر الفعل اي ان
كنتم راهبين شيئاً فاياي فارهبون دون غيري فانا ذلك الاله الواحد القاهر
لكل شي وله ما في السموات والارض التفات آخر للتعظيم وتقرير لوجوب
تخصيص الرهبة به ووجوب الانقياد له في قوله ولله يسجد اي له
ما فيهما خلقاً وملكاً فكيف لا ينقادون له ولا يخصونه بالرهبة وتقديم
الظرف تاكيد وتقوية لمعنى الاختصاص الذي في اللام وكذا قوله وله الدين
اي الطاعة والانقياد واصباً اي واجباً ثابتاً اي وله الجزاء دائماً سرمداً
لا يزول وهو تاكيد وتقرير آخر وتعليل لوجوب الانقياد والرهبة اعني على الوجه
الثاني وكذا افغير الله تتقون تاكيد آخر بتقديم المفعول مع ان الهمزة الانكارية
داخلة على الفا التعقيبية اي ابعد العلم بالتوحيد وتخصيص الكل به خلقاً وملكاً
تخصون غيره بالاتقا وفيه توبيخ بليغ وما بكم واي شي اتصل واستقر بكم من نعمة
فمن الله او والذي اتصل بكم فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى
الشرط باعتبار الاخبار والعلم لان استقرار النعمة بهم يسبب للاخبار والعلم بانه

من

من الله لاحصوله منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون الجوار رفع
الصوت بالدعا والاستغاثة اي فما تتضرعون في كشفه الا اليه وفرق بين
حصول النعمة ووقوع الضر بعموم ما وايراد الفا الالصاقية في الجملة الاسمية
اي وكل ما استقر بكم من النعم المستمرة فهو من الله تجب عليكم شكره لان الانسان
لا يخلوا في حال حل من نعم كثيرة وبايراد ثم المفيد معنى التراخي والمس الذي هو
ادنى اصابته وجنس الضر بعد زمان طويل لا تجارون الا اليه والحاحاً باذا دون
ان لان وقوع هذا القدر من الضر في بعض الاحايين محقق ثم اذا كشف الضر عنكم
ثم مستعار لاستبعاد الشرك بعد كشف الضر عند تخصيصه تعالى بالتضرع اليه
في طلب كشفه والعلم بحصول النعم منه اذا فريق منكم بربهم يشركون اذا فجائية
والخطاب عام والفريق هم الكفرة او خاص بالمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض
اي اذا فريق وهم انتم بربهم يشركون والتبعيض على ان منهم من اعتبر وازدجر
كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم
بيان لرسوخ الكفران فيهم وغلبته على طباعهم حتى كانهم جعلوا غرضهم من الشرك
كفران النعمة فتمتعوا وقرئ فيمتعوا بالياء مبنياً للمفعول عطفاً على ليكفروا وعلى
ان اللام للتعليل ويجوز ان يكون لام الامر الوارد للتهديد والفا للجواب فسوف
تعلمون تخلية لهم ووعيد بليغ ويكون ليكفروا ايضاً وارداً على سبيل الخذلان
والتخلية ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم التي لا يعلمون حقيقتها فيعتقدون
انها تضر وتنفع وتشفع لهم عند الله تعالى وهي جمادات لا تضر ولا تنفع على ان
العائد الى المحذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به
او لالهتهم التي لا علم لها لانها جمادات فيكون الضمير لما نصيباً مما رزقناهم من
انعامهم وزروعهم تقرباً اليها تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها
الهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت
خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن قولهم
وتعجيب منه ولهم ما يشتهون نصب عطفاً على البنات اي ويجعلون لانفسهم
ما يشتهون من البنين اي يختارون او رفع على الابتداء ولهم خبره وسبحانه اعتراض
واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله
مسوداً من الكآبة واسوداد الوجه مجاز من الاغتمام من التشويش وهو كظيم
مملو غيظاً اي على المراة يتوارى من القوم يستخفي في ان يتركه على هون ذل
ام يدسه ام يخفيه في التراب اي يئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث
فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تنزه عن الولد ما هذا محله عندهم
ولانفسهم من هو على ضد هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء
صفة السوء من الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم وارادة الذكور استظهاراً بهم
وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق الشاهد على نفسهم بالشح

البالغ ولله المثل الاعلى من الغنى المطلق والوجوب الذاتي والجود الكامل والتنزه عن صفات المخلوقين وهو العزيز المتفرد بكمال القدرة والقوة على بطشهم واخذهم بذنوبهم الحكيم الذي يؤخرهم الى اجل مسمى تقتضيه الحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بسبب كفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وجاز اضمارها من غير ذكر لدلالة الدابة عليها لما عرفت انها ما يدب فيها فقط من دابة لان غير الانسان من الدواب انما خلقت لاجله لقوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا ولو اخذ الظالم بظلمه لانقطع نسل الانسان ان ما من شخص الا وفي ابائه ظالم فلا دلالة في الاية على ان يكون الناس كلهم ظالمين لما عرفت ان المراد من الظلم المضاف اليهم ما صدر عن بعضهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قد سبق تفسيره في سورة الاعراف ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهون لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واذلال الاموال وتصف السنتهم مع ذلك الكذب وهو ان لهم الحسنى اي عند الله تعالى لقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى بدل من الكذب او على اسقاط الحرف اي بان لهم وقرئ الكذب بضمتين جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم قد سبق تفسيره في سورة هود ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضدهم وانهم مفرطون بالفتح مخففا او مشددا بمعنى مقدمون الى النار اي معجلون من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وقرئ بالكسر مخففا بالافراط في المعاصي ومشددا من التفريط في الطاعات وما يجب عليهم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم ووعيد لاهل مكة فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كانت يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها واليوم عبارة عن ذلك الوقت اراد استحضار صورة التزيين في وقته للسامعين عسى ان يعتبروا بها فيحترزوا عن مثلها ويخرجوا عن ولاية اللعين والولي بمعنى القرين والذي يتولونه او حكاية الحال الاتية وفي حال كونهم معذبين في النار والفائدة للاستحضار المذكور في اذهان المخاطبين والولي بالمعنى المذكور او بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره فيكون في النار وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد من البعث والجزاء واحكام الافعال من التحليل والتحريم ونحوها وهدى ورحمة لقوم يؤمنون عطفا على محل لتبين نصبا على التعليل لكونهما فعلي

فاعل

فاعل الانزال المعلل بهما بخلاف التبيين فجيء فيه باللام لفقدان شرط نصبه والله انزل من السماء ماء قد سبق وجه تنكير الماء فاحيا به الارض انبت فيها انواع النبات بعد موتها بعد يبسها والتعقيب الذي دل عليه الفاء ليس في المهلة الواقعة بين المعطوفين لان ذلك انما يكون على حسب ما يعده الناس منقضيا والاحياء بعد الانزال يعد منقضيا لا متراخيا الا ترى الى صحة قولك تزوج زيد فولد له اذا لم يكن الا مهلة الحمل ان في ذلك لاية لقوم يسمعون المراد بالسمع القبول كما في سمع الله لمن حمده اي لقوم يتاملون فيها ويعقلون وجه دلالتها ويقبلون مدلولها وانما خص كونها اية لهم لان غيرهم لا ينتفعون بها ويحتمل ان يكون المعنى لقوم يسمعون من الخبر فكيف الذين يبصرونه اي ذلك اية للاعمى فكيف البصير وهذا التخصيص كالتخصيص في قوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وعلى ما قررناه تبين وجه العدول عن يبصرون الى يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة دلالة على قدرة الله تعالى وحكمته والتنكير للتفخيم نسقيكم استئناف لبيان العبرة مما في بطونه ذكر الضمير ووحده هنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش وكثيف ما يبقى من الاكل في الامعاء من الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية لان الاسقاء يبتدئ من مادة مبدؤها الدم ومنتهاها الفضلة التي لا حاجة اليها بل يجب ان يدفع كالفرث دفعا للضرر عن البدن او صح من مادة بين الفرث الذي من الفضول المحضة والدم الذي من الاصول المحضة فهو بالنسبة الى الفرث اصل لانه لا بد منه في بقاء النسل وبالنسبة الى الدم فضل لانه لا حاجة اليه في بقاء الشخص وعلى هذا يجوز ان يكون من الثانية ايضا تبعيضية لان تلك المادة غير متخصصة في اللبن فان الدم الذي يصير غذاء الجنين منها وكذا مادة المني وحينئذ يكون المقول المذكور حالا اي كائنا من بين فرث ودم وانما قدم على لبنا وهو صفة له في المعنى لانه موضع العبرة فهو معنى به جدير بالتقديم لكونه حاصلا من نجس وهو في معرض ان ينقلب اليه لانه ان لم يسبق يخرج من مخرج فضلات الهضم الرابع وذلك ان العلف ينهضم فتنجذب صفاوته الى الكبد ويتولد منه الدم ويبقى الفرث في الكرش وينسفل ويتوزع الدم على الاعضاء ليغذوها ويفضل من غذائه قسط صالح يرتقي الى الضرع الذي هو لحم غددي رخو ابيض فينقلب الدم عند انصبابه اليه الى اللبن هذا هو الصحيح في تولد اللبن فمن وهم ان محله بين الفرث

والدم فقد وهم **خالصًا** بصفي عما يصحبه من الاجزا الكثيفة بتضيق مخرجه ولهذا
صار **سايغا للشاربين** سهل المرور في حلقهم واما ما قيل صافيا لا لون الدم
ولا رايحة الفرث فمبناه الوهم الفاسد المذكور انفا والا فاين موضع تولد اللبن
من محل الفرث **ومن ثمرات النخيل والاعناب** متعلق بما في الا تنفا من معنى الاطعام
اي نطعمكم منها والمشروب المتخذ من عصيرها ولا حاجة الي تقدير محذوف وتعلقه
بنسقيكم يودي الي اخراج التمر والزبيب من الرزق الحسن ولا وجه له
تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاطعام وتذكير الضمير باعتبار جنس
الثمر ولما كان اللبن لا يحتاج الي معالجة منا اخبر عن نفسه تعالي بقوله
نسقيكم ولما كان السكر والرزق الحسن لا يحتاج الي معالجة منا قال تتخذون
وانما قال منه لان منه ما لا يوكل لا محالة والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل
السكر النبيذ **ورزقا حسنا** كالتمر والزبيب والدبس والخل ونحوهما وفي عطفه
علي سكرا تعريض بكراهة الخمر وانه ليس بحسن اجتنابه وهذا على ما قالوا
ان الاية نازلة قبل تحريم الخمر فقيل لها ميز السكر من الرزق الحسن قال اكثر
الصحابة رضي الله عنهم لو كان فيها خير لم تميز عن الرزق الحسن فامتنعوا
عن شربها ونزول الاية قبل تحريمها لا ينافي كونها جامعة بين العتاب
والمنة فان المنافي لاباحتها هو العتاب في الاخرة لا العتاب في الدنيا الذي
مرجعه النهي الارشادي **ان في ذلك لاية لقوم يعقلون** يستعملون عقولهم
بالنظر والتامل في الايات ولما قال في بدل الكلام لعبرة ناسب ختمه بيعقلون
لانه لا يعتبر الا ذوو العقول **واوحي ربك الي النحل** الايحا الي النحل الهامها
وايما عما دل عليه حذاقتها في صنعتها وتدبيرامرها وترتيب مراتب
عملها **ان اتخذي من الجبال بيوتا** بان اتخذي ويجوز ان يكون ان مفسرة
لان في الايحا معني القول وتانيث الضمير لان النحل جمع نخله **ومن الشجر
ومما يعرشون** ما يعرش الناس ويرفعونه من سقوف البيوت وانما
ذكر بحرف التبعيض لانها لا تتخذ في كل جبل وكل ما يعرشون ولا في كل
مكان منها وليس المراد من بيتها ما تبنيه لتعسل فيه كما توهمه من قال
وانما سمي ما تبنيه لتعسل فيه بيتا تشبيهًا بالذي بناه الانسان لما فيه
من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا تقوى عليها حذاق المهندسين
الا بالات رقيقة وانظار دقيقة ولعله ذكره للتنبيه علي ذلك بل ما تتخذه
في الجبال وكواها وفي منجوف الاشجار وفيما يعرش بنو ادم من السقوف
ثم كلي فيه ارشاد الي العمل فانها تبني البيوت اولا ثم تاخذ في الجرس للعسل
من كل الثمرات كل للتكثير كما في قوله واوتيت من كل شي ومن لابتداء
الغاية **فاسلكي سبل ربك** التي الهمك راجعة الي بيوتكم لا تضلين فيها
فانها ربما ابعدت في طلب نجعتها الي مواضع بينها وبين بيوتها فراسخ

ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة ذللها الله تعالي وسهلها لك
يخرج من بطونها التفات من خطاب النحل الي الغيبة تصريفا للخطاب الي
الناس لان الغرض الامتنان بالنعمة الجسمية بين الغذاية والدوايية واللذة
والشفا عليهم والاعتبار بحالها العجيبة ولطف صنعتها التي تبهر العقول
والاستدلال بها علي قدرة الصانع وكمال علمه وحكمته **شراب** يعني العسل
لانه مما يشرب وفيه دلالة علي ما هو المختار عند المحققين من ان النحل
ياكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في باطنها ثم تقي ادخارا للشتا ومن
زعم ان العسل نباتي محض وقال انها تلتقط بافواهها اجزا طلية حلوة صغيرة
متفرقة علي الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا الزمه ان يجعل تو
البطون مستعارة لافواه النحل ويكون الاكل ترشيحًا لها **مختلف الوانه** ابيض
واحمر واصفر وازرق بحسب لون النور او سن النحل **فيه شفا للناس**
لانه في الاغذية الدوايية وقل معجون لم يقع فيه وانما نكر شفا لان فيه شفا
ما لبعض الامراض لا لكلها او التعظيم للشفا الذي فيه **ان في ذلك لاية
لقوم يتفكرون** فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة
والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعًا انه لا بد من قادر حكيم يلهمها ذلك
ويحملها عليه **والله خلقكم ثم يتوفيكم** باجال مختلفة **ومنكم من يرد** يعاد عطف علي
محذوف تقديره فمنكم من يعجل وفاته ومنكم من يرد فالواو فصيحة **الي ارذل العمر**
اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان العقل والقوة **لكيلا يعلم
بعد علم شيا** ليصير الي حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسو الفهم
كي مصدرية ناصبة بنفسها الفعل بعدها وهي منصوبها في تاويل المصدر
مجرور باللام التعليلية المتعلقة بيرد **ان الله عليم** بمقادير اعمارهم **قدير** يميت
الشاب القوي ويبقي الشيخ الضعيف وفيه دليل علي ان تفاوت اجال
الناس بتقدير قادر حكيم واما انه لا دخل فيه للاستعداد واقتضا الطبع
وسو التدبير فلا دلالة عليه **والله فضل بعضكم علي بعض في الرزق** تقديم
اسم الله تعالي للتخصيص اي الله تعالي فضل دون غيره بان جعلكم متفاوتين
في الرزق **فما الذين فضلوا** اي جعل رزقهم افضل من رزق غيرهم **برادي
رزقهم** بمعطي رزقهم **علي ما ملكت ايمانهم** علي مماليكهم فيسووهم بانفسهم في
الماكل والملابس **فهم فيه سوا** اي هم اخوانهم وامثالهم فحقهم ان يساووهم
في ذلك فالجملة لازمة للجملة المنفية ومقدرة لها ويجوز ان تكون واقعة
لها موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم علي ما ملكت ايما(نهم)
فيستووا في الرزق علي انه رد وانكار علي المشركين فانهم يشركون
بالله تعالي بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم
فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه **افبنعمة الله يجحدون** اي لذلك التسوية

شكر نعمة الله فاذا لم تسووهم بانفسهم في ذلك فذلك هو كفران نعمة الله او فا
المفضلون في الرزق برادي رزقهم على مما ليكهم فان رزقهم ما ياكلونه بل
نحن نرزق المماليك كما نرزق الموالي فهم اي الموالي والمماليك سوا في رزق الله
فلا تحسبن الموالي انهم يرزقونهم فانه رزقي اجريته اليهم افبنعمة الله يجحدون
حيث ينسبون رزق مماليكهم الى انفسهم لا الى الله فيجحدون انه عند الله
والباقي بنعمة الله تحمل الجحود على الكفر حمل النظير على النظير وعلى الوجه الاول
فالذين فضلوا جملة توبيخية والهمزة الداخلة على الفا التعقيبية وتقديم
بنعمة الله تقرير للتوبيخ وانكار لفعلهم اي بعد علمهم بان الله هو الرزاق
ووضوح دلايل ذلك بنعمة الله خاصة يكفرون جاحدين لها وعلى الوجه الثاني
فالتوبيخ والانكار انما يكون في الجملة الاخيرة بالاصالة لا فيما قبلها
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتانسوا بها وليكون اولادكم
مثلكم امثالكم **وجعل لكم من ازواجكم** لم يقل منها لاحتمال العود الى الانفس
بنين وحفدة جمع حافدة وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة قيل
المراد منهم البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين وقيل المراد هم البنات
وفيه اي في التعبير عنهن بالحفدة دون البنات تنصيص على وجه الامتنان
بالبنات وهو انهن تخدمن البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات
وحينئذ يكون اشارة الى ان البنات من حيث انهن وصلة بالاجانب
نعمة جليلة وقيل هم الربايب وحينئذ يظهر وجه الاحتياج الى قوله من ازواجكم
واما الحمل على الاولاد فيا باه تخصيص البنين بالذكر حيث التعميم اولا ايضا
ورزقكم من الطيبات بعضها لان كلها انما يكون في الجنة والمراد الاطعمة
الشهية **افبالباطل يومنون** وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما
يحرم عليهم كالبحاير والسوايب **وبنعمة الله يكفرون** حيث اضافوها الى غيره
تعالى وحرموا ما احل الله لهم والكلام هنا في قوله بنعمة الله ويكفرون للتقوية
المعاضدة للتوبيخ والانكار بالهمزة الواردة على فاء التعقيب اي بعد
وضوح دلايل بطلان ما يعتقدونه يومنون بذلك الباطل ويجوز ان يكون
لايهام التخصيص مبالغة وكذا تقديم الباطل وبنعمة الله على ما تعلقا به
ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيا
من مطر ونبات وهو مفعول رزقا ان كان بمعنى المصدر وبدل منه
ان كان بمعنى الرزق ويجوز ان يكون مصدرا ليملك اي ما لا يملك رزقا
ما شيا من الملك من السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا وصفة
له ان كان اسما والتنوين في رزقا شيا للتحقير والتقليل وفي ابدال شيا من
رزقا تقليل اخر وفي ايراده دون من تحقير اخر وفي التقييد بقوله في السموات
والارض مبالغة في نفي ملك الرزق عنها اي ما لا يملك لهم رزقا ما في جهة من

جهات العالم ولا في مكان وقطر منه **ولا يستطيعون** الضمير لما لانه في معنى
الالهة وهو من الافعال التي لا يقدر لها مفعول ويجعل مطلقة كالفعل
اللازم والمراد نفي الاستطاعة المطلقة اي لا يملكون ان يرزقوا ولا استطاعة
لهم اصلا لانهم اموات وان قدر المفعول لدلالة القرينة فهي مفعول يملك عليه
فالمراد بالجمع بين نفي الاستطاعة والملك جميعا التوكيد او نفي الوقوع وامكانه
اي لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ويجوز ان يكون الضمير للكفار اي
ولا يستطيع هولاء الكفرة مع انهم احيا متصرفون عقلا شيا من الرزق فكيف
بالجماد الذي لا حراك به ولا حس **فلا تضربوا لله الامثال** نهي عن الاشراك
بالله والتشبيه على طريقة التمثيل لان من يضرب المثل مشبه حالا بحال وقصة
بقصة فجعل ضرب المثل مثلا للاشراك والتشبيه فكانه قيل ولا تشركوا بالله
وعدل الى المنزل دلالة على التعميم في النهي عن التشبيه وصفا وذاتا
وفي لفظ الامثال لمن لا مثال له اصلا نعي عظيم عليهم على سوء فعلهم
وفيه ادماج ان الاسما توقيفية وهذا هو الظاهر لدلالة الفا وعدم
ذكر ضرب المثل منهم سابقا **ان الله يعلم** تعليل للنهي عن الشرك ووعيد عليه
اي ان الله يعلم قبح ما تفعلون وكنهه وعظمه فهو معاقبكم عليه بما يوازيه
في العظم **وانتم لا تعلمون** كنه ذلك وكنه عقابه فلذلك اجترأتم عليه
ويجوز ان يراد بقوله فلا تضربوا الى اخره ظاهره وهو النهي عن ضرب الامثال
لله تعالى ويكون معنى التعليل ان الله وحده يعلم كيف يضرب المثل له وانتم
لا تعلمون ذلك وكانه اريد المبالغة في ان لا يلحدوا في اسمايه تعالى
وصفاته فانه اذا لم يجز ضرب المثل والاستعارة يكفي فيه شبه ما والاطلاق
بتلك العلاقة كاف فعدم جواز اطلاق الاسما من غير سبق تعليم منه تعالى
واثبات الصفات اولى واولى ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه
ولمن عبد دونه فقال **ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي**
عبدا بدل من مثلا **ومن رزقناه منا رزقا حسنا** من موصوفة عطفت
على عبدا او موصولة **فهو ينفق منه سرا وجهرا** مثل ما اشرك به بالمملوك
العاجز عن التصرف مطلقا او مثل ذاته تعالى بالحر الذي رزقه الله مالا
كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشا وقيد العبد بالمملوك ليمتاز
عن الحر فان العبد قد يطلق على الحر باعتبار انه عبد لله تعالى
وبقوله لا يقدر على شي يخرج عنه المكاتب والماذون فانهما يقدران
على شي فكانه قيل ولا تشركوا بالله ولا دلالة فيه على ان المملوك لا يملك لانه
لم يجعل قسيما للمالك الا بعد التقييد بقوله لا يقدر على شي والاصل في
القيود الاحتراز بل للمخالف كما له على ما قيل ان يتمسك به بناء على هذا الاصل
هل يستوون اي هل يستوي الاحرار والعبيد فاذا كان هذان لا يستويان

عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشتركين في الانسانية فكيف تشركون
بالله تعالى وتسوون به من هو مخلوق له مقهور بقدرته الحمد لله كل الحمد له
لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولي النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون
فيضيفون نعمه الي غيره ويعبدونه لاجلها وكلمة بل رد لما زعموه من استحقاق
الاصنام للعبادة والشكر وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم اي لا نفع فيه
من جهة القول وقد سبق بيان معني ابكم والفرق بينه وبين الاخرس لا يقدر
علي شي فلا نفع فيه من جهة الفعل وهو كل علي مولاه مع ذلك هو ثقل وعيال
علي من يلي امره ويتولاه اينما يوجهه حيث ما يرسله مولاه في امر لا يات بخير
بنجح ونفع والتنكير للتقليل هل يستوي هو ومن يامر بالعدل من هو منطيق فهم
ذو كفاية ورشد يامر الناس بالعدل لكونه جامع الفضائل كلها وهو علي
صراط وهو في نفسه علي طريق مستقيم ودين قويم اي كامل مكمل كرر التمثيل
لزيادة الكشف والايضاح وتصوير امتناع الاشتراك والتشبيه في صورتين
محسوستين ليتمكن في نفس السامعين واحتج في كل واحد من المثلين بامتناع
الاشتراك والتسوية بين ممكنين متماثلين مع اشتراكهما في الجنسية والمخلوقية
علي امتناع الاشتراك والتسوية بين الاصنام التي هي احسن المخلوقات واعجزها
وبين الله تعالي الواجب بذاته الخالق القادر علي الاطلاق ولله غيب السموات
والارض اي يختص به تعالي علم ما غاب فيهما عن العباد وقيل يوم القيامة فان
علمه غايب عن اهل السموات والارض وعلي هذا يكون العدول عن الضمير في قوله
وما امر الساعة اي امر قيامها في سرعته ووقوعه الي الاسم الظاهر لما فيه
من التقوية للخبر الا كلمح البصر الا كرجوع الطرف من اعلي الحدقة الي اسفلها
تمثيل لامران الوقوع غير زماني باقل ما يمكن ان يدرك من الزمان ولهذا
قال او هو اقرب اي اسرع واقصر زمانا بان يكون في مقدار نصف تلك
الحركة او في ان يبتدا تلك الحركة لان الله تعالي يحيي الخلايق دفعة واحدة
وما هو دفعي الوجود يكون حدوثه في ان واو بمعني بل ان الله علي كل شي
قدير يقدر علي ان يقيم الساعة ويبعث الخلق في اسرع وقت كما قدر علي احيايهم
مدرجا ثم دل علي قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم بيان
لعجزنا في الابتدا يعني لم تكونوا قادرين بانفسكم علي الخروج فانا اخرجناكم
كما ان قوله لا تعلمون شيا بيان لجهلنا فيه في موضع الحال اي غير عالمين
وفيه دلالة علي ان حركة الجنين غير ارادية وجعل لكم السمع والابصار
خصهما بالذكر والمراد جميع الحواس لانهما اشرفها والاعتبار والاستدلال
بمدركاتهما اكثر كما خص الصلوة والزكوة في مواضع من القران بالذكر والمراد
جميع العبادات لانهما اصلها وتقديم السمع لانه اعم نفعا واتم حيث
يحصل به العلوم النقلية التي لا يتطرق فيها الغلط والافيدة اي انعم عليكم

بهذه الالات والقوي ليدركوا بالحواس والمشاعر الجزئيات ويتنبهوا بالافيدة
لكلياتها فتحصل لكم العلوم البديهية وتقدروا علي اكتساب النظريات بها
والافيدة من جموع القلة التي جرت مجري جموع الكثرة اذ لم يرد في السماع غيرها
لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا نعمه الظاهرة والباطنة بالعمل بتلك
العلوم فترثوا العلم الكشفية كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله تعالي
علم ما لم يعلم فتكملوا وتسعدوا وانما ذكرت الة العلم في مقام الامتنان
والحث علي الشكر دون الة القدرة تعظيما للعلم وتنبيها علي ان المقصود
من خلق بني ادم بل من ايجاد العالم هو العلم علي ما علم من قوله تعالي وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون ومن قوله عليه السلام كنت كنزا
مخفيا فاحببت ان اعرف الحديث الم يروا الي الطير جمع طاير مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة وهيا لها من الاسباب الموافقة لذلك في جو
السما في الهوا المرتفع من الارض واضافته الي السما اظهارا لجهة لطافته
تقويته لمعني التسخير ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل اجسادها يقتضي السقوط
ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها فلا ممسك الا الله تعالي بقدرته
ان في ذلك لايات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران
وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيها وامساكها مع ما فيها من الثقل في الهوا
في غاية لطافته علي خلاف طبعها لقوم يومنون خصهم بتلك الايات
لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم التي تبنونها من الحجر والمدر
سكنا فعل بمعني مفعول وهو ما يسكن فيه او اليه من مسكن او مالف وجعل
لكم انما اعاده لان الامتنان هنا بنوع اخر من النعمة من جلود الانعام بيوتا
التنكير للتنويع اي نوعا غريبا منها وهي القباب المتخذة من الادم ولا حاجة
الي ان يتكلف في تعميمها المتخذة من الوبر والصوف والشعر لاندراجها فيما
ياتي بعد هذا تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم
ظعنكم الظعن بفتح العين وتسكينها الارتحال ويوم اقامتكم وقت نزولكم
واقامتكم في مسايركم لم يثقل عليكم ضربها ونقضها او يوم قراركم في منازلكم
والاول اولي اذ ظهور المنة في خفتها في السفر اتم واظهر ومن اصوافها
واوبارها واشعارها الصوف للضان وما للمعز ~~لانه اكثر استعمالا~~
والكنايات راجعة الي الانعام والفصل بما للابل بين ما للضان وما
للمعز لانه اكثر استعمالا في السفر والحضر اثاثا اي امتعة وثيابا تصلح
للحضر والسفر منها ما يلبس ومنها ما يفرش ومنها ما ينصب كاخبية الشعر
واللبد ومتاعا المتاع ما ينتفع به ويتجمل الي حين الي ان تبلي وتفني او الي
ان تقضوا منها اوطاركم والتنوين للتعظيم والاشارة الي انها تبقي مدة مديدة
او للابهام لانه غير معين اي مدة ما من الزمان غير معلومة والله جعل لكم

كاخبية

شرع في الامتنان بنعمة خالصة عن شوب الكسب ولهذا اعاد الاسناد الى
ظاهر اسم الله تعالى مما خلق في السما كالسحاب المظلم على ما ذكر في قوله تعالى
وظللنا عليهم الغمام او في الارض كالجبل والشجر ظلالا ما يستظل به لما كانت
بلاد العرب غالبا عليها الحر المفرط امتن عليهم بما يتقون به من حر الشمس وفيه
نوع تمهيد لتخصيص الحر بالذكر فيما ياتي وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع
تكونون بها من الكهوف والغيران الانسان اما مقيم او مسافر والمسافر اما
غني يستصحب معه ما يستظل به او فقير لا يقدر عليه فامتن على الاول بقوله
جعل لكم من بيوتكم سكنا وعلى الثاني بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
وعلى الثالث بقوله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا
وجعل لكم سرابيل من القطن والكتان والصوف جمع سربال قال الزجاج كلما
لبسته فهو سربال تقيكم الحر اقتصر عليه لكون البرد في بلادهم يسيرا محتملا
او اكتفى باحد الضدين عن الاخر وتخصيص الحر بالذكر لما اشار اليه من كون
وقاية الحر اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن كذلك
كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون تنظرون في
نعمه الفايضة عليكم فتومنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون بفتح
التا من السلامة اي تشكرون نعمة فتسلمون من نقمه او تسلم قلوبكم من
الشرك او تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا يحتمل ان يكون
مضارعا اي فان تتولوا وحذفت التا ويكون خطابا على الخطاب السابق
فانما عليك البلاغ المبين اي فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت
فهو من باب اقامة السبب مقام المسبب فان البلاغ مسبب العذر وكونه
معذورا كناية عن عدم التضرر من جهة الرسالة يعرفون نعمة الله يعرف
المشركون نعمة الله من النعم التي عددناها وغيرها حيث يعترفون بها وانها
من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادة غير المنعم بها ويقولهم هي من الله لكن بشفاعة
الهتنا او بنسبتها الى من اجراها الله تعالى على يده وقيل نعمة الله نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا وثم مستعار لاستبعاد
الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وانما قال اكثرهم
لان فيهم من لم يكن معاندا بل جاهلا يعرف الحق لنقصان عقله او تفريطه
في النظر او لان فيهم من لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف وعلى هذا
يكون الكافر على اطلاقه وعلى كلا التقديرين لا مساغ لحمل الاكثر على معنى
الكل ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر وهو
نبيهم ثم لا يوذن للذين كفروا في الاعتذار اي لا عذر لهم فدل بانتفا الاذن
على انتفا العذر ثم مستعار لغاية البعد بين تهنيتهم بشهادة الرسل عليهم السلام
وبين بليتهم بانتفا الاذن في الكلام لما فيها من الاقناط الكلي عن العفو والغفران

بالمنع من الاعتذار والادلا بحجة او شبهة ولا هم يستعتبون الاستعتاب طلب
الرضا وازالة الغضب من العتب وهو الرضا اي لا يطلب منهم ارضا الرب لان الاخرة
دار الجزا لا دار العمل ويوم منصوب بمحذوف اي ويوم نبعث وقعوا فيما وقعوا
فيه او كان ما لا يدخل تحت الوصف او واذكر يوم نبعث وكذا واذا راى الذين
ظلموا العذاب اي حاق بهم ما حاق او شق عليهم ونحو ذلك فلا يخفف عنهم
اي العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم
اوثانهم التي دعوها شركا او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه
قالوا ربنا هولاء شركاونا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم
وهو اعتراف بكونهم مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم
القول اي اجابوهم بقولهم انكم لكاذبون في انا شركا الله او في دعوى عبادتنا
ولا يمتنع انطاق الله الاصنام حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا اي والقى الذين
ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم
ضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من انهم شركا الله وانهم يشفعون لهم
وينصرونهم حين كذبوهم وتبراوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله منعوا
عن الاسلام وحملوا على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب المستحق بكفرهم
بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا
يعني نبيهم عليهم من انفسهم من جنسهم ومن قومهم ان نبي كل امة كان منهم فقوله
وهذا القيد لم يذكر فيما سبق لدلالة من عليه وجينا بك يا محمد شهيدا
تشهد على صدق هولاء الشهدا لعلمك بعقايدهم واستجماع شرعك لجامع
قواعدهم واما كونه عليه السلام شهيدا على امته فقد علم مما تقدم ونزلنا
عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شي عبارة
كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تدمر كل شي وما قيل من
امور الدين على التفصيل والاجمال بالاحالة الى السنة والقياس فيا باه ما
في التبيان من المبالغة في البيان ثم ان قوله من امور الدين تخصيص لا
يساعده الكلام ولا يقتضيه المقام وهدى ورحمة وبشرى وبشارة للمسلمين
متعلق ببشرى ومن حيث المعنى متعلق بهدى ورحمة ايضا لقوله تعالى هذا
بصاير من ربكم وهدى ورحمة لقوم يومنون ان الله يامر بالعدل بمراعاة
الوسط بين الاطراف وسلوك طريق الوسط بين طرفي الافراط والتفريط
فهو جماع الفضايل كلها الشامل للحكمة المتوسطة بين البلاهة والدها والشجاعة
المتوسطة بين الجبن والتهور والعفة المتوسطة بين التنزه وخمود الشهوة
فمن الحكمة اعتقاد الكل التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول
بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد بالادا الواجبات المتوسطة

بين البطالة والتزهد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمتوسط بين المداهنة
والعنف في الامور الدينية وخلقا كالتواضع المتوسط بين الضعة والتكبر والجود
المتوسط بين البخل والتبذير والقناعة المتوسطة بين الحرص والقصور عن
طلب الضروري من المعاش ولما كانت مراعاة العدالة في غاية الصعوبة شفعه
بالاحسان بقوله والاحسان ليتدارك به ما فات من العدالة احتياطا فان
العدل هو القيام بالواجب في كل شي والاحسان هو الندب والانحراف عن سمت
العدالة الذي هو الطريق المستقيم لاحد الجانبين قد يكون الى جانب التفريط
احسن والى جانب الافراط فالاحسان هو الاتيان بالحسن والمحافظة علي جانب
كالميل الى التنزيه في الاعتقاد والتطوع بالنوافل في الاعمال باعتبار الكمية والزيادة
في الاخلاص بحسبها باعتبار الشجاعة والحلم والصفح دون الانتقام فيما يتعلق
بحق نفسه فيها والى الافراط في الجود والى التفريط في ما سواه من خصال العفة
ولهذا نهى عن الافراط في متابعة الشهوة وهي الفحشا وايتاء ذي القربى واعطا
الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد التعميم للاهتمام به تنبيها على
فضل هذه الخصلة من بين خصال العدل والاحسان وكذا الرذائل الثلاث
المذكورة بعدها فان النهي منها داخل في الامر بالعدل وخصت بالذكر والنهي عنها
بالانفراد تنبيها على قبحها وكونها في غاية الرذالة الا ترى ان البغي هو الظلم
المنافي لصريح العدل فلا يفيد ذكره الا التاكيد والمبالغة في التحذير وينهى عن
الفحشا عن الافراط في متابعة القوة الشهوانية كالزنا والحرص والمنكر اي ما ينكر
شرعا وعقلا من افراط القوة الغضبية والبغي اي الاستعلا والتجبر على الناس
والاستيلا وهو من تسلط القوة الوهمية على العاقلة التي يتولد منه الشيطنة
فتارة يغلب الغضب ويحدث الاستكبار وتارة يميل الى الافراط في باب الحكمة
فتحدث الجربزة والمكر والتعبير عن وتارة تغلب الشهوة فتورث النهب وسلب
الاموال وغصب حقوق الناس وكما انها في العدالة فلا يوجد من الانسان
شر الا وهو داخل في هذه الاقسام الثلاثة بتوسط احدى هذه القوى الثلاث
ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع اية في القران للخير والشر وصارت
سبب اسلام عثمان ابن مظعون رضي الله عنه ولو لم يكن في القران الا هذه الاية
لكفى به تبيانا لكل شي وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ولامر ما عقب قوله
ونزلنا عليك الكتاب بها يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر حال من
فاعل يامركم او من مفعوله او منهما جميعا وخبر ثان لان لعلكم تذكرون
تتعظون واوفوا بعهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام
في قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون اذا عاهدتم اي اثبتوا على ما
عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسول الله بالايمان التي تحلفون بها ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها اي لا تنكثوها بالحنث بعد احكام عقدها على

انفسكم

انفسكم بذكر الله تعالى وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل
شاهد الحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان
والعهود وعيد ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول
من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها بعدما ابرمته واحكمته انكاثا
طاقات نكث فتلها جمع نكث وهو ما نقض فتله وانتصابه على الحال من غزلها
او المفعول الثاني لنقضت لتضمينه معنى صيرت ولا يجوز انتصابه على
المصدرية لان النكث اسم لا مصدر والمراد تشبيه الناقض بمن هذا شانه وهي
ريطة بنت سعد بن تميم القرشية فانها كانت خرقا تفعل ذلك تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا دخلا ثاني مفعولي تتخذ
اي تتخذونها دخلا اي مفسدة ودغلا واصله ما يدخل الشي ولم يكن منه
ان تكون بسبب ان تكون امة اي جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر
مالا من امة اي جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة
لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتوفون بعهد الله وما
عقدتم على انفسكم من الايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتتمسكون
به ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وتخافون من قلة المؤمنين وفقرهم
فتنقضون كانت قريش اذا رات شوكة وقوة في اعادي حلفائهم غدروا وحالفوا
اعداهم فنهي المؤمنون عن عادتهم في الغدر وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه
تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب انذار وتحذير من مخالفة ملة
الاسلام ولكن يضل من يشا بالخذلان ويهدي من يشا بالتوفيق ولتسالن
عما كنتم تعملون سوال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح
بالنهي وتكرير له تاكيدا عليهم واظهارا لعظم المنهي عنه ومبالغة في قبحه ولهذا
قدم قوم وتكرر في قوله فتزل قدم والمراد فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام
بعد ثبوتها عليها تنبيها على ان زلل قدم واحد عظيمة من العظايم فكيف باقدام
كثيرة وتذوقوا السو العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بسبب
صدودكم عن الوفا وصدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك
سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا قد
سبق تفسيره في سورة البقرة والمراد هنا من الثمن القليل ما يعده قريش لضعفا
المسلمين ويشترطون لهم على ارتدادهم انما عند الله من نصركم وتغنيمكم في الدنيا
والثواب الجزيل في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي ان
كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وينقضي وما عند
الله من الثواب الموعود المدخر في خزاينه لكم باق لا يزول وهو تعليل للحكم
السابق ودليل على نعيم الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على اذى
الكفار ومشاق التكاليف بما ترجح فعله على تركه كالواجبات والمندوبات

ومايرجح تركه على فعله مما عرفوا كالمحرمات والمكروهات والتعبير بالعمل عن
الكل للتنبيه على ان الترك مما يثاب عليه اذا قارنه عمل القلب وهو التنبيه والقصد
الى الامتثال بالانتهاء عما نهى عنه وفي عبارة المصنف نوع اشارة اليه وفي الاية
دلالة على ان المباح حسن وانه لا يثاب عليه وعبارة كان للدلالة على ان
المباح لا يستحق الجزاء وجد الاستمرار عليه فكيف اذا وجد نادرا من عمل
صالحا من ذكر او انثى بين من لابهامه وكونه ظاهرا في الذكور ولم يبين به
نفسر بهما ليعم الموعود وانما قال وهو مومن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة لا في
استحقاق الثواب ولا في تخفيف العذاب لانه يجعل هباء منثورا يدل لالة
نص الكتاب هذا ما عندي والله اعلم بالصواب ثم العمل الصالح لا يكون الا
للمومن فزيادة القيد المذكور لبيان ان المعنى من عمل صالحا في الحال وهو مومن
في المال لان اعتبار صفا الحال بوفا المال والامور بخواتيمها فلنحيينه حياة
طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا لان المومن الصالح ان كان موسرا فظاهر
وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر
العظيم في الاخرة والفاجر بالعكس فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان
موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وانما قلنا انه
في الدنيا لدلالة قوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون يعني في
الاخرة عليه وليس بتكرار لان الاول في حق الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحفظوا وهذا في كل من امن وعمل صالحا فاذا قرات القران اي اذا اردت
قراته واطلاق الفعل على ارادته من قبيل اطلاق المسبب على السبب مجازا
لملابسته له ولزومه اياه غالبا ودليل المجاز السنة المستفيضة واهمال
الفاء فلا دلالة فيها عليه وانما دلالتها على تاخير المراد بمدخولها عن
المعنى المراد بغيران واجماعهم على صحة هذا المعنى اذ قد دل على ان وجود القرينة
المانعة عن ارادة الحقيقة ليس بشرط فيها فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
فاسال الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراة والجمهور على
انه للاستحباب ودلالة فيه على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة بناء على ان
الحكم المترتب على الشرط يتكرر بتكرره لان ما يقع في خلال الصلاة من القراات
في حكم قراة واحدة ولهذا لا يستحب الحمد لله والبسملة عند الشروع في كل فعل
من افعال الصلاة قيل تعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان
الاستعاذة عند القراة من هذا القبيل ولا يذهب عليك ان الامر الاستحبابي
اغنى عن الايذان والاولى ان يقول استعيذ بالله ليوافق القران ويقرب منه
اعوذ بالله كذا قالوا ويرده ما روي ابن مسعود انه قال قرات على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله العليم من الشيطان الرجيم هكذا
اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان

تسلط

تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون فانهم لا يطيعون اوامره
ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة
ولما ذكرها عقبها ببيان سلطانه لئلا يتوهم ان له سلطنة عليهم انما سلطانه
على الذين يتولونه على من يتولاه ويطيعه دون غيره والذين هم به بالله تعالى
او بسبب الشيطان مشركون لانه هو الذي حملهم على الاشراك بالله واذا بدلنا
اية مكان اية نسخنا اية باية فجعلنا الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما
والله اعلم بما ينزل في باب المصالح فان الشرع صلاح حال العباد بحسب
المعاش والمعاد وما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة في وقت اخر
وبالعكس والله اعلم بمصالح الجمهور منهم فينزل في كل وقت ما هو صلاح ذلك
الوقت وينسخ به ما كان صلاح الوقت الماضي وقد تغير في الوقت الاتي الى
مفسدة فوجدوا مدخلا للطعن لجهلهم بحكمة النسخ قالوا اي الكفرة انما انت
مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه نسبوا اليه عدم الافترا
بانواع من المبالغة والتغليظ وهي الحصر والخطاب واسم الفاعل الدال على الثبوت
والاستمرار وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم
والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون بل اضراب
عن الافترا الذي نسبوه اليه وما بعده تاكيد للاعتراض والتوبيخ بانهم
جاهلون بحكمة الاحكام لا يميزون بين الخطا والصواب وانما قال اكثرهم
لان منهم من يعلمها لكن ينكرها عنادا قل نزله روح القدس يعني جبريل
اي الروح المطهر من الوارث البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر
كاضافة حاتم الى الجود في قولهم حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه طبع
منه وفي ينزل ونزله من معنى التدريج في الانزال على حسب المصالح
ما يشعر بان التبديل انما هو لرعاية المصالح التي فاتت لو انزلت دفعة
من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا باعتقاد انه الحق من
ربهم فانهم اذا لم يتشوش اعتقادهم بالنسخ وتيقنوا انه مقتضى حكمته
واعلموا ان الناسخ الذي فيه صلاح الحال دون المنسوخ تثبت اقدامهم
ورسخت عقائدهم واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين
لحكمه وهما مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا
وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لمن سواهم من الكفار
ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ارادوا جبرا الرومي وقيل جبرا ويسارا
لسان الذي يلحدون اليه لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومنه اللحد اعجمي غير بين وهذا
وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان
رد لقولهم وابطال لطعنهم وتقريره ان القران معجز بلفظه كما هو معجز

بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا الكلام الذي يدحض كل كلام
عربي في البيان والفصاحة هو اعجمي وطعنهم في القران بامثال هذه
الكلمات الركيكة دليل علي غاية عجزهم ان الذين لا يومنون بايات الله ان
الذين يعلم الله منهم انهم لا يومنون بها اي لا يصدقون انها من عند الله
تعالي لا يهديهم الله الي الحق او الي طريق النجاة في الدنيا ولهم عذاب اليم
في الاخرة هددهم علي كفرهم بالقران بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب
الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله لانهم
لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الي الذين كفروا او الي قريش
هم الكاذبون بالحقيقة الكاملون في التكذيب لان التكذيب بايات الله
هو اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شي اذ لا يردعهم عنه
مروة ولا دين او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر الي اخره من كفر بالله من
بعد ايمانه بدل من الذين لا يومنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من
الكاذبون او مبتدا خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب او منتصب
بالذم او مرتفع علي خبر مبتدا مضمر علي الذم او من شرطية محذوفة الجواب
دل عليه الا من اكره علي الافتراء وكلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم
القول والعقد كالايمان وقلبه مطمين بالايمان لم تتغير عقيدته جملة
حالية ولا دلالة فيه علي انحصار الايمان في التصديق القلبي ولكن من شرح
بالكفر صدرا اي وسعه بقبول الكفر مجاز عن الرضا وطيب الخاطر فعليهم غضب
التنكير للتعظيم وقوله من الله لتربيته لان الغضب من العظيم عظيم ولهم عذاب
عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا رضي الله عنه
فاعطاهم بلسانه ما ارادوا مكرها ولما اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يبكي
قال ما لك ان عادوا لك فعد لهم وهو دليل لهم علي جواز التكلم بالكفر عند
الاكراه وان كان الافضل التجنب عنه اعزازا للدين ذلك اشارة الي الكفر
بعد الايمان او الوعيد بانهم بسبب انهم استحبوا الحياة الدنيا علي الاخرة
اثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين وبان الله لا يهدي الي الايمان
من حقت عليه الضلالة وعلم منهم الكفر فان هذا هو السبب الحقيقي والاول
هو السبب العادي اولئك الذين طبع الله علي قلوبهم وسمعهم وابصارهم
قد سبق تفسيره في سورة البقرة واولئك هم الغافلون الكاملون في
الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان غاية الغفلة ومنتهاها الغفلة عن تدبر
العواقب لا جرم قد سبق تفسيره انهم في الاخرة هم الخاسرون البالغون
في الخسران اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضي بهم الي العذاب المخلد
ثم ان ربك للذين هاجروا بالولاية والنصر من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار
رضي الله عنه ثم مستعار لتباعد حال هولاء عن حال اولئك ثم جاهدوا وصبروا

علي

علي الجهاد وما اصابهم علي المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد
والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة علي ما صنعوا بعد يوم تاتي
كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها عن ذاتها اي كل شخص
يسعي في خلاص نفسه لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي والمراد بالمجادلة
الاعتذار عنها بمثل قولهم هولاء اضلونا ما كنا مشركين وتوفي كل نفس ما عملت جزاء
ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون بغير ذنب واما نقص الاجر فلا احتمال
له بعد التوفية وضرب الله مثلا قرية جعل الله قرية هذه صفتها مثلا لكل قوم
انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فابدلهم الله بالنعمة نقمة او مكة خاصة
كانت امنة مطمينة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا
من كل مكان من نواحيها ولفظة كل للتكثير فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة علي
ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابوس واختيار جمع القلة للتنبيه
بالادني علي الاعلي يعني ان كفران النعم القليلة لما اوجب العذاب فكفران النعم
الكثيرة اولي به فاذاقها الله لباس الجوع والخوف لما تقدم ذكر الامن واتيان الرزق
قابلهما بالجوع الناشي عن انقطاع الرزق وبالخوف وقدم الجوع ليلي المتاخر وهو
اتيان الرزق كما في قوله تعالي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين
اسودت وجوههم فالاذاقة استعيرت للاصابة وانما اوثرت عليها للدلالة
علي شدة التاثير التي تفوت لو استعملت الاصابة والعلاقة المشابهة بين
المدرك من اثر الضرر والمدرك من طعم المر البشع واللباس استعير لما غشي
الانسان من اثر الجوع والخوف وهو ضررهما فالغاشي هو الضرر لا الجوع
والخوف والا لكان لباس الجوع تشبيها علي حد لجين الماء وحينئذ يتبين
وجه ايقاع الاذاقة علي اللباس اذ المعني فاذاقهم ما غشيهم من ضرر الجوع
والخوف وبهذا التقرير ظهر وجه ايثار التجريد علي الترشيح لان الاذاقة
تفيد ما لا يفيد الكسوة من زيادة التاثير الموجبة لقوة الادراك واما
ايثار اللباس علي الطعم فللدلالة علي الشمول وهذا اولي من حمل اللباس
علي تغير اللون وزيادته لهيبة الملازمين للجوع والخوف بالنصب
عطفا علي لباس او علي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي
ولباس الخوف بما كانوا يصنعون بصنعهم الذي استمروا عليه جري
ههنا علي ما هو المراد من القرية وفيما تقدم علي ظاهر المجاز ولقد جاءهم
رسول منهم فكذبوه يعني محمدا عليه الصلاة والسلام والضمير لاهل مكة عاد الي
ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او ضرب
الحديد في حرب بدر وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم فكلوا مما
رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما
زجرهم علي الكفر وهددهم بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صد الهم

عن صنيع الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة ومعنى الفاء في فكلوا التسبيب أي إذا
تبصرتم على سوء صنيع أهل القرية ووخامة عاقبتهم وذكرتم بالتمثيل فاعتبروا
حالهم وخذوا الجد ما أنتم عليه من طريق الجاهلية كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم
وجعل هذا الوصل ذريعة إلى ما رتب عليه من تعداد نوع آخر من قبائحهم
وقد سلف في تفسير سورة البقرة ما يتعلق بهذا الكلام من وجوه الإعراب
وما في قوله طيبا من الفائدة الزائدة واشكروا نعمة الله أضافة النعمة إليه
تعالى للتشريف فإن عبادته لا تتم إلا بالشكر على نعمه فلا وجه لما قيل إن صح
زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته لأن مبناه على اعتبار التخصيص
في الشرط المذكور إن كنتم إياه تعبدون وتقديم المفعول لمجاراة الفاصلة
إذ لا دخل لمعنى التخصيص في التعليق إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم قد
سبق تفسيره في سورة البقرة وسورة الأنعام لما أمرهم بتناول ما أحل لهم
ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف
ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الأنعام
خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بإنما حصر
المحرمات في الأجناس الأربعة وقت نزول تلك الآية وانتصاب الكذب بلا
تقولوا هذا حلال وهذا حرام بدل منه أو متعلق بتصف على إرادة القول
أي ولا تقولوا الكذب منتصب بتصف وما مصدرية أي ولا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم من غير دليل وفي نصب الكذب
بوصف الألسنة نوع من المبالغة بديع ووجه من الفصاحة جميل ومبالغة
في وصف كلامهم بالكذب عظيمة وهو أنه جعل قولهم كأنه نفس الكذب
وحقيقته وكانت مجهولة فعرفته ألسنتهم بوصفها أو حليتها وبينته بكلامهم
هذا كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر ورد هذا الوجه الأخير
بأن النحاة نصوا على أن المصدر المنسبك من أن والفعل لا ينعت لا يقال
لا تعجبني أن يخرج السريع ولا فرق بين هذا وباقي الحروف المصدرية
وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب أو كذاب وبالرفع صفة
للألسنة وبالنصب على الذم وعني الكلم الكذب لتفتروا على الله الكذب
تعليل لا يتضمن الغرض لما أن المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفي عنهم الغرور
بقوله إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لا يجدي عليهم
افتراؤهم شيئا ثم بينه بقوله متاع قليل أي منفعتهم فيما هم فيه من الأفعال
الجاهلية والتحريم والتحليل منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب أليم
في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك أي في سورة الأنعام
في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر إلى آخره من قبل متعلق بقصصنا

أو بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حرمنا عليهم ببغيهم
وهو قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وفيه تنبيه على
الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وأنه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم
إن ربك للذين عملوا السوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره بجهالة بسببها أو
ملتبسين بها وتنكيرها للإبهام فتشمل عدم العلم بالله تعالى وصفاته وعقابه
وثوابه وعدم التدبر للعواقب بسبب الغفلة اللازمة للانهماك في الشهوات
ومتابعة الهوى في طلب اللذات ثم تابوا قد دل ثم بالتراخي الآنية فقد
تستعار للتراخي في الرتبة ولهذا زاد قوله من بعد ذلك السوء وأصلحوا
أي تاب عنه وندم عليه وعزم أن لا يعود إليه وأصلح العمل في المستأنف
إن ربك من بعدها من بعد التوبة وأما الإصلاح فهو تكميل للتوبة لا أنها شيء
آخر ولهذا لم يذكر في قوله تعالى إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وإنما أعيد إن ربك على سبيل
التأكيد لطول الكلام ووقوع الفصل لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الإنابة
المستتبعة للعمل الصالح إن إبراهيم كان أمة أي كان وحده أمة لحصول الكمالات
والفضائل التي لا تكون إلا متفرقة في أمة كثيرة مجموعة فيه وليس من الله
بمستنكر أن يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل
فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف
مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله الله تعالى
أو لأنه عليه السلام كان وحده مؤمنا وسائر الناس كفارا وقيل هي فعلة
بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه إذا قصده أو اقتدى به فإن الناس
كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله إني جاعلك للناس إماما
قانتا لله مطيعا له قائما بأمره حنيفا مائلا عن كل دين باطل إلى دين
الإسلام لقوله تعالى ولكن كان حنيفا مسلما ولم يك من المشركين أي لم
يك من عدادهم وهي في سياق أنه من لم يشرك والمراد استمرار النفي
لا نفي الاستمرار لأن مفهومه كان مقدما على مفهوم لم في الاعتبار وإنما نفى عنه عليه
السلام الشرك على أبلغ وجه تكذيبا لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة إبراهيم
عليه السلام وترغيبا لهم إلى التوحيد ودين الإسلام شاكرا يجوز أن يكون خبرا
ثالثا أو حالا من أحد الضميرين في قانتا وحنيفا لأنعمه إنما جاء بلفظ القلة
للتنبيه على أنه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة هذا
ما بحسب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه أنه للتنبيه على صعوبة مقام
الشكر تكلفها بالإشارة إلى عجز البشر وذلك أنه عليه السلام مع جلالة قدره
لما كان قاصرا عن شكر النعم الكثيرة فغيره أولى بالقصور عنه وإنما قلنا أنه
لما كان قاصرا لأن المقام مقام مدحه بما كان فيه من الأوصاف الكاملة فلولا

أبيهم صح

القصور عنه لكان المذكور علي صيغة جمع الكثرة اجتباه اختاره واختصه
لنفسه والاجتبا هو ان باختار الشي بالكلية واصله جمع الما في الحوض وهو الجابية
حال او خبر اخر لكان وهداه الي صراط مستقيم ارشده الي طريق الحق واتيناه
في الدنيا حسنة هي اسم جامع لكل حالة جميلة فيتناول كل خصلة بعينها المذكورة
في النصوص من الرسالة والخلة واللسان الصدق وغير ذلك والعدول
من الغيبة الي التكلم للالتفات تعظيما لشانه وتفخيما لما اعطاه وانه في
الاخرة لمن الصالحين المستحقين لكل منزلة رفيعة ودرجة عالية في الجنة
لم يقل وجعلناه في الاخرة من الصالحين تنبيها علي انه انزل ذلك الا ابتداء الامر
اخر فتدبر ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم الخطاب لنبينا صلى الله
عليه وسلم وفيه اشارة الي ان من اجل ما اوتي خليل الله صلوات الله عليه
واشرف ما اوتي من النعمة والكرامة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته
من جهة ان ثم دلت علي تباعد هذا النعت في المرتبة علي ساير النعوت التي
اثني الله بها عليه وفيه من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله
محله ما لا يخفي علي الفطن وفي لفظ اوحينا ثم الامر باتباع الملة لا اتباع ابراهيم
عليه السلام ما يدل علي انه عليه السلام ليس بتابع له بل هو مستقل بالاخذ عن
اخذا ابراهيم عليه السلام عنه وبهذا البيان اندفع ما عسي ان يتبادر الي
الوهم من انه عليه السلام كان دون ابراهيم عليه السلام ولذلك امر باتباعه
واتضح ايضا رفبهديهم اقتده علي غيرهم في قوله فبهديهم اقتده والمراد
من الاتباع في اصول الدين لا في فروعه كقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا والملة ما شرعه الله تعالى لعباده علي لسان انبيائه عليهم
السلام من امللت الكتاب اذا امليته حنيفا ولما كان التوصيف بالحنيف في
مقام التعليل للامر بالاتباع كان في معني فانه مال عن الاديان الباطلة فعطف عليه
قوله وما كان من المشركين بل كان فوق الموحدين انما جعل السبت فرض عليهم
تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد السبت مصدر سبتت اليهود اذا
اعظمت سبتها علي الذين اختلفوا فيه علي نبيهم وذلك ان موسى عليه السلام
امرهم ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت الذي فرغ
الله تعالى فيه من خلق السموات والارض الا شرذمة منهم فقد رضوا بالجمعة
فذلك اختلافهم في السبت فالزمهم الله تعالى السبت وشدد الامر عليهم
وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذلك القرية التي كفرت بانعم الله تعالى
وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اي يحكم للمحقين
بالثواب وللمبطلين بالعقاب تمييزا بينهم وفصلا لخصومهم في محل الاختلاف
وهذا ظاهر في ان الاختلاف انما كان بين العاصين والمطيعين ويشهد لذلك
ما في سورة الاعراف من قوله تعالى واذ قالت امة منهم الاية ثلا وجه لما قبل

معناه

معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ علي الذين اختلفوا فاحلوا الصيد تارة وحرموه
اخرى واحتالوا الحيل ادع حذف المفعول للتعميم وفيه الاشارة الي بعثته العامة
والتنبيه علي فضله عليه السلام علي من تقدمه من الرسل وفيه تاييد للتدارك السالف
ذكره الي سبيل ربك الي الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل القاطع الموضح
للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة بالخطابيات الاقناعية والعبر النافعة
علي وجه لا يخفي عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم والاولي لدعوة خواص
الامة الطالبين للحقايق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم
بالتي هي بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه
الايسر والطريق الاشهر فان ذلك اشد لسعيهم وتليينا لعريكتهم ان ربك هو
اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي ما عليك الا الدعوة بهذه الطرق
واما الهداية والمجازات فليستا اليك فان الله اعلم بهم فمن هديته كفاه القدر
اليسير من الحكمة ان كان مستعدا لها والموعظة ان كان قابلا غير منكر والجدل
الحسن الدقيق ان كان منكرا منصفا فلا حيلة في هدايته وان كان معاندا
فكل امره الي من هو اعلم به فانه يجازيه وانما قدم الضال لان الكلام وارد فيهم
والخطاب داير معهم وذكرهما بلفظ بصيغة الفاعل لان الدوام والثبات
يناسب حاله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره عليه السلام
بالدعوة وبين له طرقها اشار اليه والي من تابعه بمراعات الحق مع الخلق
وملازمة طريق العدالة مع من يناصبهم لان الدعوة لا تخلو عن المعاداة
والمناصبة من حيث انها ترفع العادات وتبعث علي رفع المالوفات وتقدح
في الديانات والمعتقدات وتحكم علي اهلها بالكفر والضلال روي ان المشركين
مثلوا بالمسلمين يوم احد فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي حمزة رضي الله
عنه وقد مثل به فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن
بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه امر رخصة في المثلة بواحد
ثم نسخت المثلة وفيه حث علي العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا
علي الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من
الانتقام المنتقمين ويجوز ان يرجع الضمير الي صبرهم ويراد بالصابرين
المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع
الضمير ثناء من الله تعالى عليهم بانهم صابرون في الشدايد وفيه ارشاد
الي انه ان صبرتم فهو شيمتكم المعروفة وفيه ترغيب في الصبر بالغ وجه
ثم صرح الامر به لرسوله عليه السلام لانه اولي الناس به لزيادة علمه
تعالى ووثوقه عليه فقال واصبر ولما كان الصبر في هذا المقام شديدا
شاقا ذكر بعده ما يفيد سهولته فقال وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه
ومعونته ولما ذكر هذا السبب الكلي الاصل في حصول جميع الطاعات ذكر بعده

ماهو السبب الجزئي القريب فقال ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون
وذلك لان الاقدام على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وهو اما
لفوات نفع كان حاصلا في الماضي واليه الاشارة بقوله ولا تحزن او لمضرة متوقعة في المستقبل واليه الاشارة بقوله ولا تكن في ضيق
مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم ان الله مع الذين اتقوا المعاصي ويدخل
فيه دخولا اوليا استيفا الزيادة والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية
والفضل ويدخل فيه دخولا اوليا ترك الانتقام فكانه قال ان اردت ان
اكون معك بالفضل والرحمة والتربية فكن من المتقين المحسنين وقيل الاولى
اشارة الى التعظيم لامر الله والثاني الى الشفقة على خلق الله تعالى

سورة الاسرا

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه البليغ وذلك من جهة الاشتقاق من السبح
وهو الابعاد في الارض والنقل الى التفعيل والعدول عن المصدر الى الاسم الموضوع
له خاصة والعامل فيه الفعل الذي من معناه لا من لفظه اذ لم يجي من لفظه
الفعل فالتقدير انزه الله تنزيها فوقع مكان تنزيها ولما كان حديث الاسرا
مظنة ان يذهب الوهم الى انه تعالى زماني او مكاني صدره بما هو علم في تبعيده
تعالى عما لا يليق بشانه ويجوز ان يكون كلمة سبحان للتعجب بما يشير الى
اعجب امر جرى بينه وبين افضل خلقه الذي اسرى بعبده الاسرا سير
الليل خاصة فقوله ليلا لقطع مجاز السير خفية كما ان قوله يطير بجناحيه
بعد قوله ولا طاير لقطع مجاز السير السريع والتنكير لتقليل مدة الاسرا فانه
كما يدل على البعضية في الافراد كذلك يدل على البعضية في الاجزا على ذلك
قول الشيخ عبد القاهر في دلايل الاعجاز ان التنكير في حيوة في قوله تعالى
ولكم في القصاص حياة للدلالة على ان لكل بعض حياة المهموم بقتله والثاني
هو المراد يشهد لذلك قراة من الليل اي بعضه وهذا الاسرا كان جسمانيا
ولذلك كذبت قريش به وفي عبارة العبد اشارة الى ذلك من المسجد الحرام
بعينه او من الحرم فانه مسجد كله الى المسجد الاقصى بيت المقدس سمي اقصى
لانه لم يكن وقت اذ مسجد وراه الذي باركنا حوله البركة ورود الخير
وثبوته وهي دينية ودنياوية وكلاهما مراد هنا لانه مهبط الوحي و
ومعبد الانبيا عليهم السلام ومحفوف بالانهار والاشجار والالتفات
من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات لنريه من اياتنا
كقطعه مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس في برهة من الزمان وتمثل
الانبيا عليهم السلام والوقوف على مقاماتهم واما البراق وسرعة سيره
فليسا منها لانه عليه السلام راى الاول قبل السير والثاني قبل الوصول
الى المسجد الاقصى فلا ترتب لرويتهما على السير اليه انه هو السميع بلا اذن

البصير بلا بصر دل على ذلك بصورة الحصر فلا يحتاج الى قرب المسموع وحضور
البصر فلا يختص بمكان دون مكان فلم يكن الاسرا لاجله بل لاجل عبده بدا بعبادة
التنزيه وختم باشارته فتجاوب طرفا الكلام واتينا موسى الكتاب التوراة
وجعلناه هدى لبني اسرايل الا يتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء
على ان لا تتخذوا كقولك كتبت ان افعل كذا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه
اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ
بالتاء الفوقانية على النهي او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني
حال من وكيلا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وفيه
تذكير بانعام الله تعالى عليهم في انجاء ابايهم من الغرق وايما الى ان ذلك
لكونهم اتباع نوح عليه السلام ثم قال في تعليل تلك الفضيلة الجليلة
الثابتة له عليه السلام انه كان عبدا شكورا وفيه حث للذرية على
الاقتداية وقضينا اصل القضا الاحكام والاتمام وانما قال الى بني اسرايل
لتضمين معنى الانزال اي اعلمنا اعلاما محكما متمما منزلا اليهم في التوراة
وتفسير القضا بالوحي ياباه في الكتاب كما لا يخفى على ذوي الالباب لتفسدن
في الارض جواب قسم محذوف ويجوز ان تجري القضا المثبوت مجرى القسم
كانه قال واقسمنا لتفسدن مرتين اوليهما مخالفة احكام التوراة وقتل
شعيب عليه السلام وثانيهما قتل يحيى وزكريا عليهما السلام ولا حاجة
لما قيل ان المقتول في الاولى زكريا وفي الثانية يحيى لان الكرة التي ذكرها
لم تتخلل بينهما ولتعلن علوا كبيرا هو غلبة المفسدين منهم على المصلحين
افراطا مجاوزا على القدر والعلو لغة هو الغلبة بحق كان او باطل فاذا جاء
وعد اوليهما اي وقته والوعد بمعنى الموعود وهو العقاب فلا حاجة الى
تقديره بعثنا عليكم هذا البعث من قبيل تولية بعض الظالمين على بعض
وكان على مقتضى الحكمة ولذلك اسنده تعالى الى نفسه دون الجلوس
الاتي ذكره فلا حاجة الى صرفه عن معناه الى معنى التخلية عبادا لنا سنحاريب
وجنوده وقيل بخت نصر وقيل جالوت قطع اضافتهم عن نفسه لعدم
استحقاقهم للتشريف المستفاد منها وايضا ما في التنكير من التهويل دون
يناسب المقام اولي باس ذي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا
خلال الديار وقرئ خلل وهو واحد الخلال كجبل وجبال ويجوز ان يكون
الخلال ايضا واحدا اي ترددوا وتخللوا بين الدور في طلبكم للقتل والسبي
وقرئ بالحاء وهما اخوان وكان وعدا مفعولا اي لا بد ان يفعل ثم رددنا
لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم اي على الذين بعثوا عليكم وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل ولا
يلزم ان يكون من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون لامر ولا يلزم ان

يكون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان جزاوه لها
وان اساتم فلها اي فالاساة لها واللام للاستحقاق كما في قوله تعالى
لهم عذاب في الحيات الدنيا ولا وجه للحمل على الاختصاص لان نفع الاحسان
وضرر الاساة قد يتعديان الى الغير على ما دل عليه الاخبار ويشهد له
الاثار واما الازدواج فانما يصار اليه عند تعذر المعنى الحقيقي فاذا جاء
وعد الاخرة وقت موعود المرة الاخرة وجواب اذا محذوف دل عليه
جواب الاولى اي بعثناهم وانما عطف بالفا مع انه من تفصيل المجمل والظاهر
فيه العطف بالواو للدلالة على ان مجي وعد الاخرة لم يتراخ عن كثرتهم وثروتهم
وذلك انهم كلما ازدادوا عددا وعدة ازدادوا عدوانا وطغيانا الى ان
تكاملت اسباب العزة ففاجاهم الله تعالى على العزة ليسوءوا وجوهكم
بيا الغاية على الجمع اي ليسوء هولا وجوهكم وانما عدالمساة الى الوجوه
وان كانت عليهم لان اثار الاعراض النفسانية ظهورها في الوجه وقرى
بيا الغاية على الواحد والضمير للقايم للقراة بالنون وفتح الواو وليدخلوا
المسجد بيت المقدس وتخريبه كما دخلوه اول مرة وخربوه وليتبروا اي
ليدبروا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه اومدة علوهم تتبيرا تفتيتا ومنه
التبر لفتات الذهب عسى ربكم ان يرحمكم وعد من الله تعالى ان يكشف عنهم
بعد المرة الاخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد
عادوا فبعث الله تعالى عليهم نبينا عليه السلام هذا لهم في الدنيا ثم ذكر ما
لهم في الاخرة بقوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا ضيقا قال
القشيري يقال للذي يفرش حصير لحصر بعضه على بعض بالنسج
ان هذا القران يهدي للتي للطريقة هي اقوم الطرق ويبشر المومنين
الذين يعملون الصالحات ان اي بان لهم اجرا كبيرا الفسق لا ينافي الايمان
ولا العمل الصالح فلا خروج للفسقة باحد القيدين المذكورين فلا حاجة الى
المكابرة بان يقال كان الناس حينيذ اما مومن تقي واما مشرك وانما
حدث الفاسق بعد ذلك وان الذين لا يومنون بالاخرة عطف على ان لهم
اجرا والمعنى انه يبشر المومنين ببشارتين ثواب وعقاب اعدايهم
اعتدنا لهم عذابا اليما في زيادة اعتدنا ههنا انباء عن شدة الغضب
في حقهم ويدع الانسان حذفت الواو من يدعو لفظا لاستقبال اللام
الساكنة كما في قوله تعالى سندع الزبانية وحذفت في الخط ايضا
لكنها غير محذوفة معنى بالشر هو دعاوه على نفسه واهله وماله
عند الضجر بما لا يحب ان يستجاب له دعاه بالخير مثل دعايه بالخير يعني
ان القلق يهديهم الى الدعا في السلامة وهم يابون الان بانه انما فيه
الندامة ثم ذكر ان ذلك من عدم تثبته وقلة صبره فقال وكان

رد لصاحب الكشاف

القاضي البيضاوي
رد لمن لم يفرق بينهما

الانسان عجولا العجلة طلب الشي قبل وقته الذي ينبغي ان يقع فيه والسرعة
عمل الشي في اول وقته وجعلنا الليل والنهار ايتين تدلان على القادر الحكيم
بتعاقبهما على نسق يترتب عليه اثار غريبة واحكام عجيبة فمحونا اية الليل
وجعلنا اية النهار مبصرة الفا فصيحة كانه قيل وحالفنا بين الايتين فجعلنا
الاية التي هي الليل لمحوه اي عديم النور والاية التي هي النهار مبصرة اي
مضيئة اهله مبصرة للناس من ابصر فبصر فان الاضاءة لازم الابصار
على ان الاضافة في الايتين للتبيين وقيل اية الليل القمر ومحوه خلاوه عن النور
فان ما يرى فيه نور الشمس واية النهار الشمس وابصارها نورها الذي يقع به
الابصار لتبتغوا تعليل لجعل اية النهار مبصرة فضلا رزقا من ربكم والابتغا
الطلب والمعنى لتقدروا في بياض النهار على تحصيل اسباب المعاش وفي عبارة
الفضل اشارة الى انه لا يجب على الله تعالى ان يرزق عباده وانما ذلك تفضلا
ففيه رد على المعتزلة ولتعلموا عدد السنين والحساب تعليل لمحو اية الليل اي
لتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما يحتاجون اليه
منه والحساب المتعلق بالاوقات على التعريف للعهد تقريبة عدد السنين
او بنقص نور القمر شيا فشيا لان معرفته السنة القمرية المعتبرة عندنا تحصل
بذلك وكل شي كلمة كل للتكثير والتفخيم لا للتعميم والاحاطة كما سبق الى وهم من قال
مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا كافيا والمقام
مقام الامتنان باتمام الاحسان لا مقام الالزام والافحام كما سبق لما بعض الافهام
وكل انسان الزمناه طايره اراد بالطاير حظه من الخير والشر كانه طير اليه
من عش الغيب وذكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشامون بسنوح الطاير
وبروحه استعير لما هو سبب الفرح والترح من قدر الله تعالى في عنقه
خص العنق بالاضافة اليه من بين ساير الاعضا لان فيه يكون الزاين
من القلايد والاطلاق والشاين من الاغلال والادهان فاستعير لمحل
الزام الخير والشر ونخرج له اللام للاختصاص يوم القيامة يعني وقت
الموت فانه القيمة الصغرى قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته
كتابا هيكلا مصدرا مصورا اعماله يلقاه منشورا لظهور تلك الهيات فيه
بالفعل مفصلة لا منطوية كما كانت قبل ذلك عند كونها فيه بالقوة وهما صفتان
للكتاب او الاول صفة والثاني حال من مفعوله وقرى يلقاه على البنا للمفعول
من لقيته كذا اقرا كتابك على ارادة القول فيقرا قاريا كان او غير قاري لان
الاعمال هناك متمثلا بصورها وهيئتها يعرفها كل احد لا على سبيل الكتابة بالحروف
فلا يعرفها الامن يقرا وهذا وجه ما روي عن قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن
في الدنيا قاريا كفى بنفسك البا مزيدة للاشارة الى لصوق ذلك الوصف
ولزومه لها عليك حسيبا حاسبا او كافيا نصب على التمييز وتعديته بعلى

لتضمنه معنى الشهادة وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا وتقديم الصلة للاشارة الى ان لكل امرئ يومئذ شان يغنيه عن الالتفات الى غيره من اهتدى فانما يهتدي لنفسه فجزاء اهتدايه له ومن ضل فانما يضل عليها فوبال ضلاله عليها واما ان الغير لا ينتفع ولا ينضر بضلاله فلا دلالة فيما ذكر عليه ولا صحة له ايضا لما قدمنا في تفسير قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولا تزر وازرة وزر اخرى لما مر من تفسيره في سورة الانعام وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا الجمهور على ان هذا في حكم الاخرة خاصة وقالت فرقة لانه في حكم الدنيا والاخرة ذكره القرطبي وعلى كلا التقديرين لا دلالة فيه على انه لا وجوب قبل الشرع اما على الاول فظاهر واما على الثاني فلانه لا يلزم من تعليق مجموع الحكمين على البعثة تعليق كل منهما عليه وانما نفي الكينونة دون التعذيب لان المراد الاخبار عن عادته تعالى لا الوعد فعدم العذاب مقطوع به الى وقت البعثة وكلمة حتى لبيان غاية عدم العذاب حتى يتعين العذاب عند البعثة ولما ذكر تعالى انه لا يعذب احدا حتى يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك علة اهلاكهم بعد البعثة وهي مخالفة امر المبعوث اليهم فقال واذا اردنا ان نهلك قرية اي اذا تعلق ارادتنا في الازل لاهلاك قرية بما فيها في وقت مخصوص امرنا اي وجهنا الامر قبل مجيء ذلك الوقت مترفيها متنعميها خصهم بالذكر مع عدم الامر للتعريض بدلالة ان الكلام في بيان سبب استحقاق اهل القرية لعذاب الاستيصال لانهم الروساء المتبوعون ولانهم مامورون بنوعي العبادة البدني والمالي ففسقوا فوجدوا الفسق وهو الخروج عن الطاعة منهم اي من اهل القرية كلهم لما نبهت على ان غير المترفين ايضا مامورون لكنه استغنى بذكر المترفين عن غيرهم كما اكتفى بذكر الملائكة عن ذكر الجن في قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا على ما مر تحقيقه في تفسير سورة البقرة وقرئ امرنا بمعنى كثرنا لقول العرب امر القوم بكسر الميم اي كثروا وامرهم الله بالفتح اي كثرهم فصارت الحركة مما يصير به الفعل متعديا كما في شترت عين الرجل بكسر التاء وشترها الله بفتحها وبمديده فقراءة امرنا بالمد وامرنا بالتشديد بدفيها فيه دلالة على ان هلاك نفس القرية ايضا داخلة تحت المراد فلا مجاز في لفظ القرية كما لا مجاز في الارادة والامر فحق عليها اي على القرية بما فيها القول هو وعيد الله تعالى الذي قاله رسولهم عليه السلام فدمرناها التدمير الاهلاك مع طمس الاثر وهدم البناء اهلاك اهلها تدميرا ذكر المصدر للمبالغة في العذاب الواقع بهم وكم اهلكنا كم في موضع نصب باهلكنا ومن القرون خصه بالذكر لانه اول من حلت بقومه

عقوبة

عقوبة الاستيصال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا بدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقديم متعلقه من المعتقدات والنيات فانها اقدم على الاعمال الظاهرة التي هي متعلقات البصر والعقاب عليها اشد والعفو عنها اقل من كان يريد العاجلة من استمر على ارادة الدار العاجلة ولم ينقطع عنها دل على ذلك زيادة كان هنا دون قسيمه واما اعتبار قصر الارادة عليها بمعونة المقابلة فيرده عدم صحة اعتباره في المقابل ولا وجه للتخصيص مع الاشتراك في العلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة على اختلاف العبارة لانه لا يجد كل مريد ما اراده ولا كل واحد جميع مراده وبدلول الكلام ان حصول المرام موقوف على مشيئة الله تعالى واما انه لا دخل فيه للهم والارادة فلا دلالة عليه فيه فانه يجوز ان يكون ذلك من الاسباب العادية ومشيئة الله تعالى انما تتعلق بشيء بعد تمام الاسباب العادية الا في خوارق العادات ولمن نريد بدل من له بدل البعض من الكل وقرئ يشاء والضمير فيه لله تعالى ليطابق المشهورة ثم جعلنا مصيرنا له جهنم يصلاها حال من الضمير في له او من جهنم مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي بالجد قال الراغب السعي المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الامر خيرا كان او شرا وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مومن هو الشرط الاعظم فلا ينبغي السعي لانه فاولئك اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف كان سعيهم مشكورا من الله تعالى اي مقبولا عنده مثابا عليه كلا كل من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد الامداد المواصلة بالشيء هولاء وهولاء بدلان من كلا بدل تفصيل من عطاء ربك متعلق بنمد والعطاء بمعنى المعطى وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا عن عباده مومنا كان او كافرا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في العطاء وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات من درجات الدنيا ودرجات منصوب على التمييز واكبر تفضيلا اي التفاوت فيها اكبر لانه بالجنة ودرجاتها وبالنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للانسان او للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته والجعل بمعنى التصيير بالعقد فتقعد فتبقى عاجزا فان القعود مما يكنى به عن العجز مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمومنين والخذلان من الله تعالى وقضى ربك امر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية قال القرطبي في مصحف عبد الله

رد للقاضي البيضاوي

فيه رد لصاحب الكشاف والكشف

ووصى ربك وذكر ابو حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ووصى ربك
فالتصقت احدى الواوين بالصاد فقريت وقضى ربك اذ لو كان على
القضا ما عصى الله احد وقال الضحاك مثل ذلك ثم الى ابو حاتم ان يكون
ابن عباس قال ذلك وقال لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا واما
التعليل الذي نسبوه اليه فهو مناف لما نقل عنه من انه ليس قضا حكم بل هو
قضا امر وبالوالدين وبان تحسنوا بالوالدين احسانا ويجوز ان يتعلق البا
بالاحسان وقد مر في تفسير سورة الانعام تحقيق وجه جواز تقدم صلة
المصدر اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية زيدت عليها
ما تاكيدا لها ولذلك صح دخول النون الموكدة في الفعل واحدهما فاعل
يبلغن وبدل من الالف الراجع الى الوالدين على قراة يبلغان وكلاهما عطف
على احدهما على الاحتمالين ولا احتمال لان يكون تاكيدا لضمير يبلغان لاكونه
معطوفا على البدل لانه لا يقتضي ان يكون بدلا فان عطف التاكيد على البدل
شايع بل لان فيه دلالة على ان التاكيد غير مراد في المقام لان فايدة تاكيد
التثنية الشمول والاحاطة ولو قصدت تلك الفايدة لما قيل احدهما . .
فالمانع ذكره لا عطفه على البدل وانما قيد بقوله عندك لان مراعات الادب
مع طول المصاحبة اشق فكانت مظنة التقصير فقد ورد لم ... وانما خص حالة
الكبر لان من بلغها يسو خلقه فكان فيه تقوية لما ذكر انفا من المظنة وايضا هي
حالة يحتاجون فيها الى بره لتغير الحال عليهما بالضعف فلا تقل لهما اراد
تعميم النهي لكل منهما لا تقييده بحالة اجتماعهما لعدم تحمله احد التقديرين
اف صوت يدل على التضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني
على الكسر لالتقا الساكنين وتنوينه في قراة نافع وحفص للتنكير وقرى
بالفتح على التخفيف وقرى منونا وبالضم للاتباع والنهي عن هذه اللفظة الدالة
على التضجر والتبرم يفصح عن النهي عن سائر انواع الايذا بطريق الدلالة وقال
الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار فكثر استعماله حتى ذكر
في كل ما يتاذى به وعلى هذا يكون النهي عن الكل بطريق العبارة ولا تنهرهما
النهر الزجر والغلظة وقل لهما قولا كريما وهو السالم عن كل عيب واخفض لهما
جناح الذل اي قل لهما قولا كريما بدل القول اللئيم وهو اف وافعل لهما الفعل
اللطيف بدل الفعل العنيف وهو النهي نهي عن قول وفعل وامر بقول وفعل
بدلا عنهما وفي تقرير الثاني وجهان احدهما ان الطاير اذا اراد الطيران والارتفاع
نشر جناحه واذا اراد ترك ذلك خفض جناحه فصار خفض الجناح مجازا مرسلا
مرتبا على الكناية عن فعل التواضع والثاني ان الطير اذا ضم فرخه اليه
للتربية خفض له جناحه فخفض الجناح في الاصل كناية عن حسن التدبير
فكانه قيل للولد اكفل والديك بضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك بك حال

رد لصاحب الكشاف والقاضي

عبارة الكشاف لذلك دخلت وفيها ما فيها منه

رد للعلامة البيضاوي

صغرك يرشدك الى هذا قوله كما ربياني صغيرا ويقوي الاول اضافة
الجناح الى الذل بطريق الاستعارة التخييلية وقرى الذل بالكسر وهو الا
نقياد من الرحمة من فرط رحمتك اليهما حيث افتقرا الى من هو افقر خلق الله
اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف
برحمتك الفانية والكفر لا يمنع عن ذلك ما دام حيين لان الهداية الى الايمان
من جملة الرحمة بل من معظمها وصحة التشبيه في قوله كما ربياني صغيرا
باعتبار ان التربية لا تكون الا عن رحمة فذكر تلك التربية ذكر للرحمة
اقتضا فلانه قال كما رحمياني وربياني صغيرا والعبارة المذكورة تنبه
على العلة الموجبة للاحسان اليهما واسترحام الله تعالى لهما وهي
تربيتهما له صغيرا وتلك الحالة مما تزيد اشفاقا لهما ورحمة اذ هي
تذكير بحالة احسانهما له ووقت ان لا يقدر على الاحسان لنفسه . .
ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير
وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين
قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين الاواب الرجاع عن ذنبه بالتوبة
غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد
عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه
التائب من جنايته اندراجا اوليا لوروده على اثره وات ذا القربى
حقه لما امر ببر الوالدين امر بصلة القرابة والحق هنا ما يتعلق
له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة
بكل وجه والمسكين وابن السبيل قد مر تفسيرها ولا تبذر تبذيرا
اصل التبذير التفريق من القا البذر في الارض وهو تفريق حبات . .
والفرق بينه وبين الاسراف ان الاسراف تجاوز في الكمية وهو
جهل بمواقعها وكلاهما مذمومان والثاني ادخل في الذم ويفصح
عن التفاوت بينهما قوله ان الله لا يحب المسرفين وقوله ان
المبذرين كانوا اخوان الشياطين اتباعهم الملازمين لهم
فان العرب تسمي الملازم للشي اخا له فتقول اخو المكارم اذا كان
مواظبا عليها وكان الشيطان لربه كفورا كثير الكفران لنعمه جحودا
لحقوقه ودخول كان فيه اخبار لعادته ومذهبه في القديم
واما تعرضن عنهم ابتغا رحمة من ربك ترجوها اي ان عرضك
لحاجة حوجتك الى الاعراض عن هولا المحتاجين لضيق يدك
انتظارا لرزق ترجوه من الله تعالى فقل لهم قولا ميسورا فلا تتبع
بعدهم بالقول الجميل والميسور من يسر الامر مثل سعد ونحس
كان النبي عليه السلام اذا سيل ولم يكن عنده ما يعطيه سكت

انتظار الرزق يأتي من الله تعالى كراهة الرد فنزلت هذه الاية فكان
بعد ذلك اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله واياكم من فضله
وذلك قوله فقل لهم قولا ميسورا اي لا تسكت فيكون ايحاشا لهم ولا تنقص
توبيخهم فيكون ايلاما لهم ولا يجوز ان يتعلق ابتغاء رحمة بالجواب لان ما بعد
الفا لا يعمل فيما قبلها في غير باب اما وما يلحق بها في المذهب المنصور الا
اذا اريد التعلق المعنوي فيضمن ما يتضمنه ويجعل المذكور جاريا مجرى
التفسير ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان
لمنع الشحيح واتلاف المبذر نهي عنهما امرا بالاقتصاد الذي هو بين التبذير
والامساك واما الكريم فلا اختصاص له ببذل النوال بل يعم ساير الاحوال
فتقعد فتصير عاجزا ملوما يلومك الناس على الشح وهذا اثر المنهي ولا
محسورا منقطعا عن النفقة والتصرف بسبب التبذير وهذا اثر المنهي ثانيا
والاوجه ان يكون كلاهما مرتبا على الثاني واما الاول فقد اكتفى به عما قدم من
تمثيله على اقبح وجه في التصوير ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه
ويضيقه لمن يشاء لا لعجز ولا لبخل انه كان بعباده خبيرا عالما بخفايا امورهم
بصيرا بمصالحهم فيوسع لقوم ويضيق لاخرين على مقتضى علم وحكمة
ويجوز ان يكون المعنى ان البسط والقبض يليق به تعالى العالم بالسرائر
والظواهر واما العباد فحقهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة
ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تفرطوا ولا تفرطوا وعلى الاول
يكون جاريا مجرى الاستيناف للتعليل ويجوز ان يكون تمهيدا لقوله
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة فقر وقد كان هنا نهيا عن واد البنات
وكانوا يفعلونه نحن نرزقهم لا انتم فلا وجه لقتلهم بسبب الرزق وزيادة
قوله واياكم لبيان ان رزق الاباء ايضا على الله تعالى فكيف يتوجه رزق
الغير من يعجز عن رزق نفسه ان قتلهم كان خطأ كبيرا لما فيه من قطع
التناسل وانقطاع النوع قرأ الجمهور خطأ بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة والقصر
وقرأ ابن عامر خطأ بفتح الخاء والطاء والهمزة والقصر وقرأ ابن كثير خطاء
بكسر الخاء وفتح الطاء والمد والهمزة وقال النحاس لا اعرف لهذه القراءة
وجها وكذلك جعلها ابو حاتم غلطا وقال ابو علي هي مصدر خاطأ
قد لنا عليه والخطأ والخطاء مصدر خطئ يخطأ كالحذر والحذر ويقال
خطئ اذا اثم واخطأ مثل تعمد والخطأ بالكسر لا يكون الا تعمدا والخطأ
بالفتح قد يكون عمدا وقد يكون خطأ ولا تقربوا الزنا بمباشرة مقدماته
ولهذا نهي عنه بالمبالغ وجه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة في القبح متناهية
فيه وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه لا لانه غصب على الابضاع لانه
غير لازم له بل لانه يؤدي الى النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها
بان

بان عصمها وحقن دمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا بحق يوجب
قتلها كالرجم او يبيحه كالقصاص قيل الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا
بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا وفيه نظر ذكرناه في تفسير سورة
الانعام ومن قتل مظلوما غير موجب لقتله ولا مبيح له سواء كان عمدا او
خطأ فان الظلم غير مشروط بالعمد شهد بذلك انهم شرطوا الاول في الشهيد
دون الثاني فقد جعلنا لوليه هو من له حق الطلب بدمه شرعا سلطانا
تسلطا بالمواخذة يقتضي القتل على من عليه فلا يسرف في القتل نهي عما كانت
الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء
المخاطبية جزما والخطاب للولي وقرأ الباقون بالياء الغائبة جزما والضمير
يرجع الى الولي ورجوعه الى القاتل وتوجيه الخطاب اليه باباه عبارة عن
الاسراف فان حقه النهي عن القتل مطلقا انه كان منصورا تعليل للنهي
على الاستيناف والضمير للولي لتناسق الضماير ونصره بتسليط الله تعالى
اياه على القاتل وامر الولاة بمعاونته ووجه التعليل ان الولي اذا اسرف
في القتل وتجاوز عن حد الشرع ينقلب عليه الامر ويدخل تحت القاتل
ظلما ولا تقربوا مال اليتيم قد مر الكلام في نظيره والنفس مبالغة الى
المال والمباشرة دون القتل ولهذا خص النهي عن القربان بالاولى الا بالتي
الا بالطريقة التي هي احسن الطرايق حتى يبلغ اشده قد مر في سورة الانعام
واوفوا بالعهد عام لما عقده الانسان بينه وبين ربه وما عقده بينه
وبين ادمي في غير معصية ان العهد كان مسؤلا اي مسؤلا عنه فحذف الجار
واوصل مسؤلا الى الضمير كما في قوله ويفعلون ما يؤمرون اي به وقيل ان
العهد يسئل تبكيتا لناقضه فيقال لم نقضت كما تسئل الرحم عن وصلها
وقطعها قيل ويجوز ان يراد صاحب العهد كان مسؤلا وعلى هذا لا يظهر وجه
العدول عن الضمير الى الاسم الظاهر وقيل اي مطلوبا يطلب من المعاهد
ان لا يضيعه ويفي به وفيه تعسف لفظا ومعنى اما الاول فظاهر اذ
حينئذ لا يزيد على معنى اوفوا بالعهد وقد ذكر في مقام التعليل له على
الاستيناف واوفوا الكيل اي لا تبخسوا فيه وفاء بذمة قوله اذا كلتم اي
وقت كيلكم تضمن النهي عن الكيل بنقصان ما تم تكميله بعد زمان وزنوا
بالقسطاس المستقيم القسطاس الميزان صغيرا كان او كبيرا وقيل هو القبان
لفظ رومي عرب والاجراء على قانون لغة العرب ليس بشرط في التعريب على
ما حققناه في رسالتنا المعمولة فيه والمستقيم السوي ذلك خير في الدنيا لانه
امانة توجب المحمدة والرغبة في معاملته واحسن تاويلا عاقبة اذ لا يبقى
عليه تبعة في الاخرة تفعيل من آل اذا رجع فعقبه نفع الدارين ولا تقف ما
ليس لك به علم لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل نهى ان يقول ما لا يعلم

وان يحلى بما لا يعلم ويدخل فيه التقليد على العمى يقال قفوته وقفيته اذا
تبعت اثره ومنه القافيه لتتبعهم الاثار وقافية كل شي اخره ان السمع
والبصر والفواد كل اولئك اشارة الى الثلاثة المذكورة ولا اختصاص له
بالعقلا قال الزجاج ووافقه الطبري ان العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل
باولئك وانشد قول الشاعر والعيش بعد اولئك الايام وان نظر الى
غلبة استعماله في العقلا فنقول لما كانت تلك الاعضا مسولة عن احوالها
شاهدة على صاحبها اجريت مجرى العقلا كان عنه مسولا عنه في موضع نصب
والضمير عايد على معنى اولئك اي عن كل واحد مما تقدم ومسولا فيه ضمير يعود
على كل من حيث اللفظ وهذا الضمير هو المفعول الذي لم يسم فاعله ويجوز
ان يكون مسولا مسندا الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمجرور بالحرف
لا يلتبس بالمبتدا ومنع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه كان لذلك ولا دلالة
في الاية على ان العبد مواخذ بالعزيمة ان يجوز ان يكون ما سيل عنه الفواد
الظنون والعقايد ولا تمش في الارض المشي انما يكون في الارض
فالتقييد به لقطع المجاز شايع فيه كما في الذهاب مرحا نصب على الحال
اي ذات مرح ولا بد من التقدير لان المبالغة المستفادة من التوصيف
بالمصدر لا يناسب المقام لان المراد النهي عن اصل المرح لا عن المبالغة وقري
مرحا بالكسر والمرح هو الخيلاء والكبر وقد دل قوله تعالى ولا تمش في الارض
مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور على ان المرح هو مشي المختال الفخور
انك لن تخرق الارض بشدة وطايك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم
بالمختال كل ذلك كان سيئه قري بالرفع والاضافة الى الشي منه لانه سبق
ذكر المامور به والمنهي عنه فكان القبيح بعضه وقري منونا غير مضاف
على انه خبر كان والاسم ضمير كان والاشارة الى المنهيات من الخصال المذكورة
عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها ولا حاجة الى الحمل على المعنى لانها
في حكم الصفات ولا اعتبار بتا سيئة ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كان
او ظرف على انه صفة لسيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل
المراد ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي من
الاشيا الموضوعة في مواضعها متعلق باوحى او بدل من ما او حال من الضمير
المنصوب المحذوف الها يدعليها ولا تجعل مع الله الها اخر كرره للتنبيه على
ان التوحيد مبدا الامر ومنتهاه ورتب عليه اولا ما هو عايده في الدنيا
وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك
مدحورا مطرودا مبعدا على سبيل الاهانة والاستخفاف به افاصفيكم
ربكم بالبنين خطاب للذين قالوا الملايكة بنات الله تعالى والهمزة للانكار
اخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل

فيهم

فيهم نصيبا لنفسه واتخذ من الملايكة اناثا بناتا لنفسه هذا خلاف المعقول
والمعروف والتعبير عن البنات بالاناث لاظهار جهة خستهن انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة ببعض الاجسام لسرعة زوالها ثم
بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم تجعل الملايكة الذين هم من
اشرف الخلايق ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير فترك
الضمير لانه معلوم في هذا القران في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا
القران ابطال اضافة البنات اليه تعالى لانه مما صرفه وكرر ذكره فيه
بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقري
صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرا مشددا وخففا اي كررناه فيه
ليتعظوا ويعتبروا ويطمينوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم التصريف المذكور
الا نفورا عن الحق والنفور منها بل الطمانينة قل لو كان معه الهة كما تقولون
ايها المشركون والكاف في موضع نصب اي مثل ما وقري بالتا على ان الكلام
مع الرسول عليه السلام اذا لابتغوا اي طلبوا متوصلين الى ذي العرش اي مغالبته
وافساد ملكه اشير الى ذلك بالتعبير عنه تعالى بذي العرش سبيلا
لانهم شركاوه على الغرض المذكور كما يفعل الملوك بعضهم بعضا وهذا على
وفق قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا سبحانه وتعالى عما يقولون
علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن وان من شي الا يسبح بحمده وينزهه عما هو من عوارض
الامكان ولواحق الحدوث بدلالته على الصانع القديم الواجب لذاته قطعا لسلسلة
الحاجة ولكن لا تفقهون ايها القاصرون عن النظر الصحيح تسبيحهم في عبارة قوله
تفقهون دلالة على ان تسبيحهم من جنس ما يفهم بدقة النظر لا من جنس ما يدرك
بالة السمع فتعين حمله على معنى الدلالة ولم يبق وجه للحمل على المشترك بينهما
وبين اللفظ انه كان حليما حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على الغفلة والشرك غفورا
لمن تاب منكم واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة
حجابا يسترك عنهم عن اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت لما نزلت سورة تبت يدا
ابي لهب اقبلت العورا ام جميل بنت حرب وفي يدها فهر والنبي عليه السلام قاعد
في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما راها ابو بكر قال يا رسول الله لقد اقبلت
واخاف ان تراك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرا قرانا فوقفت
على ابي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وهم انه حجاب الفهم كانه ما
فهم انه بينهم وبين القران لا بينهم وبين النبي عليه السلام مستورا عن اعين
الناس اي ليس من جنس الحجب الظاهرة وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان
وانما لم يقل وجعلنا قلوبهم في اكنة مع انه ابلغ في تصوير المعنى المقصود
للاشعار بانه امر عارض كسبي لا ذاتي خلقي فان كل مولود يولد على الفطرة

السليمة ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه والضمير لما يدعون اليه ويجوز ان يكون
مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اي منعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا لم يقل ان يسمعوه اكتفاء بما فهم بطريق قرينة وهذه حكاية لما كانوا
يقولونه على ما دل عليه قوله فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب قوله فهم
لا يسمعون صريح في ان عدم سماعهم بسبب اعراضهم لا لمانع في اذانهم فقولهم
وفي اذاننا وقر اظهار كراهة منهم لا اخبار عن عارض فيهم ومن غفل عن هذا
قال ولما كان القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن
فهم المعنى وادراك اللفظ ولم يدر ان الاول موقوف على الثاني فالحمل الثاني
على تقدير كونه حقيقة كاف للامرين وايضا مبنى ما ذكره على ان يكون
الضمير في يفقهوه للقران وياباه قوله واذا ذكرت ربك في القران اذ
لا وجه للعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر وايضا ما في الاية الاخرى بقوله
مما تدعونا اليه بدل ان يفقهوه ظاهر في خلافه وحده واحدا غير مشفوع به
الهتهم قال سيبويه وحده اسم موضوع موضع المصدر وهو ايحادا الموصوف
الموضوع موضع الحال وهو موحدا ولوا على ادبارهم نفورا نافرين من استماع
التوحيد على ان النفور جمع نافر كشهود في جمع شاهد ويجوز ان يكون
مصدرا على غير المصدر او كان قوله ولوا على ادبارهم بمعنى نفروا وهذا دليل
على انهم قادرون على الاستماع لا وقر في اذانهم حقيقة نحن اعلم بما
يستمعون به بسببه الداعي الى الاستماع من الهزو بك وبالقران ومن
اللغو اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى يتناجون بالطعن
في القران اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع في حالتي الاصغاء والاعراض بالتناجي
ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير
للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور من سحر فاختل به عقله
انظر كيف ضربوا لك الامثال في امر الحشر والبعث بدلالة قوله تعالى
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم وانما قال هنا
الامثال لانهم ضربوه بعبارات شتى وصور متعددة وقيل مثلوك بالشاعر
والساحر والكاهن والمجنون ويرده انهم ما مثلوه عليه السلام بما ذكر
بل تارة قالوا انه ساحر واخرى انه شاعر الى غير ذلك وايضا لو كان المعنى
ما ذكر لقيل فيك لا لك لانه عليه السلام حينئذ يكون من ضرب فيه الامثال
فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا اليه وقالوا ائذا كنا عظاما
بيان لما ضربوه ولولا الفصل بينه وبين المبين بالجمل التفريعية لكان حقه
التصدير بالفاء التفصيلية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون تقديره انبعث

اذا كنا عظاما والاستفهام للانكار ورفاتا صدر بالواو العاطفة اخرجا له
مخرج الاستقلال في كونه منشأ للاستبعاد والرفات الاجزاء المفتتة من كل شيء
مكسور لما فيه من زيادة معنى التفتت اوثر على الحطام ولم يلتفت الى ما فيه من
صنعة الجناس ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة
الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة وخلقا مصدر او حال قل
جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا رد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا
حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم واوثر في الحجارة
صيغة الجمع رعاية للمناسبة لكونوا والعدول في الحديد الى صيغة الافراد
لما في مفرده صنعة الجناس مع الحديد او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما
يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر
عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما
ورفاتا وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه
مما لم يعهد فيه وانما قال في صدوركم لان اثر الاستعظام البليغ يظهر
فيها فان القلب يضطرب عند ذلك لما يعتريه من الخشية فسيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحياة
فسينغضون اليك رؤسهم يقال انغض راسه اي حركه كالمتعجب من الشيء
وكل حركة في ارتجاف نغض والعدول من التعدية الى الى لتضمنه التوجيه
والالتفات ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا انتصابه على الخبر
او الظرف وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمرا اي هو تقريب
وقوعه لا لان كل ات قريب بل لانه مضى اكثر الزمان وبقي اقله ولم يجبهم
بتعيين وقته لان ذلك مما استاثر الله تعالى بعلمه ولم يوردوا تلك الاسولة
استرشادا بل عنادا واستهزاء وقد اخرجت اجوبتهم بطريق الجد والتحقيق
وعدم المبالاة باستهزائهم وفيه نوع تمهيد للامر بحسن المجادلة الاتي ذكره
يوم يدعوكم بدل من قريبا والدعاء النداء الى المحشر بكلام يسمعه الخلائق
قال عليه السلام انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا
اسماءكم فتستجيبون الاستجابة موافقة الداعي فيما دعي اليه بالفعل
لاجل دعائه بحمده حال منهم اي حامدين لله تعالى على الاحياء او على كمال القدرة
عن سعيد بن جبير رضي الله عنه ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون
سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا تظنون معلق عن
العمل فالجملة بعده في موضع نصب وقيل ما ذكره النحويون في اداة التعليق
ان النافية وانتصاب قليلا على انه نعت لزمان محذوف اي الا زمانا
قليلا كقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ويجوز ان يكون نعتا لمصدر
محذوف اي لبثا قليلا وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن

الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يلقي
بينهم الفساد بالوسوسة ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشادة
والمشاقة وقد مر في اخر الاعراف تحقيق معني النزغ ان الشيطان كان
للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة امروا بحسن المجادلة ونبهوا على انه
قد يكون من الشيطان اغرا واغوا وذكروا بعداوته القديمة لهم ربكم اعلم
بكم ان يشا يرحمكم بالتوفيق للاسلام او ان يشا يعذبكم بالاماتة على الكفر
وكلمة او للدلالة على الانفصال الحقيقي بين الشيئين والجملة تفسير للتي
هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا
بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب
لا يعلمه الا الله وفيه ان الظاهر عموم النهي للتصريح بما ذكروا لو كان مع ولا
بمعني ان علمهم عمل اهل النار وهذه الضميمة لا تصلح علة له وما
ارسلناك عليهم وكيلا موكلا اليك امرهم نفسهم على ما مر وايه وانما
قال عليهم دون اليهم افادة لمعني القسر والالجا وربك اعلم بمن في السموات
والارض فيختار منهم لنبوته وولايته من يليق بها وهو رد لاستبعاد
قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالرسالة وبكونه صاحب شريعة
وبكونه من اولي العزم وبكونه خاتم الانبيا عليهم السلام واتينا داود
زبورا يعني ان داود عليه السلام وان لم يكن من اولي العزم ولا صاحب
شريعة لكنه من جملة المفضلين بالرسالة حيث اوتي كتابا وقد مر ما يتعلق
بالزبور من الكلام في اخر سورة النسا قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من
دونه تعالى كالملائكة وعزير والمسيح عليه السلام فلا يملكون
كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم
الى غيركم اولئك الذين يدعون اي يدعونهم الهة يبتغون الى ربهم
الوسيلة القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي
من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك
كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية
الا نحن مهلكوها مخربوها قبل يوم القيمة عن مقاتل وجدت في كتب
الضحاك في تفسير هذه الاية اما مكة فيخربها الحبشة وتلك المدينة
بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والزواحف
ثم ذكرها بلدا بلدا او معذبوها اي معذبوا اهلها على ان المجاز في الاسناد
دون المسند والا لقيل او معذبوهم عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان
ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل

رد اصحاب الكشاف والقاضي

بالايات المقترحة استعير المنع للترك للمبالغة ولا تجوز استعارته للصرف
لانه ايضا ممتنع في حقه تعالى والبا للتعدية فان ارسل يتعدى بنفسه وبالبا
قال كثير لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر وما ارسلتهم برسول الا
ان كذب بها الاولون الا لتكذيب امثالهم في الطبع من الامم السالفة كعاد
وثمود يعني انها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك الامم واستوجبوا
الاستيصال على ما تقتضي سنتنا وهو خلاف مقتضى الحكمة لا لان فيهم من
يومن لانه غير مانع عن استيصال المعاندين خاصة كما وقع في قوم نوح
عليه السلام بل لان فيهم من يولد مومن ثم ذكر بعض من كذب بالايات
المقترحة فاستوصل بقوله واتينا ثمود الناقة باقتراحهم مبصرة نصب
على الحال وهي قراءة الجمهور وقرئ بالرفع على اضمار مبتدا اي هي مبصرة
اضيف الابصار اليها مجازا لما كانت يبصرها الناس وقرئ مبصرة بفتح
الصاد اسم مفعول فظلموا بها اي جحدوا بها وما نرسل بالايات المقترحة
الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل وان لم يخافوا نزل واذ قلنا لك واذكر
اذا وحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته واحاط
بقريش اي اهلكهم يعني في وقعة بدر والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه
وما جعلنا الرويا التي اريناك ليلة المعراج وكانت روية عين الا انها لما كانت

ردّ القاضي

بالليل رويا كما يقال بات يفعل كذا اذا فعل ليلا فيسمى ما يفعله سبوته
وان لم يكن نوما فلا متمسك فيه لمن زعم انها كانت في المنام بل نقول ان تمسك
به يكون حجة عليه لا له لان رويا المنام لا فتنة فيها وما كان احد ينكرها وقد كانت
تلك الرويا فتنة على ما نطق به قوله الا فتنة للناس وهي ارتداد قوم من
المسلمين حين اخبرهم النبي عليه السلام انه اسري به والشجرة الملعونة
عطف على الرويا وهي شجرة الزقوم واللعن لطاعمها وانما وصفت هي به
مجازا للمبالغة او قيل ذلك لانها في ابعد مكان من الرحمة وهي اصل الجحيم او
لانها مكروهة وبيانها قوله في القران قال ابو جهل ومن معه هذا محمد
يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجرة والنار تحرق الشجر
وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم امر ابو جهل جارية له فاحضرت تمرا وزبدا
وقال لاصحابه تزقموا فافتتن بهذه المقالة بعض الضعفا وما يعلموا ان
من يحمي وبر السمندر من ان ياكله النار واحشا النعامة من اذى
الجمر قادر ان يخلق في النار شجرة لا يحرقها وقرئ بالرفع على الابتدا
والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القران كذلك ونخوفهم بانواع
التخويف فما يزيدهم التخويف الا طغيانا عتوا كبيرا متجاوزا عن الحد واذ
قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قد مر تفسيره قال
اسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب على نزع الخافض

ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او انكار وتعليل
على ما صرح به في قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين او من
الموصول اي اسجد له واصله طين ويرد عليه انه حينئذ يضيع قوله خلقته
قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف للخطاب لا محل له من الاعراب
على ما مر تحقيقه في سورة الانعام وهذا مفعول اول والذي صفته
والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي
كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي والاكرام اسم جامع لكل ما
يحمد عليه وتعديته بعلى لتضمنه معنى التفضيل لئن اخرتني الى يوم
القيامة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته
لاقودنهم حيث شئت من قولهم حنكت الفرس اذا جعلت في فيه الرسن
وكذلك احتنكته الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم وهم الذين ذكرهم
الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الحسن
ظن ذلك لانه وسوس آدم عليه السلام فلم يجد له عزما قال اذهب
بشانك الذي اخترته امر اهانة وعقبه بذكر ما جراه بسوء فعله
من جزائه وجزاء اتباعه فقال فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك
وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغايب جزاء نصب على المصدر باضمار فعله او
بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا مكملا لا انتقاص
فيه عن قدر الاستحقاق من وفرته وفرا واستفزز واستخف اصله القطع
بشدة يقال فز الثوب اذا قطعه بشدة تخريق والمعنى استنزله بقطعه
اياه عن الحق من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد
واجلب عليهم الاجلاب السوق بجلبة من السايق وهو الصياح بخيلك
ورجلك باعوانك من راكب وراجل والرجل اسم جمع لراجل كركب وصحب اسم
جمع راكب وصاحب وقرئ بكسر الجيم وهي لغة فيه كحذر وندس وشاركهم
في الاموال بحملهم على جمعها من غير وجهها وانفاقها في غير حقها والاولاد
بالحث على تحصيلهم بالوجه المحرم والاشتراك فيهم بتسميتهم بعبد
العزى ونحوه والتضليل بالحمل على الاديان الزايغة وعدهم المواعيد بطول
الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور
ما اغتر به ان عبادي يعني المخلصين والاضافة للتشريف ليس لك عليهم
على اغوايهم سلطان قدرة وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في
الاستعاذة منك ربكم الذي يزجي اي هو الذي يزجي والازجاء السوق لكم
الفلك في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه انه كان بكم رحيما حيث سهل
لكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من
تدعون ذهب عن اوهامكم من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانه

حينئذ

حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه وقيل ضل كل من تعبدونه من
الهتكم الا اياه وفيه ان هذا المعنى لا اختصاص له بوقت الخوف فلما نجاكم خلصكم
من هول البحر واخرجكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص في العبادة وكان الانسان
كفورا كالتعليل للاعراض ولم يخاطبهم بذلك بل اسنده الى الجنس لقطا بهم افامنتم
الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على
الاعراض ان نخسف بكم جانب البر الخسف ان تنهار الارض بالشي وتعديته
بنفسه وبكم حال اي مصحوبا بكم قال الجوهري خسف به الارض اي غاب به
فيها وجانب البر ناحية الارض وسماه جانبا لانه يصير بعد الخسف جانبا
او يرسل عليكم حاصبا ريحا يحصب اي ترمي بالحصباء رميا متتابعا ثم لا
تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك وفي عبارة ثم اشارة الى انه تعالى يحفظهم
مرة ولا يعودون اليه بعد الكفران والعود الى الشرك ام امنتم ان يعيدكم فيه
في البحر ثم يقول اليه اذ لا يلزم من العود الى الشي التلبس به تارة اخرى بخلق
الدواعي الى ذلك فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشي الا قصفته اي
كسرته بشدة فيغرقكم وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب
كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به بسبب ما فعلنا تبيعا مطالبا يتبعنا
بانتصار قال الفراء التبيع طالب الثار ولقد كرمنا بني آدم تكريما مشتركا فيما
بينهم بحيث لا يختص ببعض دون آخر ولهذا اتى بصيغة الجمع والمراد الكرامة
البدنية ولهذا عبر عنهم بوصف البنوة وعبارته وان كانت لم تتناول آدم
عليه السلام لكن دلالته متناولة له عليه السلام وذلك ان ترتيب التكريم
على وصف البنوة المضافة اليه لا تخلو عن دلالة على انه عليه السلام منشا
التكريم ومبداه فلا حاجة الى تاويل بني آدم بنوع الانسان بل لا وجه له اذ
حينئذ تفوت الدلالة على التكريم المشترك ولما ابهم في جهة التكريم للتعظيم
واتى بالتعميم في جانب المكرم حيث ذكره بصيغة الجمع النص في التكثير دون
اسم الجنس المحتمل للقليل والكثير تضمن اول الكلام وآخره المبالغة فكان احرى
ان يصدر طرف الكلام بحرف التاكيد مرة بعد اخرى قيل ومن جملة تكريمه
ان كل حيوان يتناول طعامه بفمه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده
وفيه نظر لان القردة مع انها من الحيوانات الخسيسة تشاركه فيما ذكر
فلا يصلح كرامة ولا ان يعد خاصية له وحملناهم في البر والبحر اي حفظناهم
فيهما فان الحمل يتضمن الحفظ عادة حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم
الماء او حملناهم على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه ورزقناهم
من الطيبات من ضروب المستلذات وفنون النعم ما لم نجعله لشي من ساير الحيوانات
لما فرغ من تفصيل بعض وجوه تكريمهم البدني شرع في الاخبار عن
تكريمهم النفساني واجمل فيه اشعارا بقصور العبارة عن تفصيله وفضلناهم

تفضيلا مشتركا كذلك على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالشرف والكرامة
اتي بالتاكيد ههنا اهتماما لكونه معنويا بخلاف تلك الاحوال الثلاثة ولان
الاحكام المذكورة من شواهد هذا الحكم فكان شهاداتها تاكدت بعضها
ببعض فظهر اثر تلك الشهادات في الدعوى ولما كان سياق الكلام في النعم
المشتركة بين افراد الانسان شريفها وخسيسها على ما نبهت عليه
انفا ظهر وجه تخصيص الحكم المذكور بالكثير فان كل فرد من افراد الانسان
غير مفضل على جميع ما عداها وذلك ظاهر ولا دلالة فيه على عدم تفضيل
جنسه على جنس الملائكة لان في تفضيل جنس على جنس اخر لا حاجة
الى تفضيل جميع افراد الثاني بل يكفي تفضيل فرد من الاول على جميع افراد
الثاني يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون
وقيل هو على الاغراء اي احذروا يوم ندعو على قلب الالف واوا في لغة
من يقول افعوا ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في واسروا النجوى
الذين ظلموا وضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة
بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعي كل اناس كل ام
جماعة من الانس الاناس اصل الناس وهو اسم جمع وقد مر بيانه في اوايل
سورة البقرة بامامهم بمن ايتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب
او دين وقيل بكتاب اعمالهم فانه يرجع اليه في تعرف الاعمال ويرده
ان المدعي الى كتاب الاعمال كل واحد من الانس لا كل جماعة منه لعدم
الاشتراك بين الاثنين في كتاب واحد وقيل بامهاتهم جمع ام كخفاف
في جمع خف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسنين
وان لا يفتضح اولاد الزنا ويرده ايضا ما اشرنا اليه من ان كل ام ليست
مما يشترك فيها جماعة من الانس ثم ان ثالث ما ذكر من وجوه الحكمة مر
دود بما ذكر في الصحيحين من الحديث الدال على ان الناس يدعون
في الاخرة باسمايهم واسما ابايهم فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه
اي كتاب عمله فاولئك اورده جمعا على معنى من وقد حمل على اللفظ
اولا فافرد في قوله كتابه وفي قوله بيمينه يقرءون كتابهم لكمال
صحوهم ووفور عقلهم والذين يوتون كتابهم بشمالهم فهم لتحيرهم و
ترددهم لا يقرءون كتابهم واشير اليه في قوله تعالى واما من اوتي
كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه حيث لم يذكروا القراءة على
فيه وفي قوله يا ليتني دلالة ظاهرة على انه تحبس السنتهم عن التكلم
وتعليق القراءة على اتيان الكتاب باليمين لا يخلو عن الدلالة على
ما اشير اليه بعدم ذكر القراءة في مقابلة ولا يظلمون فتيلا اي لا ينقصون
عما يستحقون من الجزاء ادنى شي وقد مر شرح الفتيل في سورة النسا

ومن

ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى اي من كان في هذه الدار اعمى
عن النظر في ايات الله تعالى وغيره فهو في الاخرة اعمى ولما نزل هذه
الاية جاء عبد الله بن ام مكتوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول
الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فانزل الله تعالى فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فلا دلالة فيما ذكر على ان
من اوتي كتابه بشماله لا يقدر على القراءة لعدم بصره وقد مر في تفسير
قوله تعالى اقرا كتابك ما يقلع عرق الشبهة وقد جوز ان يكون الثاني
بمعنى التفضيل ويعضد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله واضل سبيلا
ومن ثمة قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان الالف افعل التفضيل
تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام واما الاول
فلم يتعلق به شي فكانت الفه واقعة في الطرف متعرضة للامالة لانه
منقوض بالامالة في قوله تعالى الذي هو ادنى بل لانه اراد ابو عمرو
ان يفرق بينهما لما اختلف معناهما واجتمعا في اية واحدة وانما امال
الاول دون الثاني لما ذكر فانه يصلح للاعجاز وان لم يصلح للغلبة
واضل سبيلا منه لبطلان الاستعداد وفقدان الالة والمهلة
وان كادوا ليفتنونك ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان
الشان قاربوا بمبالغتهم ان يخدعوك فاتنين بالاستنزال عن الذي
اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك نزلت
في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا لا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا
فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت
مكة وان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وقيل في قريش
قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك واذا اي لو اتبعت
مرادهم لاتخذوك خليلا وخليلهم بريء من خلق الله تعالى ولولا ان ثبتناك
ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت قاربت تركن اليهم شيئا قليلا جواب لولا يقتضي
اذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما قبله فمقاربة الشي القليل من الركون وهو
الميل اليسير لم يقع منه عليه السلام فضلا عن وقوع ذلك الشي القليل من الميل
اليسير وهذا غاية المبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الميل الى هواهم والكون
في صدد نفيه دلالة ظاهرة على ان قوله تعالى ليفتنونك بيان قصدهم لا فعله
عليه السلام اي لو قاربت اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الضعف
بمعنى المضاعف وكان اصل الكلام اذقناك عذابا ضعفا في الحيوة الدنيا وعذابا
ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم
اضيف الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات والمعنى

لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما يؤخره لهم لما بعد
الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليل المدة مرة بعد اخرى مع اتباعها الوعيد الشديد
بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان من كانت درجته ابلغ ثم
لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك عذابنا بالغلبة علينا وان كادوا اي
لاهل مكة ليستفزونك قد مر الاستفزاز من الارض اي من ارض مكة ليخرجوك
منها متعلق بكادوا واذا اي لو اخرجوك منها لا يلبثون خلفك بعدك وقرئ
خلافك وهو لغة فيه اي لم يمهلوا الا قليلا قدر ما ينزل بهم العذاب وما
اخرجوه عليه السلام منها بل خرج بنفسه امتثالا للامر الهجرة نعم ازعجوه عليه
السلام لكن التعليق على الاخراج لا على الازعاج وقيل الضمير لليهود والمدينة
والارض ارضها وذلك انهم ارادوا المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انك تخاف
الروم فان كنت نبيا فاخرج اليها فان الله تعالى سيحميك كما حمى سائر الانبيا
عليهم السلام فوقع ذلك في قلبه لما يحب من اسلامهم فرحل من المدينة مرحلة
فانزل الله تعالى هذه الاية وعلى هذا ايضا لم يوجد اخراجه عليه السلام
كما هو الظاهر من قوله واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا وقرئ لا يلبثوا منصوبا
باذا على انه معطوف على قوله ان كادوا لا على خبر كاد فان اذا لا يعمل
الا اذا كان معتمدا اما بعدها على ما قبلها سنة من قد ارسلنا قبلك من
رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا
رسولهم من بين اظهرهم فالسنة للمرسل والاضافة الى المرسل لادنى ملابسة
دل على ذلك قوله ولن تجد لسنتنا تحويلا تغييرا اقم الصلوة لدلوك
الشمس لزوالها وقيل لغروبها واصله الميل وهو ينتظم المعنيين قال ابن عطية
الدلوك هو الميل في اللغة فاول الدلوك هو الزوال واخره هو الغروب وقال
الماوردي من جعل الدلوك اسما لغروبها فلان الانسان يدلك
عينيه لشدة شعاعها عند ذلك واللام للسبب لانها انما تجب بزوال الشمس
الى غسق الليل هو اجتماع الليل وظلمته وهو وقت صلاة العشا الاخرة وقيل
المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان
لمبدا الوقت ومنتهاه على ان الدلوك هو الغروب واستدل به على امتداد
الوقت الى غروب الشفق وقران الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنه
كما سميت ركوعا وسجودا لذلك ولكن لا دلالة فيه على ذلك كما لا دلالة في
تسميتها قنوتا على ان القنوت ركنها وكذا لا دلالة فيه على وجوب القراءة
فيها لجواز ان يكون التجوز بها لكونها مندوبة في الصلوة نعم لو كان المجاز
في الفجر بان يكون المراد منه الصلوة في ذلك الوقت لدل الامر باقامتها على
الوجوب فيها عبارة وفي غيرها دلالة وانتصب قرانا عطفا على الصلوة
قاله الفراء وعلى الاغراء اي فعليك بقراءة الفجر قاله الزجاج وعزا الى البصريين

ان

ان قران الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار رواه الترمذي
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا حديث حسن صحيح
والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال والصلوة الليل فقط ان
فسر بالغروب ومن الليل فتهجد من للتبعيض
والفا ناسقة على مضمر اي قم فتهجد به اي بالقران والتهجد التيقظ من
النوم لا ترك النوم مطلقا قال الحجاج بن عمرو رضي الله عنه صاحب النبي صلى الله
عليه وسلم ايحسب احدكم اذا قام كله انه قد تهجد ان التهجد الصلوة بعد
رقدة ثم الصلوة بعد رقدة ثم الصلوة بعد رقدة كذلك كانت صلوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن الهجود يقال تهجد اذا القى الهجود وهو النوم عن
نفسه وهذا الفعل جار مجرى تحوب وتحرج وتعذر وتحنث اذا القى ذلك
عن نفسه نافلة لك زايدة عن تلك الفرايض المذكورة في الاية السابقة
والزايد حقه ان يكون من جنس المزيد عليه فالتهجد من الوظايف وانما قال لك
لانه ليس بفرض مختص به عليه السلام وقد روي عنه ثلاثة على فريضة ولامتي
تطوع قيام الليل والوتر والسواك ومن زعم انه تطوع في حقه ايضا فسر النافلة
بالزيادة اي زيادة لك في الدرجات وذلك لانه عليه السلام مغفور له فهو اذا
تطوع بما ليس بواجب عليه كان ذلك زيادة في درجاته وغيره من الامة تطوعهم
كفارات لذنوبهم وتدارك لخلل يقع في الفرايض عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا مقاما نصب على الظرف على تقدير العامل او تضمينه اذ لا يعمل في
مثل هذا الظرف الا فعل فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا اي ذا
مقام محمود وروى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وقال هذا حديث
حسن فالمقام الموضع الذي يقوم فيه الانسان للامور الجليلة ومعنى كونه
محمودا انه تعالى يقيمه عليه السلام فيه فيشفع فيحمده الخلق وقل رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق المدخل والمخرج بضم
الميم بمعنى الادخال والاخراج والصدق بمعنى المرضي يقال لرجل صدق
اي مرضي الخلق وقرئ مدخل ومخرج بفتح الميم بمعنى الدخول والخروج
على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا وقيل المراد
ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا وقيل ادخاله الغار واخراجه
منه سالما وقيل ادخاله المدينة واخراجه من مكة وفيه ان المناسب حينئذ
تقديم الاخراج على الادخال وقيل ادخلني فيما امرتني به واخرجني عما نهيتني
عنه والظاهر انه عام في جميع موارده عليه السلام ومصادره دنياوية
واخروية وقيل المراد الادخال في القبر والاخراج منه ليتصل بقوله عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا واجعل لي من لدنك مر تفسير لدنك في العمران

سلطانا نصيرا حجة تنصرني على المخالف او ملكا ينصر الاسلام على الكفر
فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون والنصر التمكين من
الانتصار من العدو وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب الكفر
يقال زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا اي لم يزل مضمحلا
وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين كقوله تعالى من
الاوثان تقدم المبهم اهتماما اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين
يستصلحون به دينهم ويتعظون به في دنياهم فموقعه منهم موقع
الشفاء من المرضى وعن النبي عليه السلام من لم يستشف بالقرآن
فلا شفاه الله او للتبعيض وليس معناه انه منقسم الى ما هو شفاء والى
ما ليس بشفاء بل المعنى انه نزل شيئا فشيئا فالمنزل في كل وقت بعض
ما هو شفاء كله ورحمة للمؤمنين بتفريج الكروب وتطهير العيوب وتكفير
الذنوب مع ما تفضل به تعالى من الثواب في تلاوته ولا يزيد الظالمين
الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم وكفرهم قال قتادة ما جالس احد القرآن
الا قام بزيادة او نقصان واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة
اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان
الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه
عطفه ويوليه ظهره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المتكبرين
وقرئ ناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض
او فقر كان يؤوسا شديد الياس من روح الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته
على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة يقال طريق ذو شواكل
وهي الطرق التي تتشعب منه ويشهد لذلك قوله فربكم اعلم بمن هو
اهدى سبيلا اسد مذهبا وابين طريقة ويسالونك عن الروح الذي
يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعات
الكائنة بامر كن من غير مادة ومدة وتولد من اصل كاعضاء جسده وقيل
اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس
به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في جواب
وما رب العالمين بذكر بعض صفاته وهذا القدر من البيان لا ينافي الابهام
المذكور فيما روي ان اليهود قالوا لقريش اسالوه عن اصحاب الكهف
وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان
اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم
امر الروح لان السؤال كان عن حقيقته وهي باقية على ابهامها وقيل
الروح جبريل عليه السلام وقيل خلق اعظم من الملك وما اوتيتم من العلم
الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العلوم النظرية

من الضروريات المستفادة من المحسوسات غالبا ولذلك قيل من فقد
حسا فقد فقد علما واكثر الاشياء لا يدركه الحس ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط
واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن
ومحوناه عن الصدور والمصاحف ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي لا تجد
بعد الذهاب من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا
رحمة من ربك لكن لا يشاء ذلك رحمة من ربك وقيل الا ان يرحمك ربك
فيرده عليك كان رحمته توكل عليه بالرد وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء
القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا
ان جعلك سيد ولد آدم واعطاك المقام المحمود وانزل عليك هذا الكتاب
وابقاه محفوظا قل لئن اجتمعت الانس والجن لم يذكر الملك معهما لا لانه
قادر على الاتيان بمثله لانه مردود بقوله تعالى ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بل لان الفعل المذكور مما لا يليق بشانه ولا
يجوز ان ينسب اليهم لانهم معصومون لا يفعلون الا ما يؤمرون به
على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في كمال بلاغته وحسن نظمه وجودة تاليفه
لا ياتون بمثله جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكانت
جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا والعدول عن الضمير الى الاسم
الظاهر لتفخيم شان ما تحدى عنه الثقلان ولما كان الاجتماع على امر قد يوجد
بدون المظاهرة فيما بينهم كاجتماع المجتهدين على حكم شرعي قال
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على ما اتفقوا عليه من المعارضة
باتيان مثله ولا يصلح هذا ان يكون تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا لان المقدرة على الاتيان بمثله اصعب من القدرة على استرداد
عينه ونفي الشيء انما يقرر نفي ما دونه لا ما فوقه ولقد صرفنا للناس في
هذا القرآن مر تفسيره في هذه السورة من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته
وحسن موقعه فابى اكثر الناس ابى متاول بالنفي اي فلم يرضوا الا كفورا
الا جحودا وقالوا تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن
وانضمام غيره من المعجزات لن نؤمن لك حتى تفجر قرئ بالتخفيف والتشديد
لنا من الارض ارض مكة ينبوعا هو عين ينبع ماؤه اي يفور يفعول
من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار هذا بالتشديد بالاجماع لمكان الانهار خلالها
وسطها تفجيرا اي يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء
كما زعمت علينا كسفا يعنون قول الله تعالى او تسقط عليهم كسفا من
السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقرئ كسفا بالسكون وهو فعل بمعنى

معفو كالطحن او مخفف من المفتوح كسدر وسدر او تاتي بالله والملئكة
قبيلا عيانا والقبيل بهذا المعنى المناسب للمقام الخالي عن التعسف مذكور
في الصحاح او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة
او ترقى في السما في معارجها يقال رقي في السلم اذا صعد اليها ولن نؤمن
لرقيك ولن نصدق لرقيك فاللام للصلة يقال امن له اذا اذعن له على
ما مر في سورة يوسف عليه السلام حتى تنزل علينا كتابا من السما فيه
تصديقك نقرؤه فلا نحتاج الى تعلمك اياه وهذا القيد لعدم اعتمادهم النبي
عليه السلام في تبليغ القران قل وقرئ قال اي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه او تنزيها لله تعالى من ان ياتي
او يتحكم عليه هل كنت الا بشرا رسولا كساير الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل
لا ياتون قومهم الا بما يظهر الله تعالى عليهم من الايات فليس امر الايات الي
انما هو الى الله تعالى فما بالهم يتخيرون علي وما منع الناس قد مر تفسير
المنع في هذه السورة ان يؤمنوا اذ جاهم الهدى وما منعهم عن الايمان
بعد نزول الوحي ومجي القران الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا
قولهم هذا وكان المانع اعتقادهم بموجب ما قالوا من ان الله تعالى اجل من
من ان يكون رسوله من جنس البشر الا انه عبر عنه بالقول تنزلا له
واخرجا عن حيز الاعتقاد قل في جوابهم لو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين
يتصرفون فيها بمشي قاطنين فيها وليس لهم قدرة الصعود الى السما فيسمعون
من اهلها ويعلمون ما يجب علمه لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا ليكون
من جنسهم فيفهمون كلامه ويسكنون اليه فاما انتم فبشر فيبعثني الله اليكم
بشرا مثلكم ليكون قلوبكم اسكن اليه وانتم لكلامه افهم فان مقتضى الحكمة
ان يكون الرسول من جنس المرسل اليه وملكا حال من رسولا ويحتمل ان يكون
موصوفا به وكذا الحال في بشرا قل جوابا لهم حين قالوا من يشهد لك رسول الله
كفى بالله شهيدا بيني وبينكم نصب شهيدا على التمييز اي حسبي الله تعالى من
الشهدا او على الحال اي كفى بالله تعالى في حال شهادته لنا والعدول من بيننا
الى ما فيه التكرير للتاكيد انه كان بعباده خبيرا بخفيات اسرارهم بصيرا
مطلعا على ما يظهر من افعالهم واقوالهم فيجازيهم عليه وفيه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتدي ومن
يضلل فلن تجد لهم انى ههنا بضمير الجمع تنبيها على ان نسبة الضالين الى
المهتدين نسبة الجماعة الى الواحد ولذلك قال اوليا مع ان نفي الولي الواحد
ابلغ من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم مسحوبين
عليها او ماشين عليها روي في الصحيحين انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على ارجلهم قادر على

ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما انهم يحشرون على هذه الصفة
ثم يخلق لهم ذلك قبل دخولهم في النار فابصروا لقوله تعالى وراى المجرمون النار
فظنوا انهم مواقعوها وتكلموا لقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا وسمعوا لقوله تعالى
سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقيل لا يبصرون ما تقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ
مسامعهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ويرده ان قوله تعالى اليوم نختم على افواههم
صريح في نفي القدرة على مطلق التكلم عنهم وان قوله تعالى وتكلمنا ايديهم
دل على ان ذلك في الموقف قبل الانصراف عنه الى النار وبهذا اندفع احتمال
ان يكون ذلك بعد الدخول فيها او عند المشارفة عليها ماويهم جهنم كلما
خبت سكن لهبها الخبو سكون النار عن الالتهاب وما قيل بان اكلت جلودهم
ولحومهم يرده قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها لانه منكح
في النار لا يتجاوز في تعذيبهم عن حد الانضاج الى حد الاحراق والافنا
زدناهم سعيرا توقدا وانما قال زدناهم دون زدناها بنا على انهم وقودها
على ما نطق به قوله تعالى وقودها الناس والحجارة ذلك جزاؤهم بانهم
كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا
جديدا قد مر تفسيره في هذه السورة اولم يروا اي اولم يعلموا ذلك علما يقوم
مقام العيان في حق الايقان ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان
يخلق مثلهم واذا قدر على خلق مثلهم قدر على اعادتهم خلقا جديدا وجعل
لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون الا كفورا جحودا قل
لو انتم فاعل الفعل محذوف يفسره ما بعده تقديره لو تملكون فحذف تملك وابدل
من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل
به من اللفظ كقوله وان هو لم يحمل على النفس همه وفيه دلالة على اختصاص
المخاطبين في امساك مع الايجاز تملكون خزاين رحمة ربي اي خزاين نعمه اذا لامسكتم
اي لامسكتموها خشية الانفاق لاجل خوف الفقر وكان الانسان قتورا
مضيقا للنفقة وزيادة كان لبيان ان الانسان مجبول على الشح والضنة
ومن يوق شح نفسه انما يوق بعصمة الله تعالى اياه وما ذكر جواب قولهم
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا حتى نتوسع في المعيشة اي لو
توسعتم لبخلتم ايضا ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات قد مر تفسيره
في سورة الاعراف وليس انفجار الما من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور منها
بدلالة ان الخطاب في قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلا الا رب السموات
لفرعون وهذه الايات بعضها بعد هلاكه وبعضها عنده فاسال بني اسرايل
اي فاسال علما بني اسرايل اذ جاهم اي جا اسلافهم والعامل في اذ محذوف تقديره
فاسال عن حديث او قصة بني اسرايل اذ جاهم فقال له فرعون اني لاظنك
يا موسى مسحورا اي ساحرا قاله الفرا وابو عبيدة فوضع المفعول موضع

الفاعل كما تقول هذا مشئوم وميمون اي شائم ويامن وليشهد لذلك
قوله قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر
فانه ظاهر في وداد تكون تلك الايات سحرا وقرأ الكسائي علمت بالضم اي انه
قال موسى علمت انا وقرأ الباقون بالفتح اي علمت انت يا فرعون لانه
عاندتم علمه لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم يقول انك
لصحة عقلك وسلامة حسك تعلم ان ما جئت به الايات ليس بسحر بل هي
حجة الله تعالى التي من تأملها استبصر فيها اي تيقن انها من عنده تعالى
وانتصب بصائر على الحال والعامل فيه محذوف تقديره انزلها بصائر
واني لاظنك يا فرعون مثبورا هالكا وخاسرا وقيل مصروفا عن الخير وكان
موسى عليه السلام عالما بذلك بيقين وانما قال اظن اظهارا للتوريط في تقرير
ما ادعاه وقابلته دفع وهم المبالغة فيه وصونه عن مظنة الافراط
فاراد فرعون ان يستفزهم ان يخرج موسى عليه السلام وقومه بالنفي او
القتل وقد مر في هذه السورة ما يتعلق بمعنى الاستفزاز من الارض ارض
مصر او ارض مطلقا فاغرقناه ومن معه جميعا فحاق به مكره وقلنا من
بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان
يستفزكم منها هذا على تقدير دخول موسى عليه السلام ومن معه
من بني اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ظاهر واما على تقدير عدم
ذلك على ما ذهب اليه بعضهم فلا بد من تعيين التعريف في الارض للجنس
او التوقف بان الامر المذكور لاولاد من معه عليه السلام لا لابيهم فاذا جاء وعد
الدار الاخرة يعني قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين واللفيف جمع
وليس له واحد وهو مثل الجميع وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي ما انزلنا
القرآن الى سماء الدنيا الا محفوظا عن اعتراء البطلان وما نزل على الرسول
الا كذلك وتكرير الحق باسمه الظاهر للتفخيم وما ارسلناك الا مبشرا
بالثواب للمطيعين ونذيرا بالعقاب للعاصين وليس لك شيء وراء ذلك وقرآنا
فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه لتقرأه على الناس
على مكث على تؤدة وتثبت فانه ايسر للحفظ وقرئ بالفتح وهو لغة
فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الاسباب ومقتضى الحكمة قل آمنوا به او
لا تؤمنوا يتضمن الاعراض عنهم والاحتقار لهم وعدم الاكتراث بهم فان
ايمانهم بالقرآن لا يزيده فضلا وامتناعهم عنه لا يورثه نقصا وقوله
ان الذين اوتوا العلم وهم مؤمنو اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام
واضرابه تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم
من قبله من قبل نزول القرآن اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان
سجدا تعظيما لامر الله تعالى وشكرا لانجاز وعده في الكتب السابقة

ببعثه

ببعثة محمد عليه السلام والخرور السقوط بسرعة وانما ذكر الاذقان
مبالغة في التحامل على الجبهة والانف حتى كانه يلصق الذقن بالارض
واللام بمعنى على وقيل للاختصاص وفيه ما فيه وانتصاب سجدا على
الحال ويقولون اي في سجودهم سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان
وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان كرره
لاختلاف الحال او السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما
اثر فيهم من مواعظ القرآن يبكون اتى هنا بالفعل اشعارا للتجدد
فان منشأ البكاء التفكر والتذكر مما يتجدد بخلاف منشأ السجود ويزيدهم
سماع القرآن خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله وقد مر تفسير الخشوع
في سورة قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد
الها اخر وهو يدعوه والمراد التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على
ذات واحدة وان اختلفا في اعتبار الاطلاق عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل الى ذاك الجمال يشير والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف
اولهما استغناء عنه واو للتخيير وقيل نزلت حين قالت اليهود انك لتقل
ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التوراة والمعنى انهما سيان في حسن
الاطلاق والافضاء الى المقصود ويحسنه قوله ايا ما تدعوا اي هذا ايا ما
تدعوه فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على
ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام والتنوين
في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير
في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك على
حذف المضاف حتى لا يسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب واللغو
فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين والمخافتة
خفض الصوت وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان خير
الامور اوساطها وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها و
ابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا فيه رد لمن قال عزير ابن الله ولمن قال المسيح ابن الله ولمن
قال الملائكة بنات الله ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية وفيه رد
للثنوية القائلين بتعدد الالهة ولم يكن له ولي من الذل من اليهود لانهم
اذل الناس فيه رد لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقال الحسين ابن الفضل
يعني لم يذل فيحتاج الى ولي وناصر فيجيره من الذل لعزته وكبريائه وهذا القول
حسن يعضده قوله وكبره تكبيرا التكبير ابلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم
والاجلال وانما اكد بالمصدر تحقيقا له وابلاغا في معناه ولما كان اتخاذ الولد

يكون للانتصار والاعتزاز به والاحتماء من الذل وقد يكون بالتفضل والرحمة
لمن والى من عباده الصالحين كان النفي لمن يستنصر به من اجل المذلة او كان
مورد الولاية يحتمل هذين الوجهين فنفي الجهة التي لاجل النقص بخلاف الولد
والشريك فانهما نفيا على الاطلاق لعدم احتمالهما الوجهين في شانه تعالى
وانما رتب الحمد على وصفه بنفي الولد والشريك والذل لان من هذا وصفه
هو الذي يقدر على ابلاء كل نعمة فهو الذي يستحق كل الحمد وهذه السورة
الكريمة ابتدأت بتنزيه الله تعالى واختتمت به

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب في ترتيب استحقاق الحمد على انزال
القرآن تنبيه على عظم شانه من بين النعم الجسام وذلك بهدايته الى ما فيه
كمال العباد ودعوته الى ما به انتظام صلاح المعاش والفلاح في المعاد ولم
يجعل له عوجا من تتمة الصلة على انه عطف بيان اذ المعنى انزل على عبده
الكتاب الكامل في بابه قال ابن السكيت كل ما ينتصب كالحائط والعود يقال فيه
عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش وما قيل انه بالكسر
في المعاني مردود بقوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتنكيره لتعميم
النفي انواع الانحراف عن سنن الاستقامة من جهة الاختلال في التركيب والاختلال
في النظم والتنافي في المعنى قيما على الكتب السابقة بالتغيير والتقرير او بمصالح
العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال وقيل المراد اثبات
الاستقامة والاعتدال فاتجه عليه السؤال عن فائدة الجمع بينه وبين
نفي العوج فان المفهوم من احدهما عين ما فهم من الآخر واجيب بان فائدته
التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة لا يخلو عن ادنى عوج عند
السبر والتفحص ويرد عليه بعد الاغماض عن ان ما ذكر فيما شهد له العباد
ان ذلك انما يصح ذكر النفي عقيب الاثبات دون العكس وبعد التسليم
والبناء ان التاسيس خير من التاكيد والافادة اولى من الاعادة وانتصابه
على الحال من الكتاب لا من الضمير في له لما فيه من الركاكة التي يجب
تنزيه كلام الله تعالى عنها ولا حاجة الى تقدير مضمر لان مبناه ان
يتعين عطف ولم يجعل على انزل وقد عرفت فساد ذلك المبنى لينذر
اطلقه لعموم الجنس وعدم اختصاصه باحد الفريقين على ما افصح عنه
قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا وفي اطلاقه هنا دفع
وهم الاختصاص السابق الى الفهم من قوله وينذر الذين قالوا باسا
عذابا شديدا من لدنه تقدم الكلام عليه في سورة هود عليه السلام
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم بان لهم وان ضمن يبشر
معنى يبين لم يحتج الى الباء اجرا حسنا ثوابا جميلا في الجنة واما نفس

رد لصاحب الكشاف والقاضي

رد لصاحب الكشاف

رد للعلامة البيضاوي وصاحب الكشاف

بيان دفع

الجنة

الجنة ففي التبشير بها يكفي الايمان ولا حاجة الى العمل الصالح عند اهل الحق
ماكثين فيه ابدا في الاجر في محله ابدا لا الى غاية وينذر الذين قالوا اتخذ
الله ولدا خصهم بالانذار بعدما عم الجميع لغاية فحش صنيعهم وترتبه
على القول اشعارا بانهم استحقوا الانذار به مع قطع النظر عن الاعتقاد
وابهم المنذور به ليذهب الوهم كل مذهب وفيه ما لا يخفى من التهويل به
ما لهم به اي بما قالوا من علم شيء من العلم لاستحالة المعلوم والجملة في موضع
الحال اي قالوا جاهلين به ولا لآبائهم اي قدوتهم وقيدوا اياهم وهم مثلهم
في الجهل كبرت كلمة تخرج عظمت مقالتهم هذه في الافتراء على الله وقراءة
الجمهور بالنصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول اولى وابلغ
لما فيه من الابهام والتبيين وفيه معنى التعجب ومرجعه الى تعظيم الامر
في قلوب السامعين كانه قيل ما اكبر كلمة تخرج من افواههم صفة للكلمة
ووصفها بذلك مع ان العلم الضروري حاصل بان شان جنسها ذلك
فلا بد له من فائدة وهي الاشعار بانه لا ينبغي ان تتصف هذه الكلمة بقصد
قلب او فتوح بطلانها فكانه قيل تخرج بنفسها بلا اخراج منهم فقط
تاييد لقوله ما لهم به من علم ان يقولون الا كذبا الا قولا كذبا فلعلك باخع
نفسك لعل للترجي في المحبوب والاشفاق في المحذور والبخع والبخوع الا
هلاك من شدة الوجد على آثارهم عبر عن ادبارهم وتباعدهم عن التصديق
بالقرآن على وجه فصيح تشبيها وتاباهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما
تداخله من الوجد والاسف على توليهم بمن فارقه احبته فهو يتساقط
حسرات على آثارهم ويبخع على نفسه وجدا عليهم فالاستعارة تمثيلية وقرئ
على الاضافة وهو الاستقبال ان فرع ان لم يؤمنوا بالكسر والمضي ان قرئ به
بالفتح بمعنى لان لا تؤمنوا فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حالها ماضية
لتصوير تلك الحالة في ذهن السامع واستحضارها بهذا الحديث القرآن
اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا انا جعلنا ما على
الارض من الزخارف يرشدك الى هذا قوله تعالى حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت زينة لها مفعول ثان لجعلنا بمعنى صيرنا
وحسن العمل ويحتمل الحال على انه بمعنى اوجدنا لنبلوهم ايهم احسن عملا
في تعاطيه وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل بقوله
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ترابا لا نبات فيه والجرز الارض
التي قطع نباتها من الجرز بمعنى القطع فيه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وفقراء المؤمنين عما احتوته ايدي المترفين من زينتها ام حسبت
بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم الكهف الثقب المتسع في الجبل
وما لا يتسع منه فهو غار ذكره القرطبي والرقيم اسم الجبل او الوادي او القرية

او الكلب او لوح رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل الرقيم
اصحاب الغار الذي انطبق عليهم فذكر كل واحد منهم اصلح عمله وفي هذا خبر
معروف اخرج في الصحيحين وقال قوم اخبر الله عن اصحاب الكهف ولم
يخبر عن اصحاب الرقيم بشيء كانوا في بقائهم احياء مدة مديدة بلا غذاء من
اياتنا عجبا اي حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من بين اياتنا عجبا
فليس كذلك بل كل اياتنا عجب وفي اياتنا ما هو اعجب منهم وقال القشيري
ازال موضع الاعجوبة من اوصافهم حيث اضافه الى نفسه بقوله
من اياتنا وتقليب العادة من الله ليس بمستبدع اذ اوى الفتية الى الكهف
حين التجا اليه وروي انهم كانوا شبانا من ابناء الاشراف ارادهم دقيانوس
الملك على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة
من خزاين رحمتك الموجبة للمغفرة والرزق والامن وهيئ لنا من امرنا
الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه مهتدين او اجعل
امرنا كله هدى والرشد اصابة الطريق المودي الى البغية وكذا الرشيد
والرشاد واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على اذانهم اي
منعناهم ان يسمعوا قال قطرب هذا كقول العرب ضرب الامير على يد الرعية اي
منعهم عن الفساد وضرب السيد على يد عبده الماذون اذا منعه من
التصرف وتخصيص الاذان بالذكر لان النوم قلما ينقطع الا من جهتهن ولا
يستحكم الا مع تعطلها اشير الى ذلك في قوله عليه السلام ذاك رجل بال
الشيطان في اذنه والذاهبون الى ان المعنى ضربنا عليهم حجابا من ان
تسمع ذاهلون عن ان الحجاب لا يناسب الة السمع ولذلك ادخل السمع
في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
تحت الختم دون التغشية على ما اعترفوا به وذكروه في تفسيره في الكهف
سنين ظرفان لضربنا عددا قال الزجاج اي يعد عدا لكثرتها لان القليل
يعرف مقداره من غير عد فاذا كثر عد واما قولهم دراهم معدودة فهي على القلة
لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير ثم بعثناهم اي من نومهم يقال
لمن احيي او اقيم من نومه مبعوث لانه كان ممنوعا من الانبعاث والتصرف
لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشيء الى الوجود ومشاهدته وهذا على نحو كلام
العرب والافقد كان الله علم ذكره القرطبي فلا حاجة الى اثبات التعليق
لعلمه تعالى حالي او استقبالي اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم احصى لما
لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم والامد الغاية وما في اي من معنى الاستفهام
علق عنه لنعلم فهو مبتدا واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما
لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيد وما موصول وامدا
تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوايد كقولهم هو احصى للمال وافلس

من ابن

من ابن المزلق ورد عليه بان بناء اسم التفضيل من غير الثلاثي المجرد شاذ فلا يقاس
عليه ولان امدا لا ينتصب بافعل لانه لا يعمل ولا يليق العدم سداد المعنى عليه
فان زعمت نصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما في قوله واضرب منا بالسيوف
القوانسا فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون فعلا ثم
رجعت مضطرا الى تقديره لكنه مردود اما اولا فلان دعواه الشذوذ مذ
مذهب ابي علي وعند سيبويه هو قياسي وبه اخذ الزجاج وعلى اختيار
ابن عصفور ان الهمزة اذا كانت لغير النقل كاشكل الامر واظلم الليل يجوز ان
يقال ما اشكل هذه المسئلة وما اظلم هذا الليل والهمزة في احصى ليست للنقل
واما ثانيا فلان قوله ان افعل لا يعمل ليس بصحيح لانه يعمل في التمييز ومن زعم
ان احصى اسم تفضيل لم يجعله مفعولا به بل جعله تمييزا وشبهه بما يقال زيد
اقطع الناس سيفا واما ثالثا فلانه يجوز ان يكون نصب امدا على نزع الخافض
تقديره لما لبثوا من امد على ان الامد بمعنى المدة ولعل هذا مراد الطبري حيث
ذهب الى ان نصب امدا بلبثوا واما رابعا فلان اسم التفضيل ينصب المفعول
به في مذهب الكوفيين فلا اضطرار الى تقدير فعل انما ذلك على تقدير ثبوت
نزول القران على مذهب البصريين والى ذلك نحن نقص قد مر تفسيره في سورة
يوسف عليه السلام عليك نباهم النبا خبر ذو شان بالحق بالصدق انهم فتية
جمع فتى كصبي وصبية امنوا بربهم الرب السيد الناظر في مصلحة عبيده فلا
بد لك غنى عن امنوا بنا وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم من
المجاز ربط الله على قلبه صبره ومنه رابط الجاش لما كان الخوف والقلق يزعج
القلوب عن مقارها الا ترى الى قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر قيل في مقابلة
ربط قلبه اذا تمكن وثبت وهو تمثيل والعدول من التعدية الى على من باب تخرج
في عراقيبها نصلي لمبالغة اذ قاموا على قدم الصدق مجاز يقال قام الى امر كذا اذا عزم
عليه بغاية الجد فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها
لم يقل ربا لان جهة توحده تعالى الوهية لا ربوبية لقد قلنا اذا شططا
والله لقد قلنا اذا قولا شططا والشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه يقال
شط منزل فلان اذا جاوز الغاية في البعد مصدر وصف به للمبالغة هؤلاء
مبتدا قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه الهة خبره وهو اخبار في معنى الانكار
لولا ياتون لولا حرف تحضيض بمعنى هلا مصحبه الانكار عليهم على ولو هينتهم
بسلطان بين بحجة بالغة ظاهرة فيه دليل على فساد التقليد في اصول الدين
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى واذ اعتزلتموهم
خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال يشمل الجسماني والقلبي من مفارقة قومهم
ومعتقداتهم وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب سواء كانت ما
موصولة او مصدرية والاستثناء متصل ان كانوا يعبدون الله تعالى مع الهتهم

شعار

وينقطع ان لم يعرفونه تعالي ويجوز ان يكون ما انا فيه علي انه اخبار من الله
تعالي ويجوز ان يكون عن الغيبة بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه تحقيقا له
لمضمون الجملة فأووا الي الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم ويوسع
عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما يرتفقون به اي
ينتفعون قالوا ذلك ثقة بفضل الله تعالي وقوة في رجائهم وقرئ مرفقا بفتح
الميم وكسر الفا قال الجوهري من قرئ مرفقا جعله مثل مقطع ومن قرا مرفقا
جعله اسما مثل مسجد ويجوز مرفقا اي رفقا مثل مطلع ولم يقرأ به وترى الشمس
اذا طلعت الخطاب للنبي عليه السلام او لكل احد والمعنى انك لو رايتهم كنا الان
المخاطب راهم علي التحقيق تزاور عن كهفهم تتنحى وتميل فلا يقع شعاعها عليهم
فيؤذيهم واصله تتزاور فادغمت التا في الزاي وقرئ بحذفها وقرئ تزور
كتحمر وتزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين و
حقيقتها الجهة المسماة باليمين واذا غربت تقرضهم قال الخليل في كتاب
العين اذا عدلت عن شيء في مسيرك قلت قرضته يمنة او يسرة في تعديه
تزاور دلالة علي ان الشمس كانت تدخل الكهف اذا غربت الا انه لا يقع شعاعها
عليهم كيلا ينتبهوا فان لشعاع الشمس وحرها تاثيرا في الانتباه وهذا من
تتمة ما قصد بالضرب علي اذانهم ذات الشمال يعني يمين الكهف
وشماله لقوله وهم في فجوة منه اي هم في متسع داخل الكهف بحيث لا يراهم
من كان ببابه وينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الكهف وهذا ايضا من
تتمة ما ذكر قيل وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب
المشارق والمغارب الي محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس
اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهي التي
تلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها علي جانبيه
ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسامهم ويبلي ثيابهم
ومبناه العقول عما في نقوضهم من الدلالة علي دخول الشمس في الكهف عند
غروبها ثم ان ما ذكره من حكم مقابلة بنات النعش يختلف باختلاف الاقاليم
طولا وعرضا ثم ان قوله ولا يقع عليهم فيؤذي اجسامهم ويبلي ثيابهم
اخراج لما وقع في شانهم من خوارق العادات عن حدها ببيان اسبابها
العادية علي ان ما ذكره لا يصلح سببا كافيا ذلك من ايات الله قالوا ذلك
ليس اشارة الي الايواء ولا الي التزاور والتقرض بل الي حفظ الله تعالي اياهم
في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة من تبع اخباره في اختياله وصدق
رجوعه الي الله تعالي في احواله ولم يستغن بغير الله من اشكاله اواه الى كهف
افضاله وكفاه جميع اشغاله وهيا له محلا يتفيؤا فيه من برد ظلاله بكمال
اقباله من يهدي الله بالتوفيق فهو المهتدي الذي اصاب الفلاح ثنا

رد للقاضي

رد للعلامة البيضاوي

عليهم

عليهم بانهم جاهدوا في الله تعالي واسلموا له وجوههم فلطف بهم وارشدهم
الي نيل ذلك الكرامة ومن يضلل الاضلال من الله تعالي بخلق دواعي الاضلال
وعند المعتزلة ما دل بالخذلان فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده
والخطاب للنبي عليه السلام او لكل احد كما في السابق واللاحق وتحسبهم ايقاظا
لانفتاح عيونهم وتنفسهم واما تقلبهم فانما يقع احيانا فلا يصلح سببا لحسبان
كل من يراهم وايقاظا جمع يقظ بضم القاف وكسرها وهو من اليقظان وهم
رقود نيام ونقلبهم اضاف التقلب الي نفسه لانه بتخليقه خاليا عن
الاسباب العادية وشرايطها ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس
رضي الله عنهما ولو لم يقلبوا لاكلتهم الارض وذات منصوب علي الظرف لما مر
ان حقيقتها الجهة وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم علي المصدر
منصوبا بالفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقليبهم وكلبهم اكثر المفسرين علي
انه كلب حقيقة وكان لصيد لاحدهم او زرعه او غنمه ذكره القرطبي فلا
تابيد في قراءة وكالبهم اي صاحب كلبهم لما قيل انه كلب راع مروا به فتبعهم
وتبعه الكلب بل التابيد بخلافه اذ الظاهر منها ان يكون الكالب من الفتية
وقالت فرقة لم يكن كلبا حقيقة وانما كان احدهم وقد كان قعد عند باب الكهف
طليعة لهم كما سمي النجم التابع للجوزا كلبا وقد حكي ابو عمرو المطرزي انه قرئ وكالبهم
وحمل علي هذا الرجل اذ بسط الذراعين واللصوق بالارض مع رفع الوجه
للتطلع هيئة الربيئة المستخفي بنفسه ويحتمل ان يراد بالكالب الكلب باسط
ذراعيه اعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لانها حكاية حال ماضية ولم
يقصد الاخبار عن فعل الكلب وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين
كونه بمعنى المضي غير مانع من العمل والذراع من طرف المرفق الي طرف الاصبع
الوسطي بالوصيد بالباب ولم يكن للكهف باب فالمراد منه موضع الباب
ولذلك قال ابو دوف في الشعب لو اطلعت عليهم لو شاهدتهم واصله الاشراف
علي الشيء ناظرا اليه ويكنى به اي عن المشاهدة الكاملة والخطاب لمن في
وترى الشمس وقرئ ابن كثير بالتشديد للمبالغة وقرئ بضم الواو لوليت
منهم فرارا لاعرضت بوجهك عنهم وانتصب فرارا علي المصدر اما الفرار
يحذوفه واما لوليت لانه بمعنى لفررت او علي العلة او علي الحال ولملئت
منهم رعبا خوفا يملأ صدرك بما البسهم الله تعالي من الهيبة وقيل لطول اظفارهم
وشعورهم واجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وبايامه قوله منهم والصحيح في امرهم
علي ما قال ابن عطية ان الله تعالي حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون
لهم ولغيرهم فيهم اية ولم ينكر الناهض الي المدينة الا معالم الارض والبنا ولو كانت
في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه اهم وايضا لما قال بعضهم لبعض لبثنا يوما
او بعض يوم وقيل لانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وبالجملة كان الناس

رد للقاضي البيضاوي

محجوبين عنهم بالرعب لئلا يصلوا إليهم وقرئ لملئت بالتشديد للمبالغة ورعبا
مفعول ثان أو تمييز وقرئ رعبا بضم العين **وكذلك بعثناهم** البعث التحريك عن سكون
أي أيقظناهم من نومهم على ما كانوا عليه من هيئاتهم بتغير شيء من أبدانهم وثيابهم
ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم
فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم
ويستبصروا به أمر البعث **قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم**
قال الحسن دخلوا الكهف في أول النهار فبعثوا حين استيقظوا فإذا هو آخر النهار فقالوا
لبثنا يوما ثم رأوا من الشمس بقية فقالوا أو بعض يوم وكان عندهم كذلك فلم يوصفوا
فيه بالكذب ولم يؤاخذوا به **قالوا ربكم أعلم بما لبثتم** إنكارا عليهم من بعضهم استدل
ابن عباس رضي الله عنهما بهذه الآية على أن الصحيح من الأقوال في عددهم أنهم
سبعة بناء على أن أول الجمع ثلاثة قيل إنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم
بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا إلى أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك
وفيه نظر قد مر وجهه ولما أخذهم ما يأخذ من نام طويلا من الحاجة إلى الطعام
قالوا **فابعثوا أحدكم** كأنهم قالوا خذوا فيما يهمكم ودعوا أمر ذلك إلى الله تعالى
بورقكم قرئ بكسر الراء وسكونها والتثقيل وإدغام القاف في الكاف
وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد الإدغام لالتقاء الساكنين على غير
حده والورق الفضة المضروبة نص عليه في الصحاح والقاموس كأنهم قد
استصحبوا حين خرجوا زادا لنفقتهم وكانت حاضرة عندهم فلهذا أشاروا
إليها بقولهم **هذه إلى المدينة** هي طرسوس **فلينظر أيها** الضمير للمدينة والمراد
أهلها بطريق الاستخدام والمصير في أمثال هذه إلى الحذف من ضيق العطن
أزكى طعاما أكثر بركة قال ابن عباس وعلي رضي الله عنهم أنه الأرز فإنه بالطبخ
وهو من تدبير قليل البضاعة وفي تفسير القرطبي قيل إنهم أمروه أن يشتري
ما يظن أنه طعام اثنين أو ثلاثة لئلا يطلع عليهم ثم إذا طبخ كفى جماعة
ولهذا قيل ذلك لطعام الأرز **فليأتكم برزق منه وليتلطف** أي وليتكلف في
استعمال دقائق التدبير في دخول المدينة وشرائه الطعام فلا يعلم به في ذ
هابه وإيابه **ولا يشعرن بكم أحدا** ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور بكم والضمير
في **إنهم** عائد على ما دل عليه المعنى من أهل تلك المدينة **إن يظهروا عليكم** أن يطلعوا
عليكم أو أن يظفروا بكم **يرجموكم** يقتلوكم برمي الحجارة **أو يعيدوكم في ملتهم** يصيروكم
فيها وقيل العود على معناه الشائع لأنهم كانوا أولا على دينهم ثم آمنوا وإنما لم
يقل إليها لأنه لا يلزم من العود إلى الشيء **ولن تفلحوا إذا أبدا** ولن تفوزوا
بخير إذا إن أدرتم **وكذلك أعثرنا عليهم** المفعول محذوف للتعذر أعثرناهم
عليهم وأجعلنا أي على كما أنمناهم وبعثناهم لتزدادوا بصيرتهم أطلعناهم عليهم
وأصله أن من عثر برجله على شيء وهو غافل نظر إليه حتى على حاله يعلم فاستعير

العثور للظهور **ليعلموا** أي ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم **أن وعد الله** بالبعث أو
الموعود الذي هو البعث **حق** لأن حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها المدد المتطاولة
كحال من يموت ثم يبعث **وأن الساعة لا ريب فيها** وأن القيامة لا ريب في إمكانها
فإن من توفى أنفسهم وأمسكها ثلثمائة سنين حافظا أبدانهم عن التحلل والتفتت
ثم أرسلها إليهم قدر أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا إياها إلى أن يحشر أبدانها
فيردها عليها **إذ يتنازعون** ظرف لأعثرنا **بينهم أمرهم** أمر الفتية حين
أماتهم الله تعالى ثانيا فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم أول مرة
فقالوا ابنوا عليهم أي على باب كهفهم **بنيانا** لئلا يتطرق إليهم الناس والدواب
ولا يتعرض لهم السباع **ربهم أعلم بهم** بأحوالهم أنهم ماتوا أو ناموا **قال** ولم يقل
وقالوا لأنه لم يذكر في معرض المنازعة **الذين غلبوا على أمرهم** أي قال عظماؤهم
بعد الاتفاق على البناء عليهم **لنتخذن عليهم مسجدا** يصلى فيه ويتبرك بمكانهم
سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل
الكتاب والمؤمنين **ثلاثة رابعهم كلبهم** هم ثلاثة رجال رابعهم كلبهم أي جعلهم
أربعة بانضمامه إليهم قيل هو قول اليهود **ويقولون خمسة سادسهم كلبهم** قاله
النصارى وإنما لم يذكر بالسين اكتفى بعطفه على ما هو فيه **رجما بالغيب**
يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه **ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم**
قاله المسلمون بإخبار الرسول عليه السلام عن وحي جبريل على ما أنبأ عنه لإخراج
هذا القول عن حيز الرجم بالغيب وإما اتباعه قوله **قل ربي أعلم بعدتهم** فلا دخل
له في الإنباء المذكور ولا دلالة في قوله **ما يعلمهم إلا قليل** أن ذلك القليل من جنس
الإنس حتى يتمشى أن يقال لا تثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر أقوال الطوائف
في الثلاثة المذكورة فإن عدم إيراد الرابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع أن
الأصل ينفيه ثم رد الأولين بالاتباع المذكور ليتعين الثالث وأما التمسك
بالواو بأن يقال إنها دخلت على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة
حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه
بها أمر ثابت فضعيف لأنها من المحكي لا من الحكاية فدلالتها على الثبوت
عند القائل لا عند الله تعالى نعم وقيل إنها تدل على تصديق القائلين بأنهم
سبعة لأنها عاطفة على كلام مصدق تقديره نعم وثامنهم كلبهم كما إذا قال
قائل زيد شاعر وقيل وفقيه أيضا أي نعم وفقيه أيضا وفي الخبر سئل النبي
صلى الله عليه وسلم أنتوضأ بما أفضلت الحمر فقال وبما أفضلت السباع قال
السهيلي يريد نعم وبما أفضلت السباع وقال جماعة ومنهم الإمام أبو منصور الما
تريدي لم يبين الله تعالى ذلك لأهل الكتاب ولا لنبيه عليه السلام ولو كان
أعلمهم لم يقل ولا تستفت فيهم منهم أحدا لأن علمه به يغنيه عن السؤال عنهم
فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف

الاحد الاظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص ما اوحي الله اليك فحسب من غير تجهيل لهم ولا تعنيف لهم في الرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تستفتهم من جملتهم قال ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم روي انه عليه السلام سال نصارى نجران عنهم فنهي عن السوال ذكره القرطبي ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء انما قال فاعل بالتنوين دون الاضافة لمكان قوله غدا ومبني ذلك على قاعدة ذكرناها في تفسير اني جاعل في الارض خليفة الا ان يشا الله الا بان يشا الله اي الا ملتبسا بمشيئة الله قايلا ان شا الله وهذا نهي تاديب من الله تعالي لنبيه عليه السلام حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتي شق عليه وكذبته قريش فقوله غدا معناه الحقيقي لا بمعني ما يستقبل من الزمان وعدم اختصاص الحكم به من جهة دلالة النص لا من جهة عبارته واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل ان شا الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شا الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث قال القرطبي هذا في تدارك التبرك بالاستثنا والتخلص عن الاثم واما الاستثنا المغير حكما فلا يصح الا متصلا ويجوز ان يكون المعني واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثنا مبالغة في الحث عليه وقل عسي ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة علي اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك من حيث اتاه من قصص الانبيا والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعني اذا نسيت شيا فاذكر ربك عند نسيانه وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسي ربي ان يهديني لشيء اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا او ادني خيرا ومنفعة منه ولعل النسيان كان خيرا لقوله تعالي او ننساها نات بخير منها ولبثوا في كهفهم يريد لبثهم فيه احيا مضروبا علي اذانهم ثلثماية سنين قرا حمزة والكسائي بالاضافة علي وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا ومن قال علي وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الي الجمع فقد تدافع طرفا كلامه لان مبني قوله علي وضع الجمع موضع الواحد هو ان يكون الاصل الاضافة الي الواحد وقرا الجمهور بتنوين مائة ونصب سنين علي انه عطف بيان وحمله علي البدلية ضعيف لانه يلزم ان لا يكون العدد مقصودا وازدادوا تسعا قيل انهم لبثوا ثلثماية سنة شمسية بحساب الامم ولما كان الاخبار ههنا للعرب ذكرت التسع اذ المفهوم عندهم من السنين القمرية فهذه الزيادة ٥

هي

هي ما بين الحسابين فهو بيان لما اجمله تعالي قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عددهم فقال بعضهم ثلثماية وقال بعضهم ثلثماية وتسع سنين ويعضده قراة ابن مسعود رضي الله عنه وقالوا لبثوا وقوله تعالي قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما وانه هو وحده العالم به ابصر به واسمع امران معناهما انشا التعجب والها في به للمحلة الرفع علي الفاعلية عند سيبويه لان اصله عنده صار ذا بصر كاغد البعير صار ذا غدة ثم نقل الي التعجب وغير الي صيغة الامر لانه انشا والتعجب انشا فبرز الضمير لان ضمير الغايب لا يستتر في امر المخاطب وزيد البا فيه لتاكيد التعجب وخلوه عن الضمير لا يختلف صيغته بحسب اختلاف المخاطب افرادا او تثنية وجمعا وعند الاخفش منصوب علي المفعولية والفاعل ضمير المخاطب وهو كل احد والهمزة للتعدية والبا مزيدة وعند بعضهم الهمزة للصيرورة والبا للتعدية والاتيان بصيغة التعجب للدلالة علي ان امره تعالي في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي ما لهم لاهل السموات والارض من دونه من ولي من متولي لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضايه احدا منهم ولا يجعل له مدخلا فيه وقري بالتا والجزم علي النهي واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد غيره علي تبديلها ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه قد مر تفسيره في سورة الانعام ولا تعد عيناك عنهم اي لا تصرف عيناك النظر عنهم الي غيرهم من عدوته عن الامر صرفته عنه وما تصرفه العين ليس الا النظر فحذف لظهوره قيل ولا تجاوزهم نظرك الي غيرهم وتعديته بعن للتضمين معني نبا وقيل ان عدا بمعني جاوز يتعدي بنفسه وبعن قال الجوهري عداه جاوزه وما الي عن فلان معدي اي تجاوز الي غيره ثم ان معني الصرف امس بالمقام من معني التجاوز وقري ولا تعد من عداه وعداه تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف علي المشهور ومن الضمير المستتر في الفعل علي غيرها والعامل علي الاول ايضا الفعل السابق لما سبق في قوله فاتبع ملة ابراهيم حنيفا ويجوز ان يكون حالا من الفاعل وتوحيد الضمير لانهما عضو واحد في الحقيقة او لاتحاد الاحساس وللاكتفا باحدهما عن الاخر والاستبشاع اسناد الارادة الي العين مندفع بانها كناية عن ارادة صاحبها كما يقال يستلذه العين والسمع وانما المستلذ الشخص ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا

وقد يجي اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنا حسبنا قلبه غافلين عن
ذكرنا اياه بالمواخذة واتبع هوه قيل نزلت في امية بن خلف وذلك انه
دعا النبي عليه السلام الى تبعيد الفقرا عنه وتقريب صناديد قريش وكان
امره فرطا اي مجاوزا فيه الحد ذكره الجوهري وقل الحق من ربكم الحق خبر
مبتدا محذوف ومن ربكم حال موكدة او خبر بعد خبر اي جا الحق وزاحت العلل
فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم فمن شا فليومن ومن شا فليكفر ليس
هذا بتخصيص وتخيير بين الايمان والكفر وانما هو وعيد وتهديد وجي
بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شا فكانه مخير مامور
بان يتخير ما شا من النجدين قيل هو لا يقتضي استقلال العبد بفعله
فانه وان كانت مشيئته فمشيته ليست بمشيته وكانه زعم ان الامر
بالايمان والكفر يكون امرا بجعلهما وايجادهما حتى قال ما قال او الحق
كون العبد مامورا بالكسب فقط وماذا بعد الحق الا الضلال انا اعتدنا
هيانا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها هو ما يمد فوق صحن الدار
ذكره الجوهري فارسي معرب اصله سراطاق لا سرا برده كما توهم
وما في حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه على ما اخرجه الترمذي وقال
فيه حسن صحيح عن قوله عليه السلام لسرادق النار اربع جدر يعضد
ما ذكرنا ويرد ما قيل انه الحجرة التي تكون حول الفسطاط وما قيل انه الحايط
وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بما كالمهل اي يونوا بما كالمهل وانما قال
يغاثوا على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع تهكما والمهل هو ما غليظ ذو
كدر دردي الزيت ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ويوافقه ما في حديث الترمذي
عن النبي عليه السلام انه قال كعكر الزيت يشوي الوجوه من فرط حرارته
اذا قدم ليشرب وهو صفة ثانية لما او حال منه لانه قد وصف فحسن مجي الحال منه
او من المهل او الضمير في الكاف بيس الشراب المخصوص بالذم محذوف تقديره بيس
الشراب هو اي الما الذي يغاثون به وساءت النار مرتفقا متكا واصله الاتكا
على المرفق وهذا لمشاكلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار
ولا اتكا الا ان يكون كناية عن عدم النوم كما في قول نام الخلي وبت الليل مرتفقا
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا التنكير للتقليل
اولئك لهم جنات عدن اقامة اذ هو وسط الجنان وانما جي بلفظ الجمع
لسعتها بحيث كان كل بقعة منها صالحة لان تكون جنة ويجوز ان يراد
بالجنات ساير الجنان واضافتها الى عدن لانه معظمها والجملة خبران
وما بينهما اعتراض اذ هو ايضا خبر على قيام من احسن مقام الضمير لان من
احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات فبإياه التقليل المستفاد من
التنكير في عملا وعلى ان الضمير مستغني عنه بعموم من احسن عملا كما هو

مستغني

مستغني عنه في قولك نعم الرجل زيد واما حذفه على ان المعنى من احسن عملا
منهم فغنيه اذ يوذيه تنوع الذين امنوا وعملوا الصالحات الى من احسن عملا والى من لم
يحسنه ولا يحتمله اولو الخبر هو اولئك كلام مستانف لبيان الاجر المبهم ويجوز ان
يكون الثاني بدلا عن الاول فلا يحتاج الاول الى خبر كما في قول الشاعر
ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم تجري من تحتهم
الانهار قد مر تفسيره في سورة البقرة يحلون يجعل لهم حليا بني التحلية للمفعول
اشعارا بانهم يكرمون بذلك ولا يتعاطونه بانفسهم فيها من اساور من ذهب
من الاولى للابتدا والثانية للتبيين صفة الاساور وتنكيرها لابهام
امرها في الحسن وهي جمع اسورة والاسورة جمع سوار بالكسر زينة تلبس في الزند
من اليد وقال ابو عمرو واحد الاساور الاسوار بالضم وهو بمعنى السوار
لا جمعه ويلبسون اسند فعل اللبس اليهم لان الانسان يتعاطى ذلك بنفسه
خصوصا اذا كان باري الصورة ثيابا خضرا لانها احسن الالوان واكثرها
طراوة وقد روعي فيها في ذلك اثرا انها تزيد في ضوء البصر من سندس
مارق من الديباج واستبرق ما غلظ منه معرب فارسيته استبرك جمع بين
النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكين فيها على
الارايك جمع اريكة وهي السرير في الحجال خص الاتكا لانه هيئة المتنعمين نعم الثواب
الجنة ونعيمها وحسنت الارايك مرتفقا متكا واضرب لهم للكافرين والمومنين
مثلا رجلين حال رجلين مفروضين او موجودين جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين
بستانين من اعناب من كروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة الرجلين
فلا محل له من اعراب وحففناهما بنخل اي جعلنه مطيفا بهما وهذا مما يوثره الدها
اي يجعلوها موزرة بالاشجار المثمرة وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة
للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما
يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها
ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا ولو قيل اتتا على المعنى لجاز والمختار هو الاول ولم
تظلم منه اي لم تنقص من اكلها شيا يعهد في ساير البساتين وفجرنا خلالهما
نهرا ليدوم شربها فانه الاصل ويزيد بهاوها وكان له ثمر اي انواع المال
من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه الظاهر منه انهما ليسا باخوين وهو
يحاوره اي يراجعه في الكلام ويحاوره من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز
نفرا اولادا دل على ذلك قول صاحبه ان ترن انا اقل منك مالا وولدا والمراد
الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث ودخل جنته بصاحبه ليريه ما
فيها ويعجبه منها ويفاخره بما ملك من المال دونه وافراد الجنة تجريد الكلام
لما سيق من الغرض وصونا له عما يخيل امرا اخر والغرض ههنا بيان ما قاله
عند دخول جنته والتعرض لتعددها فضلة في ذلك وهذا كما تقول اذا رأيته

قين

قراة الجمهور بضم الثا والميم وقرا ابو عمرو بضم الاول تسكين الثاني وقرا عاصم بفتحهما اما الضم فقد قال الكسايي هو جمع جمع يقال ثمرة وثمار وثمر كالحمار والحمر ثم خفف كما في الكتب يقال كتب وكتب وقال غيره يجوز ان يكون بالضم جمعا للثمر كالخشب والخشب وبالسكون ايضا كالاسد والاسد واما على الفتح فهو جمع ثمرة كالشجر جمع شجرة

لباسًا طويلا على امراة قصيرة للباس طويل واللابس قصير ولو قلنا للابسة قصيرة جيت بما هو نكتة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته وانما وقع في غرض وراهما وهو ظالم لنفسه بتعريضها لسخط الله تعالى بعجبه وكفره وهو افحش الظلم قال ما اظن ان تبيد ان تهلك هذه الجنة ابدًا وهذا الاغترار بانتظام احواله واطراح النظر في عواقب امثاله وما اظن الساعة قائمة كاينة ولين رددت الى ربي اقسام منه لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله له واستحقاقه اياه لذاته وهو معه ايمانا بلقاه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض لاجدن خيرا منها من جنته وقرى منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعًا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانتصابه على التمييز قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب اراد خلق اصله ادم عليه السلام او اصل مادته وذلك ان ما الرجل يتولد من اغذية حاصلة من تراب فيتمه اولا عليها تولده منه بالواسطة ثم على ما تولد منه بالذات فقال ثم من نطفة فانها مادته القريبة ثم سويك رجلا جعلك انسانًا ذكرا بالغا مبلغ الرجل سويا قيل عدلك ويرده قوله تعالى فسويك فعدلك جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشاه الشك في قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من تراب كانه يقول من عرف خلقه تعالى اياه من التراب لا ينكر اعادته منها لانها اهون منه فالانكار بالثاني لايجامع الاعتراف بالاول لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا استدراك من قوله اكفرت لانه استفهام انكار وتوبيخ فهو في الحقيقة اخبار عن كفره واصل لكنا لكن انا فحذفت الهمزة نو قلالقت النونان فكان الادغام وقرى بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجرا الوصل مجرى الوقف وقرى لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو الجملة الواقعة خبر له خبر ان او ضمير الله والله بدل وربي خبره والجملة خبر انا وقرى لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا الله ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شا الله ما موصولة مرفوعة المحل على انه خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شا الله او مبتدا خبره محذوف تقديره ما شا الله كاين او شرطية منصوبة الموضع والجزا محذوف بمعنى اي شي شا الله كان اقرارا بانها وما فيها بمشية الله تعالى ان شا ابقاها وان شا اباها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله تعالى وان ما تيسر لك من تعميرها وتدبير امرها فبمعونته واقراره ان ترن انا اقل منك مالا وولدًا من رفع اقل جعله خبرا وجعل انا مبتدا والجملة مفعولا ثانيا لترن ومن نصبه جعل انا فصلا وتاكيدا للمفعول الاول فعسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك بكفرك حسبانا من السما

مرامي واحده حسبانة قال الاخفش وابو عبيدة وقال ابن الاعرابي الصواعق فتصبح دل على انبات الحسبان بالليل صعيدا زلقا ارضا اصطلم جميع ما عليها من النبات كالراس اذا حلق لا يبقى عليه شعر مصدر بمعنى المفعول من زلق راسه زلقا اذا احلقه او يصبح عطف على يرسل على تنويع ما ترجى الحاقه سماوية واقة ارضية ماوها غورا اي غايرا مصدر بمعنى الفاعل يقال غار الما غورا اذا سفل في الارض فلن تستطيع له اي للما الغاير طلبا لن تقدر على طلبه لعدم بقا الاثر منه واحيط بثمره الواو فصيحة عاطفة على مقدر هو تحقق ظنه وثمرة نو امواله واحاطته عبارة عن اهلاكه بالكلية واصله من احاط به العدو فان قوما قد احاط بهم العدو قلما ينجو شخص ثم استعمل في كل هلاك فاصبح يقلب كفيه كناية عن التحسر والندم فان النادم يقلب كفيه ظهر البطن فكانه قيل يندم على ما انفق فيها في عمارتها فهو متعلق بيقلب ويجوز ان يكون حالا اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقط عروشها على الارض نو وسقط الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب وحال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله تعالى امواله ويحتمل ان يكون توبة عن الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن بالتا واليا له فية قد مر ما يتعلق باشتقاق فية في العمران ولما افتخر بعزه نفره اخبر تعالى انه لم يكن له جماعة يجدونه نفعا وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ اي يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك واما الاتيان بمثله فليس من النصر لانه المعونة بالقهر والغلبة لا مطلق المعونة من دون الله اي هو القادر وحده على ذلك وما كان منتصرا قادرا على الانتصار بنفسه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فية ينصرونه من دون الله وقرى بالكسر ومعناه السلطان والملك اي هنالك السلطان والملك لله تعالى لا يغلب ولا يمتنع عنه وفي مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله تعالى ويومن به كل مضطر فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كان عن اضطرار وجزع مما دهاه شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان تكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر بها اولياه المومنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعداييهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر صاحبه المومن وصدق قوله فعسى ربي الاية وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله تعالى كقوله لمن الملك اليوم ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا وقري الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقري بالنصب على المصدر المؤكد وقري عقبا بالسكون وبالضم وقري عقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشيا على ضرب واحد اي مثال واحد مثل الحيوة الدنيا صفتها الغريبة في

سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس كما هو كما انزلناه من
السما فاختلط به اي بالما والبا للسببية اي فالتفت بسببه وخالط بعضه
بعضًا من كثرته وتكاثفه ويجوز ان يكون للتعدية اي يجع في النبات حتى روي
ورف وحق هذه البا ان تدخل في فل المخلوطين وسلك هنا مسلك القلب للمبالغة
في كثرة الما فاصبح اي انتهي امر الله تعالى على ما افصح عنه في سورة يونس عليه السلام
ان لفا فصيحة تكسرنا الاشجار بسرعة الزوال هشيما منكسرا من اليبس متفتتا
تذروه الرياح تفرقه وقري تذريه والتشبيه تمثيل شبه الهيئة المنتزعة من
احوال الدنيا بالهيئة المنتزعة من احوال النبات الان ايلا اداة التشبيه
بالما لايح عن نوع اشعار شبه الدنيا بالما في ان قليله يروي وكثيره يروي
كما ورد في الخبر قال عليه السلام ذر الدنيا وحذ منها كالما فان القليل منه
يكفي والكثير منها يطغي وكان الله على شي من لا نشا والافنا مقتدرا قادرا
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا لان في المال جمالا ونفعا وفي البنين قوة
ورفعا والباقيات الصالحات الاعمال الخيرات التي تبقي ثمرتها للانسان ابد
الاباد من اي نوع كان من انواع القول والعمل وقيل هي الصلوات والطاعات لان
بها يتقبل العمل ويرفع خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا
اذ ينال بها صاحبها في الاخرة ما كان يومل بها في الدنيا ويوم اي اذكر يوم
نسير الجبال من سيرت وقري تسير من سيرنا وتسير من سارت اي تسير
في الجو كما تسير السحاب كما قال في اية اخري وهي تمر من السحاب وهذا بعد كونها
كالعهن المنفوش ومن ذهب الى انها تسير سير السحاب ذهب الى ان يكون المعني
تذهب بها بان تجعل هبا منبثا فذهب عن صوب الصواب وتري الارض بارزة
ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبل ولا من شجر ولا بنيان وقري وتري على بنا
المفعول وحشرناهم الحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد وتجيبه
ماضيا بعد تسير وتري لتحقيق الحشر وقيل للدلالة على ان حشرهم قبل التسير
والبروز ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك
فلا حاجة الى جعل الواو للحال باضمار قد بل لا وجه له ويرده ما دل على ان
ذلك قبل الحشر من الايات كقوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة
وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فلم نغادر منهم احدا بالنون والبا
يقال غادره اذا تركه ومنه الغدر لانه ترك الوفا والغدير ما غادره السيل
وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان ولا حاجة
الى ما قيل لا ليعرفهم بل ليامر فيهم انما الحاجة اليه اذا اشبهت حاله تعالى بحال
السلطان المعروض عليه جنده صفا مفرد ينزل منزلة الجمع اي صفوفا لما
ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد صفوفا
ومن غفل عن هذا قال مصطفين ولا يحجب احد احدا لقد جئتمونا معمول

لقول محذوف تقديره وقلنا وهو حال ولا يجوز ان يكون عاملا في يوم نسير لما عرفت
انه قبل الحشر وهذا القول بعده كما خلقناكم نعت لمصدر محذوف اي مجيئا مثل مجي
خلقكم اول مرة اي حفاة عراة غرلا كما ورد في الحديث وقيل عراة لا شي معكم من المال
والولد لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة بل للاضراب بمعنى
الانتقال من كلام ليس بمعنى الابطال زعمتم ان لن ان المخففة من الثقيلة وفصل
بينها وبين الفعل بحرف النفي كما فصل في قوله ان لن نجمع عظامه نجعل لكم موعدا
مكان وعد وزمان وعد لا يجاوز ما وعدتم على السنة الانبيا عليهم السلام من البعث
والنشور ووضع الكتاب صحايف الاعمال في الميزان او في ايدي العباد واحد
اريد به الجمع لانه جنس فتري المجرمين مشفقين الاشفاق الخوف من وقوع
المكروه مع تجويز ان لا يقع مما فيه من السيئات ويقولون الواو للحال يا ويلتنا
هذه لفظة من وقع في شدة والويل الهلك والندا لمن بحضرهم كانهم قالوا يا من
بحضرتنا انظروا هلكتنا ما لهذا الكتاب ما استفهامية مبتدا ولهذا في
موضع الخبر تقديره اي شي لهذا الكتاب تعجيب لشانه لا يغادر جملة حالية صغيرة
سيئة صغيرة قدمها لانها ادخل في التعجيب ولا كبيرة يعني لا نترك شي من المعاصي
الا احصاها الاحصا هنا كناية عن الضبط والحفظ واسناده الي لفظ الكتاب
مجاز ووجدوا ما عملوا من خير وشر حاضرا موجودة في الخارج على ما دل عليه
قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم لا موجودة في الكتاب لانه
اعادة للمعني السابق ولا يظلم ربك احدا باحضار ما لم يعملوا ولا يعدم بنو
احضار بعض ما عملوا واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا
ابليس بيان حال المغرور بالدنيا وكان السبب تسويل الشيطان زهدهم
الا في زخارفها ثم نهيهم عن الشيطان تذكيرا ما بينهم من العداوة القديمة
كان من الجن استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق
عن امر ربه فخرج عن امره تعالى بترك السجود والفا للتسبيب ومن قال
هنا الكلام المعترض يعد من الله تعالى بصيانة الملايكة عن وقوع شبهة
في عصمتهم فقد سهي حيث اساء في عبارة التعهد افتتخذونه الهمزة للانكار
والتعجب والفا للعطف على مقدر تقديره اتعلمون انه عدو الله تعالى
وعدو لكم فتتخذونه وذريته اوليا من دوني تستبدلونهم بي
قال الشعبي سالني رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس
لم اشهده ثم ذكرت قوله افتتخذونه وذريته فعلمت انه لا يكون ذرية
الا من زوجة فقلت نعم وهم لكم عدو لم تقل اعدا في مقابلة اوليا انبا عن اتحادهم
في امر العداوة وشدة اتفاقهم على ذلك بئس للظالمين بدلا من الله
تعالى ابليس وذريته ما اشهدتهم وقري ما اشهدناهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم اي لا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا

انفسكم فنفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق
بعض توطئة لنفي الاعتضاد الذي ذكره بقوله وماكنت متخذ المضلين يعني
ماكنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال و
واستبعادا للاعتضاد بهم فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركا لي في العبادة
وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك اي لم استعن بهم وبرايهم
وما اوقفتهم على اسرار ملكي فلا فضيلة لهم دون غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس
كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد
بالمضلين لديني ويعضده قراءة وماكنت على خطاب الرسول عليه السلام ويجوز
ان يقال فيه رد لارباب التنجيم واصحاب الهيئة والمتبحرين في علم الطب
وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا
كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه والاصل فيه عضد اليد ثم وضع موضع
العون والتقوية لان اليد قوامها العضد وانما اوقع الواحد موقع الجمع لانه
في سياق النفي ابلغ ويوم يقول اي للكفار وقرئ بالنون وانما لم يقل شركانا
على هذه القراءة لان المقام مقام اظهار التوحيد نادوا شركائي في عبادتكم
الذين زعمتم انهم شفعا لكم ليمنعوكم من عذابي فدعوهم فنادوهم للاغاثة
فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا
حاجزا لقوله فزيلنا بينهم قال ابن الاعرابي كل شي حاجز بين شيئين فهو موبق
او جعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكا في الاخرة قاله الفرا يقال وبق يبق و
وبوقا ووبق يوبق وبوقا اذا هلك والموبق اسم مكان او مصدر وراى
المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها راوها من مكان بعيد فظنوا انها تاخذهم
في الحال وفي الخبر ان الكافر يرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة
والمواقعة ملابسة الشي بشدة ومنه وقائع الحروب ولم يجدوا عنها مصرفا
انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من
كل مثل من كل نوع من انواع المعاني الغريبة ونصيبهم تنقله في وجوه البيان
على تمكين الافهام وكان الانسان اكثر شي جدلا اكثر الاشيا التي يتاتى
منها الجدال والجدال شدة الفتل من المذهب بطريق الحجاج ولا يلزم ان
يكون بالباطل ولذلك احتيج الى التقييد في قوله ويجادل الذين كفروا
بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان
اذ جاءهم الهدى الرسول والقرآن ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن
الذنوب الا انتظار وطلب ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال و
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب عذاب
الاخرة قبلا بكسر القاف وفتح الباء عيانا وقرئ بضمهما وهو لغة فيه
اوجمع قبيل بمعنى ضروب وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة وانتصابه على

الحال

الحال من احدى المفعولين وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
بالثواب والعقاب للمطيعين والعاصين ويجادل الذين كفروا بالباطل
باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات وانكار كون البشر رسولا من الله تعالى
ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم
وهو ازلاقها واتخذوا اياتي يعني القرآن وما انذروا والذي انذروه من العقاب
او انذارهم هزوا وقرئ بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما
قدمت يداه اي لم يتذكر ما يترتب على فعله من العذاب والتعبير عن عدم
التذكر بالنسيان للمبالغة وانما حسن التجوز عن الجملة باليدين لان المسند
مما يكتسب وهما اقوى الة انا جعلنا مرتبط بقوله ويجادل الذين كفروا على
انه تعليل لاصرارهم على ما كانوا عليه وما بينهما من قوله ومن اظلم الى اخره
جملة معترضة في تقبيح حالهم على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
قد مر تفسيره في سورة بني اسرائيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا فلا
يكون منهم اهتداء البتة لشدة تصميمهم اذا ابدا مدة التكليف كلها واذا
جزاء وجواب للرسول عليه السلام على تقدير قوله مالي ادعوكم لان حرصه عليه السلام
على تقدير قوله مالي ادعوكم فان حرصه عليه السلام على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور
البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بامهال
اهل مكة مع افراطهم في عداوة الرسول عليه السلام فقال لو يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل
لهم العذاب في الدنيا بل لهم موعد وهو يوم القيمة او يوم بدر لن يجدوا من دونه
موئلا منجا ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى يريد
قرى الاولين من ثمود وعاد وقوم لوط واضرابهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك
مبتدا والقرى صفة او عطف بيان والخبر اهلكناهم ويجوز ان يكون القرى الخبر
واهلكناهم جملة حالية كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية وان يكون تلك القرى نصبا
باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والقرى مجاز عن اهلها وذكر حين تقدير
المضاف ولا بد من احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وفيه
اشعار بعلة الاهلاك ليحذروا منها وبهذا استدل ابن عصفور على حرفية
لما وانها ليست بمعنى حين لان الظرف لا دلالة فيه على العلة وانما ترك مفعول
ظلموا تنزيلا له منزلة اللازم ليذهب الوهم كل مذهب وجعلنا وضربنا لمهلكهم
المهلك بضم الميم وفتح اللام الاهلاك موعدا وقتا معلوما لا يستاخرون عنه كما هو
ضربنا لاهل مكة يوم بدر وقرئ بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة لهلاكهم
واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه وهو يوشع بن نون ابن اخت موسى
عليه السلام وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم
والعرب تسمي التلميذ فتى وان كان شيخا لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر

لدلالة الحال وهو السفر وقوله **حتى ابلغ مجمع البحرين** من حيث انها غاية مضروبة
تستدعي ما هي غاية له ويجوز ان يكون الخبر حتى ابلغ على ان يكون اصل الكلام
لا يبرح مسيري فينقلب الضمير والفعل بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقام
وان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه يعني الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا
افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقاهما
وهما الكر والراس بارمينية قاله السيد وقيل بحر فارس والروم ويرد عليه
انهما لا يلتقيان ولا يقرب احدهما من الاخر وفي التيسير كان البحر الذي
يعملون فيه اصحاب السفينة ما بين بحر فارس الى بحر الروم واذا لا اتصال
بينهما فلا صحة لهذا الكلام ايضا ولعل فارس محرف من فاس وهي بالمغرب
حاضرة البحر من اجل المدن القديمة ويعضده ما قاله محمد ابن كعب ان
مجمع البحرين عند طنجة وما قاله ابي ابن كعب انه بافريقية وقول
الخضر لموسى عليه السلام حين سلم عليه واني بارضك السلام يدل على ان
ملاقاتهما لم تكن بحر فارس والروم لان تلك الارض ارض بني اسرائيل وما
يقرب منها وهي منشا السلام ومعدن الاسلام وقرى مجمع بكسر الميم قال
الجوهري للموضع مجمع ومجمع كمطلع ومطلع **او امضي حقبا** الحقب الدهر وقيل
ثمانون سنة وقيل سبعون اي اسير زمانا طويلا والمعنى حتى بلوغ المجمع ومضي
الحقب روي في الصحيحين ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل
فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى اليه
ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك فقال موسى يا رب وكيف لي به
قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ
حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا
اتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه
فسقط في البحر وقيل اضطراب الحوت كان بعدما استيقظ يوشع عليه السلام
وتوضا من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء **فلما بلغا مجمع
بينهما** اي مجمع البحرين وبين ظرف اضيف اليه على الاتساع **نسيا حوتهما**
نفقدا امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب ولا وجه لما قيل نسي
موسى عليه السلام ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع عليه السلام ان
يذكر له ما راى من حيوته ووقوعه في البحر لان هذا النسيان منه قبل
ذلك على ما دل عليه قوله **فاتخذ سبيله في البحر** الفا فصيحة تفصح عن تقدير
يدل على حيات الحوت وسقوطه في البحر على ما نقل فيما سبق **سربا** اي جعل
سبيله في البحر كالسرب وهو الثقب الذي يدخل فيه فيسلك منه الى موضع
وفي الحديث المار ذكره وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل
الطاق واما السارب في قوله تعالى وسارب بالنهار فبمعزل عن هذا

لانه

لانه بمعنى الظاهر صرح به الجوهري ودل عليه قوله مستخف بالليل مقابلته ونصبه
على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ **فلما جاوزا
مجمع البحرين** وفي الحديث المذكور فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد
قال موسى **لفتاه اتنا غداءنا** ما نتغدى به **لقد لقينا من سفرنا** قيل لم ينصب موسى
عليه السلام في سفر غيره ويؤيده التقييد بقوله **هذا** وقيل في الحديث المذكور
انه عليه السلام لم ينصب حتى جاوز الموعد **نصبا** تعبا وعنا قيل عنا به هنا الجوع
ولا يخفى ان الفعل وتعديته انما يناسبان الاول ووجه الارتباط بين الكلامين
ان العقود للتغدية يتضمن الاستراحة الارتباط فكانه قال اتنا غداءنا حتى
نتغدى ونستريح زمانا **قال** له فتاه **ارايت** اعلمت ما دعاني **اذ اوينا
الصخرة** اي اقمنا عندها **فاني نسيت الحوت** ~~اعلمت ما دعاني اذ اوينا~~ يعني
امر ذكره في معرض الاعتذار لما جرى في الحوت من المعاهدة وذلك على ما ذكر في صحيح
البخاري ان موسى عليه السلام قال له لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت
فقال ما كلفت كثيرا **وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره** بدل من الضمير
اي ما انساني ذكره الا الشيطان وفي مصحف عبد الله وما انسانيه ان
اذكره الا الشيطان اي وسوسني وشغلني بغيره حتى نسيت والحال هو
وان كانت لغرابتها اجل من ذلك لا انه لما اعتاد مشاهدة امثالها عند
موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه بها فهو اعتذار عن نسيانه **واتخذ
سبيله في البحر عجبا** اي اتخاذا عجبا والمفعول الثاني الظرف وان كان عجبا
لخروجه من المكتل وحياته بعد كونه مشويا او ماكولا بعض منه وامساك جري
الماء عليه وقيل سبيلا عجبا وفيه ان اكثر العجايب ليس بحال السبيل وايضا لو كان
المعنى ذلك لقيل واتخذ في البحر سبيلا عجبا وهو من كلام يوشع عليه السلام وقيل
قال موسى عليه السلام في جوابه عجبا اي تعجبا وقيل الفعل لموسى عليه السلام اي
اتخذ موسى عليه السلام سبيل الحوت في البحر ويرد ها تاخير قال عنه **قال ذلك**
الاشارة الى فقد الحوت لما مر في الحديث انه قيل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم **ما
كنا نبغي** تقديره نبغيه اي نطلبه لانه امارة المطلوب **فارتدا على اثارهما** اي
على طريقهما الذي جاء منه **قصصا** اتباعا اذ ذلك الامر فانتصب على المصدرية
باضمار يقصان على ما افصح عنه النبي عليه السلام في الحديث المار ذكره حيث
قال في تفسيره فرجعا يقصان اثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل
مسجى ثوبا فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام فقال انا
موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا هو
فوجدا عبدا من عبادنا هذه اضافة تشريف واختصاص وهو الخضر اسمه
بليا شهد بذلك الحديث المذكور واتفق عليه الجمهور وروى الترمذي عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر خضرا لانه

جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضرا والفروة هنا وجه الارض قاله الخطابي
آتيناه رحمة من عندنا الرحمة هنا الرحمة والنبوة كما في قوله أهم يقسمون رحمة
ربك وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وقد مر ما يتعلق بلدن
في آل عمران علما هو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني على هذه المصلحة
بدأ بالاستفهام والاستئذان ووصف نفسه بالاتباع ومدحه بالعلم واظهر الرغبة
فيما عنده من العلم وهذا غاية التواضع من موسى عليه السلام وتعليم لمن طلب
العلم من غيره ولا يناسبه تقدير الشرط على ان يكون المعنى على شرط ان تعلمني
مما علمت رشدا علما ذا رشد واصابة الخير وقرئ بفتحتين وهما لغتان كالبخل
والبخل وهو مفعول تعلمني او مصدر في موضع الحال وذو الحال الضمير في اتبعك
ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد
ويجوز ان يكون علة لاتبعك وكون موسى عليه السلام صاحب شريعة لا ينافي
ان يتعلم من غيره ما لا حاجة اليه في شريعته قال انك لن تستطيع معي صبرا
اراد نفي الصبر معه الا انه بالغ فيه حيث نفى استطاعته على ابلغ وجه واكده
كانه لا يصح ولا يستقيم دل على ذلك قوله وكيف تصبر والصبر تجرع مرارة
حبس النفس ومنعه عما تنازع اليه على ما لم تحط به خبرا اي ان اصبرك
على ما لا خبرة لك به مستبعد وهذا كالتعليل للنفي السابق ومجيئه بالواو
شائع وفيه تداركه لما عسى ان يتوهم انه نسب اليه عليه السلام عدم التثبت
قبل قبيله ابداله حيث لا يمكنه الصبر لما يرى من المناكير لان الانبيا عليهم السلام
لا يجوز لهم السكوت عند ذلك وفيه ان ثالثها ليس بمنكر شرعا ولا عقلا وايضا
قد عرفت ان المنفي نفس الصبر معه لا استطاعته وخبرا تمييز او مصدر على
غير المصدر لان لم تحط بمعنى لم تخبره والخبر بالامور هو العلم بخفاياها
وما يختبر منها قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك
وتعليق الوعد بالمشيئة للاستثناء ولا بد منه صونا للوعد عن الخلف فانه
لا يجوز خصوصا في حق الانبيا عليهم السلام ولا اعصي لك امرا عطف على
صابرا اي صابرا وغير عاص كقوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات
او على ستجدني فلا محل له من الاعراب وفيه انه حينئذ لا يكون مقيدا بالمشيئة
ولا بد منه كيلا يلزم الخلف المذموم حيث وعد ان لا يعصيه في امر وقد
امره بترك السؤال ولم يطع فيه وانما قلنا ولا محل له من الاعراب مع انه مقول
القول على هذا الوجه لانه لا تاثير للعامل في المعنى وانما اثره حينئذ
لا يكون الا مقيدا بمجرد اللفظ والجملة هناك ليست واقعة موقع المفرد لكن في
حكمه محلا وهذا تواضع آخر من موسى عليه السلام بعد تمنع كان من الخضر
عليه السلام ثم يحكم عليه بوجه آخر على ما افصح عنه قوله قال فان اتبعتني
فلا تسألني وقرئ بالنون الثقيلة عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه

صحبته حتى احدث لك منه ذكرا حتى انبئك ببيانه وهذا من الخضر عليه السلام
تأديب وارشاد ولو صبر ودأب لرأى العجب لكنه اكثر من الاعتراض فتعين الفراق
والافتراق فانطلقا اي انطلق موسى والخضر عليهما السلام واما يوشع عليه
السلام فقد صرفه موسى عليه السلام ورده الى بني اسرائيل وفي الحديث
السابق ذكره فانطلقا يمشيان على ساحل البحر وفي الحديث المذكور فمرت
سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوها بغير نول حتى اذا ركبا في
السفينة ركب متعد وانما قيل في السفينة اظهارا لما في ركوبها خاصة من
بين الراكب من معنى الدخول خرقها قال عليه السلام في الحديث المذكور فلما
ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من السفينة بالقدوم قال
ابو العالية لم ير الخضر حين خرق السفينة غير موسى عليه السلام وكان
عبدا لا يراه الا من اراد الله ان يريه ولو رآه القوم حينئذ لمنعوه من خرق
السفينة قال اخرقتها لتغرق اهلها اي فعلت ذلك وغرضك اغراق
اهلها وقرئ بالتشديد للتكثير وقرئ بالياء ورفع اهلها اي ما فعلته [illegible]
يغرق اهلها وقيل انها لام العاقبة والاولى اولى في مقام الانكار لقد جئت
شيئا امرا منكرا ماخوذ من الامر لانه الفاسد الذي يحتاج ان يؤمر بتركه
ومنه امر القوم اذا كثروا اي احتاجوا الى ان يأمرهم وينهاهم ومنه الامر من
الامور اي الشيء الذي من شأنه ان يؤمر فيه ولهذا لم يكن كل شيء امرا ومن هاهنا
ظهر وجه ايثار شيئا على امرا مع ما فيه من صنعة الجناس ولو كان الامر هنا
بمعنى العظيم كما قيل لروعي حسن التناسب لفظا وقيل امرا من العدم المانع
من جهة المعنى حينئذ قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا ظاهره
تذكير للقول السابق وباطنه تقرير لصعوبة الصبر معه واشارة الى
ان منكرا ارتكبه موسى عليه السلام وهو عدم محافظة الوعد فكانه قصد
المعارضة ولهذا ضمن كلامه الاعتذار عن ذلك على ما افصح عنه قوله تعالى
قال لا تؤاخذني بما نسيت من امري بسبب نسياني والمؤاخذة على ترك التحفظ
لا على النسيان لانه غير مقدور ولذلك لم يقل على ما نسيت فكانه قال ما صدر
عني ما صدر الا بسبب امر غير مقدور وصيغة النهي كنت بينهم فيحتمل الالتماس
وهو المناسب للمقام ولا ترهقني الارهاق ادراك الشيء مما يغشاه ومنه
غلام مراهق اذا قارب ان يغشاه حال البلوغ من امري هو اتباعه اياه عسرا
اي ولا تغشني عسرا من امري يعني ولا تعسر علي متابعتك بالمؤاخذة على ما
صدر بسبب النسيان ويسرها على الاغضاء وعسرا مفعول ثان لترهق وقرئ
بضمتين فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما وفي الحديث السابق ذكره ثم خرجا
من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب
مع الغلمان فاخذ الخضر برأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله مما قيل انه قتله

بقتل عنقه او يضرب راسه بالحائط مردود بنص الحديث الصحيح وكذا ما قيل انه
فذبحه والفا هنا للدلالة على عدم تراخي القتل عن لقاء الغلام بخلاف جواب
السفينة فانه لم يتعقب الركوب كذلك فلم يذكر الفا ثمة ولما كان القتل فعلا
معصوما حقيقة او ظاهرا على اختلاف في صنعه لم يتملك ان لا يتعرض ولا دخل في
ذلك لدلالة الفا على عدم التروي والاستكشاف قال اقتلت نفسا زاكية
وقرئ زكية قال الكسائي هما لغتان مثل قاسية وقسية وقال ابو عمرو الزاكية
التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت وتابت ولذلك اختار الاولى وهذا على
ما قاله الجمهور انه كان صغيرا غير بالغ وقال الحسن والكلبي كان بالغا يقطع
الطريق ويعضده بغير نفس اي من غير ان قتلت نفسا يفهم منه انه لو كان
من قتل نفسا لم يكن به باس والظاهر منه كبر الغلام لان الصغير لا يقاد ولا
تنبيه فيه على ان القتل لا يباح الا حدا او قصاصا كيف ولا صحة للمفهوم على
ما نبهت عليه في تفسير سورة الانعام لقد جئت شيئا نكرا منكرا وقرئ بضمتين
اختلفوا ايما ابلغ امرا او نكرا فقيل هنا القتل اقبح وهناك متوقف فنكرا ابلغ
وقيل هذا اهلاك جماعة فامرا ابلغ قال ابن عطية وعندي ان امرا افظع واهول
من حيث هو متوقع عظيم ونكرا بين في الفساد لان مكروهه قد وقع ومن
غفل عن هذا قال ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها واعتراض موسى عليه السلام
مستانفا وفي الثانية جعل قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح
والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام فالوجه في التغيير ما قد
عرفته من ان تعقيب القتل للقاء دون الخرق للركوب اقتضى ذلك قال الم اقل
لك انك لن تستطيع معي صبرا في زيادة لك مشافهة بالعتاب
زجرا واغلاظا ليس في الاولى لان مواقعة السؤال في ثانيه بعد التقدم الى ترك
السؤال واعتذار بالنسيان اقطع وافظع في مخالفة ما كان اخذ على نفسه من
الصبر وعدم العصيان قال ان سالتك عن شيء بعدها بعد هذه المدة
او بعد هذه المسألة فلا تصاحبني وان طلبت صحبتك وقرئ فلا تصحبني قال
الكسائي فلا تتركني اصحبك قد بلغت من لدني عذرا اي بلغت من قبلي
مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي
موسى استحى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ
لدن بتخفيف النون وضم الدال وبالتخفيف والسكون وفتح اللام وبضم اللام
وسكون الدال وقرئ عذرا بضمتين فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية بجزيرة
الاندلس روي ذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه وقيل بالجزيرة الخضراء وقيل انها برقة
واما ما قيل انها انطاكية وما قيل انها ايلة ويصح مبناه على ان يكون
احد البحرين بحر فارس وقد عرفت ما فيه وقيل انها باجروان ارمينية وذلك
على ما قيل ان البحرين بحر الكر والرس استطعما اهلها الاستطعام سؤال الطعام

والمراد به

418

والمراد به هنا بقرينة اخر الكلام سؤال الضيافة والقرى اهلها كرر ذكر الاهل
تفظيعا لهم ولان المراد من الاهل في الاول البعض كما هو المتبادر المعتاد والمراد
به في الثاني الكل فكان المناسب اعادته باسمه الظاهر لان الظاهر من
الضمير عوده على ما ذكر اولا بعينه وعن النبي عليه السلام لئاما فطافا
في المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال
ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه هذا حقيقة الكلام
ثم شاع الضيافة كناية عن القرى والاطعام وبهذا انطبق مقتضى المقام
فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض الانقضاض السقوط بسرعة وانقض
انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان
ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا
والارادة مستعارة للمشارفة كالهم والعزم فاقامه ذكر في الحديث المار ذكره انه
قال بيده اي اشار اليه بها فاقامه وهو الاشبه بافعاله قال لو شئت
لاتخذت افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ
لتخذت اي لاتخذت واختلفوا في اظهار الذال وادغامها عليه اجرا كانت
الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهو
المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى عليه السلام لما راى
من الحرمان ومساس الحاجة ان قال ذلك وبما قررناه تبين وجه تقديم بعث
استطعامهما عن اهل القرية وابائهم عن التضييف قال هذا فراق بيني وبينك
اي هذا الاعتراض الاخير سبب فراقنا بحكم ما شرطت على نفسك واضافة
الفراق الى بين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقرئ على الاصل
وتكريره بالاضافة الى احدهما مرة والى الاخر اخرى مع كفاية بيننا لمعنى
التاكيد قاله سيبويه وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانت قول موسى
عليه السلام في السفينة والغلام لله تعالى فلم يلق سببا للفراق وكان قوله
في الجدار لنفسه في طلب شيء من الدنيا فكان سببا له سانبئك بتاويل
ما لم تستطع عليه صبرا ساخبرك بما في باطن ما لم تقدر ان ساخبرك بما في
باطن ما لم تقدر ان تصبر عليه لكونه منكرا او غير مناسب للحال بحسب الظاهر
والسين للتاكيد اما السفينة فكانت لمساكين لقوم ضعفا لعارض بهم
البدنية كالزمانة والعمى والخرس او لعجزهم عن دفع الظلم وهذا كما تقول
لرجل غني وقع في وهلة او خطب مسكين مرحمة لحاله وشفقة عليه فلا
دلالة فيه على ان المساكين يطلق على من يملك مالا اذا لم يكفه يعملون
في البحر فقد مر ما يتعلق بتعيين البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات
عيب بتخريق كون السفينة للمساكين وقوله وكان وراءهم كالتعليل للتفريع
ومجيئه بالواو كثير في القرآن منها قوله تعالى وكان الانسان كفورا فعلي

هذا نظم الكلام في غاية الحسن ومنهم من يتنبه له يتكلف له في توجيهه وكان
وراءهم امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم اليه ملك يأخذ كل سفينة
صحيحة سالمة وقد قرئ بكل منهما غصبا من صاحبها واما الغلام فكان ابواه
فيه تغليب مومنين فخشينا ان يرهقهما يغشيهما طغيانا عليهما وكفرا لا
لنعمتهما بعقوقه ويلحق بهما شرا او قرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع
في بيت واحد مومنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله
فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما لان اداباهما على طغيانه
وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلم وقرئ فخاف ربك اي يكره
كراهة من خاف سوء عاقبة قيل ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قوله
تعالى ولا يلائمه فاردنا ان يبدلهما ربهما ان يرزقهما بدله ولدا
خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة واقرب رحما الرحم والرحمة
مصدران كالكثر والكثرة اي رحمة وعطفا على والديه وقرئ رحما بالتخفيف
وانتصابه على التمييز وافعل هنا ليس للتفضيل لان ذلك الغلام كان كافرا لا
زكوة فيه والمناسب للمقام ان لا يكون فيه رحما ايضا على ان التفضيل بين
التمييزين بحمل احدهما على التفضيل دون الاخر لا يخلوا عن نوع خلل في حسن
النظم واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة
قبلها وكان تحته كنز لهما هو كل مال مذخور من ذهب وفضة وروي مرفوعا
انه كان ذهبا وفضة وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرمت الغنيمة ولا
دلالة فيه على انه كان للاب الصالح حتى يحتاج الى الاعتذار بان الكنز المذموم
ما لا يؤدي زكوته وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظه لحقه
فيهما قيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة اباء فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
قوتهما قال الجوهري هو ما بين ثمان عشرة الى ثلثين والمراد الادراك الى قوة
الراي لا الى الحلم ويستخرجا كنزهما يعني ان الله تعالى بنا ذلك المال مصونا
محفوظا عن ايدي المتغلب الى زمان بلوغهما مبلغ الرجال الكاملين في الراي
القادرين على استخراج الكنز سالما عن تعدي الغير فان الصبيان والرجال
العاجزين عن التدبير لا يقدرون على ذلك اسند الارادة اولا الى نفسه
والى الله تعالى لان التبديل بما شرته اهلاك الغلام وخلق الله تعالى ليبدل
وثانيا الى الله تعالى وحده لانه لا مدخل له اصلا في بلوغ الغلامين اشدهما
ولان الاول شر والثالث خير والثاني ممتزج وكذا ان تقول في اضافة
العمل الى نفسه على صيغة الانفراد نوع قصور في مراعاة ادب الكلام فلا
يلزم الا لعلة وهي موجودة في الاول ومفقودة في الثاني ولا مجال للاضافة
الى نفسه في الثالث وتلك العلة صون جناب العزة ان يعزى اليه ما هو
شر ظاهر رحمة من ربك نعمة منه وهي الحال الحاصل بالسهولة الواصل الى صاحبه

يلا

بلا الملقة الكسب وانتصابه على الحال وقيل مفعول على ان الرحمة بمعناها
الشايع او مصدر منصوب باراد ربك لانه بمعنى رحمهما واما تعلقه
بحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك فلا يلائمه قوله وما فعلته
اي ما فعلت ما رايته عن امري عن رايي انما فعلته بامر الله تعالى ذلك تاويل
ما لم تسطع عليه صبرا اصله تستطع فحذف التا تخفيفا ويسئلونك اليهود
امتحانا او مشركوا مكة عن ذي القرنين هو اسكندر الملك اليوناني المحدوني
وتلقيبه بذي القرنين لما روي مرفوعا انه ملك قرن الدنيا شرقها وغربها
قال الشاعر وهو التبع اليماني

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ۞ ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ۞ اسباب امر من حكيم مرشد

وما قيل انه اسكندر الرومي ملك فارس والروم مردود بانه تلميذ ارسطو
ومذهبه مذهب الفلاسفة وذو القرنين هذا لا شبهة في اسلامه
ولا نبوته انما الخلاف في نبوته قال القرطبي والظاهر من الاخبار ان اسكندر
اثنان احدهما كان على عهد ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى لمحبين تخلفوا
في بير السبع بالشام والاخر كان قريبا من عهد موسى قل في جوابهم سا تلوا
عليكم منه من ذي القرنين ذكرا خبرا انا مكنا له في الارض من مهمات الملك
سببا اصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى الغرض
فاتبع سببا الفا فصيحة تقدير الكلام اراد بلوغ المغرب فاتبع طريقا يوصله
اليه حتى بلغ وقرئ بقطع الالف مخففة التا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة اي كثيرة الحماة وهي الطينة السودا من حمئت البير
حما بالتحريك اذا كثرت حماتها وقرئ حامية اي حارة وقيل لا تنافي بينهما
لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين او يكون حامية من الحماة بتخفيف
الهمزة وقلبت بالانكسار ما قبلها ويابى عن ذلك ما جرى بين ابن عباس ومعاوية
رضي الله عنهما وتفصيله على ما ذكره القرطبي ان ابن عباس رضي الله عنهما قال
اقرانيها ابي كما اقراه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة وقال
معاوية رضي الله عنه هي حامية فقال عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله
عنه وانا مع امير المومنين فجعلوا كعبا بينهم حكما وقالوا يا كعب كيف تجدها في
التورية فقال اجدها تغرب في عين سودا فوافق ابن عباس رضي الله عنه فانه
على تقدير التوفيق بين القرائتين على احد الوجهين المذكورين لما تمشى الخلاف
المزبور فيه تجهيل لهو الاعلام وما ذكره القفال ليس المراد انه انتهى الى الشمس
غربا وشرقا حتى وصل جرمها لانها تدور مع السما حول الارض من غير ان تلتصق
بالارض وهي اعظم من تدخل في عين من عيونها بل هي اكبر منها اضعافا مضاعفة
مبناه على اصول فلسفية لا تعويل عليها ومنهم من تعمق وقال لعله بلغ ساحل

عفة

المحيط فراها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب
ولم يقل كانت تغرب ويرد عليه ان الوجدان يدل على الوجود ولو كان المعنى على
ما ذكر لقيل راها تغرب ثم ان في اطلاق العين على البحر المحيط ما لا يخفى على
ذي بصيرة ووجد عندها عند تلك العين قوما كانوا كفارا فخيره حسبهم بين
الامرين قلنا يا ذا القرنين من قال انه كان نبيا تمسك بهذا الخطاب ومن
انكره قال كان الخطاب على لسان نبي في عهده واحتمال الالهام لا يجدي
لان الدعوة الى الحق لا تكون الا من نبي او نايبه اما ان تعذب بالقتل على
الكفر واما ان تتخذ فيهم لم يقل لهم دلالة على التبوت والاستمرار حسنا اي
ذا الحسنى فيهم دعوتهم الى الله تعالى وتوحيده وكما قيل خيره الله تعالى بين
القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل يا باه قوله اما من ظلم الى اخره
لانه دل على ان اثر الدعوة وقد كان في التمييز بلفظ اما ان تتخذ فيهم حسنا واضمار
متعلق التعذيب مع اظهار متعلق الحسنى ايما الى ترجيح الشق الثاني فمثله
وانه مما يحق الايثار قال اما من ظلم اما من دعوته فظلم نفسه بعدم قبول الدعوة
والاستمرار على الكفر فسوف نعذبه اتي بحرف التسويف اشعارا بما يتخلل
بين اختيارهم عدم قبول الدعوة وتعذيبهم بالقتل من الامهال بتكرار الدعوة
اظهارا لاصرارهم على الكفر ونون العظمة في نعذبه على عادة الملوك في قولهم
نحن فعلنا ثم يرد الى ربه كان خطابه لاتباعه بما نقله تعالى لما خيره بين الامرين
المذكورين اعلم بذلك اتباعه ثم يرد اليك فيعذبه في الاخرة عذابا نكرا
عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من امن وعمل صالحا مما يقتضيه الايمان فله
في الدارين جزاء الحسنى جزاء الفعلة الحسنى وقرئ منونا منصوبا على الحال
اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها
جزاء او على التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء
الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدا والخبر وسنقول له من امرنا مما نامر به
يسرا قولا ذا يسر وقرئ بضمتين قيل ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون
التخيير اي ليكون شانك معهم اما التعذيب والاحسان فالاول لمن اصر على
الكفر والثاني لمن تاب وياباه تصدير الجواب باما التفصيلية لانه يستدعي
لسبق الاجمال وعلى ما ذكر اجمال في الكلام السابق ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا
وهو الذي يوصله الى المشرق بقطع الالف مخففة التا حتى اذا بلغ مطلع
الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ
بفتح اللام قال الجوهري والمطلع ايضا موضع طلوعها فلا حاجة الى اضمار
مضاف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا اي حجابا يستترون
به عند طلوعها قيل لا جبل فيها ولا شجر ولا ماوي ولا لهم ثوب يسترهم فاذا
طلعت عليهم الشمس دخلوا في الاسراب وقيل في البحر فاذا ارتفعت عنهم

خرجوا الى معايشهم كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه في رفعة
المكان وبسطة الملك ولم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا
لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف
وقد احطنا بما لديه من العدد والعدد خبرا تكثيرا لذلك يعني ان كثرة ذلك
بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا
اخر وهو المعترض بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال
حتى اذا بلغ بين السدين هما على ما ذكره وهب جبلان منيفان في
السما املسان يزلق عليهما كل شي وانما سميا سدين لسدهما فجاج الارض
وكانت بينهما فجوة تطلع فيها ياجوج وماجوج وهذا المكان في منقطع ارض
الترك وما قيل هما جبلا ارمنية وازربيجان وهم وقرئ بين السدين
بالضم قال الكسائي هما لغتان كالمكث والمكث وقال ابو عمرو السد بالفتح
الحاجز بينك وبين الشي وبالضم الغشاوة في العين ولهذا قال من
قال ما كان من صنعة بني ادم فهو بالفتح وما كان من صنعة الله تعالى
فهو بالضم وانتصب بين على انه مفعول به لانه من الظروف المتصرفة
وجد من دونهما قوما اختلف في عددهم وصفاتهم ولم يصح في ذلك شي
لا يكادون يفقهون قولا لا يفقهونه من اشارة ونحوها الا بجهد ومشقة
فان زيادة يكاد قد تكون لافادة هذا المعنى كما في لا يكاد يبين وذلك
لقلة فطنتهم واما غرابة اللغة فلا يصح علة لهذا وقرئ يفقهون اي
لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه الا بمشقة لغرابة لغتهم
او لثغتهم قالوا يا ذا القرنين دل هذا الخطاب على انه لقب تعظيم وهو
في المعنى الذي ذكرناه فيما سبق دون غيره من المعاني المذكورة في التفاسير
وقدرة ذي القرنين على فهم قولهم وتفهيمهم من جملة الاسباب التي اتاه
الله تعالى ان ياجوج وماجوج اسمان اعجميان من ولد يافث ممنوعا
الصرف ولا دلالة فيه على عجميتهما لوجود علتين اخريين التانيث
والعلمية وقريا مهموزين قال الاخفش من همز جعل الالف من الاصل
كانه من اجيج النار ومن لم يهمز جعل الالف زائدة وقال ياجوج من
يججت وقال ابو علي ان همز ياجوج فهو من اجيج النار وان لم يهمز
فيمكن ان يكون خفف الهمزة فقلبت الفا مثل راس واما ماجوج فهو
مفعول من اج وان لم يهمز فيجوز ان يكون على التخفيف وان يكون ته
فاعولا من مج مفسدون في الارض بالقتل والتخريب والاتلاف قيل كانوا
يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضرا الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك استفهام على جهة حسن الادب
خرجا جعلا نخرجه من اموالنا اليها وقرئ خرجا قال اهل اللغة الخرج

ما يخرج من المال والخراج ما يخرج من الارض وقيل كلاهما واحد كالنول
والنوال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يمنعهم من الخروج علينا وقرئ
سدا بالفتح والضم قال القرطبي قال الخليل وسيبويه هو الاسم والفتح
المصدر وقال عكرمة وابو عمرو وابو عبيدة ما كان يخلق الله تعالى
ولم يشاركه فيه احد فهو بالضم وما كان من صنع البشر فهو بالفتح ويلزم
اهل هذه المقالة ان يقرؤوا هنا بالفتح وفيما سبق بالضم وهي قراءة حمزة
والكسائي والعجب ان الكسائي ينكر الفرق بينهما معنى فحقه ان لا
يخص احدهما بموضع والاخر بموضع اخر وابو عمرو يعترف بالفرق
وبوجيه التخصص المذكور فكل منهما اخذ ما هو حق صاحبه قال
ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال والملك خير مما
يبذلون لي من الخراج فلا حاجة وقرئ مكنني على الاصل فاعينوني بقوة
ارادها وتنتهم بعمل البدن وبقوة البدن والتخصيص بقوة العمل من ضعف
العظمة فكانه قال رفعت عنكم مؤونة المعونة بالمال فاعينوني بخدمة
بلا اجر وهذا من تاييد الله تعالى حيث اثر ما هو الايسر في حقهم والانفع
في حقه واسرع في قضاء الحاجة اجعل بينكم وبينهم ردما الردم السد
المتراكب من قولهم ثوب مردوم اذا كان رقاع فوق رقاع اتوني زبر
الحديد الزبر بفتح الباء وضمها جمع زبرة وهي القطعة العظيمة ولا يلزم
ان يكون من الحديد دل عليه قوله تعالى فتقطعوا امرهم بينهم زبرا ولذلك
قيده بالاضافة الى الحديد واعطوها من قبيل تحصيل الالة بالخدمة
لانها مما يحصل بمجرد العمل فلا حاجة الى صرف الايتاء عن معناه الى معنى
المناولة ولا دلالة على ذلك في قراءة ائتوني بكسر النون موصولة
الهمزة على معنى جيئوني والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير
لانه لا هنا في معنى الاعطاء عانيه لا بعينه حتى اذا ساوى بين الصدفين
في الكلام محذوف تقديره فاتوه بما طلب حتى اذا ساوى يعني البناء بين
الصدفين والصدف الجبل المرتفع ذكره الجوهري وقرئ بضمتين
وبالضم والسكون وبالفتح والسكون وبفتح الاول وضم الثاني
والكل بمعنى واحد قال انفخوا اي على زبر الحديد بالاكيار حتى اذا جعله
نارا اي جعل المنفوخ فيه كالنار بالاحماء قال اتوني فيه القراءتان
اللتان في اتوني المتقدمة افرغ عليه قطرا نحاسا مذابا من
القطر لانه اذا اذيب قطر كما يقطر الماء منصوب بافرغ وتقديره اتوني
قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه اذ لو اعمل
عمل الاول لقيل افرغه اذ لا يضمر في الثاني على الفصيح فما اسطاعوا
حذف التاء تخفيفا لقربها من الطاء وقرئ بالادغام وهو على غير

حده

حده اذ لا يصح الا ان يكون قبل الادغام متحرك او حرف مد ولين ولذلك
قال ابو علي هي غير جائزة وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان
يعلوه بالصعود لارتفاعه واملاسه وما استطاعوا له نقبا لصلابته
وثخانته قال هذا اشارة الى السد رحمة من ربي على عباده فاذا جاء
وعد ربي اي فاذا جاء يوم القيامة وشارف ان ياتي تفريع بمعنى
على ما ذكر يعني لما كان وجوده رحمة ينعدم عند انتهاء زمان الرحمة
بانقضاء المستحقين لها جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل من
بسط بعد ارتفاعه فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكا
بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر القصة
وتركنا جعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج يضطرب في بعض فيختلطون
انسهم وجنهم حيارى ونفخ في الصور هذه النفخة نفخة الانشاء لا نفخة الافناء
دل على ذلك الفاء التعقيبية في قوله فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وما
هو لقيام الساعة انما هو نفخة الافناء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
وابرزناها لهم عرضا اشار بتنكيره الى خروجه عن حد التعريف والبيان الذين
كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكروا بالتعظيم
وكانوا لا يستطيعون سمعا اسماعا لذكري وكلامي لفرط صممهم عن
الحق وهذا ابلغ من اثبات الصمم لهم لان الاصم قد يستطيع السمع اذا
صيح افحسب الذين كفروا افظن الذين كفروا وقد قرأ بذلك ابن
مسعود رضي الله عنه معطوف على قوله كانت وكانوا لدلالة على ان
الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخل عليه همزة الانكار ذما
على ذم وقطعا له عن المعطوف عليه لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال
المذكور للذم في قوله الذين كفروا من وضع الظاهر مقام المضمر زيادة
للذم ان يتخذوا عبادي هم من عبد من الملائكة والمسيح وعزير عليهم
السلام من دوني اولياء يعني انهم لا يكونون اولياء كما حكى عنهم سبحانك
انت ولينا من دونهم افحسب الذين كفروا اي امكافيهم وحسبهم ان
يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر وعلى الفعل والفاعل لان النعت اذا
اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا استئناف
لبيان خطا حسبانهم وفي جعل جهنم نزلا لهم وهو ما يقام للنزيل اي الضيف
تهكم بهم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستعذب ويستلذ
جهنم بالنسبة اليه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع
لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم
وانكارهم الحشر قيل هم الخوارج اهل حروراء وقيل هم الرهبان اصحاب الصوامع
ويردهما قوله تعالى بعد ذلك اولئك الذين كفروا اذ ليس منهما من يكفر

بلقاء الله تعالى والبعث والنشر ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال والجر على الوصف او على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة او بالقرآن ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون بها لا بنيل الثواب ولا بتخفيف العذاب فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فلا نضع لهم ميزانا يوزن اعمالهم لانحباطها وقيل لا نزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او يرد عليه انه حينئذ يعطف بالواو عطف احد الوصفين على الآخر لان منشأ الازدراء بهم كفرهم بآيات الله تعالى ولقائه لا حبوط اعمالهم ذلك اي الامر ذلك قوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك وقد تقدم تفسير الهزء ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم فيما سبق من حكم الله ووعده جنات الفردوس نزلا فقد مر معنى النزول وما فيه من التنبيه والفردوس البستان الذي يجمع محاسن كل بستان قاله الزجاج وروي مرفوعا انه اوسط الجنة واعلاها خالدين فيها نصب على الحال ولما كان ما ذكر في سابق تقديره تعالى لم يحتج ههنا الى تقدير لا يبغون عنها حولا اي لا يطلبون عنها التحول اذ لا مزيد عليها حتى تنازعهم اليهم انفسهم بل فيها جميع ما تشتهي انفسهم وهذه غاية الوصف والحول التنقل من موضع الى موضع والاسم الحول ذكره الجوهري وفيه تاكيد الخلود لانهم اذا لم يريدوا الانتقال عنها لم يتنقلون لعدم الاكرام فيها قل لو كان البحر مدادا هو في الاصل الحاوي شيئا بعد شيء على اتصال وصار اسما لكل ما يمد به الشيء على العموم والمراد ههنا الحبر وهو اسم خاص لما في المحبرة لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر اي لم يبق منه شيء لتناهيه قبل ان تنفد بالتاء والياء كلمات ربي لعدم تناهيها وفي نفاده قبل نفادها لا يلزم تحقق نفادها بعد نفاده ولذلك يقع الطلاق الواحد اذا قال لغير المدخول بها انت طالق واحدة بعد واحدة ولو جئنا بمثله مددا بمثل البحر الموجود مددا لنفد ايضا والكلمات ايضا غير نافدة ضرورة ان كل ما يدخل تحت الوجود متناه المقدار فلا بد من نفاده بخلاف ما لا نهاية له فانه يستحيل نفاده ومددا تمييز وهو مثل المداد وقرئ مددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ بمثله مدادا وسبب نزوله ان اليهود

قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله تعالى قل انما انا بشر مثلكم في العجز عن الاحاطة عن كلماته الا اني افارقكم بورود الوحي علي وبعض الاحاطة بسببه يوحى الي انما الهكم اله واحد نبه على الوحدانية لانهم كانوا كفارا بتوحيد عزير ابن الله ثم خص على ما فيه النجاة بقوله فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع الخير في المستقبل وهو الطمع ايضا لكنه يستعمل في الامور المحمودة وفرق بين الرجاء والاغترار بان الرجاء يكون لمن مهد اسباب المرجو والاغترار لمن اخل بها والمراد من لقاء الله تعالى كرامته وتقدير المضاف على ان يكون الكلام حسن لقاء ربه لا يغني عن هذا التجوز وهذا يغني عنه فليعمل عملا صالحا لا ينافي لذلك الرجاء ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال ابن جبير لا يرائي في عمله ولا يبتغي الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه احد سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له عليه السلام وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وقرئ ولا تشرك بالتاء التفاتا من الغيبة الى الخطاب ثم عاد الى الالتفات من الخطاب الى الغيبة في ربه والله اعلم بالصواب

سورة مريم عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص قد سبق القول فيه ذكر رحمة ربك خبر محذوف اي هذا ذكرا وخبره محذوف اي فيما يتلى عليك ذكر وقرئ ذكر مشددا على الماضي من التذكير ونصب رحمة اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك وذكر على الامر وهذا صريح في عدم اتصاله بما قبله فالوجه ان يعرب الباقون موافقا لهذا لان الاصل في القرآن التوافق عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ ظرف للرحمة دلالة على ان وقت ندائه هو وقت رحمة ربه لم تتخلف عنه نادى ربه النداء قد يستعمل في مطلق الخطاب كما في قوله فناداها من تحتها فلا تنافي في قوله نداء خفيا بين الصفة والموصوف اي دعاء دعاء مستترا لان الاسرار والجهر عند الله سيان وعندنا الاسرار ابعد عن الرياء واقرب الى الصفاء واخفاه لئلا يلام على طلب الولد في اوان الكبر فانه كان حينئذ متجاوزا الى الهرم على ما دل عليه قوله وقد بلغت من الكبر عتيا قال رب اني استئناف لتفسير النداء وهن العظم الوهن الضعف وقرئ بالحركات الثلاث وتخصيص العظم لانه دعامة

البدن واصل بنائه فتطرق الضعف اليه موجب لتطرقه الى كل البدن ولانه
اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد الجنس ولو
جمع لكان قصدًا الى معنى اخر وهو انه لم تهن منه بعض عظامه ولكن كلها
وذلك ليس مقصودا بحسب المساق وما زاد على المقصود بعد لكنه فضول
ولما اقتضى المقام تعريف الحقيقة في العظم دون الراس احتيج الى زيادة قوله
مني هنا دون قوله **واشتعل الراس شيبًا** اي استولى الضعف على الظاهر
والباطن وذكر هذا يزيد الدعاء توكيدًا لما فيه من الاتكال على قوله تعالى
وقوته والتبري عن الاسباب الظاهرة شبه الشيب بشواظ النار
لا في بياضه وانارته فقط بل فيهما وفي ان النار كما تشتعل في الجسم
وتسري فيه حتى تحيله الى غير حاله المتقدم كذلك الشيب ياخذ في الراس
ويسري شيئا فشيئا حتى تحيله الى غير لونه الاول وتشبيه انتشاره
في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ما اخذ باشتعال النار في سرعة
التهابه وتعذر تلافيه ولا بد في التشبيه الثاني من اعتبار معنى السرعة
في وجه التشبيه اذ به يعلم كون الشيب في وقته فتتم الكناية عن المعنى
المراد وهو الوصول في سن الشيخوخة فان الشيب قد ياخذ من الراس
كل ما اختفى ذلك الا انه يكون على تدريج ومهل ثم اخرج الاول
مخرج الاستعارة المكنية والثاني مخرج الاستعارة التصريحية واصل
الكلام اشتعل الشيب في الراس لا اشتعل مشيب الشعر في الراس لان
الشيب مخالطة الشعر الابيض بالاسود فترك تلك المرتبة الى ما هو ابلغ منها
من جهات اولها اسناد الاشتعال الى الراس لافادة شمول الاشتعال
وثانيها الاجمال والتفصيل في طريق التمييز وثالثها تنكير شيبا لافادة
التعظيم واكتفى باللام عن الاضافة لاعتمادًا على علم المخاطب والامل
ذكره في فيما سبق بل اعتمادًا على ان المتبادر من العطف على المقيد
اعتبار القيد فيه **ولم اكن بدعائك رب شقيا** اي كنت مستجاب الدعوة
قبل اليوم سعيدًا غير شقي فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي
اذا خاب ولم ينلها يعني انه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق
الكريم ان لا يخيب من اطمعه وفيما ذكر تذكر لعادات تفضله تعالى في اجابة
ادعيته وتوسل به وذلك نعم الوسيلة وتحسين الظن بالاجابة فان
له تاثيرا فيها قال الله تعالى انا عند ظن عبدي بي **واني خفت الموالي** المولى
ابن العم والعصبة وجمعه الموالي **من وراي** قال ابو عبيدة اي من جهة
الموت الذي هو قدامي قال الشاعر

"ايرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائي"

كانه لم ير فيهم من الحال ما يصلحون به للقيام مقامه في الدين وقرئ خفت

وتعلق

وتعلق الظرف به ظاهر يعني انهم خفوا قدحه ودرجوا ولم يبق منهم من به
تقوى واعتضاد **وكانت امراتي عاقرا** العاقر التي لا تلد لكبر سنها وفي عبارة
كانت دلالة على انها استمرت مدة على تلك الحالة والظاهر من تقديم هذا
القول انه اراد الولد منها وقد مر وجهه في سورة ال عمران ويناسب هذا
ان يكون المراد من يعقوب ابا امراته **فهب لي من لدنك** اختراعا منك
بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة **وليا** ابنا يلي امرك بعدي **يرثني ويرث**
قرئ برفعهما صفة لوليا اي هب لي ولدا وارثا مني العلم ومن ال يعقوب
النبوة ومعنى وراثة النبوة انه يصلح لان يوحى اليه ولم يرد ان نفس
النبوة تورث وبجزمهما على انه جواب للدعاء ورد ابو عبيدة قراءة الجزم
وقال لان معناه ان وهبت ورث كيف يخبر الله تعالى بهذا وهو اعلم به
من ال يعقوب ابن ماثان اخو عمران ابو مريم وقرئ يرثني وارث
ال يعقوب على الحال من احد الضميرين واو يرث بالتصغير لاصغره لانه
لا يناسب المقام بل المدح كقول حبان بن المنذر انا جذيلها المحكك وعذيقها
المرجب ووارث من ال يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد
لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد **واجعله رب رضيا** مرضيا في اخلاقه
وافعاله او راضيا عنك وبحكمك **يا زكريا** اي فاستجبنا دعاءه وقلنا
يا زكريا دل على ذلك قوله في سورة الانبياء فاستجبنا له ووهبنا له
يحيى **انا نبشرك** كانت البشارة بواسطة الملك على ما نص عليه في سورة
ال عمران **بغلام** فيه بشارة بثلاثة امور الولد وكونه ذكرا وبلوغه الحلم
واختلفوا في بقائه بعد ابيه والظاهر من قوله تعالى فاستجبنا له انه
بقي بعده **اسمه يحيى** تولى الله تعالى تسميته تشريفا له **لم نجعل له من
سميا** لم يسم احد بيحيى قبله وفيه دلالة على ان في التخصيص باسم مستحسن
نوع تشريف للمسمى وقد سبق معنى يحيى وبيان اشتقاقه **قال زكريا
رب انى يكون لي غلام** استفهام تعجبي يدل على ان التصديق بوقوع
المخبر به والاعتراف بكمال قدرته تعالى لان التعجب انما ينشا من استغراب
مقارن للتصديق لتضمنه الاستحياء انه يولد له بهذه الحالة او بعد
الاحالة فاندفع ما قيل لم استبعد واستعجب واجيب بانه بما اجيب به
فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وليت شعري من المراد
من المؤمنين والمبطلين وقد كان دعاؤه مخفيا عن الغير ثم انه
عليه السلام فهم من البشارة المذكورة انه يرى بلوغ يحيى عليه السلام
اوان الحلم فاراد به التعجب ولهذا قال انى يكون لي غلام دون انى
يكون لي ولد وانه يولد من امراته التي طلبت الولد منها ولهذا قال
انى يكون لي غلام **وقد بلغت من الكبر عتيا** هو اليبس والجساوة في

المفاصل والعظام كالعود اليابس من اجل الكبر والطعن في السن العالية
قال الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر كذلك قال ربك هو علي
هين اي بان ارد عليك قوة الجماع وافتق رحم امراتك للعلوق وقرئ وهو
علي هين علي العطف علي محذوف اي اجعله وهو علي هين وقد خلقتك
اي اذ خلق مادته لا خلق صورته لانه عن شي فلا يناسب السياق وص
واللحاق ولهذا قال من قبل اي من قبل خلقك بشرا ولم تك حينيذ شيا بل
كنت لاشيا محضا وليس فيه تعرض للخلافية المشهورة قال رب اجعل لي
اية علامة اعلم بها انه علق لازيد في الشكر وفي دعا السلامة قال
ايتك الا تكلم الناس علامتك ان تمتنع من كلام الناس دون ذكر الله
ثلث ليال دل ذكر الليالي هنا والايام في سورة ال عمران علي ان المنع من
كلام الناس استمر ثلاثة ايام ولياليهن للتجرد للذكر والشكر سويا حال
كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم فخرج مشرفا علي قومه
من المحراب اي المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بامره علي
العادة فاوحي فاشار اليهم لقوله الا رمزا ان سبحوا صلوا وان في
المفسدة بكرة وعشيا طرفي النهار يايحيي علي تقدير القول خذ الكتاب
التورية بقوة بجد اخذه قبولا وكون اخذه بقوة العمل به كما هو حقه
واتيناه الحكم يعني الحكمة وفهم التورية صبيا قيل دعاه الصبيان الي
اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا شفقة ورحمة للناس وانما قال
من لدنا مع ان الكل من عند الله تعالي للدلالة علي ان شفقته عليه
السلام كانت زايدة علي ما في جبلة الناس خارجة عن المعتاد وزكوة
وطهارة من الذنوب فلم يعهد بذنب وكان تقيا مستمرا علي الاطاعة
والتجنب عن المعاصي وبرا بوالديه اي محسنا اليهما في الغاية
ولم يكن جبارا عصيا الجبار الذي يعاقب علي غضب نفسه لا علي
استحقاق الجاني قال تعالي واذا بطشتم بطشتم جبارين والعصي المبالغ
في العصيان وهو مخالفة الامر فان الظاهر المبالغة في النفي دون
المنفي والعدول عند للاشعار بان شان النفوس القوية البلوغ
الي الغاية في كل صفة بها محمودة كانت او مذمومة وسلام عليه
تحية من الله تعالي يوم ولد اتي هنا بصيغة الماضي وفي قوله ويوم
يموت بصيغة المضارع لان مساق الكلام بعد ولادته وقبل موته
ويوم يبعث مطلق البعث يعم ما في الغير الا انه حينيذ لا يطلق عليه
الحي فقوله حيا لتعيين البعث قال ابن عيينة اوحش ما يكون
الخلق في ثلاثة مواطن يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث فهذه مخات
ثلاث لا نجاة اعظم منها ويحيي عليه السلام يحيي بالسلام في هذه المواطن

العظام

العظام واذكر في الكتاب اي القران مريم يعني قصتها اذ ظرف لمضاف
مقدر وقيل ادبمعني ان المصدرية وتقديره واذكر مريم انتباذها علي
ان انتباذها بدل من مريم واما ما قيل انه بدل من قصة مريم بدل
الاشتمال لان الاحيان مشتملة علي ما فيها او بدل الكل لان المراد من
الظرف الامر الواقع فيه فلا يرد عليه ان الزمان اذا لم يكن خبرا عن
الجثة ولا حالا منها ولا وصفا لها لا يكون بدلا منها انتبذت اي انفردت
وقعدت نبذة اي ناحية وهذا اذا اجلس قريبا منك حتي لو نبذت اليه شيا
وصل اليه ولذلك احتاجت الي ضرب الستر بينها وبينهم ويرشد الي هذا قوله
من دونهم من اهلها مكانا انتصابه علي تضمين الانتباذ معني الاتيان
او علي الاتساع شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك
اتخذ النصاري المشرق قبله فاتخذت من دونهم حجابا سترا تستتر به
عن اهلها بدلالة قوله من دونهم قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض
فاحتجبت بشي يسترها فارسلنا اليها روحنا اي جبريل عليه السلام والاضافة
للتشريف فتمثل لها اي تصور لمريم بشرا سويا معتدل الخلق حسن الصورة
وانما فعل كذلك للاستيناس بكلامه وتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الي
رحمها اذ حينيذ لا يكون مثله كمثل ادم عليه السلام في الخلق بلا واسطة
نطفة بل لئلا تنفر عنه فتسمع كلامه وتبتلي به فتظهر عفتها ولما رات رجلا
قد دخل عليها فجاة في الخلوة ظنت انه يريدها بسو وعلمت انها تقدر علي دفع
ذلك فاستعاذت بالله قالت اني اعوذ بالرحمن منك استيناف علي تقدير
سوال وفي ذكر الرحمن تذكير ليوم الجزا فانه تعالي رحيم الدنيا ورحمن الاخرة
ان كنت تقيا تتقي الله وتخشاه فلا تتعرض لي فحذف الجزا لدلالة الحال عليه
وهذا كقول القايل ان كنت مومنا فلا تظلمني اي ينبغي ان يكون ايمانك
مانعا لك من الظلم قال جبريل انما انا رسول ربك في عبارة الرسول اشارة
الي ان توسطه في الخير دون الاثر واتي بالرب مضافا اليها لنوع من الدلالة
في اول الكلام علي ان الرسالة لايصال النعمة والاحسان الخاص بها من بين
العباد ولما كان في مفهوم الخير باعتبار هذا المعني مظنة الاستبعاد اكده
بانما لاهب لك حكاية لقول الله تعالي دل علي ذلك قراة ليهب بالياء
ويناسبه وصف الرسالة وفي عبارة الهبة اشارة الي ان ما اعطي لها
يصل اليها بسهولة غلاما قدم ما فيه من وجوه البشارة زكيا طاهرا
من الادناس او ناميا علي الخير والبركة قالت اني يكون لي غلام ولد
ولم يمسسني بشر جعل المس هنا بقرينة المقابلة عبارة عن النكاح الحلال
ولم اك بغيا فاجرة تبغي الرجال اي تطلب الشهوة من اي رجل كان ولا يكون
الولد عادة الا من احد هذين والبغي فعول فقلبت الواو يا وادغمت

ادما قاله في التفسير
من انه للاستتار عن الشمس منه

السوي تعالي فيما يصاف عن
الافراط والتفريط من حيث القدر
والكيفية ذكره الراغب
منه

انما قال هذا لانه جعل في
ال عمران كناية عن مطلق
النكاح حلالا كان او حراما
منه

وكسرت الفاء اتباعا ولذا لم يلحقها التانيث او فعيل ولم تلحقها التا
لانها بمعني مفعوله وان كانت بمعني فاعلة فانه قد يشبه به نحو ملحفة
جديد قال كذلك الامر كذلك ثم خلق غلام منك بغير اب قال ربك هو علي
هين اي اعطا الولد بلا اب علي سهل ولنجعله تعليل معلله محذوف اي وفعلنا
ذلك لنجعله اية للناس علامة لهم وبرهانا علي كمال قدرتنا ورحمة منا
علي العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء
الله تعالي في الازل فلما اطمانت الي قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها
فوصلت النفخة الي بطنها فحملته الموهوب فانتبذت به اي فاعتزلت
وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها
فاجاءها جابها ذكره الجوهري وقيل الجاها وهو منقول من جا الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الي معني الالجا ونظيره اتي حيث لم يستعمل الا في معني الاعطا
وفيه نظر قال الجوهري واتاه اي اتي به ومنه قوله تعالي اتنا غدانا اي
ائتنا به المخاض وقرئ بالكسر وكلاهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد
في بطنها للخروج الي جذع النخلة كانها طلبت شيا تستند اليه وتتعلق
به كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق والجذع ساق النخلة اليابسة الذي
لا سعف عليه ولا غصن ولعله تعالي الهمها ذلك ليريها من اياته ما
يسكن روعها وليطعمها الرطب الذي هو طعام النفسا والتعريف للجنس
او للعهد لان شرطه ان يكون معروفا عند المخاطب وهو
مفقود هنا قالت يا ليتني مت قبل هذا ليس تمني الموت لما عرضها
من شدة وجع الطلق اذ لا حاجة حينئذ الي قوله وكنت نسيا
منسيا بل لانها خافت ان يقع قومها بسببها في البهتان والنسبة
الي الزنا وتمني الموت من جهة الدين جايز وقرئ نسيا بالفتح وهما لغتان
كالوتر والوتر وهو الشي المتروك لا يذكر كانه منسي وقيل ما شانه
ان ينسي ولا يطلب كالذبح لما يذبح وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم
للمنسي المتروك كالنقض والنقض فناداها كانت المنادات مخاطبة
لها يعضده قراة فخاطبها من تحتها وهو جبريل عليه السلام لانه كان
في مكان اخفض عنها او كان ههنا بمنزلة القابل او عيسي عليه السلام لانه
خاطبها من تحت ذيلها وقرئ من بالكسر والفاعل مضمر وهو عيسي او
جبريل عليهما السلام علي ان الها في تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني
او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا
قال ابن عباس رضي الله عنه كان ذلك نهرا قد انقطع ماوه فاجراه الله
تعالي لمريم والنهر يسمي سريا لان الما يسري فيه فان قلت ما تقول
في قول الحسن سريا من السرو يعني عيسي قلت ليس بقول حسن لانه

مخالف

مخالف للتشبيه المرفوع وفي المثل اذا جا نهر الله بطل نهر معقل وهزي اليك الهز
تحريك مخصوص تتبعه الحركات المتدافعتان الي الجانبين المتقابلين وتعديته
بالي لتضمنه معني الجذب وفايدته التوطين لما قصد بقوله عليك فان
الهز اذا لم يكن بالمد لا يكون سقوط الثمر عليها زوالها في قوله بجذع النخلة
متعلق بالبطش الثابت اقتضا تساقط عليك في تساقط تسع قراات
تساقط بادغام التا وتتساقط بالفك وتساقط بطرح التا الثانية
ويساقط باليا وادغام التا ويساقط وتسقط ويسقط بالتا واليا
من اسقط وتسقط ويسقط من سقط بالتا للنخلة واليا للجذع او الرطب
رطبا تمييز او مفعول جنيا اي مجنيا وهو الطري بعبارة البالغ نهاية
النضج فكلي من الجني واشربي من السري وقري عينا بالولد الرضي
وعينا تمييز اي طيبي نفسا بعيسي عليه السلام وارفضي عنك ما
احزنك وقري قري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان دمعة
السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها
للمحبوب والمكروه او من القرار فان العين اذا رات ما تسر النفس
سكنت اليه من النظر الي غيره فاما اصله ان ما ضمت ان الشرطية الي ما
وادغمت فيها ترين من البشر احدا اي فان رايت ادميا يسالك عن
حالك فقولي اني نذرت للرحمن صوما امساكا عن الكلام اي صمتا وقد
قرئ به وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الطعام وقيل صياما
حقيقة وكان صومهم فيه الصمت وانما امرت به لان عيسي عليه السلام
يكفيها الكلام بما يبري به ساحتها ولئلا تجادل السفها وانما اخبرتهم
بانها نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمي الاشارة كلاما وقولا ونحوه
ان يكون اخبارها به وقولها فلن اكلم اليوم انسيا قيل وصول اليوم
اني لا اكلم ادميا وانما اكلم الملايكة وذلك ان العدول من احدا الي انسيا
يفيد بدلالة المفهوم هذه الدقيقة ويدرج فيه معني كرامة اخري وهي
رفعة منزلتها فاتت به بعيسي عليه السلام الباء للتعدية كما في ذهبت
به لا بمعني مع قومها بعدما طهرت من نفاسها تحمله حال منها فلما
راوه معها قالوا يا مريم لقد جيت شيا فريا بديعا منكرا والفري
القطع كانه يقطع العادة يا اخت هرون كان اخاها من ابيها من
افضل بني اسرايل ما كان ابوك عمران امرا سوء زانيا وما كانت
امك حنة بغيا زانية تقرير لان ما جاءت فري وتنبيه علي ان الفواحش
من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الي عيسي عليه السلام اي
كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد المعهود صبيا حال ومعناه
انه كان من اهل المهد وانه لم يكن في تلك الحالة في المهد كما يقال صبي يرتضع

وان كان لا ينتفع حالة الاخبار عنه ولهذا زيدت لفظة كان للتاكيد
قال اني عبد الله لما اسكت بامر الله لسانها الناطق انطق الله له
اللسان الساكت آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا عن الحسن انه
كان في المهد نبيا وكلامه معجزته وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او
حمل الآتي لا محالة كانه وجد وجعلني مباركا اينما كنت نفاعا حيث كنت
او معلما للخير واوصاني بالصلوة والزكوة لما كان الامر الذي يكون بعده
ما وقت له ما دمت حيا اي مدة حياتي وبرا بوالدتي اي بارا بوالدتي
وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به منصوب بفعل دل عليه اوصاني
اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني
جبارا وقد سبق تفسيره شقيا عاصيا والسلام علي التعريف للجنس
وفيه تعريض بضده على اعدائه كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى
فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى يوم ولدت ويوم
اموت ويوم ابعث حيا قد سبق بيانه ذلك عيسى الذي تقدم نعته
هو عيسى لا ما يصفه النصارى او اليهود وهو تكذيب للفريقين فيما يصفانه
على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفانه
به ثم عكس الحكم ابن مريم نعت او خبر ثان اي نسبته فيه من جهة الاب
فغيه رد لليهود في زعمهم انه ابن يوسف النجار قول الحق صفة عيسى او
بدله او خبر اخر ومعناه كلمة الله لا نفسه ولا ابنه ولا الاهه وفيه رد لفرق
النصارى وقد سبق وجه كونه كلمة الله في سورة ال عمران وقيل خبر
محذوف المبتدا اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان
والضمير للكلام السابق وقرئ بالنصب على المدح او على المصدر اي اقول
قول الحق وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره
يختلفون من المرية فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ما سبق في
تفصيله وقرئ بالتا على الخطاب ما كان لله اي ليس من شانه ان يتخذ
من ولد جيء بمن لتاكيد النفي سبحانه نزه ذاته عن اتخاذ الولد اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت للنصارى بعد تكذيبهم بان من اذا
اراد شيا اوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد
باحبال الاناث وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة ال عمران وقرئ
بالفتح على حذف اللام او على العطف على الصلوة فاختلف الاحزاب الحزب الفرقة
المنفردة برايها وهم اربع فرق نسطورية ويعقوبية واسرائيلية وملكانية
من بينهم من بين اصحاب عيسى عليه السلام او من بين قومه او من بين
الناس وذلك ان النصارى اختلفوا في عيسى عليه السلام حين رفع

ثم

ثم اتفقوا على ان يرجعوا الى قول اربعة كانوا عندهم اعلم زمانهم وهم يعقوب ونسطور
واسرائيل وملكا فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السما وقال نسطور
كان ابن الله اظهره ما شاء ثم رفعه اليه وقال اسرائيل انه اله وهو اله وامه اله وهم الاسرائيلية
ملوك النصارى وقال الرابع كذبوا كان عبدا مخلوقا نبيا فتبع كل واحد منهم قوم
فويل للذين كفروا من الاحزاب اذ الواحد منهم على الحق من مشهد يوم عظيم
اي في شهودهم هول القيامة على ان المراد من اليوم الواقعة اسمع بهم وابصر
الجمهور على ان لفظه امر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف به ولكن المراد
ان اسماعهم وابصارهم جدير بان يتعجب منها بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا
وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كاكرم بزيد معناه كرم زيد جدا يوم ياتوننا
اي يوم القيامة لكن الظالمون اقيم الظاهر مقام الضمير اشعارا بانهم
ظلموا انفسهم حيث تركوا الاستماع والبصر حين يجدي عليهم اليوم في الدنيا
في ضلال مبين تسجيل على تركهم ذلك بانه ضلال بين وانذرهم يوم الحسرة
يوم القيامة لانه يتحسر فيه الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة
احسانه اذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة وهو مصدر قضي الامر فرغ
عن الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وهم في غفلة هنا عن
الاهتمام لذلك المقام وهم لا يؤمنون لا يصدقون به متعلق بقوله
في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين
حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نتفرد بالملك والبقا
عند تعميم الهلاك والفنا وذكر من لتغليب العقلاء وهذا يدل على فنا الارض
ايضا قوله نحن نرث مبتدا وخبر والجملة في محل الرفع خبر ان ولا يجوز ان
يكون نحن فصلا لان نرث نكرة والفصل لا يقع الا بين معرفتين او قريبين
من المعرفة والينا يرجعون اي يردون فيجازون جزاء وفاقا في محل الرفع
بالعطف على نرث او على الجملة الاسمية واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان
صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى
واياته ويجوز ان تكون المبالغة من جهة الكيف نبيا استنباه الله تعالى اذ
قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض ومتعلق بكان او بصديقا نبيا
والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلوا ذلك على الناس
ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابراهيم والا فالله عز وجل ذاكره ومورده
في تنزيله لابيه يا ابت التاء عوض من يا الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي
ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
المفعول فيهما منسي غير منوي ولا يغني عنك شيا يحتمل ان يكون شيا في
موضع المصدر اي شيا من الاغنا وان يكون مفعولا به من قولك اغن
عني وجهك اي ~~شيا من الاغنا~~ بعد دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج

عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله
بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى
الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا يحق الا لمن له
الاستغناء التام والانعام العام ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعله
لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر
ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق لما
يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع
ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم
يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد
جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل
المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف
بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر لانه في
الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان
استهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك
المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان
المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك
عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان قرينا في جهنم لان الوليين لا يكادان يفترقا
في محبوب او مكروه فجعله وليا في هذه الحالة لما قلنا وان كانا متباغضين يومئذ
كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وانما قال يمسك
دون يصيبك ليعلم ان العذاب جسماني والتنكير فيه للتعظيم وقصد التقليل
من عبارة المس لا يناسب المقام ولا يساعده الكلام اما الاول فلان المقام مقام
التخويف فلا يناسب التخفيف واما الثاني فلان المس مما يقصد به المبالغة
في الاصابة كما في قوله تعالى وقد مسني الكبر وذلك لان المس اتصال الشيء
بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة وانما قال من الرحمن لان العذاب من مظنة الرحمة
اقطع واشنع وانما قال اخاف رعاية لمقتضى شفقة النبوة قال اراغب الرغبة
اجتلاب الشيء لما فيه من المنفعة وتعديته بفي واذا تعدى بعن يفيد ضده ٥
انت عن الهتي يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة
العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني ولا تأثير فيه لتأخيره بل
لو قدم لكان اشنع واوقع لان المقام مقام العنف دون اللطف وقدم الخبر
على المبتدا لانه كان اهم عنده وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب
من التعجب كانه مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك
فيها لارجمنك لاقتلنك بالرجام او لاضربنك بها حتى تتباعد او لاشتمنك

و

واهجرني عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك تقديره فاحذرني واهجرني مليا زمانا
طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك سلام توديع ومتاركة
ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن
ساستغفر لك ربي وعده بطلب المغفرة له من الله تعالى لعله بتوفيقك للتوبة
والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب المغفرة
وهو الايمان ويرد عليه انه لو كان كذلك لما كان وعده هذا مستثنى عن القدوة الحسنة
بقوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك انه كان بي حفيا بليغا
في البر واللطف واعتزلكم اراد بالاعتزال المهاجرة وما تدعون من دون الله
اي وما تعبدون من اصنامكم وادعوا ربي واعبده وحده ثم قال تواضعا
وهضما للنفس وتنبيها على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك
الامر خاتمته وهو غيب وتعريضا لشقاوتهم بدعاء الهتهم عسى ان لا اكون
بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء الهتكم فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحاق ولكن ويعقوب نافلة اول
ما وهب له اسماعيل عليه السلام على ما مر في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق وانما خص اسحاق بالذكر لانه شجرة الانبياء
عليهم السلام او لانه اراد ان يذكر اسماعيل بفضله على الانفراد وكلا اي كل
واحد منهما جعلنا نبيا اي لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه اولادا ابرارا
ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاولاد والاموال وجعلنا لهم لسان صدق ثناء
حسنا وهو الصلوات على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في الصلوات الى قيام
الساعة استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين عبر باللسان
عما يوجد به كما عبر باليد عما يعطى بها وهو العطية ووصفه بالصدق لانه ثناء
حسن لا كذب فيه عليا رفيعا مشهورا واذكر في الكتاب موسى انه كان
مخلصا وقرئ بالفتح اي انما اخلصه الله واصطفاه وبالكسر اي اخلص العبادة
لله فهو مخلص بما له من السعادة باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة
بصدق الهمة وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانباهم عنه ولذلك قدم رسولا
مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور وهو جبل بين مصر ومدين ٥
الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين والمعنى انه اقبل من مدين يريد مصر
نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام بان
تمثل له الكلام من تلك الجهة او من جانبه الميمون من اليمن وقربناه
تقريب منزلة ومكانة دون منزل ومكان نجيا مناجيا كنديم بمعنى منادم
حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روي انه رفع
فوق السموات حتى سمع صرير الاقلام ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا
اخاه مفعول هرون عطف بيان او بدل نبيا حال منه هي المقصودة بالهبة

خ القلم

أي وهبنا نبوة أخيه والا فهرون كان أكبر سنا منه واذكر في الكتاب إسماعيل
إنه كان صادق الوعد ذكره بذلك لشهرته به واتصافه بأشيا من هذا الباب
لم تعهد من غيره وكان رسولا نبيا بعث بشرع أبيه إلى قوم دون قوم أبيه وهم
جرهم فكان صاحب شريعة بالنظر إليهم لاختصاص شرع أبيه بحسب دعوته لقومه
وكان يأمر أهله اشتغالا بالأهم وهو أن يقبل أهل أمته فإن الأهل يطلق على القوم
كما في قوله فانتبذت من أهلها بالصلوة والزكوة إنما خصتا لأنهما أمّا العبادات
البدنية والمالية وكان عند ربه مرضيا لاستقامة أقواله وأفعاله واذكر في
الكتاب إدريس هو اخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم
وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة
وقاتل بني قابيل واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون
معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب لكثرة درسه إذ روي أنه تعالى
انزل عليه ثلاثين صحيفة إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا
وهو شرف النبوة والزلفى عند الله تعالى وقيل معناه رفعته الملائكة إلى السماء
الرابعة أو السادسة وعن الحسن إلى الجنة أولئك إشارة إلى المذكورين
في السورة من زكريا إلى إدريس الذين أنعم الله عليهم بأنواع النعم الدينية والدنيوية
من النبيين من للتبعيض لأن المذكورين ليسوا مطلق المنعم عليهم بل الذين
وقعوا خبرا عن أولئك وهم بعض الأنبياء من ذرية آدم بدل منه بإعادة الجار
ومن حملنا مع نوح أي ومن ذرية من حملنا مع نوح خصوصا وهم من عدا
إدريس عليه السلام فإن إبراهيم كان من ذرية من حمل مع نوح عليهما السلام
لا من ذريته والا لقيل ومن نوح ومن ذرية إبراهيم الباقون وإسرائيل أي
ومن ذرية إسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم
السلام على أن أولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هدينا
إلى الحق واجتبينا من الأنام للنبوة والكرامة إذا تتلى عليهم آيات الرحمن أي
إذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف إن جعلت الذين خبر أولئك
لبيان خشيتهم من الله تعالى وإخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب
وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وإن جعلته صفته له كان خبرا وقرئ يتلى
لوجود الفاصل مع أن التأنيث غير حقيقي خروا سجدا سقطوا على وجوههم
ساجدين رغبة وبكيا باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد
وقاعد فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف
صدق بفتح اللام وخلف سوء بالسكون لسكونها أضاعوا الصلوة بتركها
وقيل بتأخيرها عن وقتها ولا يناسبه إلا من تاب وآمن لأنه صريح في أنه في حق
الكفار واتبعوا الشهوات ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من بنى الشديد
وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا فإن كل شر عند العرب غي وكل خير

رشاد إلا من تاب رجع عن الكفر وآمن وعمل صالحا بعد إيمانه فأولئك يدخلون
الجنة وقرئ على البناء للمفعول من أدخل دخول الجنة غير مشروط بالعمل الصالح
وإنما ذكر ذلك لقوله ولا يظلمون أي ولا ينقصون شيئا من أجزاء أعمالهم ولا
يمنعونه بل يضاعف لهم ويجوز أن ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه على أن
كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم جنات بدل من الجنة بدل البعض
لاشتمالها عليها أو منصوب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف
عدن معرفة لأنه علم بمعنى العدن وهو الإقامة أو هو علم لأرض الجنة لكونها
مكان إقامة ولذلك صح وصف ما أضيف إليه بقوله التي وعد الرحمن عباده
أي عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات لما سبق ذكرهم ولأنه
أضافهم إليه وهو للاختصاص وهؤلاء لأهل الاختصاص بالغيب بالوحي
إلى نبيه أي وعدها وهي غائبة عنهم أو هم غائبون عنها إنه ضمير الشأن أو
ضمير الرحمن كان وعده أي موعوده وهو الجنة مأتيا أي هم يأتونها لا يسمعون
فيها لغوا اللغو الشيء الساقط الذي لا يعتد به من الكلام وغيره ولذلك قيل
لما لا يعتد به في الدية من أولاد الإبل لغو وللساقط الذي لا يعتد في الأيمان
اليمين اللغو إلا سلاما أي لكن يسمعون سلاما من الملائكة أو من بعضهم
على بعض ولا يسمعون فيها إلا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو
استثناء منقطع عند الجمهور وقيل متصل على تنزيل غير المحتمل منزلة المحتمل مبالغة
في نفي اللغو بمعنى مظنة سماع اللغو في حقهم على تقدير أن يكون السلام
لغوا وذلك محال والتعليق على المحال محال كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا لما كان أعدل
أحوال المطاعم وأبعدها من الضرر هو الغداء والعشاء عبر فيهم جل جلاله اعتدال
أحوال أهل الجنة في مأكلهم وضرب لهم البكرة والعشي مثلا كذلك وإلا فلا
بكرة ولا عشية ثمة ويجوز أن يراد معنى أكلها دائم أي لهم ذلك غير منقطع
وهذا كما يقول الرجل أنا أصبح وأمسي في ذكرك وبر فلان يغدو إليه
ويروح أي لا ينقطع تلك الجنة التي نورث من عبادنا أي نجعلها ميراث
أعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها ونبقي الجنة على المتقي كما يبقى مال المورث
على الوارث على استعارة الإيراث في الإبقاء فإن الوراثة أقوى سبب للتمليك
والاستحقاق فإنها من حيث إنها لا تتعقب بفسخ ولا استرجاع ولا انتقال
وقيل يرثون زيادة في كرامتهم المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا
لأن الكفر موت حكما من كان تقيا عن الكفر وما نتنزل إلا بأمر ربك حكاية
قول جبريل حين قال لما تأخر الوحي أياما فقال المشركون ودعه ربك نسيك يا جبريل
ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت والتنزل على معنيين معنى
النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق والأول أليق هنا بمعنى أن نزولنا

في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي
له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما نحن فيه من الاماكن او
الاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان
الا باذنه وما كان ربك نسيا اي تاركا لك واعاد لك لحكم رآها
فيه وقد مر وجه ابتنا صيغة في تفسير قوله عصيا رب السموات والارض
وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من
ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول عليه السلام مرتب على
ما تقدم اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك فاثبت لاجل عبادته
واصبر على مشاقها ولا تضطرب بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي
باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد
والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك فالعبادة ما اصطبر لها
الا ما اصطبر عليها هل تعلم له سميا والاستفهام على سبيل الانكار وذلك
كناية عن نفي استحقاق الغير بالعبادة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا
احد غيره يستحق العبادة لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال
بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان يعني أبي بن
خلف فانه فت عظما وقال انبعث بعد ان صرنا كذا فنزلت والا وجه لارادة
الجنس باسره اذ لا يحسن اسناد قول وفعل صدر عن بعض الى الكل الا اذا
صدر عن بعضا هو منهم او رضي منهم كما في قول الفرزدق

""فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقا عن راس خالد""

ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض وتقديم الظرف وايلاؤه حرف
الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه
جاء انكارهم وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به لان ما بعد لام الابتدا
لا يعمل فيما قبلها وهذه اللام اذا دخلت على المضارع تعطي معنى الحال
وتوكد مضمون الجملة فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد
واضمحل معنى الحال وما في ائذا ما للتوكيد ايضا فكانه قال احقا انا
سنخرج من القبور احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار
والاستبعاد او لا يذكر الانسان عطف على محذوف تقديره ايذكر
قدرتنا على الاعادة ولا يذكر وانما اظهر الفاعل اشعارا بان المنشا
لعدم تذكره فان النسيان كاللازم للانسان قيل اول الناس اول
الناسي او على يقول وتوسيط الهمزة مع ان الاصل ان يتقدمها للانكار
اي الجمع بين هذين الامرين الغريبين والاشعار بان المنكر بالذات
هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشا منه فانه لو تذكر وتامل انا
خلقناه ادار خلق مادته ولذلك قال من قبل اي خلقنا مادته قبل خلق

صورته

صورته ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا فلم يقل ذلك فانه اعجب من
جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرئ يذكر
من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك اقسم بالله
تعالى مضافا الى نبيه عليه السلام تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول
عليه السلام لنحشرنهم اي المنكرين للبعث لابد من هذا التخصيص لان
لحاق الكلام لا يحتمل التعميم والشياطين مفعول معه لما روي على وفق
قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل كافر مع
شيطانه في سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا جمع الجاثي وهو
الذي يبرك على ركبتيه يعني انهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ
جهنم فقوله جثيا حال ممن ضمته تحضرن من معنى السوق ثم
لننزعن النزع اخراج الشيء مما كان متصلا به او ملابسا له من كل شيعة
الشيعة الجماعة المتشعبة ونوت على امر من الامور ايهم اشد على الرحمن عتيا
تمييز واصله المصدر جراءة او عتوا اي نبدا بالاكبر جرما فالاكبر وايهم
مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه
اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زال
نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا واشد
خبر مبتدا محذوف ومرفوع عند غيره اما بالابتدا على انه استفهامي
وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين
يقال فيهم ايهم اشد وتعلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز
اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من
او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تشيع
وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين
كني بالعلم عن ايقاع المعلوم اي نحن نبدا بتعذيب الاحق فالاحق
وضمن هذه الكناية الدالة على انه تعالى في ذلك النزع لا يضع شيئا في
غير موضعه هم اولى بها لحق بالنار صليا تمييز اي دخولا والباء تتعلق
باولى اي الذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار ويجوز ان
يراد بهم وباشدهم عتيا رؤسا الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم
واضلالهم وان منكم وما منكم تلوين للكلام من الغيبة الى الخطاب د
للانتقال من احوال الخاصة الى احوال العامة الا واردها اي وان
منكم احد الا داخلها والورود في اللغة الوصول لان المراد هنا الدخول
بطريق الكناية كما في قوله تعالى فاوردهم النار وقوله لو كان
هؤلاء آلهة ما وردوها لقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى

يردها فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم
وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي وهو الظاهر من
قوله ثم حيث قال ونذر ولم يقل ندخل ولا ينافيه قوله تعالى ان الذين
سبقت الآية لان معناه انهم مبعدون عن النار لا عن ورودها وهم
كذلك فانهم يمرون وانها خامدة على ما ورد في الخبر ولذلك لا يسمعون
حسيسها وفائدة ادخالهم النار زيادة الحسرة على الكفار كان
ورودهم على ربك حتما مقضيا الحتم القطع بالامر وذلك حكم من الله
قاطع والمقضي الذي قضى بانه يكون ولما كان المتبادر الى الوهم من قوله
تعالى كان على ربك حتما الوجوب على الله زاد قوله مقضيا دفعا لذلك
الوهم بما فيه الدلالة على ان ما ذكر اثر قضائه تعالى فيكون الكلام
المذكور مستعارا لمعنى اللزوم الناشئ من القضاء المبرم فلا وجوب ولا
ايجاب لا من ذاته تعالى ولا من غيره ثم ننجي الذين اتقوا الكفر فيساقون
الى الجنة ونذر الظالمين وندع الكافرين فيها جثيا جاثين على الركب
للتخاصم كما قال تعالى ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقال واذ يتحاجون
في النار فلا دلالة فيه على ان المراد بالورود الجثو حواليها واذا تتلى عليهم
آياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني في نفسها او مبينات
الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم او معهم
اي الفريقين نحن وانتم خير مقاما بالفتح موضع القيام والمراد بالمكان
والمسكن وبالضم وهو موضع الاقامة والمنزل واحسن نديا مجلسا يجتمع
القوم فيه للمشاورة ومعنى الآية ان الله تعالى يقول انا انزلنا آية فيها
دلائل وبراهين اعرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال
وحسن المنزل والحال غافلين عن وخامة المآل وقال الله تعالى منبها
عن ذلك وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها
اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم هم احسن
في موضع الصفة لقرن وجمع اعتبارا لمعناه وقيل في محل النصب صفة
لكم الا ترى انك لو تركت هم كان احسن نصبا على الوصفية ويرد عليه
انهم نصوا على ان كم الخبرية والاستفهامية لا توصف ولا يوصف بها
اثاثا تمييز للنسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي
ما رث ورئيا منظرا او هيئة فعل بمعنى المفعول من رأيت كالطحن والقري
وريا بغير همز مشددا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الري
الذي هو النعمة وقرئ ريا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا من الزي
قال المطرزي والزي الهيئة فعل من زوى اذا جمع لانه لا يقال لفلان
زي حسن الا ان يجمع ما يستحسن من لبسه حسنة وهيئة مستحسنة لما

كان

كان كلامهم اي الفريقين خير مقاما كلام المفحم المغلوب المنقطع الذي لا
يجد ما يصلح للجواب فينتقل الى امر آخر يدعي به الفضل والغلبة ردهم ونقض
كلامهم تهديدا بقوله وكم اهلكنا ثم بين ان تمتيعهم في الدنيا استدراج
ليس بدليل على الفضل والرفعة وانما الفضل هو السعادة في الآخرة بقوله
تعالى قل من كان في الضلالة وهو تسجيل على القائلين ذلك القول بالضلالة
والتهيم وبيان ان ما دعاهم الى ذلك القول هو غاية التعمق في الضلالة
والحيرة والاستقرار فيها فليمدد له الرحمن مدا جواب من لانها شرطية
وهذا الامر بمعنى الخبر اي من كفر يمد له الرحمن يعني يمهله ويملي له في العمر
ليزداد طغيانا وضلالا كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وانما اخرج على
لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعل كالمأمور به استدراجا
وقطعا لمعاذيره حتى اذا رأوا ما يوعدون هي متصلة بقوله خير
مقاما وما بينهما اعتراض اي لا يزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا
الموعود رأي عين اما العذاب في الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم
بالقتل والاسر واما الساعة اي القيامة والمراد ما ينالهم من الخزي و
والنكال فيها بدل لان مما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين
واضعف جندا اعوانا وانصارا اي فحينئذ يعلمون قطعا ان الامر على
عكس ما قدروه وانهم شر منزلا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا
وان المؤمنين على خلاف صفتهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى
وجاز ان يتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم
لا ينفكون عنها الى ان يعاينوا نصر الله المؤمنين او يشاهدوا اهوال الساعة
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه
قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلالته ويزيد المهتدين اي المؤمنين
ثباتا على الاهتداء او على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال
الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ
المؤمنين فيها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو خير وعوضه
منه والباقيات الصالحات اي الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الآباد
وكل الصيد في جوف الفرا خير عند ربك ثوابا عائدة من النعم الفانية التي
يفتخرون بها كيف ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب
الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا مرجعا وعاقبة وفي التفضيل تهكم
بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا
افرأيت الذي كفر بآياتنا لما كان رؤية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة
الخبر عنها استعملوا ارأيت في معنى اخبر والفاء للتعقيب اي والمعنى
اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقال لاوتين جواب

قسم مضمر مالا وولدا وقري ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد
كالعرب في العرب اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه الهمزة للاستفهام
وهمزة الوصل محذوفة اي انظر في اللوح المحفوظ فراى فيه منيته ام اتخذ عند الرحمن
عهدا موثقا ان يوتيه ذلك روي ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وايل
حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة
فاتا فاقضيك ثمة فاني اوتى مالا وولدا حينئذ وفيه ان قوله وولدا لا
يناسب المقام وسياق الكلام حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطا اي هو
مخطي فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه سنكتب ما يقول سنظهر له انا
كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم
تلدني اي لا تنفس لكنه لا يتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد وقيل هذا على طريقة قول المتوعد للجاني سوف انتقم
منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان الان حرف التنفيس
جرد هنا للوعيد ونمد له من العذاب نزيد من العذاب كما يزيد في الافترا
والاجترا من المدد يقال مده وامده بمعنى مدا بالمصدر لفرط غضبه تعالى
ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد اشتمال من الها في نرثه ويأتينا
يوم القيامة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يوتى له
زايدا واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم بان يكونوا
لهم شفعا عند الله وتوحيد عزا لانه بمعنى المصدر كلا ليس الامر كما ظنوا
سيكفرون بعبادتهم الضمير للالهة اي سيجحدون عبادتهم ويقولون
والله ما عبدتمونا لقوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا او للمشركين اي ينكرون
ان يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم
ضدا خصما لان الله تعالى ينطقهم فيقولون يا رب عذب هولاء الذين عبدو
من دون ذكر والضد يقع على الواحد والجمع في مقابلة لهم عزا او المراد
ضد العز وهو الذل والهوان يكونون عليهم ذلا لما قصدوه من العز على
معنى انها تكون معونة في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو
للكفرة اي ويكونون كافرين لهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة
المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشي الواحد ونظيره قوله عليه
السلام وهم يد واحدة على من سواهم وقرا كلا بالتنوين على قلب الالف نونا
في الوقف او على معنى كل هذا الراي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده
اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين الارسال التخلية وتعديته بعلى لتضمين معنى التسليط اي خليناهم
مسلطين عليهم بالاغوا وذلك حين قال لابليس واستفزز من استطعت
منهم بصوتك توزهم ازا بازعاج واصل الاز الحركة مع صوت متصل من

ازيز القدر وغليانها والمعنى تزعجهم الشياطين وتسوقهم الى المعاصي
بسرعة ومساق الكلام ظاهر في الاهمال استدراكا ولذلك اتى باداة ..
التفريع في قوله فلا تعجل اي بطلب العذاب قبل حينه ولذلك قال عليهم
انما نعد لهم اي انفاسهم ليستوفوا اجالهم في مقام التعليل لما ذكر كان المناسب
ان يكون المراد انما نمهلهم لا تمهلهم وما قيل اي لا تعجيل بهلاكهم فانه لم يبق
لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة بعيد عن سياق الكلام وسياق
المقام عدا فلا يزدادون عليها ولا ينقصون منها يوم نحشر المتقين الحشر
الجمع من جهات متعددة ونصب يوم بلا يملكون او بمضمر اي يوم نحشر
ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف الى الرحمن لاختيار هذا الاسم في هذه
السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح
حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا الوفد جمع وافد كركب وراكب حال
من المتقين ونسوق المجرمين الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا اضل منها
الى جهنم وردا عطاشا لان من يرد الما لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد
المسير الى الما فسمي به الوارد وذكر المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذي
غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرين بانهم يساقون الى
النار كانهم نعم عطاش يساقون الى الما استخفافا بهم لا يملكون الشفاعة
الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر المجرمين والمتقين لانحصارهم فيهما الا
من اتخذ عند الرحمن عهدا اذ نافيها لقوله تعالى لا تنفع الشفاعة الا من اذن
له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل
من ضمير يملكون او النصب على تقدير المضاف اي الا شفاعة من اتخذ ا
وعلى الاستثنا وقيل الضمير للمجرمين اي لا يملكون ان يشفع لهم الا من اتخذ عند
الله عهدا بالاسلام ليستعد به ان يشفع لهم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
اي النصارى واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات الله ولا وجه لاسناد هذا القول
الى الكل مع الانكار عن بعضهم ووقوع المشاجرة فيه فيما بينهم على ان في هذا
الاسناد نوع شين للمسلمين وهم برآء عنه لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات
للمبالغة في الزم والتسجيل عليهم بالجراة على الله تعالى والتعرض لسخطه والتنبيه
على عظم ما قالوا والاد بالفتح والكسر العجب وقيل العظيم المنكر من الادة
وهي الشدة تكاد السموات تقرب ينفطرن وبالنون الانفطار من فطره
اذا شقه والتفطر من فطره اذا شقه مرة بعد اخرى فهذا ابلغ منه من
عظم هذا القول وتنشق الارض وتخر الجبال وتسقط هدا اي مهدودة
او تهد هدا او مفعول له لانها تهد والهد الهدم بشدة صوت وهو تقرير
لكونه ادا ابلغت هذه الكلمة من فظاعتها وعظمتها وهدمها لاركان الدين
وقواعده مبلغا لو تصور تاثيرها بصورة محسوسة لم يحتمل مثله هذه

الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم وتفتت من شدتها وكادت هذه الاجرام
تنفطر وتخرب العالم لشدة غضب الله تعالى على من تفوه بها قهرا له وهدما
لاركان العالم عليه استعظاما لها وتهويلا من فظاعتها ان دعوا للرحمن ولدا
اما منصوب بتقدير حذف اللام وافضا الفعل اليه لتعليل الكيدودة او الهدا وهدا
لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعا الولد للرحمن او مجرور بدل من الضمير في
منه اي من ان دعوا او على اضمار لام التعليل او مرفوع على انه فاعل هدا اي هدها
دعا الولد او خبر مبتدا محذوف اي سبب ذلك ان دعوا وهو من دعا بمعنى
سمى المتعدي الى مفعولين او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى بمعنى انتسب
وما ينبغي وما يتاتي للرحمن ان يتخذ ولدا قيل لا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب
له لو طلب مثلا لانه مستحيل ويرد عليه ان المحال قد يستلزم المحال فيجوز
ان ينطلب على تقدير تحقق الطالب المحال فيا لتعليل المذكور لا يتم التقريب دم
وفائدة تخصيص الرحمن بالذكر تكريره مرة بعد اخرى انه اسم مختص بالواجب
بالذات باعتبار افاضة الوجود واصول النعم على الكل كما قيل فلينكشف عن
بصرك عطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فكل ما عداه نعمة او منعم عليه
فلا يجانس من هو مبدأ النعم والولد يجب ان يجانس الوالد فلا يمكن له ولد فمن نسب
اليه الولد فقد شبهه بخلقه واخرجه عن استحقاق اسم الرحمن ولهذا فنصب
على المفعول الثاني على تفسير دعواه سموا للدلالة على العموم والاحاطة بكل ما
جعلوا له ولدا لاستحالة منا بسبه بشيء ما خلقه له ان كل من من نكرة موصوفة صفتها
في السموات والارض الا وخبر كل اتي الرحمن ووحد اتي وانه حملا على لفظ كل
وهو اسم فاعل من اتي وهو مستقبل اي يأتيه ويلتجي اليه عبدا حال اي خاضعا
ذليلا منقادا والمعنى ما كل من في العالم من الثقلين والملك الا وهو يأتي الله تعالى
يوم القيامة مقرا بالعبودية وهي والنبوة متنافيان حتى لو ملك الاب ابنه
يعتق عليه وهذا التصريح لما علم ما تقدم التزاما لقد احصاهم الاحصا الحصر
والضبط اي احاط بهم علمه وعدهم عدا اي علم تفاصيلهم واعدادهم فكانه
عدهم باشخاصهم فرادى فرادى والله منزه عن الحاجة الى العد وكلهم اتيه يوم
القيامة فردا منفردا اي يستوي العابد والمعبود ليس مع المعبود ممن يعبده
احد يخدمه وينفعه ولا مع العابد احد يشفع له ويقويه وينفعه ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في قلوب
الناس مودة من غير ان يتعرضوا للاسباب التي تكتسب بها مودة بل اصطناعا
من الله تعالى لعباده الخاصة فقال قتادة ما اقبل العبد الى الله تعالى الا اقبل
الله بقلوب العباد اليه وللفظ الرحمن ههنا خصوصية تظهر بالتامل في قوله
صلى الله عليه وسلم ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها
كيف يشا والسين اما لان السورة مكية وكانوا ممنوعين حينئذ بين الكفرة

فوعدهم

فوعدهم الله تعالى ذلك اذا دجا الاسلام ولان الموعود في القيامة حين تعرض
حسناتهم على روس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه
سهلناه منزلا بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين والفا السببية
لان ما قبلها دال على ان منعت الكفرة اياهم لا يضيعهم وسيحدث بدله الحب
فقال له لا تخف وبلغ ما انزل اليك مبشرا ونذيرا لتبشر به المتقين الصائرين
الى التقوى وتنذر به قوما لدا اللد جمع الالد وهو شديد الخصومة في
الباطل والاخذ في كل لديد اي شق وجانب لفرط اللجاج والمراد وكم اهلكنا قبلهم
من قرن تخويف لهم وانذار وتبشير للرسول عليه السلام على انذارهم هل تحس من
منهم من احد اي هل ترى منهم احدا او
حسه اذا شعر به ومنه الحس والمحسوس
تسمع لهم ركزا الركز الصوت الخفي واصل التركيب الخفي ومنه ركز الرمح اذا
غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون اي قد ذهبوا وبادوا فلا عين لهم
ولا اثر فكذا هؤلا اذا اعرضوا عن تدبر ما انزل اليك فعاقبتهم الهلاك فليهن
عليك امرهم سورة طه عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

طه روي عن مجاهد والحسن والضحاك وعطا وغيرهم ان معناه يا رجل
فان صح فظاهر والا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة وقرئ طه على انه امر
للرسول عليه السلام بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى
رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته الفا وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طأها والالف
مبدلة عن الهمزة والها كناية عن الارض ويمنع هذا الوجه والتفسير بيان هذا
كتبهما على صورة الحروف لا ان يقال انه اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما
بالاسمين ما انزلنا عليك القرآن ان جعلت طه تعديدا للاسما بالحروف فهو
ابتدا كلام وان جعلتها اسما للسورة او القرآن ظاهرا وقع موقع المضمر تفخيما
وان يكون جوابا لها وهي قسم وان جعلتها ندا فهو منادى وان جعلتها جملة فعلية
او اسمية باضمار مبتدا وطائفة من الحروف محكية فهو استئناف لتشقى لتتعب
بفرط تاسفك على كفر قومك وتحسرك على ان يؤمنوا وما عليك ان لا يؤمنوا
اذا لم تفرط في ادا الرسالة او بكثرة تهجدك وطول قيامك اي ما بعثت لتنهك
نفسك وتذيقها المشقة الفادحة فان لها حقا عليك وانما بعثت بالحنيفية
السمحة السهلة والشقا شائع في معنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد
القوم اشقاهم وفيه اشعار بان القرآن انما انزل عليك لتسعد وهو الوسيلة
الى نيل كل فوز وسعادة فلا تجعله موجب الشقاوة وقيل رد وتكذيب للكفرة
فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى لترك ديننا وان القرآن انزل
عليك لتشقى به الا تذكرة نصب على الاستثنا المنقطع اي لكن ليكون تذكرة
او على الحال اي الا مذكرا او على المفعول له اي الا لتذكر او تماجي باللام في

لتشقى لانه ليس لفاعل الفعل المعلل فانتفى شرط انتصابه وانتصب هذه لوجود
الشرط لا على البدل من محل لتشقى لاختلاف الجنسين الا ان يجعل التذكير نوعا من
الشقا اي ما انزلناه لتفرط في الرياضة والتهجد او تتعب بالتاسف والتحسر
عليهم بانهم انما انزلناه لتحمل مشاق التبليغ ومتاعب التذكير ومقاولة العتاة
الجاحدين ومقاتلة اعدا الدين وسائر تكاليف النبوة لمن يخشى لمن يصير
الى الخشية ويلين قلبه ويرق ويعلم الله انه ينتفع تنزيلا بدل من تذكرة
اذا جعلت حالا مفعولا له لفظا او معنى اذ الشي لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ونصب
على المصدر باضمار نزل او بانزلنا لان معنا ما انزلناه الا تذكرة او على المدح او الا
ختصاص او على انه مفعول به ليخشى اي تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وقرى
بالرفع اي هو تنزيل ممن خلق الارض والسموات العلى صلة تنزيلا او صفة
له اي تنزيلا كاينا من الله تعالى والعلى جمع العليا تانيث الاعلى وفخم شان المنزل
اولا باسناد الانزال الى الواحد المتعالى ثم بتنكير تنزيلا للتعظيم والابهام
والتوضيح حيث لم يوصف ثم بالالتفات من التكلم الى الغيبة لايقاظ السامع
والتنبيه على عظمته شانه بتغنن الكلام ثم باجرا الصفات العظام العجيبة
على منزله وايراد الموصول ذريعة الى ذلك ثم بوصف السموات بالعلى الدالة
على علا قدر خالقها ثم باجراء صفات العظمة والتمجيد فاكد الفخامة بوجوه كثيرة
وطرق مختلفة وترتب صفاته ترتيبا انيقا فبدا اولا بايجاده لاصول العالم
وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر نفعا واحتياجا اليهما ثم اشار الى وجه
احداث الكاينات وتدبير امرها بذكر استوايه على العرش واجراء الاحكام وانزال
الاسباب منه على الترتيب الذي اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته
فقال الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن او بدل من فاعل خلق على العرش خبر
مبتدا محذوف وعلى الاول يجوز ان يكون خبرا بعد خبر استوى كناية عن الملك
لان العرش سرير الملك ومكان التمكن من ملك فاجريت هذه العبارة مجرى ملكه
واستعملته في موضعه واشتهر كالمترادف فبين المتساويين في افادة المعنى المراد
مع تصوير العظمة وتخييل الابهة والسلطنة والتمكن في ملكه وان لم يقعد
قط على السرير له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
ما تحت السبع الارضين فان الثرى الطبقة الترابية من الارض واخر طبقاتها
وهذه الجملة تجري مجرى البيان من الاولى لان مودى الاولى كونه ملكا مطاعا
فادراج قوله له ما في السموات تفصيل لذلك وتقرير له ولما كان ذكرها دل
على ملكه وكمال قدرته وارادته عقبه بما دل على كمال علمه واحاطته تخفيا وا
لا نور وجلا يا ها على السوا لتلازم تلك الصفات فيه وابتنا الجميع على العلم فقال
وان تجهر بالقول ترفع صوتك به سوا كان ذكرا او دعا او غيرهما وحذف جواب
الشرط اي فاعلم انه تعالى غني عن جهرك واقيم تعليله مقامه وهو فانه يعلم

السر

السر واخفى اي ما اسررته الى غيرك وما هو اخفى منه اي ما اخطرته ببالك
واضمرته في نفسك والسر ما اضمرته في نفسك وما هو اخفى منه ما لم يخطر ببالك
من الغيب المستاثر هذا ما قالوا وعندي ان علم السر واخفى كناية عن استغنايه
عن الجهر بالقول والحذف والاقامة فهو تعليم للعباد ان الجهر لهضم النفس بالتضرع
والجوار واستبعادها عن مظان الغرب باستحفارها لا لاعلام الله بذلك والاسماع
وبراي تنزيه عما يوذن بالبراية لما عدد الصفات الكمالية ووصفه بما لا يمكن
ان يوصف به غيره من صفات الالوهية والربوبية افصح عن التوحيد
وصرح بانه المنفرد بها المتوحد بمقتضياتها ثم قال الله لا اله الا هو له الاسما
الحسنى اي هو واحد بذاته وان افترقت عبارة صفاته رد القولهم انكم تدعوا
الهة حين سمعوا اسماه تعالى والحسنى تانيث الاحسن وفضلها على ساير
الاسما في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتاك
استفهام من تقريرك على الاصغا لما يلقي اليه حديث موسى فقفي خطابه
بقصة موسى عليه السلام ليقتدي به في تحمل اعبا النبوة والصبر على مقا
سات الشدايد في تبليغ الرسالة فان هذه السورة من اول ما نزلت
وهذا التقفية مرجحة لكون التذكرة نصبا على الاستثنا المنصل اذ راى
نارا اذ ظرف للحديث او لا ذكرا ولمضمر دل عليه فقال اي حين راى نارا
كان كيت وكيت لاهله امكثوا البثوا مكانكم اني انست نارا ابصرت
ابصارا بينا لا شبهة فيه ومنه الانس لظهوره وقيل هو وجدان ما يونس
به ولما كان الاتيان بها محققا اتى بكلمة ان وحققه لهم ليوطنوا انفسهم
عليه بخلاف الاتيان بقبس ووجدان الهدى على النار فان كلا منهما
مترقب متوقع فبنى الامر فيهما على الرجا والطمع وجا بلعل ولم يقطع
لئلا يعد ما لا يستيقن الوفا به لعلي اتيكم منها بقبس القبس النار
المقتبسة في راس عود او فتيلة ونحوهما وقيل جمرة ويرده قوله في موضع اخر
بشهاب قبس او اجد على النار هدى يعني الاستعلا على النار ان اهلها مشرفون
عليها عند الاصطلا بها قياما وقعودا او مستعلون المكان القريب منها
هدى اي هاديا لانه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى اي الطريق وانما
جابا ولا انه بني الرجا على انه لم يكونا حينئذ جميعا لم يجدوا واحدة منهما
فلما اتيها اتى النار وجد نارا بيضا جميعا لم يعدم ويحرق خضرتها تتقد في
شجرة خضرا نودي يا موسى هو تكليم الله تعالى اياه ونودي بني للمحذوف
وحذف الفاعل للتعظيم اني انا ربك فتحي بالفتح اي نودي باني ومن كسر
اجرى الندا مجرى القول لانه ضرب منه وتكرير الضمير لتوكيد الدلالة
وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة قيل لما نودي يا موسى قال المتكلم وقال
الله تعالى انا ربك فوسوس اليه شيطانا لعلك تسمع كلام الشيطان

فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات واسمعه بجميع اعضائي
يرده اسمعه من جميع الجهات يرده قوله تعالى وناديناه من جانب الطور الايمن
فانه صريح في سماعه النداء من جهة واحدة لا من جميع الجهات فاخلع الخلع نزع
الملبوس يقال خلع ثوبه عن بدنه ونعله عن رجله وقد ينزع المشبه عن
موضعه ولا يكون خلعًا لانه غير ملبوس امر نعليك امر بخلعهما تعظيما لحضرة
القدس فان من الحفوة تواضعا لله تعالى وتادبا ولهذا كان السلف يطوفون
بالبيت حافين والتعليل بقوله انك بالوادي المقدس دال على ان ذلك احترام
للبقعة وتعظيم لقدسها وتفريع الامر بخلع النعلين على النداء المذكور وان كان
باعتبار ان ما في الخلع من التواضع لله تعالى والتادب مقتضى النداء لكونه لا يخلو
عن الاشعار في بركة تلك البقعة مدخل لورود ذلك النداء العظيم الشان
فيها وقيل لنجاستهما فانهما كانا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل ليناله
بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربته والوادي سفح الجبل ويقال
للمجرى المعظم من مجاري الماء والمقدس المطهر طوى علم للوادي فيكون بدلا
او عطف بيان وقرئ منونا لوحظ فيه معنى المكان وغير منون لوحظ فيه
معنى البقعة وقيل هو من الطي نحو ثنى ومثنى بمعنى مرتين اي قدس مرة
بعد مرة او نودي نداءين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرئ انا ان
واسمها واخترناك جملة في موضع الخبر فاستمع لما يوحى اللام متعلقة
باستمع او باخترتك وما موصولة اي للذي يوحى اليك او مصدرية
اي للوحي وقوله انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى عظم
امر التوحيد وفخم شانه بالابهام في قوله لما يوحى والتوضيح بقوله انني
انا الله وبالابدال الدال على ان الوحي مقصور على تقرير التوحيد
الذي هو نهاية العلم المستلزم لتخصيص العبادة بالله الذي هو كمال
العمل وبالتاكيد بان وتوسط الضمير وتكرير معناه بالتهليل والاتيان
بفاء السببية واقم الصلاة عطف الامر باقامة الصلاة على الامر بالعبادة وتخصيصها
تخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات تنبيه على فضلها وشرفها وانافتها
على الجميع كعطف جبريل على الملائكة ولذلك علل ايرادها بالذكر لذكري
فانها توجب شغل القلب واللسان بذكر الله تعالى فمعنى لذكري لتذكرني
وقيل لاذكرتها في الكتب وامرت بها او لاذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان
صدق او لذكري خاصة غير مشوب بذكر غيري او رياء او عوض او غرض
آخر وهو الاخلاص او لتكون لي ذاكرا غير ناس او لاوقات ذكري وهو مواقيت
الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها
فليقضها اذا ذكرها فان الله تعالى يقول اقم الصلوة لذكري على حذف مضاف
او تعليل ذكر الصلوة لذكر الله تعالى او لان الذكر والنسيان من الله تعالى في

الحقيقة

الحقيقة ان الساعة آتية يعني ان القيامة كائنة لا محالة اكاد اخفيها قربه
تعالى من اخفائها مجاز عما اقتضته الحكمة من الابعاد بوقوعها للانتظار وقطع الا
عذار مع كتمان وقتها ليكونوا على وجل في كل وقت فانه اظهار فيه نوع من الاخفا
ويجوز ان يكون من اخفاه اذا ازال خفاه اي اكاد اظهرها وقربه تعالى من اظهارها
مجاز عن اظهار بعض شرطها كبعثة خاتم الانبياء عليهم السلام وانشقاق القمر ويؤيده
قراءة ابي الدرداء رضي الله عنه اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره قيل انه من الاضداد
والحق ما روي عن ابي علي انه من باب السلب لتجزى متعلقة بآتية وما بينهما
اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير كل نفس يعني من النفوس الساعية بتوفيته
قوله بما تسعى السعي كناية عن الكسب فلا يصدنك الصد الصرف عن
الخير خاصة عنها عن التصديق بالساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها والمراد
من نهي الكافر عن صد موسى عليه السلام نهيه عليه السلام عن الانصداد عنها بصده وهكذا
كقولك لا ارينك هنا في النهي عن السبب للنهي عن المسبب مبالغة وفيه تنبيه
على انه عليه السلام لو خلي وفطرته السليمة لكان منصدا فانها غير معرض عنها
او بعثه عليه السلام على الصلابة في الدين وشدة الشكيمة فيه وتهييجه عليها فان
صد الكافر اياه مسبب عن ضعف عقيدته ولين شكيمته فنهي عن المسبب للنهي
عن السبب اي ينبغي لك ان تكون صلبا في الدين راسخا في الاعتقاد دونه بقوله
واتبع هواه على ان سلوك طريق العقل واتباع الحجة يوجب التصديق بالبعث
والساعة فانكارها والتكذيب بها انما يكون لغلبة الهوى واتباعه والهوى
ميل النفس الى الشيء بان يحبه ملحق فيه وهو الحق ممدود وهي النفس مقصور
فتردى جواب النهي وان مقدرة بعد فالجواب وتردى نهي علامة النصب فيه
فتحة مقدرة في الالف معناه فتهلك وما تلك استفهام ضمن معنى الاستيقاظ
لما يريه فيها من الآيات العجيبة الدالة على القدرة الباهرة قيل الحكمة في هذا
السؤال بسطه فقد كانت الهيبة قبضته ولو تركه على ما كان عليه لعله كان
لا يبقى بل يتلاشى ولما باسط الحق بسماع كلامه اخذته نشوة سماع الخطاب
فاجاب عما سئل وسلك مسلك الاطناب بيمينك حال من تلك والعامل
فيها معنى الاشارة كما في قوله هذا بعلي شيخا وجاز ان يكون تلك اسما موصولا
صلته بيمينك قيل انما لم يقل بيدك لانه كان في يساره خاتم فلو اجمل نحى في الجواب
للاشتباه يا موسى تكرير لزيادة التنبيه والاستيناس قال هي عصاي وقرئ
عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس
القطيع والتوكا على الشيء التحامل عليه في المشي والعكوف ومنه الاتكا توكات
واتكات بمعنى واحد واهش بها اخبط الورق وقرئ اهش وكلاهما من هش
الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته على غنمي لياكله وعن عكرمة اهس
بالسين الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها قدم في الجواب

مصلحة نفسه ثم تمم بمصلحة ماشيته **ولي فيها مآرب** المآرب الحاجات
عاملها وان كانت جمعا معاملة الواحدة المؤنثة فاتبعها صفتها في قوله
اخرى ولم يقل اخر رعيا للفواصل وهو جائز في غيرها فكان فيها اوجز واحسن
وقيل فهم موسى عليه السلام من سؤال رب العزة انه سيحدث في العصا امرا عظيما
فذكر ماهيتها وفصل بعض منافعها وخواصها فلما استطال الكلام استشعر
سوء الادب فاجمل وقيل انما اجمل ليسأله عن تلك المآرب فيكون زيادة في
اكرامه والغرض من ذكر ماهيتها ومنافعها انها ليست الا عصا تنفع منا
فعها كسائر العيدان ليكون جوابه مطابقا لما فهمه من فحوى كلام ربه حتى
اذا وجدها على خلاف حقيقتها وخواصها مما ذكر من الامور الخارقة للعادة
ظهر انها معجزات باهرة وآيات ظاهرة خصه الله تعالى بها واكرمه **قال**
ألقها يا موسى انما امره بالقائها لانه اضافها الى نفسه بقوله عصاي
فاراد ان يقطعها عنه **فألقاها** طرحها على الارض وقد مر في سورة الاعراف
بيان اصل الالقاء **فاذا هي** بعد صارت في الحال **حية تسعى** الحية اسم الجنس
يقع على الصغير والكبير والذكر والانثى والسعي المشي بسرعة وخفة حركة قيل
لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها
جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي
يعم الحالين وكان هذا القائل غافل عن عبارة كأن في قوله تعالى كأنها جان
لانها صريحة في التشبيه وعدم كونها جانا حقيقة ويريه الخارق بعد اخراجه
من سلطانه وتدبيره ليعلم انه بمحض صنع الله لا دخل فيه لفعل العبد
قال خذها تناولها بيدك **ولا تخف** الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر
لما رأى موسى عليه السلام ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار
ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف فهرب منها كما اخبر عنه بقوله ولى
مدبرا ولم يعقب فامره الله تعالى بالاقدام على اخذها ونهاه عن ان يخاف منها
ولما قال ربه لا تخف بلغ من الامن وطمأنينة النفس ان ادخل يده في فمها
واخذ بلحييها كانه ضمن صيغة التكليف صيغة التكوين وقد حققنا في سورة
البقرة ان النهي كالامر يتنوع الى التكليف والتكوين وحكمة انقلابها وقت
مناجاته ذعره منها في ذلك الوقت **سنعيدها** الاعادة رد الشيء ثانيا
الى مكانه اول مرة **سيرتها الاولى** هيأتها وحالتها المتقدمة والسيرة
فعلة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع
فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان
ينتصب على الظرف اي في طريقتها الاولى حال ما كانت عصا او على نزع
الخافض وعلى المفعول به ان جعل اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه
فيتعدى الى مفعولين او بتضمين فعلها اي سنعيدها سائرة سيرتها

الاولى

الاولى **واضمم يدك الى جناحك** يعني بعد ادخالهما في الجيب على ما افصح عنه
في موضع آخر يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان
جنباه استعير من جناحي الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند
الطيران اي يميلهما والجنب في جنوح الاضلاع قيل والمراد الى جنبك تحت
العضد دل على ذلك قوله **تخرج** ويرده قوله تعالى فادخل يدك في جيبك
تخرج لانه صريح في ان المراد الدخول في الجيب والخروج منه **بيضاء** مشرقة
مشعة قيل كان موسى عليه السلام آدم فاخرج يده بيضاء لها شعاع كشعاع
الشمس تغشى البصر **من غير سوء** متعلق ببيضاء كأنه قال ابيضت من غير سوء
والسوء الرداءة والقبح في كل شيء اي من غير ان تستقبح لما خروج الشيء عن خلقته
وشأن جوهره مما يستقبح ويستنفر اخبر انه لم يكن كذلك واما الكناية به عن
البرص فيأباها المقام لانه غير محتمل في مقام الاعجاز والكرامة فلا وجه للاحتراز
عنه **آية اخرى** معجزة ثانية وقوله بيضاء وآية حالان معا من ضمير تخرج ويجوز
ان يكون الثاني حالا من ضمير الاول فيكونان من الاحوال المتداخلة او مفعولا
لنصب بمضمر نحو خذ ودونك لدلالة **لنريك من آياتنا الكبرى** متعلق به
بالمحذوف او بالمذكور او بما دل عليه الآية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك
لنريك والكبرى صفة لآياتنا او مفعول ثان لنريك ومن آياتنا حال اي
لنريك الكبرى من آياتنا **اذهب الى فرعون** امر بالذهاب بهاتين الآ
يتين الى فرعون ودعوته **انه طغى** جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية
تعليل لوجوب الذهاب اليه وتحذير له من بطشه وتنبيه على صعوبة ليتلقاه
ما ابتلي به ليتلقاه بجميل الصبر وحسن الثبات ولهذا التجأ اليه في طلب التيسير
والتأييد وتفسيح الصدر والتشجيع **فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي**
امري على الابهام بايراد لي بعد الفعلين والتوضيح بذكر الصدر والامر للتأكيد
والمبالغة في طلب الشرح والتيسير **واحلل عقدة من لساني** كان في لسانه
رتة لما روي ان فرعون حمله يوما فاخذ بلحيته وكانت مرصعة بالجواهر
ونتفها جاذبا ببعض ما فيها من اليواقيت فغضب وامر بقتله فقالت
آسية رضي الله عنها انه صبي لا يفرق بين الجمر واليواقيت فاحضرا بين يديه
فاخذ الجمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه فصار لكنة منها ولعل لذلك
امتاز موسى عليه السلام باللحية من بين اهل الجنة على ما ورد في حديث
جابر رضي الله عنه وهو انه عليه السلام قال اهل الجنة مرد الا موسى ابن عمران
فانه له لحية الى سرته ولما كانت تلك العقدة عارضة لانه حادثة كانت
المناسب لحالها التنكير حيث لم تكن من جنس ما هو المعهود وكان قطع
اضافتها عن اللسان المنبئة عن الاتصال الخلقي بعيدا كان لذلك وقيل انما
نكرت لانه لم يطلب الفصاحة الكاملة وانما طلب حل بعضها ارادة ان

يفهم عنه فهما جيدا لان امر التبليغ لا يتيسر الا بذلك ولهذا علل بقوله يفقهوا
قولي فان التبليغ ونحوه يحصل من التبليغ ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل
عقدة من عقد لساني او صلة لاحلل واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي
بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقيل زالت لقوله قد اوتيت
سؤلك وفي كل من الاحتجاجين نظر اما الاول فلان شهادة قوله هو افصح
مني لسانا عليه لا له لان فيه دلالة على ان موسى عليه السلام كان فصيحا غايته
ان فصاحة اخيه كانت اكثر وبقية اللكنة تنافي الفصاحة اللغوية المرادة
ههنا بدلالة قوله لسانا واما في الثاني فلما مر انه لم يطلب حل عقدة لسانه
مطلقا بل طلب حل عقدة تمنع الافهام فلا دلالة فيه في حصول مسئوله على زوال
العقدة بكمالها نعم قوله ولا يكاد يبين يدل على الاول فتامل واجعل لي وزيرا
ظهيرا اعتمد عليه من الوزر وهو الثقل لانه يتحمل من الملك اوزاره ومؤنته
او من الوزر الملجا لان الملك يعتصم برايه ويلتجا اليه امور او معينا من
الموازرة وهي المعاونة فوزيرا مفعول اول لاجعل والثاني من اهلي او لي و
وزيرا مفعولاه وقوله هرون بدل من وزيرا بيان لانه لا يخالفه متبوعه
في التعريف والتنكير وقوله اخي عطف بيان لا بدل كما ذكره لان ابدال
الشي في اقل منه فاسد لا يتصور نص عليه الشيخ في دلايل الاعجاز او وزيرا
وهرون مفعولاه وثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة اشدد به ازري
قوه به ظهري والشد جمع يتملك به المجموع ومثله الربط والعقد والازر
الظهر يقال ازرني ازر لي فلان على امري اي كان لي ظهرا ومنه الميزر لانه
يشد على الظهر وكذا الازار واشركه في امري الاشراك الجمع بين الشيئين
او الكثر في معنى على انه لهم يجعل جاعل وقد اشرك الله بين موسى وهرون
عليهما السلام في النبوة وقوى به ازره كما دعا وقريا على لفظ الخبر جوابا للامر
ولمن قراها على لفظ الامر للدعاء ان يقف على هرون ويجعل اخي مرفوعا
على الابتدا والجملة خبرا كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج
الرغبات ويودي الى تكاثر الخير وترايده قدم تزايد التسبيح وهو تنزيه
الله تعالى عما لا يجوز وصفه به على الذكر وهو ثناؤه تعالى بما لا يليق به لان
التخلية قبل التحلية انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما
يصلحنا وان هرون نعم العون لي فيما امرتني به والشاد لعضدي بانه
اكبر مني سنا وافصح لسانا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى السؤل
المطلوب فعل بمعنى مفعول كالخبر والاكل اي اعطيت ما سالته وذلك من المنة
عليه ثم ذكره بتقديم منته عليه ليعظم اجتهاده وتقوى بصيرته بقوله ولقد
مننا عليك مرة اخرى المن نعمة تقطع لصاحبها عن غيره باختصاصها
به ويقال من عليه اذا انعم عليه نعمة يقطعه بها واصل القطع ومنه قوله

لهم

لهم اجر غير ممنون والمرة الكرة الواحدة من المر واخرى تانيث اخر بمعنى غير اي
منة غير هذه المنة اذ اوحينا الى امك قال الجمهور هو وحي الهام وقيل وحي اعلام
اما ببعث ملك اليها لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم او باراءة ذلك في المنام او
على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين ما يوحى ما لا سبيل
الى العلم به الا بالوحي او ما ينبغي ان يوحى لا محالة ولا يخل به لعظم شانه وفرط
الاعتنا به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه اي او اقذفيه لان الوحي
بمعنى القول والقذف هو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي واستعير
هنا لمعنى الالقا فاقذفيه في اليم اليم اسم للبحر العذب والمراد منه هنا النيل
فليلقه اليم بالساحل ساحل البحر شاطيه سمي بذلك لان الما يسحله اي
يقشره فهو فاعل بمعنى ذو وكذا او لما وجب وقوع ما تعلقت به ارادته تعالى
وهو القا البحر اياه بالساحل ذكر بلفظ الامر تشبيها للبحر بالمامور المميز
المطيع الممتثل لما ورد عليه من امر مطاع على طريقة الاستعارة بالكناية
واخرج الجواب بقوله ياخذه عدو لي وعدو له مخرج جواب الامر
مجزوما وكرر عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني
باعتبار المتوقع والاحسن نظما ان يرجع الضماير كلها الى موسى عليه
السلام لا لما قيل ان في رجوع البعض الى التابوت تنافر النظم الذي هو في
الاعجاز لانه مم كيف ولو كان فيه ما يخل بحسن النظم لما وقع في قوله تعالى
فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ثم ان موجب ذلك عدم
الصحة لا عدم الاحسنية بل لان المحدث عنه موسى عليه السلام لا التابوت
وانما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة فالملقى والماخوذ هو موسى
عليه السلام في التابوت فلا حاجة الى شرط الضماير وان لطاهر ان البحر
القاه بالساحل فالتقطه منه ال فرعون روي انه فتح التابوت
فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا كما قال والقيت
عليك محبة مني مني صفة لمحبة اي محبة كاينة مني قد زرعتها في القلوب
ولذلك احبك فرعون او متعلق بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته
القلوب وعلى هذا يراد المعنى المذكور او لا بطريق الكناية او بطريق
الاشارة وتنكير محبة للتعظيم او الابهام والتفخيم ولتصنع عطف على علة
مقدرة مثل ليتعطف عليك ونحوه او علة لمحذوف معطوف على الجملة
السابقة اي ولتصنع فعلت ذلك قال الخليل يقال صنعت الفرس وهو
فرس صنيع وهو الذي احسن اهله القيام عليه وسيف صنيع الذي
قد احسن صقله على عيني يراد مني اي لتربى كما اريد مجازه ان من صنع
للانسان شيئا وهو ينظر اليه صنعه له كما يحب ولا يتهيا له خلافه وقيل
على عيني اي على حفظي اذ تمشي اختك طرف لالقيت او تصنع بدل

من اذ اوحينا علي ان اذ عبارة عن الوقت المتسع فتقول للذين يطلبون
مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امراة علي ما ذكر في سورة القصص والفا
فصيحة لترتيب المذكور علي المقدر هل ادلكم علي من يكفله علي من يضمه الي
نفسه فيربيه واراد بذلك المرضعة وانما ذكر اللفظ من فرجعناك فرددناك
الي امك وفا بقولنا انا رادوه اليك وياتي التفصيل في سورة القصص وهذه
الفا ايضا فصيحة كي تقر عينها برؤيتك وقد مر تفسير تقر في سورة مريم
ولا تحزن علي فرقتك قبل او انت علي فراقها ولا يتحمله مساق الكلام في
سورة القصص وياباه من قوله ولتعلم ان وعد الله حق وقتلت نفسا هي
نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم الذي نالك
بسبب قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص من فرعون بالمغفرة والامن منه
بالهجرة الي مدين وفتناك فتونا مصدر علي فعول في المتعدي كالثبور
والشكور والكفور او جمع فتن او فتنة علي ترك الاعتداد بتاء التانيث
كحجور وبدور في جمع حجرة وبدرة والفتنة المحنة وكل ما يبتلي الله تعالي
به عباده من نعمة او نقمة فهو فتنة لقوله تعالي ونبلوكم بالشر
والخير فتنة واكثر استعمالها في العرف فيما يشق علي الانسان اي
اختبرناك ضروبا من الاختبار روي سعيد بن جبير رضي الله عنه
ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في
عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته في البحر وهم
فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق
وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة
يا ابن جبير والمعني انا عاملناك معاملة المختبر حتي خلصت للاصطفا
بالرسالة فكل هذا من اكبر نعمه فلبثت سنين في اهل مدين وهي مدينة
شعيب عليه السلام وعن وهب انه لبث عنده ثمانيا وعشرين سنة عشر
منها مهر ابنته واقام عنده ثماني عشرة سنة بعدها حتي ولد له اولاد والفا
لتفصيل بعض ما اجمل من انواع الفتنة ثم جئت علي قدر قدرته وعينته
وهو ما سبق في قضائي ان اكلمك واستنبئك في وقت قد وقته لذلك فما
جئت الا علي ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل هو الوقت الذي
يوحي فيه الي الانبيا عليهم السلام وهو راس اربعين سنة قال الشاعر
نال الخلافة اذ كانت له قدرا كما اتي ربه موسي علي قدر
يا موسي تكرير لعقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه علي انه المقصود واصطنعتك
لنفسي اصطفيتك لمحبتي وخصصتك بي مثل حاله فيما خوله من الكرامة
بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه لمحاسن فيه اذهب انت واخوك امر اولا
موسي عليه السلام وحده بالذهاب فلما ذهب سال ان يشرك هرون عليه

السلام وحده بالذهاب فلما ذهب سال ان يشركه امره امرهما معا اجابة
لدعوته علي حسب وعده وفي كلامه التنبيه علي اصالته حيث غلب علي
هرون في الخطاب بعلم يقل اذهبا واخوك معطوف علي ضمير مستكن
في اذهب المؤكد بانت قيل اوحي الي هرون وهو بمصر ان يتلقاه وقيل
سمع بمقبله فاستقبله باياتي بمعجزاتي ولا تنيا اي ولا تفترا ولا تقصرا
والوني الفتور في ذكري اي لا تنسياني حيث ما تقلبتما او في تبليغ الرسالة
فان الذكر يطلق علي عبادة والتبليغ من اجل العبادات او في تبليغ
ذكري والدعوة الي اذهبا الي فرعون تاكيد لقوله اذهب انت واخوك
بالتكرير اظهار للاعتنا بدعوة اللعين اليه وفيه ابهام وتوضيح وتنبيه
علي سبب الذهاب اليه بالرسالة من عنده بقوله انه طغي اي تجاوز
الحد في الفساد ودعواه الربوبية فقولا له قولا لينا نحو قوله هل لك
الي ان تزكي واهديك الي ربك فتخشي لانه دعوة في صورة العرض والمشورة
والاستفهام حذرا ان يحمله التجبر علي ان يسطوا عليكما او احتراما له لحق
التربية وقيل لينا كنياه او لقباه لا بد من هذه الزيادة كيلا يرده قوله
وقال موسي يا فرعون اني رسول من رب العالمين فانه لو كان مامورا
بالتكنية خاصة لما خالف بالتلقيب لعله يتذكر او يخشي متعلق
باذهبا او قولا اي علي ارجي الوجوه للاتعاظ والخشية وقوله لعل
ليس لحقا حاله عليه تعالي لكن امر لهما بالدعا علي الرجا فانه اذا كان
الداعي راجيا فهو احرص علي الدعا وذلك ابلغ في الزام الحجة فقيل
يتذكر المتحقق ويخشي المتوهم اي يتذكر ان تحقق صدقكما فيذعن
للحق وان لم يتحقق توهم ان يكون الامر كما تصفانه والاحسن ان
يقال يتذكر المبدا او ان يخشي المعاد اي يتذكر او ان يخشي المعاد
اي يتذكر حال نشاته صغيرا عاجزا عن تدبير نفسه وانه حدث
بعد ان لم يكن موجودا فيرجع عن دعوي القدرة والربوبية او يخشي
عقاب الله تعالي في دعواه ذلك قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا
فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الوارد وفرس فرط
يسبق الخيل وقري يفرط من افرطه اذا حمله علي العجلة ويفرط
من الافراط اي نخاف ان يعجل علينا بما يحول بيننا وبين اتمام
الدعوة واظهار المعجزة او ان يحمله حامل من استكباره وجبروته
او خوفه علي الملك او شيطان جني او انسي من قومه القبط
المتمردين علي المعاجلة بما ذكرون يفرط فيه وانما قلنا بما يحول
ولم نقل بالعقوبة كما قيل لانه مردود بقوله سنشد عضدك
باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما فانه مذكور قبل قوله

هذه الدلالة قوله سنشد وقد دل على انهما محفوظان من عقوبته او
ان يطغى اي يتجاوز الحد بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لعتوه
وجرائته عليك وقساوة قلبه وفي اطلاق الطغيان مع تقييد قسيمه
بقوله علينا بطريق الرمز من حسن الادب والتحاشي عن التفوه بالعظيم
ما لا يخفى وانما اخره لان من امر شي يحاوله دفعه لاعذار فلا يدوان
تختمه كلام بما هو الاقوى قال لا تخافا انني معكما المعية ههنا بالنصرة
والعون اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول او فعل فاحارنه
واكفيكما شره والافصح ان لا يقدر مفعول قوله اسمع وارى فيكون
مبالغة في الحفظ اي انني حافظ ناصر سميع بصير واذا كان الحافظ
قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ وحقت النصرة وثبت الدفع عن المحفوظ
فاتياه فقولا انا رسولا ربك خطابا يقول لهما ربك اعلاما له انه
مربوب مملوك اذ كان هو يدعي الربوبية والمالكية فارسل معنا بني
اسرائيل اي اطلقهم عن الاستعباد كما يقال ارسلت الصيد ولا تمنعهم عن اتباعنا
ولا تعذبهم بتكليف المشاق كانت بنو اسرائيل تحت مملكة فرعون والقبط
يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة وتعقيب دعوى الرسالة باطلاق بني
اسرائيل لما فيه من ازالة المانع عن دعوتهم واتباعهم وهي اهم من دعوة
القبط فلا دلالة فيه على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى
الايمان على ان الظاهر مما تقدم في سورة يونس عليه السلام انه ما امن
لموسى عليه السلام في مبدا امره الا اولاد من قومه قد جئناك باية من ربك
جملة مبينة لقوله انا رسولا ربك لان الرسالة لا تثبت الا بالمجيء بالمعجزة
وانما وحد الاية ومعه اثنان لان المراد اثبات الدعوى بالبينة لا بيان
تعدد الحجة ووحدتها فكانه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان على ما ادعينا
من الرسالة كقوله فقد جئتكم ببينة من ربكم والسلام اي سلام الملئكة
اي سلام الملئكة الذين هم خزنة الجنة والافصح ان يكون السلام بمعنى
الجنس اي جنس السلام وما يتبنا هلان يسمى سلاما والسلامة من العذاب
على من اتبع الهدى على المهتدين والذي يقابله وهو توبيخ خزنة النار
والخزي والعذاب على الضالين المكذبين انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى اوحي مبني للمفعول والمفعول الذي يسم فاعله مصدر
وينسبك من ان وما بعدها تقديره اوحي الينا لكينونة العذاب على من كذب
وتولى وتغيير النظم باستيناف الكلام والتوكيد والتصريح بالوعيد لان
التهديد في مبدا الدعوة اهم وانجع قال فمن ربكما في الكلام حذف وايجاز
يشعر بانهما من فرطا عنهما لو مسارعتهما الى الامتثال لا ينفك فعلها
عن الامر كالامر اللازم البين فلا حاجة الى ذكره وهو فاتياه وقالا ما امرا به

يشير ان الفا فصيحة تفصح عن محذوف بعد قال تقديره سمعت قولكما فمن
ربكما يا موسى انما خاطب الاثنين وخص موسى عليه السلام بالندا لانه الاصل
في الرسالة والدعوة وهرون وزيره وتابعه او لما عرف من رتة موسى وفصاحة
هرون عليه السلام فاراد ان يفحمه فاستدعى كلامه دون كلام هرون
عليه السلام لمكره ودهائه ويشعر بذلك قوله ام انا خير من هذا الذي هو
مهين ولا يكاد يبين فاجاب باشفى جواب وابلغه واحضر لفظا واجمعه
معنى حيث قال قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه اي اعطى كل شي من
الانواع والاعضا صورته وشكله الذي يوافق ما وجه اليه من المنفعة
كشكل الانسان والفرس والعين والاذن او اعطى خليقته كل شي يحتاجون
اليه ويرتفقون به فقدم ثاني المفعولين لان المقصود بيانه وقيل
اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة وقري خلقه على الفعل الماضي
صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ والمفعول الثاني محذوف
اي اعطى كل شي ما يصلحه او ما يخله من عطايه مما يليق به ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق
بما اعطي وكيف يتوصل به الى كماله الصوري والمعنوي طبعا واختيارا ونعته بما معناه
انه الموجد لكل شي على وفق الحكمة المفيض على الكل كل ما ينبغي له ويليق به من
الاسباب والالات الهادي له الى مصالحه واستعمال الاته في تحصيل كمالاته فهو
الخالق القادر الحكيم المنعم على الاطلاق الغني بالذات وجميع ما عداه مخلوق مربوب
منعم عليه مفتقر فلذلك بهت الذي كفر وافحم عن الاعتراض عليه فصرف الكلام عنه
وشرع في سوال اخر على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قاله موسى وما
اجابه به والخبث والمغالطة قال فما بال القرون الاولى ما تقدم وخبط الغفاء
تدل على ان السوال مبني على قول موسى عليه السلام السلام على من اتبع الهدى
وان العذاب على من كذب قال علمها عند ربي ساله عن حال الامم الخالية والامم
البالية من الذين بعد الموت اجاب موسى عليه السلام بانه غيب لا يعلمه الا
الله دل على الحصر معنى الحفظ المستفاد من عبارة عند في كتاب مثبت في
اللوح المحفوظ ولما كان الاثبات في اللوح مظنة الحاجة الى الحفظ في الكتبة
دفعه بقوله لا يضل ربي ولا ينسى ولقد نبه على هذا من قال لا ينسى ما علم
فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملئكة ان معمول الخلق يوافق معلومه ومثل بينته
لهذا قال ويجوز ان يكون تمثيلا لاستحكام علمه وتمكنه بما استحفظه العالم
وقيده بالكتابة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى لا يضل من ضللت الشي اذا
اخطاته في مكانه فلم تهتد له وقري يضل من اضله اذا ضيعه والعرب تقول
لكل ذهب على الانسان مما ليس بحيوان ضله بغير الف فاما اذا كان حيا
تقول اضله بالالف والاصل في الاول ضل عنه ولا ينسى من نسيته اذا ذهب
عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات قيل ويجوز ان يكون

سواله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشيا كلها وتخصيصه كلها بالصور
والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيلها وجزئياتها والقرون الخالية
مع كثرة عددهم وتمادي مددهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم
واحوالهم فيكون مع الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا
يضل ولا ينسى ويرد عليه انه يا باه تخصيص القرون الاولى من بين الكائنات فانه
لو احدها بحكمها لكان اظهر واقوى في مشية ما اراد ٥ الذي جعل لكم الارض ٥
مرفوع صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهو افصح مهدا
اي كالمهد وهو ما يمهد للصبي مصدر سمي به اي مهدها لكم او مهدا يتمهد ونها
وقري مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش لما يفرش وجمع مهد وسلك لكم فيها سبلا
سكك من السلك بمعنى الادخال اي جعل لكم سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها
لحوائجهم وتقلبكم في البلاد لتبلغوا منافعها وانما عيد لكم لان معناه فيما تقدم لانتفاعكم
وهنا لاجلكم فان غير الانسان فلذلك خص بالذكر لا يشاركه في الانتفاع بالطرق
خلاف الانتفاع بتمهيد الارض الان المقصود الاصل انتفاع الانسان فلذلك
خص بالذكر وانزل من السما ما مطرا فاخرجنا به انزاله تعالى واخراجه عبارة عن
ارادة التكون والخروج لاستحالة مزاولة العمل في شانه فالفا للتعقيب
فان ثانية الارادتين لا تتراخى عن الاولى وان تراخى ثاني المرادين عن الاول
فتامل والعدول عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم عن الحكاية لكلام الله تعالى
للتنبيه على انه مطاع تنقاد الاشيا لامره وتذعن لمشيئته وحكم لا يمتنع عليه
مبني التكلم عن الحكاية على ظهور اختصاص القدرة على ذلك بالله تعالى ازواجا
اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان
وصفة لازواجا ولذلك شتى صفة لازواج ويجوز ان يكون صفة للنبات
لانه في الاصل مصدر فاستوى فيه الواحد والجمع يقال شت الامر شتا وشتاتا
وهو شتيت وشت وهم اشتات وشتى فاشتات جمع شت وشتى جمع شتيت ذكره
المرزوقي اي متفرقات في الصور والاعراض بالاختلاف في الطعم والشكل واللون
والنفع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم ولذلك قال كلوا وارعوا انعامكم
ومن حكمته ونعمته على العباد ان ما يفضل من ارزاقهم ولا يصلح لهم يكون علفا
لانعامهم وصيغة الامر للاباحة وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول
اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى اذنين في الانتفاع بها
بان تاكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ان في ذلك في الذكر ذكر لايات دلالات
لاولي النهى لذوي العقول واحدها نهية لانه ينهى عن المطور او ينتهى في الامور
منها من الارض خلقناكم فانها اصل خلقه اول ابائكم او من الاغذية المتولدة من
الارض خلقناكم وفيها نعيدكم بالموت وتفتيت الاجزا ومنها نخرجكم بالبعث
وجمع الاجزا على الصورة السابقة تارة مرة اخرى ولقد اريناه بصرناه اياتنا

او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الافراد المعهودة والمعلومة من بعض الايات
النازلة سابقا والتعريف بالاضافة يجري مجرى التعريف بلام العهد قيل هي
تسع ايات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد
والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل من الايات التي جا بها موسى عليه السلام و
لبني اسرائيل بعد هلاك فرعون ثم ان فلق البحر ليس مما كذب فرعون بعده
فكذب وابى كذبها جميعا لفرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه او الحاث
بغل شامتها قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا مصر بسحرك يا موسى تعلل من
فرط الدهش والحيرة بالسحر والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر على اخراج ذي
سلطان مثله من ارضه وذكره علة المجي وهي اخراجهم والقاها في مسامع قومه
ليصيروا متعصبين له اذ الاخراج من الوطن مما يشق فلناتينك جواب القسم
محذوف بسحر مثله مثل سحرك وورد ذلك على سبيل الشبهة الطاعنة في النبوة
فان المعجز انما يتميز عن السحر بكونه مما تعذر معارضته دون السحر فادعى
القدرة على اتيان مثله ووعد به فاجعل بيننا وبينك موعدا هو مصدر بمعنى
الوعد لان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان ويؤيده قراءة الحسن بنصب يوم
الزينة اي انجاز وعدكم يوم الزينة لا نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على
جواب الامر نحن ولا انت معطوف على الضمير المستكن في نخلفه المؤكد
بنحن ويجوز ان يكون الموعد اسم مكان ويرجع الضمير في نخلفه الى ما تضمنه
من معنى الوعد وعلى التقديرين انما يطابق الجواب السؤال معنى لا لفظا لانه
اخبر عن الموعد بيوم الزينة فلا يطابق المكان والمصدر لكن يوم الزينة
لا بد فيه من مكان معين مشهور بين الناس يجتمعون فيه للتعييد وهو زمان
مستلزم للمكان المعلوم بذكره والمعنى وعدكم وعد يوم الزينة مكانا منصوب
بفعل دل عليه موعدا لا به لانه مصدر موصوف لان في الظرف اتساع
فيكفي في العمل فيه رائحة الفعل وان كانت ضعيفة بل لانه يلزم حينئذ الفصل
بينه وبين معموله بالوصف وهو غير سائغ لان المنصوب بالمصدر من
تتمته ولا يوصف الشي الا بعد تمامه هذا على قراءة الرفع واما على قراءة
الجزم فلا مانع عن النصب بموعد او يجوز ان يكون بدلا من موعدا على تقدير
مضاف اليه اي مكان موعد مكانا وعلى هذا التقدير ايضا يكون المطابقة
معنى سوى منصفا يستوي فيه المسافة الينا واليك وهو في النعت كقولهم
قوم عدا في الشذوذ وقرئ بالضم قال موعدكم يوم الزينة كان لهم في كل
عام يوم كانوا يتزينون فيه ويتخذون فيه سوقا وانما وعدهم ذلك اليوم
ليكون ظهور الحق وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار
فتتوفر الرغبات في دين الحق ويكل حد الباطل وان يحشر الناس اي يجمع
قرئ على بنا الفاعل بالتا على خطاب فرعون والبا والضمير لليوم او لفرعون

والقيمة للعادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم في قوله موعدكم وجعل
يحشر لفرعون ومحله الرفع عطفا على يوم او الجر عطفا على الزينة **ضحى** اخر اليه
ذلك الوقت ليكون ابعد عن الريبة وابين لكشف الحق **فتولى فرعون** فاعرض
عن موسى عليه السلام على هذا الوعد **فجمع كيده** ما يكاد به يعني السحرة والاتهم
ثم اتى الموعد اخبر عن اتيانه مصدرا باداة التراخي وترك الاخبار عن
اتيان موسى عليه السلام اشعارا بانه لا حاجة في اتيانه عليه السلام على
قوة وغلبة انما المساهلة والتراخي في جانب فرعون لانه على ضعف قلب
وفتور عزم **قال لهم موسى ويلكم** وبل كلمة تقال لمن يستحق الهلكة **لا
تفتروا على الله كذبا** بان تدعوا اياته سحرا **فيسحتكم بعذاب** منصوب باضمار
ان وهو جواب للنهي قرئ بكسر الحاء وضم اليا وبفتحهما والسحت لغة
اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ويقال سحته واسحته
اذا استاصله واهلكه وفيه دلالة على عظم الافترا وانه يترتب عليه عذاب
الاستيصال **وقد خاب من افترى** الخيبة انقطاع الرجا بالامتناع على
الطالب عما امل والافترا اختلاق الخبر الباطل بادخاله في جملة الحق واصله
القطع من فراه يفريه فريا **فتنازعوا امرهم بينهم** التنازع محاولة كل
واحد من المختلفين نزع الشي عن صاحبه وامرهم مفعول تنازعوا فتعدى
بمفعول واحد ولو حذفت لتعدى الى اثنين تقول نازعت زيدا الحديث
اي اختلفوا فيما بينهم اي السحرة وقيل فرعون وقومه في امر موسى
حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة **واسروا
النجوى** اي تشاوروا في السر خيفة من فرعون ان يتبين فيهم ضعفا
وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السما فله امر والنجوى يكون
مصدرا واسما ثم لفقوا هذا القول على **قالوا ان هذان لساحران** يعني
موسى وهرون عليهما السلام كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا
فيتبعهما الناس وهذان اسم ان هذا لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا
الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف
وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدا وخبر
ويردهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران
فحذف الضمير ويرد عليه ان المؤكدة باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين
وهو ظاهر ولكنه مخالف للامام وقرئ ان هذان على انها هي المخففة واللام
هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا **يريدان ان يخرجاكم من ارضكم**
بالاستيلا عليها بالاستيلا عليها **بسحرهما** نسبوه الى هرون ايضا لشركته في
امر الدعوة **ويذهبا بطريقتكم المثلى** بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار
مذهبه واعلاء دينه لقوله تعالى اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم

المثلى

المثلى وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم فهو اشارة الى ما قال
موسى عليه السلام ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم
الذين هم قدوة لغيرهم **فاجمعوا كيدكم** بقطع الهمزة من اجمع فاعزموه واجعلوه
مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم كالمسيلة المجمع عليها وقرئ فاجمعوا بهمزة
الوصل من جمع ويعضده قوله فجمع كيده **ثم ائتوا صفا** مصطفين لانه اهيب
في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصى واقبلوا
عليه اقبالة واحدة **وقد افلح اليوم من استعلى** اي ظفر وفاز ببغيته من طلب
العلو في امره وسعى سعيه اعتراض للتحريض والترغيب **قالوا** بعد ما اتوا
يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قد سبق في سورة الاعراف
تفسيره **قال بل القوا** مقابلة ادب بادب مع زيادة وفي الاسعاف اي اما لوا اليه
بالتعريض وتغيير النظم الى صيغة الامر الموجب غالبا مع كلمة الاضراب ليستنفدوا
وسعهم وطوقهم في ابراز مكايد السحر وتابعه فيظهر الله تعالى قدرته
وسلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر
فيمحقه فكانت اية بينة للناظرين وعبرة مقنعة للمعتبرين **فاذا حبالهم
وعصيهم** اذا للمفاجاة وهي لمجرد الظرفية ناصبها فعل المفاجاة ولا يقع
بعدها الا الجملة الاسمية والمفاجاة تمثيل لسرعة التخييل اي ففاجا موسى عليه
السلام وقت تخييل حبالهم وعصيهم او تخييل الله اياه او تخييل السعي اليه على اختلاف
القراات **يخيل اليه** قرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها
تسعى منه بدل اشتمال وقرئ بها وبالبنا للفاعل وايقاعه على انها تسعى بمعنى
انها مخيلة سعيها وبالياء على ان الفاعل هو الله تعالى للابتلاء والمحنة وتخيل بحذف
التاء بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل **من سحرهم** من اجل سحرهم **انها تسعى** انما
قال تخيل لانها لم تكن تسعى حقيقة وانما تحركت لما قيل انهم لطخوا الحبال
بالزيبق وجعلوه في داخل العصي فلما حميت بالشمس طلب الزيبق الصعود فتحركت
العصي والحبال فظن انها تسعى **فاوجس** الايجاس من الهاجس الذي يخطر
بالبال **في نفسه خيفة موسى** فعرض له خوف عظيم من مفاجاة ما فاجا على
مقتضى الجبلة البشرية لا من ان يخالجه شك فلا يتبعوه لان الخوف منه ليس
مما يحتاط في كتمانه فلا يظهر وجه الاطناب بزيادة الاضمار **قلنا لا تخف** ما
توهمت صيغة النهي للتشجيع وتقوية القلب لا للنهي عن الخوف المذكور لانه
ليس امرا اختياريا **انك انت الاعلى** تعليل لما قصد بصيغة النهي وتقرير لغلبته
مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير ولفظ العلو الدال على الغلبة
الظاهرة وصيغة التفضيل ولام التعريف والاعلى لمجرد الزيادة لا بمعنى العالي كقول
الشاعر ، تمنى اناس ان اموت وان امت ، فتلك طريق لست فيها باوحد ،
اي بوحيد لانه لم يكن للسحرة علو حتى يكون هو اعلى منهم **والق** عطف على

محذوف دل عليه سياق الكلام ثبت في مقام الاقدام والق فالواو فصيحة ما
ابهم هنا وعين في سورة الاعراف حيث قال والق عصاك ومن غفل عنه ظن ان
الابهام للتحقير او للتعظيم وانما قال في يمينك ولم يقل في يدك لما في لفظ
اليمين من معنى اليمن والبركة تلقف ما صنعوا اي تبتلع ما زوروه
بقيمها ابتلاعا واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتا المضارعة تحتمل
التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرئ بالرفع على الحال
والاستيناف وبالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته وبالتشديد
القاف انما صنعوا اي الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر بالرفع على ان ما
موصولة والنصب على انها كافة وهو مفعول صنعوا وقرئ سحر بمعنى ذي سحر
او باطلاق السحر على الساحر مبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم
علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس والتنكير للتحقير لا لتنكير المضاف
لان المقصود من تنكيره حاصل بالاضافة ولا يفلح الساحر اي لا فلاح لهذا
الجنس وقال في موضع اخر ولا يفلح الساحرون اي لا يغني جمعهم ولا يه
يجدي كثرتهم وله ايضا وجه حيث اتى بسحر فالقي السحرة اقتصر هاهنا
على حاشيتي القصة اكتفا بما هو المقصود وقد اتى بنوع تفصيل في سورة
الاعراف فالفا فصيحة سجدا سجدوا كانهم القوا لعجب امرهم فقد القوا حبالهم
وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا روسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق
بين الالقائين روي انهم راوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود فرفعوا روسهم
ثم قالوا امنا برب هرون وموسى قدم موسى عليه السلام في الاعراف لاصالته
في الرسالة والدعوة واخره هنا لا لكبر سن هرون عليه السلام لانه لا يعارض
وجه تقديم موسى عليه السلام المناسب للمقام رعايته ولا لان فرعون
ربى موسى عليه السلام في صغره فلو قدم لتوهم ان المراد فرعون وذكر
هرون على الاستتباع لان المقام لا يحتمله كيف وقد سجدوا وانقطعوا لما
راوا من موسى عليه السلام وايضا تقديمه في موضع اخر صريح في انه ليس
في الترتيب نكتة معنوية بل لمحافظة الفاصلة والواو لا توجب الترتيب
قال امنتم له اي بالله لاجله ودعوته وقرئ على الاستفهام للانكار قبل ان اذن لكم
في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم الذي علمكم السحر وانتم تواطاتم على ما
فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف قد سبق تفسيره في سورة الاعراف
ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف
في الظرف فاستعير في تصويره الاستقرار وخص النخل لطول جذوعها والمراد
تشهيره العقوبة ولتعلمن اينا اشد عذابا انا على ايمانكم برب موسى عليه السلام
او على ترك الايمان به وقيل يريد نفسه وموسى عليه السلام لقوله امنتم له
بما جبرته وتمكن باقتداره وقهره وتوهمه واستضعاف موسى عليه
السلام

السلام واستهزاء به لانه لم يكن من التعذيب في شي قط وقيل اللام مع الايمان
في كتاب الله تعالى لغير الله والحق انها للتعليل ليست بصلة للايمان ولا دلالة
في قوله تعالى يومن بالله ويومن للمومنين على ذلك اذ معناه يصدر عنه
الايمان لاجل المومنين وموافقتهم ودعوتهم والا لقيل يومن بالله والمومنين و
وابقى ادوم عذابا او عقابا قالوا لن نوثرك لن نختارك على ما جانا موسى
عليه السلام به من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما
جانا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكمه انما
تقضي هذه الحياة الدنيا نصب على الظرف وقرئ تقضى على البنا للمفعول
ورفع الحيوة كقولهم صيم يوم الجمعة بالاسناد للظرف كالتعليل لما قبله
والتمهيد لما بعده من الاستيناف اي تصنع ما تهواه او تحكم ما تراه في هذه
الحيوة الدنيا السريعة الزوال ونحن نطلب بالايمان الغفران والثواب السرمدي
فهو علينا هين انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا
عليه من السحر من تعلمه روي ان روس السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان
من القبط والسائرون من السبط وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر
وقيل من العمل به في معارضة المعجزة لما روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما
ففعل فوجدوه يحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر لان الساحر اذا نام بطل
سحره فابى ان يعارضوه ويرده قوله تعالى ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغا
لبين فانه ظاهر في الرضى وقوله تعالى قالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
فان الظاهر منه عدم علمهم بشان موسى عليه السلام والله خير وابقى
جزاء وخير ثوابا وابقى عذابا انه ان الامر من يات ربه مجرما بالموت على
الكفر والعصيان فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح بالموت ولا يحيى حيوة
ينتفع بها وهو كالمثل فيما هو من شدة الحال التي يتمنى فيها الموت ومن ياته مومنا
بان مات على ايمانه قد عمل الصالحات في الدنيا بعد الايمان فاولئك لهم الدرجات
العلى جمع العليا اي المنازل الرفيعة واما ايثار الجمع هنا والافراد في مقابله
فللاشارة الى ما ذكر في موضعه من ان كلا من الكفرة يعذب منفردا عن الاخر
زيادة في عذابهم بالم الوحشة وان المومنين يتنعمون على سرر متقابلين
زيادة في لذاتهم بسرور الانس جنات عدن بدل من الدرجات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار
وذلك جزاء من تزكى تطهر من الكفر وادناس الذنوب والايات الثلث
الاخيرة يحتمل ان يكون من كلام السحرة وان يكون ابتدا كلام من الله تعالى
ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي لما اراد الله تعالى اهلاك فرعون
وقومه امر موسى عليه السلام ان يخرج بهم من مصر ليلا وياخذ بهم طريق
البحر يعني فاضرب لهم فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من

ضرب اللبن اذا عمله والاضافة في عبادي للتشريف طريقا في البحر يبسا يابسا
مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كالعدم والعدم ولذلك وصف به
المؤنث فقيل شاة يبس ناقة يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويبسا
بالسكون وهو اما تخفيف يبس او وصف على فعل كصعب وجلد او جمع يابس
كصاحب وصحب وصف به الواحد مبالغة او لتعدده معنى فانه جعل
لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من الضمير في فاضرب اي امنا من
ان يدرككم العدو او صفة ثانية للطريق والعائد محذوف اي لا تخاف
فيه والدرك والدرك اسمان من الادراك وقرئ لا تخف على جواب الامر ولا
تخشى استيناف اي وانت لا تخشى يعني ومن شانك انك لا تخشى او عطف
عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو
والمعنى لا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ير
شد اليه القراءة به اي فادركهم مع جنوده اي كاد ان يلحقهم قال ابن
السكيت يقال اتبعت القوم اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم فهو من المتعدي
الى مفعول واحد لا الى مفعولين كما توهم من قال فاتبعهم فرعون نفسه ومعه
جنوده واما ما قيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم فرعون وجنوده ثم ان فيه ايهام
عدم اتباع فرعون بنفسه فغشيهم الضمير له ولجنوده معا من اليم ما غشيهم
الايهام للتعظيم والمبالغة في التهويل مع الايجاز اي لا يمكن وصفه ولا يعلم كنهه
الا الله وقرئ فغشاهم من التغشية وهي التغطية والفاعل ما غشيهم واضل
فرعون قومه عدل بهم عن سبيل الرشاد وما هدى اي ما هداهم الى الحق
وكان ردا لقوله واهديكم الى سبيل الرشاد وليس هذا من باب التهكم
يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون وقومه على
اضمار قلنا او للذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم امتنانا عليهم
بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وواعدناكم بايتاء الكتاب جانب
الطور وذلك انه تعالى وعد موسى عليه السلام ان يأتي هذا المكان ويختار
سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التورية وانما نسب اليهم المواعدة لانه
كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم
الايمن نصب لانه صفة جانب وقرئ بالجر على الجوار لانه شاذ بل على انه
نعت للطور لما فيه من اليمن ونزلنا عليكم المن والسلوى فيه وقلنا لكم
كلوا اذن لمطلق التصرف وتخصيص الاكل بالذكر لشدة الحاجة اليه من
طيبات حلالات او لذائذ ما رزقناكم ولا تطغوا فيه اي في اكله بالتعدي
الى ما لا يحل لكم والاخلال بشكره او بالتلهي والاسراف والبطر والمنع
من المستحق فيحل بالكسر بمعنى الوجوب من حل الدين اذا وجب اداؤه
وبالضم بمعنى النزول عليكم غضبي عذابي وعقوبتي ولذلك وصف

بالنزول

بالنزول صريحا او كناية ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى سقط سقوطا
لا نهوض بعده اي هلك واصله ان يسقط من جبل ونحوه فيهلك وقيل وقع
في الهاوية واني لغفار لمن تاب عن الكفر وآمن بما يجب التصديق به وعمل
صالحا ثم اهتدى ثم مستعار للتراخي الرتبي لان المراد بالاهتداء الاستقامة
والثبات على الهدى المذكور من التوبة والايمان والعمل الصالح وما اعجلك العجلة
طلب الشيء وتحريه قبل اوانه وهي من مقتضى الشهوات فلذلك صارت مذمومة في
عامة القرآن حتى قيل العجلة من عمل الشيطان عن قومك يا موسى اي اي شيء
عجلك عنهم وذلك ان موسى عليه السلام قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد
المضروب فلما دنا منه تقدمهم شوقا الى مكالمة ربه وتنجز موعده بناء على
اجتهاده وظنه انه اقرب الى رضى الله تعالى فالقوم الذين تعجل عنهم هم النقبا
والمفتونون هم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام وهو سؤال عن سبب العجلة
عن قومه على سبيل الانكار لانها في نفسها منقصة لاهمال القوم وايهام
التعظم عليهم فلذلك اجاب عن الامرين وقدم جواب الامر الثاني الذي هو
اغفال القوم بما فيه بسط العذر وتمهيد العلة لانه اهم هنا ما قالوا
وعندي ان تعديته بعن لتضمين معنى الانقطاع والانفصال كانه
قيل ما الحامل على انفصالك من قومك مستعجلا فكان اصل السؤال في المعنى عن
الانفصال عن قومه وان كان في اللفظ عن العجلة فقدم جوابه اعتبارا للمعنى
كما هو الاصل قال هم اولاء على اثري اي على خلفي ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة
لا يعتد بها عادة وقرئ بالكسر وبالفتح والاثر بالضم بمعنى الاثر غريب ومعنى
فرند السيف مروي وجاز ان يكون مجازا منه وعجلت اليك رب لترضى فان
المسارعة الى امتثال الامر تستوجب الرضى يعني ان العجلة وان كانت مذمومة
فالذي دعاني اليها وهو طلب الرضى منك محمود قال فانا قد فتنا ابتلينا
قومك يعني بعبادة العجل من بعدك من بعد خروجك من بينهم ففي زيادة
تعيين ان المراد من هذا القول غير المراد من الاول فانها للترتيب مدخولها
على مدلولها ما تقدم من بيان زيادة حرصه عليه السلام على المناجاة وكمال
شوقه للمكالمة مع ربه وما يلزمها من الغفلة عن حال قومه فكانه قال
لا تشتغل بما كنت فيه ولا تغفل عما وراك فانا قد فتناهم واضلهم السامري
بدعايه اياهم الى عبادة العجل بعد ذهاب موسى الى الميقات وقد مر التفصيل
في سورة الاعراف وهو منسوب الى قبيلة بني اسرائيل يقال لها السامرة
وقيل غير ذلك وقرئ اضلهم اي اشدهم ضلالا لانه كان ضالا مضلا فرجع موسى
بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية الى قومه غضبان عليهم اسفا حزينا
بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم الله ان يعطيهم التوراة
التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك افطال عليكم العهد اي ان اخر

الموعود فطال عليكم الزمان يعني زمان مفارقتي لهم ام اردتم ان يحل يجب
عليكم غضب من ربكم اي اردتم ان تفعلوا فعلا يستوجب الغضب فاخلفتم
موعدي وعدوه ان يثبتوا على امره وما تركهم عليه من الثبات على الايمان
فاخلفوا موعده باتخاذ العجل قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا
امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفنا ه ولكنا غلبنا من جهة
السامري وكيده وقرئ بالفتح وبالضم والكل في الاصل لغات من ملكت الشيء
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اثقالا من حلي القبط واراد بالاوزار
انها اثام وتبعات لانهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة ان لنا
عيدا غدا فقال السامري انما حبس عليه السلام لشؤم حرمتها لانهم كانوا
معهم في حكم المستامنين في دار الحرب على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها
فخبا السامري في صنعة النار قالب عجل فانصاغت عجلا فقذفناها في نار
السامري الذي اوقدوها في الحفرة وامرهم ان يطرحوا فيها الحلي فكذلك
القى السامري اي ما معه من الحلي في النار او ما معه من التراب الذي اخذه
من اثر حافر فرس جبرائيل عليه السلام وبعض هذا العدول عن القذف
المعتبر في مفهومه صلابة المرمي والبعد والكاف تتعلق بالقى اي مثل ما
قذفناها القى السامري فهو صفة مصدر محذوف تقديره القى القاء مثل القائنا
فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله تعالى من الحلي التي سبكتها النار
ابتلاء بيانا لم خلق الله تعالى العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل
وضلالا لان الله تعالى تعبدنا بالبحث عن علل احكامه لا عن علل افعاله ومن
ذلك يقول له لا يسئل عما يفعل جسدا بدل من عجلا للتنبيه على انه لم يكن ذا
روح كان الخوار من شانه فلا يجدي توصيفه به كما لا يجدي توصيف الانسان
بالضاحك فقالوا اي السامري ومن تابعه وافتتن به اول مرة هذا الهكم
واله موسى فنسي اي فنسيه موسى هنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري
اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اي انه
لا يرجع اليهم قولا فان مخففة من الثقيلة وقرئ بالنصب على انها الناصبة
للفعل وفعل الروية حينئذ من روية البصر على المبالغة في ظهور ما ذكر
بتنزيله منزلة المبصر ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اي لا يقدر على اضرارهم
ولا على انفاعهم ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع موسى عليه
السلام وقيل من قبل قول السامري كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلعوا
من الحفرة افتتنوا به فبادرهم هرون بالتحذير قبل ان ينطق السامري فقال
يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا امري
في الثبات على دين الحق وبابائه قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته
عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى فان الظاهر من هذا الجواب ان يكون

المراد من قبل رجوعه عليه السلام قال يا هرون اي قال له موسى عليه السلام لما
رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعني اي تتبعني في الغضب
لله ولشدة الزجر عن الكفر والمعاصي والمقاتلة مع من كفر بهم او ان تلحق
بي مع من اطاعك ولا مزيدة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد ويجوز ان تكون ما
صرفك الى ان لا تتبعني اي دعاك اليه افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة
عليه عامة ثم اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه لان
الغيرة في الله تعالى ملكته قال يا ابن ام كان اخاه لابيه وامه عند الجمهور ولكنه
ذكر الام استعطافا وترقيقا لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعرها ثم ذكر
عذره ولما كان النهي المذكور متضمنا لدعوى عدم العصيان والاستحقاق بموجبه
اورد العذر في صورة التعليل فقال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب ولم تحفظ قولي اخلفني في قومي
واصلح لان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك
الامر برايك ثم اقبل على السامري وقال له منكرا عليه فما خطبك سؤال الفتنة
فلذلك اجاب بيانها ولو كان السؤال عن مطلوبه لما انتظم الجواب والفاء للترتيب
مدخوله على مدلول ما تقدم من ظهور ان غرض هرون عليه السلام مما فعله
كان اصلاحا فكانه قال علم خطب هذا فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم
يبصروا به وقرئ بالتاء على الخطاب اي علمت ما لم تعلموه وهو ان الرسول
الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان
جبرائيل عليه السلام جاءك على فرس الحيوة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته
خوفا من فرعون وكان جبرائيل عليه السلام يغذوه حتى يستقل وكان يرى منه
ذلك فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه وقرا ابن مسعود رضي
الله عنه من اثر فرس الرسول ولعله سماه الرسول لانه لم يعرف انه جبرائيل او
اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور والقبضة
المرة من القبض واطلق على المقبوض وقرئ قبضة بالضم وهو اسم المقبوض وقرئ
فقبصت بالصاد المهملة والاول الاخذ بجميع الكف والثاني الاخذ باطراف الاصابع
فنبذتها في الحلي المذابة او في جوف العجل فظهر فيه اثر الحيوة والنبذ طرح
الشيء عن اليد خاصة وكذلك سولت زينت لي نفسي ان افعله ففعلته اتباعا
لهواي وهو اعتراف منه بالخطا قال له موسى فاذهب من بيننا طريدا
فان لك عقوبة على فعلك لا مساس اي لا يمسني احد ولا امسه وذلك
ان الله منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته وكل
ما يتعاون به الناس بعضهم بعضا واذا ماس احدا حم الماس والممسوس
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش من
الوحش النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الاخرة

لن تخلفه لن يخلف الله موعده بنجزه لك في الاخرة بعد ما عاقبك بذلك
في الدنيا لن تخلفه بكسر اللام من اخلفت الوعد اذا وعدته خلفا وقرئ بالنون
على حكاية قول الله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت اصله ظللت فحذف اللام
الاولى تخفيفا عليه اي على عبادته عاكفا مقيما لنحرقنه بالنار ويدل عليه
قراءة لنحرقنه من الاحراق وقرئ بالتخفيف اي لنبردنه بالمبرد وهو طريق
حرقه بالنار فانها لا تعمل في الذهب بالتفريق الا بهذا الطريق ثم لننسفنه
لنذرينه رمادا من نسف الطعام اذا ذراه ليطير منه قشوره في اليم
نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود اظهار عبادة المفتونين به انما الهكم
المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في خواص
الالوهية وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما من شانه ان يعلم وقرئ وسع
بالتشديد فصار علما احد مفعوليه وذلك ان وسع يتعدى الى مفعول
واحد وهو كل شيء وعلما نصب على التمييز فهو في المعنى فاعل فلما نقل تعدى
الى المفعولين فصار ما كان فاعلا مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص
العجيب اي اقتصاص قصة موسى وفرعون والسامري والكاف في محل النصب
على المصدر نقص عليك من انباء ما قد سبق من الامم السالفة واحوالهم
والنبا الخبر العجيب الشان تكثيرا للمعجزات وتذكيرا للمستبصرين وقد اتيناك
من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه القصص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتنا
والتنكير فيه للتعظيم وتقديم من لدنا للتخصيص اي ذكرا لا يمكن ان يوتى الا
من عندنا وهو منكر للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا جليلا من بين الناس ولا
يساعده قوله من اعرض عنه عن هذا الذكر الذي هو القران الجامع لوجوه السعادة
فانه يحمل يوم القيامة وزرا عقوبة ثقيلة شبه العقوبة الثقيلة على
المعاقب بالحمل الفادح للحامل لصعوبة احتمالها وكونها تنقض ظهره او يسمى
جزاء الوزر وهو الاثم وزرا خالدين حال من الضمير في يحمل وانما جمع حملا على المعنى
ووحد في فانه حملا على لفظ من فيه في الوزر او في حمله وساء لهم يوم القيمة
حملا ساء في حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام في لهم للبيان
كما في هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره
وساء حملا وزرهم يوم ينفخ قرئ بالنون على اسناد النفخ الى الامر تعظيما له
او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله تعالى او ضمير اسرافيل
عليه السلام وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك في الصور وقرئ في الصور
وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اي عميا كما قال ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم عميا وهذا لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق
وقيل ازرقت عيونهم من شدة العطش وقيل اي تشوه خلقتهم فتسود وجوههم
وتزرق عيونهم يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم واخفاوه ان لبثتم اي في

الدنيا

الدنيا الا عشرا لا حاجة الى التاويل في عشرا لما نقل عن ائمة اللغة انه اذا كان المعدود
مذكرا وحذفته فلك فيه وجهان يستقصرون مدة لبثهم فيها اما لتقضيها لان
المتقضي وان طال قصير لانتهائه واما لاستطالتهم مدة الاخرة فان الابد السرمد
يستقصر مدة الدنيا ويستحقر لبث اهلها فيها بالنسبة اليه ولهذا استرجح قول
من هو اشد تقالا واستحقارا بهم وقيل في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم افضلهم طريقة سيرة
او اسدهم رايا ان لبثتم الا يوما وجه رجحانه انه ابلغ في الطريقة لمدة كونه انقا ويسالونك
عن الجبال اي عن مال امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف بعد النزول فقل ذكر هنا
الفا في الجواب ولم يذكر في ساير السؤالات ويسالونك عن المحيض قل اذى وعن اليتامى
قل اصلاح لهم خير وعن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير وعن الساعة ايان مرساها قل انما
علمها وعن الروح قل الروح وعن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم لان الجواب فيها عن
السؤالات الواقعة قبل النزول وههنا عن سؤال علم الله تعالى وقوعه واخبر عنه ولم
يقع بعد ولذلك اجاب بالفا الفصيحة فكان المعنى اذا سالوك فقل ينسفها ربي
نسفا قال الخليل يقلعها فيذرها فيتركها والضمير للارض للعلم بها كقوله ما ترك على
ظهرها من دابة ولو كان المعنى كما قالوا يجعلها كالرمل ثم يرسل الرياح عليها فيفرقها
ويذريها كما يذري الحب لكان الحق يدرها ان يصدر بالواو الفصيحة قاعا
صفصفا القاع الارض المستوي والصفصف الارض الملسا فقوله لا ترى فيها
عوجا موكد للاول وقوله ولا امتا موكد للثاني فان الامت النتو اليسير والاختصاص
للعوج بالكسر بالمعاني قال ابن السكيت وكل ما ينتصب كالحائط والعود قيل عوج به
بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش يومئذ ظرف ليتبعون
مضاف الى وقت النسف اي يوم اذ نسفت او بدل ثان من يوم القيامة يتبعون
الداعي داعي الله تعالى الى المحشر وقيل هو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس قائما
على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له في مدعوه اي
لا عوج له مدعو ولا يعدل عنه بل يستوون اليه من غير انحراف عن سمت صوته
وخشعت الاصوات للرحمن هيبة واجلالا والخشوع كالخضوع من صفات
النفس الا ان مظهر الاول منهما الصوت ومظهر الثاني العنق فيسند كل منهما الى
مظهره فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها
اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن من مرفوع المحل بدل من الشفاعة على تقدير حذف المضاف
اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن وتنفع على هذا من جملة الا
فعال التي جعل فاعلها نسيا منسيا واجريت مجرى الفعل اللازم للمبالغة في
التعميم كقولهم فلان يعطي ويمنع او منصوب المحل على المفعولية والاستثناء
مفرغ ومعنى اذن له على هذا اذن لاجله اي اذن للشافع واذن يحتمل ان يكون

من الاذن ومن الاذن بفتح الهمزة ورضي له قوله اي ورضي لمكانه عند الله
في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شانه او قوله لاجله وفي شانه
يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما يستقبلونه او على
العكس ولا يحيطون به علما الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما وعنت الوجوه
للحي القيوم ذلت وخضعت وخص الوجوه لان اثار الذل انما يظهر اولا فيها
وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يكون التعريف باللام بدلا عن التعريف
بالاضافة فدل على ان المراد وجوه المجرمين ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما
يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم وللاعتراض ولا
يابا كونه في مقابلة قوله وهو مؤمن لان التقابل المعنوي كاف فان
الاعتراض كالاستيناف لا يتقاعد عن الحال ومن يعمل من الصالحات بعض
الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط قبول لها فلا يخاف وقرئ فلا يخف على
النهي ظلما منع ثواب يستحق بالوعد والظلم ان يؤخذ من صاحبه فوق حقه
ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم
يهضم حقه وكذلك انزلناه قرانا عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك
الانزال من انباء الاولين او مثل انزال هذه الايات المتضمنة للوعيد انزالا عظيما
انزلنا القران كله عربيا بلسان العرب وصرفنا فيه من الوعيد كررنا
القول فيه من انواع الوعيد صارفين له من نوع الى اخر لعلهم يتقون
لكي يتقوا المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا
اسند التقوى اليهم واحداثا للتذكر والاتعاظ الى القران مع كلمة الترجي بعد
ذكر تصريف الوعيد في القران لان التكرار يفيد ملكة التقوى لهم غالبا فيكونون
في صورة المرجو المترجح فيه عادة التقوى والا فلا اقل من احداث العظة
فيهم حين سماعه فيتثبطون عنها فتعالى الله ارتفع عن فنون الظنون
عنها واوهام الافهام وتنزه عن مضاهات الانام ومشابهة الاجسام فلا يماثل
كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذواتهم استعظام له تعالى ولما نزل وصرف على
عباده من الوعيد الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده
ويخشى وعيده الحق العدل في حكمه وملكوته او المستحق للملك بذاته او
الثابت في ذاته وصفاته ولما ذكر القران وانزاله قال استطرادا ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي
اي تان فيه ريثما يسمعك جبريل عليه السلام ويفهمك ثم ابدأ بالتحفظ
لقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل لا تبلغ ما كان مجملا حتى ياتيك بيانه
وقل رب زدني علما واسال الله تعالى زيادة العلم بدل الاستعجال فانما اوحي اليك
تناله لا محالة ولقد عهدنا الى ادم يقال عزم عليه وعهد اليه اذا امره واوحى
اليه عطف قصة ادم عليه السلام على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة

علي

على ان اساس امر بني ادم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان فلهم مزيد
حاجة الى تكرار الوعيد وصرفه واللام جواب قسم محذوف من قبل من قبل هذا
الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه واغتر بقول الشيطان او تركه ما
وصي به اليه من الاحتراز عن الشجرة وقرئ فنسي مشددا مبنيا للمفعول اي
نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم راي وثباتا على ما عهد اليه اذ لو كان
ذا عزيمة وجد لم يزله الشيطان ولم يغره بقوله والوجود ان كان
بمعنى العلم فمفعولاه له عزما وان كان بمعنى المصادفة فعزما مفعوله وله
متعلق به او حال واذ قلنا اي اذكر وقت قولنا للملئكة اسجدوا لادم وابا
ابليس وتحذيرنا اياه من كيده حتى يتبين لك انه نسي ولم يكن ذا عزيمة وثبات
ومن هنا تبين ان ما قيل ان المعنى ولم نجد له عزما على الذنب لانه اخطا
ولم يتعمد لا يناسب مساق الكلام فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه
ابى جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل كانه قيل لم يسجد فقيل ابى اي
اظهر الاباء وتثبط ويرشدك الى هنا ما في سورة ص من قوله استكبر بدل ابى
فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك اعاد الجار للدلالة على ان عداوته
لها ايضا اصالة لا تبعا لزوجها فلا يخرجنكما من الجنة نهي عن كونهما بحيث يؤثر
فيهما وسوسة الشيطان ويتسبب لاخراجهما فهو مبالغة في النهي عن قبولها
مع الاشعار بعلة النهي فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في
الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها لانه القيم عليها والمحافظ لها
مع الايجاز والمراعاة مع الفاصلة ويجوز ان يكون المراد بالشقاء التعب
في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجل وحده ويعضده قوله ان لك الا
تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له
في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة
والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ينقطع ويزول
بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذور عنها وانما عدل عن الاصل
المالوف في الذكر الى المنزل تنبيها على ان الاولين اصلان وان الاخرين متممان
على الترتيب فالامتنان على هذا الوجه اظهر ولهذا فرق بين القرينين فقيل
او لا ان لكونه نبا لك وقرئ انك بالفتح عطفا على ان لا تجوع وان لم يجز دخول
ان على ان لان الواو ليس حكمها حكم ان لانها نائبة عن كل عامل لا عن خصوص ان
للتعليل بامتناع توارد حرفين يعملان عملا واحدا ولذلك لم توضع للتحقيق
خاصة لتعلل بامتناع حرفين لمعنى واحد على انها وان كانت نائبة الا
انها ليست في قوة المنوب عنه فلذلك عومل نحوها ما لا يعامل معه كقولك
ليس زيد قائما ولا قاعدا ولا يجوز ان تقول ليس لا قاعدا فوسوس اليه
الشيطان اي فوسوس منهيا اليه وسوسة قال يا ادم هل ادلك على

شجرة الخلد اضافها الى الخلد وهو الخلود موهما ان كل من اكل منها خلد فهو سبب
الخلود بزعمه وملك لا يبلى لا يخلق ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سوءاتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد سبق القول فيه وعصى
العصيان وقوع الفعل او الترك على خلاف الامر او النهي وقد يكون عمدا فيكون
ذنبا وقد يكون خطا فيكون زلة ادم ربه بعد الانتهاء بالنهي فغوى عن
الرشد حيث اغتر بقول العدو او عن المطلوب وهو الخلد والملك الباقي وفي النعي
عليه بالعصيان مع صغر زلته تعظيم لها وتشديد عليه في العتاب وتغليظ لعلو
مرتبته وعدم مناسبة الزلة لمقامه وزجر بليغ وموعظة كافة لاولاده
ثم اجتباه ربه اصطفاه بالتوفيق للتوبة والقبول بعدها والتقريب من جي
اليكنا فاجتبيت ونحوه جليت على العروس فاجتليتها فاصل الكلمة الجمع فتاب عليه
فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة قال اهبطا منها جميعا
الخطاب لادم وحوا اوله ولابليس لانه قد خرج منها قبل هذا القول فانه رجيم
بعضكم لبعض عدو قد سبق القول فيه فاما ياتينكم مني هدى من الكتاب
والرسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض
عن ذكري عن الهدى الذاكر لي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف
به ولذلك يستوي فيه المذكر والمونث وقرى ضنكى كسكرى وذلك ان المعرض عن ذكره
حريص على الدنيا منهمك عليها لا يزال همه مصروفا الى الازدياد منها يجمع
ويمنع ويطمع على ما في ايدي الناس فيطمع ويغلب عليه الشح فيضيق
عيشه بخلاف الذاكر المتوجه اليه التابع للهدى المتوكل عليه في امره فانه يعلم
ان رزقه علي فيسمح بما في يده وينفق فيعيش عيشا رافها كما قال تعالى
فلنحيينه حيوة طيبة على انه تعالى قد يضيق بشوم الكفر ويوسع ببركة
الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله
ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السما والارض ونحشره وقرى بالجزم عطفا على
محل فان له معيشة فانه جواب للشرط يوم القيمة اعمى عن ابن عباس
رضي الله عنهما اعمى البصر وهو كقوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على
وجوههم عميا وهو الوجه المناسب للسوال قال رب لم حشرتني اعمى
وقد كنت بصيرا في الدنيا قال كذلك اي مثل ذلك فعلت انت والكاف
مقحم انحاما كالازم لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم ثم فسر فقال
اتتك اياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور
وكذلك مثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك
نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الايات ولم يومن
بايات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الاخرة اشد وابقى اي وللحشر

على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او وللتركنا اياه في العمى ابدا
اشد وابقى من تركه لاياتنا افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا
قبلهم من القرون اي اهلكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق
يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم كنايه عن مشاهدتهم
اثار هلاكهم ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل
والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك الكلمة السابقة بتاخير عذاب هذه الامة الى
الاخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود من عذاب الدنيا لازما لهولاء
الكفرة واللزام مصدر وصف به واما فعال بمعنى مفعل اسم الة للزوم
سمي به اللازم لفرط لزومه واجل مسمى عطف على كلمة او على المستكن في
كان وهو ضمير ذلك المشار به الى الاهلاك اي ولولا قضا سابق ووعد بتاخير
عذاب هذه الامة الى يوم القيمة او يوم بدر واجل مسمى لاعمارهم لكان الى
اخره والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب او ولولا هذه
العدة لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود
ولم يتفرد الاجل المسمى عن الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون الفا للسببية
جزا الشرط مقدر اي اذا لم نعذبهم ولم نهلكهم لما ذكرنا فاصبر وسبح تقييد
للتسبيح بالاوقات المخصوصة قرينة لكونه مجازا بمعنى الصلوة والا
فلا وجه للتخصيص بها وقوله بحمد ربك حال اي وصل انت حامدا لربك على
هدايته وتوفيقه قبل طلوع الشمس اي الفجر وقبل غروبها اي الظهر والعصر
لانهما في النصف الاخير من النهار ومن اناء الليل ومن ساعاته جمع اني
بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد فسبح اي المغرب والعشا وصلوة التهجد
وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل لان الميل فيه الى الاستراحة
اقوى فكانت العبادة فيه على النفس اشد واشق فكان الثواب اكثر ولان
القلب فيه اجمع والفراغ الى الله تعالى والخلوة به ايسر واكثر ولهذا قال الله
تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي
الصبح والمغرب لمزيتهما مختصا لها بصلاتك وفي جمع الاطراف مجاز ونية الابتغا
مع الامن من الالتباس لعلك ترضى اي سبح في هذه الاوقات طمعا ورجا
ان تنال عند الله ما ترضى اي سبح في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال
عند الله ما ترضى به نفسك وقرى بالبنا للمفعول اي يرضيك ربك ولا
تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به مد النظر تطويله وان يديمه مستمرا
بحيث لا يكاد يرده استحسانا للمنظور وتمنيا ان يكون للناظر ازواجا اصنافا
منهم من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير في به والمفعول منهم اي الى
الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا الزهرة
الزينة والبهجة وقرى بفتح الها وهي لغة فيها كالجهرة في الجهرة او جمع

زاهر كالجبرة في جمع جاهر نصب على الذم وعلى الاختصاص اي اعني او اخص وعلى
المفعول الثاني لما دل عليه متعنا او على تضمينه معنى اعطينا او انما نصبه
على البدل من محل الجار والمجرور اي به او من ازواجا على تقدير مضاف اي ذوي
زهرة فضعيف لانه لا يقال مررت بزيد اخاك ولان الابدال من الضمير
العائد الى الموصول ونحوه مما اختلف في جوازه وعلى قراءة الفتح نعت على انه
جمع زاهر وجاز ان يكون حالا او الاضافة لفظية لان الاصل زاهرين الحيوة
الدنيا وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون
الزهاد لنفتنهم لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك
ما ادخر لك في الاخرة او ما رزقك من الهدى خير مما متعناهم به في الدنيا
وابقى لانه لا ينقطع ابدا وامر اهلك بالصلوة امره بان يامر اهل بيته او
التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها وبالصبر ليتوافقوا في نفس
الاستعانة على خصاصتهم بها لقوله تعالى استعينوا بالصبر والصلوة ولا تهتموا
بامر الرزق والمعاش ولا تلتفتوا الى ارباب الثروة والرياش واصطبر عليها
وداوم عليها لا نسالك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق نفسك نحن نرزقك
فتفرغ بالك لامر الاخرة لان من كان في عمل الله كان الله في عمله والحكم في الموضعين
عام في صورة الخطاب الخاص والعاقبة المحمودة للتقوى مخصوصة لها ويلزم
هذا ان يكون حسن العاقبة لاهلها خاصة فلا حاجة الى التقدير وقالوا لولا
ياتينا باية من ربه هلا ياتينا محمد باية دالة على صحة نبوته بناء على
عادتهم في اقتراح الايات وانكار ما جاء به منها وعدم الاعتداد بها تعنتا
وعنادا وتنكيرا بانه يابى عن حمله على اية معهودة اقترحوها فالزمهم بالقران
الذي هو اخر المعجزات واعظمها حيث قال اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى
وذلك انه برهان ما في جميع الكتب المنزلة من حيث انه معجز بلفظه دونها
فهو بالنسبة اليها حجة على صحتها لاشتماله على ما فيها وتصديقه اياها
مع اعجازه ولما كان برهانا على ما فيها كان برهانا على صحة نبوته للدلالة على انه
مختص بنوع من العلم اعلى قدرا واشرف من جميع العلوم وهو خلاصة ما في
الكتب الالهية من العقائد والاحكام مع كونه اميا لم يتعلم شيئا وبنوع من
تركيب الكلام لم يكن احد يعارضه في الفصاحة والبلاغة عند التحدي
به ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد عليه السلام او من قبل البينة
وتذكير الضمير لانها في معنى البرهان والدليل او من قبل اتيانها او اتيانه به
لقالوا ربنا لولا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل
بالقتل والسبي والجزية في الدنيا ونخزى بالعذاب ودخول النار في الاخرة
قل كل كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم في العاقبة
فتربصوا فانتظروا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي

المستقيم وقرئ السواء اي الوسط والسوى والسوء اي الشر والسوي وهو تصغيره
ومن اهتدى الى النعيم المقيم ومن في الموضعين للاستفهام ومحل الاولى الرفع
بالابتداء والثانية عطف عليها عطف الجملة على الجملة ويجوز ان تكون الثانية
موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية
المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على
ان المراد به النبي عليه السلام

سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم اي دنا وقت اظهار ما للعبد وما عليه ليجازى بهما
والحساب اخراج الكمية من مبلغ العدة والاقتراب بالنسبة الى ما مضى او عند
الله اذ لا نسبة للكائنات بالقرب والبعد اليه تعالى او لان مبداه الموت او هو
كناية عن ظهور بعض اماراته وتباشيره وهم في غفلة تنكيرها للتعظيم اي وهم
مستغرقون في غفلة عظيمة لا يعرف كنهها وهذا من قبيل نسبة فعل الاكثر الى الكل فلا
ينافي كون تعريف الناس للجنس كقوله ويقول الانسان اءذا ما مت الاية
واللام صلة لاقترب او تاكيد لاضافة الحساب اليهم كما في قولهم لا اباك والاصل
اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم ونحوه
في التاكيد تكرير الظرف كقولهم فيك زيد راغب فيك معرضون عن اسباب
التنبه كما كرر عليهم التنبيه وجدد لهم التذكير وقرعت لهم العصا واحدث لهم ذكر
من الايات التي تتلى وقتا بعد وقت اما تنبهوا او احد من تلك الاذكار ودوامه
استيقظوا من نوم من تكرر المراد الا استمعوه مستسخرين لاهين يلعبون فيه
فقوله ما ياتيهم من ذكر تقرير لتماديهم في الاعراض والغفلة بان الله تعالى
يجدد لهم الذكر ويكرر على اسماعهم الوعظ ليتعظوا فما يزيدهم استماع ذلك
الا لعبا واستخسارا وتلهيا راسخا في قلوبهم وجدا وعزيمة في اللهو يعني
انهم وان فطنوا فانهم في قلة جدوى فطنتهم وتمادي ذهولهم وغفلتهم عن
التامل والتبصر كان الذهول مركوز في قلوبهم لا فطنة لهم اصلا فقوله في
غفلة معرضون خبران او الظرف حال من المستكن في معرضون من ربهم صفة
لذكر او صلة لياتيهم محدث لم يرد به حدوث نفسه بمعنى مسبوقيته
بالعدم وان كان صحيحا لان الكلام اللفظي حادث عند الجمهور ولا حدوث
تنزيله كما زعمه الحنابلة المنكرون حدوثه لان كلا منهما لا يناسب المقام
ولا يلايم مساق الكلام بل المراد تجدد الذكر وقتا بعد وقت لما عرفت انه
اشد تاثيرا في التذكير وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون
حال عن الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء
والتلهي فهما حالان مترادفان وهي من لهيت عن الشيء لهيا ولهيانا اذا
سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه وبعدي بعن ومن عند الاصمعي

وهو في الحديث من باب علم اي من لهي عنه بلهى اذا ذهل وغفل ويجوز ان يكون
حالا من واو يلعبون فالحالان متداخلان وقريب بالرفع على انه خبر اخر فالحال
واحدة وفي قوله **واسروا النجوى** مبالغة لان النجوى لا يكون الا خفية
اي بالغوا في اخفائها **الذين ظلموا** بدل من واو اسروا وفايدته الايذان
بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او منصوب على الذم او مرفوع
بالابتداء خبره اسروا النجوى قدم عليه وفايدة التقديم الاهتمام ببيان اسرارهم
النجوى بالتسجيل عليه بانه ظلم لان الاصل وهم اسروا النجوى فوضع المظهر موضع
المضمر وقدم الاسرار ليفهم منه ان الاسرار هو الظلم ثم بين ان النجوى ما هو
بقوله **هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون** ليتمكن في انفس
السامعين بالابهام والتبيين ويتحقق عندهم ان ذلك نحو الظلم الفاحش
بالدليل الواضح لتسميتهم المعجز سحرا مبينا وادعائهم ان كونه سحرا
مشاهد بين واعتقادهم ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان من ادعى الرسالة
من البشر فهو ساحر وانكارهم ان يحضروا السحر الذي لا شك فيه وانما اسروا
تشاوروا في استنباط ما يهدم امره ويظهر للناس فساده تثبيطا عنه
وعادة المتشاورين الكتمان وما ذكر كله في محل النصب بدلا من النجوى او
مفعولا لقالوا مضمرا **قل** وقرى قال اخبارا عن الرسول وحكاية لقوله
ربي يعلم القول في السما والارض هو اكد من قوله يعلم السر لانه عام يشمل
السر والجهر كانه قال يعلم السر كله وغيره كما ان قوله يعلم السر اكد من قوله يعلم
سرهم لعمومه فعم ولم يقل في مقابلة اسروا النجوى يعلم السر ليؤكد بالطريق البرهاني
ثم قرر ذلك وبين بقوله **وهو السميع العليم** اي مطلقا دون غيره فكيف
يخفى عليه ما يسترون **بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر** بل الاولى
اضراب عن تجاوزهم في شان الرسول عليه السلام وما ظهر عليه من الايات
الى تقاولهم في امر القران والثانية لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه
وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقا نفسه والثالثة لاضرابهم
منه الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معان لا حقيقة لها ويرغبه فيها
ثم انهم تفننوا في مدارج الاضراب واعتبروا في كل نحو منه نوعا من الاعتبار
اللطيف فبل اضربوا عن قولهم هو سحر الى قوله اضغاث احلام اي تخاليط رؤيا
ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر على عادة كل مسطر في اللجاجة والتزلزل
في التحير والعلقة وذكر بيانه على فساد قولهم وبطلانه ولا يذهب عليك ان
حق النظم حينئذ قالوا بلى لا بل قالوا واما ما قيل يجوز ان يكون الكل من الله تعالى
تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفتري لانه مشحون
بالحقائق والحكم ليس فيه ما يناسب قول الشعرا وهو من كونه احلاما لانه
مشتمل على مغيبات طابقت الواقع والمفتري لا يكون كذلك بخلاف الاحلام

وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فبناه على ان يكون
بين الشعر والحكمة بون بعيد وعلى ان يكون السحر كالمعجزة من خوارق
العادات ولا صحة لواحد منهما اما الاول فظاهر وكان هذا القايل غافل عن قوله
عليه السلام ان من الشعر لحكمة واما الثاني فلان الحق ان السحر اما تمويه لا حقيقة له
او ترتيب الاسباب حقيقة وعلى كل التقديرين ليس فيه شي من خرق العادة
فليأتنا باية بمعجزة عظيمة وصحة التشبيه في قوله **كما ارسل الاولون** من حيث
انه في معنى كما اتى الاولون بالايات العظيمة كاليد والعصا واحيا الموتى وابراء
الاكمه لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بها ههنا اذا كانت ما مصدرية واما
اذا كانت موصولة والمعنى كالتي ارسل بها الاولون فالتشبيه على ظاهره
ما امنت قبلهم من قرية اراد بالقرية اهلها فالايجاز من جهة المجاز لا من جهة
الحذف ولذلك قال في التوصيف **اهلكناها** دون اهلكناهم يريدون اهلاكهم
عند انكارهم ما اقترحوا من الايات لما جاءتهم **افهم يؤمنون** عند اتيانها
وفي بلا الهمزة فا التعقيب انكارا لايمانهم بعد مالم يومن اولئك لان هولا اعتى
منهم واشد عنادا وتعنتا فلو اتوا بما يقترحون لكانوا اعصى منهم
واشد عتوا وتنبيه على ان عدم الاتيان بما اقترحوا ابقا عليهم اذ لو اتوا
به لم يومنوا واستوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم **وما ارسلنا قبلك**
الا رجالا نوحي اليهم جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فان شككتم فيه
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون انما امرهم بذلك ليخبروهم ان الرسل كانوا
بشرا ولم يكونوا ملائكة والمراد من اهل الذكر اهل الكتاب وانما احالهم اليهم للالزام
فانهم كانوا يشاورونهم في امر الرسول والرد عليه ويثقون بقولهم وبهذا التقرير
تبين ما في تحرير القاضي من التقصير والخلل فتامل اعلما الاخبار والاحالة اليهم لان
اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وتمام الكلام في هذا المقام قد
سبق تفسيره في سورة النحل **وما جعلناهم** اي ما جعلنا كل واحد منهم كقوله ثم
نخرجكم طفلا **جسدا** الجسد جسم الحيوان مخصوص به كالبدن بخلاف الجسم
والجرم وهو عبارة عن روح وجسد والروح ما لطف والجسد ما غلظ
واصله لجمع الشي واشتداده اي ما جعلناهم جسدا محضا ليس فيه روح
متصرف حتى يتخلل فيحتاج الى البدل فقوله **لا ياكلون الطعام** تقرير
وتاكيد لذلك المعنى وجواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ولما كان
التغذي به من لوازم التحليل المودي الى الفنا كان قوله **وما كانوا خالدين**
تقريرا وتاكيدا له ونفي عن الرسل لما اعتقدوا اختصاصه بالملك تخفيفا
لكونهم من جنس البشر **ثم صدقناهم الوعد** اي في الوعد فنصب بانتزاع
الخافض **فانجيناهم** مما حل بقومهم **ومن نشا** يعني المؤمنين ومن في ابقائه حكمة
كمن سيومن هو او بعض ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستيصال

واهلكنا المسرفين المجاوزين الحد بالكفر ويفهم منه دخول بعض الكافرين تحت
من نشا لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم صيتكم وشرفكم كقوله وانه لذكر لك
ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق والكتاب
والقران والخطاب لقريش او لعامة العرب افلا تعقلون فتؤمنوا به والفاء
كالتي في افلم يؤمنون وكذا الاستفهام وكم قصمنا واوردة عن غضب شديد
لان القصم بالفا ولايرادها في صورة التكثير من قرية لما اقيمت القرية
مقام اهلها او تجوز بها عنهم وصفت بصفتهم فقيل كانت ظالمة وانشانا
بعدها بعد اهلاكها قوما اخرين مكانهم والدلالة على تعدي الغضب في
شانهم اي اهلاك قريتهم ايضا باخراجها عن صلاحية الانتفاع بها قال
بعدها ولم يقل بعدهم اظهارا للتوسع السابق واعتبارا لما يقتضيه اللاحق فان
الضمير في قوله فلما احسوا لاهل القرية باسنا اي ادركوا بالحس عيانا ومشاهدة
شدة عذابنا على الاستعارة في الاحساس وتجوز ان يكون من قبيل الاستعارة
في الباس اذا هم منها من القرية واذا للمفاجاة يركضون قولا بلسان
الحال يشير الى انهم خلقا بان يقال لهم ذلك وان لم يقل ويقال استهزاء والقايل
ملك او من ثمة من المؤمنين او حديثا يحدث به انفسهم تحسرا وارجعوا
الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والتنعم والاتراف ابطار النعمة والاسم
الترفة او ارجعوا الى وبال ما اترفتم فيه ومساكنكم في النار والتي كانت
لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم وكناية عن العذاب فان السؤال مقدمته
او تهكم وتوبيخ اي ارجعوا واجلسوا كما كنتم حتى يسالكم من ينفذ فيه امركم
ونهيكم او يسالكم الناس انديتكم المعاونة في نوازل الخطوب او يسالكم
الوافدون عليكم ويستمطرون سحاب ما في ايديكم ولما اخذهم العذاب
ولم يروا وجه النجاة قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترفوا بالاقتراف حين
لا ينفع الاعتراف فما زالت تلك دعويهم الاشارة الى ويلنا لانها دعوى
اي فما زالت تلك الدعوى دعويهم والدعوى الدعوة لان المدلول يدعو
الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك والويل الواقع في الهلكة
وتلك اسم ما زالت ودعويهم خبره او بالعكس وتعين الاول غاهو في
نحو ضرب موسى عيسى مما يختلف اصل المعنى باختلاف الاعراب حتى جعلناهم
الضمير المنصوب هو الذي كان مبتدا وحصيدا خامدين كانا خبرين
فنصبهما جعل جميعا على المفعولية لا على انها تقتضي ثلاثة مفاعيل بل على
ان الاخيرين في حكم الواحد اي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد
والخمود كقولهم هذا حلو حامض اي جامع للطعمين شبهوا في استيصالهم
وسقوطهم بالزرع المحصود وفي دمارهم وسكونهم بالنار الخامدة و
وافراد حصيدا لدلالة على ان المثل مراد فخرج الكلام عن حد الاستعارة الى

حد التشبيه وما خلقنا السماء والارض ما في جهة العلو والسفل وما بينهما من
العجايب والبدايع ولطايف الصنايع لاعبين كما يصنع ابنا الدنيا انما خلقناها
تبصيرا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد وتبصرة لاولي الالباب
والابصار وتذكرة لذوي الاعتبار من النظار فليعتبر بها طلاب الكمال ولا
يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال ثم بين بقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لا
تخذناه ان السبب في ترك اتخاذ اللهو هو الحكمة البالغة والا فالقدرة الباهرة
لا تعجز عن ذلك ان اراد فعله فانه على كل ما يشا قدير والحكمة وان لم تكن
منافية لايجاد اللهو وهو ما يتلهى به ويندرج فيه اللعب لكنها منافية
لان يفعل فعلا يكون به لاهيا من لدنا اي من عالم الغيب لا من عالم الشهادة
لانه اشنع وابعد عن شان الحكيم ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه
الجواب المتقدم وقيل ان نافية وزيادة كنا لاستمرار النفي لا لنفي الاستمرار
لانه لا يناسب المقام والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على
الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شاننا
ان نغلب الحق الذي من جملته الجد الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه
فيمحقه ويبطله من دمغ الرجل اذا شج شجة تبلغ ام الدماغ فلا يحيى صاحبها
بعدها استعار القذف الذي هو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمى
لابطال الباطل بالحق تصويرا لابطاله به ومحقه في صورة جرم صلب
كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه فضالحق البلاغة
وقرى فيدمغه بالنصب ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف
على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح
المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يليق في حكمته ويستحيل
عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله
من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده منزلة ومكانة لا منزلا
ومكانا يعني الملائكة شبهوا في كرامتهم عند الله تعالى وقربهم بالمقربين
عند الملوك من زمرة خواصهم بيانا لشرفهم ويتوقف على الارض
لان من مبتدا خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها
ويجوز ان يكون معطوفا على من في السموات والمعنى له من في عالم الشهادة
ومن في عالم الغيب ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما نفي الاستحسار
وهو مبالغة في الحسور للايماء الى ان ما هم فيه من دوام العبادة والدوب لا فتره
يوجب غاية الحسور وهم لا يحسرون والا لكان نفي ادنى حسور ابلغ يسبحون
الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دايما لا يفترون حال من الواو في يسبحون
وهو استيناف او حال من الضمير قبله ام اتخذوا الهة ام هي المنقطعة
بمعنى بل والهمزة للاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها وهو اتخاذ الهة لهم

ارضية وفي قوله من الارض سوا كان صفة للالهة او متعلقا بالفعل على معنى
الابتداء تجهيل لهم واستركاك لعقولهم وقوله هم ينشرون تهكم بهم ولوم
لهم فانهم وان كانوا لا يصرحون بذلك لكنه يلزمهم بادعاء الالهية لها فان
الاله هو الذي يقدر على كل ممكن والانشار من جملتها وهم ينكرون نسبته
البعث وانشار الموتى الى الله تعالى القادر على كل شي ويثبتون الالهية للاصنام
يحتونها فلزمهم حصر الانشار فيهم ولذلك اورد المفيد للحصر مبالغة
في التجهيل والتوبيخ والتهكم بالهتهم وهو توبيخ في توبيخ لو كان فيهما الهة
الا الله صفة لالهة يعني غير الله لتعذر الاستثنا فان الهة جمع منكور غير
محصور لا يشمل الله حتى يستثنى منه ولدلالته على ان الفساد من وجودها
مطلقا سوا كانت معه او لا ثم ان الفساد الاتي ذكره لزومه على ما يتفق
عليه على تقدير مطلق التعدد في الاله وانما فرض الالهة غير الله تعالى على
وفق معتقدهم لزيادة تجهيلهم في هذا الامر الجليل الشان فكانه ضمن اثبات
مطلق التوحيد ابطال معتقدهم على افحش وجه واشنعه لفسدتا لبطلتا
لما يكون بينهما من التمانع اذ لا مجال للتوفق في المراد ولا بد ان يبطل رد
عليه التقدير فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجرام الذي هو محل التدابير
ومنشا التقادير عما يصفون عما يصفونه به مما لا يليق بشانه لا يسئل عما
يفعل لعلو سلطنته وكمال علمه وعظمته وتفرده بالالوهية ولما كان الملوك
والجبابرة عادتهم ان لا يسئلوا عن افعالهم وتدابيرهم في ملكهم تهيبا
واجلالا مع جواز الخطا عليهم فلان لا يسئل رب الارباب ومالك الملوك خالق
الكل اولى مع استحالة ذلك عليه وهم يسئلون لانهم مملوكون مستعبدون
والضمير للالهة او للعباد ام اتخذوا من دونه اي من دون الله الهة كرر
استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لغاية جهلهم
وضما للانكار ان يكون لهم دليل من النقل ولهذا رتب على الاول دليل العقل وعلى
الثاني دليل النقل يعني اوجدوا الهة ينشرون الموتى فاتخذوهم الهة لما
وجدوا فيهم من خواص الالوهية ام وجدوا في الكتب الالهية المنزلة الامر
باشراكهم فاتبعوا الامر قل هاتوا برهانكم من العقل والنقل فانه لا يصح
القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا
ذكر اي هذا الوحي الوارد على الانبيا عليهم السلام كله عظة من معي يعني امته
عليه السلام وذكر من قبلي يعني امم الانبيا الماضين عليهم السلام فانظروا
هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وقرئ ذكر من معي
وذكر من قبلي بالتنوين على ان من منصوب المحل مفعول للذكر وهو الاصل
والاضافة عارضة وقرئ من معي ومن قبلي على من الجارة وادخالها
على مع غريب والوجه انه ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك

فدخلت

فدخلت عليه من كما دخلت على اخواته بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون
ما هو اصل الشر والفساد واس البغي والضلال وهو الجهل وعدم التمييز بين
الحق والباطل فلذلك كانت عادتهم الاعراض عن الحق من التوحيد واتباع البا
طل
وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وهي جملة موكدة وسطت
بين السبب والمسبب اي كون الجهل المحض سببا للاعراض هو الحق وقدمت
على المسبب لشدة الاهتمام والاعتنا بان سبب الاعراض ليس الا الجهل
ويجوز حمل المنصوب على المعنى كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل ولا
يعلمون فعل مبني للمفعول جار مجرى اللازم لسبب مطلق العلم عنهم راسا
وهذا الوجه افصح واغرب وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه
انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص لان ذكر من قبلي خبر للمشار
اليه بهذا فلا يتناول الا ذكر الموجودين بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة
والاية مقررة لما سبقها من امر التوحيد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت
في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله تعالى سبحانه تنزيه له تعالى عن ذلك
بل عباد مكرمون اضراب عنه ثم اثبت انهم عباد والعبودية تنافي الولادة
لكنهم مكرمون مقربون فمن ذلك اخطا وزلت اقدامهم لا يسبقونه بالقول
لا يقولون شيا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المودبين واصله لا
يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول اداته ومحله
تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله تعالى ما لم
يقله وانيب اللام مناب الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ
لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون اي كما لا
يسبقونه بالقول فلا يعملون الا ما امرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم كالعلة
لما قبله والتمهيد لما بعده اي انهم يعلمون ان الله تعالى يعلم ما قدموا وما اخروا
من اعمالهم اي لا تخفى عليه خافية فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم و
ويتحفظون عما لم يؤمروا به قولا وفعلا ولا يشفعون مهابة منه الا
لمن ارتضى لمن ارتضاه واهله للشفاعة وهم من خشيته مشفقون اي
انهم مع ذلك كله قاصرون حق الهيبة والعظمة على حذر ورقبة والخشية
خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلما والاشفاق خوف مع الاعتنا
فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ومن
يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه
جهنم بعد ان وصفهم بالكرامة والقرب والاوصاف الجميلة والافعال
المرضية هدد من اشرك منهم على سبيل الفرض والتقدير وانذره بالوعيد
الشديد مع احاطة علمه بانه لا يكون تعظيما لشان المشركين وتهديدا
لهم بتهديد مدعي الربوبية ومبالغة في نفي الولد اذ لو امكن لكان ربما من

جنسه كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعا الربوبية اولم ير الذين
كفروا اولم يعلموا تقرير والواو للعطف على مقدر اي اانكروا قدرتنا على البعث
ولم يعلموا والكفرة وان لم يعلموا لكنهم متمكنون من العلم به بالاستفسار من الاخبار
ومطالعة الكتب فكانهم علموا وقيل بالنظر فان الفتق به عارض مفتقر الى
موثر موجب بالذات ابتدا او بوسط وفيه ان اصالة الرتق وعروض الفتق
مما لا يستقل في معرفته العقل ان السموات والارض كانتا انما قال كانتا
دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارضين رتقا ذات رتق
وهو الالتحام او مرتوقتين اي كانتا شيا واحدا وحقيقة متحدة وقري
رتقا بفتح التا على تقدير شيا رتقا فعل بمعنى مفعول كالنفض والرفض
ففتقناهما بالتنويع والتمييز بالصور المختلفة وجعلنا من الما كل شي حي
وخلقنا من الما كل حيوان لانه اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وامتناع
وجوده وبقايه بدونه او صيرنا كل شي بسبب من الما وقري حيا على انه
صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو افلا يومنون مع ظهور الايات وجعلنا
في الارض رواسي ثابتات من رسى اذا ثبت ان تميد بهم مفعول له
اي كراهة ان تميد بهم وقيل لئلا تميد بهم فحذف لا لامن اللبس
وجعلنا فيها في الارض او في الرواسي فجاجا جمع فج وهو الطريق
الواسع وانما قدم على سبلا وهو صفة له ليصير حالا مقدمة فيدل
على انه حين خلقها خلقها مستعدة لذلك او ليبدل منها سبلا فيدل
ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد
واخر في قوله سبلا فجاجا للبيان والتوضيح بعد الابهام لعلهم يهتدون
اي ليهتدوا بها الى مقاصدهم وجعلنا السما سقفا محفوظا بقدرتنا
من ان يقع على الارض بغير عمد وهم عن اياتها احوالها الدالة على
وجود الصانع وكمال قدرته وحكمته وهو ما يحس منها من الكواكب و
حركاتها واوضاعها وما يعلم من علمي الهيئة والطبيعة معرضون
اي هم قوم عادتهم الاعراض وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس
والقمر بيان لبعض تلك الايات والمراد بالشمس والقمر جنس الطوالع
اكتفا بهما كل في فلك التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم
يسبحون حال من الشمس والقمر كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة او استيناف او خبر كل والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير
الحلة قالوا ان تحت السما فلكا هو موج مكفوف فيه الكواكب كلها ولذلك
قال يسبحون كما يسبح الانسان في الما وقيل شبهت حركتها في
الاسراع بسباحة السابح ويرده ان حق التشبيه ان يكون المشبه
به اقوى من المشبه في وجه الشبه وعكسه اللازم على ما ذكر مردود

في الكلام

في الكلام البليغ فكيف في المعجز وانما جمع جمع العقلا لانهم وصفوا بوصفهم
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد كانوا يقولون نتربص به ريب المنون
فنزلت والفا في قوله افاين مت فهم الخالدون لتعليق الشرطية
بما قبلها من التمهيد والهمزة لانكارها بعد ما تقرر ذلك كل نفس ذايقة
الموت اي كل نفس حيوان تذوق مرارة مفارقتها جسدها وهو
تقرير لما مهده وبرهان على ما انكره ونبلوكم ونعاملكم معاملة
المختبر بالشر والخير بما يوجب فيه الصبر من البلا وما يجب فيه من
الشكر وانما قدم الشر لانه انسب بالابتلا فتنة ابتلا مصدر من
غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر
والشكر والجزع والكفر وفيه ايما الى ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا
الابتلا والتعريض للثواب والعقاب تقرير لما سبق واذا راك الذين كفروا
ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا مهزوا به ويقولون
اهذا الذي يذكر الهتكم اي بسو وانما اطلقه لدلالة الانكار والتعجب المفهومين
من قولهم اهذا وهم خاصة بذكر الرحمن اي بذكرك الرحمن بالخير وما
يجب ان يذكر به كالتوحيد والثنا عليه بما هو اهله من التسبيح والتحميد
هم كافرون فهم احق ان يتخذوا هزوا لانك محق وهم مبطلون فتقديم
ذكر الرحمن على الكفر لدلالة على تخصيصهم الكفر بذكر الرحمن دون الهتهم
فانهم عاكفون على ثنايهم وتعظيمهم والجملة في محل النصب على الحال اي
يتخذونك هزوا وحالهم انهم على شي هو اصل الهزو والسخرية خلق الانسان
من عجل جعل ما طبع عليه بمنزلة ما طبع هو منه مبالغة في فرط استعجاله
وقلة ثباته وهو تمهيد لنهيهم عن الاستعجال ومن عجلته استعجال الوعد
ساريكم اياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الاخرة عذاب النار
فلا تستعجلون بالاتيان بها والمفهوم مما تقدم ان الانسان اذا خلي
وطبعه يكون على العجلة وهذا لا ينافي النهي عنها بل يستوجبه ويقولون
متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيمة ان كنتم صادقين يعنون
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ذكر الوجوه لانها اشرف ما في ظاهر الانسان ومحل حواسه
وهو احرص على الدفاع عنه من غيره من اعضايه ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون
جواب لو محذوف وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون
عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب يحيط بهم النار فيه من قدام
وخلف فلا يقدرون على دفعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم
لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزا والاستعجال ولكن جهلهم به
هو الذي هونه عليهم او لما استعجلوا مستهزيين او منصوب بمضمر ويعلم

مطلق بلا مفعول يجري مجرى اللازم اي لو كان لهم علم لما كانوا مستعجلين حين
لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم يعلمون انهم كانوا على
الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم وانما وضع الظاهر فيه موضع
المضمر للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم بغتة فجاة مصدر او حال
اضراب عن كف النار عن وجوههم وظهورهم اي لا يكفونها بل تفجاهم فتبهتهم
فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت وقرئ الفعلان على التذكير
والضمير للوعد او للحين وعلى التانيث يجوز ان يرجع الى العدة او الموعدة
او الحين على تاويل الساعة او النار او البغتة فلا يستطيعون ردها
فلا تقتدرون على دفعها ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير امهالهم
بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فحاق فحل ونزل بالذين سخروا منهم جزاء ما كانوا به
يستهزءون وعدله عليه السلام بانه يحيق بهم ما يفعلونه به كما
حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا قل من يكلؤكم بالليل والنهار امر
رسوله عليه السلام بسؤال المستهزئين عمن يحفظهم دائما وانما قدم الليل
لان الحاجة الى الحفظ اكثر واظهر من الرحمن من باسه ان اراد بكم وفي ذكر
اسم الرحمن تنبيه على ان لا كالي غير رحمته العامة وان اندفاع الباس
عن الناس لا يكون الا بها وعندي ان التنبيه فيه على ان رحمته العامة
لا تمنعه عن الغضب فلا تغتروا بها ولا يخفى ان هذا هو الانسب للمقام بل
هم عن ذكر ربهم معرضون اضراب عن مقدر اي انهم غير معرضين عن
ربهم وليسوا بغافلين عنه حتى لا يجدي السؤال عنه كيف وهم يتخذون
الالهة ويعبدونها في كل وقت للشفاعة عنده تعالى بل معرضون عن
ذكره فالتذكير بما يناسب حالهم وهذا المعنى مع ظهوره من سياق الكلام وو
ضوح انطباقه لمقتضى المقام قد خفي على الناظرين فيه حتى قالوا
لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا كلؤا منه عرفوا من الكالي
وصلحوا للسؤال عنه ولم يتنبهوا انه حينئذ لا يبقى وجه للامر بالسؤال
وايضا يضيع عبارة الذكر بل يخل بالمقصود لابهامها الشعور في
الجملة ام لهم الهة تمنعهم تحفظهم مما نعين العذاب من دوننا اضراب
عما تقدم منكرا لكلاءة الهتهم ومنعهم من العذاب متجاوزا منه تعالى او من
عذاب يكون من عنده بما في ام معنى بل والهمزة وهذا الاضراب ليس للابطال
ولا للترقي بل للانتقال من كلام الى اخر قيل والاضراب عن الامر بالسؤال
على الترتيب فانه من معرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه
ابعد وقد عرفت فساد مبناه ثم انه لا ينتظم مع ذلك الاعتبار ما في
الاضراب الثاني من زيادة الانكار وبعد التنبيه والى قوله المعتقد

قرية مما فيها من رتبة لما تبتهت على انقا
ولا هم منا
لا يستطيعون نصر انفسهم
يصحبون يجادون يقال صحبك الله اي
حفظك واجارك استئناف بابطال ما ذكر
فا من لا يقدر على نصر نفسه ولا حفظ صح

لنقيضه ولا يحفظه الله كيف ينصر غيره ويحفظه بل متعنا هؤلاء واباءهم
حتى طال عليهم العمر ثم اضرب عن المتوهم المنبئ عن ظاهر حالهم بعدما
انكره ببيان ان ما هم عليه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم
من اهلاكنا وانما حفظناهم للاستدراج وهو تمتيعه تعالى اياهم واباءهم بما قدر لهم
من الاعمار حتى حسبوا بسبب طول مدة الامهال انهم لا يزالون كذلك وانه بسبب
ما هم عليه ثم عقبه بما يدل على انه امل كاذب وغرور باطل وهو قوله تعالى افلا
يرون انا ناتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها
وهو تصوير ما كان الله تعالى يخربه على ايدي المسلمين وفي اضافة اتيانهم
بامره الى نفسه تعظيم لشانهم افهم الغالبون انكار لغلبتهم على الرسول عليه
السلام والمؤمنين بعد هذه المغلوبية المتجددة دائما وفي التعريف تعريض
بان اعداءهم هم المعروفون المتعينون بالغلبة دونهم قل انما انذركم بالوحي
بما اوحي الي من الله تعالى لا من قبل نفسي ولا يسمع الصم الدعاء وقرئ لا
تسمع من الاسماع على خطاب الرسول ونصب الصم وبالياء على اضماره ولا
يسمع مبنيا للمفعول من اسمع وفي قراءة يسمع المبني للفاعل التفات وتنويه
بذكر الرسول وتعظيم له وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة
على فرط تصامهم وعدم انتفاعهم بالاسماع وان جعلنا اللام للجنس كان
ابلغ لما فيه من معنى البرهان بالتعميم ونوع من الكناية وهو ابلغ من التصريح
اذا ما ينذرون منصوب بيسمع لا بالدعاء لانه مصدر فلا يعمل الا منونا
والتقييد به لكون الكلام في الانذار وللمبالغة في انهم لا يتاثرون به وقت
الانذار فضلا عن ان يسمعوه ثم يذهلوا عنه ولكونه كالقرينة في الكناية
كانه امره بقوله انما انذركم بالوحي ثم قال ولا يؤثر فيكم فانتم صم ولا يسمع
هذا الجنس الدعاء ولئن مستهم نفحة اصل النفح هبوب رائحة الشيء ويستعمل
في كل قلة يقال نفحته الدابة اذا رمحته رمحا يسيرا ونفحه بعطية اذا
رضخه ففيه مبالغة من جهة مادته الدالة على معنى النزارة ومن جهة
صيغته اي بناء المرة فانها لاقل ما ينطلق عليه الاسم ومن جهة تنكيره
الدال على التقليل واما المس فهو اقوى من الاصابة لما في مفهومه من
قيد زائد عليها وهو ان يتاثر منه حاسة المحسوس فايثاره هنا على الاصابة
للدلالة على ان عذاب الله تعالى لو كان في غاية يتاثر منه من يصيبه
من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي ولئن مسهم ادنى شيء
من العذاب الذي ينذرون به لدعوا واعترفوا بظلمهم في تصامهم
واعراضهم داعين على انفسهم بالويل ونضع الموازين القسط ضعفه
الموازين ولم يجمع لانه مصدر وصفت به للمبالغة كلها في نفسها عدل
وجاز ان يكون على حذف المضاف اي ذوات القسط وقد سبق ما يتعلق

بوضع الموازين في سورة الاعراف وما يدل على انه حقيقة لا تمثيل واللام
في ليوم القيمة للوقت اي في يوم القيمة وقيل معناه لجزا يوم القيمة او
لاهله اي لاجلهم على الحذف فلا تظلم نفس شيا بنقص من ثوابه الموعود
او زيادة في عذابه المعهود ويجوز ان يكون معناه شيا من الظلم وان كان
اي ما يتعلق به من النقص والزيادة او الظلم مثقال مقدار حبة من خردل
وقرئ مثقال بالرفع على كان التامة وتانيث ضمير المثقال في اتينا بها
لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه اي احضرناها وقرئ
اتينا بمعنى جازينا بها من الايتا فانه يعني الاعطاء او من المواتاة
فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزا وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا
وعدلنا ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضيا وذكرا هذه الثلاثة
هي التورية فهي فرقان بين الحق والباطل وضيا يستضا به ويتوصل
به الى سبيل النجاة في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا اي شرف او وعظ
وتنبيه او ذكر ما يحتاج اليه الناس في مصالح دارهم ودخلت الواو على
الصفات كما في قوله وسيدا وحصورا ونبيا وقرئ ضيا بغير واو على انه
حال من الفرقان ولما انتفع بذلك المتقون خصهم الله تعالى بقوله
للمتقين ومحل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه
يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة
القيامة واهوالها مشفقون الاشفاق خوف مع اعتنا وفي تصدير
الضمير وبنا الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا القران ذكر مبارك
كثير خيره انزلناه على محمد عليه السلام افانتم له منكرون استفهام
توبيخ بعد وضوح اعجازه ووفور بركته ولقد اتينا ابراهيم رشده
الاهتدا لوجوه الصلاح واضافه ليدل على انه رشد مثله وان له
شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون عليهما السلام
او من قبل محمد عليه السلام وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما اتيناه او
جامع المحاسن الاوصاف ومكارم الاخلاق اذ قال لابيه وقومه
متعلق باتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده
وقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تجاهل منه وتغاب
ليحقر شانها وتوبيخهم على اجلالها فان التمثال جماد لا يبصر ولا ينفع
اصله الصورة المصنوعة مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله تعالى من
تمثلت الشي بالشي اذا شبهته به واللام للتعليل اي لتعظيمها وعا
كفون مجرى اجرا اللازم غير منوي المفعول اي فاعلون العكوف
لاجلها وهو اللزوم لامر من الامور او لتضمن العكوف معنى العبادة
لزيادة التوبيخ ويقصده ما في جوابه من قولهم لها عابدين قالوا وجدنا

ابانا

ابانا لها عابدين جواب عن التوبيخ بانه طريقة اسلافنا ما اخذناها
ولما ضمنوا جوابهم دعوى سو طريقتهم بالاسناد الى الابا والاجداد رد عليهم
حيث قال لقد كنتم انتم تاكيد للمتصل في كنتم ليصح العطف عليه وآباؤكم في
ضلال مبين مستغرقون في ضلال ظاهر والتاكيد بالقسم ووصف الضلال
بالمبين لافادة وضوح استغراق المقلدين في ضلال لا يخفى على من له
ادنى عقل لعدم تمسك الفريقين بدليل والتقليد في الاصول غير جايز اصلا
وفي الفروع انما يجوز لمن علم في الجملة كون المقلد على الحق قالوا
اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لاستبعادهم تضليله اياهم واباهم
حسبوا انه انما قال ما قال على وجه المزاح والملاعبة فقالوا الجد
تقول ام انت لاعب وانما غيروا النظم بادخال الهمزة على الجملة الفعلية
وقرينتها الجملة الاسمية لتوطينهم انفسهم على انه من اللاعبين
رسوخ ذلك الاعتقاد عندهم واما القسم الاول فلم يثبت عندهم
فاظهروا انه ان ثبت فشي اختلج في ظنه قال بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على
ما ادعاه والضمير في فطرهن للسموات والارض اي انشاهن من غير شي
او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم فكانه قيل انه تعالى
خالقهن وهن مخلوقة فاني يعبد المخلوق ويجحد الخالق وانا على ذلكم
المذكور من التوحيد من الشاهدين اي من المحققين له لان الشاهد
هو الذي تحقق الشي وحققه كانه قال وانا احقق ذلك واثبته بالبرهان
لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة واتمسك بالتقليد كما
تمسكتم به وتالله قرئ بالبا على الاصل والتا بدل من الواو المبدلة
منها والتا في القسم تفيد معنى التعجب من المقسم عليه كانه تعجب من
تسهل ذلك الامر الصعب على يده ولهذا عبر عنه بالكيد المشتمل
على نوع من الحيل لاكيدن اصنامكم الكيد الاحتيال في وصول الضرر
الى المكيد بعد ان تولوا مدبرين يعني ذهابكم عنها وعن قتادة
انه قال ذلك سرا وقيل سمعه رجل واحد فلما ذهبوا بقي ابراهيم عليه
السلام فكسر الاصنام فالفا في قوله فجعلهم جذاذا فصيحة
والجذاذ فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع او جمع جذاذة
كزجاجة وزجاج وقرئ بالكسر وهو لغة فيه او جمع جذيذ كخفاف
وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذ جمع جذة الا
كبيرا لهم للاصنام او للكفار وروي انه عليه السلام كسرها كلها بالفاس
الا كبيرها فعلق الفاس في عنقه لعلهم اليه الى الكبير يرجعون
فيسالونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه وقيل الى ابراهيم عليه السلام

فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم هذا فيحجهم او الى الله اي يرجعون الى توحيده
عند تحققهم عجز آلهتهم ويرد عليه انه حينئذ يكون قوله الا كبيرا لهم
احتسابا في البين قالوا حين راوا ذلك بعد ما رجعوا من فعل هذا بآلهتنا
انه لمن الظالمين تشديد الظلم لجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام
قالوا سمعنا فتى يذكرهم [illegible] صفة لفتى مصححة لتعلق السمع به وهو
ابلغ في نسبة الذكر اليه وقيل مفعول ثان لسمع وليس بثبت يقال له ابراهيم
صفة اخرى له وابراهيم فاعل يقال لان المراد به الاسم لا المسمى قالوا فاتوا به
على اعين الناس في محل النصب على الحال اي بمرأى منهم ومنظر بمعنى معاينا
مشاهدا متمكنا صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون عليه
بما فعله او بما يسمع منه او يحضرون عقوبتنا له قالوا بعد ما احضروه ءانت
فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم
ان كانوا ينطقون اسند الفعل الى السبب مجازا اذ الحامل على كسرهم هو لانه
لما غاظهم زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه والاحسن الا انه من
معاريض الكلام وذلك انه لم يرد ان ينسب الفعل الى الصنم بل اراد تقريره لنفسه
على اسلوب تعريضي مع الاستهزاء بهم بالغاية عرضهم من الزامهم الحجة وتبكيتهم
لا نفيه عن نفسه واثباته للصنم لان اثباته للعاجز والامر دائر بينهما
استهزاء به واثبات للقادر وما روي انه عليه السلام قال كذب ابراهيم
ثلاث كذبات تسميته للمعاريض بالكذب لما شابهت صورتها صورته
ويجوز ان يكون حكاية لما يؤدي اليه مذهبهم من جوازه كانه قال ليس
بمنكر ان يفعله هذا واشد منه من يدعي الهيا وقرئ فعله كبيرهم بمعنى فلعله
اي فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا الى انفسهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا فقال
بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بعبادة من لا ينطق ولا يمكنه دفع الضرر
عن نفسه لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا النكس جعل
الشيء اسفله اعلاه ومنه نكس المريض اذا رجع اول حاله وهو عبارة عن
اطراقهم رؤسهم خجلا والمبالغة في هذا المعنى ضمنه معنى السقوط اي
نكسوا ساقطين على رؤسهم وقولهم لقد علمت رمي السقوط اي نكسوا
ساقطين عن خبرة ولهذا اتوا بما هو الحجة عليهم وقيل انقلبوا الى المجادلة
بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل
الشيء اعلاه ويرد عليه انه حينئذ يضيع قوله على رؤسهم وقيل
نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم على
رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها وهو على
ارادة القول كانه امره عليه السلام بالسؤال للتوبيخ والتبكيت وحملوه
على الحقيقة تجاهلا لانهم نزلوا المخاطب منزلة الجاهل بمضمون الخبر فلذلك

اكده

اكده بقد ولام القسم فكانهم قابلوا توبيخه بنوع من التشنيع قال افتعبدون
انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر من دون الله
ما لا ينفعكم اي عبدتموه شيئا في موضع المصدر اي نفعا ما ولا يضركم
ان لم تعبدوه اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره
ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم واصرارهم على الباطل
بعد وضوح الحق فتافف بهم واللام في لكم ولما تعبدون من دون الله
لبيان المتافف به اي لكم ولآلهتكم هذا التافف وقيل معناه قبحا ونتنا
ثم وبخهم على تمادي جهلهم بقوله افلا تعقلون اي ابعد وضوح الحق
وزهوق الباطل لا تدركون قبح صنيعكم قالوا اخذا في المضارة عند
العجز عن المحاجة حرقوه بالنار فانها اهون ما يعاقب به واقطع وانصروا
آلهتكم بالانتقام منه ان كنتم فاعلين فعلا وفيه تنزيل لساير انواع
العذاب منزلة العدم في هذا الباب ولا يخفى لطف هذا التعبير البليغ على
ذوي الالباب قلنا يا نار كوني بردا شبهت النار لطاوعتها ارادة الله
تعالى وامره بمامور مطيع لا يتوقف في الامتثال عند الامر الامر المطاع
ويبالغ في ذلك باقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف
اليه مقامه وسلاما اي ابردي بردا غير ضار وقيل نصبه بفعله اي
وسلمنا سلاما عليه روي انهم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموه في
نار عظيمة ولم يحترق منه الا وثاقه وعلى هذا تكون النار على حالها
ولا يناسبه المبالغات المذكورة في امر تبريدها فالظاهر في
تحولها من الحرارة الى البرودة ولا اشعار في قوله على ابراهيم بعدم
التحول لانه متعلق بقوله سلاما لا بقوله بردا فالمفهوم منه اختصاص
عدم اضرار البرد به عليه السلام واراد وا به كيدا احتيالا في اضراره
فجعلناهم الاخسرين تصيير سعيهم برهانا قاطعا على انه على الحق وانهم على
الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاتها
الدينية العامة بعث اكثر الانبياء عليهم السلام وانتشار شرايعهم التي هي
مبادي الخيرات في جميع اهل العالم وبركاتها الدنيوية كثرة النعم والخصب
بكثرة الروض والماء والشجر والرخص فيه فهي الارض التي بورك فيها
مطلقا وباركنا فيها ابلغ من باركناها لدلالته على الظرفية والاشتمال
فكان تلك الارض محيطة لانواع البركات احاطة الظرف للمظروف وهي
مستقرة فيها لا تزول عنها وروي ان ابراهيم عليه السلام نزل بفلسطين
ولوط عليه السلام بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له
اسحاق ويعقوب نافلة النافلة ولد الولد وهي في الاصل الزيادة والفضل وقيل

نافلة زيادة على ما سأل لانه عليه السلام سأل اسحاق فاعطيه
واعطي يعقوب زيادة على ما سأل وفضلا حال مختصة وبلا باس به
للقرينة وكلا اي الاربعة المذكورين جعلنا صالحين لان الانبياء المفلحين
وشرط الاصلاح هو الصلاح وجعلناهم ايمة يقتدون بهم يهدون الناس
الى الحق بامرنا لهم بذلك واوحينا اليهم فعل الخيرات للاهتدا والائتمام القيام
بالهداية حتى يشملهم وامهم فعلها ويتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم
واصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات بالاضافة وكذلك
قوله واقام الصلاة وايتا الزكاة وهو عطف الخاص على العام للتفصيل
وحذف تا الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه
وكانوا لنا عابدين مخصصين بالعبادة ولوطا اتيناه حكما حكمة وهو فعل
ما ينبغي قوله وجوبا او ندبا وقيل نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما
ينبغي علمه للانبيا عليهم السلام ونجيناه من القرية هي سدوم التي كانت
تعمل الخبايث من اللواطة وساير المنكرات التي كانوا ياتونها في ناديهم
وصفتها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامة
مقامه على ما دل عليه التعليل بقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين
ونكتة ذلك الاشعار بعلامة السببية فان للقرية تاثيرا في تغيير طبيعة
اهلها من السداد الى الفساد ولذلك قال ونجيناه من القرية اي خلصناه
من تلك التربة الخبيثة وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة
انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى وهو كالتعليل لما تقدم
ونوحا اذ نادى اي دعا ربه على قومه بالهلاك من قبل المذكورين
فاستجبنا له دعاه فنجيناه واهله من الكرب العظيم هو الطوفان
او اذى قومه والكرب الغم المفرط ونصرناه فانتصرنا من القوم الذين
كذبوا باياتنا فتعديته بمن بعد لوله اشارة لا بما في مفهومه من معنى
المنع ولابتا وبل جعلناه منتصرا انهم كانوا قوم سوء تعليل لما تقدم
وتمهيد لما تاخر فاغرقناهم لذلك اجمعين عذاب الاستيصال
لشدة الغضب وهي لكمال سنخعا فيهم له وداود وسليمان نصب
باذكر اذ بدل منهما يحكمان في الحرث هو محل الزرع اذ نفشت فيه غنم
القوم قال ابن السكيت والنفش مصدر نفشت القطن وغيره والنفش
ان تنتشر الابل بالليل فترعى وكنا لحكمهم جمع الضمير لانه اراد هما
والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما شاهدين عالمين ففهمناها
سليمان الضمير للحكومة او الفتوى روي ان داود عليه السلام
حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن احد
عشر سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال

اري

اري ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها
واصوافها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم
افسد ثم يترادان فقال القضا ما قضيت وامضى الحكم بذلك وكان ذلك
باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم وعدم انتقاض حكم الاجتهاد باجتهاد
اخر في شريعتنا فلا دلالة فيه على انهما حكما بالوحي وان حكم سليمان
عليه السلام وحده بالوحي ولما كان المتبادر الى الوهم من تخصيص سليمان
عليه السلام بتفهيم الحكومة ان لا يكون ما قضاه داود عليه السلام حكما
شرعيا دفعه بقوله وكلا اتينا حكما وعلما فالقول السابق دل على
ان الاصوب كان حكم سليمان عليه السلام وهذا القول دل على انهما
جميعا على الصواب ففيه دليل على ان كل مجتهد مصيب وسخرنا مع داود
الجبال يسبحن حال يعني مسبحات او استيناف على تقدير سوال سايل
قال كيف سخرهن فقال يسبحن اي يقدسن الله تعالى ومع متعلقة
به او بسخرنا وتتمة الكلام ياتي في سورة سبا باذن الله تعالى والطير
عطف على الجبال او مفعول معه وانما قدم الجبال على الطير وجعلت اصلا
في التسبيح لان تسخيرها وتسبيحها ادل على القدرة وادخل في الاعجاز
واخرق للعادة لانها جماد وقرئ بالرفع على الابتدا وكنا فاعلين قادرين
على امثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم او فاعلين للانبيا
امثال ذلك وعلمناه صنعة لبوس اللبوس اللباس والمراد الدرع قال
قتادة كانت صفايح فاول من حلقها وسردها داود عليه السلام فجمعت
الحصانة والتحصين لكم متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم
بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود عليه السلام او
للبوس وقرئ بالتا للصنعة او للبوس على تاويل الدرع وقرئ بالنون
لله تعالى فهل انتم شاكرون اصله فهل تشكرون لاقتضا الاستفهام
الفعل فعدل عن الجملة الفعلية الى الاسمية ولم يقل فهل انتم تشكرون ليلا
يشم منه رايحة التجدد ويفهم منه طلب دوام الشكر وهو امر اخرج في
صورة الاستفهام وافرغ في هذا القالب للمبالغة في طلب دوام الشكر
مع التقريع ولسليمان الريح وسخرنا له والاتيان باللام فيه وبمع في
داود عليه السلام على تعلقه بسخرنا لان نفع تسخير الريح وهو جريانها
بامره مختص به بخلاف تسبيح الجبال بعد اشتراكهما في خرق العادة
عاصفة وصف الريح هنا بالعصف وهو شدة الهبوب وفي سورة ص
بالرخاء لكونها في نفسها رخية طيبة كالنسيم وفي فعلها بكرسيه عليه السلام
واذهابه في مدة يسيرة عاصفة وقيل كانت عاصفة تارة ورخاء اخرى
على حسب ارادته تجري بامره بمشيته حال ثانية او بدل من الاولى

اوحال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها اي حاملة لكرسيه اليها اي
الى الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحي الارض اليها وكنا بكل شيء
عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون
له في البحار فيستخرجون نفايسها ومن منصوب المحل عطف على الريح
او مرفوع بالابتدا ومن الشياطين خبره قدم عليه فساغ الابتدا بها
وهي نكرة على انها موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون
ذلك الى اعمال اخر على ما فصل في سورة ص وكنا لهم حافظين ان
يزيغوا عن امره او يميلون الى الفساد الذي هو مقتضى جبلتهم وايوب
اذ نادى ربه نصب باضمار اذكروا اذ بدل منه اني مسني اي باني
وقرى بالكسر على اضمار القول او تضمين الندا معناه الضر بالفتح شايع
في كل ضرر والضم يختص بما في النفس من مرض وهزال وانت ارحم الراحمين
وصفه بغاية الرحمة بعدما وصف نفسه بما يوجبها واكتفى
بذلك عن عرض المطلوب رعاية لحسن السوال ولطفه وقضا لحق الادب
وكان روميا من ولد عيص بن اسحق عليه السلام استنباه الله تعالى وكثر
اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده وذهاب امواله والمرض في
بدنه ثماني عشرة سنة وقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان
ادعوه وما بلغت مدة بلاي مدة رخاي فاستجبنا له فكشفنا ما به
من ضر عظيم بالشفا من مرضه واتيناه اهله ومثلهم معهم لما كشف
الله تعالى غمه احيى ولده باعيانهم ورزقه مثلهم معهم رحمة على ايوب
من عندنا وذكرى للعابدين وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما
صبر فيثابوا كما اثيب في الدنيا والاخرة او لرحمتنا للعابدين وانا
نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واذا وقعنا الرحمة والذكر على العابدين
ولم نخصص الرحمة بايوب دخل هو فيهم دخولا اوليا وافاد ان الرحمة
والذكر بالاحسان انما كان بسبب العبادة والصبر فكل عابد مرحوم مذكور
بالاحسان وكان من باب اقامة المظهر مقام المضمر فكان اكد وابلغ
لاثبات الرحمة له بالبرهان واسمعيل وادريس وذا الكفل هو الياس
عليه السلام وقيل يوشع وقيل زكريا سمي بذلك لانه كان ذا الحظ من
الله او تكفل امته وقيل كان له ضعف عمل انبيا زمانه وضعف ثوابهم
والكفل يجي بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل اي كل هولا من
الصابرين على مشاق التكاليف وشدايد النوايب وادخلناهم في رحمتنا
قد سبق تفسيره وتفسير انهم من الصالحين وذا النون وصاحب الحوت
يونس عليه السلام اذ ذهب مغاضبا لقومه لكثرة ما قاسى في دعوتهم
وشدة سامه لطول ما ذكرهم فلم يتذكروا فهاجر عنهم واغضبهم

بمهاجرته لخوفهم لحوق العذاب بهم وكان عليه ان ينتظر الاذن فلم يصبر
وظن ان المهاجرة اولى لكونها للغضب لله وبغضا للكفر واهله فابتلي
ببطن الحوت وهو بنا المغالبة للمبالغة لان المغالب يبذل وسعه في الفعل
او بمعنى مغضبا وقد قرى به فظن ان لن نقدر عليه من القدر وهو
التضييق لا من القدرة ويعضده انه قرى مثقلا ويجوز ان يكون تقدير
مخففا من القدرة بمعنى ان لن نعمل قدرتنا فيه فنادى في الظلمات
اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت وقيل ظلمات بطن
الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت او بمعنى اي
سبحانك ان يعجزك شي اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى
المهاجرة فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل
والغم غم الالتقام وكذلك ننجي المومنين من غموم دعوا الله فيها
بالاخلاص وقرى ننجي مثقلا وفي الامام نجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية
فانها تخفى مع حروف الفم ومن شدد فوجه صحته مشكل لا يكاد يتمشى
وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا اي ارزقني ولدا يرثني
وانت خير الوارثين استسلام وتفويض بعد السوال لانه اقتراح
وجراة على الله تعالى اي الامر اليك فان لم ترزقني فلا باس وانت خير
الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي حسنا
خلقها وكانت سيئة الخلق وقيل جعلناها صالحة للولادة بعد عقرها
وفيه ان حق النظم والترتيب ان يذكر اصلحنا قبل وهبنا انهم اي
الانبيا المذكورين كانوا يسارعون في الخيرات المسارعة المبادرة
وتعديتها بالى وانما عدل عنها الى في للدلالة على انهم لا يتعبون بتحصيل
بعض الخيرات بل ينتظرون الجد والرغبة الى تحصيل بعض اخر منها وهذه
الدلالة بجعل الخيرات ما فيه المسارعة لا ما اليه ويدعوننا رغبا ورهبا
اي طمعا وخوفا كقوله تعالى يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه وهما
مصدران في موضع الحال او المفعول له اي للرغبة فينا والرهبة منا
وهو باشارته الى انهم يعلمون ان النفع والضر من الله تعالى يفيد
لما دل عليه قوله وكانوا لنا خاشعين من ثباتهم واستمرارهم على تخصيص
الخشوع له تعالى وقد سبق تفسير الخشوع والمعنى انهم ما استحقوا
الاجابة الى طلباتهم وما نالوا من الله تعالى ما نالوا الا بهذه الخصال
والتي واذكر التي يعني مريم وانما ذكرها بطريق الكناية لان تنويه
الشان بالاسما حق الرجال احصنت فرجها الاحصان احراز الشي
عن الفساد والفا التعقيبية في قوله فنفخنا قد دلت على ان المراد
حفظها من الحرام فقط لان النكاح مستحب بل سنة قبيحة فلا يصح

الاحراز عنه منشأ للفضيلة فيها اي فعلنا النفخ في مريم من روحنا
قد ذكرنا يحكى ان المراد حفظها من الحرام من جهته والمراد من الروح جبريل
عليه السلام فانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ جوفها واضافته الى الله
تعالى للتشريف وجعلناها وابنها اي حالها وهي ولادتها اياه من غير
فحل ولذلك وحد قوله اية او التقدير وجعلناها اية وابنها كذلك ويعضده
قراءة ايتين للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى
ان هذه امتكم الامة الملة والاشارة الى ملة التوحيد والاسلام اي ان هذه
الملة ملتكم التي يجب ان يكونوا عليها امة ملة حال من معنى الاشارة في
هذه اي يشار اليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبيا عليهم السلام
وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئ
برفعهما على انهما خبران او قدر للثاني مبتدا على هي امة وانا ربكم رب
واحد لا اله غيري فاعبدون لا غيري وتقطعوا امرهم بينهم كان الخطاب
السابق عاما للناس كافة فالتفت الى الغيبة لينعى على الذين تفرقوا في
الدين وكانوا شيعا تقبيح فعلهم الى غيرهم تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم
فرقا واحزابا شتى اي جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة
الشي ويتقسمونه قطعة قطعة كل ثم توعدهم بان كل واحدة من تلك
الفرق الينا خاصة لا الى غيرنا راجعون فيجازيهم فمن يعمل من الصالحات
وهو مومن بالله ورسوله فلا كفران لسعيه استعير الكفران لمنع الثواب
والحرمان كما استعير الشكر لاعطايه وقيل ان الله تعالى شكور لنفي نفي
الجنس للمبالغة فانه ابلغ من ان يقال فلا يكون لسعيه ثم بولغ واكد
في عدم تضييع سعيه بان وتقديم الجار والمجرور وتفضيل وانا له كاتبون
اي لذلك السعي في صحيفة عمله مثبتون له فلا تضييع بوجه ما وحرام
وقرئ وحرم وهما لغتان كحلال وحل على قرية اي ممتنع على اهل قرية اهلكناها
اردنا اهلاكها باستيصال اهلها انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او
الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزا وان مع اسمها وخبرها مبتدا خبره
حرام وقرئ انهم بالكسر على الكلام ثم قبله والمسند اليه محذوف دلت عليه
الاية المتقدمة اي وحرام على قرية اهلكناها ذلك اي العمل الصالح
والايمان والسعي المشكور غير المكفور ثم استونف على سبيل التعليل فقيل
انهم لا يرجعون عن الكفر وعلى قراءة الفتح ايضا لا يبعد هذا الوجه اي لانهم
لا يرجعون حتى هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط
والجزا اعني اذا وما في حيزها فتحت ياجوج وماجوج المفتوح حقيقة
هو السد المنسوب اليهما وانما اسند اليهما على التجوز لعلاقة ظاهرة
ونكتة لا يخفى لطف موقعها وحتى متعلقة بحرام او بمحذوف دل عليه

الكلام

الكلام اوبلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى
قيام الساعة وفتح السد من اماراتها كني به عنه وهم يعني ياجوج وما
جوج من كل حدب مرتفع من الارض وتعظمه كل للمبالغة في الكثرة
المراد الناس كلهم ويعضده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما جدث
بالجيم والثا وهو القبر ينسلون يسرعون واقترب الوعد الحق اي
القيمة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا
للمفاجاة سدت مسد الفا الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفا
معها تظاهرت على وصل الجزا بالشرط فيتاكد ولو قيل الجمع بين البدل
المبدل ساقط لان اذا باقية على حالها ثم تحقق بدلا حتى يلزم
الامتناع ويجوز ان يكون الضمير بعدها ضمير القصة وابصار الذين
كفروا مبتدا شاخصة خبره وان يكون ضميرا مبهما يفسره ابصار الذين
كفروا يا ويلنا مقدر بالقول واقع في موقع الحال من الموصول قد كنا
في غفلة من هذا اليوم بل كنا ظالمين انفسنا بعد الاعتبار بانذاره
المنذرين اضراب عن الاخبار عن استغراقهم في الغفلة وابطال له لاعتراف
بما هو الحق انكم وما تعبدون من دون الله اراد الاوثان اذ الخطاب
لقريش لا الشياطين واعوانه لما سياتي ان ما تعبدون لا يتناول
ذوي العقول ولا دلالة على ذلك فيما روي انه عليه السلام لما تلا الاية
على المشركين قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود
وقد عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة فقال عليه
السلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وليس فيه تخصيصا تاخيرا عن الخطاب
لان ما المنزل لا يعقل فلا يتناولهم ويدل على ذلك ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له ما اجهلك بلغة قومك اما علمت ان ما لما لا يعقل فعلى هذا
يكون قوله تعالى ان الذين سبقت الاية لدفع احتمال المجاز والتغليب
لا لتخصيص العام كما سبق الى بعض الاوهام حصب جهنم الحصب ما يرمى
به فعل بمعنى مفعول اي يحصب بهم في النار وقرئ بسكون الصاد نعو
وصفا بالمصدر انتم لها واردون استيناف او بدل من حصب جهنم
واللام معوضة على الاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان
هولاء الهة ما وردوها لان الورود في النار وان لم يلزمه العذاب
على ما دل عليه قوله تعالى وان منكم الا واردها ليس من شان المعبود
المختار وكل اي العابد والمعبود فيها خالدون انما قرنوا بالهتهم
لزيادة تعذيبهم فان ما اصابهم انما اصابهم بسببهم فاذا قرنوا بهم
ازداد غمهم وحسرتهم للقاء المؤذي ولانهم قدروا انتفاعهم في الاخرة

بهم واذا وجدوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شي ابغض اليهم منهم ومن هنا اتضح
وجه خلودها في النار لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وفيه تجوز من جهة
نسبة فعل البعض الى الكل وتغليب من جهة اطلاقهم على مجموع العقلا وغيرهم
ولا تاثير للتغليب في الاول وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب
وذلك بعد حين لما ورد في بعض الايات من مكالمتهم مع خزنة النار ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة القصوى او
البشرى بالثواب او التوفيق للطاعة اولئك عنها مبعدون بدخول الجنة
سبقت العناية في البداية فظهرت الولاية في النهاية وفي عبارة مبعدون
اشارة الى انهم يردونها ويبعدون منها اولا ولما كان ذلك مظنة ان
يتاذوا عنها عند ورودهم اياها وقربهم منها دفعها بقوله لا يسمعون
حسيسها صوتها الذي يحس وحركة لهبها حال من ضمير مبعدون
يعني انهم في حال سلامتهم عنها وعن اثارها الموذية بردا وسلاما ..
ويبعدون عنها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون الشهوة طلب
النفس اللذة اي دايمون في الاستغراق في مشتهياتهم وتقديم الظرف
للاختصاص ومحافظة الفواصل لا يحزنهم الفزع الاكبر اي النفخة الاخيرة
لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
وتتلقيهم الملئكة اي تستقبلهم مهنيين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو
مقدر بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا والعامل في يوم نطوي
السما تتلقيهم او الفزع او لا يحزنهم او الطي عند النشر او المحو من قولك
اطو عني هذا الحديث كطي السجل للكتاب كطي الطومار لاجل الكتابة
او لما يكتب او كتب فيه ويؤيده القراة على الجمع اي للمعاني الكثيرة
المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه
وفيه ان حق التشبيه ان يكون بالمعهود المعروف وطي ذلك الملك
لم يعرف الا من هذا الكلام وقيل كان كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه انه ليس لطيه خصوصية زايدة وتخصيص التشبيه به تقتضي
ذلك وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدانا اول
خلق نعيده اول خلق مفعول بدانا ومحل الكاف النصب على المصدر ..
وما كافة مصدرية اي مثل ما بدانا اول خلق نعيده او مفعول نعيد
مضمر يفسره ما نعيده اي نعيد اول خلق كما بداناه ويجوز ان يكون
الكاف منصوبة بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة واول
نصب على الظرف لبدانا او نصب على الحال من ضمير الموصول المحذوف
المقدر في بدانا اي نعيد مثل الذي بدانا ونعيده في اول خلقنا اياه او
حال الوقت اول خلق تشبيه الاعادة بالابدا في تعلق القدرة بهما على

السواء

السوا والمراد صحة اثبات صحة الاعادة بالقياس على الابدا لشمول
الامكان الذاتي المصحح للمقدورية لهما اي كما اوجدنا اول ايجاده من عدم
نعيده ثانيا عن عدم وانما وحد خلق ونكر ليفيد تفصيلهم واحدا واحدا
والمعنى اول الخلايق كما تقول اول رجل جاءني يعني اول الرجال وانما نكرت ووحدت
ليفيد تفصيلهم رجلا رجلا هذا اختيار ما قالوا والذي يظهر لي ان الخلق بمعنى
المخلوق وتقييده بالاول لاخراج المخلوق ثانيا وهو الروح عن متناول الكلام
لانه في اعادة البدن وهو المخلوق اولا لقوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر
فتدبر وعدا مصدر موكد لان قوله نعيده عدة للاعادة علينا اي علينا
انجازه انا كنا فاعلين عازمين في الازل على ان نفعل ذلك لا محالة او قادرين
على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود عليه السلام من بعد
الذكر اي التورية ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي
الصالحون عامة المومنين او امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اي فيما
ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او سبب بلوغ الى
البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين لانه جا بما يسعدهم في الدارين ويصلح معاشهم ومعادهم ..
وارتداد كفر بعضهم بسببه انما هو من عند انفسهم وعنادهم لا منه
وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من عذاب الاستيصال المسخ والخسف
وتاخير عقوبتهم قل انما يوحى الي ما في انما كافة ويجوز ان تكون موصولة
بمعنى ان الذي يوحى الي انما الهكم اله واحد لان المقصود الاصلي من
بعثته هو التوحيد فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله تعالى على
مقتضى الوحي المصدق بالحجة والتوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان
تولوا واعرضوا عن التوحيد فقل اذنتكم اذن من اذن اذا اعلم لكنه
شاع استعماله في الانذار اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سوا
نصب على الحال عن المخاطبين اي مستوين في الاعلام به او مستوين انا
وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعادات او صفة مصدر محذوف
اي ايذانا على سوا وقيل اعلمتكم به او في المعادات وانا على سوا اي
اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري وما ادري اقريب
ام بعيد ما توعدون ما توعدونه من غلبة المسلمين او من الحشر
لكنه كاين لا محالة انه يعلم الجهر من القول اي ما يجهرون به من
الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون ما تكتمونه من الاحن والاحقاد
للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري
لعل تاخيره هذا الوعد افتتان لكم وامتحان لينظر كيف تعملون
ومتاع وتمتع واستدراج لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم ..

ولبيع الموعد به في وقت قدره فيه بمقتضى حكمته قال رب احكم بالحق
اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل امر باستعجال العذاب فعذبوا ببدر وكان
مقتضى العدل ذلك وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب
منه المعونة على ما تصفون ما تصفونه من الحال بان الشركة تكون
لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن فخيب الله تعالى امالهم وكذب
ظنونهم ونصر رسوله عليه الصلوة والسلام والمومنين عليهم .

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم امر بني ادم بالتقوى ثم علل امرهم به بفظاعة الساعة
حيث قال ان زلزلة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى
التدرع بلباس التورع والتردي برداء التقوى ويبقوا على انفسهم ويتقوها عن
الردى بملازمة التقوى والزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل
الاشياء عن مقارها ومراكزها واضافتها الى الساعة اضافة المصدر الى الفاعل على
التجوز في الاسناد كانها هي التي تزلزل الاشياء او الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول
به او بتقدير في كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهذه الزلزلة هي المذكورة في
قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان
ما لها يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها السورة عن الحسن انها تكون
يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها وانما قربت الى
الساعة لانها من اشراط الساعة شيء عظيم لما وصفه بالعظم وابهمه تعظيما .
بانها شيء لا يكتنه كنه عظمته اخذ في تصوير هولها لتصوره منكرة فليس
المراد من قوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل
ذات حمل حملها ذهول المرضعة ووضع الجنين بل شدة الهول هذا على
القول الاول والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل معروفا
ومجهولا اي تذهلها الزلزلة من الذهول وهو الذهاب عن الامر دهشة
وحيرة لا من الذهل لانه بمعنى السلو قال الشاعر صحا قلبه يا عز او كاد يذهل
وما مصدرية او موصولة والمرضعة هي التي تكون في حال الارضاع ملقمة
ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع واما
المعنى على القول الثاني وعليه الجمهور ان هولها بحيث اذا فوجئت به التي
القمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه دهشة ولقد احسن
من قال تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها
لغير تمام وترى وتظن الناس سكارى حقيقة لا على التشبيه وما هم
بسكارى في الواقع ولكن عذاب الله شديد اذهب عقولهم لشدته وطير
تمييزهم بهوله فجعلهم بحيث لا يفرق بينهم وبين من يذهب السكر بعقله

و

وتمييزه واما جاء فاعل الروية اولا وافرد ثانيا لان الاولى علقت بالزلزلة
والزلزلة يراها الناس كلهم والثانية علقت بكون الناس على حال
السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لاثر السكر على صاحبه وقرئ
بالضم ونصب الناس من اريتك قايما واريتك قايما ورفعه على اسناده
ترى اليهم على تاويل الجماعة وسكارى حال وقرئ سكرى كعطشى اجراء
للسكر مجرى العلل ومن الناس لا يخفى ما في هذا التعبير من التحقير
بشانه حيث نزله منزلة من احتاج الى الاخبار عنه بانه من جنس
الانس من يجادل من يخاصم خصومة شديدة في الله بغير علم نزلت
في النضر بن الحارث وكان جدلا يبعث بعد الموت وهي عامة في كل مجادل
لا يرجع الى علم ويتبع كل شيطان مريد في جداله وسيرته والمريد المتجرد
للفساد كتب عليه على الشيطان انه الضمير للشان من تولاه اي جعله وليا
وتبعه وقرئ انه بالكسر على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب
معناه فانه يضله خبر لمن او جواب له ويهديه الى عذاب السعير ولا يحصل
من ولايته الا الضلال عن طريق الحق والجنة او الهداية الى عذاب النار
بالغواية والاغراء الى ما يودي اليه وحمله عليها بل يلزمه ذلك كانه
كتب عليه اضلال من يتولاه لانه مجبول عليه وقرئ فانه بالفتح على انه
مبتدا محذوف الخبر اي فحق انه يضله او خبر مبتدا محذوف اي
فشانه انه يضله ولاوجه للعطف لانه يجعل الضمير للمجادل ومن
تولاه خبرا وجزاء علي هذا ان يكون الضمير في عليه له ايضا يا ايها
الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من
البعث بالتحريك كالجلب والطرد وتنوين ريب للتحقير والتقليل ولذلك
جي بكلمة الشك اي تفتح دليله فان نفي فيكم ادنى ريب فالنظر في بدء
خلقكم يزيله فانا خلقناكم من تراب كآدم ومنه او من الاغذية المتكونة
منه ثم من نطفة وهي اصلها القليل من النطف وهو الصب والمراد المني
ثم من علقة قطعة من الدم الجامد ثم من مضغة وهي اللحمة الصغيرة
قدر ما يمضغ مخلقة يقال خلق العود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة
خلقاء اذا كانت ملساء وغير مخلقة اي مسواة وغير مسواة كان الله تعالى
خلق المضغ متفاوتة في التسوية والتعديل فنتج ذلك تفاوت الناس
في الصورة والقامة والشكل والتمام والنقص او مصورة وغير مصورة او تامة وساقطة
لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على تغييره وتصويره اولا
قدر على ذلك ثانيا لهذا اهون عند العقل وادخل في المقدورية واطلاق
التبيين غير متعد الى مفعول يماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته
وحكمته ما لا يدخل تحت الذكر ولا يوصف ونقر في الارحام ما نشاء ثبوته

الى اجل مسمى وهو وقت الوضع وعلم منه حال قرينه المقابل له بطريق
المفهوم ثم نخرجكم منها طفلا حال وحدت لارادة الجنس او لانه مصدر في
الاصل او على تاويل كل واحد وقرى نخرجكم بالنصب وكذا نخرجكم عطفا على
نبين والمعنى انا خلقناكم مدرجين لغرضين احدهما التبيين والثاني
الاقرار في الارحام حتى تولدوا وتنشاوا وتبلغوا حد التكليف فتكلفوا
والغرض في الحقيقة هو الاخير اعني بلوغ الاشد والصلوح للتكليف لكن
لما كان الاقرار وما قبله من مقدماته صح ادخاله في التعليل وقرى بالياء
رفعا ونصبا وتقر بالضم من قررت الماء اذا صببته ثم لتبلغوا اشدكم الاشد
كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد وكانه
شدة في غير شي واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى عند بلوغ
الاشد او قبله او بعده قبل الهرم وقرى يتوفى اي يتوفاه الله تعالى ومنكم
من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيا ليعود كهيئته
الاولى في اوان طفوليته سخيف العقل قليل الفهم والاستغراق المستفاد في ذكر
شيا في سياق النفي للمبالغة في نسيانه ما علمه وانكاره لما عرفه وترى الارض هامدة
ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرى ربات اي ارتفعت وانبتت
من كل زوج من كل صنف بهيج البهيج الحسن السار للناظر اليه وهذه
دلالة ثانية على البعث كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها
مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله
على احوال متضادة واحيا الارض بعد موتها وهو مبتدا خبره بان الله هو
الحق اي حاصل بسبب ان الله هو الحق الثابت الوجود في نفسه الذي يتحقق
به الاشيا وانه يحيي الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيى النطفة
والارض الميتة وانه على كل شي قدير لان قدرته لذاته ونسبتها الى الكل
سوا فلما دلت المشاهدة على احيا بعض الاموات لزم اقتداره على الكل
وان الساعة اتية لا ريب فيها لا ينبغي ان يرتاب فيها لا التغير من
مقدمات الانصرام وطلايعه وان الله يبعث من في القبور اي لانه
تعالى حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما
وعد ولما كان المراد احيا موتى الانسان عبر عنها بما هو من خصايصهم
بمعنى من في القبور من مات من جنس الانسان بطريق الكناية ومن
الناس من يجادل في الله في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في ابي
جهل بغير علم ضروري ولا هدى كسبي فانه غالبا يكون بتعليم الغير
وارشاده ولا كتاب منير اي وحي اي يجادل بتخمين وتقليد لا باحد
هذه الثلاثة ثاني عطفه ثني العطف كناية عن الكبر والخيلا او التبختر

اوعن

اوعن الاعراض عن الحق استخفافا وقرى بفتح العين اي مانع بعطفه ليضل
عن سبيل الله تعليل للمجادلة وقرى بفتح اليا على ان اعراضه عن الهدى
المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال
وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له في الدنيا خزي هو ما اصابه يوم
بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق عذاب النار المحرقة ذلك
بما قدمت يداك اشارة الى الخزي والعذاب وتغيير النظم بالالتفات الى
الخطاب والى بلفظ البعيد للتنبيه وتعظيم الموعد به وتهويله والايماء
الى تفاقم الخطب والى انه بسبب ما اقترفه من الكفر والمعاصي وان الله
ليس بظلام للعبيد عطف على بما اي وبان الله تعالى يعني ان
العدل هو اقتضى ذلك لا الظلم ولفظ المبالغة لان قليل الظلم منه
مانع مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا وللايما الى ان من هو في
غاية الكمال شانه ان يكون وصفه كذلك ومن الناس من يعبد الله
على حرف على طرف من الدين لا في وسطه فان اصابه خير اطمان به
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه كالذي يكون على طرف الجيش فان
احس بالظفر قر والا فر روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة
وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته
غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني
هذا الا خيرا واطمان به وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا
وانقلب وذكر الفتنة في مقابلة الخير للتنبيه على ان الشر لا يجدر
عنه تعالى قصدا انما المقصود منه الابتلا خسر الدنيا بذهاب عصمته
والاخرة بحبوط عمله بالارتداد وقرى خاسر بالنصب على الحال والرفع
على الفاعلية او على انه خبر مبتدا محذوف وعلى الاول يكون من باب
وضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا عليه بالخسران ذلك هو الخسران
المبين الظاهر الذي لا يخفى على احد يدعو من دون الله ما لا يضره
وما لا ينفعه اي لا يقدر على شي اصلا فان النفع والضر في التعبير
بهما عن جميع الاثار كالسما والارض في التعبير بهما عن جميع الاجسام
واعاده كلمة ما للدلالة على استقلال كل من الوصفين المذكورين
في اخراج موصوفه الى معرض الذم ذلك هو الضلال البعيد عن
المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه فطالت وبعدت
مسافة ضلاله يدعو لمن ضره بكونه معبودا لايجابه القتل في الدنيا
والعذاب في الاخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة
والتوسل بها الى الله تعالى وانما قال اقرب والاقرب للنفع تهكما
واستهزا بهم واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول

مع اعتقاد وقيل انها دخلة على الجملة الواقعة مقولا اجرا له مجرى يقول
اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به وعبادته ما في
عبادته اقرب من معنى التفضيل ويجوز ان يكون مستانفة على ان
يدعو تكرير للاول ومن مبتدا خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير
الصاحب ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
ان الله يفعل ما يريد من اثابة المومن الصالح وعقاب الكافر الطالح لا
دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة كلام
فيه اختصار ومعناه ان الله تعالى ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان
يظن من حاسديه واعاديه ان لا يفعل ذلك ويغيظه ما يفعل الله..
فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستفرغ وسعه في ازالة غيظه
الى سماء بيته كما يفعل من بلغ به الغيظ كل مبلغ ثم ليختنق سمي الاختناق
قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع
او فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي ان نزل
عليه فلينظر وليتصور في نفسه هل يذهبن كيده ما يغيظ هل يذهب نصر الله الذي
يغيظه ان فعل ذلك وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر
فلم يقدر الا عليه او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد
به نفسه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وكذلك مثل ذلك
الانزال والاشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى انزال اخر يقصد
تشبيه هذا الانزال به فالكاف منحم افخاما للازم لا يكادون يتركونه
في لغة العرب وغيرهم انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات واضحات وان
الله يهدي ولان الله يهدي به او يثبت على الهداية من يريد هدايته او
ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا يعني عبدة الاوثان قيل الاديان خمسة اربعة
للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون
ستة ان الله يفصل بينهم يوم القيامة في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم
جزاء واحدا ولا يجمعهم في موطن واحد او بالحكومة بينهم واظهار المحق
منهم من المبطل وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد
التاكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله فلينظر كل
امرئ معتقده وقوله وفعله وهو ابلغ وعيد الم تر الم تعلم علما
يقوم مقام العيان ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض
استعير السجود للانقياد والمطاوعة لما يريد الله تعالى من الافعال
لانه هيئة من هيئات المكلف لا هيئة ادل منها على الذلة والتسخير
ومن يعم اولي العقل وغيرهم للتغليب فيكون قوله والشمس والقمر

والنجوم

والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك
منها في العادة وكثير من الناس تخصيص بعد التعميم للايما الى ان من
الناس لا ينقاد لحكمه ولا يتسخر لامره ولا يلزم عطفه على سائر الساجدين
المحذور عند الجمهور لما فيه من استعمال اللفظ الواحد مجازا وحقيقة في
حالة واحدة اذ يجوز ان يجعل فاعل فعل مضمر دل عليه يسجد اي يسجد
له كثير من الناس السجود الحقيقي ويجوز ان يكون مبتدا محذوف الخبر
مدلولا عليه بخبر قسيمه اي حق له الثواب او الخبر مذكور على ما
سياتي وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يكون
كثير الثاني تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان
يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ
حق بالضم وحقا اي حق عليهم العذاب حقا ومن يهن الله بان حكم
عليه بالشقاوة فما له من مكرم يجعله سعيدا وقرئ بالفتح بمعنى
الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاهانة والاكرام هذان خصمان
اي فريقان يختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس
وقال هولاء خصمان اختصما جاز والمراد بهما المومنون والكافرون
في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته روي ان اهل الكتاب والمومنون
تخاصموا فقال اهل الكتاب نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل
نبيكم وقال المومنون نحن احق بالله امنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله
من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت والذين
كفروا فصل لخصومتهم وهو المراد بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم
يوم القيامة قطعت لهم على مقادير جثثهم ثياب من نار نيران تحيط
بهم احاطة الثياب واختير لفظ الماضي لانه كائن لا محالة يصب خبر
ثان او حال من الضمير في لهم من فوق رؤوسهم الحميم الماء الحار يصهر به حال
من الحميم او من الضمير في رؤوسهم والصهر الاذابة وقرئ بالتشديد للتكثير
ما في بطونهم من الشحوم والجلود فانه يؤثر من فرط حرارته
في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب ما في ظاهرهم ولهم مقامع من
حديد سياط فيه جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف ولهم
مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم بدل اشتمال
من منها باعادة الجار والاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من اجل
يعني كلما ارادوا الخروج من النار من اجل غم يلحقهم وارادة الخروج كناية
عن القرب منه كقوله تعالى يريد ان ينقض اعيدوا فيها بالمقامع والمراد
اعادتهم الى معظم النار لا انهم يخرجون منها ثم يعودون اليها لقوله
تعالى وما هم بخارجين منها ولقوله فيها دون اليها وذوقوا اي

وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق ثم ذكر جزاء الخصم
الاخر بقوله ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من
تحتها الانهار تغيير النظم في التفصيل بترك العطف واستيناف الكلام
وادخال حرف التاكيد واسناد الادخال الى الله تعالى تعظيم لشان المومنين
واحماد لحالهم يحلون فيها من حليت المراة اذا لبست الحلي فهي حالية تشدد
للتكثير وقرئ مخففا مبنيا للمفعول من اساور صفة مفعول محذوف والاساور
جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤ عطف على اساور
او ذهب على انه مرصعة وقرئ منصوبا على اضمار فعل اي يلبسون او يؤتون
او عطفا على محل الجار والمجرور ولباسهم فيها حرير تغيير الاسلوب
فيه للدلالة على ان الحرير لباسهم المعتاد مع رعاية الفاصلة وهدوا
الى الطيب من القول ابهم الفاعل ولم يقل وهداهم الله ابقاء لحق التعظيم
وابهم القول وجيء بالطيب ثم بين تفخيما لشانه دلالة الى انه هذا الملقب
بالطيب وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا
الى صراط الحميد كرر هدوا تنبيها على ان كل واحد منهما امر مرغب بالاصالة
تام معتد به في الهداية اليه واختير اسم الحميد من اسماء الله تعالى للاشارة
الى خصوصية القول الطيب اي الى الطريق المستحق لذاته الحمد وهو
الله تعالى او اراد المحمود عاقبته وهو الاسلام وقيل طريق الجنة واضيف
الى الله تكريما للجنة بنسبتها اليه وان طريقها طريقه ان الذين كفروا
خبر ان محذوف دل عليه جواب الشرط اي ان الذين كفروا نذيقهم من
عذاب اليم ويصدون عن سبيل الله عطف على كفروا والقوله تعالى
في موضع اخر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي يواظبون على
الصدود وهو الصرف عن الخير خاصة وليس المراد الحال او الاستقبال
بل استمرار وجود الصد منهم في جميع الازمان كقولهم فلان يحسن الفقرا
ويكره العتيقان ولذلك حسن عطفه على الماضي والمسجد الحرام عطف
على سبيل الله الذي جعلناه للناس مطلقا من غير فرق بين حاضر وب
باد فان اريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على انه لا يجوز بيع ارض
مكة ولا اجارتها ولا ايجارها ويؤيده قوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم
لان الاضافة باعتبار انهم يملكون البنا ولا شرا عمر رضي الله عنه دارا
يسجن فيها لانه اشترى البناء دون الارض وان اريد به البيت فالمعنى
انه قبلة لجميع الناس والاول هو الظاهر لقوله تعالى سواء العاكف فيه
المقيم بمكة والباد اي الساكن في البادية اي ليس لاحد ان يمنع
احدا منه قيل كانت بيوت مكة لا يتخذ لها ابواب حتى ظهرت السرقة
فيهم فقال عمر رضي الله عنه لرجل منهم وهو اول من اتخذ بابا اتخذت

بابا لتحتجب به فقال لا ولكن احرزت المتاع عن السرقة فقال له انه
لا يحل لاهل مكة ان يأخذوا اجور بيوتهم وفي جواز بيع ارض مكة عن ابي
حنيفة روايتان قال في الجامع الصغير لا يجوز وروى ابن زياد عنه
انه يجوز وللناس مفعول ثان لجعلناه وسواء خبر مقدم والعاكف مبتدأ
والجملة حال او مفعول ثان وللناس حال وقرئ سواء بالنصب على انه مفعول
ثان او حال والعاكف مرفوع على الفاعلية اي مستويا العاكف فيه والباد
وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه ترك مفعوله
ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد الالحاد العدول
عن القصد واصله الحاد الحافر بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان
او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب
الظلم كالاشراك واقتراف الآثام وعلى قراءة فتح اليا في يرد تكون البا
في بالحاد للتعدية اي ومن اتى فيه بالحاد ظالما نذقه من عذاب اليم
جواب لمن واذ بوانا لابراهيم مكان البيت اي واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان
البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعبادة ولما كان المقصود من التبوية
العبادة فسرته بالنهي عن الشرك والامر بتطهير البيت فان في قوله
ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود
مفسرة كانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي عن الاوثان
والاقذار ان تطرح حوله للطائفين والمصلين وانما عبر عن الصلوة باركانها

منها

للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضا ذلك كيف وقد اجتمعت
وفصل بين الاول والاخيرين بغيره او لان القيام تعظيم الله تعالى والركوع
والسجود تذلل له فاتحد هاذان وغيرهما الاول وقيل هي مصدرية موصولة
بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادة وطهر بيتي واذن في الناس ناد
فيهم وقرئ اذن من الايذان بالحج بدعوته والامر به والحج القصد البليغ الى
مقصد منيع روي انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس
حجوا بيت ربكم فاجاب من قدر له ان يحج من الاصلاب والارحام لبيك
اللهم لبيك وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان
يفعل ذلك في حجة الوداع والاول اظهر وجواب الامر ياتوك رجالا مشاة
كقايم وقيام وعلى كل ضامر معطوف على كل رجال كانه قال رجالا وركبانا
والضامر البعير المهزول والاطناب المحتوي وزيادة لفظ كل للمبالغة في
تعميم الامر لمن يقدر على المركب ولو ضعيفا وقدم الرجال على الركبان
اظهارا للفضيلة المشاة كما ورد في الحديث ياتين صفة لكل ضامر لانه في
معنى الجمع وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير
للناس من كل فج اي طريق وسيع عميق وانما عبر عن البعد بالعمق لينا سب

الغرض المعتبر في مفهوم الحج وقرئ معيق والمعيق واحد **ليشهدوا** ليحضروا
متعلق باذن او بما تؤكد **منافع لهم** دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد
نوع منها مختص بهذه العبادة **ويذكروا اسم الله** عند اعداد الهدايا
والضحايا وذبحها وقيل كني بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه
تنبيهًا على انه المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى **في ايام معلومات**
هي عشر ذي الحجة وايام النحر **على ما رزقهم من بهيمة الانعام** على الفعل
بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحسينا للكلام بنوع من البلاغة لم توجد في غير
هذه العبارة وتنبيهًا على الكناية بالقرينة وتعظيم المرزوق بالابهام
والتوضيح للتحريض على التقرب به وقد سبق في المائدة ما يتعلق
بتفسير بهيمة الانعام **فكلوا منها** امر اباحة ازاحة لما عليه اهل الجاهلية
من التحرج فيه او ندب لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم واستعمال
التواضع وهذا في هدي التطوع والمتعة والقران لانه دم نسك فاشبه
الاضحية دون سائر الهدايا **واطعموا البائس** الذي اصابه باس اي
شدة **الفقير** المحتاج الامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول **ثم ليقضوا
تفثهم** ثم ليزيلوا عنهم ادرانهم كذا قال تعطوبه وقيل قضاء التفث قص
الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد وذلك عند الاحلال ولذلك
ولذلك صدره بكلمة التراخي **وليوفوا نذورهم** مواجب حجهم والمعرب تقول
لكل من خرج عما وجب عليه وفى بنذره وان لم ينذر وما ينذرونه من
اعمال البر في حجهم **وليطوفوا** طواف الزيارة الذي هو ركن الحج وبه يقع
تمام التحلل وقيل طواف الوداع **بالبيت العتيق** القديم لانه اول بيت
وضع للناس او الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه
عن ذل العبودية الى كرم الحرية او المعتق من الغرق لانه رفع من الطوفان
او من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى
واما الحجاج فانه قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما الذي تحصن به
منه دون التسلط عليه **ذلك** خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك وهو
وامثاله للفصل بين كلامين **ومن يعظم حرمات الله** الحرمة ما لا يحل
هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة فيجوز ان يكون عاما
في جميع احكامه وان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله
البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام **فهو** اي التعظيم **خير له** والتعظيم
القيام بمراعاتها مع اعتقاداتها واجبة المراعاة **عند ربه** يعني
في الاخرة **واحلت لكم الانعام الا ما يتلى** الا ما يتلى عليكم تحريمه وهو ما حرم
منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرم
الله كالبحيرة والسائبة وفي عبارة يتلى اشارة الى ان التحريم لا يكون الا

من

من جهة الشارع بنص متلو **فاجتنبوا الرجس من الاوثان** صدره بالفاء
السببية لانه لما حث على تعظيم حرمات الله تعالى لزم وجوب المحافظة
على حدوده واعظمها التوحيد فدخل وجوب الاجتناب من عبادة الاوثان
فيه دخولا اوليا وتسبب منه ومن للبيان اي الرجس الذي هو الاوثان وهو
غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها حيث سماها الرجس وعرفه بلام
الجنس وامر بالاجتناب عن عينه وبينه بالاوثان كان جنس الرجس
ما هو الاوثان كل ذلك تنفيرا عن عبادتها خصوصا جعلها الرجس الذي
ينفر الانسان عنه بطبعه **واجتنبوا قول الزور** قرنه بالشرك في
وجوب الاجتناب عنه ولم يعطف بل كرر اجتنبوا تنبيها على اصالة تحريمه
وتعميما لما ذكر كان الشرك يلزمه قول الزور اذ المشرك يدعي الوهية
الوثن ويخترع فيه تحريم البحائر وغيره من مفترياتهم فيكون كالعلة
لتحريم الشرك بتحريم لازمه الاعم وقيل المراد بقول الزور شهادة
الزور لما روي انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك
بالله ثلاثا وتلا هذه الاية والاظهر العموم ليتناول الشهادة وسائر
الاكاذيب والزور هو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف
فان الكذب منحرف ومصروف عن الواقع **حنفاء لله** مستقيمي الطريقة
على امر الله واصل الحنف الاستقامة وقيل للمايل القدم احنف تفاؤلا
بالاستقامة **غير مشركين به** غيره في العبادة وهما حالان من الواو
ومن يشرك بالله لما اخذ في التمثيل عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر في
التفخيم المناسب لمقام التهويل **فكانما خر من السماء** سقط منها **فتخطفه
الطير** الخطف الاستلاب بسرعة **او تهوي به الريح** او تسقطه والهوي
السقوط **في مكان سحيق** بعيد شبه حال المشرك في هلاكه هلاكا
لا خلاص معه بحال من خر من السماء فاختطفه الطير فتفرق قطعا في
حواصلها او عصفت به الريح فهوت به في بعض المهالك البعيدة
هذا اذا جعلته من باب التشبيه المركب وتمثيل صورة حال
بصورة حال من هلك على احدى الصورتين وان جعلته من باب
التشبيه المفرد شبهت الفطرة الفائدة للتوحيد في علو رتبتها
بالسماء والمشرك بالساقط والاهواء المردية الموزعة افكاره
بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في تيه الضلال
بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة والشرك
الذي بالمكان السحيق واو للتخيير كما في قوله تعالى او كصيب
او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من
يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد **ذلك** اي الامر ذلك **ومن يعظم**

شعائر الله معالم دينه اراد بها الهدايا لانها من معالم الحج والمخصص
ما قبلها وما بعدها وتعظيمها اعتقاد كون التقرب بها من اعظم الطاعات
واختيارها حسانا سمانا غالية الاثمان وترك المكاس في شرائها وروي
ان عمر رضي الله عنه اهدى ظبية طلبت منه بثلثماية دينار وجزاؤه
محذوف تقديره فهم متقون حقا لدلالة التعليل القايم مقامه ولهذا
ادخل الفا الجزائية عليه والضمير في فانها لتعظيمات من عظمها شعائر
الله من تقوى القلوب اي ناشئة منها واللام عوض عن المضاف اليه
اي من تقوى قلوبهم واضافتها اليها للاحتراز عن تقوى المرائي لكم
فيها منافع كثيرة دنيوية ودنيوية من درها ونسلها وظهرها
وصوفها والتصدق بعوائدها الى اجل مسمى الى وقت نحرها
ثم محلها الى البيت العتيق ثم موضع حل نحرها منتهي الى البيت
او قريب اليه وهو الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في
الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية
اعظم منها ولكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا وقربانا يتقربون
به الى الله تعالى وقرئ بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله على ما
رزقهم علة للجعل مبينة ان المقصود من المناسك ذكر الله تعالى عند
اسمه عليها من بهيمة الانعام فيه تنبيه على ان القربان لا يكون
الا من النعم فالهكم اله واحد فله اسلموا الفا في الموضعين للسببية وتقديم
له للتخصيص اي لما كان المقصد الاصلي من وضع المناسك ذكر الله تعالى
وتوحيده فاعلموا ان الهكم اله جميع الامم اله واحد فله خاصة اخلصوا الذكر
دون غيره واجعلوه له سالما اي خالصا لا تشوبوه بالاشراك لبتة
وبشر المخبتين المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم خافت منه هيبة لاشراق اشعة
جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من المحن والمصائب والمقيمي
الصلاة في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع
بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت به لعظم
بدنها ماخوذ من بدن بدانة وهي الابل خاصة وقد دل عليه الحاق
رسول الله صلى الله عليه وسلم البقر بدنه حين قال البدنة عن سبعة
والبقرة عن سبعة ولا دلالة فيه على صيرورة البدنة متناولة للجنسين
في الشريعة وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على الابتداء
كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها
الله تعالى واضافتها الى اسمه تعظيم لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية
فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند النحر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله

والله اكبر اللهم منك واليك صواف حال من الها اي قايمات ومصففة
ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على
ثلاثة وطرف سنبك الرابعة لانها تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث
وصوافيا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي
خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن اليا مطلقا نحو مثل اعطوا
القوس باريها فاذا وجبت جنوبها اي سقطت على الارض بعد
تحركها قايمة وهو كناية عن موتها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر
اي اذا مات حل لكم الاكل منها والاطعام والقانع الراضي بما عنده وبما
يعطى من غير سوال من قنعت قنوعا وقناعة ويويده انه قرئ القنع
وهو الراضي والمعتر المتعرض بالسوال وقيل القانع السائل من
قنعت اليه اذا خضعت له وسالته قنوعا والمعتر المتعرض بغير
سوال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه بمعنى كذلك
مثل ما وصفنا ها من نحرها قياما معقولة ايديها سخرناها لكم مع عظمها وفرط
قوتها حتى تاخذوها فتعقلوها وتحبسوها صافة قوايمها ثم تطعنون
في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله
لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا
دماؤها المهراقة عنها بالنحر من حيث انها لحوم ودما ولكن يناله التقوى
منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي يدعوكم الى تعظيم
امر الله والتقرب اليه والاخلاص له والنحر عنها قيل كان اهل الجاهلية
اذا نحروا البدن نضحوا الدما حول الكعبة ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون
ارادوا مثل ذلك فنزلت كذلك سخرها لكم كرر التسخير تذكيرا للنعمة وتعليلا
بقوله لتكبروا الله على ما هداكم اي لتعرفوه باقداره اياكم وتعلموا انه
القادر على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبريا وتشكروه على انعامه
عليكم بالهداية الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها فتعديته بعلى على
تضمين معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتون به ويذرون
وانما ترك المبشر به للاشارة الى انه مما يقصر عنه العبارة ان الله يدفع وقرئ
يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه عن الذين امنوا حذف
المفعول للتعميم ثم علل بقوله ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله كفور
لنعمته اي لا يحب اضدادهم وضمنه الايماء الى ان اعاديهم الواجب دفعهم
هم المشركون والتنصيص عليهم بانهم الخوانون الكفارون والتعريض
بان اضداد المومنين هم الامنا الشاكرون وان الله تعالى يحبهم وعلى
مقتضى ما ضمنه اي بصيغة المبالغة والا فمقتضى الظاهر نفي محبته
عن كل خاين وكافر قيل انه اول اية نزلت في القتال اذن رخص للذين يقاتلون

فيه لدلالة يقاتلون عليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء اي للذين يقاتلهم
المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان المشركون يوذونهم وكانوا ياتونه من بين مضروب ومشجوج
يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر ثم نزلت
هذه الاية وهي اول ما نزل في القتال بعد ما نهي عنه عليه السلام في نيف
وسبعين اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم وارد على سنن كلام
الملوك المتقدرين الجبارين وتاكيد لما سبق من الوعد بدفع اذى
الكفار فان النصر ليس مطلق العون بل العون بدفع الضرر الذين اخرجوا
من ديارهم في محل جر بدل من الذين او نصب باعني او رفع باضمارهم
من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الاخراج
الا ان يقولوا ربنا الله ابدال ان يقولوا من حق تاكيد للمدح بما يشبه
الذم على طريقة قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

اي بغير موجب سوى التوحيد الموجب للاعزاز والتمكين والاكرام
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المومنين على المشركين
بالجهاد لهدمت الهدم كناية عن الابطال والتعطيل على وجه ابلغ اي
لاستولى المشركون على اهل الملل وعطلوا متعبداتهم وجه صوامع وبيع
وصلوات الصوامع جمع صومعة وهي متعبد الرهبانية والبيع جمع
بيعة وهي متعبد النصارى ومصلاهم والصلوات وهي كنيسة اليهود
سميت صلوة لانها يصلى فيها وقيل كلمة معربة اصلها بالعبرانية
صلوثا ومساجد ومساجد المسلمين انما خص التعبير بالمسجد عن مصلاهم
لان السجدة من اركان صلوتهم خاصة وانما اخرت عن غيرها لما في
التقديم من القرب من التهديم يذكر فيها لا في المساجد خاصة بل في
جميع ما ذكر لانه كالتعليل لصونها عن التهديم بالدفع المذكور اسم الله
كثيرا صفة مصدر محذوف اي ذكرا كثيرا ولينصرن الله من ينصره اي
ينصر دينه ورسله اخبار من الله عن الغيب ووعد انجزه بتسليط
المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم
ان الله لقوي على نصرهم عزيز غالب على امره وفيه تاكيد لوعده
الذين بدل من من ينصره او صفة اخرى للذين يقاتلون قوله ولولا
دفع الله الى اخره اعتراض بين الصفتين ان مكناهم في الارض وبسطنا
لهم في الدنيا اقاموا الصلوة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
اي قاموا باوامر الدين حق القيام وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثنا
قبل بلاء اي اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وفيه دليل

علي صحة

على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك في غيرهم من المهاجرين
ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه ايضا تاكيد لوعده
وان يكذبوك تسلية لرسوله عليه السلام من تكذيب قومه اياه اي
لست باوحدي في التكذيب فقد كذبت قبلهم قبل قومك قوم نوح نوحا
عليه السلام وعاد هودا عليه السلام وثمود صالحا عليه السلام لم يقل فيهما
قوم صالح وقوم هود لان الاصل في التعبير هو العلم والعدول في غيرهما
الى التعبير بالامر العام لضرورة فقد العلم وقوم ابراهيم ابراهيم عليه
السلام وقوم لوط لوطا عليه السلام واصحاب مدين شعيبا عليه السلام
لم يقل ههنا وقوم شعيب لان المكذبين له من قومه اصحاب مدين خاصة
وكذب موسى غير النظم فيه ولم يقل قوم موسى لان قومه بنو اسرائيل
ولم يكذبوه وانما كذبه القبط وافرد له الفعل لتعظيمه وبيان ان تكذيبه
كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع كانه قيل وكذب موسى مع عظم اياته
ووضوح معجزاته فما ظنك بغيره وبني الفعل للمفعول انما ما للكلام ذه
بالتعريض لما سيق له فامليت للكافرين فامهلتهم اي فامهلتهم الزاما
للحجة ثم اخذتهم عاقبتهم على كفرهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير
النعمة نقمة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا والبقاء استيصالا فكاين من
قرية منصوب المحل بفعل مقدر يفسره اهلكناها او مرفوعة بالابتداء
والخبر اهلكناها يعني باهلاك اهلها وهي ظالمة اي اهلها حال فهي خاوية
جملة معطوفة على اهلكناها لا محل لها من الاعراب على الاول وفي محل الرفع
على الثاني على عروشها متعلقة بخاوية او خبر بعد خبر والخاوي
الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله
والعرش كل مرتفع مظل من سقف او خيمة او كرم اي ساقطة على
عروشها بان خرت السقوف على الارض ثم سقطت جدرانها فوق
السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وعلى الوجه الثاني من
الاعراب فهي خاوية وهي قائمة مع عروشها او ما يليه مشرفة على السقوف
الساقطة بان سقطت السقوف على الارض وبقيت الجدران مشرفة
عليها وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي فيها الماء
عطلت وتركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله
بمعنى عطله وقصر مشيد مجصص من الشيد وهو الجص او مرفوع
البنيان من شاد البناء اذا رفعه اخليناه عن ساكنيه حذف لدلالة
معطلة عليه والانسب لهذا ان معنى خاوية على عروشها خالية مع عروشها
والاظهر انه لا يريد التعيين على العموم اي اهلكنا البادية والحاضرة جميعا
فخلت القصور عن اربابها والابار عن واردها افلم يسيروا في الارض

حث لهم على السفر ليعتبروا بما رأوا من مصارع المهلكين وبقايا آثارهم وهم
وان كانوا قد سافروا ولكنهم لم يعتبروا فكانهم لم يسافروا لعدم الفايدة
لهم فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من توحيد الله تعالى
وقدرته عند الاعتبار والاستبصار او آذان يسمعون بها ما يجب
ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم وانما ذكر الاذن دون
البصر مع انه انسب ان يذكر نظرا الى نساق الكلام للاعتبار بالآثار
لان المقصود بيان حصول طريقي العلم الاستدلالي والاخذ من افواه
الرجال والوصول اليهما بالسير للاعتبار والبصر من وسايل الطريق
الاول فلذلك لم يذكر اصالة فانها الضمير للقصة وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه فانه على تاويل الشان ويجوز ان يكون ضميرا مبهما
يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه او الظاهر اقيم مقامه لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب اي ما عميت ابصارهم عن الابصار بل
قلوبهم عن الاعتبار والآفة في قلوبهم باعتبار الهوى والتقليد التي
في الصدور تاكيد لنفي التجوز فانه يقال القلب لب كل شيء والتنبيه
على ان العمى المتعارف الذي في البصر لا عبارية وليس بعمى
في الحقيقة بالنسبة الى عمى القلب فان العمى الحقيقي هو عمى القلب الذي
محله الصدر فهو تقرير لما ذكر ان الامر على خلاف ما عليه الجمهور
من ان العمى انما هو في البصر حقيقة وفي القلب استعارة قيل لما
نزل من كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا
اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويرد عليه انه حينئذ يكون
المعنى لا تعمى الابصار في الآخرة ولكن تعمى القلوب ويرده قوله
تعالى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده لا بالامهال ولا بالامهال لانه المحال
في حق الملك المعتاد وحقيقة يستعجلونك اخبار في معنى الاستفهام
على سبيل الانكار اي لم يستعجلونك بالعذاب المتوعد به كانهم
شاكون في وقوعه ومحال ان يخلف الله وعده فلا بد وقوعه
وان طال الزمان وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
اي كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه
في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدايد طوال وكاين من قرية
كرره للتهويل وتصوير حالهم في الاملاء وبيان ان الظلمة لا يهملون غير
معذبين امهلوا ولم يهملوا وانما عطف الاول بالفا لكونها بدلا من
قوله فكيف كان نكير وثانيها على التسبب واما حكم هذه بحكم ما تقدم
من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ولن يخلف الله وعده وان يوما

عند ربك على سبيل الاعتراض وبيان ان الاستعجال امر منكر اذ لا بد من تحقق
العذاب امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم اصل من قرية من اهل قرية
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع اليه الضماير
والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل ثم اخذتها بالعذاب والى المصير
اي حكمي مرجع الجميع وتقديم الى للاختصاص والمبالغة للوعيد اي لا الى غيره قل
يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين الخطاب عام للمؤمنين والكفار والمنذر به
قيام الساعة وانما كان عليه السلام نذيرا مبينا لان بعثته من اشراطها
فاجتمع فيه للانذار بها قالا وحالا فقوله انا لكم نذير مبين كقوله عليه
السلام انا النذير العريان وقد دل على ذلك تعقيب الخطاب بالانذار بتفصيل
حال المؤمنين عند قيامها بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
لذنوبهم عند الحساب لان الحسنات يذهبن السيئات ورزق كريم في الجنة
الكريم من كل نوع ما اجتمع فضايله والذين سعوا في آياتنا بالرد والافساد
وبالطعن فيها حيث سموها سحرا او شعرا او اساطير الاولين وتثبيط
الناس عنها يقال سعى في امر كذا اذا اصلحه او افسده بسعيه معجزين
سابقين في السعي جادين فيه مشاقين له او سابقين في زعمهم طامعين
معين ان كيدهم للاسلام يتم لهم من عاجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه
لان كل واحد من المتسابقين في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به واذا
سبقه قيل اعجزه وعجزه وقرئ معجزين على انه حال مقدرة اي مثبطين
الناس عن الايمان اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم
دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي قد سبق
تفسيرهما في سورة الاعراف وسورة مريم وبيان الفرق بينهما بعموم
الثاني وخصوص الاول ومن شرط في الرسول شريعة محددة فكانه
نفى ما زعمه من الدلالة في قوله تعالى وكان رسولا نبيا على ان الرسول
لا يلزم ان يكون صاحب شريعة الا اذا تمنى تلا قال الشاعر
تمنى كتاب الله اول ليله   تمنى داود الزبور على رسل
القى الشيطان في امنيته في تلاوته قالوا انه عليه السلام قرأ في نادي قومه
والنجم اذا هوى فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى سكت فقال
الشيطان تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وقرأها
متصلة بقراءة النبي عليه السلام فوقع عند بعضهم انه عليه السلام
هو الذي تكلم بها وهذا معنى القاء اللعين في قراءة سيد المرسلين وكان
يتكلم بها في زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه فقد روي انه نادى
يوم احد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من
الناس واني جار لكم وهذا الاخير بالوقوف على التراث للاندفاع بقوله

فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ويخبر انه من
الشيطان ثم يحكم الله اياته اي يثبتها ويحفظها عن تطرق النقصان
ولحوق الزيادة من الشيطان ولما كان الاحكام بهذا الوجه على رتبة
من النسخ المذكور صدره بكلمة ثم ولا احتمال لان يكون هذا الكلام
ونظاير كقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ايضا من زيادة
الشيطان لانه ظهور الاعجاز عند انضمامه الى ما يبلغ به المجموع مقدار
اقصر سورة من القران ودل على انه من الرحمن لقوله تعالى قل
لئن اجتمعت الانس والجن الاية فلا دلالة في الاية على جواز السهو
على الانبيا عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم والله عليم بما
اوحي الى نبيه عليه السلام وبقصة الشيطان حكيم لا يدعه حتى
يكشف ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليمتحن الله تعالى به قوما فقال
ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة محنة وابتلا للذين في قلوبهم مرض شك
وتردد والقاسية قلوبهم الجازمين بمعتقدهم الباطل مظهرا كان
ذلك او مضمرا ومن زعم ان المراد من الاول المنافق فكانه غافل
عن ان المنافق اقسى قلبا من الكافر المجاهر وان الظالمين من باب
وضع الضمير تسجيلا على الفريقين بالظلم لان القياس ان يقول
بعد ذكرهما وانهم لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق ويلزمه البعد
عن الرسول وعن المومنين وليعلم الذين اوتوا العلم الاعتقاد المطابق
للواقع وهم المومنون انه الحق من ربك ان القران هو الحق النازل
من عند الله فلا يلتبسه ما يلقي الشيطان من الباطل ولا يدخل فيه
فيومنوا فيعتقدوا به ويطيعوا اما كانه فتخبت له قلوبهم
بالخشوع والخضوع والخشية وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل
عليهم بالتوفيق للنظر الصحيح والكشف بنور هدايته الى صراط طريق
مستقيم هو طريق التاويل لما يتشابه بالتطبيق على الاصول المحكمة
فلا يلحقهم حيرة ولا يعتريهم شبهة ولا يزال الذين كفروا في مرية قد
سبق في اول سورة البقرة الفرق بين الرية والشك والريب منه
من القران حتى تاتيهم الساعة القيمة والمراد اتيان الموت فانه من
طلايعها ولذلك قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته بغتة
فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر وانما
وصف يوم الحرب بالعقم لان اولاد النسا يقتلون فيه فيصرن كالعقم
وقيل العقيم الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم ينشئ مطرا ولم يلقح
شجرا الملك يومئذ اي يوم القيمة والتنوين فيه ينوب عن الجملة
التي دلت عليها الغاية اي يوم تزول مريتهم لله فلا منازع له

فيه

467

فيه يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم الفريقين دل عليه تفصيل الحكم بقوله
فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا
باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين الفا في خبر الثاني دون الاول تنبيه
على ان اثابة المومنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين
مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب كما قال في
جنات النعيم وفي تقديم الجار والمجرور دلالة على ان العذاب المهين
مخصوص بهم لا يشاركهم فيه المومنون ثم خص قوما بالتوفيق الاول
بفضيلة فقال والذين هاجروا في سبيل الله خرجوا من اوطانهم مجاهدين
ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا حتف انوفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا الرزق
الحسن الذي لا يلحقه الم الانقطاع ولا يسبقه تعب الكسب وذلك
في البرزخ قبل دخول الجنة لان الرزق الحسن في الجنة لا اختصاص له
بالمجاهدين من المومنين وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات
حتف انفه في الموعد لاستوائهما في القصد وما في وسعهما من العمل
وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا
يرضونه هو الجنة دل هذا على ان ما تقدم من الترزيق قبل دخولها
بدل من قوله ليرزقنهم الله ويرضونه صفة المدخل وهذا وصف لها
بكل جميل لان ما وقع موقع الرضا فقد كمل وان الله لعليم باحوال من قضى
نحبه مجاهدا وامامن مات وهو ينتظر معاهدا حليم بامهال من قاتلهم
معاندا روي ان طوايف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا يا نبي الله هولاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن
نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله تعالى هاتين
الايتين ذلك للفصل بين الكلامين اي الامر ذلك فما بعده مستانف
ومن عاقب بمثل ما عوقب به اي لم يزد في الاقتصاص وانما سميت الجناية
المبتداة باسم جزايها الذي هو العقاب لما بين السبب والمسبب من
الملابسة فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا او للازدواج والتصور
بسر عة اداء السبب اليه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله
اي من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله ان ينصره
ان الله لعفو يمحو اثار الذنوب غفور يستر انواع العيوب وانما
وعد المنتصر بهما لانه اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه
بقوله فمن عفى واصلح فاجره على الله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور وفيه تعريض بالحث على العفو فان الله تعالى مع كمال قدرته
وتعالى شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر
على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان الله

يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي ذلك النصر بسبب ان الله تعالى
قادر على التصرف في العالم على وفق مشيئته ومقتضى حكمته وما ذكر من
التعقيب خاصة في الملوين بتغييب احدهما في الاخر كناية عن التصرف في
الافلاك بالتحريك على وجه عليه مدار الكائنات في عالم الكون والفساد كيف
يشا والنصر المذكور من جملة ما تقتضيه الحكمة وان الله سميع لما يقولون
ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلف الاصوات في النهار ويفوتون اللغات بصير
بما يفعلون ولا يستتر عنه شي بشي في الليالي وان توالت الظلمات ذلك
بان الله هو الحق اي ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بسبب ان الله هو
الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وكلما كان كذلك كان مبدا لما
سواه عالما بذاته بما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان
عالما قادرا وان ما يدعون من دونه من دون الله الها وقرئ بالتا
على مخاطبة المشركين وبالياء للمفعول فتكون الواو لما فانه من معنى
الالوهية هو الباطل المعدوم في حد ذاته او الباطل الالوهية وان الله
هو العلي اي العالي على كل شي بالقهر والسلطان بدون توهم المكان
الكبير عن ان يساويه شي فضلا عن ان يكون اعلى منه شانا واكبر
سلطانا الم تر ان الله انزل من السما ما استفهام تقرير ولهذا رفع فتصبح
الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا له لدل على نفي الاخضرار
كما في قولك الم تر اني انعمت عليك فتشكر والمقصود اثباته والرافع
لعطفه على انزل وتسببه منه مثبت البينة وكذلك في المثال لانه عطف
على انعمت واما النصب فلا وجه له الا التسبب عن الاستفهام ويؤل المعنى
في المثال الى ما رايت فما شكرت اي لو رايت لشكرت وكذلك في الاية على
ان فيها ما نفاه آخر وهو ان اصباح الارض مخضرة لا يصح ان يتسبب
عما بعد الاستفهام وانما عدل عن الماضي ولم يقل اصبحت لاستحضار
الحال الماضية والتنبيه على كمال صنع الصانع بالمشاهدة والدلالة
على بقا اثر المطر زمانا بعد زمان وقرئ مخضرة على وزن مفعلة
اي ذات خضرة كمبقلة ومسبعة ان الله لطيف واصل فضله وعلمه
الى كل شي خبير بمصالح الخلق ومنافعهم له ما في السموات وما في الارض
ملكا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شي وما سواه محتاج اليه
الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في
الارض من علينا بتسخيره لنا ما بنا حاجة اليه في معاشنا من الحيوان
وغيره فلا اصلب من الحجارة والحديد وقد ذللهما نتخذ منهما ما نريد
فقوله ما في الارض عام لكن المراد منه ما ينفعنا بقرينة قوله لكم والفلك
عطف على ما وقرئ بالرفع على الابتدا وتجري في البحر بامره حال منها او

خبر

خبر ويمسك السما بيد القدرة ان تقع من ان تقع او كراهة ان تقع
على الارض الا باذنه الا بمشيته وفيه رد لاستمساكها بذاتها واما ما
فانها مساوية لساير الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط
منظور فيه ان الله بالناس لرءوف رحيم لفتحه عليهم ابواب المنافع ودفعه
عنهم اسباب المضار والرؤف ابلغ من الرحيم وانما قدم عليه محافظة على الفواصل
وكذا تقديم بالناس عليهما لها وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة
وعلقة ومضغة ثم يميتكم اذا جا اجالكم ثم يحييكم في الاخرة ان الانسان
لكفور لجحود لما افاض عليه من النعم مع ظهورها لكل امة جعلنا منسكا كرره بغير
واو للتاكيد والتعميم وتعلق الزيادة به وجي بالواو في الاول لانها وقعت
مع ما يناسبها من الاي الواردة في امر النسائك فعطفت عليها واما هذه فوقعت
مع اجانب من معناها فلم تجد معطفا هم ناسكوه عاملون به فلا ينازعنك سائر
ارباب الملل في الامر في امر الدين والنسائك لانهم جهال واهل عناد وفساد ولان امر
دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل انه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن التوجه
لمنازعتهم بالمناظرة المودية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهم اهل مرا
وعناد اي لا تلتفت اليهم ولا تمكنهم من ان ينازعوا او عن منازعتهم لما
تقول لا انتصار ربك فلان اي لا انتصار به البتة وهذا انما يجوز في الفعل
الذي بين اثنين وروي انها نزلت في الخزاعيين قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون
ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعني الميتة وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت
في دينك ثباتا لا يطمعهم ان يزيلوك عنه والمراد زيادة التثبت بما يهيج حميته
ويلهب غضبه لله ولدينه وقال الزجاج هو من باب المغالبة اي لا يغلبنك
في المنازعة من نازعته فنزعته اي غلبته في النزاع وادع الناس الى ربك الى
عبادة ربك انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك فقل
الله اعلم بما تعملون اي وان ابوا الا المجادلة بعد وضوح امر دينك واحتجاجها
في ترك النزاع فادفعهم بان الله اعلم بما تعملون من الجدال الباطل والعناد
فمجازيكم عليه وهذا وعيد مع رفق الله يحكم بينكم يفصل بثواب المؤمنين
وعقاب الكافرين يوم القيامة كما فصل في الدنيا بالايات والبينات فيما
كنتم فيه تختلفون من امر الدين الخطاب عام وفيه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بما يلقى منهم ومن تمام التسلية تقرير علمه بمضمون
ما ذكره بقوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض من الغيب والشهادة
ان ذلك في كتاب هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه وتنكيره لانه
ليس من جنس الكتب المتعارفة ولما كان الاثبات في اللوح المحفوظ
مظنة الحاجة في الحفظ الى الكتابة دفعه بقوله ان ذلك اي الاحاطة
به واثباته في اللوح المحفوظ على الله يسير لعدم الحاجة الى الالة

قان علمه تعالى بذاته فلا يخفى عليه شيء فلا يهمل امرهم ويعبدون من دون
الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ما لم يتمسكوا في جواز عبادته ببرهان
نازل بالوحي من عند الله ولا بعلم ضروري او نظري اي ليس لهم في ذلك مستند لا
من جهة النقل ولا من جهة العقل وانما قدم الوجه النقلي لانه الاصل في امر العبادة
وفي العبارة عنه بما ذكر اشارة الى انه مع انقسامه الى اربعة اقسام مذكورة في
علم الاصول مرجعه الى الوحي واعادة عبارة ما مع عدم الحاجة اليها في افادة المعنى
المذكور كاعادتها في قوله ما لا يضرهم وما لا ينفعهم وما للظالمين وما للذين
ظلموا هذا الظلم الشنيع من نصير يعينهم بدفع العذاب عنهم ووضع الظاهر
موضع الضمير للتسجيل على المشركين بالظلم واذا تتلى عليهم اياتنا من القران
بينات واضحات الدلالة على العقائد الحقة تعرف في وجوه الذين كفروا اي
يظهر فيها ظهورا بينا حتى يعرفه كل من يراه المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق
وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع
الذين كفروا موضع الضمير او الامر المنكر الفظيع من اثار الغيظ وما يقصدونه
من الشر يكادون يسطون السطو الوثب والبطش بالذين يتلون عليهم
اياتنا هم النبي عليه السلام واصحابه قل افانبئكم بشر من ذلك من غيظكم على
التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم
النار خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار او مبتدأ خبره
وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر
وعلى هذين الوجهين يحتمل ان تكون الجملة حالا منها بتقدير قد وان تكون
استئنافا كما اذا رفعت خبرا وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل
بين لكم حالة غريبة سميت مثلا على سبيل الاستعارة لان الامثال انما يسير
لكونها مستغربة فلهذا نودي الناس بها واكد غرابتها بقوله فاستمعوا له
وانبهم وبين ان الذين تدعون اي تعبدونه وقرئ تدعون مبنيا للمفعول
من دون الله الهة يعني الاصنام لن يخلقوا ذبابا الذباب من الذب لانه
يذب سمي ذبابا لانه كلما ذب استقذارا منه اب لاستكباره وخصصه
بمهانته وضعفه وتاكيدا لنفي بلن للدلالة على استحالة خلق الذباب منهم
كانه قال محال ان يخلقوه ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر له المدلول عليه بالمذكور
في موضع الحال جيء به للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين لهم
متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه اي هذا الخلق الاذل الاقل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا
على ان يستخلصوه منه لم يقدروا عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا
يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام
عن اخذه والظاهر ان المراد جعل امتناع خلقهم ذبابا وامتناع استنقاذهم

منه عند

منه عند سلبه شيئا منهم مثلا لانتفاء قدرتهم المستلزم لانتفاء الالوهية
التي تستلزم الاقتدار على جميع المقدورات ويستحق بها العبادة فان من
لا يقدر على خلق احقر شيء بل على الاستنقاذ منه كيف يستحق ان يعبد
عبادة من له كمال القدرة على ايجاد كل شيء وتسخيره وهذا غاية في تجهيلهم
واستركاك عقولهم ضعف الطالب والمطلوب الصنم الطالب للاستنقاذ
والذباب المطلوب ان يستنقذ منه وفي هذا التذييل ايهام بالتسوية
وتحقيق ان الطالب يعني الصنم اضعف لانه قدم عليه ان هذا الخلق
الاذل هو السالب وذلك طالب خائب عن طلبته ولما اجراهم مجرى العقلاء
باثبات الطلب لهم وبين انهم اضعف من اذل الحيوان فقد نبه به على
مكان الهتهم في ذلك عظم ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث
اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة واوغل في
الاتصاف باضداد صفاته ان الله لقوي قادر على خلق الممكنات كلها
عزيز غالب على كل شيء ولا يغلبه شيء فكيف يشرك به شيء سيما احقر الاشياء
واعجزها واذلها ولما قرر الوحدانية ونفى الهية الانداد اراد ان ينفي عنها
ما يدعون لها من التوسل بها الى الله تعالى والتقريب اليه بتوسطها
فقال الله يصطفي يختار من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين
الانبياء عليهم السلام بالوحي ومن الناس رسلا يبلغون رسالته اي من دونهم
ويدعونهم اليه ويشفعون لهم فلا وسيلة غير هذين الصنفين ولا تقرب
الى الله تعالى بغيرها فعقبه نفي لما ادعوه من قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله ورد لمذهبهم واعتقادهم ان الرسول
لا يكون من البشر ان الله سميع لاقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير
باحوال الامم في الرد والقبول يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما مضى وما غبر
لا يخفى منهم خافية والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها
ومدبرها فلا اعتراض لاحد على حكمه وتدبيره واختيار رسله يا ايها
الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير درج في هذه
الاوامر من الاخص الى الاعم فامر بالصلاة المشتملة على اصناف الطاعات
من القلبيات والقوليات والبدنيات وعبر عنها بالركوع والسجود
لانهما اعظم اركانها ثم بمطلق العبادات كالصوم والزكاة والحج ثم بسائر
الخيرات كصلة الارحام ومكارم الاخلاق والاصلاح بين الناس
وامثالها وقيل كان الناس في اول الاسلام يركعون بلا سجود ويسجدون
بلا ركوع فامروا بالجمع بينهما في الصلاة لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا
كله وانتم راجون الفلاح غير متيقنين به متكلين على اعمالكم وعن عقبة
بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان

قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك يسنا احتج الشافعي فرأى السجدتين فيها وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة وجاهدوا في الله في شأنه ومن اجله امر بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى والهوى الجهاد الاكبر لقوله عليه السلام عند رجوعه من غزوة تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اصله جهادا حقا اي خالصة لوجه الله فاضيف الحق الى الجهاد للمبالغة كقولك هو حق عالم ثم اضيف الجهاد الى ضمير الله اما للملابسة بسبب الاختصاص به من حيث انه مفعول لاجله او للاتساع في الظروف هو اجتباكم اختاركم لدينه ونصرته وبنا الفعل على الضمير للاختصاص المفيد لوجوب الجهاد اي هو وحده اجتباكم دون غيره والذي اجتباه الله بنفسه لا بد له من الجهاد الاكبر لقضا حق الغريب والولاية والاصغر لقوة نفسه وسوقه بحفظه وكلاته ولاعلا كلمته واعزاز دينه ففيه دليل على المقتضي للجهاد في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج ضيق بتكليف ما تشتد القيام به عليكم على انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه وضمنه الاشارة الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لكم من ذنب مخرجا باذن رخص لهم في المضاف وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد فلا ذنب الا وقد جعل لكم مخرجا ويرد عليه ان الحرج لا ينتفي بوجوه المخرج في الجملة لما عرفت انه عبارة عن الضيق لا عن عدم المخلص ملة ابيكم نصب على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم او على الاغراء اي الزموا ملة ابيكم او بمضمون ما تقدم على المصدر اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ابراهيم عطف بيان وانما جعله ابا لان كل نبي ابو امته من حيث الخلقة وهو كان ابا محمد عليه السلام وان الاب اب او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو اي الله تعالى سماكم المسلمين من قبل من قبل القرآن في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القرآن وقيل الضمير لابراهيم وهو ان لم يسمهم فيه المسلمين لكن سموا به بسبب تسميته اياهم مسلمين من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقوله في هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ويشهد للاول قراءة ابي رضي الله عنه سماكم اي هو خصكم بالاجتباء وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول يوم القيامة متعلق بسماكم او باجتباكم شهيدا عليكم

بانه بلغكم او محصيات من عصى وطاعة من طاع وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة اي واذ قد خصكم بهذه الكرامة والشرف فاعبدوه وتوسلوا اليه بانواع الطاعات واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم هو مولاكم فلا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فنعم المولى ونعم النصير حيث لا يمنعكم رزقكم بعصيانكم ويعينكم على جلب المسار وبدفع عنكم المضار سورة المومنون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المومنون قد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه واذا دخلت على الماضي دلت على ثباته والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة عن المهروب اي فازوا بما طلبوا ونجوا عما هربوا وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اذا اوصله الى الفلاح وعليه قراءة قد افلح على البنا للمفعول وقرئ قد افلح بالقا حركة الهمزة الى الدال وحذفها وقرئ قد افلحوا على الابهام والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث وافلح بضمة اكتفا بها عن الواو ولما كان المومنون متوقعين مثل هذه البشارة من فضل الله بشروا بما دل على ثبوت ما توقعوه والمومنون في اللغة المصدقون واما في الشريعة فقد اختلف فيه على اقوال قد سبق تفصيلها في سورة تفسير سورة البقرة الذين هم في صلاتهم خاشعون الخشوع في الصلوة خشية القلب مع التواضع والقا النظر موضع السجود روي انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السما فنزلت فنظر نحو مسجده والذين هم عن اللغو معرضون لما بهم من الجد ما يشغلهم عن اللغو وهو ما لا يعنيك من قول وفعل كالهزل واللعب وكل ما يوجب المروة الغاه لما ذكر الخشوع اتبعه الاعراض عن اللغو ليجمع بين فعل ما ينبغي ان يفعل وترك ما ينبغي ان يترك وهما الاصلان اللذان عليهما مدار التكليف وبالغ في اوصاف المومنين بايراد الصلوة جملة اسمية وتقديم صلة الاعراض والتعبير بالاسم دون الفعل وايراد الاعراض مكان الترك لان اصله ان يكون في عرض غير عرضه ليدل على التجنب والبعد عنه بالكلية مباشرة وتسببا وميلا وحضورا وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون اي للتزكية فاعلون لان الفاعل لا يفعل الا الحدث الذي هو المصدر ولهذا سمي المفعول المطلق ويمكن ان يفسر بالعين ويقدر مضاف اي لاداء الزكاة وانما لم يقل مودون لان في زيادة فاعلون دلالة على المداومة والذين هم لفروجهم حافظون الفرج يشتمل على سوءة الرجل والمراة حافظون من قولهم احفظ على عنان فرسي بمعنى امسك ولا يدفعه من تضمين معنى النفي ليصح الاستثنا اي يمسكون لا يطلقونها على احد الا على

ازواجهم حال اي والين على ازواجهم او قوامين عليهن والمعنى حافظون
في كل حال الا في حال ولا بتهم على ازواجهم او متعلق بمحذوف دل عليه فانهم غير
ملومين اي يلامون على كل مباشرة الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين
عليه او ما ملكت ايمانهم اي اماءهم ولم يقل من اجرا للمماليك مجرى غير العقلا
اذ الملك اصل في غيرهم والحرية فيهم او لان الاناث لنقصان عقلهن من جنس
غيرهم وانما قال ما ملكت ايمانهم ولم يقل ما ملكوا لظهارا واعلاك اليمين في
غايته ملك المتعة الظاهر من قرينته اشعارا باختصار سبب حل الوطي
في الملكين المذكورين لا يتعدي الى ملك الرقبة فانها اذا خلت عن ملك
اليمين كما في المكاتب لا يوجد الحل المذكور فانهم غير ملومين الضمير لحافظون
او لمن دل عليه الاستثنا اي فان اطلقوها لازواجهم او اماءهم فانهم غير
ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون جعل المستثنى
حدا اوجب الوقوف عنده وحذف مفعول الابتغا للتعميم وجا باسم
الاشارة او فاولئك المنعوت وسط الضمير وعرف العادون اي من
احدث ابتغا وراء ذلك الحد بعد هذه الفسحة والاتساع فاولئك الكاملون
في العدوان المتناهون فيه كل ذلك مبالغة في التحذير عن الزنا واورد ما الذكر
بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي
الى النفس واعظمها خطرا والذين هم لاماناتهم وعهدهم قيل لما يؤتمنون عليه
ويعاهدون عليه من جهة الحق او الخلق وفيه انه لا حاجة الى الصرف عن
الظاهر فان العهد وكذا الامانة مما يراعى راعون الراعي القائم على
الشي بالحفظ والاصلاح كراعي الغنم والرعية وقري لامانتهم على الافراد
لانها في الاصل مصدر او لا من الالباس والذين هم على صلوتهم يحافظون
يواظبون عليها ويودونها في اوقاتها وجا لفظ بلفظ الفعل معا لما
فيهما من التجدد والتكرار والفعل المضارع في الجملة الاسمية يدل على
دوام التجدد وقري بلفظ الجمع هنا ليفيد المواظبة على اعدادها
وانواعها ولم يفرد به فيما سبق لان الكلام هناك في الخشوع وهو مطلوب
في جنس الصلوة وفي بدء الاوصاف وختمها بذكرها تعظيم لشانها واعلا
لقدرها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون هم الاحقا بان يسموا
وارثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس اي يصلون اليه
والي ما فيه من النعيم المقيم بلا تعب الكسب ويبقى في ايديهم فان
الوراثة اقوى سبب التملك حيث لا يعقبه تفسخ ولا استرجاع ولا
يبطل برد ولا اسقاط والفردوس هو البستان الواسع الجامع لاصناف
الثمر في اطلاق الوارثين وتقييده وما ترى من التفخيم لما يرثونه
وتعظيمه واستعارة الوراثة وايراد اسم الاشارة اشعارا بانهم ..

استحقوا

استحقوا ذلك الخطب الجليل من تلك الاعمال والصفات لا بسببها له بل بمقتضى
وعده وهذا القدر يكفي في التحريض عليها هم فيها خالدون انث الضمير
على تاويل الجنة او الطبقة فانها اوسط الجنات واعلاها طبقة ومن هنا
تبين ان ما قيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على
انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار لا يناسب
تبين المقام ولقد خلقنا الانسان من سلالة السلالة صفوة الشي حتى
يخرج منه كانها نسل منه كالصفاوة فعالة بمعنى مفعول فيه معنى القلة
كالقلامة والقمامة والسلامة ومن هنا للابتدا متعلقة بخلقنا وفي قوله
من طين للبيان صفة لسلالة اي سلالة هي طين والانسان ادم عليه
السلام ثم جعلناه ثم جعلنا نسله على حذف المضاف لقوله تعالى وبدا
خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ما مهين او الجنس لانه
لما خلق اول فرد منه من سلالة من طين واما ما قيل المراد بالطين ادم
عليه السلام لانه خلق منه والسلالة نطفته فلا وجه له لما قيل من اخراجه
عليه السلام من الجنس المذكور حيث جعل مخلوقا من نطفة نطفة بان خلقناه
منها في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم سمي المستقر بالقرار مبالغة
كانه نفس القرار ووصف بالمكانة التي هي صفة المستقر فيه على الاسناد
المجازي تتميما لامر المبالغة ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة دم
البيضا علقة حمرا بتدريج بعد زمان فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها
قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما
فانبتنا عليها لحما فصار لها كاللباس وقري عظما وعظما للواحد موضع
الجمع لعدم اللبس واختلاف العواطف لاختلاف الاستحالات والتكوينات
في التراخي وعدمه فثم للاستحالة الزمانية والفا للتكوين الاني لا ثم في
قوله ثم انشاناه فانها استعارة لما بين الخلقين من التفاوت
خلقا اخر التنكير للتنويع اي نوعا اخر من الخلق مباينا للخلق الاول
بنفخ الروح فيه وجعله حيوانا مباينه ما بعدها اذ كان جمادا فجعله
حيا سميعا بصيرا ذا اعضا ظاهرة وباطنة في كل واحد منها عجائب
حكمه وغرايب صنعه ولطايف قوة لا يفي بها وصف واصف ولا يبلغها
شرح شارح واحتج به ابو حنيفة رضي الله عنه على ان من غصب
بيضة فافرخت عنده لزم ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك
الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن بدل او خبر مبتدا محذوف
وليس بصفة لانه نكرة وان اضيف لان المضاف اليه عوض من الخالقين
المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه روي ان عبد الله
بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق

بذلك قبل املايه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا انزلت فقال
عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم
اسلم يوم الفتح وهذه الرواية غير صحيحة لان السورة مكية وارتداده كان بالمدينة
على ما اعترف به ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك
النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيامة تبعثون
للمحاسبة والجزا ومعنى التراخي قد علم من الظرف فايراده انه ليس لافادته
بل لا ينافي البلاغة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات لانه بعضهن
طورق فوق بعض مطارقة النعل وكل شي فوقه مثله فهو طريقة واما
العرش والكرسي فليسا من الطرائق لعدم المماثلة بينهما وبينهن وما كنا عن
الخلق وما كنا عنها وعن حفظها وعن امساكها ان تقع عليكم غافلين
وفي التعبير عنها بالخلق فضل مبالغة في تعظيم شانها وزيادة كما لاستمرار
النفي لا لنفي الاستمرار وانزلنا من السما ما بقدر بتقدير تقتضيه الحكمة
او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه في الارض فجعلناه ثابتا مستقرا
في الارض انهارا وينابيع وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد
او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما قدرنا على انزاله وفي تنكير
ذهاب ايما الى كثرة طرقه وانواعه ومبالغة في الايعاد وتعديته بالبا
تاكيد له دال على ذهاب هو معه بمنعه من الظهور لبس في الاذهاب ذلك
وهو في غاية وزعموا انه ليس في قوله ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم
بما معين هذه المبالغة والبلاغة وليس الامر كما زعموا على ما تقف
عليه في موضعه باذن الله تعالى فانشانا لكم به بالما جنات من نخيل
واعناب لكم فيها في الجنة فواكه كثيرة من غير الجنسين المذكورين
تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا
وترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته
ويجوز ان يكون المراد لكم في النخيل والاعناب انواعا من الفواكه
كالرطب والعنب والتمر والزبيب والبسر والحصرم والدبس والعصير وغير
ذلك ومنها طعام تاكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئ بالرفع على
الابتدا اي ومما انشا لكم به من شجرة تخرج من طور سينا جبل موسى
عليه السلام اما اسم مضاف الى بقعة اسمها سينا لمن كسر سين
سينا منعه من الصرف للتعريف والعجمة والتانيث على تاويل
البقعة لا للالف لان الف فعلا ليست للتانيث فانه فيعال كديماس
من السنا بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال من
السين كعلبا وحربا ومن فتح السين منعه لالف التانيث كصحرا تنبت
بالدهن في موضع الحال اي تنبت ملتبسة بالدهن ويجوز ان تكون

الى

الى التعدية كما في قولك ذهبت بزيد ويؤيده قراة ابن مسعود رضي
الله عنه تخرج الدهن وصبغ للآكلين وقرئ تنبت الدهن من الانبات
وهو اما من انبت بمعنى نبت واصله دخل في النبات واما حذف مفعوله
اي تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البنا للمفعول وهو كالاول
وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشي
على الاخر اي تنبت بالشي الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج
منه وكونه اداما يصطبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ
وصباغ كدباغ في دبغ وانما خص الانواع الثلاثة بالذكر من بين الثمار
لانها اكرم الشجر وافضلها واجلبها للمنافع فان النخل والعنب
يجمعان التفكه والتغذي والزيتون يجمع الاصطباح والاصطباغ
وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بها وتستدلون بها نسقيكم مما في
بطونها من الالبان على ما نص عليه في سورة النحل استئناف لبيان
العبرة ولكم فيها منافع كثيرة سوى الالبان ومنها تاكلون فتنتفعون
باعيانها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون في اسفاركم وقد
غلب استعمال الانعام في الابل ولذلك قرنت بالفلك لانها سفائن البر
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله فقصته
وسائر القصص مسوقة لبيان كفران من الناس النعم المتلاصقة حتى
ابتلوا بزوالها ما لكم من اله معبود غيره بالرفع على المحل وبالجر على
اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون
افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه ويهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته
بعبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها والهمزة الداخلة على الفا
لانكار التعقيب بل التعقيب الانكار فقال الملا الاشراف الذين كفروا
من قومه قد سبق في تفسير سورة الاعراف وجه توصيف الملا
بهذا الوصف ما هذا الا بشر مثلكم كناية على زعمهم عن نفي الرسالة عنه
يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل ويترفع عليكم بالرياسة ولو
شا الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا
الاولين بكون البشر رسولا او بنوح حينئذ ونبوته او بما يامرهم من
تخصيص الله تعالى بالعبادة ونفي كل من دونه من الالهة اي بمثل هذا
الكلام وذلك لكونهم في فترة متطاولة او لعنادهم وانهماكهم في الغي فكذبوا
في ذلك لان يدفعوا الحق بما امكنهم ولهذا جننوه حيث قالوا ان هو الا رجل
به جنة مع علمهم انه ارجح الناس عقلا والجنة الجنون فتربصوا به
فانتظروا حتى حين اي هو مجنون فلا تعجلوا في عقوبته بل دعوه الى
مدة فاما ان يموت او يرجع عن هذا او تفعلون به ما شئتم قال

رب انصرني عليهم باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم اياي فاوحينا اليه اي اجبنا دعاءه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا مبالغة في الحفظ كان معه من الله تعالى حفاظا يحفظونه بعيونهم لئلا يفسد عليه مفسد عمله ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف يصنع فاذا جاء امرنا عذابنا والمراد منه مجيئه ظهور طليعته وهو فوران الماء من التنور وانما قال وفار التنور مبالغة اخرج بسبب الغرق من موضع الحرق ليكون ابلغ في الانذار والاعتبار روي انه قيل لنوح عليه الصلاة والسلام اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته فركب فاسلك فادخل فيها سلك يجيء لازما ومتعديا وجاء اسلكه بالنقل من اللازم من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين اثنين تاكيد وبالاضافة اي من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين واهلك اي اهل بيتك ومن امن معك الا من سبق عليه القول اي القول من الله بهلاكه بكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى منهم اي من اهلك وهذا يابى عن تخصيص تفسيره بمن امن ولا تخاطبني في الذين ظلموا وهذا نهي عن الدعاء لهم بالانجاء على وجه ابلغ ومن حضر الخطاب بالدعاء فقد اخل بحق البلاغة جعل النهي عن الدعاء معللا بالظلم فلذلك وضع الموصول مع الصلة موضع الضمير ولم يقل ولا تخاطبني فيهم ايماء الى العلة وايماء الى ان الحكمة تقتضي هلاك الظالم استانف قوله انهم مغرقون بالتاكيد لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ثم بالغ في ذلك بامره بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم عقيب النهي عن الدعاء فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فاذا تمكنتم عليها راكبين فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين امره بالحمد على نجاته نجاة من معه اشارة الى ان نجاة اتباعه ايضا نعمة جليلة في حقه وامتنانا بها ايضا ولو قال فقولوا لم يحصل هذا المعنى وايضا الربوبية تقتضي ان لا يترقى الى الخطاب بتخصيصها الا نبي متكلم وان كلامه يغني عن كلامهم ولا يبتنا هل الاجابة الامثلة وقل رب لما نهاه عن الدعاء لا نجاتهم امره بدعاء هو اهم وانفع وهو ان ينزل منزلا مباركا انزلني في الارض من السفينة لا في السفينة لانه عبر عنه سابقا بعبارة تدل على الصعود وقد حصل الفراغ عنه وعن اظهار الامتنان بما ترتب عليه من نعمة النجاة منزلا مباركا يبارك لي فيه ويتسبب لزيادة خير الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لمسالته امره بان يشفعه بها مبالغة فيها وتوسلا به الى الاجابة انما

امره

امره بالقولين المذكورين لا بالحمد والدعا تعظيما لطريقهما واظهارا لفضيلة الحمد والدعا بالعبارتين المذكورتين ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لايات يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان هو والقصة كنا لمبتلين لمختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر لقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر او قيل لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وليس في الاخبار به كثير فائدة ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين عادا قوم هود عليه السلام لقوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح فانه قول هود عليه السلام لا قول صالح عليه السلام ومجيء قصة هود عليه السلام على اثر قصة نوح عليهما السلام في سورة الاعراف وهود والشعراء فارسلنا فيهم اي بين ظهرانيهم وفي زمنهم ولم ياتهم من موضع اخر رسولا التنكير للتعظيم منهم من قبلهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذابه وادخال الهمزة على الفاء لانكار عدم التقوى بعد العلم بانه لا اله لهم غيره وفيه تنزيل لهم منزلة العالم به لتمكنهم من العلم به وتنبيه على ظهور الدلالة على ذلك وقال الملا من قومه الذين كفروا لما تضمن ارسلنا معنى القول عطف عليه قولهم بالواو ايماء الى اجتماع في الحصول ذاك الحق وهذا الباطل وكذبوا بلقاء الاخرة اي بلقاء ما فيها من الحساب والجزاء يعني بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الحال والصفة ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة ولذلك ترك في قصة نوح عليه السلام لترك قيد المماثلة وما خبرية وحذف العائد الى الثاني لدلالة ما قبله عليه او لشياع حذف المنصوب اي يشربونه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم به وينهاكم عنه انكم اذا واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولهم من قومهم لخاسرون بالانقياد لمثلكم ومن حمقهم انهم ابوا اتباع امثالهم وعبدوا اعجز منهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما لما كان كونهم ترابا معلوما بطريق العقل وكونهم عظاما مما شاهدوا معلوما بطريق الحس كان الثاني اشد دفعا في الاستبعاد عند العامة فلذلك اخره بل يقول لولا مشاهدة العظام لكان الوهم يعارض العقل في كونه ترابا فهو كالنتيجة للاول ولذلك نراه يذكر مؤخرا في جميع المواضع انكم مخرجون من العدم الى الوجود تارة اخرى وثنى انكم للتاكيد وحسن ذلك لطول الفصل بين الاول والثاني ومخرجون خبر عن الاول واذا المتمحض للظرفية او محذوف

الجواب لئلا لدلالة ان مع اسمها وخبرها عليه وانكم مخرجون مبتدا خبره
الظرف والجملة خبران الاولي اي انكم اذا او مرفوع بفعل مقدر هو جواب
الشرط والشرطية خبر اي انكم اذا متم وقع اخرجكم **هيهات هيهات**
من اسما الافعال واقع موقع بعد وفاعله مضمر اي بعد التصديق
او الوقوع واللام في **لما توعدون** للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا
بكلمة الاستبعاد قيل فما الذي له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون
او فاعلها ما توعدون واللام زايدة اي بعد ما توعدون من البعث
قيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقري بالفتح
منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها
بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال
التا هاء **ان هي الا حياتنا الدنيا** اصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا
فوضع هي موضع الحياة لدلالة الخبر عليها حذرا عن التكرار واشعارا
بان تعينها مغن عن التصريح كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل والمعنى
لا حياة الا هذه الحياة الدنيا لان ان النافية دخلت على هي التي بمعنى
الجنس فوازنت لا التي لنفي الجنس **نموت ونحيا** يموت منا بعض ويولد
بعض **وما نحن بمبعوثين** بعد الموت **ان هو** ما هو **الا رجل افترى على
الله** فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من البعث والمفتري قد
يكون صادقا في نفسه ويكون الكذب في نسبته الى المفتري عليه
فقوله **كذبا** لدفع هذا الاحتمال وهذا غاية الضلال **وما نحن له بمو
منين** بمصدقين وتقديم له للمحافظة على الفاصلة **قال رب
انصرني** عليهم وانتقم لي منهم **بما كذبون** قد سبق تفسيره فاجابه
الله تبارك وتعالى حيث **قال عما قليل** عن يتعلق بيصبحن وما زايدة
لتوكيد معنى القلة او بمعنى شي او زمن وقليل صفة له وجواب
القسم المحذوف **ليصبحن نادمين** على ما فعلوا اذا عاينوا ما يحل
بهم **فاخذتهم الصيحة** العقوبة الهايلة لا صيحة جبريل عليه السلام
وعلى اخوانه من الملايكة والناس لما عرفت ان القصة قصة هود
عليه السلام وعلى اخوانه لا قصة صالح عليه السلام **بالحق** باستحقا
قهم ذلك او بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله
تبارك وتعالى او بالوعد الصدق **فجعلناهم غثاء** شبههم في دمارهم
بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان وهذا
التشبيه يناسب حال قوم هود عليه السلام **فبعدا** مصدر بعد اذا
هلك وهو من المصادر المنصوبة بافعال لا يستعمل اظهارها واللام
في **للقوم الظالمين** لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر
موضع

موضع المضمر للتعليل وتحتمل الاخبار **ثم انشانا من بعدهم
قرونا اخرين** قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام **ما
تسبق من** مزيدة للاستغراق **امة اجلها** الوقت الذي عين
لهلاكها وكتب **وما يستاخرون** الاجل **ثم ارسلنا رسلنا تترى**
فعلى والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقري تترا بالتنوين على انه مصدر
بمعنى المتواترة وفتحالا والتا بدل من الواو كما في تولج وتيقور اي متوا
ترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد **كلما جاء امة رسولها كذبوه**
اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجي الى المرسل اليهم لان
مبدا الارسال منه ومنتهى المجي اليهم فالرسول يلابسهما جميعا فيصح
اضافته اليهما **فاتبعنا بعضهم بعضا** فاتبعنا بعض الامم او القرون بعضا
في الاهلاك **وجعلناهم احاديث** اخبارا يسمر بها ويتعجب منها
والاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث الرسول عليه السلام
ويكون جمعا للاحدوثة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا
وهو المراد هنا **فبعدا لقوم** سبق تفسيره **لا يومنون** به **ثم
ارسلنا موسى واخاه هرون** للاشعار بان ارساله عليه السلام
كان تبعا لموسى عليه السلام تعرض لاخوته له وتنزله ذلك
الوصف منزلة الاصل حيث جعل اسمه بدلا عنه **باياتنا** بالايات
التسع **وسلطان مبين** وحجة واضحة تظهر بطلان المخالف
ويجوز ان يراد به العصا وافرادها بالذكر لانها ام المعجزات
واوليها وتعلقت بها معجزات شتى كما ذكر كانها ليست بعضها
لما استندت به من الفضل ويجوز ان يراد الايات انفسها لانها
ايات وحجة بينة **الى فرعون وملايه** لاستخلاص بني اسرايل عن
ايديهم على ما اقتص عنه في سورة الشعراء حيث قال فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين ارسل معنا بني اسرايل اي خلهم
يذهبوا معنا الى الشام **فاستكبروا** عن صديقهما في الرسالة المذكورة وعن
الايتمار بامرهما لا عن المتابعة لانهما عليهما السلام لم يدعوهم اليها ذلت
على ذلك قولهما خلهم يذهبوا معنا الى الشام **وكانوا قوما عالين** متكبرين
فقالوا انومن اتدعن وننقاد **لبشرين مثلنا** البشر اسم جنس كما يطلق
على الجمع يطلق كقوله فاما ترين من البشر احدا يطلق على الواحد كقوله
بشرا سويا وبهذا الاعتبار ثني ومثل كغير يوصف به الاثنان
والجمع والمذكر والمونث كقوله انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال
وايضا هما مثلاه وهم امثاله **وقومهما** يعني بني اسرايل **لنا عابدون**
على الحقيقة لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة **فكذبوهما**

فكانوا من المهلكين بالغرق ولقد اتينا اي بعد اهلاكهم موسى الكتاب
التورية لما كان ايتاوه موسي عليه السلام في حكم ايتايه قومه قال
لعلهم يهتدون اي يعملون بشرايعها ومواعظها فان الاهتداء
بالكتب الالهية انما يحصل بالعمل بما فيها لا بعلمها وجعلنا ابن مريم عبر عنه
بكنية دون اسمه لما فيها من الاشارة الى وجه كونه اية وهو ولادته
من غير اب وذلك لان الاصل في النسب هو الاب فلا يبعد ان لا عنه الا عند
فقده وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فهما معا اية واحدة او
وجعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهرت منه معجزات اخر وامه
اية بان ولدت من غير مسيس فحذف الاولى لدلالة الثانية عليها
واويناهما الى ربوة هي الارض المرتفعة قيل هي بيت المقدس وقيل غيره
ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان
ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين المعين الما الجاري على وجه
الارض مفعول من عانه اذا ادركه بالعين نحو ركبته اذا ضربته بالركبة
اي يدرك بالعين لظهوره فميمه على هذا زايدة او فعيل من معن الما اذا
جرى واصله الابعاد في الشي او من الماعون الذي هو المنفعة اي
نفاع فميمه اصلية يا ايها الرسل كلوا من الطيبات هذا النداء والخطاب
ليسا على ظاهرهما لانهم ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى تو
الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع
ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يوخذ به ويعمل
عليه او خطاب لمحمد عليه السلام لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه
وكان ياكل من الغنايم او لعيسى عليه السلام لاتصال الاية بذكره
وكان ياكل من غزل امه وهو اطيب الطيبات والمراد بالطيبات
ما حل والامر للتكليف او ما يستطاب ويستلذ والامر للترفيه
والاباحة ومع الاحتمال لا يتم الاحتجاج به على الرهبانية في رفض
الطيبات بالمعنى الثاني واعملوا صالحا موافقا للشريعة اني
بما تعملون عليم فاجازيكم على اعمالكم وان هذه بالكسر على الاستيناف
وبالفتح بمعنى ولان والمعلل به فاتقون او هو معطوف على ما قبله
اي بما تعملون عليم وبان هذه او تقديره واعلموا ان هذه وقرى
بالتخفيف امتكم ملتكم وطريقتكم امة واحدة في اصول الشرايع
والمعتقدات او جماعتكم جماعة واحدة متفقة في التوحيد
والايمان ونصبها على الحال وانا ربكم وحدي فاتقون في شق
العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا تقطع بمعنى قطع والضمير
لما دل عليه الامة من اربابها او لها امرهم بينهم ما امروا به من

الشرايع والاحكام زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا
وقيل تفرقوا في دينهم كل سجل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا
وبدلوه وقرأ زبرا بفتح البا جمع زبرة مستعار من زبر الحديد ويجوز ان
يكون حالا من امرهم او من الواو كل حزب كل فرقة من فرق هولا المختلفين
المتقطعين دينهم بما لديهم من الكتاب والدين او من الهوى والراي
فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم
شبهها في غلبتها عليهم بالما الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها
او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل حتى حين الى ان
يقتلوا او يموتوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي عن الاستعجال
بعذابهم ايحسبون انما نمدهم به انما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال
وبنين بيان لما لا خبر له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم
ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخير والعايد من خبرها الى اسمها
محذوف اي نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم
الى المعاصي وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالثواب اي
جزاء على حسن صنيعهم ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير
من المسلمين بل اضراب عما يحسبونه لا يشعرون اي بل هم اشباه
البهايم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في ذلك فيعلموا
انه استدراج لا مسارعة في الخيرات ان الذين هم من خشية ربهم الخشية
خوف يشوبه التعظيم مشفقون قاصدون الحق الهيبة والعظمة على
حذر ورقبة والاشفاق خوف مع اعتنا والذين هم بايات ربهم المنصوبة
والمنزلة يومنون يصدقون مدلولها ونزولها من عند الله
والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يوتون
ما اتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقري ياتون ما اتوا
اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة ان لا يقبل منهم
وان لا يقع على الوجه اللايق فيواخذوا به والوجل اضطراب النفس
لتوقع مكروه انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه وهو يعلم
ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون فيها اشد
الرغبة فيبادرونها والاحسن طباقا لما تقدم والاسد وفاقا له
اي المعنى انهم يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية ويتعجلون في
الدنيا المنافع ووجوه الاكرام لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا
في نيلها وتعجلوها لقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة
لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمومنين وهم لها سابقون اي لاجلها
فاعلون السبق او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون

اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا حال من فاعل يسارعون
او عطف عليها واولئك يسارعون عطف الجملة علي الجملة بها صلة
سابقون او علته او خبره وسابقون خبر بعد خبر ولا نكلف نفسا
الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض علي ما وصف به الصالحين
ونسهيله علي النفوس معين ولدينا كتاب اي ما عملوه غير ضائع
بل مثبت في كتاب اي اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق يبين الصدق
لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان
ثواب وتقديم هم للمحافظة علي الفاصلة ثم عاد الي ذكر الكافرين فقال
بل قلوبهم في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف به
السابقون ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة عما وصفوا
به والاشارة بذلك للتعظيم هم لها عاملون معتادون فعلها حتى
اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب وهو القتل يوم بدر او الجوع
حين دعي عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد
وطاتك علي مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله
تعالى بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة والقد والاولاد
اذا هم يجأرون فجاؤوا بالصراخ بالاستغاثة اي فاجاؤه وهو جواب
الشرط والجملة مبتدا بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا
اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجاروا انكم منا لا تنصرون
تعليل للنهي اي لا تجاروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم
نصر من جهتنا قد كانت اياتي تتلى عليكم يعني القران اي قد
استمر تجدد تلاوته عليكم وقتا بعد وقت فكنتم علي اعقابكم
تنكصون تعرضون عنها اي عن سماعها وتصديقها علي اسوء وجه
مستمرين علي ذلك والنكوص ان يرجع القهقري وهو اقبح مشية
لانه لا يرى ما وراءه مستكبرين به علي المسلمين بالبيت او بالحرم
لانهم يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا
الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت او بايات لانها في معنى كتابي
ومعنى استكبارهم به تكذيبهم به استكبارا علي التضمين او مستكبرين
بسببه اي اذا تتلى عليكم حدث بسببه استكباركم او يتعلق بالباء بقوله
سامرا اي تسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وذلك انهم كانوا
يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران
وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر في الاطلاق علي الجمع
او بقوله تهجرون وهو من الهجر بالفتح الهذيان وبالضم الفحش
وقرئ تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش ومن هجر الذي هو مبالغة

في

في هجر اذا هذي اي تعرضون من القران وتهذون في شانه او تهجرونه
افلم يدبروا القول القران ليعلموا عند تدبر انه الحق المبين فيصدقوا
به وبمن جاء به او ليخافوا عند تامل اقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم
من المكذبين والهمزة للتقرير والتوبيخ اي ابعد وضوح ايات المتلوة
عليهم لم يتدبروه وام في قوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين
منقطعة اي بل عدم تدبرهم اجاءهم ما لم يات اباءهم الاقدمين من كتاب او
رسول او امن من عذاب الله تعالى فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون
كاسمعيل عليه السلام واعقابه فالهمزة هذه للانكار ويجوز ان يكون
المراد بالاولين الذين مضوا ممن سبقوهم من الاقربين الذين قلدوهم
فتكون الهمزة للتقرير ايضا ام لم يعرفوا رسولهم اضراب عما ذكرنا
وانكار لعدم معرفتهم اياه لانهم عرفوه بالامانة والصدق
وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الي غير ذلك مما هو صفة الانبيا
فهم له منكرون توبيخ علي عدم معرفتهم اياه فيدخل تحت الاضراب
والانكار ولا وجه لما قيل لاحد هذه الوجوه لان الاتي بعده من
جملة الوجوه فلا وجه للفصل بينهما بما ذكر ام يقولون به جنة
اضراب وانكار ايضا لقولهم به جنة لانهم كانوا يعلمون انه ارجحهم
عقلا واثقبهم رايا واصوبهم نظرا ويجوز ان تكون الهمزة للاستفهام
وام هي المتصلة ويكون الكلام علي طريق المجادلة بالتي هي احسن
اي هذه الامور كائن كما يقول المنافقون ان الامر لا يخلو من احد
هذه الاقسام لكن الاقسام كلها باطلة الا القسم الاول وهو عدم
التدبر وعبر عنه بقوله بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لمخالفته
اهواءهم فلذلك لم يتدبروا وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من
ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته ولعدم فكرته
لا كراهة الحق ولو اتبع الحق علي سبيل الفرض والتقدير كما تعرض
المحالات اهواءهم في الشرك بان كان في الوجود الهة شتى لفسدت
السموات والارض كما سبق تقريره في تفسير قوله تعالى لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا او ولو اتبع الحق الذي قام به السموات
والارض اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما قام به العالم فلا يبقى شي
منه او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد عليه السلام وهو الاسلام اهواءهم
وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيمة واهلك العالم من فرط غضبه ولم
يوخر واما ما قيل معناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك
والمعاصي لما كان الها ولكن شيطانا ففيه ما لا يخفى من جراة علي الله
تعالى وسوء ادب فاحش ومن فيهن خص العقلا تنبيها علي ان وجوده

الغير تبع لهم بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او
اوصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه بقولهم لو ان عندنا ذكرا
من الاولين فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه وانما اعاد الذكر
باسمه تفخيما ام في تسألهم منقطعة خرجا وقرئ خراجا والخرج
ما تخرجه الى الامام من زكاة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل
الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من
الخراج لقولك خراج القرية وخرج الكرد فزاد اللفظ لزيادة المعنى ولهذا
حسنت القراءة الاولى يعني ام تسألهم على هداك لهم قليلا من عطاء
الخلق فخراج ربك فالكثير من عطاء الخالق خير ففيه مندوحة لك عن
عطائهم وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم قد سبق تفسيره في الفاتحة والتنكير ههنا
للتعظيم ولما الزمهم الحجة وازاح العلة حصر اقسام ما يقتضي الانكار
والاتهام وبين انتفايها الا عدم التدبر وكراهتهم الحق لمخالفته اهواءهم
واقام الدلايل على امتناع موافقته لما هم عليه من التقليد واتباع الهوى
لما يلزم ذلك من الفساد والخلل ثبت ان ما عليه هو الصراط المستقيم
الذي استقامته بشهادة العقول السليمة والفطرة الصافية وانه
يدعوهم اليه وانهم لكفرهم عن الصراط المذكور لناكبون وانما عدل في قوله
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون عن الضمير الى الموصول
للتنصيص على علة عدولهم وليكون كالبرهان على عدولهم لدخولهم
في الموصول دخولا اوليا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط
للجوا لتمادوا في طغيانهم في افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة
الرسول عليه السلام والمؤمنين يعمهون اي لعادوا الى ما كانوا عليه من
اللجاج في الطغيان والذهب عنهم هذا الابلاس والتمسكن بين
يديه [illegible] عن الهوى ثم استشهد على ذلك بقوله
ولقد اخذناهم بالعذاب اي القتل والاسر يوم بدر فما استكانوا لربهم
وما يتضرعون فما خضعوا وما تذللوا ولم يوجد منهم تضرع
استكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون
كالمستحيل المنفعل من حال الى حال او افتعل من السكون اشبعت فتحته
حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد باب الجوع الذي هو
اشد من القتل والاسر اذا هم فيه مبلسون الابلاس الياس من كل
خير وقيل السكوت مع التحير اي فابلسوا ساعتئذ وخضعت رقابهم
حتى جاءك اعتاهم يستعطفك روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي
ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين

حتى

حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى
فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت هذا [illegible] مدنية
وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون
قليلا نصب على المصدر وما زايدة للتوكيد يعني حقا اي شكرا قليلا تشكرون
حقا وانما خص السمع والابصار والافئدة بالذكر في مقام الامتنان لانها اصول
المدركات المنتفع بها في المنافع الدينية والدنياوية ولا يمكن الاستكمال
الا بها فانه موقوف على الاعتبار والاستماع والاستبصار بالنظر والاستدلال
فهي اصول النعم الموجبة للشكر ولما كان العمدة في الشكر استعمالها فيما
خلقت لاجله ومقدمتها الاقرار بواهبها ومنشيها قال وهو الذي
ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون
يوم القيامة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل
والنهار قد سبق تفسيره اي هو المختص باعترافكم بانشاء الجوارح
المذكورة وانشائكم والمختص بالاحياء والاماتة وله خاصة اختلاف
الليل والنهار وهو متوليه لا يقدر على تصرف فيهما غيره والاختصاص
مستفاد من تقديم الضمير والظرف فلا تعقلون اي بعد هذه الدلايل
الواضحة لا تعقلون بالنظر والاستدلال واستعمال المدركات المذكورة
ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها
فلا تنكرونه والالتفات من التكلم الى الغيبة مما لا يخفى فايدته من
التعظيم كما في ربهم ووقوع العصا بالتكرير والافتنان فيه وقرئ
يعقلون بالياء على الالتفات ايضا وعلى ان الخطاب السابق
لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون كما قال
الكفار قبلهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما قد سبق وجه تأخير
قوله عظاما عن قوله ترابا ائنا لمبعوثون تكرار الهمزة للمبالغة
في الانكار والاستبعاد والتاكيدات واللام لتوجيه الانكار الى الجزم
بالبعث واعتقاد تحققه والاتيان به كما عليه الرسول والمؤمنون
ويخبرون عنه لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا اي البعث من قبل مجيء
محمد عليه السلام ان هذا الا اساطير الاولين الا اساطير جمع
اسطورة وهذا لنا ما يتلهى به كالاضحوكة والاعجوبة والالعوبة
وقيل جمع اسطار جمع سطر وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له قل
لمن الارض ومن فيها انما قيل من تغليبا للعقلا ولانه يلزم ان يكون
له عبرة من طريق الاولى ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل
العلم او من العالمين بذلك زيادة استهانة بهم وتقرير لفرط جهالتهم

سيقولون لله لانهم مقرون بانه الخالق قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون
فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق وكان
حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم في توصيفه بالعظيم تصغير للسموات
السبع مع هذه العظمة في جنبه وهذا غاية في التعظيم سيقولون لله
لان ذلك ايضا قد تقرر عند العرب باخبار اهل الكتاب وقرئ الله بغير
لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السوال والاول محمول على المعنى
لان قولك لله معناه لمن هذه الاشيا وهذا جواب صحيح قال الشاعر
اذا قيل من رب المزالف والقرى ... ورب الجياد الجرد قيل لخالد
قل افلا تتقون اخلافه فلا تشركوا به ولا تنكروا قدرته على بعض
مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شي مالكيته ومدبريته وقيل الملكوت
الملك والواو والتا للمبالغة فينبي عن عظم الملك وهو يجير وهو يغيث
من يشا من اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته ولا يجار
عليه ولا يغيث احد منه احدا وتعديته بعلى لتضمينه معنى النصرة
ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون تخدعون فتصرفون
عن توحيده وطاعته مع ظهور الامر وتظاهر الادلة وهذه الاسولة
استهانة بهم وتقرير لفرط جهالتهم في الامور الدينية حيث جهلوا امثال هذا
الجلي الواضح والزام بما لا يمكن لمن له ادنى مسكة من العلم انكاره
ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا بقوله سيقولون لله لان
العقل الصريح قد اضطرهم الى الاجابة بما اجاب به فلا يمكن عاقلا ان
يجيب بجواب اخر ثم انه روعي في السوال نكتة الترقي فسيل عمن له
الارض وما فيها ثم سيل عمن له السموات والعرش العظيم والارض
بالنسبة اليه كلا شي ثم سيل عمن بيده ملكوت كل شي فانه اعم العام
وكلمة الاحاطة واوثر الملكوت وهو الملك الواسع وقيل بيده تصويرا
وتخيلا وكذلك روعي هذه النكتة في الفواصل فعبر اولا بعدم التذكر
فان اسير النظر يكفي في اخلال عقيدته ثم بعدم الاتقا وفيه وعيد ثم
بالتعجب من خدع عقولهم فتخيل الباطل حقا والحق باطلا وولي لها التذكر
والخوف بل اتيناهم بالحق بالتوحيد واستحالة نسبة الولد والشريك
اليه وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك وادعوا ان له ولدا ومعه
شريكا ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه في
الوجود من اله يساهمه في الالوهية اذا جواب لمحاجتهم وجزا الشرط
محذوف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة كما تقولون اذا لذهب
كل اله بما خلق لانفرد كل واحد منهم بالذي خلقه واستبد به ولرايتم امتياز ملك

كل واحد

كل واحد عن ملك الاخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب ولعلا بعضهم
على بعض ولغلب بعضهم بعضا كما هو حال ملوك الدنيا فممالكهم متمايزة و
هم متغالبون وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه اله
واحد بيده ملكوت كل شي واما ما قيل فلم يكن بيده ملكوت كل شي ولم يكن
واحد منهم الها مطلقا واللازم باطل بالاجماع والاستقرا وقيام البرهان
على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد فيرد عليه ان الاجماع والاستقرا
لا يناسب المقام واما البرهان فانما قام على وجوب انتها سلسلة
الموجودات الى واجب بالذات ولا يلزم منه ان لا يتعدد الواجب ولا
يكون في الوجود سلاسل ينتهي بعضها الى واجب اخر سبحان الله عما
يصفون عما يصفونه من نسبة الولد والشريك اليه لما سبق من الدليل
على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا محذوف وقرئ بالجر
على الصفة دليل اخر على نفي الشريك بنا على توافقهم في انه المتفرد بذلك
ولذلك رتب عليه فتعالى الله عما يشركون بالفا قل رب اما تريني ما
يوعدون ان الشرطية وما والنون موكدتان لمعنى الشرط وجواب
الشرط فلا تجعلني اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب
في الدنيا او في الاخرة رب تكرار ما بين الشرط والجزا معترض للتنبيه على
فضل التضرع والجوار فلا تجعلني في القوم الظالمين اي فلا تجعلني قرينا
لهم في العذاب عن الحسن اخبره الله تعالى ان له في امته نقمة ولم يخبره في
حيوته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعا وهو اما لهضم النفس والقيام
بمعنى العبودية مع علمه بانه لا يفعله واما للاعلام بان شوم الظلمة قد
يحيق عن ورائهم لقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون كانوا يستعجلون العذاب
انكارا وعنادا ويضحكون منه استهزا فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما
وعد عاجلا لكن يوخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يومنون او لا
يعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه يوم بدر او يوم فتح مكة ادفع بالتي
هي احسن السيئة حثه على مكرمة هي افضل المكارم ما لم يود الى كلم في الدين
او ازدرا بالمروة وهو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من صيغة
التفضيل وابهام الموصول وتبيين الصلة اي زد على الصفح عن الاساة
مقابلة السيئة بما يمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان
وبذل الوسع فيه كانت حسنة مضاعفة بازا سيئة وادفعها بالتي
هي احسن نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به من صفات السوء او
بوصفهم لك وسوء ذكرهم وهو وعيد لهم ووعد له بالجزا وتسلية
له عليه السلام اي والله اعلم بقولهم وفعلهم وهو مجازيهم وقل رب اعوذ بك

امره بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكروب لتدابه تضرعا وابتهالا
بالتعوذ من ان يحضروه او يحوموا حوله من همزات الشياطين شبه
حث الشياطين الناس على المعاصي بالوساوس بهمز الراضة للدواب
على المشي بالمهماز والجمع اما لتعدد الوساوس او لتنوعها او
لتنوع المضاف اليه او تعددهم واعوذ بك رب ان يحضرون عن
ابن عباس رضي الله عنهما عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع هو
وقيل عند الصلاة والتخصيص باحدها لانها احرى الاحوال بان يخاف
عنده حتى اذا جاء احدهم الموت يتعلق بيصفون غاية لها اي لا يزالون
يذكرونك بسوء الى هذا الوقت وما بينهما اعتراض للاغضاء عنهم
مستعينا بالله على الشيطان ان يستنزله عن الحلم ويغريه على الانتصار
منهم او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على تفريطه السابق لما
اطلع على الامر اللاحق رب ارجعون ردوني الى الدنيا والخطاب
بلفظ الجمع للتعظيم او لتكرير ارجعني كما قيل في قفا واطرق وهو
يناسب الجؤار والتضرع لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي
تركته او لعلي آتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا وقيل فيما تركت فيه
من المال او في الموضع الذي تركت وهو الدنيا كلا ردع عن طلب الرجعة
واستبعاد لها انها كلمة اي طائفة من كلام المنتظم بعضها مع بعض
وهو قوله رب ارجعون الى آخره هو قائلها لا محالة لا يسكت عنها
لاستيلاء الحسرة والندامة وهو قائلها وحده لا يجاب ولا يسمع منه
ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ البرزخ الحاجز قال
الضحاك هو الحاجز بين الدنيا والاخرة وقيل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا
ويأباه قوله الى يوم يبعثون لانه لا يصلح غاية لعدم الرجوع المذكور
والعلم بانه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا يفيد الاقنياط الكلي عن
الرجوع اليها ولكنه لا يصلح امر الغاية فاذا نفخ في الصور للبعث
والنشور وقرئ بفتح الواو وبكسر الصاد ويؤيده ان الصور ايضا
جمع الصورة اذ الاصل في القراءة التوافق فلا انساب بينهم يومئذ
المنفي نفع الانساب لا نفسها فان لكل امرئ يومئذ ما اكتسب لا مما
انتسب قيل لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة والاستيلاء
الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
وفيه نظر ولا يتساءلون كما يفعلون اليوم وهذا ليس عقيب
نفخة البعث بل بعد زمان لقوله تعالى من بعثنا من مرقدنا فانه
صريح في انهم يتساءلون وقوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
قال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك عند القيام بالنفخة الثانية والفاء الجزائية

لا تدل على التعقيب فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن
خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم قد سبق تفسيره
في سورة الاعراف في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم والجملتان
في حكم الصلة فلا محل لها من الاعراب او خبر بعد خبر لاولئك فهو في محل
الرفع كالذين خسروا او خبر مبتدا محذوف تلفح وجوههم النار تحرقها
قال الزجاج اللفح كالنفخ الا ان اللفح اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من
شدة الاحراق والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمر عن الاسنان كما
ترى الرؤوس المشوية وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي
شفته السفلى حتى تبلغ سرته الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول
اي يقال لهم الم تكن تتلى عليكم آياتي في الدنيا وكنتم بها تكذبون
تعنيف وتذكير بما استحقوا هذا العذاب بسببه قالوا ربنا غلبت علينا
شقوتنا هلكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه
والشقاوة سوء العاقبة وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين
وكسرها كالسعادة والكتابة اي غلبت علينا الاعمال الردية والاحوال
القبيحة التي شقينا بها وكنا بها قوما ضالين عن الحق والصواب
وليس هذا باعتذار بل هو اعتراف منهم بسوء الصنيع ولا صحة لما قيل
غلبت علينا ما كتب علينا من الشقاوة لانه انما يكتب ما يفعل العبد
وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذي علم انه يختاره والعلم تابع للمعلوم
لا العكس فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل بسبب التقدير الازلي
ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى الكفر والتكذيب فانا ظا
لمون لانفسنا قال اخسئوا انزجروا فيها اذلاء انزجار الكلاب اذا
زجرت يقال خسا الكلب واخسانه لازما ومتعديا شبهوا بالكلب
في الذل والهوان فطردوا باخسئوا ولا تكلمون في رفع العذاب
او ولا تكلمون اصلا قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك
الا الشهيق والزفير والعواء عواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون
انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان تعليل لوجوب انزجارهم
فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل هم الصحابة رضي الله عنهم وقيل
اهل الصفة خاصة يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا هذا تفريع
لطلب المغفرة والرحمة على الايمان دلالة على كفايته فيهما وانت
خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزؤا وتشاغلتم ساخرين حتى انسوكم
بكثرة تشاغلكم بهم ذكري اي تركتم ان تذكروني تخافوني في اوليائي
والسخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخرة الا ان في يا النسب زيادة

فوة في الفعل ومبالغة كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفرّاء
ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية
اي سخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه وكنتم منهم
تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم بالفتح
ثاني مفعولي جزيتهم وبالكسر استيناف كانه لما ابهم الجزاء للتعظيم ولم يبينه
اتجه ان يسال سائل كيف حالهم فقال انهم هم الفائزون مخصوصون
بالفوز تحقيق مرادانهم قال اي الله تعالى او المامور بسؤالهم من الملائكة
وقرئ على الامر للملك او لبعض روساء اهل النار كم لبثتم في الارض في
الدنيا احياء وامواتا في القبور عدد سنين اي كم عدد سنين لبثتم فلم نصب
بلبثتم وعدد بكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا امد لبثهم
فيها بالنسبة الى خلودهم في النار ولانها كانت ايام سرورهم وايام
السرور قصار ولانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم الذي يستحق
ان يعبر عنه بالقلة فاسأل العادين الذين يتمكنون من عد اياما
ان اردت تحقيقا فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها
واحصائها والملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم
وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما تقول وقرئ
العاديين اي القدماء المستمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم
قال وقرئ قل ان لبثتم الا قليلا اي ما لبثتم الا زمانا قليلا لو انكم كنتم
تعلمون صدقهم الله تعالى في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم
على غفلتهم التي كانوا عليها افحسبتم توبيخ اخر على تغافلهم وتجهيل
مع انكار انما خلقناكم عبثا حال اي عابثين او مفعول له اي ما خلقناكم
للعبث وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على
البعث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون
معطوفا على عبثا اي للعبث ولتركم غير مرجوعين وقرئ ترجعون
بفتح التاء فتعالى الله من ان يخلق عبثا تعليل لما تقدم الملك الحق الذي
يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه
وما عداه مملوك له بالذات مالك بالعرض زائل الملك لا اله الا هو فان ما
عداه عبيد رب العرش الذي يحيط بالاجرام الكريم بالجر على انه صفة العرش
وانما وصفه بالكرم لان الرحمة والخير والبركة الالهية تنزل منه ويجوز
ان يكون توصيفه بالكرم لنسبته الى اكرم الاكرمين مجازا كما يقال بيت
كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ بالرفع على انه صفة لرب ومن يدع
مع الله الها اخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة اخرى
لاله اي لا حجة له عليه لان البرهان عقلي ونقلي وليس في واحد منهما ما

يجوز ان يكون معه الها اخر وهذا وان كان مذكورا في موضع الصفة فليس
للتمييز لان الباطل يمتنع ان يكون له دليل ضعيف فضلا عن برهان
وانما جيء بها للتاكيد ولبناء الحكم بالوعيد عليه تنبيها على ان التدين
بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه واعتراض بين الشرط
والجزاء لبيان الملازمة كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه
فالله مثيبه قوله فانما حسابه عند ربه كناية عما ذكر اي فهو مجازيه
بما يستحقه انه اي ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه او على انه خبر
اي حسابه انه لا يفلح الكافرون من باب وضع الظاهر موضع المضمر
اذ اصله حسابه لا يفلح الكافرون هو لان من يدعو في معنى الجمع فمعنى
حسابه انه لا يفلح حسابهم انهم لا يفلحون فغير تقطيعا لشانهم
وتفضيحا لصورة حالهم وايماء الى عدم الفلاح لكفرهم وصيغة الجمع للتنبيه
على انه لا يغني اجتماعهم والا فالظاهر ان يوتى بصيغة الافراد لان
الفلاح منتف عن جنسهم وزاوج بين فاتحة السورة وخاتمتها بقوله
قد افلح المومنون في الفاتحة وانه لا يفلح الكافرون في الخاتمة ثم
علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله وقل رب اغفر وارحم وانت
خير الراحمين لان رحمته اذا ادركت احدا اغنته عن رحمة غيره ولا
تغنيه عن رحمته والله اعلم

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ لانها مخصصة بالتنكير الدال
على التعظيم كقولهم شر اهر ذا ناب انزلناها صفة او خبر ومن نصبها
جعلها مفسرة لناصبها فلا يكون لها محل الا اذا قدر اتل ونحوه ولا
يجوز نعتها بذلك لان ادات الاعراض لا تحذف وفرضناها اي فرضنا
ما فيها من الاحكام وقرئ بالتشديد للتكثير او للمبالغة وانزلنا فيها
ايات بينات اي دلائل واضحات لعلكم تذكرون كي تتعظوا الزانية
اي المراة التي مكنت في الزنا وذلك اي حرمة الوطي التي بها يتحقق
الزنا منشاؤها خلو المحل عن الملكين وشبهتهما كما قدم الزاني في الحكم
الاتي ذكره لاصالته فيه والزاني رفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل
واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط لان اللام
بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر والجلد ضرب الجلد
وفيه اشارة الى انه لا يبالغ ليتصل الالم الى اللحم والخطاب لجماعة المسلمين
الا انه لما لم يمكنهم الاجتماع فينوب الامام منابهم وعموم الاية يتناول
المحصن وغير المحصن ثم خص منه المحصن بحديث الرجم وشرائط
احصان الرجم العقل والبلوغ والاسلام والحرية والدخول بنكاح صحيح

وهما على صفة الاحصان ورجمه عليه السلام يهوديين قد زنيا كان بحكم
التوراة ثم نسخ يويده قوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن
والتغريب المروي منسوخ بهذه الاية كالحبس والاذى في قوله فامسكوهن
في البيوت وقوله فآذوهما لان الفا انما تدخل على الجزا وهو اسم للكافي
ولا تاخذكم بهما رافة الرافة رقة الرحمة واخذها كناية عن تاثرها في
النفس بحيث يظهر اثرها في العمل فرجع النهي الى المسامحة في اقامة الحد
كما ينبغي في دين الله في طاعته او في حكمه وانما قال بهما ليعلم حكم الرافة باحدهما
بطريق الدلالة ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب
الايتمار بامر الله تعالى وهذا من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه
وجواب الشرط مضمر اي فاقيموا الحد ولا تتساهلوا فيه وليشهد عذابهما
وليحضر موضع حدهما وتسميته عذابا دليل على انه عقوبة طائفة
فرقة يمكن ان يكون حلقة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول
الشي من المومنين ليعتبروا ويتزجروا فان التفضيح قد ينكل اكثر مما
ينكل التعذيب الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة اي لا يميل الا الى نكاح واحدة
منهما والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اي لا يمكن الا من نكاح
واحد منهما ومرجعه الى نفي ميلهما عن نكاح غيرهما فالقرينتان على سنن
واحد وانما في الثانية عن الصريح الى الكناية كراهة اسناد النكاح اليها
ووجه ما ذكر ان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والا
فتراق وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين الاية فالاية تزهيد في نكاح
البغايا اذ الزنا فيهن عديل الشرك في القبح وحرم ذلك على المومنين
لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسو المقالة
فيه والغيبة والطعن في النسب ومجالسة الزواني كم فيهن من التعرض
لاقتراف المفاسد والاثام فكيف بمزاوجتهن ولذلك عبر عن التنزيه
بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها
والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او الحرمة منسوخ بقوله تعالى
وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويويده انه عليه السلام
سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال
والذين يرمون المحصنات اي يقذفون الحرائر العفائف المسلمات
المكلفات بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وانما عدل عن القذف
الى الرمي البعيد لان القذف لرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والقيدان
المذكوران اعتبارهما لا يناسب المقام وذكرهن عقيب الزواني واشتراط
اربعة شهدا بقوله ثم كلمة التراخي دل على انه لا يجب على الاتيان بالشهود
على الفور لم ياتوا باربعة شهدا يشهدون على زنى المقذوفة لان القذف

بغير الزنا يكفي فيه شاهدان ولايجاب الحد بقوله فاجلدوهم ثمانين
جلدة لان القذف بغير الزنا لا يوجب الحد بل يوجب التعزير كقذف غير
المحصن بالزنا ونصب ثمانين نصب المصادر كنصب مائة ونصب جلدة
على التمييز ولا فرق فيه بين الذكر والمونث وتخصيص المحصنات لخصوص
الواقعة او لان قذفهن كان اغلب هذا ما قالوا وانا اقول اريد الانفس
المحصنات كما في قوله تعالى والمحصنات من النسا فلا تخصيص ولا يشترط
اجتماع الشهود عند الادا ولا شهادة زوج المقذوفة ولكن يشترط اجتماع
طلب المقذوفة لان فيه حقه من حيث دفع العار ولا خلاف فيه لابي
حنيفة وضربه اخف من ضرب الزنا قيل لضعف سببه واحتماله الصدق
ولذلك نقص عدده ويرد عليه النقض بضرب التعزير كما اذا كان المقذوف
غير محصن فانه اشد من ضرب الزنا مع قيام العلة المذكورة فيه ولا
تقبلوا لهم شهادة نكر شهادة في موضع النفي فتعم كل شهادة ورد شهادته
لانه ليس مفتريا والا لما تخلف عنه في قذف غير المحصن بل لانه من تمام
الحد فيتعلق باستيفا الحد وبعضه خلافا للشافعي فيهما لا يجعل حاله
قبل الحد اسوء مما بعده لانه ان اريد انه كذلك عند الناس فممنوع وان
اريد انه كذلك عند الله تعالى فلا يجدي لان المعتبر في هذا الباب
ما عند الناس من حيث قبل تغير شهادة الفاسق الوجيه واصل الكلام ولا
تقبلوا شهادتهم وانما غير النظم بزيادة اللام لا لافادة التكثير لانه
يحصل بالتعريف الاستغراق على وجه اقوى بل لاظهار وجه كون
الرد المذكور من الحد باشعار ان في قبول الشهادة نفعا للشاهد
لانه لا يتضمن الاكرام وضده يتضمن الاهانة ابدا اي الى اخر
اوقات اهليتهم للشهادة لا الى اخر عمره ولذلك تقبل شهادة الكافر
المحدود في قذف بعد اسلامه لحدوث اهلية اخرى للشهادة بالاسلام
ولا خلاف للشافعي هنا وانما خلافه في انصراف الاستثنا الاتي ذكره
واولئك هم الفاسقون كلام مستانف غير داخل في حيز الشرط لانه
حكاية حال الرامين عند الشرع الحاكم بالظاهر لا عند الله العالم بالسرائر
بعد انقضا الجملة الشرطية وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك اي
القذف واصلحوا احوالهم بالاستسلام للحد او الاستحلال عند المقذوف
استثنا من الفاسقين ويدل عليه تعليل الاستثنا بقوله فان الله
غفور رحيم اي يغفر ذنوبهم ويرحمهم والشافعي جعل جزاء الشرطية
الجملتين ايضا وجعل الاستثنا متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى
عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عندنا ان يكون
منصوبا لانه عن موجب تام والذين يرمون ازواجهم هذا بيان حكم

قذف الزوجات بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم به الا انفسهم بدل من
شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع قرئ بالرفع على
انه خبر والمبتدأ فشهادة احدهم وبالنصب لانه في حكم المصدر بالاضافة الى
المصدر وهو شهادات والعامل فيه المصدر الذي هو شهادة وعلى هذا خبره
محذوف تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله متعلق بـ
شهادات لقربه وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به
من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا
والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
في الرمي ويدرؤا عنها العذاب ويدفع عنها الحبس والحد ان تشهد اربع
شهادات بالله انه اي الزوج لمن الكاذبين في الرمي والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيه قرئ الخامسة
بالنصب عطفا على اربع وبالرفع على الابتداء وما بعدها الخبر وخص
الغضب في جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث
فربما يجترئن على الاقدام لكثرة جري اللعن على السنتهن وسقوط وقعه عن
قلوبهن فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعا لهن واذا التعنا كما بين
في النصوص لا تقع الفرقة حتى يفرق بينهما وعند زفر والشافعي بمجرد
تلاعنهما الفرقة وتكون الفرقة تطليقة بائنة عند ابي حنيفة
ومحمد وعند ابي يوسف وزفر والشافعي تحريم مؤبد واما ان حكم
لعان الزوج وسقوط حد القذف عنه وثبوت حد الزنا عليها فالنص ساكت
عنه ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ترك جواب لولا وهو
ابلغ ما يكون لان النفس تذهب في تقدير جوابه كل مذهب ولقد احسن
من قال رب سكوت ابلغ من النطق ان الذين جاؤا بالافك هو ابلغ
ما يكون من الكذب والافتراء واصله من الافك وهو الصرف لانه قول
منصرف عن وجهه والمراد ما افك به ام المومنين عائشة رضي الله
عنها وقصته معروفة عصبة جماعة قيل من العشرة الى الاربعين
ويرده ما في مصحف حفصة رضي الله عنها عصبة اربعة ويقال
تعصب القوم اذا اجتمعوا على هيئة فشد بعضهم بعضا ومنه
العصبة لانه يجمعهم التعصب ففي عبارة العصبة هنا حسن موقع
ورجحانها على عبارة الجماعة من جهة الدلالة على الكم والكيف وهم
عبد الله ابن ابي [illegible] راس المنافقين وحسان ابن
ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم منكم
من المعدودين من اهل ملتكم وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار وفيه
اظهار لوجه غرابة ذلك الافك واخبار عصبة وقوله لا تحسبوه

مستانف

مستانفا والخطاب للرسول عليه السلام وابي بكر وعائشة وصفوان
رضي الله عنهم وصفوان ومن اساءه ذلك من المومنين والمومنات
والهاء للافك شرا لكم الشر ما زاد ضرره على نفعه والخير ضده بل هو خير لكم
لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثماني عشر
اية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من
ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي لكل امرئ من
العصبة جزاء اثمه على مقدار خوضه فيه مختصا به وكان بعضهم
ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت وليس في عبارة امرئ اخراج حمنة
بنت جحش عن هذا الحكم بل ترك ذكرها احالة بمعرفة حالها على الدلالة تنزيلا
لشانها وتحقيرا لها والذي تولى كبره معظمه وقرئ بالضم وهو لغة فيه
اي قرب من اخر عمره ولم يبعد عن المعاصي خصوصا عن مثل هذه المعصية منهم
من الخائضين في الافك وهو ابن ابي فانه بدا به واذاعه عداوة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم له عذاب عظيم في الاخرة روى ابو داود عن عائشة
رضي الله عنها قالت لما نزل عذري قام النبي فذكر ذلك وتلا القران فلما
نزل من المنبر امر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم حسان بن ثابت ومسطح
بن اثاثة وحمنة بنت جحش قالت علماؤنا وانما لم يحد عبد الله ابن ابي لان
الله تعالى قد اعد له في الاخرة عذابا عظيما فلو حد في الدنيا لكان
ذلك كفارة له فيتخلص من عذاب الاخرى وانما حد هؤلاء المسلمون ليكفر
عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة ذلك في الاخرة وقد قال عليه
السلام في الحدود انها كفارة لمن اقيمت عليه ففي قوله تعالى عذاب عظيم
اشارة الى عدم وجوب الحد على ابن ابي ولذلك لم يحده النبي عليه السلام
ثم وبخ الخائضين فيه فقال لولا هلا اذ سمعتموه اي الافك ظن
المومنون والمومنات بانفسهم بالذين منهم فالمومنون كنفس واحدة
وهو كقوله تعالى لا تلمزوا انفسكم خيرا عفافا وصلاحا وانما عدل عن
الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم
بانفسكم ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليدل التصريح بلفظ
الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضي ان لا يصدق مومن على اخيه ولا
مومنة على اختها قول عائب ولا طاعن ومن الادب الحسن قول القائل
وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث
انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك للاهتمام
بالظرف والايذان بان لا يخلوا في اول وقت السماع بالاتيان بالمحضض
عليه وقالوا كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال قرب بالظن
للتصريح بالقول ليبين ان اللائق بالمومن ان يبني قوله على ظن الخير في اول

وقت السماع هذا افك مبين كذب ظاهر لولا جاءوا عليه باربعة شهداء
هلا جاءوا على القذف لو كانوا صادقين باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء
الاربعة فاولئك عند الله اي في حكمه وشريعته وفي عبارة عند تعظيم لما
في احكام الشرع من العمل بالظاهر هم الكاذبون من جملة المقول تقرير لكونه
كذبا فان ما لا حجة عليه مكذب في حكم الشرع ولذلك رتب الحد عليه ولولا
فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع وجود الشيء
لوجود غيره اي ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب
النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة
بسبب توبتكم واستسلامكم للحد لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه بسبب
ما خضتم فيه يقال افاض في الحديث وخاض واندفع عذاب عظيم يستحقر
دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه التلقي كالتلقف والتلقن
الا ان في التلقي معنى الاستقبال وفي التلقف الحذق وفي التناول وفي
التلقن الاحتيال في التناول ذكره الراغب ولا اختصاص له بالكلام
فلذلك قال بالسنتكم اي ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث
عائشة رضي الله عنها حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد
الا طار فيه وتقولون بافواهكم انما قيد بالافواه مع ان القول لا يكون
الا بالفم لان المراد بيان انهم يقولون كلاما يساعده القلب باد في بر
درجات العلم فالتنكير في قوله ما ليس لكم به علم للتقليل وتحسبونه هينا
سهلا لا تبعة له فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي
الافك بالسنتهم والتحدث به من غير علم واستصغارهم بذلك وهو عند
الله عظيم في الوزر ثم اخذ توبيخهم على التكلم به وكان الواجب عليهم اذ
سمعوه ان لا يتفوهوا به فقال ولولا وهلا اذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم بهذا قد تقدم فائدة تقديم الظرف
ووجه الفصل به بين لولا وقلتم سبحانك للتعجب من عظم الامر ومعنى
التعجب في كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله تعالى عند رؤية العجب
من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله تعالى
من ان تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل
بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لما تاخر هذا
الاشارة الى القول المخصوص ويجوز ان يكون الى نوعه فان قذف
احاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة بنت الصديق
حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهتان زور يبهت من يسمع عظيم
وفي بعض الاخبار ان ام ابي ايوب قالت لابي ايوب الانصاري رضي
الله عنه اما بلغك ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها فقال

ابو ايوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الاية على وفق قوله يعظكم
الله اي ينصحكم الله ان تعودوا لمثله في ان تعودوا الى مثلها فعلتم من
القول به وسماعه وتلقيه ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين
فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصاد عن
كل قبيح ويبين الله لكم الايات الدالة على الشرائع ومحاسن الاداب
كي تتعظوا وتتادبوا والله عليم بما يامر وينهى حكيم فيه ان الذين
يحبون يؤثرون ان تشيع الفاحشة ان تنتشر الفاحشة اي ما قبح
جدا والمعنى يحبون شيوعها ويشيعوا بها لان عذاب الدنيا لا يكون
الا بعد اشاعتها وليس هذا من قبيل الكناية ولا من قبيل المجاز المرسل
لان كلا من معنى المحبة والاشاعة مقصود بها بل من قبيل الاكتفاء
عن ذكر الشيء بذكر ما يقتضيه تنبيها على القوة في المقتضي ويجوز
ان يكون المعنى انهم يشيعون الفاحشة محبين شيوعها للتصميم في
الذين امنوا في حق المؤمنين وهم المقذوفون منهم او فيما بين المؤمنين
لهم عذاب اليم في الدنيا بالحد والاخرة بالنار والله يعلم بواطن الامور
وسرائر الصدور وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه
الظاهر والله يعاقب على السرائر من حيث الاشاعة وغيره ان لم
يتوبوا عنها ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعجل لكم بالعذاب كرر المنة
بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة في تعظيم الجريمة
والتوبيخ لهم وان الله رؤوف حيث اظهر براءة المقذوف واثاب رحيم
يغفر انه حينا بذ القاذف اذا تاب وهذا لان الرافة رقة الرحمة
وهي تناسب حال المقذوف يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا الاتباع
الاقتداء بالداعي الذاهب في جهة باقتفاء اثره في الذهاب في تلك الجهة
فالمتبع في الحقيقة نفس الداعي لا اثره وانما اضيف الاتباع هنا الى
الاثر تنزيلا له منزلة الداعي مبالغة خطوات الشيطان اريد
بخطوات الشيطان تعدي حدود الله تعالى بالوسوسة وتحاول
عنها ومن يتبع خطوات الشيطان حذف جزؤه لظهوره واقيم علته
مقامه فانه يامر تعليل للجزاء المحذوف والجملة الشرطية قائمة مقام
تعليل النهي بالفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع في الجملة
فهو تعميم بعد التخصيص وفائدته التنبيه بتقديم الخاص على اختصاص
بزيادة الاعتناء في شانه من جهة الامر ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما
طهر من دنسها منكم من احد ابدا ما دام حيا مكلفا ولكن الله يزكي
من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع بمقالاتهم عليم بنياتهم

ولا ياتل ولا يحلف افتعال من الالية بر نشد اليه انه قرئ ولا يتال
وانه نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وقد حلف ان لا ينفق على مسطح
بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم
في الدين وفيه دليل على فضل ابي بكر والسعة في المال ان يوتوا
كراهة ان يوتوا او قرئ بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها
لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ
في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا الصفح الاعراض اي
وليتجاوزوا عن الجفا وليعرضوا عن العقوبة الا تحبون ان يغفر الله
لكم هنا غاية تلطف في الخطاب اي فاذا احببتم مغفرة الله لكم فاغفروا انتم
لغيركم والله غفور رحيم اي فتادبوا بادبه واعفوا وارحموا ولما
نزل الا تحبون قال ابو بكر بلى يا رب ثم عاد لمسطح الى ما كان وكفر يمينه
ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به كناية
عن البري منه المومنات بما يجب الايمان به استباحة لعرضهن بهن
والطعن وطعنا في الرسول والمومنين كابن ابي اريدت عايشة رضي
الله عنها مغفورا بالجلد والتوبة لعنوا في الدنيا والاخرة بما يلعنهم المومنون
في الدنيا يلعنهم والملايكة في الاخرة ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم يو
وقد دل ذلك على معنى يعذبون وهو العامل في يوم لا العذاب لانه
موصوف تشهد عليهم وقرئ بالياء للتقدم والفصل السنتهم هذا
في حق القذفة وقوله تعالى اليوم نختم على افواههم الاية في حق
المشركين فلا منافاة وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون
بها بانطاق الله تعالى على ما نطق به قوله تعالى قالوا انطقنا الله
الذي انطق كل شيء بغير اختيارهم على ما دل عليه قولهم لم شهدتم علينا
وفي ذلك مزيد تهويل العذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم جزاءهم الحق
بالنصب وصف الله على المدح لقراءة مجاهد بالرفع وقراءة الى يوفيهم الحق
دينهم والاصل في الوراث التوفى ويعلمون عند ذلك ان الله هو الحق
المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره لارتفاع
الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يغلظ الله تعالى في القرآن
في شيء من المعاصي تغليظه في افك عايشة رضي الله عنها فاوجز في
ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وما ذاك الا لامر الخبيثات
من القول والفعل للخبيثين من الرجال وعلى هذا بقيته وقيل الخبيثات
من النسا للخبيثين من الرجال وكذا بقيته والخبيثون للخبيثات
والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وفيه تنزيه عايشة

رضي الله عنها

484

رضي الله عنها لما انها زوجة الرسول عليه السلام فهي طيبة لزوج طيب وامراة
المنافق القاذف خبيثة لزوج اولئك مبرءون مما يقولون اي فيهم
واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرءون مما يقول الخبيثون من خبيثات
الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعايشة رضي الله عنها وما رميت به من قول
لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى
اهل البيت وانهم مبرءون مما يقول اهل الافك لهم مغفرة في المحشر مستانف
او خبر بعد خبر ورزق كريم في الجنة يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم التي تختص بكم سكناها سواء سكنتم فيها او لم تسكنوا اي لا
تدخلوا بيوتا يسكنها غيركم وهذا يعم مسكن الام فانه لا يجوز ان يدخل
عليها من قصة روي ان رجلا قال للنبي عليه السلام استاذن على امي
قال نعم قال لا خادم لها غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب
ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن وهو تاديب بما يرجع الى التحرز
عن الاطلاع على عورة الغير حتى تستانسوا اي تستعلموا من في البيت
باي وجه امكن قال تعالى فان انستم منهم رشدا اي علمتم وفي سنن
ابن ماجة عن ابي ايوب الانصاري قال قلنا يا رسول الله هذا السلام
فالاستيناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح ويوذن
اهل البيت وتسلموا على اهلها بان يقولوا السلام عليكم اادخل عليه السلام
التسليم ان يقول السلام عليكم اادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل
والا رجع وقيل ان تلاقيا تقدم التسليم والا فالاستيذان ذلكم اي الاستيذان
والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن
وكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم
مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد لعلكم تذكرون
متعلق بمحذوف اي انزل اليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما
هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم وانما قال فان لم تجدوا
دون لم يكن لمكان التفقد المامور به في ضمن الامر بالاستيناس فلا
تدخلوها يعني ان كان لكم فيها حاجة حتى يوذن لكم لا لان التصرف
في ملك الغير بغير اذنه محظور لانه لا ينتظم ما اذا كان الداخل معيرا
بل لان المانع عن الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه
الناس عادة والمراد من الاذن ما يعم الاذن دلالة كما اذا احرق او
غرق او نحو ذلك واما الذي فيه منكر فلا يكون خاليا فلا يكون في
معرض الاستثناء وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم
الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو عنه الالحاح من الكراهة والله بما تعملون
عليم يعلم ما تاتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس

وعنه

عليكم جناح ان تدخلوا في ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالخانات والربا
طات والحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وا
يواء الرجال والسلع والجلوس للشري والبيع وذلك استثنا من الحكم
السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او يطلع على عورات قل
للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم لم يذكر ما يغض البصر
عنه ويحفظ الفرج لان ذلك معلوم بالعادة فان من سمعه يعلم ان المراد
منه المحرم دون المحلل فلا حاجة الى الاستثنا وليس كل المحرم مما يجب
حفظه عنه فلذلك ادخل حرف التبعيض في الاول واطلق الثاني
ذلك ازكى لهم لما فيه من البعد عن دنس الاثم ان الله خبير بما يصنعون
من اجالة النظر واستعمال ساير الالات وما يقصدون بها فليكونوا على
حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن
ويحفظن فروجهن انما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النـ
ـظر بريد الزنا ورايد الفجور وبدر الهوى طموح العين ولا يبدين
زينتهن الزينة ما تزينت به المراة من حلي وكحل وخضاب وللنهي
اظهار مواضع الزينة اذا اظهار عينها مباح فالمراد بها مواضعها مجازا
واظهارها وهي في مواضعها لا اظهارا عيانها الا ما ظهر منها اي يكن
اظهار منهن كما اذا هبت الريح وكشف عنها الستر والاستثنا عن الحكم الثالث
بطريق الاشارة وهو الاستخفاف بالموحدة في دار الجزا بسبب ظهورها
وقد مر وجه هذا النوع من الاستثنا في تفسير قوله الا ما قد سلف من
سورة النسا وما ظهر باظهارهن من ضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة
ونحو ذلك في حكم ما ظهر بلا اظهارهن واما جريان العادة والجبلة
على ظهوره فلا يصلح وجها للاستثنا المذكور وليضربن وليضعن
من قولك ضربت يدي على الحايط اذا وضعتها بخمرهن جمع خمار
على جيوبهن كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما
حواليها وكن يسدلن الخمر من ورايهن فتبقى مكشوفة فامرت
ان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ولا يبدين زينتهن كرره
لبيان من يحل له الابدا ومن لا يحل له الا لبعولتهن لازواجهن او
ابايهن ويدخل فيه النوافل او ابنايهن او ابناء بعولتهن فقد صاروا محارم ايضا
او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن ويدخل فيهم النوافل
وساير المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة او نسايهن اي الحراير
المومنات فان مطلق هذا اللفظ للحراير والاضافة لاخراج الكافرات
فانهن لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء

والعبيد

والعبيد لما روي عن النبي عليه السلام اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد
وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت
رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه السلام انه ليس باس انما هو ابوك وغلامك
وقال سعيد ابن المسيب لا تغرنكم سورة النور فانها في الاما دون الذكور
ويرد عليه انه حينيذ يلزم ان يكون في المذكور اطناب مخل واللازم منتف
بلا شبهة او التابعين الذين يتبعون القوم فياكلون معهم ويرتفقون
بهم غير بالنصب على الاستثنا او الحال وبالجر على البدل او على الوصفية
اولي الاربة الحاجة الى النسا وهم الذين لا يشتهون النسا فلا يحتاجون
اليهن من هذه الجهة وهذا ليس بواقع على الخصي والمجبوب والمخنث لانهم
يشتهون ويشتهون او الطفل الذين هو جنس فصلح ان يراد به الجمع بـ
دلالة الوصف لم يظهروا على عورات النسا لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم الى حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة ولا
يضربن بارجلهن اي الارض عند المشي ليعلم ما يخفين من زينتهن
لتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وانما نهي عنه لان سماع هذه
الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدايها فلا دلالة فيه على ان ابدا الزينة
نفسه مقصود بالنهي فيما تقدم وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون
اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقوله
لعلكم تفلحون بيان ان امرهم بالتوبة لينتفعوا بذلك الا ان يكون
للحق سبحانه بها تجمل وانكحوا الايامى منكم الايامى جمع ايم وهو من لا زوج
له رجلا كان او امراة بكرا كان او ثيبا واصله ايايم فقلب والخطاب
للاوليا والسادة والامر للندب لا يقال في الاية دليل على ان تزويج
النسا الايامى الى الاوليا كما ان تزويج العبيد والاما الى الموالي لانا
نقول الرجل لا يلي الرجل الايم الا باذنه فكذا لا يلي على المراة الا باذنها
لان الايم يتناولها ولا فارق من جهة النظم والصالحين تخصيصهم
لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم من عبادكم وامايكم اي
من غلمانكم وجواريكم ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وعد من
الله تعالى بالاغنا لقوله عليه السلام اطلبوا الغنا في هذه الاية
ولقوله عليه السلام التمسوا الرزق بالنكاح والله واسع ذو سعة
لا ينزفه اغنا الخلق عليم يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته
وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة كان المستعفف طالب
من نفسه العفاف الذين لا يجدون نكاحا استطاعة تزوج من المهر
والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله انظر كيف رتب هذه الاوامر
فامر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر

ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين المغني عن الحرام ثم يعزف النفس الامارة
بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يقدر عليه
والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم اي والمماليك الذين يطلبون
الكتابة فالذين مرفوع بالابتدا او منصوب بفعل يفسره فكاتبوهم وهو
للندب ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب
والمعاتبة وانما سمي ذلك العقد به لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى
المال ويجوز حالا او مؤجلا منجما وغير منجم لاطلاق الامر وعدم المال
لا يستلزم العجز عن الادا في الحال لانه قادر على الاستقراض ان علمتم فيهم
خيرا قدرة على الكسب او امانة او ديانة والقدرة متعلقة بهذا الشرط كما ان
الندبة في انكاح الايامى متعلقة بشرط الصلاح واتوهم من مال الله
الذي اتاكم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطايهم
سهمهم من الزكاة لقوله تعالى وفي الرقاب وعند الشافعي معناه حطوا
من بدل الكتابة شيا قل او كثر وباباه عبارة الايتا لانها تقع على
التمليك لا على الحط ولا تكرهوا فتياتكم على البغا كنى بالفتا والفتاة عن العبد
والامة والبغا الزنا للنسا خاصة وهو مصدر البغي ان اردن تحصنا
تعففا عن الزنا وانما قيد بهذا الشرط لا لان الاكراه لا يتحقق بدونه
لانه على تقدير التسليم يكون سببا للترك لا للذكر بل لانها نزلت في ابن
ابي وكانت له جوار يكرههن على البغا وفيه توبيخ بالموالي اي اذا اراد
غير في التحصن فانتم احق بذلك وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن
من الاما كالشاذ النادر لتبتغوا لا تبتغوا بكم فان الفعل هنا منزل منزلة
المصدر كما في قوله تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وذلك لان الابتغا
المذكور يكون سببا مقدما ولا يكون غاية متاخرة عرض الحياة الدنيا
من اجورهن واولادهن ومن يكرههن حذف جوابه اي فعليه وبال
اكراهه لا يتعدى اليهن واقيم تعليل هذا مقامه وهو قوله فان الله من
بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه
كذلك وانما قال من بعد اكراههن لشدة المعاناة حتى احتاجت الى
المغفرة فما حال المكره وللدلالة على ان احد الاكراه الشرعي والمصابرة الى
ان ينتهي اليه فيرتكب فسوف الله يغفر ذلك بلطفه ولقد انزلنا اليكم ايات
مبينات المراد الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام
والحدود وجاز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ
بالكسر اي بينت من الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا او من بين
بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من الذين
خلوا من قبلكم اي ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم

وهي

وهي قصة عائشة رضي الله عنها فانها كقصة يوسف ومريم عليهم السلام وموعظة
للمتقين اي هم المنتفعون بها وان كانت الموعظة للكل الله نور السموات
والارض بين وضوح الدلالات وجلا البينات وان من ضل عن الحق
فليس لخفا الدليل واشتباه السبيل فقال الله هادي اهل السموات
والارض اي الى ما بهم الحاجة اليه في مصالح دينهم ودنياهم وهي كلمة
مطلقة في هذا المعنى يقال فلان نور بلده اي به يهتدون الى امورهم
وعن رايه يصدرون الى مصالحهم مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشان
في الاضاءة الى مصالحهم والمراد به الايات التي يهتدي به عباده كمشكاة
كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم
ثاقب المصباح في زجاجة في قنديل من زجاج شامي ازهر الزجاجة
كانها كوكب دري مضي بضم الدال وتشديد اليا منسوب الى الدر
لفرط ضيائه وصفائه وقرئ بالكسر والهمز كانه يدرا الظلام بضوئه
وقرئ بالضم والهمز شبهه في زهرته باحد الكواكب الدراري كالمشتري
والزهرة ونحوهما يوقد بالياء والبنا للمفعول من اوقد وقرئ بالفوقانية
كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد
بحذف التا لاجتماع الزايدتين من شجرة اي ابتدا تقويه من شجرة الزيتون
يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض
التي بارك فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة نعتها لا شرقية ولا غربية
اي لانابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان
زيتونها اجود او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دايما فتحرقها او في معناه
تغيب عنه دايما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا في نبات في
مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل اي ليس بحيث تقع الشمس عليها حينا
دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحرا
واضحة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى ويرده ما دل عليه الحديث
المذكور من انه لا خير فيها لان اشراق الشمس عليها دايما يحرقها يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار وصف الزيت بالضيا وانه لتلالؤه يكاد يضيء
من غير نار نور على نور اي هذا النور الذي تشبه به الحق نور متضاعف
قد تناصر فيه المشكوة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق بقية
مما يقوي النور وهذا لان المصباح ان كان في مكان متضايق كالمشكوة
كان اجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء يتنشر فيه والقنديل اعون
شي على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاوته وضرب المثل يكون بدل
محسوس معهود لعل غير معاين ولا مشهود يهدي الله لنوره اي لهذا النور
الثاقب من يشا فان الاسباب انما تمشي عظيته ويضرب الله الامثال

للناس تقريبا الي افهامهم وتسهيلا لسبيل الادراك والله بكل شي عليم فيبين
كل شي بما حقه ان يبين به في بيوت متعلق بمشكوة اي كمشكوة في بعض
بيوت الله تعالي وهي المساجد او بتوقد اي توقد في بيوت فيكون تقييد
للممثل به بما يكون تحقيقا او مبالغة فان قناديل المساجد تكون اعظم ولا ينافي
جمع البيوت وحدة المشكوة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار
وحدة ولا كثرة او بيسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير فيه
تاكيد نحو زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف اي سبحوا في بيوت والمراد
المساجد لان الصفة تلايمها اذن الله اي امر ان ترفع بالبناء او التعظيم
ويذكر فيها اسمه عام لما يتضمن ذكره حتي المذاكرة في افعاله والمباحثة في
احكامه يسبح له فيها بالغدو والاصال قال ابن عباس رضي الله عنهما
كل تسبيح في القران صلاة اي يصلي له فيها بالغداة صلاة الفجر وبالاصال
ساير الصلوات ولهذا وحد الغدو وجمع قرينه والاصيل في الاصل الوقت
الذي بعد العصر الي المغرب صرح به الجوهري وصدر الافاضل وجمعه اصل
واصال فمن قال والاصال جمع اصيل وهو العشي فقد اخطا مرتين وقري
والايصال وهو الدخول في الاصيل وقري يسبح بالفتح علي اسناده الي احد
الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه يسبح وقري بالتاء مكسورة الباء
الجمع ومفتوحا الي اسناده الي اوقات الغدو وانما خص الرجال بالذكر
اذ ليس علي النساء والصبيان الحضور في المساجد لا تلهيهم لا تشغلهم
تجارة اي بالسفر ولا بيع اي في الحضر وحملناهما علي هذين ليكون
لزيادة افادة لمجرد اعادة عن ذكر الله اي خارج الصلاة واقام الصلاة
اي وعن اقامة الصلاة التا في اقامة عوض من العين الساقط للاعلال
اذ الاصل اقوام فلما قلبت الواو الفا اجتمعت الفان فحذفت احديهما
لالتقا الساكنين فبقي اقاما فادخلت التا عوضا عن المحذوف فلما
اضيفت اقيمت الاضافة مقام التا فسقطت وايتا الزكاة يعني انهم
يسلكون سبيل الكسب لكن اذا حضر حق الله تعالي او حق عباده بداوا به
يخافون حال من الضمير في تلهيهم او صفة اخري لرجال يوما يوم القيامة
اي الحامل لهم علي قامة هذه الاشيا هو خوف القيامة تتقلب فيه القلوب
والابصار لبلوغها الي الحناجر والابصار بالشخوص والندحة او تتقلب
القلوب الي الايمان بعد الكفران والابصار الي العيان بعد انكاره للطغيان
كقوله فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد ليجزيهم الله متعلق بيسبح
او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا واد ناه المندوب واحترز بالاحسن
عن الحسن وهو المباح اذ لا جزا له ويزيدهم من فضله اي يزيدهم علي
الثواب الموعود علي العمل تفضلا والله يرزق يثيب من يشا بغير حساب

ثوابا لا يدخل في حساب الخلق تقرير للزيادة وتنبيه علي كمال القدرة ونفاذ
المشية وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم كسراب اي الذين كفروا حالهم
علي ضد ذلك فان اعمالهم التي يظنونها صالحة نافعة عند الله يجدونها
لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يري في الفلاة من لمعان الشمس
عليها وقت الظهيرة يسرب علي وجه الارض كانه ماء يجري بقيعة بمعني
القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار يحسبه
الظمان ماء الظما شدة العطش ما التشبيه في شدة الخيبة عند مسيس
الحاجة حتي اذا جاءه اذا جاء الي ما توهم انه ماء لم يجده شيئا اي لم يجده شيئا
نافعا يقال هذا ليس بشي يراد به نفي نفعه هذا اذا كان المعني اذا جاءه
السراب واما اذا كان المعني اذا جاء موضعه فمعني لم يجده شيئا لم يجد في
ذلك الموضع شيئا كان يتراءي له لانه لا يري ذلك اذا حضر وكذلك
الكافر اذا قدم يوم القيامة علي اعماله التي هي خيرات عنده لم يجدها نافعة
ولا يراها لانها صارت هباء منثورا ووجد الله اي وجد عقاب الله عنده
اي يبطل حسناته ويبقي عقاب سياته معد له عند قدومه فوفيه حسابه
اي اعطاه جزاء عمله وافيا كاملا ووحد بعد تقدم جمعا علي كل واحد من
الكفار والله سريع الحساب لانه لا يحتاج الي عد وعقد ولا يشغله حساب
عن حساب قوله ووجد الله عطف علي ما تقدم من التمثيل علي سبيل العطف
علي المعني ومن غفل عن هذا زعم انه من تتمة التمثيل فتعسف في توجيهه او
كظلمات في بحر وهنا كاو في او كصيب وما قيل او للتنويع فان اعمالهم
ان كانت صالحة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات يرده قوله
ووجد الله عنده لان الاعمال الصالحة وان لم تكن نافعة مع الكفر
لا يكون في عاقبتها وخامة لجي عميق كثير الماء منسوب الي اللج وهو
معظم الماء يغشاه يغشي البحر او من فيه اي يعلوه ويغطيه موج هو ما
ارتفع من الماء من فوقه موج اي من فوق الموج موج اخر من فوقه اي
من فوق الموج الاعلي سحاب غطي النجوم وحجب انوارها والجملة صفة
اخري للبحر ظلمات اي هذه الظلمات بعضها فوق بعض ظلمة الموج علي
ظلمة البحر وظلمة الموج علي الموج وظلمة الموج علي السحاب اذا اخرج
يده اقرب ما يري اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا عن ان
يراها والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعني عليه
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اي من لم يهده الله لم يهتد يروي
عن الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن
اصابه من ذلك النور اهتدي ومن اخطاه ضل الم تر الم تعلم علما يقوم مقام
العيان المؤدي الي الايقان ان الله يسبح له ينزه ذاته عن كل نقص وافة

من في السموات والارض ومن لاسناد التسبيح فلا حاجة الى التغليب
هنا وفي يعقلون او اريد به الملائكة والثقلان والطير على الاول وتخصيص
لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات
فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة
اجنحتها لما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع
ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم الضمير لكل وكذا في
صلاته وتسبيحه ولا يبعد ان يلهم الله تعالى الطير دعاءه وتسبيحه
كما الهمه سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها والله
عليم بما يفعلون من الصلاة والتسبيح وغيرهما ولله ملك السموات
والارض لا شريك له فيه والى الله المصير مرجع الكل وانما عدل عن الضمير
تفخيما الم تر ان الله يزجي سحابا معنى يزجي يسوق قليلا قليلا ويستعمل
في سوق الثقيل برفق كالسحاب والابل والسحاب اسم جنس واحده سحابة
والمعنى يسوق سحابة الى سحابة ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق
بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل
وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع
عظام تشبه الجبال في عظمها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي
ينزل مبتدئا من السماء من الجبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية
او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول فيصيب به بالبرد من يشاء
فيضره في نفسه او في زرعه ويصرفه عمن يشاء فلا تصيبه يكاد سنا
برقه ضوء برقه يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة
وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد
وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة
بينهما وبنقص احدهما وزيادة الاخر ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة
لدلالة على وجود الصانع القادر العليم وللتنبيه على وضوح الدلالة
قال لاولي الابصار دون لاولي البصائر ثم بين دليلا اخر فقال
والله خلق كل دابة حيوان يدب على وجه الارض وقرئ خالق كل دابة
بالاضافة قال الراغب والدبيب اصله حكاية صوت حركة المشي ثم
قيل دب اذا مشى ويقال لكل ما يمشي دابة ثم خص الفرس من ماء هو
جزء مادته وسبب حياته على ما اشير اليه في قوله تعالى وجعلنا
من الماء كل شيء حي وقيل من ماء مخصوص وهو النطفة ولا يلزم حينئذ
ان يرتكب الى ادعاء التغلبة في المخلوق من النطفة وتنزيل الغالب
منزلة الكل لجواز ان يراد بالدابة ما يخلق بالتوالد بقرينة من ماء
اي من نطفة كما اريد من الشيء في قوله تعالى ومن الماء كل شيء حي ما به

الحياة بقرينة حي فمنهم من يمشي على بطنه كالحية والحوت يسمى الزحف
مشيا استعارة لقيامه مقام المشي وليس هذا من قبيل ذكر المقيد وارادة
المطلق كما اذا ذكر المشفر واريد به الشفة مطلقا لان خصوصية الزحف
مقصورة والمشاكلة البديعية طريقة اخرى لا يصار اليها عند صحة الاستعارة
البيانية ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع
كالنعم والوحش قيل ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها
اذا مشت على اربع ولا يخفى ما فيه من التعسف وتذكير الضمير لتغليب
العقلاء والتعبير عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة قيل قدم ما هو
اعرف بالقدرة وهو الماشي بغير آلة مشي ثم الماشي على رجلين ثم الماشي
على اربع وفيه نظر لان مبناه الغفول عن ان المشي في الاول مستعار
للزحف يخلق الله ما يشاء كيف يشاء ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء
لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق بانواع الدلائل والله يهدي من
يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام
الذي يوصل الى الجنة والآيات لا لزام حجة لما ذكر انزال الآيات ذكر بعدها
افتراق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم
المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت
ظاهرا وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب فبدا بالمنافقين فقال
ويقولون آمنا بالله وبالرسول بالسنتهم وأطعنا الله والرسول ثم يتولى
اي يعرض عنهما فان الاعراض عنه تعالى فريق منهم من بعد ذلك بعد
قولهم هذا وفائدة ثم الاستبعاد اظهار القبيح صنيعهم وما اولئك بالمؤمنين
الاشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بان جميعهم وان
آمنوا بالسنتهم لم يؤمنوا بقلوبهم لاشتراكهم في فساد الاعتقاد وظهور الاعراض
وان كان من بعضهم فالرضا به من كلهم او الى الفريق المذكور خاصة وانما
اتى بالواو دون الفاء لان عدم ايمانهم ليس لتوليهم بل الامر بالعكس والتعريف
للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان
او الثابتون عليه ومرجع العهد الى وصف الايمان الخالص ولما فيه من
التنصيص على نفي ذلك الوصف عنهم لم يقل وما اولئك من المؤمنين لما
فيه من احتمال ان يرجع العهد الى الموفين به اذ لا يلزم من عدم كونهم
من الموفين بذلك الوصف ان لا يكونوا موصوفين به اصلا واذا دعوا الى
الله ورسوله الدعوة الى الرسول عليه السلام وذكر الله تمهيد لتعظيم دعوة
واظهار لمكانته وليس هذا طريقة الابدال ليحكم بينهم اي يحكم الرسول
عليه السلام لانه الحاكم ظاهرا وانما لم يقل ليحكم عليهم اشعارا بان اعراضهم
غير مخصوص بصورة الظن بالحكم عليهم بل يشمل صورة الشك فيشا لهم

الاعراض فيما اذا اشتبه الامر والا فان كان الحكم لهم مالوا ومن غفل عن هذا
الاعتبار اللطيف قال في تفسير قوله تعالى اذا فريق منهم معرضون
فاجا فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح
للتولي ومبالغة فيه ولم يدر ان شرحه على وجه ابلغ فيما ذكرناه لا فيما ذكره
وان يكن لهم الحق ان الحكم في اعتقادهم ياتوا اليه مذعنين طلبا لحقهم لا رضى بحكم
رسوله قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة فباعتبار ما في الاسراع من معنى
الاتيان يجوز ان يكون الجملة مذعنين ويكون تقديمه للاختصاص ومحافظة
الفواصل افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله الحيف
الجور بنقص الحق عليهم انما قدم صفة الحيف على قوله ورسوله اظهارا
بانه على تقدير وقوعه يكون من الله تعالى شانه عما يقول الظالمون
ولا يكون فيه دخل للرسول لانه مظهر لا مثبت قسم الامر في صدودهم عن
حكمه اذا لم يعتقدوا ان الحكم لهم بان يكونوا مرضى القلوب منافقين او
مرتابين بان راوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك او خائفين
الحيف في قضائه ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم
والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب
نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول ولذلك اضرب بقوله بل اولئك هم
الظالمون عن القسمين الاخيرين لتحقق القسم الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم
وميل نفوسهم الى الحيف بل يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم وذلك شيء
لا يستطيعون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم يابون المحاكمة
اليه هذا ما ادى اليه النظر الجليل والذي ادى اليه النظر الدقيق هو انه
اضراب عن نفس التقسيم يعني دع التقسيم فانهم هم الكاملون في الظلم الجا
معون لتلك الاوصاف على الكمال فلذلك صدوا عن حكومته يدل على ذلك
اسم الاشارة والتعريف بلام الجنس وتوسيط ضمير الفصل والفصل النفي ذلك
عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي
حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا انما كان
قول المؤمنين على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على
ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع والنصب اقوى لان اولى
الاسمين لكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف اذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم الرسول وقرئ على بناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على
معنى ليفعل الحكم بينهم بحكم الله الذي انزل عليه ان يقولوا سمعنا قوله
واطعنا امره واولئك هم المفلحون الفائزون ومن يطع الله ورسوله
في الاوامر والنواهي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل

فاولئك

فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم اي حلف
المنافقون بالله وهو جهد اليمين لانهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه
مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين
وبلغ غاية شدتها ووكادتها واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين
جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول
كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين
ايمانهم لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا
على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة للنبي عليه السلام
خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ولا تصدقون او الذي يطلب
منكم طاعة معروفة لا اليمين للطاعة النفاقية المنكرة او ليكن طاعة
وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون يعلم ما
في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
امر بتبليغ ما خاطبهم الله تعالى به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم
فان تولوا فانما عليه على الرسول ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم
من الامتثال وان تطيعوه في امره ونهيه تهتدوا الى الحق وما على
الرسول الا البلاغ المبين وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم والا
فعليكم البلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التادية والمبين الظاهر لكونه
مقرونا بالايات والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال وعد الله الذين
امنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب للنبي عليه السلام والامة اوله
ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين
في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره
وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة
القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل في مصر والشام
بعد الجبابرة وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام
بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء امنا
منهم لغلبتهم عليهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله
عنهم مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة فكانوا
يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله تعالى وعده فاظهرهم
الله على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب يعبدونني حال
من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان
المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي
يعبدونني غير مشركين ويجوز ان يكون حالا بدلا من الحال الاولى
ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او بعد

حصول الخلافة **فاولئك هم الفاسقون** الكاملون في فسقهم حيث
كفروا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا تلك النعمة العظيمة **واقيموا
الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول** في سائر التكاليف الشرعية
بالاوامر والنواهي ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل
وعد على المامور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق
الرحمة به او بالمندرجة هي فيه بقوله **لعلكم ترحمون** كما علق به الهدى
لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض اي فائتين الله تعالى بان
لا يقدر عليهم فيها فالخطاب للنبي عليه السلام وهو الفاعل
والمفعولان الذين كفروا ومعجزين وقرئ بالياء والفاعل النبي عليه السلام
لتقدم ذكره والمفعولان ما ذكر انفا وما ويهم النار عطف عليه
من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين **وماويهم النار**
لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز **ولبئس المصير**
الماوى الذي يصيرون اليه **يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم** رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الايات
الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها
والوعيد على الاعراض عنها والمراد بها خطاب الرجال والنساء غلب فيه
الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت
كرهته فنزلت **والذين لم يبلغوا الحلم** والصبيان الذين لم يبلغوا فكنى
عن البلوغ الحد الرجولية ببلوغ الحلم اي الاحتلام لانه اقوى دلائله
منكم من الاحرار **ثلاث مرات** في اليوم والليلة **من قبل صلاة الفجر**
لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس
ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات او الرفع خبر المحذوف
اي من قبل صلاة الفجر **وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة** بيان للحين
وهي نصف النهار في القيظ فانها وقت وضع الثياب للقيلولة
ومن بعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف
بثياب النوم **ثلاث عورات لكم** اي هذه الثلاث اوقات يختل فيها
ستركم ويجوز ان يكون مبتدا ما بعده خبره وقرئ بالنصب بدلا
عن ثلاث مرات واصل العورة الخلل ومنها الاعور المختل العين
دخل غلام من الانصار على عمر رضي الله عنه وددت ان الله تعالى نهى
عن الدخول في هذه الساعات الا باذن فانطلق النبي عليه السلام
وقد نزلت عليه الاية ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات
بقوله **ليس عليكم ولا عليهم جناح** وانما نفى الحرج عن الطرفين لان
الحرمة في وقت الحرمة من الطرفين ومن هنا تبين ان الامر بالاستيذان

في حق

في حق المماليك والصبيان تضمن الامر بالاحتياط في حق المخاطبين
بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافي
اية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان والمماليك المدخول عليهم
وتلك في الاحرار البالغين وبمماليك الغير واما ما قيل هذا مما الناس
منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة فمنشاه الغفلة عما
حكاه المهدوي عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان ذلك كان واجبا
اذ كانوا لا غلق لهم ولا ابواب ولو عاد الحال لعاد الوجوب **طوافون
عليكم** هم طوافون استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان
وهو شدة المخالطة وكثرة المداخلة وفيه وفي الفرق بين
الاوقات الثلاث وغيرها بانها عورات دليل على تعليل الاحكام
بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على
بعض والجملة مؤكدة لما قبلها ويجوز ان يكون بدلا منه بمعنى
لا بد لهم من ذلك للخدمة فلو جزم بالاستيذان في كل وقت لا
فضى الى الحرج **كذلك** مثل ذلك التبيين **يبين الله لكم الايات**
اراد بالايات على الاحكام التعليلية عند الحاجة اليه **والله عليم**
بمصالح عباده **حكيم** في بيان مراده **واذا بلغ الاطفال منكم** من
الاحرار دون المماليك **الحلم** الاحتلام كناية عن بلوغهم حد الرجولية
اي اذا بلغوا واراد والدخول عليكم **فليستاذنوا** في جميع الاوقات
كما استاذن الذين من قبلهم اي الذين بلغوا الحلم من قبلهم
وهم الكبار من الاحرار والذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية
والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في
العورات الثلاث فاذا اعتاد والاطفال ذلك ثم بلغوا الاحتلام
او بالسن وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا
في جميع الاوقات كالكبار من الاحرار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم
الا باذن **كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم** كرره تاكيدا
ومبالغة في الامر بالاستيذان **والقواعد من النساء** العجائز
اللاتي قعدن عن الحيض والحمل لكبرهن فقعودهن كناية
عن الياس عن التماس الناس فالتوصيف بقوله اللاتي **لا يرجون
نكاحا** لا يطمعن فيه لتقرير هذا المعنى وتاكيده **فليس عليهن جناح**
اثم ودخلت الفاء في المبتدا لمعنى الشرط بسبب اللام **ان
يضعن** في ان يضعن **ثيابهن** اي الظاهرة كالملحفة والجلباب
الذي فوق الخمار **غير متبرجات بزينة** اي غير مظهرات زينة

يريد الزينة التي امر باخفايها في قوله تعالى ولا يبدين الاية اي
لا يقصدون بوضعها التبرج ولكن التخفف وحقيقة التبرج تكلف
في اظهار ما يخفي من قولهم سفينة بارحة لا غطاء عليها الا انه خص بتكشف
المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن اي يطلبن العفة
عن وضع الثياب فيستترن خير لهن من وضعها لانه ابعد من التهمة
والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقاصدهن ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج قال سعيد بن المسيب كان
المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي عليه السلام وضعوا مفاتيح
بيوتهم عند الاعمى والاعرج والمريض وعند اقاربهم وياذنونهم ان
ياكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون عند ذلك ويقولون نخشى ان لا
تكون انفسهم بذلك طيبة فنزلت الاية رخصة لهم ولا على انفسكم
ان تاكلوا من بيوتكم هذا على ظاهره ولم يرد به بيان الحكم فيه
بل اظهار التسوية بينه وبين قرنا به كقوله تعالى يكلم الناس في المهد
وكهلا او بيوت اباىكم او بيوت امهاتكم لم يذكر بيوت الاولاد احالة
لحالها على الدلالة او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم لان الاذن
من هولا ثابت دلالة او ما ملكتم مفاتحه جمع مفتح وهو ما يفتح
به الغلق واريد يملكه كونه في يده وحفظه قال ابن عباس رضي
الله عنهما هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وما شيته له ان ياكل من
ثمر ضيعته ويشرب من لبن ما شيته او صديقكم او بيوت صديقكم
وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط وكان الرجل من السلف يدخل
دار صديقه وهو غايب ويسال جاريته كيسه فياخذ ما شا
فاذا حضر مولاها اعتقها سرورا بذلك فاما الان فقد غلب
الشح على الناس فلا يوجد صديق حكمه هذا الا انه يوجد ويتخلف
عنه الحكم بغلبة الشح وكان لندرة وجوده عدل فيه عن صيغة
الجمع ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا مجتمعين ورد فيمن تحرجوا
من الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم
على بعض او اشتاتا متفرقين جمع شت ورد فيمن تحرجوا عن
الاكل وحده فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم
على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وهذا كقوله ولا تقتلوا انفسكم
اي من هو من جنسكم تحية نصب بسلموا لانه في معنى تسليما نحو
قعدت جلوسا من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه
ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة وهي من عنده مباركة

لانها دعوة مومن لمومن بامر الله تعالى يرجى بها زيادة الخير والثواب
طيبة يطيب بها نفس المستمع وفي حديث انس رضي الله عنه قال
عليه السلام من لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت
بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة
الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرر ثالثا لمزيد
التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك
وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور
انما المومنون اي الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من
صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب
والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع على سبيل المجاز للمبالغة
لم يذهبوا حتى يستاذنوه اي وياذن لهم ولما اراد ان يريهم عظم الجناية
في الذهاب عن مجلسه عليه السلام اذا كانوا معه على امر جامع جعل
ترك الذهاب بلا اذن ثالث الايمان بالله تعالى والايمان
برسوله عليه السلام وجعلهما كالتمهيد لذكره ثم عقبه بما يزيده
توكيدا او تشديدا حيث اعاده على اسلوب اخر ابلغ فقال ان
الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله وضمنه شيئا
اخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض
بحال المنافقين وتسللهم لواذا فاذا استاذنوك في الانصراف لبعض
شانهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر
فاذن لمن شيت منهم فيه رفع شانه عليه السلام بتفويض الامر الى
رايه ففيه دلالة على ان بعض الاحكام مفوض الى رايه وتقييد المشية
بان تكون تابعة لعلمه بصدقه حتى يكون المعنى فاذن لمن علمت
ان له عذرا تعسف ظاهر واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان
ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور
لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعا الرسول بينكم
كدعا بعضكم بعضا نهي عن التسوية بين الدعائين والمقصود
النهي عن لوازمها كجواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع
بغير اذن وذلك لان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة
بغير اذنه محرمة وحمل الدعا على الندا والتسمية او على الدعا عليه
لا يناسب السياق واللحاق والفصل بين اخر الكلام بالاجنبي من
المساق يخل بمقتضى البلاغة وحسن الاتساق قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم يخرجون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج
وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ

يمن يوذن له فيتطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال او ملاوذين
فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه وعن
لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المومنين والضمير
لله لان الامر في الحقيقة له او للرسول عليه السلام لانه المقصود بالذكر
ومفعول يحذر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم
في الاخرة واو لمنع الخلو فلا ينافي الجمع والاية تدل على ان الامر للايجاب
الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ادخل قد لتوكد
علمه بما هو عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم
الى توكيد الوعيد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة
به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا
يجتهدون في سترها ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون
اليه للجزاء ويجلى يوم يردون الى جزاءه وهو يوم القيامة والخطاب
والغيبة في الكلامين المذكورين يجوز ان يكون جميعا للمنافقين على
طريقة الالتفات ويجوز ان يكون الاول عاما والثاني خاصا بهم فينبئهم
بما عملوا بما ابطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم والله بكل شيء عليم
فلا يخفى عليه خافية

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته
وافعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب
وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير الذي نزل الفرقان
مر تفسيره في سورة ال عمران على عبده وقرئ على عباده وهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامته او المرسلون بالكتب السماوية على ان الفرقان
اسم جنس ليكون العبد او الفرقان للعالمين للثقلين نذيرا منذرا
او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة معلومة للرسول عليه
السلام ولا يلزم ان تكون الصلة معلومة لكل احد الذي رفع على
انه خبر مبتدا محذوف او على الابدال من الذي نزل او على المدح او
نصب عليه له ملك السموات والارض على الخلوص ولم يتخذ ولدا
كما زعم اليهود والنصارى ومشركو العرب في العزير والمسيح عليه
السلام والملائكة ولم يكن له شريك في الملك كما زعمت الثنوية وخلق
كل شيء لا كما قالت المجوس انه تعالى لم يخلق الظلمة ولا كما قالت المعتزلة
انه تعالى غير خالق لافعال العباد فقدره تقديرا اي قدر كل شيء
تقديرا يوافق الحكمة في خلقه والقلب لمحافظة الفاصلة واتخذوا
الضمير للكافرين لدلالة نذيرا عليهم من دونه الهة لما تضمن الكلام

اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون وصف الهتهم بما يدل على انها لا تستحق العبادة
اي لا يقدرون على الخلق ومع ذلك هم مخلوقون وانما قال يخلقون
اظهارا لتجدد حدوثها وفيه وجه اخر لعدم استحقاقهم العبادة
ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ملكهما كناية عن القدرة على
التصرف فيهما بالدفع والجلب فلا حاجة الى تقدير مضافين وتقديم
الضر لان دفعه اهم من جلب النفع وانما قال لانفسهم اظهارا
لغاية عجزهم فان من لا يقدر على ذلك في حق نفسه لا يقدر
عليه في حق غيره بدون العكس ولا يملكون موتا قدمه على
الحياة على عكس ترتيب الوجود لتقديم الضر على النفع ولا حياة
ولا نشورا اراد به الاحياء بعد الموت اي انهم بمعزل عن الالوهية
لعرائهم عن لوازمها واتصافهم بما ينافيها وجعلهم كالعقلاء لزعم
عابديها وقال الذين كفروا ان هذا ما هذا القران الا افك كذب
مصروف عن وجهه افتراه اختلقه يعني محمدا عليه السلام واعانه
عليه قوم اخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم واحوال
الاخرة وهو يعبر عنه بعبارته فقد جاؤا جاء يستعمل في معنى
فعل فيعدى تعديته واما حذف الجار وايصال الفعل فلا بد
فيه من السماع ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من
اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه والزور الميل عن القصد وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون
وقد مر بيان الاساطير اكتتبها اي كتبها بنفسه او استكتبها وقرئ
على البناء للمفعول لانه امي واصل اكتتبها كاتب له فحذف اللام
وافضى الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفعل وبني
الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه اي يلقى عليه من كتابه
ليحفظ فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب بكرة واصيلا
البكرة اول النهار والمراد من الاصيل اخره بقرينة المقابلة قل
انزله الذي يعلم السر في السموات والارض والسر اخفى المعنى
في القلب والمراد ما في السموات والارض من خفايا الاحوال يعني
ان في القران اخبارا عما لا يعلمه الا الله تعالى من الجنة والنار
وما فيهما ولا تعرض لها في التورية والانجيل ولو كان ماخوذا من
اليهود او النصارى لم يزد على ما فيهما وايضا فيه اخبار عن
الحوادث السماوية والارضية قبل حدوثها وليس احتمال الاخذ
من كتب المتقدمين انه كان غفورا ساترا للذنوب ومؤخرا للانتقام

رحيما بالامهال وعدم الاستعجال وادرار الانعام لثبوت بعضهم
ويرجع عن الاصرار ويخرج من اصلاب المصرين اصحاب الاعتبار
والاختيار وزيادة كان لافادة الدلالة على العادة وقالوا مال
وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة
لا يغير هذا الرسول ما لهذا الذي يزعم انه رسول وفيه استهانة
وتهكم ياكل الطعام ويمشي في الاسواق حال والعامل فيها هذا
والجملة الاولى كناية عن غاية الاكل ولا يخفى ما فيها من تقبيح الحال
الذي يقتضيه مساق الكلام والثانية كناية عن الغرض من المشي
في الاسواق وهو طلب اسباب المعاش اي ان صح انه رسول الملك
المتعال فما باله يفعل هذه الافعال يعنون انه كان يجب ان يكون
ملكا بريا عن لوازم البشرية ثم تنزلوا عن ذلك الاقتراح الى اقتراح
ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار ويقولون
لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ثم تنزلوا الى ان يكون
مرفودا بكنز يلقى اليه من السما يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش
فقالوا او يلقى اليه كنز ثم تنزلوا فقالوا او يكون له جنة ياكل منها
اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير
فيعيش بريعه وحسن عطف المضارع وهو يلقى ويكون على
انزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب
فيكون لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام واراد
بالظالمين في قوله وقال الظالمون اياهم باعيانهم غير انه
وضع موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم ان تتبعون الا رجلا
مسحورا سحر فغلب على عقله فتخيل اليه الشيطان ملكا وكلاما
وحيا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال
الغريبة واخترعوا لك تلك الاحوال النادرة فضلوا عن طريق الحق
في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيها فنون
فيتخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او فلا يجدون
سبيل هداية ولا يطيقونه لالتباسه عليهم تبارك الذي ان شا
جعل لك خيرا من ذلك فكاثر خير الذي اشا وهب لك في الدنيا
خيرا مما قالوا ولكن اخره الى الاخرة لانه خير وابقى وقوله جنات
تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف
على محل الجزا وقرى بالرفع لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في
جزائه الجزم والرفع ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون
له في الاخرة وقرى بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا

بالساعة

بالساعة عطف على ما حكي عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو
تكذيبهم بالساعة او متصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة وكيف
يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في
الاخرة وهم لا يؤمنون بها واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
وهيانا للمكذبين بها نارا شديدة الاسعار والاسعار تهييج
النار بشدة الايقاد اذا راتهم اذا قابلتهم وصارت منهم بقدر
ما يرى منه الرائي كقولهم دورهم تترا اي تتناظر وتتقابل بحيث
يكون احدهما بمراى من الاخرى على المجاز والتانيث لانه بمعنى
النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا
لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ
وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا ما نراه اي في بادي النظر
والذي يظهر عند التامل هو انه من قبيل المجاز التمثيلي الشايع في
كلام الله تعالى شبهت النار بمن له تلك الحال وذلك في غاية
البلاغة فقد ذات الكلام على حالها وانما قال لها دون منها
او فيها تنصيصا على ما يتم به التمثيل وهو ان تكون التغيظ
والزفير لها لا لما فيها واذا القوا منها بيان تقدم فصار حالا
مكانا في مكان ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق كما
ان الروح مع السعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه يضيق
عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم
في الاغلال او يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم
الاصفاد دعوا هنالك ثم ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه
فيقولون وا ثبوراه اي يقال يا ثبور فهذا حينك فيقال
لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اي وهم احقا
بان يقال لهم ذلك وان لم يكن هناك قول اي لا تقتصروا على
حزن واحد بل احزنوا احزانا كثيرة وكثرته اما لدوام العذاب
متجددا واما لانه انواع وكل نوع منه يكون ثبورا لشدته
وفظاعته قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اي
وعدها فالراجع الى الموصول محذوف والمراد من المتقين بقرينة
المقابلة من يتقي انواع الكفر من الشرك والتكذيب والاشارة
الى مكان العذاب وهو النار وانما قال ذلك خير ولا خير في
النار توبيخا وتهكما للكفار ويجوز ان تكون الاشارة الى الكنز
والجنة واضافة الجنة الى الخلد للمدح لا للدلالة على خلودها لانها
حاصلة بقوله خالدين كانت لهم جزا على اعمالهم بالوعد الازلي

ومصيرا مرجعا لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من انواع
الملاذ والمشتهيات والمشتهية تتبع العلم فالتفاوت في درجات اهل الجنة
وانواع تلذذهم بحسب علمهم وانما ذكر فيها مع عدم الحاجة اليه
للتنبيه بتقديمه على ان حصول كل المشتهيات لا يكون الا في الجنة
خالدين حال من احد ضمائرهم والضمير في كان لما يشاؤن وعلى
في قوله على ربك استعير لما في منزلة الوجوب في التاكد بتقريبه
الوعد والسؤال ومن وهم انه على حقيقته لامتناع الخلف في وعده
تعالى ثم قال ولا يلزم منه الالجا الى الانجاز لان تعلق الارادة
بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز فقد وهم حيث لم يفرق
بين الوجوب على الله والوجوب منه فان اللازم حينئذ هو الاول
والذي صحح ورفع المحذور عنه هو الثاني وعدا مسؤلا اي كان
ذلك موعودا حقيقا بان يسال ويطلب او مسؤلا يساله الناس
في دعائهم ويوم يحشرهم للجزاء وما يعبدون من دون الله يعم كل
معبود سواه وما وضعه عام ولذلك يطلق لكل شبح رئي ولا يعرف
او يراد به الوصف او التغليب الاصنام لا تحقر لان المغلب عليه
من الانبيا والملايكة لا يليق ذلك بشانهم بل باعتبار الغلبة عبادهم
وانما قلنا يعم كل معبود اذ لا قرينة للتخصيص لا بالاصنام وذلك
ظاهر ولا بالملايكة والانبيا لان كل شي ينطق يومئذ فلا يكون
السؤال والجواب قرينة فيقول للمعبودين ءانتم اضللتم
عبادي الاصنام فيه لتعظيم جريمة الضلال لا لتشريفهم لانهم
المشركون هولاء بدل من عبادي ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر
الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح والاستفهام للتقريع
والتبكيت للعبدة فلذلك قدم الضمير على الفعل ايلا لحرف الاستفهام
المقصود بالسؤال وهو الفاعل لا الفعل وانما حذف صلة ضل للمبالغة
قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملايكة او انبيا معصومون
او جماد لا تقدر على شي او قصدوا به تنزيهه تعالى عن الانداد
ما كان ينبغي لنا اي ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتخذ من دونك
من اوليا للعصمة او عدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعوا غيرنا
ان نتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البنا للمفعول من اتخذ
الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله
الثاني من اوليا ومن للتبعيض لان من لا تزاد في المفعول الثاني
بل في الاول وعلى الاول مزيده لتاكيد النفي وانما نقض قولهم ما
كان ينبغي لنا انا لم نضلهم ولم نحملهم على الامتناع من الايمان

ان

ان يستدركوا بل لكن فقالوا ولكن متعتهم واباءهم بالاموال والاولاد
وطول العمر والسلامة من العذاب حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن
ذكرك او التذكر لالائك والواو الفصيحة في وكانوا للعطف على
محذوف تقديره فكفروا وكانوا قوما بورا هالكين مصدر وصف
به ولذلك يستوي فيه الجمع والواحد قال ابن الزبعرى في الواحد

يا رسول الاله ان لساني ۞ راتق ما فتقت اذ انا بور ۞

فقد كذبوكم المعنى فقد كذبكم المعبودون وهذه المفاجاة بالاحتجاج
والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف
القول وقد سبق تحقيق هذا في قوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير
من سورة المائدة بما تقولون بقولكم فيهم انهم الهة او هولاء اضلونا
والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وقرئ بالياء ومعناه فقد
كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون قرئ
بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم ولا نصرا
فيعينكم عليه ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله ومن يظلم منكم
الشرك وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم
المزاحم وهو التوبة اجماعا وبالاحباط بالطاعة والعفو عندنا
في الاخير نذقه عذابا كبيرا وهو عذاب النار وفي عبارة نذقه
اشارة الى ان العذاب جسماني وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق كسرت ان لاجل
اللام في الخبر لان دخولها وخروجها ههنا سواء بل لانه في موضع
ابتدا تقديره الا هم يأكلون والجملة بعد الا صفة الموصوف محذوف
والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما
حذف لدلالة المرسلين عليه ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيه بالضمير
وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في
الاسواق وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلا
ولا دلالة فيه على القضا والقدر لان قوله اتصبرون علة للجعل
لا للتقدير والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ليظهر ايكم تصبروا
من الفتنة ان يحسد المبتلى المعافى ويحقر المعافى المبتلى والصبر ان
يحبس كلاهما نفسه هذا عن السخطة وذاك عن الضجر وكان ربك بصيرا
بصير من يصبر وضجر من ضجر وبالصواب فيمن ابتلي به وغيره
وقال الذين لا يرجون الرجا توقع الخير الذي يقوى في النفس
وقوعها وبهذا القيد الاخير يفارق الامل لقاءنا بالخير لكفرهم
بالبعث ولا يخافون عقابنا اما لان الراجي قلق فيما يرجوه

كالخائف اولان الرجا في لغة تهامة الخوف واللقا المصير الى الشيء
من غير حائل ولهذا صح لقا الجزاء لان العباد يصيرون اليه في الآخرة
وعلى هذا يصح ان يقال لا بد من لقا الله تعالى لولا هلا انزل علينا الملائكة
رسلا دون البشر او شهودا على نبوته عليه السلام ودعوى رسالته
او نرى ربنا جهرة فيخبرنا برسالته ويامرنا باتباعه لقد استكبروا
في انفسهم اي في شانها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبيا
الذين هم خلق الله تعالى في الكمال او فاتها وما هو اعظم من ذلك وعتوا
العتو تجاوز الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا
المعجزات الباهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت
دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي
الاستيناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم
فان في فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظه الا ترى ان المعنى
ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم يوم يرون الملائكة ملائكة
الموت او العذاب ويوم نصب بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون
الملائكة يمنعون البشرى او يعدمونها وقوله يومئذ موكد
ليوم يرون او خبر للمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق
به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل
او باضمار اذكر ثم اخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب
بيرون لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا بشرى لانها
مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفي بلا لا يعمل فيما قبل
لا وللمجرمين ظاهر في موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو
المانع للبشرى والموجب لما يقابلها او عام يتناول حكمهم حكمهم من
طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي
البشرى بالعفو والشفاعة في وقت اخر ويقولون حجرا محجورا عطف
على المدلول اي يقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا
من الله تعالى ان يمنع لقاهم وهي مما كانوا يقولونه عند لقا عدو او
هجوم مكروه او تقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى
وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح او الكسر فانهما لغتان فيه غير انه لما
اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لم يتصرف فيه
ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجور للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي قدوم ههنا ولا ما يشبه
القدوم ولكن مثلت حال هولاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من
صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف

سلطانه وعصاه فقدم الى اسبابه وما تعبث به فافسدها
ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا وعلى هذا يكون الكلام المذكور
تمثيلا على سبيل الاستعارة لا استعارة في مفرداته بخلاف ما اذا
كان المعنى وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم فاحبطناه فانه
حينئذ تكون الاستعارة في المفردات لا في الكلام والهباء الشيء المنبث
الذي تراه في البيت من ضوء الشمس والهباء ايضا دقاق التراب ويقال
له اذا ارتفع ومنثورا صفته وليس فيه تشبيه على تقدير التمثيل
واما على المعنى الثاني فقد شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم
نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يقبل الاجتماع ولا ينتفع به
الانتفاع اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا تمييز والمستقر المكان
الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا
قال الازهري القيلولة والمقيل الاستراحة في نصف النهار وان لم يكن
مع ذلك نوم وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم ثم
فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي لفظي الخير والاحسن
تهكم بهم ويوم واذكر يوم تشقق السما اصله تتشقق فحذف
التا لبعضهم وادغامها في الشين الاخرون بالغمام بسبب طلوع الغمام
منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في
ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف
اعمال العباد الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يومئذ
يبطل ولا يبقى الا ملكه تعالى فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ
معمول الملك لا الحق لانه متاخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان
يوما على الكافرين عسيرا شديدا لما ينالهم من الاهوال والتشديد
في السواد ثم الخزي والنكال ثم النار والاغلال ويفهم منه يسره
على المومنين وفي الحديث يهون يوم القيمة على المومنين حتى يكون
عليهم اخف من صلوة مكتوبة صلوها في الدنيا ويوم يعض الظالم على
يديه من فرط الحسرة وعض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه
من روادفهما ولافادة الدلالة على استمرار تلك الحالة من الفعل
المذكور معنى الاستقرار فعداه بعلى والمراد بالظالم الجنس وقيل
عقبة بن ابي معيط يقول جملة في محل النصب على الحال يا ليتني اتخذت
في الدنيا مع الرسول تابعا له سبيلا هداه اليه وتنكيره للاشعار
بكمال الاتباع يا ويلتى وقرئ بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته
وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا
يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس

لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة
الشهادة بعد اذ جاءني من الله اعتراف بالقصور من جانبه وكان
الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالفة
ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من الجن والانس للانسان المطيع
له خذولا مبالغة في الخذلان اي من عادته تركه من يواليه وقت
حاجته اليه وقال الرسول اي في الدنيا بثا الى الله ولو كان
في الاخرة لما عدل عن سنن ما تقدم يا رب ان قومي قريشا
اتخذوا هذا القران مهجورا متروكا اي تركوه ولم يومنوا به من
الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا وفي هذا تعظيم للشكاية وتخويف
لقومه لان الانبيا عليهم السلام اذا اشكوا اليه تعالى قومهم
حل عليهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا وواعدا النصر
عليهم فقال وكذلك اي كما جعلناه لك جعلنا لكل نبي عدوا من
المجرمين فاصبر كما صبروا ومعنى الكلية الكثرة كما في واوتيت
من كل شي فلا يشكل بادم عليه السلام فانه لم يكن مبتلى بعداوة
قومه والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا وكفى بربك هاديا
الى طريق الصبر المودي الى النصر والباء زائدة وهاديا تمييز
ويجوز ان يكون حالا اي كفى ربك في حال الهداية ونصيرا لك عليهم
وقال الذين كفروا اي احبار اليهود لولا هلا نزل عليه القران
اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر بدلالة قوله جملة واحدة اي
مجتمعا دفعة واحدة كالتورية والزبور وهذا فضول من القول
ومماراة بما لا طائل تحته وغفول عن مقتضى اصول البلاغة
من وجوب رعاية المطابقة لمقتضى الحال في كل جملة من الكلام
ولا تتيسر تلك الرعاية المطابقة عند نزول مجموع القران دفعة
واحدة والشريعة من وجوب تقديم المجمل والعام والمنسوخ
وتاخير البيان والخاص والناسخ ولا يتيسر ذلك ايضا
على التقدير المذكور والتذكير من وجوب رعاية شرط التكرير
وهو ان يكون في اوقات متعددة مع انه لتفرقه فوايد منها
ما اشار بقوله كذلك جواب لها اي انزلناه كذلك انزالا
والاشارة الى مدلول قولهم لان معناه لم ينزل عليه القران
مفرقا فاعلم ان ذلك لنثبت به فوادك بتفريقه لتقوي
فوادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن وان لم يكن اميا انما
يقوي قلبه على حفظ العلم شيا بعد شي ولو القي اليه جملة
واحدة لعجز عن حفظه او لنثبت فوادك عن الضجر بتواتر

الاصول وتتابع الرسول لان قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب ولانه
اذا انزل منجما وهو متحدي بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة
قلبه ومنها ان نزوله بحسب الوقايع يوجب زيادة بصيرة وغوص
في المعنى ومنها انضمام القراين الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين
على البلاغة واما ان الناسخ والمنسوخ لا يجتمعان وكذا اسباب النزول
لا يجتمعون فليس من الفوايد وان كان من جملة البواعث لذلك ويحتمل ان
يكون كذلك من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا و
والاشارة الى الكتب السالفة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف
ورتلناه ترتيلا وقراناه عليك شيا بعد شي على تودة وتمهل واصله
الترتيل في الاسنان وهو تفلجها ولا ياتونك بمثل سوال عجيب من سوالاتهم
الباطلة كانه مثل في البطلان الا جيناك بالحق الدافع له واحسن تفسيرا
وبما هو احسن بيانا التفسير التكشيف عما يدل عليه الكلام الذين يحشرون
اي يساقون ويجرون على وجوههم الى جهنم ذم منصوب او مرفوع
او مبتدا خبره اولئك شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة
على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل سبيلا وصف السبيل بالاضلال
من الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام على
طريقة قوله قل هل انبيكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه الاية كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير مكانه
بتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا ولقد
اتينا موسى الكتاب التورية وجعلنا معه في عبارة معه اشارة الى
اصالة موسى عليه السلام في امر الدعوة اخاه هرون بدل او عطف بيان
وزيرا وهو في اللغة من يرجع اليه ويتحصن برايه من الوزر وهو الملجا
والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبيا
ويومرون بان يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين
كذبوا باياتنا اي فرعون وقومه فدمرناهم تدميرا التدمير الهلاك بامر
عجيب اراد الاختصار فاقتصر على حاشيتي القصة لانها المقصود
منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم فالفا
فصيحة وهي فاسببية ولا يلزمها التعقيب وقوم نوح منصوب بفعل
مقدر يفسره هذا الظاهر اي اغرقنا قوم نوح او العامل فيه لما ذلك
المحذوف كذبوا الرسل انكروا البعثة مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان
وجعلناهم وجعلنا قصتهم للناس اية عبرة واعتدنا للظالمين لقوم
نوح عليه السلام واصله واعتدنا لهم الا انه اراد تظليمهم فاظهر او هو
عام لكل من ظلم ظلم شرك وبينا ولهم بعمومه عذابا اليما في جهنم واما عذابهم

في البرزخ فغير متراخ عن اغراقهم **وعادا وثمودا** عطف على هم في جعلناهم
او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وانما صرف ثمود على تاويل
الحي ولانه اسم الاب الاكبر وقرئ وثمود على تاويل القبيلة **واصحاب الرس**
هم قوم شعيب عليه السلام كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فـ
بينا هم حول الرس وهو البئر غير المطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم
وقيل الرس قرية نبيهم فهلكوا وهم اصحاب الاخدود والرس الاخدود **وقرونا**
واهل اعصار قد مر تفسير القرون في سورة الانعام **بين ذلك** اشارة الى
ما ذكر **كثيرا** لا يعلمها الا الله **وكلا ضربنا له الامثال** بينا له القصص
العجيبة من الامم التي كانت قبلهم اي حذرنا كل امة ان تنزل بها ما نزلت
بمن قبلها فلما اصروا اهلكوا كما قال **وكلا تبرنا تتبيرا** اي اهلكنا اهلاكا
واصل التتبير التفتيت ومنه التبر لفتات الذهب والزجاج وكلا الاول
منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا وحذرنا والثاني بتبرنا
لانه فارغ له **ولقد اتوا** يعني اهل مكة **على القرية** سدوم وهي اعظم
قرى قوم لوط عليه السلام **التي امطرت مطر السوء** اي اهلكت بالحجارة
ومطر السوء مفعول ثان والاصل امطرت القرية مطرا او مصدر محذوف
الزوائد اي امطار السوء **افلم يكونوا يرونها** في مرار مرورهم فيتعظون
بما يرون فيها من اثار عذاب الله تعالى **بل كانوا لا يرجون نشورا** بل
كانوا كفرة لا يخافون نشورا فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا **واذا راوك**
ان يتخذونك ما يتخذونك **الا هزوا** موضع هزؤ او مهزوا به **اهذا** محكي بعد
القول المضمر وهذا استصغار واستحقار اي قائلين اهذا **الذي بعث**
الله رسولا والعائد الى الذي محذوف اي بعثه الله واخراجه في
معرض التسليم بجعله صلة وهم في غاية الانكار تهكم واستهزاء **ان كاد**
انه كاد **ليضلنا عن الهتنا** ليصرفنا عن عبادتها **لولا ان صبرنا عليها**
فيه دلالة على فرط مجاهدة الرسول عليه السلام في دعوتهم وعرض
المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا
فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم ولما عدوا عبادتهم الاصنام
رشادا واعتقدوا صرفهم عنها ضلالا اوعدهم الله تعالى فقال **وسوف**
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا فيه وعيد ودلالة
على انه لا يهملهم وان امهلهم **ارايت من اتخذ الهه هواه** اي من
اطاع هواه فيما ياتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول
لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف يستطيع ان تدعوه
الى الهدى وانما قدم المفعول الثاني للاشعار بان المعبود حقه
التقديم والتعظيم فهم قد خلوا بحقه حيث اتخذوا اهواءهم الهة

افانت تكون عليه وكيلا اي حفيظا تحفظه عن متابعة هواه وعبادة
ما يهواه او افانت تكون عليه موكلا تصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه
ان اليه التبليغ فقط فالاستفهام الاول للتعجب والتقرير والثاني للانكار
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الايات او الحجج
فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم **ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا** ام
منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى
حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم
لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام
التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستدلال
ليركسهم الاستدلال ثم هم ارجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها
وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها
وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها
وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة
الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع
ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولا يهتدون للحق الذي هو
المشرع الهني والعذب الروي وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصده عن
الاسلام الا حب الرياسة وكفى به داء عضالا ولان فيهم من امن **الم تر**
الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته **كيف مد الظل** اي بسطه
في الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول
الجمهور ولانه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة وهو اطيب الاحوال
فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس
يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود
ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا دائما لا يزول ولا يذهبه الشمس وفيه
دليل على انه تعالى يفعل بالقدرة والاختيار لا بالايجاب والاضطرار
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس
لما عرف الظل فالاشياء تعرف بالاضداد **ثم قبضناه** القبض جمع المنبسط
من الشيء والمراد ازالته بايقاع الشمس موقعه **الينا** اي حيث اردنا
قبضا يسيرا سهلا او قليلا قليلا وحا ثم في الموضعين لتفاضل الامور
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه الساتر باللباس **والنوم**
سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع والنائم
مسبوت لانه انقطع عمله وحركته **وجعل النهار نشورا** ذا نشور اي
انبعاث من النوم كنشور الميت او ينشر فيه الخلق للمعاش وفي
هذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق اظهار لنعمته على خلقه

فان في الاستحساب بستر الليل فوايد دينية ودنيوية وفي النوم
واليقظة الشبيهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وهو الذي ارسل
الرياح وقري على التوحيد ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب
جمع نشور وقري بالفتح على انه مصدر وصفت به وقري بشرا تخفيف
بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته قدام المطر لانه
ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة وانزلنا من السماء
ماء طهورا بليغا في طهارته وذلك لانه لم يشبه بشي بخلاف ما نبع من
الارض ونحوه فانه يشوبه اجزاء ارضية من مقره او من ممره او مما
يطرح فيه وقيل مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به
كالوضوء لما يتوضا به قال عليه السلام التراب طهور المومن لنحيي به
بالنبات بلدة ميتا ذكر ميتا على ارادة البلد او المكان او لانه غير جار
على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه
مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا وقري نسقيه وسقى واسقى
لغتان والاناسي جمع انسي على القياس ككرسي وكراسي او انسان
واصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وتقديم
احيا الارض على سقي الانعام والاناسي لان حياتهما سبب
لحياتهم فقدم سبب حياتهم على سقيهما وتخصيص الانعام من بين
الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسي متعلقة بها فكان الا
نعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسي ووصفهما بالكثرة لان
اكثر الناس منيخون بالقرب من الاودية والانهار فبهم غنية
عن سقي الماء واعقابهم وهم كثير يعيشون بما ينزل من رحمته
وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هولاء المبعدين عن مظان
الماء ولما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور
اكراما لهم وبيانا ان من حقهم ان يوثروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم
لان الطهورية شرطا للاحيا ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا
القول بين الناس في القران وسائر الكتب المنزلة على الرسل
ليذكروا ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة
فيشكروا فابى اكثر الناس الا كفورا فابى اكثرهم الا كفران النعمة
وقلة الاكتراث لها وانما عدل عن الضمير لكيلا يتوهم ان المراد اكثر
ذلك الكثير او صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات
المتغايرة وعلى الصفات المتضادة من وابل وطل وجود ورذاذ وغيرها
فابوا الا كفورا او ان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى
ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام اقل مطرا من عام

ولكن يصرفه حيث يشا

ولكن يصرفه حيث يشا وقرا الاية ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا
نبيا ينذر اهلها يعني ان المقصود من البعثة ابلاغ الدعوة والزام الحجة
لا الاهتمام في امر الهداية وقبولها والا لفعلنا ما هو ادعى لذلك من دعوة
كل اهل قرية بنذير مستقل فلا تطع الكافرين اي فلا توافق هواهم في بعض
الامور ابتغاء لقبولهم الدعوة ودخولهم في طريق الهداية واما ما قيل انبيا
ينذر اهلها فيخف عليك اعبا النبوة لكن قصرنا الامر عليك تعظيما لشانك
وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة فلا
تطع الكافرين فيما يريدونك عليه فيرد عليه ان موجب ذلك العطف بالواو
دون الفا على ما افصح عنه من قال فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين
ولم ير ان فيه تغيير النظم القران واثباتا للمقصود فيه وجاهدهم به بترك
طاعتهم الذي دل عليه فلا تطع يعني انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم
بالاجتهاد في مقابلتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لانه جهاد مع كل الكفرة
على ما فيهم مما سبق من بعثته على جميع القرى وجملة الامم ثم عاد الى تعداد
النعم فقال وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين تقول
مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين هذا
عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة
وقري ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وقد نقل الازهري عن
الكسائي صحة مالح وان كان المليح الفصيح ملح وجعل بينهما برزخا حاجزا
من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله
المتعوذ عنه او سترا ممنوعا عن الاعين كقوله حجابا مستورا وهو الذي خلق
من الماء من النطفة بشرا لم يقل انسانا لان حقيقته وهو الروح غير مخلوق
منها فجعله نسبا وصهرا اراد تقسيم البشر الى قسمين ذوي نسب
اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان ابن فلان وفلانة بنت فلان وذوات
صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان
ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين ذكرا وانثى
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان
تركوه وكان الكافر على ربه على معصيته ظهيرا معينا ومظاهرا يعني
للشيطان وفعيل بمعنى مفاعل كعشير عزيز وما ارسلناك الا مبشرا
للمطيعين ونذيرا للعاصين كافرا كان او مومنا قل ما اسئلكم عليه
على التبليغ الذي دل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل
من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده
بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود
فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث

اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا
مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث
انها بدلالته وتوكل على الحي الذي لا يموت اتخذ من لا يموت وكيلا لا يكلك
الى من يموت ذليلا يعني ثق به واسند امرك اليه في استكفا شرورهم
والاغنا عن اجورهم فانه الحقيق بان يعتمد عليه في كل امر وسبح ونزهه
عن ان يكل الى غيره من توكل عليه بحمده بتوفيقه الذي يوجب الحمد
وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلقا يعني عالم
باحوالهم كاف في جزا اعمالهم الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه وذكره هنا
لزيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل
والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتاني في الامور فانه تعالى
مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشيا على تودة
وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعل مبتدا او لمحذوف ان جعل صفة للحي
او بدلا من المستكن في استوى وقري بالجر صفة للحي فسيل به السوال
كما يعدى بعن لتضمنه معنى البحث والاستفسار يعدى بالبا لتضمنه
معنى الاعتنا وقيل انه صلة خبيرا اي فسيل عما ذكر من الخلق والاستوا
عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل عليه السلام او من وجده في
الكتب المتقدمة ليصدقك فيه واذا قيل لهم للمشركين اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن اي لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سوال عن المسمى
به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسوال عن المجهول بما او لانهم ظنوا
انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تامرنا اي للذي تامرنا بالسجود
له او لامرك لنا من غير عرفان وقري يامرنا بالبا على انه قول بعضهم لبعض
وزادهم اي الامر المذكور نفورا تباعدا عن الايمان تبارك الذي جعل
في السما بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا
يعني الشمس لتوقدها قال تعالى وجعل الشمس سراجا
وقري سرجا وهي الكواكب الكبار وقيل الشمس والكواكب الكبار وعلى هذا
يلزم تخصيص بالذكر للشمس لظهور فضيلتها على سايرها وقمرا منيرا
اي مضيا بالليل وقري قمرا كالرشد والرشد والعرب وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة جعلهما ذوي خلفة يخلف كل منهما الاخر بان
يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله تعالى واختلاف
الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر
يتذكر الا الله ويتفكر في صنعه فيعلم انه لا بد له من صانع حكيم او اراد
شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم وعباد الرحمن مبتدا خبره في
اخر السورة اوليك يجزون الغرفة الذين يمشون على الارض واضافتهم

الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وقري عباد الرحمن على انه جمع عابد كتجار
وتاجر هونا حال او صفة للمشي اي هينين او مشيا هينا والهون
الرفق واللين اي يمشون في الاسواق كره بعض العلما الركوب في الاسواق
واذا خاطبهم الجاهلون اي السفها بما يكرهون قالوا سلاما سدادا
من القول يسلمون فيه من الايذا والاثم او تسلما منكم نتارككم
ولا نجاهلكم فاقيم السلام مقام التسليم قيل نسختها اية القتال
ولا وجه له لان الاغضا عن السفها مستحسن شرعا ومروة
هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا
جمع ساجد وقياما جمع قايم والبيتوتة خلاف الظلوم وهي ان يدركك
الليل نمت فيه او لم تنم وتخصيصها لا العبادة بالليل احمز وابعد من
الريا وتاخير القيام للمحافظة الفاصلة والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم للازمه
وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة
الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم
اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها سات مستقرا ومقاما
سات في حكم بيست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص
بالذم ضمير محذوف معناه سات مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو
الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها او بمعنى احزنت وفيها ضمير
اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان نقر
وكلاهما يحتملان الحكاية والابتدا من الله تعالى والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق والاقتار التقصير عما
لا بد منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاسراف الانفاق في معصية
الله تعالى قل او كثر والاقتار منع حق الله تعالى من المال وقال عليه
السلام من منع حقا فقد قتر ومن اعطى في غير حق فقد اسرف ولم
يقتروا بضم التا وبضم اليا وكسر التا وبفتح اليا وكسر التا والكل بمعنى
والاقتار والتقتير التضييق الذي هو ضد الاسراف وكان اي انفاقهم
بين ذلك اي الاسراف والاقتار قواما القوام بالفتح العدل وبالكسر العماد
وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنه ولا ينقص وهو خبر ثان او حال
موكدة ويجوز ان يكون الخبر قواما وبين ذلك لغوا والذين لا يدعون
مع الله الها اخر اي لا يشركون ولا يقتلون النفس التي حرم الله
اي حرمها اي حرم قتلها وهي نفس الانسان الا بالحق متعلق بالقتل
المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعد
ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر

المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضدادهم ولذلك
عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما قال
ابو عبيدة الاثام العقوبة وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام
اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق لانهما
في معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هي لقي الاثام وقرئ يضاعف على
الاستئناف او على الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا ذليلا الا من تاب
عن الكفر وامن بمحمد عليه الصلاة والسلام وعمل عملا صالحا بعد توبته
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سابق معاصيهم
بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يوفقهم للمحاسن بعد
القبائح وكان الله غفورا ولذلك يكفر السيئات رحيما يبدلها
بالحسنات ومن تاب وعمل صالحا ومن خرج عن المعاصي ودخل
في الطاعات اي تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه يتوب بذلك
الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا ومحصلا للثواب والذين
لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر
الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه لان حضورهم ونظرهم
دليل على الرضا به وسبب وجود الزيادة فيه واذا مروا باللغو
يعني اذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به وهو كل ما ينبغي ان يلقى
ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن التلوث
بالتوقف عليه والخوض فيه والذين اذا ذكروا بايات ربهم اي
قرئ عليهم القران او وعظوا به لم يخروا عليها صما وعميانا هذا
ليس بنفي للخرور بل هو اثبات له ونفي للصمم والعمى ونحوه قول الشاعر

بايدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم يكثر القتلى بها حين سلت

اي بايدي رجال شاموا سيوفهم فقد كثرت القتلى يعني انهم اذا ذكروا
بها خروا سجدا وبكيا سامعين باذان واعية مبصرين بعيون
باصرة لما امروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين واشباههم دليله وممن
هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا فان
القران يفسر بعضه بعضا والذين يقولون ربنا هب لنا من
ازواجنا وذريتنا من للبيان كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت
القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذريتنا ومعناه ان يجعلهم الله
قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد وللابتداء على معنى
هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان المؤمن اذا
شاركه اهله في طاعة الله تعالى سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من
مساعدتهم في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة وتنكير الاعين لارادة

تنكير القرة تعظيما فان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه
وانما قيل اعين على القلة دون عيون لان المراد اعين المتقين وهي قليلة
بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون
بنا في امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل واكتفى بالواحد لدلالته على
الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او مصدر لانه في الاصل
لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحادهم في الطريقة
واتفاق كلمتهم وقيل جمع ام كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين
بهم قيل في الاية اولئك يجزون الغرفة اي الغرفات وهي العلالي
في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله تعالى
وهم في الغرفات امنون بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض
الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية
وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي خالدين
فيها لا يموتون ولا يخرجون عنها حسنت اي الغرفة مستقرا
ومقاما موضع قرار واقامة وهي في مقابلة ساءت مستقرا
ومقاما مثله اعرابا قل ما يعبا بكم ربي ما متضمنة لمعنى
الاستفهام وهي في محل النصب على المصدر كانه قيل اي عبء
يعبا بكم ومعناه ما يصنع بكم ربي من عبات الجيش اذا هياته
لولا دعاؤكم لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام او لولا عبادتكم له اي انه
خلقكم لعبادته لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي الاعتبار عند ربكم لعبادتكم او ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم
معه الهة وهو قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم
فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة
من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون
منكم لان الخطاب لعامة الناس بما وجد في جنسهم من العبادة
والتكذيب فسوف يكون لزاما جزاء التكذيب او اثره لازما بكم
وانما اضمر من غير ذكر للتهويل او التنبيه على انه مما لا يكتنهه
بالوصف وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها تلك الاشارة
الى ايات السورة ايات الكتاب المبين المظهر للحق من الباطل لعلك
باخع نفسك قاتلها الا يكونوا مؤمنين من اجل امتناع قومك
عن الايمان لعل هنا للاشفاق اي اشفق على نفسك بتخفيف هذا الغم

والهم ولما كان مظنة ان يقال ان ذلك لتنفيذ امر الله تعالى بقوله عليهم
يعني ان ايمان تلك الطائفة ليس بمراد لنا انما المراد من بعثك تبليغ
احكام التكاليف على ما تقتضيه الحكمة فليس امرنا عن ارادة ولا نهينا
عن كراهة **فظلت** عطف على ننزل عطف اكن على اصدق لانه لو قيل
انزلنا بدله لصح **اعناقهم لها خاضعين** الخضوع امارة الانقياد
اللازم للاذعان وهو المراد ههنا بطريق الكناية اصله فظلوا لها
خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على
اصله وفي الكناية المقصودة من عبارة الخضوع اشارة الى ان فهم
تلك الاية فهم حجة وبرهان فلا يفوت الاختيار المعتبر في صحة الايمان
وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين اي
جدد لهم الله تعالى بوحيه على نبيه موعظة وتذكيرا الا استمروا
على ما اعتادوا عليه من الاعراض **فقد كذبوا** حذف المفعول اشارة
الى ان تكذيبهم تجاوز عن حد الخصوص الى حد العموم فان تكذيبهم
محمدا عليه السلام كان تكذيبا لسائر الانبيا المخبرين عنه والمبشرين
به بل تكذيبا لله تعالى ايضا والفا في قوله **فسيأتيهم** فصيحة
تفصح عن محذوف معطوف على المذكور تقديره واستهزؤا به
انبيا ما كانوا به يستهزؤن اتيان الخبر عبارة عن وقوع المحذور
المنتظر وهذا وعيد لهم وايذان بانهم سيعلمون اذا مسهم العذاب
يوم بدر او يوم القيامة الشي الذي كانوا يستهزؤن به **اولم يروا
الى الارض** الواو للعطف على المحذوف تقديره الم ينظروا الى عجايب
قدرة الله تعالى ولم ينظروا الى الارض **كم انبتنا فيها من كل زوج**
الزوج اللون قاله الفرا وكل للاحاطة وكم للكثرة **كريم** كثير المنفعة
يأكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذي نفعه عام وفيه دلالة على
كمال القدرة ولذلك قال **ان في ذلك** انبات تلك الانواع **لاية**
عظيمة على ان منبتها تام القدرة عام النعمة والرحمة **وما كان
اكثرهم مومنين** مصدقين وكان ههنا صلة في قول سيبويه
وهذا اخبار عن حالهم في الواقع لا عن حالهم في علم الله تعالى **وان
ربك لهو العزيز** المنيع الذي لا يغالب فليس لعجز وضعفه طالت
مدة هولا في الشرك والعتو **الرحيم** فلا تعجل في عقوبتهم اذ لا يخاف
الفوت ويقبل توبة من تاب منهم قبل الموت ولما كان مساق الكلام
في بيان القدرة قدم صفة العزة على الرحمة والرحمة اذا كانت
عن قدرة كانت اعظم وقعا **واذ نادى ربك موسى** مقدر باذكر
او ظرف لما بعده **ان ائت** ان مصدرية او تفسيرية **القوم الظالمين**

لانفسهم

لانفسهم او لبني اسرائيل **قوم فرعون** عطف بيان وليس فيه
اقتصار على قومه بل اكتفا بالدلالة في جانبه وايما للاشارة
الى ظلم قومه لاتباعهم له **الا يتقون** استيناف للتعجب من افراطهم
في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات للتوبيخ والحث
واصل الاتقا صرف الامر الحاجز بينه وبين الصارف والمراد تقا
العقاب بالطاعة **قال رب اني اخاف** الخوف انزعاج النفس
بتوقع الضرر **ان يكذبون ويضيق صدري** لتكذيبهم اياي
مستانف او عطف على اخاف **ولا ينطلق لساني** على ما اري من
المحال واسمع من الجدال وينصبهما يعقوب عطفا على يكذبون
فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير والتكذيب وحده
بتقدير الرفع **فارسل الى هرون** اي ارسل اليه جبريل واجعله
نبيا يعينني على الرسالة ولم يكن هذا الالتماس منه عليه السلام
توقفا في الامتثال بل التماس عون في تبليغ الرسالة وتمهيد العذر
في التماس المعين على تنفيذ الامر وكفى بطلب العون دليلا على
التقبل لا على التعلل ومن الدليل على ذلك وقوع فارسل معترضا بين
الاولى والرابعة فانه لو كان تعليلا لاخر **ولهم علي ذنب** دعوى جرم
وهو قتل القبطي **فاخاف ان يقتلون** كان عنده عليه السلام خوفان
خوف تلف النفس وخوف فوات مصلحة الرسالة وانما قدم الثاني
على الاول وتقديما لمصلحة الرسالة على مصلحة نفسه كما هو اللايق
بشان اولي العزم من الانبيا عليهم السلام **قال كلا فاذهبا باياتنا**
اجابة له الى الطلبتين بوعده للدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم
اخيه اليه في الارسال والفا فصيحة دالة على محذوف تقديره
ظاهر من التفصيل في موضع اخر حيث قال وجعلنا معه اخاه
هارون وزيرا فقلنا اذهبا الاية فالخطاب في فاذهبا
على تغليب الحاضر لانه عطف على الفعل الذي دل عليه كلا كانه قيل
ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته وهو هرون
انا معكم يعني موسى وهرون عليهما السلام وفرعون **مستمعون**
الاستماع من السمع بمنزلة النظر من الروية والكلام من قبيل
التمثيل والمراد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر
واستمع ما يجري بينكما وبينه فالمفردات على حقايقها كما في قوله
تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا **فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين** ويجوز ان يقال افرد الرسول
لاتفاق كلمتهما وافرد ههنا وثنى في قوله انا رسولا ربك وذلك

لانه كان في هرون عليه السلام جهتان جهة الرسالة من الله تعالى
وجهة الوزارة لموسى عليه السلام على ما نطق به قوله تعـ وجعلنا
معه اخاه هرون وزيرا فحين قيل فقولا انا رسولا ربك نظرا الى
جهة رسالته من الله تعالى وحين قال انا رسول رب العالمين نظرا
الى جهة وزارته لموسى عليه السلام ولكون موسى عليه السلام اصلا
في باب الرسالة كان في مخاطبة فرعون اياه وجداله معه خاصة
وانما زيد قوله له لعدم كاف الخطاب المغني عنه ان ارسل معنا
بني اسرائيل اي بان اطلق بني اسرائيل عن اسر الاستعباد وخلهم
يذهبوا حيث شاؤا وهي كارسل الصيد واهل الغيد قال فرعون
لموسى بعد ما اتياه وقالا له ذلك الم نربك التربية تنشئة الشيء
حالا بعد حال فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة
ولبثت فينا من عمرك سنين قيل مكث فيهم ثلاثين سنة
وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبعد ما عظما اياه بعد
ما عدد عليه من نعمته وانما عرض رعاية لاداب الملوك وقرئ فعلتك
بالكسر لانها قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حيث قتلت
خبازي قال فعلتها اذا اي اذ ذاك وانا من الضالين الجاهلين
وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل او من الذاهبين عما
يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب والضلال عن الشيء هو الذهاب
عن معرفته ففررت منكم الفرار الذهاب على وجه التحرز من
الادراك لما خفتكم ان تقتلوني فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني
من المرسلين من جملة رسله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني
اسرائيل اشارة الى خصلة شنعا مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها
ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك والمعنى ان تعبيدك بني
اسرائيل نعمة تمنها علي كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من
اصله وابى ان يسمي نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه
عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو
السبب في حصوله عنده وتربيته ولو تركهم لرباه ابواه فكان
فرعون امتن على موسى عليه السلام بتعبيد قومه واخراجه من
حجر ابويه اذ حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد
الضمير في تمنها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لان الخوف والفرار
لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله قال
فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه وراى
انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدا بالاستفسار

عن

عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه
باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف حقيقته ان كنتم موقنين ان
كنتم تعرفون الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه الاشياء دليلا وان كان
يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب
والا لم ينفع والايقان العلم الذي يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال
الله موقن قال فرعون لمن حوله من اشراف قومه الا تستمعون
معجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمهما وينكرون ان لهما ربا
فاحتاج موسى عليه السلام ان يستدل بما شاهدوا من فنائه قال
ربكم عدولا الى ما لا يحتمل النزاع فيه وانما قال ورب آبائكم
الاولين لان كان فرعون يدعي الربوبية على اهل عصره دون من
تقدمهم قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اساله
عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا استخريه وترفع عن تسميته
الى نفسه ولو سخرية ولذلك لم يقل الينا قال رب المشرق والمغرب
وما بينهما انتقل الى هذا لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها
في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من
اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل
الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان لعـ
ان كنتم تعقلون اي ان كان لكم عقل علمتم انه لا يمكن معرفته الا بهذا
الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له ان يدفع المعاند المحجوج
واللام في المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني وكان
من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة
في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع وكان ذلك
اشد من القتل ولو قيل لاسجننك لم يؤد هذا المعنى وان كان
احضر قال اولو جئتك الواو للحال وهمزة الاستفهام انما دخلت
على الفعل المقدر والمعنى اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق
دعوى يعني المعجز قال فات به بالذي يبين صدقك ان كنت
من الصادقين في انك قادر على اتيانه وهذا الكلام بمعزل
عن الدلالة على ان المعجز لا ياتي بها الا الصادق فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان حية عظيمة يقال اثعب الماء اذا جرى باتساع
لعظمه والجان ايضا هو العظيم من الحيات ذكره الفائق فلا تدافع
بين هذا وبين قوله كانها جان على ان التشبيه بالجان في
الاهتزاز لا ينافي الثعبانية على تقدير المخالفة بينهما في العظم
مبين ابان عن نفسه انه ثعبان حقيقة لا شيء يشبه الثعبان

كما يكون الاشيا المزورة بالشعوذة والسحر ونزع يده اي
اخرجها من جيبه او كمه والنزع اخراج الشي مما كان متصلا به
او ملابسا له فاذا هي بيضا لها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد
الافق وفي قوله للناظرين دلالة على ان بياضها كان شيئا
يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة قال الملا
للاشراف لابليس عليهم حوله منصوب بنصبين نصب في اللفظ
والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على
الحال من الملا اي كاينين حوله والعامل فيه قال ان هذا لساحر
عليم فايق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره بان يلقي
العداوة والفرقة بينكم ويستميل بعضكم ليحارب به بعضكم فيخرجكم
من بلادكم فماذا منصوب لانه مفعول به من قولك امرتك الخير
تامرون تشيرون في امره من المؤامرة وهي المشاورة قالوا ارجه
واخاه اي اخر امرهما وانما اشاروا بذلك لانهم راوا ان الناس
يفتتنون ان قتل او حبس وان السحرة اذا قاوموه ذلك الافتتان
فكان له حينئذ عذر في قتله او حبسه بحسب ما يراه وابعث في المداين
حاشرين رجالا يحشرون والحشر السوق من جهات مختلفة الى
مكان واحد ثم انهم عارضوا قوله ان هذا لساحر عليم بقولهم ياتوك
بكل سحار عليم فجاوا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض
قلقه فجمع السحرة اي انفذ الحاشرين في المداين وانهم حشروا وجمعوا
السحرة فالفا فصيحة لميقات يوم معلوم يوم الزينة وميقاته
وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام في قوله
موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به
اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام وقيل للناس
هل انتم مجتمعون اي اجتمعوا وهو استبطا لهم في الاجتماع والمراد منه
استعجالهم لعلنا نتبع السحرة في دينهم ان كانوا هم الغالبين ان
غلبوا موسى عليه السلام وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض ان
لا يتبعوا موسى عليه السلام فساقوا الكلام مساق الكناية والغلبة
الاستعلا بالقوة فلما جا السحرة قالوا لفرعون ان لنا لاجرا الاجرة
الجزا على العمل بالخير واذا كان بالشر سمي عقابا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم اذا اي حينئذ لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده
زيادة عليه ان غلبوا قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون لم يرد به امرهم
بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به
الى اظهار الحق ولذلك زاد قوله ما انتم ملقون فان قوله القوا كان

كافيا في جوابهم حين قالوا اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين فالقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا اي جاوا بسحر عظيم وقالوا فالواو فصيحة بعزة
فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته وهي من ايمان الجاهلية
والعزة القدرة التي يمتنع بها من الحاق ضيم لعلو منزلتها فالقى موسى
عصاه الفا فصيحة تنبي عن مقدر ذكر في سورة الاعراف فاذا هي تلقف
التلقف تناول الشي بالفم بسرعة ما يافكون ما يحيلونه منقلبا عن
وجهه بتمويههم وتزويرهم او افكهم تسمية للمافوك به مبالغة فالقي
السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى بسحر وعبر عن
الخرور بالالقا بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الالقاات ولسرعة
ما سجدوا كانهم القوا قالوا امنا برب العالمين بدل من القي بدل
الاشتمال واستيناف رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين
ليلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون لانه حين حشر جنوده نادى فقال
انا ربكم الاعلى قال امنتم له اي لموسى قبل ان اذن لكم بذلك انه لكبيركم
الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شي فلذلك غلبكم وواعدكم ذلك
وتواطاتم عليه وقد افصح عن ذلك في سورة الاعراف واراد به التلبيس على
قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق فلسوف تعلمون
وبال ما فعلتم فالفا فصيحة ومدخولها مرتبط بمحذوف وهو على
ما ذكر في سورة الاعراف ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها
اهلها ثم خبر عما يعد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من
شق طرف وهذه الطريقة في السياسة على الحكمة فانه حينئذ لا يياس
الجاني عن الحياة والتعيش فيكون القتل بعده سياسة اخرى بخلاف
ما اذا قطعها من شق واحد فانه حينئذ يكون القتل راحة وازاحة للعذاب
المحض ولاصلبنكم اجمعين اي اترك احدا منكم لا اصلبه لا عفو بتي قالوا لا ضير
لا ضرر وخبر لا محذوف اي في ذلك او علينا انا الى ربنا منقلبون قد تقدم
تفسيره في سورة الاعراف انا نطمع الطمع طلب النفس الخير الذي يقدر
فيها انه يكون ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي ما فعلناه من
السحر وغيره والخطية الزوال عن الاستقامة المودية الى التباب
ان كنا لان كنا اول المومنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد
والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة
وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على
طريقة المدل بامر المتحقق بصحته واوحينا الى موسى وكان هذا
بعد سنين من ايمان السحرة ان اسر بعبادي ببني اسرايل
واضافتهم الى نفسه للتشريف لانهم امنوا به وصدقوا نبيه ..

والاسراء السير في الليل وانما زيد قوله ليلا لان المراد السير في
معظمه لا في اوايله واواخره انكم متبعون يتبعكم عدوكم وهو علة
الامر بالسير في الوقت المذكور فانهم لو ساروا في اول الليل
لتبعهم العدو في الحال فلا يحصل لهم التقدم وكذا لو ساروا في اخره
فارسل فرعون اي ففعل موسى عليه السلام ذلك فخرجوا فاخبر بذلك
فرعون فارسل خائفا فصيحة في المداين مداين مصر وتعديته ارسل
بفي دون الى للتنبيه على الاستعجال منه وسرعة الامتثال من الرسل
وعلى ان ملك مصر كان معمورا في عهده بحيث سار الرسل كما خرجوا
من عنده في المداين وفيه كثيرا استنباطا مما ذكر في كثرة جنده
حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة
القول والشرذمة الجمع المحتقر ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم
وصفهم به والى بصيغة الجمع باعتبار الاسباط واختار جمع السلامة
الذي هو للقلة وانما استقلهم وكانوا ستماية الف وسبعين الفا لكثرة
من معه وانهم لنا لغايظون لفاعلون ما يغيظنا بخروجهم من
مصر بلا اذن منا وذهابهم باموالنا التي استعاروها وانا لجميع حاذرون
وقرى حذرون فالحذر اليقظة والحاذر الذي يجدد حذره يعني نحن
قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا
خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر
بها الى اهل المداين لئلا يظن به العجز والفتور فاخرجناهم باحداث
الداعي على الخروج من جنات وعيون وكنوز انما خص لان اموالهم
الظاهرة قد انطمست ومن غفل عن هذا قال سماها كنوزا لانهم لم
ينفقوا منها في طاعة الله ومقام كريم يعني بهيج كذلك يحتمل النصب
على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج والجر على انه صفة مقام اي مثل
ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي
الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل عنا لحسن لما عبروا البحر رجعوا
واخذوا ديارهم واموالهم فاتبعوهم مشرقين يقال اتبع فلان
فلانا وتبعه اذا اضافه فلما تراءى الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل
منهم الاخر قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون قال موسى
كلا لن يدركوكم فان الله تعالى وعدكم الخلاص منهم ان معي ربي اي
وعدني ربي سيهدين طريق النجاة ويجوز ان يكون من قبيل التمثيل
فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر بحر قلزم فانفلق اي
فضرب فانفلق فانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط وفي
حذف الفعل وترتيب الانفعال على الامر المذكور في الظاهر اشعار بان

ذلك الامر الخارق اثر امره تعالى لا اثر ضرب موسى عليه السلام فكان
كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في
شعابها كل سبط في شعب وازلفنا وقربنا ثم حيث انفلق البحر
الاخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا
موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
وانما قال ومن معه ولم يقل قومه ليندرج مؤمن ال فرعون فانه كان
بين يدي موسى عليه السلام ويدل على ان نجاتهم كانت لبركة
مصاحبة موسى عليه السلام ومتابعته ثم اغرقنا الاخرين باطباق
البحر عليهم وكلمة ثم دلت على تاخرها لكن عن خروج الناجين
وذلك بحبس جبريل اولهم ليلحق به اخرهم لا يشذ منهم احد ان في ذلك
اي فيما فعل بموسى عليه السلام وفرعون لاية لعبرة عجيبة لا توصف
وما كان اكثرهم مومنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد
ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة
يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن حتى نرى الله جهرة وان
ربك لهو العزيز غير عاجز عن الانتقام من اعدايه الرحيم يوخر
العذاب برحمته ليتوب منهم من تاب واتل عليهم على مشركي العرب
نبا ابراهيم خبره العجيب الشان اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
اي شي تعبدون سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس يستحق العبادة
قالوا نعبد اصناما كان السوال عن المعبود لا عن العبادة وانما
زادوا نعبد في الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها وكذا عطفوا
على نعبد فنظل لها عاكفين فنقيم على عبادتها طول النهار ويحتمل
ان يكون نظل بمعنى ندوم فلا يدل على اختصاص عبادتهم بالنهار
قال ابراهيم عليه السلام هل يسمعونكم هل يجيبونكم اذ تدعون
فان سمع بمعنى اجاب شايع ومنه سمع الله لمن حمده ولو كانت
يسمعون على معناه الحقيقي لقيل هل يسمعون كلامكم تدعون او
ينفعونكم ان عبدتموها او يضرون ان تركتم عبادتها قالوا بل
اضربوا اي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا نعبدها لشي من ذلك
ولكن وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فقلدناهم قال افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب
الباطل حقا فانهم عدو لي العدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة
والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا اعدائي يوم القيامة لقوله تعالى
سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من
المقلوب اي فاني عدو لهم وفي قوله لي دون لكم زيادة نصح ليكون

ادعى لهم إلى القبول ألا رب العالمين استثناء منقطع أو متصل على أن
الضمير لكل معبود عبدوه فيدخل فيه المعبود بحق ولا حاجة إلى أن يقال
وكان من آبائهم من عبد الله لأنهم أيضا يعبدون الله إلا أنهم يشركون
الأصنام في العبادة دل على ذلك قوله إذ نسويكم برب العالمين الذي
خلقني بالتكوين في القرار المكين فهو يهدين لمناجح الدنيا ومصالح
الدين والاستقبال في يهدين مع سبق العناية بالهداية لأنه يحتمل
يهدين للأهم الأفضل والأتم الأكمل والذي خلقني لأسباب خدمته
فهو يهدين لأداء خدمته والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ
وللعطف إن جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم
الخلق واستمرار الهداية والذي هو يطعمني ويسقين على
الأول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله وكذلك اللذان بعده
وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات
مستقلة باقتضاء الحكم أضاف الإطعام إلى ولي الإنعام لأن الركون
إلى الأسباب عادة الأنعام وإذا مرضت لم يقل أمرضني لأن
قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف إليه ما يقتضي الصبر ولأن
ذلك لم يكن مقصودا بذاته كسائر ما ذكر من أفعاله تعالى الكمالية
وإنما هو من روادف الطعام والشراب ولهذا قال وإذا مرضت
على العرض فلم ينسب إليه تعالى تسمية الباقي تنبيها على الفصل
بينهما فهو يشفين إن شفيت لا غيره لأنه يشفين لا محالة والذي
يميتني لم يقل إذا مت لأنه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء إلى
روض البقاء لوعد اللقاء فليس هو كالمرض ولما كانت الإماتة والبعث
مما لا يمكن إسنادها إلا إلى الله تعالى كالخلق لم يحتج إلى توكيد هو
بخلاف الهداية والإطعام والإسقاء والشفاء فإنه مما يمكن إسنادها
إلى غير الله تعالى وإنما أتى بأداة التراخي في قوله ثم يحيين لأنه
أراد الإحياء في الآخرة دون القبور وبأداة التعقيب في الهداية والشفاء
لأنهما يعقبان الخلق والمرض وبأداة الجمع المطلق في السقي لأنه قد
يعقب الإطعام وقد يتأخر وقد يتقدم عليه والذي أطمع طمع
العبيد في الموالي بالأفضال لا على الاستحقاق بالسؤال أن يغفر لي
خطيئتي يوم الدين استغفار الأنبياء عليهم السلام تواضع منهم
لربهم وهضم لأنفسهم وتعليم للأمم في طلب المغفرة فقدم الثناء على
الله وذكره بالأوصاف الحسنة بين يدي طلبته ومسألته ثم سأله
تعالى فقال رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل لأنتظم في عداد ..
الكاملين في صلاح الدين الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره

وألحقني بالصالحين أي الأنبياء عليهم السلام ولقد أجابه حيث
قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق أي ثناء
حسنا وذكرا جميلا وفي العبارة باللسان عن القول ما لا يخفى من
البلاغة وإنما أضافه إلى الصدق إضافة الموصوف إلى الصفة
الدالة للاختصاص به والعراقة فيه احترازا عن الإطراء في شأنه
في الآخرين في الأمم التي تجيء من بعدي فأعطي ذلك فكل أهل دين يتولونه
ويثنون عليه بلا إطراء واجعلني من متعلق بمحذوف أي وأنا من ورثة
جنة النعيم سأله أن يفعل معه من الألطاف ما يختار رشد الطاعات
لأن الجنة لا ينعم فيها إلا بالاستحقاق وإن كان الدخول بمحض لطف
الله تعالى فلذلك قال من ورثة فإن الوارث يأخذ الميراث بلا كسب
منه واغفر لأبي طلب هدايته إلى الإيمان اقتضاء قضاء لحق أبوته
ولهذا قال إنه كان من الضالين أي استمر على الضلال في الأزمنة
الماضية قاله تأسفا وتلهفا لا إخبارا وإظهارا وكان ذلك الطلب
منه عليه السلام قبل أن مات أبوه ولما مات أبوه على الكفر فتبين
أنه عدو لله تبرأ منه ولا تخزني الإخزاء من الخزي وهو الهوان أو من
الخزاية وهي الحياء يوم يبعثون الضمير للناس لأنه معلوم أي لا
تخزني بتعذيب إلى يوم المحشر على رؤوس المعشر فهو من تتمة
الاستغفار لأبيه يوم لا ينفع مال بدل من اليوم الأول ولا بنون
أحدا كما ينفع في الدنيا يفديه ماله ويذب عنه بنوه إلا من ..
مفعول لينفع أتى الله بقلب سليم من الكفر والنفاق سليم القلب
فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى في قلوبهم مرض أي
أن المال إذا صرف في وجوه البر وبنوه صالحون فإنه ينتفع به
وبهم سليم القلب فقد صوب الخليل استثناه الخليل إكراما له ثم جعله
صفة له في قوله وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم
وأزلفت الجنة للمتقين أي قربت عطف جملة على جملة أي تزلف
من موقف السعداء فينظرون إليها ويبتهجون بحشرهم إليها وبرزت
الجحيم أي أظهرت فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم مسوقون
إليها وفي اختلاف الفعلين دلالة على أن أرض المحشر قريبة من الجحيم
للغاوين الغاوي الغافل بما يوجب الخيبة من الثواب وأصل الغواية
الخيبة قال الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وقيل لهم على وجه التوبيخ والتقريع أين ما كنتم تعبدون من دون
الله هل ينصرونكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو ينتصرون أو هل

ينفعون انفسهم بانتصارهم وهنا لانهم والهتهم وقود النار فكبكبوا فيها
تكسوا وطرح بعضهم على بعض فيها في جهنم هم اي الالهة والغاوون
وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ
دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى
يستقر في قعرها وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن
اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده وان لم يجعل مبتدا
بل معطوفا عليهم يكون اجمعون تاكيدا للضمير الذي هو هم وما عطف
عليه وهو الغاوون وجنود ابليس وهذان الاحتمالان قائمان في
الضمير المنفصل وما يعود عليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون يجوز
ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويوجه الخطاب
في تسويكم تالله ان كنا لفي ضلال مبين بين اذ نسويكم نعدلكم ايها
الاصنام برب العالمين في استحقاق العبادة وما اضلنا الا المجرمون
اي رؤسائهم الذين اضلوهم او ابليس وجنوده ومن سن الشرك فما
لنا من شافعين من الاباعد كما للمومنين من الانبيا والاوليا والملائكة
ولما اتي بصيغة الجمع لمصلحة الفاصلة تذوركت حق المقام بزيادة
من التبعيضية ولا صديق حميم من الاقارب كما ترى للمومنين اصدقا
قال الله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين والحميم
من الاحمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمك ما يهمه او من الحامة بمعنى
الخاصة وهو الصديق الخاص فلو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنكون
من المومنين وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت او لو في مثل
هذا للتمني كانه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقي ان
في ذلك فيما ذكر من قصة ابراهيم عليه السلام لاية لحجة وعبرة لمن اراد
ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير
يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية
والتنبيه على دلايلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته
معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد
والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى
الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مومنين به وان ربك
لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يومنوا
او واحد من ذريتهم كذبت قوم نوح القوم مونث ولذلك يصغر
على قويمة المرسلين قدم الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم
اخوهم نوح انما قال اخوهم لانه كان منهم الا تتقون خالق الانام
فتتركوا عبادة الاصنام اني لكم رسول امين كان مشهورا بالامانة

فيهم

فيهم كمحمد عليه السلام في قريش فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به
من التوحيد والطاعة لله تعالى وما اسألكم عليه على ما انا عليه من
الدعا والنصح من اجر عبارة عن المنفعة المستحقة فاما الذي لا يكون
مستحقا فذلك لا يسمى اجرا بل هبة ان اجري الا على رب العالمين
بحكم وعده وفيه تنبيه على عظم شان ما امر بتبليغه وهذا هو الموجب
لطاعته فيما يدعوهم اليه فلذلك كرر قوله فاتقوا الله واطيعون واما
حسم الطمع المستفاد مما تقدم فقد صرح عن ايجابها ثم ان في قوله رب
العالمين اشارة الى التزام الاجر في ذلك لمصلحة تنزيههم لا لامر
يعود الى نفسه من نفع او دفع قالوا انؤمن لك واتبعك الواو للحال
وقد مضمرة بعدها دليله قراة واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد
وتبع كبطل وابطال الارذلون جمع الارذل على الصحة والرذالة
الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من
الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية واشاروا بذلك الى
ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة
فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا
في طعمه وما علي الا اتباع الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما
حسابهم على بواطنهم الا على الله تعالى فانه المطلع على السراير
لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون
وما انا بطارد المومنين جواب لما اوهم قولهم واتبعك الارذلون
من استدعا طردهم استنكافا عن الشركة معهم في المتابعة خصوصا
اذا كان لهم فضل التقدم وقدم السبق وتوفيق ايمانهم عليه وقوله
ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار
المكلفين من الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزا او اذلا وكم من ذليل
عند الناس وهو عزيز عند الله وبالعكس فكيف يليق بي طرد
الفقراء لاستتباع الاغنيا او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان
الواضح ثم انتم اعلم بشانكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول
والانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزة الى ما وقع عنه النهي واصل
النهاية بلوغ الحد لتكونن من المرجومين من المضروبين
بالحجارة قال رب ان قومي كذبون اظهارا لما يدعو عليهم لاجله
وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني
وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم حكما من الفتاحة وهو الحكومة
والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق ونجني ومن معي من المومنين
من قصدهم او من شوم عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون

المملوء ومنه شحنة البلد اي الذي يملؤه كفاية كانت السفينة مملوءة
من الناس وانواع الحيوان من سباع البهائم وجوارح الطير فكانت
في فصلتهم هذه نجاة في نجاة ومن هنا اتضح توصيف الفلك بالوصف المذكور
في مقام الامتنان ثم اغرقنا ثم للتفاوت بين الحالين لا للتراخي
ولذلك قال بعد اي بعد انجائه ومن معه الباقين من قومه
ان في ذلك لاية عظيمة شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز المنتقم باهانة من جحد واصر الرحيم المنعم باعانة
من وحد واقر كذبت عاد المرسلين قبيلة وفي الاصل اسم رجل
هو ابو القبيلة اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين قد تقدم تفسيره عن قريب اتبنون بكل ريع
مكان مرتفع والبناء وضع ساف على ساف الى حيث ينتهي الريع
الارتفاع من الارض ومنه الريع في الطعام وهو ارتفاعه بالزيادة
اية بناء يكون لارتفاعه كالعلامة تعبثون تلعبون
وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقصورا مشيدة او حصونا اي
تعملون في كل موضع عال مشرف علامة تعرفونها ولا تحتاجون
اليها لسكناكم انما تريدون به المباهاة والمراءاة وادعيتم
لعلكم تخلدون وترجون الخلود في الدنيا فتحكمون بنيانها واذا
بطشتم البطش العسف بالسيف وضربا بالسوط
بطشتم جبارين الجبار العالي على غيره لعظيم سلطانه وهو في صفة
الله تعالى مدح وفي صفة غيره ذم قال الحسن بطش الجبارية هو
المبادرة من غير تثبيت ولا توقف فذمهم الله تعالى بذلك ونهاهم
هود عليه السلام فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون فيما
ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم
بانعام وبنين قرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها و
القيام عليها وقرن البنون في قوله وجنات وعيون العيون
بالجنات لان قوامها بدوامها منها فعن بها كرر الامر بالاتقاء
مرتبا على امداد الله تعالى اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا
او تنبيها بالوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بانقطاع
ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساوئهم المدلول عليها
اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التوقي
ثم اوعدهم فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة
فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اي

مستو عندنا وانما قيل علينا لان المراد بالاستواء من جهة التاثير اوعظت
الوعظ كلام يلين القلوب بذكر الوعد والوعيد ام لم تكن من الواعظين
فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة بارتكاب
الاطناب للمبالغة فيجانب السلوك عن الوعظ لكونه مقصودا فان الاخراج
من عداد الواعظين ابلغ من نفي المباشرة للوعظ والمحافظة على رؤوس الاي
ان هذا الا خلق الاولين وقرئ خلق بفتح الخاء من الاختلاف اي ما هذا الذي
جئتنا به الا كذب الاولين وقرئ بضم اللام اي ما هذا الذي نحن عليه
من تهيئة اسباب المعاش واتخاذ الابنية الا عادة الاولين وما
نحن بمعذبين في الدنيا ولا بعث ولا عذاب في الاخرة فكذبوه فاهلكنا هم
بسبب تكذيبهم اياه بريح صرصر عاتية ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تقدم تفسيره
في هذه السورة اتتركون انكار لان يتركوا كذلك وتذكير بالنعمة في
تخلية الله تعالى اياهم واسباب تنعمهم فيما ههنا في الذي استقر
في هذا المكان من النعيم امنين من العذاب والزوال والموت ثم فسره
بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل وزروع ونخل
افرد النخل تفضيلا له على سائر اشجار الجنات طلعها وهو ما يخرج من
النخل كنصل السيف هضيم لين نضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره فانه
ما دام رطبا فهو هضيم فاذا يبس فهو هشيم وتنحتون وتثقبون
من الجبال بيوتا فرهين بطرين وهذا هو المناسب لما في بيوت الجر
من قوله امنين لا بمعنى حاذقين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا
اي لا تمتثلوا امر المسرفين انما صرف الكلام عن الظاهر والكلمة عن هو
المبني حيث لم يقل ولا تطيعوا المسرفين تنزيلا لشانهم من درجة
الاطاعة وتبعيدا لهم عن حيز المطاعين واما جعل الامر مطاعا على
المجاز الحكمي فلا يناسب المقام الذين يفسدون في الارض وصف
موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة
على خلوص فسادهم وتعميم فسادهم المستفاد من الاسناد الى كلية الارض
يناسب هذا قالوا انما انت من المسحرين المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب
على عقله ما انت الا بشر مثلنا كناية عن استحالة كونه رسولا بناء على
ما زعموا من ان الرسول لا يكون من جنس البشر خصوصا بلا امتياز له
عن سائر الافراد وكان صالحا عليه السلام رد قولهم هذا بان يقول
اني رسول الله بواسطة الملك ولي امتياز عن سائر البشر بالمعجزة الخارقة

للعادة فقالوا في مقابلته فأت بآية خارقة للعادة ان كنت من الصا
دقين في دعواك قال هذه ناقة وفي سورة الاعراف هذه ناقة الله لكم آية
لها شرب نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحمكم
فيه ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة اصابة بالسوء الجامع
لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب يوم عظيم
عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب لان اليوم اذا عظم بسببه
بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها الفاء فصيحة والجملة المحذوفة
مذكورة في سورة الاعراف وانما اسند الفعل الى الجميع لانه كان بامرهم وتعاونهم
عليها افصح عنه قوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فاصبحوا نادمين
لا على عقرها خوفا من نزول العذاب بهم لانه مردود بقوله تعالى
وقالوا يعني بعد ما عقروها يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
بل على ترك ولدها وقد تقدم ذلك في سورة الاعراف فاخذهم العذاب
اي العذاب الموعود وهو الرجفة الحادثة من الصاعقة ان في ذلك لآية
عظيمة وما كان اكثرهم مؤمنين في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض
ايماء بانه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما
عصموا عن مثله ببركة من امن منهم وان ربك لهو العزيز الرحيم جامع
لجهتي الانتقام والانعام كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم
لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تقدم تفسيره في هذه
السورة أتأتون الذكران اي اتأتون من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة
الاناث فيهم كانهن قد اعوزتكم او اتأتون بين من عداكم من العالمين
الذكران لا يشارككم فيه غيركم فالمراد بالعالمين على الاول الناس
وعلى الثاني كل من ينكح وعلى هذا الجمع للتغليب ومبنى هذا الوجه
على اختصاص ذلك الفعل بالانسان وفيه نظر وتذرون ما خلق لكم
لاجل استمتاعكم ربكم من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس الاناث
او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم
كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وانما خص الازواج بالذكر لعمومه
فان الاماء مخصوصة بالاحرار بل انتم قوم عادون بل اضراب بمعنى
الانتقال من شيء الى شيء والعادي المعتدي المتعدي في ظلمه المجاوز
فيه الحد والمراد ههنا التجاوز عن حد الشهوات بالزيادة على سائر
الناس بل الحيوانات او الافراط في المعاصي مطلقا وعلى هذا الاضراب
للترقي قالوا لئن لم تنته اي لم تمتنع من انكارك علينا او تقبيح امرنا
يا لوط لتكونن من المخرجين من جملة من اخرجناه من بيننا وطردناه

من ديارنا

من ديارنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على سوء حال قال اني لعملكم من
القالين فلا اكره مفارقتكم ولا ارضى بمجاورتكم والقلى البغض الشديد كانه
بغض يقلي الفؤاد وانما قال من القالين للتنبيه على انه غير منفرد بذلك
بل واحد من الجماعة المعروفين به وايضا هو ابلغ من قال وانما كان هو ارجح
من جهة اللفظ لما بينه وبين قال صنعة التجنيس رب نجني واهلي مما يعملون
من شومه وعذابه فنجيناه واهله اي من امن به اجمعين باخراجهم من
بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا مقدرة في الغابرين العجوز المرأة التي قد
اعجزها عن امور كثيرة كبر سنها وهي امرأته على ما افصح عنه قوله الا امرأته
كانت من الغابرين اي الباقين من لذاتها واهل بيتها وقيل الغابر الباقي
في قلة كالتراب الذي يذهب بالكنس ويبقى غابره ثم دمرنا الاخرين
اهلكناهم بالاهلاك وامطرنا عليهم مطرا امطر الله تعالى على شذاذ القوم
حجارة فاهلكهم فساء مطر المنذرين والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف
والمراد بالمنذرين جنس الكافرين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم تفسيره كذب اصحاب الايكة قال
الخليل الايكة غيضة تنبت السدر والاراك وناعم الشجر المرسلين اذ قال لهم
شعيب انما لم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب اهل
مدين وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين قد مر تفسيره في هذه السورة
اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف ولو
قيل ولا تخسروا لكان ابلغ في النهي على ما تقدم في تفسير ولا تركنوا الى الذين
ظلموا وانما عدل عنه الى ما ذكر تعريضا لاشتهارهم بتلك الحال وزنوا
بالقسطاس المستقيم الوزن وضع الشيء بازاء المعيار بما يظهر مثله منه في
ثقل المقدار اما بالزيادة او النقصان او التساوي والقسطاس الميزان ان
قيل فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس
والا فهو رباعي ولا تبخسوا الناس يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه اشياءهم
دراهم ودنانير بقطع اطرافها ولولا المراد النهي عن المعتاد لقيل ولا تبخسوا
الناس شيئا لانه ابلغ في النهي ولا تعثوا في الارض مفسدين وهذا
ايضا نهي عن معتادهم ولذلك عدل عن الابلغ في النهي وهو ولا تفسدوا
في الارض والعثو اشد الفساد وذلك قد يكون لمصلحة كتخريب ديار
الكفرة فلدفع هذا الاحتمال قيل مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة
الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق اطلق الجبلة واريد بها الخلق قيل
الجبلة الخلق المتخذ الغليظ ماخوذ من الجبل فحينئذ يناسب التفسير عن

خلقة عاد وثمود قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ترك
ادات الجمع في قصة ثمود لبعيد التوكيد والتقرير والقطع بانه بشر مثلهم اي لا
ينبغي ان نؤمن برسالتك لانك شي ممتاز به عنا ولهذا قالوا فات باية
ان كنت من الصادقين والي بها ههنا للدلالة على انه جامع بين وصفين
متنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبهم فكانهم قالوا نحن وانت في عدم
صلاحية الرسالة من جهة كوننا بشرا سوا ولك المزية علينا في كونك
مسحرا دوننا ثم اكدوا ذلك بقولهم وان نظنك لمن الكاذبين والظن
بمعنى اليقين ولذلك دخلان واللام ولما كان هذا الرد ابلغ من الاول
ما طلبوا البرهان كما طلب ثمود حيث قالوا فات باية ان كنت من الصادقين
بل قطعوا بما يدل على الياس من ايمانهم بقولهم على سبيل الاستهزا فاسقط
علينا كسفا جمع كسفة وهي قطعة من السما عقوبة ان كنت من
الصادقين كما قطع قريش بقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السما قال ربي اعلم بما تعملون اي ان الله تعالى اعلم باعمالكم
وبما تستحقون عليها من العذاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسفا
من السما فعل وان اراد عقابا يا فاليه الحكم والمشيئة فكذبوه فاخذهم عذاب
يوم الظلة على نحو ما اقترحوا والظلة سحابة اظلتهم بعد ما حبس
عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة ايام فاجتمعوا تحتها متحصنين بها
مما نالهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا ولهذا اي ولكونهم معذبين
في ذلك الوقت بسبب اخر غير الظلة اضيف العذاب الى اليوم دون
الظلة وقطع اضافة العذاب عنها لا يخلو اعن نوع اشعار بان عذابهم
قبل نزول النار من الظلة يبلغ الى حد كان ذلك خلاصا لهم من العذاب
انه كان عذاب يوم عظيم فذمران وصف اليوم العظيم ابلغ من وصف
العذاب به ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع المذكورة على وجه الاختصار
تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به وانه لتنزيل
رب العالمين اي ان القران منزل من عند الله تعالى لمصلحة العالمين
نزل به الروح الامين اي جبريل عليه السلام فانه امين الله على وحيه وقرى
نزل مشددا والروح منصوبا اي جعل الله الروح نازلا به والبا على
التعدية للتعدية على قلبك اي القلب والمعنى عليك لانه محل الوحي
والتثبيت وليعلم ان المنزل محفوظ عن المخالطة والمغالطة لوصوله
الى القلب بالذات لا بواسطة الصوت والة السمع فافهم هذا السر
الدقيق لتكون من المنذرين اقتصر على الانذار لعموم التوجيه الفريقين ولانه
ازجر للسامع بلسان عربي بلغة العرب متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق

بالمنذرين

بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح وشعيب
واسماعيل ومحمد عليهم الصلوة والسلام مبين للناس ما يحتاجون
اليه من امور دينهم ودنياهم وانه لفي زبر الاولين يعني ذكره مثبت
في ساير الكتب المنزلة من السماوة وقيل ان معانيه فيها فلا دلالة فيه
على ان القران قران اذا ترجم بغير العربية والزبر جمع زبور كرسل ورسول
وقد تقدم بيانه اولم يكن لهم اية على صحة القران ونبوة محمد عليه السلام
ان يعلمه علماء بني اسرايل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير
لكونه دليلا وقرى يكن بالتذكير واية بالنصب على تاخيره وان يعلمه هو
الاسم تقديره اولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل اية وقرى تكن بالتانيث واية
بالرفع على انها اسم كان وخبره لهم وان يعلمه بدل وقيل في يكن ضمير القصة
واية خبر مقدم والمبتدا ان يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة وانما على
اية وان يعلمه بدل منها او خبر مبتدا محذوف اي اولم يحصل لهم اية ولو
نزلناه على بعض الاعجمين كان هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقراه عليهم
ما كانوا به مومنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم
من اتباع العجم والاعجمين جمع على التخفيف كما قالوا الاشعرون اي
الاشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع
السلامة لان مونثه عجما وزيادة كان لافادة معنى الاستمرار والمراد
استمرار النفي لا نفي الاستمرار فافهم سر هذا الاعتبار كذلك سلكناه
اي مثل ما ذكرنا من ادخال التكذيب به على تقدير قراءة الاعجم ادخلنا التكذيب
في قلوب المجرمين بقراءة افصح العرب لا يومنون به حتى يروا
العذاب الاليم المراد به معاينة العذاب عند الموت وذلك ايمان باس
فلا ينفعهم فياتيهم بغتة يعني ان العذاب الذي يستعجلونه يجيئهم فجاة
والبغتة حصول الامر العظيم الشاذ من غير توقع وتقدم اسباب وهم
لا يشعرون باتيانه فيقولوا حذف النون منه عطفا على قوله يروا
هل نحن منظرون يسالون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون
اليها افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة من السما
فاتنا بما تعدنا وحالهم عند حلول العذاب طلب النظرة جي بالهمزة
للانكار والفاء لا لة على ترتيبه على السابق الا انها اخرت لان همزة
الاستفهام لها حق الصدارة وان استعيرت بمعنى اخر قال يحيى بن
معاذ رحمه الله اشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراداته
وسكن الى مالوفاته والله يقول افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم
ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون به
في تلك السنين في دفع العذاب وتخفيفه فاغاجي بفعل الرويه ٥٠

عل

والاستفهام ليكون في معنى الخبر افادة لمعنى التعجب والانكار وان من
حق هذه القصة ان يخبر بها كل احد حتى يتعجب وزيادة كان في الموضعين
لافادة الاستمرار وما اهلكنا من قرية الا لها لم تدخل الواو على الجملة بعد
الا كما في وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو
اذ الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف
منذرون اتى بصيغة الجمع لان من قرية عام فكانه قيل وما اهلكنا
من القرى والعدول عنه لافادته الدلالة على ان المراد الاهلاك الافرادي
لا الكل المجموعي ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى
الانذار او حال من الضمير في منذرون او الرفع على انه صفة منذرين
بانهم ارذو وا وجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر مبتدا محذوف
بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية فلا يجوز ان يكون ذكرى متعلقة
باهلكنا مفعولا له لان مذهب الجمهور ان ما بعد الا لا يعمل فيما قبلها الا ان
يكون مستثنى منه او تابعا له غير معتمد على الاداة وما كنا ظالمين اي
ليس من شاننا الظلم فنعذب فيها غير مستحق له ولما قال المشركون
ان الشياطين تلقي القران على محمد عليه الصلاة والسلام نزل وما
تنزلت به اي بالقران الشياطين وانما اتى بصيغة التكلف والجمع
لانه على تقدير وقوع المنفي لا يكون الا بزيادة كلفة ومشقة من جماعة
منهم على ما بين عند تفصيل كيفية استراق السمع رد لما زعم المشركون
انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم ان ينزلوا به وما
يستطيعون ذلك نفي اولا الوقوع ثم اللياقة ثم القدرة ثم بين
عدم القدرة بقوله انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لممنوعون
والعزل تنحية الشيء عن الموضع الى خلافه وسبب ذلك ما ذكرنا في
سورة الجن من كونهم مرجومين بالشهب فلا تدع مع الله الها اخر
فتكون من المعذبين انما نهى النبي عليه السلام عن الشرك في العبادة
مع عدم الحاجة اليه في حقه تمهيد البيان ترتب العذاب عليه على
وجه لا يتخلف عنه في حق خير الخلق فيكون في حق غيره وانذر عشيرتك
الاقربين خصهم لنفي التهمة اذ الانسان يتساهل في قرابته وليعلموا
انه لا يغني عنهم من الله شيئا فان النجاة في اتباعه دون قربه
والعشيرة تنتظم الفخذ فما فوقها واخفض جناحك والن جانبك
وتواضع مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط لمن اتبعك
من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم ولافادة هذا التعميم ذكر قوله من
المؤمنين والا فالايمان واتباعه عليه الصلاة والسلام توامان فان
عصوك مرتبط بقوله وانذر عشيرتك الاقربين وكان اصل الكلام

انذر

انذر اقرباءك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك
ولم يتبعوك فتبرأ من اعمالهم الا انه غير التعبير في احد الشقين تنزيلا
للمقدر منزلة المحقق في الجانب الغالب وعمم حكمه تنبيها على ان حكم
الانذار واصله غير مخصوص وانما الاختصاص باقربائه عليه السلام في
صفة تقديمه وحض حكم شق العصيان بهم ليظهر ذلك الحكم في حق غيرهم
بطريق الاولى فقل اني بريء لما كان الحكم في صورة الاتباع وجوديا
وفي صورة خلافه عدميا امر بنفس الحكم في الاول وباظهاره قولا في الثانية
وهذا من دقائق الاعتبار قلما يتنبه له الاذكياء والاخيار مما تعملون مما
تعملونه او من اعمالكم امر بالبراءة من عملهم لا منهم اشعارا بانهم لا
يتركون باظهار العصيان بل يدعون الى الطاعة مرة بعد اخرى
باللطف الى ان نزل الامر بالعنف وتوكل التوكل تفويض الامر الى من يملكه
وقرئ بالفاء فتوكل على الابدال من جواب الشرط على العزيز الرحيم على الذي
يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم
ومن غيرهم الذي يراك الرؤية علم خاص بنوع من المحسوس غير
متوقف على النظر بل قد يحصل بطريق اخر فلذلك قال موسى عليه السلام
قوله انظر اليك حين طلب الرؤية المعهودة حين تقوم للتهجد وتقلبك
وتردد تقلبك في الساجدين في المصلين اتبع كونه رحيما على رسوله
ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه
للتهجد وتردده في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه رضي الله عنهم
ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون وتعلم انهم كيف يعبدون الله في
خلواتهم انه هو السميع العليم لما تقوله وتعلمه هون عليه معاناة
ما يشاق ما يجده من التهجد والتفقد حيث اخبر برؤيته له اذ لا مشقة
على من يعلم انه يعمل بمرئ من مولاه هل انبئكم على من تنزل الشياطين
انما قال تنزل لانه اكثر ما يكون في الهواء وانه يمر مر الريح تنزل على
كل افاك اثيم على كل من بلغ في الافك والاثم الغاية لما بين ان القران
لا يصح ان يكون مما تنزل به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا
عليه الصلاة والسلام لا يصح لان تنزلوا عليه بوجهين احدهما انما يكون
على شرير كذاب كثير الاثم وهم الكهنة والمتنبئة ومحمد عليه السلام يشتم
الافاكين ويذمهم فكيف تتنزل الشياطين عليه وانما زاد كلمة كل اعتبارا
لما في من من معنى العموم والا فلا حاجة اليه في اصل الكلام وثانيهما
ما ذكر بقوله يلقون السمع اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين
فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها
على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يحفظها

الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك
محمد عليه السلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق
كلها ويلقون حال اي تنزل ملقين السمع او صفة لكل افاك لانه في معنى
الجمع فيكون في محل الجر او استئناف فلا يكون له محل من الاعراب كانه
قيل لم تنزل على الافاكين فقيل لانهم يفعلون كيت وكيت واكثرهم اي اكثر
الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما يوحون اليهم واختصاص
هذا النوع من الكذب بالكثرة لا ينافي تناول جنس الكذب كلهم والشعراء
يتبعهم الغاوون واتباع محمد عليه الصلاة والسلام ليسوا كذلك فهو
استئناف ابطل كونه شاعرا الم تر انهم في كل واد يهيمون تمثيل لذهابهم
في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة
الحد في القصد حتى انهم يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على
حاتم ويبهتوا البري ويفسقوا التقي وانهم يقولون ما لا يفعلون وذلك
لغلوهم في افانين الكلام وتبجحهم بالفصاحة والمعاني اللطيفة وقد
ينسبون لانفسهم ما لا يتبجح منهم لما كان اعجاز القران من جهة المعنى
واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزل به الشياطين وفي اللفظ بانه
من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القران لهما ومضادة
حال الرسول عليه السلام لحال اربابهما الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
استثناء الشعراء المؤمنين الصالحين كعبد الله بن رواحة وحسان
بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وذكروا الله كثيرا اي كان
ذكر الله وتلاوة القران اغلب عليهم من الشعر واذا قالوه في التوحيد
بالله تعالى والثنا عليه وانتصروا وهجوا من بعد ما ظلموا هجوا اي
ردوا هجاء من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وسيعلم الذين
ظلموا تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا
من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من
الابهام والتهويل وقرئ اي منفلت ينفلتون بالفاء والتاء ومعناهما
واحد ذكره الثعلبي ختم السورة بما يقطع اكباد المنكرين المتذرين

قالوا شعراء

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك اشارة الى السورة ايات القران وكتاب مبين عطفه
على القران كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وابانة
انه تبين ما اودع فيه من الحكم والاحكام او الصحة باعجازه واما عرف
القران ونكر الكتاب على عكس ما في سورة الحجر لانهما اسمان علمان
للمنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام ووصفان له باعتبار معناهما

الا

الاصلين فانهما جعل اصلا والاخر صفة صح وكتاب قرئ بالرفع على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه على معنى وايات كتاب مبين
هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة
او بدلان منها او من كتاب او صفة له او خبران اخران او خبران لمحذوف اي
هي هدى الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة تقدم تفسيره في سورة
البقرة وهم بالاخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف
وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه او استئناف
كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون
بالاخرة ويدل عليه انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ حتى صار معناها
وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل
الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون
بالاخرة زينا لهم اعمالهم القبيحة بخلق الشهوة فيهم حتى راوا ذلك حسنا
كما قال افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقد مر البحث مستوفى في
اسناد التزيين اليه تعالى في تفسير سورة البقرة فهم يعمهون يتحيرون
ويترددون في ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق اولئك الذين لم
يؤمنوا لهم سوء العذاب بما كان لهم من سوء الاعمال وهم في الاخرة هم الاخسرون
اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القران
اي يلقى عليك بشدة من لدن حكيم عليم مضيء في اقواله وافعاله عليم
بكل شيء واحواله فليس الاول منهما مشتملا على الاخر حتى يكون حقه التاخير
والتنكير فيهما للتعظيم وفي هذه الاية تمهيد لما يريد ان يسوق بعدها
من القصص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه اذ قال موسى
اي اذكر قصته اذ قال موسى وقيل متعلق بعليم لاهله اني انست نارا
الايناس الاحساس بالشيء مع سكون النفس اليه ساتيكم منها بخبر اي عن حال
الطريق لانه قد ضل روي انه لم يكن معه غير امراته وانما ورد الخطاب
بلفظ الجمع كناية عليها لاهل اقامتها مقام الجماعة في الانس بها والسكون
اليها في الامكنة الموحشة والسين للتقريب وتعليل مدة الوعد كيلا يستوحش
اهلها وفي التعبير بالايناس دون الابصار نوع تمهيد لهذا او اتيكم بشهاب
قبس شعلة من النار والشهاب ما يمتد منها واضافته اليه لانه يكون
قبسا وغير قبس وقرئ منونا على ان القبس بدل منه او وصف له لانه
بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر بصيغة الترجي في
موضع اخر والترديد لبيان عدم الخلو بهما على العادة فلا ينافي الجمع وبيان
ان كل واحد منهما امرهم باعث للسعي في تحصيله لعلكم تصطلون رجاء
ان تستدفئوا بها من البرد والطاء بدل من التاء الافتعالية لاجل

الصّياد فلما جاءها اي النار التي ابصرها نودي ان بورك ان مخففة من
الثقيلة تقديره بانه بورك والضمير ضمير الشان وجاز ذلك من غير عوض
لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في احكام كثيرة او مفسرة لان في
النداء معنى القول من في النار ومن حولها اي جعله البركة والخير فيما
في مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها اي موسى عليه السلام وحدوث
امر ديني فيه وفي تصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم
تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما
نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها او للتعجب من ذلك الامر
او تعجب من موسى عليه السلام لما راه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء
للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له
العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهر على يده من
المعجزة لمصلحة اثبات النبوة والق عصاك عطف على محذوف تقديره
بعهم من التفصيل المذكور في سورة طه لا على بورك لان الفصل بينهما
تجديد النداء في قوله يا موسى باياه فلما راها تهتز كانها جان اي
حية سريعة الحركة ولى موسى عليه السلام مدبرا اعرض عنها
وجعلها تلي ظهره خوفا منها بمقتضى البشرية ولم يعقب لم يرجع
يقال قد عقب فلان اذا رجع يقاتل بعد ان ولى فنودي يا موسى لا تخف
اي من غيري ثقة بي وحذف المفعول لظهوره او مطلقا على تنزيل
المتعدي منزلة اللازم اني لا يخاف لدي المرسلون اي لا ينبغي لهم
ان يخافوا حال تقريبي اياهم بالخطاب وفيه اشارة الى ان تلك الحالة
كانت متقدمة للرسالة الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور
رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدور من نفي
الخوف عن كلهم ومنهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها
اتبعوا فعلهم ما يبطلها ويستحقون من الله مغفرة ورحمة ولم
يقصد به تعريض موسى عليه السلام بوكزه القبطي لانه عليه السلام
لم يكن وقتئذ مرسلا وقيل متصل وثم بدل مستانف معطوف على
محذوف اي ومن ظلم ثم بدل حسنا اي اتى بالتوبة بعد سوء مبدلا له
بالحسن اي كان ذلك منه سببا بتبديل السيئة الحسنة وفي التعبير عنه
بالحسن مبالغة في حسنه لبعدها من فطنة شوب الرياء والشرك
فان العمل لا يخلو منه وهذا البدل لما لم يحصل بالعمل عنه وادخل يدك
في جيبك لانه كان عليه مدرعة صوف لا كم لها تخرج بيضاء فيه جمع فلما
بين امري التكليف والتكوين من غير سوء قبح لما كان تخرج الشيء من
خلقته وجوهره بما يستقبح ويستقذر اخبر انه لم يكن كذلك واما

احتمال

احتمال البرص فيعدل عن هذا المقام مثل ذلك لا يخطر بالبال في مثل هذه
الايات العظام حتى يحتاج الى دفعه في تسع ايات اي اية في تسع
ايات وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس
والجدب ونقصان المزارع منه واما الفلق فليس منها لانه عليه السلام
لم يبعث به الى فرعون وقومه اي مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين
تعليل للارسال فلما جاءتهم اياتنا لم يقل جاءهم موسى عليه السلام بها لانها
كانت خارجة عن حيز طاقته وفي بعضها لم يكن منه عليه السلام تصرف عادي
مبصرة اي ظاهرة بينة جعلت كانها تبصر فتهتدي لان العمي لا يقدر على
الاهتداء فضلا عن ان يهدي غيره ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان
الكلمة الحسنة ترشد والكلمة العوراء تغوي فهو من قبيل الاستعارة المكنية
وهي ابلغ من المجاز قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته قوبل بها المبصرة
والمبين وجحدوا بها يقال جحد حقه وبحقه يعني ذكره في الديوان الجحود
وهو الانكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا والواو في واستيقنتها
للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان ابلغ من الايقان انفسهم اي جحدوها
بالسنتهم وقد استيقنوها بقلوبهم وفي التعبير بانفسهم عن
قلوبهم تنزيلا لالة الادراك منزلة الترجمان ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن
الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وهو الاغراق والاحراق في الدارين ولقد اتينا داود وسليمان علما طائفة
من العلم وهو علم الحكم والشرايع او علما اي علم وقالا الواو فصيحة تفصح
عن محذوف تقديره ففعلا شكرا لله تعالى ما فعلا مما لا يفي ببيانه
العبارة وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين اراد بالكثير
المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما دل على ذلك تقييدهم بالايمان فان
المؤمن لا يخلو عن علم وفيه اخراج الكفار عن حيز الاعتبار وتعظيم
لنعمة التفضيل بتوصيف المفضل عليه بوصف جليل ودليل على فضل
العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا
دونه مما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله
تعالى على ما اتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على
كثير فضل عليه كثيرا ونسا وما وورث سليمان داود النبوة والملك بان
قام مقامه في ذلك بعد موته ولهذا قال ورث فان حقيقة
الميراث انتقال التركة من مالك الى مالك والتركة ما بقي بعد
الموت واستعير هنا لما ذكروا من العلم فقد شارك اباه فيه بل
ترجح عليه حال حياته على ما افصح عنه قوله تعالى ففهمناها صح وقال تشهيرا
لنعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء للناس بذكر المعجزة التي هي

علم منطق الطير وغيره كل من عظايم ما اوتيه يا ايها الناس علمنا منطق
الطير النطق والمنطق في المتعارف الاصوات المقطعة التي يظهرها
اللسان وتعيها الاذان ولا يقال لغير الانسان الا علي سبيل التشبيه
نحو الناطق والصامت لما له صوت ولما لا صوت له واوتينا من كل شي
المراد به كثرة ما اوتي كما يقال فلان يعلم كل شي ويقصد ه كل احد والضمير
في علمنا واوتينا له ولابيه اوله وحده وهذه النون نون الواحد
المطاع فكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته علي صفته وحاله التي كان
عليها ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد علي سبيل الشكر كقوله
عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا
ولا اقوله فخرا وحشر لسليمان قدم الجن علي الانس لان مقام
التسخير لا يخلوا من نوع تحقير والطير ولو كان فيها جنس اخر لذكر
ههنا فهم يوزعون يمنعون عن التفرق والانتشار حتي يجتمعوا
في مسيرهم وذلك احسن في الهيئة واهيب في الروية حتي اذا اتوا فمن
يوزعون معني فعل يصلح ان يكون حتي غاية له اي فهم يسيرون
ملفوفا لا يفارق بعضهم بعضا علي وادي النمل هو واد بالشام
كثير النمل وعدي اتوا بعلي اما لان اتيانهم كان من فوق اولانه اريد
معني قطع الوادي وبلوغ اخره قالت نملة تاوها للوحدة وهي في حكم
المونث اللفظي جاز ان يعامل معاملته كتمر وتمرة فلا دلالة فيه علي
كونه انثي يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لم يقل ادخلن لانه جعلت
قايلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل فاجري خطابهم مجري
خطابهم لا يحطمنكم الحطم الكسر سليمان وجنوده نهي سليمان
عليه السلام عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم
لا ارينك ههنا فهذا استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون
لا يدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا
قالت النملة ذلك علي وجه العذر ووصف سليمان وجنوده بالعدل
فتبسم الفا فصيحة تفصح عن محذوف تقديره سمع سليمان كلامها
فتبسم ضاحكا شارعا في الضحك اخرا فيه من قولها متعجبا من حذرها
وتحذيرها واهتدايها لمصالحها ونصيحتها للنمل او فرحا لظهور عدله
وانما قال ضاحكا لان التبسم قد يكون غضب وقد يكون من استهزا
وتبسم الضحك لا يكون الا عن سرور فان قلت الظاهر من هنا ان
سليمان عليه السلام كان عالما بلسان غير الطير من الحيوانات
فما وجه تخصيصه بالذكر في مقام اظهار الشكر علي ما اتاه الله تعالي
من جلايل النعم قلت قد اجاب النسفي عن هذا حيث قال كان للنملة

جناحان فصارت من الطير فلذلك علم سليمان عليه السلام منطقها ولولاه
ذلك لما علمه وقال رب سايلا توفيق شكر تلك النعم الجليلة رب اوزعني
ان اشكر اي يسر لي الشكر واوزعا اياه ووزع الشكر كناية عن وزع موجبه
وهو النعمة فهو كلام في غاية الفصاحة نعمتك التي انعمت علي وعلي والدي
ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة وان اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر
واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عداد هم الجنة
وتفقد الطير حقيقة التفقد فقدان الشي فقال ما لي لا اري الهدهد
يريد ولا ينفسه ثم قال ام كان من الغايبين قرينة انها دبصرتكنه
بسبب ولما كان المذكور في قوته نزل منزلته وعطف عليه علي
سبيل العطف من جهة المعني وكان الغالب علي ظنه هذا الاحتمال
دل عليه عبارة كان فلذلك قال لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه
والقائه في الشمس وحيث ام النمل باكله اوجعله مع ضده في قفص او
لاذبحنه ليعتبر به ابنا جنسه اوليانيني بسلطان مبين بحجة تبين
عذره والسلطان في الاصل الظهار ما يتسلط به والحلف في الحقيقة
علي احد الامرين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضي ذلك وقوع احد
الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما فمكث اي كان غايبا
فمكث فالفا فصيحة غير بعيد اي لبث زمانا غير بعيد عن وقت
تفقده يريد به الدلالة علي سرعة رجوعه خوفا منه عليه السلام
ولما كان المذكور في حكم الاخبار عن مجيئه عن قريب رتب عليه قوله
فقال احطت بما علمت من جميع جهاته شيئا لم تحط به يعني حال
سبا وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له علي انه في ادني خلق الله تعالي
من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه
ويكون لطفا في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلما وجيتك من سبا
قري مصروفا علي انه اسم للحي اوللاب الاكبر وغير مصروف علي تاويل
القبيلة او البلدة بنبا بخبر له شان اي بهذا النوع من الاطناب
من جهة المعني تشريفا له حتي يتشوق ليكسر سورة عظيمة يقين
محقق اني وجدت امراة يعني بلقيس بنت شراحيل وانما قالت
وجدت دون رايت اشعارا بغرابة الحال حيث كانت تلك العظمة
والشوكة وقرب المكان مجهولة لسليمان عليه السلام واصحابه
تملكهم الضمير لسبا اولاهلها وانما لم يقل تملكها لانه اراد بيان
ملكها وسلطتها وتعيين ذلك بالاضافة الي اهل الديار لا بالاضافة
اليها ففيه ايضا تقوية لمعني الغرابة المقصودة بعبارة الوجدان
حيث كانت امراة ملكة قبيلة عظيمة واوتيت من كل شي قد نبهت

فيما تقدم ان المراد من كل شيء في مثل هذا المبالغة في الكثرة لمن قيده بقوله
يحتاج اليه الملوك فيقدر فوق تلك المبالغة ولها عرش عظيم سرير كبير
قدرا او قيمة وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله اضلهم الله تعالى وزين لهم الشيطان فالواو فصيحة والجملة معطوفة
على مقدر اعمالهم من عبادة الشمس وغيرها من قبائح الافعال فصدهم من صد
عن السبيل اذا اعترض دونه ومانع من عقبة او غيرها فاستدب غيرهم ففيه
ثلاثة معان المنع والدفع والصرف عن السبيل طريق الحق والصواب
وانما اطلق السبيل لان السبيل الذي لا يجوز سلوكه ممنوع فكانه ليس
بسبيل فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله اي فصدهم لان لا يسجدوا
فحذف الجار مع ان فادغمت النون في اللام او زين لهم الشيطان الا
يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان لا يسجدوا
بزيادة لا وقرئ الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويسجدوا اعني يا
اسجدوا والنداء والمنادى مضمر اي يا هؤلاء اسجدوا والله وعلى هذا صح
ان يكون استينافا من سليمان عليه السلام او من الله والوقف على
يهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين
يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها الذي يخرج الخبء في
السموات والارض الخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق
الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في
الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى
الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بذاته ويعلم ما يخفون وما
يعلنون وصف له تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق الوجود
من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على السجود وردا على من يسجد
لغيره وتقديم ما يخفون على ما يعلنون مع ان مقتضى اسلوب
الترقي تاخيره عنه للتسوية بين جزئي الكلام في الاهتمام الله لا اله الا
هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها
فبين عظمه وعظم عرشها بون بعيد وقرئ العظيم بالرفع نعتا لله تعالى
قال عليه السلام للهدهد سننظر من النظر بمعنى التامل اصدقت
فيما اخبرت ام كنت من الكاذبين هذا ابلغ من اكذبت لانه اذا كان
معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة وانما استحق هذه
المبالغة على تقدير الكذب لانه اخبر بامر عظيم وبالغ فيه اذهب بكتابي
هذا فالقه انما امره بالالقاء لان الطاير لا يمكنه تبليغ الكتاب مقاولة
الا انه ضمنه معنى الايصال ولذلك قال اليهم اي اطرحه على وجه
يصل اليهم ولما كان المقام مقام التاني الذي يقتضي قدرا من الزمان

ننبه عليه

ننبه عليه بقوله ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا يروك
ليكون ما يقولونه بمنظر منك على ما دل عليه قوله فانظر ماذا يرجعون
من الرجع لا من الرجوع اي ماذا يردون في مقابلة كتابنا قالت يا ايها الملا
اي قالت ملكة سبا لاشراف قومها بعد ما القى الهدهد ما امر به اني
القي الي كتاب كريم حسن مضمونه او مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب
ختمه انه من سليمان استيناف كانه قيل لها ممن هو فقالت انه اي ان
الكتاب وانه اي وان المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال
من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا الا تترفعوا علي
وان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود
ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتوني مسلمين منقادين فقولها ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها صريح في ان الدعوة كانت دعوة السلطنة
لا دعوة النبوة قالت يا ايها الملا افتوني اشيروا علي في امري في الامر
الذي نزل بي والفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة
من الفتي في السن والمراد ههنا الاشارة عليها بما عندهم من الراي وقصدها
بالرجوع الى استشارتهم تطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها
ولذلك قالت ما كنت قاطعة في الزمان الماضي قاطعة قاضية امرا اي
ممضية حكما حتى تشهدون بكسر النون والفتح لحن لان النون انما تفتح
في موضع الرفع وهنا موضع النصب واصله تشهدوني فحذفت النون
الاولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها وبالياء في الوصل والوقف اي
كانت عادتي ان لا ابت امرا الا بحضرتكم فكيف في هذه النازلة الكبرى فراجعها
الملا بما يقر عينها من اعلامهم اياها بانهم في القوة والباس ثم سلموا الامر
الى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع قالوا مجيبين لها نحن اولوا قوة
واولوا باس شديد ارادوا بالقوة الاجساد والالات وبالباس النجدة
والبلاء في الحرب اي قادرون على القتال لا فتور فينا ولا قصور
لوفور عددنا وعددنا وانما قدموا هذا الكلام لكيلا يتوهم العجز من
من تفويض الامر اليها بقولهم والامر اليك موكول فانظري ما
ذا تامرين من الحرب والصلح نطيعك ونمتثل امرك قالت ان الملوك
اي بصيغة الجمع تنصيصا على تعميم الحكم للافراد فان في الجنس احتمال
الخصوص اذا دخلوا قرية يعني عنوة بقرينة قوله افسدوها بالتخريب
وجعلوا اعزة اهلها اذلة اهانوا اشرافها لتستقيم لهم الامور
زيفت ما احسنت منهم من الميل الى المحاربة بادعائهم اسباب
الغلبة وذكرت لهم سوء عاقبة الحرب واشعرت بانها ترى الصلح
مخافة ان يتخطى سليمان عليه السلام خططهم فيسرع الى افساد

ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم **وكذلك يفعلون** تأكيد لما وصفت من حالهم
وتقرير بأن ذلك عادتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله تعالى
وإني مرسلة إليهم بهدية رسولا بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة
فناظرة بم يرجع المرسلون بالرعاية أو بالإهانة حتى أعمل
بحسب ذلك المرسلون الرسول ومن أرسله معه **فلما جاء سليمان** أي
الرسول وقرئ فلما جاءوا أي المرسلون سليمان **قال أتمدونن بمال** خطاب
للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب استفهام إنكار و
الفاء في قوله **فما آتاني الله** تعليلية أي فالذي أعطاني الله تعالى من النبوة
والملك وسخر لي الجن والإنس والريح والطير والوحش **خير مما آتاكم** فلا
حاجة لي بهديتكم ولا وقع لها عندي **بل** إضراب عن إنكار الإمداد بالمال
عليه وتعليله إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على
حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها **أنتم بهديتكم** والهدية اسم لما
يهدى كما أن العطية اسم لما يعطى فيضاف إلى المهدي والمهدى له تقول
هذه هدية فلان تريد الذي أهداها أو أهديت إليه **تفرحون** لأنكم
لا تعلمون إلا ظاهر الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى إليكم لزيادة أموالكم
أو بما تهدونه افتخارا على أمثالكم **ارجع** خطاب للرسول **إليهم** إلى
بلقيس وقومها **فلنأتينهم** أي إذا لم تأتوني مسلمين فلنأتينهم **بجنود**
بأنواع من الجنود **لا قبل لهم بها** لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقابلة والمقاومة
أي لا يقدرون أن يقابلوهم **ولنخرجنهم منها** من ديارهم **أذلة** الذل
أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك **وهم صاغرون** الصغار أن
يقعوا في أسر واستعباد فلما رجع إليها رسولها بالهدايا وقص عليها
القصة قالت هو نبي من عند الله وما لنا به طاقة ثم جعلت عرشها
في آخر سبعة أبيات وغلقت الأبواب ووكلت حرسا يحفظونه وبعثت
إلى سليمان عليه السلام إني قادمة إليك لأنظر ما الذي تدعو إليه
وشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف فلما بلغت على
رأس فرسخ من سليمان عليه السلام **قال** سليمان **يا أيها الملأ أيكم يأتيني
بعرشها** أراد أن يريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء
العجائب على يده لتطلع على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان
عليه السلام حتى تصدقه وتؤمن به ثم إنه قصد في ضمن هذا فائدة
أخرى على ما تقف عليها **قبل أن يأتوني مسلمين** وإنما تعرض
بوصف الإسلام إعلاما بأن أخذه عرشها ليس طمعا فيه فإن النبي
بمعزل عن مظنة الطمع في مال من علم أنه يأتيه مسلما وأما ما قيل إنها
لو أسلمت لحظر عليه مالها فلا يؤتى به فإنما يصح وجها لطلبه عرشها

قبل

قبل أنها مسلمة لا لتقييد أمره بذلك التقييد **قال عفريت من الجن** العفريت
الخبيث المنكر العفر أقرانه ولا اختصاص له بالجن ولذلك احتاج إلى البيان
بقوله من الجن روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صخر الجني **أنا
آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** صالح للاسمية والفعلية من مقامك
يعني مجلسه للقضاء وهو من الغداة إلى نصف النهار **وإني عليه** أي
على الإتيان به **لقوي** لقادر وإنما عبر عن القدرة بالقوة لحاجة
في تحصيل ما ذكر إلى القدرة بالقوة **أمين** آتي به كما هو لا أختزل منه
شيئا ولا أبدله **قال** الفصل بين القولين لأن أحد القائلين لم يكن من
جملة المخاطبين والظاهر أنه هو الثاني منهما واحتمال أن يكون المراد
من القائل الثاني سليمان عليه السلام يرده كاف الخطاب في آتيك
فإن حقه حينئذ أنا آتي به وأيضا لا يناسبه قوله فلما رآه إنما
المناسب حينئذ أن يقول فلما أتى به والمشهور أنه آصف بن برخيا
كاتب سليمان عليه السلام ويناسبه التعبير عنه بقوله **الذي عنده
علم من الكتاب** وفي التوصيف به إشارة إلى أنه ما قدر على ما قدر
عليه بقوة جسمانية بل بقوة صمدانية **أنا آتيك به قبل أن يرتد
إليك طرفك** الطرف تحريك الأجفان أي بين امتداد الطرف
بفتحها وارتداده بطبقها وليس فيه وضع الطرف موضع النظر
فلما رآه أي العرش والفاء فصيحة أي أذن له سليمان عليه السلام
فأتى به فلما رآه **مستقرا عنده** ثابتا غير مضطرب لديه وقراره
في موضعه أمر آخر وحضوره يحتاج إلى فضيلة على عبارة
خاصة **قال** تلقيا للنعمة بالشكر **هذا** أي حصول مرادي وهو
حضور العرش في طرفة العين **من فضل ربي** علي وإحسانه إلي من
غير استحقاق مني **ليبلوني** ليتعبدني في صورة الاختبار **أأشكر**
إنعامه **أم أكفر** أجحد **ومن شكر فإنما يشكر لنفسه** لأنه يحط
به عنها الواجب ويصونها عن وصمة الكفران ويستجلب به المزيد و
يرتبط به العتيد **ومن كفر** حذف جزاؤه وهو فإنما يكفر على نفسه
أي ضرر كفره عليه لا يتعداه لظهوره بقرينة ما ذكر في قرينته
وأقيم تعليله مقامه **فإن ربي غني** عن الشكر لا يتضرر إن لم يشكر
كريم بالإنعام لا يتوقع عوضا ولا يفعل لغرض حتى يتعطل عند عدم
حصوله فالوصف المذكور من تمام التعليل **قال نكروا لها** أراد بتنكير
عرشها تغيير مشاهده عندها ولذلك قال لها لا تبديل شكله
وتغيير هيئاته إذ حينئذ يكون منكرا مطلقا لا منكرا عندها فقط
وأيضا مدار الاختبار على التغيير في الجملة وأما وجه الاختبار فسيأتي

تفصيله تنظر بالجزم على الجواب وقرئ بالرفع على الاستئناف أتهتدي
إلى الجواب الصواب وقيل إلى الإيمان بالله ورسوله ويرد عليه أنه حينئذ
لا حاجة إلى التنكير بل لا وجه له لأن تغافل على حاله أعون على تحصيل هذا
المراد والله الهادي إلى سبيل الرشاد أم تكون أم يظهر كونها من الذين
لا يهتدون أي لا يقدرون على الاهتداء قالوا إن الشياطين خافوا
أن يتزوجها سليمان عليه السلام فيولد له منها ولد تجتمع له فطنة
الإنس والجن لأنها كانت بنت جنية فيخرجون من ملك سليمان إلى
ملك هو أشد وأقطع فقالوا إن في عقلها شيئا وهي شعر الساقين
ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش وتعرف ساقيها ورجليها
باتخاذ الصرح على ما يأتي بيانه فالمراد من كونها من الذين لا يهتدون
كونها من الطائفة الحمقى ومن ههنا تبين وجه الإطناب والله أعلم بالصواب
فلما جاءت الفاء فصيحة والمعتقد ربطه يأذن تأمل قيل أهكذا عرشك
ها للتنبيه وذا اسم إشارة ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك
لئلا يكون تلقينا قالت كأنه هو فأجابت أحسن جواب ولم تقل هو هو
ولا ليس هو وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للأمرين
أو لما شبهوا عليها بقولهم أهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كأنه
هو مع أنها علمت عرشها وأوتينا العلم من قبلها من تمام كلامها أي
وأوتينا العلم بقدرة الله وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من أمر
الهدهد والرسل من قبل هذه الحالة الخارقة للعادة وكنا مسلمين
منقادين لك مطيعين لأمرك وكأنها وقفت على ما قصده سليمان
عليه السلام بذلك أولا وآخرا وصدها كلام مبتدأ من الله تعالى
ما كانت تعبد من دون الله أي منعها عن التقدم إلى الإسلام
عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة ثم بين نشأها بينهم بقوله
إنها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الإبدال من فاعل صد أي
صدها نشؤها بين أظهر الكفار أو على التعليل فيكون لام التعليل
محذوفا من أن قيل لها ادخلي الصرح الصرح هو الموضع البسيط
المنكشف من غير سقف ومنه قولهم صرح بالأمر إذا أفصح به ولم
يكن عنه وكان ذلك الصرح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء جار
فيه سمك فلما رأته حسبته لجة اللجة معظم الماء وكشفت عن ساقيها
لتخوضه والواو فصيحة عاطفة على مقدر تقديره فشمرت ذيلها
فالمرتب على الحسبان المذكور مجموع المعطوفين والواو المذكورة
كاشفة عن هذا وكان سليمان عليه السلام على سريره في صدر
الصرح فرأى ساقيها وقدميها حسانا فصرف بصره ثم قال

لها إنه صرح ممرد مملس مستو ومنه الأمرد من قوارير من الزجاج
وأراد سليمان عليه السلام تزوجها فكره شعرها فعمل له الشياطين النورة
فأزالته فنكحها قالت رب إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك وأسلمت
مع سليمان أي تابعة إياه لله رب العالمين فيه التفات من الخطاب
إلى الغيبة لإظهار أن إسلامها له تعالى وهو الوهية المستتبعة
لربوبيته للعالمين ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم في النسب صالحا
بدل له أن اعبدوا الله بأن اعبدوا الله أي وحدوه فإذا للمفاجأة
هم مبتدأ فريقان خبره يختصمون صفة وهي العامل في إذا والمعنى
فاجأ قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق
الحق معي وقد مر تفصيله في سورة الأعراف قال حين قال الفريق الكافر
يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة
بالعذاب الذي توعدون به قبل الحسنة قبل التوبة لولا هلا تستغفرون
الله تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والإيمان قبل نزول العذاب
لعلكم ترحمون بالإجابة قالوا اطيرنا بك تشاءمنا بك لأنهم قحطوا أم
عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه إلى مجيئه والأصل تطيرنا وقرئ به فأدغمت
التاء في الطاء وزيدت الألف لسكون الطاء وبمن معك من المؤمنين
قال طائركم عند الله أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله
وهو قدرته وقسمته أو عملكم مكتوب عند الله تعالى فمنه نزل بكم ما نزل
عقوبة لكم وفتنة وقد مر أصل ذلك في تفسير قوله تعالى وكل إنسان
ألزمناه طائره في عنقه بل إضراب من بيان السبب إلى بيان سبب
السبب أنتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء وكان في
المدينة أي مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط الرهط اسم الجماعة فكأنهم
كانوا رؤساء يتبع كل واحد منهم رهط كذا قال القرطبي يفسدون في
الأرض ولا يصلحون أي شأنهم الإفساد الخالص من شوب الصلاح
قالوا أي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله خبر في محل الحال بإضمار
قد لأنه ماض أي قالوا متقاسمين أو أمر بعضهم بعضا بالقسمة
لنبيتنه أي لنقتلنه مباغتين ليلا وأهله ولده وتبعه ثم لنقولن لوليه
لرهطه الذي له ولاية الدم ما شهدنا ما حضرنا مهلك أهله المهلك
من أهلك يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا المهلك بكسر اللام وقرئ
بالفتح أيضا فيكون مصدرا أي لم نتعرض لأهله فكيف تعرضنا له أو
ما حضرنا موضع هلاكه فكيف توليناه وإنا لصادقون فيما ذكرنا ومكروا
مكرا في ذلك ومكرنا مكرا أي جزيناهم على مكرهم بتعجيل العقوبة وهم
لا يشعرون بذلك فانظر كيف كان عاقبة مكرهم كما أن كانت

ناقصة فخبرها كيف وان كانت تامة فكيف حال انا دمرناهم قرئ بكسر
الهمزة على الاستيناف او خبر محذوف وقرئ بفتحها على انه خبر او بدل
من اسم كان او خبر له وكيف حال ويكون التقدير لانا او حذف حرف الجر
وقومهم اجمعين بالصيحة فتلك بيوتهم خاوية ساقطة متهدمة
من خوى النجم اذا سقط او خالية من الخوى وهي حال عمل فيها ما دل عليه
تلك بما ظلموا بظلمهم ان في ذلك لاية فيما فعل بثمود لقوم يعلمون
فيتعظون وانجينا الذين امنوا بصالح وكانوا يتقون عصيانه ولوطا
واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا اليه والاول انسب
لما نزل اولا والثاني لما نزل مكررا اذ قال بدل من لوطا على الاول
اي واذكر وقت قوم لوط وظرف على الثاني لقومه اتاتون الفاحشة
الاستفهام للانكار والتوبيخ والفاحشة الفعلة القبيحة والمراد اللواطة
ابهم هنا ثم بينها بقوله لتاتون الرجال تقريرا وتنبيها على ان معنى
الفاحشة بلغ الغاية فيها حتى صار علما لها ثم ان في البيان المذكور
تنبيها على ان المراد من الفاحشة محلها بطريق المجاز وايمانه كناية
عن فعل اللواطة وانتم تبصرون والحال ان لكم الابصار يعني ان
قباحة ذلك المحل من المحسوسات فوجود البصر كاف في ادراكها ائنكم
لتاتون الرجال اثر الرجال على الذكور ليزداد قبح الابيان المذكور
شهوة للشهوة ناظر الى قوله وانتم تبصرون كانه قيل القباحة هنا في
درجة حتى من له البصر يرغب عنه تنزها وانتم ترغبون فيه شهوة
من دون النساء يعني ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق
الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهو مضادة لله تعالى في حكمته بل انتم
قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك
او اريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها وقد اجتمع هو
الخطاب والغيبة هنا وفي قوله بل انتم قوم تفتنون فغلب المخاطب
على الغايب لانه اقوى اذ الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين
فما كان جواب قومه الا ان قالوا خبر كان جواب واسمه ان قالوا
اخرجوا ال لوط اي لوطا ومتبعيه تناول الامر له عليه السلام دلالة
من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن القاذورات فينكرون
هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم تعليل للامر المذكور على وجه يتضمن
الاستهزاء لانه على طريقة لانت الحليم الرشيد فانجيناه الفا فصيحة
واهله يعني من العذاب بقومه الا امراته قدرناها اي قدرت
كونها استيناف للتعليل من الغابرين من الباقين في العذاب
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قد مر تفسيره في سورة

الاعراف قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله عليه السلام
بتحميده ثم بالسلام على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة
على وحدانيته وقدرته على كل شي وهو تعليم لكل متعلم في امر ذي بال
بان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما وهو خطاب للوط عليه السلام ان
يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله تعالى ونجاه
من هلكهم وعصمه من ذنوبهم الله خير اما يشركون لا خير فيما اشركوه
اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شي وانما هو الزام لهم وتهكم
بحالهم لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب
ان يكون للخير الزايد ثم عدد سبحانه وتعالى الخيرات والمنافع التي هي
اثار رحمته وفضله فقال امن بل من خلق السموات والارض تقرير
لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شي وانزل لكم من
السماء ماء مطرا وفي قوله لكم تنبيه على الغيث وان لم يخلوا من الضرر
لان المقصود من انزاله النفع فانبتنا صرف الكلام عن الغيبة الى
التكلم تاكيدا لمعنى اختصاص الفعل لذاته وايذانا بان انبات الحدايق
المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها بماء واحد لا
يقدر عليه الا هو وحده به اي بالماء حدايق الحديقة البستان عليه
حايط من الاحداق وهو الاحاطة ذات لم يقل ذوات لان المعنى جماعة
حدايق كما تقول النساء ذهبت بهجة حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح
معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدايق
ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتي ذلك محال من غيره ءاله مع الله
اغيره يقرن به ويجعل شريكا له بل هم قوم يعدلون به غيره او
يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطية
رايهم امن جعل الارض وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها
حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها وجعل خلالها ظرف اي
وسطها وهو المفعول الثاني والاول انهارا وبين البحرين مستدبه
وجعل لها للارض رواسي جبالا تمنعها عن الحركة وجعل بين البحرين
العذب والملح حاجزا مانعا ان يختلطا ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون
التوحيد فلا يؤمنون امن يجيب المضطر اذا دعاه الاضطرار افتعال
من الضرورة وهي الحالة المحوجة الى اللجا يقال اضطر على كذا والفاعل
والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة
من نوازل الدهر الى اللجا الى الله تعالى او المذنب اذا استغفر او المظلوم
اذا دعا واللام لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف
السوء اي الضر او الجور ويجعلكم خلفا الارض اي فيها وذلك توارثهم

سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط
وهذا اتم من الاولين واعم واجل وقعا واهم ولهذا افصل بعدم التذكير وبولغ
فيه االه مع الله قليلا ما تذكرون ما مزيدة اي تذكرون تذكرا قليلا
ويجوز ان يراد بالقلة العدم امن يهديكم يرشدكم بالنجوم في ظلمات
البر والبحر ليلا وبعلامات في الارض نهارا والظلمات ظلمات الليالي
واضافتها للبر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق على الاستعارة
ومن يرسل الرياح بشرى من البشارة وقد مر في سورة الفرقان
بين يدي رحمته قدام المطر االه مع الله تعالى الله عما يشركون تعالى
القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق تذييل كالنتيجة للايات
السابقة امن يبدؤا الخلق ثم يعيده انما قيل لهم ثم يعيده وهم ينكرون
الاعادة لانه ازيحت علتهم بالتمكن من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم
عذر من الانكار ومن يرزقكم من السما والارض اي باسباب سماوية
وارضية االه مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم حجتكم على اشراككم
ان كنتم صادقين في دعواكم ان مع الله الها اخر قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله استثنا من فاعل يعلم والغيب هو ما لم يقم
عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعوله والله بدل من من والمعنى
لا يعلم احد الغيب الا الله ثم ان الله تعالى عن ان يكون ممن في
السموات والارض ولكنه جا على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثنا
المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في
المتصل يقولون ما في الدار احد الا حمار نزلت الاية في المشركين
حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة وما يشعرون
ايان متى يبعثون يبعثون بل ادرك اي انتهى وتكامل
من ادركت الفاكهة تكاملت نضجا وقرئ ادارك اي استحكم واصله
تدارك فادغمت التا في الدال وزيد الف الوصل ليمكن التكلم بها
علمهم في الاخرة اي في شان الاخرة والمعنى ان اسباب استحكام
العلم وتكامله بان القيمة كائنة لا ريب فيه قد حصلت لهم ومكنوا من
معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل
هم منها عمون والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم
وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون
ان القيمة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه
والازالة مستطاعة ثم بما هو اسوا حالا وهو العمى وقد جعل الاخرة مبدا
عماهم ومنشا فلذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزا
هو الذي منعهم عن التدبر والتفكر وجاز ان يكون وصفهم باستحكام

العلم وتكامله

العلم وتكامله تهكما بهم وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى
علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته
ويجوز ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني وهو من قولك ادركت الثمرة
لان ذلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم
وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وقال الذين
كفروا ااذا كنا ترابا واباؤنا اينا لمخرجون اي من القبور احيا وتكرير
حرف الاستفهام انكار بعد انكار ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه
والعامل في اذا ما دل عليه لمخرجون لا نفسه لان همزة الاستفهام
وان ولام الابتدا كل منها يمنع عن العمل فيما قبله والضمير في اانا لهم
ولابائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم واباهم لكنه غلبت الحكاية على
الغايب واباؤنا عطف على الضمير لان المفعول ترابا جرى مجرى
التاكيد لقد وعدنا هذا اي البعث نحن واباؤنا من قبل اي من قبل
محمد عليه السلام قدم هنا هذا على نحن واباؤنا وفي المؤمنين اخر
عنه ليدل على ان المقصود بالذكر هنا البعث وثم المبعوث ان هذا
الا اساطير الاولين ما هذا الا احاديثهم واكاذيبهم قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اي اخر امر الكافرين
وفي ذكر الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله فدمدم عليهم
ربهم بذنبهم ولا تحزن عليهم لاجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا
ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك فان
الله يعصمك من الناس ويقولون متى الوعد اي وعد العذاب
ان كنتم صادقين ان العذاب نازل بالمكذب قل عسى ان يكون ردف
لكم تبعكم ردف يتعدى بنفسه وباللام ومن وهم ان تعديته باللام
بتضمين معنى متناول فقد وهم لان ذلك المعنى حاصل لردف ثم
ان تعديته دنى وقرب بمن لا باللام بعض الذي تستعجلون
استعجلوا العذاب الموعد وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف
وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وعلى ذلك جرى
وعده تعالى ووعيده وان ربك لذو فضل اي افضال على الناس
بترك المعاجلة بالعذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون اي اكثرهم لا يعرفون
حق النعمة فيه ولا يشكرونه بل يستعجلون لجهلهم وقوع العذاب وان
ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه الاكنان قال الرماني الاكنان
جعل الشي بحيث يخفى اذى لمانع يصده عنه وما يعلنون يظهرون
فليس تاخير العذاب لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر وما من غائبة
في السما والارض سمي الشي الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية والتا

فيها كالتا في العاقبة والعافية ونظايرها الرمية والزبيحة والنطيحة
في انها اسما غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاوهما للمبالغة
كالراوية **الا في كتاب مبين** بين او مبين لما فيه لمن يطالعه والمراد
من الكتاب اللوح **ان هذا القران يقص على بني اسرايل** اي يبين لهم
والقصص كلام يتلو بعضه بعضا فيما ينبي عن المعنى **اكثر الذي
هم فيه يختلفون** كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير
والمسيح والاختلاف ذهاب كل واحد الى خلاف ما ذهب اليه صاحبه
وهذا تحريك للمشركين على اتباع القران فانه لما كان فيه بيان لاهل
الكتاب وهم يرجعون اليهم في كثير من امورهم فكان حقهم ان يرجعوا
اليه لانه مرجع مرجعهم وكان منزلا على بعث منهم **وانه لهدى
ورحمة للمومنين** لانهم المشفعون به **ان ربك يقضي بينهم**
بين من امن بالقران وبين من كفر به **بحكمه** اي بعدله لانه لا يقضي الا
بالعدل فسمي المحكوم به حكما او بحكمته ويدل عليه قراة بحكمه جمع حكمة
وهو العزيز فلا يرد قضاوه **العليم** بمن يقضي له وبمن يقضي عليه
فتوكل على الله فلا تبال بمعاداتهم **انك على الحق المبين** علل التوكل بانه
على الحق الابلج وهو الدين الواضح وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق
بالوثوق لحفظه على الله ونصره **انك لا تسمع الموتى** تعليل اخر للامر
بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه من مشايعتهم ومعاضدتهم راسا
وانما شبهوا بالصم بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما
شبهوا بالصم في قوله **اذا ولوا مدبرين** لانه اذا تباعد عن الداعي
بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته **وما انت بهادي
العمي** الهداية لا يلزمها الاهتدا دل على ذلك قوله تعالى واما
ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فلا جرم زيد قوله
عن ضلالتهم حتى يكون المنفي الهداية المنجية عن الضلالة لا مطلق
الهداية لانها غير ممتنعة في حق العمي **ان تسمع** ما كلام الله تعالى اذ
حينيذ تثبت نبوته عليه السلام فيقبل قوله فيجدي اسماعه نفعا
فهم مسلمون مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله اي جعله سالما
لله خالصا له **واذا وقع القول عليهم** سمي معنى القول ومؤداه وهو
ما وعدوا من قيام الساعة وعذابه بالقول ووقوعه حصوله والمراد
مشارفة الساعة وظهور اشراطها **اخرجنا لهم دابة** هي الجساسة
في الحديث طولها ستون ذراعا ولها اربع قوايم وزغب وريش وجناحان
لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب **من الارض** اي من
ارض مكة حرمها الله يعني المسجد الحرام **تكلمهم** وقرى تكلمهم

وقال

519

وقال ابو الجوزا سالت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما تكلمهم او تكلمهم
فقال كل ذلك تفعل تكلم المومن وتكلم الكافر وقيل تكلم بالعربية وتقول
ان الناس كانوا باياتنا خروجها وسائر احوالها فانها من
ايات الله تعالى **لا يوقنون** لا يتيقنون وهو حكاية معنى
قولها وحكايتها لقول الله تعالى او علة خروجها وقرى ان
بالكسر ثم ذكر قيام الساعة فقال **ويوم نحشر من كل امة فوجا**
اي واذكر يوم نجمع من كل امة من الامم زمرة ومن للتبعيض لان
امة كل نبي اهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين ومن في قوله
ممن يكذب للتبيين **باياتنا** المنزلة على انبيائنا **فهم يوزعون**
يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب
وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة
حتى اذا جاوا حضروا موقف الحساب والسوال **قال** لهم تعالى تهديدا
اكذبتم باياتي المنزلة على رسلي **ولم تحيطوا بها علما** الواو للحال
كانه قال اكذبتم باياتي بادي الراي من غير فكر ولا نظر يودي
الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيق بالتصديق او بالتكذيب او
للعطف اي اجمعتم بين التكذيب وعدم القا الاذهان لتحققها
اماذا كنتم تعملون ام اي شي كنتم تعملونه بعد ذلك وهو
للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا
فعلنا غير ذلك وانما جاز دخول ام على ما الاستفهامية لهذه
النكتة فانها خرجت عن حقيقة الاستفهام الى البت بالحكم لا
بالمعادل بل بالاول **ووقع القول عليهم بما ظلموا** احل بهم العذاب
الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب **فهم لا ينطقون** فيشغلهم
عن النطق والاعتذار قال الله تعالى هذا يوم لا ينطقون **الم يروا**
ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل
والنهار مبصرا جعل الابصار للنهار وهو لاهله للمبالغة فيه
يجعل الابصار حالا من احوال المحمول بحيث لا ينفك عنها وهذا
من باب ما حذف من احد المتقابلين ما اثبت في الاخر فالتقدير
جعلنا الليل مظلما ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ليتصرفوا فيه ومن
غفل عن هذا قال والتقابل مرعي من حيث المعنى لان مبصرا يعني
ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب **ان في ذلك لايات** لدلالات
على الامور الثلاثة لان المعنى الم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار
قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة
وابتلا ولا بد حينيذ عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه

الدار فلابد من دار اخرى للثواب والعقاب **لقوم يؤمنون** خصوا
بتلك الايات لاختصاص الانتفاع بها بهم **ويوم** واذكر يوم **ينفخ
في الصور** هو قرن والنافخ اسرافيل عليه السلام روى ابو هريرة رضي
الله عنه انه ينفخ ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع ثم بعد باربعين
يوما نفخة الصعق ثم نفخة البعث فما قيل انه تمثيل لانبعاث
الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ليس بذلك **ففزع** الفزع
والجزع اخوان لكن الفزع ما يعتري من الشيء المخيف والجزع ما
يعتري من الشيء المؤلم **من في السموات ومن في الارض** من الهول
وعبر عنه بالماضي للاشعار بصحة وقوعه وانه كائن لا محالة ولا
حاجة الى هذا الاشعار في الاول لانه منشأ الفزع فالقطع بوقوع
هذا يقتضي القطع بوقوع ذلك **الا من شاء الله** ان لا يفزع
بان ثبت الله تعالى قلبه قالوا هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل
وملك الموت عليهم السلام وقيل وقيل **وكل اتوه داخرين** حاضرون
الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره صاغرين **وترى
الجبال تحسبها** حال من المخاطب **جامدة** واقفة ممسكة في مكانه
عن الحركة من جمد في مكانه اذا لم يبرح **وهي تمر مر السحاب** اي مرا مثل
مر السحاب والمعنى انك اذا رايت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة
في مكان واحد وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربته الريح
وهكذا الاجرام المتلاصقة المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تتبين حركتها
صنع الله مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها كمر السحاب
من صنع الله فكانه قيل صنع الله ذلك وذكر اسم الله لانه لم يذكر قبل
الذي اتقن اي احكم صنعه ولقد اصاب عبارة الصنع والاتقان
محزها وذلك ان بقا صورة الجبال بعد ما تخلخلت وصارت كالعهن
المنفوش دل على كمال الاتقان من جهة الصنع وهو تركيب الصورة في
المادة وهذا الاتقان ينتظم **كل شيء** قويا كان تركيبه او ضعيفا **انه خبير
بما تفعلون** عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم على حسب ذلك
ثم لخص ذلك بقوله **من جاء** يوم القيمة **بالحسنة** قال اكثر المفسرين
الحسنة ههنا كلمة الاخلاص والسيئة ضدها وهو الشرك لانه قال
في حقها فكبت وجوههم في النار **فله خير منها** اي خير حاصل من
جهتها **وهم من فزع** شديد اي من فزع شديد مفرط الشدة وهو
خوف النار او من فزع ما وان قل وقرئ بالاضافة الى **يومئذ**
لانه جعل يوم مع اذ كان لاسم الواحد والمراد يوم القيمة **امنون**
امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله **ومن جاء بالسيئة فكبت**

يقال كبه واكبه اذا انكبه **وجوههم** انفسهم يعبر عن الجملة بالوجه كما يعبر
بالراس والرقبة عنها **في النار** اي القوا على رؤسهم فيها ويقال لهم تبكيتا
عند الكب **هل تجزون الا ما كنتم تعملون** في الدنيا من الشرك والمعاصي **انما
امرت ان اعبد رب هذه البلدة** مكة خصها من بين البلاد باضافة
اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واعظمها عنده واشار اليه بقوله هذه
اشارة تعظيم لها وتقريب والاعلام بانها موطن بيته نبيه عليه السلام
ومهبط وحيه **الذي حرمها** جعلها حرما امنا **وله كل شيء** خلقا وملكا
وصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته
وملكوته كالتابع لدخولها تحته ولا خفا في ان اجرا الوصف وزيادة
اختصاص له بمن اجرى عليه الوصف وجعل ذلك كالمسلم المفروغ
عنه ولا كذلك لو قيل التي حرمها وصف البلدة تخصيصا او مدحا
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين له **وان اتلو القران** من
التلاوة او من التلو لقوله اتبع ما اوحي اليك امر الرسول بان يقول امرت
ان اخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش
وان اكون من الحنفا الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القران لاعرف
الحلال والحرام وساير الاحكام وما يقتضيه الاسلام **فمن اهتدى** باتباعه
اياي في ذلك **فانما يهتدي لنفسه** فمنفعة اهتدايه راجعة اليه لا الي
ومن ضل بمخالفتي وحذف جواب هذا لدلالة مقابله عليه اي فمضرة
ضلاله راجعة اليه لا الي ولما حذف ذلك اقيم تعليله مقامه وهو قوله
فقل انما انا من المنذرين اي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول
الا البلاغ **وقل الحمد لله** ثم امرني ان يحمد الله تعالى على نعمة النبوة او على
التوفيق للعلم والعمل به **سيريكم اياته** القاهرة في الدنيا او في الاخرة
فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله تعالى ولكن حين لا ينفعكم
المعرفة **وما ربك بغافل عما تعملون** فلا يغرنكم تاخير العقوبة
فانه امهال لا اهمال

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك ايات الكتاب المبين ابان لازم ومتعد اي مبين
خيره وبركته او مبين لما يهم بيانه والبيان اظهار المعنى للنفس
بما يميزه عن غيره مشتق من ابنت كذا اذا فصلته عنه **نتلوا** نقرأ
عليك اي بعث جبريل عليه السلام بامرنا ومفعول نتلو **من نبا**
البنا الخبر عما هو عظيم الشان **موسى وفرعون** اي نتلو عليك بعض
خبرهما **بالحق لقوم يؤمنون** لانهم هم المنتفعون به **ان فرعون**
استئناف مبين لذلك البعض **علا** تعاظم **في الارض** يعني مصر وانما عبر

عنه بما هو اسم لجهة السفل اشعارا بانه اظهر ضد ما يليق بشأنه وجعل اهلها
شيعا فرقا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا فهو كالتمهيد لما استانف
باخباره في قوله يستضعف طائفة منهم هم بنو اسرائيل منهم من الشيع المذكورة
فانهم لو كانوا متفقين لما تيسر له ذلك يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم
بدل من الاستيناف السابق وقد تقدم تفسيره في سورة الاعراف انه كان
من المفسدين من زمرة المعروفين بالفساد فلذلك اجترأ على قتل خلق
كثير لتخيل فاسد ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون
علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبا او حال من يستضعف ويجوز
ان يتحقق تعلق الارادة بتكوين في زمان مترقب وهذا لتكون نعمة المنة
او قطع وسلطان التقدير على التدبير اظهر ان نمن نتفضل عليهم بانقاذهم
من بأسه على الذين استضعفوا في الارض وانما قال في الارض مع عدم الحاجة
اليه ههنا ليتمشى جعل التعريف في الوارثين عوضا عن الاضافة اليها
ونجعلهم ائمة متقدمين في امر الدنيا والدين ونجعلهم الوارثين اي يرثون
الارض المعهودة لما كانت الوراثة اقوى سبب في الاستحقاق والتملك
حيث لا يعقب بفسخ ولا استرجاع ولا يبطل برد واسقاط استعيرت
لاستحقاقهم بمن الله تعالى ونمكن لهم اصل التمكين ان يجعل للشيء مكانا
يقعد عليه ويرقد فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر في الارض اظهر
في مقام الاضمار تفخيما لشان تلك الارض ونري فرعون وهامان
كان هامان وزير فرعون ومدبر ملكه فلذلك شركه في اضافة الجنود
اليهما وجنودهما منهم من بني اسرائيل ويتعلق بنري دون يحذرون
لان الصلة لا تتقدم على الموصول ما كانوا يحذرون من ظهور موسى
عليه السلام واما ذهاب ملكه وهلاكهم فليسا مما راوهم الحذر التوقي
من الضرر وزيادة كان لبيان استمرارهم مدة مديدة على ذلك الحذر
واوحينا الى ام موسى قد تقدم تفسيره في سورة طه ان
ارضعيه اي الهمي تركك فمه وان تفسيرية او مصدرية فاذا
خفت عليه من القتل بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه فالقيه
في اليم قد مر تفصيله في سورة طه ولا تخافي من الغرق والضياع
ولا تحزني بفراقه ولا اخطار به الخوف هم يلحق لمتوقع والحزن هم
يلحق لواقع انا رادوه اليك بوجه لطيف لتربيه وجاعلوه من
المرسلين في هذه الآية امران ونهيان وخبران وبشارتان فالتقطه
الفاء فصيحة تفصح عن محذوف تقديره فارضعته الى ان خافت
عليه فالقته في اليم فالتقطه آل فرعون اي اخذوه وقد وجدوه
من غير طلب وهو معنى الالتقاط ومنه اللقيط واللقطة ليكون لهم اي

ليصير

ليصير الامر الى ذلك لا انهم اخذوه له كقولهم للموت ما تلد الوالدة و
عن هذا سموا هذه اللام لام العاقبة والصيرورة وهي في الحقيقة لام
التعليل وذلك ان كونه لهم عدوا وحزنا لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته
شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وبعد اعتبار هذا التشبيه
على طريق الاستعارة المكنية لم يبق حاجة الى التجوز في اللام كما
سبق الى بعض الاوهام عدوا وحزنا وحزنا وهما لغتان كالعدم
والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما كان هامان مدبر ملك
فرعون وسائر جنده فلذلك اضافهم اليهما كانوا خاطئين مذنبين
فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على
ايديهم او كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطاؤهم في تربية عدوهم
ببدع منهم وقرئ خاطين بتخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى
الخطا وقالت امراة فرعون اي لفرعون حين اخرج من التابوت
قرة عين لي ولك قد مر تفسيره في سورة الفرقان لي ولك اي هو قرة
عين لنا لانه لما راياه حين اخرج من التابوت احباه وفي الحديث
انه قال هو لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها
لا تقتلوه الخطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل
اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت البرص برئت بريقه او نتخذه
ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من آل
فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وقالت امراة فرعون كذا وكذا وهم لا يشعرون انهم على خطر
عظيم في التقاطه ورجاء النفع في تبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة
اعتراضية وقعت بين المعطوفين مؤكدة بمعنى خطائهم وقيل
هو تمام كلام امراة فرعون ان نتخذه ولدا والناس لا يشعرون
انه ملتقط بل يظنون انه ولدنا واصبح فؤاد ام موسى فارغا
معطوف على محذوف دل عليه سياق الكلام صفرا من العقل لما دهمها
من الخوف والحيرة حين سمعت وقوعه في يد آل فرعون وقيل من
الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى ولسماعها ان فرعون عطف
عليه وتبناه ويأباه قوله لتكون من المؤمنين ويرده على الثاني
قوله وقالت لاخته قصيه ان كادت لتبدي به مخففة من الثقيلة
اي انها كادت لتبدي به لتظهر به والضمير لموسى عليه السلام والمراد
امره والباء صلة لولا ان ربطنا على قلبها الربط على القلب تقويته
بالهام الصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعدنا
وجواب لولا محذوف اي لابدته وقالت لاخته قصيه اي اتبعي

اثره اي اثر الملتقطين به وتتبعي خبره فبصرت به اي ابصرته والقا فصية
عن جنب عن بعد وهم لا يشعرون اي ال فرعون لا يعلمون انها
اخته وحرمنا عليه المراضع تحريم منع لا تحريم شرع اي منعناه
ان يرضع ثديا والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع
مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي وقيل او الرضاع ولا يلايمه
الجمع من قبل ان راته اخته فقالت اخته وقد دخلت دار فرعون
بين المراضع وراته لا يقبل ثديا هل ادلكم ارشدكم على اهل بيت ..
احترز بذلك عن الرق ودناءة الاصل فانهما مما يحترز عنه في امر الرضاع
يكفلونه لكم بالارضاع وغيره وهم له ناصحون والنصح لخلاص
العمل من شايب الفساد وهو نقيض الغش روي ان هامان
لما سمعه قال انها لتعرفه واهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت
انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن
يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما
وجد ريح امه استانس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد
ابى كل ثدي الا ثديك قالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى
بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من
يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها بالمقام معه
ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان موعده حق فيرتابون فيه فيشبه التعريض
بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى ولما بلغ اشده مبلغه الذي
لا يزيد عليه نشوه وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاقاليم
واستوى واعتدل وتم استحكامه اتيناه حكما حكمة وعلما
فقها في الدين قبل ان يبعث نبيا وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا
بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة
مدينة فرعون وهي منف بعد ان غاب عنه مدة على حين
غفلة من اهلها وهو وقت القايلة وقيل ما بين العشاءين
وباباه قوله استنصره بالامس وانما قال على حين غفلة لان
الغفلة هي المقصودة فصار هذا كما تقول جئت على غفلة وان
شئت قلت جئت على حين غفلة بخلاف ما اذا اضفت الى ما
ليس بمقصود كما اذا قلت جئت حين غروب الشمس قيل لما اوتي
موسى عليه السلام حكما وعلما عاب ما عليه قوم فرعون وفشى ذلك
منه فاخافوه فخافهم فكان لا يدخل المدينة الا خائفا مستخفيا
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه

احدهما

احدهما سبطي والاخر قبطي والاشارة الى الحكاية وفي عبارة العدو هو
نوع اشارة الى ما نقلناه انفا فاستغاثه فسأله ان يغيثه بالاعانة
ولذلك عدي بعلى الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه
موسى اي دفع صدره بجمع كفه فقضى عليه فقتله واصله انهى
حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان
اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد وانما جعل قتل الكافر من عمله
الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه لم يؤذن له
في القتل وعن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر ولا يقدح ذلك
في عصمته عليه السلام لكونه خطا انه عدو مضل مبين ظاهر
الاضلال ويلزمه ظهور العداوة بدون العكس قال رب اني ظلمت
نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له باستغفاره انه هو الغفور
لذنوب المستغفرين الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم جوابه
محذوف تقديره اقسم بانعامك علي من المغفرة وغيره لاتوبن فلن
اكون ظهيرا معينا للمجرمين الكافرين او استعطاف كانه قال
رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان
اعصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون
وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد
مع الوالد وقيل اراد ان لا يعين بعد هذا سبطيا وكان يومئذ
السبط كافرا ومعنى من شيعته من فرقة المتعصبة له نسبا
لا دينا قال ابن عباس رضي الله عنهما فلم يستثن فابتلي
ثانيا فاصبح في المدينة خائفا من قتل القبطي يترقب اي
ينتظر ما يحدث بعده فاذا الذي اذا للمفاجاة وما بعده مبتدا
استنصره بالامس يستصرخه يصيح به من بعيد مستغيثا من
قبطي اخر قال له موسى اي لذلك السبطي انك لغوي مبين ..
بين الغواية لانك تشاجر من لا تطيقه وقيل لانك تسببت
لقتل رجل وتقاتل اخر ولا يناسبه فلما اراد ان يبطش لان تذكر
موسى عليه السلام تنبيه لذلك المحظور باعث الاحجام لا باعث
الاقدام وانما زيدان للتاكيد والتقوية بمعنى الارادة والمقام
يقتضيها وذلك ان ارادة البطش ليست حقيقتها لانها
لا تصلح لان تكون سببا للخوف بل كناية عن بسط اليد
نحو المقصود بالبطش والتي يتبعه الفعل ويرادفها انما هي
الارادة البالغة الى حد العزم لا مطلق الارادة بالذي اي
بذلك القبطي الذي هو عدو لهما لموسى عليه السلام والسبطي

قال السبطي لموسى عليه السلام وقد توهم انه اراد اخذه لا اخذ
القبطي حيث اغلظ له في القول قال يا موسى اتريد ان تقتلني
كما قتلت نفسا بالامس ان تريد اي ما تريد الا ان تكون
جبارا الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر
الناس على ما يريده في الارض ارض مصر وما تريد ان تكون من
المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالذي احسن وكان قتل
القبطي بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما افشى على موسى
عليه السلام على القبطي ان قاتله موسى فاخبر ملا فرعون فهموا
بقتله فخرج مومن من ال فرعون وهو ابن عمه يخبره كما قال
وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا
جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه
بالمعارف قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون
بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر
الاخر ويأتمر فاخرج من المدينة اني لك من الناصحين اللام للبيان
وليس بصلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم على الموصول
فخرج منها من المدينة خائفا يترقب التعرض له في الطريق او ان
يلحقه من يطلبه قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم
واحفظني من لحوقهم ولما توجه التوجه الاقبال على الشيء تلقاء
قبالة مدين قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم
عليه السلام ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر
ثمانية ايام قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق
الا حسن توجهه بربه قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي وسطه
ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق معه الى مدين ولما ورد
وصل ماء مدين ماءهم الذي يستقون منه وكان بئرا وجد عليه فوق
شفيرها امة جماعة كثيرة من الناس انما قال من الناس مع ان
السقي لا يكون الا منهم تنزيلا لشانهم فيه كانوا لما لا يستحقون
الا التعبير باسم الجنس برفعهم في ذلك في درجة احتاجوا الى بيان
كونهم من جنس الانس يسقون مواشيهم ووجد من دونهم
في مكان اسفل من مكانهم امراتين تذودان تطردان عنهما
عن الماء لعجزهما عن المزاحمة مع تلك الامة ترك المفعول في يسقون
وتذودان لان الغرض هو الفعل لا المفعول ان هو يكفي في البعث
على سؤال موسى عليه السلام وما زاد على المقصود يعد لكنة
وفضولا واما البعث على المرحمة فليس هذا موضعه فان قولهما

لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير قال موسى عليه السلام ما خطبكما اي
ما شانكما تذودان سالهما عن سبب الذود فاجابا بما مرجعه الى العجز
عن المزاحمة او الاجتناب عن المخالطة ولما انحدان يتعال خدمة السقي
كانت للرجال فما بالكم تباشرونها تداركتا الاعتذار عنه بما تعذيره ليس
لنا راع وابونا شيخ كبير فصدر الكلام الاستثنا في الدلالة الواو
الفصيحة في اول الباقي عليه قالتا لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء
يصرف الرعاء مواشيهم عن الماء وقرئ يصدر اي ينصرف والرعاء جمع
راعي وقرئ الرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال وابونا عطف على
محذوف يبيناه انما شيخ كبير في السن لا يقدر على السقي والرعي فسقى لهما
فسقى غنمهما لاجلهما رغبة في المعروف واغاثة للملهوف منهما ثم تولى
الى الظل الى ظل الشجرة فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير محتاج
الى الطعام قيل كان لم يذق طعاما سبعة ايام وقد لصق ظهره ببطنه
قد كان يكفيه رب اني فقير الا انه قدم بيان سبب حاجته تمهيدا
للاعتذار عما ارتكبه من مخالفة المعتاد بالخروج الى السفر البعيد بلا زاد
ومراده من النازلة المذكورة ما ابتلاه الله تعالى من قتله القبطي فانه
كان سببا لهربه من مصر بلا تدارك لعدد وانما نبه بقوله من خير فقير
لما يتراءى من ظاهره التشكي وانما جزم بكونه خيرا لعلمه بان الخير ما
اختاره الله تعالى فجاءته احداهما الفاء فصيحة روي انهما لما رجعا الى
ابيهما قبل الناس قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى
لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه فجاءته تمشي على استحياء اي مستحيية
قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا ليكافيك جزاء
سقيك لنا روي انها لما قالت ليجزيك اجر ما سقيت لنا كره ذلك
وانما اجابها لئلا يخيب قصدها لا ان المقاصد جرمه ولما وضع
شعيب عليه السلام الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب عليه
السلام الست جائعا فقال بلى ولكن اخاف ان يكون عوضا
مما سقيت لهما وانا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا ناخذ على
المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه عادتي مع كل من
ينزل بنا فاكل فلما جاءه الفاء فصيحة اي اجابها موسى عليه السلام
فلما جاء اباها وقص عليه القصص القصص مصدر كالعلل سمي به
المقصوص قال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين اذ لا سلطان
لفرعون بارضنا قالت احداهما يعني التي استدعته يا ابت استاجره
لرعي الغنم ان خير من استاجرت القوي الامين تعليل جامع يجري
مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما

وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه مجرب معروف روي ان شعيبا قال
لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب راسه حتى بلغته
وامرها بالمشي خلفه **قال اني اريد ان انكحك** زوجك **احدى ابنتي هاتين** لا دلالة
فيه على انه كانت له غيرهما اذ يكفي في الحاجة الى الاشارة عدم علم المخاطب بانه
كانت له غيرها **على ان تاجرني** تكون اجيرا لي من اجرته اذا كنت له اجيرا **ثماني**
حجج ظرف والحجة السنة لان في كل سنة حجة فسموها بها لتضمنها اياها
تعظيما لها والمعنى على ان تجعل اجري اياك على تزويج بنتي رعي ماشيتي
ثماني سنين والتزويج على رعي الغنم جائز في شريعتنا ايضا **فان اتممت**
عشرا اي عمل عشر حجج **فمن عندك** اي فذلك تفضل منك ليس بواجب
عليك او فاتمامه من عندك ولا احتمه عليك ولكن ان فعلته فهو منك
تفضل وتبرع **وما اريد ان اشق عليك** بالزام اتم الاجلين او المناقشة
في مراعاة الاوقات واستيفا الاعمال وحقيقة شق عليه الامر انه اذا
تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وطورا لا
اطيقه **ستجدني ان شا الله من الصالحين** حسن المعاملة ولين الجانب والوفا
بالعهد ويجوز ان يراد الصلاح على العموم ويدخل تحت حسن المعاملة
والمراد باشتراط مشية الله تعالى فيما وعد من الصلاح الاتكال
على توفيقه تعالى فيه ومعونته **قال** موسى عليه السلام **ذلك** مبتدا
وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب عليه السلام **بيني وبينك** يعني
ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا
لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت ولا انت عما شرطت على نفسك ثم
قال **ايما الاجلين قضيت** اي نصب بقضيت وما زائدة موكدة
لابهام اي وهي شرطية وجوابها **فلا عدوان علي** اي تعتدي علي
في طلب الزيادة قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في اتمهما
ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم في الوفا كما ان طلب الزيادة على الاتم
عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل **والله على ما نقول** من المشارطة
وكيل هو من وكل اليه الامر وعدي بعلى لانه استعمل في موضع الشاهد
والرقيب **فلما قضى موسى الاجل** قال عليه السلام قضى اوفاهما
وتزوج صغراهما **وسار باهله** بامراته نحو مصر **انس** من تفسيره
من جانب الطور من الجهة التي تلي الطور **نارا قال لاهله امكثوا**
البثوا مكانكم **اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر** من تفسيره **او جذوة** بفتح
الجيم وكسرها وضمها قطعة غليظة من الحطب كانت راسه نار اولم يكن ولذلك
بينه بقوله **من النار لعلكم تصطلون** من تفسيره **فلما اتيها نودي**
من شاطي الوادي الايمن اتاه الندا من الشاطي الايمن لموسى عليه السلام

في

في البقعة المباركة بتكليم الله تعالى فيها متصل بالشاطي او صلة لنودي
من الشجرة بدل من الشاطي بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على
الشاطي **ان يا موسى** ان مفسرة او مخففة من الثقيلة **اني انا الله رب**
العالمين هذا يوافق ما في سورة طه والنمل في المقصود وان
خالفه في اللفظ لما نودي من النار شملته انوار القدس واحاطت به
جلابيب الانس فخاطب باللطف خطاب واستدعى منه احسن جواب
فصار بذلك مكلما شريفا اعطي ما سال وامن مما خاف **وان الق عصاك**
ونودي ان الق عصاك فالقيها فقلبها الله تعالى ثعبانا **فلما راها**
القاها فصيحة **تهتز** الاهتزاز شدة الاضطراب في الحركة **كانها جان ولى**
مدبرا ولم يعقب من تفسيره **يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين**
عن المخاوف **اسلك يدك في جيبك** قال في سورة النمل وادخل يدك في
جيبك عطفا على قوله والق وترك العطف هنا كيلا يذهب الوهم الى عطفه
على القها **تخرج بيضا من غير سو** من تفسيره **واضمم اليك جناحك** يريد
بضم الجناح اليه تجلده وضبط نفسه عند خروج يده بيضا حتى لا يتحرز
ولا يضطرب من الخوف استعارة من هيئة الطائر فانه اذا خاف
نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران فهذا
القول هنا بمنزلة قوله ولا تخف انك من الامنين فيما تقدم **من الرهب**
من اجل الرهب جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به
من ضم جناحه اليه والرهب الخوف مع تحرز واضطراب **فذانك**
مخففا مثنى ذاك ومشددا مثنى ذلك واحدى النونين عوض من
اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا **برهانان** حجتان نيرتان وبر
هانان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جا بالبرهان من قولهم بره الرجل
اذا ابيض وقيل فعلال من قولهم برهن **من ربك** مرسلا **الى فرعون**
وملايه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقا بان يرسل اليهم **قال**
رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح
مني لسانا فارسله معي ردا الردي العون الذي يدفع الشر عن صاحبه
يصدقني اي ردا مصدقا لي وقري بالجزم جوابا للارسال ومعنى
تصديقه موسى عليه السلام اعانته اياه بالبيان في مظان الجدال
ان احتاج ليثبت دعواه **اني اخاف ان يكذبون** تعليل يقوم مقام
الجواب المحذوف على قراءة يصدقني بالرفع **قال سنشد عضدك**
باخيك سنقويك باخيك اذ اليد تشتد بشدة العضد لانه قوام
اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور **ونجعل لكما سلطانا**
غلبة وتسلطا او حجة **فلا يصلون اليكما** باستيلا او حجاج **باياتنا**

متعلق بيصلون اي لا يصلون اليكما بسبب اياتنا او نعم الكلام او بنجعل
لكما سلطانا اي نسلطكما باياتنا او بمحذوف اي اذهبا باياتنا
او قسم جوابه محذوف وهو لا يصلون حذف لدلالة ما قبله عليه او هو
بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون لا صلة له
بل للذين بينه وهو الغالبون المقدر او صلة له على ان اللام فيه للتعريف
لا بمعنى الذي لامتناع تقدم الصلة على الموصول وموضعه معمول الصلة
في حكمه فلما جاءهم موسى باياتنا بينات واضحات قالوا ما هذا الا
سحر مبين تختلقه لم يفعل من قبل مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله
او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون
السحر او ادعاء النبوة في اباءنا الاولين حال منصوبة عن هذا
اي كائنا في زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم وقال موسى ربي
اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم انه محق وانتم مبطلون وقرئ
بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية
القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد
ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا
وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود
منها بالذات هو الثواب والعقاب وانما قصد بالعرض انه لا يفلح
الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى
والاتيان بصيغة الجمع للايذان بان جرمهم لا يغني وقال فرعون
يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون
وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي نفي الوجود على تقدير ثبوته
عند اشتباه الحال فرع عليه الامر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع
على حقيقة الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين قيل اول
من اتخذ الاجر فرعون ولذلك ناداه باسمه بيا في وسط
الكلام بما يؤمر به السوقة فاجعل لي صرحا الصرح البناء العالي الظاهر
ومنه التصريح لشدة ظهور المعنى لعلي اطلع الطلوع والاطلاع
الصعود وتعديته بالى واما تعديته بعلى فباعتبار تضمنه
معنى الاشراف الى اله موسى حسب انه في مكان كما كان هو فيه
واني لاظنه من الكاذبين في دعواه ان له الها وانه ارسله الينا
رسولا والظن هنا ليس بمعناه المتعارف المصطلح وهو الاعتقاد
الراجح بل معناه اللغوي وهو ما لا يكون جازما سواء كان راجحا
او مرجوحا او مساويا واستكبر هو وجنوده اي تعاظموا في الارض
ارض مصر بغير الحق بالباطل لانه كان بغير استحقاق فان

الاستكبار

الاستكبار بالحق لله تعالى وظنوا عن اعتقادهم وان كان جازما بالظن
تحقيرا له انهم الينا الى حسابنا وجزائنا لا يرجعون يوم القيامة وليس
هذا نفيا لهم بل ذما لهم بالجهل وترك التامل في الايات حتى تعلموا فاخذناه
وجنوده اخذ عقوبة فنبذناهم في اليم من الكلام المفخم الذي دل به على عظم
شانه شبههم استقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن اخذ بكفه
فطرحهن في البحر فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين واحذر قومك
عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال يدعون الى
النار الى موجبها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب
عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين
تلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين المطرودين
او ممن قبح بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم ظرف للمقبوحين
ولقد اتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام بصائر للناس
حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد كما ان البصر
نور العين الذي يبصر به يريد انبياء التورية انوارا للقلوب لانها
كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وهدى وارشادا
الى الشرائع التي هي سبيل الحق ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة
الله تعالى لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر
وما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي وهو الذي وقع فيه ميقات
موسى عليه السلام فانه كان في شق الغرب من مقامه او الجانب
الغربي منه على انه من قبيل اضافة الشي الى صفته كقوله ولدار
الاخرة اذ قضينا اوحينا الى موسى الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت
من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي عليه وهم نقباؤه السبعون
الممتازون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من
قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدركه
عنه بقوله ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا
اوحينا اليك لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاول
الامد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم
فحذف المستدرك واقيم سببه مقامه متضمنا لدفع ما عسى ان
يخطر بالبال من احتمال ان يكون اخباره عليه السلام عن ذلك بطريق
الاخذ من افواه الرجال وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب عليه
السلام والمؤمنين معه تتلوا تقرأ عليهم تعلما منهم اياتنا التي فيها
قصة شعيب عليه السلام وقومه وتتلو في موضع نصب خبر ثان
او حال من الضمير في ثاويا ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها

وما كنت بجانب الطور اذ نادينا موسى ان خذ الكتاب بقوة ولكن رحمة من ربك اي ولكن عرفناك ذلك رحمة منا اظهارا لنبوتك وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين خالد بن سنان عليهم السلام لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة عقوبة بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي ولما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي نسبت الاعمال اليها وان كان من اعمال القلوب تغليبا للاكثر على الاقل فيقولوا عند العذاب ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفا الاولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفا تدخل في جواب الامر والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول بدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال والعقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال فادخلت عليها لولا وجي بالقول معطوفا عليها بالفا المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا بانها ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى يلجئهم العقوبة فنتبع اياتك اراد بالايات المعجزات وباتباعها العمل بموجب دلالتها فقوله ونكون من المؤمنين اي من المصدقين يرسالتك كالتفصيل فلما جاءهم الحق من عندنا اي القران او الرسول المصدق بالكتاب المعجز قالوا لولا اوتي هلا اعطي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة او من الايات كاليد والعصا اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام بما اوتي موسى من قبل من قبل هذا القول قالوا ساحران تظاهرا يعني موسى ومحمد عليهما السلام تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرئ سحران اي التوراة والقران واسناد تظاهرا اليهما دلالة على سبب الاعجاز وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء عليهم السلام قل فاتوا بكتاب من عند الله اي فاذا كذبتم يا معشر العرب

هذين

بهذين الكتابين فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلى اضمارها لدلالة المعنى اتبعه جواب فاتوا ان كنتم صادقين في انهما سحران مختلفان لا هداية فيهما وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت وفي مجي حرف الشك نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به وهذا الحذف شايع عند ذكر الداعي ويتعدى الى الداعي باللام والى الدعا بنفسه واما قول الشاعر فلم يستجبه عند ذاك مجيب فمعناه فلم يستجب دعاه على حذف المضاف فلا تعدية فيه الى الداعي فاعلم انما يتبعون اهواهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتاكيد او للتقييد لان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم ولقد وصلنا لهم القول التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعني ان القران اتاهم متتابعا في الانزال ليتصل التذكر او في النظم ليتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصايح بالعبر لعلهم يتذكرون فيفلحوا الذين اتيناهم الكتاب من قبله من قبل القران وخبر الذين هم به بالقران يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب واذا يتلى القران عليهم قالوا امنا به اي بانه كلام الله تعالى انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله من قبل ورود القران مسلمين كاينين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا بيان لقوله امنا لانه يحتمل ان ايماننا قريب العهد وبعيده فاخبروا بان ايمانهم به متقادم اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقران بما صبروا بصبرهم على الايمان بالقران قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ويدرءون بالحسنة السيئة يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت لا تقدر على ان تدخل في قلب من احببت نور الهداية فانك شفيع الجناية لا شريك الهداية ولكن الله يهدي من يشا لقذفه في قلب من يشا من عبادته الحب والمشية نحوها وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك قال الزجاج اجمع المفسرون على انها نزلت في ابي

طالب وان كانت الصيغة عامة **وقالوا ان نتبع الهدى معك** اي
وقالوا يا محمد ان نتبع الهدي فنكون معك او نتبع الهدي الذي معك
وهو القران **نتخطف** التخطف الاستلاب بسرعة **من ارضنا** اي نخرج
منها في الحال وهو تعلل فاسد منهم تعلقوا به عند عجزهم من معارضته
فرد الله عليهم بقوله **اولم نمكن لهم** اي الم ندفع عنهم شر العرب ولم نمكن
لهم **حرما امنا** اي الم نجعل مكانهم في حرم ذا امن لا يسبون فيه ولا
يغار عليهم ولا يتعرض لهم عكروه ثم هذا الحرم في موضع الاصنع فيه
ولا زرع **يجبى اليه ثمرات كل شي** اي يجمع ويجلب اليه من كل شي ارفعه
وانفعه كما يقال بغرض الكلام ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت
من كل شي **رزقا** مصدر لان معنى يجبى اليه يرزق او مفعول
له او حال من الثمرات ان كان بمعنى مرزوقا لتخصصها بالاضافة
كما ينتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة **من لدنا** اي تفضلا
منا فاذا احالهم وهم عبدة الاصنام هكذا فكيف يعوض للتخوف
والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد **ولكن اكثرهم
لا يعلمون** جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل
متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند
الله اذ لو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن ايضا
من عند الله تعالى ثم بين ان الامر بالعكس بانهم احقا بان يخافوا
من باس ما هم عليه بقوله **وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها**
وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالهم في الامن وخفض العيش حتى اشروا
فدمر الله عليهم وخرب ديارهم وكم نصب باهلكنا ومعيشتها
بحرف الجار وايصال الفعل او بجعلها ظرفا بنفسه كقولك زيد
ظني مقيم او بتقدير ظرف الزمان المضاف اصله بطرت ايام
معيشتها او مفعول على تضمين بطرت معنى كفرت والبطر
سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه **فتلك مساكنهم**
منازلهم باقية الاثار تشاهد وتهافي الاسفار **لم تسكن من بعدهم**
حال والعامل فيه الاشارة **الا قليلا** من السكنى اي لم يسكنها الا
المسافر ومار الطريق يوما وساعة **وكنا نحن الوارثين** لتلك
المساكن من ساكنيها اي لا يملك التصرف فيها غيرنا **وما
كان ربك مهلك القرى** اي ليس في عادته ان يهلك القرى **حتى
يبعث في امها** في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها لان اهلها تكون
افطن وانبل **رسولا يتلو عليهم اياتنا** لالزام الحجة وقطع المعذرة
او ما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك قرى الارض حتى يبعث

في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد عليه السلام والظاهر المناسب
لعبارة ما كان ربك هو الاول **وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون**
بتكذيب الرسل والعتو في الكفر **وما اوتيتم من شي** في محل النصب
على الحال ود والحال الضمير العايد من الصلة الى الموصول اي وما
اوتيتموه كاينا من شي **فمتاع الحياة الدنيا وزينتها** اي واي اصبتموه
من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلايل وهي مدة الحياة
الفانية **وما عند الله** وهو ثوابه **خير** في نفسه من ذلك لانه لذة
خالصة وبهجة كاملة **وابقى** لانه دايم لا ينقطع **افلا يعقلون** ان
الباقي خير من الفاني فتستبدلونه به وقرى بالياء التحتانية وهو
ابلغ في الوعظ **افمن وعدناه وعدا حسنا** وعدا بالجنة فان حسن
الوعد بحسن الموعود **فهو لاقيه** مدركه لا محالة لعدم الخلف في وعده
كمن متعناه متاع الحياة الدنيا الذي هو مشوب بالالام مكدر
بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع **ثم هو يوم القيمة من
المحضرين** للحساب او العذاب والفا الاولى لترتيب الانكار المستفاد
من الاستفهام والمعنى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا
وما عنده عقبه بقوله افمن وعدناه اي ابعد هذا التفاوت الجلي سوى
بين ابنا الدنيا وابنا الاخرة والفا الثانية للتسبيب لان لقا الموعود
مسبب من الوعد وثم للتراخي حال الاحضار عن حال التمتع وقري ثم هو
بسكون الها تشبيها للمنفصل بالمتصل **ويوم يناديهم** نداء توبيخ وهذا
عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر **فيقول اين شركاي الذين
كنتم تزعمون** اي تزعمونهم شركاي فحذف المفعولان لدلالة الكلام
ويجوز حذفهما في باب ظننت وان لم يجز الاقتصار على احدهما **قال
الذين حق عليهم القول** اي وجب مقتضاه وثبت وهو قوله لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد **ربنا هولا**
مبتدا **الذين** صفة له و**اغوينا** صلة للذين والعايد محذوف
تقديره اغويناهم واغويناهم خبر المبتدا بقوله كما غوينا فاستفيد
من الخبر ما لم يستفد من الخبر ما لم يستفد من الصلة والكاف
في كما غوينا صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا اغوا
مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا فهولا كذلك غووا باختيارهم
لان اغوانا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق اذا بين غينا
وغيهم فان تسويلنا وان كان داعيا الى الكفر فقد كان في مقابلته
دعا الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم
من الرسل وانزل عليهم من الكتب فهو كقوله وقال الشيطان لما قضي

الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا انفسكم ونحوه ان يكون
هولاء مبتدا والذين اغوينا خبر المبتدا واغويناهم استيناف اخبار
مفيد انقوله غوينا تبرانا اليك منهم مما اختاروا من الكفر ما كانوا
ايانا يعبدون بل يعبدون اهواهم ويطيعون شهواتهم واخلا الجملتين
من العاطف لكونهما مقررتين بمعنى الجملة الاولى وقيل للمشركين ادعوا
شركاكم اي الهتكم لتخليصكم من العذاب فدعوهم لا لفرط الحيرة بل الضرورة
الامتثال فلم يستجيبوا لهم لا لعجزهم عن الاجابة اذ يومئذ ينطق
كل شي بل لعجزهم عن الاستجابة وراوا العذاب الضمير للتابع والمتبوع
لو انهم كانوا يهتدون جواب لو محذوف اي لما راوا العذاب ويوم
يناديهم عطف على الاول فانه تعالى يسال اولا عن اشراكهم به ثم
عن تكذيبهم الانبيا عليهم السلام فيقول ماذا اجبتم المرسلين
الذين ارسلوا اليكم فعميت عليهم الانبا يومئذ اي خفي عليهم الاخبار
والاعذار خفا لا يرجى زواله فلم يستطيعوا ان يجيبوا بما فيه نجاة لهم واتى
بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا عن
العذر والجواب رجا ان يكون عنده ما ليس عند نفسه لانهم يتساوون
في العجز عن ذلك بالسبب المذكور على ما افصح عنه الفا التفريعية لا بفرط
الدهشة كما توهم فاما من تاب من الشرك واما هذه للاشعار بزيادة اعتنا
بشان ما دخلت عليه فيما سيق له الكلام كقوله تعالى فاما الذين في
قلوبهم زيغ ونصديره بالفا لتفريعه على ما اقيم مقام قسيمه وامن
وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من
المفلحين يومئذ وعسى من الكرام تحقيق او ترج من التايب بمعنى
فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشا ويختار الحسنة نجامع الايجاب
بالذات دون الاختيار ففيه تنصيص الرد على الفلاسفة كما ان في
اثبات المشية تنصيص للرد على من زعم انه تعالى يقتضي العالم اقتضا
النار للاحراق ما كان لهم الخيرة ترك العاطف لانه تقرير لما قبله فان
معنى ويختار اي يدخل تحت تكوينه والخيرة من التخير تستعمل بمعنى المصدر
كالطيرة بمعنى التطير اي ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه سبحان الله
تنزيها له ان يزاحم اختيار احد اختياره وتعالى عما يشركون ان الله تعالى
بري من اشراكهم وربك يعلم ما تكن صدورهم يقال اكننت الشي في
صدري اي اخفيته اسند الاخفا الى الصدور مبالغة وما يعلنون
اي يعلم ما اضمروه كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وما اظهروه
كطاعنهم فيه وهو الله الذات المستحقة للعبادة لا اله الا هو لا معبود
يستحقها الا هو ترك العاطف لانه تقرير لما قبله له الحمد في الاولى والاخرة

الاختصاص المستفاد من تقديم الظرف باعتبار المجموع فان الحمد في
الدنيا وان شاركه تعالى فيه غيره فان المستحق للحمد لا يلزم ان يكون
موليا للنعم لكن الحمد في الاخرة لا يكون الا له وله الحكم بالقضاء النافذ
في كل شي واليه ترجعون بالبعث والنشور قل ارايتم اي اخبروني
ان جعل الله عليكم انما قال عليكم لان النفع انما هو في تقلب الملوين فاي
منهما استمر يتقلب نفعه ضررا الليل سرمدا اي دايما من السرد وهو
المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة
ووزنه فعمل الى يوم القيمة بالكسوف او باسكان الشمس تحت الارض
من اله كان حقه هل اله فذكر من على زعمهم ان غيره الهة غير الله صفة
اله ياتيكم بضيا انما قال بضيا ولم يقل بنهار كما قال في قرينه الاتي بليل
لان النهار لا يلزمه الضيا على ما نبهت عليه انفا والنفع انما هو بوجود
الضيا فيه فانه لو خلا عنه لانقلب نفعه ضررا حقيقا فلو ان الكسوف
ساعة يكون سببا لبعض الافات من الزلازل وغيرها بخلاف الليل
فانه لا يخلو عن النفع المذكور مظلما كان او مستنيرا ولما كان مبنى
ما ذكر مما لا يقف عليه عوام الانام الا بالسماع عن الخواص قال هنا افلا
تسمعون ومن ذكر ان ذكر السماع هنا لكثرة منفعة الضيا فقد
ابعد قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا اخر امر النهار عن امر
الليل لانه اصل والنهار عارض سرمدا الى يوم القيمة باسكان الشمس
فوق الافق او بتحريك كرة الارض على وفق حركتها وانما كان الفساد
في ادامة النهار في دار التكليف ولم يكن في دار النعيم لان دار التكليف
لا بد فيها من التعب والنصب الذي يحتاج معه الى الجمام والراحة
وليس كذلك دار النعيم من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه
استراحة عن متاعب الاشغال وانما تعرض لوصف الليل دون
الضيا لانه نعمة في ذاته مقصودة بنفسه ولا كذلك الليل ولما
كان ما ذكر مما يقف عليه كل من له بصر ولا يتوقف على امر اخر
قال هنا افلا تبصرون ومن في قوله ومن رحمته للسببية جعل
لكم الليل والنهار اي خلقهما لاجلكم لتسكنوا فيه اي في الليل وللتنبيه
على انفراد كل من المتعاقبين في علية كل واحد منهما على التوزيع اعيد
اللام في قوله ولتبتغوا من فضله وانما حذف اكتفا بما ذكر في
قرينته فيكون من باب اللف والنشر على الترتيب وفي التعبير
بالابتغا عن كسب العبد اشارة الى انه لا مزيد له على معنى الطلب
ففيه نفي للتاثير من جهته كما ان في قوله من فضله نفي للايجاب
منه تعالى والوجوب عليه ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك

فلتشكروه عليه تعليل اخر للجعل المذكور ولذلك صدره باداة العطف
ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون كرر التوبيخ
باتخاذ الشركا ليوذن بانه لا شي اجلب لغضب الله تعالى من الاشراك
به كما لا شي ادخل في مرضاته من توحيده ونزعنا اخرجنا واحضرنا
يقال فلان نزع الى وطنه اي يحن اليه حنينا يطالبه بالخروج اليه من
كل امة من الامم الضالة بدليل سياق الكلام والحاقه شهيدا شاهدا
عليهم بما اجابوا به رسلهم كما قال فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد
وجينا بك على هولا شهيدا وقال وجي بالنبيين والشهدا وهذا اصرح
في انهم غير الانبيا فعلموا حينيذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه
فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشي الضايع ما كانوا
يفترون من الوهية غير الله والشفاعة لهم ان قارون لا ينصرف
للعجمة والعلمية ولو كان فاعولا من قرنت الشي لانصرف كان من
قوم موسى كان ابن عم موسى عليه السلام فبغى تفريع على مقدر يدل
اجمالا على غناه المفرط على ما يفصح عنه التفصيل الاتي ذكره فالفا
فصيحة والبغي طلب العلو بغير حق ومنه قيل لولاة الجور بغاة عليهم
روي انه قال لموسى عليه السلام لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا
في غير شي الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة
ما ان مفاتحه ما بمعنى الذي في موضع نصب بآتينا وان واسمها
وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت ان والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو
ما يفتح به بيت المال او الصندوق لتنوء يقال ناء به ينوء نوءا اي
حمل على ثقل نهض به على مشقة حتى مال تحته وهو لازم وصار
هنا متعديا بالبا الذي في قوله بالعصبة وهي الجماعة الكثيرة اولي
القوة الشدة وقرئ لينوء بالياء على اعطا المضاف اليه اذ قال له قومه
منصوب بيبغي وما بينهما اعتراض في معرض التعليل لبغيه لا بتنوء لا وجه
لتخصيصه بذلك الوقت لا تفرح اريد بالفرح هنا المرح الذي يخرج الى
الاشر وهو البطر ولذلك قال ان الله لا يحب الفرحين لانه اذا اطلق
الفرح فهو الخارج بالمرح الى البطر فاما قوله فرحين بما اتاهم الله
من فضله فحسن لهذا التقييد وابتغ فيما آتاك الله من الغنى
الدار الاخرة بصرفه فيما يوجبها لك ولا تنس ولا تترك ترك المنسي
نصيبك من الدنيا اي خذ مع هذا من دنياك ما لا بد لك منه في
معاشك فانك غير ملوم على ذلك فهو نعمة الله تعالى ولا تنبسط
كل البسط فتقعد ملوما محسورا واحسن الى عباد الله تعالى
كما احسن الله اليك فيما وسع عليك وبسط لك ولا تبغ الفساد

في الارض

في الارض بالبغي والظلم ان الله لا يحب المفسدين لبغضهم والاكتفا
بنفي حبه تعالى منهم للتنبيه على ان هذا القدر يكفي في الزجار انها فان عن
عن الفساد قال انما اوتيته اي المال على علم عندي اي على استحقاق
لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم التورية او علم الكيميا
او العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندي صفة لعلم
وزيادته لافادته معنى الاختصاص له اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله
من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا للمال واكثر جماعة وعددا تعجب
وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراه في
التورية او سمعه من حفاظ التواريخ والواو للعطف على مقدر اي
الم يقرا في التورية والم يسمع من الحفاظ ولم يعلم الى اخره او رد لا
دعايه العلم وتعظيمه بنفي العلم المهم عنه اي اعنده مثل ذلك العلم
الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي نفسه مصارع الهالكين ولا
يسال عن ذنوبهم المجرمون سوال استعلام فانه تعالى مطلع
عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد بذكره
اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه
لم يكن ما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم يعاقبهم
عليها لا محالة فخرج على قومه معطوف على محذوف دل عليه سياق
الكلام من عدم تنصحه لما قيل له واظهار اسباب البطر فالفا فصيحة
في زينته حال من فاعل خرج اي متزينا قال الذين يريدون الحياة
الدنيا على سبيل الرغبة في اليسار والتنبيه يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعم صاحبه من غير ان يزول
عنه انه لذو حظ عظيم الحظ الجد وهو البخت والدولة وقال لهم
الذين اوتوا العلم باحوال الاخرة ويلكم اصله ويلك دعا بالهلاك
ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى ثواب
الله في الاخرة خير لمن امن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا
وما فيها وفي حذف المفضل عليه تعظيم للمفضل كما في قوله الله اكبر
ولا يلقاها اي لا يلقى هذه الكلمة وهي ثواب الله خير الا الصابرون
على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به اي بقارون اي ساخت
به الارض واذهبت في جهة السفل وبداره الارض روي انه كان
يوذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما
حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره
فشحت به نفسه فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني
اسرايل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم

العبد قام موسى عليه السلام خطيبا من سرق قطعناه ومن زنا
غير محصن جلدناه ومن زنا محصنا رجمناه فقال قارون ولو
كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة
فاحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله ان تصدق فقالت
جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى عليه السلام ساجدا
يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض
بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الارض الى ركبتيه ثم قال خذيه
فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه وكان قارون
يتضرع اليه في هذه الاحوال وموسى لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال
خذيه فانطبقت عليه فعذب بما بنا سبب ما افتراه من الجريمة
فقال الله تعالى لموسى عليه السلام استغاث بك مرارا فلم ترحمه
فوعزتي لو استرحمني مرة لرحمته ثم قال بعض بني اسرائيل انما اهلكه
ليرث ماله فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان فالفا
الفصيحة للعطف والتفريع على محذوف دل على مفهومه الاجمالي در
مساق الكلام له من فئة اعوان قد مر تفسيره على وجه التفصيل
في سورة الكهف ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين
انما ذكر امتناع نصره برفع عذاب الله مع انه معلوم لان المراد بيان
انه لم يكن الامر على ما قدره من امتناعه بحاسته وجنده فان ذلك
الذي غره حتى تمرد في طغيانه ثم اخبر انه كما لم يكن له من ينصره لم
يكن هو ايضا ممن ينتصر بنفسه لضعفه عن ذلك واصبح
الذين تمنوا مكانه منزلته لم يقل مثل مكانه اكتفاء بما ذكره قبل هذا
بالامس استعير لزمان قريب يقولون ويكأن الله اي صاروا
يقول بعضهم لبعض الم تعلموا ان الله وي كان كلمة تقرير معناها اما ترى اما
تعلم قاله الفراء وروي ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك قال ويكأنه
وراء البيت اي اما ترينه وقال قطرب هما كلمتان وي بمعنى ويلك
بحذف اللام قال عنترة

ولقد شفى نفسي وابرا سقمها ❊ قول الفوارس ويك عنتر اقدم

وهذا الحذف للتخفيف لكثرة الاستعمال واما ما قيل ان وي للتعجب
وكان للتشبيه ففيه ان التشبيه لا يناسب المقام الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة يقتضي البسط
ولا لهوان يوجب القبض لولا ان من الله علينا بصرف ما كنا
تمنيناه بالامس لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه ويكأنه لا
يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من

ثواب الاخرة تلك الدار الاخرة تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها كانه قال
تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس
لم يعلق الموعود بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب
اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون والعاقبة
المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها
مر في النمل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات معناه
فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد
عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض السيئة الى
قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون فـ
حذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي
فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك
الى معاد يعني مكة اي برده عليه السلام اليها يوم الفتح وانما نكر
لانها كانت في ذلك اليوم معادا له شان ومرجعا له اعتداد الغلبة
الرسول صلى الله عليه وسلم وقهره لاهله ولظهور عز الاسلام واهله وذل
الكفر وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الاية نزلت بالجحفة لا بمكة
ولا بالمدينة حين اشتاق عليه السلام الى مولده ومولد ابائه قل ربي
اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب
بفعل يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال
يعني به نفسه والمشركين فهو تقرير للوعد السابق وما كنت ترجوا
مر تفسير الرجا في سورة الفرقان ان يلقى يوحى اليك الكتاب
اي سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا
رحمة من ربك هذا محمول على المعنى اي وما القي عليك الكتاب الا رحمة
لاجل ان يرحم او الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك
فلا تكونن ظهيرا عونا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله عن قراءتها
والعمل بها بعد اذ انزلت اليك اي بعد وقت انزاله وادع الى ربك الى
عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع
مع الله الها اخر هذا وما قبله تهييج وقطع اطماع المشركين عن
مساعدته لهم على ان العصمة لا تمنع النهي والوقف على اخر لازم لانه
لو وصل لصار لا اله الا هو صفة لالها اخر وفيه من الفساد ما فيه
كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته والوجه يعبر به عن الذات وانما قال
هالك لان المراد كونه كذلك في حد نفسه وذلك ليس بمجرد فان كل ممكن
في حد نفسه ليس بموجود له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه

ترجعون للجزاء بالحق سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

الم مر فيه ذكر الاقاويل وسبق التفسير وهنا دليل الاستقلال
بنفسه او بما يضمر معه وهو وقوع الاستفهام بعده احسب الناس
الحسبان قوة احد النقيضين على الآخر كالظن ولا يصح تعليقهما بمعاني
المفردات ولكن بمضامين الجمل فاذا اردت الاخبار عن مضمون ثابت
عندك على وجه الظن لا اليقين ادخلت على شطري الجملة فعل
الحسبان حتى يتم غرضك والكلام الدال على المضمون الذي تقتضيه
الحسبان هنا ان يتركوا فانه سد مسد المفعولين كما في قوله ان
يسبقونا ونظائره لان المعنى احسب الناس انفسهم متروكين والترك
رفض الشيء قصدا واختيارا او قهرا او اضطرارا ومن الاخير قولهم ترك
فلان ما يخلفه بعد موته وثاني مفعولي ان يتركوا متروك بدلالة الحال
اي كما هم او على ما هم عليه ان يقولوا بمعنى لقولهم متعلق بيتركوا على
انه غير مستقر امنا وهم لا يفتنون غير مختبرين بما يتبين به حقيقة
ايمانهم نزل في جماعة امنوا واذاهم المشركون والمراد من الفتنة الامتحان
بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر
الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقحط وانواع المصائب
في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وقيل معناه احسبوا
تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك احد مفعولين وغير مفتونين
من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب وفيه
الفصل بين تركوا ومعموله وما يحسنه من الاهتمام بشان الخبر لكونه
مصب الانكار معارض بما يقبحه من ايهام ان يتركوا غير مختبرين
لعلة اخرى ولقد فتنا اختبرنا وهو موصول باحسب او بلا يفتنون
الذين من قبلهم من الامم بانواع الفتن والمعنى ان ذلك سنة
قديمة جارية في الازمان السالفة فلا ينبغي ان يتوقع خلافها
ويجوز ان يكون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير
منه يعني ان بعض الانبياء كزكريا ويحيى وجرجيس عليهم السلام
وقد امتحنوا وصبروا فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا
في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه وعلم الله تعالى بالكائنات منزه عن
النسبة الى الزمان وعما يترتب عليها من التبدل والتغير فهو هنا كناية
عن تحقق المعلوم قطعا وظهوره على وجه ابلغ فالمعنى وليتميز
من الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطا يتبين صدق العبد من
كذبه في اوقات الرخا والبلا فمن شكر في ايام الرخا وصبر في ايام

البلا

البلا فهو من الكاذبين ويعضده قراة فليعلمن الله من الاعلام اي ليعرفهم
الناس منهم بحذف المفعول الاول ويجوز ان يكون من قولهم فارس معلم
اي اعلم نفسه في الحرب بثوب او غيره فيكون من العلامة فالمعنى
فليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجه وسوادها
ام حسب ام هنا منقطعة لفقد شرط الاتصال وهو ان لا يكون بعدها
جملة ومعناه بل للاضراب بمعنى الانتقال من قصة الى قصة لا بمعنى
الابطال والاضراب فيه لان هذا الحسبان ابطل من الاول لان ذلك
يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازي بمساويه ولهذا
عقبه بالذم الذين يعملون السيئات من المعاصي واما الكفر فليس من
جنس العمل لانه لا يقال الا فيما كان عن فكر وروية نص عليه الراغب
فان الكفر يعلم مما ذكر دلالة ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر على ان
نجازيهم على مساويهم يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة واشتمال صلة
واشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين
ساء ما يحكمون ما في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم او نصب
على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذم محذوف اي بئس حكما
يحكمونه حكمهم هذا من كان يرجو لقاء الله يترقب ثوابه او يخاف عقابه
فالرجا يحتملهما فان اجل الله المضروب للثواب والعقاب لات لا محالة
تعليل للجواب الشرط المحذوف تقديره فليبادر العمل الصالح الذي يصدق
رجاءه ويحققه واتيان الوقت المضروب لهما كناية عن اتيانهما
والتعبير عنهما بلقاء الله تعالى للتفخيم والتهويل واضافته الى الله
في الموضعين للتعظيم ويجوز ان يكون على تمثيل حال العبد قدوم
على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان
يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها وهو السميع لما
يقولون عباده العليم بما يفعلونه فلا يفوته شيء ومن جاهد نفسه
بالصبر على مخالفتها في طاعة الله تعالى فانما يجاهد لنفسه لان منفعة ذلك
ترجع اليها ان الله لغني عن العالمين فلا ينفع له في طاعتهم ومجاهدتهم
وانما كلفهم رحمة عليهم ومراعاة لمصالحهم والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم التكفير اذهاب السيئة بالحسنة كاذهاب الكفر
بالايمان والمعصية بالتوبة ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون
انما قال احسن لان المباح حسن ولا اجر ووصينا الانسان بوالديه
حسنا بايتائهما فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه
ووصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه ومعنى وصيت زيدا بعمرو امرته
بتعهده ومراعاته وان جاهداك اي وقلنا وان جاهداك لتشرك بي

شيئا ما ليس لك به علم بالهيئة عبر عن نفيها بنفي العلم اشعارا بان ما
لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا
تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق الي مرجعكم مرجع
المطيع والعاصي منكم فانبيكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه وفي ذكر المرجع
والوعيد تحذير من متابعتهم على العصيان وحث على الثبات
والاستقامة في الطاعة روي ان سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه
لما اسلم نذرت امه ان لا تاكل ولا تشرب ولا تنتقل من الضح حتى يرتد
ولبثت ثلاثة ايام كذلك فشكي سعد رضي الله عنه الي النبي صلى الله عليه
وسلم فنزلت هذه الاية والتي في سورة لقمان والتي في الاحقاف والذين
امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في الانبيا والاوليا
بان نحشرهم معهم ومن الناس من يقول امنا بالله اي في طاعته وفي
للسببية كما في المستثنى فيه جعل فتنة الناس اي اذاهم له للصرف
عن طاعة الله تعالى كعذاب الله في الخوف منه فيطيعهم ولئن جاء نصر من
ربك اي فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم اي مشايعين لكم في دينكم
فاعطونا نصيبا من المغنم اوليس الله باعلم صيغة افعل هنا لمطلق
الزيادة واثبات العلم على الوجه الابلغ والواو للعطف على محذوف
تقديره اليس الله باشد علما من الناس بما في صدور العالمين من
الاخلاص والنفاق فكيف يتوهم هذا المنافق ان يخفى حاله على المسلمين
ولا يخبرهم الله به وهو عالم فهذا تهديد دنيوي له كما ان قوله وليعلمن
الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين تهديد اخروي كني بالعلم
عن اثره وهو الجزا على المعلوم وعبر عن الاخلاص بالايمان اخراجا
للاقرار باللسان الخالي عن التصديق بالجنان عن حد الايمان وفي
اختلاف الصيغتين اشعار بثبات المنافق على النفاق ومزيته
على الكفر بزيادة التغرير فيحمله وقال الذين كفروا للذين امنوا
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم امروهم باتباع سبيلهم وهي
طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم
فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في
الحصول والمعنى تعليق الثاني على الاول على وجه المبالغة
والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم على الاتباع
ولهذا رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شي
انهم لكاذبون في ذلك من الاولى للتبيين والثانية مزيدة لتاكيد الاستغراق
وليحملن اثقالهم اوزار انفسهم بضلالهم واثقالا مع اثقالهم واوزار
المضلين باضلالهم كما قال ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار

الذين

الذين يضلونهم بغير علم وليسألن يوم القيمة عما كانوا يفترون يكذبون
على الله سوال توبيخ واللام في الفعلين للقسم وحذف فاعلهما الواو ونون
الرفع ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد
المبعث الى حدوث الطوفان واختيار هذه العبارة لما في ذكر الالف من
تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود تسلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتثبيته على ما يكابد من الكفرة وجيء بالمميز اولا بالسنة
ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة
فاخذهم الطوفان هو ما طاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام
ليل او نحوهما والواقع طوفان الما وهم ظالمون انفسهم بالكفر فانجيناه
اي نوحا واصحاب السفينة اي والذين حملهم نوح عليه السلام في
السفينة وجعلناها اي السفينة لا لانها بقيت اعواما حتى مر
عليها الناس وراوها فحصل لهم العلم بها او الحادثة اية علامة اعين
للعالمين يعتبرون بها وابراهيم عطف على نوحا وقرئ بالرفع
على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله
ظرف لارسلنا فيه دلالة على انه لم يتهاون في امر الرسالة حيث
بلغ الدعوة كما امر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون
اي ان كنتم من اهل العلم انما تعبدون من دون الله اوثانا الوثن
ما يعمل من حجر او طين وتخلقون اي تكذبون او تصنعون وقرئ
تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق افكا وقرئ افكا وهو مصدر
نحو كذب ولعب والافك مخفف عنه كالكذب واللعب من اصلهما و
اخلاقهم الافك بتسميتهم الاوثان الهة وشركا الله ان الذين
تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا استدلال على شرارة
ما هم عليه من حيث انه زور وباطل ثم استدل عليه من حيث انه لا يجدي
بطائل ورزقا يحتمل النصب على المصدر اي لا يستطيعون ان يرزقوكم
وايراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله لا عند الاسباب
الرزق كله انما لم يخل من الله لعدم دلالة فيه على الامر بترك الاعتماد
على الاسباب العادية ثم بين طريق الطلب فقال واعبدوه اي
في كل حال واشكروا له بما مضى من الافضال متعدين للغاية بها فانه
اليه ترجعون فيجازيكم بما عملتم من الشكر والكفران والعبادة
والطغيان وهو وعد ووعيد وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم
كقوم نوح وهود وصالح وما على الرسول الا البلاغ المبين اي
وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم
وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم

واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو
اقترانه بايات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في ساير الانبيا
اسوة حيث كذبوا وعلي الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب
فالاية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم عليه السلام اولم يروا وقري بالتا
علي تقدير القول كيف يبدئ الله الخلق اي قد راوا ذلك وعلموه وقوله
ثم يعيده ليس بمعطوف علي يبدئ وليست الروية واقعة عليه
وانما هو اخبار علي حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله
كيف بدا الخلق ثم الله ينشي النشاة الاخرة علي البدو دون الانشا
بل هو معطوف علي جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ان ذلك اي
الاعادة علي الله يسير سهل قل حكاية كلام الله تعالي لابراهيم عليه السلام
سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق علي كثرتهم واختلاف احوالهم
لتعرفوا عجايب فطرة الله تعالي في المشاهدة وبدا وابدا بمعني ثم الله
ينشي النشاة الاخرة بعد النشاة الاولي التي هي الابدا فانه والاعادة
نشاتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم ولما كان المقصود
من السياق الاستدلال من الانشا علي الاعادة والدليل النفسي اقرب واوضح
من الافاقي ذكر الروية في الاول والنظر في الثاني وكان القياس ان يقال
كيف بدا الله الخلق ثم ينشي النشاة الاخرة وانما قيل كيف بدا الخلق ثم
الله ينشي النشاة الاخرة لان الكلام معهم وقع في الاعادة فلما قررهم
في الابدا بانه من الله تعالي احتج عليهم بان الاعادة انشا مثل
الابدا فاذا لم يعجزه الابدا وجب ان لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم
ذلك الذي انشا النشاة الاولي هو الذي ينشي النشاة الاخرة فللتنبيه
علي هذا المعني ابرز اسمه واوقعه مبتدا ان الله علي كل شي قدير ومن
جملة الاشيا ما يعاد فهو قادر علي الاعادة يعذب من يشا تعذيبه
ويرحم من يشا رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم
اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضايه في الارض الفسيحة ولا في
السما التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها وما لكم من دون الله من ولي
يتولي اموركم فيحرسكم عن بلاي ولا نصير يمنع عذابي ويدفعه عنكم
والذين كفروا بايات الله بدلايله علي وحدانيته او بكتبه ولقايه
بالبعث اوليك يبسوا من رحمتي في الدنيا لانكار البعث اوليك هم
يبسوا من رحمتي في الدنيا لانكار البعث والجزا واوليك لهم عذاب اليم
في الاخرة بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابراهيم عليه السلام وقري
بالرفع علي الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه اي قال بعضهم
لبعض او قال واحد منهم وكان الباقون راضين ثم اتفقوا علي تحريقه

فانجاه الله

فانجاه الله من النار الفا فصبحة اي قذفوه فيها فانجيه الله من
النار بجعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في نجايه منها لايات هي عدم
تاثيرها فيه مع شدة توقدها وكونها باردة عليه وجارة علي ما عليه
روي انها لم تحرق الا الحبل الذي اوثقوه به وروي انه لم ينتفع ذلك اليوم
بالنار وذلك لذهاب حرها لقوم يومنون لانهم المنتفعون بها
وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا اي
لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم علي عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق
الناس علي مذهب فيكون ذلك سبب المودة وتحابهم وثاني
مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني
بتقدير مضاف او بتاويلها بالمودة اي اخذتم اوثانا بسبب المودة
بينكم وقريت منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وقريت مرفوعة
مضافا فقد علي انها خبر مبتدا محذوف اي هي مودة اوسبب مودة بينكم
والجملة صفة اوثانا او خبر ان علي ان ما موصولة او مصدرية والعايد
محذوف وهو المفعول الاول وقريت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم
كما قري لقد تقطع بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض يتبرا القادة
القادة من الاتباع ويلعن بعضكم بعضا يلعن الاتباع القادة وماويكم
مصيركم جميعا النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فامن
له لوط اي صدقه فيما قاله واتبعه لا انه احدث الايمان في ذلك
الوقت لان الكفر لا يجوز علي الانبيا عليهم السلام وقال ابراهيم عليه
السلام اني مهاجر من كوثي من سواد الكوفة الي ربي الي حيث
امرني ربي انه هو العزيز اي المنيع الذي من لجا اليه منعه من اعدايه
الحكيم الذي لا يامر الا بما فيه خير روي انه هاجر مع لوط ابن اخيه وسارة
بنت عمه الي حران ثم منها الي الشام ونزل فلسطين ونزل لوط سدوم
ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة قبل حين ايس من الولادة
من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل عليه السلام وبرده قوله وهب
لي علي الكبر اسمعيل واسحق وجعلنا في ذريته النبوة فانه شجرة
الانبيا عليهم السلام والكتاب يريد به الجنس فيتناول الكتب
الاربعة واتيناه اجره علي هجرته الينا في الدنيا الثنا الحسن والصلاة
عليه الي اخر الدهر ومحبة اهل الملل له واما ما قيل تقدم ذكره فالعطف عليه
يابي عن دخوله في الاجر وانه في الاخرة لمن الصالحين الذين لهم الدرجات
العلي ولوطا عطف علي ابراهيم او علي ما عطف عليه اذ قال لقومه
انكم لتاتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها
من احد من العالمين جملة مستانفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة

كان قبلا قال لم كان فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يتقدم عليها ائنكم
لتاتون الرجال وتقطعون السبيل طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن
يمر بكم فترك الناس الممر بكم وتاتون في ناديكم في مجلسكم الذي تجتمعون
فيه ولا يسمى ناديا الا ما دام فيه اهله المنكر كالمضارطة والمجامعة
والسباب والفحش في المزاح والحذف بالحصا ومضغ العلك والفرقعة
والسواك بين الناس فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب
الله ان كنت من الصادقين قد سبق في سورة الاعراف قال رب انصرني
بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها
فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم
احقا بان يحل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة
بالولد لقوله فاكلوا الا توجل انا نبشرك بغلام قالوا انا مهلكوا اهل هذه
القرية قرية سدوم وهذه يشعر بانها قريبة من موضع ابراهيم عليه
السلام والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين
تعليل للاهلاك اي الظلم قد استمر فيهم في الايام السالفة وهم عليه
مصرون وانما قال انها ولم يقل انهم تضمينا للتعليل الاشعار بمنشا
خبث طبيعتهم وهو خبث صفتهم ففيه اشارة خفية الى المراد من اهل القرية
من نشا فيها فلا يتناول لوطا ومن لم ينشا فيها هذا اعتراض في قولهم الا في
تخصيصا للاهل بمن عداه قال ان فيها لوطا معارضة للموجب بالمانع و
هو كون النبي بين اظهرهم واما الاعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم فلا
يناسب حال المعترض لان مبناه الغفول عن الاشارة التي قدمناه
بيانها قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله وليس ههنا خطاب
بمعنى حكم شرعي فلا وجه لما قيل فيه تاخير البيان عن الخطاب الا
امراته كانت من الغابرين الباقين في العذاب قال في سورة الحجر
انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته
قدرنا والتوفيق بين القولين بان يقال ان الحكاية قد تكون على
وجه التفصيل والنقل بالعبارة او بمرادفها وقد يكون على وجه الاجمال
والنقل بحاصل المعنى والمذكور ثمة من قبيل الثاني والمذكور ههنا من
قبيل الاول ثم اخبر عن مصير الملائكة الى لوط عليه السلام بعد مفارقتهم
ابراهيم عليه السلام بقوله ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه
مجيئهم وان صلة اكدت وجود الفعلين مرتبا احدهما على الاخر كانهما
وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجاته المساءة
من غير ريث خيفة عليهم من قومه ان يتناولوهم بالفجور وضاق
بهم ذرعا وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلوا

ضيق الذرع

ضيق الذرع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع اذا
كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله
القصير الذراع وصار ذلك مثلا في العجز والقدرة وهو منصوب على التمييز
وقالوا عطف على محذوف متفرع على ما تقدم تقديره فكشفوا الحال
وقالوا ذلك لما راوا فيه اثر الضجرة قالوا وفصيحة لا تخف الخوف
انزعاج النفس بتوقع الضرر ولا تحزن لا على تمكنهم منا لا انزعاج الخوف
والحزن من تلك الجهة باعلامهم انهم رسل الله نزل على نفسه واهله لما علم
ان نزولهم لحادثة عظيمة فقولهم انا منجوك تعليل لنفي الخوف والحزن
واهلك نصب باضمار فعل لان موضع الكاف جر على المختار او بالعطف
على محله باعتبار الاصل الا امراتك كانت اي في امر الله من الغابرين
من الباقين في الهلاك انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السما
عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس
اي اضطرب فاستعمل لما تضطرب منه النفس بما كانوا يفسقون
بسبب استمرارهم على تجديد الفسق في كل حين ولقد تركنا منها من
القرية اية بينة هي اثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة وقيل
الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في
الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او ببينة والى مدين وارسلنا
الى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر
الامر بالرجاء امر بسببه اقتضاء ولا يجوز فيه ويجوز ان يكون الرجاء
بمعنى الخوف واليوم مجاز عما فيه من الثواب او العقاب ولا تعثوا
في الارض مفسدين قد سبق تفسيره فكذبوه فاخذتهم الرجفة
هي زعزعة الارض تحت القدم وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة
اي صيحة جبرئيل عليه السلام وهي سبب الرجفة فاصبحوا في دارهم في
ديارهم على ما ذكر في سورة هود عليه السلام فاكتفى هنا بالواحد
لامن اللبس جاثمين الجاثم البارك على ركبتيه مستقبلا بوجهه
الارض اي ميتين على هذا الحال وعادا وثمودا منصوبا بان يفعل دل
عليه ما قبله اهلكنا وقرئ ثمود غير منصرف على تاويل القبيلة وقد تبين
لكم ذلك يعني ما وصف من اهلاكهم من مساكنهم من جهة مساكنهم
اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في بعض
اسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي
فصدهم الصد الصرف عن الخير ولا يقال لصده عن الشر ولكن يقال
صرفه عن الشر ومنعه عنه عن السبيل الصراط المستقيم الذي هداهم
اليه الرسل وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار لكنهم لم

يفعلوا او متيقنين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجّوا
حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عاد وتقديم
قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض
وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته
فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بسببه فمنهم من
ارسلنا عليه حاصبا الحاصب ريح تاتي بالحصباء وهي الحصا الصغار
لقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من
خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كفرعون وقومه
واما قوم نوح عليه السلام فليسوا من المذكورين الغرق فلا يكونوا لا
في المالخلاف الخسف ولذلك زاد فيه قوله به الارض وما كان الله ليظلمهم
ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم وزيادة كان لبيان انه ليس
من عادته ذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل
الذين اتخذوا من دون الله اولياء يعني مثل ما اشرك بالله الاوثان
كمثل العنكبوت التاء فيه كتاء طاغوت تقع على الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث اتخذت بيتا اي كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت
فان ذلك البيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يقي ما يقي البيوت
فكذلك الاوثان لا تنفعهم في الدنيا والاخرة ولا وجه لما قيل في تخيل
بينها بل هذا اوهن فانه لهذه حقيقة وانتفاعا ما لانه قضية التشبيه
عكس هذا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت من هنا ظهر ان الغرض
تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم بما هو مثل عند الناس
في الوهن والضعف لا تشبيه ذواتهم بالعنكبوت لو كانوا يعلمون
يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك
ويجوز ان يخرج الكلام بعد تشبيه دينهم ببيت العنكبوت مخرج الاستفهام
فيراد ببيت العنكبوت دين المشركين وعبادة الاوثان فيكون استعارة
مصرحة تمثيلية ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار
القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرئ يدعون بالياء حملا على ما قبله وما
استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية
ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة
مفعول يعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل
لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على
المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه
وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان
الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال

يعني

يعني المثل المذكور واشباهه نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم
وما يعقلها وما يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الواقفون على
ان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها
للافهام خلق الله السموات والارض بالحق محقا يعني لم يخلقهما باطلا بل لحكمة
وهي ان يكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل عظم قدرته كما اشار
اليه بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين خصهم بالذكر لانهم المنتفعون
بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه
واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم
ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلاة اي دم على اقامتها ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر قد مر تفسيرهما والنهي مجازي عن المنع روي
ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة ولا
يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام فقال ان صلاته
ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر اي والصلاة اكبر من غيرها من
الطاعات وانما عبر عنها به ليستقل بالتعليل كانه قال والصلاة اكبر
لانها ذكر الله او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون
منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا
اهل الكتاب اصل الجدال شدة الفتل الا بالتي الا بالخصلة التي هي احسن
كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح
الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد فلم ينفع فيهم الرفق
وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا
فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلوهم بالسيف وقولوا امنا بالذي
انزل الينا وانزل اليكم من جنس المجادلة بالاحسن وعن النبي صلى
الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله
وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم
والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه
تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك
ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه
تفريع على نزول القرآن على ما وصف في كتابهم وانما قال يؤمنون
به دون امنوا به لان منهم من لم يؤمن بعد ومن هؤلاء من يؤمن به
الاشارة الى اهل مكة او الى عامة العرب لا الى من في عهد الرسول
عليه السلام من اهل الكتاب لانهم داخلون فيما تقدم ولا مجال في
تخصيصه بمن تقدم عهده عليه السلام لان التفريع باباه وما
يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها ولذلك قال وما يجحد

فان الجحد ليس مطلق الانكار بل الانكار بعد المعرفة الا الكافرون الا
الساترون للحق بعد وضوحه عندهم عنادا وما كنت تتلوا من قبله
اي من قبل نزول القرآن عليك فيفهم منه انه عليه السلام كان قادرا على
التلاوة والخط بعده من كتاب عربيا كان او عبريا او سريانيا او
فارسيا ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم
الشريفة على من لا يقدر على القراءة والخط خارق للعادة وذكر اليمين
زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد وما فيه من الاطناب
المعنوي لافادة ان الكتابة من اشرف الصناعات فحقها ان تكون
باليمين دون اليسار المخصوصة بخسائس الامور على ما اشار اليه النبي عليه
السلام بقوله اليمين للوضوء واليسار للاستنجاء اذا تقديره ولو كنت
تتلو الكتاب وتخطه اذا لارتاب لشك المبطلون من اهل الكتاب وقالوا
الذي نجده في كتبنا امي لا يقرأ ولا يكتب وليس به وانما سماهم مبطلين
لانهم وجدوه في كتبهم كذلك فغيروه قيل اي لو كنت ممن تخطه وتقرأ لقالوا
لعله تعلم او التقطه من كتب الاقدمين وفيه ان ذلك الارتياب لا يندفع
بكونه عليه السلام اميا فان التعليم من الغير لا يتوقف على القراءة والكتابة
بل هو بل القرآن ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم هما من خصائص
القرآن كونه ايات بينات للاعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف
سائر الكتب السماوية فانها لم تكن معجزات في حدود انفسها وما كا
نت تقرأ الا من المصاحف وفي قوله الذين اوتوا العلم تشريف للحفاظ وتنبيه
على ان حفظه حقيقة انما يكون بالوقوف على معانيه وما يجحد باياتنا
الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل الاعجاز
وقالوا عطف على اللازم مما تقدم اي لا يعتدوا بتلك الايات لولا انزل
عليه اية من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليه السلام
قل انما الايات عند الله ينزلها كما يشاء واما ما قيل لست اهلها فاتيكم بما
تقترحونه فلا يناسب المقام لان الاقتراح كان من الله تعالى لا من نبيه
عليه السلام وانما انا نذير مبين ليس من شأني الا ان ابلغ ما امرت به
من الانذار والابانة بما اعطيت من الايات والاقتصار على ذكر الانذار
لزيادة التهديد لهم والوعيد في حقهم والاشعار بانه عليه السلام غير
مقصور على ما ذكر بل التبشير ايضا من شأنه اولم يكفهم اية مغنية عما
اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب الكامل في جنسه يتلى عليهم يدوم
تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول
كما تزول كل اية بعد كونها ان في ذلك ان في مثل هذه الاية الموجودة
في كل مكان وزمان الى اخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وتذكرة

لقوم

لقوم يؤمنون لمن همه الايمان دون التعنت قل كفى بالله بيني وبينكم يصدقني
وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم
اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري
وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين امنوا بالباطل وهو الذي يعبد من دون الله
وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان
ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى
على مقتضى الحكمة لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم العذاب
في الاجل المسمى بغتة فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه فليس وقت
يدرونه يستعجلونك بالعذاب اعادة لربط قوله وان جهنم لمحيطة
اريد بجهنم ما يوجبها او نزل الاحاطة المقدرة منزلة المحققة للقطع
بوقوعها وهذا بحسب النظر الجليل واما الذي يقتضيه النظر الدقيق
فهو انه تعالى منزه عن النسب الزمانية فالكائنات كلها واقعة في اوقاتها
المعينة بالنظر اليه تعالى فلا تجوز في احد جزئي الكلام بالكافرين اللام
للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او
للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم ولا وقف على الكافرين
لان يوم ظرف احاطة النار بهم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت
ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وذكر ارجلهم
للدلالة على ان تلك الغاشية في حال انتصابهم ويقول الله او بعض
الملائكة بامره للقراءة ونقول بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون بجزاءه
يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة اي اذا لم تتسهل العبادة في
بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك والفاء
في قوله فاياي فاعبدون جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي
واسعة ان لم تخلصوا العبادة في الارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف
الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص
والاخلاص ثم شجع المهاجر بقوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة
مرارته كما يجد الذائق طعم المذوق لانها اذا تيقن بالموت سهل عليه
مفارقة وطنه ثم الينا ترجعون بعد الموت للثواب والعقاب ومن
هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرئ لنثوينهم
من الثواء وهو النزول للاقامة وكونه غير متعد فاذا تعدى بزيادة
الهمزة لم يتجاوز مفعولا واحدا والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين
والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ولنبوئنهم او حذف الجار
وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها

الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقريهم فنعم والمخصوص بالمدح
محذوف دل عليه ما قبله ويوقف علي العاملين علي ان الذين صبروا
خبر مبتدا محذوف اي هم الذين صبروا علي اذية المشركين والهجرة
للدين الي غير ذلك من المحن والمشاق والوصل اجود ليكون الذين
نعتا للعاملين وعلي ربهم يتوكلون ولا يتوكلون في جميع ذلك الا علي
الله تعالى وكاين وكم من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها
ولا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها
وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم في الكسب سوا في انه لا يرزقها
واياكم الا الله فانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز
من اضعف الدواب فلا تخافوا علي معاشكم بالهجرة روي انهم امروا
بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو
السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمايركم ولين سالتهم من
خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسئول اهل مكة ليقولن
الله اي هم معترفون بذلك ولا يخفى ضعف التمسك بوجوب انتها
الممكنات الي واحد واجب الوجود في هذا المطلب فاني يوفكون فكيف
يصرفون علي توحيده مع اقرارهم بهذا كله الله يبسط الرزق يوسعه
لمن يشا من عباده ويقدر له يقتر الرزق ويقتره اذا ضيقه له اي لمن
يشا فوضع الضمير موضع من مبهما مثله وليس المراد من الموسع له والمضيق عليه
واحدا باعتبار الوقتين اذ حينئذ حق قوله يقدر ان يصدر باداة
التعاقب ان الله بكل شي عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولين
سالتهم من نزل من السما ما فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله
معترفين بذلك فكيف يشركون به ما لا يقدر علي شي اصلا قل الحمد لله
علي هذه النعمة العظمى فان الما مادة حياة كل شي بل اكثرهم لا يعقلون
فلا يعلمون ما يقولون وما فيه من الدلالة علي بطلان الشرك وصحة
التوحيد وكلمة بل اضراب عن جهلهم الخاص في الاتيان بما هو حجة عليهم يعني
انهم مسلوبو العقول فلا يبعد عنهم مثله وقوله قل الحمد لله معترض ويأتي
في سورة لقمن تفسير هذه الاية بوجه اخر وما هذه الحياة الدنيا اشارة
تحقير كيف وهي لا تسوي عند الله ولا تزن عند الله جناح بعوضة
الا لهو ولعب اي ما هي لسرعة زوالها وعدم النفع في مالها الا كما يلهي
ويلعب به الصبيان ويجتمعون اليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون
واللهو ما يتلذذ به الانسان فيلهيه ساعة ثم ينقضي وان الدار
الاخرة لهي الحيوان اي هي دار الحياة الحقيقية لعدم طريان الموت عليها
او كانها في ذاتها حياة اذ ليس فيها الا حياة مستمرة دايمة والحيوان

مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت اليا الثانية واوا وهو ابلغ من الحياة
لما في بنا فعلان من معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة والموت سكون
فمجيئه علي بناء دال علي معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ويوقف علي
الحيوان لان التقدير لو كانوا يعلمون حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو
الفاني علي الحيوان الباقي ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا بشرط
علمهم ذلك وليس كذلك فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه ما قبله
من شرح حالهم بطريق الاشارة وليس هنا محذوف اي هم علي
ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في البحر دعوا الله في
تلك الحالة مخلصين له الدين حقيقة حيث لا يدعون معه
غيره لعلمهم بانه لا يكشف الشر احد الا هو وهذا اي
التوافق بين العلم والعمل حقيقة الاخلاص لا صورته وايضا مساق الكلام
في تقبيح حالهم وكمال التقبيح في انقلابهم عن الاخلاص الي الشرك بغتة
فلما نجيهم الي البر اذا هم يشركون فاجاؤا المعاودة الي الشرك ليكفروا
بما اتيناهم اللام فيه لام كي وكذا في وليتمتعوا علي قراة الكسر اي
يعودون الي شركهم ليكونوا بالعود اليه كافرين بنعمة النجاة ..
متمتعين باجتماعهم علي عبادة الاصنام وتوادهم عليها والتلذذ
لا غير علي خلاف عادة المخلصين من المومنين فانهم يشكرون بنعمة
الله تعالى اذا نجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة الي زيادة الطاعة
لا الي التلذذ والتمتع وعلي هذا لا وقف علي يشركون ومن
جعله لام الامر متشبثا بقراة السكون علي وجه التهديد كقوله
فمن شا فليومن ومن شا فليكفر يقف عليه فسوف يعلمون سوء
تدبيرهم عند تدميرهم اولم يروا اي اهل مكة انا جعلنا بلدهم حرما
ممنوعا مصونا عن النهب والتعدي امنا يا داخلوه سوا كان من اهله
او من غيرهم من القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون
قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل
بعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم
او الشيطان يومنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره
وتقديم الصلتين لمحافظة الفاصلة والاختصاص علي طريق المبالغة
ومن اظلم ممن افترى علي الله كذبا بان جعل له شريكا قايلين ما
نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفى وهذا القول منهم باعتبار ان التقرب
لا يكون الا بالطاعة في معنى القول بان ترك العبادة طاعة اذ امروا بها
وهذا افترا منهم علي الله تعالى ثم ان الافترا نفسه وان كان لا يخلو
عن كذب لكن المفتري قد يكون صادقا والمفتري ههنا وهو كون

عبادة الاصنام طاعة لما كان كذبا زاد قوله كذبا زيادة في تقبيح
شانهم او كذب بالحق يعني الرسول او الكتاب وفي لما جاءه تسفيه
لهم حيث لم يتوقفوا ولم يتاملوا فطحين جاءهم بل سارعوا الي التكذيب
اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوي للكافرين تقرير لثوائهم فيها اي
لا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا الافترا على الله وكذبوا بالحق هذا
التكذيب او الم يصح عندهم ان في جهنم مثوي للكافرين حتي اجترؤا مثل
هذه الجراة والذين جاهدوا اطلق المجاهدة ليتناول كل ما يجب مجاهدته
من الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعها فينا في حقنا ومن اجلنا
ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الي سبيل الخير
وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدي وان الله لمع المحسنين
في الدنيا وبالثواب والمغفرة في العقبي ،،

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم غلبت في القراءة المشهورة على البنا للمفعول وسيغلبون
وفي الثانية الي الفاعل في ادني الارض ارض العرب لانها الارض المعهودة
عندهم اي في ادني ارض العرب منهم او ارضهم اي ادني ارضهم من العرب منهم
او ادني ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وقيل ادني ارضهم الي
عدوهم اما الدلالة على الاضافة فظاهرة من ذكرهم واما النهاية فلحديث
المغلوبية وعن مجاهد في ارض الجزيرة وهي ادني ارض الروم الي فارس وقيل
اذرعات وبصرى وهي ادني ارض الشام من العرب وهم من بعد غلبهم وقرئ
بسكون اللام فالغلب والغلب مصدران كالحلب والحلب سيغلبون
في بضع سنين البضع ما بين الثلاثة الي العشرة وفي المجمل ما بين الواحد
الي التسعة روي انه لما بلغ مكة خبر غلبة فارس الروم فرح المشركون و
شمتوا بالمسلمين وقالوا انتم ونصاري اهل الكتاب ونحن وفارس اميون
فقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت وظهرت الروم
على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين وقيل كان النصر
يوم بدر للفريقين والمعني على القراءة الثانية ان الروم غلبوا على ريف
الشام وسيغلبهم المومنون في بضع سنين وقد غلبهم المسلمون في السنة
التاسعة وفتحوا بعض بلادهم لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل كونهم
غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت
كونهم غالبين اي ليس الامر في الحالين الا لله وقرئ من قبل ومن بعد على
الجر من غير تقدير مضاف كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا واخرا ويومئذ
ظرف معمول ليفرح والتنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة اي
ويوم اذ يغلب الروم فارس يفرح المومنون بنصر الله وتغليبه من له

كتاب

كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاول وغيظ من شمت بهم من
كفار مكة او لما ظهر من صدق المومنين فيما اخبروا به المشركين وقيل وافق ذلك
يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المومنون ينصر من يشا فينصر هولا تارة وهولا
اخري وهو العزيز الرحيم ينتقم تارة من عباده بالنصر عليهم ويتفضل عليهم
اخري بنصرهم اياهم وعد الله مصدر موكد لنفسه لان ما تقدمه في معني وعد كقولك
على الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا لا يخلف الله وعده اعترض
ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده او صحة وعده لبلوغهم في الجهل غاية حتي
يستحق ان يقال فيهم لا يعلمون مطلقا يعلمون بدل من لا يعلمون وفي هذا الابدال
مع انه من لطايف علم البديع اشعار بان سلب العلم الذي هو الجهل لا ينافي
وجود العلم بظاهر امور الدنيا بل هو هو لا فرق بينهما ظاهرا من الحياة الدنيا
فيه اشارة الي ان للحياة الدنيا ظاهرا وهو ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها
والتنعم بملاذها وجمع اسبابها وضبطها وباطنا وهو ما يعرفه العقلا من
الاعتبار بها وبسرعة انقضايها وكونها محل مجد الاولياء ومجاز الاخرة تحبب
التنزه منها بالتقوي والطاعة وتنكير ظاهرا يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهرا
واحدا من ظواهرها وهو التمتع منها بالاكل والشرب كالبهايم لا جملتها فان من
ظواهرها معرفة خواصها والاستدلال بها على صانعها وكيفية الانتفاع بها
لصلاح الدارين ففيه ذم لهم بالجهل بليغ وهم عن الاخرة التي هي غايتها والمقصودة
منها هم غافلون لا يخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولي او مبتدا وغافلون
خبره والجملة خبر الاولي وعلى كلا الوجهين في توسطه وتكريره اشعار
بانهم معدن الغفلة عن الاخرة ومنبعها متمادون فيها بالسكون اليها
كانه لا غافل غيرهم اولم يتفكروا كلمة استبطا ومعناها هلا يتفكروا ولم اخروا
التفكر والواو للعطف على محذوف تقديره الم يتغفلوا ولم يتفكروا وقوله
في انفسهم يجوز ان يكون ظرفا وان يكون صلة للتفكر ومعني تقييد التفكر به
على الاول مع انه لا يكون الا في النفس زيادة تصوير لحال المتفكرين وتعزيز كقولك
كتبته بيميني كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم التي هي اقرب الاشيا وفيما
فيها من عجايب الصنع وبدايع الحكم التي اودعها الله تعالي فيها وفي انتقالها
في السن الي الشيخوخة والضعف وضرورة فنايها ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما متعلق بعلم او قول محذوف دل الكلام عليه اي فيعلموا
او يقولوا هذا القول الا بالحق حال اي الا ملتبسة بالحق اي بالحكمة البالغة
والعدل والصواب واجل مسمي اي وبتقدير اجل مسمي ينتهي اليه وهو قيام
الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب او الاولي ملتبسة بالحق
وتقدير اجل مسمي يعني ما خلقهما باطلا ولا لتبقي خالدة وان كثيرا من
الناس بلقاء ربهم اي لقاء جزائهم عند الاجل المسمي والبعث لكافرون

متكبرون أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
تقرير لسيرهم من الامم العاتية المترتب على ذلك السير ثم وصف حالهم فقال
كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وقلبوا وجهها لزرع البذور واستنباط
المياه واستخراج المعادن وغيرها وعمروها بالاهتمام فيها من البناء والغرس
اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها وفيه تهكم بهم لانهم اهل واد غير ذي زرع
لا عمارة لهم ولا حرث وهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها مع انهم
اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد
والتصرف في اقطارها بانواع العمارة وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم فما صح لهم ان يظلمهم الله لان حاله
تعالى منافية للظلم كناية عن عدم كون تدميرهم واستيصالهم الكفر والتكذيب
والمعاصي ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى السوأى تأنيث الاسوأ
وهو الاقبح كما ان الحسنى تأنيث الاحسن او مصدر كالبشرى نعت به
للمبالغة اي عوقبوا في الدنيا بالتدمير ثم كانت عاقبتهم العقوبة التي هي
اسوأ العقوبات وهي جهنم التي اعدت للكافرين فوضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على ان الموجب للعقوبة السوأى اساءتهم المفرطة ان
كذبوا بآيات الله علة اي لان كذبوا او بدل من السوأى او عطف بيان له
او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله اي اقترفوا الخطيئة
السوأى والتعويل في ان يكون كذبوا في ان كذبوا تفسيرا وان هي المفسرة
بمعنى اي لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت في معنى
القول نحو نادى وكتب وما اشبههما ويجوز ان يكون بمعنى اساؤا والسوأى
اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر
كان محذوف كما يحذف جواب لو ولما لارادة الابهام اي ما لا يدخل تحت
الوصف وقرئ عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على
الوجوه المذكورة وكانوا بها يستهزؤن عدل عن صيغة الماضي وزاد عبارة
كان للدلالة على استمرار التجددي في امر الاستهزاء المتضمن للتكذيب
مع المحافظة على رؤس الفواصل الله يبدؤا الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم
ثم اليه ترجعون للجزاء والالتفات للاستحضار والتنبيه على انه المقصود
وقرئ بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون
متحيرين اي ييأسون يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه
ناقة مبلاس اذا لم تكن لها رغاء وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن
لهم من شركائهم من الذين اشركوهم بالله وعبدوهم من دونه شفعاء يجيرونهم
من عذاب الله وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حين ييأسوا منهم
وانما جيء بلم يكن وكانوا على لفظ الماضي لتحقق وقوعه وقيل كانوا في الدنيا

يسببهم

بسببهم كافرين وزيادة كان للمحافظة على الفاصلة ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون في الاحوال والمحال على ما فسر بعدها والضمير للخلق
او ضمير يرجعون واعادة يوم تقوم الساعة لتهويل فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة الفا للتفصيل والروضة البستان
وكل مكان ذي نبات وما يسمى روضة وتنكيرها للتفخيم بالابهام اي في
روضة لا يعرف قدرها في علو شانها يحبرون يسرون من حبره اذا
سره سرورا تهلل له وجهه واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء
الآخرة فاولئك في العذاب محضرون مقيمون لا يغيبون عنه وفي
بناء الاحضار دلالة على الكره وانهم مجبرون على الحضور في العذاب
واما يحبرون فللدلالة على انه سرور فوق ما بالطبع والعادة فلا بد
من سار يسرهم بانواع المسار التي لم يكن للانسان مثلها في الدنيا
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون لما ذكر من الوعد والوعيد
اتبعه بما يتعين طريقا للخلاص عن الدركات الى الوصول الى الدرجات كانه
قيل اذا صح ووضح عاقبة المعرضين عن عبادته وطاعته والمقبلين
اليها فسبحوا الله تسبيحا دائما وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون
اي تمسون فيه وتصبحون وله الحمد في السموات والارض للشواهد
الناطقة فيهما باستحقاقه الحمد نحو له تمييز من اهلهما ووجوبه
عليهم وعشيا انما عدل هنا عن سنن نظايرها لانه لم يصرف من
العشي فعل لا يقال اعشى كما يقال امسى واصبح واظهر وحين تظهرون
امر في صورة الاخبار لكونه تاكيد تنزيه الله تعالى والثنا عليه في هذه
الاوقات التي تظهر فيها آيات قدرته وتتجدد فيها نعمه وانما خص
التسبيح بطرفي النهار لان آثار القدرة فيهما اظهر والحمد بالعشي
والاظهار لان تجدد النعم فيهما اظهر واكثر وابين العشي آخر النهار من
عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة وسطه ويجوز ان يكون
عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض
اعتراضا وقيل المراد بالتسبيح والتحميد في الاوقات المعينة للصلوة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس
تمسون صلوة المغرب والعشا وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة
العصر وتظهرون صلوة الظهر ولا يلزم منه ان تكون مدنية لان
الخمس بمكة يدل عليه حديث المعراج ولا له بينة يخرج الحي من الميت
الطاير من البيضة والحيوان من النطفة ويخرج الميت من الحي بالعكس
ويحيي الارض باخراج النبات منها بعد موتها بيبسها وكذلك مثل ذلك
الاخراج تخرجون من القبور بالبعث فانه تعقيب الموت بالحيوة

واخراج الحي من الميت والمراد ان الابدا والاعادة متساويان بالنسبة الى
قدرة القادر وفي الاخراج والاحيا المذكورين دليل قاطع على البعث ومن
اياته ان خلقكم من تراب لان اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون
ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن اياته ان خلق لكم من
انفسكم ازواجا لان حوا خلقت من ضلع ادم عليه السلام وساير النسا خلق
من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس اخر لتسكنوا اليها لتميلوا
اليها يقال سكن اليه اذا مال اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه
وذلك لان الالف انما يكون بين المتجانسين لان الجنسية علة الضم
والاختلاف سبب التنافر وجعل بينكم بين الرجال والنسا مودة ورحمة
بعصمة الزواج بعد ان لم يكن بينهما سابقة معرفة ولا قرابة توجب
ذلك لينتظم امر النسب والتربية والارث وبين افراد الجنس لابتناء
امر المعاش على التعاون المحوج الى التوادد والتراحم ان في ذلك لايات لقوم
يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم والمصالح ومن اياته خلق السموات
والارض واختلاف السنتكم لغاتكم من العربية والعجمية وغير ذلك من لغات
كل صنف واهل كل اقليم ولهجاتهم والوانكم اشكالكم وهياتكم من تخاطيط
الاعضا والصور فانه لا يكاد يتفق اثنان في الشكل والهية وعليه ينبني
التعارف المحتاج اليه في ضبط النظام ان في ذلك لايات حيث ولدوا من
اب واحد وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله متفاوتون للعالمين لكل من
له عقل من اهل العالم وقرئ بالكسر ويرجحه قوله تعالى وما يعقلها الا
العالمون ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاوكم من فضله ظاهر الاية
يدل على ان المنام في الليل والنهار وابتغا الفضل فيهما وهو معنى صحيح فان المنام
في النهار الصيفية الطويلة هو القيلولة المستحبة في السنة لاستراحة
القوى النفسانية وانتعاش القوى الطبيعية وكذلك ابتغا الفضل في
الليالي الشتوية من المباحات لقصر النهار وقصورها عن حاجات الناس
ويجوز ان يكون منامكم بالليل وابتغاوكم من فضله بالنهار فيحصل
بين المتعاطفين بالزمانين اشعار بان كل واحد من الزمانين وان
اختص باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة ويويد الاختصاص تكرير
هذا المعنى في القران ان في ذلك لايات لقوم يسمعون بتدبر كون
المحسوس لما كانت المشار اليه من جنس ما يدرك بالمشاهدة وبالسمع
من الغير كما في حق الاعمى والثاني اضعف الطريقين عبر به عن ادراكه
اعلاما للدلالة وهذا من جنس تطابق الاعتبار الذي قلما يتنبه له
الا من له الاختبار ومن اياته يريكم البرق من اياته خبر مبتدا محذوف
اي من اياته ما يذكر وما يتلى عليكم ثم قيل يريكم البرق اما بيان

لذلك

لذلك او يريكم مبتدا على حذف ان ورفع الفعل كقوله الا ايها الزاجري
احضر الوغى وتنزيل الفعل منزلة المصدر المرفوع اي ومن اياته اراءتكم
البرق كقوله تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره
اية يريكم بها البرق كقوله

وما الدهر الا تارتان فمنهما ... اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

اي تارة اموت فيها خوفا من الصاعقة وطمعا في الغيث وقيل خوفا
للمسافر وطمعا للحاضر ونصبهما على المفعول له وانما جاز مع انهما ليسا
بفعل فاعل الفعل المعلل لان الارادة متضمنة للروية او على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه اي ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف
والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشياطين او على الحال
اي خائفين وطامعين وينزل من السما ما فيحيي به الارض بالنبات
بعد موتها بيبسها وقد سبق وجه الفا التعقيبية بين الانزال
والاحيا في تفسير سورة النحل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اذ
يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة
الصانع وحكمته ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره اي بقوله
كونا قائمتين والمراد به تعلق ارادته وكذا في قوله ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون تشبيه الموتى بالمامور المطيع لتصوير ترتب
خروجهم على دعائه من غير توقف عطف على ان تقوم على تاويل مفرد
كانه قال ومن اياته قيامهما ثم خروجكم من الارض بسرعة اذا دعاكم دعوة
فيقول ايها الموتى اخرجوا وثم مستعار لبعد هذه الحالة من قيام
السموات والارض بامره وهي خروج الموتى كلهم من الارض دفعة عند
قوله قوموا واذا الاولى شرطية والثانية للمفاجاة وهي تقوم مقام الفا
في جواب الشرط ومن الارض متعلق بدعاكم لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا
يعمل فيما قبله وله من في السموات والارض قد سبق ما يتعلق بمن في
مثل هذا المقام كل له قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون
عليه وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اي الاعادة
وتذكيره لمطابقة اهون او على تاويل ان يعيده عليه اي اسهل عليه
من الانشا بالنسبة الى عقولكم والقياس على اموركم والا فجميع الممكنات
بالنسبة الى قدرته سوا والاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس
الى الانشا وانما قدمت الصلة في قوله هو علي هين لقصد الاختصاص
ولا وجه له فلذلك اخرت وقيل الضمير في عليه للخلق اي الاعادة اهون
على الخلق لانه وجود دفعي على التمام واما الانشا فهو وجود متدرج
من النقصان الى الكمال فتعتريه شدة ومشقة وله المثل الاعلى في

السموات والارض اي الوصف العجيب الشان الذي ليس لغيره ما يساويه
او يدانيه كالقدرة الكاملة والحكمة البالغة يصفه به ما في السموات
والارض دلالة ونطقا وهو العزيز القوي القادر المطلق على بدا كل ممكن
واعادته ولا يعجزه شي ولا يمتنع عليه الحكيم الذي يجري مشيئته وافعاله
على مقتضى الحكمة ضرب لكم مثلا في التوحيد من انفسكم اي منتزعا من
اقرب شي اليكم وهي انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من مما ليكم من شركا
فيما رزقناكم في اموالكم التي رزقناكموها اي هل ترضون لانفسكم ان يشارككم
عبيدكم فيما رزقناكم من الاموال وهم بشر مثلكم وانتم عبيد مثلهم فانتم
فيه سوا فتكونون انتم وهم سوا في التصرف فيها من غير فرق ومن
الاولى للابتدا والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام
الجاري مجرى النفي لانه الانكاري تخافونهم تستبدوا بالتصرف فيها
كخيفتكم انفسكم كما يخاف بعض الاحرار بعضا اذا شاركه في ميراث او
مال مشترك ان يحوزه دونه او يستقل بتدبيره والتصرف فيه او يخافون
ان تستبدوا بتصرفه دونهم مخافة بعض الاحرار بعضا فاذا لم ترضوا
بذلك لانفسكم وانتم وعبيدكم سوا في البشرية فكيف ترضون لرب
الارباب ومالك العبيد والاحرار ان يكون بعض عبيده له شركا كذلك
اي مثل هذا التفصيل نفصل الايات اي نبينها فان التمثيل مما يكشف
المعاني ويوضحها تصويرا وتشكيلا لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم في تدبر الامثال بل اضراب عن تنبيه المشركين وهدايتهم
واثبات ان هداهم لا يجدي عليهم شيا اتبع التفات من الخطاب الى
الغيبة للاعراض والمتاركة الذين ظلموا بالشرك لقوله تعالى ان الشرك
لظلم عظيم اهواءهم بغير علم حال لانما فيه لان العالم اذا ركب الهوى
فربما يردعه علمه واما الجاهل فهو كالبهيمة لا يرده شي فمن يهدي من
اضل الله من يقدر ان يهدي من اضله الله وخذله والفا في فمن
للسببية والاستفهام للانكار اي اذا اتبع الظالمون اهواءهم جاهلين لا وازع
لهم فلا يقدر احد ان يهديهم وما لهم من ناصرين ينقذونهم من ضلالتهم
ويمنعونهم تبعاتها الذين ظلموا ومن اضل الله موضوعان موضع الضمير
والاول للتسجيل عليهم بالظلم والتعليل لاتباع الهوى والثاني للتعليل
لامتناع قبول الهدى فاقم وجهك للدين تمثيل للاقبال عليه والاستقامة
اليه بحال من قصد شيا غير ملتفت عن سمته يمينا وشمالا اي قوم
وجهك او عدله اليه غير منحرف عنه اصلا وكناية عن كمال الاهتمام
فان من اهتم بالشي غاية الاهتمام عقد طرفه عليه وسدد نظره اليه
وقوم وجهه مقبلا عليه بكليته والفا للسببية اي اذا لم ينجع هذا بتك

فيه فاقم وجهك للدين وانزكهم حنيفا حال من ضمير اقم او من الدين فطرة الله
نصب على الاغراء اي الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله والاضمار على
خطاب الجماعة لقوله منيبين فانه حال من ضمير الزموا المقدر وقوله
واتقوه واقيموا ولا تكونوا فانه عطف على المقدر واضافة الفطرة
الى الله وتوصيفها بقوله التي فطر الناس عليها للاختصاص والتعظيم
وانه لا ينبغي ان تبدل وتغير ولا يقدر احد ان يغيرها حسما لاطماع
المشركين وحتما بان توحيده ذاتي لا يمكن تغييره وبينه للتاكيد
والتقرير بقوله لا تبديل لخلق الله ففيه دلالة على المراد من الفطرة الخلقة
وهي الحالة التي جبلوا عليها من قبولهم للتوحيد ودين الاسلام وتمكنهم من
ادراكه بحيث لو خلوا وما جبلوا عليه لما اختاروا عليه دينا اخر وشهدت
عقولهم الفطرية به ومن غوى منهم فباغوا شياطين الجن والانس وقد
افصح عن هذا قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفا فاجتالتهم
الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام
كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه او
ينصرانه ويجوز ان يراد بالفطرة دين ملة الاسلام فيكون معنى
لا تبديل لا ينبغي ان يبدل وانما وحد الخطاب اولا ثم جمع لان خطاب
الرسول خطاب لامته فافرد تعظيما للاهتمام ثم جمع لان الخطاب
للبيان وان الدين له بالاصالة ولهم بالتبعية ذلك اشارة الى الدين
المامور باقامة الوجه له الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه
اي راجعين الى الله بامالكم ومقبلين عليه باعمالكم من اناب اذا
رجع مرة بعد اخرى والمراد من التكرار المبالغة في الرجوع الى
الرضى والانقطاع عن الهوى او تضمين التنبيه على قبول
التوبة كرة بعد اولى وقيل الانابة الانقطاع الى الله تعالى بالطاعة
واصله على هذا القطع ومنه الناب لانه قاطع واتقوه واقيموا
الصلاة خصهما بالذكر لانهما عماد الدين ولا تكونوا من المشركين
ممن يشرك به غيره في العبادة وفيه نهي عن الريا في الصلاة
فانه شرك خفي من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا
دين الاسلام وانما عبر عن دينه بالمفارقة لما عرفت انهم جبلوا
على قبوله فترك قبوله منزلة فعله مبالغة في قوة قبولهم اياه
وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوا اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم
وكانوا شيعا شايع كل فرقة اماما الذي اضلها والشيع الفرق
التي يجتمع كل فريق منها على مذهب خلاف مذهب الفريق الاخر

كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون يحسبون انه الحق والجملة في محل
النصب صفة شيعا وكل حزب مبتدا خبره من الذين فارقوا منقطعا
عما قبله وفرحون صفة كل **واذا مس الناس ضر** شدة **دعوا ربهم منيبين
اليه** راجعين اليه من دعاء غيره **ثم اذا اذاقهم منه** من ذلك الضر
رحمة خلاصا **اذا فريق منهم بربهم يشركون** فاجا فريق منهم بالاشراك
بربهم الذي عافاهم وفي عبارة ثم ولفظ اذا اشارة الى انهم مع امتداد
شدتهم وتاثرهم منها في الغاية يشركون كما يظهر طليعة الخلاص منها
ليكفروا بما آتيناهم اللام مجاز عن العاقبة وقيل هي بمعنى التهديد **فتمتعوا**
على الاول امر للتهديد كقوله اعملوا ما شئتم والفا للسببية على تقدير
شرط محذوف اي اذا اصررتم على الشرك وتماديتم في الكفر فتمتعوا وعلى
الثاني عطف على ليكفروا والالتفات من الغيبة الى الخطاب للمبالغة
في التهديد **فسوف تعلمون** وبال تمتعكم **ام انزلنا** ام بمعنى بل والهمزة بل
للاضراب عن الكلام السابق والهمزة للاستفهام عن الحجة استفهام
انكار وتوبيخ **عليهم سلطانا** التنكير للتعظيم وفائدة الدلالة على ان ما
ينزل في مثل هذا الامر حقه ان يكون برهانا عظيم الشان واضح الدلالة
ولهذا عبر عن دلالته الواضحة بالنطق في قوله **فهو يتكلم** واتي بالتوبيخ
دون التوصيف **بما كانوا به يشركون** بالامر الذي بسببه يشركون
به تعالى في الوهيته **واذا اذقنا الناس رحمة** نعمة من صحة وسعة
فرحوا بها بطروا بسببها **وان تصبهم سيئة** شدة **بما قدمت ايديهم**
اي بشؤم معاصيهم **اذا هم يقنطون** قنطوا من الرحمة بالكلية واتي بصيغة
المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقنوط
وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا واذا المفاجاة جواب
الشرط نائب عن الفا لتاخيهما في التعقيب ثم انكر عليهم بطرهم وقنوطهم
بانهم قد علموا ان الله هو الباسط القابض فما لهم لا يشكرونه على نعمته
ولا يرجعون اليه تائبين عن معصيته كالمؤمنين حتى يعيد عليهم
رحمته ويبسط عليهم نعمته وهذا ما اراد بقوله **اولم يروا ان الله يبسط
الرزق لمن يشا ويقدر** عبارة واشارة **ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**
فيستدلون به على كمال القدرة والحكمة لما وبخهم على البطر والقنوط
وعلق السيئة بارتكاب المعاصي والذنوب حثهم على ما يجب ان يفعل
في حال السعة ولذلك جا بالفا السببية وقال **فآت ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل** اذا فسر حق الآخرين بالنصيب المسمى لهما بالزكوة
وجب ان يفسر حق الاول بالنفقة الواجبة لئلا يلزم استعمال لفظ الامر
للوجوب والندب معا في استعمال واحد ولهذا احتج ابو حنيفة بهذه

الاية

الاية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب
وخص الشافعي في وجوبها بالوالدين والاولاد وقاس سائر القرابات على ابن
العم اذ لا ولاد بينهم **ذلك خير للذين يريدون وجه الله** اي يقصدون
بمعروفهم اياه خالصا **واولئك هم المفلحون** حيث حصلوا بما بسط لهم
من زخارف الدنيا النعيم المقيم في العقبى **وما آتيتم من ربا** زيادة محرمة
في المعاملة وقرئ بالقصر اي ما جئتم به من اعطاء ربا **ليربو في اموال الناس**
ليزيد ويزكو في اموالهم **فلا يربو عند الله** فلا يزكو ولا يبارك فيه وقرئ
لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذا ربا وقيل هو من الربا الحلال اي وما
تعطونه من الهدية لتاخذوا اكثر منها فلا يربو عند الله لانكم لم تريدوا
بذلك وجه الله تعالى **وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله** تبتغون به
وجهه خالصا **فاولئك هم المضعفون** المضعف ذو الضعف كالمقوي والموسر
بمعنى ذي القوة وذي اليسار وقرئ بفتح العين والراجع منه محذوف
ان كانت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم
المضعفون وذوو الاضعاف من الثواب او الذين ضعفوا اموالهم ببركة
الزكاة وفيه التفات حسن للتعظيم كانه قال للملائكة وخواص خلقه
تعريفا لحالهم فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون
فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون وتغيير العبارة والنظم عن
سنن المقابلة للمبالغة في المدح او للتعميم اي فمن فعل ذلك فاولئك هم
المضعفون فيكون اثباتا برهانيا **الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم
يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء** الله مبتدا والذي خلقكم خبره
او صفة والخبر هل من شركائكم والرابط للجملة بالمبتدا ذلكم لان معناه
من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال
والثالثة لاستغراق النفي وكل منهما مستقلة بتاكيد لتعجيز الشركاء
وتجهيل عبدتهم فان معنى الاستفهام الانكار المستلزم للنفي على سبيل
التاكيد اثبت الله تعالى هذه الافعال التي هي من لوازم الالوهية
وخواصها ونفاها عن شركائهم من الاصنام وغيرها لما دل عليه البرهان
والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك انه منزه ان يكون
له شركاء **سبحانه وتعالى عما يشركون** فبل لم لا يجب عما سئل عنه تحيرا قال
استبعادا سبحانه الى آخره **ظهر الفساد في البر والبحر** مثل الموتان في الناس
والدواب والجدب والقحط وكثرة الحرق والغرق وقلة الزرع والنبل
وخيبة الصيادين والغاصة وخسران التجار واحتباس الامطار ومحق
البركات وشمول الآفات **بما كسبت ايدي الناس** بشؤم معاصيهم
وذنوبهم وقيل ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر بان

جلندي يأخذ كل سفينة غصبا وعن الحسن ان المراد بالبحر المدن والقرى
التي على شاطئه **ليذيقهم بعض الذي عملوا** ارادوا بانه في الدنيا فان
جزاءه الموعود في الاخرة ولما كان ما في الدنيا موجب شآمة ما عملوا ام
وتقتضي شأن ذلك العمر نزل منزلته واللام للعلة استعيرت هنا لترتيب
المسبب على السبب **لعلهم يرجعون** لارادة الرجوع عما هم عليه **قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل** امرهم بالسير في الارض
والنظر في اثار من اهلك الله تعالى من الامم قبلهم بسبب كفرهم ومعاصيهم
ليشاهدوا مصداق ذلك ويتحقق صدقه **كان اكثرهم مشركين** استئناف
للدلالة على ان منهم من اهلكهم بسبب ساير المعاصي ولم يكن الشرك
وحده بسبب تدمير الكل **فاقم وجهك للدين القيم** البليغ الاستقامة الذي
لا يتأتى فيه عوج يجي قد بلغ الانذار مبلغه فلا تهتمن لاعراض هؤلاء
واقصد انت الطريق الذي يوصلك الى الدين المستقيم وهو ما تقدم
ذكره فطرة الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين القيم **من قبل ان يأتي
يوم لا مرد له من الله** يوم يأتي من الله يوم لا يقدر ان يرده احد او يأتي
يوم لا رد له من جهة الله اي لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة
بمجيئه **يومئذ يصدعون** يتصدعون اي يتفرقون الاشخاص على
ما ورد في قوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث لا تفرق
الفريقين بحاطته من قال فريق في الجنة وفريق في السعير فان
المبالغة في التفرق المستفاد من يصدعون انما يناسب الاول ثم
استئناف لبيان شأنهم في تلك الحال فكانه يقول لكل امرئ منهم
يومئذ شأن يغنيه **من كفر فعليه كفره** وبال كفره مبالغة في احاطة
جميع المضار لان مرجع الكفر ووباله غاية في المضار لا ولا ورا لها
وهي احاطة النار به **ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون** اي يسوون
منزلا في الجنة لا انعم ولا اجلب للراحة منه وهو تمثيل لحالهم بحال من يمهد
فراشه ويوطئه لنفسه في غاية النعومة بحيث لا يصيبه في مرقده
ما ينغصه عليه من ادنى خشونة وتقديم الظرف في الموضعين
للاختصاص وصيغة الافراد في الكافر للدلالة على انفراده في زمان
عذابه تشديدا له فان الوحشة نقمة اخرى وصيغة الجمع في المؤمن
للدلالة على ان لهم نعمة الانس زيادة على ثوابهم الجزيل وفي مقابلة
من كفر بمن عمل صالحا تنبيه على ان العمل الصالح من روادف الايمان
لا يوجد مع الكفر ولما كان العمل الصالح كناية عن الايمان لم يبق قسم اخر
مجهول الحال **ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله** مما يتفضل
به عليهم لان الثواب من الفضل والعقاب من العدل وقوله ليجزي

تعليل ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود
بالذات والاكتفاء من جزاء الكافرين بفحوى قوله **انه لا يحب الكافرين** وتو
صيف المؤمنين بالعمل الصالح ليس للتخصيص بل للتنبيه على ان الايمان
الخالص شأنه استتباع العمل الصالح وليمهدون والموصول مع صلته
من باب وضع الظاهر موضع المضمر والتصريح بالتكرير للمدح
والاشعار بانه هو الموجب للكرامة والاستحقاق والترغيب في الايمان
والصلاح وكذا انه لا يحب الكافرين بعد قوله من كفر فعليه كفره فانه
تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس اي بتقرير الاول الثاني وبالعكس
وذلك ان قوله ليجزي الذين امنوا الى اخره يدل بمنطوقه على اختصا
صهم بالجزاء التكرمي وبمفهومه على انهم اهل الولاية والزلفى وقوله
انه لا يحب الكافرين لتعليل الاختصاص يدل بمنطوقه على ان عدم
المحبة اقتضى حرمانهم وبمفهومه على ان مقتضى الجزاء لاضدادهم
موفور فهو يحب المؤمنين **ومن اياته** اي ومن ايات قدرته وحكمته
ان يرسل الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما
الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا
تجعلها ريحا وذلك لان العرب يقول لا تلقح السحاب الا من رياح مختلفة
يريد اجعلها لقاحا للسحاب ولا تجعلها عقابا ويحقق ذلك مجيء
الجمع في ايات الرحمة والواحد في قصص العذاب وقرئ الريح على
ارادة الجنس ثم عدد الفوائد في ارسالها فقال **مبشرات** اي
ارسالها للبشارة في الغيث **وليذيقكم من رحمته** ولاذاقة الرحمة
وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي هو مع هبوب
الريح وزكاء الارض وغير ذلك عطف على علة او على شيء محذوف
دل عليه مبشرات او عليها باعتبار المعنى لانه في معنى التعليل كانه
قيل ليبشركم وليذيقكم او متعلق بمحذوف دل عليه ان يرسل تقديره
وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها **ولتجري الفلك** عند
هبوبها **بامره ولتبتغوا من فضله** بتجارة البحر **ولعلكم تشكرون**
ولتشكروا نعمة الله فيها **ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
فجاؤهم بالبينات** لما وسط بين دلائل التوحيد تسلية الرسول
عليه السلام ووعده اقتصر الكلام بادراج ذكر الفريقين في طي
ذكر الانتقام والنصر تقريبا للمقصود وقصر الطريقة والمعنى
فجاؤهم بالبينات فمنهم من امن ومنهم من كفر **فانتقمنا** في الدنيا
من الذين اجرموا اي كفروا بالتدمير **وكان حقا علينا نصر
المؤمنين** اشعار بان الانتقام من المجرمين كان لاجلهم وتعظيم

لهم واظهار لكرامتهم عند الله تعالى بان جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم
مستوجبين لان يظهرهم على عدوهم ولذلك قدم الخبر على الاسم اعتنا
بهم وبحقية نصرهم عليه وقد يوقف على حقا على ان اسم كان ضمير
الانتقام ويبتدا علينا نصر المؤمنين اكتفا من معنى الحق تعليقا الله
الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السما متصلا تارة
في الجو كيف يشا سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون
جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرى بالسكون
على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به والمراد بالسما جهة
العلو وسمتها فترى الودق المطر يخرج في التارتين من خلاله وسطه فاذا
اصاب به بالودق من يشا من عباده يريد اصابة بلادهم واراضيهم
اذا هم يستبشرون بمجي الخصب وان كانوا ان هي المخففة من الثقيلة
واللام في لمبلسين هي الفارقة بينها وبين النافية من قبل ان ينزل
المطر عليهم من قبله تكرير للتاكيد كقوله فكان عاقبتهما انهما في
النار خالدين فيها وللدلالة على بعد عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم
وتمادي ابلاسهم ليفيد مبالغة في استبشارهم فان الفرح بنزول
المطر على قدر اغتمامهم بانقطاعه وتفوه به معنى التاكيد واللام في
لمبلسين اي ايسين متحيرين من الغم منقبضين وكذلك معنى
السببية في فانظر الى اثار رحمة الله من النبات والاشجار وانواع
الثمار وغير ذلك اي اذا كان كذا الاستبشار في نزوله وجعل الغم عقب
احتباسه فانظر الى اثار رحمته كيف هو واعتبره والضمير في فانظر
لكل مخاطب كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى اي
ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس
بعد موتهم فهذا استدلال باحيا الموات على احيا الاموات وفي
ان واللام تاكيد وتقوية للدليل في مقابلة انكارهم ثم قرره وقواه
بقوله وهو على كل شي قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات
على السواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه اي فراوا اثر رحمة الله
لان الرحمة الغيث واثره النبات مصفرا يابسا جافا لانه اذا
يبس اصفر وقيل الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام
موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده
يكفرون جوابه سد مسد جزا الشرط ولذلك فسر بالمستقبل
اي ليظللن من بعد اصفراره يكفرون نعمه وهذه الايات ناعية
على الكفار قلة تثبتهم وسرعة تزلزلهم لعدم تدبرهم وسوء
رايهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله في الاحوال

كلها

كلها ولا يقنطوا فيشكروا نعمه عند السعة والرخا ويصبروا عند
الضيق والبلا ولا يكفروا نعمه في الشدة واللاوا ويرضوا بما جرى من القضا
فيفوزوا في الدارين بالنعما والبقا في فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع
الصم الدعا للسببية اي اذا كفروا ولم يتنبهوا بهذه الايات الواضحات ولم
يسمعوه فهم موتى او صم عمي فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم ولا
تهدي العمي وتقييد الحكم بقوله اذا ولوا مدبرين للمبالغة في غفلتهم
وتماديهم في جهلهم وعدم سمع الدعوة فيهم فان الاصم وان لم يسمع
فاذا كان مقبلا فربما تفطن بالاشارات والحركات واما اذا كان مدبرا
فلا امكان لسماعه وفهمه وما انت بهادي العمي انما عدل هنا عن
صيغة الفعل الى صيغة الفاعل لانه لم يرد نفي الهداية في الجملة ممكنة للاعمى
بل اراد نفي الهداية التامة ولذلك ضمنها معنى الاذهاب فقال
عن ضلالتهم يقال هداه عن الضلالة اي ابعده عنها بالهدى ومن قرى
وما انت تهدي العمي فقد اكتفى بما في قوله عن ضلالتهم من الدلالة
على المراد والله الهادي الى سبيل الرشاد ان تسمع الا من يؤمن باياتنا
فان ايمانهم يدعوهم الى سماع اللفظ وتدبر المعنى فهم منقادون لما امرتهم به
فهم مسلمون منقادون لاوامر الله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف
ابتداكم منه وجعل اساس امركم وما عليه بنيتكم الضعف كقوله خلق
الانسان من عجل وذلك حال الطفولية والصبا وقرى ضعف بالفتح
والضم وهما لغتان كالفقر والفقر والثاني اقوى قراة لما روي ان ابن عمر
رضي الله عنهما قال قراتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقراني
من ضعف بالضم ثم جعل من بعد ضعف قوة وهو حال الشبيبة من اوان
البلوغ الى زمان الكهولة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ثم ردكم
الى الضعف والشيخوخة وزيادة قوله وشيبة للتنبيه على ان المراد
الشدة بحسب السن ففيه رفع لذهاب الوهم الى ان يراد بالجعل الاول
الخلق من النطفة ومن الثاني نفخ الروح في البدن والتنكير مع التكرير لان
المتاخر عين المتقدم يخلق ما يشا من ضعف وقوة وشيبة وهو العليم
القدير فان هذه الانتقالات في الاحوال المختلفة دالة على انه تعالى
يخلق على مقتضى المشية والعلم والقدرة لان التغير من صورة المصنوعة
والتردد من حالة الى حالة مع امكان خلاف ذلك دليل على الارادة
المبنية على العلم والحكمة المفضية الى القدرة ويوم تقوم الساعة
الساعة للقيامة من الاسما الغالبة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة
سميت بها لانها تقوم في اخر ساعة من الدنيا وقيل لانها تقع بغتة
كما تقول لمن يستعجل في ساعة يقسم المجرمون يحلف الكافرون

ما لبثوا في الدنيا او في القبور او في ما بين فناء الدنيا وانقطاع عذابهم
وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو يحتمل الساعات
والايام والاعوام غير ساعة الظاهر من القسم ان ما ذكروه على زعمهم
لنسيانهم لانهم استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم لان ذلك
القول منهم قبل الدخول في زمان عذاب الاخرة والوقوف
على مدتها فلا وجه للاضافة اليها كذلك مثل ذلك الصرف عند الصدق
الى الكذب ويقولون ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وقال
الذين اوتوا العلم والايمان من الملك والانس والجن لقد لبثتم في كتاب
الله فيما كتبه واوجبه لكم على ان في للتعليل كما في قوله عليه السلام ان امراة
دخلت النار في هرة حبستها الى يوم البعث ردوا ما قالوه وحلفوا عليه
واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقوله
فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم والفاء فصيحة دخلت
جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه ولكنكم
كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم وقرئ بالياء لان المعذرة بمعنى العذر ولان تانيثها غير
حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون الاستعتاب الاسترضاء
يقال استعتبني فلان فاعتبته اي ازلت عتبه وارضيته والمعنى
لا يطلب منهم ان يسترضوا ربهم بالتوبة والطاعة كما طلب منهم في
الدنيا ولا يقال لهم استرضوا ربكم ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل ولقد بينا كل امر من امور الدين والتوحيد واحوال الاخرة
في هذا القرآن بالتمثيل او وصفنا لهم كل صفة هي في الغرابة كالمثل
كصفة المبعوثين واحوالهم ومقالاتهم وعدم فائدة معذرتهم وتوبتهم
واستعتابهم ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون
ولكن لقسوة قلوبهم واحتجابها بمزخرفاتهم لئن جئتهم باية عظيمة لنسبوك
ومن معك من المؤمنين الى التزوير والابطال او والذين كفروا موضوع موضع
الضمير للتصريح بكونهم ذما وبيان ان كفرهم هو الموجب للعناد والانكار
ونسبة المحق الى التزوير والابطال كذلك مثل ذلك الطبع العظيم يطبع الله
على قلوب الذين لا يعلمون من باب اجرا المتعدي مجرى اللازم اي
الذين لا علم لهم ولا يطلبونه ويصرون على معتقداتهم الباطلة حتى طبع
على قلوبهم وران بسبب الجهل المركب المانع من ادراك الحق ومعرفة المحق
والفاء في فاصبر للسببية على تقدير شرط اي واذا علمت انهم جهال
مطبوع على قلوبهم فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرك واظهار دينك
على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ولا

يحملنك

يحملنك على الخفة والقلق قول هؤلاء الجهلة فانهم قوم شاكون ضالون لا تستبعد
ذلك منهم وقرئ لا يستخفنك من الاستخفاف اي لا يزيغنك فيكونوا احق
بك من المؤمنين

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك ايات الكتاب الحكيم سبق بيانه في سورة يونس عليه السلام
هدى ورحمة حالان من الايات والعامل ما في تلك من معنى الاشارة وقرئ
بالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف للمحسنين الجامعين
بين العلم والعمل وقوله الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم
بالاخرة هم يوقنون بيانه كما قال الالمعي الذي يظن [بك الظن صح] كان قد راى وقد
سمعا او الذين يعملون الحسنات كلها وتخصيص الثلاث بهذه
الثلاثة بالذكر لاناقتها وفضل الاعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما
حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
سبق تفسيره في سورة البقرة ومن الناس من يشتري لهو الحديث
نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري اخبار الاكاسرة من فارس ويقول
ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فانا احدثكم طرفا من احاديث
رستم واسفنديار فيميلون الى حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل
كان يشتري القينات ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه
عنه بشغله باللهو واللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو
السمر بالاساطير التي لا اصل لها والغناء والاشتراء من الشرى كما روي عن
النضر او من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه
عليه والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث المنكر او الاعم
منه ثم على الثاني بمعنى التبعيض باعتبار ان بينهما عموما وخصوصا
من وجه ولكن لا يكون من مقتضى الاضافة ليضل عن سبيل الله اي
عن دينه او عن قراءة القرآن وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليثبت على الضلال
عن الدين ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل
الباطل بالحق والضلالة بالهدى حال من ضمير يشتري اي جاهلا والضمير في
ويتخذها للسبيل لانها مؤنثة هزوا سخرية وقرئ يتخذ بالنصب
عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستئثارهم
الباطل عليه واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبا بها كان
لم يسمعها مشبها حاله في عدم التفاته اليها حال من لم يسمعها كان في اذنيه
وقرا ثقلا لا يقدر ان يسمع كان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان
محذوف والاصل كانه لم يسمعها جملتان وقعتا حالا من ضمير ولى او ضمير
مستكبرا او كان بدل من الاول او حال من ضمير لم يسمع فيهما حالان متداخلتان

ويجوز ان يكونا جملتين مستانفتين فبشره بعذاب اليم تهكم بهم والمعنى
اعلمه ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم النعيم جنة
من الجنان الثمانية كالماوي والعدن وقد سبق التفصيل في سورة البقرة
والتعبير عن جنة واحدة بالجنات للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير
في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام من معنى الاستقرار وعد الله
حقا مصدران موكدان الاول لنفسه لان قوله لهم جنات النعيم في معنى
وعدهم الله جنات النعيم والثاني لغيره لان معناه الصدق والثبات
وليس كل وعد كذلك وهو العزيز القوي الذي لا يغلبه احد فيمنعه عن
انجاز وعده وانفاذ وعيده الحكيم الذي يفعل ما يفعل بمقتضى الحكمة
خلق السموات بغير عمد ترونها قد سبق في تفسير سورة الرعد والقى
في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم لئلا تضطرب بكم فقيل تشابه
اجزائها يقتضي تبدل احيازها واوضاعها وفيه نظر اذ لم يقم دليل على
تشابه اجزائها بل الظاهر خلافه وبث فيها من كل دابة وانزلنا
فيه التفات في نحو البلاغة لان انشا هذه الامور العظام خاصة مما به
حبونهم من انزال الما وانبات اصناف النبات موضوع للتنبيه والايقاظ
للعبادة والشكر على النعمة والاعراض عن الشرك من السما ما فانبتنا فيها
من كل زوج كريم صنف كثير المنفعة استشهد بما ذكر من الاشيا الدالة على
كمال قدرته وحكمته على الوهيته وتوحيده واستحقاقه للعبودية ثم
بكتهم بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه اي ماذا
خلقته الهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة فاذا نصب بخلق او ما مرتفع
بالابتدا وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه ثم اضرب عن تبكيتهم والتفهم
بهم الى التسجيل عليهم بالظلم والتورط في ضلال ليس بعده ضلال
فقال بل الظالمون في ضلال مبين ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة
على انهم ظالمون باشراكهم ولقد اتينا لقمان الحكمة الجمهور على انه كان
حكيما ولم يكن نبيا والحكمة هي الكمال العلمي مع العملي اي العلم بتحقيق الاشيا
على ما هي عليه والملكة التامة على الافعال الفاضلة ان اشكر الله ان هي
المفسرة لان ايتا الحكمة في معنى القول وانما فسر الله الحكمة بالشكر
تنبيها على ان الحكمة المعتدة بها هي المقتضية للعمل الصالح والشكر لله
تعالى والعبادة ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عايد اليها
وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر حذف جزاوه وهو فانما
يكفر على نفسه اي ضرر كفره لا يتعدى عنها لانفهامه بقرينة قرينته
واقيم مقامه تعليله وهو قوله فان الله غني عن الشكر لا ينتفع
بوجوده ولا يتضرر بعدمه حميد بذاته حقيق بان يحمد وان لم يحمد

احد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال وهو انطق من لسان
المقال واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق لا تشرك بالله
قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما
ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة
منه اصلا ووصينا الانسان بوالديه الى قوله تعملون ايتان معتر
ضتان في اثنا وصية لقمن لابنه تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وذكر
الوالدين استطرادا كانه قال ووصيناه بمثل ما وصى به حتى ان الوالدين
اللذين وصينا بتعظيمهما وبرهما وطاعتهما وجعلناهما تلو الباري في
وجوب الشكر والطاعة لهما ان امرا بالشرك لم تجز طاعتهما وتقليدهما فيه
مع وجوب مصاحبتهما في الدنيا بالمعروف فما ظنك بغيرهما حملته امه
لما وصى بالوالدين اكد التوصية في حق الام خصوصا بذكر مصاحبتها في
الحمل والفصال وما تكابده من المشاق والمتاعب فيهما فاعترض بين
المفسر تذكيرا لحقها العظيم مفردا ولذلك قال النبي عليه السلام لمن قال
من ابر امك ثم امك ثم قال بعد الثالثة ثم اباك وهنا حال وهو
في الاصل نصب على المصدر من فعل وقع حالا اي تهن وهنا او ذات وهن
على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف اي ضعفا متزايدا لان
الحمل كلما ازدادت مدته ازداد ثقلا فازداد ضعفا فوق ضعف
وفصاله في عامين وفطامه في انقضا عامين وكانت ترضعه في تلك المدة
وتوقيت الفصال بالعامين بيان ان هذه المدة اقصى غاية الرضاع
ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا والجملتان معترضتان
بين المفسر والمفسر او بدل من والديه بدل الاشتمال الي المصير هو
ترغيب وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اي باستحقاقه
للاشراك به وقيل اراد بنفي العلم نفي المعلوم اي ان تشرك بي ما ليس بشي
كقوله ما تدعون من دونه من شي فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا
معروفا صفة مصدر محذوف اي صحابا معروفا اي مصاحبا معروفا
بخلق حسن وبر واحتمال وصلة وحلم وغير ذلك مما يقتضيه الشرع وتقتضيه
الكرم والمروة واتبع سبيل من اناب الي اي سبيل المومنين في دينك ولا
تتبع سبيلهما فيه ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم
تعملون فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما روي انها نزلت
في سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وامه وفي القصة انها مكثت
ثلثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بالعود ولذلك قيل من اناب
اليه تعالى ابو بكر رضي الله عنه فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك
مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساة والاحسان ان تك مثلا

في الصغر كحبة الخردل والمثقال مقدار يسيا وي غيره في الوزن وقرئ
مثقال بالرفع على ان الضمير للقصة وكان تامة وتانيث المثقال
لاضافته الى الحبة او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة
او في السموات او في الارض في اخفى مواضع واحرزه كجوف صخرة او
مكان كمحدب سما من السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ فتكن ه
بكسر الكاف من كن الطاير يكن اذا استقر في وكنته اي ميلته يات بها الله
يحضرها يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف ينفذ علمه في
البواطن فيصل الى كل خفي خبير يكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها
خبير بمستقرها يا بني اقم الصلاة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه
عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد لا سيما في
ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر او الى ما كلف به من عزم الامور مما
عزمه الله تعالى من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام مصدر اطلق
للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي
والمعنى من عازمات الامور ولا تصعر خدك ولا تلوي صفحة وجهك
كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء يصيب البعير فيلوي عنقه
للناس اي لاجلهم لم يغل عن الناس لان المنهي ما يكون تصغيرا للناس
وتحقيرا لهم لا الميل عنهم مطلقا فانه اذا كان لامر اخر لا يكون منهيا
ولا تمش في الارض مرحا مصدر في موضع الحال بمعنى مرحا او مصدر
محذوف الفعل اي تمرح مرحا ومفعول له اي للمرح يعني لاجل البطر
والبطارة لا لغرض صحيح ديني او دنيوي ان الله لا يحب كل مختال فخور
علة للنهي وتاخير الفخور وهو في مقابلة المقدم من المنهيين وكذا الاتيان
بصيغة المبالغة لتوافق روس الاي والمراد بتخل وفخور حتى تكون المحبة
مسلوبة عن كل منهما اصالة للتنبيه على ان الدخل في الجملة في عدم
محبوبيته تعالى كاف في الانتهاء عنه ومن هنا ظهر الوجه للعدول
عن اثبات البغض الى سلب المحبة ثم ان سلب النفي داخل على اداة
السور لفظا وهي داخلة عليه معنى اي لا يحب واحدا منهم والاجتناب
مشية المتكبر والفخر ذكر المنافي للتطاول بها على السامع واقصد في
مشيك واعتدل فيه اي توسط بين الاسراع والدبيب يعني لا تثب
وثوب الشطار ولا تدب دبيب المتماوتين قال النبي عليه
السلام سرعة المشي تذهب بها المؤمن واما قول عايشة في عمر
رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة
عن دبيب المتماوتين وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد
سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ويجوز

ان يكون الغض في الصوت مستعارا من غض البصر فانه خفض ان انكر
الاصوات اوحشها لصوت الحمير الحمار ويفاقه مثل في الذم البليغ
ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي الاية ذم بليغ للرافعين
اصواتهم حيث شبهوا بالحمير واصواتهم بالنهاق ثم طرح التشبيه
واخرج الكلام مخرج الاستعارة كل ذلك للتهجين برفع الصوت
والتنفير عنه والحث على الغض والترغيب فيه وتوحيد الصوت لان
المراد جنسه الذي هو مثل في النكر لا افراده الم تروا ان الله سخر لكم
لاجلكم ما في السموات ما في جهة العلويات من الكواكب واوضاعها
والسحاب وامطارها بان جعلها اسبابا لمنافعكم وما في الارض
اي في الجهة السفلية بان سلطكم عليها ومكنكم من الانتفاع بها
بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة محسوسة
وباطنة معقولة ومخفية عنكم ما لم تدركوه بعقولكم ومن الناس
من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل
ولا هدى راجع الى نبي ولا كتاب منير بل بتقليد صرف كما صرح
به في قوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا وفيه منع صريح عن التقليد في الاصول اولو كان الشيطان
يدعوهم جواب لو محذوف لدلالة نتبع عليه اي لا تتبعوه والواو
للحال والهمزة للانكار والتعجب والضمير لابائهم ولهم اي ايتبعونهم
في حال دعاء الشيطان اباهم الى عذاب السعير اي الى ما يؤدي
اليه من الشرك والتقليد ومن يسلم وجهه الى الله من سلم اليه
المتاع اذا دفعه اليه ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي
باللام فلتضمين معنى الاختصاص اي من يجعل ذاته ونفسه
سالما خالصا لله تعالى وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة
الوثقى فقد تعلق باوثق ما يتعلق به مثل حال المتوكل المفوض نفسه
الى الله تعالى بحال من اراد ان يترقى من شاهق فاحتاط لنفسه بان
استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون الانقطاع والى
الله للاختصاص اي صايرة الى الله لا الى غيره عاقبة الامور فيجازي
عليها ومن كفر فلا يحزنك كفره فلا يهمنك كفره وكيده للاسلام
فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ ولا يحزنك والمستفيض
في الاستعمال احزن في الماضي ويحزن ثلاثيا مجردا في المستقبل
الينا مرجعهم خاصة فننبئهم بما عملوا فنعاقبهم على اعمالهم
ان الله عليم بذات الصدور ان الله يعلم ما في صدور عباده
فيجازيهم على حسبه نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان الزايل

بالنسبة الى الدايم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ استعار الغلظ
من الاجرام الغليظة لثقل العذاب عليهم وشبه الزامهم العذاب
باضطرار المضطر الى الشي الذي لا يقدر على الانفكاك منه ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان الملجي الى
الاذعان به قل الحمد لله على الزامهم واقرارهم بان الخالق هو الله وحده
وانه يجب ان يكون له الحمد وان يعبد معه غيره بل اكثرهم لا يعلمون
ان اقرارهم يلزمهم وبل اضراب عن دعوتهم لجهلهم وانهم لا ينتبهون
بالتنبيه ولا يتفطنون ان قولهم عليهم لله ما في السموات والارض
تقرير للتوحيد باختصاص الملك به ودخول الهتهم في ملكه ان الله
هو الغني عنهم وعن اسلامهم وحمدهم الحميد المستحق للحمد المحمود
منك ومن كل عارف وان لم يحمدوه ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام توحيد شجرة لتفصيل الجنس ونقص كل واحدة من جنس الشجر
واستغراق عمومها اي جميع ما في الارض من شجرة شجرة حتى لا يبقى
واحدة منها الا كانت قلما والبحر بالرفع عطفا على محل ان
ومعمولها ويمده من بعده حال والابتدا على انه مستانف والواو
للحال وبالنصب عطفا على اسم ان واضمار فعل يفسره يمده اي ولو
ثبت كون اشجار الارض كلها اقلاما وكون البحر ممدودا سبعة ابحر
او على الابتدا والواو للحال اي ولو ان الاشجار اقلام في حال كون
البحر ممدودا واستغني بالواو عن الضمير لكون امثال هذه
الاحوال جارية مجرى الظرف ويجوز ان يكون اللام بدل الاضافة
اي وبحرها والضمير للارض وقرئ وبحر يمده على التنكير ولا جملة له
الا العطف على محل ان واسمها وقرئ يمده ويمده من مد الدواة
وامدها واغنى عن ذكر المداد بقوله يمده ما نفدت كلمات الله
اختار جمع القلة على جمع الكثرة وهي الكلم للاشعار بانها لا تفي بالقليل
منها فضلا عن الكثير والتقدير ولو ان اشجار الارض كلها اقلام والبحر
المحيط دواته فجعل البحر بمنزلة الدواة والابحر السبعة مملوة مدادا
تمدها ابدا وكتب بها كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت الاقلام
والمداد لقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربي ان الله عزيز حكيم لا يعجزه شي ولا يخرج عن
علمه وحكمته امر ومن كان كذلك لا تنفد كلماته وحكمه عن ابن عباس
رضي الله عنهما انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التورية
وفيها كل الحكمة وقيل امر وفد قريش ان يقولوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اليس انك تتلو فيما انزل عليك انا قد اوتينا التورية

وفيها علم كل شي

وفيها علم كل شي واما ما قيل انها نزلت حين سالوا عن قوله وما اوتيتم من
العلم الا قليلا فمخالفة لنزول التورية وفيها علم كل شي فيرد عليه انه لا يصلح
سببا للنزول اذ ليس فيما نزل تعرض لوجه التوفيق بينهما ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها لانه لا يشغله شان عن شان
فلا يتفاوت عنده القليل والكثير لانه يكفي في وجود الكل تعلق ارادته
القديمة منضمة الى قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشي اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون ان الله سميع لكل مسموع بصير لكل مبصر فلا
يشغله ادراك بعضها عن بعض وكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل من الشمس
والقمر يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معين الشمس الى اخر السنة
والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيمة لانه منتهى جريهما ومنقطعه
استعمل الجري هاهنا مع حرف الانتها وفي فاطر مع حرف الاختصاص لان يجري
لادراك اجل معين لان بلوغ الجري الى منتهاها يوفق اختصاص الجري
بادراك الاجل المعين في المعنى فكلا المعنيين يتوافقان في افادة المقصود
وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك الوصف الذي وصف به من كمال
القدرة والحكمة بان الله بسبب ان الله هو الحق الثابت في ذاته والثابت
الالوهية وان ما تدعون من دونه الباطل المنتفي الالوهية او المعدوم في حد
ذاته وان الله هو العلي الشان الكبير السلطان او المترفع على كل شي الكبير
عن ان يشرك به شي الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله باحسانه في تهيئة
اسبابه او برحمته والبا للصلة او الحال وهو استشهاد اخر على باهر قدرته
وكمال حكمته وشمول نعمته ليريكم من اياته اي بعض دلايل قدرته وحكمته
ورحمته ان في ذلك لايات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في
الانفس والافاق شكور يعرف النعم ويعرف مانحها وهما صفتان للمؤمن فان
الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فكانه قال ان في ذلك لايات لكل
مؤمن وقيل صبار على بلايه وشكور لنعمايه واذا غشيهم واذا علاهم وغطاهم
موج مرتفع متراكم كالظلل جمع ظلة وهي كل ما اظلك من جبل او سحاب او
غيرهما وقرئ كالظلال كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال
ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما
نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ثابت على الطريق القصد الذي هو التوحيد اي
باق على الاخلاص الحادث في البحر وقليل ما هم او متوسط في الكفر لانزجاره بعض
الانزجار وانخفاضه عن علوايه وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه مبالغ
في الغدر ناقض للعهد الفطري او لما عاهد الله عليه في البحر والختر اشد
الغدر كفور بنعمة الله يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما التنكير للتفخيم

والتهويل **لا يجزي والد عن ولده** لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ اي لا يغني والجملة صفة يوما والعائد محذوف اي لا يجزي فيه **ولا مولود** عطف على والد او مبتدا خبره **هو جاز عن والده شيئا** وتغيير النظم بالعدول عن الجملة الفعلية الى الجملة الاسمية للتوكيد والدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي شيئا عن والده وحسم اطماع المومنين ان ينفعوا اباهم الكفار في الاخرة فانهم كانوا ينتفعون ذلك وللمبالغة في التاكيد جي بلفظ هو ومولود دون ولد لان الولد يطلق على ولد الولد بخلاف المولود فانه لا يطلق على ولد الولد الا بالنسبة الى الذي ولد منه اي لو قصد النفع لمن ولد منه لم يقدر عليه فضلا ان ينفع لاحداده كذا قيل ومبناه على تخصيص الخطاب والحكم والظاهر العموم فالوجه ان يقال ان الامر من شانه ان يكون جازيا عن والده لما عليه من الحقوق والوالد يجوز لما فيه من الشفقة فليس الثاني كالاول **ان وعد الله** بالثواب والعقاب **حق** لا يمكن خلفه **فلا تغرنكم الحياة الدنيا** بزينتها فان نعيمها دانية ولذاتها فانية **ولا يغرنكم بالله الغرور** الشيطان وقرئ بضم الغين فحمل الغرور غار للمبالغة او ارادة زينة الدنيا لانها غرور واطلاق لاسم المسبب على السبب **ان الله عنده علم الساعة** علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى تمطر السما وحمل امراتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت اي محفوظة علمها من جهته تعالى لا يصل اليه غيره فان كون الشي عنده عبارة عن كمال حفظه وبهذا الوجه يظهر اختصاصه من العلم المذكور به تعالى **وينزل الغيث** اي يرسل المطر النافع بحسب المصالح على التدريج في اوقات متعددة **ويعلم ما في الارحام** اذكر ام انثى احي ام ميت اتام ام ناقص **وما تدري نفس** اية نفس كانت وانما جعل علم الله تعالى والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الحيل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها **ماذا تكسب غدا** من خير او شر فربما كانت عازمة على خير فعلت شرا او عازمة على شر فعلت خيرا **وما تدري نفس** **باي ارض تموت** اي اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتارها وقالت لا ابرحها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن واعلم ان الانطباق على سبب النزول المذكور والاتفاق بما روي في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمهن الا الله تعالى ان الله عنده علم الساعة الاية انما يكون على تقدير ان

يظهر علم

يظهر علم اوقات نزول الغيث وعلم احوال الحمل به وذلك بان يكون تقديره قوله وينزل الغيث وان ينزل الغيث فحذف ان لقوله عطفا على الساعة يعني عنده علم الساعة وعلم انزال الغيث فحذف ان كقوله الا ايها اللائمي احضر الوغى والمعنى ان احضر الوغى وقس على هذا قوله ويعلم ما في الارحام **ان الله عليم خبير**

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ان جعل الم اسما للسورة فهو مبتدا تنزيل الكتاب خبره على ان التنزيل بمعنى المنزل ومن رب صلة تنزيل او خبر ثان وان جعل تعديدا للحروف فتنزيل خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له من الاعراب والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة اي لا ريب في ذلك يعني في كونه منزلا من رب العالمين او الخبر لا ريب فيه ومن رب العالمين خبر ثان او حال من الضمير في فيه على انه للتنزيل او الكتاب **ام يقولون افتراه** مويد لرجوع الضمير في فيه الى مضمون الجملة وكذا قوله **بل هو الحق من ربك** لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين والهمزة في ام يقولون انكار لقولهم وتعجيب منه فيكون الكلام مصدرا باعجازه واثبات انه من رب العالمين مقررا بانه لا ريب في ذلك ثم مقفي بالاضراب عن ذلك الى انكار قولهم افتريه والتعجيب منه لظهور امره في الاعجاز ثم بالاضراب عن الانكار الى تقرير المقصود وبعدود قولهم واثبات انه الحق من ربك ثم ببيان الغرض منه بقوله **لتنذر قوما ما اتاهم من نذير** ولا يشكل هذا بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير لانه لم يخل عن الوقوف شريعة ينذرهم وان لم يات نذير **من قبلك** لانهم كانوا اهل الفترة **لعلهم يهتدون** بانذارك اياهم **الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش** سبق تفسيره في سورة الاعراف **ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع** ما لكم اذا جاوزتم رضا الله تعالى احد ينصركم او يشفع **افلا تتذكرون** بمواعظ الله **يدبر الامر من السما الى الارض** يدبر امر الدنيا كلها باسباب سماوية نازلة اثارها الى الارض لكل يوم من ايام الله هو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون **ثم يعرج اليه** اي يصير اليه ويكتب عنده في صحف ملائكته **في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون** كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان يبلغ المدة اخرها ثم يدبر ايضا ليوم اخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السما الى الارض ثم يعرج اليه في

زمان هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة فان ما
بين السما والارض مسيرة خمس مائة عام وفيه نظر اذ لا يلزم من قطع المسافة
الطويلة في مدة قصيرة ان تكون تلك المدة طويلة في الحقيقة وذلك
ظاهر نعم لو قيل في قوله مقداره يجوز فان المقدار المذكور للمسافة
باعتبار قطعها المعتاد لكان له وجه ذلك عالم الغيب والشهادة فدبر
وفق علمه العزيز القوي بانفاذ امره الرحيم على العباد في تدبيره على وفق
مصالحهم تفضلا وامتنانا الذي احسن كل شيء خلقه حسنه على وفق الحكمة
والمصلحة موفورا عليه ما يستعده ويليق به وان تفاوتت الى
حسن واحسن وخلقه بدل من كل شيء بدل الاشتمال وقيل علم كيف
يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان
وقرئ بفتح اللام فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل
وبدا خلق الانسان يعني ادم عليه السلام من طين ثم جعل نسله
من سلالة النسل الذرية سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل وتخرج
من صلبه والسلالة ما يسل من الشيء ويخرج من ماء مهين ضعيف
حقير ثم سويه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه
من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واظهارا بان له خلقا عجيبا
وان له شانا له مناسبة ما الى حضرة الربوبية قال عليه السلام من
عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا وانما قدم السمع على البصر
لخساسته نظرا الى البصر فان الكلام على اسلوب الترقي من الشريف
الى الاشرف فالاشرف قليلا ما تشكرون اي تشكرون شكرا قليلا
وقالوا قيل القائل ابي بن خلف ولا حاجة الى رضاهم بقوله في الاسناد
اليهم بل يكفي وجود القول بينهم كقوله واذ قتلتم نفسا ائذا ضللنا
بالفتح والكسر في الارض اي صرنا ترابا مختلطا بتراب الارض بحيث
لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ صللنا من صل اللحم اذا انتن وقيل
صرنا من جنس الصلة وهي الارض وقرئ اذا على الخبر والعامل فيه ما
دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو يبعث او يجد وخلقنا وقرئ انا على
الخبر بل هم بلقاء ربهم كافرون لما ذكر كفرهم بالبعث اعرض عنه الى
ما هو ابلغ في الكفر بما بعد الموت من الرجوع الى الله والجزا قل يتو
فيكم التوفي استيفا النفس من قولك توفيت حقي من فلان
واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا اي يقبض نفوسكم بتمامها ملك
الموت الذي وكل بكم اي بقبض ارواحكم عند انتها مدة اعماركم وفي
عبارة وكل بكم اشارة الى وجه التوفيق بين هذه الاية وقوله تعالى

الله يتوفى الانفس حين موتها وهو ان فعل الوكيل فعل الموكل ثم الى ربكم
ترجعون للحساب والجزا ولو ترى الافصح ان يكون الخطاب لكل احد
ممن يتاتى له القدرة ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك
الرؤية في هذا الوقت اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم من الذلة والحيا والندم عند
ربهم عند حساب ربهم وتوقف على لحق الحذف اذ التقدير قائلين ربنا
ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا
عميا وصما ابصرنا وسمعنا فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا اي الايمان والطاعة
انا موقنون بالبعث والحساب الان جواب لو محذوف تقديره لرايت
امرا فظيعا والمعنى فيها وفي اذ ان المترقب من الله تعالى بمنزلة الواقع ولو
شئنا لاتينا كل نفس هديها ما يهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق
له ولكن حق القول مني سبق حكمي وقضائي وهو لاملان جهنم من الجنة
انما قدم الجن لان المقام التحقير والناس اجمعين اي ولكن اقتضى الحكمة
خلاف ذلك وما ذكر به من سبق القضا كناية عن ذلك الا اقتضا فليس
فيه تسبيب عدم ايمانهم عن سبق التقدير الازلي به كما سبق الى بعض الاوهام
فذوقوا يعني ما انتم فيه من الخزي والغم بما نسيتم بسبب نسيانكم
لقاء يومكم هذا او بتركم العمل لهذا اليوم كانكم نسيتموه فلم تذكروه
انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب او جازيناكم على نسيانكم وفي استينافه
وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد اي
واعلموا ان هذا العذاب خالد لكم غير زايل عنكم بما كنتم تعملون باعمالكم من الكفر
والمعاصي وانما كرر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله
بافعالهم السيئة كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على
ان كلا منهما يقتضي ذلك وفي هذا منادي على انه لا عذر لهم في
ذلك عن جهة القضا الازلي انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا
بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله تعالى وسبحوا نزهوه عما لا يليق به
كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم
الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة تتجافى ترتفع وتتنحى جنوبهم
عن المضاجع الفرش ومواضع النوم مبالغة في الاعتبار بقيام الليل كانهم
يقومون بالطبع لا بالاختيار ربما يقومون لحاجاتهم الطبيعية يدعون ربهم
داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي عليه السلام في تفسيرها
قيام العبد من الليل وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى
العشا فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس
واحدة من النفوس لا ملك ولا نبي مرسل ما اخفي لهم على البنا للمفعول
والفاعل في الكل هو الله تعالى وما موصولة والعلم بمعنى المعرفة او الاستفهامية

يعني أي شيء علق عنها الفعل من قرة أعين مما تقر به أعينهم وقرئ من قرات
أعين لاختلاف الأنواع جزاء بما كانوا يعملون مفعول له أي أخفي للجزاء أو
مصدر جزى وأجزاء أو حال على التسمية بالمصدر والفاء للنسبة أي
إذ ألقيناهم كانوا يخفون عبادتنا بالليل فلا نعلم نفس ما أخفينا
لهم وفي الإبهام ثم التوضيح والتفسير لقرة أعين تفخيم لشأن جزائهم وتعظيم
له وأن يجعل ما استفهامية زيد تعظيم على تعظيم أفمن كان مؤمنا
كمن كان فاسقا الفاء للتعقيب والهمزة للإنكار أي أبعد ما ذكر من ثواب
المؤمن وكرامته هل يكون مساويا للفاسق الخارج عن الإيمان في الشرف
والمثوبة لا يستوون تأكيد وتصريح للحمل على المعنى أما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى أي المأوى الحقيقي الأبدي فإن
الدنيا منزل مرتحل عنها وقيل نوع من الجنات كما في قوله تعالى عند
سدرة المنتهى عندها جنة المأوى عن ابن عباس يأوي إليها أرواح الشهداء
الشهداء نزلا سبق تفسيره في آل عمران بما كانوا يعملون بأعمالهم وأما
الذين فسقوا فمأواهم النار مكان جنة مأواهم النار أي النار لهم مكان
جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم كلما أرادوا أن يخرجوا
منها أعيدوا فيها قد سبق تفسيره وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون إهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب
الأدنى عذاب الدنيا مما محنوا به من الأسر والقتل والقحط سبع سنين
دون العذاب الأكبر عذاب الآخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون
يتوبون عن الكفر روي أن الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم
بدر فنزلت الآيات ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها
ولم يتفكر فيها وثم مستعار للاستبعاد لأن الإعراض عن مثل هذه الآيات
مع وضوحها وإنارة برهانها وإرشادها إلى الفوز بالسعادة العظمى
بعد التذكير بها مستبعد عقلا كما تقول لصاحبك وجدت مثل هذه
الفرصة ثم لم تنتهزها ومنه ما في بيت الحماسة

لا يكشف الغماء إلا ابن حرة ۞ يرى غمرات الموت ثم يزورها

إنا من المجرمين منتقمون استئناف مؤذن بأن الانتقام منهم
هو أشد الانتقام لأنه لما بين أنه أظلم من كل ظالم ثم دل على أنه ينتقم
من كل مجرم والظالم مجرم كان من هو أظلم أشد انتقاما فلهذا
المعنى وضع المجرمين موضع الضمير ولقد آتينا موسى الكتاب
كما آتيناك فلا تكن في مرية في شك من لقائه من لقائك الكتاب
لقوله وإنك لتلقى القرآن أي إنك أوتيت مثل ما أوتيته كقوله وإن
كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك

أو من لقاء موسى الكتاب ويؤيده انتظام قوله وجعلناه أي المنزل على موسى عليه
السلام هدى لبني إسرائيل وأما عود الضمير إلى موسى عليه السلام أي من
لقائك موسى فيأباه تقييد النهي بأداة التفريع وجعلنا منهم أئمة يهدون
الناس إلى ما فيه من الحكم والأحكام بأمرنا بآياتنا إياهم به أو بتوفيقنا له
لما صبروا لصبرهم وقرئ لما أي حين صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون لإمعانهم
في النظر إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة يقضي فيميز الحق من الباطل
تمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين أولم يهد الواو
للعطف على مقدر من جنس المعطوف أي لم يؤمنوا ولم تدعهم ولم يهد لهم
والفاعل ما دل عليه كم أهلكنا من قبلهم من القرون أي كثرة إهلاكنا القرون
أو هذا الكلام كما هو بمضمونه كقولك تعصم لا إله إلا هو الدماء والأموال
أو ضمير ربك بدلالة قراءته بالنون يمشون في مساكنهم يعني أهل مكة
يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون قد
سبق في تفسير سورة الروم وجه توصيف القوم بالسمع وكان الظاهر توصيفهم
بالإبصار أولم يروا الواو للعطف والاستفهام على تقديره وتأخيره عن أداته
لصدارتها أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم
الماء ولأنه أزيل ورعي ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز بدليل قوله
فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع في اليمن تأكل منه أي من الزرع أنعامهم من
عصفه وتبنه وأنفسهم من حبه وثمره قدم الأكل على أكلهم لأن ما يأكل من
الورق والقصيل يحصل متقدما أفلا يبصرون فيستدلون به على كمال
فضله وقدرته ويقولون متى هذا الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من
قوله وفتحت السماء فكانت أبوابا لا من قوله ربنا افتح بيننا فإن
إطلاق يوم الفتح على يوم القيامة لانفتاح أبواب السماء حينئذ لا
لانتصار المسلمين على الكفار إن كنتم صادقين في الوعد به قل يوم
الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيامة
لأنه يفتح فيه بين المؤمنين وبين أعدائهم وينصرون عليهم وقيل
هو يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون في
أحد اليومين فإنه لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون وتطبيق
الجواب على سؤالهم من حيث المعنى لأن غرضهم من الاستفهام لم يكن طلب
تعيين الوقت بل الاستعجال كأنه قيل لا تستعجلوا به فإنه واقع لا ينفعكم
الإيمان إن آمنتم ولا تنظرون إن استنظرتم والذين كفروا من باب وضع الظاهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر وأن الكفر المستمر إلى وقت العذاب
هو الذي يوجب عدم نفع الإيمان ونفي الإنظار فأعرض عنهم ولا تبال
بتكذيبهم وقيل هي منسوخة بآية السيف وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم

انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم وقرئ منتظرون بفتح الظاء اي انهم احقاء
بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرون هلاكهم فانهم هالكون لا محالة

سورة الاحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي نودي عليه السلام في جميع القران بيا ايها النبي ويا ايها الرسول
تعظيما له وتفخيما للعباد كيف ينادونه اتق الله امره بالتقوى تعظيما
للتقوى واعلاما للامة بانه باب عظيم يجب ان يعتد به ويحافظ عليه
والمراد الامر بالثبات على ما هو عليه ليكون مانعا له عما نهي عنه بقوله
ولا تطع الكافرين والمنافقين اي لا تساعدهم على شيء يعود لوهن في الدين
ولا تقبل لهم رايا في ذلك روي ان ابا سفيان وعكرمة ابن ابي جهل وابا
الاعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال احد فنزلوا على عبد الله بن ابي واعطاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقالوا له ارفض ذكر
الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك ووازرهم المنافقون على
ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهود ولا تطع
الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا منك ان الله
كان عليما بحث اعمالهم حكيما في تاخير الامر بقتالهم واتبع ما يوحى اليك من ربك
من الامر والنهي ان الله كان بما تعملون خبيرا فموحي اليك ما يصلحه ويغني من
الاستماع الى الكفرة وقرئ بالياء اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله
وفوض امرك اليه وكفى بالله وكيلا موكولا اليه كل امر قال الزجاج ولفظ كفى وان كان
الخبر فالمعنى اكتف بالله ما جعل الله لرجل تنكيره وزيادة من في قوله من قلبين
بعد النفي للتعميم والاستغراق اي ما جعل الله لفرد واحد من جملة الرجال فضلا
عن الصبيان والنسوان قلبين البتة بوجه من الوجوه في جوفه تاكيد وزيادة
تصوير للتسامع ليكون اذا سمع تصور جوف انسان مشتملا على قلبين فيكون
اسرع الى الانكار وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما
جعل ادعياءكم ابناءكم ما جعل الزوجية والامومية في امراة ولا الدعوة والبنوة في
ذكر جعل نفي اجتماع القلبين في جوف اصلا لانتفاء الاجتماعين الاخرين وذلك
ان العرب تزعم ان اللبيب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر جميل بن اسد الفهري
ذو القلبين وكان رجلا من احفظ العرب وارواهم وكان يقول ان لي قلبين
افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فاكذب الله تعالى قوله وقولهم وضربه
مثلا في الظهار والتبني فانهم كانوا يقولون للمراة المظاهر عنها ام
ودعي الرجل ابنه والمعنى كما لم يجعل الله تعالى قلبين في جوف لادائه
الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة
والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبين امه وابنه اللذين بينهما وبينه

ولادة

ولادة ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار
اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لان الظهار
كان في الجاهلية طلاقا فكانوا يجتنبون المراة المظاهر عنها كما يجتنبون
المطلقة ونظيره آلى من امراته فانه عدي بمن لتضمنه معنى التباعد والايلاء في
حلف فلا يعدى بمن وذكر الظهر في تشبيههم كناية عن البطن في التحريم كما ترى انهم
تحاشوا عن ذكره لانه يقارب ذكر الفرج فكنوا بالظهر عنه لانه عمود له
وللتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء
والادعياء جمع دعي وهو المدعو ولدا فعيل بمعنى مفعول وحقه ان يجمع
على فعلى كجرحى وقتلى والجمع على افعلاء انما يكون لفعيل بمعنى الفاعل كتقي
واتقياء وشقي واشقياء فهو شاذ عن القياس كقتيل واسراء ووجهه
التشبيه اللفظي ذلكم اشارة الى ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم اي
لا حقيقة له ولا يطابق الواقع والله يقول الحق ماله حقيقة عينية
مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق وفي فصل بعض الجمل الواقعة في
هذه الاية ووصل بعضها ما لا يخفى على العالم بعلم المعاني المتدرب
بطريق النظم ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود
من اقواله الحقة هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا
واقسط افعل مستعمل لمطلق الزيادة من القسط بمعنى العدل ومعناه
البالغ في الصدق فان لم تعلموا اباءهم اي ان لم تعرفوا اباءهم حتى تنسبوهم
اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم
فيه فقولوا هذا اخي وهذا مولاي وليس عليكم جناح اثم فيما اخطاتم
به قبل النهي او بعده على سبيل النسيان او سبق اللسان ولكن
ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدتموه بعد النهي وكان
الله غفورا رحيما يغفر للمخطئ ويعفو عنه وعن العامد اذا
تاب النبي اولى بالمومنين من انفسهم في كل شيء من امور الدين
والدنيا فانه لا يامرهم ولا يرضى عنهم الا بما فيه صلاحهم وفلاحهم
بخلاف انفسهم فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم
من امرها وشفقتهم عليه اتم واقدم من شفقتهم عليها وحقه اثر لديهم
عن حقوقها وان يبذلوها دونه وان يتبعوه في كل ما دعاهم اليه وصرفهم
عنه روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج
فقال ناس نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وفي قراءة ابن مسعود
النبي اولى بالمومنين من انفسهم وهو اب لهم اي في الدين وقال مجاهد
كل نبي فهو ابو امته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك
صار المومنون اخوة وازواجه امهاتهم كناية عن التحريم خاصة

ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها لسنا امهات النسا الا عنه وعن استحقاق التعظيم اذ حينئذ ينتظم النسا ويرده الاثر المذكور واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ ما كان في صدر الاسلام من التوارث بالموالاة في الدين وبالهجرة في كتاب الله اي في اللوح او فيما اوحي الى النبي عليه السلام وهو في هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المومنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام وتخصيص المهاجرين بالذكر بعد التعميم لدفع ما عسى ان يسبق الى الوهم من عدم تناول الحكم لهم لما فيهم من فضيلة الهجرة او صلة لاولى اي واولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المومنين بحق الولاية في الدين من المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا استثنا مفرغ من اعم العام من معنى النفع والاحسان وانتصاب ان تفعلوا على الظرف اي الا وقت ان تفعلوا وعدي بالى لانه في معنى ان تسدوا والمراد بفعل المعروف التوصية وبالاوليا المومنون والمهاجرون لما بينهم من الولاية في الدين اي الاقربا بعضهم اولى ببعض من الاجانب في كل نفع من ميراث وهدية وهبة وصدقة ومعاونة وغير ذلك الا في الوصية كان ذلك اشارة الى ما ذكر في الايتين جميعا في الكتاب في اللوح المحفوظ او في القران وقيل في التورية مسطورا مثبتا او مذكورا واذ اخذنا مقدر باذكر من النبيين ميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعوة الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم تخصيص للمشاهير واصحاب الشرايع من الانبيا عليهم السلام بالذكر لبيان شرفهم وفضيلتهم ولذلك قدم محمدا عليه السلام على الجميع لكونه افضلهم وانما قدم عليه نوحا في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك لان الغرض من مساق الكلام ثمة بيان اصالة الدين وقدمه واستقامته فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل القديم الذي وصينا به نوحا في العهد القديم والذي اوحينا اليك في العهد الحديث ووصينا به من توسط بينهما من الانبيا المشاهير فهو دين اصيل قديم اتفق عليه وعلى اقامته الانبيا كلهم ولم يتغير فوافقه واخذنا منهم ميثاقا غليظا تكرير للتوكيد وزيادة وصف للميثاق بالعظم وفخامة الشان ولذلك نكر وغلظه اي ميثاقا بالايمان الغلاظ وسماه ميثاقا لا عهدا دلالة على توثيقه باليمين والغلظ استعارة من وصف الاجرام لتصوير معنى القوة والوثاقة في الحس ليسال الصادقين عن صدقهم تعليل لاخذنا اي اخذنا ميثاقهم ليسال الله تعالى يوم القيمة عند مواقف الاشهاد المومنين

الذين

الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدق عهدهم او الانبيا الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم والمصدقين لهم عند تصديقهم فان مصدق الصادق صادق واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا لان المعنى اكد على الانبيا الدعوة الى دينه لاثابة المومنين واعد للكافرين او على ما دل عليه ليسال اي فاثاب المومنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا هي الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها هي الملايكة روي انه عليه السلام لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة فاقاموا قريبا من شهر لا حرب بينهم الا الرمي بالنبل والحجارة حتى بعث الله تعالى عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفات نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملايكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من ضرب الخندق وغيره بصيرا وقري بالياء اي بما يعمل المشركون واليهود من الحرب والتصام اذ جاوكم بدل من اذ جاتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق قريش لم يقل ومن تحتكم مع ما فيه من رعاية المقابلة والاختصار اظهار الما في مقابله من التجوز وانما اختير ذلك لانه احسن لفظا ومعنى من اعلى منكم واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ عند شدة الخوف فتربوا ويرتفع القلب بارتفاعها بلوغ القلب الحنجرة او مثل في شدة الخفقان الشديد بتوهم من شدة انتفاخ الرية وان قلبه بلغ الحنجرة وهي راس قصبة الرية وهي مخرج النفس وتظنون بالله الظنونا الظنون المختلفة والخطاب للمومنين فمنهم الاقويا الثبت الاقدام يظنون الابتلا من الله تعالى وانجاز وعده بالنصر ومنهم من يخاف الزلل وضعف الاحتمال ومنهم الضعاف الذين يشكون في امرهم ويتذاذون والمنافقون على ما حكي الله تعالى عنهم يظنون ان المسلمين يستاصلون هنالك ابتلي المومنون اختبروا ليتميز المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا وازعجوا اشد ازعاج من شدة الفزع فالزلزال الاضطراب العظيم واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وعدا باطلا اراد وايه ما وعده الله تعالى من اعلا الدين واظفره على المشركين واذ قالت طايفة منهم هو اوس بن قيظي ومن وافقه يا اهل يثرب اسم

الشرقي نعوا غطفان ... منهم سعد بن ... اسعد العبد ... من ...

المدينة وقيل اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم
ههنا وقرئ بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى المدينة واتركوا
عن معسكر الرسول الى منازلكم وقيل لا مقام لكم بالمدينة ان تثبتم على دين
محمد فارجعوا كفارا مشركين واسلموا لمحمد حتى يمكنكم المقام بها ويستاذن
فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة بسكون الواو
وبكسرها فالعورة بالسكون الخلل مبالغة في وصفها بالعور كان انفسها
عورة وبالكسر ذات العور يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف
منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة مخفف عورة وما هي
بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك الا
الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها
من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم
ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المترتب عليه ثم
سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها وقرئ
بالقصر اي لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها اي بالفتنة او باعطائها
الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او بالمدينة
اي ما لبثوا بها بعد الارتداد الا زمانا يسيرا او لبثا يسيرا فان
الله تعالى يهلكهم ويستاصلهم ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
لا يولون الادبار عن ابن عباس رضي الله عنه عاهدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه
انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن
وعن محمد بن اسحق هم بنو حارثة عاهدوا يوم احد رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا بعد ان نزل فيهم ما نزل وكان
عهد الله مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه انسانه ذلك قل لن
ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل نفعا تاما في دفع الامرين
المذكورين بالكلية اذ لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت
لا لانه سبق بالقضاء لانه تابع للمقتضي فلا يكون باعثا له بل لانه
مقتضى ترتب الاسباب والمسببات بحسب العادة على مقتضى
الحكمة فلا دلالة فيه على ان الفرار لا يغني شيئا حتى يشكل هذا بالنهي
الواقع في الكتاب عن القاء النفس بالتهلكة وبالامر الواقع في
السنة بالفرار عن المضار كيف وقد دل في قوله واذا لا تمتعون
الا قليلا على ان في الفرار نفعا في الجملة اذ المعنى لا تمتعون على
تقدير الفرار الا امتاعا قليلا او زمانا قليلا وعن بعض المروانية
انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الاية فقال ذلك

القليل

القليل نطلب قل من ذا الذي يعصمكم من الله اي مما اراد الله انزاله بكم
ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة العصمة هي المحافظة من السوء فلا
يكون من الرحمة فاقترانها بالسوء في حكم العصمة على طريقة عطف
عامل حذف وبقي معموله على عامل اخر يجمعهما معنى واحد اختصارا اي
او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة ويجوز ان تكون قرينة السوء في العصمة
لانها في معنى المنع كما كان الرمح قرين السيف في قوله ومتقلدا سيفا
ورمحا في التقلد لانه في معنى الحمل فلا يحتاج الى تقدير وتقلد ولا
يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم
قد يعلم الله قد هنا للتحقيق وان دخل على المضارع المعوقين منكم المثبطين
الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم
من ساكني المدينة هلم الينا قد سبق تفسيره في سورة الانعام ولا يأتون
الباس الا قليلا اي اتيانا قليلا او زمانا قليلا او ناسا قليلا يخرجون
معكم يوهمون المؤمنين انهم معهم ولا يقاتلون الا قتالا قليلا اذا
اضطروا اليه لقوله وما قاتلوا الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم وقت الامن
او بالمعاونة او النفقة في سبيل الله والغنيمة عند الظفر جمع شحيح ونصبه
نصب على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او القائلين او على الذم
فاذا جاء الخوف اي وقت الحرب رايتهم ينظرون اليك لواذا بك تدور اعينهم
في موضع الحال اي دائرة اعينهم والكاف في كالذي يغشى عليه في موضع النصب
على المصدر اما من ينظرون اي نظرا مثل نظر الذي يغشى عليه او
من تدور اي دورانا مثل دوران عين الذي يغشى عليه من الموت
من شدة سكرات الموت خوفا وجبنا فاذا ذهب الخوف وحيزت
الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة
بعد ان كانت حصتهم بالخوف قال قطرب سلقت المرء وصلقت
اي صحت واصله رفع الصوت قال عليه السلام ليس منا من
حلق او سلق اي حلق شعره عند المصيبة او رفع صوته بالنياحة
اشحة على الخير حال من ضمير سلقوكم او نصب على الذم ويؤيده قراءة
بالرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد بقيد آخر اولئك لم يؤمنوا
اخلاصا والفاء في فاحبط الله اعمالهم للسببية اي ابطل الله تعالى
ما عملوه من اعمال البر بسبب نفاقهم وعدم ايمانهم حقيقة
فانه شرط صحة العبادة وقبولها وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا
هينا لتعلق ارادته من غير مانع يمنعه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا
من شدة الجبن والخوف ففروا الى المدينة وقد انهزم الاحزاب
وهم من الاستيلاء الفزع عليهم لا يصدقون بذلك وان يات الاحزاب

كرة اخرى **يود والو انهم بادون في الاعراب** تمنوا انهم خارجون الى
البدو بين الاعراب **يسألون** كل قادم من جانب المدينة **عن انبائكم**
وما جرى عليكم **ولو كانوا فيكم** كرة هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة
ووقع قتال **ما قاتلوا الا قليلا** الا قتالا قليلا رياء وخوفا من التعيير
لقد كان لكم في رسول الله اسوة خصلة **حسنة** يحق ان يؤتسى بها
وهي المصابرة على الجهاد والثبات في المحاربة ومقاساة الشدائد ..
والاولى بفصاحة القرآن ان يكون في قوله لكم في رسول الله
للتجريد اي لقد كان لكم رسول الله بنفسه اسوة حسنة اي هو
قدوة يحق ان يقتدى به كما تقول لي من فلان صديق ومعناه
المبالغة في الصداقة كأن فيه من كمال صداقته صديقا اخر **لمن**
كان يرجو الله واليوم الآخر يرجو ثواب الله ولقاءه والعاقبة
المحمودة وهي نعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا ويجوز
ان يكون يرجو الله من باب التوطئة كما تقول رجوت زيدا وفضله
اي فضل زيد والرجاء ههنا يجوز ان يكون بمعنى الامل وبمعنى الخوف
ولمن كان صفة لحسنة او صفة لاسوة وقيل بدل من لكم كقوله
للذين استضعفوا لمن آمن منهم والاكثر على ان ضمير المخاطب
لا يبدل منه **وذكر الله كثيرا** وقرن الرجاء بالذكر الكثير المؤدي الى
ملازمة الطاعة لئلا يكون رجاؤه طمعا فارغا فان المقتدي ..
برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك **ولما رأى المؤمنون**
الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله لانهم وعدوا ان يزلزلوا
حتى يستغيثوا ويستنصروه في قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة الاية وفي قوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب
سايرون عليكم بعد تسع او عشر اي في اخر تسع ليال او عشر فلما
رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب و
البلاء ايمانا بالله وبوعده وتسليما لقضائه وقدره واظهار الاسمين
في قوله **وصدق الله ورسوله** للتعظيم اي ظهر صدق خبرهما
او صدقا في النصر والثواب كما صدقا في البلاء **وما زادهم** ضمير
الفاعل فيه لما رأوا او للمشار اليه بهذا من الخطب او البلاء **الا ايمانا**
بالله وبمواعيده **وتسليما** لاوامره ومقاديره **من المؤمنين رجال**
التنكير للتفخيم **صدقوا ما عاهدوا الله عليه** اي صدقوا فيما عاهدوا عليه
من الثبات مع الرسول والمصابرة على قتال اعداء الدين فحذف الجار
كما في المثل صدقني سن بكره اي صدقني في سن بكره ونذر رجال من
الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا

حتى

حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب
وغيرهم رضي الله عنهم ويجوز ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم
قالوا له اسئلك كذا فان فعلوا به فقد صدقوه ومن قولك صدقني اخوك
اذا قال لك الصدق **فمنهم من قضى نحبه** نذره بان قاتل حتى استشهد
كحمزة ومصعب وانس رضي الله عنهم والنحب استعارة للموت
فان الموت لازم للحيوان فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى
نحبه كان هذا القائل عبر عن النذر المذكور في سبب النزول لان
موجبه ان يكون النحب على حقيقته وقضاء نذره ويجوز ان يكون
كناية عن تمام مدتهم **ومنهم من ينتظر** كعثمان وطلحة رضي الله عنهما
وما بدلوا تبديلا العهد ولا غيروه ولا المستشهد ولا من انتظر
الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب
طلحة اي الجنة **تبديلا** شيئا من التبديل تعريضا لمن بدل من اهل
النفاق وتبديلهم ولذلك قال **ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب**
المنافقين تعليلا للمنطوق والمعرض به فكأن المنافقين كأنهم
قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد الصادقون بوفائهم
عاقبة الصدق فاللام مجاز للعاقبة فانه وان امكن حمله
على الحقيقة بالنسبة الى الصادقين لكن لا يمكن حمله عليه
بالنسبة الى المنافقين لان التعذيب لم يكن غرضا لهم ولا يستعمل
اللفظ الواحد حقيقة ومجازا في استعمال واحد فيجب حمله
على المجاز لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب
ان شاء اذا لم يتوبوا **او يتوب عليهم** اذا تابوا ويجوز ان يراد به
يعذبهم ان شاء او يوفقهم للتوبة **ان الله كان غفورا** بقبول
التوبة **رحيما** بعفو الحوبة **ورد الله الذين كفروا** يعني الاحزاب
بغيظهم لم ينالوا خيرا حالان متداخلان ومتعاقبان اي
مغتاظين غير ظافرين ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى
او استئنافا **وكفى الله المؤمنين القتال** بالريح والملائكة وكفى
هنا بمعنى وفي يتعدى لاثنين واذا كانت بمعنى حسب ..
فالاكثر في لسان العرب ان يكون الفاعل مصحوبا بالباء
نحو كفى بالله **وكان الله قويا** على احداث ما يريده **عزيزا** غالبا
على كل شيء **وانزل الذين ظاهروهم** ظاهروا الاحزاب **من اهل**
الكتاب يعني قريظة **من صياصيهم** اي من حصونهم جمع صيصية
وهي ما تحصن به من حصن وغيره **وقذف في قلوبهم الرعب**
الفزع والخوف **فريقا تقتلون وتأسرون فريقا** انما اخره عن

قوله تاسرون وغير النظم للدلالة على ان الكلام منحصر في الفريقين
قيل كانت بنوا قريظة ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا
العهد باستدعا ابي سفيان وجا والمحاربة المسلمين فلما فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ودخل الحجرة ووضع السلاح سمع
وجبة على باب الحجرة فنظر فاذا هو جبريل عليه السلام على فرس ابلق
وعلى ثناياه النقع فقال رسول الله وضعت السلاح ونحن ما وضعنا
اسلحتنا بعد ان الله يامرك ان لا تصلي العصر الا ببني قريظة
فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك في المسلمين فخرجوا اليه ه
وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان منهم احدا وعشرين
يوما ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بان تقتل مقاتليهم وتسبى
ذراريهم ونسائهم وتغنم اموالهم فقال عليه السلام لقد حكمت بحكم
الله تعالى فيهم ففعل ذلك ومن الله تعالى على المسلمين بذلك واورثكم
ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم
واثاثهم اي جعلها لكم بعدهم وارضا لم تطؤها اي لم تطئوا اليها
بعد قاصدين قتال اهلها وهذا وعيد باخذ ارض اخرى قيل
هي ارض فارس والروم وقيل هي مكة وقيل هي خيبر وقيل فدس وكان
الله على كل شيء قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان
كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ذكر الحياة الدنيا توطئة وتمهيد
للاختصار من ان كنتن تردن زينة الحياة الدنيا وكذا ذكر الله في
يردن الله ورسوله فانه للاختصار من الرسول فتعالين اصل
تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوي
ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين هنا اقبلن
بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن
كقولك قام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق واسرحكن التسريح
كناية عن رفع قيد النكاح وذلك بوقوع البينونة سراحا جميلا
لا ضرار فيه اردن شيا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغاير
فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدا بعائشة رضي الله عنها وكانت
احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار
الاخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النسا من بعد
الاية وتعليق التسريح بارادتهن زينة الدنيا وجعلها قسيمة لارادتهن
الرسول دل على انها اذا اختارت زوجها لا تقع البينونة ثم
واما انه لا تقع الطلاق اصلا فلا دلالة فيما ذكر عليه التسريح ه

المسبب

المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع ه
على الاستيناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد
للمحسنات منكن اجرا عظيما تنكير اجرا للتعظيم اي اجرا عظيما يستحقر
دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن محسنات وانما عدل
فيه عن مقتضى الظاهر للدلالة على سبب استحقاقهن الاجر والمزية
فيه على سائر المحصنات يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة سيئة
بالغة في القبح مبينة ظاهرة قبحها من بين بمعنى تبين يضاعف
لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن من النسا اي مثليه لان
ما قبح من سائر النسا كان اقبح منهن فزيادة قبح المعصية ولذا
افضل حد الاحرار على العبيد ولا يرجم الكافر وعوتب الانبيا عليهم
السلام بما لا يعاتب عليه غيرهم من الصغائر وكان ذلك اي التضعيف
على الله يسيرا لا يمنعه عنه كونهن نسا النبي عليه السلام بل هو السبب
له فكيف يصير صارفا عنه ومن يقنت منكن يدم على الطاعة
لله تعالى ورسوله عليه السلام وذكر الله هنا للذكر في قوله تردن
الله ورسوله لان طاعته طاعة الله تعالى كما قال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين مرة على الطاعة
ومرة على طلبهن رضا النبي عليه السلام بالقناعة وحسن المعاشرة
وقرئ ويعمل بالياء حملا على لفظ من يؤتها على ان فيه ضمير اسم
الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نسا
النبي لستن كاحد من النسا في الفضل واحد في الاصل وحد بمعنى
واحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمونث والواحد
وما فوقه ولذلك جا هنا بمعنى جماعة واحدة من جماعات ه
النسا ان اتقيتن الظاهر انه بمعنى استقبلتن احدا فلا تخضعن
بالقول فلا تكلمن قولا خاضعا لينا خنثا كقول المريبات والتي
بمعنى استقبل معروف في اللغة قال النابغة

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد

اي استقبلتنا باليد وهذا المعنى ابلغ في مدحهن اذ لم يعلق فضيلتهن
على التقوى ولا علق نهيهن عن الخضوع بها اذ هن متقيات في
انفسهن والتعليق ظاهره يقتضي انهن كن متحليات بالتقوى ه
فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على
محل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن
عن الخضوع بالقول اي لا تخضعن فلا يطمع الفاجر وقلن قولا
معروفا حسنا مع كونه خشنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن

من وقر يقر وقارا او من قر يقر قرارا حذف الاول من راي اقررن
ونقل كسرتها الى القاف والاستغنا بها عن همزة الوصل كقولك
ظلن بكسر الظا وقري قرن بفتح القاف واصله اقررن فحذفت
الرا ونقلت فتحتها الى القاف كقولك ظلن بالفتح وقيل من قار
يقار اذا اجتمع ومنه القارة للجبل لاجتماعه ولا تبرجن التبرج
الخروج بالزينة مثل تبرج النسا في ايام الجاهلية الاولى القديمة
التي يقال لها الجاهلية الجهلا وعن الزمن الذي ولد فيه ابراهيم
عليه السلام كانت المراة تلبس الدرع من اللولو فتمشي وسط
الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين ادم ونوح عليهما
السلام وقيل بين ادريس ونوح عليهما السلام وقيل زمن داود
وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد
عليهما السلام ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل
الاسلام والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام اي لا تحدثن
بالتبرج الجاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدردا رضي الله عنه
ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر
واقمن الصلاة واتين الزكاة واطعن الله ورسوله في سائر ما
امرهن به ونهاهن عنه امرهن بالصلاة والزكوة على الخصوص ثم عمم بالطا
اعتنا بشانهما او ايما الى انهما اصل جميع الطاعات البدنية
على العموم والمالية من اعتنى بهما حق الاعتنا جرتاه الى جميعها
انما يريد الله استيناف لتعليل امرهن ونهيهن بما امرهن به
ونهاهن عنه ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم اهل البيت
نصب على الندا وعلى المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا استعار
الرجس للماثم والتطهير للتقوى للتنفير عن القبايح والترغيب
في المحاسن وفي التصريح والتخصيص باهل البيت تعظيم للنبي
عليه السلام وبيان لشرف اهل بيته واذكرن ما يتلى في
بيوتكن من ايات الله والحكمة لما وعظهن بما يزكي نفوسهن
حثهن على اعمال التزكية ما يكفي فاوتهن من العلم والحكمة فذكرهن
ما يتلى في بيوتهن من الكتاب الجامع بين الايات الدالة على
التوحيد والنبوة وبين الحكم والشرايع المقننة بقوانين
العدالة في مهابط الوحي ومنازل العلم والهداية فيجب عليهن
ان يحفظنه ولا يغفلن عنه ان الله كان لطيفا خبيرا حيث
علم ما يصلحكم وينفعكم فانزل عليكم واخبركم به وفيه تحريض

علي

على الايثار والانتها ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم
المنقادين لحكم الله والمومنين والمومنات المصدقين بما يجب
ان يصدق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة
والصادقين والصادقات في نياتهم واقوالهم واعمالهم والصا
برين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين
والخاشعات المتواضعين لله المخبتين اليه بقلوبهم وجوارحهم
والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصايمين
والصايمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات
عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم
اعد الله لهم مغفرة بما اقترفوا من الصغاير التي لا يخلو الانسا
منها لحكم البشرية لانها مكفرات واجرا عظيما على الطاعات
روي ان ازواج النبي عليه السلام قلن يا رسول الله ذكر الله
الرجال في القران بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل
منا طاعة فنزلت وقيل لما نزل فيهن قال نسا المسلمين فما نزل
فينا شي فنزلت وعطف الاناث على الذكور ضروري لكونهما
صنفين مختلفين تحت جنس واحد فلا بد من توسيط ذي
العاطف واما عطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين
فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مومنات وفايدته الدلالة
على ان اعدادما اعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان وما
صح لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله اي باداة الجمع دون
التوزيع للدلالة على ان احد القضايين لا ينفك عن الاخر فان
قضا الله لا يظهر الا من جهة الرسول وقضاوه لا يكون الا بامر الله
امرا ان تكون لهم الخيرة وهي ما يتخير وجمع الضمير على المعنى فان
النكرة في سياق النفي يفيد العموم من امرهم وهذا الجمع للتعظيم
اي لا يجوز لهم ان يختاروا من امرهم شيا بل يجب عليهم ان يجعلوا
اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب وسبب نزوله
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته
على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا
رضينا يا رسول الله فنكحها اياه واذ تقول للذي انعم الله عليه
بتوفيقه للاسلام وتوفيقك بعتقه واختصاصه وانعمت عليه
بعتقه وتربيته وما وفقك الله في حقه يعني زيدا امسك عليك زوجك
يعني زينب وذلك ان رسول الله ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت

صنفين

في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب التسبيحة
فذكرتها لزيد ففطن لذلك والقي الله في نفسه كراهة صحبتها
فاتي النبي عليه السلام فقال اريد ان افارق صاحبتي فقال
ما لك ارابك منها شي فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكن
لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك امره بامساكها
وزيادة عليك لتضمين معني الحبس اي احبسها ولا تطلقها واتق الله
في امرها ولا تطلقها تعليلا تتعظم وتكبرها وتخفي في نفسك ما الله
مبديه من نكاحها ان طلقها زيد وهو الذي ابداه الله تعالى وتخشى
الناس اي قالة الناس بانه نكح امراة ابنه وتخفي عطف على
تقول والله احق ان تخشاه حال اي جعلنا في ذلك ان تخشى
الله او اعتراض اي والله احق ان تخشاه في كل حال ويجوز ان تكون
الواو في وتخفي والحال علي وانت تخفي اي تقول امسك مخفيا في
نفسك ما الله مبديه وكذا في وتخشى ويحتمل العطف اي يجمع
بين ان تقول وتخفي وتخشى والحال اي تخفي في نفسك خاشيا مقالة
الناس فيك وليس العتاب في الاخفا وحده فانه حسن بل في الاخفا
مخافة قالة الناس فيه واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى ان
يصمت فيه او يفوض الامر الى رايه حتى لا يخالف سره علانيته
لان الانبيا عليهم السلام كذلك وعن عايشة رضي الله عنها لو كتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم مما اوحي اليه لكتم هذه الاية فلما قضى
زيد منها وطرا اذا تعلقت همة الرجل بشي وبلغ حاجته منه قيل
قضى منه وطره اي فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وطابت عنها نفسه
وطلقها وانقضت عدتها قضا الوطر كناية عن الطلاق فخلا حاجة
لي فيك زوجناكها وقري زوجناكها وقيل قضا الوطر كناية
عن الطلاق فخلا حاجة لي فيك وقري زوجتكها اي امرتك
بتزوجها منك او تولينا تزويجها منك ويويده انها كانت
تقول لنسا النبي عليه السلام ان الله انكحني وانتن زوجكن
اولياوكن الا ان انطباق التعليل الاتي ذكره على الاول وقيل
كان السفير في خطبتها زيد وذلك ابتلا عظيم وشاهد بين
على قوة ايمانه لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج
ادعيايهم اذا قضوا منهن وطرا تعليل للتزويج وهو دليل على
ان حكمه عليه السلام وحكم المومنين واحد الا ما خصه الدليل
وقضا الوطر هنا كناية عن الطلاق لان الحكم المذكور غير
مشروط ببلوغ الحاجة منهن وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية

اي وكان امره الذي يريد تكوينه مكونا لا محالة كما زوج زينب
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي قسم له وقدر منه
قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة
الله اسم موضوع موضع المصدر وهو موكد لما تقدم اي سن الله
سنته في الذين خلوا من قبل في الانبيا الماضين عليهم السلام وهو
نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وتوسعة عليهم في باب النكاح وغيره
وقد كانت لداود عليه السلام مائة امراة وثلثمائة سرية
ولسليمان عليه السلام ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية وكان امر الله
قدرا مقدورا قضا مقتضيا وحكما مقطوعا الذين يبلغون رسالات
الله مجرور وصف للذين خلوا ونصب على المدح او رفع عليه
ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد التصريح في قوله
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف
او محاسبا للصغيرة والكبيرة فيجب ان لا يخشى حق الخشية الا منه
ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى
يثبت بينه وبينه ما بين الاب والابن من حرمة المصاهرة وغيرها
ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلام ابا للطاهر والطيب والقاسم
وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال قبل ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم
ولا وجه له لما تستفاد التاكيد بقوله وخاتم النبيين لا ينتظم معه
ولا بكونه ابا للحسنين لانه قصد المولود منه لا ولد الولد ولكن
كان رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وكل نبي ابو امته من
حيث انه يعلمهم ويربيهم فيجب عليهم تعظيمه وتوقيره وعليه
شفقتهم ونصيحتهم لا في ساير الاحكام وزيد منهم وحكمه حكمهم
فيما ذكر لا انه ولد منه والادعا والتبني من باب الاختصاص والتقريب
لا غير وقري رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف اي ولكن هو رسول
الله وقري ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله
من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين اي وكان خاتم
النبيين واخرهم الذي ختمهم على قراة الكسر او ختموا به على قراة
الفتح بمعنى الطابع ولو كان له ابن بالغ لكان نبيا لما روي انه
عليه السلام قال في ابرهيم لو عاش لكان نبيا فلم يكن
هو خاتما فهو موكد لكونه ليس ابا احد من الرجال ولا يقدح في ذلك
نزول عيسى عليه السلام لانه اذا نزل كان على دينه لانه لا نبا في
ذلك استقلاله في النبوة انما يكا في استقلاله للانبيا على انه
اخرهم بعثة وكان الله بكل شي عليما فيعلم ما يليق بان يختم به النبوة

وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اذكروا
الله باصناف الذكر من التقديس والتحميد والتكبير والتهليل وكل ما هو
اهله من انواع الثنا وسبحوه بكرة واصيلا تخصيص التسبيح بالذكر من
بين ساير الاذكار بيان لفضله واختصاصه بالشرف لان التنزيه
افضل الاذكار مقدم على كل حمد وثنا والتقييد بالوقتين المذكورين لذلك
ايضا اي لبيان فضلهما وشرفهما لكونهما طرفي الليل والنهار ومجمع
الملايكة ومختلفهما ويجوز ان يراد بهما الدوام هو الذي يصلي عليكم
بالرحمة وملايكته بالاستغفار والاهتمام بما يصلحكم والصلاة المشتركة
بين الله تعالي وملايكته هي اقامة الخيرات او الكمالات مما يسعد المومنين
في الدارين ويكملهم او العناية بذلك مستعارة من الصلوة التي هي
شرفة كمالهم ولهذا علله بقوله ليخرجكم من الظلمات من ظلمات
الكفر والمعاصي الى النور الي نور الايمان والطاعات ولما كانت
الملايكة واسطة الفيض كان لهم مدخل في الامداد النورية الكمالية
وقيل هي الرحمة والرافة والتعطف المعنوية استعيرت عن
الصلاة المشتملة على الحنو والانعطاف في الركوع والسجود
للحنو والانعطاف الصوري كانعطاف العايد على المريض
والمراة على ولدها ثم نقل بكثرة الاستعمال الى الترحم والترؤف
المعنويين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عليك اي ترحم
وتراف ولان الملايكة وسايط الرحمة ومستجابوا الدعوة
في الاستغفار لهم نسبت الرحمة لهم كما نسبت الى الله على ان
الاستغفار ترحم ويويده قوله وكان بالمومنين رحيما حيث
اعتني بصلاح امرهم واناقة قدرهم واستعمل في ذلك ملايكته
المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون
يوم يلقونه يوم القيمة او عند الموت او الخروج من القبور او
دخول الجنة سلام باخبار السلامة عن كل مكروه وافة والتنكير
للتعظيم واعد لهم اجرا كريما في الجنة وتغيير النظم في تحيتهم واعده
للمبالغة فيما هو اهم واول على الكرامة وللمحافظة على الفاصلة
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت عليهم مقبول
القول في تصديقهم وتكذيبهم وطاعتهم ومعصيتهم وهو
مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وتوحيده
وبما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره بالاذن استعير
الاذن للتيسير والتسهيل ايذانا بان دعا اهل الشرك والجاهلية
الي التوحيد والاسلام امر صعب متعذر لا يستطاع الا اذا

سهله

سهله الله تعالى ويسره ولا يصح حمله على الحقيقة لان قوله ارسلناك داعيا
يغني عن الاذن بمعناه الوضعي وسراجا منيرا شبه النبي عليه السلام
بالسراج لاستضاءة من تخبط في ظلمات الجهل بنوره واقتباس من ضل بضوئه
ولانه قد جلا الله تعالى ظلمات الشرك بنور توحيده او بنور البصاير
نور هدايته كما ينور الابصار بنور السراج ويولع في وصفه بالانارة
لان من السراج ما لا يضيء منير على ان السراج مستعار للقران وبشر المومنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا اي عطا واسعا او ثوابا جزيلا او فضلا
على ساير الامم وصف بخمس صفات ثم قابل كلا منها بخطاب يناسبه وقابل
بكونه شاهدا او اضمر ما يقابله بدلالة عطف بشر عليه فانه مقابل
لمبشرا فيجب ان يكون معطوفا على ما يناسب الوصف الذي عطف
عليه مبشرا وهو مراقب امتك وقابل نذيرا بالنهي عن موافقة
الكفار والمنافقين في قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فان
ذلك اشد الانذار كانه قال خلهم وشانهم فانا الفيكم وذلك تقبيح
لبعليه السلام على ما هو عليه من مخالفتهم وقابل داعيا الى الله باذنه
بقوله وتوكل على الله فانه ميسر كل عسير وسراجا منيرا بقوله
وكفى بالله وكيلا اي موكلا اليه الامر في الاحوال كلها لان من انار
برهانا على جميع خلقه حقيق بان يكتفي به عن غيره ولا يستعان الا به
يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات النكاح العقد وتخصيص
المومنات مع ان الحكم المذكور يستوي فيه المومنات والكتابيات
تعليم لما هو الاولى وتحريض عليه فان الاولى بالمومن ان يتخير لنطفته
ولا يختار للنسل الا الطيبة الطاهرة وجا في المايدة بيان الجواز ومعنى
التراخي في ثم طلقتموهن دفع لما عسى ان يتوهم ان تراخي الطلاق
مدة يمكن فيها الاصابة موثرة في العدة كما في النسب من قبل ان
تمسوهن المساس كناية عن الجماع فما لكم عليهن من عدة ايام
يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت
الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعتدونها والاسناد
اليكم اسنادا الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به
فما لكم ومن قرا تعتدونها بالتخفيف حذف الجار واوصل الفعل الى
الضمير بنفسه كقوله ويوم شهدناه اي شهدنا فيه ومنطوقه
ساكت عن العدة بمجرد الخلوة الصحيحة ولا عبرة للمفهوم فلا
مانع لالحاق الخلوة بالمساس في ايجاب العدة فمتعوهن للوجوب
ان لم يكن مفروضا لهن فان للمفروض لها نصف المهر ويجوز
ان يحمل على الراجح والاولى اي القدر المشترك بين الوجوب والندب

فيها ولها فان المتعة المفروض لها مستحبة ولم تجب الا لغير المفروض لها قبل المساس من المطلقات وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اوليس عليهن عدة سراحا جميلا من غير اضرار ولا منع حق يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن مهورهن اذ المهر اجر على البضع وايتاؤها اعطاؤها والمعتبر فيه الالتزام كما في اعطاء الجزية وقدمه على هذا من قال اعطاؤها عاجلا او فرضها وتسميتها في العقد فانه في حكم الاعطاء وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك كصفية وجويرية فاعتقهما وتزوجهما وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك جمع في العمات والخالات دون العم والخال لتنبيه الكلام على وفق الواقع كما في قوله السابق اللاتي هاجرن معك مع ليس للمقارنة بل لوجودها فحسب كقوله واسلمت مع سليمان والتقييد المذكور للتخصيص لما روي ان ام هانئ رضي الله عنها قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني فانزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اتفق ولذلك نكرها اي رضيت بالنكاح له عليه السلام بلا مهر فالهبة المذكورة مجاز عن تمليك المتعة بلا عوض وليس معناه ان قالت وهبت نفسي المذكورة للنبي حتى ينتهض حجة في الخلافية المشهورة بيننا وبين الشافعي فعلينا اولنا وامراة عطف على ازواجك وما بعدها ولا يمنعه التقييد بان الاستقبالية لان المراد بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امراة مومنة او نصب بفعل مضمر يدل عليه احللنا لك امراة وقرئ ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف اذ اي وقت ان وهبت او بدل هبتها ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا يوجب لها حلها الا بقبوله والارادة المذكورة عبارة عنه ولا وجه لحملها على الحقيقة لان قوله يستنكحها ينبئ عن الارادة بمعناها الوضعي والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك للايذان بانه مما خص به لنبوته وتكريره تفخيم له واستحقاق الكرامة لاجله وخالصة مصدر مؤكد كقوله وعد الله حقا اي خلص لك احلالها خالصة مصدر بمعنى خلوصا او حال من الضمير في وهبت او صفة مصدر محذوف اي هبة خالصة وقرئ خالصة بالرفع اي ذلك خلوص لك من دون المومنين او تلك المراة خالصة لك من دونهم قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب

القسم

القسم والمهر بالوطي حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها عليهم كيف ينبغي ان نفرض عليهم والعدول من عبارة الاماء الى ما ذكر للاشعار بان مدار الحل على ملك اليد ولذلك لا يتحقق الحل اذا تخلف ملك اليد عن ملك الرقبة كما في المكاتبة لكيلا يكون عليك حرج علة لقوله خالصة لك وما بينهما اعتراض لبيان ان الفرق بينه وبين المومنين ليس بمجرد التوسيع عليه كما هاهنا بل لمعان من خواص النبوة تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مكان الحرج ترجي بهمز وبلا همز والمعنى واحد من تشا منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها فلا تقسم لها وتؤوي اليك وتضم اليك من تشا وتضاجعها او تطلق من تشا وتمسك من تشا ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شي من ذلك التفويض الى مشيتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اقرب الى قرة اعينهن فيتغايرن ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن على بعض علمن ان ذلك من عند الله وبوحيه وتفويضه فيطمئن نفوسهن ويرضين ولا يتغايرن والله يعلم ما في قلوبكم وعيد لمن لم ترض منهن بما ذكر الله تعالى وفوض الى مشيته وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ويحذر لا يحل لك النساء اي ذلك الجنس واتيان صيغة الجمع ثم ابطاله بالتعريف لعدم المفرد من لفظه ولم يقل امراة لعمومه المملوكة بملك اليمين والمراد المملوكة بملك النكاح بقرينة قوله من ازواج وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة فمع الفصل اجوز من بعد من بعد التسع لانه نصاب رسول الله عليه السلام من الازواج كما ان الاربع نصاب امته او من بعد اليوم حتى انه لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهن من ازواج لا بكلهن ولا ببعضهن بان تطلق احدهن وتنكح اخرى مكانها كرامة لهن وجزاء ما اخترن ورضين به فقصر رسول الله عليه السلام عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن رضي الله عنه ومن في ازواج هي الاستغراقية مزيدة لتاكيد النفي في التبدل من جنس الازواج ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من الضمير الذي هو فاعل تبدل لا من مفعوله اي مفروضا اعجابك بهن او من المفعول الذي هو من ازواج لانه في سياق النفي فتشابه الموقة

المستغرقة الايتين الى نحو برهان يقع مبينا وعن عايشة رضي
الله عنها مامات رسول الله عليه السلام حتى احل له النسا يعني ان
الاية قد نسخت ولا يبعد ان يكون اماتا بالسنة واما بقوله
انا احللنا لك ازواجك وبقوله ترجي من تشا منهن وتووي اليك من
تشا على المعنى الثاني فترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف
وقيل المعنى لا يحل لك النسا من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على
احلالهن لك من الاعرابيات والكتابيات والقرايب والاما بالنكاح
فانهن لا ينبغي في منصب النبوة وجلالته الا ما ملكت يمينك استثنا
منقطع لان النسا وان كان في الاصل يتناول الحراير والاما لكن غلب
استعماله في الازواج وهو المراد ههنا على ما مر بيانه وكان الله على
كل شي رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي
حلاله الى حرامه يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي لم يقل
بيت النبي كيلا يسبق الوهم الى ان المراد بيت الذي هو فيه الا ان
يوذن لكم الى الا بان يوذن لكم او الا ماذونا لكم ولا يجوز نصبه على
الظرف لانهم قد نصوا على ان المصدرية لا تكون في معناه تقول
اجيبك صياح الديك وقدوم الحاج ولا يجوز اجيبك ان يصيح
الديك ولا ان تقدم الحاج الى طعام متعلق بيوذن لانه متضمن
معنى يدعى للدلالة على ان حكم النهي لا يرتفع بمجرد الاذن دلالة
بفتح الباب ورفع الحجاب مثلا بل لا بد معه من صريح الدعوة
ويعضده قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته وادراكه
حال من فاعل لا تدخلوا او من المجرور في لكم وقرى بالجر صفة لطعام
فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جايز
عند البصريين وقرى اناه بالامالة لانه مصدر انى الطعام
اذا ادركه قيل الخطاب مخصوص بقوم كانوا يتحينون طعام
رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه والا لم يجز لاحد
ان يدخل بيوته الا باذن خاص والظاهر ان الخطاب عام لغير المحارم
وخصوص السبب لا يصلح مخصصا على ما تقرر في الاصول نعم يكون
وجها لتقييد الاذن بقوله الى طعام فيندفع وهم اعتبار مفهومه
ولكن اذا دعيتم فادخلوا هذه الفا للجزا ولا دلالة على انه ينبغي
ان يكون دخولهم بعد الاذن والدعوة على وجه يشرعوا في الاكل
كما دخلوا ففيه تهذيب لما اشير اليه بقوله غير ناظرين اناه من
النهي عن الدخول للطعام قبل ادراكه فانتشروا فتفرقوا ولا
تمكثوا روي عن انس انه قال انا اعلم بهذه الاية لما زفت زينب

الى رسول الله

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت معه في البيت وصنع طعام للناس
فاكلوا وتفرقوا وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فيما طالوا فقام رسول
الله عليه السلام ليخرج ثم رجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون
وكان رسول الله عليه السلام شديد الحيا فتولى فلما راوه متوليا
خرجوا فرجع فنزلت ولا مستانسين لحديث ايضا ولا مستانسين
بعضكم لبعض لاجل الحديث او مستمعين حديث اهل البيت والاول
يرجح بسبب النزول عطف على ناظرين او منصوب على تقدير فعل
اي ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان
يوذي النبي لتضييق المنزل عليه واهله واشغاله فيما لا يعنيه
فيستحيي منكم تعليل المحذوف دل عليه المساق اي ولا يخرجكم
فيستحيي منكم ولذلك صدره باداة التعليل ولو كان المعنى
يستحيي من اخراجكم لكان حقه ان يصدر بالواو العاطفة والله
لا يستحيي من الحق لما كان الحيا يمنع الحيي من بعض افعاله
واقواله وان كان حقا قيل ان الله لا يستحيي من الحق اي لا يمتنع
من امتناع الحيي وهو مجاز او على طريقة قوله فقلت اطبخوا لي
جبة وقميصا يعني اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حيا كما لم يتركه
الله تعالى فامركم بالخروج واذا سالتموهن الضمير لنسا النبي
لدلالة ذكر البيوت او دلالة الحال عليهن متاعا شيا ينتفع به
فاسالوهن المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي الله عنه
قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات
المومنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه
بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عايشة رضي الله عنها فكره
النبي عليه السلام ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من
خواطر الشيطان وما كان وما صح لكم ان توذوا رسول الله ان تفعلوا
ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته
او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج
المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه
السلام فارقها من قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم اي
ايذاوه ونكاح نسايه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما استيناف
لتعظيم النبي عليه السلام وايجاب حرمته حيا وميتا فلذلك بالغ
في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا من نكاحهن وغيره او تخفوه
في صدوركم فان الله كان بكل شي عليما فيعلم ذلك فيجازيكم عليه
وفي هذا التعميم مع انه برهان على المقصود تهويل عظيم ومبالغة

شديدة في الوعيد لا جناح عليهن في ابايهن ولا ابنايهن ولا
اخوانهن ولا ابنا اخوانهن ولا ابنا اخواتهن استثناء لمن
لا يجب الاحتجاب عنه روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء
والابنا والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب
فنزلت اية الحجاب وانما لم يذكر العم والخال مع شدة الاهتمام على
ما دل عليه في البيان ما في عدم الاكتفا بالانتهام في حق الاخ
فان ذكر انه يغني عليه لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان
يصفهما لابنايهما ولا نسايهن يعني نسا المومنات ولا ما ملكت
ايمانهن من العبيد والاما وقيل من الاما خاصة وقد سبق في
تفسير سورة النور واتقين الله فيما امرتهن به التفات الى
الخطاب بعد الغيبة لاظهار الاعتنا بامر الحجاب والتشديد
عليهن في ذلك وانه من باب التقوى الواجب رعايته والمحافظة
عليه ثم اوعد على ذلك بقوله ان الله وملايكته يصلون على
النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك فقولوا اللهم صلي
على محمد وسلموا تسليما قولوا السلام عليك ايها النبي والاية
تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه عليه السلام في الجملة ان
الذين يوذون الله ورسوله جاز ان يكون مجازا بيرتكبون ما
يكرهونه من الكفر والمعاصي وان يكون حقيقة وذكر الله توطية
للتعظيم والاختصاص اي يوذون رسول الله لعنهم الله ابعدهم
من رحمته في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع
الايلام والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا بغير
جناية استحقوا بها ذلك اطلق ايذا الله ورسوله وقيد ايذاء
المومنين والمومنات لان ايذا الله ورسوله لا يكون الا غير
حق وايذاهم قد يكون بحق فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا
روي انها نزلت في ناس من المنافقين يوذون عليا رضي الله
عنه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النسا
وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونسا المومنين
يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين بها وجوههن واعطافهن
ويرخينها على ابدانهن اذا برزن لحاجة يقال اذا زال الثوب عن
وجه المراة ادني ثوبك على وجهك والجلباب الملحفة وكل ما تستتر به
من كسا وغيره ومن للتبعيض لان المراة تتلفع ببعضها وترخي بعضها
على بدنها او لان لهن جلابيب كانت النسا في اول الاسلام يبرزون

في

في درع وخمار كما كانت عادتهن في الجاهلية لا فرق بين الحرة والامة
في ذلك وربما كان الشباب والشطار يتعرضون لهن فاذا عوتبوا
فيه يقولون حسبناها امة فامرن بتخفين وتخالفون بزيهن زي
الاما فلذلك قال ذلك ادنى ان يعرفن يميزون من الاما والقينات
فلا يوذين فلا يوذيهن اهل الريبة بالتعرض بما يكرهن وكان
الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بتعليم اداب المكارم
لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف
ايمان او قلة ثبات عليه وقيل اهل الريبة والفجور والزناة من قوله فيطمع
الذي في قلبه مرض والمرجفون في المدينة الذين يرجفون باخبار السوء
عن سرايا رسول الله عليه السلام فيقولون هزموا وقتلوا وبالجملة
ما يكسر قلوب المومنين والارجاف الاخبار الكاذب لانه المتزلزل
غير ثابت يقال رجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة من الرجفة
وهي الزلزلة لنغرينك بهم الاغرا التحريش جعل مجازا عن قصدهم بالسوء
اي لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم وكيدهم والفسقة عن
فجورهم والمرجفون عن اراجيفهم لنامرنك بان تفعل بهم الافاعيل
التي تسوؤهم من انواع التعذيب ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا عطف
على لنغرينك لان النفي مما يجاب به القسم ولو قيل لئن لم ينته لا يجاورونك
لكان صحيحا وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم من كل بلا
واشد من كل ما اصيبوا به من العذاب فبعد حاله عن حال المعطوف
عليه اي ثم يفعل بهم ما يضطرهم الى الجلا من المدينة والى ان لا يساكنون
فيها الا زمنا قليلا ريثما يتهيؤون للرحيل ويسحون عيالهم مناوير
ويتحلون بهم ملعونين نصب على الذم او الحال فان الاستثنا شامل
له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز انتصابه باخذوا في
قوله اينما ثقفوا وجدوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة
الشرط لا يعمل فيما قبلها والتشديد للدلالة على التكثير وكذا التنكير
سنة الله في الذين خلوا مصدر موكد اي سن الله في الانبيا الذين
مضوا من قبل ذلك سنة وهو الاخذ والتقتيل في الذين نافقوا
وافسدوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه تعالى لم يبدلها ولا
يقدر احد على تبديلها يسالك الناس عن الساعة عن وقت
قيامها كان المشركون يسالون رسول الله استعجالا على سبيل الهزء
والانكار واليهود امتحانا لان الله عمى وقته في التورية وفي جميع
كتبه قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه احدا الانبيا ولا الملك ثم بين
لرسول الله بقوله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا انها قريبة

والوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للمتجنين وتذكيرا قريبا على
تأويل الشيء او اليوم او الزمان وتجوز انتصابه بالظرف او في زمان
قريب ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا مسعورة شديدة
الايقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يشفعهم ولا نصيرا يدفع
العذاب عنهم يوم ظرف لـ يقولون او نصب باذكر و يقولون حال
تقلب وجوههم في النار كما تقلب اللحم عند الشي او حال الى حال او هيئة
الى هيئة وخصت الوجوه بالذكر لانها اشرف اعضاء الانسان او لانها
او عبر بها عن الجملة وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ويقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فلم نبتلى بهذا العذاب
زيادة الالف في الرسولا والسبيلا لاطلاق الصوت جعلت فواصل
لاي كقرائن السجع وقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على
ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف وقالوا ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا يعنون رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه
لهم وقرئ ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا
بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين اي مثلي ما آتيتنا من العذاب
لضلالهم واضلالهم لنا والعنهم لعنا كثيرا كثير العدد وقرئ بالباء
اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين آذوا موسى فاستحقوا العذاب في العقبى فبرأه الله
مما قالوا في حقه لما اظهر الله تعالى براءته عليه السلام مما قرفوه
به انقطع كلما تم فيه فبرئ عليه السلام من قولهم فحصل لهم الخجالة
في الدنيا بظهور كذبهم وافترائهم على رسولهم وذلك ما مر في
القصص من تحريض قارون امرأته على قذفه بنفسها او اتهامهم
اياه بقتل هرون عليه السلام فاحياه الله تعالى فاخبره ببراءة موسى
عليه السلام او قرفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط
تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها
ذا جاه ومنزلة فلذلك كان يدفع عنه الاذى ويحافظ على ما وجهه
يصونه عن كل وصم ونقيصة وقرئ عبدا وجيها يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا
سديدا السداد القصد الى الحق يقال سدد السهم نحو الرمية
اذا لم يعدل به عن سمتها لما نهي عن القول المؤذي لرسول الله قرن النهي
بالامر بالقول السديد الحق وحفظ اللسان عن الكذب والغيبة
والريبة ليتعاضد الامر والنهي متواردين عليهم مع اتباع النهي
الوعيد الشديد في ضمن قصة موسى عليه السلام واتباع الامر

الوعد

الوعد البليغ فيتقوى المصارف عن الشر والاذى بالداعي الى الخير والتقى
وافرد القول السديد بالذكر وان كان داخلا في التقوى لانه اجتناب
من رذيلة الكذب لفضله كانه جنس برأسه كما خص جبرائيل عليه السلام من
بين الملائكة يصلح لكم اعمالكم بالقبول والاثابة عليها وذلك بالتوفيق
لصالح الاعمال ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول
والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما
عاش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها الاشفاق
خوف مع اعتناء وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم نوع
الطاعة فانه لما علق الفوز العظيم بها اراد ان يقرر انه حق لها
فاستعار الامانة لها لانها واجبة الاداء كالامانة وبين انها من
عظمها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام مع احكامها وقوتها
وكانت ذات شعور لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
مع ضعف بنيته ورخاوة قوته فجدير بالقائم بحقوقها والمراعي
لها ان يفوز بخير الدارين وسعادة المنزلين وحق لمن اضاع حقوقها
وخانها ان يرهق باشد العذاب ويبوء بشر المآب انه كان ظلوما
حيث لم يراع حقوقها ولم يؤدها ولم يف بها جهولا حيث لم يعرف
عظم قدرها وفخامة شأنها فلم يؤدها وهذا حكم على الجنس
بحسب الاغلب ووجه آخر هو ان يراد بالطاعة الانقياد لامر الله
تعالى مطلقا بحيث يشمل الاختياري والطبيعي وبعرضها استدعاء
الذي يعم ارادة صدور ما خلقت هذه الاجرام لها عنها وطلب ما
خلق الانسان له منه وتحملها الامتناع من ادائها والخيانة فيها
يقال حمل الامانة واحتملها اذا لم يؤدها الى صاحبها فيخرج من
عهدتها وتزول عن ذمته لان الامانة اذا كانت عليه كانت كانها
راكبة لها وهو حاملها كما يقال ركبته الديون فاذا اداها لم تبق
راكبة له ولا يكون هو حاملها وبابائها حملها اتيانها بما اراد الله
تعالى منها طوعا وانقيادا او باتيانها بها موافقتها لامر الله وامتثالا
عن مخالفته على انها مجازاة فيكون المعنى ان هذه الاجرام مع عظمها
وقوتها لم يمتنع من طاعتنا وانقادت لما امرناها به وادت امانتنا
ولم تخن واذعنت لما اردنا منها كقوله اتينا طائعين واما الانسان
مع كونه عاقلا ولم يطع انه كان ظلوما لانه لم يؤد حقنا وامانتنا
ولم يف بعهدنا وخاننا جهولا بوخامة عاقبته ولام التعليل للعاقبة
لان التعذيب بعقب حمل الامانة ويجوز ان يراد بالامانة العقل

وما يلزمه من التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى
استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد
وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما
غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة
للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن
التعدي ومجاوزة الحد ومعظم المقصود من التكليف تعديلهما وكسر
سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته
كالتاديب للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان
كونه ظلوما جهولا في جبلته لا يخليه عن فرطات منه وقرئ ويتوب
بالرفع على ان العلة قاصرة على فعل الحامل ويتوب الله ابتداء الكلام
وكان الله غفورا حيث تاب على فرطاتهم رحيما حيث اثاب على
طاعتهم والله تعالى اعلم بالحقيقة والصواب واليه المرجع والمآب

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض قد سبق ان في
وصف المحمود بعد اثبات الحمد له اشعارا بانه موجب لاستحقاقه
للحمد فالمعنى انه تعالى حقيق بالحمد لاجل انعامه بجميع النعم الدنيوية
ولهذا عطف عليه بقوله وله الحمد في الآخرة لحمد على النعم الاخروية
عطف على المقيد اي انه المحمود على نعم الدنيا في الدنيا وعلى نعم الآخرة
في الآخرة وتقديم الصلة للاختصاص لكون النعم الاخروية منه تعالى
بلا واسطة واما نعم الدنيا فقد يكون بواسطة من يستحق له الحمد
ايضا التنبيه لها او الفرق بين الحمدين بان الاول منهما واجب دون
الثاني لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقه لا يمشي على اصل
اهل السنة وذلك ظاهر ولا على اهل الاعتزال لانهم لا ينكرون التفضل
في الآخرة غايته انهم لا يقولون في كون الكل تفضلا ووجوبه بحكم الوعد
لا ينافيه لان الوعد منه تعالى مع عدم شموله لانواع النعم الاخروية
فضلا عن افرادها كان تفضلا وما يجب بحكم التفضل لا يخرج عن حده
على انه لا يثبت به الاستحقاق فلا يجدي نفعا في دفع الخلل فتامل
وهو الحكيم المحكم في افعاله المصيب في اقواله لانه منعم بمستحقه لانه
منعوت بصفات الكمال وان انعامه على وجه الحكمة والصواب وعن
علم بموضع الاستحقاق والاستيجاب ثم فصل علمه وحكمته بعد
الاجمال بقوله يعلم ما يلج في الارض من ما المطر وعروق النبات واصول

الاشجار

الاشجار واما الكنوز والدفائن والاموات فما يوضع فيها لا مما يلج
فيها والولوج الدخول في المضيق وما يخرج منها من مياه العيون
والنبات والاشجار وحشرات الارض واما الفلزات فمما يخرج لا مما
لا يخرج وما ينزل من السماء من الملائكة والكتب وقطرات
الامطار والصواعق وامثال ذلك وما يعرج فيها من الملائكة
والاعمال والابخرة والادخنة وتعدية عرج بفي يقال عرج في الدرجة
اذا ارتقى وهو مع وفور هذه النعم وسبوغها الرحيم بالنعم الدينية
من العلم والحكمة والهداية الغفور للمفرطين في اداء موجب شكرها
عقبه بهذين الوصفين تتميما للمقصود يعني انه تعالى مع انه
اولاهم تلك النعم وشهد منهم ذلك التقصير يزيد في تلك النعمة
ويغفر لهم ذلك التفريط وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة
النفي اما انكار او استبطاء للموعود استهزاء وسخرية كقولهم متى
هذا الوعد قل بلى وربي لتاتينكم رد لقولهم واثبات لما نفوه بما هو
الغاية في المبالغة بتكرير الايجاب مع التاكيد بالقسم واتباع المقسم
به بالوصف المقرر لوقوعه والتعليل الموجب لثبوته وقرئ ليأتينكم
امره وعلى الاول كان المذكور رفعا على المدح اي هو عالم الغيب او مبتدأ
خبره لا يعزب عنه وقرئ عالم الغيب بالجر صفة لربي وعلام الغيوب
للمبالغة ولا يعزب بكسر الزاي وفتحها من العزوب وهو البعد
مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما على الابتداء
ويؤيده القراءة بالفتح فيهما على نفي الجنس كقوله لا حول ولا قوة
بالرفع والنصب والاستثناء في قوله الا في كتاب مبين اي اللوح
المحفوظ يابى عطف المرفوع على مثقال والمنصوب على ذرة
على ان فتحه لامتناع الصرف الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب
ويجعل المثبت في اللوح بارزا عن الغيب مشهودا للملأ الاعلى كما قال
بعضهم ولا يساعده المعنى لان المعنى الغيبي اذا ابرز الى الشهادة
يعزب عنه بل بقي في الغيب على ما كان عليه بروزة فهي جملة مستقلة
والواو عاطفة للجملة على الجملة لتناسبهما في بيان علمه تعالى
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات تعليل لقوله لتاتينكم اولئك لهم
مغفرة ورزق كريم اذ لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في
آياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين يفوتونا
وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن قبولها اولئك لهم عذاب من رجز
الرجز سوء العذاب اليم مولم قرئ بالرفع والجر ويرى الذين اوتوا العلم

أي ويعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعهم من أمته
أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار رضي الله عنهما
وأضرابهما الذي أنزل إليك من ربك القرآن هو الحق مفعولا
ليرى وهو فصل ومن رفع الحق جعله مبتدأ والحق خبرا ومبتدأ والجملة
في موضع المفعول الثاني ليرى وهو في محل الرفع على أنه كلام مستأنف
للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل في محل
النصب عطفا على ليجزي أي ليعلم العلماء عند مجيء الساعة أنه
الحق عيانا كما علموا الآن برهانا فيحتجوا به على المكذبين الساعين
أو ليعلم علماء أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا حينئذ أنه الحق فيزدادوا
حسرة وغما ويهدي إلى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد
والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعض كفار
قريش لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام وإنما عبروا
عنه برجل على التنكير ولم يذكروه باسمه مع شهرته فيما بينهم للتجهيل
وإخراج كلامهم مخرج الأعاجيب التي لا يعرف ناقلها وقد أضربوا بالحكاية
للتلهي والسخرية فلذلك أخرج هو مخرج من لم يعرف وفي قوله
ينبئكم دون يخبركم تأييد لما ذكر فإن النبأ خبر فيه غرابة
وشأن إذا مزقتم كل ممزق نصب على المصدر أو
على الظرف على أنه اسم مكان أي فرقتم كل تفريق وصرتم ترابا أو كل موضع
تفريق كبطون السباع وحواصل الطيور ومذاهب السيول والعامل
في الظرف ما دل عليه إنكم لفي خلق جديد أي بعثتم وجدد خلقكم وجديد
فعيل بمعنى فاعل من جد أو بمعنى مفعول من جده الناسج إذا قطعه
وأصله في الثوب ثم شاع وإنما قدم الظرف اعتناء باستبعاده
وإيذانا بأنه سبب التعجب لبعده من المعقول وأصله ينبئكم إنكم
تبعثون وتجدد خلقكم إذا متم فقدم وأخر وبدل وغير لما قلنا وكذلك
بالغوا في التأكيد بأن واللام متعجبين ومعجبين من جزمه بالبعث
أي لا يقنع بإمكانه بل يجزم بوقوع محال مثله وهذا هو السبب في
حصرهم قوله عليه السلام في الافتراء والجنون بناء على أن كونه صدقا
وحقا أمر بين الاستحالة عندهم فلا يتردد فيه سوى الكذب افترى
ألف استفهام دخلت على الألف المجتلبة فأسقطتها للاستغناء عنها
على الله كذبا أقصد وتعمد كذبا بالكلام أم به جنة أم حل به جنون
فيقول بغير قصد عادلوا بين الافتراء والجنون لأن هذا القول
عندهم إنما يصدر عن أحد هذين لأنه إن كان يعتقد خلاف ما
أخبر به فهو مفتر وإن كان لا يعتقد فهو مجنون بل الذين لا يؤمنون

بالآخرة

بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ضرب عند تقسيمهم لبطلانه إلى
أن الكافرين وقعوا بسبب إنكارهم للبعث وعدم إيجازهم أي وعدم
إيمانهم بالآخرة وقرب العذاب بالضلال شعارا بأن العذاب يلزم
الضلال غير منفك عنه كأنهما في وقت واحد لسرعته أو الضلال بالبعيد
من الإسناد المجازي لأن البعد صفة الضلال إذا بعد عن الجادة
أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض تذكير لهم
بما هم عاينوه من كمال قدرة الله تعالى وتهديد على تكذيبهم أي
أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض فيستدل
بذلك على أنهم في سلطان الله تعالى يجري عليهم أحكامه إن نشأ
نخسف بهم الأرض كما فعلنا بقارون أو نسقط عليهم كسفا قطعة
من السماء كما فعلنا بأصحاب الأيكة لتكذيبهم بالآيات البينات بعد
ظهورها إن في ذلك أي في النظر إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من
السماء والأرض لآية يستدل لدلالة واضحة على قدرة الله تعالى
لكل عبد منيب راجع إلى الله لأن الراجع إليه تعالى متفكر في آياته
الدالة على أنه قادر على البعث وعلى عقاب المكذبين ولقد آتينا
داود منا فضلا على سائر الناس ويندرج فيه النبوة والكتاب
والملك والصوت الحسن أو على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
في زمانه وهو ما ذكر بعده من المعجزات الخاصة به يا جبال بدل
عن فضلا بإضمار قولنا أو من آتينا بإضمار قلنا أوبي رجعي معه
التسبيح وقرئ أوبي من الأوب أي ارجعي معه في التسبيح لأنه إذا
رجعه فقد رجع فيه وذلك بخلق صوت فيها مثل صوته معجزة
له بخلق الكلام في الشجر وقيل يسري معه أينما سار والطير قرئ
عطفا على لفظ الجبال تشبيها للحركة البنائية لكونها بنائية بسبب
العارض وهو وقوع منادى مقام مبني الأصل وهو كان أدعوكم
بالحركة الإعرابية أو عطف على فاعل أوبي أي أوبي أنت
والطير كقوله اسكن أنت وزوجك الجنة وبالنصب على محله
ولا تأييد في القراءة بالرفع لهذا لأن مبناه على أن يتعين فيه
العطف على لفظ الجبال وقد عرفت أنه غير متعين أو على أنه
مفعول معه وقيل عطفا على فضلا وعني وسخرنا له الطير وأصل
النظم ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فعدل
إلى هذه الصيغة للفخامة والجزالة والدلالة على كمال قدرته
تعالى وعزه وسلطانه وكبريائه وجعل الجبال والطير كالعقلاء
المطيعين الذين إذا دعاهم سمعوا وأجابوا وإذا أمرهم أذعنوا

واطاعوا اشعارا بان كل حيوان وجماد مطيع له ومنقاد لمشيئته غير
ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالشمع يصرفه
بيده كيف يشا بغير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة بالالة او بشدة
قوته ان اعمل ان هي المفسرة اي امرناه ان اعمل او المصدرية اي بان
اعمل سابغات دروعا واسعا فيان يقال سبغ الثوب اذا غطى كل ما
هو عليه وفضل منه والمراد زيادته عن البدن حتى يستر الساعدين
والساقين وهو اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفايح وكانت
ثقالا ولذلك امره بالتقدير بان يجمع بين الخفة والحصانة اي لا
تقصد الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزول المنفعة وقدر في السرد
سرد الدرع وهو ان تحكم وتجعل نظام حلقه ولا تغير مختلفة
ومنه سرد الكلام نظمه في نسق واحد وقيل التقدير امر به وقدرها
الحلقة اي لا تجعلها صغيرة فتضعف ولا يقوى الدرع على الدفاع ولا
كبيرة فينال لابسها خلالها وقيل هو في المسمار اي اجعل المسامير على
قدر الحلق لا تغلظها فتخرق ولا ترقق فتقلق وهذا بنا القولين
على الوجهين المذكورين في تفسير النا له الحديد فرد الاخير بان
دروعها لم تكن مسمرة مردود لان عدم الحاجة الى التسمير على
تقدير ان يكون الحديد لينا بالالة واما اذا كان على طبيعته
فلينه داود عليه السلام بشدة قوته فلا بد من التسمير وبهذا
التفصيل ظهر فساد ما قيل ويويد الرد المذكور والنا له الحديد واعملوا
الضمير لداود عليه السلام واهله صالحا عملا يوافق امر الله تعالى انى
بما تعملون بصير ترغيب وترهيب ولسليمان الريح وسخرنا لسليمان
الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع غدوها شهر
ورواحها شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي
كذلك واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال له معدن النحاس
فكان ينبع له نبوع الما من الينبوع ولذلك سماه عين القطر وكان ذلك
باليمن ومن الجن من يعمل من في محل النصب عطفا على الريح ومن الجن
حال متقدمة او في محل الرفع على الابتدا ومن الجن خبره بين يديه
قدامه باذن ربه بتيسيره وقد سبق وجه هذا الاستعمال
في سورة الاحزاب ومن يزغ منهم عن امرنا يعدل الذي امرناه
به من طاعة سليمان عليه السلام نذقه من عذاب السعير عذاب النار
قيل كان معه ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن امره ضربه ضربة احرقته
يعملون له ما يشا من محاريب اي مساجد انما عبر عن المسجد بالمحراب
لاختصاصه من بين ساير البيوت وتماثيل صور الملايكة والنبيين

والعباد كانت تعمل في المساجد على هيئاتهم العبادات التي اعتادوها ليراها
الناس فيعبدوا نحو عبادتهم ولم يكن على النقش ويراد ذكراهما وجفان
وصحاف كالجواب جمع جابية وهي حوض كبير لان الما يجبى فيه اي يجمع
جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ بحذف الياء
اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع وقدور راسيات ثابتات على الاثافي
لا تنزل عنها لعظمها وهذه الكناية كانت في منزلة التشبيه في قرينتها
اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا مفعول له او حال بمعنى شاكرين
او نصب على المصدر اي اشكروا شكرا وحذف فعله لدلالة اعملوا عليه
من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان يكون مفعولا به على طريق
المشاكلة يعني انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم لنا
شكرا وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه
وجوارحه في اكثر اوقاته فلما قضينا عليه على سليمان الموت ما دلهم
الضمير للجن على موته الا دابة الارض هي الارضة اسم لها الشرفة والارض
وهو تاثر الخشبة منها فعلها فاضيفت اليه تاكل منساته المنساة
العصا لانه ينسا بها اي يطرد ويوخر وقرئ بفتح الميم وتخفيف
الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن التخفيف القياسي
ومنساته على مفعالة كما يقال في الميضاة ومن ساته اي من طرف
عصاه استعيرت من ساة القوس وفيه لغتان كقحة وقحة فلما خر
تبينت الجن من تبين اذا ظهر وتجلى او من تبينه اذا تحققه ان لو كانوا
يعلمون الغيب ان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين
زيد جهله اي تبين جهل زيد او مفعول به وعلى الاول الظهور في المعنى
للمسند لمن الجن لانهم اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب
كما يزعمون لعلموا بموته حال وقوعه فلم يلبثوا بعده حولا في
تسخيره او علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم
وضعفتهم ونوهمهم ان كبرائهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب
لقد كان لسبا الانتظام بين القصتين ان الاولى في مدح الشكور
والثانية في ذم الكفور وبيان جزا كفرانه وقرئ سبا منصرفا
اي لاولاد سبا وهو سبا بن يعرب بن قحطان وبالفتح ممنوعا
عن الانصراف على معنى القبيلة او المدينة وسبا بقلب الهمزة الفا
في مسكنهم مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب وقرئ
مسكنهم بفتح الكاف وكسرها حملا على ما شذ من القياس كالمسجد
والمطلع آية اي علامة تدل ان لهم الها خلقهم ورزقهم لان ما اعطاهم
من انواع الشجر والوان الثمر كان خارجا عن وسع البشر جنتان

يدل من اية او خبر مبتدا محذوف اي هي جنتان وقرئ بالنصب على
المدح ودل ذلك على ان في رفعه معنى المدح والمراد جماعتان من البساتين
لا بستانان اثنان **عن يمين وشمال** جماعة عن يمين بلدهم كل واحد منهما
لتقارب بساتينها وتضامها والتفاف اغصانها كجنة واحدة او
بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله **كلوا من رزق ربكم واشكروا له**
حكاية لما قيل لهم اي قلنا على الانبيا عليهم السلام المبعوثين اليهم او هم
احقا بان يقال لهم او قال لهم لسان الحال **بلدة طيبة** لم تكن سبخة ولا عاهة
فيها ولا هامة استينافا للدلالة على موجب الشكر وتعليل للامر اي هذه
البلدة التي رزقكم بلدة طيبة **ورب غفور** وربكم الذي رزقكم وطلب
شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ بلدة وربا بالنصب على
المدح او اسكنوا واعبدوا **فاعرضوا** عن الشكر **فارسلنا عليهم سيل
العرم** جمع عرمة وهي الحجارة المركومة والمراد المسناة التي عقروها
سكرا او قيل المطر الشديد او الجرذ الذي نقب السكر عليهم **وبدلناهم
بجنتيهم جنتين** تسمية الله لهم جنتين للمشاكلة مع التهكم **ذواتي
اكل خمط** الاكل بالضم والسكون الثمر والخمط شجر الاراك وقيل شجر
ذي شوك وقيل كل نبت اخذ طعما من مرارة حتي يمكن اكله وقرئ
اكل بالتنوين والاضافة الى خمط واذا نون جعل خمط بدلا منه كانه
قيل ذواتي اكل بشيع اذ اجعل اصله ذواتي اكل اكل خمط بحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه واما الاضافة فلان الخمط في معنى
البرير وهو ثمره **واثل** شجر يشبه الطرفا اعظم منه واجود عودا
وشيء من سدر قليل السدر شجر النبق وهو مما يطيب اكله ولذلك
كان يغرس في الجنان الاول ويرغب عنه ولذلك قيده بالقلة
وبالغ فيه بقوله وشيء من سدر اي بقي اثرا منه على الجنات
المبدلة به ليتذكرون به ما كان ويتحسرون عليه والاثل والسدر
معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيا
بالنصب عطفا على جنتين **ذلك جزيناهم بما كفروا** بسبب كفرانهم
النعمة او بسبب كفرهم بالرسل وتقديم المفعول مع جزيناهم للاهتمام
والتعظيم ولذلك اشير اليه بذلك **وهل نجازي** بما استعمل الجزا في
معنى العقاب العاجل **الا الكفور** الا البليغ في الكفران او الكفر
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي
القرى في الشام **قرى ظاهرة** متواصلة يرى بعضها من بعض او راكبة
متن الطريق ظاهرة للسابلة **وقدرنا فيها السير** قيل كان الغادر منهم
يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا

ولا

ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء **سيروا فيها** على ارادة
القول بلسان الحال اذ لا قول ثمة ولكن لما هيئت اسبابهم ومكنوا من
السير كانه امروا بذلك واذنوا فيه **ليالي واياما امنين** اي ان شئتم
بالليل وان شئتم بالنهار فانه لا يختلف الامر فيها باختلاف الاوقات
او سيروا فيها امنين وان طالت مدة سفركم وامتدت اياما وليالي
او سيروا ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن **فقالوا ربنا باعد
بين اسفارنا** سئموا طيب العيش وملوا العافية والترفه وبطروا
النعمة فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان
المن والسلوى وهو بان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا
الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا بها على الفقرا فعجل الله لهم
الاجابة بتخريب القرى المتوسطة وقرئ باعد بين على لفظ الخبر
ومعناه على خلاف ذلك وهو استبعاد مسافة سفرهم على قصرها ودنوها
لفرط تنعمهم وترفههم وعدم الاعتداد بما انعم عليهم فيه كانهم تشاجوا
على ربهم وتشكوا اليه ومثله قراءة من قرا ربنا بعد وبعد على النداء
ورفع بين باسناد الفعل اليه **وظلموا انفسهم** حيث بطروا النعمة ولم
يعتدوا بها **فجعلناهم احاديث** اي عظات وعبر يتحدث ويتمثل بهم
فيقال تفرقوا ايدي سبا **ومزقناهم كل ممزق** وفرقناهم غاية التفريق
حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والا
زد بعمان **ان في ذلك لايات لكل صبار** على الطاعة والبلا **شكور** للنعم
في الرخا **ولقد صدق عليهم ابليس** بالرفع **ظنه** بالنصب اي حقق
عليهم ظنه صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع عنه اي وجده ظنه
صادقا وقرئ بتخفيف صدق على الوجهين ومعنى الاول صدق
ابليس في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك اي تجهده
جهدك ومعنى الثاني قال له ظنه الصدق حين خيله اغواهم
يقولون صدق ظنك وبالتخفيف ورفعهما على ان ظنه بدل منه
اي صدق عليهم ظن ابليس **فاتبعوه** ان جعلنا الضمير هنا وفي عليهم
لبني ادم كان كالبرهان على ان اهل سبا اتبعوا الشياطين فاغواهم
ومعنى صدق ظن ابليس في تخيله اغواهم انه حين وجد ادم عليه
السلام ضعيف العزم وقد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته
اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم ولاغوينهم
الا فريقا من المومنين فقلل المومنين بالنسبة الى الكفار على ان
من للبيان اي **الا فريقا من المومنين** لقوله لاحتنكن ذريته الا
قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وان كان للتبعيض فهم المخلصون

لقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وما كان له عليهم من سلطان
من تسلط واستيلا بالوسوسة والاستغوا الا لنعلم من يومن بالاخرة
الا ليظهر علمنا بالايمان من آمن وشك من شك تميزهم عن مظاهر الرسول
والمومنين وقرئ ليعلم على البنا للمفعول والمراد بالعلم متعلقه ليترتب
عليه الجزا ولذلك علل التسليط به وفي قوله ممن هو منها في شك وتغيير
نظم الصلتين بايراد الجملة الاسمية وتنكير الشك وجعله مقر الهم
ما لا يخفى اي ممن هو راسخ في الشك العظيم لا يرعوي منه اي لا يتوب
وعلى الكفر يموت وربك على كل شي حفيظ محافظ والزنتان متاخيتان
قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم حذف مفعولا زعمتم والتقدير زعمتموه
الهة اما الاول فلطول الموصول بصلته واما الثاني فليقام صفته
مقامه وهو من دون الله وهو حذف شايع اذا كان معلوما ولا يستقيم
ان يكون هو مفعوله الثاني لان قولكم هم من دون الله لا يلتئم كلاما
ولا يملكون لانهم لم يزعموا ذلك بل نقيضه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم
من جلب نفع ودفع ضر كما تدعون الله تعالى هل يستجيبون
لكم بشي لا يملكون بانفسهم واختيارهم مثقال ذرة من خير او شر
او نفع او ضر لسبق الجواب عنهم بعد امرهم اشعارا بانه متعين
له بحيث لا يحتمل غيره ولا يمكنهم الانفصال عنه لكونه حجة عليهم قوله
في السموات والارض نعمهم عرفا اي لا يملكون شيئا ما في موضع ما ولان
الهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام
او لان الاسباب القريبة للخير والشر اما سماوية واما ارضية والجملة
المعطوفة على لا استثنا فيه كلها لبيان منافاة صفاتهم للالوهية
بالكلية التزاما لهم وما لهم فيهما من شرك في هذين الجنسين من شركة
في خلقهما ولا في ملكهما وما له منهم من ظهير من عون يعينه على خلقهما
وتدبيرهما يعني انهم في العجز والبعد عن صفات الربوبية بهذه المثابة
فكيف يصح ان يعبدوا ويدعوا ويرجوا كما يعبد الله تعالى ويدعى
ويرجى ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا تنفعهم من جهة الشفاعة
ايضا كما تزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له قرئ على
البنا اي الا لمن اذن له ان تشفع او لمن اذن ان يشفع له فان اللام
المتعلقة بالشفاعة قد يكون للشافع وقد يكون للمشفوع له والاليق
بهذا الموضع ان يكون من بمعنى المشفوع له واللام الثانية في قولك
اذن لزيد لعمرو اي لاجله والمعنى لا تنفع الشفاعة الا كاينة لمن
وقع الاذن للشفيع لاجله حتى يكون ردا لقولهم هو لا شفعاونا عند
الله اي لا ينفعكم شفاعتهم لانهم لا يوذن ان يشفعوا لاجلكم حتى اذا

فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام فان توقف الشفاعة على الاذن
موذن بانه ثمة انتظارا للاذن وفزعا للراجين للشفاعة والشفعا
من لا يوذن لهم كانه قيل يتربصون فزعين حتى كشف الفزع عن قلوبهم
بالاذن في الشفاعة والتفريع كشف الفزع وازالته وقرئ مخففا بمعنى
المشدد وقرئ بالدال المهملة والغين المعجمة اي نفي الوجل عنها وافني من
قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شي وفرغ مخففا اصل فزع بالزاي المعجمة
فزع الوجل عنها ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول
دفع الى زيد اذا علم المدفوع واصل المخفف فزع الوجل اي انتفى عنها
وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور قالوا اي قال بعضهم
لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق اي قالوا قال القول
الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى من المومنين وقرئ الحق بالرفع
اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبريا ليس لملك مقرب
ولا نبي مرسل ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى
قل من يرزقكم من السموات والارض تقرير لقوله لا يملكون ولذلك امره
بالجواب بعد سوالهم بقوله قل الله لتعينه عند الكفر وفيه اشعار بانهم
ان سكتوا وتلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون بقلوبهم
لعلمهم ان لا جواب الا هذا وان الجا العناد وحب الشرك افواههم ان
ينطقوا به وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد
الفريقين من الموحدين الذين يخصون الرازق وحده المتفرد بالقدرة
الواجب لذاته بالعبادة ومن المشركين الذين يشركون الجماد النازل
في ادنى مراتب الامكان لعلى احد الامرين من الضلال والهدى وهو
غاية في انصاف الذي هو من سمعه من الموافق والمخالف رضيه
وتخطيه بعد ما تقدم من التقرير البليغ تعريض بمن هو في ضلال
من الفريقين ومن هو على الهدى ابلغ من التصريح لانه في صورة
الانصاف المسكت للخصم المشاغب وانما خولف بين حرفي التعدية
لان المحق كالمستعلي على جواد يركضه حيث يشا او على منار مشرف
على كل احد مطلع على كل شي والمبطل كالمحبوس في مطمورة لا يمكنه التقصي
منها لا يرى وجه الخلاص او كالمنغمس في ظلام مرتبك لا يرى وجهة
يتوجه اليها ثم اتبعه بقوله قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسأل عما
تعملون بما هو ابلغ من الاول في ارخا العنان والانصاف فيه حتى يبلغ
ذروة الاخبات نسب الاجرام الى نفسه واصحابه والعمل اليهم وفيه
بنا على الغرض والتقدير فلا يلزم اجرامهم ولا نفي عن التعرض المذكور
مع التهكم قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق بحكم

ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم
الفيصل في القضايا المتعلقة العليم بما ينبغي ان يقضي به قل اروني
الذين الحقتم به شركاء استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة تبصيرا
اياهم بخطائهم العظيم وزيادة في التبكيت اي اروني باي صفة الحقتموه
به في استحقاق العبادة وشركتموه به في التعظيم وكيف فابصرتم الجماد
الذي قهر كل شيء بالقدرة كلا ردع لهم عن دينهم بعدما يصرح بابطاله
عن المقايسة بل اضراب بعد الردع عن الشرك الى حصر الالهية في الله تعالى
ومحض التوحيد هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة
والحكمة تنبيه لهم على تفاحش غلطهم وتعامي ابصارهم كانه قال
اين شركاء وكم من هذا الوصف وهو راجع الى الله او ضمير الشان كما في
قوله قل هو الله احد وكيف ما كان فهو دال على تفرده بالوصفين
اللذين اراهم الحجة وما ارسلناك الا كافة للناس كافة من كف اذ امنع
صفة مصدر محذوف اي ارسالة العامة محيطة بهم مانعة لهم من
ان يخرج منهم احد وقال الزجاج جامعا للناس في الانذار والابلاغ
فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان يكون للمبالغة كتاء
الراوية والعلامة ويجوز جعله حالا من الناس متقدمة فان
تقدم الحال على صاحبه المجرور مختلف فيه ومذهب ابي علي وابن
كيسان وابن برهان وابن مالك الى انه يجوز وهو الصحيح ولا حاجة
الى ان يناول اللام بمعنى الى فان ارسل يتعدى باللام كقوله تعالى
وارسلناك للناس بشيرا ونذيرا للمطيعين والعاصين ولكن اكثر
الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط
تعنتهم لا من فرط جهلهم ولذلك عطف بالواو دون الفاء متى هذا الوعد
يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ان كنتم
صادقين يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
ولما كان سؤالهم عن تعيين الميعاد تعنتا وانكارا لا استرشادا جاء الجواب
تهديدا ووعيدا مطابقا لما قصدوه قل لكم ميعاد يوم الميعاد ظرف
الوعد من مكان او زمان وهو ههنا الزمان والاضافة للتبيين
كما تقول سحق ثوب قبل ويؤيده انه قرئ ميعاد يوم فابدل منه
اليوم وقرئ يوما على التعظيم وتقديره لكم ميعاد اعني يوما ويجوز
ان يكون الرفع ايضا على التعظيم لا تستأخرون عنه ساعة ولا
تستقدمون اي اذا فاجاكم لا تستطيعون عنه تاخرا ولا عليه تقدما
وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من
الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء عليهم السلام الدالة على البعث

روي ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عنه عليه السلام فاخبروهم انهم
يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذين بين يديه
القيامة ثم اخبر عن صورة حالهم في الآخرة فقال له عليه السلام او لكل من
يستحق ان يخاطب ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع
بعضهم الى بعض القول اي لو ترى في الآخرة موقفهم عند المحاسبة وهم
يتحاورون ويتراجعون القول وجواب لو محذوف للدلالة على ما لا يدخل
تحت الوصف من العجب او الهول او الفزع يقول الذين استضعفوا اي
الاتباع للذين استكبروا للرؤسا لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن
الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
بصيغة المضارع تصويرا للحال ثم عدل عنها الى الماضي ولذلك ترك
العاطف هنا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم فقد يتسع في
ظروف الزمان ما لا يتسع في غيرها فيضاف بعضها الى بعض والى الجمل فلذلك
اضيف بعد الى اذ واذا بل كنتم مجرمين اولي الاسلام الهمزة لانكار ان
يكونوا هم الصادين اياهم عن الهدى بعد ان جاءكم وتمكنوا منه واثبات
انهم الذين صدوا باختيارهم واثروا الضلال على الهدى ولذا اضرب
عن دعواهم الاضلال عليهم الى انهم هم الذين اجرموا بكسبهم وقال
عطف هذا الكلام على كلامهم الاول بالواو دون كلام المستكبرين في
جوابهم لانه ابتداء جواب حقه الاستيناف الذين استضعفوا للذين
استكبروا كرر المستضعفون عليهم وقابلوا اضرابهم بقولهم بل
مكر الليل والنهار مبطلين اضرابهم بالاضراب عنه الى ان الاضلال
كان من جهة مكركم الدائم وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد لا من
جهتنا واختيارنا واضيف المكر الى الظرف على الاتساع واجرا الظرف
مجرى المفعول به اي مكركم لنا في الليل والنهار ويجوز ان يكون اضافة
المكر الى الليل والنهار من باب الاسناد المجازي واضافة المصدر الى
الفاعل بجعل الليل والنهار ماكرين وقرئ مكر الليل والنهار بالرفع
والنصب من الكرور اما الرفع فعلى الابتداء والخبر اي سبب ذلك
مكركم او مكركم او مكركم او مكركم بسبب ذلك واما النصب
فعلى المصدر اي مكرون الاغوا مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان
نكفر بالله ونجعل له اندادا اذ بدل من الليل والنهار اي مكركم في زمان
امركم ايانا بالكسر او نصب الظرف لمكر او تعليل اي لامركم ايانا بالكفر
واسروا اي الظالمون الموقوفون الشاملون للفريقين الندامة
لما راوا العذاب اي اخفوا الكلام بالندامة فيما بينهم على سبيل المسارة
والتناجي اعني ندامة المستكبرين على الضلال والاضلال وندامة

المستضعفين على الضلال والاتباع واظهروها على سبيل الجزع والتضرع
على ان الهمزة للازالة كما في قولك اعتبته واشكيته وجعلنا الاغلال
في اعناق الذين كفروا من باب وضع الظاهر موضع الضمير اي في
اعناقهم للتصريح والتنويه بذمهم والدلالة على ان الكفر هو الذي
استحقوا به الاغلال هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم
الا جزاء على اعمالهم وتعدية يجزي لتضمين معنى يقضي او النزع الخافض
وما ارسلنا من قرية من نذير تسلية لرسول الله عليه السلام بان
الرسل كلهم منوا بما مني به من قومه من التكذيب والمفاخرة بالاموال
والاولاد الا قال مترفوها تخصيص المتنعمين بذلك لان معظم الدواعي
الى الكفر والانكار التكبر والمفاخرة بالاموال والاسباب التي هي منشا
الطغيان ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما
ارسلتم به كافرون لان مقابلة الجمع لان قوله من نذير في سياق
النفي للعموم ولان الانبيا عليهم السلام متفقون في اثبات التوحيد
والبعث وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان
امكن واولى النفي الاسم في قوله وما نحن بمعذبين لانهم اعتقدوا
ان اختصاصهم بالغنى واسباب التنعم والترفه انما هو لكرامتهم عند
الله تعالى وقاسوا امر الاخرة على امر الدنيا فقالوا ذلك على انه ان وقع لم
يكونوا معذبين لانهم اكرم على الله تعالى من ان يعذبهم انما المعذبون
من يهون عند الله من اهل الفقر والفاقة وسوء الحال في الدنيا
وفيه استهزاء بالانبيا عليهم السلام واصحابه من الفقرا واستهانة
بهم اي ان صدق وعدكم بالبعث فانهم المعذبون لا نحن كما في الدنيا
قل رد الحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اي يوسع
على من يشا ويضيق على من يشا مكرما كان عنده او مهانا فلا
التوسيع يدل على الاكرام ولا التضييق على الاهانة ولا يتعلق السعادة
والشقاوة الاخرويتان بتوسيع الرزق الدنيوي وتضييقه فبل
ولو كان ذلك الكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته وفيه نظر
لما تقرر في موضعه ان المشيئة تجامع الايجاب انما المنافي له القدرة على
الفعل والترك ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لعدم وقوفهم على
مواقع الحكمة واسرارها فيظنون ان الفقر والغنى وكثرة الاولاد
وقلتهم للكرامة والهوان عند الله في الدنيا وقرر ذلك بقوله وما
اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى اخبر عن الاموال والاولاد
بالتي على ارادة الجماعة لان الجمع المكسر يستوي في تانيثه العقلا
وغيرهم وقرئ باللاتي لانها جماعات وقرئ بالذي اي بالشي الذي

في محل النصب على المصدر اي تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا
الا من امن وعمل صالحا الظاهر انه استثناء منقطع اي لكن من امن وعمل
صالحا فايمانه وعمله يقربانه وقيل استثناء متصل من مفعول تقربكم
اي لا تقرب الاموال والاولاد احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق امواله
في سبيل الله تعالى ويعلم اولاده الخير والفقه في الدين ويربيهم على الصلاح
او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الاموال من امن واولاده
فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي يضاعف لهم حسناتهم الواحدة
عشرا الى سبعمائة واكثر من اضافة المصدر الى المفعول اي اولئك
لهم ان يجازوا الضعف وقرئ جزاء الضعف على الاصل وجزاء الضعف
بنصب جزاء ورفع الضعف اي لهم الضعف جزاء على انه تمييز او
مصدر لدلالة لهم على فعله اي يجزون جزاء ويجوز كونه حالا لتضمنه
بالمصدر وجزاء الضعف برفعهما على ان الضعف بدل من جزاء
والفاء في اولئك للسببية وبالنهي او باسم الاشارة ويتوله بما عملوا
في ان الموجب للكرامة والزلفى عند الله تعالى هو الايمان والعمل
الصالح لا غيرهما وهم في الغرفات اي في غرف منازل الجنة وقرئ في
الغرفة على ارادة الجنس امنون اي من كل مخوف ومكروه والذين
يسعون في اياتنا اي في ابطالها وصرف الناس عنها معاجزين
مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون
عبر عن موضع العذاب بالعذاب مبالغة قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشا من عباده ويقدر له انما اعاده لان ما سبق باعتبار الاشخاص
وهذا باعتبار الاوقات بالنسبة الى شخص بدلالة له فيكون ادل على
المقصود وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا منه اما عاجلا او اجلا
لا معوض سواه وهو خير الرازقين لانه قادر على مواصلة رزقه
وزيادة ما شا لمن يشا بغير حساب وليس العبد كذلك واما انه رازق
حقيقة دون العبد فلا يناسب تفضيل احدهما على الاخر لانه يقتضي
الشركة في اصل الفعل حقيقته ويوم نصب بتقالوا او باذكر نحشرهم جميعا
اي المستكبرين والمستضعفين ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم
فهو وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة وتخصيص الملائكة
لا لانهم اشرف معبودهم لان عيسى عليه السلام اشرف منهم ولا لاختصاص
صلاحية الخطاب فيهم بل لان مبدا الشرك عبادتهم قالوا سبحانك تنزيها
لك ان يعبد معك غيرك انت ولينا الذي نواليه من دونهم لا موالاة
بيننا وبينهم ارادوا باثبات موالاة الله تعالى ونفي موالاتهم براتهم من

الرضا بعبادتهم لان تخصيص موالاتهم به تعالى واثبات معاداتهم اياهم
بيانا في ذلك ثم اضربوا عن عبادتهم لهم الى اثبات عبادتهم للجن بقوله
بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين الذين يخيلون ذلك لانهم اطاعوهم
في عبادة غير الله تعالى او يتوهمون الصور الجنة ويحسبونها ملائكة
اكثرهم بهم مؤمنون انما قال اكثرهم لان عبادة بعضهم كان عن وهم
واحتمال لا عن تصديق واعتقاد **فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا**
ولا ضرا ان الامر يومئذ لله فلا يملك احد شيئا من الضر والنفع لا لغيره
ولا لنفسه وانما نفي الملك دون القدرة لما في البعض من القدرة على الشفاعة
باذن الله تعالى **ونقول** عطف على يملك مبين للمقصود من تمهيده
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار تخصيص للعقاب بالذين ظلموا لتقدير
المقاولة بهم في قوله ولو ترى اذ الظالمون فختم باختصاصهم بالعقاب
لان الكلام فيهم وفي قوله **التي كنتم بها تكذبون** دلالة قاطعة على ان عود
الضمير على المضاف اليه لا يخل بحسن الكلام اذا لم يكن في محل الاشتباه
واذا تتلى عليهم اياتنا ايات القران **بينات** واضحات الدلالات على
اعجازه **قالوا ما هذا** يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم **الا رجل يريد**
ان يصدكم الصد الصرف عن الخير **عما كان يعبد اباؤكم** عن دين ابائكم
وقالوا ما هذا يريدون القران **الا افك** كذب **مفترى** على الله **وقال**
الذين كفروا للحق لامر النبوة او للاسلام او للقران والاول انسب لاطلاقه
السحر عليه باعتبار لفظه وبلاغته **لما جاءهم ان هذا** اي الحق **الا سحر**
مبين ظاهر سحريته وفي الاشارة بهذا في المواضع الثلاثة التحقير دال
على جراتهم على الله تعالى ورسوله عليه السلام وكتابه ورسالاته فلهذا
قوبلت بما يدل على غضب شديد وانكار عظيم وتعجب من كفرهم بليغ
بايقاع الموصول والصلة موضع الضمير في قوله قال الذين كفروا
وتعريف الحق وايراد لما الدالة على مبادرتهم بالكفر وتسمية الحق
النير بالسحر المبين **وما اتيناهم من كتب يدرسونها** يقرؤونها وفيه
دليل على صحة الشرك او امرية وقرئ يدرسونها من التدريس وهو
تكرير الدرس او للتكثير من درس الكتاب ودروس الكتب ويدرسونها
بتشديد الدال يفتعلون من الدرس **وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير**
يدعوهم اليه وينذرهم العقاب على تركه وقد بان من قبل بالبرهان وجه
بطلانه فمن اين وقعت لهم الشبهة وهذا غاية في تجهيلهم وتسفيه
رايهم ويجوز ان يكون معناه انهم قوم جهال اميون لا كتاب لهم
ولا نبي نشأوا على طباعهم الخسيسة في الجاهلية لا تتشبث لهم بوجه ولا
تمسك بشبهة لقوله ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون

ثم

نسخه امبيون

ثم هددهم بقوله **وكذب الذين من قبلهم** كما كذبوا **وما بلغوا معشار ما**
اتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما اتيناهم اولئك من القوة والقدرة وطول الاعمار
وعظم الاجرام وكثرة الاموال وقيل معنى المعشار عشر العشر **فكذبوا**
رسلي فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري فكيف كان
حالهم في التدمير والاستئصال حيث لم يغن عنهم استظهارهم بما هم به
مستظهرون فما بال هؤلاء ويجوز ان يكون المعنى وما بلغ اولئك عشر
ما اتيناهم من البينات والهدى فكذبوا رسلي فاستؤصلوا مع ان
الحجج والبينات لم تتكرر عليهم كما تكررت على هؤلاء فكيف كان حالهم في انكاري
فكيف يكون حال هؤلاء مع تكرر البينات وتكثرها فيعتبروا بحالهم
ويحذروا من مثلها فكذبوا عطف على كذب الذين عطف المقيد على
المطلق بالفاء السببية اي فعلوا التكذيب واقدموا عليه حتى تعودوا به
فصار سببا لتكذيب رسلي ويجوز ان يعطف على ما بلغوا كقولك
ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عمرو عليه **قل انما اعظكم** انصح لكم
بواحدة بخصلة واحدة ان فعلتم اصبتم الحق وتخلصتم وفسرها
بقوله **ان تقوموا لله** خبر مبتدأ محذوف وهي ان تقوموا والمراد
القيام من مجلس رسول الله عليه السلام ولا يجوز ان يكون عطف
بيان لان بواحدة نكرة وان تقوموا معرفة تقديره قيامكم لله
والتخالف في عطف البيان لم يذهب اليه ذاهب **مثنى وفرادى**
متفرقين اثنين اثنين ظاهرين على التنصف دون العصبية والجدال
او واحدا واحدا متفكرين فان الاجتماع والازدحام مما يشوش
الخواطر ويعمي البصائر ويهيج الفتن والتخاصم او تقوموا بهذا الامر
من قولهم قام بالامر اذا اجد فيه ومعنى لله خالصا لوجه الله مؤمنا
عن المراء والتقليد **ثم تتفكروا** في امره عليه السلام ومحله الجر على البيان
او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعني **ما بصاحبكم من جنة**
ما نافية متعلقة بتتفكروا اي تتفكروا فتعلموا ما به من جنة او
ويجوز ان يكون استئنافا تنبيها من الله تعالى لهم على ان ما عرفوا
من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى
لادعاء مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والاخرة من
غير تحقق بيقين وتعرف ببرهان مبين فيفتضح على رؤوس الاشهاد
ويلقي نفسه في معرض الهلاك كيف وقد انضم اليه ايات باهرة ومعجزات
قاهرة ويجوز ان يكون استفهامية اي ثم تتفكروا في احواله واقواله
وافعاله هل فيه ما يعنيه ويدل على انه جنة وقوله **ان هو الا نذير**
لكم يرجح كون ما نافية **بين يدي عذاب شديد** قدامه كقوله بعثت

في تسليم الساعة **قل ما سألتكم من اجر فهو لكم** جزاء الشرط اي اي شي
سألتكم من اجر الرسالة فهو لكم ويجوز ان يكون ما موصولة والفاء لتضمنه
معنى الشرط والغرض نفي الاجر اصلا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني
شيا فاسترده وهو يعلم انه لم يعطه شيا او اثبات الاجر لهم وهو ما
اراد بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
وبقوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل
الى الله تعالى ينفعهم وكذا مودة قرابته فان فيه قربانهم الى الله تعالى
وعلى الاول قيل كانه جعل النبي مستلزما لاحد الامرين الجنون وتوقع
نفع دنيوي عليه لانه لا يخلو من ان يكون لغرض ولا وايا ما كان يلزم
احدهما ثم نفى كلا منهما ولا يخفى ضعفه لان توقع النفع الدنيوي
غير منحصر في سؤال الاجر وذلك ظاهر **ان اجري الا على الله** اي ما ابتغي
عليه الا الثواب من الله تعالى **وهو على كل شي شهيد** مطلع يعلم صدقي
واني لا اطمع في شي ولا اتوقع اجرا الا منه **قل ان ربي يقذف بالحق** مستعار
من معناه بمعنى الالقا اي يلقيه الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه
ويزهقه **علام الغيوب** خبر ثان او صفة لربي محمولة على محل ان واسمها
او خبر مبتدا محذوف او بدل من المستكن في يقذف وقري بالنصب
صفة لربي او على المدح اي اعني او اخص وقري بكسر الغين كالبيوت
وبفتحها كالصبور على انه مبالغة غائب وهو البالغ في الغيبة والخفا
قل جا الحق الاسلام **وما يبدي الباطل وما يعيد** اي زهق الباطل وهو
الشرك بحيث لم يبق له اثر لا يبدي ولا يعيد مثل في الهلاك لان
الحي اما ان يبدي فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابدا ولا
اعادة فصار مثلا فيه ومنه قول عبيد
اقفر من اهله عبيد ۝ فاليوم لا يبدي ولا يعيد
وقيل الباطل الا ابليس اي ما ينشي خلقا ولا يعيد ان المنشي والباعث
هو الله تعالى وقال الزجاج اي شي ينشيه ابليس ويعيده فجعله
للاستفهام **قل ان ضللت** عن الحق **فانما اضل على نفسي** فان وبال
ضلالي على نفسي **وان اهتديت فبما يوحي الي ربي** اصل الكلام ان ضللت
فبما وسوس الي الشيطان وضرره على نفسي وان اهتديت فبما
يوحي الي ربي ونفعه لها فعدل الى ما ذكر فبين في احد القسمين
الحكم وفي الاخر السبب اكتفا بما فهم مما ذكر في احدهما عن الاخر
وهذا غاية الايجاز وقلما يتنبه لمثله الا الحذاق **انه سميع**
قريب يسمع ويرى قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه
منهما شي وان اخفاه **ولو ترى اذ فزعوا** حين وجوابه لو للتهويل

اي لرايت امرا هائلا لا يمكن وصفه ووقت الفزع وقت البعث وقيام
الساعة او وقت الموت وقيل يوم بدر ولو واذ والافعال الماضية
بعدها وهي فزعوا واخذوا وحيل وقيل كلها للماضي والمراد بها الاستقبال
للدلالة على تحقق الوقوع محا بنيه عند الله تعالى وكل ما يفعل
الله تعالى في المستقبل فهو بمنزلة الماضي للتحقق وقوعه لا محالة
فكانه قد وقع **فلا فوت** فلا يفوتون الله ولا يسبقونه اي لا فوت
لهم **واخذوا من مكان قريب** من الموقف الى النار او من ظهر الارض الى
بطنها او من صحرا بدر الى القليب والعطف على فزعوا واخذوا فلا
فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا
ويؤيده ما قري واخذ معطوفا على محل لا فوت اي لا فوت هناك وهناك
اخذ **وقالوا آمنا به** اي بمحمد عليه السلام لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم
او للعذاب المذكور في قوله بين يدي عذاب شديد **وانى لهم التناوش**
ومن اين لهم التناوش اي التناول السهل من مكان قريب يعني تناول
الايمان **من مكان بعيد** فانه يكون في حيز التكليف وقد بعد عنهم
تمثيل لطلبهم المستحيل وهو ان ينفعهم الايمان وقت العذاب في الاخرة
كما ينفع المومنين في الدنيا مثل حالهم بحال من يريد ان يتناول الشي
من غلوة كما يتناوله الاخر من قيس ذراع تناولا سهلا وقري التناوش
بهمز الواو المضمومة كما همزت في اجوه وادور وعن ابن عمر رضي الله
عنه والتناوش بالهمز التناوش من بعد من قولك ناشت اذا
ابطات وتاخرت **وقد كفروا به** اي بمحمد عليه السلام او بالعذاب
من قبل من قبل ذلك اوان التكليف **ويقذفون بالغيب** يرجمون
ويتكلمون بما لم يظهر في رسول الله عليه السلام من قولهم ساحر
وشاعر وكذاب ولم يشاهدوا منه شيا من ذلك **من مكان بعيد**
اي قد اتوا هذا الغيب من جهة بعيدة عن حاله عليه السلام لانه
ابعد شي مما جا به الشعر والسحر وابعد شي من عادته التي هو
معروف بها الزور والكذب وعلى تقدير عود الضمير على العذاب
معنى وقذفهم بالغيب قياسهم امر الاخرة على امر الدنيا وهو
غيب ومقذوف به من جهة بعيدة والعطف على وقد كفروا على
حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بان مثلت
حالهم في طلب المستحيل وهو نفع الايمان في الاخرة بحال من يقذف شيا
الى من لا يراه **من مكان بعيد** لا مجال للظن في لحوقه لغاية بعده وقري
يقذفون على البنا للمفعول على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك
وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة من النار

والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم بقوله فارجعنا نعمل صالحا
كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك
مريب من اراب اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار
ذا ريبة ودخل فيها مجاز في كلا المضيين والمريب بالمعنى الاول منقول ممن
يصح ان يكون مريبا من الاعيان والمعنى الثاني منقول من صاحب الشك الى
الشك كما تقول شعر شاعر نعت به الشك للمبالغة والله اعلم بالصواب
واليه المرجع والمآب والله اعلم واحكم سورة الملائكة اربعون وخمس آيات وسبعمائة
وسبعون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر وهو الشق فاستعمل في
الخلق ابتداء على طريقة المجاز المرتب على الكناية والاضافة حقيقية لانه
بمعنى الماضي على ما قرئ بلفظه ولذلك وصف به المعرفة جاعل الملائكة
وقرئ بالرفع على المدح رسلا وسائط بينه وبين عباده يبلغون اليهم رسالاته
بالوحي والالهام والرؤيا الصالحة اولي اجنحة اولي اسم جمع لذو وهو بدل
من رسلا او نعت له مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة غير منصرفة
اي صنف منهم اجنحتهم اثنان اثنان وصنف اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وصنف
اجنحتهم اربعة اربعة وتفاوتها بحسب تفاوت مراتبهم وامورها التي
سخرت لها وما روي انه عليه السلام راى جبريل عليه السلام ليلة المعراج
وله ستمائة جناح فلعله مخصوص به ولم يذكر لانه ليس من جنس الكثر يزيد في
الخلق ما يشاء استئناف للدلالة على ان الاختلاف المذكور امر يقتضيه مشيئته
وحكمته وانما الخلق لبيننا ولكل زيادة في جميع الخلائق كحسن الصوت وحصافة
العقل وذكاء القلب وشبه منه وشجاعة النفس وسماحتها الى ما لا يتناهى
ان الله على كل شيء قدير استئناف للتعليل فان القدرة الكاملة الشاملة لا بد له
من مرجح لا من خارج لانه ينافي كمال القدرة فهو المشيئة ما يفتح الله للناس
استعير الفتح للاطلاق والارسال وادها الى استعارته له بقوله فلا
مرسل مكان لا فاتح له من رحمة تنكيرها للاشاعة والتعميم اي من اية
رحمة كانت معنوية او صورية سماوية او ارضية فلا ممسك لها فلا احد
يقدر على امساكه وما يمسك قيد المرسل بالرحمة وقدم لانها الاصل واطلق
الممسك ليتناولها وغيرها من النعمة والغضب اشعارا بقوله سبقت
رحمتي على غضبي فلا مرسل له فلا احد يقدر على ارساله انث الضمير الاسم
اولا لان المتضمن للشرط على المعنى لتفسيره بالرحمة وذكر الثاني على
اللفظ لاطلاقه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب القادر
على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه في الارسال والامساك الحكيم الذي لا يفعل

ما يفعل

ما يفعل الا بحكمة واتقان علم ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت المتصرف
في الكل على الاطلاق امر الناس بشكر نعمته وتخصيصه به تعالى فقال يا ايها
الناس اذكروا نعمة الله عليكم الخطاب عام وكذا النعمة ولا عبرة في الخصوص
في سبب النزول والمراد بذكر النعمة شكرها بالقلب واللسان والجوارح
برويتها منه لا من غيره وادا حقوقها بالثنا على المنعم والطاعة له
واستعمالها في مرضاته ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق
ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله قرئ بالحركات الثلاث اما
الرفع فللحمل على المحل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام
بمعنى النفي او لانه فاعل خالق واما الجر فللحمل على لفظه واما النصب
فعلى الاستثنا يرزقكم من السما والارض صفة لخالق او تفسير لعامله او
ان جعلته مرفوع المحل باضمار فعل لا بالابتدا اي هل يرزقكم من خالق او
استيناف دل على ان لا خالق غير الله وعلى وجوب شكر نعمته فهو احسن
الوجوه وعلى الوجهين الاخيرين لا محل له من الاعراب لا اله الا هو مفصول
مثل يرزقكم في الوجه الثالث اذ لو وصلته مثل يرزقكم في الوجهين الاولين
لفسد المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق متناقض
فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره وان
يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعث له على التاسي بالرسل السالفين في الصبر على تكذيبهم اي وان كذبوك
فتاس بالرسل العظام واصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت رسل من
قبلك موضعه لبيان السبب واستغني بذكر السبب عن المسبب ايجازا
وتنكير رسل للتعظيم المقتضي لزيادة التسلية والحث على الصبر اي رسل ذوو
عظام ذو عدد كثير واولوا آيات بينات وقد نبي بهم على قرب حينئذ سوء
تلقيهم لايات الله وتكذيبهم بها بعد التقريع البالغ في قوله فانى
تؤفكون والى الله ترجع الامور وعد ووعيد اي فيجازيكم واياهم على الصبر
والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله الجزا بالثواب والعقاب حق لا
خلف فيه فلا تغرنكم الحياة الدنيا فلا يخدعنكم الدنيا ولذاتها وشهواتها
فيذهلكم التمتع بها عن السعي للاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله
الغرور الشيطان فانه البالغ في الغرور بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار
على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم
اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم
والنهوك او جمع غار كقاعد وقعود ان الشيطان لكم عدو تذكيرا
لبني آدم عليه السلام بالاغوا والتغرير وتحذير عن موالاته فاتخذوه عدوا
بالغ العداوة في عقايدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم

انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير مبالغة في التحذير عن عداوته
تقرير لها وبيان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى حب
الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجابه ووعد لمن خالفه وبنى الامر على
الايمان والعمل الصالح وتركهما ليقطع الاطماع الفارغة ويخيل لهمهم الغالبة
ولما ذكر الفريقين قدر الوعد والوعيد بقوله افمن زين له سوء عمله لغلبة
وهم وهواه على عقله فانتكس رايه فراه الباطل حقا والقبيح حسنا لمن لم
يزين له بل وفق للنظر الصحيح فعرفهما فرأى الحق حقا فاحسنه واختاره و
رأى الباطل باطلا فاستقبحه وتركه والهمزة للانكار دخلت على الفاء
العاطفة لانكار الجهل وفقد النظر والتمييز واتبع الشيطان فرأى القبيح
الذي زين له حسنا لمن ليس كذلك وانما حذف الجواب لدلالة فان الله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه وقال الزجاج الجواب ذهبت نفسك
عليهم حسرة فحذف لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه اي فلا
تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كقولك هلك عليه حبا او بيان
للمتحسر ويجوز ان يكون حالا على انها كلها صارت حسرات لفرط التحسر
وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي
افعالهم المقتضية للتاسف عليهم وقري فلا تذهب نفسك اي فلا تهلكها
والفاات الثلاث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة
على المسبب ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم
والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية وقد
خولف به عما قبله وما بعده الى المضارع استحضارا لتلك الصورة
البديعة الدالة على القدرة الباهرة من اثارة الريح السحاب وما
يتفرع منه من انزال المطر وغيره وهكذا يغير النظم في كل امر عجيب وفعل
يختص بحال يستغرب او توهم المخاطب او يتميز بنوع شرف وغير ذلك
والتفت في فسقناه الى بلد ميت من الغيبة الى التكلم الذي هو الادل على
الاختصاص بالقدرة الباهرة والضمير في فاحيينا به الارض للمطر الدال
عليه السحاب وللسحاب لانه سبب السبب فهو سبب او لانه يؤل
اليه بعد موتها بعد يبسها كذلك النشور اي مثل احيا الموات نشور
الاموات في صحة المقدورية اذ لا فرق بينهما الا احتمال اختلاف المادة
في المقيس عليه ولا مدخل له فيها وقيل في كيفية الاحيا ان الله يرسل ماء من
تحت العرش تنبت به اجساد الخلق من كان يريد العزة اي القوة
والقدرة والمنعة فليطلبها من عند الله فحذف الجزا استغنا عن المدلول
بالدليل وهو قوله فلله العزة جميعا اي عزة الدنيا والاخرة ثم بين

ان الذي يطلب به العزة هو التوحيد والعمل الصالح فقال اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب هو قول لا اله الا الله وصعوده
اليه مجاز عن قبوله اياه والمستكن في يرفعه للكلم لان القاعد
بنفسه هو ولا خلاف في ان العمل لا يقبل الا بالتوحيد والايمان ويؤيده
القراءة بنصب العمل وقيل لله تعالى والمرفوع العمل وتخصيصه بهذا
الشرف لما فيه من الكلفة وقيل للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه والكلم
اسم جنس من الاجناس التي يفرق بين واحدها والجنس بالتاء كتمر وتمرة
وقري يصعد على البنا للمفعول ويصعد على البنا للفاعل من اصعد
ونصب الكلم والفاعل هو المتكلم به لانه يصعده الى الله تعالى والذين
يمكرون السيئات نعت لمصدر محذوف اي المكرات قريش في دار
الندوة وقد مر في تفصيلها في الانفال لهم عذاب شديد لا يؤبه
دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور اولئك اشارة الى
الذين يمكرون السيئات جيء به للدلالة على عظم مكرهم وانه
لخبثه اوجب فساده وعدم نفاذه وتوسيط هو للحصر اي هو
خاصة يبعد ويفسد دون مكر الله تعالى بهم والامور مقدرة لا
تتغير لا يصلح علة لفسادهم لما قررناه في مواضع من انه لا تاثير
في التقدير بما زعمته الجبرية ولا دلالة على ذلك في قوله والله
خلقكم من تراب بخلق ادم عليه السلام منه ثم من نطفة بخلق ذريته
منها ثم جعلكم ازواجا اصنافا وذكرانا واناثا وما تحمل من انثى
ولا تضع الا بعلمه في موضع الحال اي الا معلومة له لما اثبت القدرة
الكاملة والعلم الشامل اراد اثبات القضا والقدر فقال وما
يعمر من معمر من باب تسمية الشي بما يؤل اليه اي وما يعمر من احد
الا ترى انه يرجع الضمير في قوله ولا ينقص من عمره اليه والنقصان
من عمر المعمر محال وهو من التسامح في العبارة ثقة بفهم السامع
هذا بحسب الجليل من النظر واما الدقيق فيحكم بصحة ان المعمر
اي الذي قدر له عمر طويل يجوز ان يبلغ حد ذلك العمر وان لا يبلغ
فيزيد عمره على الاول وينقص على الثاني ومع ذلك لا يلزم التغيير
في التقدير لان المقدر لكل شخص انما هو الانفاس المعدودة لا
الايام المحدودة والاعوام الممدودة ولا يخفى في ان الايام قدر من
الانفاس يزيد وينقص بالصحة والحضور والمرض والتعب فافهم
هذا السر العجيب الا في كتاب هو اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله
يسير اشارة الى الزيادة والنقصان وما يستوي البحران هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب البحرين العذب

والملح مثلين للمومن والكافر والعذب ما يقمع العطش ويردعه من اعذب عن الشي اذا امسك عنه والفرات الذي يكسر العطش والسايغ الذي يسهل انحداره والملح الما الذي فيه ملوحة ولا يقال مالح والاجاج اشد المياه ملوحة وهو الذي لشدة ملوحته يلتهب ويقال اججت النار اي الهبتها والاجة شدة الحر ثم وصف البحرين بما فيهما من النعم والفوايد على سبيل الاستطراد امتنانا وتفضلا فقال ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها انما غير النظم حيث لم يقل وتلبسون حلية لتفاوت الحال حيث كان الاول سهل الماخذ دون الثاني وفي زيادة السين نوع دلالة الى مزيد كلفة في اخراجها وفي عبارة كل دلالة على ان قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان على ظاهره ويجوز ان يكون وضعهما من تمام المثل وهو انهما مشتركان في فوايد كثيرة كما ان الكافر وان كان المقصود من الانسان فيه مفقود كالمقصود الاعظم من الما في البحر الملح ولكن قد يشارك المومن في فوايد دنيوية كالشجاعة والسخاوة وامثالها او ان الملح وان لم يبق فيه خاصية الما وفسد جوهره بما اختلط به وابطل فطرته كالكافر لكنه مفضل عليه بان فيه فوايد كثيرة ومنافع جمة بخلاف الكافر فانه لا خير فيه ولا نفع فيكون على طريقة قوله تعالى فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة الاية وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق الما بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واضمر للعلم به تعالى وتعليل اللام متعلقة بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون لعل مستعار من معنى الترجي للارادة ولذلك سلك به مسلك التعليل وعطف على قوله لتبتغوا كانه قال لتبتغوا من فضله وتشكرون على ذلك يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى قد سبق تفسيره في سورة لقمن ذلكم اشارة الى الموصوف بالصفات المذكورة وفيه اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة الله ربكم له الملك ذلكم مبتدا الله بيان ولا يجوز ان يكون صفة لانه علم لا يوصف به له الملك جملة استينافية مقررة لمعنى التعظيم الذي في ذلكم او لمعان الصفات المذكورة او لانها اخبار مترادفة وتوالي الابي للمعنى على خبرية ربكم لانه يكون قد اخبر بانه المشار اليه بتلك الصفات والافعال او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدا لا محل لها من الاعراب واقعة في قران قوله والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير منتقدمة منضمة الى الاولى لينعقد القياس منهما برهانا دالا على انفرادهم للالهية ولم يستحق العبادة والقطمير القمع الذي في راس التمرة

وقبل

وقيل لفافة النواة ثم قرر نفي الالوهية عنها بقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم لانها جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتقدير ما استجابوا لكم بتحصيل مسولكم لعدم قدرتهم على شي ويوم القيمة يكفرون بشرككم ان ينكرونه هذا على ان يكون الكلام في الاصنام فجحدهم بان ينطقهم الله تعالى يوم القيمة فينكرون ان يكون اهلا للعبادة او ينكرون ان تكون تلك العبادة حقا وانما ذكر افعالهم بالواو والنون لانه وصفهم بصفات العقلا وان كان في الملايكة والانبيا عليهم السلام فمعنى قوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم لغيبتهم عنهم ولو سمعوا ما استجابوا لكم لانهم لا يملكون ذلك ومعنى انكارهم شرككم انهم يوم القيمة يقولون ما كانوا يعبدون الجن او ينكرون ان يكون ذلك حقا ولا ينبئك مثل خبير التنكير للتعظيم اي ولا يخبرك بحقيقة الامر على ما هو عليه خبير مثل خبير اي خبير بكل حقيقة وجلية يعني ما اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بكل شي يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقرا للمبالغة بنا على المبالغة وتوسيط انتم للحصر اي انتم جنس الفقرا مطلقا دون سائر الخلايق يعني انكم لكثرة حوايجكم وشدة افتقاركم وغاية ضعفكم بالنسبة الى سائر الخلايق كانكم جنس الفقرا ليس غيركم فقرا ولذلك قابله بقوله والله هو الغني مطلقا وبالذات لوجوب وجوده لا غني سواه لاحتياج الكل اليه وزاد عليه الحميد لان الغني قد لا يجود فلا يحمد وهو الجواد المنعم بجميع النعم وقد انعم عليهم بالوجود وكل ما يحتاج اليه فكانه حميدا مطلقا ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد بقوم اطوع منكم وما ذلك على الله بعزيز بعسير ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس اثمة ثم نفس اخرى فلا تغتروا بقول كبرايكم الغابلين ولنحمل خطاياكم ولا يخالف هذا قوله في حق الضالين المضلين وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم لان الحاملين كلاهما من اوزارهم وان تدع مثقلة نفس اثقلتها الاوزار الى حملها لا يحمل منه شي لا يحمل شيئا من وزرها اي لا اغاثة لمن استغاث منهم حذف مفعول اي تدع للتعميم اي وان تدع كل من في العالم واحدا واحدا لم يجب ولهذا اضمر المدعو في ولو كان ذا قربى قربى ذو قربى على حذف الخبر ويجوز ان يكون تامة الا ان المناقضة اوقع وافصح انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل من الفاعل اي يخشونه غايبين عن عذابه او من المفعول اي يخشون عذابه غايبا عنهم او نصب على الظرف اي في السر والغيبة من الناس واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار واختلاف الفعل للدلالة على استمرار خشيتهم

جوت

ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه
لها وهو اعتراض موكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي
والى الله المصير ترغيب وترهيب وما يستوي الاعمى والبصير مثل اخر
للكافر والمومن او للصنم والله تعالى وتاخير البصير لمحافظة الفاصلة
ولا الظلمات ولا النور مثل للباطل والحق وانما جمع الظلمات دون النور
لان الحق واحد بخلاف الباطل فانه على انواع متعددة ولا الظل ولا الحرور مثل
للثواب والعقاب والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل غلب
على ما يكون بالليل والسموم ما يكون بالنهار والواوات بعضها
عاطفة الوتر على الوتر كالتي بين ولا الظلمات ولا النور وكرر لا فيما
كرر لتاكيد المنافات فالظلمات تنافي النور والظل ينافي الحرور
والاعمى ينافي البصير انما المنافات بين الوصفين ولذلك يكون
الشخص الواحد بصيرا في وقت واعمى في وقت اخر ولهذا لم يذكر لا
بينهما وما يستوي الاحيا ولا الاموات مثل للعقلا الذين دخلوا في
الاسلام والجهال الذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر اتى بصيغة
الجمع هنا لان المراد نفي المساواة بين الافراد اي ليس في الجنس
الاموات فرد يساوي فردا من جنس الاحيا ولا صحة لهذا المعنى
في الاعمى والبصير فانه قد يوجد في جنس الاعمى ما يساوي بعض
افراد البصير بل يفضل عليه فلذلك اثر عليه صيغة الافراد تفضيلا
للجانس على الجنس ان الله يسمع من يشا هدايته فيوفقه لفهم اياته
والاتعاظ بعظاته وبنا الفعل على الاسم يفيد انك لا تسمع من تشا
وما انت بمسمع من في القبور وما منك في ارادة اسلام من تشا
من قوم مخذولين الا مثل من يريد ان يسمع من في القبور وهو ترشيح
لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ثم قال
ان انت الا نذير اي لست بمسمع فان الاسماع ليس اليك ولا حيلة
لك في اسماع المطبوع على قلوبهم ما عليك الا الانذار انا ارسلناك
بالحق حال من احد الضميرين اي محققين او محقا او صفة مصدر محذوف
اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا
مضى فيها نذير من نبي او عالم قايم مقامه في الانذار وانما خصه
بالذكر لان البشارة انما تكون بالسمع فهي من خصايص الانبيا
فالبشير لا يكون الا نبيا او ناقلا منه بخلاف الانذار فانه كما يكون بالسمع
يكون بالعقل فلذلك وجد الثاني في كل امة دون الاول ولا يشكل
هذه بقوله تعالى وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير لان المراد من
العذاب فيه النذير بالسمع وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم ..

مسلاة

مسلاة للرسول جاتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم
وبالزبر وبالمصحف وبالكتاب المنير ولجنس الانبيا عليهم السلام بعض
في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتب اسند المجي بها
اليهم مطلقا على ان الكل منهم جاوا بالكل لا ان كل واحد منهم جا بكل واحد
ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير قد سبق تفسيره في سورة سبا
الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اي
اجناسها كالرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصى او اصنافها
كالرمان على كل منها اصناف مختلفة او هياتها من الحمرة والصفرة
والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد طرايق مختلف الوانها اي جبال كل بعض
منها على لون وطريقة مخالف لاخر كما في الثمرات او من الجبال ذو جدد اي
جنس وخطط بيض وحمر مختلف الوانها اي بعض مختلف الالوان وبعض
على لون واحد وقري جدد بضم الدال جمع جديد وهي الجدة وجدد بفتحتين
وهو الطريق الواضح وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد مخططة
ذو طرايق مختلفة ومنها ما هو على لون واحد غرابيب والغرابيب البالغ
في السواد وهو من التوابع الموكدة ومنه الغراب وعليه تفسير عكرمة ووجهه
ان يضمر الموكد قبله لانه تابع ثم اوقع بيانا له خيفة اللبس كقول النابغة
والمومن العايذات الطير وتغيير الاصل فيه لزيادة التاكيد كانه دل على
المعنى الواحد بطريق الاضمار والاظهار فيكون لتكرير التاكيد بوجه ابلغ
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال
انما يخشى الله من عباده العلما ما يخشى الله تعالى من عباده الا العلماء
بالله تعالى وبصفاته وافعاله فان الخشية على قدر العلم فمن كان اعلم بالله
كان اخشى منه وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية ولهذا لما
ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وعظمته وحكمته اتبعه بقوله انما
يخشى الله انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن يعرفه حق معرفته
وتاخير الفاعل للحصر فيه ولو قدم لانعكس الحصر فكان في المفعول
ومن قري برفع الاول ونصب العلما استعار الخشية العلما ان الله عزيز
غفور تعليل لوجوب الخشية لان من قدر على العقوبة والانتقام ..
والعفو والغفران حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله يداومون
على قراة القران واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم يعني
لا ينفكون تلاوته عن حلاوة العمل به سرا وعلانية كيف اتفق
من غير قصد اليهما وسرا في المسنونة وعلانية في المفروضة
يرجون خبر ان او حال او حال من ضمير انفقوا والخبر انه غفور
شكور تجارة تحصيل ثواب بالطاعة لا طلبه لانه يصلح متعلقا للرجا

لن تبور لن تكسد ولن تهلك يعني بالخسران صفة للتجارة ليوفيهم متعلق
بلن تبور او بيرجون او علة للافعال المذكورة من التلاوة واقامة الصلاة
والانفاق اي فعلوا ما فعلوا من الطاعات راجين تجارة لن تبور ليوفيهم
ويزيدهم على الموعود من فضله متعلق لجميع ما ذكر من التوفية والزيادة
لا للزيادة خاصة اذ حينئذ يلزم ان لا يكون تعالى في التوفية
متفضلا بل مؤديا ما وجب عليه كما زعمه المعتزلة انه غفور لفرطاتهم
شكور لطاعاتهم مجازا عن اعطاء الجزاء على العمل القليل والذي اوحينا
اليك من الكتاب القرآن ومن للتبيين والجنس ومن للتبعيض هو الحق
اي الكامل في كونه حقا مصدقا حال موكدة لان الحق لا ينفك عن هذا
التصديق لما بين يديه من الكتب المتقدمة ان الله بعباده لخبير
بالبواطن بصير بالظواهر فلو لم ير فيك اهلية واستحقاقا لهذه
الكرامة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو لسائر
الكتب وتقديم الخبير لان الاعتناء بالامور الروحانية اكثر وهي العمدة
ثم اورثنا الكتاب اي اعطيناه بلا كلفة كسب كمال الميراث الذين
اصطفينا من عبادنا يعني امة محمد عليه السلام فانهم مختارون
من بين سائر الامم وفي عبارة اورثنا اشارة الى ان الكتاب المذكور
يكون باقيا في هذه الامة يرثه بعضهم عن بعض الى قيام الساعة
ولا ينسخ كما صار سائر الكتب فالمعنى نورثه على عادة الله تعالى
في اخباره عما يتحقق وقوعه وكما ان ورثة الدنيا ثلاثة اصناف
صاحب فرض وعصبة وذوي الارحام كذلك ورثة الدنيا اصناف
فمنهم ظالم لنفسه وهو من عاش عاصيا ومات عاصيا من اهل
الايمان الذي قال النبي عليه السلام فيهم شفاعتي لاهل الكبائر
من امتي قدمه اهتماما لانه ابعد الاصناف عن كرامة الاصطفاء
واللام للاختصاص لان فعل الظلم يتعدى بنفسه وفائدته الاحتراز
عن الظلم لغيره لان التجاوز في عهدة ذلك الغير ومنهم مقتصد وهو
من عاش عاصيا ومات مطيعا ومنهم سابق بالخيرات وهو من
عاش مطيعا ومات مطيعا نقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور فالاصناف المذكورة على مراتب
في الوصول الى المقصد متاخر ومتوسط وسابق حاز قصب
السبق لكن لا بتفضيلة ذاتية كما في سباق الدنيا بل بفضل من الله
والى هذا اشير بقوله باذن الله بتيسيره وقد سبق وجه هذا
المجاز والباء الاولى للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها ومنه

قوله

قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة ذلك الاصطفاء هو الفضل الكبير
لما ذكر الاصناف المذكورة بحسب احوالهم في دار العمل فرق بينهم ولما ذكرهم
باعتبار ما لهم الى دار الجزاء جمعهم فقال جنات عدن بدل لان الفضل
هو السبب في الوصول اليها فكأنه من شدة افضائه به للمسبب م
عنه وتنزيل السبب منزلة المسبب عبر عنه به يدخلونها اي الفرق
الثلاث يدخلونها ويجوز ان يكون الاشارة الى السبق واختصاص
السابقين بعد التقسيم بثوابهم والسكوت عن القسمين الآخرين
للانذار والحث على التوبة والتشويق الى سلوك السابقين وقرئ
جنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على بناء
المفعول يحلون فيها حال مقدرة او خبر ثان وقرئ يحلون من حليت
المرأة فهي حالية من اساور من للبيان او للتبعيض اي يحلون
بعض اساور كانه بعض سابق سائر الايمان كما سبق المستورون
به غيرهم وهذا على تقدير ان يكون الاشارة الى السبق من ذهب
من للبيان لا للتبعيض اذ حينئذ يكون الخبر خلوا عن الفائدة
ولؤلؤا عطف على ذهب اي ذهب مرصع من لؤلؤ او ذهب في صفاء
اللؤلؤ وقرئ لؤلؤ عطفا على محل اساور ولباسهم فيها حرير التنكير
للدلالة على انه نوع غير معهود من جنس الحرير وقالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او من اجل المعاش ه
وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها ان ربنا لغفور للمذنبين شكور
للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه
وتفضله لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب النصب التعب والمشقة
التي تصيب المنتصب للامر ولا يمسنا فيها لغوب اللغوب الفتور
والكلال دون التعب فهو من باب الترقي لا من باب التتميم ولذلك
اعاد قوله لا يمسنا فيها ولم يقل ولا لغوب والذين كفروا لهم
نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان
اي لا يموتون ثانيا فيستريحوا يقال قضى عليه اذا اماته قال
تعالى فوكزه موسى فقضى عليه فلا بد من صرف قوله فيموتوا
عن الحقيقة الى المجاز صونا عن وصمة اللاغية وقرئ فيموتون
عطفا على يقضى وداخلا له في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت
فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من
عذابها من عذاب جهنم لقوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا
فان فيه دلالة على ان مظنة الخفة في غيرهم مظنة الشدة في حقهم
كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر والكفران اي قرئ

بالنون والياء والفاعل هو الله تعالى وقرئ يجزي على بناء المفعول واسناده الى كل وهم يصطرخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة واستعمل في الاستغاثة لجهد المغيث صوته فيها في جهنم ربنا باضمار القول اي يستغيثون ويقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اعتراف منهم بان ما عملوه كان غير صالح حسبوه صالحا وتحسر عليه والدلالة على طلب الخروج لتلافيه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اي من اراد ان يتذكر توبيخ من الله تعالى على طلبتهم وتقرير على تقدير القول اي يقول لهم اتتمنون الرجوع ولم نعمركم مدة يمكن فيها التذكر والتدبر وما يتذكر فيه يتناول كل عمر يتمكن فيه الانسان من العمل الموجب للنجاة وان قصر الا ان التوبيخ في التطاول اعظم وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه السلام العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم عليه السلام ستون سنة وجاءكم النذير عطف على معنى اولم نعمركم لانه تقرير لفظه لفظ الاستفهام ومعناه معنى الخبر كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير اي المنذر او الكتاب وهذا الزام الحجة عليهم بالعقل والسمع فان التذكر من باب العقل والانذار من باب السمع والفاء في فذوقوا للسببية اي ما تذكرتم فذوقوا بسببه وكذا الثانية الا ان فيها معنى التعليل فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض ما غاب فيها عنكم انه عليم بذات الصدور تعليل لان ما في الصدور اخفى الغيوب فاذا علمه كان غيب في العالم فيعلم انه لو ردهم الى الدنيا لم يعملوا غير عمل الذي كانوا يعملون كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وهو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف ويجمع الخليفة على خلائف والخليف على خلفاء والخطاب عام على ان المعنى انه جعلكم خلفا في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها واباح لكم فيها منافعها لتؤمنوا به وتشكروه وقيل لمن بعث اليه رسول الله عليه السلام فانهم من قبلهم وشاهدوا من اثار هلاكهم ما فيه معتبر وراوا ما فيه مزدجر فمن كفر منكم وغمط تلك النعمة فعليه كفره اي فعليه وبال كفره لا على غيره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا بيان له والمقت اشد البغض والتنكير للتعظيم لان مقت الله اعظم من كل مقت وكذا التنكير في خسارا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا وهو خسار الاخرة تكرير الكافرين والتصريح في موضع الاضمار ذم وبيان لكون الكفر مقتضيا لكل واحد من الامرين القبيحين المذمومين بالاصالة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني الهتهم واضافة الشركاء

اليهم للملابسة لانهم جعلوهم شركاء الله اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارايتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني عن هولاء الشركاء وعما استحقوا به العبادة اي اي شيء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله تعالى في خلق السموات فاستحقوا بذلك الشركة في الالوهية ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق بانهم شركاؤه ويجوز ان يكون الضمير في اتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا على ان السوال عن دليل الهتهم اهو برهان عقلي ام نقلي فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية وقرئ بينات فيكون ايماء على ان الشرك امر خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ام منقطعة على معنى الاضراب عن العقلي والانكار النقلي ثم اضرب عنه منتقلا بقوله بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا واثبت ان ذلك لانه ما هو الا غرور وصرف وهو قولهم هولاء شفعاؤنا عند الله قوله بعضهم بدل من الظالمين وهم الروساء والمراد من البعض الاخر الاتباع ويجوز ان يكون وعد الشيطان للكافرين كما قال يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا امناهم ان يشفع لهم اصنامهم ويقربهم الى الله زلفى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع اولان لا تزولا كقوله ان تميد بكم اي لان لا تميد بكم ولئن زالتا على سبيل الفرض ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او بعد الزوال واللام موطئة للقسم وان امسكهما جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين ان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض غفورا لمن تاب عن الشرك ووحده مومنا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم اي واحدة من الامم من اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم او من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم او احد بنها تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما تقول فلان احد الرجال فلما جاءهم نذير التنكير للتعظيم ما زادهم اي النذير او مجيئه بلغ قريشا قبل مبعث النبي عليه السلام ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول الله لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه السلام كذبوه والاسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا

نفورا الا نفورًا عن الحق وتباعدًا عنه استكبارًا في الارض بدل
من نفورا او مفعول له او حال اي مستكبرين ومكر السيء عطف على
نفورا على ان الاصل وان مكروا السيء اي المكر السيء فحذف الموصول
استقلالا بوصفه ثم بدل ان والفعل بالمصدر ومكر السيء ثم اضيف
ولا يحيق المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقرئ ولا يحيق المكر اي
لا يحيق الله تعالى فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين انتظار
سنتهم وهو انزال العذاب على من كذب من الامم قبلهم مجاز عن استقبالهم
لذلك ووقوعه في المستقبل لا محالة كالشيء المنتظر المترقب فلن تجد
لسنة الله تبديلا بان ينقله الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما كانوا
يشاهدونه في متاجرهم ومسايرهم الى الشام والعراق واليمن
من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم وكانوا اشد منهم
قوة وما كان الله ليعجزه ليسبقه ويفوته اي ليس من شانه
تعالى ذلك من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليمًا
بالاشيا كلها قديرا عليها ثم بين ان تاخير العذاب عنهم ليس للعجز
بل الحكمة تقتضيه فقال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من
المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب
عليها اي الانس وحده وقيل ما ترك الانسي وغيرهم من ساير الدواب
بشوم ذنوبهم على ما في الاثار ويرجح الاول قوله ولكن يؤخرهم اي
يؤخر كل واحد منهم الى اجل مسمى معلوم عنده قيل هو يوم القيمة
وفيه ان الكلام يؤخر اليه فاذا جا اجلهم وقتهم عذبهم حذف الجزا
واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه وهو قوله تعالى فان الله كان
بعباده بصيرًا وذلك ان العمل بموجب العلم كاللازم لشان الحكيم
والله تعالى اعلم واحكم سورة يس ثمانون وثلاث ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في الاعراب وقرئ بالكسر كجير وبالفتح كاين للتخفيف او هربا
من التقا الساكنين لا للبنا وعلى اضمار حرف القسم ومنع الصرف
او بالنصب على اتل يس وبالضم كحيث او بالرفع هذه يس وتفخيم
الالف واما لتها وبادغام النون في واو والقران وهي واو القسم
او العطف ان جعل يس مقسمًا به الحكيم ذي الحكمة ومعنى يس
يا انسان بلغة طي عند الهيثم ابن عدية وبالسريانية عند ابن
عباس وعند سعد بن جبير هو اسم من اسما محمد عليه السلام
دليله انك لمن المرسلين جواب القسم وهو رد على الكفار في

قولهم

قولهم لست مرسلا على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين او حال
من المستكن في الجار والمجرور وفايدته التصريح بالمدح والجمع بين وصفه
ووصف شريعته وتعظيمه وتعظيمها المستفاد من التنكير تنزيل العزيز
الرحيم قرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على المدح او
على انه مصدر اي نزل تنزيل وبالجر على البدل من القران لتنذر قومًا
متعلق بتنزيل او بمعنى الارسال في المرسلين ان جعلت ما في ما انذر اباؤهم
نافية فالجملة في محل النصب صفة لقوم اي قومًا غير منذر اباؤهم
قيل لقوله لتنذر قومًا ما اتاهم من نذير من قبلك وفيه نظر اذ لا يلزم
من عدم اتيانهم النذير ان لا يكونوا منذرين فان انتقافه باهل
الكتاب وهم يعلمون ذلك يكفي في الانذار وان جعلتها موصولة
او موصوفة فهي مع صلتها او صفتها مفعول ثان لتنذر اي
لتنذر قومًا الذي انذره او شيا انذره اباؤهم من العذاب نحو
كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا وان جعلتها مصدرية ففي محل النصب
على المصدر اي لتنذر قومًا ما انذر اباؤهم والمعنى انذارا مثل انذار
اباءهم وعلى الاول يتعلق فهم غافلون بالفعل المنفي اي لم ينذروا فهم
غافلون على ان عدم الانذار هو سبب غفلتهم وعلى الباقي تعليل نحو
للارسال والانزال اي انك لمن المرسلين لتنذرهم فانهم غافلون
والمراد باباءهم الاقربون الذين في زمن الفترة والجاهلية ان حمل
ما انذر على النفي والا فذمون من ولد اسمعيل عليه السلام الذين
كانت فيهم النذارة ان حمل الاثبات لقد حق القول على اكثرهم اي ثبت
ووجب عليهم فهم لا يؤمنون لما علم من اعيانهم انهم يموتون على الكفر
باختيارهم اياه واصرارهم عليه فنشا منهم ذلك واخبر عنهم به
واما قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فلا يعين
الاشخاص ولا يقتضي ان يكون ذلك الكثير المذكورين انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا مثل تصميمهم على الكفر وعدم مبالاتهم بالانذار
وتدبرهم بالايات تمثيلين تقرير التصميمهم على الكفر وعدم ارعوايهم
عنه جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا
يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطون روسهم له وجعلهم كالمحصورين
المحبوسين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم فلا هم
يبصرون العبر ولا يتاملون في ايات الله تعالى فيعتبروا ويزدجروا
فهي الى الاذقان الضمير للاغلال اي هي عريضة تبلغ بحرفها الاذقان
والذقن مجتمع اللحيين فيضطر المغلول الى رفع وجهه الى السما وذلك
هو الاقماح فهم مقمحون رافعون روسهم غاضون ابصارهم بعاك

اقمحه الغل اذا نزك راسه مرفوعا من ضيقه وقال الفراء المقمح الذي يغض
بصره بعد رفع راسه وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا قرئ
بالفتح والضم وقيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم وقيل ما كان من اعمال
الناس فبالفتح وما كان من خلق الله تعالى فبالضم فاغشيناهم فاغشينا
ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان يطمح الى شي
والمعنى فاعميناهم وقرئ بالعين الغير المعجمة من العشا فهم لا
يبصرون فلا ينتفعون بالانذار وهو مضمون قوله وسواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون قد سبق تفسيره في سورة البقرة
استيناف لبيان عدم نفع الانذار في حقهم لما بين ان الانذار لا ينجع
فيهم وان المقصود من الانذار وهو ايمان المنذر لا يترتب عليه
وان الانذار وعدمه بالنسبة اليهم سوا اخبر ان انذارهم كلا انذار وقال
انما تنذر الانذار المنجع المستتبع لغايته من اتبع الذكر اي امن بما جا
من عند الله تعالى فالذكر القران وخشي الرحمن بالغيب الخشية كناية
عن الايتمار بالاوامر والانزجار عن المناهي ويعضده قوله فبشره بمغفرة
واجر كريم وذلك ان المغفرة جزا الايمان والاجر الكريم جزا العمل كما قال
والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم وفي عبارة
الرحمن اشارة الى ان ما في الخشية من الخوف ينبغي ان لا يخلو عن الرجا
وذلك لان حقنا بل كل منهما مذموم وانما قال بالغيب عند العبادات
لا ينبغي للخشية شان انا نحن نحي الموتى نبعثهم بعد مماتهم او نخرجهم
من الضلالة بالهداية ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوا من الاعمال
الصالحة والطالحة عبر عن احاطة علمه باعمالهم بالكتابة التي تضبط
بها الاشيا وكنى بذلك عن المجازاة فانتظم مع قوله نحي الموتى
واثارهم وما بقي بعدهم من اثار حسنة او سيئة ونحو قوله تعالى
ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من اثاره وكل شي
منصوب بعامل يفسره احصيناه وقرئ بالرفع على الابتدا في امام مبين
يعني اللوح المحفوظ لانه اصل الكتب ومقتداها واضرب لهم اي مثل
من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهو يتعدى
الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف
مضاف تقديره اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على
مفعول واحد كالجعل ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له اي اضرب
لهم مثلا مثل اصحاب القرية والقرية انطاكية عبر عنها ههنا بالقرية
وفيما ياتي بالمدينة رعاية في كل من المقامين ما يناسبه وذلك
ان ما في اصل القرية من معنى الجمع يناسب الاصحاب وما في

اصل

اصل المدينة من معنى الاطاعة يناسب غرض ذلك الرجل من كلامه وهو
الحث على اتباع المرسلين وانتصاب اذ بانه بدل من اصحاب القرية
جاءها عدل عن الظاهر وهو ارجاع الضمير الى الاصحاب لان المذكور
اولا فرقا بين حيث دل على انهم بلغوا الرسالة اليهم في عقر عزهم ومركز
شوكتهم المرسلون رسل الله عليهم السلام ذكره ابن عباس وكعب وهو
الظاهر من قوله اذ ارسلنا اليهم ومن قولهم ما انتم الا بشر مثلنا وقيل
رسل عيسى عليه السلام واسناد الارسال اليه تعالى لانه فعل رسولهم
وخليفته وفيه تعظيم عيسى عليه السلام واسناد الارسال اليه تعالى
بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان واذ بدل من اذ الاولى
اثنين هما يحيا ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا بثالث
هو شمعون وقرئ مخففا من عزه اذا غلبه وانما حذف المفعول
لان المراد ذكر المعزز به وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل
الباطل وحق الكلام المنصب الى غرض تجريد سياقه له كان ما
سواه مرفوض فقالوا انا اليكم مرسلون التاكيد بان سبق الانكار منهم
بمضمون الخبر بتكذيبهم الرسولين والمعتبر علم المخبر بانكار المخاطب
لا صدوره منه وهو حاصل ايضا فلا صحة لما قيل انه ابتدا الخبار
والثاني جواب عن الانكار قالوا ما انتم الا بشر مثلنا اي لا مزية لكم
علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي
المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شي اي وحيا من السماء
ان انتم الا تكذبون فيما تدعون وانما اوثر صيغة الفعل مع ان
صيغة الفاعل ابلغ اعتبارا لمعنى التجدد فكانه قيل تجدد دون الكذب
وقتا بعد وقت وتستمرون على ذلك قالوا ربنا يعلم انا اليكم
لمرسلون لما نفوا الرسالة وبالغوا في ذلك قابلوا انكارهم في
الجواب بمزيد التاكيد بقولهم ربنا يعلم لانه استشهاد بعلم الله
تعالى جار مجرى القسم التوكيد كما تقول شهد الله وبزيادة اللام
وبتقوية التاكيد وتحسين الاستشهاد بقولهم وما علينا الا البلاغ
المبين اي التبليغ الظاهر المكشوف بالايات الشاهدة لصحته
فان الاستشهاد على الدعوى انما يحسن ببينة واضحة قالوا انا تطيرنا
تشاءمنا بكم يعني سمعنا منكم ما هو من جهة الفال تذيد يكرهونه يلحقنا
في انفسنا او في اهلينا او في اموالنا او غير ذلك من اسبابنا وامورنا
فكفوا عن هذا الكلام ولا تبغوا دونا لئن لم تنتهوا عما انتم عليه لنرجمنكم
لنرمينكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم المس اصابة بتاثير منها
البشرية قالوا طائركم اي سبب شؤمكم معكم وهو سوء اعتقادكم وفساد

اعمالكم ان ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وقرئ أان بالف
بينهما وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي أإن وعظتم
تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ ان ذكرتم بهمزة الاستفهام
وان النافية اي أان تطيرتم لان ذكرتم وقرئ ان وان بغير استفهام
بمعنى الاخبار اي ان ذكرتم تطيرتم وتطيرتم لان ذكرتم وأين ذكرتم
بمعنى شومكم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ لانه اذا اشئم المكان
بذكرهم كان بحلولهم فيه اشام بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف
في العصيان فمن ثمة جاءكم الشوم او انتم مسرفون في غيكم وضلالكم حيث
تشاءمتم بمن يجب التبرك به من رسل الله وجاء من اقصى المدينة رجل
هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام يسعى يقصد وجه
الله تعالى بالذب عن رسله وهو قوله وسعى لها سعيها والسعي
في الاصل المشي بسرعة وخفة حركة ثم استعير للجد في اصلاح امر او
فساده قال استيناف على تقدير سوال سايل عما قال عند ذلك يا قوم
اتبعوا المرسلين ما في باسلامه ليشتغل القوم عن الرسل وقوله ويا قوم
دلالة واظهار منه انه لا منافية بيننا ولا تهمة في ارادة السوء بكم
اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب اي لا
تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير
الدنيا وخير الاخرة ورشحها وفواها ابرز نصحه لهم في صورة
المناصحة لنفسه ليكون ادخل في امحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد
لنفسه وليتلطف بهم ويداريهم حتى لا يتعصبوا فيقبلوا فوضع قوله
وما لي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي
فطركم واوما الى المراد بقوله واليه ترجعون مبالغة في التهديد
والا لقال واليه ارجع ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه
الهة اي اصناما دل على انهم كانوا عبدة الاصنام ان يردن الرحمن
بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا نفى الشفاعة راسا كقوله لا يرى الضب
بها ينجحر ولا ينقذون لا يقدرون على انقاذي من ذلك الضر اي
لا نفع من جهتهم بالشفاعة ولا دفع بالقدرة اني اذا لفي ضلال مبين
تعريض على ترك عبادة خالقهم الى عبادة من لا يضر ولا ينفع وقد
برهن في اثنا كلامه على ضلالتهم حيث ذكر ان الله تعالى هو المبدي الفاطر
واليه الرجوع ومنه الرحمة العامة الشاملة وله القدرة التامة
الكاملة وهو الذي اذا اراد باحد شيئا من الضر والنفع فعل فان ترك
عبادته الى عبادة ما لا يضر ولا ينفع ولا يغني شفاعته شيئا ولا
يقدر على انقاذ من ابتلاه الله تعالى بالضر والمظاهر او اشركته به

في عبادته فاني اذا لفي ضلال بين لا يخفى على عاقل اني امنت بربكم
فاسمعون فاسمعوني السماع هنا مجاز عن الاتباع اذ لا وجه للتر
تيب بين سماع القول منه وايمانه قيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي
وقبره في سوق انطاكية وباشتغالهم بقتله تخلص الرسل قيل ادخل
الجنة استيناف لان قصة مظنة السوال عن حاله كان سايلا فقال
كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي بروحه
فقيل قيل ادخل الجنة ولما كان السوال عن المقول سبق الجواب لبيانه
وجرد عما لا حاجة اليه وهو بيان القول له مع كونه معلوما وكذلك قوله
قال يا ليت قومي يعلمون استيناف على تقدير سوال سايل عما قال
عند ذلك الفعل العظيم بما غفر لي ربي ما مصدرية اي بغفران ربي
او موصولة اي بالذي غفره لي من ذنبي ويحتمل ان يكون استفهامية
اي باي شي غفر لي ربي على الاصل مع ان الاكثر حذف الالف تقول قد
علمت بما صنعت هذا اي باي شي صنعت تمنى ان يعلم قومه بان الله
غفر له بايمانه فيرغبوا في الايمان وهذا امنية اولياء الله تعالى
يريدون الخير لمن اراد بهم الشر ويتمنون ان لا يكونوا لله تعالى
عاصيا وجعلني من المكرمين باعطاء المنزلة الرفيعة في الجنة دل
على ان الجنة مخلوقة وعلى ان القبر روضة من رياضها او حفرة من
حفر النيران وما انزلنا على قومه من بعده من بعد وفاته من
جند من السما استحقارا لاهلاكهم وايما الى تعظيم رسول الله عليه السلام
اي كفينا امر اهلاكهم بصيحة واحدة من ملك وما انزلنا عليهم
جندا من الجنود السما وينجما فعلنا يوم بدر والخندق وما كنا منزلين
وما صح في حكمتنا ان تنزل لان انزال جنود السما من معظمات
الامور التي لا يوهل لها مثلك وقد اهلك الله تعالى كرامة بسبب
يقتضيه حكمته ولم ينزل جنود السما لانتصار احد من الانبياء
عليهم السلام الا لانتصار محمد عليه السلام لكرامته عند الله وتفضله
على ساير الانبيا والا لكان يكفي في نصرته ملك واحد ان كانت الا صيحة
واحدة كان القياس التذكير لان الاصل ما وقع شي الا صيحة واحدة
ولكن هو طونيت لها الصيغة لانها في حكم فاعل الفعل وعليه قراءة
الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم بتانيث الفعل المبني للمفعول
ورفع مساكنهم وقرئ الا صيحة بالرفع على كان التامة اي ما وقعت
الا صيحة فاذا هم خامدون بنا على تشبيه الحرارة الغريزية بحرارة
النار وانطفائها بخمود النار على الاستعارة بالكناية اي خمدوا
كما تخمد النار وذلك ان الروح عند الفزع الشديد يتحرك مع الدم

الي الباطن دفعة فيختنق من شدة الانحصار والاجتماع فينطفي يا حسرة
علي العباد الحسرة هي بلوغ النهاية في التلهف حتي يبقي القلب حسيرا لا موضع
فيه لزيادة التلهف كالبصير الحسير الذي لا قوة فيه للنظر والبصير
الحسير الذي لا قوة له علي المسير وهذا نداء للحسرة عليهم كانها قيل
لها تعالي يا حسرة فهذه من الاحوال التي حقك ان تحضري فيها وهي ما
دل عليه ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون ويجوز ان يكون
المعني انهم متحسر عليهم من الله تعالي علي سبيل الاستعارة وارادة تعظيم
ما جنوه علي انفسهم وفرط انكاره له وتعجبه منه ويعضده قراءة من
قرا يا حسرتا لان المعني يا حسرتي وقري يا حسرة العباد بالاضافة الي
الفاعل او المفعول لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسرة
علي العباد علي اجراء الوصل مجري الوقف والمعني انهم احقاء بان يتحسر
عليهم من جهة الملائكة والمومنين من الثقلين الم يروا معلق عن العمل في كم اهلكنا
قبلهم من القرون لان كم يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لانها وضعت
لانشاء التكثير او لان اصلها الاستفهام وانما جاز تعليق فعل الروية
لانه بمعني الم يعلموا الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم
يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه ولهذا ابدل انهم اليهم لا يرجعون
من كم اهلكنا علي المعني لا علي اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون
من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقيل انه بدل من موضع كم اهلكنا
وليس بدلا من كم وحده لان العامل فيه هو حكم اهلكنا ولا يصح عاملا
في البدل وقري بالكسر علي الاستيناف وقري الم يروا من اهلكنا والبدل
علي هذه القراءة بدل الاشتمال وان كل لما جميع ان مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقري لما بالتشديد علي ان
نافية ولما بمعني الا وكل بمعني الاحاطة وان يتفلت منهم احد والجمع
بمعني الاجتماع وان مجمعهم المحشر فالتنوين في كل عوض من المضاف
اليه اي كلهم محشورون مجموعون لدينا محضرون للحساب يوم
القيمة وقيل محضرون في النار يعذبون واية لهم الارض الميتة
الارض الميتة مبتدا خبره اية لهم احييناها استيناف لبيان كون
الارض الميتة اية لهم ويجوز ان يكون صفة للارض لان المراد الجنس
المطلق لا ارض بعينها فجاز وصفه بالنكرة وان يكون اية مبتدا او
لهم صفتها والارض خبرها وان يكون احييناها خبرا للارض والجملة
خبر اية او صفة لها واخرجنا منها حبا المراد بالحب الجنس وتقديم
الظرف في قوله فمنه ياكلون للدلالة علي ان الحب معظم ما يوكل ويعاش
به ويقوم البدن بالارتزاق منه الا يري انه اذا فقد حضر الهلاك

بالقحط

بالقحط وعم البلاء وجعلنا فيها جنات بساتين من نخيل واعناب من انواع
النخل والعنب ولذلك جمعها دون الحب فان كونه قوام البدن باعتبار
جنسه لا باعتبار تنوعه واما ما قيل ان ذلك لان الدال علي الجنس مشعر
بالاختلاف ولا كذلك الدال علي الانواع خلاف ما هو المشهور وعليه الجمهور
فانهم قالوا في العالمين اشعار بالاختلاف دون العالم وذكر النخيل دون
التمور مع طباق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع و
اثار الصنع وفجرنا فيها وقري بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح
والتفتيح لفظا ومعني فان التشديد للمبالغة والتكثير من العيون
من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف اي شيئا من العيون
لياكلوا من ثمره الضمير للتفجير اي لينتفعوا فوائده يقال ثمرة التجارة الربح
وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم الفوائد وقري بضمتين وهو لغة فيه
او جمع ثمار وما عملته ايديهم عطف علي الثمر او علي موضع من ثمره
والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس والخل وكل ما يتخذ من التمر
والعنب وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله تعالي لا بفعلهم
ويويد الاول قراءة وما عملت من غير راجع لان حذف الراجع من
الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون استبطا وحث علي شكر
نعمه سبحان الذي خلق الازواج كلها الاجناس والاصناف مما تنبت
الارض من النخل والشجر والزرع والثمر ومن انفسهم الاولاد ذكورا و
اناثا ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله تعالي عليها ولم يجعل لهم
طريقا الي معرفتها واية لهم الليل فيه الوجوه المذكورات فيما تقدم
من نظيره وفي نسلخ منه النهار الوجوه المذكورة في احييناها من
الاستيناف والصفة والخبرية والسلخ الكشط يقال سلخ جلد
الشاة اذا كشطه فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل و
ملقي ظله فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري
لمستقر لها لحد معين من فلكها ينتهي اليه دورها في اخر كل سنة
وقيل الوقت الذي تستقر فيها اي لا تستقر الا ان يكورها الله تعالي
يوم القيمة علي ان لا بمعني ليس ذلك تقدير العزيز العليم ذلك
الجري علي هذا التقدير المتعجب ما هو الا تقدير الغالب بقدرته
علي كل مقدور المحيط علما بكل معلوم والقمر قدرناه اي قدرنا مسيره
منازل علي حذف المضاف وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة
في واحدة منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنه علي التوالي الي الثامنة
والعشرين فيدق مستقوسا كالعرجون القديم ثم يستتر ليلة اذا
نقص الشهر او ليلتين اذا تم وهذا ما ذكر بقوله حتي عاد كالعرجون القديم

العرجون العود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والقديم المحول واذا قدم العرجون دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه لا الشمس ينبغي لها اي لا يصح ولا يستقيم لها ان تدرك القمر وتجتمع معه وتداخل في سلطانه فتطمس نوره لان التدبير الالهي اقتضى المعاقبة وايلا الشمس حرف النفي للدلالة على انها مسخرة لم يتيسر لها الا ما قدر لها من السير والطريق وانما وصفها بالادراك ووصف القمر بالسبق لسرعة سيره بالنسبة اليها فانه يقطع بحركته في شهر ما تقطع الشمس سنة من المسافة فيناسبه السبق ومن ههنا ظهر شبه السبق الى الليل دون النهار في قوله ولا الليل سابق النهار اي لا الليل سبقه فيزيل ضوءه لذلك وقيل المراد بهما اثناها وهي الشمس والقمر فيكون عكس الاول وذلك ان صلاح النبات والحيوان وجميع الشؤن الالهية مبني على نظام فيهما وان يكون منهما سلطان على حياله وقرئ سابق النهار بالتنوين ونصب النهار على الاصل وكل التنوين عوض من المضاف اليه اي كل واحد منهما في فلك غير ذلك الاخر الجمهور على ان الفلك موج مكفوف تحت السما يجري فيه الشمس والقمر والنجوم وعلى هذا المراد من الفلك الجنس يسبحون يسيرون بانبساط فان كل ما نبسط في شي فقد سبح ومنه السباحة في الما وانما جمع جمع العقلا للوصف بفعلهم واية لهم انا حملنا لم يقل واية لهم الفلك كما قال واية لهم الليل لان العجب حملهم على الفلك لا نفس الفلك فانه بيت مبني من الخشب ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النسا لانهن مزارعها وفي الحديث انه عليه السلام نهى عن قتل الذراري يعني النسا وتخصيص الذريات لانه لا قوة لهم على السفر فكان الامتنان في حقهم اظهر في الفلك قيل المراد فلك نوح عليه السلام وقال تعالى فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون فعلى هذا يراد بالذرية الاسلاف لانه من الذرا وهو الخلق فيصح الاسم الاصل والنسل لان بعضهم خلق من بعض ويجوز ان يكون المعنى انه تعالى حمل اباهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لان الخطاب للكفار ولا فائدة في وجودهم فلم يكن الحمل حملا لهم بل كان حملا لما في اصلابهم من المومنين ولم يقل على الفلك مع انه الانسب لما قصد من توصيف الفلك بقوله المشحون لما كانت السفينة مملوة بانواع المخلوق من سباع البهايم وجوارح الطير وهوام الدواب فكان نجي

ادم فيما بينهم من اثار اللطف العظيم والقدرة الباهرة ولولا ذلك الاعتبار اللطيف لكان التوصيف بالمشحون بمعزل عن مقام الغرابة المستفادة عن عبارة الاية لان القرار على الفلك المشحون الثقيل اهون من القرار على الفلك الخالي الخفيف وكذلك الكلام بوصف الفلك به في قوله وعلى الفلك تحملون وخلقنا لهم من مثله من جنس الفلك ما يركبون من الابل فانها سفاين البر او من مثل فلك نوح عليه السلام من السفن والزوارق وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم الصريخ والصارخ يعني المستغيث ويجي بمعنى الاغاثة لان اصله مصدر بمعنى الصراخ وقد سبق تفسيره في سورة السابقة ولا هم ينقذون اي لا يخلصون بعد ذلك الا رحمة منا ومتاعا الى حين الا لرحمة منا وتمتيع بالحياة الى زمان قدر لاجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم من الوقايع النازلة بالامم المكذبة قبلهم وما خلفهم من الساعة واهوالها او نوازل السما ونوايب الارض او ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر او فتنة الدنيا وعقوبة الاخرة لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى للتاكيد وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودابهم الاعراض عند كل اية وموعظة فهو تذييل موكد لما سبق من حديث الاعراض واذا قيل لهم انفقوا لم يذكر المنفق عليه لان ابياءهم وان كان عن الانفاق وعلى المومنين خاصة الا ان موجب ما تعللوا به سد باب الانفاق راسا وللاشعار الى هذا ترك المنفق عليه مما رزقكم الله الاشارة الى ان البخل به في غاية القبح فان ابخل البخلا من يبخل بمال الغير قال الذين كفروا بالصانع تعالى يعني معطلة كانوا بمكة للذين امنوا تهكما بهم وذلك انهم لما سمعوا المومنين يعلقون الامور بمشية الله تعالى يقولون لو شا الله لكان كذا وافترحوا هذا الكلام فرصة واتخذوه هزوا يستهزرون بالمومنين يجيبون به عند امرهم بالانفاق والتصريح بالوصفين من الكفران والايمان لبيان ان المقول لهم هم الكافرون والقايل هم المومنون وان كل وصف حامل لصاحبه على ما صدر عنه اذ كل انا بالذي فيه يرشح وايضا لما كان الغرض الرد على المومنين لا الامتناع عن الطعام لانه مما يفتخرون به كان يحق المقام التصريح بوصف الايمان في المقول له ومن هنا تبين وجه اخر للعدول عن عبارة الانفاق الى عبارة الاطعام انطعم لما كان الاطعام ادنى وجوه الانفاق واعلى ما يفتخرون به كالابيا عنه ابيا عن الانفاق راسا

من لو يشا الله اطعمه على زعمكم وقيل نزلت في مشركي مكة حين استطعمهم فقرا المومنين من اموالهم التي جعلوها لله تعالى بجرموهم وقالوا لو شا الله لاطعمكم موهمين ان الله تعالى قادر على اطعامهم ولا يشا اطعامهم فنحن احق بذلك ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئته تعالى ويجوز ان لا يكون من تتمة كلامهم ويكونوا جوابا من الله تعالى لهم او حكاية لجواب المومنين لهم بان ذلك من فرط ضلالتهم وجهالتهم لان الله تعالى يطعم من يطعم باسباب منها حيث الاغنيا على اطعام الفقرا وتوفيقهم له ويقولون متى هذا الوعد اي وعد البعث ان كنتم صادقين فيما يقولون خطاب للنبي عليه السلام واصحابه رضي الله عنهم ما ينظرون ما ينتظرون اراد الانتظار المفهوم من قولهم متى الا صيحة واحدة اي عذابا يفجاهم فيستاصلهم بقال صاح بهم الزمان اي هلكوا قال الشاعر

صاح الزمان بال برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان

وقيل هي نفخة الاماتة ذكر في الصيحة امو تدل على هولها وعظمها احدها التكبير وثانيها واحدة اي لا يحتاج معها الى الثانية وثالثها تاخذهم اي تعمهم بالاخذ وتصل الى من في اقطار الارض ومثلها لا يكون الا عظيما وقوله وهم يخصمون اي تاتيهم لا يخطر بغتة وهم في امنهم وغفلتهم يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطرون امرها ببالهم مما يعظم به الامر فان العامل المقبل عليهم اذا صاح به صائح يكون ارتجافه اعظم بخلاف المنتظر لها فلا يستطيعون اي يقدروا في شي من امورهم توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولا ان يرجعون الى اهليهم ومنازلهم بل يموتون حيث تفجاهم الصيحة ونفخ في الصور نفخة البعث وقد سبق في سورة المومنين فاذا هم من الاجداث النسول الاسراع في الخروج ولفظ الرب اضاف المحزلان من سا واضطر الى التوجيه الى من احسن اليه يكون ذلك اشد الما واكثر ندما من غيره قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرى من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقري من هبنا بمعنى اهبنا وقري من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وعن مجاهد للكفار نفخة يجدون فيها طعم النوم ولو استمر عذاب الكفار في قبورهم بالنار لما صح منهم القول المذكور هذا ما وعد الرحمن هذا مبتدا وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة محذوف الراجع دل على هذا قوله تعالى يا ويلنا هذا يوم الدين وصدق المرسلون اي صدق فيه ويجوز ان يكون اعترافا منهم عما بهم وتنبيها بتذكرون ما سمعوا من الرسل

فيجيبون

فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا ليس من كلامهم بل جواب الملائكة او المومنين لهم لكن عدل عن سننه ومطابقته للسوال لاغراض منها تنبيههم على ان الذي يهمهم هو سوال عن البعث لا عن الباعث ومنها تذكير لكفرهم وتكذيبهم الرسل وتقريعهم على ذلك ومنها نعيهم اليهم احوالهم التي هم فيها واخبارهم بوقوع ما انذر رواية كانه تخيل لهم ليس هذا بالبعث الذي توهموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السوال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر والافزاع والاهوال الذي وعده الله تعالى في كتبه المنزلة واخبر به على السنة رسله الصادقين ان كانت الا صيحة واحدة وقريت بالرفع على كان التامة والضمير في اليا قصة للنفخة التي دل عليها ونفخ فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي يتوهمونها بالقياس على ما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ وكذا ما بعده من وصف اهل الجنة تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وترغيبا او ترهيبا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل عن ذكر اهل النار ولو خطر ذلك ببالهم وفيها احد من اقاربهم او معارفهم تنغص عليهم ما هم فيه والتنكير في شغل للتعظيم والتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام والشغل العارض الذي يذهل الانسان عن امر لولا ذلك العارض لكان متوجها اليه فاكهون وقري فكهون كنطس على انه حال والخبر هو الظرف والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما تتلذذ به هم وازواجهم مبتدا او تاكيد للضمير في شغل او في فاكهون والمعنى على تقدير التاكيد ان ازواجهم يشاركهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكا والازواج جمع زوجة وهي حرة الرجل التي يحل له وطيها في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراة في ظلل على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة وقيل الفراش متكئون خبر او في ظلال خبر وعلى الارائك مستانف وقري متكين على الحال لهم فيها فاكهة عبر عن كل ما يرزقون فيها بالفاكهة للتنبيه على انهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه على سبيل التلذذ ولهم ما يدعون يفتعلون من الدعا اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا اشوى او حمل لنفسه ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى وقال الزجاج هو من الدعا اي ما يدعونه

اهل الجنة يا تيهم وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتدا ولهم خبرها
سلام بدل منها او صفة اخرى قولا مصدر موكد لقوله ولهم ما يدعون
سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو
من مجازه ان الله تعالى يسلم عليهم بواسطة الملايكة او بغير واسطة
مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن
عباس رضي الله عنهما والملايكة يدخلون عليهم بالتحية من رب
العالمين وامتازوا اليوم يقال مازه فانماز وامتاز يعني تميزوا ايها
المجرمون اي انفردوا عن المتقين والمراد من اليوم يوم الحشر قال
الضحاك يمتاز اليهود فرقة والنصارى فرقة المجوس فرقة والصابيون
وعبدة الاوثان فرقة ولكل فرقة في النار بيت يدخل فيه ويرد
بابه فيكون فيه ابدا لا يرى ولا يرى ويشكل هذا بقوله تعالى كلما
ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وقوله تعالى ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الما الم اعهد اليكم يا بني ادم
في الخطاب ببني ادم نوع ايما الى ان ذلك العهد كان في عهد ادم عليه
السلام ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما
للحجة وعهد الله تعالى اليهم ما ركز في عقولهم ونصب لهم من الحجج العقلية
والادلة السمعية الامرة بعبادته الناهية عن عبادة غيره وعبادة
الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم والعهد الوصية
يقال عهد اليه اذا وصاه انه لكم عدو مبين تعليل للمنع من عبادته
وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى
ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه
جملة استينافية لبيان المقتضى للعهد بشقيه او بالشق الاخير
والتنكير في الصراط للتعظيم والمبالغة ولقد اضل منكم جبلا كثيرا رجوع
الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له
ادنى عقل وتمييز فقوله افلم تكونوا تعقلون استفهام توبيخ على تركهم
الانتفاع بالعقول والجبل الخلق واصل الجبل الطبع ومنه الجبل لانه مطبوع
على الثبات هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في دار التكليف اصلوها
اليوم الزموا العذاب بها واصل الصلا اللزوم ومنه المصلي الذي
اثر السابق للزومه اثره بما كنتم تكفرون بسبب كفركم اليوم نختم على
افواههم اي نفعل بافواههم ما لا يمكنهم معه ان لا يتكلموا بالسنتهم وتكلمنا
ايديهم بانطاق الله تعالى اياها على ما نطق به قوله تعالى قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شي فلا مساغ للتاويل بظهور اثار المعاصي
عليها ودلالتها على افعالها وتشهد ارجلهم اسند الختم الى نفسه دون

الكلام والشهادة دفعا لوهم الاجبار واظهار التوسط الاختيار بعد الاقدار
على النطق والتكلم ولما كان كلام الايدي اقرارا على الفعل المنكر نزل تصديق
الارجل اياها منزلة الشهادة فعبر عن تكلمها بالشهادة بما كانوا يكسبون
ان الكسب باليد اخص فيكون الاخبار منها اقرارا ومن الرجل شهادة
لانها حاضرة قلما تباشر ولهذا اخص التكلم بمعنى الاقرار بالايدي والشهادة
بالارجل ولو نشا لطمسنا على اعينهم الطمس محو الشي حتى يذهب اثره
والطمس على العين تعفية شقها حتى تعود ممسوحة فاستبقوا
الصراط فطلبوا الطريق الذي اعتادوا سلوكه سابقين وانما اعتبروا
قيد السبق على الطريقة التفهيمية لان التعذر في سلوك الاعمى الطريق
حينيذ اظهر ويجوز ان يكون من باب حذف الجار وايصال الفعل
اي فاستبقوا الى الصراط او نصبا على الظرف فانى يبصرون
لم يقدروا ان يسلكوه ولم يبصروه ولم يعلموا جهة سلوكه فضلا عن غيره
ولو نشا لمسخناهم بتبديل صورهم وابطال قواهم وقدرهم على مكانتهم
في مكانهم المكانة والمكان كالمقامة والمقام او باجماده فما استطاعوا
مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل
اي انهم احقا بان يفعل بهم ذلك ولا يجوز فينا لكنا لم نفعل لشمول الرحمة
واقتضا الحكمة امهالهم قيل ولا يرجعون عن تكذيبهم ومن نعمره نطل
عمره ننكسه بالتشديد ندوبا للتخفيف من التنكيس والانكاس وقري
بفتح الكاف من النكس في الخلق اي تقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه
وانتقاص بنيته وقواه عكس ما انشاناه عليه افلا يعقلون اي من
قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على
تدريج وما علمناه الشعر اي بتعليم القران وهو رد لقولهم ان محمدا
شاعر والمراد ان القران ليس بشعر وانى هو من الشعر فان الشعر كلام
موزون مقفى منتظم من المخيلات المرغبة والمنفرة وما ينبغي له اي
يليق به ولا يصلح له لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى مراعاة اللفظ
والوزن فالشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ والشارع يكون اللفظ
منه تبعا للمعنى وقيل لا يتاتى له ان اراد قرضه وقوله انا النبي لا
كذب انا ابن عبد المطلب قال بعضهم انما الرواية بالاعراب واذا
كانت بالاعراب لم تكن شعرا واما ما قيل ليس هذا الوزن من الشعر
فمكابرة لان اشعار العرب على هذا قد رواها الخليل وغيره واما قوله
هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فلعله قالها ساكنة التا
او متحركة من غير اشباع ولا يكون شعرا الا اذا كسرت التا باشباع
ان هو الا ذكر اي موعظة وتذكير من الله عز وجل وقران مبين كتاب

سماوي يبين كونه ليس من كلام البشر لظهور اعجازه لينذر اي القرآن
او الرسول ويؤيده القراءة بالتاء الفوقانية من كان حيا عاقلا فهما
فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله تعالى واختصاص الانذار به لانه
هو المنتفع به دون غيره ويحق القول وتجب كلمة العذاب على
الكافرين المصرين على الكفر وفي ذكرهم في مقابلة من كان حيا تنزيل لهم
منزلة الاموات لحرمانهم عن ثمرة الحياة اولم يروا يشركون ولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه لا يقدر على
توليته غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة من عمل
من يعمل بالايدي للمبالغة في الاختصاص والتفرد باحداثها انعاما
خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة ولطائف الحكمة وكثرة المنافع
جمعا بين اظهار القدرة والامتنان بتذكير النعمة المختصين لها وهذا
كله بقوله فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم وملكناهم اياها
فهم فيها متصرفون تصرف الملاك وذللناها لهم التذليل من جملة
النعم الظاهرة لولاه لما قدر عليها احد ولهذا الزم الله تعالى الراكب
بشكر هذه وسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين فمنها ركوبهم هو ما يركب ومنها ياكلون اي سخرناها لهم
ليركبوا ظهرها وياكلوا لحمها ولهم فيها منافع بجمل مفصلة في قوله
تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية ومشارب من اللبن وما
يتخذ منه جمع مشرب وهو الشرب او موضع الشرب انما لم يقل ومنها
يشربون لان ابتداء الشرب ليس منها بخلاف الاكل افلا يشكرون لخالق
هذه النعم ورازق هذه النعم واتخذوا من دون الله آلهة بعد ما راوا
الايات الباهرة واثارها الظاهرة لعلهم ينصرون طمعا في ان ينقذوهم
وينصروا كما قال ليكونوا لهم عزا والامر على عكس ما قدروا لانه لا
يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون معدون لحفظهم يخدمونهم
ويذبون عنهم والالهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر قيل هم
يوم القيامة لعذابهم ويرد عليه ان فيه زيادة تغليب في الضماير
فيتنافر النظم الذي هو اعجاز القرآن ومراعاته اهم ما يجب على المفسر
وايضا المتبادر من لهم النفع دون الضرر وقيل محضرون اثرهم
في النار ويأباه عبارة الجند فانه جمع معد للحرب فلا يحزنك
الفا للسببية اي اذا علمت حالهم وما لهم فلا يحزنك قولهم فيك انك
شاعر وساحر وكاهن وكاذب وسائر وجوه الاذى بالقول فانا
مجازوهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل للنهي وفيه وعيد
شديد لهم وزيادة تسلية لرسول الله عليه السلام فان قلت اليس مقتضى

البلاغة

البلاغة تقديم ما يعلنون حتى يكون نظم الكلام على اسلوب الترقي قلت
ذلك مقتضاها بحسب جلية النظر واما مقتضاها بحسب دقيقه فانما
هو تاخيره حتى يكون لكل من جزئي الكلام حظ من الاهتمام وذلك انه اذ
يكون للجزء الاول اهتمام التقديم وللجزء الثاني اهتمام التصريح بعد الانفهام
بطريق الالتزام وعلى تقدير التقديم يفوت احد الاهتمامين كما لا يخفى
على ذوي الافهام اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة ابلا الهمزة
واو العطف للتقرير والتعجيب من حال الانسان اي اينكر الانسان
البعث ولم ير مبدا خلقه وابداع نشاته وفيه تسلية اخرى لرسول
الله عليه السلام بتهوين ما يقولون بالنسبة الى انكارهم البعث
وتقبيح بليغ لانكارهم لا يرى ابلغ وافحش منه ولا اعجب منه ولا ادل
على تمادي كفر الانسان وافراده بجحود النعم حيث يفتقر في علمه
انا خلقناه من شيء قليل وبلغناه الى قدر جليل وانما يفتقر من ما مهين
مع ما فيه من المناسبة للقرينة رعاية لحق الكلام بتجريده لما سيق
من المرام وذلك محذوف ما يفتقر غرضنا اخر وهو الامتنان بالاعزاز
والاكرام ومن لم يتنبه لهذا قال انا خلقناه من امهن شيء واقذره
وهو مع مهانة اصله وخساسة عنصره يتصدى لمخاصمة الجبار
الذي شرفه بعد خسته وكرمه بعد ذلته ويقول من يحيي العظام
فاذا هو خصيم مبين اذا للمفاجاة والفاء فصيحة للعطف على مقدر
تفصيله لما بلغ مظنة اظهار الشكر والحمد على اثار قدرتنا فاجاه
باعلان الكفران والجحد مبالغة في الخصومة معربا عما في نفسه من الخباثة
وحاله ان خصامه في الزم وصف له وابلغ حجة عليه وهو انه منشا
من موات والاعادة اهون من الابداء فخصامه محض مكابرة وضرب لنا
مثلا انما سمي قوله مثلا لكونه امرا عجيبا وقصة غريبة كالمثل حيث
انكر قدرة الله تعالى على انشاء الموات وقد انشاه الله تعالى من الموات
ونسي ولا يتذكر خلقه وهو اقرب شيء اليه قال من يحيي العظام وهي رميم
روي ان ابي بن خلف اتى النبي عليه السلام بعظم بال يتفتت بيده
فقال اترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال عليه السلام نعم ويبعثك
ويدخلك النار فنزلت والرميم اسم لما بلي من العظام كان او غيره غير صفة
كالرمة والرمات لا فعيل بمعنى فاعل او مفعول فلهذا لم يؤنث مع كونه
خبرا عن مؤنث وقيل لانه معدول عن فاعل وكل ما كان معدولا عن وجهه
ووزنه كان مصروفا عن اخواته كبغيا في قوله تعالى وما كانت امك
بغيا فانها مصروفة عن باغية وفي ظاهره دلالة على ان العظام
حيوة وانها يحس بالموت قل يحييها الذي انشاها اول مرة انما

حينئذ

قال انشاها دون احياها اشارة الي الفرق بين الاحيايين من حيث ان الاول منهما انشا والثاني اعادة فلاجرم يكون اهون ولا تغير في جانب الفاعل وهو بكل خلق عليم يعلم كيف تخلق لا يتعاظمه شي من خلق المنشات وجمع اجزايها جلايلها ودقايقها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ووصف الشجر بالاخضر حملا علي اللفظ وقري بالخضرا علي المعني نارا نوعا غريبا من النار وحيث تحدث مما يقطر منه الما ومن هنا ظهر وجه توصيف الشجر بالاخضر نقل عن ارباب الحكمة ان النار علي اربعة انواع نار تاكل ولا تشرب وهي النار المعهوده ونار تشرب ولا تاكل وهي نار الشجر ونار تاكل ولا تشرب وهي نار المعدة ونار لا تاكل ولا تشرب وهي نار الحجر فاذا انتم منه توقدون لا تشكوا في انها نار تخرج منه استدل بالنشاة الاولي علي الثانية ثم باقتداح النار من الشجر الاخضر وهي من زناد الاعراب واكثرها منه المرخ والعفار يقطع منهما غصنان مثل السواكب وهما خضروان يقطر منهما الما فيسحق المرخ وهو ذكر علي العفار وهو انثي فينقدح النار باذن الله تعالي مع مضادة الما النار وانطفايها به فمن قدر علي ذلك كان علي اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي اقدر

اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر علي ان يخلق مثلهم دليل ثالث كانه قال بعد ما مر من الدليل بل لا يقدر من خلقهما مع كبر جرمهما وعظم شانهما علي خلق مثلهم مع صغرهم وفناتهم بالنسبة اليهما فقيل علي عادتهم لان المعاد مثل للمبدا في اصول البنية الذات والصفات ويرده ان المذهب خلاف ذلك بلي جواب من الله تعالي مشعر بان الجواب متخصص فيه هنا وهو الاثبات بعد النفي وهو الخلاق العليم المبالغة في الخلق والعلم المستفادة من الصفتين المذكورتين تناسب المقام انما امره قوله علي ما مر في سورة النحل انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ومن حمل الامر هنا علي الشان فقد غفل عن ذلك البيان شبه تاثير قدرته تعالي في مراده بامر امر مطاع ورد علي مامور مطيع لم يلبث ان يمتثل فقال انما امره في ايجاد الاشيا اذا اراد شيا ان يقول له كن اي تكون فيكون فيحدث من غير امتناع عليه ولا توقف في المامور ولا افتقار الي الالات وحركات عن الامر حسما لمادة الشبهة في قياس قدرة الله تعالي علي قدرة الخلق وهو من الاستعارة التمثيلية يقوم مقام تعليل القدرة الله تعالي علي اعادة الموتي اي من كانت ايجاده للاشيا بهذه المثابة فكيف يعجز عن الاعادة وقري فيكون بالنصب عطفا علي يقول والرفع علي تقدير جملة اسمية اي فهو يكون معطوفة علي اخري مثلها وهي

انما امره

انما امره ان يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي تنزيه له تعالي عما وصف به المشركون وتعجيب من ان يقولوا ما قالوا السببية اوردها تعليلا بكونه المتصرف في ملكوت كل شي بمقتضي مشيته وموجب حكمته فكيف يمتنع عليه شي والملكوت مقابل الملك علي ما ورد في الدعا الماثور سبحان ذي الملك والملكوت فان كل شي له جسمانية كثيفة وروحانية لطيفة فجسمانيته الظلمانية من عالم الخلق وهو عالم الخلق وعالم الشهادة وروحانيته النورانية من عالم الملكوت وهو عالم الامر وعالم الغيب ومعني كون ملكوت كل شي بيده انه تصرف فيه بواسطة الاسباب والالات علي مقتضي حكمته واليه ترجعون وعد ووعيد للمعترفين والمنكرين والله تعالي اعلم بالصواب واليه المرجع والماب سورة والصافات مايه وسبعون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا الواو للقسم والصف ترتيب الجمع علي خط واحد فالزاجرات زجرا صفا مصدر موكد ولذلك زجرا والفا المتوسط بين الصفات اما لترتيبها مع اتحاد الموصوف واما الترتيب الموصوفات والاول اما لترتيبها في الوجود واما لترتيبها في بعض الوجوه بحسب التفاضل او التناقص وكذا الثاني اما في الوجود واما في الاعتبار ويحتمل هنا اتحاد الموصوفين وترتيب الصفات في التفاضل علي ان الصف طاعة وكمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر والسوق الي الخير والتلاوة افاضة المعارف والحكم علي الانبيا عليهم السلام او في التناقص علي ان الصف هو الحضور بين يدي الله تعالي في مواطن القرب والزجر زجر الشياطين والتلاوة الذكر بالتسبيح والتحميد وكذا اذا اريد تعدد الطوايف وتلثيثها وقد يترتب علي الفضل علي ان الطوايف الصافات فضلا والطوايف الزاجرات افضل والتاليات اشهر فضلا او بالعكس فالتاليات ذكرا اقسم الله تعالي بطوايف الملايكة الصافين في مراتب العبودية بحسب تفاوت فيضان الانوار الالهية عليهم منتظرين لاوامره من قوله وانا لنحن الصافون الزاجرات للعباد عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم بالضلال والاجرام العلوية والسفلية كالسحاب والرياح وغير ذلك بما امروا من تدابيرها التاليات لايات الله تعالي من الكتب المنزلة علي انبيايه عليهم السلام وغيرها من التقديسات والتسبيحات وساير الاذكار او بنفوس العلما العباد الصافات اقدامها في الصلوات وخصوصا في الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصايح فالتاليات كلام الله تعالي وشرايعه وحكمه او بنفوس الغزاة المجاهدين في سبيل الله تعالي الصافين في صفوف

الجهاد والزاجرين للخيل الذاكرين مع ذلك لله تعالى والتالين لا بانه لا
يشغلهم تلك الشواغل عنها كما حكي عن علي رضي الله عنه وقيل الصافات
الطير من قوله تعالى والطير صافات والزجرات كل ما زجر من معاصي
الله تعالى والتاليات كل من تلا كتاب الله تعالى وقرئ بادغام التاءات
الثلاث فيما يليها لقرب مخرجها من مخرج التاء ان الهكم لواحد جواب
للقسم وفائدة الاقسام تعظيم المقسم وتاكيد المقسم عليه على ما هو الاصل
في كلامهم واما تحقيقه بالبرهان فبقوله تعالى رب السموات والارض
فان انتظامهما على الوجه الاكمل دليل على وحدة الصانع على ما مر في تفسير
قوله تعالى لو كان فيهما الهة الاية رب خبر بعد خبر او خبر مبتدا
محذوف على المدح اي هو رب السموات ويجوز ان يكون بدلا من واحد
وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه تعالى ورب
المشارق مشارق الشمس في السنة وقيل وهي ثلثماية وستون تشرق
في كل يوم في واحد وفيه نظر وبتبعها اختلاف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها
ودلالتها عليها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر واما كونها اعلى ثم
لقدرة وابلغ في النعمة فلا يصلح وجها للاكتفا المذكور انما يصلح
وجها لتخصيص المشارق بالذكر على تقدير الاكتفا باحدهما انا زينا
السما الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب الزينة الكواكب الزينة
مصدر كالنسبة او اسم لما يزان به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة
واضافتها الى المفعول ان جعلتها مصدرا اي بان زان الله تعالى
الكواكب وحسنها لانها انما زينت السما لحسنها في انفسها واصله
بزينة الكواكب بالتنوين ونصب الكواكب وقد قرئ كذلك او الى
الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب وان جعلتها
اسما فالاضافة للتبيين فان الزينة مبهمة قد تكون بالكواكب وقد
تكون بغيرها اي بزينة من الكواكب لقولك باب ساج او بزينة
هي الكواكب ويعضده القراة بالتنوين وجر الكواكب على الابدال ويجوز
في النصب ايضا الابدال من محل الجار والمجرور بهذا المعنى ويجوز على
قراءة الجر ان يراد بالزينة ما زينت به الكواكب من اضوائها واوضاعها
المختلفة كشكل الثريا بروجا وزيناها للناظرين اي بالاشكال وعن
ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب واعلم ان تفسير السما
بالدنيا يابى عن حمل الزينة الكواكب على ما بحسب الظهور في الحس
لعدم انتما بتزيين العليا والدنيا في ذلك ففي التقييد المذكور قدح
لما اشتهر من ان ما عدا القمر من الكواكب ليس في السما الدنيا
وحفظا عطف على محل قوله بزينة الكواكب على المعنى لان المعنى

انا خلقنا الكواكب زينة للسما وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السما
الدنيا بمصابيح وجعلناها حفظا او على التعليل اي وحفظا زيناها بالكواكب
من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة لا يسمعون ابتدا الاختصاص لبيان
حال مسترقة السمع لا تعلق له بما قبله الا من حيث المعنى ورجوع الضمير
فيه الى كل شيطان اما من حيث اللفظ فلا يجوز ان يكون صفة لكل
شيطان اذ لا معنى للحفظ من شياطين لا يسمعون ولا استينافا اذ لو
سيل لم يحفظ من الشياطين لما صح الجواب لانهم يستمعون فبقي ان لا يسمعوا
فحذفت ان واهدر عملها فتعد ركيك شططا لان كل واحد من الحذفين و
على الانفراد غير منكر واما جمعهما فمن المنكرات التي يجب صون القران عنها
الى الملا الاعلى وهم الملايكة لانهم سكان السما والثقلان الملا الاسفل
لانهم سكان الارض وقرئ لا يسمعون بالتخفيف وتشديد السين
والميم واصله يتسمعون وهذا ينصب التخفيف عن التشديد ويعدي
يسمعون بالى لتضمنه الاصغا اي لا يتسمعون بالسمع والتسمع الى الملا
الاعلى لا لتضمنه معنى الاصغا وحينئذ لا يلزم انتفا السمع او التسمع
اذ لا يلزم من انتفا المجموع انتفا كل جزء منه فتوهم ان فيه المبالغة في
النفي فقد وهم ويقذفون يرمون بالشهب من كل جانب من كل جهة
يصعدون الى السما منها للاستراق دحورا مفعول له اي للدحور
وهو الطرد او حال اي مدحورا او مصدر لان القذف والدحور
متقاربات في المعنى فكانه قيل يدحرون دحورا او على انه جاء مجيء القعود
والولوع ولهم عذاب واصب دائم اي انهم مرجومون في الدنيا بالشهب
وقد عد لهم في الاخرة عذاب غير منقطع الا من خطف الخطفة من مرفوع
المحل بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان
الذي خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخا والطا وتشديدها وخطف بفتح
الخا وكسر الطا وتشديدها واصلهما اختطف والخطف الاستلاب بسرعة
والمراد استلاب كلام الملايكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة فاتبعه
لحقه وقرئ فاتبعه اي هم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من
اهمل ربما خطف خطفة فاتبعه شهاب قيل نجوم الرجوم غير نجوم
الزينة تلك ثابتة وهذه سايرة منتشرة قال الشعبي لم تقذف
بالنجوم حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما قذف بها جعل الناس
يسيبون انعامهم ويعتقون رقيقهم يظنون انها القيامة فاتوا
عبد ياليل الثقفي وكان قد عمي فاخبروه بما فعلوا قال لما ان النجوم
تقاذفت من السما فقال لهم لا تعجلوا فان كانت النجوم التي تعرف فهي
عند قيام الساعة وان كانت نجوما لا تعرف فهو امر حدث فنظروا

فاذا هي نجوم لا تعرف قال فما تمكث الا يسيرا حتى اتاهم خبر النبي وفيما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ذلك حدث بميلاد النبي عليه السلام وعلى
كلا التقديرين الحادث قذف الشياطين بالشهب لا الشهب نفسه فلا
قدح فيه بدلالة اشعار الجاهلية على وجود الشهب قبله ولا حاجة الى ان
يقال ان الحادث كثرتها لا وجودها واما ما قيل ان اصل الشهب بخار يصعد
الى الاثير فيشتعل فيبرزه نظر الكتاب لانه صريح في ان اصل الشهب الكواكب
المشتبهة بالمصابيح وان انقضاضها واشتعالها لحكمة التعذيب لا
باقتضاء طبعها عند وصولها الى الاثير ثاقب الشديد الاضاءة لانه يثقب
بضوئه فاستفتهم لما كانت الهمزة في الاصل للاستفهام قيل فاستفتهم
اي فاستخبرهم ولم يقل فقررهم وان خرجت الى التقرير والتفهيم لمشركي
مكة او لبني ادم عليه السلام اهم اشد خلقا يحتمل اقوى خلقا واصعب
خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة الاخرى ام من
خلقنا المراد منه ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض
وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة
وغلب اولي العقل على غيرهم فعال من خلقنا ويدل عليه اطلاقه وتعقيبه
بعد ذلك وقراءة من قرا امن عددنا بالتخفيف والتشديد وقوله
انا خلقناهم من طين فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم
كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم اياه والامر
فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سوا لازب لازم ما جاوره ملاصق
له اي اصل خلقتهم وهو الطين اللازب وليس الا التراب والماء وهو
على حاله فمن اين استنكروا ذلك بل عجبت من انكارهم البعث ويسخرون
اي وهم يسخرون منك ومن تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ عجبت
بضم التاء وحمل الكلام على المجاز فان التعجب دعوة تعتري الانسان
عند استعظامه بشيء وهو على الله تعالى محال فهو في حقه اما المجرد الا
ستعظام واما على سبيل الفرض على انه عند الله بمنزلة لو جاز عليه التعجب
لتعجب والتخييل من باب الاستعارة على ما مر في قوله تعالى يا حسرة
على العباد وان الامر في نفسه متعجب منه وفي الحديث عجب ربكم
من الكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم اياها واذا ذكروا لا يذكرون ودابهم
اذا وعظوا بشي لا يتعظون به واذا راوا اية عظيمة من ايات الله
تعالى كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية
كانهم يطلبون من انفسهم السخرية منها ويجهدون في ذلك او
يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا الا سحر
مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون

اصله

اصله انبعث اذا متنا فبدل الفعلية بالاسمية وقدم الظرف
وكرر الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بانه مستنكر في نفسه وفي هذا
الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من القراءة بطرح احدى الهمزتين اوآباؤنا
مبتدا خبره محذوف تقديره مبعوثون ويدل عليه ما قبله فاذا قلت
اقام زيد ام عمرو فعمرو مبتدا محذوف الخبر ويجوز عطف على محل ان
واسمها على خلاف مذهب سيبويه لانه يقول ان عمرا في قولك ان زيدا
قائم وعمرو مرفوع على الابتداء واما عطفه على الضمير في مبعوثون فلا
صحة له لان همزة الاستفهام لا تدخل على الجمل فعلى تقدير العطف على
المفرد كان الفعل عاملا فيه بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام
لا يعمل ما قبلها فيما بعدها وادخال الهمزة الانكارية على الواو لزيادة
الاستبعاد على معنى ايبعث ايضا اباؤنا يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد
وقرئ اواباؤنا بالفاصلة قال صاحب المطالع او اذا كانت للتقريب
او التوبيخ او الرد او انكار او الاستفهام كانت مفتوحة الواو واذا جاءت
للشك او التقسيم او الابهام او التورية او التخيير او بمعنى بل او بمعنى
حتى او بمعنى الى او كيف كانت عاطفة ساكنة الواو الاولون الاقدمون
قل وقرئ قال نعم اي نعم تبعثون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل
على جوازه واما قيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه فلا يجدي في
حق المتقابلين انه سحر مبين والكلام معهم بعد ما انكروا الاعجاز والرسالة
وانتم داخرون صاغرون وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان فانما هي
مبهمة لا ترجع الى شيء موضحها خبرها ويجوز ان يكون يرجع الى
البعثة الدال عليها لمبعوثون والفاء جواب الشرط مقدر تقديره
اذا كان كذلك فما هي الا زجرة واحدة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية
من زجر الراعي اذا صاح عليها وامرها بالاعادة كما مر كنت في الابدا ولذلك
رتب عليها قوله فاذا هم ينظرون احيا يبصرون او ينتظرون ما
يفعل بهم وقالوا يا ويلنا مر تفسيره في سورة يس هذا يوم الدين
كلام الكفرة هذا يوم الفصل كلام الملائكة جوابا لهم ويجوز ان يكون
الاول ايضا من كلام الملائكة وان يكون الثاني ايضا من كلام
بعض الكفرة لبعضهم اي هذا يوم الجزاء الذي نزاد فيه ونجازى
باعمالنا هذا يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال
الذي كنتم به تكذبون فيه دلالة على ان الرسل عليهم السلام جددوا
الانذار بعذاب النار وسائر الاهوال في دار القرار وهم اصروا على
الانكار واستمروا على الاصرار احشروا الذين ظلموا خطاب الله تعالى
للملائكة او خطاب بعضهم بعضا بامر الله تعالى والحاجة الى الحشر

لانهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر وفراش مبثوث والحشر
السوق الى مجمع واحد من الجهات المختلفة وازواجهم قرناهم من الشياطين
قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين اذا بعث الكافر زوج
بقرينه من الشياطين فلا يفارقه وقال عطا في تفسير قوله تعالى
واذا النفوس زوجت اي قرنت نفوس المومنين بحور العين ونفوس
الكفار بالشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله دل هذا على
ان المراد من الذين ظلموا المشركون وقوله عليه السلام على وفق
قوله تعالى حكاية عن الملائكة بل كانوا يعبدون الجن بل هم عبد
والشياطين للذين امرتهم بذلك في جواب ابن الزبعري دل على
ان ما على عمومه وان الاصنام ونحوها غير داخلة فيه فالضمير في
قوله تعالى فاهدوهم لمجموع المذكورين الى صراط الجحيم فعرفوهم
طريق النار حتى يسلكوها وفيه تهكم بهم لما مر في تفسير سورة
الفاتحة ان الهداية دلالة بلطف وفي الصراط ايضا نوع تهكم لانه
طريق مستو لا التواء فيه ولا اعوجاج وقفوهم واحبسوهم هنا
الحبس عند مجيئهم النار على ما دل عليه قوله تعالى ويوم يحشر
اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم
سمعهم وابصارهم فالسؤال في قوله تعالى انهم مسؤلون ليس عن
عقايدهم واعمالهم بل عما كانوا يرجون منه الشفاعة والنصرة بدلالة
قوله تعالى ما لكم لا تناصرون وقوله تعالى في موضع اخر ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون توبيخ
لهم وتهكم بهم بالعجز عن التناصر وتخليص بعضهم لبعض بعد ما كانوا
متناصرين في الدنيا متعاضدين بل هم اليوم مستسلمون اي ليس
احد يقدر على نصر احد بل الكل منقادون لما يراد بهم وكلمة بل حرف
ابتداء لا عاطفة واقبل بعضهم على بعض يعني الكفرة والشياطين انكم
كنتم تاتوننا عن اليمين عن القوة والغلبة حتى تحملونا على الضلال
وتقهرونا عليه قالوا يعني الشياطين للكفرة بل لم تكونوا مومنين
اضراب عن مقدر دل عليه المساق اي ما اجبرناكم على الضلال وقهرنا
بل انتم اعرضتم عن الايمان واخترتم الكفر عليه بالاختيار وما كان
لنا عليكم من سلطان من تسلط يسلبكم التمكن وتخيركم بل كنتم قوما
طاغين مختارين الطغيان وهذا اوفق ما في موضع اخر من قوله
تعالى وقال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد فحق علينا
اي اذا لم يجبركم فلزمنا قول ربنا انا لذائقون اي حكم بانا لذائقون

لعذابه

لعذابه ولما اخبروا بذلك عن انفسهم عدلوا عن الخطاب الى لفظ المتكلم
فحكى الله تعالى قولهم ولو حكي وعيد الله تعالى كما هو لقال انكم لذائقون
فاغويناكم انا كنا غاوين فدعوناكم الى الغي لانا كنا غاوين احببنا ان
تكونوا مثلنا ما احببنا لانفسنا فلم استحببتم الغي على الرشد اي
غاية ما في الباب انا دعوناكم فلم اجبتم وقبلتم فكانه تقرير لقولهم فحق
علينا قول ربنا اي ليست غوايتكم في الحقيقة بنا ولو كان كل غواية
باغواء غاو فمن اغوانا فانهم اي الاتباع والمتبوعين من الكفرة
والشياطين يومئذ يوم القيمة في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في
الغواية مشتركين انا كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين
بالمشركين بدلالة السياق واللحاق وفي الاطلاق ما لا يخفى من المبالغة
في كون الاشراك جرما حيث لم يعد ساير المعاصي جرما نظرا اليه
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون عن الاذعان والقبول
ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون رسول الله عليه
السلام بل جاء بالحق اضراب عن مقدر دل عليه السياق وصدق المرسلين
اذ هو وهم عليهم السلام على طريقة واحدة في دعوة الامم الى التوحيد وترك
عبادة غيره تعالى وفيه رد على المشركين بان ما جاء به من التوحيد
حق يطابق عليه البرهان العقلي والبيان النقلي من المرسلين انكم
لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب
على ترك النون كقوله ولا ذاكر الله بتقدير التنوين وقرئ لذائقون
العذاب على الاصل وفي عبارة الذوق دلالة على ان لهم عهدا باحساسها
وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم وانما حذف المضاف
للمبالغة في المماثلة كما في التشبيه البليغ الا عباد الله المخلصين استثناء
منقطع اي لكن عباد الله المخلصين ثوابهم مضاعف وقيل متصل عن الضمير
في تجزون او لذائقوا على انه للعموم اولئك لهم تقديمه للتخصيص رزق
معلوم خصايصه من الدوام وتمحض اللذات ولذلك فسره بقوله فواكه
فان الفاكهة ما يتلذذ به ولا يتقوت وذلك لانهم مستغنون عن
التغذي اذ لا تحلل هناك فيكون رزقهم كله للتفكه والتلذذ لا للتقوت
وهم مكرمون عند الله تعالى لا يلحقهم هوان وذلك من اعظم الثواب
والليق بذوي الهمم في جنات النعيم اي في جنات ليس فيها الا
النعيم ظرفا وحال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك
وكذا على سرر يحتمل الحال والخبر فان جعل خبرا كان متقابلين حالا
من الضمير فيه او في مكرمون ويجوز ان يتعلق بمتقابلين على
ان متقابلين حال من مكرمون يطاف عليهم بكاس الكاس الزجاجة

ما دامت فيها الخمر وقد يطلق على الخمر مجازا كما في قوله وكاس شربت
على لذة من معين من شراب معين او نهر معين والمعين الماء الجاري على
وجه الارض الظاهر للعيون وانما وصف بما يوصف به الماء لانها
تجري في الجنة في انهار كما تجري الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء
لذة للشاربين صفتان للكاس ولذة وصف بالمصدر للمبالغة كانها
نفس اللذة او تانيث اللذ يقال لذ الشي فهو لذ ولذيذ ولذة تانيث
لذ بوزن فعل كجلد وطب قال ولذ كطعم الصرخدي تركته لا فيها غول
اي فساد من انواع المفاسد التي تكون في خمور الدنيا من خمار وصداع
واختلاط عقل ولغو وعربدة وغير ذلك والغول الاهلاك والافساد
ومنه الغول وتقديم الظرف وايلاؤه حرف النفي لافادة نفي الغول
عنها واثباته في غيرها غير مقصود بل لافادة ان المنفي عنها ما هو
الثابت في غيرها اي ليس فيها ما في خمور الدنيا من اغتيال العقل ولا
هم عنها ينزفون على البنا للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب
عقله وقري ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف اذا سكروانما افرد
النزف من انواع الغول وافرد بالذكر للدلالة على ان السكر من اعظم
المفاسد كانه مفسدة براسها وجنس اخر غير داخل تحت الغول
وعندهم قاصرات الطرف قصرت ابصارهن على ازواجهن لا يمددن
طرفا الى غيرهم عين العين النجل العيون جمع عينا كانهن بيض مكنون
شبههن ببيض النعام المكنون في الادا حي فانه مصون عن الغبار في
غاية الصفا ولونها بياض فيه صفرة حسنة وهي احسن الوان نفوس
الابدان وبها تشبه العرب مخدراتهم وتسميهن بيضات الخدور
وقيل اراد به المصون عن الكسر يعني انهن عذارى صحيحات
قال الفرزدق

خرجن لم يطمثن قبلي وهن اصح من بيض النعام

ويؤيده ما في سورة الرحمن فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان قال في صفة الحور كانهن بيض مكنون وفي
صفة الولدان كامثال اللولو المكنون واشعار بذلك الى ان الحور
للصحبة دون الولدان لان اللولو للنظر لا للذوق والبيض لهما فاقبل
بعضهم على بعض عطف على يطاف عليهم يتساءلون اي يتحادثون
على الشراب يسال بعضهم بعضا عما جرى له وعليه في الدنيا وعن
رفقائه وتغيير النظم الى الماضي للاخبار بتحقق وقوع تلك اللذة
خاصة من بين سايرها وهي التحادث على الشراب كعادة
الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام

قال قايل منهم من مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين
قري بالتخفيف والتشديد اي يوبخني على التصديق بالبعث والتصديق
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما لا يقال ذكر كونهم عظاما ما بعد ذكر كونهم
ترابا تنزل من القوي الى الضعيف في مقام الاستبعاد بل ذكر عظاما
عن ذكر هذا لانا نقول كونهم عظاما محقق حسا ومحقق لكونهم ترابا
عقلا فلا غنية ولا تنزل فافهم هذه الدقيقة الا يبقه ائنا لمدينون لمجزيون
من الدين وهو الجزا والمسوسون من دانه اي ساسه ومنه الحديث
العاقل من دان نفسه قال اي ذلك القايل هل انتم مطلعون الى
النار لاريكم ذلك القرين وقيل القايل هو الله تعالى وقيل بعض الملايكة
يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا وقري مطلعون بالتخفيف والمعنى
يقال طلع علينا فلان واطلع بمعنى فاطلع اي عرض لهم الاطلاع فقبلوا
عرضه فاطلع والمعنى بعد ذلك هذا ايضا قري بالتشديد على قراة
مطلعون مخففا كلاهما على المضارع المنصوب مشددا وبالتخفيف
على قراة مطلعون مخففا كلاهما على المضارع المنصوب جوابا للاستفهام
وقري مطلعون بكسر النون والتخفيف على ارادة مطلعون
اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير الامرونه
وقيل شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لما بينهما من التاخي كانه قال
يطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر وعلى قراة المضارع معناه هل انتم
مطلعون الى القرين فاطلع ايضا وان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره
فالمعنى انه تشرط في اطلاعه اطلاعهم لرعاية ادب المجالسة وهو ان لا
يستبد بشي دون جلسايه فاذا قبلوه فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب
على هذا للملايكة اي اطلعوني على قريني ايها الملايكة فاطلع اصحابي
من اهل الجنة عليه فراه اي قرينه في سواء الجحيم في وسطها قال تالله ان كدت
لتردين لتهلكني بالاغوا وقري لتغويني ان مخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة كقوله ان كان ليضلنا ولولا نعمة ربي بالعصمة والهداية
لكنت من المحضرين في العذاب معك افما نحن بميتين الهمزة للتقرير والتوبيخ
دخلت على الفا العاطفة ما بعدها على معطوف محذوف تقديره انحن
مخلدون منعمون فما نحن بميتين بمن شانه الموت وقري بمايتين الا
موتتنا الاولى التي في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحيا للسوال
ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثنا المنقطع وما
نحن بمعذبين كما وعدنا والمعنى ان هذه حال المومنين وصفتهم فيما
وعد الله تعالى لهم بخلاف حال الكفار فانهم فيما يتمنون فيه
الموت كل ساعة وهو تمام كلامه بقرينه تقريعا له ثم يقول معاودا

الي مكالمة جلسائه يستمع من قرينه تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا
بحاله وحال رفقائه ويحيي بها وزيادة في توبيخ قرينه ان هذا اي
الذي نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله تعالى تقريرا لقوله
وتصديقا له واشارة الى ما هم فيه من النعمة والخلود والامن من العذاب
وقرئ لهو الرزق العظيم اي ما رزقوه من السعادة لمثل هذا اي لنيل
مثل هذا ان عملوا عملا فليعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة
بالالام السريعة الانصرام وهذا معنى تقديم الغاية وايراد فالسببية
من عادة الله تعالى ان يشفع الوعد بالوعيد فلما فرغ من بيان
الرزق المعلوم ووصف اهل الجنة في تحادثهم وانساق كلامهم الى
قصة المؤمن وقرينه شرع في رزق الكافر ووصف اهل النار اذلك
اي اذلك الرزق المعلوم الموصوف خير نزلا نصب على الحال والنزل
الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له ويجوز حمله على المعنى الحاصل
على انه نصب على التمييز ام شجرة الزقوم شجرة صغيرة الورق منتنة
مرة حريفة تنبت بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة وفيه ان
الرزق المعلوم وما ذكر معه من التنعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل
وما وراءه من اللذات بعد اقامتهم لا يدخل تحت الوصف وكذلك لشجرة
الزقوم وما ذكر معه انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا
لهم في الاخرة او ابتلاء وامتحانا لهم في الدنيا حيث قالوا لما سمعوا انها
في النار كيف يكون ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من
قدر على خلق حيوان يعيش فيها ويتلذذ بها كالسمندر فهو قادر
على خلق شجر فيها وحفظه على احراقها انها شجرة تخرج في اصل الجحيم
وقرئ نابتة مكان تخرج وقيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع
الى دركاتها طلعها الطلع اولا من النخلة عند اثمارها وهو كمام ثمرها
كانه رؤوس الشياطين استعير الطلع من حمل النخلة لحمل شجرة الزقوم
وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر
لان استقباح الشيطان وكراهة منظره امر راسخ في طباع الناس
وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفا قبيحة المنظر هائلة جدا
فانهم لآكلون منها من الشجر اي من طلعها فمالئون منها البطون
اما لغلبة الجوع الشديد واستيلائه عليهم واما لانهم مقسورون
على اكلها تعذيبا ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم اذا شبعوا وغلبهم
العطش وطال استقاؤهم واحرق الزقوم بطونهم سقوا شرابا من
غساق او صديد شوبه او مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع
امعاءهم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم لما يشاب ويجوز ان يكون ثم

مسعارا لبعد ما في شرابهم من مزيد البشاعة والكراهة من طعامهم ثم
ان مرجعهم لالى الجحيم اي لهم مقار ومنازل معينة في دركات الجحيم اذا
جاعوا جاءوا الى الزقوم فاذا عطشوا جاءوا الى الحميم ثم يرجعون الى
مقارهم ومنازلهم من دركات الجحيم وقرئ ثم يرجعون تنقليهم ثم ان
مصيرهم ثم ان منقلبهم لالى الجحيم يطوفون بينها وبين حميم ان على
ما اخبر الله تعالى عنه قوله انهم الفوا اي صادفوا اباءهم ضالين
تعليل لاستحقاقهم الوقوع في تلك الشدائد كلها يعني ان ذلك بسبب
تقليدهم اباءهم الضالين فهم على اثارهم يهرعون الاهراع الاسراع الشديد
كانما يحث صاحبه حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة وفيه اشعار
بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على تامل ونظر ولقد ضل قبلهم قبل
قومك قريش اكثر الاولين بالتقليد وترك النظر ولقد ارسلنا فيهم منذرين
انبياء عليهم السلام حذروهم العواقب وانما قال فيهم دون اليهم دلالة
على انهم في الاثناء بعثوا فيما بينهم فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
الذين انذروا فكذبوا فاهلكوا جميعا الا عباد الله المخلصين الذين امنوا
منهم فاخلصوا دينهم لله تعالى او اخلصهم الله تعالى لدينه على
اختلاف القراءتين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد قومه
لانهم راوا اثارهم وسمعوا اخبارهم ثم شرع في تفصيل المنذرين والمنذرين
فقال ولقد نادانا نوح حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اللام جواب
قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف اي فوالله لنعم المجيبون نحن
والجمع في نادانا والمجيبون دليل على العظمة والكبرياء واظهارها اي ولقد
دعانا فنعمنا وعظمنا ان اجبناه احسن الاجابة ونصرناه على
اعدائه وانتقمنا منهم بابلغ ما يكون ونجيناه واهله من الكرب العظيم
من الغم الذي كان فيه اذى قومه لان بذلك دعا ربه فاجابه والكرب
الحزن الثقيل على القلب وجعلنا ذريته هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم
دون غيرهم ولا دلالة فيه على عدم بقاء ذرية غيره حتى يخالف
ظاهر قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح لان الذرية يتناول الاولاد
البنات دل عليه عد عيسى عليه السلام من ذرية نوح على ما مر في سورة
الانعام وتركنا عليه في الاخرين من الامم كلهم هذه الكلمة وهي سلام
على نوح في العالمين على الحكاية كقولك قرات الحمد لله اي يسلمون عليه
تسليما ويدعون له بثبوت هذه التحية في العالمين من الملائكة
والثقلين جميعا كانه قيل يثبت الله التسليم على نوح وادامه في الكل
عن اخرهم انا كذلك نجزي المحسنين علة لمجازاة تكرمة السنية وعظمها
بقوله كذلك اي مثل ذلك الجزاء العظيم وهي تبقية ذكره وتسليم العالمين

عليه ابدا باحسانه ثم علل باحسانه بايمانه واضافته الى ذاته تعالى في زبدة خواصه بقوله انه من عبادنا المؤمنين لاختصاصه به كل ذلك لجلالة قدر الايمان وعلو شانه وانه الغاية القصوى من صفات المدح والتعظيم اذ جعله موجبا لكرامته واختصاصه مع كونه نبيا مختارا ترغيبا للعباد في الايمان والازديار الى الايقان ثم اغرقنا الاخرين ثم اخبر تعالى انه اغرق من لم يؤمن من قومه وان من شيعته ممن شايع نوح عليه السلام في التوحيد واصول الدين لابرهيم ولا يقدح في ذلك اختلاف الشرايع فانها تختلف بحسب اختلاف الامم وكان بينهما الفان وستمائة واربعون وما كان بينهما من الانبيا الا هود وصالح عليهما السلام اذ جاء ربه منصوب بتقدير اذكر لا بما في الشيعة من معنى المشايعة لان فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو قوله لابراهيم وايضا لام التاكيد يمنع ان يعمل ما قبلها فيما بعدها لوقوع ان صار بالغارم علينا زيد لم يجز بقلب سليم من جميع آفات القلب كالشرك والشك والغل والغش وغير ذلك استعار المجيء به للاخلاص والاعراض عما سوى الحق بالتوجه اليه ان قال لابيه وقومه بدل من اذ جاء ماذا تعبدون سؤال توبيخ ائفكا آلهة دون الله تريدون افكا مفعول له اي اتريدون آلهة افكا قدم المفعول وهو آلهة للعناية لان الانكار متوجه اليه ثم قدم المفعول له عليه لان الاهم عنده ان يكافهم بانهم ليسوا على غرض صحيح ويقرر عليهم انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك او مفعول به وآلهة بدل منه او تفسيره وبيان للمبالغة جعلت انفسهم افكا او اريد عبادتهم على حذف المضاف لدلالة ما تعبدون عليه او حال بمعنى اتريدون آلهة من دون الله آفكين والافك اشنع الكذب واقطعه واصله قلب الشيء عن الجهة التي هي له فما ظنكم برب العالمين بمن هو الحقيق بالعبادة لكونه رب العالمين حتى تركتم عبادته الى عبادة غيره وهو كالحجة على ما قبله ومعنى انكار الظن انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته الى عبادة غيره فضلا عن القطع به او فما ظنكم به انه اي شيء هو حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به انه يفعل بكم اي هل تظنون انه كيف يعاقبكم على عبادة غيره فنظر نظرة في النجوم في اوضاعها واتصالها او في كتابها او في علمها بوهمهم الاستدلال على حاله فكانوا منجمين فقال اني سقيم انما قال ذلك لانه ارادوا ان يستخرجوه الى عيدهم وكان اغلب اسقامهم الطاعون فاوهمهم السقم فهو توامته على ما دل عليه قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين فاعرضوا عنه مولين الادبار مخافة العدوى لانه

مرض معد فعل باصنامهم فعل وقوله اني سقيم من معاريض الكلام وليس بكذب اي سقيم القلب لكفركم او مشارف للسقم لان من كان بصدد الموت كان مستعيرا للسقم ولا يخلو صحيح من ذلك فلم يكن كاذبا فيما اظهر من الكلام فلم يخفه به شيء من الملام اذا كان في نفسه قصد كسر الاصنام فاحتال لاظهار الحق وابطال الباطل فكان عملا مبرورا وسعيا مشكورا فراغ فذهب في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة الى آلهتهم بناء على زعمهم اي الى اصنامهم التي يزعمونها آلهة كقوله اين شركائي فقال الا تاكلون اي الطعام الذي عندكم ما لكم لا تنطقون نحو الى استهزاء وتهكم بها وتعنيتا واتما الى الخطاطها عنهم فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا ضربا نصب على الحال بمعنى ضاربا او على المصدر من فعل مقدر هو حال اي فراغ عليهم يضربهم ضربا او من راغ لانه في معنى ضرب كانه قيل فضربهم مقبلا عليهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل معناه بسبب الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابراهيم عليه السلام يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون ومن وزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضا لتشاغلهم اليه قال ابراهيم عليه السلام بعد محاورات كانت بينهم ذكرها في سورة الانبيا عليهم السلام اتعبدون ما تنحتون نحتا الخشبة بيدها تقول اتعبدون اصناما تعملونها انتم والله خلقكم وما تعملون وخلق ما تعملونه من الاصنام فان جواهرها بخلقه واشكالها وان كانت بنحتهم ولذلك نسب اليهم عملها فانها باقداره تعالى اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه اعمالهم من الآلات والجوارح والدواعي وقالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديد الوقوع من الجحمة وهي شدة التاجج فارادوا به كيدا صنعوا لاهلاكه خطيرة مملوة بالنار ومنجنيقا لرميه اليها من بعيد لان شدة حرها كانت مانعة عن الحضور عندها فلذلك عبر عنه بالكيد المشتمل على نوع من الحيلة فجعلناهم الاسفلين لما غلبهم بالحجة ارادوا ان يهلكوه كيلا يظهر للعامة عجزهم فابطل الله تعالى كيدهم وجعلهم الاذلين الاسفلين وصار كيدهم حجة اخرى له عليه السلام ومعجزة اخرى بالتصديق بانه من عند الله تعالى والمراد من المعجزات في امثال هذا المقام الامر الخارق للعادة مطلقا لا مصطلح اهل الكلام وقال اني ذاهب الى ربي مهاجر الى حيث يامرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه للعبادة له تعالى سيهدين سيرشدني الى ما فيه

صلاح واستقامة امر ديني وانما ثلث القول لان الله تعالى وعده الهداية
فبنى الامر على وعده لقوة يقينه اوبناه على عادة الله تعالى معه في
هدايته وارشاده لقوة توكله وتفويضه الامر اليه تعالى ولم يبنه
على الرجا كما بنا موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء
السبيل لانه كان في امر الدنيا لا في امر الدين فلا دلالة فيه على قصور
موسى عليه السلام في ذلك الباب والله اعلم بالصواب رب هب لي من
الصالحين اي بعض الصالحين استانس به في الغربة ويتفرج
به عن الكربة اراد به الولد لان الهبة غالبة فيه وان جاءت في الاخ
ايضا كما في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا
على ان الموهوب فيه نبوة هارون لا نفسه عليه السلام واما
البشارة بالغلام فلا تدل على ارادة الولد لخصوصه فبشرناه بغلام
حليم الفا لترتبه على هب لي كقوله تعالى فاستجبنا له ولا كلمة اقل
لفظا واكثر معنى من هذا لاحتوائها على البشارة بالولد وانه ذكر
وانه يبلغ اوان الحلم لان غير البالغ لا يوصف بالحلم بل لان الغلام
من طرشاربه وبانه يكون حليما وقيل ما نعت الله تعالى الانبيا
عليهم السلام مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده وما نعت الله الا ابراهيم
وابنه عليهما السلام فلما بلغ معه السعي معه متعلق ببلغ اي بلغ
السعي مقارنا له وذلك لا يقتضي بلوغهما معا حد السعي كما لا يقتضي
بلقيس اي قول بلقيس سلمت مع سليمان ان يكون اسلامهما معا
وفي الحديث كنا نختص برسول الله تمامه في صحيح البخاري ويجوز
ان يتعلق بالسعي فان معمول المصدر اذا كان ظرفا او شبهه
يجوز تقديمه عليه لان الظرف مما يكفيه رائحة من الفعل فلا حاجة
في العمل فيه الى تاويل المصدر مع الفعل على انه ليس كل ما اول بشي
حكمه حكم ما اول به والمراد باختصاص الاب بالسعي معه بيانه
صغر سنه اي لم يبلغ ان يسعى في الحوائج الا مع ابيه لا مع غيره لان
اباه ارفق الناس به واعطفهم عليه لا يكلفه الا ما يسهل عليه وغيره
ربما عنف به في الاستسعا فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم
يصلب عوده وفائدة ذلك البيان اظهار انه مع حداثة سنه وكو
وغضاضة غصنه يبلغ مبلغا من رصانة الحلم وكبر النفس وفسحة
الصدر ما سهل عليه احتمال تلك البلية العظيمة ويسر له الاجابة بذلك
الجواب الحكيم قال يابني اني ارى في المنام اني اذبحك اي يامر من الله
تعالى ويدل عليه قوله افعل ما تومر وذلك ان رويا الانبيا عليهم
السلام وحي كما في اليقظة وانما لم يقل رايت لانه راى مرة بعد اخرى

والامر به انما كان في المنام دون اليقظة ليكون مبادرته عليه السلام الى
الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص فانظر ماذا ترى من الراي
وانما قال على وجه المشاورة مع انه حتم من الله تعالى عليه ليعلم ما عنده
فيما نزل به من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن عليه
الزلل ان صبر وليوطن نفسه عليه ويتلقى البلاء مستانسا به ويكتسب
المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى وقرى ماذا ترى من الارادة اي ماذا
تبصر من رايك وتبديه وماذا ترا على البنا للمفعول اي ماذا تريك
نفسك من الراي قال يا ابت افعل ما تومر اي تومره حذف وهو منصوب
او صلة ما تومر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل
ما امرت به واتصل الضمير منصوبا فجاز حذفه او امر على اضافة
المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرى ما تومر به على
الاصل ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على ما قضى
الله به فلما اسلما يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد
اذا انقاد له وخضع وقد قرى بهن جميعا واصلها من قولك هذا
لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه فقولهم سلم لامر
الله واسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله
وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله
وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه
على شقه فوضع احد جنبيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر
بصبر وجلد لرضا الرحمن ورغما للشيطان وروي ان ذلك المكان
عند الصخرة التي بمنى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل
في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم في ايثار النداء
على القول اشعار بتشبيه حاله بحال من يحتاج في خطابه الى رفع
الصوت وان كان الخطاب عن قريب زجرا له عما قبل عليه وتوغل
فيه قد صدقت الرويا بصدق العزيمة والاتيان بما في وسعه
من المقدمات وروي انه امر السكين بقوته على حلقه فلم يقطع
وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط
به الوصف والمقال من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما الله تعالى
وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما
اكتسبا في تضاعيفه بتوطين النفس عليه من الثواب والرضوان
والكرامة عند الله والفوز بالدين ليس وراءه مطلوب انا كذلك
نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة به
والظفر بالبغية بعد الياس ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار

البين الذي يتميز فيه المخلصون عن غيرهم او المحنة البينة الصعوبة
التي لا محنة اصعب منها وانما قال وفديناه والفادي بالحقيقة
هو ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدي منه لان الله تعالى
هو الذي وهب له الكبش فكان هو الممكن من الفداء بمينته فاسند الى
نفسه اسناده الى المسبب مجازا بذبح الذبح اسم ما يذبح عظيم عظيم
الجثة سمين وهي سنة في الاضاحي وقيل عظيم القدر لانه كان فداء نبي من
انبيائه تعالى وهو اسمعيل عليه السلام في قول ابي بكر وابن عباس و
ابن عمر رضي الله تعالى عنهم وجماعة من التابعين واسحق عليه السلام
فيما روي عن علي رضي الله عنه وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم وجماعة
من التابعين والاول اظهر لانه الذي ذهب له اثر الهجرة ولان البشارة
باسحق عليه السلام معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام
انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان
عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تعالى حفر زمزم او بلغ
بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم على عبد الله ففداه بماية من الابل ولان
ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش كانا معلقين بالكعبة في يد اسباط
اسمعيل عليه السلام حتى احترق البيت ولان البشارة باسحاق
عليه السلام كانت مقرونة بالاخبار عن ولادة يعقوب عليه السلام
منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا واما ما روي عنه عليه السلام
انه اسحق عليه السلام فاخبار لم يثبت صحتها وتركنا عليه في الاخرين
ثناء حسنا ولا وقف عليه لان سلام على ابراهيم مفعول تركنا كذلك
نجزي المحسنين لم يذكر ههنا انا مع ذكرها في اواخر القصص كلها لانه
فيما سبق فيما مر فاكتفى به ايجازا انه من عبادنا المومنين قد سبق
بيانه في هذه السورة وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين حالان
مقدران كقوله فادخلوها خالدين اي بشرناه باسحاق عليه السلام
مقدرا كونه نبيا مقتضيا كونه من الصالحين ولا حاجة الى تقدير
مضاف كما قيل فان تقدير الحال لا يوجب وجود ذي الحال بل تقدير وجوده
وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وباركنا عليه على ابراهيم عليه
السلام وعلى اسحاق بان اخرجنا من نسلهما انبياء وافضنا عليهما بركات
الدين والدنيا وتكرير الجار واظهار اسحاق عليه السلام للاشعار بان التبرك
عليه بالاصالة والاستقلال لا بالتبعية لكونه نبيا وابا الانبياء بني اسرائيل
عليهم السلام وغيرهم كايوب وشعيب عليهما السلام ومن ذريتهما محسن
في عمله بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه
وفيه تنبيه على ان النسب لا يوثر في الهدى والضلال وان الظلم في الاعقاب

لا يعود بعيب ولا نقيصة على الاسلاف وان المدح والذم انما يترتبان على
كسب المرء وحسن عمله وقبحه وصلاحه وفساده في نفسه لا على عمل
الاصول والفروع واما انه لا تاثير للعرق الطيب والخبيث اصلا حتى يلزم
ان ينهدم امر الطبايع والعناصر بالكلية فنبا في ما هو الظاهر من قوله
تعالى عتل بعد ذلك زنيم ومن قوله عليه السلام لا يدخل ولد الزنا ولا ولده بعد
ذلك من ان النطفة اذا اخبثت خبث الناشي منها فلا دلالة فيما ذكر عليه
ولقد مننا انعمنا على موسى وهرون بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية
والدنيوية ونجيناهما وقومهما بني اسرائيل من الكرب العظيم من استعلاء
فرعون وقومه وظلمهم او من الغرق ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما
فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه واتيناهما الكتاب المستبين
البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم الطريق
الموصل الى الحق وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهارون
انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين مر تفسيره في هذه
السورة وان الياس لمن المرسلين قيل ان الياس كان ادريس عليه السلام
رفع قبل الطوفان الى السما ونزل بعده ببعلبك ويعضده قراءة ابن
مسعود رضي الله عنه وان ادريس في موضع وان الياس وقرئ ادراس
وقيل هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسى عليهما السلام
اذ قال لقومه الا تتقون الا تخافون الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدون
وهو علم صنم كان لهم عظموه غاية التعظيم واخدموه اربعمائة سادن
يتلقون شرايع الضلالات من الشيطان ويقولون ان بعلا امركم
ونهاكم عن كذا وكان اسم مدينتهم بك وهي من بلاد الشام فنسبت
اليه وركب اسمه باسمها وسميت بعلبك وقيل البعل الرب بلغة
اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض
البعول وتذرون احسن الخالقين تتركون عبادة الله تعالى وقد لم
يقل وتدعون مع ما فيه من ضعف التجنيس لا لانه مذموم فانه اذا كان
بداعي التصنع يكون ممدوحا واقعا في كلام الله تعالى وكلام الرسول
عليه السلام بل لان في دع امرا زايدا على الترك لا يناسب المقام وهو
معنى الحفظ ومنه الوديعة الله ربكم ورب ابائكم الاولين قرئ بالرفع
على الابتدا وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا
وقف رفع فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه
اكتفاء بالقرينة او الاختصاص الاحضار المطلق بالشر عرفا الا عباد الله
المخلصين استثناء من واو فكذبوه او من المحضرين ولا فساد فيه لان
استثناهم من القوم المحضرين لعدم تكذيبهم على ما دل عليه التوصيف

بالمخلصين لا من المكذبين فآل المعني واحد وتركنا عليه في الآخرين سلام
علي إل ياسين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين لغة في
الياس وقرئ علي الياسين بالوصل علي أنه جمع يراد به الياس وقومه
كقولهم الخبيبون والمهلبون ولا يجوز حمله علي الجمع إذا قرئ بالقطع
إذ لا بد للجمع من التعريف بالألف واللام وأما قراءة آل ياسين فعلي أن
ياسين اسم أبي الياس أضيف إليه الآل وإن لوطا لمن المرسلين إذ
نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق
بيانه وإنكم يا أهل مكة لتمرون في متاجركم إلي الشام فإن سدومه
في طريقه عليهم علي منازلهم مصبحين أي مساء أي يتكرر مروركم
عليها وبالليل والنهار وهو الداعي إلي الاعتبار أفلا تعقلون أبعد
هذه المعاينة ما لكم عقول تعتبرون بها وإن يونس لمن المرسلين
قرئ يونس بضم النون وكسرها إذ أبق إلي الفلك الإباق فرار العبد
إلي حيث لا يهتدي إليه طالبه وكان يونس عليه السلام هرب من قومه
بغير إذن ربه إلي حيث طلبوه ولم يجدوه علي ما مر في تفسير سورة يونس
الآبق لهربه باعتبار هذا القيد لا باعتبار القيد الأول فقط م
المشحون المملوء فساهم أي قارع أهل الفلك بإلقاء السهام فكان من
المدحضين أي من المغلوبين وحقيقته من المزلقين أي عن مقام
الظفر في الإسهام روي أنه عليه السلام لما وعد بعذاب قومه خرج من بينهم
هاربا قبل أن يأمر الله تعالي به فركب في السفينة فوقفت فقالوا هاهنا
آبق وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا
فخرجت القرعة علي يونس عليه السلام فقال أنا الآبق وزج بنفسه في
الما فالتقمه الحوت ابتلعه ومنه اللقمة وهو مليم داخل في الملامة وآت
بما يلام عليه أو مليم نفسه واللوم العتب وقرئ بالفتح من ليم كما جا مشيب
في مشوب فلولا أنه كان من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح
والتقديس مدة عمره وقيل في بطن الحوت وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانك
إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه إلي يوم يبعثون
عبارة اللبث دلت علي الحياة فالمعني فكان محبوسا في بطن الحوت
إلي يوم القيامة ويفهم منه أن لا يعم الهلاك عند النفخة الأولي الحيوانات
البحرية وفيه حث علي إكثار الذكر وتنبيه علي من أقبل إليه تعالي
في السراء أخذ بيده عند الضراء واختلف في مدة لبثه في بطن الحوت
ولا طائل تحت ذكره فنبذناه بأن حملنا الحوت علي لفظه بالعراء بالمكان
الخالي عما يغطيه من شجر ونحوه وما روي أن الحوت سار مع السفينة
رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح حتي انتهوا إلي

البر

البر فلفظه مردود بقوله تعالي فنادي في الظلمات علي ما مر في تفسير سورة
الأنبياء عليهم السلام وهو سقيم معتل مما حل به وروي أنه بدنه عاد
كبدن الصبي حين يولد وأنبتنا عليه أي فوقه مظلة عليه شجرة من
يقطين اليقطين ما ينبسط علي وجه الأرض من الشجر ولا يقوم علي
ساق كشجر الدبا والبطيخ والقثا والحنظل وهو تفعيل من قطن بالمكان
إذا أقام به والأكثر علي أنها كانت الدبا وفائدة الدبا أن الذباب ينفر منه
وهو أسرع الأشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا وبرد عليه أنه قيل لرسول
الله صلي الله عليه وسلم إنك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس
وأرسلناه إلي مائة ألف هو إما الإرسال إلي قوم آخرين وإما إرسال ثان
إلي قومه الذي خرج من بينهم وجوز أن يكون المراد الإرسال الأول لأن
الواو يدل علي الترتيب ويأباه الفا في قوله فآمنوا لأنها تدل علي
التعقيب بلا مهلة أو يزيدون باعتبار آخر وذلك أن المكلفين منهم
كانوا مائة ألف وإذا ضم إليهم من بصدد التكليف كانوا أكثر ومن
هاهنا ظهر وجه التعبير بصيغة التجدد دون الثبات وأما علي ما
قيل أن المعني في مرأي الناظر أي إذا نظر إليهم قال هم مائة ألف أو
أكثر فلا يظهر وجه العدول عن الظاهر وقرئ بالواو فآمنوا فصد
قوه أو فجددوا الإيمان بحضرته فمتعناهم إلي حين إلي أجلهم المسمي وقرئ
حتي حين فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون معطوف علي فا
ستفتهم في أول السورة وإن تباعدت بينهما المسافة لأمر ما أمر
رسول الله صلي الله عليه وسلم أولا باستفتا قريش عن وجه إنكار
البعث وساق الكلام جارا بما يلائمه من القصص موصولا بعضه
ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزي حيث جعلوا
لله تعالي الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله تعالي
مع كراهتهم الشديدة لهن واستنكافهم من ذكرهن كما قال تعالي وإذا
بشر أحدهم بالأنثي ظل وجهه مسودا وهو كظيم ولقد زادوا بذلك
علي الشرك ضلالات أخر التجسيم وتجويز الفنا علي الواجب الوجود
تعالي شأنه لأن الولادة مخصوصة بالأجسام الكائنة الفاسدة
وتفضيل أنفسهم عليه تعالي حيث جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما
لأنفسهم وبالتوهين المقربين حيث أنثوهم ولهذا كرر الله تعالي
إنكار ذلك في كتابه العزيز مرات وبين فظاعتها في آيات كقوله
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا
وخص الإنكار هاهنا بأمرين منهما هما أقرب إلي فهم العامة وأفظع
عندهم بمقتضي العادة التقسيم المذكور وتأنيث الملائكة حيث

جعل المعادل للاستفهام ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما
خص علم المشاهدة لان الانوثة ليست من لوازم ذواتهم حتى يمكن للعقل
طريق الى معرفة ذلك ولم يتركه كتاب فلا طريق الى علم امثال ذلك
الا بالمشاهدة مع ما فيه من الاستهزاء بهم والتسفيه لرأيهم حيث يثبتون
به القول كانهم شاهدوا خلقهم والتخصيص بتغيير النظم في انكار ولدهم
وايلاده حرف الانكار لزيادة التشنيع وتقطيع قولهم الا انهم من افكهم ل
يقولون ولد الله وانهم لكاذبون لان الكلام المصروف من الحق الى
الباطل والولد فعل بمعنى المفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
بالغ في الانكار بالاوان واللام وتقديم من افكهم لظهور استحالته ووضوح
محنة التوحيد اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد
والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وقرئ بكسر الهمزة وجوز ان يكون على الاخبار
باضمار القول متعلقا بقوله لكاذبون في قولهم اصطفى البنات او ابداله
من قولهم ولد الله على انه من كلام الكفرة وبدون ذلك تلك القراءة ضعيفة
جدا لكون هذه الجملة مكتنفة بالانكار من جانبيها واقتضاء المقام اختصا
صها بزيادة الانكار لانه بالغ في انكار الولادة فاقتضى الحال ان يبالغ
خصوصا الاناث منهم جعلها للاثبات او فعلها دخيلة بين نسبتين
وبترتيب نظم الكلام والجملة الاعتراضية التاكيدية اعني وانهم لكاذبون
تزيدها منعطفا لانها مقررة لنفي الولد عن اصله مؤكدة لذلك فاذا جرت
الى هذه خرجت عن كونها مبينة للافك وصارت كانها مجوزة للولادة
المذكورة مطرفة لصدقهم لو قالوا بها وكذا الالتفات في قوله ما لكم
كيف تحكمون اي بما يرتضيه عقل باداه افلا تذكرون انه منزه عن ذلك
وقرئ يذكرون من ذكر والاولى ان يقال ان تلك القراءة على حذف حرف
الاستفهام لوضوح دلالة قرائنه ومشاهدة معادله في قوله ام لكم سلطان
مبين حجة نزلت من السماء او من خبر من نبي بان الملائكة بنات الله اي لا
يجوز عقل ولا نزل به نقل فان كان شيء من ذلك فأتوا بكتابكم الذي
ينطق بذلك كقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به
يشركون ان كنتم صادقين في دعواكم وهذه الايات واردة على سخط
عظيم واستبعاد لاقاويلهم شديد واما الاساليب التي وردت عليها
والتراكيب التي نظمت بها الا ناطقة بتسفيه احلامهم وتحميق نفوسهم
واستركاك عقولهم مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مثل ذلك
على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا او يتظاهر به مذهبا
وجعلوا بينه اي بين الله تعالى وبين الجنة يعني الملائكة عليهم السلام
ذكرهم باسم الجنس وضعا منهم وتقصيرا بهم ان يبلغوا احد المناسبة التي

اثبتوها

اثبتوها لهم وان كانوا في انفسهم مكرمين معظمين لاقتضاء المقام التحقير نسبا
وهو زعمهم انهم بنات الله تعالى والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله تعالى
وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة والجنة جنس يشمل
كل جن ولا يؤنس لكن من صفا ذاته وتنور ونسك وطهر وكان خيرا كان
ملكا ومن تكدر جوهره واظلم وخبث ومرد وكان شرا كان شيطانا
وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن وقيل قالوا ان الله تعالى والشيطان
اخوان فعلى هذا لا يتناوله اللفظة المكنية ولقد علمت الجنة انهم اي
الكفرة لمحضرون النار ومعذبون بما يقولون وانما نسب العلم الى
الذين ادعوا لهم تلك النسبة وعظموا لهم ووضع محضرون موضع
كاذبون للمبالغة في التكذيب اي ان الذين تخبرهم بهذا النسب
وشرفوهم يعلمون انهم في ذلك كاذبون مفترون بما يقولون فيعذبون
به وقيل ان فسرت الجنة بالشياطين جاز ان يكون الضمير في انهم
لهم ولقد علمت الشياطين ان الله تعالى يعذبهم ويحضرهم النار ولو
كانوا مناسبين له تعالى لما عذبهم وفيه ان علم الشياطين بذلك
غير معلوم لا بشهادة العقل ولا بشهادة النقل على ان نسبة العلم اليهم قليل
الجدوى سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين
استثناء منقطع من المحضرين اي ولكن المخلصين ناجون او من واو
يصفون او لكن المخلصين برآء من ان يصفوه به ولا استعظام
ذنوبهم اوقع التنزيه معترضا بين الاستثناء والمستثنى منه فانكم وما
تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله تعالى بفاتنين
مفسدين الناس بالاغواء يقال فتن فلان على فلان امرأته اذا
افسدها عليه وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب
والفا في فانكم للسببية من الاستثناء اي اذا كان المخلصون برآء من
ذلك فلا تفتنون انتم وما تعبدون الا من هو من اهل النار ويجوز ان
يكون الواو بمعنى مع وما تعبدون ساد مسد الخبر كقولك كل رجل
وضيعته اي فانكم مع ما تعبدون يعني فانكم قرناؤهم واصحابهم لا
يزالون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين
باعثين او ما يلبس على طريقة الفتنة والضلال الا من هو صال
مثلكم صال الناس فهو كلام مبتدأ الا من هو صال الجحيم بكسر اللام اي
لستم تضلون احدا الا اصحاب النار الذي سبق في علمه تعالى
انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها وقرئ بضم اللام على
الجمع والتقاء الساكنين بمعنى صالوا بحمله على معنى من التوحيد
في هو على لفظه او على حذف لامه واجراء الاعراب على عينه كما حذف

من قولهم ما باليت به بالة واصله بالية من بالي كعافية من عافي او
على القلب حتى يصير صاليا ثم يقال صال في صايل كما يقال شاك في شايك
وما منا الا له مقام معلوم اي رتبة معلومة عند الله تعالى متعينة
لا يتجاوزها وهو حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم
والوجه ان يكون هو وما قبله من قوله سبحان الى قوله لنحن المسبحون
من كلامهم متصلا بقوله ولقد علمت الجنة قال ولقد علم الملائكة ان
المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها ثم استثنوا المخلصين
تبرئة لهم ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا
بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه لا يتجاوزونه ولا يتجاوزونه وليس هذا
من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه كما قيل لان احدا المحذوف
مبتدا والا له مقام معلوم خبره وانا لنحن الصافون اقدامنا واجنحتنا
في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون ربنا
عما لا يليق بشانه والاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف
وما في انا واللام وتوسيط الفصل وتعريف الخبر في جملتي اخر كلام الملائكة
من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون
غيرهم وان كانوا ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
اي وانهم كانوا يقولون اي مشركوا قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين
اي كتابا من كتب الاولين لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة
لله تعالى ولما كذبنا وخالفنا كما كذبوا وخالفوا فكفروا به اي لما جاءهم
الذكر الذي هو اشرف الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب
كفروا فسوف يعلمون عاقبة كفرهم اذا احل بهم الانتقام ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي حكمنا او وعدنا لهم بالنصر والغلبة
وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار
الغالب والمقضي بالذات لا باعتبار كل مرة وانما سميت كلمة وهي
كلمات لانتظامها في معنى واحد فهي في حكم كلمة واحدة وقرئ كلماتنا
وقرئ على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول عنهم فاعرض
عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة هي الموعود لنصرهم
قيل هو بدر وقيل هو يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم
حينئذ من القتل والاسر في مجيئه على صيغة الامر تنبيه على
انه كاين لا محالة قريب كانه قدامك وفيه تسلية له عليه السلام
وتنفيس عنه فسوف يبصرون يبصرون ما ينالك مما قضينا
لك من التصير والغلبة وسوف للتاكيد في الوعيد لا للتبعيد روي
انهم لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزلت افبعذابنا يستعجلون

فاذا نزل

فاذا نزل اي العذاب وقرئ على البنا للمفعول مسندا الى الجار والمجرور
كقولك ذهب بزيد وقرئ نزل بالتشديد بساحتهم بفنائهم فساء
وقرئ فبئس صباح المنذرين المخصوص بالذم محذوف اي فساء صباح
المنذرين صباحهم واللام للجنس لاقتضاء فعل الذم ذلك والصباح
الغارة ولما كانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا سميت الغارة
به اي وقت وقعت ولو عشيا شبه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة
فهو من باب التمثيل وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس
ورجعوا الى حصنهم فقال عليه السلام الله اكبر خربت انا اذا نزلنا
بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر
فسوف يبصرون في تكريره تاكيد لوقوع الميعاد على تاكيد وتسلية
بعد تسلية واطلاق الفعلان في الثاني بعد تقييد الفعل الاول بالمفعول
لزيادة المبالغة في عذابهم كما يوذن في نصه اي انه يبصر وهم ويبصرون
ما لا يحيط به الوصف من انواع المسرة واصناف المساءة او اريد بالاول
عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون
عما قاله المشركون فيه واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا
عزة الا له ولمن يعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته الثبوتية والسلبية
مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم مع
تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من
تبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم ولما كان
مدار الكلام في هذه السورة على مقالة المشركين في الله تعالى ونسبة
الولد والشريك اليه تعالى ومقالة الرسل معهم ومقاساتهم اياهم
وما منحوا من التاييد والنصرة عليهم ختمها على وفق ما تضمنت
بالتنزيه عما يصفونه والتسليم على المرسل بما تحملوا من اعباء الرسالة
واذى المرسل اليهم والتحميد على ما انعم به عليهم من النصرة بحسن
العواقب واعزاز الدين واعلاء كلمته والله اعلم بالحقيقة والصواب

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تعالى عما يدركه الحواس والاوهام وتعاظم عما يحيط به القياس
والافهام الذي بيده بقبضة قدرته الملك يتصرف فيه كيف يشاء
والملك عالم الاجسام كما ان الملكوت عالم الارواح فلذلك وصف ذاته
باعتبار تصرفه في عالم الملك وتدبيره اياه بحسب مشيئته بالتبارك
الذي هو غاية القطعة في افادة الخير والبركة والزيادة فيه وباعتبار

تسخيره عالم الملكوت يقتضي ارادته بالتسبيح الذي هو كونه
منزها عن منشأ بقية الاجسام حيث قال فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء واورد كلا منهما بما يناسبه لان الزيادة والبركة تناسب
الاجسام في نموها وازديادها والتنزه يناسب عالم المجردات
عن المادة وهو على كل شيء قدير سواء كان ذلك الشيء من عالم الملك
او من عالم الملكوت فقيده دفع ما عسى ان يسبق الى الوهم من
تخصيص الملك بالذكر اختصاص الحكم الثابت فيه الذي بدل من
الذي قبله او خبر مبتدأ محذوف خلق الموت والحياة الخلق بمعنى
الايجاد كان الموت ضد الحياة ومعنى التقدير كان عدميا وانما
قدم الموت عليه لانه ادعى الى حسن العمل فذكره في هذا المقام اهم
واما قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم فالموت فيه مجازي على المعنى
ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر من البلوى وهي الخبرة ايكم احسن عملا
في الدنيا بالزهد في امورها والرغبة عنها وكما ان الاختبار في قوله تعالى
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا غير مخصوص من
المكلفين بالشرائع كذلك ههنا غير مخصوص من ايكم جملة واقعة موقع المفعول
الثاني لفعل البلوى من حيث انه تضمن معنى العلم فليس هذا من باب
التعليق لان الجملة المعلق عنها يجب ان تقع موقع المفعولين معا ولما قدم
الموت الذي هو اثر صفة القهر على الحياة التي هي اثر صفة اللطف قدم
صفة القهر على صفة اللطف في قوله وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه
من اساء العمل الغفور الستار الذي لا ييأس منه اهل الاساءة والزلة
الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق
النعل اذا خصفها طبقا على طبق او جمع طبق كجمل وجمال او طبقة
كتمرة وتمار صفة ان كان جمعا او وصف بالمصدر او على ذات طباق او
طوبقت طباقا والخطاب في ما ترى في خلق الرحمن لكل احد للتعجب
ابهام من التناسب التام في خلقهن من تفاوت من اختلاف
في الخلقة وقرئ من تفوت ومعنى البناء بين واحد كالتفاهد والتعهد
وحقيقة التفاوت وعدم التناسب كان بعض الشيء يفوت
بعضا ولا يلائمه وقوله في خلق الرحمن من تفاوت من باب
وضع الكبرى موضع النتيجة اثباتا للحكم بعلته وذلك ان اصل الكلام
ما ترى فيهن من تفاوت لانه من خلق الله وما ترى في خلقه من تفاوت
وفي تعليقه اضافته الى الرحمن اشعار بان ذلك التناسب اثر الرحمة
لانه مدار انتظام العالم والجملة صفة ثانية للسبع فارجع البصر متعلق
بما قبله على معنى التسبب اي ان اردت ان تتحقق ما اخبرك به فارجع

البصر

البصر هل ترى من فطور صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق والمراد
به الخلل ثم ارجع البصر معنى التراخي في ثم هو ان يتوقف بعد كلال البصر
بكثرة المراجعة حتى يحصل بصره ثم يعاوده فلا ينقلب اليه الا بالبعد
عن المطلوب والكلال ولا يعثر على شيء من التفاوت والفطور والمراد
بالتثنية في كرتين التكثير والتكرير كما في قولهم لبيك وسعديك ولذلك اجاب
الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عما طلبت كانه طرد
عنه بالصغار وهو حسير كليل من كثرة المراجعة وطول المعاودة
ولقد زينا السماء الدنيا القربى منكم وفي هذا التوصيف دلالة على ان
الزينة في الواقع لا في الرؤية اذ لا تمايز بين دنياها وعلياها في
النظر بمصابيح استعيرت الكواكب المضيئة بالليل والتنكير للتنويع
اي بمصابيح ليست من جنس مصابيحكم وجعلناها رجوما جمع رجم
بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم للشياطين اي ضممنا الى التزيين
فائدة اخرى جليلة هي رجم الشياطين التي تسترق السمع بالشهب
المنقضة وقد عين هذا المعنى قوله تعالى وحفظا من كل شيطان مارد
والقرآن يفسر بعضه بعضا سيما في حكم واحد فلا حاجة لما قيل معناه
وجعلناها ظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون وفيه دلالة على
ان الكواكب التي استقر لها المصابيح في السماء الدنيا لان
انقضاض الشهب لا يتصور من سائر السموات وقد مر في تفسير
سورة الانبياء ان تحت السماء فلك هو موج مكفوف فيه الكواكب كلها وعن
كعب ان سماء الدنيا موج مكفوف واعتدنا لهم عذاب السعير
في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا والسعير اشد الحريق وللذين
كفروا بربهم من الثقلين عذاب جهنم وقرئ بالنصب على ان للذين عطف
عليهم وعذاب جهنم على عذاب السعير وبئس المصير المرجع اذا القوا
طرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لها جهنم شهيقا
صوتا منكرا كصوت الحمار شبه حسيسها المفظع بالشهيق قال
ابن عباس رضي الله عنهما الشهيق لجهنم عند القاء الكفار فيها تشهق
اليهم شهقة البغلة للشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى احد الا يخاف وانما
الزفير والشهيق للكفار المذكوران في قوله تعالى لهم فيها زفير
وشهيق فذلك بعد القرار في النار وبعد ما قيل لهم اخسؤوا فيها ولا
تكلمون فصاروا لا يتكلمون ولم يبق لهم الا اصوات منكرة لا حروف معها
وهي تفور ترفع بهم بالغليان فان الفوران ارتفاع الشيء بالغليان
لا الغليان نفسه ومنه الفوارة لارتفاعها بالماء ارتفاع الغليان
تكاد تميز اي تتقطع وتتفرق من الغيظ على الكفار تمثيل لشدة

اشتغالهم ويكون تهويرا لغيظ الزبانية واسند اليها للملابسة
والغيظ الغضب الكامن ولا يلزم ان يكون من العجز كما توهمه الجوهري
لقوله تعالى والكاظمين الغيظ فانه في مقام المدح والعاجز
بمعزل عنه كلما القي فيها فوج من الكفار المكذبين للرسل يدل عليه قوله
فكذبنا ولا حجة فيها للمرجئة على انه لا يدخل النار احد الا الكفار لانه
بين حال الداخلين فيها زمرا وسكت عن حال الداخلين فيها فرادى
فيجوز ان يكون عصاة المؤمنين دخولهم فيها فرادى سالهم اي قال
لهم على ما صرح به في سورة الزمر وفي التعبير عنه بالسؤال غير
موقف حقه بالتعدية الى مفعوله الثاني نوع تنبيه على انه ليس
بسؤال حقيقة بل تقريع وتوبيخ في سورة السؤال خزنتها
حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب اهلها توبيخا لهم الم ياتكم
نذير رسول من جنسكم يخوفكم من هذا العذاب وحمل النذير على
ما في المعقول من الادلة المحذرة المخوفة يرده قوله تعالى وقال لهم
خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء
يومكم هذا قالوا بلى قد جاءنا نذير اعتراف منهم بان الله تعالى
ازاح عللهم بارسال الرسول وحمل النذير على معنى الجمع لمساعدة
الصيغة له لا يتحمله المقام لان معنى فكذبنا فكذب كل واحد من
النذير الذي جاءنا وكل واحد منهم لم يكذب رسلا متعددة جاؤهم
كيف وقوم نوح ما جاءهم الا نوح عليه السلام وقلنا ما نزل الله من
شيء اي فكذبنا وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا
وعلى وفق هذا ورد ما في حذف المفعول من الايماء الى تكذيبهم
لم يكن لرسولهم خاصة فقولهم ان انتم الا في ضلال كبير خطاب
لرسولهم ولامثاله على تغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب
الكل اشعارا او لا بعموم تكذيبهم للرسل وبعد ما صرحوا بما يقتضي
ذلك اخرجوا ما في حيز الاشارة الى معرض العبارة ويجوز ان يكون
من كلام الخزنة على ارادة القول والمراد بالضلال الهلاك او الضلال
في الدنيا حكاية لما كانوا عليه فيها وقالوا لو كنا نسمع سماع تفهم
تفهيم الغير لقوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم او نعقل من
عند انفسنا بالتامل في الايات الظاهرة الدالة على وجوده تعالى
ووحدانيته والبينات الباهرة القائمة على صحة دعوى
الرسل وقيل اي نسمع سماع قبول وطاعة او نعقل عقل متفكر
متامل وكلمة او بمعنى الواو كما في قوله تعالى ان يشا يرحمكم او ان
يشا يعذبكم اذ لا استقلال في كل من السمع والعقل في الحكم المذكور

بعده

بعده او تنزيل الشطر العلة في منزلة تمامها تفصيلا لمواضع التفريط
واعتناء بشأن كل منها في مقام التحسر ما كنا في اصحاب السعير في جملة من
اعدت النار لهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم الاعتراف وفي افراد الذنب
اعتبار الاصلة اشارة الى ان ما اعترفوا به امر مشترك بينهم وهو الكفر
بسبب تكذيب الرسل فسحقا لاصحاب السعير السحق بتحريك الحاء
وتسكينها البعد وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعاء اي
فاسحقهم الله سحقا واصحاب السعير الشياطين لان اعداده كانت
لهم لا لكل من دخل فيه وقد اشير الى ذلك في سياق كلامهم حيث قيل
في اصحاب السعير ولم يقل من اصحاب السعير ولما فصل فيه بينهم وبين
اصحاب السعير كان اصل الكلام فسحقا لهم ولاصحاب السعير وانما عدل
عنه الى ما ذكر تغليبا لاصحاب السعير عليهم للتحقير والتعليل والمبالغة
في التهديد على وجه الايجاز ومن وهم ان الايجاز نكتة اخرى للتغليب
فقد وهم فان كلا مما ذكر يتيسر بدون التغليب الا انه لا يكون على
وجه الايجاز ان الذين يخشون ربهم بالغيب الخشية خوف يشعر به
تعظيم المخشي مع المعرفة به ولهذا قال الله تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء وانما قال بالغيب اذ عند العيان لا يبقى للخشية شأن
لهم مغفرة واجر كبير متعلق التخصيص المستفاد من تقديم الجار
والمجرور مجموع الامرين فلا يلزم اختصاص مغفرة الذنوب بالذين
يخشونه تعالى واسروا قولكم او اجهروا به ظاهره الامر باحد الامرين
الاسرار والاجهار ومعناه المبالغة في استوائهما في علم الله تعالى
ثم علله بقوله انه عليم بذات الصدور اي مضمراتها من غير ان
تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم انكر بقوله الا
يعلم من خلق اي لا يحيط علما بالسر والجهر من خلق الاشياء كلها وهو
اللطيف الخبير والحال انه المتوصل علمه لما بطن من خلقه وما ظهر
فهو تذييل بعد التعليل روي ان مشركي مكة كانوا ينالون من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبرائيل عليه السلام بما قالوا
فيه ونالوا منه فقالوا فيما بينهم اسروا قولكم كيلا يسمعه اله محمد عليه
السلام فنزلت هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة ليسهل لكم التصرف
فيها بالحركة والسكون وغير ذلك فامشوا في مناكبها تشبيه الارض
في غاية تذليلها بالبعير المذلل والمشي في المناكب مثل لفرط التذليل
ومجاوزته الغاية فان منكبي البعير وملتقاهما من الغارب ادق
شيء منه وانباه عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعلها في الذل
بحيث يمشي في مناكبها لم يترك شيئا من التذليل وحق المثل ان يكون

المفردات على حالها فلا استعارة في لفظ المناكب وقيل استعير المناكب
للجبال قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك في الجبال فاذا امكنكم السلوك
فيها فهو ابلغ التذليل وقيل استعير لجوانبها وكلوا من رزقه التمسوا من
نعم الله تعالى وتخصيص الاكل بالذكر لكونه اهم واعم واليه النشور اي
اليه تعالى خاصة نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما انعم عليكم أأمنتم من
في السما امره وقضاؤه والوهيته كقوله وهو الذي في السما اله
وفي الارض اله والهمزة للانكار وقرئ بقلب الهمزة الثانية الفا ان
يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال والخسف
ان تنهار الارض بالشي وتعديته بنفسه وبكم حال اي مصحوبا بكم
فاذا هي تمور المور الاضطراب في المجي والذهاب ام امنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا كما فعل بقوم لوط والحاصب الحجارة التي يرمى
بها فستعلمون كيف نذير اي اذا رايتم المنذر به علمتم كيف انذاري
حين لا ينفعكم العلم به ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير
اي انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول عليه السلام ..
وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير الاعتبار بالطير يناسب المقام
اذ تقدم الحاصب في الكلام وقد اهلك الله تعالى اصحاب الفيل بالطير
والحاصب الذي رمتهم به في غضبه اذ كان قريش بهذه القصة فوقهم صافات
باسطات اجنحتهن في الجو عند الطيران فانها اذا بسطتها صففن
قوادمها صفا والصف وضع الاشيا المتوالية على خط مستقيم ويقبضن
ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن ولما كان الحث على الاستدلال على
قدرة الله تعالى بالطيران والاصل فيه بسط الاجنحة واما القبض
فطار للاستظهار على التحريك للبسط بغاية وفا نضات ليدل على ان القدرة
على ما هو خلاف الطبع انما هي في البسط واما القبض فيطرا وقتا بعد
وقت لاحتياج البسط اليه في التحريك فان الطيران في الهوى
كالسباحة في الما فكما ان الاصل في السباحة مد الاطراف والقبض
انما يكون تارة للاستعانة على البسط فكذلك في الطيران ما يمسكهن
في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل الرحمة للكل بقدرته بما دبر
لهن من القوادم والخوافي وخصهن بهياة واشكال يتهيا لها بها
الجري في الجو وما يمسكهن مستانف او حال من الضمير
في يقبضن ويجوز انه بكل شي بصير يعلم كيف يخلق ويدبر ويهدي لكل
شي ما يعده لما خلق له واراد منه امن هذا الذي هو جند لكم ام من يشار
اليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن
ان ارسل عليكم عذابه ام من هذا الذي معادلة لهمزة الاستفهام في اولم

يروا ومن مبتدا وهذا خبره والموصول مع صلته صفته هذا وينصركم وصف
جند محمول على لفظه والمعنى اولم ينظروا الى هذه الصنايع العجيبة فيعلموا
قدرتنا على تعذيبهم بخسف اوحاصب ام لكم جند ينصركم من دون
الله تعالى ان ارسل عذابه وهو كقوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من
دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم
اعتقدوا هذا القسم نحو تعيين من ينصرهم ان الكافرون الا في غرور
اي ما هم الا في غرور امن هذا الذي يرزقكم ام من يشار اليه ويقال
هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه تقديرا وفيه ايذان بان هذا
اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوايب ويرزقون
ببركة الهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق على اعتقادهم والامساك
اللزوم المانع عن السقوط فلما لم يتعظوا اضرب عنهم فقال بل لجوا
اللجاج تقحم الامر مع كثرة الصارف عنه في عتو العتو هو الخروج الى
فاحش الفساد ونفور النفور الفرار من الشي هربا من الشعور بضرره
اي اصروا على العناد وتمادوا في الشر وعن الحق النافع زاعمين
انه باطل ضار ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال افمن يمشي المشي
جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو
والنقلة اعم من المشي لتحققه بدونه فيمن زحف ودب والحركة
اعم من النقلة لوجودها بدونها فيما يدور في مكانه مكبا اكب
صار ذا كب ودخل في الكب وهو السقوط في الهوة ونحوه اقشع
السحاب دخل في القشع وهما من باب النقض واللام لا من باب المطاوعة
كما توهم فان مطاوع كب وقشع انكب وانقشع ولم يجي
من باب افعل مطاوع على وجهه عاثرا كل ساعة يخر على وجهه
لوعورة الطريق واختلاف اجزايه في الارتفاع والانخفاض ولذلك
قابله بقوله سويا على صراط مستقيم واكتفى بما في الكب من الدلالة
على حال المسلك اشعارا بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا
وخبر من اهدى اي ارشد امن يمشي سويا اي قايما سالما من العثور
على صراط على طريق لا انحراف فيه ولا اعوجاج مستقيم لا ميل فيه
اصلا فينتفي به الصعود والهبوط والعدول عن قصد السبيل وقد
مر التفصيل في تفسير سورة الفاتحة وخبر من محذوف لدلالة اهدى
عليه وقيل المكب الذي يحشر على وجهه الى النار لانه كان مكبا على
المعاصي والسوي الذي يمشي على قدميه الى الجنة لانه كان على طريق
التوحيد والاسلام قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا ..
المواعظ والابصار لتنظروا صنايعه والافيدة لتتفكروا وتعتبروا

قليلا ما تشكرون هذه النعم والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زايدة ..
ويحتمل ان يكون القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذرأكم خلقكم في الارض
واليه تحشرون للجزاء والحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان
واحد ويقولون متى هذا الوعد يعنون وعد البعث ان كنتم صا
دقين يقول النبي عليه السلام والمومنين قل انما العلم علم وقته عند الله
لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين مخوف ظاهر وذلك ان بعثته
عليه السلام كانت من اشراط الساعة فكانه عليه السلام منذر اما لا وحالا
على ما اشار اليه بقوله انا النذير العريان فلما راوه الضمير للوعد بمعنى
الموعود زلفة نصب على الحال اي ذا زلفة اي قرب منهم او على
الظرف اي مكانا ذا زلفة اي فلما راوا ما وعد قريبا سيئت وجوه
الذين كفروا من باب وضع الظاهر موضع الضمير واصل النظم اه فيقال
فلما راى الذين كفروا الموعود ساءت رؤيته وجوههم فتغيرت الى ما ترى
للذم والايذان بان سبب المساءة والكآبة برؤية الوعيد انما هو
الكفر ولذلك نحن يجير الكافرين في موضع من يجيركم وقيل هذا الذي
كنتم به تدعون تفتعلون من الدعاء وقيل من الدعوى وقرئ
تدعون بالتخفيف قيل القائل هم الزبانية تطلبون ..
وتستعجلونه او كنتم بسببه تدعون وتزعمون انكم لا تبعثون
قل ارايتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المومنين او رحمنا
فمن يجير الكافرين من عذاب اليم لا ينجيهم احد من العذاب
متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون وفيه
تعريض بان الرسول عليه السلام ومن معه متربصون احدى ..
الحسنيين نعم الهلاك الذي تطلبونه لكم انما هو استعجال للفوز والسعا دة
وانتم على صفة ليس وراها الا الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم
غافلون لا تطلبوا الخلاص منه قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم
اليه مولى النعم كلها امنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق
عليه انما اخرت صلة امنا وقدمت صلة توكلنا لوقوع امنا تعريضا
بالكافرين حيث ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم
ثم قيل وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم
واموالكم فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ بيا
الغائبة ردا على قوله فمن يجير الكافرين قل ارايتم ان اصبح ماؤكم
اي صار ماؤكم غورا غائرا ذاهبا في الارض لا ينالها الدلاء يقال
غار الماء غورا اذا سفل في الارض مصدر وصف به للمبالغة خص
من بين انواع الازالة اهو نبها بالعبارة احالة لغيرها على الدلالة

فكانه يقول

فكانه يقول يجيئكم في هذه الصورة ثابت فكيف الحال فيما فوقها ولا يخفى ان
اعمال الدلالة الخبر من اهمالها ثم ان فيه اشارة الى ان الماء مقتضى طبعه ان
يغور فخروجه على وجه الارض وظهوره بالعسر لطف من الله تعالى فالامتنا
هنا بالاحسان اقوى مما في قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون لانه
امتنان بترك الاساءة فمن ياتيكم بماء معين ظاهر يراه العيون او جار
على وجه الارض فهو على الاول مفعول من العين كمبيع من البيع وعلى
الثاني من الامعان في الجري فوزنه فعيل كانه ممعن في الجري والله اعلم
بالصواب واليه المرجع والماب

سورة النبا

بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عن ما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وقرئ
على الاصل ثم حذفت الالف فرقا بين الاستفهام والخبر وقرئ عمه بها
السكت اما اجرا للوصل مجرى الوقف واما وقفا على عمه ثم يتساءلون
والابتدا بما بعده على الابهام والتفسير ومعنى هذا الاستفهام تفخيم
شان المستفهم عنه كانه قال عن اي شيء يتساءلون ونحوه ما في قولك
زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك
جنسه فانت تسال عن جنسه هذا اصله ثم جرد العبارة عن التفخيم
حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية ويناسب المعنى المذكور ما في
النبا وصفه من الدلالة على الخطر يتساءلون يسال بعضهم بعضا
والضمير لاهل مكة كان المشركين يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتسا لون
المومنين عنه على طريق الاستهزاء او يتساءلون غيرهم عن رسول الله عليه
السلام والمومنين كما ذكرنا في يتداعونهم ويتراءونهم وقرئ يتساءلون
بالادغام عن النبا العظيم بيان لشان المفخم او صلة يتساءلون وعم
متعلق بمضمر مفسر به ولا دلالة على هذا في قراءة السكت لانتظامه
كلا الوجهين على ما نبهت عليه انفا والنبا الخبر الذي له شان الذي
هم فيه مختلفون منهم من يقطع بنفيه ومنهم من شك فيه ولا يجوز
ان يكون الاختلاف بالاقرار والانكار بناء على ان يكون الضمير في
يتساءلون للمسلمين والمشركين جميعا لان الوعيدين كلاهما في حيز الردع
وعلى هذا يلزم ان لا يدخل احدهما فيه وفيه ما فيه كلا ردع للمتسائلين
سيعلمون وعيد وحذف ما يتعلق به العلم للتهويل اي سيعلمون
ما يحل بهم وقيل المعنى سيعلمون حين يرون العذاب ان ما يتساءلون
عنه ويضحكون منه حق وقرئ بالتاء على تقدير قل لهم ثم كلا سيعلمون
تكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الثاني
ابلغ من الاول واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة وقيل

الاول عند البعث والثاني عند الجزا الم نجعل الارض استفهام بمعنى التقدير
مهادا وطا وهو القرار المهيا للتصرف فيه من غير ان يذكر لهم بعض ما
عاينوا من عجايب صنعه الدال على كمال قدرته ليستدل بذلك على البعث كما
ذكر مرارا وقرئ مهدا اي انها لكم كالمهد للصبي وهو ما يمهد فينوم عليه
تسمية للممهود بالمصدر او وصف بالمصدر او بمعنى ذات مهد والجبال
اوتادا اي للارض كيلا تميد بكم مبدا المهد بما فيه فهو تكميل بما قبله
ولذلك لم يفصل بينهما باعادة الفعل وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى حتى
يصح منكم التناسل وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الحركة والاحساس
استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها بتعطيل الحواس وجعلنا
الليل لباسا غطا ساترا بظلمته فيه تفويت للفايدة المقصودة من
جعل النوم سباتا وجعلنا النهار معاشا منصرفا للعيش فهو ظرف او
مصدر فلا حاجة الى اضمار الوقت والعيش الانتعاش الذي يبقى منه
الحياه على حال الصحة والنهار اتساع الضيا المنبث في الافاق وبنينا
فوقكم سبعا شدادا سبع سموات شدادا قوية الخلق محكمة لا يوثر
فيها مرور الدهور وكرور الشهور وجعلنا سراجا وهاجا مضيا وقادا
اي جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات اي
السحايب اذا اعصرت اوشارفت ان يعصرها الرياح فتمطر او الرياح
التي حان لها ان تعصر السحاب وانما جعلت مبدا للانزال لانها تنشي السحاب
وتدر اخلافه ويويده قراة بالمعصرات وان اريد السحاب فتوجيهه لذلك
الغداة ان الانزال اذا كان منها فهو بها ماء ثجاجا منصبا بكثرة وقرئ
بالحا المهملة ومثاجح الماء مصابه لنخرج به حبا ما يتقوت به كالحنطة
والشعير ونباتا ما يعتلف به من التبن والحشيش وجنات الفافا
ملتفة لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف كجذع واجذاع
وانشد حسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق ۞ وندامى كلهم بيض زهر

او لفيف كشريف واشراف وزعم ابن قتيبة انه الفا لف ثم الفاف
ولم يوجد له نظير من حمر واحمار وخضر واخضار وقيل جمع ملتفة
بحذف الزوايد ان يوم الفصل كان في علم الله وحكمته ميقاتا حدا
يوقت به الدنيا وينتهي عنده او حدا للخلايق ينتهون اليه يوم
ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل او عطف بيان له فتاتون من القبور
الى المحشر افواجا جماعات وفتحت السما اي شققت لنزول الملايكة كما
قال ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا وقرئ بالتخفيف
فكانت ابوابا اي كثرت طرقها فصارت كان كلها ابواب مفتحة

كقوله وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر منها وسيرت الجبال
اي في الهوى كالهبا بل كالعهن المنفوش على ما مر في سورة بني اسرايل
فكانت سرابا فصارت مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم يبق حقيقتها
لتفرق اجزايها وانبثاث جواهرها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد
يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المومنين لا ليحرسوهم
من فيحها في مجازهم عليها لانهم مستغنون عن تلك الحراسة لغلبة نورهم
على نار جهنم حتى ورد في صحيح الخبر ان جهنم تنادي من نورهم عند عبو
رهم وقد مر في تفسير قوله تعالى وان منكم الا واردها ان المومنين
يمرون عليها وهي خامدة بل لاستقبالهم عندها لان مجازهم عليها
والراصد للشي المترقب له او متخذة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم
واحد فان مفعال من ابنية المبالغة كالمطعام وقد قرئ ان بالفتح
على التعليل لقيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا الا انه قيل كان ذلك
لاقامة الجزا للطاغين مابا مرجعا وماوى بدل من قوله مرصادا
لابثين فيها حال مقدرة من الضمير في للطاغين وقرئ بالسين
وهو اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث وان قل وهو المكث ولا
يقال لبث الا لمن شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك
منه احقابا ظرف وهو جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد
محصور بل الابد اذ لا يكاد يستعمل الاحقاب حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها
وقيل الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فعلى تقدير صحته
ليس فيه ما يقتضي تناهي الاحقاب حتى يعارض مفهومه منطوق
الدال على خلود الكفار لجواز ان يكون احقابا مترادفة كلما مضى
حقب تبعه حقب اخر الى غير النهاية وانما استعير جمع القلة للكثرة
محافظة للفاصلة لا يذوقون اي غير ذايقين حال من الضمير في لا
بثين فيها اي في تلك الاحقاب ويجوز ان يكون احقابا منصوبا بلا
يذوقون على ان المعنى انهم يلبثون فيها احقابا غير ذايقين الا
حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا اخر من العذاب ويجوز ان يكون
جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطا الرزق وحقب العام اذا قل
مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين ويكون قوله
لا يذوقون تفسيرا له بردا اي لا يمسهم من الهوى ما يستلذ ويكسر
شدة الحر وقيل المراد به النوم ولا شرابا الا حميما ماء حارا يحرق
ما ياتي عليه وغساقا ما يسيل من صديدهم استثنا متصل من قوله
ولا شرابا وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ما حقه
ان يقدم محافظة على الفاصلة وقرئ بالتشديد جزا جوزوا

جزاء وفاقا موافقا لاعمالهم مصدر بمعنى الصفة او ذوا وفاق ثم
استانف معللا بقوله انهم كانوا لا يرجون حسابا اي لا يخافون
محاسبة الله تعالى اياهم اذ لا يؤمنوا بالبعث فلا يرجون حسابا وكذبوا
باياتنا كذابا تكذيبا وفعالا في باب فعل فاش وقرئ بالتخفيف
وكل شيء نصب بمضمر يفسره احصيناه كتابا مكتوبا في اللوح او مصدر
في موضع احصاء اذ احصينا في معنى كتبنا لان الاحصاء يكون
بالكتابة غالبا وقرئ بالرفع على الابتداء وهذه الاية اعتراض لبيان
وعيدهم بضبط معاصيهم لان قوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا
مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات اي فذوقوا جزاء
وفي هذا التسبيب مع الابهام والتبيين والتاكيد بالتكرير وبالمصدر
في الجملة الاعتراضية ودلالة لن نزيدكم على ان ترك الزيادة كالمحال
الذي لا يدخل تحت الامكان ومجيئه على طريقة الالتفات بالغة حد
النهاية ودلايل مشاهدة بان الغضب قد بالغ وعن النبي عليه السلام
هذه الاية اشد ما في القران على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا بالبغية
او موضع فوز حيث زحزحوا عن النار وادخلوا الجنة ولم يعطف قصتهم
على قصة الطاغين كما عطف في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم لان وزان هذين القصتين ليس وزان تينك
القصتين فان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر جهنم وانها كانت
مرصادا وسيقت الثانية لان المتقين من حالهم كيت وكيت فبينهما
تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال للعاطف وحدائق
جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه يقال احدق به اي احاط بدل
من مفازا او بيان واعنابا المراد به الكروم وكواعب جمع كاعب وهي
الناهد اترابا الاتراب الاقران في السن جمع ترب وكاسا دهاقا ممتلئة
او متتابعة لا يسمعون فيها اي في الحدايق المذكورة لغوا كلاما
لا طايل تحته ولا كذابا قرئ بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب بعضهم
بعضا وقيل الضمير للكاس اي لا يجري في اثناء شربها كما في اثناء شرب
خمر الدنيا من الهذيانات والصخب والعدوان جزاء من ربك مصدر
موكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين
عطاء بدل منه على الاشتمال جزاء باعتبار كونه في مقابلة العمل وعطاء
لعدم استحقاق العبد له كيف والعمل واجب عليه بحكم العبودية
فلا يستحق بسببه الاجر ولا يجوز نصبه بجزاء نصب المفعول به لان
المصدر المؤكد لا يعمل اذ لا يتحل بحرف مصدري والفعل وقال ابو حيان
ولا نعلم في ذلك خلافا حسابا صفة له بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا

كفاه

اكفاه حتى قال حسبي وقرئ حسابا بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك
بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما قرئ بالرفع على البدل
على اضمار هو او مبتدا والرحمن صفته ولا يملكون خبر او هما خبران وبالجر
على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدا خبره لا يملكون
او هو الرحمن ولا يملكون خبر ثان والضمير في لا يملكون لاهل السموات
والارض وفي منه خطابا لله تعالى اي لا يملكون ان يخاطبوه والواو لاهل
السموات والارض اي لا يملكون خطابه ولا الاعتراض عليه في ثواب
او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا
وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه اذ يخاطبوه بشيء من نقص العذاب
او الزيادة من الثواب الا ان ياذن لهم في ذلك ولا يملكون مما يخاطب
الله تعالى به ويامر في امر الثواب والعقاب خطابا واحدا يتصرفون
فيه تصرف الملاك بزيادة او نقصان اذ لا يقدر احد ان يخاطبه تعالى
خوفا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم نصب بلا يملكون
او لا يتكلمون الروح جبريل عليه السلام وقيل ملك عظيم ما خلق الله بعد
العرش اعظم منه موكل على الارواح كلها والملايكة صفا اي مصطفين
لا يتكلمون اي الروح والملايكة خوفا الا من اذن له الرحمن في كلام او في
الشفاعة وقال صوابا هما شرطان اذن الرحمن وقول الصواب وهو
الشفاعة لمن ارتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى والجملة
تقرير وتاكيد لقوله لا يملكون على ان الضمير فيه لمجموع من تقدم
ذكره واما اذا كان للروح والملايكة خاصة فلا يتمشى امر التوكيد
الا على اصل الاعتزال بان يقال ان هولا الذين هم اشرف الخلايق
واقربهم الى الله تعالى منزلة اذا لم يقدروا ان يتكلموا الا بما يكون
صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم لان
مذهب اهل السنة ان خواص الانسان اشرف الخلايق وانهم
افضل من خواص الملايكة ذلك اليوم الحق الثابت وقوعه لا محالة
فمن شاء اتخذ الى ربه الى ثوابه مابا مرجعا بالعمل الصالح انا انذرناكم
عذابا قريبا هو عذاب الاخرة وقربه لتحققه لان كل ما هو ات
قريب ولان مبداه الموت يوم ينظر المرء مومنا كان او كافرا هذا
هو المطابق لما سبق من وصف يوم الفصل بما اشتمل على حال الفريقين
ما قدمت يداه من خير او شر ما موصولة منصوبة بينظر يقال
نظرته بمعنى رايته ونظرت اليه والراجع من الصلة مفعول
قدمت وحذفه مفعولا لاستنبا واستفهامية منصوبة بقدمت
اي ينظر اي شيء قدمت يداه قوله ويقول الكافر يا ليتني نعمت المرتب

علي ما قبله كما في قوله وارسلت اليهن واعتدت لهن متكا وانت
كل واحدة منهن سكينا والتعذيب فيه الموم ويقول الكافر وقد
نبهت فيما سبق ان هذه الواو تسمى فصيحة فان قلت لم خص قول
الكافر بالذكر دون المومن على عكس ما تقدم من تخصيص حال المومن
بالذكر حيث قال فمن شا اتخذ الى ربه مآبا قلت ذكر الكافر على غاية
الخيبة ونهاية التحسر وحذف قول المومن على غاية التبجح ونهاية
الفرح بما لا يحيط به الوصف **كنت ترابا** اي حيث منت كما كان ساير الحيوانات
فان الانسان مخصوص من بينها بالروح الباقي بعد الموت وهذا
وجه ما قيل يحشر ساير الحيوانات للاقتصاص ثم يرد ترابا فيود
الكافر حالها الا ما يتوهم من ان كان بمعنى صار والله تعالى اعلم بالصواب

سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات من نزع الشي نزعا اذا جذبه عن مقره كنزع النفوس عن
كيده **غرقا** اسم بمعنى الاغراق كالسلام بمعنى التسليم او مصدر بحذوف
الزوايد يقال اغرق النازع في القوس اذا استغرق في مدها **والناشطات**
نشطا من نشط الدلو من البير اذا اخرجها **والسابحات سبحا** اصل
السبح في الماء وقد يستعمل في غيره بطريق الاستعارة **فالسابقات**
سبقا عدل عن الواو الى الفا للترتيب السبق على السبح والعدول في قوله
فالمدبرات امرا ايضا لذلك المعنى اقسم سبحانه وتعالى بطوايف
التي يجذب ارواح الابرار بسهولة وخفة لقلة تعلقهم وبالطوايف
التي تنزع في مضيها فيسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور
العباد على ما رسم لهم او بالنجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب
غرقا في النزع بان تقطع ما بينهما من المسافة كلها وتنشط من برج
الى برج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في
الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا به
ينسط بها من اختلاف الفصول وتقدير الاوقات ولما كانت الحركة
الاولى بمعنى الاستيفا ذكر فيها النزع والاغراق ومن عمم ذلك لانها
وربه فقد وهم لا يقال ساير في عبارة العشيرية فان المراد معنى
العرضية لان حركات النجوم كلها عرضية **يوم** منصوب بالجواب
المضمر لدلالة ما بعده **ترجف الراجفة** الراجف حركة الشي من تحت
غيره بروية او اضطراب والراجفة الاجرام الساكنة التي ترجف مثل الارض
والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال **تتبعها الرادفة** الزلزلة
الثانية تردف الاولى فتنشق الكواكب والزحف الكاينة بعد الاولى

قريبا منه والفرق بينه وبين التابع ان في التابع معنى الطلب لموافقة
الاول دون الرديف معنى القرب دون التابع **قلوب** مبتدا لانها
مخصصة فان تنكيرها عوض عن المضاف اليه كتنكير كل في قوله كل في
فلك يسبحون والمعنى قلوب الناس لا قلوب الكفار لعموم البلوى
بدلالة قوله تعالى وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر وقوله
الناس سكارى وما هم بسكارى **يوميذ** منصوب بقوله **واجفة** وهو
خبر الوجيف شدة الخفقان واضطراب القلب **ابصارها خاشعة**
جملة ابتدائية وانما فصل عما قبلها لقوة الاتصال اعلم ان الادراك حتم
القلب بدلالة قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها والبصر من
جملة الآلة والخشوع ايضا صفته والبصر مظهره قال المرزوقي
يقال خشع فلان اذا طاطا راسه ببصره الى الارض وهو
خاشع الطرف خاضع العنق فاسناد الخشوع الى البصر من قبيل اسناد
الفعل اليه واضافة البصر الى القلب من قبيل اضافة الالة الى صاحبه
قد رجحنه الى التقديم بل لا وجه له **يقولون** اي المنكرون للبعث
بدلالة الاستفهام الانكاري في قوله **ءانا لمردودون في الحافرة**
اي انرد بعد الموت الى الحالة الاولى اي الحيوان يقال رجع في الحافرة
اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثرفيها بمشيه جعل اثر قدميه
حفرا او توصيفها بالحافرة بطريق المجاز في النسبة كقوله تعالى عيشة
راضية او على تسمية القابل بالفاعل ثم اتسع فيه فقيل لمن
كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى حالته الاولى
وقرى بالجزم وهي بمعنى المحفورة وفيه نوع تاييد لما قلنا ان
اصل الحافرة بمعنى المحفورة **ءاذا** منصوب بمحذوف تقديره أئذا
كنا عظاما نرد ونبعث وقرى اذا على الخبر **نخرة** يقال نخر العظم فهو
نخر وناخر هولك فهو طمع وطامع والاول ابلغ واشكل لدروس الاي
وقد قري بهما رعاية لهما وهو البالي الاجوف الذي يمر فيه الريح
فيسمع له نخير **قالوا تلك اذا كرة خاسرة** وصف الكرة لخسران اصحابها
من لعذا اي انها ان صحت اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزا
بهم فانما هي متعلق بمحذوف اي لا تحسبوا تلك الكرة خفية على
الله تعالى **فانما هي زجرة واحدة** سهلة هينة في قدرته تعالى والزجرة
الصرفة عن الشي بالمخافة وهي هنا بالصيحة لقوله تعالى ان كانت
الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون **فاذا هم** اي فاجاؤا
الحصول **بالساهرة** اي وجه الارض فالعرب تسمي وجه الارض
من الفلا ساهرة اي ذات سهر لانه يسهر فيها خوفا اشارة الى ان

حصولهم فيها اذن هل اتاك حديث موسى ان كان اتاه قبل ذلك
فمعناه اليس قد اتاك بجمع وان كان لم ياته فمعناه ما اتاك فانا اخبرك به اذ ناداه
ربه بالواد المقدس طوى قد مر تفسيره في سورة طه اذهب الى فرعون انه
طغى قد مر تفسيره على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء من معنى
القول لكن قيل وفيه ان بين النداء المذكور وهذا القول من الفواصل المصدرة
بالقول في سورة طه فقل هل لك الى ان تزكى اي هل لك رغبة الى ان تطهر
من رجس الكفر بالايمان وقرئ تزكى بالتشديد بتفصيل للقول اللين
الذي امر به في سورة طه وهو على صيغة العرض دون الامر والترغيب
دون الترهيب واهديك الى ربك فتخشى وارشدك الى معرفة ربك
فتخشى لان الخشية تقدر المعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء اي العلماء به ذكر الخشية مكان التدين بدين الله تعالى لانها
ملاك الامر فيه فاراه الآية الكبرى الفا فصيحة اي قد ثبت وبلغ فاراه الآية الكبرى
هي قلب العصا حية لانها كانت المتقدمة والاصل واراد وهما جميعا
الا انه جعلهما واحدا لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها
تابعة لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك تخرج
بيضاء او المجموع لانهما باعتبار الاعجاز والدلالة على صدقه واحد فكذب
موسى عليه السلام وعصى الله تعالى بعد ظهور الحق ووجوب الطاعة
ثم ادبر يسعى اي تولى عن موسى عليه السلام مجتهدا في مكايدته
لقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده ويجوز ان يكون ادبر مستعارا
لمعنى اقبل تمليحا وتنبيها على انه كان ادبارا فحشر اي السحرة لما مر
من قوله تعالى فجمع كيده والحشر الجمع من كل جهة وقد يكون الجمع
تقسيم جر الى حيز فلذا يكون فنادى في محشر فقال انا ربكم الاعلى اي علي
فاخذه الله نكال الآخرة والاولى النكال بمعنى التنكيل مصدر موكد اي
نكل الله به تنكيلا في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او مفعول له
اي للتنكيل فيهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما نكال كلمته الآخرة وهي
هذه وكلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري والنكال عقاب
ينكل به عن الاقدام على سببه لشدته ان في ذلك لعبرة لمن يخشى
العبرة للتذكر وانما خص به من يخشى لانه هو المنتفع به الخطاب أأنتم
اشد خلقا لمنكري البعث اي انتم اصعب خلقا واشد ام السماء ثم بين
كيف خلقها فقال بناها ثم بين كيفية البناء فقال رفع سمكها اي
مقدارها في جهة العلو بان جعله مديدا رفيعا فسواها فعدلها
مستوية لا فطور فيها ولا تفاوت او فتممها بما يتم به كمالها وصلاحها
من البروز والتزيين بالكواكب وغير ذلك من قولهم سوى فلان امره

اذا اصلحه واغطش ليلها اغطش الليل واغطشه الله تعالى بمعنى اظلم واظلمه ويقال
ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم والاول منقول من غطش والثاني بمعنى الصيرورة
واخرج ضحاها الضحى الضوء لقوله تعالى والشمس وضحاها اي ضوئها وقيل
الضحى هو وقت اشراق ضوء الشمس واضاف الليل والضحى الى السماء لانهما
يحدثان بحركة الشمس فيها ومن قال بحركتها فكانه غفل عن قوله تعالى
وكل في فلك يسبحون فانه صريح في ان الشمس تجري في الفلك لا الى
الفلك كما زعمته الفلاسفة والارض بعد ذلك دحاها بسطها اخرج
منها حال باضمار قد يكون له تعالى دحاها او كم حصرت صدورهم ماءها عيونها
المتفجرة ومرعاها رعيها والمرعى مشترك بينه وبين المصدر والموضع
ذكره في القاموس واصل الرعي حفظ الغير في امر يعود بمصلحته
ومنه رعي الغنم رعي والموالي الرعية ذكره الراغب فلا اختصاص
في المرعى للانعام ولذلك قال والجبال ارساها الارساء الاثبات
بالثقل نصب الارض والجبال باضمار دحا وارسى على شريطة التفسير
وقرئتا مرفوعين على الابتداء متاعا لكم تمتيعا مفعول له ولانعامكم
ولمواشيكم فصل بينه وبين الفعل المعلل به بقوله والجبال ارساها
لانه مما يتوقف عليه التمتع بالماء والمرعى ولما فرغ عن تذكير الحجة
للبعث رتب عليه الاخبار عما يكون عنده ذلك فقال فاذا جاءت
الطامة الكبرى هي العلامة على نحوها ملة وهي اكبر الطامات وقيل
النفخة الثانية فانها كبرى النفختين لعموم اثرها بخلاف الاولى فان
تاثيرها في الاحياء وقيل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة
واهل النار الى النار ولا بيانا سبب التفريع على ما تقدم يوم يتذكر
الانسان ما سعى عند تمثيل الاعمال بصورها او هيئاتها على ما نطق
به الاحاديث وسياتي تفصيله في سورة الزلزلة وانما قال يتذكر لانه قد نسيه
لطوله اي لكل ذي بصر والمراد العموم والمعنى انها تظهر اظهارا بينا لا يخفى على
احد فيراها اهل السماوات جميعا فكانه غفل عن قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وبرزت الجحيم لمن راى
ولمن ترى والضمير للجحيم لقوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد وجواب
فاذا جاءت فاما اي كان ما لابد خول تحت الوصف وقوله فاما تفصيل
له وتفسير من طغى جاوز الحد حتى كفر واثر الحياة الدنيا اي اختارها
فانهمك فيها ولم يعمل للآخرة فان الجحيم هي الماوى اي ماواه والاعلى ان اللام فيه
ساد مسد الاضافة لانه على مذهب المرجوح بل لانه استغنا عن
الاضافة لحصولها بالقرينة لا لادخال اللام ثم ادخل اللام لانه معين كما
في قولك غض الطرف وهي للتعصر وافادة التخصيص فيرجع المعنى

الى ان الطاغي جحيما واه مكان اخر واما من خاف مقام ربه مقحم للتعظيم كانه قيل
حصره به او تمنع خاف قيامه عليه وكونه رقيبا من قوله افمن هو قائم على
كل نفس بما كسبت ونهي النفس عن الهوي اي النفس الامارة بالسوء عن الهوي المردي
فان الجنة هي الماوي اي النفس الامارة بالسوء ليس له سواها ماوي يسئلونك
عن الساعة ايان مرساها متى اثباتها واقامتها اي متى يقيمها ويثبتها
او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر
فيه فيم انت من ذكراها اي في اي شي انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت
من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شي ان الله تعالى هو المستاثر على ما قالت
عايشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله عليه السلام يسال عن الساعة
حتى نزل هذا فانتهي فهو على هذا تعجب من كثرة ذكرها كانه قيل في اي
شي انت من ذكرها والسوال عنها بمعنى يلحون في السوال عنها يسالونك
فلا يزال يذكرها ويسال عنها لحرصك على جوابهم ثم قال الى ربك منتهاها
اي لا ينتهي علمها الا الى ربك لا يعلمها احد فهو وقيل فيم انكار لسوالهم اي
فيم هذا السوال ثم قيل انت من ذكراها بعثك ارسالك وانت خاتم الانبيا
المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكراها اي علامة من علاماتها فكفاهم
بذلك دليلا على اقترابها وباعثة على الاستعداد لها وخوف من هولها
فلا معنى لسوالهم عنها انما انت منذر من يخشاها وينبغي هو لها اي
لست بمعلم وقتها ولم تبعث لذلك بل لتنذر من اهوالها وبناسبه
الابهام وعدم تعيين الوقت وقدم وجهه وانما قال لمن يخشى
لان المنكر لا يتحقق في حقه الانذار وغيره مقرا كان او مرددا
الا بحله عن حسنه وقري منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة
تخفيف وكلاهما صالح لانه للحال كانهم يوم يرونها اي الساعة
لم يلبثوا اي في الدنيا او في القبور الا عشية عشية يوم على ان التنكير
بدل من الاضافة او ضحاها كان الاصل الا عشية يوم او ضحاه اي
ضحى ذلك اليوم وانما النفي عن المضاف اليه بالتنوين اعيد الضمير
الى المضاف للملابسة لكونهما جزئي نهار واحد والعدول عن الاصل
لمحافظة روس الاي والمبالغة في الاضافة استقصار المدة اي ان
مدة لبثهم كانهم لم تبلغ يوما ولكن ساعة على ما ذكر في قوله تعالى
لم يلبثوا الا ساعة من نهار ان بقوله الا عشية او ضحاها والضمير
في الموضعين للساعة يعني قدر عشيها او ضحاها ولذا المراد من
النهار في قوله الا ساعة من نهار الساعة واصله من نهارها فابدل
عن الضمير التنوين ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون
مدة لبثهم في الدنيا او في القبور لسهول ما يرون من تفسير القاضي في

سورة

سورة يونس عليه السلام واكمل التحية والاكرام

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق اصل الطرق الدق ومنه المطرقة لانه يدق به والطريق
لان المارة يدقونه بارجلهم والطارق في الاتي ليلا لانه يحتاج الى الدق
للتنبيه واطلاقه على النجم البادي ليلا بطريق الاستعارة كالنجم للكواكب
الطالع فانه يقال لكل طالع نجم تفسيره له بالنجم الثاقب اذا طلع وما ادراك
ما الطارق تفخيم لشان هذا المقسم به ولما كان القصد بالاقسام به
تعظيمه لما فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وبديع الصنعة مهد
للمعنى المقصود بالابهام والتبيين مجازا بوصف المشترك بينه وبين
غيره ثم فسره بقوله النجم الثاقب زيادة في تعظيم امره والثاقب
المضي كانه يثقب الظلام بضوئه او الفلك فينفذ فيه والمراد جنس
النجم لا كوكب الصبح بخصوصه كما قال الجوهري ولا زحل بخصوصه كما قال
ابو زيد اذ يا باه سبب النزول قال ابن عباس رضي الله عنهما ان ابا
طالب كان عند النبي عليه السلام فانحط نجم فامتلا نورا ففزع
ابو طالب وقال اي شي هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو
اية من ايات الله تعالى فعجب ابو طالب فنزلت ان كل نفس لما عليها
حافظ قري بالتشديد بمعنى الا وان نافية وبالتخفيف على ان ما
صلة موكدة وان هي المخففة واللام هي الفارقة او على ان ما نافية
وان اللام بمعنى الا كما في قوله

امسى ابان ذليلا بعد عزته ● وما ابان لمن اعلاج سودان

وعلى القراءتان في المعنى والجملة عليهما جواب القسم وتقديم
الظرف للاختصاص والمعنى على كل نفس رقيب مخصوص بها يحفظ
عملها خيرا كان او شرا فلا امتناع لان يراد بالحافظ هو الله تعالى لعدم
اختصاصه بنفس دون نفس واما حمل الحفظ على حفظه عن نحو
اختطاف الشياطين وساير الافات فيا باه الفا التفريعية في قوله
فلينظر الانسان مم خلق لما اثبت ان عليه رقيبا حثه على النظر
في مبدا نشاته حتى يتحقق صحة اعادته لجزا الاعمال فلا يملي على حافظه
الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء دافق استئناف في جواب
استفهام مقدر لانسلاخ ما قبله عن معنى الاستفهام والدفق
في وصف الماء على الاسناد المجازي فان الدفق وهو الصب برفع
لصاحبه ويجوز ان يكون معناه النسبة الى الدفق كلابن الماء الممتزج
من النطفتين لقوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل
اي ظهره وترائب المراة وهي عظام صدرها جمع تريبة اصل الكلام يخرج

من الصلب والترايب ولما كان فيه احتمال المجاز بان يكون الخروج من احدهما ويسند اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان زيد عبارة بين الداله على الترايب الحقيقية دفعا لذلك الاحتمال وقري صلب بفتحتين وصلب بضمتين وصالب بفتح اللام والضمير في انه كما فخم اولا بترك الفاعل في قوله تعالى مم خلق خلق اذ لا يذهب الوهم الى غيره فخم بالاضمار قبل الذكر ثانيا فاكد ثالثا تاكيدا بالغ لفظا لما اقام عليه البرهان الواضح معنى على رجعه على اعادته حيا بالبعث بعد الموت لقادر يوم تبلى السراير تتعرف وتميز ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه وللسراير ما اسر فيها واخفي من العقوية والسيئات الاعمال فما له اي فما للانسان من قوة من منعه في نفسه يمتنع به ولا ناصر يمنعه والنصر اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر والسما اقسم به ثانيا ذات الرجع المطر سمي به تفاولا ليرجع بمروره وبناسبه المبالغة المستفادة من اطلاق المصدر على المفعول او لانه تعالى يرجعه وقتا فوقتا او لان السحاب يحمله من الارض ثم يرجع اليها وفي اسناده الى السما يكفي نزوله من جهتها فلا حاجة الى صرف لفظ السما عن معناها المناسب لان يذكر في مقابلة الارض نعم ويجوز ان يراد بالرجع ما يغيب ثم يرجع الى مطالعه من الشمس والقمر والنجوم والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات والعيون او اشتق بهما انه اي القول المتقدم لقول فصل بين الحق والباطل والتعبير بالفصل عنه للمبالغة كما في العدل في رجل عدل وما هو بالهزل ولو كان الضمير للقران لكان المناسب نفي الوجود الهزل فيه حتى يرد على كونه خيرا كله انهم يعني اهل مكة واضمارهم قبل الذكر لتفخيم شانهم في الاشتهار بالوصف الذي ذكره بحيث لا يذهب الوهم الى غيرهم عند الاطلاق يكيدون يعملون المكايد في ابطال امر الله واطفا نور الحق كيدا الكيد توجيه المكروه الى شخص خفية والتنكير للتعظيم واكيد كيدا واقابلهم بكيد اعظم من مكايدهم وهو استدراجه تعالى لهم والانتقام منهم من حيث لم يحتسبوا فمهل الكافرين لا تدع بهلاكهم وتستعجل به فانه قد وقت لهم وقتا امهلهم رويدا امهالا يسيرا التكرير والمحافظة بين اللفظين في مهل وامهل وتاكيد رويدا وهو مصدر ارود يرود مصغر التصغير يرجيه واصله ارواد الزيادة التمكين منه والتعبير والله سبحانه تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى

اله

اله وصحبه وسلم انتهى ما وجد من تفسير المرحوم العلامة محمد بن كمال باشا رحمه الله تعالى وكان الفراغ من كتابته يوم الثلاث المبارك خامس شهر شوال من شهور سنة ٩٤٦
من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة
والسلام على يد كاتبه الفقير الحقير المعترف
بالذنب والتقصير من بزعم الناس
واكثرهم ذنوبا علي علا ابي الدين القلشتي
وطنا الشافعي مذهبا
غفر الله له ولوالديه ولمن
دعا له بالمغفرة
ولجميع المسلمين
امين وصلى الله
على سيدنا محمد
وعلى اله
وصحبه
وسلم
م م